غرائب القرآن

١٧٠٨٢

ج ٢

٢٩٧/١٧
غ ٤٨٥ ن

[illegible]
چون این جلد [illegible] مرحوم مغفور حاجی [illegible]
وقف [illegible] اثنی عشر [illegible]
[illegible] وقف [illegible] شان
[illegible]
[illegible]
[illegible]

١٢٨٣

غرائب القرآن

چون این جلد [illegible] مرحوم مغفور حاجی [illegible] الملک [illegible]

وقف است [illegible] آستان قدس [illegible]

این تفسیر نیشابوری را [illegible] وقف [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

١٢٩٣

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم ان الله
يحكم ما يريد يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون
فضلا من ربهم ورضوانا واذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا
وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب حرمت
عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل
السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم
فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فمن
اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم يسئلونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم
من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما امسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه و
اتقوا الله ان الله سريع الحساب اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل
لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
اذا آتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي اخدان ومن يكفر بالايمان فقد
حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم
وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤسكم وارجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان
كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لمستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا
صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد
ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم
به اذ قلتم سمعنا واطعنا واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور يا ايها الذين آمنوا
كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو اقرب
للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة
واجر عظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم

اذهم

اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون

القراءة ولا يجرمنكم بالنون الخفيفة رويس عن يعقوب والباقون مثقلة شنآن في الموضعين بسكون النون ابن عامر واسمعيل وابو بكر وحماد ويزيد من
طريق ابن وردان والباقون بالفتح ان صدوكم بكسر الهمزة ابن كثير وابو عمرو والباقون بالفتح ولا تعاونوا بتشديد التاء البزي وابن فليح المشدد ومن اضطر كما مر
في البقرة واخشوني بالياء في الوقف سهل ويعقوب وارجلكم بالنصب ابن عامر ونافع وعلي والمفضل وحفص ويعقوب والاعشى في اختياره والباقون بالجر
الوقوف بالعقود ط لاستيناف الفعل حرم ط ما يريد ورضوانا ط لابتداء نهي ان تعتدوا لئلا يتوهم العطف وحذف التاء من تعاونوا والتقوى لعطف المتفقين
والعدوان كذلك واتقوا الله ط شديد العقاب بالازلام ط فسق ط واخشون ط دينا لان الشرط من تمام التحريم لا لما يليه لاثم لان ما بعده جزاء رحيم احل لهم فصلا
بين السؤال والجواب الطيبات للعطف اي وصيد ما علمتم ما علمكم الله لفاء التعقيب مع عطف المختلفين عليه واتقوا الله الحساب الطيبات لان بعده
مبتدأ لكم لعطف المتفقين لهم لان قوله والمحصنات عطف على وطعام الذين لا على ما يليه اخدان ط عمله لعطف المختلفين مع ان ما بعده من تمام جزاء الكفر
معنى الخاسرين الكعبين لابتداء حكم فاطهروا كذلك وايديكم منه تشكرون واثقكم به لان اذ ظرف المواثقة واطعنا لعطف المتفقين مع دفع العاصي واتقوا
الله الصدور بالقسط لعطف المتفقين مع زيادة نون التأكيد المؤذن بالاستيناف ان لا تعدلوا للاستيناف اعدلوا وقيل لطيفة لان الضمير مبتدأ مع
شدة اتصال المعنى للتقوى واتقوا الله بما تعملون الصالحات لان ما بعده مفعول الوعد اي ان لهم عظيم الجحيم ايديهم عنكم لاعتراض الظرف بين المتفقين
واتقوا الله المؤمنون التفسير وفي بالعهد واوفى بمعنى والعقد وصل الشيء بالشيء على سبيل الاستيثاق والاحكام والعهد الزام مع احكام والمقصود من الايفاء
بالعقود اداء تكاليفه فعلا وتركا والتحقيق ان الايمان معرفة الله بذاته وصفاته واحكامه وافعاله ومن جملة احكامه انه يجب على الخلق اظهار الانقياد
له في جميع تكاليفه فكأنه قيل يا ايها الذين التزمتم بايمانكم انواع العقود
اوفوا بها ومعنى تسمية التكاليف عقودا انها مربوطة بالعباد كما يربط الشيء بالشيء بالحبل الموثق قال الشافعي اذا نذر صوم يوم العيد او نذر ذبح الولد
لغا لقوله صلى الله عليه وسلم لا نذر في معصية الله وقال ابو حنيفة يجب عليه الصوم والذبح لقوله تعالى اوفوا بالعقود غايته انه لغا هذا النذر في خصوص كونه الصوم واقعا
في يوم العيد وفي خصوص كون الذبح في الولد وقال ابو حنيفة خيار المجلس غير ثابت لقوله اوفوا بالعقود وخصص الشافعي عموم الاية بقوله المتبايعان كل واحد
منهما بالخيار ما لم يتفرقا وقال ابو حنيفة الجمع بين الطلقات حرام لان النكاح من العقود بدليل لا تعزموا عقدة النكاح وقال اوفوا بالعقود ترك العمل
في الطلقة الواحدة بالاجماع فيبقى سائرها على الاصل والشافعي خصص هذا العموم بالقياس وهو انه لو حرم الجمع لما نفذ وقد نفذ فلا يحرم ثم انه سبحانه لما مهد
القاعدة الكلية ذكر ما يندرج تحتها فقال احلت لكم بهيمة الانعام والبهيمة كل حي لا عقل له من قولهم استبهم الامر اذا اشكل وهذا باب مبهم اي مسدود
ثم خص هذا الاسم بكل ذات اربع في البر والبحر والانعام هي المال الراعية من الابل والبقر والغنم قال الواحدي ولا يدخل في اسم الانعام الحافر لانه مأخوذ من نعومة
الوطء واضافة البهيمة الى الانعام للبيان مثل خاتم فضة بتقدير من وفائدة زيادة لفظ البهيمة مع صحة ما لو قيل احلت لكم الانعام كما قال في سورة الحج هي فائدة
الاجمال ثم التبيين وانما وحد البهيمة لانها اسم جمع يشمل افرادها وجمع الانعام لان النعم مفرد يقع في الاكثر على الابل وحدها وقيل المراد بالبهيمة شيء
وبالانعام شيء آخر وعلى هذا فوجهان احدهما ان البهيمة الظباء وبقر الوحش ونحوها كانه اراد ما يماثل الانعام ويدانيها من جنس الانعام في الاجترار
وعدم الانياب واضيفت الى الانعام لملابسة الشبه الثاني ان المراد الاجنة عن ابن عباس ان بقرة ذبحت فوجد في بطنها جنين فاخذ ابن عباس بذنبه وقال
هذه بهيمة الانعام وعن ابن عمر انها اجنة الانعام وذكوته ذكاة امه قالت التناسخية ذبح الحيوانات ايلام والايلام قبيح وخصوصا ايلام من بلغ في العجز والحيرة
الى حيث لا يقدر ان يدفع عن نفسه ولم يكن له لسان يحتج على من يقصد ايلامه والقبيح لا يرضى به الاله الرحيم الحكيم فلا يكون الذبح مباحا حلالا فلقوة هذه
الشبهة زعم البكرية من المسلمين انه تعالى يرفع الم الذبح عن الحيوانات وقالت المعتزلة ان الايلام انما يقبح اذا لم يكن مسبوقا بجناية ولا ملحوقا بعوض وههنا
يعوض الله سبحانه ويعطي هذه الحيوانات باعواض شريفة فلا يكون ظلما وقبيحا كالفصد والحجامة لطلب الصحة وقالت الاشاعرة الاذن في ذبح الحيوانات تصرف
من الله تعالى في ملكه فلا اعتراض عليه ولذا قال ان الله يحكم ما يريد قال بعضهم احلت لكم بهيمة الانعام مجمل لاحتمال ان يكون المراد احلال الانتفاع بجلدها
او عظمها او صوفها او بالكل والجواب ان الاحلال لا يضاف الى الذات فتعين اضمار الانتفاع بالبهيمة فيشمل اقسام الانتفاع على ان قوله والانعام خلقها
لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون يدل على الانتفاع بها من كل الوجوه الا انه الحق بالاية نوعين من الاستثناء الاول قوله الا ما يتلى عليكم اي الا محرم
ما يتلى عليكم او الا ما يتلى عليكم آية تحريمه واجمع المفسرون على ان الاية قوله بعد ذلك حرمت عليكم الميتة والدم والثاني قوله غير محلي الصيد وانتم حرم
داخلون في الحرم او في الاحرام قال الجوهري رجل حرام اي محرم والجمع حرم مثل قذال وقذل وقيل مفرد يستوي فيه الواحد والجمع كما يقال قوم جنب وانتصاب
غير محلي على الحال من الضمير في لكم اي احلت لكم هذه الاشياء لا محلين الصيد في حالة الاحرام وفي الحرم ثم كان لقائل ان يقول ما السبب في اباحة الانعام في جميع
الاحوال واباحة الصيد في بعض الاحوال فقيل ان الله يحكم ما يريد فليس لاحد اعتراض على حكمه ولا سؤال لم وكيف ثم اكد النهي عن مخالفة تكاليفه بقوله
يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله الاكثرون على انها جمع شعيرة فعيلة بمعنى مفعلة وقال ابن فارس واحدها شعارة ثم المفسرون اختلفوا على قولين
احدهما انها عامة في جميع تكاليفه ومنه قول الحسن شعائر الله دين الله والثاني انها شيء خاص من التكاليف ثم قيل المراد لا تحلوا ما حرم الله عليكم
في حال احرامكم من الصيد وقيل الافعال التي هي علامات الحج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعي والحلق والنحر وقال الفراء كانت عامة العرب لا يرون الصفا

والمروة من شعائر الحج فهو اعم من الشعير بليتها وقال ابو عبيدة الشعائر الهدايا التي يطعن في سنامها ويقلد ليعلم انها هدي قال ابن عباس ان الحطم واسمه
شريح بن ضبيعة الكندي اتى النبي عليه السلام من اليمامة الى المدينة فخلف خيله خارج المدينة ودخل وحده على النبي عليه السلام فقال له الى ما تدعو الناس فقال الى شهادة ان
لا اله الا الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة فقال حسن الا ان لي امراء لا اقطع امرا دونهم ولعلي اسلم واتي بهم وقد كان النبي عليه السلام قال لاصحابه يدخل عليكم
رجل يتكلم بلسان شيطان ثم خرج من عنده فلما خرج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقبي غادر وما الرجل بمسلم فمر بسرح المدينة فاستاقه
فطلبوه فعجزوا عنه فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام عمرة القضاء سمع تلبية حجاج اليمامة فقال لاصحابه هذا الحطم واصحابه وكان قد قلد ما نهب من سرح المدينة
واهداه الى الكعبة فلما توجهوا في طلبه نزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله يريد ما اشعر لله وان كانوا على غير دين الاسلام وقال
زيد بن اسلم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بالحديبية حين صدهم المشركون وقد اشتد ذلك عليهم فمر بهم ناس من المشركين يريدون العمرة فقال اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم نصد هؤلاء عن البيت كما صدنا اصحابهم فانزل الله لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا امين البيت الحرام اي
قوما قاصدين اياه والمعنى لا تعتدوا على هؤلاء العمار لان صدوكم اصحابهم فالشهر الحرام شهر الحج اعني ذي الحجة او المراد رجب وذو القعدة وذو الحجة
والمحرم وعبر عنها بلفظ الواحد اكتفاء باسم الجنس اي لا تحلوا القتال في هذه الاشهر والهدي ما اهدي الى البيت وتقرب به الى الله من النسائك جمع
هدية والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل او عروة مزادة او لحاء شجر الحرم والمراد لا تحلوا ذوات القلائد من الهدي افرد للاختصاص بالفضل مثل
وجبريل وميكائيل ويحتمل ان ينهى عن التعرض للقلائد ليلزم النهي عن ذوات القلائد بالطريق الاولى كقوله ولا يبدين زينتهن فانه نهي عن ابداء الزينة
مبالغة في النهي عن ابداء مواقعها وللمفسرين خلاف في الاية فذهب كثير منهم كابن عباس ومجاهد والحسن والشعبي وقتادة الى انها منسوخة وذلك ان المسلمين
والمشركين كانوا يحجون جميعا فنهي المسلمون ان يمنعوا احدا عن حج البيت بقوله لا تحلوا ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس ما كان للمشركين ان يعمروا
مساجد الله وهؤلاء فسروا ابتغاء الفضل بالتجارة وابتغاء الرضوان بان المشركين كانوا يظنون في انفسهم انهم على شيء من الدين وان الحج يقربهم
الى الله فوصفهم الله بظنهم وقال الاخرون انها محكمة وانه تعالى امر ان لا يخيف من يقصد بيته من المسلمين بدليل قوله يبتغون فضلا من الله اي ثوابا ورضوانا
وان يرضى عنهم وهذا انما يليق بالمسلم لا بالكافر وقال ابو مسلم المراد بالاية الكفار الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما زال العهد بسورة براءة زال
ذلك الحظر واذا حللتم فاصطادوا ظاهر الامر للوجوب لانه يفيد ههنا الاباحة لانه لما كان المانع من حال الاصطياد هو الاحرام لقوله غير محلي
الصيد وانتم حرم فاذا زال الاحرام رجع الى اصل الاباحة ولا يجرمنكم معطوف على لا تحلوا وجرم بمعنى كسب من حيث المعنى ومن حيث تعديه الى مفعول
واحد تارة والى مفعولين اخرى تقول جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه وهذا هو المذكور في الاية شنان بالتحريك والتسكين مصدر شنئته
اشناه وكلاهما شاذ فالتحريك شاذ في المعنى لان فعلان من بناء الحركة والاضطراب كالضربان والخفقان والتسكين شاذ في اللفظ لانه لم يجئ شيء من
المصادر عليه قال الجوهري معنى الاية لا يكسبنكم بغض قوم الاعتداء لا يحملنكم بغضهم على الاعتداء وقوله ان صدوكم من قرأ بكسر الهمزة فهو شرط
وجوابه ما دل عليه لا يجرمنكم ومن قرأ بفتح ان فمعناه التعليل اي لان صدوكم بل هذه القراءة اولى لان المراد منع اهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يوم الحديبية
عن العمرة والسورة نزلت بعد الحديبية وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والاغضاء وعلى كل ما يعد برا وتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان
على الانتقام والتشفي او على كل ما يورث الاثم والتجاوز عن الحد والحاصل ان الباطل والاثم لا يصلح لان يعتنى به ويعان عليه انما اللائق بالانسان التعاون
عليه هو الخير والبر وما فيه تقوى الله سبحانه وتعالى ثم بالغ في هذا المعنى بقوله واتقوا الله اي في استحلال محارمه ان الله شديد العقاب ثم شرع في تفصيل
الاستثناء الموعود تلاوته في قوله الا ما يتلى عليكم فقال حرمت عليكم الميتة الاية والمجموع المستثنى احد عشر نوعا الاول الميتة كانوا يقولون انكم
تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتل الله قال العقلاء الحكمة في تحريم الميتة ان الدم جوهر لطيف فاذا مات الحيوان حتف انفه احتبس الدم في عروقه وتعفن
فيحصل من اكله مضار كثيرة الثاني الدم كانوا ياكلون الفصيد هو دم كان يجعل في معاء من فصد عرق ثم يشوى فيطعم الضيف في الازمة ومنه المثل لم
يحرم من فصد له البعير وربما يقال من فزد له الثالث لحم الخنزير قالوا لما تعلق الغذاء يصير جزءا من جوهر المغتذي ولا بد ان يحصل للمغتذي اخلاق وصفات من
ما كان حاصلا في الغذاء والخنزير مطبوع على الحرص الشديد فحرم اكله لئلا يتكيف الانسان بكيفيته واما الغنم فانها في غاية السلامة وكانها عارية
عن جميع الاخلاق فلا يتغير من اكلها احوال الانسان الرابع ما اهل لغير الله به والاهلال رفع الصوت كانوا يقولون عند الذبح باسم اللات
والعزى وقد مر في سورة البقرة سائر ما يتعلق بهذه الانواع الاربعة فليرجع اليها الخامس المنخنقة كانوا في الجاهلية يخنقون الشاة فاذا ماتت اكلوها
وقد يختنق بحبل الصائد وقد يدخل راسها بين عودين في شجرة فيختنق فتموت وبالجملة فباي وجه اختنقت فهي حرام السادس الموقوذة وهي المقتولة بالخشب
وقذها يقذها اذا ضربها حتى ماتت ومنها ما رمي بالبندق وقال السابع المتردية التي تقع في الردى وهو الهلاك وتردى اذا وقع في بئر او سقط من موضع
مرتفع ويدخل فيه ما اذا اصابه سهم وهو في الجبل فسقط على الارض فانه يحرم اكله لانه لا يعلم انه زهق روحه بالتردي او بالسهم الثامن النطيحة التي نطحتها
اخرى فماتت بسببه ولا يخفى ان هذه الاقسام الاربعة داخلة في الميتة بحول الخاص في العام فافردت بالذكر لمزيد البيان والهاء في المنخنقة والموقوذة
والمتردية والنطيحة لانها صفات للشاة بناء على الاغلب فانه اكل الناس الا فالحكم عام وانما اثبت النطيحة مع ان فعيلا بمعنى مفعول لا يدخله الهاء كقولهم
كف خضيب ولحية دهين لان الموصوف غير مذكور تقول مررت بامراة قتيل فلان فاذا حذفت الموصوف قلت بقتيلة فلان لئلا يقع الاشتباه

التاسع

التاسع ما اكل السبع وهو اسم يقع على ما له ناب ويعدو على الانسان ويفترس الحيوان كالاسد وما دونه قال قتادة كان اهل الجاهلية اذا جرح السبع شيئا
فقتله واكل بعضه اكلوا ما بقي فحرمه الله وفي الاية حذف التقدير وما اكل منه السبع لان ما اكله السبع فقد فقد ولا حكم له وانما الحكم للباقي قوله الا ما ذكيتم
الذكاء في اللغة تمام الشيء ومنه الذكاء في الفهم وفي السن التمام فيها والمذاكي الخيل التي قد اتى عليها بعد قروحها سنة او سنتان وتذكية النار رفعها وتقوية
اشتعالها والتذكية كمال الذبح اما المستثنى منه فعن علي وابن عباس والحسن وقتادة انه جميع ما تقدم من قوله والمنخنقة الى قوله وما اكل السبع والمعنى انك
ان ادركت ذكاته بان وجدت له عينا تطرف او ذنبا يتحرك او رجلا تركض فاذبح فهو حلال لان ذلك دليل الحياة المستقرة وقيل انه مختص بقوله وما اكل السبع
وقيل انه استثناء منقطع من المحرمات كانه قيل لكن ما ذكيتم من غير هذا فهو حلال او من التحريم اي حرم عليكم ما مضى لكن ما ذكيتم فانه لكم حلال العاشر ما ذبح
على النصب هو مفرد وجمعه انصاب كطنب واطناب وهو كل ما نصب فعبد من دون الله قال الجوهري ضعف بانه يكون كالتكرار لقوله وما اهل لغير الله
به وقال ابن جريج النصب ليست باصنام فان الاصنام احجار مصورة منقوشة وهذه النصب احجار كانوا ينصبونها حول الكعبة وكانوا يذبحون عندها
للاصنام وكانوا يلطخونها بتلك الدماء ويشرحون اللحوم عليها فالمراد ما ذبح على اعتقاد تعظيم النصب ويحتمل ان يكون الذبح للاصنام واقعا عليها
وقيل النصب جمع انما الانصاب بحجر وحمار او النصب كسقف في سقف الحادي عشر ما ابدعه اهل الجاهلية وان لم يكن من جملة المطاعم اي حرم عليكم ان تستقسموا
بالازلام وانما ذكر مع الذبح على النصب لانهم كانوا يفعلون كلا منهما عند البيت كان احدهم اذا اراد سفرا او غزوا او تجارة او نكاحا او امرا اخر من معاظم الامور
ضرب بالقداح وكانوا قد كتبوا على بعضها امرني ربي وعلى بعضها نهاني ربي وتركوا بعضها غفلا اي خاليا عن الكتابة فان خرج الامر اقدم على الفعل وان
خرج النهي امسك وان خرج الغفل اعاد العمل فمعنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة الخير والشر بواسطة ضرب القداح الكثير من اهل اللغة الاستقسام
ههنا هو الميسر المنهي عنه والازلام قداح الميسر التركيب يدل على التسوية والاعتدال يقال ما احسن ما قسم اي سواه ورجل مزلم اذا كان مخفف
الهيئة وامراة مزلمة اذا لم تكن طويلة ذلكم فسق اشارة الى جميع ما تقدم من المحرمات اي تناولها فسق ويحتمل ان يرجع الى الاستقسام بالازلام فقط وكونه
فسقا بمعنى الميسر ظاهر واما بمعنى طلب الخير والشر فوجهه انهم كانوا يجيلونها عند اصنامهم ويعتقدون ان ما خرج من الامر والنهي هو ارشاد الاصنام
واعانتها فلذلك كان فسقا وكفرا وقال الواحدي انما حرم لانه طلب معرفة الغيب وانه تعالى مختص بمعرفته وضعف بان طلب الظن بالامارات المتعارفة
غير منهي كالتعبير والفال وكما يدعيه اصحاب الكرامات والفراسات ثم انه سبحانه حرض على التمسك بما شرع فقال اليوم يئس قيل ليس المراد يوما بعينه
وانما اراد الزمان الحاضر وما يتصل به من الازمنة الماضية والاتية كقولك كنت بالامس شابا وانت اليوم شيخ وقيل المراد يوم معين وذلك انها نزلت
يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع سنة عشر والنبي عليه السلام واقف على ناقته العضباء وعن ابن عباس انه قرا الاية ومعه يهودي فقال اليهودي
لو نزلت علينا لاتخذنا يومها عيدا فقال ابن عباس انها نزلت في يوم عيدين اتفق يوم جمعة ووافق يوم عرفة اي يئسوا من ان تحللوا هذه الخبائث بعدما جعلها الله محرمة او يئسوا من ان يغلبوكم على دينكم لانه حقق وعده
باظهاره هذا الدين على سائر الاديان فلا تخشوهم واخشون اخلصوا الى الخشية لي وفي الاية دليل على ان التقية جائزة عند الخوف لانه علل اظهار هذه
الشرائع بزوال الخوف من الكفار اليوم اكملت لكم دينكم سئل ههنا انه يلزم منه ان الدين كان ناقصا قبل ذلك وكيف يجوز ان يكون النبي عليه السلام مواظبا
على الدين الناقص اكثر عمره واجيب بانه كقول الملك اذا استولى على عدوه اليوم كمل ملكنا وزيف بان السؤال بعد باق لان ملك ذلك الملك لابد ان
يكون قبل قهر العدو ناقصا وقيل المراد اني اكملت لكم ما تحتاجون اليه في تكاليفكم من تعليم الحلال والحرام وقوانين القياس واصول الاجتهاد وضعف
بانه يلزم ان لا يكمل لهم قبل ذلك اليوم ما كانوا محتاجين اليه من الشرائع وتاخير البيان عن وقت الحاجة غير جائز والمختار في الجواب ان الدين كان ابدا كاملا
بمعنى ان الشرائع النازلة من عند الله في كل وقت ناسخة او منسوخة او مجملة او مبينة او غير ذلك كافية بحسب ذلك الوقت وفي اخر زمان البعثة حكم ببقاء الاحكام
على حالها من غير نسخ وزيادة ونقص الى يوم القيمة قال نفاة القياس لكمال الدين ان يكون حكم كل واقعة منصوصا عليه فلا فائدة في القياس واجيب
بان كماله هو جعل النصوص بحيث يمكن استنباط احكام نظائرها منها قالوا تمكين كل احد ان يحكم بما غلب على ظنه لا يكون كمالا للدين وانما يكون
القاء للناس في ورطة الظنون والاوهام واجيب بانه اذا كان تكليف كل مجتهد ان يعمل بمقتضى ظنه كان كل مجتهد قاطعا بانه عامل بحكم الله تعالى وانه
لما نزلت الاية على النبي صلى الله عليه وسلم فرح الصحابة واظهروا السرور الا اكابرهم كابي بكر الصديق وغيره فانهم حزنوا وقالوا ليس بعد الكمال الا الزوال وكان
كما ظنوا فانه لم يعمر بعدها مدة ثمانين يوما او اثنين وثمانين يوما ولم يحصل في الشريعة بعدها زيادة ولا نسخ ولا نقص قال العلماء كان ذلك
جاريا مجرى اخبار النبي عليه السلام عن قرب وفاته وذلك اخبار بالغيب فيكون معجزا احتجت الاشاعرة بالاية على ان الدين سواء قيل انه العمل او المعرفة او مجموع الاعتقاد
والاقرار والعمل لا يحصل الا بتخليق الله وايجاده فانه لن يكون اكمال الدين منه الا واصله منه والمعتزلة حملوا ذلك على بيان الدين واظهار الشرائع
ثم قال واتممت عليكم نعمتي اي بذلك الاكمال لانه لا نعمة اتم من نعمة الاسلام او نعمتي بفتح مكة ودخولها امنين ظاهرين ورضيت اي اخترت لكم الاسلام دينا
نصب على الحال او مفعول ثان ان ضمن رضيت معنى صيرت واعلم ان قوله ذلكم فسق الى ههنا اعتراض اكد به معنى التحريم فان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل
والنعمة التامة واختيار دين الاسلام للناس من بين سائر الاديان ثم بين الرخصة بقوله فمن اضطر في مخمصة اي مجاعة واصل الخمص ضمور البطن غير متجانف
متعمد بالاضطرار ويقال اي فاعلا ولا غير منحرف الى اثم بان ياكل فوق الشبع او عاصيا بسفره وقد مر القول في هذه الرخصة مستوفى في سورة البقرة يسئلونك
ماذا احل لهم كانهم حين تلي عليهم ما حرم عليهم من خبيثات الماكل سالوا عما احل لهم والسؤال في معنى القول فلذا لم يقل ماذا احل لنا على حكاية

نزولها نظر إلى ضمير الغائب في يسألونك ومثل هذا يجوز فيه الوجهان يقول أقسم زيد ليفعلن ولأفعلن أما سبب النزول فعن أبي رافع أن جبرئيل جاء إلى النبي ﷺ فاستأذن عليه فأذن له فلم يدخل فخرج رسول الله ﷺ فقال لجبرئيل إنا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة فنظروا فإذا في بعض بيوتهم جرو قال أبو رافع فأمرني أن لا أدع بالمدينة كلبا إلا قتلته حتى بلغت العوالي فإذا امرأة عندها كلب يحرسها فرحمتها فتركته فأتيت النبي ﷺ فأخبرته فأمرني بقتله فرجعت إلى الكلب فقتلته فجاء ناس فقالوا يا رسول الله ﷺ ماذا يحل لنا من هذه الأمة التي تقتلها فسكت رسول الله ﷺ إلى أن نزلت هذه الآية فأمر بقتل الكلب الكلب العقور وما يضر ويؤذي وأذن في اقتناء الكلاب التي ينتفع بها وقال سعيد بن جبير نزلت في عدي بن حاتم وزيد الخيل الذي سماه رسول الله ﷺ زيد الخير حين قالا يا رسول الله ﷺ إنا قوم نصيد بالكلاب والبزاة وإنها تأخذ البقر والحمر والظباء والضب فمنه ما ندرك ذكوته ومنه ما يقتل فلا ندركه وقد حرم الله الميتة فماذا يحل لنا منها قل أحل لكم الطيبات أي ما ليس بخبيث منها وهو ما لم يأت تحريمه في كتاب أو سنة أو قياس مجتهد وأحل لكم كل ما يستلذ ويشتهى عند أهل المروة والأخلاق الجميلة واعلم أن الأصل في الأعيان الحل لأنها خلقت لمنافع العباد هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا واستثنى من ذلك أصول الأول تنصيص الكتاب على تحريمه كالميتة والدم وغيرهما الثاني تنصيص الكتاب أو السنة كما روي عن جمع من الصحابة أن النبي ﷺ نهى عام خيبر عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية والبغال كالحمير ولا يحرم الخيل عند الشافعي لما روي عن جابر أنه قال نهانا رسول الله ﷺ عن البغال والحمير ولم ينهنا عن الخيل الثالث ما هو في معنى المنصوص كالنبيذ فإنه مسكر كالخمر ويشاركه كما في التحريم الرابع كل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطيور ونعلم معنى السبع من ينهب فلا يحل بموجب هذا الأصل الكلب والأسد والذئب والنمر والفهد والدب والببر والقرد والفيل لأنها تعدو بأنيابها ولا يحل من الطيور البازي والشاهين والصقر والعقاب وجميع جوارح الطير الخامس ما أمر بقتله من الحيوانات فهو حرام لأن الأمر بقتله إسقاط لحرمته ومنع من اقتنائه ولو كان مأكولا لجاز اقتناؤه للتسمين وإعداده للأكل وقت الحاجة ومنه الفواسق الخمس روي أنه ﷺ قال خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم الحية والفأرة والغراب الأبقع والكلب والحدأة السادس ما ورد النهي عن قتله فهو حرام لأنه لو كان مأكولا لجاز ذبحه ليؤكل كما روي أنه ﷺ نهى عن قتل الخطاطيف وكذا الصرد والنملة والنحلة والهدهد والخفاش السابع الاستطابة والاستخباث لقوله تعالى قل أحل لكم الطيبات قال العلماء ويبعد الرجوع إلى طبقات الناس وتنزيل كل قوم على ما يستطيبون ويستخبثون لأن ذلك يوجب اختلاف الأحكام في الحل والحرمة وذلك يخالف موضوع الشرع فالعرب أولى بالاعتبار لأن الدين عربي وهم المخاطبون أولا ولأنهم لم تعمهم ثورة تعسفوا في المطاعم على الناس ولكن المعتبر استطابة سكان القرى والبلاد دون أجلاف البوادي الذين لا تمييز لهم وأيضا يعتبر أصحاب اليسار والترفه دون أصحاب الضرورات والمحاجات وأيضا المعتبر حال الخصب والرفاهية دون حال الجدب والشدة والحشرات بأسرها مستخبثة كالذباب والخنفساء والجعل وحمار قبان إلا الضب فإنه ﷺ قال لا آكله ولا أحرمه ومن الأصول أنه لا يجوز أكل الأعيان النجسة في حال الاختيار وكذا أكل الطاهر إذا نجس بملاقاة النجاسة كالدهن والسمن الذائب والدبس والخل ومن الأصول الكسب بمخامرة النجاسة ولكن كسب الحجام حلال عند الشافعي ومن الأصول ما يضر كالزجاج والسم والنبات المسكر أو المجنن قوله سبحانه وما علمتم من الجوارح معناه أحل لكم صيد ما علمتم على حذف المضاف لدلالة فكلوا مما أمسكن عليكم ويجوز أن يكون ما شرطية والجزاء فكلوا وعلى هذا يجوز الوقف على الطيبات والجوارح الكواسب سباع البهائم والطير كالكلب والفهد والبازي والصقر والنمر والعقاب بالبهائم أي كسبتم وجوز بعضهم أن يكون من الجراحة وقال ما أخذ من الصيد فلم يسل منه دم لم يحل ثم قال مكلبين على الحال من علمتم وفائدة هذه الحال مع الاستغناء عنها بعلمتم أن معلم الجوارح ينبغي أن يكون ماهرا في علمه مدربا فيه موصوفا بالتكليب نقل عن ابن عمر والضحاك والسدي أن ما صاد غير الكلاب فلم يدرك ذكوته لم يجز أكله لأن قوله مكلبين يدل على كون هذا الحكم مخصوصا بالكلب والجمهور على أن الجوارح يدخل فيه ما يمكن الاصطياد به من السباع والطير المكلب مؤدب الجوارح ورائضها لأن يصطاد لصاحبها وإنما اشتق من الكلب لكثرة هذا المعنى في جنسه ولأن سائر السبع يسمى كلبا كقوله ﷺ اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فأكله الأسد ومن الكلب الذي هو بمعنى الضراوة يقال فلان كلب بكذا إذا كان حريصا عليه وهب أن المذكور في الآية إباحة الصيد بالكلب لكن تخصيصه بالذكر لا ينفي حل غيره لجواز الاصطياد بالرمي والشبكة ونحوهما مع سكوت الآية عنها تعلمونهن حال ثانية أو استئناف مما علمكم الله من علم التكليب لأن بعضه إلهام من الله ومما عرفكم أن تعلموه من اتباع الصيد بإرسال صاحبه وانزجاره بزجره واعلم أنه يعتبر في صيرورة المكلب معلما أمور منها أن ينزجر بزجر صاحبه في ابتداء الأمر وكذا إذا انطلق واشتد عدوه وحدته يشترط أن ينزجر بزجره أيضا على الأشبه فيظهر لناديه منها أن يسترسل بإرسال صاحبه أي إذا أغري بالصيد هاج ومنها أن يمسك الصيد لقوله فكلوا مما أمسكن عليكم وفي هذا الإمساك وصفان أحدهما أن يحفظ ولا يخليه والثاني أن لا يأكل منه لقوله ﷺ لعدي بن حاتم فإن أكل فلا تأكل فإنما أمسكه على نفسه وجوارح الطير يشترط فيها أن يهيج عند الإغراء وأن يترك الأكل لكن لا مطمع في انزجارها بعد الطيران ويشترط عند الشافعي تكرر هذه الأمور بحيث يغلب على الظن تأدب الجارحة بها وقيل ثلاث مرات ولم يقدر الأكثرون عدد المرات كأنهم رأوا العرف مضطربا وطباع الجوارح مختلفة فيرجع إلى أهل الخبرة بطباعها وعن سلمان الفارسي وسعد بن أبي وقاص وابن عمر وأبي هريرة أنه يحل وإن أكل عندهم الإمساك هو أن يحفظه ولا يتركه ومعنى الآية كلوا مما بقي لكم الجوارح وإن كان بعد أكلها منه ومن في مما أمسكن للتبعيض لأنه نحو كلوا من ثمره وقيل زائدة وذلك أن بعض الصيد لا يؤكل كالعظم والدم والريش قال سعيد بن جبير وأبو حنيفة والمزني يؤكل ما بقي من جوارح الطير ولا يؤكل ما بقي من الكلب والفرق أن تأديب الكلب بالضرب على الأكل ممكن وتأديب الطير غير ممكن ولا خلاف أنه إذا كان الجارحة معلمة ثم تصيد صيدا وجرحته وقتلته وأدركه الصائد ميتا فهو حلال وجرح الجارحة كالذبح وإن قتله بالفم من غير جرح ففي حله خلاف وقوله سبحانه واذكروا اسم الله عليه فالضمير إما أن يعود إلى ما أمسكن أي سموا

عليه

عليه إذا أدركتم ذكوته أو إلى ما علمتم أي سموا عليه عند إرساله أو إلى الأكل وعليه فلا كلام وعلى الأول فالتسمية محمولة على الندب عند الشافعي وعلى الوجوب عند أبي حنيفة وسيجيء تمام المسئلة في سورة الأنعام إن شاء الله تعالى اليوم أحل لكم الطيبات فائدة الإعادة أن يعلم بقاء هذا الحكم عند كمال الدين واستقراره وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم الأكثرون على أن المراد بالطعام الذبائح لأن ما قبل الآية في بيان الصيد والذبائح ولأن ما سوى الصيد والذبائح محللة قبل أن كانت لأهل الكتاب وبعد أن صارت لهم فلا يبقى لتخصيصها بأهل الكتاب فائدة وعن بعض أئمة الزيدية أن المراد هو الخبز والفاكهة وما لا يحتاج فيه إلى الذكوة وقيل إنه جميع المطعومات وطعامكم حل لهم أي يحل لكم أن تطعموهم من طعامكم لأنه لا يمتنع أن يحرم الله تعالى إطعامهم من ذبائحنا وأيضا فالفائدة في ذكره أن يعلم أن إباحة الذبائح حاصلة في الجانبين ليست كإباحة المناكحة فإنها غير حاصلة في الجانبين والمحصنات الحرائر والعفائف من المؤمنات وعلى الثاني يدخل فيه نكاح الإماء وقد يرجح الأول بأنه تعالى قال إذا آتيتموهن أجورهن ومهر الإماء لا يدفع إليهن بل إلى ساداتهن وبأن نكاح المحصنات ههنا مطلق ونكاح الأمة مشروط بعدم طول الحرة وبخشية العنت وبأن تخصيص العفائف بالحل يدل ظاهرا على تحريم نكاح الزانية وقد ثبت أنه غير محرم ولو حملنا المحصنات على الحرائر لم يحرم نكاح الأمة ونحن نقول به على بعض التقديرات وبأن وصف التحصين في حق الحرة أكثر ثبوتا منه في حق الأمة لأن الأمة لا تخلو من البروز للرجال والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم احتج بها كثير من الفقهاء في أنه لا يحل نكاح الكتابية إلا إذا آمنت بالتورية والإنجيل قبل نزول القرآن لأن قوله من قبلكم يدل على أن إيمانهما قبل نزوله وكان ابن عمر لا يرى نكاح الكتابيات أصلا متمسكا بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ويقول لا أعلم شركا أعظم من قولها إن ربها عيسى وأول الآية بأن المراد اللاتي آمنت منهن فمن المحتمل أن يخطر ببال أحد أن الكتابية إذا آمنت هل يحل للمسلم التزوج بها أم لا وعن عطاء أن الرخصة كانت مختصة بذلك الوقت لأنه كان في المسلمات قلة والآن الاحتراز عن مخالطة الكفار واجب لا تتخذوا بطانة من دونكم أي خليطا أشد من الزوجية وقد يحدث ولذا قال ابن الأم وقال سعيد بن المسيب والحسن الكتابيات تشمل الذميات والحربيات فيجوز التزوج بكلهن وأكثر الفقهاء على أن ذلك مخصوص بالذمية فقط وهو مذهب ابن عباس فإنه قال من أعطى الجزية حل ومن لم يعطها لم يحل لقوله تعالى حتى يعطوا الجزية واتفقوا على أن المجوس قد سن بهم سنة أهل الكتاب في أخذ الجزية منهم دون أكل ذبائحهم ونكاح نسائهم إذا آتيتموهن أجورهن قيد ذلك أن من تزوج امرأة وعزم على أن لا يعطيها صداقها كان كالزاني وتسمية الزنا مهرا غير سفاح وهو على سبيل الإعلان والخدن وهو على سبيل الإسرار فحرمهما الله تعالى في الآية وأحل التمتع بهن على سبيل الإحصان وهو التزوج بالشروط والأركان ثم حث على التزام التكاليف المذكورة بقوله ومن يكفر بالإيمان أي بشرائع الله وتكاليفه التي هي نتائج الإيمان بالله ورسوله وقال ابن عباس ومجاهد معناه ومن يكفر برب الإيمان أي بالله وقال قتادة ومن يكفر بالقرآن الذي أنزل فيه هذه التكاليف التي لا بد منها في الإيمان فقد حبط عمله وفي ذكر الحبوط تعريض بأن أهل الكتاب إن حصلت لهم فضيلة المناكحة وإباحة الذبائح في الدنيا إلا أن ذلك لا ينفعهم في الآخرة لأن كل من كفر بالله فقد حبط عمله في الدنيا ولم يصل إلى شيء من السعادات في الآخرة ألبتة واعلم أن القائلين بالإحباط فسروا قوله فقد حبط عمله بأن عقاب كفره يزيل ما كان حاصلا له من ثواب أعماله ومنكروا الإحباط قالوا إن عمله الذي أتى به بعد ذلك الإيمان قد بان أنه لم يكن معتدا به وكان ضائعا في نفسه ثم إنه سبحانه لما افتتح السورة بطلب الوفاء بالعقود وكأن العبد قال لو توبة منك عهد العبودية منا وأنت أولى بتقليدهم الوفاء بعهد الربوبية فأجاب الله تعالى أنا أولى بعهد الربوبية والكرم ومعلوم أن منافع الدنيا محصورة في نوعين لذات المطعم ولذات المنكح فبين الحلال والحرام من المطاعم والمناكح وقدم المطعوم على المنكوح لأنه أهم وعند تمام هذا البيان كأنه قال قد وفيت بعهد الربوبية فاشتغل أيها العبد بوظائف العبودية سيما بالصلوة التي هي أعظم الطاعات بعد الإيمان ففيها وفي تفسير الآية مسائل الأولى ليس المراد بقوله إذا قمتم نفس القيام وإلا لزم تأخير الوضوء عن الصلوة وهو باطل بالإجماع ولجاز أيضا لو غسل الأعضاء قبل الصلوة قاعدا أو مضطجعا الخروج عن العهدة بالإجماع فالمراد إذا شمرتم للقيام إلى الصلوة وأردتم ذلك ووجه هذا المجاز أن الإرادة الجازمة سبب لحصول الفعل وإطلاق اسم المسبب على السبب مجاز مستفيض الثانية ذهب قوم إلى أن الأمر بالوضوء تبع للأمر بالصلوة وليس تكليفا مستقلا لأنه شرط القيام إلى الصلوة والأصح أنه عبادة برأسها لأن قوله فاغسلوا أمر ظاهره الوجوب غايته أن ذلك مقيد بوقت التهيؤ للصلوة وأيضا إنه طهارة وقد قال تعالى في آخر الآية ولكن يريد ليطهركم وقال ﷺ بني الدين على النظافة أمتي غر محجلون من آثار الوضوء يوم القيامة والأخبار الواردة في كون الوضوء سببا لغفران الذنوب كثيرة الثالثة قال داود يجب الوضوء لكل صلوة فإنه ليس المراد قياما واحدا في صلوة واحدة وإلا لزم الإجمال إذ لا دليل على تعيين تلك المرة والإجمال خلاف الأصل فوجب حمل الآية على العموم وأيضا ذكر الحكم عقيب الوصف المناسب يشعر بالعلية فيتكرر بتكرره فيجب الوضوء عند كل قيام إلى الصلوة وأيضا إنه نظافة فلا يكون منها بد عند الاشتغال بخدمة المعبود وقال سائر الفقهاء إن كلمة إذا لا تفيد العموم ولهذا لو قال لامرأته إذا دخلت الدار فأنت طالق لم تطلق مرة أخرى بالدخول ثانيا وروي أن النبي ﷺ كان يتوضأ لكل صلوة إلا يوم الفتح فإنه صلى الصلوات كلها بوضوء واحد قال عمر فقلت له في ذلك فقال عمدا فعلت ذلك يا عمر أراد أن يبين أن خبر الواحد لا ينسخ القرآن وأيضا في الخبر معنيان أحدهما وجوب التجديد لكل صلوة لا أقل من استحبابه الثاني أنه ترك ذلك يوم الفتح والأول يوجب المتابعة والثاني مرجوح لأن الفتح يقتضي زيادة الطاعة لا نقصانها وأيضا التجديد أحوط وأيضا دلالة ظاهر القرآن قوية ودلالة الخبر قليلة والقولية أقوى وللناصر لمذهب داود أن يقول التيمم على المتغوط والجامع واجدا لم يجد الماء لقوله أو جاء أحد منكم من الغائط الآية وذلك يدل على أن وجوب الوضوء قد يكون بسبب آخر سوى القيام إلى الصلوة فلم يكن هو مؤثرا وحده وإذا لم يكن مؤثرا مستقلا جاز تخلف الأثر عنه نعم التجديد مستحب لأن رسول الله ﷺ والخلفاء بعده كانوا يتوضؤن لكل صلوة وقال ﷺ من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات وقيل كان الوضوء لكل صلوة واجبا أول ما فرض ثم نسخ الرابعة الأصح أن في الآية دلالة على أن الوضوء شرط لصحة الصلوة لأنه علق فعل الصلوة

بالطهور ثم يتبين انه مع عدم الماء لم يصح الصلوة الا بالتيمم فلو لم يكن شرطا لم يكن كذلك ولانه امر بالصلوة مع الوضوء فلا تاتى بها بدون الوضوء وتارك المامور به يستحق العقاب وهذا معنى البقاء في عهدة التكليف الخامسة قال ابو حنيفة النية ليست شرطا في الوضوء لانها غير مذكورة في الاية والزيادة على النص نسخ ونسخ القرآن بخبر الواحد وبالقياس غير جائز وعند الشافعي هي شرط فيه لان الوضوء مامور به لقوله فاغسلوا وامسحوا وكل مامور به يجب ان يكون منويا لقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين والاخلاص النية الخالصة فاصل النية يجب ان يكون معتبرة وغاية ما في الباب انها مخصوصة في بعض الصور فيبقى حجة في غير محل التخصيص السادسة قال مالك وابو حنيفة الترتيب غير مشروط في الوضوء لان الواو لا يفيد الترتيب فلو قلنا بوجوبه كان الزيادة على النص وهو نسخ غير جائز وقال الشافعي انه واجب لان فاء التعقيب في قوله فاغسلوا يوجب تقديم غسل الوجه ثم سائر الاعضاء على الترتيب قال ص في حديث الصفا ابدأوا بما بدأ الله به وايضا الترتيب المعتبر في الحس هو الابتداء من الراس الى القدم او بالعكس والترتيب لتفصيل افراد العضو المغسول عن الممسوح ثم انه تع ادرج الممسوح في المغسول فدل هذا على ان الترتيب المذكور في الاية واجب لان اهمال الترتيب في الترتيب مستقبح فوجب تنزيه كلام الله تع عنه وايضا ايجاب الوضوء غير معقول المعنى لان الحدث يخرج من موضع والغسل يجب في موضع اخر ولان اعضاء المحدث طاهرة لقوله المؤمن لا ينجس حيا وميتا وتطهير الطاهر محال ولانه شرع اقام التيمم مقام الوضوء وليس في التيمم نظافة واقام المسح على الخفين مقام الغسل لانه لا يفيد في نفس العضو نظافة والماء الكدر العفن يفيد الطهارة وماء الورد لا يفيدها فاذن الاعتماد على مورد النص لعل في الترتيب حكما خفية لا نعرفها او هو محض التعبد وقد اوجبنا رعاية الترتيب في الصلوة مع ان اركان الصلوة غير مذكورة في القرآن مرتبة فرعاية الترتيب في الوضوء مع ان القرآن ناطق به اولى السابعة قال الشافعي وابو حنيفة الموالاة في افعال الوضوء غير واجبة لان ايجاب هذه الافعال قدر مشترك بين ايجابها على سبيل الموالاة وايجابها على سبيل التراخي وهذا القدر معلوم من الاية ومفيد للطهارة والزائد لا دليل عليه ايضا روى انه ص راى رجلا توضأ وترك لمعة من عقبه فامره بغسلها ولم يبحث عن المدة الفاصلة وعند غيرهما شرط كيلا يتخلل بين اجزاء العبادة ما ليس منها وحد التفريق المخل بالموالاة ان يمضى من الزمان ما يجف فيه المغسول مع اعتدال الهواء ومزاج الشخص الثامنة قال ابو حنيفة الخارج من غير السبيلين ينقض الوضوء لان ظاهر الاية يقتضي الاتيان بالوضوء لكل صلوة لما مر ترك العمل به عند ما لم يخرج الخارج النجس فخالفه الشافعي تعويلا على ما روى انه ص احتجم وصلى ولم يزد على غسل اثر محاجمه التاسعة قال مالك لا وضوء في الخارج من السبيلين اذا كان غير معتاد وسلس في دم الاستحاضة لنا التمسك بعموم الاية العاشرة قال ابو حنيفة القهقهة في الصلوة المشتملة على الركوع والسجود تنقض الوضوء وقال الباقون لا ينقض فلابي حنيفة ان يتمسك بعموم الاية الحادية عشرة قال ابو حنيفة لمس المرأة وكذا مس الفرج لا ينقض الوضوء وقال الشافعي ينقض تمسكا بالعموم الثانية عشرة لو كان على وجهه وبدنه نجاسة فغسلها ونوى الطهارة من الحدث بذلك الغسل هل يصح وضوءه قال في التفسير الكبير طالت هذه المسئلة في كتب الاصحاب قال والذي اقوله انه يكفي لانه امر بالغسل في قوله فاغسلوا وقد اتى به وقول الخصم انه لا يكفي لانه لا يرتفع بغسلة واحدة نجاسات حكمية وعينية هذا بخلاف ما لو نوى التبرد او التنظف فان النجاسة هناك حكمية فقط الثالثة عشرة لو وقف تحت ميزاب حتى سال عليه الماء ونوى رفع الحدث هل يصح وضوءه يمكن ان يقال لا لانه لم يأت بفعل وان يقال نعم لانه اتى بما افضى الى المقصود وهو الاغتسال الرابعة عشرة اذا غسل اعضاء الوضوء ثم كشط جلده فالاظهر وجوب غسله لتحصيل الامتثال فان ذلك الموضع غير مغسول الخامسة عشرة لو رطب الاعضاء من غير سيلان الماء عليها لم يكف لانه مامور بالغسل وهذا ليس بغسل وفي الجنابة يكفي لانه هناك مامور بالتطهير لكن يريد ليطهركم والتطهير يحصل بالترطيب السادسة عشرة لو اذاب الثلج على العضو فان ذاب وسال جاز والا فلا خلافا لمالك والاوزاعي لنا فاغسلوا وهذا ليس بغسل السابعة عشرة التثليث سنة لان ماهية الغسل تحصل بالمرة الثامنة عشرة السواك سنة لان الاية ساكتة عنه وكذا القول في التسمية خلافا لاحمد واسحق وكذا في تقديم غسل اليد على الوضوء خلافا لبعضهم التاسعة عشرة قال الشافعي لا يجب المضمضة والاستنشاق في الوضوء والغسل وقال احمد واسحق يجب فيهما ابو حنيفة يجب في الغسل لا في الوضوء حجة الشافعي انه اوجب غسل الوجه والوجه هو الذي يكون مواجها وحده من مبتدأ تسطيح الجبهة الى منتهى الذقن طولا ومن الاذن الى الاذن عرضا وداخل الفم والانف غير مواجه العشرون ابن عباس يجب ايصال الماء الى داخل العين لان العين جزء من الوجه الباقون لا يجب لقوله في اخر الاية ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج وادخال الماء في العين حرج الحادي والعشرون غسل البياض الذي بين العذار والاذن واجب عند الشافعي وابي حنيفة ومحمد خلافا لابي يوسف لنا انه واجب قبل نبات الشعر بالاجماع فكذا بعده ولانه من الوجه والوجه يجب غسله كله الثاني والعشرون ابو حنيفة لا يجب ايصال الماء الى ما تحت اللحية الخفيفة الشافعي يجب لقوله فاغسلوا ترك العمل عند كثافة اللحية نفيا للحرج فيبقى عند خفتها على الاصل الثالث والعشرون الاصح عند الشافعي وجوب امرار الماء على ظاهر اللحية النازلة طولا والخارجة الى الاذنين عرضا لانه مواجه مالك وابو حنيفة والمزني لا يجب لانه لا جلد تحتها حتى يغسل ظاهرها بتبعيتها الرابع والعشرون لو نبتت للمرأة لحية وجب ايصال الماء الى جلدة الوجه وان كانت لحيتها كثيفة لانا تركنا العمل بظاهر الاية في اللحية الكثيفة للرجل نفيا للحرج ولحية المرأة نادرة وخصوصا الكثيفة فيبقى حكمها على الاصل الخامس والعشرون يجب ايصال الماء الى ما تحت الشعر الكثيف في خمسة مواضع العنفقة والحاجب والشارب والعذار والهدب لان قوله فاغسلوا يدل على وجوب غسل كل جلدة ترك العمل في اللحية الكثيفة نفيا للحرج وهذه الشعور خفيفة غالبا فيبقى على الاصل السادس والعشرون الشعر ما نبت من الاذن فهو من الوجه فيغسل وما دبر فمن الراس فيمسح ودونه البياض الذي خلف الاذن غير مواجه اصلا السابع والعشرون الجمهور على ان المرفقين يجب غسلهما مع اليدين وخالف مالك وزفر وكذا الخلاف في قوله وارجلكم الى الكعبين والمحققون ان الى يفيد معنى الغاية مطلقا والمراد بالغاية جميع المسافة وحقيقة النهاية ثم ان حد الشيء قد يكون منفصلا عن المحدود حسا كانفصال الظلمة عن النور في قوله ثم اتموا الصيام الى الليل فيكون الحد خارجا عن المحدود وقد لا يكون كذلك

نحو حفظت القرآن من اوله الى اخره وبعتك هذا الثوب من هذا الطرف الى ذلك الطرف فيدخل الحد في المحدود ولا شك ان المرفق وهو موصل الذراع في العضد يسمى بذلك لارتفاق صاحبه بها غير متميزة في الحس عن محدودها فلان يكون ايجاب الغسل الى الجزء اولى من ايجابه الى جزء اخر فوجب غسلهما جميعا وان سلم ان المرفق لا يجب غسلها لكنها اسم لما جاز طرف العظم ولا نزاع في ان ما وراء طرفها العظم لا يجب غسله وهذا الجواب اختيار الزجاج وعلى هذا فمقطوع اليد من المرفق يجب عليه مساس الماء بطرف العظم وان كان انقطع ما فوق المرفقين لم يجب عليه شيء لان محل هذا التكليف لم يبق اصلا الثامن والعشرون تقديم اليمنى على اليسرى مندوب ليس بواجب خلافا لاحمد لنا انه ذكر الايدي والارجل في الاية من غير تقديم لاحدى اليدين والرجلين التاسع والعشرون ذهب بعضهم الى ان سنة الغسل يجب ان يكون الكف بحيث يسيل الماء من الكف الى المرافق لان المرفق جعل في الاية نهاية الغسل وجمهور الفقهاء على ان عكس هذا الترتيب لا يخل بصحة الوضوء لان المراد في الاية بيان جملة الغسل لا بيان ترتيب اجزاء الغسل الثلثون لو نبتت من المرفق ساعد وكفان وجب غسل الكل لعموم قوله وايديكم الى المرافق كما لو نبتت على الكف اصبع زائدة الحادي والثلثون المراد من تحديد الغسل بالمرفق بيان الواجب فقط لما ورد في الاخبار ان تطويل الغرة سنة موكدة الثاني والثلثون مالك يجب مسح كل الراس ابو حنيفة يتقدر بالربع لانه ص مسح على ناصيته وانها ربع الراس الشافعي الواجب اقل ما ينطلق عليه اسم المسح لانه اذا قيل مسحت المنديل فهذا لا يصدق الا عند مسحه بالكلية اما لو قال مسحت يدي بالمنديل يكفي في صدقه مسح اليد بجزء من اجزاء المنديل فهكذا في الاية والا احتيج في تعيين المقدر الى دليل منفصل ويصير الاية مجملة وهو خلاف الاصل الثالث والثلثون لا يجوز الاكتفاء بالمسح على العمامة لان ذلك ليس مسحا للراس وقال الاوزاعي والثوري واحمد يجوز لما روي انه ص مسح على العمامة واجيب بانه لعله مسح الفرض على الراس والبقية على العمامة الرابع والثلثون اختلف الناس في مسح الرجلين وفي غسلهما فنقل القفال في تفسيره عن ابن عباس وانس بن مالك وعكرمة والشعبي وابي جعفر محمد بن علي الباقر ان الواجب فيهما المسح وهو مذهب الامامية وجمهور الفقهاء والمفسرين على ان فرضهما الغسل وقال داود يجب الجمع بينهما وهو قول الناصر للحق من ائمة الزيدية وقال الحسن البصري ومحمد بن جرير الطبري المكلف مخير بين المسح والغسل حجة من اوجب المسح قراءة الجر في وارجلكم عطفا على برؤسكم ولا يمكن ان يقال انه كسر على الجوار كما في قوله جحر ضب خرب لان ذلك لم يجئ في كلام الفصحاء وفي السعة وايضا انه جاء حيث لا لبس ولا عطف بخلاف الاية واما القراءة بالنصب فيكون للعطف على محل برؤسكم حجة الجمهور اخبار وردت بالغسل وان فرض الرجلين محدد بالى الكعبين والتحديد انما جاء في الغسل لا في المسح والقوم اجابوا بان اخبار الاحاد لا تعارض القرآن ولا تنسخه وبالمنع في محل النزاع فزعم الجمهور ان قراءة النصب ظاهرة في العطف على مفعول فاغسلوا وان كان ابعد من اسحق وقراءة الجر تنبيه على جو الاقتصاد في صب الماء لان الارجل تغسل بالصب فكانت مظنة للاسراف الخامس والثلثون جمهور الفقهاء على ان الكعبين هما العظمان الناتئان من جانبي الساق وقالت الامامية وكل من قال بالمسح ان الكعب عظم مستدير موضوع تحت عظم الساق حيث يكون مفصل الساق والقدم كما في ارجل جميع الحيوانات والمفصل يسمى كعبا ومنه كعوب الرمح لمفاصله حجة الجمهور انه لو كان الكعب ما ذكره الامامية لكان الحاصل في كل رجل كعبا واحدا وكان ينبغي ان يقال وارجلكم الى الكعاب كما انه لما كان الحاصل في كل يد مرفقا واحدا لا جرم قال الى المرافق وايضا العظم المستدير الموضوع في المفصل شيء خفي لا يعرفه الا اهل العلم بتشريح الابدان والعظمان الناتئان في طرفي الساق محسوسان لكل احد ومناط التكليف ليس الا امرا ظاهرا وقوله ما روي انه ص قال الصقوا الكعاب بالكعاب السادس والثلثون الجمهور على جواز مسح الخفين خلافا للشيعة والخوارج حجة الجمهور الاحاديث حجة الشيعة الاية وان جواز المسح على الخفين حاجة عامة فلو كانت ثابتة لبلغت مبلغ التواتر السابع والثلثون رجل مقطوع اليدين والرجلين سقط عنه هذان الفرضان وبقي عليه غسل الوجه ومسح الراس فان لم يكن معه من يوضئه او ييممه سقط عنه ذلك ايضا لان قوله فاغسلوا وامسحوا مشروط بالقدرة عليه فاذا فاتت القدرة سقط التكليف الثامن والثلثون قوله سبحانه وان كنتم جنبا فاطهروا الاصل تطهروا ادغم التاء في الطاء فاجتلبت همزة الوصل والجنابة سببان نزول المني لقوله ص الماء من الماء والتقاء الختانين خلافا لزيد بن ثابت ومعاذ وابي سعيد الخدري لما روي انه ص قال اذا التقى الختانان وجب الغسل وختان الرجل هو الموضع الذي يقطع منه جلدة القلفة واما ختان المرأة فان شفريها محيطان بثلثة اشياء ثقبة في اسفل الفرج وهي مدخل الذكر ومخرج الحيض والولد وثقبة اخرى فوق هذه مثل احليل الذكر وهي مخرج البول لا غير والثالث جلدة رقيقة قائمة مثل عرف الديك فوق ثقبة البول وقطع هذه الجلدة هو ختانها فاذا لا يجوز للجنب مس المصحف خلافا لداود لنا قوله فاطهروا وهذا يدل على ان الطهارة غير حاصلة له والا لكان امرا بتطهير الطاهر وح لا يجوز له مس المصحف لقوله لا يمسه الا المطهرون التاسع والثلثون فاذا غابت الحشفة فاذى ختانه ختانها فلاطلاق قوله فاطهروا علم انه امر بتحصيل الطهارة في كل البدن والا لخصت تلك الاعضاء بالذكر كما في الطهارة الصغرى وعلم انه لا يجب تقديم الوضوء على الغسل خلافا لابي ثور وداود وعلم ان الترتيب غير واجب خلافا لاسحق انه اوجب البداية بالاعلى البدن وعلم ان الدلك غير واجب خلافا لمالك الاربعون قال الشافعي المضمضة والاستنشاق غير واجبين في الوضوء والغسل لقوله ص اما انا فاحثي على راسي ثلث حثيات فاذا انا قد طهرت ابو حنيفة هما واجبتان لقوله فاطهروا والتطهير لا يحصل الا بتطهير جميع الاعضاء ترك العمل به في الاعضاء الباطنة للتعذر وداخل الفم والانف يمكن تطهيرهما فيبقى داخلا في النص ولان قوله ص بلوا الشعر يدخل فيه الانف لان في داخله شعرا وانقوا البشرة يدخل فيه جلدة داخل الفم الحادي والاربعون لا يجب نقض الشعر ان لم يمنع من وصول الماء الى منابته لان المقصود التطهير وان منع وجب خلافا للنخعي الثاني والاربعون ان كان المرض المانع من استعمال الماء حاصلا في بعض جسده دون بعض فقال الشافعي يغسل ما لا ضرر عليه

ثم يتيمم للاحتياط وقال ابو حنيفة ان كان اكثر البدن صحيحا غسل الصحيح دون التيمم وان كان اكثره جريحا يكفيه التيمم لان المرض اذا كان حالا في بعض اعضاء
متوهم بعض الثالث والاربعون لو الصق على موضع التيمم لصوقا منع وصول الماء الى البشرة ولا يخاف من نزع ذلك اللصوق التلف قال الشافعي يلزم نزع
اللصوق حتى يصل التراب اليه اخذا بالاحوط وقال الاكثرون لا يجب دفعا للحرج الرابع والاربعون قال الشافعي الاستنجاء واجب اما بالماء او بالاحجار لقوله
فليستنج بثلثة احجار وقال ابو حنيفة واجب عند المجيء من الغائط اما الوضوء او التيمم ولم يوجب غسل موضع الحدث فدل على انه غير واجب الخامس والاربعون
لمس المرأة ينقض الوضوء عند الشافعي ولا ينقض عند ابي حنيفة وقد مر المسئلة في سورة النساء السادس والاربعون لا يكره الوضوء بالماء المسخن لقوله
فلم تجدوا ماء وههنا قد وجد ماء وخالف مجاهد السابع والاربعون ابو حنيفة واحمد لا يكره المتشمس لقوله فلم تجدوا ماء وهذا قد وجد ثم الشافعي
يكره للحديث الثامن والاربعون لا يكره الوضوء بفضل ماء المشرك وبالماء في انية المشرك لانه واجد للماء فلا يتيمم وقد توضأ النبي من مزادة مشركة
وتوضأ عمر من ماء في جرة نصرانية وقال احمد واسحق لا يجوز التاسع والاربعون يجوز الوضوء بماء البحر لانه واجد للماء خلافا لعبد الله بن عمرو بن العاص والخمسون
جوز ابو حنيفة الوضوء بنبيذ التمر في السفر للحديث فلم يجوزه الشافعي وقال يتيمم لانه غير واجد للماء الحادي والخمسون ذهب الاوزاعي والاصم الى انه يجوز الوضوء
والغسل بجميع المائعات الطاهرة والاكثرون لا يجوز حجتهما فاغسلوا امر بمطلق الغسل وامرار المائع على العضو غسل قلنا حسنها اذ يغسل
الدمع كحلها لنا انه عند عدم الماء اوجب التيمم الثاني والخمسون الشافعي الماء المتغير بالزعفران تغيرا فاحشا لا يجوز الوضوء به لان واجده يصدق عليه انه غير واجد
للماء وخالف ابو حنيفة لان اصل الماء موجود بصفة زائدة كما لو تغير بطول المكث وبتساقط الاوراق بالاتفاق الثالث والخمسون قال مالك وداود الماء المستعمل
في الوضوء يبقى طاهرا طهورا لان واجده واجد للماء وهو قول قديم للشافعي والقول الجديد انه طاهر غير طهور واتفقه محمد بن الحسن قال ابو حنيفة في اكثر الروايات انه
نجس كان النجاسة الحكمية كالعينية الرابع والخمسون قال مالك اذا وقع في الماء نجاسة ولم يتغير بقي طاهرا طهورا قليلا كان او كثيرا وهو قول اكثر الصحابة والتابعين قال
الشافعي ان كان قلتين لم ينجس وقال ابو حنيفة ان كان اقل من عشرة في عشرة ينجس حجة مالك انه واجد للماء فترك العمل بهذا العموم في الماء القليل المتغير
فيبقى حجة في الباقي ويؤيده قوله خلق الماء طهورا لا ينجسه شيء الا ما غير طعمه او ريحه او لونه حجة الشافعي مفهوم قوله اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا الخامس
والخمسون يجوز الوضوء بفضل ماء الجنب لانه واجد للماء وقال احمد واسحق لا يجوز الوضوء بفضل ماء المرأة اذا خلت به وهو قول الحسن وسعيد المسيب السادس والخمسون
اسئار السباع طاهرة مطهرة وكذا سؤر الحمار لانه واجد للماء وقال ابو حنيفة بنجسه السابع والخمسون قال الشافعي وابو حنيفة والاكثرون لا بد في التيمم من النية
لانه قال فتيمموا والتيمم عبارة عن القصد وهو النية وقال زفر لا يجب الثامن والخمسون الشافعي لا يجوز التيمم الا بعد دخول الصلوة لانه طهارة ضرورة ولا ضرورة
قبل الوقت ابو حنيفة يجوز قياسا على الوضوء ولظاهر قوله اذا قمتم والقيام الى الصلوة يكون بعد دخول وقتها التاسع والخمسون لا يجوز التيمم بتراب نجس لقوله تعالى
صعيدا طيبا الستون لا خلاف في جواز التيمم بدلا عن الوضوء اما التيمم بدلا لغسل الجنابة فنقل عن علي وابن عباس جوازه وهو قول اكثر الفقهاء وعن عمر وابن مسعود
انه لا يجوز لنا قوله او لمستم اما مختص بالجماع او يدخل الجماع فيه الحادي والستون للشافعي لا يجوز ان يجمع بتيمم واحد بين صلوتي فرضين لان ظاهر قوله اذا قمتم
يقتضي اعادة الوضوء لكل صلوة ترك العمل به في الوضوء لفعل رسول الله فبقي في التيمم على ظاهره ابو حنيفة يجوز اداء الفرائض به كالوضوء احمد يجمع بين الفوائت
ولا يجمع بين صلوتي وقتين الثاني والستون للشافعي اذا لم يجد الماء في اول الوقت وتوقع في اخره جاز له التيمم لان قوله اذا قمتم يدل على ان عند دخول الوقت ان لم يجد
الماء جاز له التيمم وقال ابو حنيفة يؤخر الصلوة الى اخره الثالث والستون اذا وجد الماء بعد التيمم وقبل الشروع في الصلوة بطل تيممه لانه وجد الماء فلا يجوز
له الشروع في الصلوة بالتيمم وخالف ابو سلمة موسى الاشعري والشعبي الرابع والستون لو فرغ من الصلوة ثم وجد الماء لا يلزمه اعادة الصلوة لانه خرج
عن عهدة التكليف خلافا لطاوس الخامس والستون لو وجد الماء في اثناء الصلوة لا يلزمه الخروج منها وبه قال مالك واحمد لانه انعقدت صلوته صحيحة
بحكم التيمم فما لم يبطل صلوته لا يصير قادرا على استعمال الماء وما لم يصر قادرا على استعمال الماء لم يبطل صلوته فيدور وقال ابو حنيفة والثوري والمزني
يلزمه الخروج لانه واجد للماء السادس والستون لو نسي الماء في رحله وتيمم وصلى ثم علم وجود الماء لزمه الاعادة على احد قولي الشافعي وهو قول احمد وابي
يوسف والثاني لا يلزمه وهو قول مالك وابي حنيفة ومحمد لان النسيان في حكم العجز وكذا اذا ضل رحله في الرحال بالطريق الاولى لان مخيم الرفقة اوسع
من رحله ولو لم يكن الماء في رحله واستقصى في الطلب فلم يجد وتيمم وصلى ثم وجد فالاكثرون على انه يلزمه الاعادة لان العذر ضعيف وقيل لا لان حكمه حكم
العاجز السابع والستون لو صلى بالتيمم ثم وجد ماء في بئر بجنبه يمكنه استعمال ذلك الماء فان كان قد علمه اولا ثم نسيه فهو كما لو نسي الماء في رحله وان لم يكن
عالما فان كان عليها علامة ظاهرة فالاعادة والا فلا لانه كالعاجز الثامن والستون اذا لم يكن معه ماء ولا يمكنه ان يشتري الا بالغبن الفاحش جاز
التيمم لقوله ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولو وهب منه الماء لزمه القبول لان المنة فيه سهلة ولو وهب ثمنه لم يلزمه القبول لثقل المنة ووجود الحرج ومثل
هذا يجب قبول اعارة الدلو لا هبته فهذه جملة المسائل الفقهية المستنبطة من الاية سوى ما مر في سورة النساء واعلم ان قوله سبحانه ثم ما يريد الله
ليجعل عليكم من حرج اصل معتبر في علم الفقه لانه يدل على ان الاصل في المضار الحرمة وفي المنافع الاباحة وقد يتمسك به نفاة القياس قالوا ان كل
حادثة فحكمها المفصل ان كان مذكورا في الكتاب والسنة فذاك والا فان كان من باب المضار فالاصل فيها الحرمة وان كان من باب المنافع فالاصل فيها الاباحة
والقياس المعارض لهذين الاصلين يكون قياسا واقعا في مقابلة النص فيكون مردودا اما قوله ولكن يريد ليطهركم فله تفسيران احدهما وانه مذهب اكثر
اصحاب ابي حنيفة ان عند خروج الحدث يتنجس الاعضاء نجاسة حكمية فالمقصود من هذا التطهير ازالة تلك النجاسة الحكمية وزيف بان اعضاء المؤمن لا يتنجس لقوله

انما المشركون نجس ولقوله المؤمن لا ينجس حيا ولا ميتا وبانه لو كان رطبا فاصابه ثوب لم ينجس ولو حمله انسان وصلى لم تبطل صلوته بالاتفاق وبانه
لو كان يوجب نجاسة الاعضاء كان تطهير الاعضاء الاربعة يوجب طهارة كل عضو لوجانب لا يختلف ذلك باختلاف الشرايع وبان خروج النجاسة من موضع
كيف يوجب تنجس موضع اخر وبان التيمم زيادة في التكدير فكيف يوجب النظافة والتطهير وبان المسح على الخفين كيف يقوم مقام غسل الرجلين وبان الذي
يزداد التنجس ليس من الاجسام والا كان محسوسا ولا من الاعراض لان انتقال الاعراض محال التفسير الثاني ان المراد طهارة القلب عن صفة التمرد عن طاعة
الله تعالى لان ايصال الماء والتراب الى هذه الاعضاء المخصوصة لم يتبين فائدة يعقلها المكلف فالانقياد لمثل هذا التكليف تعبد محض يزيل اثار التمرد ويؤكده
الاخبار ان المؤمن اذا غسل وجهه خرجت خطاياه من وجهه وكذا القول في يديه ورأسه ورجليه ليتم نعمته عليكم باباحة الطيبات الدنيوية من المطاعم و
المناكح او بهذه النعم الدينية وهي كيفية فرض الوضوء او ليتم برخصه كالتيمم ونحوه انعامه عليكم بعزائمه ثم ذكر ما يوجب عليهم قبول تكاليفه وذلك من وجهين
الاول تذكير نعمه يعني الشامل في هذا النوع الذي لا يقدر عليه غيره لان هذا النوع وهو عطاء نعمة الحيوة والصحة والعقل والهداية والصون عن الافات
والايصال الى الخيرات في الدنيا والاخرة جنسانه يمتاز عن نعمة غيره وانه لا يقدر عليه غيره يجب تلقيه بالشكر وهو الاذعان للاوامر والانقياد للنواهي وقد
قيل ذكر واشعر بسبق النسيان وكيف يعقل نسيانها مع تواترها وتواليها في كل لحظة ولمحة فالجواب انها من كثرتها وتواليها كالامر المعتاد فصارت من غلبة
الظهور كالامر المستور والمراد التوبيخ على عدم القيام بمواجبها فكانها كالشيء المنسي الثاني ذكر الميثاق ومعنى واثقكم به عاقدكم به عقدا وثيقا يعني ميثاق
رسوله حين بايعهم تحت الشجرة وغيرها على السمع والطاعة في المحبوب والمكروه وعن ابن عباس هو الميثاق الذي اخذه على بني اسرائيل حين قالوا امنا بالتورية
وبما فيه من البشارة بنبي اخر الزمان وعن غيرهما وقال مجاهد والكلبي ومقاتل انه اشارة الى قوله للذرية الست بربكم قالوا بلى وقال السدي هو ما ركز
في العقول من حسن هذه الشريعة وهو اختيار اكثر المتكلمين واعلم ان التكاليف وان كثرت الا انها منحصرة في نوعين التعظيم لامر الله واليه الاشارة
بقوله كونوا قوامين لله والشفقة على خلق الله وحث عليها بقوله شهداء بالقسط قال عطاء يقول لا تحاب في شهادتك اهل ودك وقرابتك ولا
تمنع شهادتك اعداءك واضدادك وقال الزجاج تبينون دين الله لان الشاهد يبين ما يشهد عليه ثم امر جميع الخلق بان لا يعاملوا احدا الا على سبيل العدل
والانصاف وتركوا الظلم والاعتساف فقال لا يجرمنكم اي لا يحملنكم بغض قوم على ان لا تعدلوا اي فيهم فحذف للعلم ثم استانف فصرح لهم الامر بالعدل
تاكيدا فقال اعدلوا ثم استانف فذكر لهم وجه الامر بالعدل فقال هو اي العدل الذي دل عليه اعدلوا اقرب للتقوى اي الى الاتقاء من عذاب الله او من معاصيه
وقيل المراد سلوك سبيل العدالة مع الكفار الذين صدوا المسلمين عن البيت بان لا يقتلوهم اذا اظهروا الاسلام او لا يرتكبوا ما لا يحل من مثلة او قذف
او قتل اولاد ونساء او نقض عهد ونحو ذلك وفي هذا تنبيه على ان العدل مع اعداء الله اذا كان بهذه المكانة فكيف يكون مع اوليائه واحبائه ثم
ختم الكلام بوعد المؤمنين ووعيد الكافرين وقوله لهم مغفرة بيان للوعد قدم لهم وعدا ثم كانه قيل اي شيء ذلك فقيل لهم مغفرة او يكون على ارادة القول
اي وعدهم وقال لهم مغفرة او يكون وعد متضمنا معنى قال او يجعل وعدا واقعا على هذا القول اذا وعدهم هذا القول من هو قادر على كل المقدورات عالم بجميع
المعلومات غني عن كل الحاجات فقد امتنع الخلف في وعده لان سبب الخلف اما جهل او عجز او بخل او حاجة وهو منزه عن الكل وهذا الوعد يصل اليهم قبل الموت
فيفيده السرور عند سكرات الموت فيسهل عليه الشدائد وفي ظلمة القبر فيفيده نورا وفي عرصة القيمة فيزيله حزنا والجحيم اسم من اسماء النار وهي كل نار عظيمة
في مهواة كقوله قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم واصحاب الجحيم ملازموها يا ايها الذين امنوا اذكروا الاية اما سبب النزول فعن جابر ان النبي نزل منزلا وتفرق الناس
في العضاة يستظلون تحتها فعلق النبي سلاحه على شجرة فجاء اعرابي الى سيف رسول الله فسله ثم اقبل عليه فقال من يمنعك مني قال الله قالها ثلثا
والنبي يقول الله فاغمد الاعرابي السيف فدعا النبي اصحابه فاخبرهم خبر الاعرابي وهو جالس الى جنبه لم يعاقبه وقال مجاهد والكلبي وعكرمة قتل رجل
من اصحاب النبي رجلين من بني سليم وبين النبي وبين قومهما موادعة فجاء قومهما يطلبون الدية فاتى النبي ومعه ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم فدخلوا
على كعب بن الاشرف وبني النضير يستقرضهم في عقلهما فقالوا نعم يا ابا القسم قد ان لك ان تأتينا وتسئلنا حاجة اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي تسئلنا
فجلس هو واصحابه فخلا بعضهم ببعض وقالوا انكم لن تجدوا محمدا اقرب منه الان فمن يظهر على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه فقال عمرو بن جحاش
كعب انا فجاء الى رحى عظيمة ليطرحها عليه فامسك الله يده فجاء جبرئيل واخبره بذلك فخرج النبي وانزل الله هذه الاية وقيل نزلت في قصة عسفان حين هم الاعداء
ان يوقعوا بهم فنزلت صلوة الخوف وقيل انها لم تنزل في واقعة خاصة ولكن المراد ان الكفار ابدا كانوا يريدون ايقاع البلاء والنهب والقتل بالمسلمين فاعز الله
المسلمين وقل شوكة الكفار ودفع بين الاسلام واظهره على الاديان التاويل سماع اسم الله وهو من صفات الهيبة يوجب الفناء والغيبة وسماع الرحمن
الرحيم وهما من صفات اللطف يورث البقاء والقربة اوفوا ايها العشاق بالعقود التي جرت بيننا يوم الميثاق في يوم التلاقي فمن صبر على عهوده فقد فاز بمقصوده
عند بذل وجوده احلت لكم ذبح بهيمة النفس التي كالانعام في طلب المرام الا النفس المطمئنة التي يتلى عليها ارجعي الى ربك فتقرب من الدنيا بما بها فهي
كالصيد في الحرم وانتم حرم بالتوجه الى كعبة الوصال باحرام الشوق الى حضرة الجمال والجلال ان الله يحكم ما يريد لمن يريد فيامر بذبح النفس اذا كانت متصفة
بصفة البهيمية وبترك ذبحها اذا كانت مطمئنة بذكر الحق ومتسمة بسمات الملك ثم اخبر عن تعظيم الشعائر من صدق الشعائر فقال يا ايها الذين امنوا بشهود
القلوب فقصدوا زيارة المحبوب وخرجوا عن اوطان الاوطار وسافروا وعزموا زيارة لا تحلوا معالم الدين والشريعة ومراسم اداب الطريقة والحقيقة
وعظموا الزمان والمكان والاخوان والقاصدين كعبة الوصول الى الرحمن الذين اهدوا للقربان نفوسهم وقلدوها بقلائد التسليم الطيبة ليأمنوا عن مكر

الاعلى الخبيثة واذا حللتم اتممتم مناسك الوصول فاصطادوا ارباب الطلب بشبكة الدعوة الى الله ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن الحق على ان تعتدوا على الطالبين فتكونوا قطاع الطريق عليهم في طلب الحق حرمت عليكم يا اهل الحق الميتة وهي الدنيا باسرها والدم ولحم الخنزير اي حلالها وحرامها قليلها وكثيرها ...

[illegible]

ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا ٧

و بدرستی که گرفت خدا پیمان بنی اسرائیل را و برانگیختیم از ایشان دوازده نفر قبیله را

وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وامنتم برسلي وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا

و گفت خدا که بدرستی که من با شمایم هرگاه که برپا دارید نماز را و بدهید زکوة را و بگروید بپیغمبران من و نصرت کنید ایشان را و قرض دهید خدا را

حسنا لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك

خوب هرآینه برپوشم از شما گناهان شما را و هرآینه درآورم شما را در بوستانها که روان است از زیر آنها جویها پس هر که کافر شود پس از این

منكم فقد ضل سواء السبيل فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون

از شما پس بدرستی که گمراه شده از راه راست پس بجهت شکستن ایشان پیمان ایشان را لعنت کردیم ایشان را و گردانیدیم دلهای ایشان را سخت که تغییر دهند

الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم

کلمات را از جایگاه خود و فراموش کردند بهره از آنچه را که یاد آورده شدند و همیشه خبردار شوی بر خیانت ایشان مگر کمی از ایشان

فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا

پس درگذر از ایشان و ببخش بدرستی که خدا دوست میدارد نیکوکاران را و از آنجمله که گفتند که بدرستی که ما ترسایانیم گرفتیم پیمان ایشان را پس فراموش کردند بهره

مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون

از آنچه پند داده شدند ایشان را بآن پس افکندیم در میان ایشان دشمنی و عداوت را تا روز قیامت و زود است که خبر دهد ایشان را خدا بآنچه که بودند که میکردند

يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا

ای صاحبان کتاب بدرستی که آمد شما را پیغمبر ما که هویدا کند از برای شما بسیاری از آنچه را که بودید که پنهان میکردید از کتاب و درگذرد

عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام

از بسیاری بدرستی که آمد شما را از جانب خدا روشنی و کتابی هویدا کننده راه نماید بآن خدا آنرا که پیروی کند خوشنودی او را براه سلامتی

ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو

و بیرون آورد ایشان را از تاریکیها بسوی روشنی بفرمان او و راه نماید ایشان را بسوی راه راست بدرستی که کافر شدند آنها که گفتند بدرستی که خدا او

المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا

مسیح پسر مریم است بگو که پس کیست که نگاه دارد از خدا چیزی را اگر بخواهد که نابود گرداند مسیح پسر مریم را و مادر او را و هر که در زمین است همه

ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير وقالت

و مر خدا راست پادشاهی آسمانها و زمین و آنچه در میان آنهاست بیافریند آنچه خواهد و خدا بر هر چیزی تواناست و گفت

اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق

یهود و ترسایان که ما فرزندان خدا و دوستان اوئیم بگو که پس چرا عذاب کند شما را بگناهان شما بلکه شما بشرید از آنها که آفرید

يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير

بیامرزد مر آنرا که خواهد و عذاب کند آنرا که خواهد و مر خداراست پادشاهی آسمانها و زمین و آنچه در میان آنهاست و بسوی اوست بازگشت

يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا

ای اهل کتاب بدرستی که آمد شما را فرستاده ما که ظاهر سازد از برای شما احکام را در وقت سستی پیغمبران که نگویید فردا که نیامد ما را

من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير ٨

مژده دهنده و ترساننده پس بتحقیق که آمد شما را مژده ده و ترساننده و خدا بر هر چیز تواناست

والمفصل الباقون فاستيثر الوثوق بني اسرائيل للعدول عن الاخبار الى الحكاية مع اتحاد القصة تنبيها للعدول عن الحكاية الى الاخبار ...

[illegible]

[illegible]

كله ورضا حسنا ورضوانا باخلاصكم وجودا مجازيا فانيا ويعطيكم وجودا حقيقيا باقيا كما يقول لاكفرن لاسترن بالوجود الحقيقي عنكم سيئاتكم الوجود المجازي ولادخلنكم جنات الوصلة تجري من تحتها انهار العناية ولا تزال تطلع على خائنة منهم لان العصيان جبلة العصاة فاغرينا بينهم العداوة حيث تواخطوا الميثاق وابطلوا الاستعداد الفطري وصاروا كالسباع يتهارشون ويتحاربون يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء بجعل ابوابا مظهر لطفه وفضله واخرين مظهر قهره وعدله وهو اعلم بعباده

وَاِذْ قَالَ مُوسٰى لِقَوْمِهٖ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ اِذْ جَعَلَ فِيكُمْ اَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ

وچون گفت موسی مر قوم خود را که ای قوم یاد آورید نعمت خدا را بر شما چون قرار داد در شما پیغمبران وگردانید شما را

مُلُوكًا وَاٰتٰيكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ اَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْاَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّٰهُ لَكُمْ

پادشاهان وداد شما آنچه را که نداد هیچیک از عالمیان را ای قوم درآیید در زمین پاکیزه که نوشت خدا از برای شما

وَلَا تَرْتَدُّوا عَلٰى اَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ قَالُوا يَا مُوسٰى اِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَاِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا

وبازنگردید بر پشت خود پس بازگردید زیانکاران گفتند ای موسی بدرستی در آن گروهی اند ستمکاران وبدرستی ما داخل نشویم آن را

حَتّٰى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَاِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَاِنَّا دَاخِلُونَ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ اَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا

تا که بیرون روند از آن پس اگر بیرون روند از آن پس آنگاه ما درآییم گفتند دو مرد از آنانی که می‌ترسیدند وانعام فرمود خدا برایشان که درآیید

عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَاِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَاِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللّٰهِ فَتَوَكَّلُوا اِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَالُوا يَا مُوسٰى

برایشان از در پس چون که داخل شدید بدرستی که شما غالبید وبر خدای پس توکل کنید اگر هستید گروندگان گفتند ای موسی

اِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا اَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ اَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا اِنَّا هٰهُنَا قَاعِدُونَ قَالَ رَبِّ اِنِّي

ما هرگز داخل نشویم آن را در هنگامی که ایشان در آنند پس برو تو وپروردگارت پس قتال کنید که ما در اینجا نشستگانیم گفت پروردگارا من

لَا اَمْلِكُ اِلَّا نَفْسِي وَاَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ قَالَ فَاِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ اَرْبَعِينَ

مالک نیستم بجز نفس وبرادر مرا پس جدائی انداز در میان ما ومیان گروه فاسقان گفت که پس آن زمین حرام است برایشان در چهل

سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْاَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ القراءة جبارين بالامالة قتيبة ونصير وابو عمرو

سال که سرگردان باشند در زمین پس تأسف مخور بر گروه فاسقان كان ندا ناس بغير همزة حيث وقع ابو عمرو

والاعشى وورش وحمزة في الوقف الوقوف ملوكا جبارين لشبه الابتداء بان ولكن كسر ... معطوفا على الاول حتى يخرجوا منها

لابتداء الشرط مع ... ادخلوا الباب لذلك غالبون مؤمنين قاعدون الفاسقين سنة ... الفاسقين ...

[illegible]

[illegible]

ومراث لمذ نبك وقيل لما خرج قوم موسى من مصر وعدهم الله اسكان ارض الشام فكان بنو اسرائيل يسمون ارض الشام ارض المواعيد ثم بعث موسى ع
اثنى عشر نقيبا من الامناء ليتجسسوا لهم من احوال تلك الاراضي فلما دخلوا تلك البلاد رأوا اجساما عظيمة هائلة قال المفسرون لما بعث موسى النقباء
لاجل التجسس رآهم واحد من اولئك الجبارين فاخذهم وجعلهم في كمه مع فاكهة كان قد حملها من بستانه واتى بهم الملك فنثرهم بين يديه وقال متعجبا للملك
هؤلاء يريدون قتالنا فقال الملك ارجعوا الى صاحبكم واخبروه بما شاهدتم فانصرف النقباء الى موسى واخبروه بالواقعة فامرهم ان يكتموا ما شاهدوا
فلم يقبلوا قوله الا رجلان هما كالب بن يوفنا من سبط يهوذا ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف فانهما قالا هي بلاد طيبة كثيرة النعم واجسامهم عظيمة
الا ان قلوبهم ضعيفة واما العشرة الباقية فانهم اوقعوا الجبن في قلوب الناس حتى اظهروا الامتناع عن غزوهم والارض المقدسة هي المطهرة من الآفات
وقيل من الشرك وقيل بانها لم يكن وقتا الجبارين كذلك واجيب بانها كانت كذلك فيما قبل لانها كانت مسكن الانبياء ثم انها ما هي عن عكرمة والسدي وابن زيد
هي اريحا وقال الكلبي دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل الطور وما حوله وقيل بيت المقدس وقيل الشام ومعنى كتب الله لكم وهبها لكم او خط في
اللوح المحفوظ انها لكم اوامركم بدخولها قال ابن عباس كانت هبة ثم حرمها عليهم بشؤم تمردهم وعصيانهم وقيل المراد خاص اي مكتوب لبعضهم وحرام
[illegible]

[illegible]

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا
يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ
رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ
لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي
سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ
مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ
النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ
ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ
فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ
ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ
فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا
فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا
بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ
بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا
مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ أَلَمْ
تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

القراءة لاتنلنك بالنون الخفيفة روى المفضل عن زيد يدى اليك بفتح ياء المتكلم ابو جعفر ونافع من اجل بكسر النون بزيد وقرا ورش بفتح النون موصولة
دسلنا بسكون السين حيث كان ابو عمرو الوقوف بالحق لعلى ان ذ مموك ذكر محذوفا ولو وصل لاوهم انه معمول اتل هو محال من الآخر لاتنلنك المتقين
لاقتلك لاحتمال اضمار اللام اوالقا العالمين النار لاختلاف الجملتين الظالمين لاجل الفاء الخاسرين سوءة اخيه لطول ما اعترض من المعطوف والمعطوف
عليه لنا ونمن من اجل ذلك كذلك لان قوله من اجل يصلح ان يتعلق باصبح ويكتبنا جميعا في الموضعين بالبينات لان ثم لترتيب الاخبار المسرفون من الارض
عظيم عليهم لتناهي الاستثناء مع الجواب اى لاتعقب لتاديب ان الله غفور رحيم تفلحون منهم لتناهي الشرط مع اتحاد المقصود من الكلام اليم لان المقصود مع
اختلاف الجملتين مقيم من الله حكيم يتوب عليه جميع لمن يشاء قدير لتفسير التظم وجوه منها انه راجع الى قوله اذهم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكانه تعالى
ذكر لاجل تسلية نبيه قصصا كثيرة كقصة النقباء ومااجرا الله لكلام من اصرار اهل الكتاب بعتنهم بعد ظهور الدلائل القاطعة ثم ختمها بقصة بنى ادم
وان احدهما قتل الاخر حسدا وبغيا لعلم ان الفضل كان محسودا بكل اوان ومنها انه عائد الى قوله يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب فان هذه القصة
وكيفية ايجاب القصاص بسببها كانت من اسرار التوريه ومنها انه من تمام قوله نحن ابناء الله واحباؤه اى لا ينفعهم كونهم من اولاد الانبياء مع كفرهم كما لم ينفع
قابيل والمراد اتل على الناس او على اهل الكتاب خبر بنى ادم من صلبه هابيل وقابيل تلاوة متلبسة بالحق والصحة من عند الله تعالى او متلبسة بالصدق موافقة لما
في التوريه والانجيل او بالغرض الصحيح وهو تقبيح الحسد ليتحذر من سوء عاقبته الحاسد واتل عليهم وانت محق صادق لامبطل هازل كالاقاصيص التى لا غناء
فيها اذ قربا قال في الكشاف نصب بالنبأ اى قصتهم في ذلك الوقت ويدل من النبأ اى نبأ ذلك الوقت على حذف المضاف والمقصود قرب كل واحد منهما قربانا الا
انه جمعهما في الفعل اتكالا على قرينة الحكاية اولان القربان في الاصل مصدر ثم سمى به ما يتقرب به الى الله تعالى من ذبيحة او صدقة روى ان ادم كان يولد له كل
سنة بطن غلام وجارية فكان يزوج البنت من بطن الغلام من بطن اخر فولد قابيل وتوامته اقليما وبعدهما هابيل وتوامته ليوذا وكانت توامة قابيل احسن
واجمل فاراد ادم ان يزوجها من هابيل فابى قابيل وقال انا احق بها وليس هذا من الله وانما هو رايك فقال ادم لهما قربا قربانا فمن ايكما قبل قربانه زوجتها منه
فتقبل الله قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل سخطا وقتل اخاه حسدا هذا ما عليه اكثر المفسرين واصحاب الاخبار وقال الحسن والضحاك انهما ما كانا ابنى ادم
لصلبه وانما كانا رجلين من بنى اسرائيل لقوله عز من قائل من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل ومن البين ان صدور الذنب من احد ابنى ادم لا يصلح ان يكون
سببا لايجاب القصاص على بنى اسرائيل وزيف بان الاية تدل على ان القاتل جهل ما يصنع بالمقتول حتى تعلم ذلك من عمل الغراب ولو كان من بنى اسرائيل لم يخف
عليه قال مجاهد اكل النار علامة الرد وجمهور المفسرين على ان ذلك علامة القبول قيل ما كان في ذلك الوقت فقير يدفع اليه ما يتقرب به الى الله فكانت النار
تنزل من السماء فتاكله وانما صار احد القربانين مقبولا والاخر مردودا لان حصول التقوى شرط في قبول الاعمال ولهذا قال تعالى حكاية عن المحق في جواب المبطل
انما يتقبل الله من المتقين وذلك لانه لما كان الحسد هو الذى حمله على توعده بالقتل فكانه قال له مالك لا تعاتب نفسك ولا تحملها على طاعة الله التى هي
السبب في القبول قيل في هذه القصة ان احدهما جعل قربانه احسن ما كان معه كان صاحب غنم والاخر جعله اردا ما كان معه كان صاحب زرع وقيل انه اضمر حينئذ
انه لا يزوج اخته من هابيل سواء قبل او لم يقبل وقيل لم يكن قابيل من اهل التقوى في الكلام حذف فكان هابيل قال في جواب المتوعد لم تقتلنى قال لان قربانك
صار مقبولا فقال هابيل وما ذنبى انما يتقبل الله من المتقين ثم حكى الله سبحانه عن المظلوم انه قال لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما انا بباسط يدى اليك ذكر
الشرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ اسم الفاعل مقرونا بالباء المزيدة لتاكيد النفى دلالة على انه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع البتة قال مجاهد كان
اقوى من القاتل وابطش منه لكنه تحرج عن قتل اخيه واستسلم له خوفا من الله لان الدفع لم يكن مباحا في ذلك الوقت هذا وجه قوله انى اخاف الله رب العالمين
وقيل المعنى لا ابسط يدى اليك لغرض قتلك انما ابسط لغرض الدفع قال اهل العلم الدافع عن نفسه يجب عليه ان يدفع بالايسر فالايسر وليس له ان يقصد القتل ثم
ان لم يندفع الا بالقتل جاز له ذلك ثم قال انى اريد ان تبوء باثمى واثمك فيسئل انه كيف يعقل ان يرجع القاتل مع اثم المقتول ولا تزر وازرة وزر اخرى تعالى
ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتادة اى تحمل اثم قتلى واثمك الذى كان منك قبل قتلى وقال الزجاج ترجع الى الله باثم قتلى واثمك الذى من اجله لم يتقبل قربانك وقال
في الكشاف انه يحمل مثل الاثم المقدر كانه قال انى اريد ان تبوء بمثل اثمى لو بسطت اليك يدى سؤال اخر كيف جاز ان يريد معصية اخيه وكونه من اهل النار والجواب
ان هذا الكلام انما دار بينهما عند ما غلب على ظن المقتول انه يريد قتله وكان ذلك قبل اقدام القاتل على ايقاع القتل فكانه لما وعظه ونصحه قال له ان كنت
لا تنزجر عن هذه الكبيرة بسبب هذه النصيحة فلابد ان تترصد لقتلى في وقت غفلة وحينئذ لا يمكننى ان ادفع عن قتلى الا اذا قتلتك ابتداء بمجرد الظن والحسبان وهذا
منى كبيرة ومعصية واذا دار الامر بين ان اكون فاعل هذه المعصية انا وبين ان تكون انت فانا احب ان تحصل هذه الكبيرة لك لالى ومن البين ان ارادة صدور
الذنب عن الغير في هذه الحالة لا يكون حراما بل هو عين الطاعة والمراد اريد ان تبوء بعقوبة قتلى ولا شك انه يجوز للمظلوم ان يريد من الله تعالى عقاب الظالم
وروى ان الظالم اذا لم يجد يوم القيمة ما يرضى خصمه اخذ من سيئات المظلوم وحمل على الظالم فعلى هذا يجوز ان يقال انى اريد ان تبوء باثمى الذى يحمل عليك
يوم القيمة اذا لم تجد ما يرضينى باثمك في قتلك اياى وهذا يصلح جوابا عن السؤال الاول ايضا فطوعت له نفسه قتل اخيه وسعته وخصته وسهلت من
طاع له المرتع واطاع اذا اتسع وله لاجل زيادة الربط كقول القائل حفظت لزيد ماله ومنهم من قال شجعته فقتله والتحقيق ان الانسان اذا علم ان القتل
العمد العدوان من اعظم الذنوب فهذا الاعتقاد يكون صارفا له عن فعله فلا يطاوع النفس الامارة حتى اذا كثرت وساوسها انقاد لها وخضع واضافة

التطويع والتيسير الى النفس لا ينافي كون الكل مضافا الى قضاء الله وتقديره يحكى ان قابيل لم يدر كيف يقتل هابيل فظهر له ابليس اخذ طيرا وضرب راسه بحجر فتعلم قابيل
ذلك منه ثم انه وجد هابيل يوما نائما فضرب راسه بصخرة فمات وعن النبى صلعم انه قال لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن ادم الاول كفل من دمها وذلك انه اول
من سن القتل فاصبح من الخاسرين دينا ودنياه واخرته لانه اسخط والديه وبقى مذموما الى يوم القيمة ثم يلقى في النار يحكى انه لما قتل اخاه هرب من ارض اليمن
الى عدن فاتاه ابليس وقال له انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يخدم النار ويعبدها فانصب بيت نار ووزوا اول من عبد النار وروى ان هابيل قتل وهو ابن
عشرين سنة وكان قتله عند عقبة حراء وقيل البصرة في موضع المسجد الاعظم وروى انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض فسئله ادم عن اخيه فقال ما كنت
عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك ومكث ادم بعده مائة سنة لم يضحك وانه رثاه بشعر هو تغيرت البلاد ومن عليها ووجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذى لون وطعم وقل بشاشة الوجه المليح قال في الكشاف انه كذب بحت وقد صح ان الانبياء معصومون عن الشعر وصدقه في التفسير الكبير قال ان ذلك
من هانة الحاكم بحيث لا يليق بالآحاد فضلا عن الافراد وخصوصا من علم حجة على الملائكة واقول ما ان جميع الانبياء معصومون عن الشعر فلعل دعوى
العموم لا يمكن منه وكانه من خصائص نبينا محمد صلعم ولهذا اثنى الله عليه بقوله وما علمناه الشعر وما ينبغى له واما انه من ركاكة بالحقيقة المذكورة
منكاية مع ان مقام البث والشكوى لا يحتمل الشعر المصنوع والله اعلم بحقيقة الحال قال المفسرون انه لما قتله تركه لا يدرى ما يصنع به ثم خاف عليه
السباع فحمله في جراب على ظهره سنة حتى تغير فبعث الله غرابا قال في الكشاف انه بعث غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الاخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة
فتعلم من الغراب قال الاصم لما قتله وتركه بعث الله غرابا يحثى على المقتول فلما راى القاتل ان الله تعالى كيف يكرمه بعد موته ندم وقال ابو مسلم عادة الغراب دفن الاشياء
فجاء غراب فدفن شيئا فتعلم ذلك منه ليريه اى الله او الغراب اى ليعلمه وذلك انه كان سبب تعليمه كيف يوارى محله نصب على الحال من ضمير يوارى والجملة مفعول ثان
ليريه مفعولا ثانيا له ليريه كيفية مواراة سوءة اخيه اى عورته وما لا يجوز ان ينكشف من جسده وقيل اى جيفة اخيه والسوءة الحالة القبيحة
يا ويلتى كلمة عذاب يقال ويل له وويله ومعناه الدعاء بالاهلاك وقد يقال في معرض الترحم وانما طلب اقبال الويل ههنا على سبيل التعجب والتندم اى احضر
حتى يتعجب منك من فظاعتك واعضل فهذا اوان حضورك والالف بدل من ياء المتكلم اعجزت استفهام بطريق الانكار ان اكون اى عن ان اكون مثل هذا
الغراب في الفعلة المذكورة ولهذا قال فاوارى بالنصب على جواب الاستفهام من النادمين لانه من الندم وضع للزوم ومنه النديم لملازمة المجلس وانما لم يكن
ندمه توبة لانه لم يعلم الدفن من الغراب فصار من النادمين على ان حمله على ظهره سنة او ندم على قتل اخيه لانه لم ينتفع بقتله بل سخط ابواه واخوته او ندم لانه
تركه بالعراء استخفافا وتهاونا وكان من الغراب في الشفقة على مقتوله حتى صار الغراب نبيلا وقد قيل اذا كان الغراب دليل قوم من اجل ذلك القتل قيل هو
من اجل شرا باجله اجلا اذا جناه كتبنا على بنى اسرائيل ان كان القاتل والمقتول من بنى اسرائيل فالمناسبة بين الواقعة وبين وجوب القصاص عليهم
ظاهرة وان كانا ابنى ادم من صلبه فالوجه ان يكون ذلك اشارة الى ما في القصة من انواع المفاسد كخسران الدارين وكالندم على الامور المذكورة اى من اجل
ما ذكرنا في اثناء القصة من المفاسد الناشئة من القتل العمد العدوان شرعنا القصاص في حق القاتل ثم وجوب القصاص وان كان عاما في جميع الاديان
والملل الا ان التشديد المذكور في الاية وهو ان قتل النفس الواحدة جار مجرى قتل جميع الناس غير ثابت الا على بنى اسرائيل والغرض بيان قساوة قلوبهم فانهم مع
علمهم بهذا الحكم اقدموا على قتل الانبياء والرسل فيكون فيه تسلية لرسول الله صلعم في الواقعة التى عزموا فيها على قتله ثم القائلون بالقياس استدلوا بالاية
على ان احكام الله تعالى قد يكون معللة بالعلل لانه صرح بان الكتبة معللة بتلك المعانى المشار اليها بقوله من اجل ذلك والمعتزلة ايضا قالوا انها دلت
على ان الاحكام معللة بمصالح العباد ويلزم منه امتناع كونه تعالى خالقا للكفر والقبائح لان ذلك ينافي مصلحة العبد والاشاعرة شنعوا عليهم بلزوم الاستكمال
والتحقيق ان استتباع الفعل الغاية الصحيحة لا ينافي الكمال الذاتى وقد سبق مرارا بغير نفس هو ان يقع لا على وجه الاقتصاص او فساد قال الزجاج انه معطوف
على نفس بمعنى او بغير فساد في الارض كالكفر بعد الايمان وكقطع الطريق وغيرهما من المهلكات فكانما قتل الناس جميعا وههنا نكتة وهى ان التشبيه لا يستدعى
التسوية بين المشبه والمشبه به من كل الوجوه فلا يكون قتل النفس الواحدة مثل قتل جميع الناس فان الجزء لا يعقل انه مساو للكل فالغرض استعظام امر القتل العمد العدوان
واشتراك الفعلين في استحقاق الاثم كما قال مجاهد قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله والعذاب العظيم ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك والتحقيق فيه انه
اذا اقدم على القتل العمد العدوان فقد رجح داعية الشهوة والغضب على داعية الطاعة واذا ثبت الترجيح بالنسبة الى واحد ثبت بالنسبة الى كل واحد بل بالنسبة
الى الكل لان كل انسان يدلى من الكرامة والحرمة بما يدلى به الاخر وفيه ترغيب للناس واجتهادهم في دفع قاتل شخص واحد حيث يكون مثل جدهم في دفع لو علموا
انه يقصد قتلهم باسرهم ومن احياها استنقذها من مهلكة كحرق او غرق او جوع مفرط ونحو ذلك والكلام في تشبيه احياء البعض باحياء الكل كما مر في
القتل ثم ان كثيرا منهم اى من بنى اسرائيل بعد ذلك وبعد مجيء الرسل لمسرفون في القتل لا يبالون بهتك حرمته ومعنى ثم تراخى الرتبة ثم انه تعالى بين
ان الفساد في الارض الموجب للقتل ما هو فقال انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله استدل بالاية من جوز ارادة الحقيقة والمجاز معا من لفظ
واحد لان محاربة الله عبارة عن المخالفة فقط ولا يمكن حمله على حقيقة المحاربة ويحتمل ان يقال ان محل هذه المحاربة على مخالفة الامر والتكليف والتقدير
انما جزاء الذين يخالفون احكام الله واحكام رسوله او المراد انما جزاء الذين يحاربون اولياء الله واولياء رسوله كما جاء في الخبر من اهان لى وليا فقد بارزنى
بالمحاربة ويسعون في الارض فسادا نصب على الحال اى مفسدا وعلى العلة اى للفساد او على المصدر الخاص نحو رجع القهقرى لان الفساد نوع من السعى عن قتادة
عن انس ان الاية نزلت في العرنيين الذين قتلوا راعى رسول الله صلعم واستاقوا الذود فبعث رسول الله صلعم في اثارهم وامر بقطع ايديهم وارجلهم ثم سمل اعينهم

درهمهم حتى ماتوا فكانت الاية ناسخة لتلك السنة وعند الشافعي لما لم يجز نسخ السنة بالقران كان الناسخ لتلك السنة سنة اخرى ونزل هذا القران مطابقا للسنة الناسخة وقيل نزلت في قوم ابي بردة الاسلمي وكان بينه وبين رسول الله صلعم عهد فقطع قوم من كنانة يريد الاسلام وابو بردة غائب فقتلوهم واخذوا اموالهم وقيل انها في بني اسرائيل الذين حكى الله عنهم انهم مسرفون في القتل وقيل في قطاع الطريق من المسلمين وهذا قول اكثر الفقهاء قالوا ولا يجوز حمل الاية على المرتدين لان قتل المرتد لا يتوقف على المحاربة واظهار الفساد في الارض ولانه لا يجوز الاقتصار في المرتد على قطع اليد او النفي ولان حده يسقط بالتوبة قبل القدرة عليه وبعدها ولان الصلب غير مشروع في حقه ولان اللفظ عام وشرطوا في هذا المحارب بعد كونه مسلما مكلفا ان يكون معتمدا القوة في المغالبة مع البعد عن الغوث فيخرج الكفار والمراهقون والمعتمد على الهرب كذا المتعرض للقادر على الاستغاثة لمن يغيثه واتفقوا على ان هذه الحالة اذا حصلت في الصحراء كان قاطع الطريق فاما في نفس البلد فكذلك عند الشافعي لعموم النص وخالف ابو حنيفة ومحمد لانه يلحقه الغوث في الغالب فحكمه حكم السارق والطرار وفي لفظ او في الاية خلاف فعن ابن عباس في رواية علي بن ابي طلحة وقول الحسن وسعيد بن المسيب ومجاهد انها للتخيير ان شاء الامام قتل وان شاء صلب وان شاء قطع الايدي والارجل وان شاء نفى وعنه في رواية عطاء ان الاحكام مختلفة بحسب الجنايات فمن اقتصر على القتل قتل ومن قتل واخذ المال قدر نصاب السرقة قتل وصلب ومن اقتصر على اخذ المال قطع يده ورجله من خلاف ومن اخاف السبيل ولم ياخذ المال نفي من الارض وانه مذهب الشافعي والاكثرين والذي يدل على ضعف القول الاول انه ليس للامام الاقتصار على النفي بالاجماع ولان هذا المحارب اذا لم يقتل ولم ياخذ المال فقد هم بالمعصية ولم يفعل وهذا لا يوجب القتل كالعزم على سائر المعاصي فتقدير الاية ان يقتلوا ان قتلوا او يصلبوا ان جمعوا بين القتل والاخذ او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ان اقتصروا على الاخذ والتشديد في هذه الافعال للتكثير او ينفوا من الارض ان اخافوا السبيل والقياس الجلي ايضا يؤيد هذا التفسير لان القتل العمد العدوان يوجب القتل فغلظ ذلك في قاطع الطريق بالتحتم وعدم جواز العفو واخذ المال يتعلق به قطع اليد فغلظ في حقه بقطع الطرفين من خلاف اي يده اليمنى ورجله اليسرى فان عاد فالباقيتان وانما قطع هكذا لئلا يفوت جنس المنفعة وليكن هذا ايضا من باب التغليظ لان اليد اليمنى اعون في العمل والرجل اليسرى اعون في الركوب وان جمعوا بين القتل والاخذ جمع بين القتل والصلب لان بقاءه مصلوبا في ممر الطريق يشهره وان اقتصروا على مجرد الاخافة اقتصر الشرع على عقوبة خفيفة هي النفي قال ابو حنيفة اذا قتل واخذ المال فالامام مخير بين ان يقتل فقط او يقطع ثم يقتل او يصلب وعند الشافعي لابد من الصلب لاجل النص وكيفية الصلب ان يقتل ويصلى عليه ثم يصلب مكفنا ثلاثة ايام وقيل يترك حتى يتهرى ويسيل صديده اي صليبه هو الودك وعند ابي حنيفة يصلب حيا ثم يزج بطنه برمح حتى يموت او يترك بلا طعام وشراب حتى يموت جوعا ثم ان انزل غسل وكفن وصلى عليه ودفن وان ترك حتى يتهرى فلا غسل ولا صلوة اما النفي فان الشافعي حمله على معنيين احدهما انهم اذا قتلوا واخذوا المال فالامام ان ظفر بهم اقام عليهم الحد وان لم يظفر بهم طلبهم ابدا فكونهم خائفين من الامام هاربين من بلد الى بلد هو المراد من النفي والثاني الذين يحضرون الواقعة ويعينونهم بتكثير السواد واخافة المسلمين ولكنهم ما قتلوا وما اخذوا المال فالامام ياخذهم ويعزرهم ويحبسهم فيكون المراد بنفيهم هو هذا الحبس وقال ابو حنيفة واحمد واسحق النفي هو الحبس لان الطرد عن جميع الارض غير ممكن والى بلد اخرى استضرار بالغير والى دار الكفر تعريض للمسلم بالردة فلم يبق الا ان يكون المراد الحبس لان المحبوس لا ينتفع بشيء من طيبات الدنيا فكانه خارج منها ولهذا قال صالح بن عبد القدوس حين حبسوه على تهمة الزندقة وطال لبثه خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها فلسنا من الاموات فيها ولا الاحياء اذا جاءنا السجان يوما لحاجة عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا ذلك لهم خزي ذل وفضيحة في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب عظيم استدل المعتزلة بها على القطع بوعيد الفساق وعلى الاحباط وقالت الاشاعرة بل بشرط عدم العفو الا الذين تابوا قال الشافعي ان تاب بعد القدرة عليه لم يسقط عنه ما يختص بقطع الطريق من العقوبات لانه متهم بدفع العذاب عنه وفي سائر الحدود بعد القدرة عليه قيل يكفي في التوبة اظهار الاسلام تحت ظلال السيوف والاصح انه لابد مع التوبة من اصلاح العمل لقوله تعالى في الزنا فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما وفي السرقة فمن تاب من بعد ظلمه واصلح ولعل الفائدة في هذا الشرط انه ان ظهر ما يخالف التوبة اقيم عليه الحد وانما يسقط بتوبة قاطع الطريق قبل القدرة عليه تحتم القتل فالولي يقتص او يعفو بناء على ان عقوبة قاطع الطريق لا يتمحض حدا بل يتعلق بها القصاص وهو الاظهر اما اذا محضناه حدا فلا شيء عليه وان كان قد اخذ المال وقتل سقط الصلب وتحتم القتل وبقي القصاص وضمان المال كما ذكرنا وان كان قد اخذ المال سقط عنه قطع الرجل وفي قطع اليد وجهان الاظهر السقوط لانها على انه جزء من الحد الواجب فان لم يتم الكلام بعد شيء من اجزائه بالاتفاق والثاني انه ليس من خواص قطع الطريق لانه يجب بالسرقة ففي سقوطه الخلاف في سائر الحدود ثم انه سبحانه لما بين كمال جسارة اليهود على المعاصي وغاية بعدهم عن الوسائل الى الله وال الكلام الى ما ال عاد الى ارشاد المؤمنين بكونهم بالضد منهم فقال يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وايضا فانهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه اي نحن ابناء الانبياء وكان افتخارهم باعمال ابائهم فقيل للمؤمنين ليكن مفاخرتكم باعمالكم لا باسلافكم فقوله اتقوا الله اشارة الى ترك المنهيات وقوله وابتغوا اليه الوسيلة عبارة عن فعل المامورات وان كان ترك المناهي ايضا من جملة الوسائل لان هذا النظم مناسب لفعل الترك ايضا يعبر به في الاخلاق الفاضلة والذميمة وفي الافكار الصائبة والخاطئة واهل التحقيق يسمون الترك والفعل بالتخلية والتحلية وبالمحو والصحو او بالنفي والاثبات او بالفناء والبقاء والاول مقدم على الثاني فانه من لم يفن عما سوى الله لم يرزق البقاء بالله والوسيلة فعيلة وهي كل ما يتوسل به الى المقصود ولهذا قد يسمى السرقة توسلا والواسل الراغب الى الله قال لبيد بلى كل ذي لب الى الله واسل والوسيل والتوسل واحد يقال وسل الى ربه وسيلة وتوسل اليه بوسيلة اذا تقرب اليه بعمل قال التغلبي

الظهار لا يكفي مع

انه تعالى امر بابتغاء الوسيلة اليه فلا بد من معلم يعلمنا معرفته واجيب بان الامر بالابتغاء موخر عن الايمان لقوله يا ايها الذين امنوا فعلمنا ان المراد بها هي العبادات والطاعات ثم ان ترك ما لا ينبغي وفعل ما ينبغي لما كان شاقا على النفس ثقيلا على الطبع لان العقل يدعو الى خدمة الله والنفس تدعو الى اللذات الحسيات والجمع بينهما كالجمع بين الضدين اردف التكليف المذكور بقوله وجاهدوا في سبيله والمراد بهذا القول ان تكون العبادة لاجله لا لغرض سواه وهذه مرتبة السابقين ثم قال لعلكم تفلحون والفلاح اسم جامع للخلاص من المكروه والفوز بالمحبوب بمنه دون الاولى لا ان غرضه الرغبة في الجنة او الهرب من النار وكلتا المرتبتين مرضية ثم اشار الى مرتبة الناقصين بقوله ان الذين كفروا وخبر ان مجموع الجملة الشرطية وهي قوله لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به اي بالمذكور او لان الواو بمعنى مع والعامل في المفعول معه هو الفعل لما في ان من معنى الفعل اي لو ثبت من عذاب يوم القيمة ما تقبل منهم والغرض التمثيل بان العذاب لازم لهم وقد مر مثله في سورة ال عمران وعن النبي صلعم يقال للكافر يوم القيمة ارايت لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له قد سئلت ايسر من ذلك يريدون ان يخرجوا اي يتمنون الخروج من النار او يقصدون ذلك قيل اذا رفعهم لهب النار الى فوق فهناك يتمنون الخروج وقيل يكادون يخرجون منها لقوتها ورفعها اياهم عمم المعتزلة هذا الوعيد في الكفار وفي الفساق وخصصه الاشاعرة بالكفار لدلالة الاية المتقدمة ثم انه تعالى عاد الى تتميم حكم اخذ المال من غير استحقاق وهو الماخوذ على سبيل الخفية لا المحاربة فقال والسارق والسارقة وهما مرفوعان على الابتداء والخبر محذوف عند سيبويه والاخفش والتقدير فيما فرض او فيما يتلى عليكم السارق والسارقة اي حكمهما وعند الفراء وهو اختيار الزجاج ان الالف واللام فيهما بمعنى الذي وخبرهما فاقطعوا ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط كانه قيل الذي سرق والتي سرقت فاقطعوا ايديهما وقراءة عيسى بن عمر بالنصب فضلها سيبويه على القراءة المشهورة لان الانشاء لا يحسن ان يقع خبرا الا باضمار وتاويل واما اذا نصبت فانه يكون من باب الاضمار على شريطة التفسير والفاء يكون موذنا بتلازم ما قبلها وما بعدها مثل وربك فكبر وضعف قول سيبويه بانه طعن في قراءة واظب عليها رسول الله وترجيح للقراءة الشاذة وفيه ما فيه على ان الاضمار الذي ذهب اليه هو خلاف الاصل والذي مال اليه الفراء ادل على العموم واوفق لقوله سبحانه جزاء بما كسبا فانه تصريح بان المراد من الكلام الاول هو الشرط والجزاء اما البحث المعنوي في الاية فان كثيرا من الاصوليين زعموا انها مجملة لانه لم يتبين نصاب السرقة وذكر الايدي وهي بالاجماع لا يجب قطع اليدين ولان اليد تقع على الاصابع بدليل انه من حلف لا يلمس فلانا بيده فلمسه باصابعه فانه يحنث وتقع على الاصابع من الكف وعلى الاصابع والكف والساعدين الى المرفقين وعلى كل ذلك الى المنكبين واية الخطاب في فاقطعوا اما الامام او الزمان كما هو مذهب الاكثرين او المجموع الامة او لطائفة منهم فثبت بهذه الوجوه ان الاية مجملة وقال المحققون مقتضى الاية ولا سيما في تقدير الفراء عموم القطع بعموم السرقة الا انه خصص بالنصاب وبقول اهل اللغة لا يقولون لمن اخذ حبة بر انه سارق والمراد بالايدي الايمان مثل فقد صغت قلوبكما وقد انعقد الاجماع على انه لا يجب قطعهما معا ولا الابتداء باليسرى واليد اسم موضوع لهذا العضو الى المنكب لهذا قيد في قوله وايديكم الى المرافق وقد ذهب الخوارج الى وجوب قطع اليدين الى المنكبين لظاهر الاية الا ان السنة خصصته بالكوع والحاصل ان الاية عامة لكنها خصصت بدلائل منفصلة فبقي حجة في الباقي وهذا اولى من جعلها مجملة غير مفيدة اصلا ثم ان جمهور الصحابة والفقهاء ذهبوا الى ان القطع لا يجب الا عند شرطين كالنصاب والحرز وخالف ابن عباس وابن الزبير والحسن وداود الاصفهاني والخوارج تمسكا بعموم الاية ولان مقادير القلة والكثرة غير مضبوطة فالذي يستقله الملك يستكثره الفقير وقد قال الشافعي لو قال لفلان علي مال عظيم ثم فسره بالحبة يقبل لاحتمال انه يريد انه عظيم في الحل او عظيم عند الشدة فقره ولما طعنت الملحدة في الشريعة بان اليد كيف ينبغي ان يقطع في قليل مع ان ديتها خمسمائة دينار من الذهب اجيب عنه بان ذلك عقوبة من الشارع له على دنائته واذا كان هذا الجواب مقبولا من الكل فليكن مقبولا منا في ايجاب القطع على القليل والكثير وايضا اختلاف المجتهدين في قدر النصاب كما يجيء يدل على ان الاخبار المخصصة عندهم متعارضة فوجب الرجوع الى ظاهر القران ودعوى الاجماع على ان القطع مخصوص بمقدار معين غير مسموعة لخلاف بعض الصحابة والتابعين كما قلنا واعلم ان الكلام في السرقة يتعلق باطراف المسروق ونفس السرقة والسارق اما المسروق فمن شروطه عند الاكثرين ان يكون نصابا ثم قال الشافعي انه ربع دينار من الذهب الخالص او ما سواه يقوم به وهو مذهب الامامية لما روى انه قال لا قطع الا في ربع دينار وقال ابو حنيفة النصاب عشرة دراهم لما روي انه قال لا قطع الا في ثمن المجن والظاهر ان ثمن المجن لا يكون اقل من عشرة دراهم وقال مالك ربع دينار او ثلاثة دراهم وعن احمد روايتان كالشافعي وكمالك وقال ابن ابي ليلى خمسة دراهم وعن الحسن درهم وفي قول على اخذ درهم في درهم ومنها ان يكون المسروق في ملك غير السارق لدى الاخراج من الحرز فلو سرق مال نفسه من يد غيره كيد المرتهن والمستاجر او طرا ملكه في المسروق قبل الاخراج من الحرز بان ورثه السارق او وهبه منه سقط القطع ومنها ان يكون محترما لا كالخمر والخنزير ومنها ان يكون الملك تاما قويا والمراد بالتمام ان لا يكون للسارق فيه شركة او حق كبيت المال وبالقوة ان لا يكون ضعيفا كالمستولدة والموقوف ومنها كون المال خارجا عن شبهة استحقاق السارق فلو سرق رب الدين من مال المديون فان اخذه لا على قصد استيفاء الحق او على قصده والمديون غير جاحد ولا مماطل قطع وان اخذه لا على قصد استيفاء الحق وهو جاحد او مماطل فلا يقطع سواء اخذ من جنس حقه او لا من جنسه اذا سرق احد الزوجين من مال الاخر وكان المال محرزا عنه فعند ابي حنيفة لا يجب القطع وعند الشافعي ومالك واحمد يجب ومنها كون المال محرزا لقوله لا قطع في ثمر معلق ولا في حريسة جبل فاذا اواه المراح او الجرين فالقطع فيما بلغ ثمن المجن وحرز كل شيء على حسب حاله فالاصطبل حرز للدواب ان كانت نفيسة وليس حرزا للثياب والنقود والصفة في الدار وعرصتها حرز للاواني وثياب البذلة دون الحلي والنقود فان العادة فيها الاحراز في الصناديق والمخازن وعن ابي حنيفة ان ما هو حرز لمال فهو حرز لكل مال واما السرقة فهي

مضرا بل نهيهما من قبول تلك السعادة جزاء بما كسبا الان فى عالم الصورة نكالا من الله نفسا منه فى الازل

يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن

ای پیغمبر اندوهناک نگرداند ترا آنهائی که پیشی گیرند در کفر از آنهائی که گفتند ایمان آوردیم بدهانهاشان و نگروید

قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه

دلهاشان و از کسانی که یهود شدند شنونده‌اند مر دروغ را شنونده‌اند مر گروه دیگر را که نیامدند ترا تغییر دهند کلمها را از پس مواضع آن

يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا

گویند که اگر داده شدید این را پس بگیرید او را و اگر داده نشدید پس حذر کنید و هرکه بخواهد خدا فتنه او را پس مالک نشوی از برای او از خدا چیزی

اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم

آن گروه آنانند که نخواسته است خدا که پاک گرداند دلهاشان را مر ایشانراست در دنیا زیان و مر ایشانراست در آخرت عذابی بزرگ

سماعون للكذب اكالون للسحت فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا

شنوندگان مر دروغ را خورندگان مر حرام را پس اگر آمدند ترا پس حکم کن در میان ایشان یا روگردان از ایشان و اگر روگردانی از ایشان پس ضرر نرسانند ترا چیزی

وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها

و اگر حکم کردی پس حکم کن در میان ایشان بعدالت بدرستی که خدا دوست دارد عادلان را و چگونه داور نمایند ترا و حال آنکه نزد ایشانست توریة که در آنست

حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين انا انزلنا التورية فيها هدى ع ١١

حکم خدا پس رو گردانند از پس این و نیستند آن گروه گروندگان بدرستی که ما فرستادیم توریة را که در آن راستی

ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا

و روشنی که حکم کنند بآن پیغمبران آنان که اسلام آوردند مر آنهائی را که یهود شدند و خداشناسان و دانشمندان بآنچه یاد گرفتند

من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا

از کتاب خدا و بودند بر آن گواهان پس مترسید مردم را و بترسید مرا و مخرید بآیات من بهای کم را

ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين

و هرکه حکم نکند بآنچه فرستاد خدا پس آن گروه ایشانند کافران و نوشتیم بر ایشان در آن که قصاص نفس بنفس و چشم

بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة

بچشم و بینی ببینی و گوش بگوش و دندان بدندان و زخمها را قصاص است پس هرکه صدقه دهد آنرا پس آن کفارتست

له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا

مر او را و هرکه حکم نکند بآنچه فرستاد خدا پس آن گروه ایشانند ستمکاران و از عقب در آوردیم ایشانرا بعیسی پسر مریم تصدیق کننده

لما بين يديه من التورية وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التورية وهدى

مر آنرا که در پیش او بود از توریة و دادیم او را انجیل که در او راستی و روشنی و تصدیق کننده مر آنرا که در پیش او بود از توریة و راستی

وموعظة للمتقين وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل

و پند از برای پرهیزکاران و باید که حکم کنند اهل انجیل بآنچه فرستاد خدا در آن و هرکه حکم نکند بآنچه فرستاد

الله فاولئك هم الفاسقون القراءة السحت بضمتين ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب ويزيد وعلى الباقون بسكون الحاء

خدا پس آن گروه ایشانند فاسقان

واخشوني بالياء فى الحالين سهل ويعقوب وافق ابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو ويزيد واسمعيل فى الوصل والعين وما بعده بالرفع على وافق ابو عمرو وابن كثير وابن عامر ويزيد فى والجروح بالرفع والاذن وبابه بسكون الذال نافع وليحكم بالنصب حمزة

الباقون بالجزم الوقوف قلوبهم اى من الذين هادوا ثم سماعون وان شئت عطفت ومن الذين هادوا على من الذين قالوا آمنا ووقف على هادوا

ابتوا محمداً فان افتاكم بالتحميم والجلد فخذوا به وان افتاكم بالرجم فاحذروا وفي رواية اخرى ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالوا ان امركم محمد صلى الله عليه وسلم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا تقبلوا وارسلوا الزانيين معهم فامرهم بالرجم فابوا ان يأخذوا به فقال له جبرئيل عليه السلام اجعل بينك وبينهم ابن صوريا فقال هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودي على وجه الارض ورضوا به حكما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجد فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء كان يعرفها من اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله النبي الامي العربي الذي بشر به المرسلون وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب مسجده قال العلماء القائلون بوجوب رجم الكتابي ومنهم الشافعي ان كان الامر برجم الثيب الذمي من دين الرسول صلى الله عليه وسلم فهو المقصود وان كان مما ثبت في شريعة موسى عليه السلام فالاصل بقاؤه الى طريان الناسخ ولم يوجد في شرعنا ما يدل على نسخه ولهذا الطريق احتج العلماء على ان قوله تعالى وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس باق حكمه في شرعنا ومن يرد الله فتنته ظاهر الآية ان المراد بالفتنة انواع الكفر التي حكاها من اليهود وغيرهم والمعنى ومن يرد الله كفره وضلالته فلن يقدر احد على دفع ذلك ثم اكد هذا بقوله اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم وفيه دليل على انه تعالى لا يريد اسلام الكافر وانه لم يطهر قلبه من الشك والشرك ولو فعل لامن والمعتزلة فسروا الفتنة بالعذاب كقوله يوم هم على النار يفتنون او بالفضيحة او بالاضلال اي تسميته ضالا او المراد ومن يرد الله اختباره فيما يبتليه من التكاليف ثم انه يتركها ولا يقوم باداءها فلن تملك له من الله ثوابا ولا نفعا ثم قالوا اولئك الذين لم يرد الله ان يمد قلوبهم بالالطاف لانه تعالى علم انه لا فائدة في تلك الالطاف لانها لا تنجع في قلوبهم او يطهر قلوبهم من الحرج والغم والوحشة الدالة على كفرهم او هو استعارة عن سقوط وقعه عند الله تعالى وانه غير ملتفت اليه بسبب قبح افعاله وسوء اعماله ثم وصف اليهود بقوله سماعون للكذب اكالون للسحت وهو الحرام وكل ما لا يحل كسبه سحته اي استأصله لانه مسحوت البركة وما له مسحوت اي مذهب قال الليث السحت حرام يحصل منه العار وذلك انه يسحت فضيلة الانسان ويستأصلها وقيل مسحوت المعدة اذ كان اكوله لا يلفى الا جائعا ابدا كانه يستأصل كل ما يصل اليه من الطعام والسحت الرشوة في الحكم ومهر البغي وعسب الفحل وكسب الحجام وثمن الكلب وثمن الخمر وثمن الميتة وحلوان الكاهن والاستكساب في المعصية روي ذلك عن علي عليه السلام وعمر وعثمان وابن عباس وابي هريرة ومجاهد وزاد بعضهم ونقص بعضهم وكل ذلك يرجع الى الحرام الخسيس الذي لا يكون فيه بركة ويكون فيه عار بحيث يخفيه صاحبه لا محالة قال الحسن كان الحاكم في بني اسرائيل اذا اتاه من كان مبطلا في دعواه برشوة سمع كلامه ولا يلتفت الى خصمه فكان يسمع الكذب ويأكل السحت وقيل كان فقراؤهم يأخذون من اغنيائهم مالا ليقيموا على ما هم عليه من اليهودية فكانوا يسمعون اكاذيب الاغنياء ويأكلون السحت وقيل سماعون للاكاذيب التي كانوا ينسبونها الى التوراة اكالون للربوا لقوله تعالى واخذهم الربوا فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم خيره الله بين الحكم والاعراض فقيل ان هذا التخيير مختص بالمعاهدين الذين لا ذمة لهم وقيل انه في امر خاص هو رجم المحصن قاله ابن عباس والحسن ومجاهد والزهري وقيل في قتيل من اليهود في بني قريظة والنضير وكان في بني النضير شرف كانت ديتهم كاملة وفي قريظة نصف الدية فتحاكموا الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل الدية سواء وعن النخعي والشعبي وقتادة وعطاء وابي بكر الاصم وابي مسلم ان الآية عامة في كل من جاء من الكفار وان الحكم ثابت في سائر الاحكام غير منسوخ وعن ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وهو مذهب الشافعي ان هذا التخيير منسوخ في حق غير المعاهد بقوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله فيجب على حاكم المسلمين ان يحكم بين اهل الذمة اذا تحاكموا اليه لان في امضاء حكم الاسلام عليهم صغارا لهم واهل الحجاز يقولون لا ارى ان تقام الحدود عليهم يذهبون الى انهم قد صولحوا على شركهم وهو اعظم من الحدود ويقولون ان النبي صلى الله عليه وسلم رجم اليهوديين قبل نزول الجزية انهم كانوا لا يتحاكمون اليه الا لطلب الاسهل والاخف كالجلد مكان الرجم فاذا اعرض عنهم وابى الحكومة بينهم شق عليهم وعادوه فآمنه الله بقوله وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل والاحتياط كما حكمت في الرجم وكيف يحكمونك تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من تحكيمهم لوجوه منها عدولهم عن حكم كتابهم ومنها رجوعهم الى حكم من كانوا يعتقدونه مبطلا ومنها اعراضهم عن حكمه بعد ان حكموه وهذه غاية الجهالة ونهاية العناد والواو في قوله وعندهم للحال من التحكيم وما في الاستفهام من التعجب وقوله فيها حكم الله فاما ان ينتصب حالا من التوراة على ضعف وهي مبتدأ خبره عندهم واما ان يرتفع خبرا عنها كقولك وعندهم التوراة ناطقة بحكم الله فيكون عندهم متعلق الخبر واما ان لا يكون له محل فيكون جملة مبينة لان عندهم ما يغنيهم عن التحكيم كقولك عندك زيد ينصحك ويشير عليك بالصواب فما تصنع بغيره وانث التوراة لما فيها من صورة تاء التأنيث ثم يتولون عطف على يحكمونك وثم لتراخي الرتبة اي ثم تعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم وما اولئك بالمؤمنين اخبار انهم لا يؤمنون ابدا او المراد انهم غير موقنين بكتابهم كما يدعون او المراد انهم غير كاملين في الايمان على سبيل التهكم بهم ثم رغب اليهود في ان يكونوا كالمتقدمين من انبيائهم ومسلمي احبارهم فقال انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور العطف يقتضي التغاير فقيل الهدى بيان الاحكام والشرائع والنور بيان التوحيد والنبوة والمعاد قال الزجاج الهدى بيان الحكم الذي جاؤا يستفتون فيه والنور بيان ان امر النبي صلى الله عليه وسلم حق وقيل فيها هدى للحق والعدل ونور يبين ما استبهم من الاحكام فهما عبارتان عن معبر واحد وقد يستدل بالآية على ان شرع من قبلنا يلزمنا الا ان الهدى والنور لا بد ان يكون احدهما متعلقا بالفروع والآخر بالاصول

والا كان تكرارا وانه تعالى انما انزلها في الرجم وموردا الآية لا بد ان يكون داخلا فيها سوا قلنا ان غيره داخل او خارج ويمكن ان يجاب بان التكرار يعتبر غير محذور اذا كان في الكلام تفصيل او نحو ذلك والمراد فيها هدى ونور للذين هادوا يحكم بها النبيون اما قوله للذين اسلموا فاورد عليه ان كل نبي مسلم فما الفائدة في هذا الوصف واجيب بانها صفة جارية على سبيل المدح والتوضيح والكشف وفيه تعريض باليهود انهم بعداء عن ملة الاسلام التي هي دين الانبياء قديما وحديثا لان غرض الانبياء الانقياد لتكاليف الله وغرضهم من ادعاء الحكم بالتوراة اخذ الرشى من العوام فالفريقان متباينان ولهذا اردفه بقوله للذين هادوا اي يحكمون لاجلهم قال في الكشاف قوله تعالى الذين اسلموا للذين هادوا مناد على ان اليهود بمعزل عن الاسلام قلت هذا بناء على ان صفة الحاكمين يلزم ان يكون مغايرة لصفة المحكومين ولقائل ان يقول بعد تسليم ذلك انه لا يكفي مغايرة العام للخاص قال الحسن والزهري وعكرمة وقتادة والسدي المراد بالنبيين هو محمد صلى الله عليه وسلم كقوله ان ابراهيم كان امة لانه اجتمع فيه من الخصال ما كان متفرقا في الانبياء وقيل اسلموا اي انقادوا لحكم التوراة من الانبياء من لم يكن شريعتهم شريعته ومنهم والربانيون قد مر تفسيره في آل عمران والاحبار عن ابن عباس هم الفقهاء الواحد حبر بالفتح من قولهم فلان حسن الحبر والسبر اذا كان جميلا حسن الهيئة وحبر بالكسر من ذلك ايضا لقولهم حسن الحبر بالكسر ايضا وفي الحديث يخرج رجل من النار قد ذهب حبره وسبره اي جماله وبهاؤه ويحبر الخط والشعر تحسينه او من هذا الحبر الذي يكتب به يكون للعالم صاحب كتب قاله الفراء والكسائي وابو عبيدة ثم ان ذكر الربانيين بعد النبيين يدل على انهم اعلى حالا من الاحبار فيشبه ان يكون الربانيون كالمجتهدين والاحبار كآحاد العلماء وقوله بما استحفظوا اما ان يكون من صلة يحكم بها الربانيون والاحبار بسبب ما استحفظوا او يكون من صلة الاحبار اي العلماء بما استحفظوا اي بما سألهم انبياؤهم حفظه ومن كتاب الله للنبيين وقد اخذ الله تعالى على العلماء ان يحفظوا كتابه من وجهين احدهما ان يحفظوه في صدورهم ويدرسوه بالسنتهم والثاني ان لا يضيعوا احكامه ولا يهملوا شرائعه وكانوا اي هؤلاء النبيون والربانيون والاحبار عليه على ان كل ما جاء في التوراة حق من عند الله شهداء رقباء لئلا يبدل او يحتمل ان يعود ضمير استحفظوا الى النبيين وغيرهم جميعا والاستحفاظ من الله اي كلفهم الله حفظه وان يكونوا عليه شهداء ثم نهى اليهود المعاصرين عن التحريف لرهبة فقال فلا تخشوا الناس واخشون وعن التغيير لرغبة فقال ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وهو الرشوة وابتغاء الجاه ثم عمم الحكم فقال ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون احتجت الخوارج بالآية على ان كل من عصى الله فهو كافر وللمفسرين في جوابهم وجوه الاول انها مختصة باليهود ورد بان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولان لفظ من في معرض الشرط للعموم فلا وجه لتقييده بمن لم يحكم من هؤلاء المذكورين الذين هم اليهود لانه زيادة في النص وقال عطاء هو كفر دون كفر وقال طاوس ليس بكفر ينقل عن الملة ولكن بكفر بالله واليوم الآخر فلعلهما ارادا كفران النعمة وضعف بان الكافر اذا اطلق ينصرف الى الكافر في الدين وقال ابن الانباري المراد انه يضاهي الكافر لانه يفعل مثل فعل الكافر وزيف بانه عدول عن الظاهر وقال عبد العزيز بن يحيى الكناني معناه من ابى ان يحكم بحكم الله تعالى في كل ما انزل فيخرج الفاسق لانه في الاعتقاد والاقرار موافق وان كان في العمل مخالفا واعترض بان سبب النزول لا يخرج لانه نزل في مخالفة اليهود في الرجم فقط ويمكن ان يقال المحرف داخل في الكل وقال عكرمة انما يتناول الآية من انكر بقلبه وجحد بلسانه اما العارف المقر الا انه تارك للعمل فهو حاكم بما انزل الله تعالى ولكنه تارك فلا يتناوله الآية ثم انه سبحانه لما بين ان حكم الزاني المحصن في التوراة هو الرجم واليهود غيروه اراد ان يبين ان في التوراة ايضا هو قتل النفس بالنفس وانهم بدلوه ففضلوا بني النضير على بني قريظة فقال وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين من قرأ المعطوفات كلها بالنصب فظاهر ومن قرأ ما سوى الاول بالرفع فللعطف على محل النصب لان النفس ان المعنى وكتبنا عليهم في التوراة النفس بالنفس فالاجراء كتبنا مجرى قلنا واما بطريق الحكاية كقولك كتبت الحمد لله وقرأت سورة انزلناها واما على سبيل الاستئناف والمعنى فرضنا عليهم فيها ان النفس مقتولة اذا قتلها بغير حق والعين مفقوءة بالعين والانف مجدوع بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن والجروح ذات قصاص اي مقاصة وهذا تعميم للحكم بعد تخصيص بعض المتعلقات والمراد منه كل ما يمكن المساواة فيه من الاطراف كالذكر والانثيين والاليتين والقدمين ومن الجراحات المضبوطة كالموضحة وهي التي توضح العظم وتبديه وضحه وهو الضوء والبياض وكذا منافع الاعضاء والاطراف كالسمع والبصر والبطش فاما الذي لا يمكن القصاص فيه كرض في لحم او كسر في عظم او جرح في بطن ففي ذلك ارش وحكومة وتفاصيلها في كتب الفقه فمن تصدق به فهو كفارة له الضمير في به يعود الى القصاص والذي هو الى المتصدق الدال عليه الفعل وفي له وجهان احدهما انه يعود الى العافي المتصدق لما روى عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تصدق من جسده بشيء كفر الله تعالى عنه بقدره من ذنوبه وعن عبد الله بن عمرو يهدم عنه من ذنوبه بقدر ما تصدق به والثاني انه يعود الى الجاني المعفو عنه اي لا يؤاخذه الله تعالى بعد ذلك العفو واما العافي فاجره على الله تعالى وقفينا على آثارهم اي على آثار النبيين بعيسى ابن مريم اي عقبناهم به فتعدى الى المفعول الثاني بالباء وقوله على آثارهم يسد مسد الاول لانه اذا قفى على اثره فقد قفى به اياه مصدقا لما بين يديه اي مقررا بان التوراة كتاب منزل من الله تعالى وانه كان حقا واجب العمل به قبل ورود ناسخه وهو الانجيل المصدق ايضا لكونه مبشرا بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم كالتوراة اما النور فبيان الاحكام الشرعية وتفاصيل التكاليف والهدى الاول بيان اصول الديانات كالتوحيد والنبوة والمعاد والهدى الثاني اشتماله على البشارة بمجيء محمد صلى الله عليه وسلم لان ذلك سبب هداية الناس الى نبوته واشتماله على المواعظ والنصائح والزواجر ظاهر وخص الجميع بالمتقين لانهم هم المنتفعون بذلك من قرأ وليحكم بالجزم فاللام لام الامر ومن قرأ بالكسر فعلى الاخبار رعما قيل لهم في ذلك الوقت من الحكم بما تضمنه الانجيل اي قلنا لهم ليحكموا بما فيه فاما امرهم ستانفا للنصارى بالحكم بما في كتابهم من الدلائل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم او بما لم يصر منسوخا بالقرآن ومن قرأ بالنصب فلانه علة فعل محذوف يدل عليه ما قبله اي لاجل حكمهم بما فيه آتيناهم كتابهم وعلى هذا يجوز ان يكون هدى وموعظة ايضا مفعولين معطوفين للحكم والله اعلم اما قوله الكافرون الظالمون الفاسقون فللمفسرين فيه خلاف قال

الثقلان هو كقولك من اطاع الله فهو المؤمن ومن اطاع الله فهو المتقي لان كل ذلك اوصاف مختلفة حاصلة للموصوف واحد فهذه كلها نزلت في الكفار وقال آخرون الاول في الجاحد والثاني والثالث في المقر التارك وقال الاصم الاول والثاني في اليهود والثالث في النصارى التأويل سماعون للكذب اذان الشيطان في وساوس النفس في هواجسها سماعون لقوم آخرين يستنون السنة السيئة لغيرهم يحرفون بغيرهم قوانين الشريعة بهمومهم الطبيعية وهذه حال مادلي القرآن والاحاديث على وفق اهوائهم سماعون يكلذبا كالون للسحت كالاخلاق ذوي همتهم الاعمال الدنية والاخلاق نتائج الاعمال والاعمال نتائج الاستعداد الفطري فان جاؤك فاحكم بينهم مداو بالدائهم ان دانت للتداوي بسبب اشتفائهم او اعرض عنهم ان يتقيشا عوا ز الشفاء لشقائهم فان حكمت فاحكم بينهم بالقسط داوهم على ما يستحقون من دائهم بما استحفظوا من كتاب الله العرفي بين بني اسرائيل ويبين هذه الامة انهم استحفظوا التورية فضيعوها وحرفوها وقال في حقنا انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وكتبنا عليهم كان في اهلاك النفس هلاك نفس المهلك ففي احيا نفس الطالب بحيوة الدين حيوة نفس محبيها وفي العين عين قلبه والانف انف قلبه والاذن قلبه والسن سن قلبه معالجة هذه الاعضاء بهذا الادراك فمن تصدق فيه بهذا الاحياء فهو كفارة له فيما فرط من احيا نفسه معالجة قلبه وطريقه عين ومن لم يحكم على نفسه بما انزل الله في تزكيتها وتحليتها فاولئك الذين ظلموا انفسهم بوضع الحظوظ مقام الحقوق والله اعلم

وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ
و فرستادیم بسوی تو کتاب را براستی تصدیق کننده مر آنرا که پیش از او بود از کتاب

وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا
و گواهی رست بران پس حکم کن در میان ایشان بآنچه فرستاد خدا و پیروی کن هواهای ایشان را از آنچه آمد ترا از حق از برای هر یک قرار دادیم

مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا
از شما طریقه و راهی و اگر خواهد خدا هر آینه بگرداند شما را گروهی یگانه ولکن تا بیازماید شما را در آنچه داد شما را پس پیشی گیرید

الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
خوبها را بسوی خداست بازگشت شما همه پس خبر دهد شما را بآنچه که بودید در ان اختلاف میکردید و آنکه داوری نما در میان ایشان بآنچه فرستاد خدا

وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ
و پیروی مکن هواهای ایشان را و بترس از ایشان که مفتون کنند ترا از بعض آنچه فرستاد خدا بسوی تو پس اگر رو گردانند پس بدان که میخواهد خدا

أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ
که مصیبت افکند ایشان را ببعض از گناهان ایشان و بدرستیکه بسیاری از مردمان هر آینه فاسقانند آیا پس حکم زمان جاهلیت را خواهش دارند و کیست

٤٢ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ
خوبتر از خدا داوری مر گروهی را که یقین دارند ای زمره آنهائی که گرویده اید مگیرید یهود و نصاری را دوستان برخی از ایشان

أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
دوستان بعضی اند و هر که دوست گیرد ایشان را از شما پس بدرستیکه او از ایشانست بدرستیکه خدا راهنمائی نکند گروه ستمکاران را پس ببینی آنها را که در دلهاشان

مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا
ناخوشی است میشتابند در ایشان میگویند که میترسیم که فرو گیرد ما را گردش روزگار پس امید است که خدا بیاورد گشایش یا فرمانی از نزد او پس صبح کنند

عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ
بر آنچه پنهان داشتند در نفسهای خود پشیمانان و میگویند آنان که گرویدند آیا اینانند آنانکه سوگند یاد کردند بخدا از جهة استحکام سوگندهاشان

إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ
بدرستیکه ایشان هر آینه با شمااند باطل شد کردارهاشان پس صبح کردند زیانکاران ای زمره آنهائی که گرویده اید هر که برگشت از شما از دین خود

فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ
پس زود باشد که بیاورد خدا گروهی را که دوست دارد ایشان را و دوست دارند او را فروتنان بر مؤمنان و با هیبتان بر کافران کوشش کنند

فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ
در راه خدا و نترسند از ملامت ملامت کنان این بهره خداست که میدهد آنرا هر که میخواهد و خدا محیط

عَلِيمٌ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
و داناست جز این نیست کارگذار شما خداست و پیغمبرش و آنهائی که گرویدند آنها که برپای دارند نماز را و میدهند زکوة را

وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ يَا أَيُّهَا
و ایشان رکوع کننده گانند و هر که دوستی کند بخدا و رسول او و آنها که گرویدند پس بدرستیکه لشکر خدا ایشانند غالبان ای زمره

٤٣ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ
مؤمنان مگیرید آنها را که فرا گرفتند دین شما را ریشخند و بازیچه از آنها که داده شده اند کتاب را از پیش شما

وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا
و کافران را دوستان و بپرهیزید خدا را اگر هستید گروندگان و چون صلا در دادید بسوی نماز فرا گرفتند آنرا

هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ القراءة يبغون بتاء الخطاب ابن عامر والجزاز عن هبيرة الباقون بالياء
ریشخند و بازیچه این بجهة آنست که ایشان گروهی اند که ادراک نکنند ويقول بالواو وبالرفع عاصم وحمزة وعلي وخلف وقرأ ابو عمرو وسهل

ويعقوب بالنصب عباس مخير الباقون يقول بدون واو العطف من يرتد بالاظهار ابو جعفر ونافع وابن عامر الباقون بالادغام والكفار بالجر ابو عمرو وسهل ويعقوب وعلي الباقون بالنصب عطفا على محل الذين اتخذوا وقرأ ابو عمرو وعلي غير ليث وابي حمدون وحمدويه وابن رستم الطبري عن نصير طريق ابن مهران بالامالة الوقوف بالحق ومنهاجا الخيرات تختلفون لعطف ان احكم على ما قبله ومن وقف فلانه راس آية انزل الله اليك ذنوبهم لفاسقون يبغون يوقنون اولياء الملزم النهي عن اتخاذ الاولياء اولياء بعض منهم الظالمين دائرة لتمام المقول نادمين لمن قرأ ويقول بالنصب عطفا على ان يأتي جهد ايمانهم لان قوله انهم جواب القسم لمعكم خاسرين يحبونه لان ما بعده صفة قوم الكافرين لشبه الآية لائم من يشاء عليم راكعون الغالبون اولياء للعطف وطول الكلام مؤمنين لعبا لا يعقلون التفسير من الله تعالى على نبيه انه انزل القرآن اليه مصدقا لما بين يديه من الكتاب اي جنسه وهو كل كتاب سوى القرآن نازل من السماء وفي المهيمن قولان قال الخليل وابو عبيدة هيمن على الشيء يهيمن اذا كان رقيبا على الشيء وشاهدا ومصدقا وقال الجوهري اصله ائمن بهمزتين قلبت الثانية ياء لكراهة اجتماع الهمزتين ثم الاولى هاء كما في هرقت وهياك والمعنى انه امين على الكتب التي قبله لانه لا يبيح البتة ولا يحرف لقوله وانا له لحافظون ومن هنا قرئ ومهيمنا عليه بفتح الميم اي هو من عليه بان حوفظ من التغيير والتبديل والذي هيمن عليه الله عز وجل كما قلنا او الحفاظ في كل بلد القراء المشهور لهم بالاجازة فاحكم بينهم بين اليهود بالقرآن ولا تتبع اهواءهم منحرفا عما جاءك من الحق او ضمن لا تتبع معنى لا تنحرف قيل لولا جواز المعصية على الانبياء لم يجز هذا النهي والجواب ان ذلك مقدور له ولكن لا يفعله لمكان النهي او الخطاب له والمراد غيره لكل جعلنا منكم ايها الناس او الامم امة موسى وامة عيسى وامة محمد لتقدم ذكر الثلاثة شرعة ومنهاجا قال ابن السكيت الشرع مصدر شرعت الاهاب اذا شققته وسلخته وقيل انه من الشروع في الشيء الدخول فيه والشرعة للهيئة بمعنى الشريعة فعيلة بمعنى مفعولة وهي الامور التي اوجب الله تعالى على المكلفين ان يشرعوا فيها والمنهاج الطريق الواضح وهما عبارتان عن معبر واحد هو الدين والتكرير للتأكيد ويحتمل ان يقال الشريعة عامة والمنهاج مكارم الشريعة فالاولى اقدم وهذه يتلوها وقال المبرد الشريعة ابتداء الطريق والطريقة المنهاج المستمر ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على شريعة واحدة او ذوي امة واحدة اي دين واحد لا خلاف فيه وفيه دليل على ان الكل بمشية الله تعالى والمعتزلة حملوه على مشية الالجاء ولكن ليبلوكم اي جعلكم مختلفين متخالفين ليعاملكم معاملة المختبر هل تعملون بالنواميس الالهية وتذعنون للعقائد الحقة ام تقصرون في العمل وتتبعون الشبهة لذلك قال فاستبقوا الخيرات سارعوا اليها وابتدروا نحوها ويعني بالخيرات ههنا ما هو الحق من الاعتقادات والمحقق من التكاليف ثم علل الاستباق بقوله الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم فيخبركم بما لا تشكون معه من الجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل والمقصر والمراد ان الامر يؤول الى ما يحصل معه اليقين من مجازاة المحسن باحسانه والمسيء باساءته وان احكم قيل معطوف على الكتاب في قوله انزلنا اليك الكتاب اي انزلنا اليك ان احكم على ان ان المصدرية توصل بالامر لانه فعل كسائر الافعال وعلى قوله بالحق اي انزلناه بالحق وبان احكم واقول يحتمل ان يكون ان مفسرة والفعل الامر محذوف وفي الكلام ان احكم وتكرار الامر بالحكم اما للتأكيد واما لانهما حكمان لانهم احتكموا اليه في زنا المحصنين ثم احتكموا في قتل كان بينهم وزعم بعض الائمة ان هذه الآية ناسخة للتخيير في قوله فاحكم بينهم او اعرض عنهم وعن ابن عباس ان جماعة من اليهود منهم كعب بن اسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس من احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فاتوه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود واشرافهم وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود ولم يخالفونا وان بيننا وبين قوم خصومة فنحاكمهم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وانزل الله فيهم واحذرهم ان يفتنوك محله نصب على انه مفعول له اي مخافة ان يفتنوك او على انه بدل اشتمال من مفعول احذروا المراد بالفتنة رده الى اهوائهم فكل من صرف من الحق الى الباطل فقد فتن قال بعض اهل العلم في الآية دليل على ان الخطأ والنسيان جائزان على النبي لان التعمد في مثل هذا غير جائز فلم يبق الا الخطأ والنسيان فلو لم يكونا جائزين ايضا لم يكن للتحذير فائدة فان تولوا عن الحكم المنزل اي فان لم يقبلوا احكامك فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم اما الاصابة فالمراد بها انتقامهم واجلاؤهم وانما ذكر بعض الذنوب فلان مجازاتهم ببعض الذنوب كانت في اهلاكهم وتدميرهم او اراد بالبعض ذنبا لتولي عن حكم الله وفيه ان لهم ذنوبا جمة ان هذا الذنب عظيم جدا كقول لبيد تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها اراد نفسه انما قصد تفخيم شانها بهذا الابهام فكانه قال نفسا كبيرة لان التنكير في معنى بعضية ايضا لفاسقون لمتمردون في الكفر ومنه التولي عن حكم الله سبحانه مؤكدا ثم استفهم منكرا عليهم فقال افحكم الجاهلية يبغون وفيه تعيير لليهود بانهم اهل كتاب وعلم ومع ذلك يطلبون حكم الملة الجاهلية التي هي محض الجهل وصريح الهوى وقال مقاتل ان قريظة والنضير طلبوا اليه ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القتلى بواء اي سواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت وعن الحسن هو عام في كل من يبتغي غير حكم الله وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض فقرأ هذه الآية واللام في قوله لقوم يوقنون للبيان كاللام في هيت لك

اى هذا الخطاب و هذا الاستفهام لهم لانهم الذين يعرفون انه لا احد اعدل من الله حكما و لا احسن منه بيانا قال عطية العوفى جاء عبادة بن الصامت
فقال يا رسول الله ص ان لى موالى من اليهود كثير عددهم حاضر نصرهم و انى ابرأ الى الله و الى رسوله من ولاية اليهود و اوالى الله و رسوله فقال عبد الله بن
ابى انى رجل اخاف الدوائر و لا ابرأ من ولاية اليهود فقال رسول الله ص يا ابا الحباب ما بخلت به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه قال قد قبلت
فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود و النصارى اولياء تعاشرونهم معاشرة المؤمنين ثم علل النهى بقوله بعضهم اولياء بعض لان الجنسية
علة الضم ثم اكد ذلك بقوله و من يتولهم منكم فانه منهم من جملتهم و حكمه حكمهم و لذلك قال ابن عباس يريد انه كافر مثلهم و عن ابن التغلبية و لا تشبهوا بابنه
ان الله لا يهدى القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفرة فوضعوا الولاء فى غير موضعه عن ابى موسى الاشعرى قال قلت لعمر بن الخطاب ان
لى كاتبا نصرانيا فقال مالك قاتلك الله الا اتخذت حنيفا اما سمعت هذه الآية قلت له دينه و لى كتابته فقال لا اكرمهم اذ اهانهم الله و لا اعزهم اذ اذلهم الله و لا
ادنيهم اذ ابعدهم الله قلت لا قوام بالبصرة الا به قال مات النصرانى و السلام يعنى هب انه قد مات فما كنت تكون صانعا فاصنعه الآن فترى الذين فى قلوبهم مرض
يعنى امثال عبد الله بن ابى يسارعون فيهم فى موالاة اليهود و النصارى يهود بنى قينقاع و نصارى نجران لانهم كانوا اهل ثروة و كانوا يعينونهم على مهماتهم
و يقرضونهم يقولون يعتذرون عن الموالاة بقولهم نخشى ان تصيبنا دائرة قال الواحدى هى الدولة و مثلها صرف الزمان و نوائبه قال الزجاج يخشى
ان لا يتم الامر لمحمد فيدور الامر كما كان قبل ذلك ثم سلى رسوله و المؤمنين بقوله فعسى الله ان يأتى بالفتح او امر من عنده و عسى من الله الكريم اطماع واجب و الفتح
اما فتح مكة او مطلق دولة الاسلام و غلبته و قهره و قوله او امر من عنده المراد به فعل لا يكون للناس فيه مدخل البتة كقذف الرعب فى قلوب بنى النضير و غيرهم
من الكفرة و قيل هو ان يؤمر النبى ص باظهار اسرار المنافقين و قتلهم فيصبحوا على ما اسروا فى انفسهم من النفاق و الشك فى امر الرسول ص نادمين و يقول
الذين آمنوا قال الواحدى حذف الواو ههنا كاثباتها فانه قد جاء فى مصاحف اهل الحجاز و الشام بغير واو و فى مصاحف اهل العراق بالواو و ذلك ان فى الجملة
المعطوفة ذكرا من المعطوف عليها فان قوله هؤلاء اشارة الى الذين يسارعون فلما حصل فى كل من الجملتين ذكر من الاخرى حسن الوجهان و وجه العطف مع النصب
ظاهر و وجه ذلك مع الرفع على انه كلام مبتدأ اى يقول الذين آمنوا فى ذلك الوقت و وجه الفصل هو ان يكون جواب سائل يسأل فماذا يقول المؤمنون ح و انما يقولون
هذا القول فيما بينهم تعجبا من حالهم و تبجحا بما من الله عليهم من التوفيق فى الاخلاص او يقولونه لليهود الذين كانوا يحلفون لهم بالمعاضدة و النصرة كما حكى
الله عنهم و ان قوتلتم لننصرنكم و قوله جهد ايمانهم اى باغلظ الايمان نصب على الحال اى مجتهدين جهد ايمانهم او على المصدر من غير لفظه حبطت اعمالهم من قول
الله تعالى او من جملة قول المؤمنين اى بطلت اعمالهم التى كانوا يتكلفونها رياء و فيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم فما اخسرهم حيث بقى عليهم التعب فى الدنيا
و العذاب فى العقبى من يرتد منكم عن دينه اى من يتول الكفار منكم فيرتد فليعلم ان الله تعالى يأتى بقوم آخرين ينصرون هذا الدين على ابلغ الوجوه و قال الحسن
علم الله تعالى ان قوما يرجعون الى الاسلام بعد موت نبيهم فاخبرهم انه سبحانه سيأتى بقوم يحبهم و يحبونه فيكون الآية اخبارا عن الغيب و قد وقع فيكون معجزا
ذكر فى الكشاف ان اهل الردة كانوا احدى عشرة فرقة ثلث فى عهد رسول الله ص بنو مدلج و رئيسهم ذو الحمار الاسود العنسى كان كاهنا تنبأ باليمن و استولى
على بلاده و اخرج عمال رسول الله ص فكتب رسول الله ص الى معاذ بن جبل و الى سادات اليمن فاهلكه الله على يدى فيروز الديلمى بيته فقتله و اخبر رسول الله ص بقتله
ليلة قتل فسر المسلمون و قبض رسول الله ص من الغد و اتى خبره فى آخر شهر ربيع الاول بنو حنيفة قوم مسيلمة تنبأ و كتب الى رسول الله ص من مسيلمة رسول الله
الى محمد رسول الله ص اما بعد فان الارض نصفها لى و نصفها لك فاجاب ص من محمد رسول الله ص الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده
و العاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر بجنود المسلمين و قتل على يدى وحشى قاتل حمزة و كان يقول قتلت خير الناس فى الجاهلية و شر الناس فى الاسلام اراد فى جاهليتى
و اسلامى و بنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله ص خالدا فانهزم بعد القتال الى الشام ثم اسلم و حسن اسلامه و سبع فى عهد ابى
بكر فزارة قوم عيينة بن حصين و غطفان قوم قرة بن سلمة القشيرى و بنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل و بنو يربوع قوم مالك بن نويرة و بعض
بنى تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التى زوجت نفسها مسيلمة الكذاب و كندة قوم الاشعث بن قيس و بنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد فحاربهم
ابو بكر و كفى الله امرهم على يده و فرقة واحدة فى عهد عمر غسان قوم جبلة بن الايهم كان يطوف بالبيت ذات يوم بعد ان كان اسلم على يد عمر فرأى رجلا جار
فلطمه فتظلم الرجل الى عمر فقضى بالقصاص عليه فقال انا اشتريها بالف فابى الرجل فلم يزل يزيد فى الفداء الى ان بلغ عشرة آلاف فابى الرجل الا القصاص
فاستنظره فانظره عمر فهرب الى الروم و تنصر و تفسير المحبة تقدم فى سورة البقرة فى قوله يحبونهم كحب الله و انما قدم محبته على محبتهم لان محبتهم اياه نتيجة محبته
الازلية اياهم فلذلك اصل و هذه فرع و الراجع من الجزاء الى الاسم المتضمن للشرط محذوف و معناه فسوف يأتى الله بقوم مكانهم او بقوم غيرهم اذلة
جمع ذليل لا ذلول من الذل نقيض الصعوبة لانه لا يجمع على اذلة و انما يجمع على ذلل و ليس المراد انهم مهانون عند المؤمنين بل المراد المبالغة فى وصفهم بالرفق
و لين الجانب فان من كان ذليلا عند انسان فانه لا يظهر الكبر البتة و لتضمين الذل معنى الحنو و العطف عدى بعلى دون اللام كانه قيل عاطفين عليهم
او المراد انهم مع شرفهم و استعلاء حالهم و استيلائهم على المؤمنين خافضون لهم اجنحتهم ليضموا الى منصبهم فضيلة التواضع اعزة على الكافرين
يظهرون لهم الغلظة و الترفع عليهم من عز يعز اذا غلبه نحو هذه الآية قوله اشداء على الكفار رحماء بينهم اما الواو فى قوله و لا يخافون فاما ان يكون
للحال اى يجاهدون و حالهم فى المجاهدة خلاف حال المنافقين حيث يخافون لومة اوليائهم اليهود و اما ان يكون للعطف كقوله الى الملك القرم و ابن الهمام
اى هم الجامعون بين المجاهدة لله و بين الصلابة فى الدين اذا شرعوا فى امر من امور الدين لا يرعهم اعتراض معترض و فى وحدة اللومة و تنكير اللائم مبالغة

كانه قيل لا يخافون شيئا قط من لوم احد من اللوام ذلك الذى ذكر من نعوت الكمال من المحبة و الذلة و العزة فضل الله يؤتيه احسانا و توفيقا قالت الاشاعرة فيه دليل
على ان الاعمال مخلوقة لله تعالى و المعتزلة حملوه على فعل الالطاف و ضعف بان اللطف عام فى حق الكل فلا بد للتخصيص من فائدة و الله واسع عليم تام القدرة كامل
العلم يعلم اهل الفضل و اعلم ان للمفسرين خلافا فى ان القوم المذكورين فى الآية من هم قال الحسن و قتادة و الضحاك و ابن جريج هم ابو بكر و اصحابه لانهم الذين
قاتلوا اهل الردة و قال السدى نزلت فى الانصار و قال مجاهد هم اهل اليمن لانها لما نزلت اشار النبى ص الى ابى موسى الاشعرى و قال هم قوم من هذا و قال
آخرون هم الفرس لما روى انه ص سئل عن هذه الآية فضرب يده على عاتق سلمان و قال هذا و ذووه ثم قال لو كان الدين معلقا بالثريا لناله رجال من ابناء
فارس و قالت الشيعة نزلت فى على كرم الله وجهه لما ذكر انه ص دفع الراية الى على يوم خيبر و كان قد قال لادفعن الراية الى رجل يحب الله و رسوله و يحبه الله و رسوله
و لان ما بعد هذه الآية نازلة فيه باتفاق اكثر المفسرين قال الامام فخر الدين الرازى هذه الآية من ادل الدلائل على فساد مذهب الامامية لان الذين اتفقوا
على امامة ابى بكر لو كانوا انكروا نصا جليا على امامة على لكان كلهم مرتدين ثم لجاء الله بقوم يحاربهم و يردهم الى الحق و لما لم يكن الامر كذلك بل الامر بالضد فان
فرقة الشيعة مقهورون ابدا حصل الجزم بعدم النص و لقائل من اهل مذهب الشيعة ان يقول فما يدريك انه تعالى لا يجئ بقوم يحاربهم و لعل المراد به خروج المهدى
هو ذلك فان محاربته من تابع الاوائل هى محاربة الاوائل و هذا انما ذكرته بطريق المنع لا لاجل العصبية و الميل فان اعتقادى ان ولاء الصحابة الكرام
امر قطعى و الله اعلم ثم انه سبحانه لما نهى فى الآى المتقدمة عن موالاة الكفار امر بعد ذلك بموالاة من يجب موالاته فقال انما وليكم و لم يقل اولياؤكم ليعلم
ان الولاية لله اصل و لغيره تبع الله و رسوله و الذين آمنوا و فيه قولان الاول ان المراد عامة المؤمنين لان الآية نزلت على وفق ما مر من قصة عبادة بن
الصامت و رواية ان عبد الله بن سلام قال يا رسول الله ص ان قومنا قد هجرونا و اقسموا ان لا يجالسونا و لا نستطيع مجالسة اصحابك لبعد المنازل فنزلت
هذه الآية فقالوا رضينا بالله و برسوله و بالمؤمنين اولياء ثم قال الذين يقيمون الصلوة و محله رفع على البدل او على هم الذين يقيمون او نصب بمعنى اخص او اعنى
و فى الكل مدح و الغرض تمييز المؤمن المخلص عمن يدعى الايمان نفاقا و معنى و هم راكعون قال ابو مسلم اى منقادون خاضعون لاوامر الله تعالى و نواهيه و قيل المراد
و من شأنهم اتمام الصلوة و خص الركوع بالذكر لشرفه و قيل ان الصحابة كانوا عند نزول الآية مختلفين فى هذه الصفات منهم من قد اتم الصلوة
و منهم من دفع المال الى الفقير و منهم من كان بعد فى الصلوة راكعا فنزلت الآية على وفق احوالهم القول الثانى ان المراد شخص معين و جئ به على لفظ
الجمع ليرغب الناس فى مثل فعله ثم ان ذلك الشخص من هو روى عكرمة انه ابو بكر و روى عطاء عن ابن عباس انه على ع روى ان عبد الله بن سلام قال لما
نزلت هذه الآية يوما صلوة الظهر فسأل سائل فى المسجد فلم يعطه احد فرفع السائل يده الى السماء و قال اللهم اشهد انى سألت فى مسجد الرسول فما اعطانى
احد شيئا و على ع كان راكعا فاومى اليه بخنصره اليمنى و كان فيها خاتم فاقبل السائل حتى اخذ الخاتم بمرأى النبى ص فقال اللهم ان اخى موسى سألك
فقال رب اشرح لى صدرى الى قوله و اشركه فى امرى فانزلت قرآنا ناطقا سنشد عضدك باخيك و نجعل لكما سلطانا اللهم و انا محمد نبيك و صفيك
فاشرح لى صدرى و يسر لى امرى و اجعل لى وزيرا من اهلى عليا اشدد به ظهرى قال ابو ذر فو الله ما اتم رسول الله ص هذه الكلمة حتى نزل جبرئيل فقال يا محمد
اقرأ انما وليكم الله الآية فاستدلت الشيعة بها على ان الامام بعد رسول الله ص هو على بن ابى طالب لان الولى هو الوالى المتصرف فى امور الامة و انه
على ع برواية ابى ذر و غيره و اجيب بالمنع ان الولى ههنا هو المتصرف بل المراد به الناصر و المحب لان الولاية المنهى عنها فيما قبل هذه الآية و فيما بعدها هو
بهذا المعنى فكذا الولاية المأمور بها و ايضا ان عليا لم يكن نافذ التصرف حال نزول الآية و الآية تقتضى ظاهرا ان يكون الولاية حاصلة فى الحال ثم اطلاق
لفظ الجمع على الواحد لاجل التعظيم مجاز و الاصل فى الاطلاق الحقيقة فالمراد بالذين آمنوا عامة المؤمنين و ان بعضهم يجب ان يكون ناصر البعض
كقوله و المؤمنون و المؤمنات بعضهم اولياء بعض و بقية الآية المتقدمة نزلت فى ابى بكر كما مر من انه هو الذى حارب المرتدين فالمناسب ان يكون
هذه ايضا فيه ثم ان على بن ابى طالب ع كان اعرف بتفسير القرآن من هؤلاء الامامية فلو كانت الآية دالة على امامته ع لاحتج بها كما احتج بما ينقلون عنه انه
تمسك يوم الشورى بخبر الغدير و خبر المباهلة و جميع مناقبه و فضائله و هب انها دالة على امامته لكنه ما كان نافذ التصرف فى حيوة رسول الله ص فلم
يبق الا انه سيصير اماما و نحن نقول بموجبه لكن بعد الشيوخ الثلثة و من اين نعلم انها تدل على امامته بعد رسول الله ص من غير فصل و ايضا انهم كانوا
قاطعين بان المتصرف فيهم هو الله و رسوله فلا حاجة بهم الى ذكر ذلك فالمراد بقوله انما وليكم الله و رسوله ان من كان الله و رسوله ناصرين له فاى حاجة
به الى طلب النصرة و المحبة عن غيره و اذا كان الولى مستعملا بمعنى النصرة مرة امتنع ان يراد به معنى التصرف لانه لا يجوز استعمال اللفظ المشترك فى كلا مفهوميه
معا فكانه تعالى قسم المؤمنين قسمين و جعل احدهما المنصور و الآخر الناصر و ايضا ان الزكوة اسم للواجب لا للمندوب و المشهور ان عليا ما كان يجب عليه الزكوة و لو سلم
فاللائق بحاله ان يكون فى الصلوة مستغرق القلب بالله فلا يفرغ لاستماع كلام السائل و لا الى دفع الخاتم اليه لانه عمل كثير اللهم الا ان يكون الخاتم سهل
المأخذ و كان قد مد يده الى السائل فاخذه السائل و الحق انه ان صحت الرواية فللآية دلالة قوية على عظم شان على ع و المناقشة فى امثال ذلك تطويل
بلا طائل الا ان اصحاب المذاهب لما تكلموا فيها اوردنا حاصل كلامهم على سبيل الاختصار و من يتول الله و رسوله و الذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون من اقامة
المظهر مقام المضمر تشريفا و المراد فانهم هم الغالبون و حزب الرجل اصحابه المجتمعون لامر حزبهم و قال الحسن جند الله ابو روق اولياء الله ابو العالية
شيعة الله و قيل انصار الله الاخفش هم الذين يدينون بدينه و يطيعونه فينصرهم صاحب الكشاف يحتمل ان يريد بحزب الله الرسول و المؤمنين اى و من يتولهم
فقد تولى حزب الله و اعتضد بمن لا يغالب ثم عمم النهى عن موالاة جميع الكفار فقال يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عن ابن عباس كان رفاعة بن زيد و سويد

وسويد بن الحرث قد اظهر الاسلام ثم نافقا فكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا بنا في اتخاذكم اياهم اولياء بل يجب ان تقابلوا
ذلك بالشنأ والبغضاء وانما عطف الكفار على اهل الكتاب مع ان اهل الكتاب ايضا كفار والعطف يقتضي المغايرة لانه اراد بالكفار
الوثنيين خاصة لما ان كفرهم اغلظ فكانوا احق باسم الكفر ومعنى تلعبهم بالدين واستهزائهم به اظهارهم ذلك باللسان دون مواطأة الجنان واتقوا الله في موالاة
الكفار ان كنتم مؤمنين حقا لان الايمان الحقيقي يأبى موالاة اعداء الدين قال الكلبي كان منادي رسول الله اذا نادى الى الصلوة فقام المسلمون اليها
قالت اليهود قد قاموا لا قاموا صلوا لا صلوا ركعوا لا ركعوا على طريق الاستهزاء والضحك فنزل واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها اي الصلوة او المناداة
هزوا ولعبا قال السدي نزلت في رجل من النصارى بالمدينة كان اذا سمع المؤذن
يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال حرق الكاذب فدخلت خادمه بنار ذات ليلة وهو نائم واهله نيام فتطاير منها شرارة في البيت فاحترق البيت
واحترق هو واهله وقال آخرون ان الكفار لما سمعوا الاذان حسدوا رسول الله والمسلمين على ذلك فدخلوا على رسول الله فقالوا يا محمد لقد ابدعت
شيئا لم نسمع به فيما مضى من الامم الخالية فان كنت تدعي النبوة فقد خالفت فيما احدثت من هذا الاذان الانبياء قبلك ولو كان في هذا الامر خير كان اولى الناس
به الانبياء والرسل قبلك فمن اين لك صياح كصياح العير فما اقبح من صوت وما اسمج من امر فانزل الله تعالى هذه الآية وانزل ومن احسن قولا ممن دعا الى الله
قال بعض العلماء فيه دليل على ثبوت الاذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده واقول لو قيل ان اصل الاذان بالمنام والتقرير بنص الكتاب كان اصوب ذلك
لا تخاذهم بانهم قوم لا يعقلون فائدة الصلوة من المنافع لانها التوجه الى الخالق والاشتغال بخدمة المعبود ولا يفهمون فائدة اللعب والهزء من السفه والجهل قال
بعض الحكماء اشرف الحركات الصلوة وانفع السكنات الصيام الم او قيل وانزلنا اليك الكتاب بالحق اي بالحقيقة لانه انزل على قلبه وانزل سائر
الكتب في الالواح والصحف فلهذا كان نخلقه القرآن وكان مهيمنا على جميع الكتب مصدقا تابعا لا ابيانا مما يحبسنا هذا قلب المنزل عليه بنوره حقائق
الكتب واسرارها بخلاف ما انزل في الالواح فان الالواح لا تشهد ولا تشاهد حقائق الكتب ومعانيها لكل جعلنا منكم معاشر الانبياء شرعة شرعا فيها
بالبيان ومنهاجا سبيلا فيه بالعيان ولكن ليبلوكم ايها الامم فيما اتيكم من البيان والتبيان والحجج والبرهان والعزة والسلطان فابتلاكم بزينة الدنيا
واتباع الهوى ونيل المنى والوعد بين الوحي والنجاة في العقبى ليهتدي التائبون بالبيان ويقتدي العاملون بالبرهان ويحكم العارفون بالسلطان
بل يقصد الزاهدون بزينة الدنيا ويقدم العابدون بنهي الهوى ويسلك المشتاقون بنفي المنى ويجيب العارفون بوراثة الوحي ويطلب الواصلون
بالسلو عن الدنيا والعقبى فاستبقوا الخيرات من هذه المقامات الى الله مرجعكم جميعا اختيارا بقدم الصدق واضطرارا بالحلول الاجل
فان تولوا عن قبول الحق فاعلم فاعلم بمطالعة القضاء انما يريد الله في حكم القدر ان يصيبهم مصيبة الاعراض ببعض ذنوبهم وهو الاعراض
فان الحق سبحانه يلزم بشرط التكليف ويقدمهم ويؤخرهم بعين التصريف فالتكليف فيما اوجب والتصريف فيما اوجد والعبرة بالايجاد
لا بالايجاب لفاسقون لخارجون عن جذبات العناية الحكم الجاهلية يبغون ابطلبون منك ان تحيد عن المحجة المثلى بعد ما طلعت شموس
الدنيا وسطعت براهين اليقين واهتدت انوار الرب واستنار القلب بانوار الغيب فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم لان شبيه الشيء منجذب اليه ان يأتي بالفتح
فتح عيون القلوب او امر من عنده وهو الجذبة التي توازي عمل الثقلين ويقول الذين آمنوا بانوار الغيوب في اسرار القلوب فاصبحوا خاسرين
بابطال الاستعداد الفطري بقوم يحبهم ويحبونه ارباب السلوك انام عنهم ليسطوا انجيتهم ثم ابقاهم به عنده فنوبهم نفحات يحبونه فان محبة الله
للعبد افناء الناسوتية في بقاء اللاهوتية ومحبة العبد لله ابقاء اللاهوتية في فناء الناسوتية والشيخ نجم الدين الرازي المعروف بداية رضي الله
عنه قد عكس القضية فلعله فهم غير ما فهمنا ثم قال انه تعالى يحب العبد بصفة ذاته ازلا وهي الارادة القديمة المخصوصة بالعناية والعبد يحب الله
بتلك الصفة ابدا اذلة على المؤمنين لا يتفاعل الانانية اعزة على الكافرين بتفاعل اللاهوتية واثبات الوحدانية يجاهدون في سبيل الله
في طلب الحق في البداية ببذل الوجود ولا يخافون لومة لائم عند غلبات الوجد في الوسط لدوام الشهود ذلك يعني صدق الطلب في البداية وغلبة
الوجد في الوسط والاختصاص بالمحبة في النهاية والله واسع كرمه قادر على ان يفضل كل احد لكنه عليم بحال كل احد فلا يفضل الا على من
يشاء اهله يقيمون الصلوة يديمون مقام القربة حتى يفنى في الباطن باعانة التشريق يؤتون الزكوة من وجودهم وهو الفناء في الله وهم راكعون راجعون الى الله بالا
انحطاط من قيام البشرية الى قيام القيومية هم الغالبون على اهوائهم وانفسهم والدنيا والشيطان الذين اتخذوا دينكم يعني اهل الغفلة والسالمين من اهل
المحبة والقرب من الذين اوتوا الكتاب اي العلوم الظاهرة والكفار يعني القلوب الاسفية ومقلبها لانهم بمعزل عن العلوم اللدنية والكشفية واذا ناديتم الى الصلوة دعوتموهم
الى محل القرب والنجوى لا يعقلوا بالوهم والخيال الذاذة شهود ذلك الجمال

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ
بگوکه ای اهل کتاب آیا زشت می‌آید شمارا ازما مگر آنکه گرویدیم بخدا
وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ
وآنچه فرود آمد بسوی ما وآنچه فرستاده شده از پیش و بدرستی که بیشتر از شما فاسقانند بگو که آیا خبر دهم شمارا به بدتر ازین پاداشی در نزد خدا آنکه لعنت کرد او را
اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ
خدا وخشم کرد براو وگردانید از ایشان میمون وخوکان وپرستندگان شیطان آن گروه بدترند منزلت ایشان ودورتر از راه راست

وان جاؤكم

وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ وَتَرَى
وچون آیند بشما گفتند گرویدیم وبتحقیق درآمدند بکفر وایشان بتحقیق بیرون آمدند بآن وخدا داناتر است بآنچه که پنهان میدارند ومی‌بینی
كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لَوْلَا
بسیاری را از ایشان پیشی میگیرند در گناه ودشمنی وخوردن ایشان حرام را هرآینه بدست آنچه را که بودند میکردند اگر نه
يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ
باز داشتندشان خداپرستان ودانشمندان از گفتارشان گناه را وخوردنشان حرام را هرآینه بد بود آنچه که بودند میکردند
وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ
وگفتند یهودان که دست خدا بسته است بسته کرده شود دستهای ایشان ولعنت کرده شدند بگفتار ایشان بلکه دستهای او گشاده است میبخشد هرنوع که
يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ
میخواهد وهرآینه بیفزاید بسیاری از ایشان را آنچه فرود آمد بسوی تو از پروردگار تو سرکشی وکفر وانداختیم در میان ایشان دشمنی
وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ
وکینه را تا روز قیامت هرقدر که افروختند آتشی را از برای جنگ خاموش کرد آنرا خدا ومیکوشند در زمین در فساد وخدا
لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ
دوست ندارد مفسدان را واگر که اهل کتاب گرویدندی وپرهیزگار شدندی هرآینه محو کردیم از ایشان گناهان را وهرآینه داخل کردیم ایشان را
جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ
در بهشت نعیم واگر چنانچه ایشان برپای داشتندی توریه را وانجیل را وآنچه فرود آمد بدیشان از پروردگارشان هرآینه خوردندی از بالای
وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ع
واز زیر پاهاشان بعضی از ایشان گروهیند میانه‌روان وبسیاری از ایشان بدست آنچه میکنند ای پیغمبر برسان
مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ
آنچه فرود آمد بتو از جانب پروردگارت واگر نکردی پس نرسانده رسالت وپیام اورا وخدا نگاه دارد ترا از شر مردم بدرستی که خدا
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ
هدایت نکند گروه کافران را بگو ای اهل کتاب نیستید بر چیزی تا برپا دارید توریه را
وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ
وانجیل را وآنچه فرود آمد بسوی شما از پروردگارتان وهرآینه بیفزاید بسیاری از ایشان را آنچه فرود آمد بسوی تو از پروردگار تو
طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ
سرکشی وکفر پس اندوه مخور بر گروه کافران بدرستی که آنانکه گرویدند وآنانکه یهود شدند وازدین بدین شوند
وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
وترسایان آنکه گروید بخدا وروز واپسین وکرد کردار شایسته پس نیست ترسی برایشان ونه ایشان اندوهناکان

القراءة هل تنقمون بادغام اللام في التاء حمزة وعلي وهشام وعبد الطاغوت بضم الباء ونصب الدال وجر الطاغوت حمزة الباقون بنصب الطاغوت
على ان عبد فعل ماض عطفا على صلة من كانه قيل ومن عبد الطاغوت مبسوطتان مثل زاده بصطة وقد مر في البقرة رسالاته ابو عمرو
وابن كثير وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الباقون رسالاته الوقوف من قبل لعطف ان اكثركم على ان آمنا فاسقون عند الله
لتناهي الاستفهام والتقدير هو من لعنه الله ومن جعل محله جرا على البدل من شر لم يقف الطاغوت السبيل ج خوا يكتمون السحت يعملون
السحت يصنعون مغلولة قيل لا وقف لتتصل قوله غلت هو جزاء قولهم يد الله مغلولة بما قالوا لئلا يوهم ان قوله بل يداه مبسوطتان مقول
قالوا فالواجب مبسوطتان لان قوله ينفق من مقصود الكلام فلا يستأنف كيف يشاء وكفرا يوم القيمة اطفأها الله قال السجاوندي لان الواو
للحال اي وهم يسعون فيه نظر فسادا المفسدين النعيم ارجلهم مقتصدة يعملون من ربك رسالته من الناس الكافرين من ربكم وكفرا لاختلاف النظم
مع فاء التعقيب الكافرين يحزنون التفسير لما حكى عنهم انهم اتخذوا دين الاسلام هزوا ولعبا قال لهم ما الذي تنقمون منا هل هذا الذين
نقمت على الرجل انقم بالكسر اذا عتبت عليه ونقمت بالكسر لغة ونقمت الامر ايضا اذا كرهته وانكرته وسمي العقاب نقمة لانه يجب على ما ينكر من الفعل
والمعنى هل تعيبون منا وتنكرون الا الايمان بالكتب المنزلة كلها وليس هذا مما يوجب عيبا وعيبا لان الايمان بالله يأمر بجميع الطاعات
واما الايمان بمحمد وبجميع الانبياء فهو الحق الذي لا محيد عنه لان الطريق الى تصديق الانبياء هو المعجز وانه حاصل في الكل فلا وجه للايمان

وانكفر ببعض ثم عطف عليه وان اكثركم فاسقون والمراد تنقمون منا الا الجمع بين ايماننا وبين تمردكم كانه قيل ما تنكرون منا الا مخالفتكم فامنا وما فسقنا
مثلكم وهو من حسن الازدواج والطباق ما نبه كقول القائل هل تنقم مني الا اني عفيف وانك فاجر ويجوز ان يعطف على المجرور اي ما تنقمون منا الا الايمان
بالله وبما انزل وبان اكثركم خارجون من الدين ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع اي ما تنكرون منا الا الايمان مع فسقكم لان احد الخصمين اذا كان متصفا
للصفات الحميدة مع اتصاف الاخر بالصفات الذميمة كان ذلك اشد تاثيرا في وقوع البغض والحسد في قلب الخصم ويحتمل ان يكون تعليلا معطوفا على تعليل
محذوف اي ما تنقمون منا الا الايمان لقلة انصافكم ولاجل فسقكم ومن هنا قال الحسن في تفسيره بفسقكم نقمتم ذلك علينا ويجوز ان ينتصب بفعل محذوف
يدل عليه ما قبله اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون او يرتفع بالابتداء والخبر محذوف اي وفسقكم ثابت محقق عندكم على ان حب الجاه والمال الباعث لكم الى
عدم الانصاف انما خص الاكثر بالفسق مع ان اليهود كلهم فساق لان بعضهم فساق باجبارهم ورؤسائهم الطالبين للرياسة والمال والتقرب الى الملوك والمراد
ان اكثرهم في دينهم فساق لا عدل فان الكافر والمبتدع قد يكون عدلا في دينه او ذكر اكثرهم لئلا يظن ان من امن منهم داخل في ذلك قال ابن عباس اتى نفر
من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال اومن بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل الى قوله ونحن له مسلمون فلما ذكر
عيسى جحدوا نبوته وقالوا والله ما نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا والاخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فنزلت الاية قل هل انبئكم بشر من ذلك يعني النقم
وهو الايمان ولا بد من حذف مضاف قبله او قبل من تقديره بشر من اهل ذلك او دين من لعنه الله ومثوبة نصب على التمييز من شر وهي المصدر التي جاءت على
مفعول كالميسور والمجلود ومثلها المثوبة وقرئ مثوبة كما يقال مشورة ومشوبة والمثوبة مثل العقوبة واستعمال احد الضدين مكان الاخر مجاز وحسنه
ارادة التهكم مثل فبشرهم بعذاب اليم وقد خرج الكلام ههنا على حسب قولهم واعتقادهم والا فلا اشتراك بين المسلمين وبين اليهود في اصل العقوبة
حتى يقال ان عقوبة احد الفريقين شر لكنهم حكموا بان دين الاسلام شر فقيل لهم هب ان الامر كذلك ولكن لعن الله وغضب ومسخ الصورة شر من ذلك قال
المفسرون عني بالقردة اصحاب السبت وبالخنازير كفار مائدة عيسى وروي ان كلا المسخين كان في اصحاب السبت لان شبابهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا
خنازير ولهذا كان المسلمون يعيرون اليهود ويقولون يا اخوة القردة والخنازير فينكسون رؤسهم اما قوله وعبد الطاغوت فقد ذكر في الكشاف
فيه انواعا من القراءة لا مزيد فائدة في تعدادها لشذوذها الا قراءة حمزة والوجه فيه ان العبد بمعنى العبد الا انه بناء مبالغة كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ
في الحذر والفطنة قال الشاعر ابني لبينى ان امكم امة وان اباكم عبد ابني لبينى لستم بيد الا يدا ليست لها عضد وقيل هما لغتان مثل سبع وسبع
وقيل ان العبد جمع عبد والعبا جمعه عبد كثمار وثمر الا انهم استثقلوا الضمتين فابدلوا الاولى فتحة وقيل ارادوا العبدة والطاغوت مثل فلس وافلس
الا انه حذف الالف وضم الباء لئلا يشبه الفعل والطاغوت ههنا قيل هو العجل وقيل هو الاحبار والظاهر انه كل ما عبد من دون الله وكل من اطاع احدا في
معصية فقد عبده احتجت الاشاعرة بالاية على ان الكفر بجعل الله تعالى وقالت المعتزلة معنى هذا الجعل انه حكم عليهم بذلك ووصفهم به كقوله وجعلوا
الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا او انه خذلهم حتى عبدوها اولئك الملعونون الممسوخون شر مكانا من المؤمنين قال ابن عباس لان مكانهم سقر
ولا مكان شر منه وقال علماء البيان هو من باب الكناية لانه ذكر المكان واريد اهله الذي هو ملزوم المكان واضل عن سواء السبيل ضد قصده ووسطه
كان ناس من اليهود يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهرون له الايمان نفاقا فاخبره الله بشأنهم وانهم يخرجون من مجلسه كما دخلوا لم يؤثر فيهم شيء
من النصيحة والموعظة وقوله بالكفر وبه حالان اي ملتبسين بالكفر كما قوله وقد دخلوا وهم قد خرجوا ولذلك دخلت قد تقريبا للماضي من الحال
وليفيد التوقع ايضا وذلك ان امارات النفاق كانت لائحة على صفحات احوالهم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متوقعا لاظهار الله اسرارهم والعامل في هذه الحال قالوا
وفي الاولى دخلوا وخرجوا اي قالوا امنا وحالهم انهم دخلوا كافرين وخرجوا كافرين وانما ذكر عند الخروج كلمة هم تاكيدا لشأن الكفر اليهم ونفيا ان يكون
من النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فعل اي لم يسمعوا منك يا محمد عند جلوسهم ما يوجب كفرا فتكون انت الذي القيتهم في الكفر بل هم الذين خرجوا بالكفر باختيار انفسهم
ومن ههنا استدل المعتزلي على صحة مذهبه ان الكفر من العبد لا من الله ولكنه معارض بالعلم والداعي والله اعلم بما كانوا يكتمون فيه ان حسدهم وحنقهم لا يحيط
بها الا الله فما اعظم ذلك وابلغ الاثم الكذب كقوله تعالى عن قولهم الاثم والعدوان الظلم وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعداهم الى غيرهم وقيل الاثم
كلمة الشرك قولهم عزير ابن الله وفي الاية فوائد منها انه ذكر كثير لان كلهم كان لا يفعل ذلك اذ بعضهم يستحيي فيترك ومنها ان المسارعة انما تليق بالخيرات وانهم كانوا
يستعملونها في المنكرات ومنها ان الاثم يتناول جميع المعاصي فذكر بعده العدوان واكل السحت ليدل على انهما اعظم انواع الاثم والكلام في معنى السحت وفي
تفسير الربانيين والاحبار قد مر في السورة عن قريب قال الحسن الربانيون علماء الانجيل والاحبار علماء التوراة وانما قال ههنا لبئس ما كانوا يصنعون
وفي الاول يعملون لان الصنع ارسخ من العمل فلا يسمى العامل صانعا ولا العمل صنعا الا اذا تمكن فيه وتدرب بطول ممارسته فكان ترك العلماء النهي
عن المنكر اشد واعظم وابلغ وارسخ وتحقيقه ان المعصية مرض الروح وعلاجه العلم بالله وصفاته واحكامه فاذا حصل هذا العلم ولم تزل المعصية
دل على ان مرض القلب في غاية القوة والشدة كالمرض الذي شرب صاحبه الدواء فما زال عن ابن عباس هي اشد اية في القران وعن الضحاك ما في القران
اية اخوف عندي منها وقالت اليهود يد الله مغلولة قيل في هذه الاية اشكال لان اليهود مطبقون على انا لا نقول ذلك كيف وبطلانه معلوم
بالضرورة لان الله اسم لموجود قديم قادر على خلق العالم وايجاده وتكوينه وهذا الموجود يمتنع ان يكون يده مغلولة وقدرته قاصرة والجواب
ان الله تعالى حكى ذلك عنهم فلا بد من تصحيح هذا النقل عنهم فلعل القوم قالوا هذا على سبيل الالزام فانهم لما سمعوا قوله من ذا الذي يقرض الله

قرضا حسنا

قرضا حسنا قالوا من احتاج الى القرض كان فقيرا عاجزا مغلول اليدين ولعلهم لما راوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في غاية الفقر والضر قالوا ان اله محمد كذلك فالغرض
ازادوا انه لا يعطيهم الا النادر الا اياما معدودة الا انهم عبروا عن كونه تعالى غير معذب لهم الا هذا القدر من الزمان بهذه العبارة الفاسدة فاستوجبوا اللعن
لفساد العبارة وسوء الادب وقيل لعلهم كانوا على مذهب بعض الفلاسفة انه تعالى موجب لذاته وان حدوث الحوادث عنه لا يمكن الا على نسق واحد فعبروا عن عدم
اقتداره على غير ذلك النسق بغل اليد وقال المفسرون كان اليهود اكثر الناس مالا وثروة فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وكذبوه ضيق الله عليهم المعيشة فعند ذلك
قالوا يد الله مغلولة اي مقبوضة عن العطاء على جهة التعب بالبخل والجاهل اذا وقع في البلاء والشدة قد يقول مثل هذه الالفاظ وغل اليد
وبسطها مجاز مستفيض عن البخل والجود ومنه قوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وذلك ان اليد الة لاكثر الاعمال لا سيما
لاخذ المال واعطائه فاطلقوا اسم السبب على المسبب فقيل للجواد فياض الكف مبسوط اليد سبط البنان رطب الانامل وللبخيل ابن الاصابع مقبوض
الكف جعد الانامل ولا فرق عندهم بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازا عنه حتى انه يستعمل في ملك لا يعطي ولا يمنع الا بالاشارة بل يقال للاقطع ما ابسط
يده بالنوال وقد يستعمل حيث لا يصح اليد كقول لبيد قد اصبحت بيد الشمال زمامها وهو مجاز المهم الله تعالى بقوله غلت ايديهم وهو الدعاء عليهم بالبخل النكد
ومن ثم كانوا ابخل خلق الله وانكدهم دعا به عليهم تعليما لعباده كما علمهم الاستثناء في قوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين وكما علمهم
الدعاء على المنافقين في قوله فزادهم الله مرضا وعلى ابي لهب في قوله تبت يدا ابي لهب ويجوز ان يكون دعاء عليهم بغل الايدي حقيقة او اخبارا قال
الحسن يغلون في الدنيا اسارى وفي الاخرة معذبين باغلال جهنم فيكون الطباق من حيث اللفظ وملاحظة اصل المجاز وانما لم يقل فغلت
ايديهم مع ان الجزاء يناسبه التعقيب ليكون قوله غلت ايديهم كالكلام المبتدأ به ففيه قوة وفخامة لان الابتداء بالشيء يدل على شدة الاهتمام
به وقوة الاعتناء بتقريره ولعنوا بما قالوا قال الحسن عذبوا في الدنيا بالجزية وفي الاخرة بالنار ومما وقع في عصرنا من اعجاز القران ما حكي ان متعبدا
من اليهود مسمى بسعد الدولة وهو من اشقى الناس كان قد سمع هذه الاية فاتفق ان وصل الى بغداد فنزل بالمدرسة المستنصرية ووجد بها مصحفا كان
مكتوبا باحسن خط واشهره من خطوط الكتاب الماضين وكان يعلم ان اهل هذا العصر لا يقدرون على كتابة مثله ثم قال ابن فتح هذه الاية يعني قوله غلت
ايديهم ولعنوا بما قالوا فاقرأها فمحاها فلم يمض اسبوع الا وقد سخط السلطان عليه فابعث في طلبه امر بغل يديه فغلوه وحملوه اليه فامر بقتله ثم انه سبحانه
رد على اليهود بقوله بل يداه مبسوطتان واليد في اللغة تطلق على الجارحة المخصوصة وهو ظ وعلى النعمة لفلان عندي يد اشكرها وعلى القوة
اولي الايدي والابصار فسرت بذوي القوى والعقول ومنه لا يدين له بهذا وللمغير سل كلما القدرة وعلى الملك هذا بيد فلان اي ملكه قال تعالى بيده عقدة
النكاح وقد يراد به شدة العناية قال لما خلقت بيدي ويقال يدي لك رهن بالوفاء اذا ضمنت له شيئا ولا شك ان اليد بمعنى الجارحة في حقه تعالى محال لان
الدال على انه ليس بجسم ولا ذي اجزاء خلافا للمجسمة واما سائر المعاني فلا يليق بها وكان طريقة السلف الايمان بها وانها من عند الله ثم تفويض معرفتها
الى الله وقد جاء في بعض اقوال ابي الحسن الاشعري ان اليد صفة سوى القدرة من شانها التكوين على سبيل الاصطفاء لقوله لما خلقت بيدي و
المراد تخصيص ادم بهذا التشريف نقل القران ناطق باثبات اليد فانه يد الله فوق ايديهم وباثبات اليدين اخرى كما في الاية وباثبات الايدي اخرى
مما عملت ايدينا انعاما ووجه التوحيد والجمع ظاهر واما وجه التثنية فذلك ان من اعطى بيديه فقد اعطى على اكمل الوجوه فكان ابلغ في رد كلام اليهود
خذلهم الله او المراد نعمة الدين ونعمة الدنيا او نعمة الظاهر ونعمة الباطن او نعمة النفع ونعمة الدفع او نعمته على اهل اليمين ونعمته على اهل الشمال بل لطفه
في حق اولئك ومهره في شان هؤلاء او المراد المبالغة في وصف النعمة بحو لبيك وسعديك معناه اقامة على طاعتك بعد اقامة واسعادا بعد اسعاد
ثم اكد الوصف بالقدرة والسخاء فقال ينفق كيف يشاء وفيه انه لا ينفق الا على مقتضى الحكمة وقانون العدالة على حسب المشيئة والارادة لا مانع له ولا مكره
او يجب عليه شيئا او اعترض على فعل من افعاله فقد تعب في ملكه وتحير في تصرفه وقد وغل في نسبة الى ما لا يليق به وليزيدن جواب قسم محذوف كثيرا منهم يعني علماء
اليهود ما انزل اليك من ربك من القران والحجج طغيانا وكفرا مجاوزة في الحد وغلوا في الانكار لان البدن عند النفي كلما غذوته زدته شرا والقينا بينهم
بين اليهود والنصارى قاله مجاهد والحسن وقيل بين اليهود العداوة والبغضاء لا يأتلف كلمهم لانشعابهم فمنهم اليهود جبرية وقدرية وموحدة و
مشبهة ومن النصارى ملكانية ونسطورية ويعقوبية وكل ذلك اختلاف يوجب السخط واللعن بخلاف هذه الامة فان اختلافهم رحمة ولتفرقهم
وتشعبهم كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله فلا يهمون بامر من الامور الا وقد رجعوا بخفي حنين وقيل كلما حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم غلبوا وعن
قتادة لا تلقى اليهود ببلدة الا وجدتهم اذل الناس ويسعون في الارض فسادا يستخفون كيد الاسلام وذويه والله لا يحب المفسدين فلا يجازيهم سعي
بدلوا مواضع التوراة فبعث الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين الى
يوم القيمة ثم لما بالغ في تهجين سيرتهم ذكر انهم مع ما عدد من مساويهم لو امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به واتقوا المنكرات التي كانوا يأتونها وتوبتهم نصوحا
لكفرنا عنهم تلك السيئات سترناها عليهم ولادخلناهم مع المسلمين جنات النعيم من النعم خلاف البؤس اي ينعم صاحبها فيها وما اوسع رحمة الله تعالى وما اعظم عفوه
وغفرانه ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل عملوا بما فيهما من الوفاء بعهود الله تعالى ومن الاقرار بنبوة نبي اخر الزمان محمد صلى الله عليه وسلم او حافظوا على احكامهما
وحدودهما او اقاموهما نصب اعينهم لئلا ينسوا ما فيهما من التكاليف وما انزل اليهم من ربهم يعني القران او سائر الكتب الالهية كصحف ابراهيم وزبور
داود وكتاب شعيا وحبقوق ودانيال فان كلها مشحونة بالبشارة بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم وانهم مكلفون بالايمان بجميعها لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم اي

ينزل عليهم بركات السماء وبركات الارض ويكثر لهم الاشجار المثمرة والزروع المغلة او يرزقهم الجنان اليانعة الثمار يجتنون ما تهدل منها من رؤس الشجر ويلتقطون ما تساقط على وجه الارض ويحتمل ان يراد به المبالغة في شرح السعة والخصب لا ان هناك فوقا وتحتا اي لاكلوا اكلا كثيرا متصلا ويحتمل ان يكون هذا اشارة الى ما جرى على بني قريظة وبني النضير من قطع نخيلهم وافساد زروعهم واجلائهم عن اوطانهم والحاصل انه سبحانه وعدهم سعادة الدارين بشرط الايمان بما جاء به محمد وقدم السعادة الاخروية بقسميها وهما دفع العذاب وايصال الثواب لشرفهما ثم فصل حالهم فقال منهم امة مقتصدة طائفة متوسطة في الغلو والتقصير وذلك ان من عرف مقصوده فانه يكون قاصدا له على الطريق المستقيم من غير انحراف ولا اضطراب بخلاف من لا مقصد له فانه يذهب يمينا وشمالا ويجعل الاقتصاد عبارة عن العمل المؤدي الى الغرض ومن هم فيه قولان احدهما الكفار من اهل الكتاب الذين يكونون عدولا في دينهم ولا يوجد فيهم عناد شديد ولا غلظة كاملة والثاني هم المؤمنون منهم كعبد الله بن سلام واصحابه وثمانية واربعين من النصارى وكثير منهم ساء ما يعملون فيه معنى التعجب كانه قيل ما اسوء عملهم لكونهم اجلافا متعصبين لا ينجع فيهم القول ولا يؤثر فيهم الدليل مثل كعب بن الاشرف واصحابه والروم ثم امر رسوله بان لا ينظر الى قلة المقتصدين وكثرة المعاندين ولا يخاف مكروههم فقال يا ايها الرسول بلغ عن ابي سعيد الخدري ان هذه الاية نزلت في فضل علي بن ابي طالب كرم الله وجهه يوم غدير خم فاخذ رسول الله بيده وقال من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه فلقيه عمر فقال هنيئا لك يا ابن ابي طالب اصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة وهو قول ابن عباس والبراء بن عازب ومحمد بن علي وروي انه نام في بعض اسفاره تحت شجرة وعلق سيفه عليها فاتاه اعرابي وهو نائم فاخذ سيفه واخترطه وقال يا محمد من يمنعك مني فقال الله فرعدت يد الاعرابي وسقط السيف من يده وضرب براسه الشجرة حتى انتثر دماغه فنزل والله يعصمك من الناس وقيل لما نزلت اية التخيير يا ايها النبي قل لازواجك فلم يعرضها عليهن خوفا من اختيارهن الدنيا فنزلت يا ايها الرسول بلغ وقيل نزلت في امر زيد وزينب بنت جحش وقيل لما نزل ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله سكت رسول الله عن عيب الهتهم فنزلت اي بلغ معايب الهتهم ولا تخفها وقيل انه لما بين الشرائع والمناسك في حجة الوداع قال هل بلغت قالوا نعم فقال اللهم اشهد فنزلت وقيل نزلت في قصة الرجم والقصاص المذكورتين وقال الحسن ان نبي الله قال لما بعثني الله برسالته ضقت بها ذرعا وعرفت ان من الناس من يكذبني واليهود والنصارى يخوفونني فنزلت الاية فزال الخوف قالت عائشة سهر رسول الله ذات ليلة فقلت يا رسول الله ما شانك قال الا رجل صالح يحرسني الليلة قالت فبينما نحن في ذلك سمعت صوت السلاح فقال من هذا قال سعد وحذيفة جئنا نحرسك فنام رسول الله حتى سمعت غطيطه فنزلت هذه الاية فاخرج رسول الله راسه من قبة ادم فقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمني الله وعن ابن عباس كان رسول الله يحرس فكان يرسل معه ابو طالب كل يوم رجالا من بني هاشم يحرسونه حتى نزلت هذه الاية فاراد عمه ان يرسل معه من يحرسه فقال يا عماه ان الله قد عصمني من الجن والانس ومعنى قوله ما انزل اليك اي شيء انزل اليك وان لم تفعل ما امرتك به كما امرتك به فما بلغت رسالته من قرا على الوحدة فلان القرآن كله رسالة واحدة او لان الرسالة اسم المصدر فيقع على الواحد وعلى الجمع ومن جمع فلان كل اية احكم رسالة فان قيل معنى قوله وان لم تفعل فما بلغت رسالته ان لم تبلغ رسالته فما بلغت رسالته فما وجه صحته فالجواب ان هذا جاء على طريق التهديد والمراد انه لم يبلغ منها ادنى شيء فانه كمن لم يبلغ شيئا لان اداء بعضها ليس اولى من اداء البعض الاخر كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها او المراد ان لم تفعل ذلك فلك ما يوجبه كتمان الوحي كله فوضع السبب موضع المسبب ويعضده ما روي انه قال بعثني الله برسالاته وضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت فان قيل اين ضمان العصمة وقد جرى عليه يوم احد ما جرى فالجواب ان الاية نزلت بعد يوم احد والمراد انه يعصمه من القتل وعليه ان يحتمل كل ما دون النفس والناس الكفار ولقوله ان الله لا يهدي القوم الكافرين اي لا يمكنهم مما يريدون ثم لما امره بتبليغ اي شيء كان طاب للسامع او ثقل عليه امره ان يقول لاهل الكتاب لستم على شيء اي على دين يعتد به كما يقول هذا ليس بشيء عند تحقيره شانه وباقي الاية مكرر للتاكيد ومعنى فلا تاس لا تاسف ولا تحزن عليهم بسبب زيادة طغيانهم فان وبال ذلك عائد عليهم او لا تاسف بسبب نزول اللعن والعذاب عليهم فانهم من الكافرين المستحقين لذلك يقال اسى على مصيبته ياسى اسى اي حزن ثم لما بين ان اهل الكتاب ليسوا على شيء ما لم يؤمنوا بين ان هذا الحكم عام في الكل وانه لا يحصل لاحد منقبة ولا سعادة الا اذا امن وعمل صالحا وذلك ان كمال القوة النظرية لا يحصل الا بمعرفة المبدأ والمعاد وهو الايمان بالله واليوم الاخر وكمال القوة العملية انما يحصل بتعظيم المعبود والشفقة على المخلوق يعني العمل الصالح وغاية هذا الكمال الخلاص من الخوف عما يستقبل ومن الحزن على ما مضى من طيبات الدنيا لانهم وجدوا امورا اعظم واشرف وقد تقدم تفسير مثل هذه الاية في سورة البقرة الا انه بقي ههنا بحث لفظي وهو ان قوله والصابئون عطف على ماذا فقال الكوفيون انه معطوف على محل الذين لان اسم ان اذا كان مبنيا جاز العطف على محله وان كان قبل ذكر الخبر فيجوز انك وزيد ذاهبان وانما يجوز ان زيدا وعمرو قائمان وذهب البصريون الى منع جواز ذلك مطلقا لانه يؤدي الى اعمال ان ومعنى الابتداء معا في قائمان فيجتمع على المرفوع الواحد رافعان مختلفان وانه محال فاذن الصابئون مرفوع بالابتداء على نية التاخير كانه قيل ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك فيكون هذه جملة معطوفة على جملة معطوفة على جملة قوله ان الذين امنوا الى اخره ولا محل لها كما لا محل للتي عطفت عليها وفائدة هذا التقديم التنبيه على ان التوبة مقبولة البتة وذلك ان الصابئين هم هؤلاء المعدودين ضلالا لانهم صبأوا عن الاديان كلها اي خرجوا فكانه قال حتى هؤلاء الفرق اذا اتوا بالايمان والعمل الصالح قبلت توبتهم حتى الصابئون ولو قيل والصابئين لم يكن من التقديم في شيء لانه ثابت في مركزه الاصلي وانما يطلب بذلك التقديم للمزاحم موضعه والراجع الى اسم ان محذوف تقديره من امن منهم كما في البقرة والله اعلم التاويل بشر الفريقين من جعله الله مستعدا القبول ببعض الفهم من اللعن والغضب وجعل منهم

المائدة

القردة والخنازير اعني الجبلة والشهوة من بعض خصائصهم اولئك شر مكانا من القردة والخنازير لاستعدادهم وقوة ما ابطلوا استعدادهم الفطري في مثله اولئك كالانعام بل هم اضل ولهذا دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به الربانيون مشايخ الطريقة والاحبار علماء الشريعة غلت ايديهم من بسط الخير مغلولة ومشامهم عن نسيم نتائج الصدق مزكومة فلهذا قالوا يد الله مغلولة وكل اناء يترشح بما فيه ولكن الله ادركته العناية الازلية وسلبته صفات الظلومية والجهولية فقال بل يداه مبسوطتان اي صفة الجمال والجلال لا يعتقبهما نقص لا ساماء الليل والنهار ينفق كيف يشاء ببث اللطف والقهر على المؤمنين من الهداية والاحسان وعلى الكافرين من الغواية والخذلان والقينا بينهم العداوة فلا يوجد الا وبينه وبين صاحبه بغض الى ان يتوارثوا بطنا بعد بطن ولو ان اهل العلوم الظاهرة امنوا بالعلوم الباطنة واتقوا الانكار والاعتراض ولو انهم عملوا بمقتضيات الكتب المنزلة ومقتضياتها لاكلوا من فوقهم نتائج من الواردات الروحانية ومن تحت ارجلهم الى اعلى مقاماتهم من العلماء الظاهرين امة مقتصدة ان لم تكن سابقا بالخيرات والمقتصد هو العالم المتقي والمريد الصادق ودون السابق وهو الواصل الكامل العالم الرباني بلغ ما انزل اليك يندرج تحته الوحي والالهامات والمنامات والوقايع والواردات والمشاهدات والكشوف والانوار والاسرار والاخلاق والمواهب والحقائق ومعاني النبوة والرسالة فالرسول ان لم يبلغ بعض هذه الحقائق الى العالم لم يمكنهم الوصول الى الله فلا يحصل مقصود ما ارسل به فلم يبلغ رسالته الا ان للتبليغ مراتب كما انزل اليه فيبلغ بالعبارة ويبلغ بالاشارة ويبلغ بالتاديب ويبلغ بالتعليم ويبلغ بالتزكية ويبلغ بالتحلية ويبلغ بالهمة ويبلغ بجذبات الولاية ويبلغ بقوة النبوة والرسالة ويبلغ بالشفاعة وللخلق فيه مراتب بحسب قبول الدعوة بحسب الاستعدادات المختلفة انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها والله يعصمك باوصاف الالوهية عن اوصاف الناسوتية للتصرف في الخلق بقوة الالوهية فتوصلهم الى الله ولا يضرونك فيقطعوك عن الله يا ارباب العلوم الظاهرة لستم على شيء من حقيقة الدين حتى تزينوا ظاهركم وباطنكم بالاعمال والاحوال الواردة في الكتب الالهية وذلك بمقدمتين واربع نتائج فالمقدمتان الجذبة الالهية ونتيجتها الاعراض عن الدنيا والتوجه الى المولى ثم تزكية النفس ونتيجتها تزكية النفس عن الاخلاق الذميمة وتحلية القلب بالاخلاق الفاضلة والله حسبي ونعم الوكيل

لَقَدْ اَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي اِسْرَائِيلَ وَاَرْسَلْنَا اِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى اَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ

بدرستی که فرا گرفتیم پیمان بنی اسرائیل را وفرستادیم بسوی ایشان پیغمبران هر چند که آورد ایشان پیغمبری انچه نخواسته ایشان بود گروهی را تکذیب کردند وگروهی را میکشتند

وَحَسِبُوا اَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللّٰهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ

وپنداشتند که نباشد شرک وکفر پس کور وکر شدند پس بپذیرفت خدا از ایشان پس کور وکر شدند بسیاری از ایشان وخدا بیناست بانچه میکنند

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا اِنَّ اللّٰهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي اِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللّٰهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ اِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللّٰهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّٰهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَاْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ اَنْصَارٍ

هر آینه کافر شدند آنان که گفتند که خدا آن مسیح پسر مریم است وگفت مسیح ای بنی اسرائیل بپرستید خدای را که پروردگار من وشماست بدرستی که هر که شرک آورد پس حرام گرداند خدا بر او بهشت را وجای او آتش است ونیست از برای ظالمان از یاوری

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا اِنَّ اللّٰهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ اِلٰهٍ اِلَّا اِلٰهٌ وَاحِدٌ وَاِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ

هر آینه کافر شدند آنهائی که گفتند که خدا سیمی از سه است ونیست خدائی بجز خدای یگانه واگر وا نمانند از انچه میگویند هر آینه در رسد آنهائی را که کافر شدند از ایشان عذاب دردناک

اَفَلَا يَتُوبُونَ اِلَى اللّٰهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

آیا پس باز نگردند بسوی خدا وطلب آمرزش کنند از او وخدا آمرزنده مهربان است

مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ اِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَاُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَاْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ اَنَّى يُؤْفَكُونَ

نیست مسیح پسر مریم مگر پیغمبری که پیش از آن پیغمبران بوده اند ومادرش راستگو بود بودند که میخوردند طعام را ببین که چگونه ظاهر گردانیم از برای ایشان آیات را پس ببین که چگونه برگردانیده میشوند

قُلْ اَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللّٰهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

بگو که آیا میپرستید از غیر خدا آنچه را که دارا نیست از برای شما ضرری ونه نفعی را وخدا اوست شنونده دانا

قُلْ يَا اَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا اَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَاَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ

بگو که ای اهل کتاب در مشوید در دین خود بناحق وپیروی مکنید خواهشهای گروهی را که گمراه شدند از پیش وگمراه کردند بسیاری را وباز گردیدند از راه راست

ع ١٥

لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي اِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ

لعنت کرده شدند آنهائی که کافر شدند از بنی اسرائیل بر زبان داود وعیسی پسر مریم این بجهت نافرمانی ایشان است وبودند ایشان در گذشته از حد

كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ

بودند که نهی نکردندی از ناشایسته که کردند هر آینه بد است آنچه میکنند

تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ اَنْفُسُهُمْ اَنْ سَخِطَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ

میبینی بسیاری از ایشان را که دوستی کنند آنهائی را که کافر شدند هر آینه بد است آنچه پیش انداخته از برای ایشان نفسهای ایشان که خشم کرد خدا بر ایشان ودر عذاب ایشان جاویدانند

وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا اُنْزِلَ اِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ اَوْلِيَاءَ وَلٰكِنَّ كَثِيرًا

واگر بودند که گرویدندی بخدا وپیغمبر وآنچه فرود آمد بسوی او نگرفتندی ایشان را دوستان ولکن بسیاری

منهم فاسقون ۞ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا
از ایشان فاسقانند · هر آینه بیابی سخت‌ترین مردمان در دشمنی زمرهٔ مؤمنان یهود و زمرهٔ مشرکان را و هر آینه بیابی نزدیک‌ترین مردمان در دوستی زمره
الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون ۞ وإذا سمعوا
آنان که گفتند ما ترسایانیم این بجهت آنست که بعضی از ایشان دانشمندانند و زاهدان و بجهت آنکه ایشان برتری نجویند · و چون شنیدندی
ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع
آنچه را فرود آمد سوی پیغمبر دیدی چشم ایشان را که میریخت از گریه از آنچه شناختند از حق میگویند که پروردگارا گرویدیم پس بنویس ما را با
الشاهدين ۞ وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين
گواهان · و چیست ما را که نگرویم بخدا و آنچه آورد ما را از حق و امید داریم که داخل کند ما را پروردگار ما با گروه نیکوکاران
فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين ۞ والذين
پس عوض داد ایشان را خدا بآنچه گفتند بهشتها که روانست از زیر آن جویها جاویدانند در آن و اینست پاداش نیکوکاران · و آنانکه
كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم
کافر شدند و تکذیب کردند آیات ما را آن گروه یاران دوزخند

القراءة أن لا تكون بالرفع أبو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم وحمزة وعلي وخلف غير سهل وحفص وأبي بكر وحماد الباقون بالنصب الوقوف سلاً أنفسهم ط لأن عامل كلما قوله كذبوا ويقتلون كثير منهم بما يعملون ابن مريم ط وربكم النار من أنصار ثلاثة لئلا يوهم أن ما بعده من قول الكفار واحد أليم ويستغفرونه ط والوصل أحسن بناء على أن الواو للحال أي هلا يستغفرون وهو غفور رحيم رسول ط لاحتمال أن ما بعده الصفة والاستئناف الرسل ط لأن الواو للاستئناف لا للعطف صديقة ط لأن ما بعده لا يصلح للصفة لأن الضمير في كانا متسع لشيء الطعام يؤفكون ولا نفعا والوصل أحسن على أن الواو للحال أي يعبدون ما لا ينفع ولا يضر والحال أن الله يسمع دعاء المضطر ويعلم رجاء المعتر العليم السبيل ابن مريم ط يعتدون فعلوه ط يفعلون كفروا ط خالدون فاسقون أشركوا ط للعدول والفصل بين الوصفين المتضادين نصارى ط لا يستكبرون من الحق لاحتمال ما بعده الحال والاستئناف الشاهدين من الحق لأن الواو بعده للحال الصالحين خالدين فيها ط المحسنين الجحيم التفسير فتح الله سبحانه بقوله أوفوا بالعقود وانجر الكلام إلى ما انجر ثم عاد إلى ما بدأ به والمقصود أنا عاهدنا بني إسرائيل وشددنا عليهم أي أخذنا ميثاقهم بتجلية الدلائل وخلق العقل الهادي إلى كيفية الاستدلال وأرسلنا إليهم رسلا لتعريف الشرائع والأحكام قال في الكشاف كلما جاءهم رسول جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع إلى الموصوف محذوف أي رسول منهم وأقول الأصوب جعلها جملة مستأنفة جوابا لسائل يقول كيف فعلوا برسلهم ولهذا كان الوقف على رسلا مطلقا أما جواب الشرط فاختار في الكشاف أنه محذوف لأن الرسول الواحد لا يكون فريقين ولأنه لا يحسن أن يقال إن أكرمت أخاك أكرمته فالتقدير كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه أو عادوه وقوله فريقا كذبوا جواب قائل كيف فعلوا وأقول ما أنا لتركيب المذكور غير مستحسن بعين النزاع وأما أن الرسول الواحد لا يكون فريقين فتغليط لأن قوله كلما يدل على كثرة مجيء الرسل فلهذا صح جعلهم فريقين ومعنى بما لا تهوى أنفسهم بما يضاد شهواتهم لو غيبتهم عن التكاليف وفائدة تقديم المفعول وإيراد يقتلون مضارعا ذكرناها في سورة البقرة وزعم في التفسير الكبير أنه ذكر التكذيب بلفظ الماضي لأنه إشارة إلى معاملتهم مع موسى في التيه وعتوهم عن قبول قوله وقد انقضى من ذلك الزمان أدوار كثيرة وذكر القتل بلفظ المستقبل لأنه مرادهم إذ قتلوا زكريا ويحيى وعيسى على زعمهم وإن ذلك الزمان قريب فكان كالحاضر وحسبوا أن لا تكون فتنة قال علماء الأدب الأفعال على ثلاثة أضرب فعل يدل على ثبات الشيء كالعلم والتيقن فيقع بعده أن المشددة الدالة على ثبات الشيء أيضا لتأكيد مضمونه كقوله ويعلمون أن الله هو الحق المبين فإن خففت ودخل على الفعل لم يجز إلا أن يكون مع فعله قد أو سوف أو السين أو حرف نفي ليكون كالعوض من إحدى النونين وقيل من حذف ضمير الشأن مثل علم أن سيكون وفعل يدل على خلاف الثبات والاستقرار نحو أطمع وأخاف وأرجو فلا يجيء معه إلا الخفيفة الناصبة للفعل كقوله والذي أطمع أن يغفر لي وفعل يحتمل المعنيين فيجوز فيه كلا الوجهين كقوله وحسبوا أن لا تكون فتنة بالنصب على أن المصدرية وكون الحسبان بمعنى الظن وبالرفع على أن المخففة أي أنه لا تكون فتنة فخففت أن وحذف ضمير الشأن ونزل حسبانهم لقوته في صدورهم منزلة العلم وما يشتمل عليه صلة أن وأن من المسند والمسند إليه سد مسد المفعولين وكان تامة والمعنى وحسب بنو إسرائيل أنه لا يقع فتنة وهي محصورة في عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وعذاب الدنيا أقسام منها القحط ومنها الوباء ومنها القتل ومنها العداوة والبغضاء فيما بينهم ومنها الإدبار والنحوسة وكل ذلك قد وقع بهم وقد فسرنا الفتنة بكل ذلك وحسبانهم أن لا تقع فتنة يحتمل وجهين الأول أنهم كانوا يعتقدون أن لا نسخ لشريعة موسى وأن كل رسول جاء بعده يجب تكذيبه الثاني أنهم عظموا كونهم مخطئين في التكذيب والقتل إلا أنهم كانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه وأن نبوة أسلافهم تدفع العقاب عنهم ثم إن الآية تدل على أن عماهم عن الدين وصممهم عن الحق حصل مرتين فقال بعض المفسرين إنهم عموا وصموا في شأن زكريا ويحيى وعيسى ثم تاب الله على بعضهم حيث وفقهم للإيمان به ثم عموا وصموا كثير منهم في زمن محمد فأنكروا نبوته إلا بعضهم كعبد الله بن سلام وأصحابه وقوله كثير منهم بدل من الضمير كقولك رأيت القوم أكثرهم وقيل إنه على لغة من يقول أكلوني البراغيث وقيل خبر مبتدأ محذوف أي أولئك كثير منهم وقال بعضهم عموا وصموا حين عبدوا العجل ثم تابوا عنه فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم بالتعنت وهو

طلبهم رؤية الله جهرة وقال القفال إنه يجوز أن يكون إشارة إلى ما في سورة بني إسرائيل فإذا جاء وعد أولاهما وعد الآخرة وقرئ عموا وصموا بالضم أي رماهم الله وضربهم بالعمى والصمم كما يقال ركبته إذا ضربته بالركبة ثم إنه سبحانه لما استقصى الكلام مع اليهود شرع في حكاية كلام النصارى فحكى عن فريق منهم أنهم قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وهذا قول اليعقوبية القائلين إن مريم ولدت إلها ولعل مرادهم أنه تعالى حل في ذات عيسى واتحد به ثم حكى عن المسيح ما يكون لهم كالحجة على فساد ما اعتقدوا وهو أنه لم يفرق بين نفسه وبينهم في المربوبية وفي ظهور دلائل الحدوث عليه ثم أكد ذلك المعنى بقوله إنه من يشرك بالله أي في العبادة أو في تجويز الحلول والاتحاد أو في أجزاء وصفه بالحلول أو بالعكس فقد حرم الله عليه الجنة التي هي دار الموحدين أي منعه منها وما للظالمين من أنصار من كلام الله تعالى أو من حكاية قول عيسى لهم وقد مر تفسيره في أواخر سورة آل عمران وفيه تقريع لهم لأنهم كانوا يعتقدون أن لهم أنصارا كثيرا أينما يقولون ويعتقدون فنفى الله تعالى أو عيسى ذلك وإن كانوا يريدون بذلك تعظيمه قال المفسرون ثالث ثلاثة معناه ثالث أحد ثلاثة لأن الكفر والإيمان من شيئين إلا أن الله ثالثهما يحكى أن النصارى يقولون أب وابن وروح قدس والثلاثة إله واحد كما أن الشمس تتناول القرص والشعاع والحرارة وعنوا بالأب الذات وبالابن الكلمة وبالروح الحياة قالوا إن الكلمة التي هي كلام الله اختلطت بجسد عيسى اختلاط الماء بالخمر وزعموا أن الأب إله واحد والابن إله واحد والروح إله واحد والكل إله واحد واعلم أن هذا معلوم البطلان بالبديهة لأن الثلاثة لا يكون واحدا والواحد لا يكون ثلاثة فلا جرم رد الله مقالتهم بقوله وما من إله إلا إله واحد فزاد من للاستغراق والمعنى ما إله في الوجود إلا إله موصوف بالوحدانية لا ثاني له ولا شريك ثم زجرهم بقوله وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا قال الزجاج يعني الذين أقاموا على هذا الدين لأن كثيرا منهم تابوا عن النصرانية ومن في قوله منهم للتبعيض ويجوز أن يكون للبيان والمراد ليمسنهم ولكن أقيم الظاهر مقام المضمر تكريرا للشهادة عليهم بالكفر ورمزا إلى أنهم من الكفر بمكان ويجوز أن يكون المراد الكفار المعذبون عنوا بذلك خاصة ومعنى عذاب أليم نوع شديد الألم من العذاب أفلا يتوبون قال الفراء إنه أمر بلفظ الاستفهام وفيه تعجيب من إصرارهم على الكفر بعد الوعيد الشديد ثم احتج على إبطال معتقدهم بقوله ما المسيح ابن مريم إلا رسول وهذا ترتيب غاية الحسن لأنه منعهم من الكفر أولا ثم حثهم على الإسلام ثانيا ثم شرع في حل شبهتهم ثالثا ومن هنا قيل إن المرتد يستتاب ثم يمهل ويناظر فإن عنت له شبهة بل يسلم أولا ثم يحل شبهته ثانيا والمعنى ما هو إلا رسول من جنس الرسل الماضين لا يتخطى الرسالة إلى الإلهية كما لم يتخطوا فإن خلق من غير ذكر فقد خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى وإن أبرأ الأكمه والأبرص وأحيا الموتى فقد جعل موسى العصا حية تسعى إلى غير ذلك من آيات ربه الكبرى وأمه صديقة كبعض النساء المؤمنات بالأنبياء الصادقات في أقوالهن وأفعالهن وأحوالهن قال تعالى في وصفها وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين أي من الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه هم المجتهدون في إقامة مراسم العبودية وفيه تكذيب اليهود للنصارى المفرطين فيها إذ جعلوها إلهة وفيه تكذيب لليهود المفرطين في شأنها حيث نسبوها إلى الزنا وإلى الكذب في أن عيسى خلق من غير أب وفيه أن من كان له أم فقد حدث بعد أن لم يكن فكان مخلوقا لا إلها ثم أكد حدوثهما وعجزهما بقوله كانا يأكلان الطعام فإن المحتاج إلى الغذاء يحتاج إلى ما يتبعه من الهضم والنقص وكل هذه الافتقارات دليل ظاهر وبرهان باهر على حدوثهما وأنهما في حيز الإمكان ثم عجب غاية عجب تعجيبهم فقال انظر يا محمد أو كل من له أهلية النظر كيف نبين لهم الآيات الأدلة الظاهرة على بطلان قولهم والعامل في كيف قوله نبين ومفعول انظر مجموع الجملة بل مضمونها أي تبصر هذه الحالة وتفكر فيها وتأملها ثم انظر أنى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق أفكه يأفكه بالفتح أفكا بالكسر وأفكا بالفتح والسكون صرفه عن الشيء ومنه الإفك بالكسر للكذب لأنه مصروف عن الحق وأرض مأفوكة صرف عنها المطر ومعنى ثم التراخي والبون بين العجيبين أي بينا لهم الآيات بيانا عجيبا ولكن إعراضهم عنها أعجب ثم الصارف عن تأمل الحق هو الله أو العبد فيه خلاف مشهور بين الأشاعرة والمعتزلة وأنت قد عرفت التحقيق فيها مرارا ثم أقام حجة أخرى على فساد قول النصارى فقال قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم أي شيئا لا يستطيع والذي لا يقدر على مثل ما يقدر عليه الله من البليات والمصائب والمنافع من الصحة والخصب بواسطة أو بغير واسطة بل لم يملك شيئا من ذلك لنفسه فإن اليهود كانوا يقصدونه بالسوء ولم يقدر على دفعهم ومن مذهب النصارى أن اليهود صلبوه ومزقوا أضلاعه ولما عطش وطلب الماء صبوا الخل في منخريه ومن كان في الضعف هكذا كيف يحسن بالعاقل أن يتخذه إلها وكان هو مصروف الهمة إلى عبادة الله ولو كان إلها لكان معبودا فقط لا عابدا والله هو السميع العليم بأقوالهم ويعلم ضمائرهم ليجازيهم عليه فمن أولى بعبادة منه ثم عاد إلى مخاطبة الفريقين فقال يا أهل الكتاب لا تغلوا والغلو مجاوزة حد الاعتدال وإنه شامل لطرفي الإفراط والتفريط وإن كان قد يخص بطرف الإفراط ويجعل مقابلا للتقصير ولعل المراد ههنا هو الأول فاليهود فرطوا فيه حيث نسبوه إلى الزنا وكذبوه والنصارى أفرطوا فيه حيث ادعوا فيه الإلهية قال في الكشاف قوله غير الحق صفة للمصدر أي غلوا غير الحق وليس المراد أن في الدين غلوا هو حق وهو أن يبالغ في تقرير الحق وتوضيحه واستكشاف حقائقه وغلوا هو باطل وهو أن يتبع الشبهات على حسب الشهوات فإن الثاني هو المنهي عنه دون الأول إذ لا كان الغلو مجاوزة الحد وكل شيء جاوز حده شابه ضده فكيف يتصور غلو حق ولله در القائل كلا طرفي قصد الأمور ذميم فالأصوب أن يقال انتصب غير الحق على أنه صفة قائمة مقام المصدر أي لا تغلوا غلوا كقوله ولا تعثوا في الأرض مفسدين أي فسادا وكقولهم تعالجا قائما ولو سلم أن المصدر محذوف كان غير الحق صفة مؤكدة مثل نفخة واحدة وأمس الدابر لا صفة مميزة قانعة ولا تتبعوا أهواء قوم هي المذاهب التي تدعو إليها الشهوة دون الحجة قال الشعبي ما ذكر الله لفظ الهوى في القرآن إلا ذمه ولا تتبع الهوى فيضلك وما ينطق عن الهوى أفرأيت من اتخذ إلهه هواه قال أبو عبيد لم نجد الهوى يوضع إلا في الشر لا يقال فلان يهوى الخير إنما يقال يريد الخير ويحبه وقيل سمي هوى لأنه يهوي بصاحبه في النار وروي أن رجلا قال لابن عباس الحمد لله الذي جعل هواي على هواك فقال ابن عباس كل هوى ضلالة قد ضلوا من قبل يعني النصرانية واليهودية قبل بعثة النبي وأضلوا كثيرا ممن شايعهم على التثليث أو التفريط في شأن مريم وابنها وضلوا

لبيع

عن سواء السبيل عند مبعث النبي صلعم فكذبوه والغرض بيان استمرارهم على الضلال قديما وحديثا وقيل الضلال الاول عن الدين وفي الضلال الثاني عن الجنة
وقيل الضلال الثاني اعتقادهم في ذلك الاضلال انه ارشاد الى الحق لعنهم الله في الزبور على لسان داود وفي الانجيل على لسان عيسى ومنه تغييرهم حيث ادعوا انهم
اولاد الانبياء وقد لعنوا على السنتهم وقال كثير من المفسرين ان اصحاب ايلة كما سيجيء في الاعراف لما اعتدوا في السبت قال داود اللهم العنهم واجعلهم آية
فمسخوا قردة وان اصحاب المائدة لما اكلوا منها ولم يؤمنوا قال عيسى اللهم العنهم كما لعنت اصحاب السبت فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم
امرأة ولا صبي وعن الاصم ان داود وعيسى بشرا بمحمد ولعنا من يكذبه ذلك اللعن بسبب عصيانهم واعتدائهم ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله كانوا لا يتناهون
للتناهي معنيان احدهما وعليه الجمهور انه تفاعل من النهي اي كانوا لا ينهى بعضهم بعضا عن ابن مسعود عن النبي صلعم قال من رضي عمل قوم فهو منهم ومن كثر سواد قوم
فهو منهم وذلك ان في التناهي المأمور به حسما للفساد فكان الاخلال به معصية وظلما والثاني انه بمعنى الانتهاء اي لا يمتنعون ولا ينتهون والمراد لا يتناهون
عن معاودة منكر فعلوه لان النهي بعد الفعل لا يفيد والمراد لا يتناهون عن منكر ارادوا فعله واحضروا آلاته او لا ينتهون ولا يمتنعون عن الاصرار على منكر
فعلوه ثم عجب من سوء فعلهم مؤكدا بالقسم المصدر فقال لبئس ما كانوا يفعلون ثم لما وصف اسلافهم بما وصف شرع في نعت الحاضرين وانهم كثيرا منهم يتولون
المشركين المراد كعب بن الاشرف واصحابه حين استجاشوا المشركين على رسول الله صلعم وفيه نزلت يحسدون الناس عند قولهم هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا لبئس ما قدمت
لهم انفسهم من العمل لمعادهم ومحل ان سخط رفع على انه مخصوص بالذم اي بئس الزاد الى الآخرة سخط الله يعني موجب سخط الله وسببه ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وهو موسى وما
انزل الله في التوراة كما يدعون ما اتخذوا المشركين اولياء لان تحريم ذلك متأكد في شرع موسى ولكن كثيرا منهم فاسقون في دينهم لان مرادهم تحصيل الرياسة
والجاه باي طريق قدروا عليه لا تقرير دين موسى ويحتمل انه اراد ولو كان هؤلاء اليهود المنافقون مؤمنين بالله ومحمد والقرآن يعني انهما ما اتخذوا المشركين
اولياء لكن كثيرا منهم فاسقون متمردون في كفرهم ونفاقهم فلهذا يتولون المشركين وقال القفال او لو ان هؤلاء المشركين يؤمنون بالله ومحمد ما اتخذهم اليهود
اولياء ثم وصف شدة شكيمة اليهود ولين عريكة النصارى فقال لتجدن يا محمد او كل من له اهلية الخطاب اشد الناس عداوة وقد تعلق بها اللام في قوله
للذين آمنوا كما تعلقت بالمودة فيما بعد ظاهر الآية يدل على ان اليهود في غاية العداوة للمسلمين كيف لا وقد نبه على قدم قدمهم في العداوة بتقديمهم على الذين
اشركوا وعن النبي صلعم ما خلا يهوديان بمسلم الا هما بقتله لكنه روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء والسدي ان المراد به النجاشي وقومه الذين قدموا من الحبشة
على رسول الله صلعم وآمنوا به لم يرد جميع النصارى مع ظهور عداوتهم للمسلمين وقال آخرون مذهب اليهود انه يجب عليهم ايصال الشر الى من يخالفهم في الدين باي طريق
كان بالقتل او بغصب المال او بوجوه المكايد والحيل وليس النصارى مذهبهم ذلك بل الايذاء في دينهم حرام وهذا هو وجه التفاوت بالعداوة والمودة وقد
اكد ذلك بوصف العداوة والمودة بالاشدية والاقربية في الآية من الفائدة ان التمرد والمعصية عادة لهم ففرغ قلبك يا محمد ولا تبال بمكرهم ولا تحزن على كيدهم ثم ذكر
سبب ذلك التفاوت فقال ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا القس والقسيس اسم لرئيس النصارى في العلم والدين وكانه من القس وهو تتبع الشيء وطلبه قال
قطرب هو العالم بلغة الروم وهذا مما وقع فيه الوفاق بين اللغتين قال عروة بن الزبير ضيعت النصارى الانجيل وادخلت فيه ما ليس منه وبقي واحد من علمائهم
على الحق والدين يسمى قسيسا فمن كان على هديه ودينه فهو قسيس والرهبان جمع راهب كركبان وفرسان في راكب وفارس وقيل انه واحد وجمعه رهابين كقربان و
قرابين كفربان وخرابين ولكن النظم يأباه واصله من الرهبة بمعنى الخوف من الله تعالى وانما صارت الرهبانية ممدوحة في مقابلة قساوة اليهود وغلظتهم والا
فهي مذمومة في نفسها لقوله تعالى ورهبانية ابتدعوها ولقوله صلعم لا رهبانية في الاسلام وههنا نكتة هي ان كفر النصارى حيث انهم ينازعون في الالهية
والنبوة جميعا اغلظ في الحقيقة من كفر اليهود لانهم لا ينازعون الا في النبوة الا بعضهم القائلين بان عزير ابن الله ثم ان النصارى لما لم يشتد
حرصهم على طلب الدنيا وعلى العبودة واقبلوا على العلم والبراءة من الكبر خصهم الله تعالى بالمدح وذم اليهود حيث قال ولتجدنهم احرص الناس على حيوة
غلت ايديهم فتبين صحة قولهم حب الدنيا راس كل خطيئة قال ابن عباس كان رسول الله صلعم خائفا على اصحابه من المشركين فبعث جعفر بن ابي طالب وابن مسعود
في رهط من اصحابه الى النجاشي وقال انه ملك صالح لا يظلم ولا يظلم عنده احد فاخرجوا اليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجا فلما وردوا عليه اكرمهم وقال لهم
هل تعرفون شيئا مما انزل عليكم قالوا نعم فقرأوا وحوله القسيسون والرهبان فكلما قرأوا آية انحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق وقال آخرون قدم جعفر
بن ابي طالب من الحبشة هو واصحابه ومعهم سبعون رجلا بعثهم النجاشي وفدا الى رسول الله صلعم عليهم ثياب الصوف اثنان وستون من الحبشة وثمانية من اهل
الشام وهم بحيرا الراهب وابرهة وغيرهما فقرأ عليهم رسول الله صلعم سورة يس الى آخرها فبكوا وآمنوا فنزلت والخطاب في ترى لكل راء وقد وضع الفيض
الذي هو مسبب الامتلاء موضع الامتلاء واصله تمتلئ من الدمع حتى تفيض لان الفيض بعد الامتلاء ويحتمل ان يكون الدمع مصدرا معناه
وقصد المبالغة في وصفهم بالبكاء كان الاعين تفيض بانفسها ومعنى مما عرفوا من الحق اي مما نزل على محمد وهو الحق ومن الاولى لابتداء الغاية على
ان الفيض للدمع نشأ من معرفة الحق والثانية لتبيين لما ويحتمل التبعيض يعني انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف لو عرفوا كله واحاطوا بالسنة
ربنا آمنا المراد انشاء الايمان لا الاخبار عنه فاكتبنا مع الشاهدين مع امة محمد وقد مر مثله في آل عمران وما لنا انكار واستبعاد لانتفاء
الايمان مع حصول موجبه هو الطمع في انعام الله عليهم بادخالهم دار ثوابه مع الصالحين قالوا ذلك في انفسهم او فيما بينهم او في جواب قومهم حين
رجعوا اليهم ولاموهم ومحل لا نؤمن نصب على الحال نحو ما لك قائما والعامل فيه معنى الفعل اي ما نصنع غير مؤمنين وهو العامل ايضا في ونطمع
ولكن مقيدا بالحال الاولى لانك لو حذفتها وقلت وما لنا ونطمع لا حللت ويحتمل ان يكون ونطمع حالا من لا نؤمن كانهم انكروا ان لا يوحدوا

الله وهم يطمعون في الثواب وان يكون عطفا على لا نؤمن اي ما لنا نجمع بين التثليث وبين الطمع او ما لنا لا نجمع بين الايمان وبين الطمع فاثابهم الله
بما قالوا ظاهره يدل على انهم انما استحقوا الثواب بمجرد القول لكن فيما سبق من وصفهم بمعرفة الحق ما يدل على خلوص عقيدتهم فلا جرم لما انضاف اليه القول
كمل الايمان ويحتمل ان يكون مأخوذا من قولك هذا قول فلان اي اعتقاده ومذهبه روى عطاء عن ابن عباس ان المراد بما سألوا من قولهم فاكتبنا مع الشاهدين
قال اهل السنة فيه دليل على ان المعرفة مع الاقرار يوجب حصول الثواب وحينئذ تسقط الكبيرة لان المعرفة والاقرار لا بد ان يزول الا ان هذا الثواب في المعرفة يسلم ان
الاقرار مع المعرفة يوجب الثواب لكن بشرط عدم الاحباط التأويل لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل مع ذرات ذريات آدم ثم وارسلنا اليهم رسلا بالآيات
في عالم الشهادة ومن الواردات الروحانية في عالم الغيب فريقا كذبوا ابتغاء الالهامات والواردات وفريقا يقتلون في عالم الحس لقد كفر الذين قالوا ان الله
ارادوا ان يسلكوا طريق الحق بقدم العقل فتاهوا في اودية الشبهات وامة محمد سلكوا الطريق بانلام جذبات الالوهية على وفق المتابعة الحبيبية فاسقط عنهم
براهين الوصال كلفة الاستدلال ولهذا كان الشبلي يغسل كتبه بالماء ويقول نعم الدليل انت ولكن الاشتغال بالدليل بعد الوصول الى المدلول محال
فيحقق لهم ان عيسى بعد التزكية والتحلية صار قابلا للفيض الالهي فكان يخلق ما يخلق ويفعل ما يفعل باذن الله كما ان المرآة المحرقة تحرق بما قبل من فيض
الشمس انه من يشرك بالله ظاهرا فقد حرم الله عليه الجنة ومن يشرك به باطنا حرم عليه القربة على لسان داود وعيسى ابن مريم هذا سر الخلافة فان الانسان الكامل
المستحق للخلافة يقوله بقول الحق وورده رد الحق لا يتناهون عن منكر سمى العصيان منكرا لانه يوجب النكرة كما سمى الطاعة معروفا لانها توجب المعرفة ذلك
بان منهم قسيسين ورهبانا فيه ان تعارف الارواح يوجب ائتلاف الاشباح فالنصارى ببركة علمائهم وعبادهم وصفاء قلوبهم وخضوعهم وتبتلهم قربهم
والمودة من اهل الايمان وعرفوا الحق الذي سمعوه في الازل يوم الميثاق فآمنوا وذلك جزاء المحسنين الذين يعبدون الله وينالهم الله بلوائح المعرفة وطوالع
المحبة فالاحسان ان يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ع
تعبد الله كأنك تراه — ای زمره آنها که گرویده‌اید حرام مسازید پاکیزه‌های آنچه را که حلال کرده خدا برای شما و از حد مگذرید بدرستی که خدا دوست ندارد از حد گذرندگان را
وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم
و بخورید از آنچه روزی کرد شما را خدا حلال و پاکیزه و بپرهیزید خدا را آنکه شما با او ایمان آورده‌اید نمیگیرد شما را خدا بواسطه بیهوده در سوگندهای شما
ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم او كسوتهم
و لکن میگیرد شما را بآنچه بسته باشید سوگندان پس کفاره آن طعام دادن ده نفر بینوایان است از میانه آنچه میخورانید اهل خود را یا پوشش ایشان
او تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا ايمانكم
یا آزاد کردن بنده است پس هر که نیافت پس روزه سه روز است این است کفاره سوگندهای شما چون سوگند یاد کردید و نگاه دارید سوگندهای خود را
كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام
همچنین ظاهر میگرداند خدا از برای شما آیات خود را شاید که شما سپاس کنید ای زمره آنها که گرویده‌اید جز این نیست که شراب و قمار و بتان و تیرهای قمار
رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة
پلیداند از کرده شیطانند پس دور شوید از آن شاید که رستگار شوید جز این نیست که میخواهد شیطان که بیندازد در میان شما دشمنی را
والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل انتم منتهون واطيعوا الله و
و کینه را در خمر و قمار و باز دارد شما را از یادآوری خدا و از نماز پس آیا شما باز ایستادگانید و پیروی کنید خدا را
اطيعوا الرسول واحذروا فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين ليس على الذين آمنوا و
و پیروی کنید پیغمبر را و بپرهیزید پس اگر برگشتید پس بدانید که جز این نیست که بر پیغمبر ما است رسانیدن ظاهر نیست بر آنها که گرویدند و
عملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا
کردند شایسته‌ها باکی در آنچه خوردند چون پرهیزیدند و گرویدند و کردند شایسته‌ها پس پرهیزیدند و گرویدند پس پرهیزیدند
ع واحسنوا والله يحب المحسنين يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم
و خوبی کردند و خدا دوست دارد خوب کاران را ای زمره آنها که گرویده‌اید هر آینه بیازماید شما را خدا بچیزی از شکار که گرفته باشند آن را دستهای شما
ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم يا ايها الذين آمنوا
و نیزه‌های شما تا بداند خدا که کیست که میترسد او را در نهان پس هر که از حد گذشت پس از این پس مر او راست عذاب دردناک ای زمره آنها که گرویده‌اید
لا تقتلوا الصيد وانتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل
مکشید شکار را و شما احرام بسته‌اید و هر که کشت آن را از شما از روی عمد پس جزای او مانند آنست که کشت از چارپایان حکم کنند بآن دو صاحب عدل
منكم هديا بالغ الكعبة او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما ليذوق وبال امره عفا الله
از شما قربانی رسنده بکعبه یا کفاره که طعام دادن چند فقیر است یا عدل آن روزه داشتن تا بچشد وبال امر خود را درگذرد خدا

عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام ۝ احل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم و
از آنچه گذشته و هر که باز گردد پس انتقام کشد خدا از او و خدا غالب صاحب انتقام است حلال شد از برای شما شکار دریا و طعام آن بهره از برای شما و
للسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي اليه تحشرون ۝ جعل الله الكعبة
کاروانان و حرام کرده شد بر شما شکار دشت مادامی که احرام بسته اید و بپرهیزید خدای را که بسوی او گرد آیند قرار داد خدا کعبه را
البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات
که خانه احترام ایستادن مردم را و ماه حرام را و قربان و گردن بندان را این از برای آنست که بدانید که خدا میداند آنچه را که در آسمانهاست
وما في الارض وان الله بكل شيء عليم ۝ اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم
و آنچه در زمین است و آنکه خدا بهر چیزی داناست بدانید که خدا سخت عقوبت است و آنکه خدا آمرزنده مهربانست
ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون ۝ قل لا يستوي الخبيث
نیست بر پیغمبر بجز رسانیدن و خدا میداند آنچه را که ظاهر میسازید و آنچه را که پنهان دارید بگو که یکسان نیست ناپاک
والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا اولي الالباب لعلكم تفلحون ۝ القراءة بما عقدتم بالتخفيف
و پاک و هر چند که بشگفت آرد ترا بسیاری ناپاک پس بپرهیزید خدا را ای صاحبان خرد شاید که شما رستگار شوید

حمزة وعلي وخلف وعاصم سوى حفص والمفضل وقرأ ابن ذكوان عاقدتم بالالف الباقون عقدتم بالتشديد جهنم وصط مثل مبسوطتان فجزاء بالتنوين مثل بالرفع يعقوب وحمزة وعلي وخلف وعاصم عن المفضل كفارة طعام بالاضافة ابو جعفر ونافع وابن عامر الباقون كفارة بالتنوين طعام بالرفع فيما بغير الف ابن عامر الوقوف ولا تعتدوا ط المعتدين ط طيبا كعطف المتفقين مؤمنون الايمان لاختلاف النظم مع اتحاد الكلام وفاء التعقيب بينهما ط ثلثة ايام ط حلفتم للاضمار اي حلفتم وحنثتم ايمانكم ط تشكرون تفلحون وعن الصلوة لابتداء الاستفهام لاجل التخلية مع دخول الفاء فيه منتهون واحذروا ط المبين واحسنوا المحسنين بالغيب اليم وانتم حرم ط بالكعبة منه ط انتقام وللسيارة لطول الكلام وتضاد المعنيين وان اتفقت الجملتان لفظا حرما ط لاطلاق الامر بالابتداء تحشرون والقلائد ط عليم رحيم البلاغ تكتمون كثرة الخبيث لاتفاق الجملتين مع وقوع العارض تفلحون التفسير انه سبحانه بعد استقصاء المناظرة مع اهل الكتاب عاد الى بيان الاحكام فمنها تحليل المطاعم والمشارب واستيفاء اللذات كيلا يتوهم متوهم ان مدح القسيسين والرهبان يوجب بناء طريقهم في هذا الدين قال المفسرون جلس رسول الله يوما فذكر الناس ووصف القيمة ولم يزدهم على التخويف فرق الناس وبكوا فاجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمن بن مظعون منهم ابو بكر وعلي وابن مسعود وابو ذر الغفاري وسلمان الفارسي فاتفقوا على ان يصوموا النهار ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم ولا الودك ولا يقربوا النساء والطيب ويلبسوا المسوح ويرفضوا الدنيا ويسيحوا في الارض ويترهبوا ويجبوا المذاكير فبلغ ذلك رسول الله فقال لهم الم انبأ انكم اتفقتم على كذا وكذا فقالوا يا رسول الله وما اردنا الا الخير فقال اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم من رغب عن سنتي فليس مني ثم جمع الناس وخطبهم فقال ما بال اقوام حرموا النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات الدنيا اما اني لست آمركم ان تكونوا قسيسين ورهبانا فانه ليس في ديني ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة امتي الصوم ورهبانيتهم الجهاد فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وحجوا واعتمروا واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وصوموا رمضان فانما هلك من قبلكم بالتشديد شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم فاولئك بقاياهم في الديار والصوامع فانزل الله هذه الاية فقالوا يا رسول الله فكيف نصنع بايماننا التي حلفنا عليها وكانوا حلفوا على ما اتفقوا عليه فنزلت لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم فهذا وجه اتصال الاية فان قيل ما الحكمة في قوله لا تحرموا ومن المعلوم ان توسع الانسان في اللذات والطيبات يمنعه عن الاستغراق في تحصيل السعادات الباقيات ولهذا قالت الحكماء اذا شبعت الاجسام ضاقت الارواح لجسادها واذا جاعت الاجسام صفت الاجساد وارواحها قلنا ان الرهبانية المفرطة مما توقع الانثلام في الاعضاء الرئيسة التي هي القلب والكبد والدماغ والانثيان فيختل الفكر ويقل التامل في الجواهر الروحانية ومبادئها على ان النفوس القوية لا يمنعها التصرف في الجسمانيات عن التامل في الروحانيات فالرهبانية دليل الضعف والقصور والكمال في الوفاء بالجهتين وكيف لا والرهبانية توجب خراب الدنيا وانقطاع الحرث والنسل وترك الزهد مع رعاية وظائف الطاعة يفضي الى سعادة الدارين قال القفال انه تعالى قال في اول السورة اوفوا بالعقود فبين انه كما لا يجوز تحليل المحرم لا يجوز تحريم المحلل وذلك انهم كانوا يحللون الميتة والدم ويحرمون البحيرة والسائبة ومعنى لا تحرموا لا تعتقدوا تحريم ما احل الله ولا تظهروا باللسان تحريمه ولا تجتنبوها اجتنابا يشبه اجتناب المحرمات فهذه الوجوه محمولة على الاعتقاد والقول والعمل ويحتمل ان يراد لا تحرموا على غيركم بالفتوى ولا تلزموا تحريمها بنذر او يمين كقوله يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك او لا تخلطوا المملوك بالمغصوب والطاهر بالنجس خلطا لا يبقى التمييز فانه تحريم للكل والطيبات المستلذات التي تشتهيها النفوس وتميل اليها القلوب ثم نهى عن الاعتداء مطلقا ليدخل تحته النهي عن الاسراف كقوله كلوا واشربوا ولا تسرفوا وكلوا امر اباحة وتحليل مما رزقكم الله في ادخال من للتبعيض ارشاد الى الاقتصاد والاقتصار في الاكل على البعض وصرف الباقي الى المحتاجين وفيه ان تقوى هو الذي يدعو اليه ويكلف به قال في التفسير الكبير قوله

حلالا طيبا ان كان متعلقا بالاكل كان حجة للمعتزلة على ان الرزق لا يكون الا حلالا لانه يدل على الاذن في اكل كل ما رزق الله تعالى وانما ياذن في اكل الحلال فيلزم ان يكون كل رزق حلالا وان كان متعلقا بالماكول اي كلوا من الرزق الذي يكون حلالا كان حجة لاصحابنا لان التقييد يؤذن بان الرزق قد لا يكون حلالا اقول هذا فرق ضعيف ولهذا قال في الكشاف حلالا حال مما رزقكم الله مع انه من المعتزلة ثم اكد التوصية بقوله واتقوا الله وزاد التاكيد بقوله الذي انتم به مؤمنون لان الايمان به يوجب التقوى في اوامره ونواهيه ثم قال لا يؤاخذكم وقد ذكرنا وجه النظم وتفسير اللغو في سورة البقرة اما قوله بما عقدتم الايمان فمن قراه بالتخفيف فانه صالح للقليل والكثير ولا اشكال ومن قراه بالتشديد فان ابا عبيدة اعترض عليه بان التشديد للتكثير وهذه القراءة توجب سقوط الكفارة عن اليمين الواحدة واجاب الواحدي بان عقد بالتخفيف وعقد بالتشديد واحد في المعنى ولو سلم فالتكثير يحصل بان يعقدها بقلبه ولسانه اما لو عقد اليمين باحدهما دون الاخر فلا كفارة ومن قراه بالالف فمثل القراءة المخففة كقولك عاقبت اللص وعافاه الله والمعنى على القراءات ولكن يؤاخذكم بعقدكم الايمان او بتعقيدها او بمعاقدتها اذا حنثتم فحذف الظرف للعلم ان المراد بكت... بحذف المضاف فكفارته اي الفعلة التي من شانها ان تكفر الخطيئة اي تسترها احد هذه الامور ويسمى بالواجب المخير وحاصله انه لا يجب الاتيان بكل واحد منها ولا يجوز الاخلال بجميعها ولكنه اذا اتى باي واحد شاء منها فانه خرج عن العهدة ومن هنا قال اكثر الفقهاء الواجب واحد لا بعينه من الاطعام والكسوة وتحرير الرقبة فان عجز عنها جميعا فالواجب شيء اخر وهو الصوم اما مقدار الطعام فقد قال الشافعي يعطي كل مسكين مدا وهو قول ابن عباس وزيد بن ثابت وسعيد بن المسيب والحسن والقاسم لانه تعالى قال من اوسط ما تطعمون فان كان المراد ما كان متوسطا في العرف فثلثا من من الحنطة اذا جعل دقيقا وخبز فانه يصير قريبا من من وذلك كاف لواحد في يوم واحد وان كان المراد ما كان متوسطا في الشرع فليس له في الشرع مقدار الا ما جاء في قصة الاعرابي المفطر ان النبي امره باطعام ستين مسكينا من غير مقدار فقال الرجل ما اجد فاتي النبي بعرق فيه خمسة عشر صاعا فقال النبي اطعم هذا وهذا يدل على تقدير طعام المسكين بربع الصاع وهو مد ولا يلزم كفارة الحلق لانها شرعت بلفظ الصدقة مطلقة عن التقدير بطعام الاهل فكان تكفيرها معتبرا بصدقة الفطرة وقد ثبت بالنص تقديرها بالصاع لا بالمد وقال ابو حنيفة الواجب نصف صاع من الحنطة او صاع من غيرها قال لان الاوسط هو الاعدل فما ذكره الشافعي هو ادنى ما يكفي واما الاعدل فيكون بادام وهكذا روي عن ابن عباس مد بادامه والادام ثلث مد فيصير مدا وثلثا اجاب الشافعي ان الادام غير واجب بالاجماع فلم يبق الا حمل اللفظ على التوسط في قدر الطعام ومقداره ما ذكرنا وجنس الطعام المخرج جنس الفطرة ثم قال الشافعي الواجب تمليك الطعام قياسا على الكسوة وقال ابو حنيفة اذا غدى وعشى عشرة مساكين جاز لان ذلك اطعام ولان اطعام الاهل يكون بالتمكين لا بالتمليك وقد قال من اوسط ما تطعمون اهليكم ولقائل ان يقول ذكر اطعام الاهل لتعيين مقدار المطعم لا لاجل كيفية الاطعام وقال ابو حنيفة لو اطعم مسكينا واحدا عشر مرات جاز وقال الشافعي لا يجزي الا اطعام عشرة لان مدار الباب على التعبد الذي لا يعقل معناه فيجب ان يوقف على مورد النص قال في الكشاف او كسوتهم عطف على محل من اوسط ووجهه ان من اوسط بدل هو المقصود فكانه قيل فكفارته من اوسط واقول الاظهر ان يكون من اوسط مفعولا اخر للاطعام سواء كان من للابتداء او للتبعيض ويكون كسوتهم معطوفا على الاطعام والكسوة معناها اللباس وهو كل ما يكتسى به قال الشافعي يجزي في الكفارة اقل ما يقع عليه اسم الكسوة وهو ثوب يغطي العورة ازار او رداء او قميص او سراويل او عمامة او مقنعة لكل مسكين ثوب واحد وعن ابن عباس كانت العباءة تجزي يومئذ وعن مجاهد ثوب جامع وقال الحسن ثوبان ابيضان والمراد بالرقبة الجملة كان الاسير في العرب يجمع يداه الى رقبته فاذا اطلق حل ذلك الحبل فسمي الاطلاق من الحبل فك رقبة ثم اجري ذلك على العتق هكذا قيل في اصل هذا المجاز ومذهب اهل الظاهر ان جميع الرقاب مجزية وقال الشافعي لا يجزي الا كل سليمة من عيب يخل بالعمل صغيرة كانت او كبيرة ذكرا او انثى بعد ان كانت مؤمنة قياسا على كفارة القتل ولم يجوز اعتاق المكاتب ولا نزع الترتيب في تقديم الاطعام على العتق مع ان العتق افضل تنبيه على التخيير وان الامر مبني على التخفيف ويمكن ان يقال الاطعام افضل لان الحر الفقير قد لا يجد الطعام ولا يكون هناك من يعطيه فيقع في الضر اما العبد فيجب على مولاه طعامه وكسوته فالعتق يحتمل التاخير والاطعام قد لا يحتمل ذلك فمن لم يجد احد الامور الثلثة فصيام اي فعليه صيام ثلثة ايام قال الشافعي اذا وجد قوت نفسه وقوت عياله يومه وليلته وعن الفضل ما يطعم عشرة مساكين لزمه الكفارة بالاطعام وان لم يكن عنده ذلك القدر جاز له الصيام وذلك انه علق جواز الصيام على عدم وجدان الخصال الثلث فعند وجدانها وجب ان لا يجوز الصوم تركنا العمل به عند وجدان قوت نفسه وقوت عياله يوما وليلة لان ذلك ضروري وتقديم حق النفس على حق الغير واجب شرعا فبقي الاية معمولا بها في غيره وعند ابي حنيفة يجوز الصيام اذا كان عنده من المال ما لا يجب فيه الزكوة ثم صيام الايام الثلثة مشروط عند ابي حنيفة بالتتابع تمسكا بقراءة ابي وابن مسعود فصيام ثلثة ايام متتابعات فان قراءتهما لا تتخلف عن روايتهما وقال الشافعي في اصح قوليه ان التقييد جاز بالقراءة الشاذة لا تقيد بها الاية لو كانت صحيحة لنقلت نقلا متواترا وقد روي عن النبي ان رجلا قال له علي ايام من رمضان افاقضيها متفرقات فقال له ارايت لو كان عليك دين فقضيت الدرهم فالدرهم اما كان يجزيك قال بلى قال فالله احق ان يعفو ويصفح واذا جاز هذا التفريق في صوم رمضان ففي غيره اولى وسابقة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب مسئلة من صام ستة ايام عن يمينين اجزاه ولا حاجة الى تعيين احد الثلثين لان الواجب عن كل منهما ثلثة ايام وقد اتى بها فخرج عن العهدة ذلك المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم وحنثتم فحذف ذكر الحنث للعلم بان الكفارة لا تجب بمجرد الحلف وللتنبيه على ان الكفارة لا يجوز تعجيلها على اليمين واما بعد اليمين وقبل الحنث فيجوز وبه قال مالك والشافعي واحمد موافقا لما روي ان النبي قال اذا حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا فكفر عن يمينك

لا حلف اليمين كم

ثم اتى بالذي هو خير ولان الكفارة حق مالي يتعلق بسببين فجاز تعجيله بعد وجود احد السببين كتعجيل الزكوة بعد وجود النصاب هذا اذا كان يكفر بغير الصوم اما الصوم فلا يجوز تقديمه لان العبادات البدنية لا تقدم على وقتها اذا لم تمس الحاجة اليها كالصلوة وصوم رمضان ولان الصوم انما يجوز التكفير به عند العجز عن جميع الخصال المالية وانما يتحقق العجز بعد الوجوب ان كان الحنث بارتكاب محظور كان حلف ان لا يشرب الخمر اجزاء التكفير قبل الشرب ايضا لوجود السببين والتكفير لا يتعلق به استباحة ولا تحريم بل المحلوف عليه حرام قبل اليمين وبعدها وقبل التكفير وبعده لا اثر لهما فيه جميع ما ذكرنا ظاهر مذهب الشافعي اما عند ابي حنيفة واصحابه فلا يجوز التكفير قبل الحنث مطلقا واحفظوا ايمانكم فلا تحلفوها ولا تكثروا منها واحفظوها اذا حلفتم عن الحنث وعلى هذا يكون الايمان مختصة بالتي الحنث فيها معصية كمن حلف ان لا يشرب الخمر بخلاف ما لو حلف ليشربن فانه لا يؤمر بالحفظ عن الحنث وقيل احفظوها بان تكفروها او المراد لا تنسوها تهاونا بها كذلك مثل ذلك البيان الشافي يبين لكم اياته احكامه واعلام شريعته لعلكم تشكرون نعمة البيان وتسهيل المخرج من الحرج ثم انه سبحانه استثنى من جملة الامور المستطابة الخمر والميسر وقد تقدم معناهما وما يتعلق بهما في سورة البقرة وسلك في سلك التحريم الانصاب والازلام وقد ذكرناهما في اول هذه السورة واعلم انه كانت حكايات قبل تحريم الخمر اشتكاهما رسول الله ص منها قصة علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه مع عمه حمزة على ما روي في الصحيحين انه قال كانت لي شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر وكان رسول الله ص اعطاني شارفا من الخمس فلما اردت ان ابتني بفاطمة بنت رسول الله ص واعدت رجلا صواغا من بني قينقاع ان يرتحل معي فنأتي باذخر اردت ان ابيعه من الصواغين فاستعين به في وليمة عرسي فبينا انا اجمع لشارفي متاعا من الاقتاب والغرائر والحبال وشارفاي مناختان الى جنب حجرة رجل من الانصار اقبلت فاذا انا بشارفي قد اجتبت اسنمتهما وبقرت خواصرهما واخذ من اكبادهما فلم املك عيني حين رأيت ذلك المنظر قلت من فعل هذا قالوا فعله حمزة بن عبد المطلب وهو في البيت في شرب من الانصار عنده قينة فقالت في غنائها الا يا حمز للشرف النواء وهن معقلات بالفناء ضع السكين في اللبات منها فضرجهن حمزة بالدماء واطعم من شرائحها كبابا ملوحة على وهج الصلاء فانت ابا عمارة المرجى لكشف الضر عنا والبلاء فوثب الى السيف فاجتب اسنمتهما وبقر خواصرهما واخذ من اكبادهما قال علي رضي الله عنه فانطلقت حتى دخلت على النبي ص وعنده زيد بن حارثة فعرف رسول الله ص الذي لقيت فقال ما لك فقلت يا رسول الله ص ما رأيت كاليوم عدا حمزة على ناقتي فاجتب اسنمتهما وبقر خواصرهما وها هو ذا في بيت معه شرب قال فدعا رسول الله ص بردائه ثم انطلق يمشي واتبعته انا وزيد بن حارثة حتى جاء البيت الذي هو فيه فاستأذن فاذن له فاذا هم شرب فطفق رسول الله ص يلوم حمزة فيما فعل فاذا حمزة ثمل محمرة عيناه فنظر الى رسول الله ص ثم صعد النظر فنظر الى وجهه ثم قال هل انتم الا عبيد لابي فعرف رسول الله ص انه ثمل فنكص على عقبيه القهقرى فخرج وخرجنا فكانت هذه القصة من الاسباب الموجبة لنزول تحريم الخمر قال العلماء هذه الاية تدل على تحريمهما من وجوه منها تصدير الجملة بانما الدالة على الحصر معناه ليست الخمر الا الرجس من عمل الشيطان ومنها انه قرنهما بعبادة الاصنام ومنه قوله ص شارب الخمر كعابد الوثن ومنها انه جعلهما رجسا كما قال في موضع اخر فاجتنبوا الرجس من الاوثان واصل الرجس العمل القبيح والقذر قال الفراء ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون اي العقاب والغضب كانه ابدال الرجز والرجس بالفتح الصوت الشديد من الرعد ومن هدير البعير فلهذا سمي العمل القوي القبيح القذر في القبح رجسا ومنها انه جعلهما من عمل الشيطان ومن المعلوم انه لا يصدر منه الا الشر البحت ومنها انه امر بالاجتناب وظاهر الامر للوجوب ومنها انه جعل الاجتناب منه من الفلاح فيكون القرب منها خيبة والضمير في فاجتنبوه عائد الى الرجس او الى العمل او الى المضاف المحذوف اي تعاطي الخمر ونحو ذلك ومنها شرح انواع المفاسد المنتجة منهما من التعادي والتباغض والصد عن ذكر الله وعن الصلوة خصوصا وبيانه ان غرض الشرع من الاجتماع تاكد الالفة والمودة ثم انهما تورث نقيض المقصود لان العقل اذا زال تستولي الشهوة والغضب ويؤدي الى التنازع واللجاج وكذا القمار يفضي الى افناء المال حتى الى ان يقامر على الحبة اهله وولده وكل ذلك يورث لذة الغلبة الحائلة وكلتاهما توجب الاشتغال عن اللذات الحقيقية الحاصلة من الاستغراق في طاعة المعبود وانما افرد ذكر الخمر والميسر ثانيا لان الخطاب مع المؤمنين فقرنهما اولا بذكر الانصاب والازلام تنبيها على انهما جميعا من اعمال الجاهلية واهل الشرك ثم افردهما لان الكلام مسوق لتحريمهما على المخاطبين حيث انهم كانوا لا يتعاطون سوى هذين ومنها سوق الكلام بطريق الاستفهام في قوله فهل انتم منتهون كانه قيل قد تلي عليكم ما هو كاف في باب المنع فهل انتم مع هذه الصوارف منتهون ام انتم على ما كنتم عليه كان لم توعظوا ولهذا قالوا قد انتهينا يا رب ففهموا التحريم المؤكد ومنها انه قال عقيب ذلك واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا والظاهر ان المراد الطاعة فيما تقدم من الامر بالاجتناب والحذر عن المخالفة في ذلك الباب ومنها تهديد من خالف هذا التكليف بقوله فان توليتم الاية والمراد ان اعرضتم فالحجة قد قامت عليكم والرسول قد خرج عن عهدة البلاغ وقد اعذر من انذر وجزاء المخالف الى الله المقتدر عن انس قال كنت ساقي القوم يوم حرمت في بيت ابي طلحة وما شرابهم الا الفضيخ البسر والتمر فاذا مناد ينادي الا ان الخمر قد حرمت قال فجرت في سكك المدينة فقال ابو طلحة اخرج فارقها فقالوا قتل فلان وفلان وهي في بطونهم فانزل الله تعالى ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الطعم خلاف الشرب الاغلب وقد يقع على المشروب كقوله ومن لم يطعمه فانه مني فيجوز ان يكون المراد فيما شربوا من الخمر ويحتمل ان يكون معنى الطعم راجعا الى التلذذ بما يؤكل ويشرب جميعا فقد يقول العرب طعمت ذق ونظير هذه الاية قوله في نسخ القبلة وما كان الله ليضيع ايمانكم والعامل في اذا ما اتقوا معنى الكلام المتقدم اي لا يأثمون في ذلك اذا اتقوا المحرمات لانهم شربوها حين كانت محللة والمراد انهم كانوا على هذه الصفة وهو ثناء عليهم وحمد لاحوالهم في الايمان والتقوى والاحسان وزعم بعض الجهلة ان هذا الحكم متعلق بالمستقبل والا لقيل لم يكن او ما كان جناح مثل وما كان الله ليضيع والمعنى لا جناح على من طعمها اذا لم يحصل معه العداوة

والبغضاء وسائر المفاسد المذكورة بل يحصل معه انواع المصالح من الطاعة والتقوى والاحسان الى الخلق والجواب ان صيغة طعموا وهي للمضي تاباه وايضا ان سبب نزول الاية يكذبه روى ابو بكر الاصم انه لما نزل تحريم الخمر قال ابو بكر يا رسول الله ص كيف باخواننا الذين ماتوا وقد شربوا الخمر واكلوا القمار وكيف بالغائبين عنا في البلاد لا يشعرون بتحريم الخمر وهم يطعمونها فنزلت وعلى هذا فالحل قد ثبت فيما يستقبل كما في حق الغائبين الذين لم يبلغهم [illegible] ثم انه سبحانه شرط في نفي الجناح حصول التقوى والايمان مرتين وفي الثالثة التقوى والاحسان فقال الاكثرون الاول فعل الاتقاء والثاني دوامه والثبات عليه والثالث اتقاء ظلم العباد مع الاحسان اليهم وقيل الاول اتقاء جميع المحرمات قبل نزول الاية والثاني اتقاء الخمر والميسر وما في هذه الاية والثالث اتقاء ما يحدث تحريمه بعد هذه الاية وهذا قول الاصم وقيل اتقوا الكفر ثم الكبائر ثم الصغائر وقال القفال الاول الاتقاء من القدح في صحة النسخ لتبيين تحريم الخمر بعد ان كان مباحا والثاني الاتيان بالعمل المطابق للاية والثالث المداومة على التقوى مع الاحسان الى الخلق ثم انه سبحانه استثنى بعض الصيد من المحللات فقال على سبيل التوكيد القسمي ليبلونكم اي ليعاملنكم معاملة المختبر وتنوين التحقير في بشيء يفيد انه ليس من الفتن العظام التي تدحض عندها الاقدام كالابتلاء ببذل الارواح والاموال وقد امتحن الله امة محمد ص بصيد البر كما امتحن اصحاب ايلة بصيد البحر قال مقاتل بن حيان ابتلاهم بالصيد وهم محرمون عام الحديبية حتى ان الوحش والطير يغشاهم في رحالهم فيقدرون على اخذها بالايدي وصيدها بالرماح وما رأوا مثل ذلك قط فنهاهم الله عن ذلك ابتلاء قال الواحدي الذي تناله ايديهم من الصيد الفراخ والبيض وصغار الوحش والذي تناله الرماح الكبار ومن في من الصيد للبيان او للتبعيض وهو صيد البر او صيد الاحرام والمراد بالعلم العلم لا الحادث بدليل عود الضمير في تناله اليه ليعلم الله ليظهر معلومه وهو خوف الخائف او ليعاملكم معاملة من يطلب ان يعلم او ليعلم اولياء الله ويحمل بالغيب نصب على الحال اي يخافه حال كونه غائبا عن رؤيته او عن حضور الناس فمن اعتدى فصاد بعد ذلك الابتلاء فله عذاب اليم في الاخرة وقيل في الدنيا عن ابن عباس هو ان يضرب بطنه وظهره ضربا وجيعا وينزع ثيابه لا تقتلوا الصيد قال الشافعي انه البري المتوحش المأكول اللحم اما الاول فلقوله تعالى بعد ذلك احل لكم صيد البحر واما المتوحش فليخرج منه نحو الظبي وان صار مستأنسا ويدخل الانسي وان صار متوحشا ابقاء لحكم الاصل واما كونه مأكولا فلقوله تعالى وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما فيعلم منه انه مما يحل اكله في غير الاحرام وقال ابو حنيفة المحرم اذا قتل سبعا لا يؤكل لحمه ضمن وسلم انه لا يجب الضمان في قتل الذئب وفي قتل الفواسق الخمس فقال الشافعي لا معنى في قتلها الا الايذاء فيلزم جواز قتل جميع المؤذيات لاسيما وقد جاء خمس يقتلن في الحل والحرم الغراب والحداة والحية والعقرب والكلب العقور وفي رواية زيادة السبع العادي واحتج لابي حنيفة بقول علي رضي الله عنه صيد الملوك ارانب وثعالب واذا ركبت فصيدي الابطال وصف بان الثعلب عنده صيد وانتم حرم اي محرمون بالحج والعمرة اتفاقا على الاصح وقيل وقد دخلتم الحرم وقيل هما مرادان بالاية وهو قول الشافعي فقوله لا تقتلوا يفيد المنع ابتداء والمنع تسببا فليس له ان يتعرض للصيد ما دام محرما او في الحرم بالسلاح او بالجوارح من الكلاب والطيور سواء كان الصيد صيد الحل او صيد الحرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من قرأ جزاء بالتنوين فمثل بالرفع فالمعنى فعليه جزاء صفته كذا ومن قرأ بالاضافة فهو من باب اضافة المصدر الى المفعول اي فعليه ان يجزي مثل ما قتل قال بعض العلماء المثل مقحم للتاكيد ان الواجب عليه جزاء المقتول لا جزاء مثله فهو كقولهم انا احب مثلك اي احبك وقيل الاضافة بمعنى من اي جزاء من مثل ما قتل قال سعيد بن جبير المحرم اذا قتل الصيد خطأ لا يلزمه شيء وهو قول داود ولان النهي ورد على المتعمد وهو ان يقتله ذاكرا لاحرامه وعالما ان ما يقتله مما يحرم عليه قتله فان قتله وهو ناس لاحرامه او رمى صيدا وهو يظن انه ليس بصيد او رمى غير صيد فعدل السهم فاصاب صيدا فهو مخطئ لا شيء عليه لفقدان القيد المذكور ومما يؤكد هذا الرأي قوله ليذوق وبال امره وقوله ومن عاد اي الى ما تقدم ذكره وهو القتل العمد والانتقام ايضا يناسب العمد لا الخطا وقال جمهور الفقهاء يلزمه الضمان سواء قتل عمدا او خطأ قياسا على سائر محظورات الاحرام كحلق الراس وغيره وكما في ضمان مال المسلم فانه لما ثبت انه لحق المالك لم يختلف ذلك بكونه عمدا او لا وانما ورد تقييد الاية بالتعمد لان العمد اصل والخطأ ملحق به للتغليظ ولما روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر فطعنه برمحه فقتله فقيل له انك قتلت الصيد وانت محرم فنزلت الاية على وفق القصة وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ قال في الضبع كبش اذا قتله المحرم وقالت الصحابة في الظبي شاة اطلقوا الضمان من غير فرق بين العمد والخطأ ثم العلماء اختلفوا في المثل فقال الشافعي ومحمد [illegible] الصيد ضربان منه ما له مثل ومنه ما لا مثل له فيضمن بالقيمة وقال ابو حنيفة وابو يوسف المثل الواجب هو القيمة قياسا على ما لا مثل له حجة الشافعي قوله تعالى من النعم فانه بيان للمثل وكذا قوله هديا بالغ الكعبة وعن النبي ص انه حكم في الضبع بكبش وعن علي وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وابن عباس وابن عمر انهم حكموا في امكنة مختلفة وازمان متعددة في جزاء الصيد بالمثل من النعم فحكموا في النعامة ببدنة وفي حمار الوحش ببقرة وفي الضبع بكبش وفي الغزال بعنز وفي الظبي بشاة وفي الارنب بحمل وفي الوبر بعناق وفي الضب بسخلة وفي اليربوع بجفرة وفي الحمام بشاة ويعني به كل ما عب وهدر كالقمري والدبسي والفاختة والعب شرب الماء مرة والهدير ترجيع صوته وتغريده وفيه دليل على انهم نظروا الى اقرب الاشياء شبها بالصيد من النعم ولو نظروا الى القيمة لاختلفت باختلاف الاسعار والظبي الذكر من هذا الجنس والغزال الانثى والجفرة من اولاد المعز اذا انفصلت عن امها والعناق الانثى من اولاد المعز وايضا المقصود من الضمان جبر الهلاك فكلما كانت المماثلة اتم كان الجبر اكمل مسائل الاولى جماعة محرمون قتلوا صيدا قال الشافعي واحمد واسحق لا يجب عليهم الا جزاء واحد لان مثل الواحد واحد وقال ابو حنيفة ومالك والثوري على كل منهم جزاء واحد كما لو قتل جماعة واحدا يقتص منهم جميعا وكذا لو حلف كل منهم ان لا يقتل صيدا فقتلوا صيدا واحدا لزم كلا منهم كفارة واجيب بان قتل الجماعة بالواحد تعبدي وتعلق الكفارة لتعلق

الابحاث الثانية للشافعي المحرم اذا دل غيره على صيد فقتله لم يضمن لا يجب بالدلالة كفارة القتل ولا الذبح وكما لو دل على مال المسلم وذلك لان الدلالة
ليست بقتل ولا اتلاف ابو حنيفة يضمن لما روى ان عمر وعبد الرحمن بن عوف وابن عباس وجبوا الجزاء على الدال الثالثة الشافعي اذا جرح ظبيا فنقص
من قيمته العشر فعليه عشر قيمة الشاة ارشاد الى ما هو الاسهل لانه قد لا يجد شريكا في ذبح شاة ويتعذر عليه اخراج قسط من الحيوان وقال المزني عليه عشر شاة
وقال داود لا ضمان الا بالقتل لظاهر الاية حيث نيط الجزاء بالقتل فقط الرابعة اذا قتل المحرم صيدا وادى جزاءه ثم قتل صيدا اخر لزمه جزاء اخر خلافا
لداود ونقل عن ابن عباس وشريح تمسك الجمهور ان الحكم يتكرر بتكرر العلة بخلاف ما لو قال لنسائه من دخل منكن الدار فهي طالق فدخلت واحدة مرتين فانه
لا يقع الا طلاق واحد لان تكرر الحكم بتكرر الشرط غير لازم حجة داود ومن عاد فينتقم الله منه فانه جعل جزاء العائد الانتقام لا الكفارة الخامسة
قال الشافعي اذا اصاب صيدا اعور او مكسور اليد او الرجل فداه بمثله والصحيح احب وكذا الكبير لاجل الصغير والذكر يفدى بالذكر والانثى بالانثى والاولى ان
لا يغير تحقيقا للمثلية فالانثى افضل لانها تلد والذكر افضل من حيث ان لحمه اطيب وصورته احسن قوله سبحانه يحكم به ذوا عدل منكم قال ابن عباس اي رجلان
صالحان فقيهان من اهل دينكم ينظران الى اشبه الاشياء به من النعم فيحكمان به ولهذا احتج من نصر قول ابي حنيفة فقال التقويم هو المحتاج الى النظر والا
واما الخلقة والصورة فمشاهدة لا يفتقر الى الاجتهاد ورد بان وجه المشابهة بين النعم والصيد مما يتوقف على الاجتهاد عن قبيصة بن جابر انه اصاب
ظبيا في الاحرام فسأل عمر وكان الى جانبه عبد الرحمن بن عوف فقال له ما ترى قال عليه شاة قال وانا ارى ذلك فاذهب فاهد شاة قال قبيصة
فخرجت الى صاحبي فقلت ان امير المؤمنين لم يدر ما يقول حتى سأل غيره قال فقفا جاءني عمر وعلاني بالدرة وقال اتقتل في الحرم وتسفه الحكم قال الله تعالى يحكم
به ذوا عدل منكم فانا عمر وهذا عبد الرحمن قال الشافعي ما ورد فيه نص فهو متبع كما روي انه قضى في الضبع بكبش وكل ما حكم به عدلان من الصحابة
او التابعين ومن اهل عصر اخر من النعم انه مثل الصيد المقتول يتبع حكمهم ولا حاجة الى تحكيم غيرهم لان تحكيمهم ادنى ونظرهم اعلى وقال مالك يجب
التحكيم فيما حكمت به الصحابة وفيما لم يحكم وهل يجوز ان يكون قاتل الصيد حكما ان كان القتل عمدا عدوانا فلا لانه يورث الفسق والحكم موصوف بالعدالة
وان كان خطأ او كان مضطرا اليه فكذلك عند مالك كما في تقويم المتلفات وجوزه الشافعي لما روي ان بعض الصحابة اوطأ فرسه ضبيا فسأل عمر فقال احكم
فيه فقال انت خير مني واعلم يا امير المؤمنين فقال عمر انما امرتك ان تحكم فيه ولم امرك ان تزكيني فقال الرجل ارى فيه جديا فقال عمر ذلك فيه واتفقوا على انه
يجوز ان يكون من عليه مباشرة كما ان رب المال امين في الزكوة ولو حكم عدلان بان له مثلا واخران بانه لا مثل له فالاخذ بقول الاولين ولو حكم عدلان
بمثل واخران بمثل اخر فاصح الوجهين انه يتخير ولا الزامه بالاخذ بالاغلظ فهل في الاية دلالة على ان العمل بالاجتهاد والقياس جائز واجيب بانه لا نزاع في
الصور الجزئية كالاجتهاد في القبلة وكالعمل بشهادة الشاهدين وتقويم المقومين في قيم المتلفات واروش الجنايات وكعمل العامي بالفتوى وكالعمل بالظن
في مصالح الدنيا انما النزاع في اثبات شرع عام في حق جميع المكلفين باق على وجه الدهر والانصاف انه تجويز الاجتهاد في القبلة وفي تعيين مثل الصيد المقتول
امر كلي بقي وانتصب هديا على انه حال عن جزاء عند من وصفه بمثل لانه تخصص بالصفة او بدل عن محل مثل عند من اضافه او حال عن الضمير فيه ووصفه
ببالغ الكعبة لان اضافته غير حقيقية تقديره بالغا الكعبة والعرب تسمي كل بيت مربع كعبة ولا سيما اذا كان مرتفعا ومعنى بلوغه الكعبة ان يذبح في الحرم
لان الذبح والنحر لا يقعان في نفس الكعبة ولا في غاية القرب منها فان دفع مثل الصيد المقتول الى الفقراء حيا لم يجز قال الشافعي يجب عليه التصدق
به في الحرم ايضا لان نفس الذبح ايلام ولا قربة فيه وانما القربة في التصدق على فقراء الحرم وقال ابو حنيفة له ان يتصدق به حيث شاء والى هنا المراد وصلت الكعبة
فقط فخرج عن نعمته قوله او كفارة عطف على قوله فجزاء وطعام مساكين بيان له ومن اضاف فللبيان ايضا اي كفارة من طعام مساكين مثل خاتم فضة
او عدل ذلك الطعام صياما منصوب على التمييز كقولك لي مثله رجلا وعدل الشيء ما عادله من غير جنسه والعدل بالكسر المثل يقول عندي عدل غلامك اذا كان
غلاما يعدل غلاما فاذا اردت قيمته من غير جنسه فتحت العين ثم مذهب الشافعي انه يصوم لكل مد يوما ومذهب ابي حنيفة انه يصوم لكل نصف صاع يوما وذلك
بحسب الاختلاف في طعام مسكين واحد كما مر في كفارة اليمين وبالجملة فحاصل مذهب ابي حنيفة انه يوجب قيمة الصيد يقوم حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن هدي
تخير بين ان يهدي من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين ان يشتري بقيمته طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وان شاء صام عن طعام كل
مسكين يوما وحاصل مذهب الشافعي ان الصيد ضمان ما له مثل من النعم وما ليس كذلك والاول جزاؤه على التخيير والتعديل فيتخير بين ان يذبح مثله فيتصدق
به على مساكين الحرم اما بان يفرق اللحم او يملك جملته اياهم مذبوحا وبين ان يقوم المثل دراهم ثم لا يجوز ان يتصدق بالدراهم ولكن ان شاء اشترى بها
طعاما ويتصدق به على مساكين الحرم وان شاء صام عن كل مد من الطعام يوما حيث كان والثاني وهو ما ليس بمثلي كالعصافير وغيرها وبالجملة كل
ما دون الحمام او فوقه فيه قيمته ولا يتصدق بها بل يجعلها طعاما ثم ان شاء تصدق بها وان شاء صام عن كل مد يوما فان انكسر مد في القسمين صام
يوما لان الصوم لا يتبعض فللجزاء في القسم الاول ثلثة اركان الحيوان والطعام والصيام وفي القسم الثاني ركنان الطعام والصيام وهي اذا على التخيير
في ظاهر المذهب على الترتيب وافق مالك وابو حنيفة لان او للتخيير غالبا وخالف احمد وزفر فقالا انها في الاية للترتيب لان الواجب هنا شرع على سبيل
التغليظ بدليل قوله ليذوق وبال امره والتخيير ينافي التغليظ ثم القائلون بالتخيير اتفقوا على ان الخيار في تعيين هذه الثلثة الى قاتل الصيد كما هو ظاهر
الاية الا محمد بن الحسن فانه قال الخيار الى الحكمين قياسا على تعيين المثل ثم ان لم يكن الصيد مثليا فالعبرة في القيمة بمحل الاتلاف قياسا على كل متلف متقوم
والمعتبر في الصرف الى الطعام سعر الطعام بمكة وان كان مثليا واراد تقويم مثله من النعم ليرجع الى الاطعام او الصيام فالعبرة في قيمته بمكة يوم الاتلاف

محل الذبح لو كان يذبح ولا جزاء على المحرم باكل الصيد سواء ذبحه بنفسه واصطيد له او بدلالته لانه لا ينتهى ميتة بعد الذبح ولا يؤول الى الثناء فلا يتعلق بالاتلاف
الجزاء كما لو اتلف ميتة مذره هذا في الجديد من قولي الشافعي وفي قوله القديم وبه قال مالك واحمد يلزمه القيمة بعدما اكل واذا ذبح المحرم صيدا لم يحل له الاكل
منه ولا لغيره في الجديد وبه قال مالك واحمد وابو حنيفة لانه يكون ميتة كذبيحة المجوسي حتى لو كان مملوكا وجب مع الجزاء القيمة للمالك وهل يحل له بعد زوال
الاحرام اظهر الوجهين لا وكذا الكلام في صيد الحرم اذا ذبح اما قوله ليذوق فانه يتعلق بقوله فجزاء اي فعليه ان يجازي او يكفر ليذوق ويحتمل ان يقال
يتعلق المحذوف اي شرعنا ما شرعنا ليذوق سوء عاقبة فعله وهو هتك حرمة الحرم والاحرام والتركيب يدل على الثقل من قولهم مرعى وبيل اذا كان فيه وخامة وطعام
وبيل ثقيل على الطبع على المعدة والامور الثلثة اثنان منها نقص في المال فيثقل على الطبع والثالث هو الصوم ثقيل على البدن ايضا وكل منها نوع عقوبة
عفى الله عما سلف في الجاهلية لانهم متعبدون بشرع من قبلهم او عما سلف قبل التحريم في الاسلام وعلى مذهب داود عفى الله عما سلف في المرة الاولى بسبب اداء
الجزاء ومن عاد فانه اعظم من ان يعفى بالجزاء فينتقم الله منه اي فهو ينتقم الله منه والاية لم تحتج الى دخول فاء الجزاء لانه مباشر بنفسه احل لكم صيد البحر اي
مصيداته ويعني بالبحر جميع هذه المياه والانهار وجملة ما يصاد منه ثلثة اجناس الحيتان وجميع انواعها حلال والضفادع وجميع انواعها حرام وفيما سوى
هذين خلاف فقال ابو حنيفة حرام وقال ابن ابي ليلى والاكثرون حلال قوله وطعامه فالعطف يقتضي المغايرة وفيه وجوه يروى عن ابي بكر الصديق ان الصيد
ما صيد بالحيلة حال حياته والطعام ما يوجد مما لفظه البحر او نضب عنه الماء من غير معالجة في اخذه وقال جمع من العلماء الاصطياد قد يكون للاكل وقد يكون لغيره
كاصطياد الصدف لاجل اللؤلؤ واصطياد بعض الحيوانات البحرية لاجل عظامها واسنانها فالمعنى احل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر واحل لكم اكل
الماكول منه وعن سعيد بن جبير ان الصيد هو الطري والطعام هو القديد منه وفي القرآن مما يغني قال الشافعي السمكة الطافية في البحر محللة لانه طعام البحر وقد
قال تعالى احل لكم صيد البحر وطعامه وقال صلى الله عليه وسلم البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته متاعا لكم في الحضر طريا وللسيارة في السفر مالحا وانتصب متاعا على انه مفعول
له ولكنه مختص بالطعام وقال الزجاج انه مصدر مؤكد لان قوله احل لكم في معنى التمتيع وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما قال العلماء صيد البحر هو الذي
لا يعيش الا في الماء اما الذي لا يعيش الا في البر والذي يمكنه ان يعيش في البر تارة وفي البحر اخرى فذلك كله صيد البر فالسلحفاة والسرطان والضفدع وطير الماء
كل ذلك من صيد البر يجب على قاتله الجزاء واتفق المسلمون على ان المحرم يحرم عليه الصيد الذي صاده اما الذي صاده الحلال فعن علي وابن عباس وابن عمر وسعيد بن
جبير وطاوس والثوري واسحق ان الحكم كذلك لاطلاق الاية ولما روي عن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم اهدى اليه حمار وحش وهو محرم فابى ان ياكله وقال مالك
والشافعي واحمد ان لحم الصيد مباح للمحرم بشرطين لا يصطاده المحرم ولا يصطاد له لما روى ابو داود في سننه عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صيد البر لكم
حلال ما لم تصيدوا او يصاد لكم وعن ابي هريرة وعطاء ومجاهد انهم اجازوا للمحرم ما صاده الحلال وان صاده لاجله اذا لم يدل عليه ولم يشر وكذلك ما ذبحه قبل
احرامه وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه لما روي عن ابي قتادة انه اصطاد حمار وحش وهو حلال في اصحاب محرمين له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل اشار اليه احد منكم او اعانه عليه فقالوا لا ...
فقال هل بقي من لحمه شيء قالوا معنا رجله فاخذها النبي صلى الله عليه وسلم فاكلها وهذان القولان مفرعان على تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد وقال في الكشاف اخذ
بالمفهوم فكانه قيل وحرم عليكم ايها المحرمون ما صدتم في البر فيخرج عنه مصيد غيركم ويرد عليه ان المفهوم ليس بحجة ثم حث على الطاعة والاجتناب عن المعاصي
بقوله واتقوا الله الذي اليه تحشرون وهو كلام جامع للوعد والوعيد ثم ذكر سبب حرمة الصيد في الحرم وفي الاحرام فقال جعل الله اي حكم وبين بالخطاب
والتعريف او صير بخلق الدواعي والتعظيم في القلوب قياما للناس وهم العرب وجعل المجاز ان اهل بلدة اذا قالوا الناس فعلوا كذا ارادوا اهل بلدتهم فنطق القرآن
على مجرى عادتهم ووجه القيام ان قوام المعيشة اما بكثرة المنافع وقد جعل يجبى اليه ثمرات كل شيء واما بدفع المضار وقد صيره حرما امنا واما بحصول
الجاه والرياسة وتوفر الدواعي والرغبات وذلك بدعاء ابراهيم فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم ثم المنافع الدينية الحاصلة من مناسكها وشعائرها
اكثر من ان تحصى واظهر من ان تخفى وانتصب البيت الحرام على انه عطف بيان على جهة المدح لا على جهة التوضيح لان الكعبة اوضح من ان توضح ويحتمل ان يراد بالناس عام
الناس لما بين لهم من امر حجهم وعمرتهم وتجاراتهم وانواع منافعهم الدينية والدنيوية وعن عطاء بن ابي رباح لو تركوا عاما واحدا لم ينظروا ولم يؤخروا والشهر
الحرام والهدي والقلائد تقدم في اول السورة وانما كان الشهر الحرام سببا لقيام الناس وقوامهم لانه اذا دخل الشهر الحرام كان يزول خوفهم ويقدرون
على الاسفار وتحصيل الاقوات قدر ما يكفيهم طول السنة فلولا حرمة ذلك لهلكوا من الجوع وايضا هو سبب لاكتساب الثواب من قبل مناسك الحج واما الهدي
فانه نسك للمهدي وقوام لمعاش الفقراء وكذا القلائد فكان من قلد الهدي او قلد نفسه من لحاء شجر الحرم لم يتعرض له احد وكل ذلك لان الله تعالى اودع في قلوبهم
تعظيم الكعبة وما يتعلق بها ذلك الذي ذكر من جعل الكعبة قياما للناس او من حفظ حرمة الاحرام والحرم مشروع لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض
وذلك انه علم في الازل ان مقتضى طباع العرب الحرص على القتل والغارة وكان ذلك مما يفضي الى الفناء وانقطاع النسل فدبر هذا التدبير المحكم والفعل
المتقن كي يصير سببا للامان في بعض الامكنة وفي بعض الازمان فيستقيم مصالح الانسان ولا ريب ان مثل هذا التقدير والتدبير لا يصح الا ممن يعلم الكائنات
واسبابها وغاياتها بل يعلم المعلومات باسرها كلياتها وجزئياتها قديمها وحديثها عللها ومعلولها موجودها ومعدومها ولذلك قوله وان الله بكل شيء
عليم فما احسن هذا الترتيب ثم خوفهم واطمعهم بقوله اعلموا ان الله شديد العقاب لمن انتهك محارمه وان الله غفور رحيم لمن حافظ عليها وذكر
الوصفين في جانب الرحمة دليل على ان جانب الرحمة اغلب كما قال سبقت رحمتي غضبي ثم قرر ان الرسول ما كان مكلفا الا بالتبليغ فاذا بلغ خرج من العهدة
وبقي الامر من جانبكم وانه تعالى يعلم جهركم وسركم ومنه ما روى ابو عبيد مسنده عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل حرم عليكم عبادة الاوثان وشرب الخمر

والطعن في الانساب لا وان الخمر لعن شاربها وعاصرها وساقيها وبايعها واكل ثمنها فقام اليه اعرابي فقال يا رسول الله اني كنت رجلا كانت هذه تجارتي واستفدت
من بيع الخمر مالا فهل ينفعني ذلك المال ان عملت فيه بطاعة الله فقال له النبي ص ان انفقته في حج او جهاد او صدقة لم يعدل عند الله جناح بعوضة ان الله لا يقبل الا
الطيب فانزل الله عز وجل تصديقا لقول رسوله قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث وهو عام في حرام الاموال وحلالها وفاسد الاعمال
وصالحها وسقيم المذاهب وصحيحها وردي النفوس وجيدها واخبث الخبائث الروحانية الجهل والمعصية واطيب الطيبات الروحانية معرفة الله تعالى وطاعته
والبون بين الصنفين في العالم الروحاني ابعد منها بينهما في العالم الجسماني لان اثرهما في عالم الارواح ابقى وادوم واجل واعظم فلا تستبدل الخبيث بالطيب
ولو اعجبك كثرة الخبيث لان كثرته في الحقيقة قلة ولذته في الاخرة ذلة ونقده زيف وصرف العمر في طلبه حيف للتاويل لا تحرموا على انفسكم بالامتناع عن
النفسانية طيبات ما احل الله لكم دون سائر المخلوقات من المواهب الربانية ولا تعتدوا ولا تجاوزوا لهم حد العبودية وكلوا مما رزقكم الله اجتهدوا في
طلب ما خصكم به الله من تجلي جماله وجلاله حلالا لا طيبا يحل منكم برياه من سمات النقائص باللغو في ايمانكم ان تحلفوا بالاثم على المبهم من ولا تتم النفوس
وكلالة القوى واستيلاء النفس وغلبة سلطان الهوى في اثناء المجاهدات واعواز المشاهدات ولكن يؤاخذكم اذا عرضتم على الحرمان وتعرضتم للخذلان
فكفارته اطعام عشرة مساكين الحواس الظاهرة والباطنة من اوسط ما تطعمون اهليكم وهم القلب والسر والروح والخفي طعامهم الشوق والمحبة والصدق
والاخلاص والتفويض والتسليم والرضا والانس والهيبة والشهود والكشوف واوسطها الذكر والتذكر والفكر والتفكر والشوق والتوكل والتعبد والخوف
والرجاء بشغل الحواس العشرة بهذه الامور او يكسوهم لباس التقوى او يحرر رقبة النفس من عبودية الحرص والهوى فمن لم يجد امساك اليوم الماضي عما جرى
عليه في اليوم الحاضر عما لا يعنيه وفي اليوم المستقبل عن العود اليه ومن لغو اليمين عند ارباب اليقين ان الطالب الصادق عند غلبات الشوق ووجدان الذوق
يقسم عليه بجماله وجلاله ان يرزقه شيئا من اقباله ووصاله وذلك في شرع الرضا لغو وفي مذهب التسليم سهو ولكن يرجى له عفو فلا يؤاخذه بما لم يعلم
بضعف حاله والكمال في الثبات والاستقامة اريد وصاله ويريد هجري فاترك ما اريد لما يريد ومن اللغو في اليمين عندهم ما يجري على لسانهم في غلبات الوجد
من يجد بلا تعمد تاكيد العقد كقول بعضهم وحقك ما نظرت الى سواكا بعين مودة حتى اراكا فان هذا ينافي التوحيد واين في الدار ديار كلا بل هو الله
الواحد القهار ليس على الذين امنوا بالتقليد وعملوا الصالحات الاعمال البدنية الشرعية جناح فيما طعموا من المباحات اذا ما اتقوا الشبهة والاسراف وامنوا
بالتحقيق بعد التقليد وعملوا الصالحات الاعمال القلبية الحقيقية من تخلية القلب عما سواه ومن تحليته بالاحوال المضادة لهواه كالصدق والاخلاص والتوكل
والتسليم وما علاه ثم اتقوا شرك الانية وامنوا بهويته ثم اتقوا هذا الشرك وهو الفنا في الفنا واحسنوا وهو البقاء بربنا فانهم حبل الله البلاء لاهل الولا
كاللهب للذهب فقال يا ايها الذين امنوا ايمان المحسنين الذين تجردوا عن ملاذ الدنيا وشهواتها الحلال واحرموا حج الوصول وعمرة الوصال ليبلونكم
الله في اثناء السلوك بشيء من الصيد وهو المطالب النفسانية والمقاصد الدنيوية الدنية تناله ايديكم يعني اللذات البدنية ورماحكم يعني اللذات الخيالية
فله عذاب اليم والعقد لا تقتلوا الصيد وانتم حرم يعني محرمون لزيارة كعبة الوصال بغلبة حسم الاطماع من الحرام والحلال متعمدا اي عالما بما في الالتفات الى
غيره من المضار مثل ما قتل من النعم يجازي نفسه برياضته ومجاهدته بما ماثل المماثلة للذة ذوا عدل هما القلب والروح يحكمان على مقدار الاسلام وعلى حسب
قوة السالك بتقليل الطعام والشراب وبذل المال وبترك الجاه او بالعزلة وضبط الحواس هديا بالغ الكعبة خالصا عن الخلق لاجل الحق طعام
مساكين هم العقل والقلب والسر والروح والخفي كانوا محرومين عن اغذيتهم الروحانية فيطعمهم المعاملات الروحانية من صدق التوجه والصبر على المكاره
والفطام عن المالوفات من الشكر والرضا وغير ذلك او عدل ذلك صياما هو الامساك عن الاغيار والركون الى الواحد القهار ليذوق في النفس الامارة
وبال امره فان كل هذه الامور على خلاف طبعها ذو انتقام ينتقم من احبائه بعقاب البلاء ومن اعدائه بحجاب الملام والملال احل لكم صيد البحر المعاني ولكم
تنتفعون بالواردات يطعمون منها السائرين الى الله من اهل الارادات صيد البر هو المنع للسائرين من مطالب الدنيا ما دمتم حرما اي في حال المحو والصحو
الصحو جعل الله الكعبة الظاهرة قياما للعوام والخواص يستنجحون بها حاجاتهم الدنيوية والاخروية وكعبة القلب قواما للخواص وخواص الخواص يلوذون بها
بدوام الذكر ونفي الخواطر حتى تعلموا ان لا موجود الا هو ولا وجود الا له البيت الحرام حرام ان يسكن في كعبة القلب غيره والشهر الحرام هو ايام الطلب حرام
على الطالب فيها مخالطة الخلق وملاحظة ما سوى الحق والهدي هو النفس البهيمية يساق الى كعبة القلب فلا بد ان كان الشرع يذبح على عتبة القلب
اذا بلغ الطريق بقي عن شهواتها فاذا وصل العبد الى كعبة القلب شاهد بانوار ان الله ما في السموات وما في الارض شديد العقاب يسد الحجاب بغير الحب
غفور رحيم للصادقين في الطلب بفتح الابواب الا البلاغ بالقال يتلوا عليهم اياته وبالحال يزكيهم ما تبدون بنفي الشك وما تكتمون من تصديق الكتاب
الخبيث ما يشغلك عن الله والطيب ما يوصلك الى الله بل الطيب هو الله والخبيث ما سوى الله وفي ذلك كثرة والله اعلم قوله عز وجل

ع يا ايها الذين امنوا لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسئلوا عنها حين ينزل
ای زمره آنان که گرویده اید مپرسید از چیزهائی که اگر ظاهر شوند برشما بد کنند شمارا و بپرسید ازان هنگامی که فرو فرستاده شود
القران تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم قد سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين
قران را آشکارا کنند شمارا درگذشت خدا ازان وخدا آمرزنده بردبارست بدرستی که پرسیدند ازان گروهی پیش از شما پس صبح نمودند که بآن کافران
ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب
قرار نداده است خدا از بحیره ونه سائبه ونه وصیله ونه حامی ولیکن آنها که کافر شدند افترا میبندند بر خدا دروغ را

واكثرهم

واكثرهم لا يعقلون واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا
وبیشتر ایشان درک نکنند وچون گفته شد بایشان که روآرید بسوی آنچه فرستاده خدا وبسوی پیغمبر گفتند که بس است مارا آنچه را که یافتیم
عليه اباءنا اولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم
براو پدران خود را آیا اگر بودند پدران ایشان بیخبران چیزی را ونه راه یافتگان ای زمره آنان که گرویده اید نگاه دارید خودتان را
لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون يا ايها الذين امنوا
ضرر نمیرساند شمارا هرکه گمراه شد اگر شما در راه راست باشید بسوی خداست بازگشت شما همه پس خبر دهد شمارا بآنچه که بودید میکردید ای زمره آنان که گرویدید
شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم او اخران من غيركم ان انتم
گواهی ضرورت در میان شما چون در رسد یکی از شمارا مرگ در هنگام وصیت دو نفر از صاحبان عدل از شما یا دیگران از غیر شما اگر شما
ضربتم في الارض فاصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلوة فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشتري
سیر کردید در زمین پس در رسید شمارا داهیه مرگ بازدارید ایشان را پس از نماز پس سوگند یاد کنند بخدا اگر بشک باشید نخریم
به ثمنا قليلا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الاثمين فان عثر على انهما استحقا
بان بهاء واگرچه باشد صاحب خویشی وپنهان نداریم گواهی خدا را بدرستی که ما آنگاه از گنه کارانیم پس اگر دیده شود که ایشان سزاوار شدند
اثما فاخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا
گناه را پس دو دیگر بایستند در مقام ایشان از آنان که مستحق شد برایشان دو نزدیکتر پس سوگند خورند بخدا که هرآینه گواهی
احق من شهادتهما وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين ذلك ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها او يخافوا
راستتر است از گواهی ایشان وتجاوز نکرده ایم اگر آنگاه هرآینه از ستمکاران بودیم این نزدیکتر است که بیایند بگواهی بر روی آن یا بترسند
ع ان ترد ايمان بعد ايمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين يوم يجمع الله
که رد کنند از پس سوگندهای ایشان وبپرهیزید خدا را وگوش دارید وخدا هدایت نکند گروه فاسقان را در روزیکه گرد آرد خدا
الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر
پیغمبران را پس گوید که چه جواب دادند شمارا گویند که دانشی نیست مارا بدرستی که تو دانای پنهانی چون گفت خدا ای عیسی پسر مریم یاد کن
نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب
نعمت مرا بر تو وبر مادرت چون قوت دادم ترا بروح القدس که گفتگو میکردی با مردم در گهواره ودر موی وچون آموختم ترا کتاب
والحكمة والتورية والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ
وحکمت وتوریة وانجیل را وچون میساختی از گل مانند ترکیب مرغی بفرمان من پس میدمیدی دران پس میگردید مرغی بفرمان من وشفا میدادی
الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني واذ كففت بني اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال
کور مادر زاد وصاحب برص را بفرمان من وچون زنده میکردی مرده را بفرمان من وچون بازداشتم بنی اسرائیل را از تو چون آوردی ایشان را گواهان پس گفتند
الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين واذ اوحيت الى الحواريين ان امنوا بي وبرسولي قالوا امنا
آنها که کافر شدند از ایشان نیست این مگر جادوئی هویدا وچون رسانیدم بسوی حواریین که بگروید بمن وبفرستاده من گفتند گرویدیم
واشهد باننا مسلمون اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء
وگواه باش بآنکه ما تسلیم کنندگانیم چون گفتند حواریون ای عیسی پسر مریم آیا میتواند پروردگار تو که فرو فرستد برما خوان طعامی از آسمان
قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين قالوا نريد ان ناكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا ونكون
گفت که بپرهیزید خدا را اگر هستید مومنان گفتند که میخواهیم که بخوریم ازان ومحکم گردد دلهای ما وبدانیم که تو تصدیق کردی مارا وباشیم
عليها من الشاهدين قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا
بران از گواهان گفت عیسی پسر مریم که خداوندا پروردگارا فرو فرست برما خوانی از آسمان که بوده باشد برای ما عید
لاولنا واخرنا واية منك وارزقنا وانت خير الرازقين قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد
از برای اول ما وآخر ما ونشانی از تو وروزی کن مارا وتوئی بهترین روزی دهندگان گفت خدا که من میفرستم آنرا بر شما پس هرکه کافر شود پس ازان
ع منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين واذ قال الله يا عيسى ابن مريم اانت قلت للناس اتخذوني
از شما پس من عذاب کنم اورا عذابی که عذاب نکرده ام باو احدی را از جهانیان وچون گفت خدا ای عیسی پسر مریم آیا تو گفتی مردم را که بگیرید مرا

وَأُمِّيَ إِلٰهَيْنِ مِن دُونِ اللّٰهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ
و مادر مرا دو خدا از غیر خدای یگانه گفت منزهی تو چه شده بود مرا که بگویم چیزی را که نیست مرا سزاوار اگر من گفته‌ام این را پس بدرستی که میدانی تو آن را میدانی

مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا
آنچه را که در نفس من است و نمیدانم آنچه را که در نفس تست بدرستی که توئی دانای پنهانها نگفتم من با ایشان مگر آنچه فرمودی مرا بآن که پرستید

اللّٰهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ
خدا را که پروردگار من است و پروردگار شماست و بودم بر ایشان گواه مادامی که بودم در ایشان پس چون میراندی مرا بودی تو خود مراقب

عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ
بر ایشان و تو بر هر چیزی گواهی اگر عذاب کنی ایشان را پس ایشان بندگان تو اند و اگر بیامرزی ایشان را پس بدرستی که توئی خود غالب

الْحَكِيمُ قَالَ اللّٰهُ هٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
داور گفت خدا این روزیست که سود بخشد راستگویان را راستی ایشان مر ایشان راست بهشتها که روانست از زیر آن جویها

خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ لِلّٰهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
جاوید اند در آن همیشه خشنود است خدا از ایشان و راضی اند از خدا اینست بهرمندی بزرگ مر خدای راست پادشاهی آسمانها و زمین

وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
و آنچه در آنهاست و او بر هر چیزی توانا

القراءة ينزل من الانزال ابو عمرو وابن كثير وسهل ويعقوب شهادة بالتنوين الله بالمد ... بالاضافة استحق على البناء للفاعل حفص والاعشى في اختياره الباقون على البناء للمفعول الاولين جمع الاول بنقيض الآخر سهل ويعقوب وحمزة وخلف وعاصم غير حفص والاعشى في اختياره الباقون الاوليان تثنية الاولى الاخرى الغيوب بكسر الغين حيث كان حمزة وحماد وابو بكر غير الشموني والبرجمي والخزاعي عن ابن فليح ساحر وكذلك في هود والصف حمزة وعلي وخلف الباقون سحر هل تستطيع بتاء الخطاب ربك بالنصب علي والاعشى في اختياره الباقون بالياء وبالرفع ان ينزل بالتخفيف من الانزال ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بالتشديد منزلها بالتشديد عاصم وابو جعفر ونافع وابن عامر وابو عمرو وحفص لي ان بالفتح ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو الباقون بالسكون يوم ينفع بفتح الميم نافع الباقون بالرفع الوقوف تسؤكم لابتداء شرط آخر مع واو العطف تبد لكم عنها حليم كافرين ولا حام للاستدراك الكذب لا يعقلون آباءنا لا يهتدون انفسكم لاحتمال الاستيناف والحال اي احفظوا انفسكم غير مضرورين اذا اهتديتم تعملون مصيبة الموت قربى لان قوله ولا نكتم من جواب القسم شهادة الله من الآثمين وما اعتدينا لظاهر ان والوصل اجوز لتعلق انا بقوله وما اعتدينا الظالمين ايمانهم لابتداء الامر واسمعوا الفاسقين اجبتم لنا الغيوب في الذي لئلا يوهم انه ظرف لا ذكر بل عامله محذوف التقدير واذكر اذ ايدتك وكهلا والانجيل والابرص باذني الموتى لان اذ يجوز تعلقه بما تعلق به اذ الاول ويمكن تعلق كل واحد بمحذوف آخر لتفصيل النعم سحر مبين لتبديع الجزء وبرسولي لاحتمال ان قالوا مستانفا وعامل فاذ اوحيت مسلمون من السماء الاولى مؤمنين الشاهدين وآية منك لاتفاق الجملتين مع وقوع العارض الرازقين عليكم لابتداء الشرط مع فاء التعقيب العالمين من دون الله ما ليس لي بحق قلته تعلم لان المتكلم لا يقسم بره والقسم لا يجاب بالشرط بل الوقف على بحق علمته نفسك الغيوب وربكم على ان الواو للاستيناف والحال اي وقد كنت فيهم لان عامل لما متاخر وفاء التعقيب حكما عليهم لان الواو لا يحتمل الحال النعيم كل شيء شهيد عبادك لابتداء الشرط مع الواو الحكيم صدقهم لاختلاف الجملتين بلا عطف ابدا عنه العظيم وما فيهن قدير التفسير عن انس انهم سألوا رسول الله ﷺ فاكثروا المسئلة فقام على المنبر فقال سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء ما دمت في مقامي هذا الا حدثتكم به فقام عبد الله بن حذافة السهمي وكان يطعن في نسبه فقال يا نبي الله من ابي فقال ابوك حذافة بن قيس وقال سراقة بن مالك ويروى عكاشة بن محصن يا رسول الله الحج علينا في كل عام فاعرض عنه رسول الله ﷺ حتى اعاد مرتين او ثلثا فقال ويحك وما يؤمنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لتركتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم فاذا امرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وقام آخر فقال يا رسول الله ﷺ اين ابي فقال في النار ولما اشتد غضب رسول الله ﷺ قام عمر فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا فانزل الله هذه الآية وهي عائدة الى قوله ما على الرسول الا البلاغ كانه قال ما آتاكم الرسول فخذوه ولا تخوضوا في غيره فلعله يجيبكم بما يسوء عليكم وايضا كان المشركون يطالبونه بعد ظهور المعجزات بمعجزات اخر كقوله حاكيا عنهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى تمام الآية وكان لبعض المسلمين ايضا ميل الى ظهورها فمنعوا ذلك لان طلب الزيادة بعد ثبوت الرسالة من باب التحكم ولعلها لو ظهرت ثم انكرت استحق العقاب العاجل ويحتمل ان يكون وجه النظم قوله والله يعلم ما تبدون وما تكتمون فاتركوا الامور على ظواهرها ولا تسألوا عن اشياء مخفية ان تبد لكم تسؤكم وللنحويين في منع صرف اشياء وجوه فقال الخليل وسيبويه اصلها شيئاء على وزن حمراء فهو اسم جمع لشيء استثقلوا الهمزتين في آخره فنقلوا الهمزة التي هي لام الفعل الى اول الكلمة فصار وزنه لفعاء وقال الفراء اصلها افعلاء بناء على ان شيئا مخفف شيّء كما يقال هين وقد يجمع فيعل على افعلاء كنبي وانبياء لكنهم استثقلوا اجتماع الياء والهمزتين فحذفوا اللام فبقي اشياء على افعاء وقال الكسائي وزنها افعال ومنع الصرف لشبهها بحمراء ولا يلزم منه منع صرف ابناء واسماء لان ما ثبت على خلاف الدليل لا يلزم اطراده ولكنه يكون مقصورا على المسموع والحاصل ان السؤال عن الاشياء

بيان احكام السؤال

ربما تأدى الى ظهور احوال مكتومة يكره ظهورها فيترتب عليها تكاليف شاقة صعبة ولذلك سئل عن ابيه ... والتأمل ان يوجبه وقد قال ان اعظم المسلمين في المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من اجل مسئلته وكان عبيد بن عمير يقول ان الله احل وحرم فما احل فاحلوه وما حرم فاجتنبوه وترك بين ذلك اشياء لم يحلها ولم يحرمها فذلك عفو من الله ثم قرأ هذه وقال ابو ثعلبة ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها ونهى عن اشياء فلا تنتهكوها وحد حدودا فلا تعتدوها وعفى عن اشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها ثم بين ان المسئلة على السؤال ذكر انه لابد ان يكون لان الوحي غير منقطع فقال وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن اي في زمان الوحي لان الرسول بين اظهركم تبد لكم تلك الامور والتكاليف فالحاصل انهم ان سألوا عنها ابديت لهم وان ابديت لهم ساءتهم فيلزم من المقدمتين انهم ان سألوا عنها ساءتهم وقيل السؤال عن شيء لم يجر ذكره في الكتاب والسنة منهي عنه بقوله لا تسألوا والثاني السؤال عن شيء نزل به القرآن لكن السامع لم يفهمه كما ينبغي وهذا السؤال غير مذموم فاشار الى هذا القسم بقوله وان تسألوا رفعا للحرج ويتبين لهذا القسم من الاول وانما حسن عود الضمير في عنها الى الاشياء وان كانا في الحقيقة نوعين مختلفين لان كلا منهما مسئول عنه في الجملة وقيل المعنى وان تسألوا عن تلك السؤالات هل هي جائزة ام لا تبد لكم والمراد ان يطلب الرخصة في السؤال ولا اثم فيه عفى الله عنها اي عما سلف من مسئلتكم واغضابكم للرسول فلا تعودوا اليها او المراد بالعفو انه تعالى ما اظهر عند تلك المسائل ما يشق عليهم من التكاليف وقيل ان الجملة صفة اخرى للاشياء كان الجملة الشرطية والمعطوف عليها صفة لها والمعنى لا تسألوا عن اشياء امسك الله عنها وكف عن ذكرها كما جاء في الحديث عفوت عن صدقة الخيل والرقيق اي عنكم باسقاطها قد سألها يعني المسئلة التي دل عليها لا تسألوا قوم من قبلكم سأل الناقة قوم صالح فعقروها وسأل الرؤية قوم موسى فصارت وبالا عليهم وسأل المائدة قوم عيسى فكفروا بها ويحتمل ان يعود الضمير في سألها الى الاشياء وكانت امة محمد سألوا عن احوال الاشياء والمتقدمون سألوا انفس الاشياء كالناقة والمائدة والرؤية فلما اختلفت الاسولة اختلفت العبارة الا ان كل واحد من القسمين شر كان في ضمنه خوض في الفضول والشروع فيما لا يعني فتوجه الذم عليهما جميعا ولما منعهم عن امور تكلفوا البحث عنها ذم قوما تكلفوا التزام امور لم يؤمروا بها ومعنى ما جعل ما حكم بذلك ولا شرع والبحيرة فعيلة من البحر الشق بحرها فهو اذا شقها وهي بمعنى المفعول قال ابو عبيدة والزجاج كان اهل الجاهلية اذا نتجت الناقة خمسة ابطن وكان آخرها ذكرا شقوا اذن الناقة ومنعوا ركوبها وسيبوها لآلهتهم ولا يجز وبرها ولا تطرد عن ماء ولا ترعى عن مرعى ولا ينتفع بها حتى لو لقيها المعيي لم يركبها تحرجا واما السائبة فانها فاعلة من ساب اذا جرى على وجه الارض يقال ساب الماء وسابت الحية فالسائبة هي التي تركت حتى تسيب الى حيث شاءت قال ابو عبيدة كان الرجل اذا مرض او قدم من سفر او نذر نذرا او شكر نعمة سيب بعيرا فكان بمنزلة البحيرة في احكامها وقيل هي ام البحيرة كانت الناقة اذا ولدت عشر بطون كلهن اناث سيبت فلم تركب ولم يشرب لبنها الا ولدها او الضيف حتى تموت فاذا ماتت اكلها الرجال والنساء جميعا وبحرت اذن بنتها الاخيرة وكانت بمنزلة امها في انها سائبة وقال ابن عباس السائبة هي التي تسيب للاصنام اي تعتق لها وكان الرجل يسيب من ماله ما يشاء فيجيء به الى السدنة وهم خدمة آلهتهم فيطعمون من لبنها ابناء السبيل وقيل هي العبيد يعتق على ان لا يكون عليه ولاء ولا ميراث واما الوصيلة فاذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم فان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم فالوصيلة بمعنى الموصولة كانها وصلت غيرها او بمعنى الواصلة لانها وصلت اخاها واما الحام فيقال حماه يحميه اذا حفظه قال ابن عباس هو الفحل اذا ضرب في الابل عشر سنين فيخلى وقيل ان الفحل اذا ركب ولد ولده قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى الى ان يموت فان قيل اذا جاز اعتاق العبيد والاماء فلم لا يجوز اعتاق البهائم من الذبح والايلام فالجواب ان الانسان خلق لعبادة الله فاذا ازيل الرق عنه كان ذلك معينا له على ما خلق لاجله اما البهائم من الحيوانات فانما خلقت لمنافع المكلفين فتركها يقتضي تفويت كالها عليها وايضا الانسان اذا اعتق قدر على تحصيل المنافع ودفع المضار بخلاف البهائم فانها عاجزة عن جذب الملائم ودفع المنافي في الاغلب فاعتاقها يفضي الى ضياعها فظهر الفرق ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب قال ابن عباس يريد عمرو بن لحي واصحابه كان قد ملك مكة وكان اول من غير دين اسمعيل فاتخذ الاصنام ونصب الاوثان وشرع البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وقال رسول الله ﷺ في حقه لقد رأيته في النار يؤذي اهل النار بريح قصبه ويروى يجر قصبه الا ان هذا حال رؤسائهم واكثرهم لا يعقلون يعني العوام والاتباع ثم رد على اهل التقليد بقوله واذا قيل لهم الآية وقد مر تفسير مثله في سورة البقرة نفي العقل عنهم هناك والعلم ههنا مع نفي الاهتداء في الموضعين ففيه دليل على ان الاهتداء لا يحصل الا بالعاقل العالم المهتدي لا يبنى قوله على الحجة والدليل لا على التقليد والاستدلال قال اهل البرهان العلم ابلغ درجة من العقل لهذا يوصف الله تعالى بالعلم ولا يوصف بالعقل وكان دعواهم ههنا ابلغ لقولهم حسبنا ما وجدنا فناسب ان ينفي عنهم العلم الذي هو ابلغ ثم ذكر ان هؤلاء الجهال مع ما تقدم من انواع المبالغة في الاعذار والانذار والترغيب والترهيب لم ينتفعوا بشيء منه بل اصروا على جهالتهم وضلالتهم فلا تبالوا بهم ايها المؤمنون فان جهلهم لا يضركم اذا كنتم منقادين لتكاليف الله مطيعين لاوامره ونواهيه يقول العرب عليك زيدا وعندك عمرا يعدونهما الى المفعول كانه قيل خذ زيدا فقد علاك اي اشرف عليك وعندك عمرو فخذه وليس المراد في عليك انه حرف جر مع مجروره متعلق بمحذوف بل الجار والمجرور معا منقول الى معنى الفعل نقل الاعلام ولهذا سمي اسم فعل فان قيل ظاهر الآية يوهم ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس بواجب فالجواب المنع فان الآية لا تدل الا على ان المطيع لا يؤاخذ بذنب العاصي ولهذا خطب ابو بكر فقال انكم تقرأون هذه الآية وتضعونها في غير موضعها واني سمعت رسول الله ﷺ يقول اذا رأوا المنكر فلم يغيروه يوشك ان يعمهم الله بعقاب وعن عبد الله بن المبارك ان هذه الآية آكد آية في وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لان معنى عليكم انفسكم احفظوها والزموا صلاحها بان يعظ بعضكم بعضا ويرغبه في الخيرات وينفره عن

العباب والشبان لا يضركم ضلال من ضل اذا اهتديتم فامرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر فانكم خرجتم عن عهدة تكليفكم كما قال لرسول الله فقاتل في سبيل الله
لا تكلف الا نفسك وقيل ان الاية مخصوصة بما اذا خاف الانسان عند الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على نفسه او عرضه او ماله وكان ابن شبرمة يقول من فر من اثنين
فقد فر ومن فر من ثلثة فلم يفر وقيل انها مختصة بالكفار الذين علم انه لا ينفعهم الوعظ يؤكده ما روي في سبب النزول عن ابن عباس ان رسول الله لما اخذ من مجوس هجر الجزية
قال منافقوا العرب عجبا من محمد يزعم ان الله بعثه ليقاتل الناس كافة حتى يسلموا ولا يقبل الجزية الا من اهل الكتاب فلا نراه الا قد قبل من مشركي اهل هجر
ما رد على مشركي العرب فانزل الله تعالى الاية اي لا يضركم ملامة اللائمين اذا كنتم على الهدى والحق وقيل كان المؤمنون تذهب انفسهم حسرة على اهل العناد من
الكفرة فنزلت تسلية لهم كما قال لنبيه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وعن ابن مسعود ان الاية قرئت عنده فقال ان هذا في اخر الزمان ومثله ما روي عن ابي ثعلبة
الخشني انه سئل عن ذلك فقال للسائل سألت عنها خبيرا سألت رسول الله عنها فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا
ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك ودع امر العوام وان من ورائكم اياما الصبر فيهن كقبض على الجمر للعامل منهم مثل اجر خمسين رجلا يعملون
مثل عمله وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت اباك ولاموه فنزلت ثم انه سبحانه لما امر بحفظ النفس في قوله عليكم انفسكم امر بحفظ المال عن ابن عباس
ان تميما الداري واخاه عديا كانا نصرانيين خرجا الى الشام ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما مهاجرا خرجوا للتجارة فلما قدموا الشام مرض بديل
فكتب كتابا فيه نسخة جميع ما معه اخفاه بين الامتعة ولم يخبر صاحبيه بذلك ثم اوصى لهما وامرهما ان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشا متاعه فاخذا اناء
من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب ودفعا باقي المتاع الى اهله لما قدما فاصاب اهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فرفعوا الى النبي
فنزلت ومعنى شهادة بينكم شهادة ما بينكم اي من التنازع والتشاجر وانما اضيف الشهادة الى التنازع لان الشهود انما يحتاج اليهم عند التنازع واذا حضر
ظرف للشهادة وحين الوصية بدل منه وفي هذا دليل ان الوصية مما لا ينبغي ان يتهاون بها المسلم عند ظهور امارات الموت فكان وقتهما واحدا وهما امثلاة ما
وارتفع اثنان على انه قام مقام الخبر اي شهادة بينكم شهادة اثنين او على انه فاعل فعل محذوف والتقدير شهادة ما بينكم ان يشهد اثنان وفي قوله منكم
ومن غيركم قولان عن الحسن والزهري وعليه جمهور الفقهاء ان منكم اي من اقاربكم ومن غيركم اي من الاجانب والمعنى ان وقع الموت في السفر ولم يكن معكم من
اقاربكم فاستشهدوا على الوصية اجنبيين وجعل الاقارب اولى لانهم اعلم بحال الميت وارأف به وعن ابن عباس وابي موسى الاشعري وسعيد بن المسيب وسعيد بن
جبير وشريح ومجاهد وابن جريج وابن سيرين ان منكم اي من اهل ملتكم ومن غيركم اي من كافر كان يهوديا او نصرانيا او مجوسيا او عابد وثن قال الشافعي
مرض رجل من المسلمين في الغربة فلم يجد احدا من المسلمين يشهد على وصيته فاشهد رجلين من اهل الكتاب فقدما الكوفة واتيا ابا موسى الاشعري وكان واليا
عليها فاخبراه بالواقعة فقال ابو موسى هذا امر لم يقع بعد النبي فحلفهما في مسجد رسول الله بعد العصر بالله العظيم انهما ما كذبا وما بدلا واجاز شهادتهما
والذاهبون الى هذا القول احتجوا بان الخطاب في منكم لجميع المؤمنين فيلزم ان يكون غيرهم كافرين وبان هذين الشاهدين لو كانا مسلمين لم يكن الاستشهاد
بهما مشروطا بالسفر لجوازه في الحضر ايضا بالاتفاق وبانه تعالى اوجب الحلف عليهما والشاهد المسلم لا يجب تحليفه البتة وبان الشاهدين في سبب النزول كانا
نصرانيين وبان ابا موسى قضى بذلك ولم ينكر عليه احد من الصحابة وبان الضرورات تبيح المحظورات كالتيمم والافطار واكل الميتة والمسلم اذا قرب اجله ولم يجد
مسلما ولا تقبل شهادة الكفار يضاع اكثر مهماته فقد يكون عليه زكوات وكفارات وديون وعليه ودائع وله مصالح ولمثل هذه الضرورة جوزنا شهادة النساء
فيما يتعلق باحوال النساء كالحيض والحبل والولادة وللاولين ان يجيبوا بان حذف المضاف غير عزيز وبان ذكر السفر ليس لاجل اشتراطه في قبول الشهادة
ولكن لاجل ان الغالب في السفر فقدان الاقارب ووجود الاجانب وبان التحليف مشروط بالريبة وقد روي عن علي كرم الله وجهه انه كان يحلف الشاهد
الشاهد والراوي اذا اتهمهما وبان سبب النزول لا يلزم ان ينطبق على الحكم حذو القذة بالقذة وبان قضية ابي موسى خبر الواحد وبان الضرورة كانت في اول
الاسلام لقلة المسلمين وتعذرهم في السفر غالبا وهذا يصلح ان يكون مؤكدا لهذه الاية وان لم يجز ان يكون ناسخا لها عند من يرى ان المائدة من اخر القرآن نزولا
قوله تعالى واشهدوا ذوي عدل منكم وليس المراد من العدالة الاحتراز عن الكذب في النطق فقط بل في الدين والاعتقاد ولا كذب اعظم من الفرية على الله
وعلى رسوله وانما تقبل شهادة اهل البدع والاهواء من هذه الامة احتشاما لكلمة الاسلام وموقع تحبسونهما مراى توقفونهما وتصبرونهما استيناف
كانه قيل كيف نعمل ان ارتبنا فقيل تحبسونهما من بعد الصلوة قال ابن عباس من بعد صلوة دينهما قال عامة المفسرين من بعد صلوة العصر لان هذا
الوقت كان معروفا عندهم بالتحليف بعده ولفعل رسول الله حين غلظ بعدي وتميم فاستحلفهما عند المنبر بعد صلوة العصر ولان جميع اهل الاديان
يعظمون هذا الوقت ويذكرون الله تعالى فيه ويحترزون عن الحلف الكاذب واهل الكتاب يصلون لطلوع الشمس وغروبها وقال الحسن المراد بعد الظهر او
بعد العصر لان اهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما وقيل بعد اي صلوة كانت لان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر قال الشافعي الايمان تغلظ
في الدماء والطلاق والعتاق والمال اذا بلغ مائتي درهم بالزمان والمكان فيحلف بعد العصر بمكة بين الركن والمقام وبالمدينة عند المنبر وفي بيت
المقدس عند الصخرة وفي سائر البلدان في اشرف المساجد وقد تغلظ بالتكرير والتعدد كما في القسامة واللعان او بزيادة الاسماء والصفات
وقال ابو حنيفة يحلف من غير التغليظ بزمان او مكان ولا يخفى ان قول الشافعي اوفق للاية والمقسم عليه قوله لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى
ان ارتبتم اعتراض والضمير في به للقسم وفي كان للمقسم له يعني لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضا من الدنيا ولو كان من نقسم له قريبا منا اراد وان فرضنا
غاية في صلفهما فانهم ابدا كقوله شهداء لله ولو على انفسكم وخص ذا القربى بالذكر لان الميل اليهم اتم والمداهنة بينهم اكمل ولا نكتم شهادة الله

الله امر بحفظها وتعظيمها واذا اتهما انا اذا لمن الاثمين اي اذا كتمنا هلكنا من الاثمين ونقل عن الشعبي انه وقف على قوله عز وجل شهادة ثم ابتدأ
الله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروي عنه بغير مد على ما ذكره سيبويه ان منهم من يقول الله لقد كان كذا والمعنى بالله
فان عثر قال الليث عثر الرجل يعثر عثورا اذا هجم على امر لم يهجم عليه غيره وقرب منه العثار لان العاثر انما يعثر بشيء كان لا يراه والمعنى فان حصل
الاطلاع على انهما استحقا اثما وهو كنايتهما عن الخيانة والحنث في الحلف فاخران خبر مبتدأ محذوف او فاعل فعل محذوف وصفته مبتدأ محذوف اي
اي فالشاهدان اخران او فليشهد اخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم قال في الكشاف اي الاثم ومعناه من الذين جني عليهم
وهم اهل الميت وعشيرته وفي التفسير الكبير اي المال وانما وصفوا الى الميت بذلك لانه اخذ مالهم وكل من اخذ ماله غيره فقد حاول ذلك الغير ان يكون
تعلقه بذلك المال مستعليا على تعلق مالكه به فصح ان يوصف المالك بانه قد استحق عليه ذلك المال الاوليان على انهما خبر مبتدأ محذوف
كانه قيل ومن الاخران فقيل هما الاوليان ويجوز ان يكون بدلا من الضمير في يقومان او من اخران ويجوز ان يرتفع باستحق اي من الذين استحق عليهم
انتداب الاوليين منهم للشهادة لاطلاعهم على حقيقة الحال قال في الكشاف والمعنى الاوليان الاقربان الى الميت والاوليان الاحقان بالشهادة
لقرابتهما ومعرفتهما او الاحقان باليمين اما على تقدير انه وذلك عند الشافعي وكل من يرى رد اليمين على المدعي واما الانقلاب القضية عند من لا
يرى ذلك كابي حنيفة واصحابه فان من ادعى لاخر يدين ثم ادعى انه قضاه حكم برد اليمين الى الذي ادعى الدين اولا لانه صار مدعى عليه انه قد استوفاه وفي هذا
القضية ادعى الوصيان ان الميت باع منهما الاناء والورثة انكروا فكان اليمين حقا لهم ومن قرأ الاولين على الجمع فعلى انه نعت للذين استحق عليهم او
او منصوب على المدح ومعنى الاولية التقدم على الاجانب في الشهادة او التقدم في الذكر في قوله يا ايها الذين امنوا وكذلك اثنان ذوا عدل منكم
ذكرا قبل قوله او اخران من غيركم ومن قرأ استحق على البناء للفاعل عليهم الاوليان فقد قال في الكشاف معناه من الورثة الذين استحق عليهم الاوليان من
بينهم بالشهادة ان يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين وفي التفسير الكبير ان الوصيين اللذين ظهرت خيانتهما هما اولى
من غيرهما لسبب ان الميت عينهما للوصية ولما خانا في مال الوصية صح ان يقال ان الورثة قد استحق عليهم الاوليان روي انه لما نزلت الاية الاولى صلى
رسول الله صلوة العصر ودعا بعدي وتميم فاستحلفهما عند المنبر بالله الذي لا اله الا هو انهم لم يوجد منا خيانة في هذا المال فخلى رسول الله
سبيلهما وكتما الاناء مدة ثم باعوه فوجد بمكة وقيل لما طالت المدة اظهروه فبلغ ذلك ورثته فطلبوه منهما فقالا انا كنا قد اشتريناه فقالوا
الم نقل هل باع صاحبنا شيئا فقلتم لا قالا لم يكن عندنا بينة فكرهنا ان نقر وكتمنا فرفعوا القصة الى رسول الله فانزل الله فان عثر الاية فقام
عمرو بن العاص والمطلب بن وداعة فحلفا بالله بعد العصر لشهادتنا احق من شهادتهما وما اعتدينا في طلب هذا المال وفي نسبتهما الى الكذب والخيانة
فدفع رسول الله الاناء اليهما والى اولياء الميت وكان تميم الداري يقول بعدما اسلم صدق الله وصدق رسوله انا اخذت الاناء فاتوب الى الله تعالى وعن ابن عباس
انه بقيت تلك الواقعة مخفية الى ان اسلم تميم الداري فقال حلفت كاذبا وقد بعت الاناء انا وصاحبي بالف فقسمنا الثمن ثم دفع خمسمائة من نفسه ونزع من صاحبه
خمسمائة اخرى ودفع الالف الى اولياء الميت ذلك الحكم الذي شرعناه والطريق الذي نهجناه اقرب الى ان ياتوا بالشهادة على وجهها اي كما هو في الواقع
او يخافوا ان ترد في مثل هذه القضية ايمان على الورثة بعد ايمانهم وهذا تفسير من يرى رد اليمين واما من لا يرى ذلك فالمعنى عنده ان تكرر ايمان شهود
اخرين لانقلاب المدعى عليه مدعيا وعلى التقديرين يظهر كذبهم والحاصل ان هذا الحكم يصير باعثا للشهود على اداء الشهادة للداعي او الصادق واتقوا
الله في الايمان واسمعوا مواعظه سماع قبول والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن مناهج شرايعه واحكامه وفيه من الوعيد ما فيه قال
المفسرون هذه الاية في غاية الصعوبة اعرابا ونظما وحكما وروى الواحدي في البسيط عن عمر بن الخطاب ان هذه الاية اعضل ما في هذه السورة من
الاحكام ولهذا ذهب اكثر الفقهاء الى ان حكم هذه الاية منسوخ ثم انه سبحانه ختم الاحكام بوصف احوال القيمة وذكر بعض ما يجري هنالك
من الخطاب والعتاب جريا على عادته في هذا الكتاب من خلط التكاليف بالالهيات والنبوات واحوال المعاد فقال يوم يجمع الله الرسل فقال الزجاج
تقديره واتقوا الله يوم كذا لا على انه ظرف لانهم غير مامورين بالتقوى في ذلك اليوم ولكن على انه بدل الاشتمال من اسم الله ويجوز ان يكون ظرفا
لقوله لا يهدي اي لا يهديهم … الجنة يومئذ او منصوبا باضمار اذكر او ظرفا لما يجيء بعده وهو قال وعلى هذين الوجهين تكون الاية منقطعة عما قبلها
وماذا منصوب باجبتم … انتصاب المصدر على معنى اي اجابة اجبتم ولو اريد الجواب لقيل بماذا اجبتم وفائدة السؤال توبيخ قومهم كما كان سؤال
الموؤدة توبيخا للوائدين ثم ظاهر قوله لا علم لنا يدل على ان الانبياء لا يشهدون لاممهم فالجمع بين هذا وبين قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
مشكل فقال جمع من المفسرين ان للقيمة زلازل واهوالا تزيل العقول فالانبياء عند ذلك ينسون اكثر الامور فهنالك يقولون لا علم لنا ثم اذا عادت
اليهم عقولهم شهدوا للامم ولا يرد عليه قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر الا ان اولياء الله لا خوف عليهم لان مواقف القيمة مختلفة ولان عدم
الخوف في العاقبة لا ينافي الحيرة والدهشة اولا وقال اخرون المراد منه المبالغة في توبيخ الكفرة فان ذلك هو المقصود من السؤال كما يقول الواحد لغيره ما تقول
في فلان فيقول انت اعلم به مني فكانك قلت لا يحتاج فيه الى الشهادة لظهوره وفيه مع التوبيخ اظهار التشكي الى الله من الانبياء ممن كذبوهم وعادوهم وقال ابن
عباس نفوا العلم عن انفسهم عند علام الغيوب لعلمهم ان علمهم هنالك لا علم وقيل المراد نفي العلم بخاتمة احوالهم وما كان منهم بعد وفاتهم وانما
الامور بخواتيمها وقال في التفسير الكبير ان الذي عرفوه منهم في الدنيا كان مبنيا على ظاهر احوالهم كما قال نحن نحكم بالظاهر وكان ظنا غالبا والاحكام

فى الاخرة مبنية على حقايق الامور وبواطنها فلهذا نفوا العلم لان الظن لا عبرة به فى القيمة مع ان السكوت وتفويض الامر الى الاعلم الاعدل اقرب الى
الادب وقرئ علام الغيوب بالنصب على ان الكلام قد تم عند قوله انك اى انك الموصوف بالجلال والكبرياء ثم نصب علام الغيوب على الاختصاص او على
النداء ثم عدد انواع نعمه على عيسى واحدة فواحدة تنبيها على انه عبد ليس باله وتوبيخا للكفرة من الامم واولى الامم بذلك النصارى الطاغون
فى ذات الله سبحانه باتخاذ الصاحبة والولد وموضع اذ قال رفع بالابتداء على معنى ذاك اذ قال الله او نصب باضمار اذكر او هو بدل من يوم يجمع وانما ذكر
القول بلفظ الماضى دلالة على قرب القيمة حتى كانها قد قامت ووقعت كما يقال الجيش قد اتى اذا قرب اتيانهم او ورد على الحكاية كقول الرجل لصاحبه
كانك بنا وقد دخلنا بلدة كذا فصنعنا كذا ومحل يا عيسى مضموم على انه منادى مفرد معرفة او مفتوح لانه وصف بابن مضافا الى علم وهو المختار للتخفيف
وكثرة الاستعمال نعمتى عليك وحد والمراد الجمع وحدت لانه مضاف يصلح للجنس اعنى قال على والدتك لان النعمة على الولد نعمة على ابويه ولان مكارم الاخلاق
دليل على الاعراق اذ ايدتك بدل او معنى اى قويتك بروح القدس اى بجبرئيل والقدس هو الله كانه اضافه الى نفسه تعظيما له او بالروح الطاهرة المقدسة
وقد تقدم فى البقرة تكلم الناس حال كانه قال ماضيا فى المهد وكهلا حال ثابتين حالتين من غير تفاوت واذ علمتك الكتاب الخط او جنس الكتب والحكمة
النظرية والعملية والتورية والانجيل يعنى الاحاطة بالاسرار الالهية بعد العلوم المتداولة فتنفخ فيها الضمير للكاف لا للهيئة المضاف اليها لانها ليست
من خلقه ولا نفخه فى شئ وكذا الضمير فى فيكون والكاف مونث بحسب المعنى لدلالتها على الهيئة التى هى كهيئة الطير ومذكر فى الظاهر فلهذا عاد الضمير اليه مذكرا
تارة كما فى آل عمران ومونثا اخرى كما فى هذه السورة وكرر باذنى اى بتسهيلى ليعلم ان الكل باقدار الله تعالى وتمكينه واظهاره الخوارق على يديه والا فهو
عبد كسائر عبيده واذ كففت يروى انه لما اظهر هذه المعجزات العجيبة قصد اليهود قتله فخلصه الله تعالى برفعه الى السماء ان هذا الا سحر مبين من قرا بغير الف
اشار الى ما جاء به او الى انه ذو سحر فاطلق عليه الحدث مبالغة ومن قرا بالالف اشار الى الرجل واللام فى لبينات يحتمل ان يكون للجنس ويحتمل ان يراد بها
المعجزات المذكورة وذكر قول الكفار فى حقه ان هذا الا سحر مبين يحتمل ان يكون من تمام القصة استطرادا ويمكن ان يراد بذلك تعداد النعم ايضا لان كل
ذى نعمة محسود وطعن الكفار فيه يدل على علو شانه وسمو مكانه واذ انك مددتنى من ناقض فهى الشهادة لى باتى كاطل ولا ابتهاجه بهذه النعم الجسام والمنن
العظام كان يلبس الشعر وياكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد يقول مع كل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت اينما امسى بات واذ اوحيت الى الحواريين انكان الى
انبياء فظاهر والا فالوحى بمعنى الالهام كقوله واوحى ربك الى النحل واوحينا الى ام موسى وهذا ايضا من جملة النعم لان كون الانسان مقبول القول
عند الناس محبوبا فى قلوبهم من اعظم نعم الله تعالى وقدم الايمان على الاسلام ليعلم انهم امنوا بقلوبهم وانقادوا بظواهرهم هل يستطيع ربك من قرا بالياء
وبالنصب فقط والمراد هل تستطيع سؤال ربك اى هل تسئله ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله ومن قرا بالياء وبالرفع فمشكل لانه تعالى حكى عنهم انهم قالوا امنا
فكيف يتصور مع الايمان شك فى اقتدار الله تعالى واجيب بوجوه منها ان حكاية الايمان عنهم لا يوجب كمالهم واخلاصهم فى ذلك ولهذا قال لهم عيسى اتقوا الله
ان كنتم مومنين ومنها انهم طلبوا مزيد الايقان والطمانينة ولهذا قالوا وتطمئن قلوبنا ومنها انهم ارادوا هل هو جائز فى الحكمة ام لا وهذا على اصول المعتزلة من وجوب
رعاية الاصلح اوارادوا هل قضى بذلك وعلم وقوعه ام لا فان خلاف معلومه غير مقدور وهذا عند الاشاعرة ومنها قول السكاكى السين زائدة وكذا التاء اى هل
يطيع ربك ومنها لعل المراد بالرب جبرئيل لانه كان يربيه ومنها ان المراد بالاستفهام التقرير كمن ياخذ بيد ضعيف ويقول هل يقدر السلطان على اشباع هذا
يريد ان ذلك امر جلى لا يجوز للعاقل ان يشك فيه قال الزجاج المائدة فاعلة من ماد يميد اذا تحرك فكانها تميد بما عليها وذلك انها لا تسمى مائدة الا اذا كان
عليها طعام فهى خوان وقال ابن الانبارى هى من ماده اذا اعطاه كانها تعطى من تقدم اليه وقال ابو عبيدة هى بمعنى مفعولة مثل عيشة راضية اى مرضية كان
صاحبها اعطاها الحاضرين قال عيسى اتقوا الله فى تعيين المعجزة فانه كالتحكم وايضا اقتراح معجزة بعد ظهور معجزات كثيرة تعنت او امرهم بالتقوى ليصير سببا
الى المطلوب ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فاجاب الحواريون بانا لا نطلب هذه المعجزة بمجردها ولكن نريد ان ناكل منها فان الجوع
قد غلب علينا ولا نجد طعاما اخر نتغذى به وروى انهم سئلوها فى مفازة على غير ماء ولا طعام وانه يزيد يقيننا وعرفاننا وطمانينتنا فان التى شاهدناها امثلة
معجزات ارضية وهذه سماوية فيكون اعجب واغرب وان نعلم صدقك فى دعوى النبوة او فيما وعدتنا وذلك انه كان قال لهم صوموا ثلثين يوما فاذا تم صومكم
تكلما سالتم الله تعالى فانه يعطيكم واذا شاهدنا المعجزة كنا عليها من الشاهدين للذين لم يحضروها من بنى اسرائيل او نكون من الشاهدين لله تعالى
ولك بالنبوة تكون لنا عيدا صفة للمائدة او استيناف وقرئ بالجزم جوابا للامر كان نزولها يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى عيدا والعيد ما يعود
اليك فى وقت معلوم ومنه العيد لانه يعود كل سنة بفرح جديد لاولنا واخرنا بدل من لنا بتكرير العامل اى لمن فى زماننا من اهل ديننا ولمن ياتى بعدنا او يا كل
منها اخر الناس كما ياكل اولهم او للمقدمين منا والاتباع وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة او الجماعة فقول عيسى ربنا ابتداء بذكر الحق وانزل علينا
انتقال من الذات الى الصفات وقوله تكون لنا عيدا اشارة الى ابتهاج الروح بالنعمة لا من حيث انها نعمة بل من حيث انها صادرة عن المنعم وقوله واية منك
اشارة الى كون المائدة دليلا لاصحاب النظر والاستدلال وقوله وارزقنا اشارة الى حصة النفس فالحواريون قدموا غرض النفس واخروا الاغراض
الدينية وان عيسى بدا بالاشرف حتى انتهى الى الاخس ثم قال وانت خير الرازقين تدرجا وهو عروج مرة اخرى من الخلق الى الخالق وعند هذا يظهر التفاوت بين نفوس
الكاملة والناقصة والمتنزهة والمتلطخة اللهم اجعلنا من اهل الكمال والاشراف بعميم فضلك وجسيم طولك منزلها بالتخفيف والتشديد بمعنى وقيل بالتشديد
للتكثير وبالتخفيف مرة واحدة عذابا لا اعذبه احدا قال ابن عباس يريد مسخهم خنازير وقيل قردة وقيل جنسا من العذاب لا يكون موجها الى الاخرة عذابا

فان لم يكن عليها طعام ع

ضمير المصدر اى تعذيبا والضمير فى لا اعذبه للمصدر ولو اريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بد من الباء فى الموضعين فقيل عذبه بعذاب لا اعذب به احدا او
اراد بالعالمين عالمى زمانهم واختلفوا فى ان عيسى هل سئل المائدة لنفسه او سئلها للقوم وان كان اضافها الى نفسه فى الظاهر وكلاهما محتمل انها نزلت ام لا
فقال مجاهد والحسن ان المائدة ما نزلت بل القوم لما سمعوا العذاب استغفروا وقالوا لا نريدها واكد هذا القول بانه وصف المائدة بكونها عيدا
لاولهم واخرهم فلو نزلت لبقى العيد الى يوم القيمة وقال جمهور المفسرين انها نزلت لانه سبحانه وعد انزالها بقوله انى منزلها عليكم ثم ان يوم نزولها كان
عيدا لهم ولمن بعدهم ممن كان على شرعهم روى ان عيسى لما اراد الدعاء لبس الصوف ثم قال اللهم انزل علينا فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها
واخرى تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلنى من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قال لهم
ليقم احسنكم عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله عليها وياكل منها فقال شمعون راس الحواريين انت اولى بذلك فقام عيسى فتوضا وصلى وبكى ثم كشف
المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول
ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثانى عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح
الله امن طعام الدنيا ام من طعام الاخرة قال ليس منهما ولكنه شئ اخترعه الله بالقدرة العالية كلوا ما سالتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله
فقال الحواريون يا روح الله لو اريتنا من هذه الاية اية اخرى فقال يا سمكة احيى باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودى كما كنت فعادت مشوية ثم طارت
المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير وقيل ان عيسى كان شرط عليهم ان لا يسرفوا فى الاكل ولا يدخروا فعصوا فمسخوا واذ قال الله معطوف على مثله
والصحيح ان هذا القول ايضا يوم القيمة عقيب قوله لك هذا يوم ينفع وقيل هذا عند رفع عيسى نظرا الى ان اذ للماضى وقدم توجيه ذلك أانت قلت استفهام
الانكار والغرض منه توبيخ النصارى قال بعض المتكلمين ان احدا من النصارى لم يذهب الى القول بالهية عيسى وامه مع القول بنفى الهية الله تعالى واجيب بان
الاله هو الخالق وانهم يعتقدون ان خالق المعجزات والكرامات التى ظهرت على يد عيسى ومريم هو عيسى ومريم ليس لقدرة الله سبحانه فى ذلك مدخل فهذا التاويل
صح ما حكى عنهم واقول يشبه ان يكون المراد بقوله من دون الله اى بعد الله فيكون التوبيخ على التثليث والمراد انه لما دل البرهان على نفى تعدد الاله فمن قال
بالهية عيسى او امه لزمه القول بنفى المعبود الحق تعالى عن ذلك ولهذا قال عيسى سبحانك اى انزهك تنزيها من ان يكون لك شريك ثم لم يجب بانى قلت وما قلت لان ذلك
يجرى مجرى الطهارة والتنزيه بل اجاب بقوله ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق ان قولا لا يجوز لى ان اقوله اظهارا لغاية الخضوع والاستكانة ثم فوض الامر
الى علمه المحيط بالكل فقال ان كنت قلته فقد علمته ثم علل ذلك بقوله تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك اى تعلم معلومى ولا اعلم معلومك وذكر النفس
ثانيا لاجل المشاكلة وانه من فصيح الكلام او تعلم ما اخفى ولا اعلم ما تخفى او تعلم ما عندى ولا اعلم ما عندك او تعلم ما اقول وافعل ولا اعلم ما تقوله
وتفعل عبارات للمفسرين ثم اكد ما ذكر بقوله انك انت علام الغيوب ان فى قوله ان اعبدوا الله ان جعلتها مفسرة فالمفسر اما فعل القول او فعل الامر ولا وجه
لكليهما اما فعل القول فيحكى بعده الكلام بلا ان فيقال ما قلت لهم الا اعبدوا الله اللهم الا ان يقال ان المضاف محذوف والتقدير ما امرتنى بقوله فيكون تفسير
الصريح القول المقدر كالفعل المأول بالقول فى عدم الظهور حتى يجوز توسيط ان واما فعل الامر فمسند الى ضمير الله فلو فسرته باعبدوا الله لم يستقم لان الله لا يقول اعبدوا
الله ربى وربكم وان جعلتها مصدرية عند من يجوز دخولها على الطلبية فان كان بدلا من ما امرتنى والمبدل فى حكم المنحى كان المعنى ما قلت لهم الا عبادته ولا يستقيم
لان العبادة لا يقال وان جعلته بدلا من الهاء فى به لم يصح ايضا لانه حل المعنى بعد طرح المبدل الى قولك الا ما امرتنى بان اعبد الله فيبقى الموصول بلا عائد فالذى
الوجه ان يحمل فعل القول على معناه فيكون اصل المعنى ما امرتهم الا بما امرتنى به حتى يستقيم تفسيره بان اعبدوا الله ربى وربكم الا انه وضع القول موضع الامر رعاية
للادب كيلا يجعل نفسه وربه امرين ودل على الاصل بذكر ان المفسرة قال فى الكشاف ويجوز ان يكون ان مصدرية عطف بيان للهاء لا بدلا حتى يبقى العائد بحاله وكنت
عليهم شهيدا كالشاهد على المشهود عليه امنعهم من القول بما يوجب التكفير ما دمت فيهم مدة دوامى فيما بينهم فلما توفيتنى بالرفع الى السماء كنت انت الحافظ عليهم
المراقب لاحوالهم وانت فصل وانت على كل شئ شهيد من الشهادة او من الشهود الحضور وان تغفر لهم فيه سؤال هو انه كيف جاز لعيسى هذا القول والله تعالى لا
يغفر الشرك والجواب ان قوله لعيسى أانت قلت للناس يقتضى ان قوما من النصارى حكوا عنه هذا الكلام والحاكى لهذا الكفر عنه لا يكون كافرا بل يكون مذنبا
فقط ولو سلم انه شرك فغفران الشرك جائز عندنا وعند جمهور البصريين من المعتزلة لان العقاب حق الله على المذنب وليس فى اسقاطه على الله تعالى مضرة بل كلما كان
الجرم اعظم كان العفو احسن الا ان الدليل السمعى فى شرعنا دل على انه لا يكون فلعل هذا الدليل السمعى لم يكن موجودا فى شرع عيسى ولعل عيسى جوز ان يكون
بعضهم قد تاب عنه ام من زعم ان هذه المناظرة والمحاورة انما كانت عند رفعه الى السماء فلا اشكال اصلا لان المراد ان توفيتهم على هذا الكفر وعذبتهم فانهم عبادك
فلك ذلك وان اخرجتهم بتوفيقك من ظلمة الكفر الى نور الايمان وغفرت لهم ما سلف منهم فانك انت العزيز القادر على ما تريد الحكيم فى كل ما تفعل لا اعتراض لاحد
عليك وفى مصحف عبد الله فانك انت الغفور الرحيم وضعفه العلماء لان ذلك يشعر بكونه شفيعا لهم لا على تفويض الامر بالكلية الى حكمته والمقام مقام هذا
لا ذاك وعن بعضهم ان ذكر الغفور الرحيم يشبه الحالة الموجبة للمغفرة والرحمة اما العزة والحكمة فلا يوجبان الا التبرى عن جميع جهات الاستحقاق لحصول المغفرة
بعد ثبوت هذا الاستغناء والعزة يكون ادل على كمال العفو والرحمة فان العفو عند المقدرة قال بعض العلماء الاية نوع شفاعة من عيسى فى حق فساق امته
فلان يثبت ذلك من محمد لفساق امته اولى هذا يوم ينفع من قرا بالرفع فظاهر وانه فى تقدير الاضافة اى هذا يوم منفعة الصادقين ومن قرا بالنصب فاما على انه
ظرف قال واما على ان هذا مبتدا والظرف خبره اى هذا الذى ذكرنا من كلام عيسى واقع فى هذا اليوم كقولك القتال يوم السبت قال الفراء يوم اضيف الى ما ليس باسم

وصريح القول المقدر ع

بنو على الفتح كانى يومئذ وخطاه البصريون وقالوا انما يبنى الظرف اذا اضيف الى المبنى كالماضى فى قول النابغة شعر على حين عاتبت المشيب على الصبى او مثلا فى قوله تعالى يوم لا تملك واجمعوا على ان هذا اليوم يوم القيمة والمراد ان صدقهم فى الدنيا ينفعهم فى القيمة كما قال قتادة متكلمان تكلما يوم القيمة اما ابليس فقال ان الله وعدكم وعد الحق فصدق وكان قبل ذلك كاذبا فلم ينفعه واما عيسى فكان صادقا فى الدنيا وفى الاخرة فنفعه صدقه وفى هذا الكلام تهديد من الله لعيسى فى قوله ما قلت لهم الا ما امرتنى به رضى الله عنهم ورضوا عنه هما مثلا ذكران لان رضى الله عن العبد دعاؤه وطاعته العبودية وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون واذا صح الانسان نسبة العبودية علم ان العبد لا يكون له ارادة واختيار يكون تابعا لارادة الله ذلك الفوز العظيم اشارة الى جميع المذكورات والى الجزاء الاشرف الاوفر هو الرضوان وما فيهن لم يقل ومن فيهن ليكون ادل على العموم وليتنبه على ان عقول ذوى العقول وعلوم ذوات العلوم بالنسبة الى علمه كلا علم وانما هم وغيرهم تحت قهره وتسخيره سواء واعلم انه سبحانه افتتح السورة بقوله اوفوا بالعقود وهو الشريعة والبداية وختم السورة بهذه الاية الدالة على فناء الكل فى جنب جلاله وكبريائه وهو الحقيقة والنهاية فما احسن هذا النسق وايضا فى السورة بيان الشرائع والاحكام الكثيرة والمناظرة مع اليهود والنصارى فهذا الاختتام ذكر فيه انه سبحانه مالك الجميع لممكنات الكائنات موجد لجميع الارواح والاجساد فيصح التكليف على اى وجه اراد وليكون ردا على اليهود بحكم انه مالك فى نسخ شريعة موسى ووضع شريعة محمد وليكون ردا على النصارى فى ان عيسى ومريم داخلان فى المخلوقات موجودان بايجاد الله ولا معنى للعبودية الا هذا وايضا لما اخبر عن فناء وجودهم المجازى لم يبق هناك مجيب جاب بنفسه لله ملك السموات والارض كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وفى هذه الخاتمة من الاسرار اضعاف ما عثرنا عليه الله تعالى اعلم باسراره كتابه التأويل اخبر عن كثرة السؤال انما يورث الملال ذلك ان علوم القال غير علوم الحال والصفة الاول يحصل فيه السؤال والثانى يدوم فيه ذلك اذ يحصل بالعيان الا بالبرهان كما كان حال الانبياء مع الله وكذلك نرى ابراهيم لقد رأى من آيات ربه الكبرى وقال ارنا الاشياء كما هى وقال الخضر لموسى فان اتبعتنى فلا تسئلنى عن شىء وقال موسى فى الثالثة ان سألتك عن شىء بعدها فلا تصاحبنى فان تعلم العلم الذى بالحال فى الصحبة والمتابعة والتسليم فى السؤال الانقطاع عن الصحبة وان تسئلوا عنها حين ينزل القرآن اى ان كان لا بد لكم من السؤال عن حقائق فاسئلوا عنها بعد نزول القرآن عن القرآن ليخبركم عن حقائقها على قدر عقولكم والله غفور لمن تاب من طلب علوم الحقائق بالقال عليم لمن يطلب بالحال فيصل بعضه فى اثناء الطلب سؤال قد سألها قوم من قبلكم كقدماء الفلاسفة اعرضوا عن متابعة الانبياء وابتلوا على تحرير العقل والقال فوقعوا فى اودية الشبهات والضلال ما جعل الله من بحيرة قال الشيخ المحقق نجم الدين المعروف بداية هم الجهلة من العلندية يشقون آذانهم وذكرهم ويجعلون فيها حلق الحديد ويحلقون لحيتهم ولا سائبة هم الذين يضربون فى الارض خليعى العذار بلا لجام الشريعة وقيد الطريقة ويدعون انهم اهل الحقيقة ولا وصيلة هم اهل الاباحة الذين يتصلون بالاجانب بطريق المواخاة والاتحاد ويرفضون صحبة الاقارب لاجل العصبية والعناد ولا حام وهو المغرور بالله يظن انه بلغ مقام الحقيقة فلا يضره مخالفات الشريعة واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله من الاحكام والى الرسول لما بعثه قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا اى مشائخنا واهل صحبتنا او لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا من الشريعة والطريقة ولا يهتدون الى الحقيقة عليكم انفسكم اى اشتغلوا او لا بتزكية نفوسكم ثم بارشاد الغير فان العريق لا يقدر على تعليم السباحة اذا نشبت به هلكا معا الى الله مرجعكم جميعا فللطالبين بجذبات العناية وللمضلين بسلاسل القهر والنكاية اذا حضر احدكم الموت اى النفس يموت عن صفاتها الدنية بالرياضة والمجاهدة فتوصى بصفاتها الوارثها وهم القلب واوصافه والوصية اثنان ذوا عدل منكم هما العقل والسر من الروحانيات او آخران من غيركم هما الوهم والخيال من النفسانيات فالعقل والسر يشهدان الحق ان كان على ذى قرابة من الروحانيات والوهم والخيال لشهادتهما الصدق والكذب ان انتم ضربتم فى الارض اى سافرتم فى السفليات فاصابتكم مصيبة الموت اى فصيب النفس جذبة الحق فتموت تحبسونهما ان كنتم فى تعد من الروحانيات من بعد الصلوة من بعد حضورهما مع الله وتوجههما الى الحق ومراقبتهما فيلتبس على الشاهدين بالقسم والتخويف بالله ان يؤديا شهادة الحق ويدفعان تركة النفس وهى صفاتها الى ورثتها وهم القلب صفاتها ولا يصرفها فى شىء من السفليات فان كل خلق اذا استعملته النفس فى طلب الدنيا ولذاتها كان وصفا مذموما واذا استعمله القلب فى طلب العلوم والكمالات صار ممدوحا فان عثر على انهما استحقا اثما بان مالا الى حظ من الحظوظ السفلية فآخران من صفات القلب هما التذكر والتفكر الصائبان ينظران فى عواقب الامور ويشهدان على ان الآخرة خير من الدنيا والباقى خير من الفانى لشهادتنا احق من شهادتهما لان الوهم والخيال مالا الى الحظوظ بحكم الحقوق والتذكر والتفكر مالا الى حفظ الحقوق بترك الحظوظ ان يأتوا بالشهادة على وجهها اى العقل والسر يأتيان فى بدو الامر باستعمال الصفات النفس الاخروية ويخافان عواقب الامور بان يشددوا على انفسهم بالاستهلاك فى تضييع الزمان وفات الاستعداد ثم بالتفكر والتذكر فى الامر الى وجوب غاية الخوف فيهما جانب الى كثرة الرياضة ماذا اجبتم قالوا وهم مستغرقون فى بحر الشهود لا علم لنا اى ببواطن الامور وحقائقها واذ اوحيت الى الحواريين فى عالم الارواح يوم الميثاق قالوا بسبب ذلك التعارف فى عالم الاشباح آمنا ان بعض الحواريين المقلدين فى الايمان قالوا يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك مائدة الا مع بليتهم حيث لم يقولوا يا رسول الله ويا روح الله ولا مع ثباتهم حيث تشككوا فى كمال قدرته ثم اظهروا ذلك لتزكيهم حيث طلبوا بواسطة مثل عيسى من المواهب المائدة الجسمانية لا فائدة روحانية فقال عيسى اللهم ربنا انزل علينا مائدة الاسرار والحقائق من سماء العناية عليها اطعمة المداية تكون لنا اى لاهل الحق والصدق عيدا نفرح بها لاولنا ولآخرنا اى لانفاسنا اولها وآخرها فان اهل الحق لا يتوبون الا انفاس لحضورهم مع الله ولهوهم مع الله وانت خير الرازقين لان الذى يرزق رزقا مثله ورزق غير الله مدرور ومن عبر منكم بعد منكم ليلا يقوم بحقها ويجعلها شبكة يصطاد بها الدنيا فانى اذبه من المراتب الروحانية الى المهالك الحيوانية وهو مسخ الحقيقة ويوم القيمة يحشر على صفاتهم التى ماتوا عليها كما قال يموت الناس على ما عاشوا فيه ويحشرون على ما ماتوا

علیه انت

عليه انت قلت للناس الخطاب مع الامة الآن يستر سبحانه ان لا يكلم الكفار ويكلم عيسى بدلا منهم او المراد بالقول الامر لتكون فالمعنى انك غلبت منهم ايجادك وانك المهيمن انا خلقتهم لك فهم حلال انا العلم انك انت علام الغيوب لغيب اغاب عن الخلق ويحتمل ان يعلم الخلق وغيب الغيب ما غاب عنهم ولا يمكنهم ان يعلموه والله حسبى ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير

سورة الانعام مائة وخمس وستون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

بنام خدای بخشاینده مهربان

ع الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون

سپاس مر خدای راست انکه آفرید آسمانها و زمین را و آفرید تاریکیها و روشنی را پس آنها که کافر شدند به پروردگار شان برابر میکنند

هو الذى خلقكم من طين ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده ثم انتم تمترون وهو الله فى السموات

اوست انکه آفرید شمارا از گل پس حکم فرمود مدتی را و مدتی نامیده در نزد اوست پس شما شک میکنید و او است خداوند در آسمانها

وفى الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون وما تأتيهم من آية من آيات ربهم

و در زمین میداند پنهان شما و آشکار شما را و میداند آنچه را کسب کرده اید و نیامد ایشان را از آیتی از آیات پروردگار ایشان

الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن

مگر آنکه بودند از آن روگردانان پس براستی که تکذیب کردند حق را چون آمد ایشان را پس زود است که بیاید ایشان را خبرهای آنچه بودند که استهزا میکردند

الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الارض ما لم نمكن لكم وارسلنا السماء عليهم

آیا ندیدند که چه قدر هلاک کردیم از پیش ایشان از زمانها که جای دادیم ایشان را در زمین آنچه جای ندادیم شما را و فرستادیم از آسمان بر ایشان

مدرارا وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم وانشأنا من بعدهم

باران را و قرار دادیم نهرها را که روان بود از زیرشان پس نابود کردیم ایشان را بگناهان ایشان و ایجاد کردیم از پس ایشان

قرنا آخرين ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا

قرنهای دیگر را و اگر فرستادیم بر تو کتاب در کاغذی پس مس کنند آن را بدست هر آینه گفتند آنان که کافر شدند نیست این

الا سحر مبين وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون

مگر جادوی هویدا و گفتند که چرا فرو دیامد براو فرشته و اگر چنانچه فرستادیم ملکی را هر آینه صادر شده بود فرمان پس مهلت نیابند

ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ولقد استهزئ برسل من قبلك

و اگر آورده بودیم اورا فرشته هر آینه میکردانیدیم اورا مرد و هر آینه مشتبه میساختیم بر ایشان آنچه مشتبه میسازند و هر آینه بتحقیق که استهزا نموده شد بپیغمبران از پیش تو

ع فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن قل سيروا فى الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة

پس احاطه کرد بآنها که سخریه کردند از ایشان آنچه که بودند که بآن استهزا میکردند بگو گردید در زمین پس بنگرید که چگونه بوده است عاقبت

المكذبين القراءة تمترون فانعمهم حيث كان ابو عمرو ويزيد والاعشى وورش من طريق الاصفهانى وحمزة فى الوقف ولقد استهزئ وبابه بالهمز

تکذیب کنندگان ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعاصم وقرأ يزيد والشمونى وحمزة فى الوقف بغير همز الباقون بغير همز فحاق بالامالة حيث كان حمزة

الوقوف والنور لا لان ثم للترتيب الاخبار يعدلون اجلا تمترون وفى الارض لا لان وقف يصير التقدير وهو الله يعلم سركم وجهركم فى السموات وفى الارض

دينه بعد بل المعنى وهو المستحق للعبودية فى اهل السموات واهل الارض تكسبون معرضين لما جاءهم للابتداء بالتهديد يستهزؤن مدرارا العطف

آخرين سحر مبين عليه ملك لا ينظرون يلبسون يستهزؤن المكذبين التفسير عن ابن عباس ان رسول الله قال نزلت الانعام جملة واحدة ونزل معها من الملائكة

سبعون الف ملك جملة واما ابن الاخشيين فقد دعا رسول الله الكتاب فكتبوها من ليلتهم سوى آيات معدودة وعن انس ان رسول الله قال لقد بعث

بها الى جبرئيل مع خمسين ملكا او خمسين الف ملك يحفونها حتى اوردها فى صدرى كما يقر الماء فى الحوض ولقد اعزنى الله وايام بها اعزازا لا يذل بعدها ابدا

فيها دحض حجج المشركين وعد من الله لا يخلفه ولاشتمال هذه السورة على دلائل التوحيد والنبوة والمعاد ولزومها جملة ذهب علماء الكلام الى ان علم الاصول

مع جلالة قدره يجب تعلمه على الفور لا على التراخى بخلاف الاحكام فانها تنزل كفاء المصالح وبحسب الحوادث والنوازل واعلم ان قوله الحمد لله مذكور

فى اوائل سور خمس واختص كل منها بصفة لكن اعمها واصلها فاتحة الكتاب الحمد لله رب العالمين فان العالم كل موجود سوى الله سبحانه فكان سائر السور

تفاصيل لهذه الجملة اثنى الله سبحانه على نفسه بقوله الحمد لله الذى خلق السموات والثناء على النفس يدل على انه لا يمكن قياس الحق على

الخلق فكما انه واحد فى ذاته فهو واحد فى صفاته وافعاله لا اعتراض لاحد عليه والتحقيق فيه استحقاق المدح بحسب الفضيلة والكمال ولا يوجد الممكن صفة

كما لا ولهى مشوبة بالنقص والاختلال لا ذاته الا مولى فى افق الامكان بخلاف واجب الوجود فانه لا غاية لكماله ولا نهاية لعظمته وجلاله فلا يبلغ مدحه

هو ولان يثنى الا عليه ولا ان يشكر ويحمد الا اله ثم الاوصاف الجارية عليه سبحانه انما تذكر زيادة فى المدح لا لاجل التوضيح والكشف
اسما بارزة معرفة وبالغالذة ذكرناها وقد تقدم فى الاسماء ان معنى الخلق يرجع الى التقدير والتقدير عائد الى العلم فالمراد انه اوجد السموات والارض على
حسب علمه لا زلحق بعض العلماء السماء كالدائرة والارض كالمركز وحصول الدائرة يوجب تعين المركز ولا ينعكس لامكان ان يحيط بالمركز الواحد دوائر
لا نهاية لها فلهذا ذكر السماء قبل الارض مع ان ظاهر التنزيل يدل على ان خلق الارض مقدم على خلق السماء وجمع السموات حقيقة وكذا افراد
الارض وقد يجمع الارض باعتبار الطبقات وسوف يجئ تقرير ذلك فى قوله ومن الارض مثلهن والمقصود من هذا الوصف الزام المشركين وان تخصيص حجم
فلك بمقدار معين وتخصيص كل من اجزائه بحيز معين وتخصيص الفلك بالحركة والارض بالسكون مع اشتراكهما فى الطبيعة الجسمية وتخصيص كل حركة بحد
معين من السرعة والبطوء وبجهة معينة دلائل ظاهرة على وجود فاعل مختار واحد فى ذاته وفى صفاته وفى افعاله وايضا ان لحركة كل فلك اولا لان حقيقة الحركة
انتقال من حالة الى حالة فيقتضى المسبوقية بالغير وعدم الاولوية ينافى المسبوقية بالغير وعدم الاولوية ينافى المسبوقية بالغير والجمع بينهما محال واذا ثبت ان لكل
حركة اول فاختصاص ابتداء حدوثه بوقت معين يدل على الفاعل المختار وكذا اتصاف بعض الاجسام بالفلكية وبعضها بالعنصرية مع تساوى الكل
فى تمام الماهية وايضا ان خارج العالم الجسمانى خلاء لا نهاية له كما ثبت فى الكلام فحصول هذا العالم فى حيزه الذى حصل فيه دون سائر الاحياز امر ممكن يحتاج
الى مرجح قادر مختار حكيم يفعل ما يشاء كما يشاء هذا اذا نظرنا فى ذوات هذه الاجرام اما ان اعتبرنا منافعها وكيفية تاثير الاثيريات وهى الاباء فى
العنصريات وهى الامهات لتحصيل المواليد الثلثة المعادن والنباتات والحيوانات ارتقينا من ذلك ايضا الى وجود صانع قدير وحكيم خبير تبتر اعلى
اجل من ان تلك المكنات اما قوله وجعل الظلمات والنور فمعناه احدث وانشاء ولهذا اقتصر على مفعول واحد لو كان بمعنى صير اقتضى مفعولين وانما لم
يقل وخلق لان في الجعل معنى التضمن على انشاء شئ من شئ كقوله وجعل منها زوجها فالنور والظلمة لما تعاقبا صار كان كل واحد منهما تولد من الاخر وقيل
لان الظلمات من الاجرام المتكاثفة والنور من النار ولهذا جمع الظلمات اذ لكل جرم ظل والظل هو الظلمة ووحد النور لان النار واحد هو منها والظلمة والنور
ههنا هما الامران المحسوسان بالبصر لان الاصل فى الاطلاق الحقيقة والقرينة ذكر السموات والارض وعن ابن عباس الظلمة ظلمة الشرك والنفاق
والنور نور الاسلام واليقين فعلى الاول انما جمع الظلمات ووحد النور لان النور عبارة عن تلك الكيفية الكاملة القوية ثم انها تقبل التناقص
وتلك المراتب كثيرة او لانه قصد بالنور الجنس وعلى الثانى فذلك لان الحق واحد والباطل اكثر من ان يحصى وانما قدمت الظلمة على النور لان عدم
الحدثان سابق على وجودها والظلمة عدمية عند من يجعلها عدما للنور او شبيهة بالعدم عند من يجعلها هيئة مضادة للنور وقد ورد فى الاثر
ان الله تعالى خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره وقوله ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ معطوف على قوله الحمد لله والمعنى انه حقيق بالحمد
على ما خلق ثم الذين كفروا يعدلون عن طريق الانصاف فيكفرون بربهم او على خلق السموات معناه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه احد سواه ثم
هُم يَعْدِلُونَ اى يسوون به ما لا يقدر على شئ من ذلك فعلى المعنى الاول يعدلون من العدول وعلى الثانى هو من العدل ومعنى ثم ههنا وفى قوله ثم انتم
تمترون الرتبة واستبعاد مضمون الجملتين احدهما من الاخر ثم دل دليل اخر على اثبات الصانع وعلى صحة المعاد الجسمانى فقال هو الذى خلقكم من طين اى من ادم
لانه مخلوق من الطين او خلقكم من النطفة المتولدة من الاغذية المنتهية الى العناصر ولا ريب ان خلق الاغذية المتنوعة من العناصر المتشابهة الاجزاء ثم تولد
النطفة المتشابهة الاجزاء من تلك الاغذية المختلفة ثم تخليق الاعضاء المختلفة فى الصفة والصورة واللون والشكل كالقلب والدماغ والكبد والعظام
والغضاريف والرباطات والاوتار وغيرها من المادة المتشابهة لا يمكن الا بتقدير مقدر حكيم ومدبر رحيم ثم ان تلك القدرة والحكمة باقية بعد موت
الحيوان فيكون قادرا على اعادتها واعادة الحيوة فيها وذلك يدل على صحة القول بالمعاد اما قوله ثم قضى اجلا فاعلم ان لفظ القضاء قد يرد بمعنى
بمعنى الحكم والامر وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبمعنى الخبر والاعلام وقضينا الى بنى اسرائيل وبمعنى صفة الفعل اذا تم فقضاهن سبع
سموات ومنه قولك قضى فلان حاجة فلان والانسب ههنا هو الاول واما الاجل فى اللغة فهو الوقت المضروب لانقضاء الامد واصله من التاخير ومنه
نفيض لعاجل ثم ان صريح الاية يدل على حصول اجلين لكل انسان فقال ابو مسلم الاول اجال الماضين لانهم لما ماتوا صارت اجالهم معلومة والثانى
اجال الباقين لانها غير معلومة بعد انما هى مسماة عند الله تعالى وقيل الاول اجل الموت والثانى اجل القيامة لانه لا اخر له ولا يعلم احد كيفية
الحال فى هذا الاجل الا الله تعالى وقيل الاول ما بين ان يخلق الى ان يموت والثانى ما بين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل الاول النوم والثانى
ما بين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل الاول النوم والثانى الموت وقيل الاول مقدار ما انقضى من عمر كل احد والثانى ما بقى
من عمره وقال حكماء الاسلام الاول الاجل الطبيعى الذى يمكن بالنسبة الى المزاج الاول لكل شخص لو بقى مصونا عن الافات الخارجية والثانى
الاجل الاخترامى الذى يحصل بسبب من الاسباب الخارجية كالغرق والحرق والقتل واللدغ وغيرها من الامور المنفصلة ومعنى مسمى اى مذكور
اسمه فى اللوح المحفوظ وعنده اى فى حكمه وعلمه كما يقول هذه المسئلة عند الشافعى كذا وعند ابى حنيفة كذا وارتفع اجل بالابتداء وجاز ذلك مع
تنكره لمكان وصفه فقارب المعرفة وانما يقل وعنده اجل مسمى لتعظيم شان هذا الاجل فكانه قيل واى اجل مسمى عنده والمرية والامتراء الشك ومعنى ثم
تبعيد الامتراء عن مثل هذا الحجة الباهرة الموجبة للتيقن فى امر المبدء والمعاد فرد بانه سبحانه عالم بجميع المعلومات ردا على من زعم انه غير عالم بالجزئيات فلا
يمكنه التمييز من العاصى والمطيع لامتزاج اجزاء بدن زيد عن اجزاء بدن عمرو فقال وهو الله فى السموات وفى الارض هذا نحو قوله امنتم من فى السماء انه سبحانه

مستقر فى الشاهد والواو تؤكده ووقف بعض القراء على السموات وابتداء بقوله وفى الارض يعلم اى يعلم سركم الموجود فى الارض ولو سلم ان الوقف فالاجماع
حاصل على انه ليس موجودا فى الارض ولا يلزم من ترك العمل بالظاهر ترك العمل بالظاهر الاخر من غير دليل ونوقض بانه تعالى لله ما فى السموات ولو كان هو فى
السماء لزم ان يكون مالكا لنفسه ولا يخفى ضعف هذا النقض لانه مخصوص بالقرينة كقوله ان الله على كل شئ قدير وبانه اما ان يكون فى مكان واحد فهو ترك الظاهر او
فى جميع السموات وهو يقتضى كونه ذا اجزاء وحصول المتحيز الواحد فى مكانين وكلاهما محال والتحيز لا يلزم من استحالة المكان الا امتناع البعد ولا التجسم والتجزئة وهو دقيق يفهم من
ورد بانه لو كان موجودا فى السموات لكان محدودا متناهيا فيكون قابلا للزيادة والنقصان فيكون اختصاصه بمقدار معين لمخصص فيكون محدثا ورد عليه انه لا يجب
ان يكون فى السموات وفوقها الى ما لا يتناهى لا سيما عند من يقول ان وراء هذا العالم خلاء غير متناه وبانه لو كان فى السموات فان لم يقدر على خلق عالم اخر فوقها
لزم تعجيزه وان قدر فلو فعل لحصل تحت ذلك العالم والقوم ينكرون كونه تحت العالم والاعتراض انه لا يلزم من القدرة الايجاد وقال غير المجسمة المراد وهو الله فى
تدبير السموات والارض كما يقال فلان فى امر كذا اى فى تدبيره واصلاحه وعلى هذا يكون فى السموات خبرا بعد خبر ويوقف على اسم الله ثم يبتدأ بما بعدها وهو الذى يقال له
الله فيهما الاشتراك له فى هذا الاسم والسر من صفات القلوب وهى الدواعى والصوارف والجهر من اعمال الجوارح لان الاول متقدم على الثانى طبعا فلا جرم قدم عليه وضعا والجملة
اعنى قوله يعلم سركم وجهركم مقررة لما قبلها او خبر ثالث وكلام مبتدأ ويعلم ما تكسبون لكسب جميع الاعمال السرية والجهرية لان الفعل المفضى الى اجتلاب نفع او
دفاع ضر ولهذا لا يوصف فعل الله تعالى بانه كسب فافراد الاخص بالذكر بعد الاعم للتقرير والتاكيد او يكون اهم حسن ولا يلزم منه عطف الشئ على نفسه والمراد انه
عالم بما يستحقه الانسان على افعاله من ثواب وعقاب ثم لما فرغ من دلائل التوحيد والمعاد شرع فى النبوات فرتب احوال الكفار مع الانبياء فى ثلث مراتب الاولى
كونهم معرضين عن التامل فى الدلائل وذلك قوله وما تاتيهم من اية من ايات ربهم من الاولى للاستغراق والثانية للتبعيض والمراد وما يظهر لهم دليل قط
من الادلة التى يجب فيها النظر والاعتبار الا وهم على حالة الاعراض لقلة تدبرهم وفرط غفلتهم الثانية كونهم مكذبين وهذه شر مما قبلها لان الاعراض
قد يكون للغفلة لا للتكذيب اذا كذب فقد اعرض وزاد قال علماء المعانى ههنا حذف كانه قيل ان كانوا معرضين عن الايات فقد كذبوا بما
هو اعظم اية وهو الحق قال ابن عباس هو انشقاق القمر بمكة انفلق فلقتين فذهبت فلقة وبقيت فلقة وقيل هو القران الذى تحدوا به فعجزوا عنه وقيل
وقيل شرعه وقيل وعده ووعيده وتبشيره وانذاره والاولى الحمل على الكل المرتبة الثالثة كونهم مستهزئين لان التكذيب اذا انضم معه الاستهزاء
كان غاية فى الغواية وذلك قوله فسوف يأتيهم انباء ما كانوا اى اخبار الشئ الذى كانوا به يستهزءون وهو القران وغيره من المعجزات وليس
المراد نفس الانباء بل العذاب الذى انباء الله تعالى به كقوله ولتعلمن نباه بعد حين والحكيم اذا توعد فربما قال ستعرف نبا هذا اذا نزل بك وذلك
ان الغرض من الخبر حصول العلم بالمخبر عنه وذلك مما يتحقق بعد المعاينة ومعنى الاية سيعلمون باى شئ استهزءوا وانه لم يكن موضع استهزاء وذلك عند
نزول العقاب بهم فى الدنيا كيوم بدر وغيره او فى الاخرة ثم لما زجرهم عن الاعراض والتكذيب والاستهزاء واوعدهم على ذلك عاد الى الموعظة
والنصيحة بتذكر احوال الامم الماضية والقرون الخالية والقرن القوم المقترنون فى زمان من الدهر المفترقون بعد ذلك بالموت وتلك الزمان قيل على
ستون سنة وقيل سبعون وقيل ثمانون والاقرب انه غير مقدر بزمان لا يقع فيه زيادة ولا نقصان ولكنه اذا انقضى الاكثر من اهل كل عصر فقد انقضى
القرن وليس المراد ان يصدق الكفار محمدا فى هذه الاخبار لانهم يصدقون التكذيب فيكذبون فيها ايضا وانما المراد ان ما يختص بالمقدمين منهم قد شهد بين
الناس فبعد ان يقالوا انهم ما سمعوا تلك الحكايات ومجرد سماعها يكفى فى الاعتبار ثم وصف تلك القرون بثلثة اوصاف الاول تمكينهم فى الارض مكن
له فى الارض جعل له مكانا ومكنه فيها اثبته وهما متقاربان ولهذا جمع بينهما فى الاية والمعنى لم نعط اهل مكة نحو ما اعطينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة فى
والسعة فى الاموال واسباب الدنيا الثانى ارسال السماء عليهم يعنى المطر والسحاب والخضراء لان المطر ينزل من ذلك الصوب والمدرار كثير الدر ودر اللبن
اذا اقبل على الحالب منه شئ كثير ومدرار من نعت المطر ويقال ايضا سحاب مدرار اذا تتابع امطاره ومفعال من ابنية المبالغة يستوى فيه المذكر والمؤنث
الثالث وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم اى من تحت امكنتهم والمراد انهم اصحاب البساتين والقصور والمتنزهات فان قيل الهلاك غير مختص بهم وانما
يجرى ذلك على الانبياء والمؤمنين ايضا قلنا لدفع هذا الاشكال ذكر فقال فاهلكناهم بذنوبهم فان الاهلاك بسبب المعاصى والاثام لا يكون الا
بالعذاب والايلام ثم نبه بقوله وانشأنا من بعدهم قرنا اخرين على كمال عزته واستغنائه ونهاية قدرته واستعلائه كقوله ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق
جديد فالبلاد بلاده والعباد عباده التخريب والتعمير واليه الاعدام والايجاد ثم ان الذين يتمردون عن قبول دعوة الانبياء طوائف متعددة منهم من
بالغ فى حب الدنيا وطلب لذاتها وشهواتها وعلى وفق هواه بناه لا على قانون الحجة والعدل فمنعه ذلك عن التزام التكاليف وهو المذكور فى الاية ومنهم
لذات الدنيا ذاهبة وعذاب الكفر باق وليس من العقل تحمل العقاب الدائم لاجل اللذات الفانية ومنهم من حمله العصبية والعناد على تكذيب معجزات الانبياء
وجعلها من قبيل السحر الذى لا اصل له وهم الذين عنوا بقوله ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس والمعنى انه لو نزل الكتاب جملة واحدة فى صحيفة واحدة
فراوه ولمسوه وشاهدوه عيانا لطعنوا فيه وقالوا انه سحر وههنا سؤال وهو ان نزول الكتاب من السماء جملة ان لم يكن من باب المعجزات لم يكن انكاره
منكرا وان كان من قبيل الاعجاز فالملك يقدر على انزاله من السماء وقبل الايمان بصدق الرسل لم يكن عصمة الملائكة معلوما فيجوز ان يكون
نزول ذلك من قبل بعض الجن والشياطين او من بعض الملائكة الذين لم تثبت عصمتهم فلا يكون دليلا على الصدق واجيب بان المقصود من الاية
ليس بيان الاعجاز ولكن المراد انهم اذا لمسوه بايديهم يقوى الادراك البصرى بالادراك اللمسى وبلغ الغاية فى القوة والظهور ثم ان هؤلاء يبقون شاكين فى ان ذلك الذى

ذلك
ويكون المعنى
انه يعلم فى السموات
والارض سر الملائكة
والانس والجن او المراد وهو
المعبود فيهما او المعروف
بالالهية او المتوحد
بها

موجودا ام لا وذلك يدل على انهم بلغوا في الجهالة الى حد السفسطة قال القاضي في الآية دليل على وجوب اللطف لانه بين انه انما لم ينزل هذا الكتاب
من حيث انه لو انزله لقالوا هذا القول فيفهم منه انهم لو قبلوه وامنوا به لانزله لا محالة وزيف بان المفهوم ليس بحجة ولو سلم فوقوع اللطف لا يدل
على وجوبه ومن الكفرة من قابل النبوات بايراد الشبهات والاقتراحات قال الكلبي ان مشركي مكة قالوا يا محمد صلعم والله لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من
عند الله ومعه اربعة من الملائكة يشهدون انه من عند الله وانك رسوله وذلك قوله وقالوا لولا انزل عليه ملك فاجاب الله تعالى عن مقترحهم
بقوله ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون ومعنى القضاء الاتمام والالزام كما مر وتقرير الجواب ان انزال الملك على البشر آية باهرة وحينئذ
فان لم يؤمنوا فيجب اهلاكهم بعذاب الاستيصال او لعلهم اذا شاهدوا الملك زهقت ارواحهم الا ترى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى جبرئيل
على صورته الاصلية غشي عليه وان جميع الرسل عاينوا الملائكة في صورة البشر كاضياف ابراهيم ولوط وكالذين تسوروا المحراب وان جبرئيل تمثل
لمريم بشرا سويا وفائدة ثم ان عدم الانظار اشد من قضاء الامر لان مفاجات الشدة اشد من نفس الشدة ثم انهم كانوا يطعنون في نبوة محمد صلعم
من جهة اخرى وهي انه بشر مثلهم ويقولون لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا وتقرير الشبهة ان الرسل اذا كانوا من زمرة الملائكة كانت
علومهم اكثر وقدرتهم اشد ومهابتهم اعظم وامتيازهم عن الخلق اكمل والاشتباه في نبوتهم ورسالتهم اقل والحكيم اذا اراد تحصيل مهم اختار ما هو
اسرع افضاء الى المطلوب فاجاب الله تعالى عن شبهتهم بقوله ولو جعلناه اي الرسول ملكا لجعلناه رجلا لان انزال الملك آية ظاهرة جارية مجرى الالجاء
وازالة الاختيار وذلك ينافي غرض التكليف ولان الجنس الى الجنس اميل ولان البشر لا يطيق رؤية الملك ولان طاعات الملك كثيرة فيحقرون طاعات
البشر ويستعظمون اقدامهم على المعاصي فلا يبصرون معهم ولان انزال الملك يقوي الشبهة من وجه آخر وذلك ان اي معجزة ظهرت عليه قالوا هذا فعلك فعلته
باختيارك وقدرتك ولو حصل لنا مثل ما حصل لك من القدرة والقوة لفعلنا مثل ما فعلته ثم قال وللبسنا عليهم ما يلبسون لبست الامر على القوم
البسه لبسا اذا شبهته عليهم وجعلته مشكلا ومنه لبس الثوب لانه يفيد الستر والمعنى اذا جعلنا الملك في صورة البشر كان فعلنا نظير فعلهم في التلبيس
وانما كان ذلك لبسا لان الناس يظنونه ملكا مع انه ليس بملك ويظنونه بشرا مع انه ليس ببشر وانما كان فعلهم لبسا لانهم يخلطون على انفسهم ويقولون ان
البشر لا يصلح للرسالة فلا ينقطع السؤال ابدا ويبقى الامر في حيز الاشتباه وعلى هذا التفسير يكون قوله ما يلبسون مفعولا مطلقا ويجوز ان يراد وللبسنا عليهم ما
يخلطون على انفسهم حتى يكون مفعولا به يعني ان القوم اذا رأوا الملك في صورة الانسان اشتبه الامر عليهم واذا كنا قد فعلنا ذلك كان اللبس منسوبا الينا
ثم سلى رسوله صلى الله عليه وآله عما يلقى من قومه بقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق اي نزل وقال الفراء عاد عليهم والتركيب يدور على الاحاطة
ومنه الحوق بالضم ما استدار من الكمرة فما كانوا اي الشيء الذي كانوا به يستهزؤن وهو الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله اسند الحيق اليه حيث
اهلكوا لاجل الاستهزاء به ويحتمل ان يراد بلفظة ما العذاب الذي كان يخوفهم الرسول صلعم نزوله وهم يستهزؤن بذلك ثم امر رسوله بان يقول لهم لا تغتروا بما
وجدتم من زخارف الدنيا وسيروا في الارض لتشاهدوا آثار الامم السالفة الذين كذبوا رسلهم ونزل بهم ما نزل فان الاسفار توجب الاعتبار و
تفيد الاستبصار واعلم انه سبحانه قال هاهنا ثم انظروا وفي موضع آخر فانظروا فالفاء لمجرد اعتبار ترتب النظر على السير وثم لتباعد ما بين المباح والواجب فان
السير مباح والنظر واجب وايضا شتان بين السير الصوري بقدم الاشباح وبين السير المعنوي بقدم الارواح والله اعلم التأويل حمد نفسه لقديم الازلي
على ان خلق سموات القلوب وارض النفوس وجعل الظلمات اي الصفات البهيمية والسبعية في النفوس والنور في القلوب وهو صفاتها الملكية والروحانية فخص
الجعل بالمعاني التي هي من عالم الامر والخلق بالاعيان لانها من عالم الصورة وهذا المعنى ذكر في صورة آدم قال اني خالق بشرا من طين وحيث اراد معناه قال اني
جاعل في الارض خليفة ثم بعد هذا الجعل والخلق مال نفوس الكفار بغلبات الظلمات الى طاغوت الهوى فجعلوه عديلا لربهم ثم قضى اجلا للروح
المفارق عن حضرته لايام فراقه واجل مسمى عنده وهو اجل الوصال بعد الفراق بجذبة ارجعي الى ربك ثم انتم تمترون يا اهل الوصال كما يمتري اهل الفراق
وهو الله في سموات القلوب وفي ارض النفوس يعلم سر الخلافة الذي اودع فيكم وجهركم الذي يظهر عنكم ويعلم ما تكسبون باستعمال الاستعداد [illegible]
والجهد في المأمورات والمنهيات في الخير او الشر من آية من آيات ربهم في الآفاق وفي انفسهم مكاشفهم في طلب الحق من قهر النفس واسباب الخيرات و
الطاعات وارسلنا مطر الواردات من سماء القلوب عليهم مدرارا متواليا وجعلنا انهار الحكمة تجري من تحت نظرهم فاهلكناهم مع هذه المقامات وارواحهم
بشوم ذنوب طلب الدنيا ما لها وجاهها وانشأنا من بعدهم قرنا آخرين من الطلاب الصادقين الثابتين المستقيمين فجعلناه رجلا ليفهموا خطابه ويكونوا
واقفا على الاحوال البشرية فيعالجهم بما يرى فيه صلاح حالهم كما قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم قل سيروا في ارض النفوس بقدم التقوى
ومخالفة الهوى الى ان تبلغوا سواحل بحار القلوب فتشاهدوا بانوار الله المودعة فيها عاقبة من هلكوا في بوادي القطيعة اذ ساروا بقدم الطبيعة

قل لمن ما في السموات والارض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون وله
ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم قل اني امرت ان اكون اول من
اسلم ولا تكونن من المشركين قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين وان
يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير قل اي
شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم واوحي الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى قل لا

(في الحاشية: بكلامه القديم الازلي — وهذا الجعل)

اشهد قل انما هو اله واحد وانني بريء مما تشركون الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون
ع ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته انه لا يفلح الظالمون ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون
ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون القراءات اني امرت بفتح ياء
المتكلم ابو جعفر ونافع اني اخاف بفتح الياء هما وابن كثير وابو عمرو الباقون بالسكون من يصرف مبنيا للفاعل سهل ويعقوب وحمزة وعلي وخلف و
عاصم سوى حفص والمفضل الباقون مبنيا للمفعول ائنكم بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر وهشام يدخل بينهما مدة ايكم بالياء بعد الهمزة ابن
كثير ونافع غير قالون وسهل ويعقوب بغير مد ايكم بالمد والياء ابو عمرو ويزيد وقالون بتخيير همز حيث كان يزيد وحمزة في الوقف نحشرهم
ثم نقول بياء الغيبة فيهما يعقوب الباقون بالنون ثم لم تكن بتاء التأنيث حمزة وعلي وحماد والمفضل وسهل ويعقوب الباقون بالياء فتنتهم بالرفع ابن كثير
وابن عامر وحفص والمفضل الباقون بالنصب والله ربنا بالنصب على النداء حمزة وعلي وخلف والمفضل الباقون بالجر على البدل الوقوف
الارض ط قل لله ط الرحمة ط لان قوله ليجمعنكم جواب قسم محذوف وقيل لا وقف ليجمعنكم جواب معنى القسم في كتب وفيه نظر لان كتب عدة وليجمعنكم وعد
منتظر لا ريب فيه ط بناء على ان الذين مبتدأ فيه معنى الشرط لا يؤمنون والنهار ط العليم ط ولا يطعم ط من المشركين عظيم ط رحمه ط المبين ط الا هو ط قدير ط عباده ط الخبير ط
شهادة ط قل الله ن وبينكم ج لان قوله واوحي يصلح عطفا واستينافا ومن بلغ ط لان الاستفهام اخرى ط لا اشهد ج لاتساق الكلام بالعطف تشركون ابناءهم لئلا يوهم ان ما بعده وصف لا يؤمنون
نصف السبع بآياته ط الظالمون ط تزعمون ط مشركين ط يفترون ط التفسير انه سبحانه لما برهن على اثبات الصانع وتحقيق النبوات وتقرير المعاد انجر الكلام الى الامر
باعتبار احوال الغابرين عاد الى اثبات هذه المطالب بطريق الالزام واخذ الاعتراف وذلك ان آثار الحدوث وسمات الامكان لائحة
على صفحات السموات والارض حتى بلغ في ظهوره الى حيث لا يقدر منكر على انكاره فكان في السؤال تبكيت الخصم وفي الجواب تقرير والزام اي هو لله بلا
مراء وشقاق ولن يتم الملك والملك الا اذا كان قادرا على الاعادة كما هو قادر على الابداء ولن تحصل حكمة الاعادة الا بثواب المطيعين وعقاب العاصين
ولن يحسن ايضا الثواب والعقاب الا بعد نصب الدلائل وارسال الرسل فلاجل ذلك قال كتب على نفسه الرحمة اي بنصب الادلة وازاحة العلة
ايجابا للفضل والكرم وقيل هذه الرحمة هي انه يمهلهم مدة عمرهم ولا يعاجلهم بالاستيصال او فرض على نفسه الرحمة لمن ترك التكذيب بالرسل وتاب واناب
وصدقهم وقبل شريعتهم او تلك الرحمة هي انه يجمعهم الى يوم القيمة فانه لولا هذا التهديد لحصل الهرج والمرج وارتفع الضبط وكثر الخبط كانه قيل
لما علمتم ان كل ما في السموات والارض لله تعالى وانه مالك الكل فاعلموا ان الملك الحكيم لا يهمل امور عبيده ولا يجوز في حكمته التسوية بين المطيع والعاصي
والغافل والساهي ومعنى ليجمعنكم الى المحشر في يوم القيمة فان الجمع يكون الى المكان لا الى الزمان وقيل ليجمعنكم في الدنيا خلقكم قرنا بعد قرن الى يوم القيمة
قال الاخفش الذين خسروا بدل من ضمير المخاطبين في ليجمعنكم وقال الزجاج انه مبتدأ خبره فهم لا يؤمنون وذلك لتضمنه معنى الشرط فكانه قيل لما
للمشركين مع وضوح الدلائل الباهرة لا يؤمنون فاجيب الذين خسروا انفسهم اي في علم الله وسابق قضائه فهم لا يؤمنون في طرف الابد فكان امتناعهم
الآن عن الايمان مسببا عن سبق القضاء عليهم بالخسران والخذلان وقال في الكشاف الذين خسروا نصب او رفع على الذم بمعنى اريد الذين او انتم الذين
ثم لما بين ان له المكان والمكانيات ارتقى في البيان كما هو شأن الترتيب التعليمي الى ما هو اخفى من ذلك عند الحس وهو الزمان والزمانيات فقال
وله ما سكن في الليل والنهار عن ابن عباس ان كفار مكة اتوا رسول الله صلعم فقالوا يا محمد صلى الله عليه وآله انا قد علمنا انما يحملك على ما تدعونا اليه
الحاجة فنحن نجعل لك نصيبا من اموالنا حتى تكون من اغنانا رجلا وترجع عما انت عليه فنزل وله ما سكن الآية قيل اشتقاقه من السكون والتقدير
كل ما سكن وتحرك كقوله سرابيل تقيكم الحر اي تقيكم الحر والبرد فاكتفى بذكر احدهما عن الآخر للقرينة والاحسن ان اشتقاقه من السكنى كما يقال فلان
سكن ببلد كذا اي حل فيه والمراد كل ما حل في الوقت اي الزمان سواء كان متحركا او ساكنا او ثابتا وذلك ان الدخول تحت الزمان يستلزم التغير والحدوث
فلا بد له من محدث يتقدم عليه وعلى نفس الزمان وهو السميع العليم الذي يسمع نداء المحتاجين ويعلم حاجات المضطرين فتوصل كل ممكن الى الكمال
اللائق به ويستعد له ثم لما كان لزاعم ان يزعم ان الذي يتعالى عن المكان وعن الزمان قد يكون ممكنا في نفسه كالمفارقات التي يثبتها الفلاسفة فلا
جرم قال قل اغير الله اتخذ منكرا لاتخاذ غير الله وليا ولذلك قدم المفعول لكونه اهم ولو كان حرف الاستفهام داخلا على الفعل توجه الانكار الى
نفس اتخاذ الولي وانه غير مهم فاطر السموات عطف بيان من الله او بدل وقرئ بالرفع على اضمار هو وبالنصب على المدح وعن ابن عباس ما عرفت معنى الفاطر
حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها وقال ابن الانباري اصل الفطر الشق وقد يكون شق اصلاح كقوله فاطر السموات و
الارض اي خالقهما ومنشأهما بالتركيب الذي سبيله ان يحصل فيه الشق والتأليف عند ضم بعض الاشياء الى البعض وقد يكون شق افساد ومنه قوله تعالى هل ترى من
فطور اذا السماء انفطرت وهو يطعم ولا يطعم اي هو الرزاق لغيره ولا يرزقه احد والرزق والاطعام وان كانا متغايرين الا انه لم يحسن العطف في قوله وما اريد
ان يطعمون الا انهما متقاربان فحسن جعل احدهما كناية عن الآخر وقرئ وهو يطعم ولا يطعم مبنيا للمفعول ولا يطعم مبنيا للفاعل على ان الضمير لغير الله وقرئ وهو يطعم
ولا يطعم كلاهما للفاعل والمعنى هو يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله والله يقبض ويبسط او الثاني بمعنى لا يستطعم وحاصل الآية انه يجب شغل القلب كله بالله وقطع
العلائق بالكلية عما سواه لانه الجواد المطلق الذي يهب لا لعوض ولا انتفاع ثم بين ان النبي ايضا داخل في تكليف المعرفة بل هو اسبق فيه من ذلك فقال قل اني
امرت ان اكون اول من اسلم وقيل لي لا تكونن من المشركين وفيه ان الواعظ يجب ان يتعظ اولا بما يقوله فالمريض لا يتصور منه العلاج ثم ذكر ان النبي صلعم مع جلالته

(في الحاشية: لتضمنكم [illegible] صح — انا فطرتها)

قدر بصدد المؤاخذة على تقدير المخالفة فقال قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ولا يلزم من هذا جواز المعصية عنه لان الفرض قد يتعلق بالمستحيل كقولك ان كانت الخمسة زوجا فهي منقسمة بمتساويين من قرأ من يصرف مبنيا للفاعل فالضمير فيه عائد الى الله والمفعول وهو العذاب محذوف لكونه معلوما او مذكورا قبله قال في الكشاف ويجوز ان تنتصب يومئذ على انه مفعول به ليصرف اي من يصرف الله عنه ذلك اليوم هوله ومن قرأ على بناء المفعول فهو مسند الى ضمير العذاب او الى يومئذ الفاعل هو الله تعالى للعلم به فقد رحمه اي الله الرحمة العظمى كقولك اذا اطعمت زيدا من جوعه فقد احسنت اليه يعني كمال الاحسان او المراد فقد ادخله الجنة فان من لم يعذب لم يكن له بد من الثواب تفضلا او استحقاقا قالت الاشاعرة في الآية دلالة على ان الثواب على الطاعة غير واجب انما هو ابتداء فضل واحسان والا لم يحسن ذكر الرحمة ههنا الآية ان الذي يصح منه ان يصرف يدا فاذا لم يصرف بل يقال انه رحمه وذلك الى صرف العذاب ايضا الثواب على سبيل التفضل والاستحقاق الفوز المبين لانه المطلب الاعلى والمقصد الاسنى لكل مكلف ثم اكد المعنى المذكور وهو انه لا يجوز للعاقل ان يرغب في اتخاذ ولي غير الله بقوله وان يمسسك الله بضر من مرض او فقر او غير ذلك من البليات فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير من غنى او صحة فهو على كل شيء قدير عمم الحكم ليندرج تحته كل خير والحاصل ان اندفاع جميع المضار وبقية وكذا حصول جميع الخيرات لان كل ما عداه فانما هو تحت قهره وتسخيره وقد حصل بايجاده وتكوينه فان الممكن لذاته لا يوجد الا بايجاد الواجب لذاته ورأس المضار هو الكفر وسنام الخيرات هو الايمان ولن يحصل نفرة الكفر وداعية الايمان الا بتوفيقه تعالى وكل ما يتصور انه قد نفع او ضر من الجمادات او الحيوانات فان ذلك ينتهي الى تخليق الله وجعله ذلك الشيء واسطة لذلك النفع والضر فلا ضار ولا نافع بالحقيقة الا هو سبحانه ثم زاد لهذا المعنى بيانا فقال وهو القاهر فوق عباده وهو اشارة الى كمال القدرة وهو الحكيم الخبير وانه اشارة الى كمال العلم فالحكمة اعم من العلم لانها عمل وعلم وكونه خبيرا اخص من العلم لانه العلم ببواطن الامور وخفاياها فاذا اجتمعت هذه المعاني حصل العلم بكماله وغايته وقد استدل بظاهر الآية من اثبت الفوقية لله تعالى وعورض بوجوه منها انه لو كان فوق العالم بان كان في الصغر بحيث لا يتميز منه جانب من جانب كالجوهر الفرد مثلا فذلك لا يقوله عاقل وان كان ذاهبا في الاقطار فكلما كان متجزيا والجزء لا يجوز ان يكون نورا قائما ابدا لانه غير متناه لا متجزيا ولا متبعضا فاما الجميع الا نورا منبسطا على جميع الاشياء لا غاية لجوده ولا نهاية لوجوده واما انه كيف يتصور نور بلا نهاية مع انه لا ينقسم ولا يتبعض فمجرد استبعاد فلا يصلح حجة وادراك شيء من هذا النور محتاج الى نور ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ومنها انه لو كان غير متناه من كل الجهات لزم اختلاطه بالقاذورات والجواب ان هذا كلام مخيل فلا يستعمل في البرهان ومنها انه لو لم يكن خارج العالم خلاء ولا ملاء لم يكن حصول الله تعالى فيه ولئن كان خلاء فحصوله في جزء من اجزاء ذلك الخلاء دون سائر اجزائه محتاج الى مخصص فيكون الواجب مفتقرا فيكون محدثا هذا خلف والجواب انما ذكرنا ان نور الانوار لا يتناهى وانه وراء ما لا يتناهى بما لا يتناهى فيسقط هذا الاعتراض ومنها انه سبحانه موجود قبل الخلاء والحيز والجهة فلا يكون بعد حصول هذه الاشياء موجودا فيها والا لزم التغير في ذاته والجواب بالفرق بين المعية وبين الافتقار ومنها ان العالم كرة فاما ان يكون الله تعالى فوق اقوام باعيانهم وحينئذ يلزم ان يكون تحت اقدام من يقابلهم واما ان يكون فوق الكل فيكون فلكا محيطا بجميع الافلاك وهذا لا يقوله مسلم والجواب لا نزاع بعد تسليم كون العالم كرة انا نختار القسم الاول ولا يلزم التحتية لان التحت من جميع الجوانب هو ما يلي المركز والفوق ما يلي السماء او القسم الثاني ولا يلزم من احاطته بجميع الاشياء كونه فلكا كسائر الافلاك واما التحقيق فقد مر ومنها ان لفظ الفوق في الآية مسبوق بالقهر فيراد به القدرة والمكنة وملحوق بلفظ عباده وانه يشعر بالمملوكية والمقدورية فالمناسب ان يراد بالفوق ايضا فوقية القدرة ولا يلزم التكرار لان المراد ان القهر والقدرة عام في حق الكل والجواب ان حمل الوسط على الطرفين اولى من العكس بل لا نزاع في مفهوم العباد وانما النزاع في مفهوم القاهرية والفوقية وحمل احدهما على الاخر اولى من غيره ومنها ان الآية سيقت ردا على من اتخذ غير الله وليا وهذا انما يحسن لو كان المراد بالفوقية القدرة لا الجهة والجواب ان الفوقية بالوجه الذي قررنا في جواب الاعتراض الاول يفيد الاستعلاء المطلق وذلك يوجب ان يكون التعويل عليه في كل الامور اذ لا وجود ولا ظهور لشيء من الاشياء الا بفيضه نوره وقد يلوح للمتامل في هذه الاجوبة بعد التنزيه عن التشبيه والتجسيم والحلول والاتحاد اسرار غامضة شريفة ان كان اهلا لها وكل ميسر لما خلق له قال الكلبي ان رؤساء مكة قالوا يا محمد ما نرى احدا يصدقك بما تقول من امر الرسالة ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك رسول كما تزعم فنزلت قل اي شيء اكبر شهادة الآية قال العلماء انها دلت على ان اكبر الشهادات واعظمها شهادة الله ثم بين ان شهادة الله حاصلة الا انها لم تدل على ان تلك الشهادة لاثبات اي المطالب فقيل انها لاثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لما ذكرنا من سبب النزول والمعنى قل يا محمد اي شيء اكبر شهادة حتى يعترفوا بان اكبر شهادة حتى يعترفوا بان اكبر الاشياء شهادة هو الله تعالى فاذا اعترفوا بذلك فقل ان الله شهد لي بالنبوة بان اظهر على وفق دعواي المعجز اعني القرآن الذي عجز عن معارضته الفصحاء والبلغاء وقيل المقصود هذه الشهادة في وحدانية الله تعالى وذلك ان الوحدانية ليست مما يتوقف صحته على صحة السمع فلا يمتنع اثباتها بالسمع والمعنى قل الله شهيد بيني وبينكم في اثبات الوحدانية والبراءة عن الاضداد والانداد والامثال والاشباه واوحي الي هذا القرآن لانذركم به وابلغكم ان الدين هو التوحيد والشرك مردود واستدل الجمهور بالآية على انه يصح اطلاق الشيء على الله تعالى وخالفهم جهم محتجا بقوله تعالى خالق كل شيء اذ لا يمكن دعوى التخصيص فيه فان التخصيص انما يجوز في صورة شاذة لا يلتفت لها لقلة اعتبارها فيطلق لفظ الكل على الاكثر تنبيها على ان البقية جارية مجرى العدم فلو كان

الباري تعالى شيئا لكان اعظم الاشياء اثرا فيها فيكون اخراجه من هذا العموم محض الكذب واحتج جهم بان الشيء يطلق على المعدوم لقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله والشيء الذي سيفعله غدا معدوم في الحال فالشيء لا يفيد صفة مدح فلا يطلق عليه والجواب عن الاول ان اخراج الاكثر من العموم جائز عندنا ولو سلم فانه تعالى واحد من الاشياء والمخرج بهذا الاعتبار اقل عددا من الباقي وعن الثاني ان لفظ الشيء اعم الالفاظ وقد صدق الخاص كالذات والحقيقة صدق العام بالضرورة قال جمع قل الله شهيد جملة مستقلة بنفسها لا تعلق لها بما قبلها فلا يصح الوقف على قوله قل اي شيء سؤال ولا بد له من جواب هو اما مذكور اي قل الله اكبر الاشياء شهادة ثم ابتدأ فقيل شهيد اي هو شهيد بيني وبينكم او محذوف والمعنى قل هو الله والله شهيد بيني وبينكم وحسن الحذف لانه اذا سئل عن اكبر الاشياء شهادة وذكر بعد ذلك ان الله شهيد علم جزما ان اكبر الاشياء شهادة هو الله اما قوله ومن بلغ فمعطوف على ضمير المخاطبين العائد الى من محذوف اي لانذركم يا اهل مكة وانذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم وقيل من الثقلين وقيل من بلغه الى يوم القيامة وعن سعيد بن جبير من بلغه القرآن فكانما رأى محمدا صلى الله عليه واله وقيل ومن بلغ اي من احتلم وبلغ اوان التكليف وعلى هذا فلا حاجة الى اضمار العائد ثم استفهم مبكتا فقال ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى وصف بصفة الواحدة كما يقال الرجال فعلت ثم دل على ايجاب التوحيد بثلث جمل اولاها قل لا اشهد اي بما تذكرونه من اثبات الشركاء وثانيتها قل انما هو اله واحد وكلمة انما تفيد الحصر وثالثتها واني بريء مما تشركون ومن هنا قال العلماء المستحب لمن اسلم ابتداء ان يأتي بالشهادتين ويضم اليهما التبري عن كل دين سوى دين الاسلام ولما زعم مشركوا مكة انهم سألوا اليهود والنصارى عن نعت محمد صلى الله عليه واله فقالوا ليس عندنا ذكر كذبهم الله تعالى بقوله الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه اي يعرفون رسول الله بنعوته وحلاه الثابتة في الكتابين كما يعرفون ابناءهم بالنعوت والحلى لا يخفى عليهم ولا يشتبهون لغير ابنائهم الذين خسروا انفسهم اما بدل او نصب من الذين الاولى ويكون المقصود وعيد المعاندين منهم والجاحدين واما مبتدأ والكلام جملة مستأنفة شاملة لجميع الجاحدين من اهل الكتاب ومن المشركين المراد بخسران النفس الهلاك الدائم الذي يحصل لهم بسبب الكفر وقيل ما من احد الا وله منزل في الجنة الا ان من كفر كان منزله الى من اسلم فيكون قد خسر نفسه واهله بان ورث منزله غيره ثم بين سبب خسرانهم مستفهما على سبيل الانكار فقال ومن اظلم وذلك انهم جمعوا بين امرين متنافيين اثبات الباطل وهو الافتراء على الله وجحد الحق وهو التكذيب بآيات الله فمن الاول ان المشركين كانوا يقولون للاصنام انهم شركاء الله والله امرهم بذلك كانوا يقولون الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله واليهود والنصارى كانوا يزعمون ان التوراة والانجيل لا يطرقان بعدهما النسخ وانهم ابناء الله واحباؤه وان النار لا تمسهم الا اياما معدودة الى غير ذلك من مفترياتهم ومن الثاني قدحهم في القرآن وفي صحة نبوة محمد صلى الله عليه واله انه لا يفلح الظالمون الذين وضعوا الشيء في غير موضعه فالباطل مكان الحق والحق بازاء الباطل ثم كشف عن حالهم يوم القيامة فقال ويوم نحشرهم وناصبه محذوف اي ويوم كذا كان كيت وكيت فترك ليبقى على الابهام الذي هو ادخل في الوعيد ويحتمل ان يكون مفعول واذكروا او معطوفا على محذوف اي لا يفلح الظالمون في الدنيا ويوم الحشر اين شركاؤكم آلهتكم التي جعلتموهم شركاء الذين كنتم تزعمون هم شركاء فحذف المفعولان والمقصود من هذا الاستفهام التقريع والتبكيت ويجوز ان يشاهدوهم الا انهم حيث لم ينفعوهم فكانهم غيب عنهم ويجوز ان يحال بينهم وبين آلهتهم وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا بهم الرجاء فيها فيزداد حسرتهم ويحتمل ان يقال اين شفعاؤكم لكم وانفعكم بهم والغرض من جميع الوجوه ان يتقرر في نفوسهم ان الذي يظنونه مما يؤيس منه فيصير ذلك تنبيها لهم في الدنيا على فساد هذه الطريقة ثم لم تكن فتنتهم من قرأ بالرفع على انه اسم كان فالخبر الا ان قالوا والتقدير شيئا الا ان قالوا ومن قرأ بالنصب مع تذكير يكن فبعكس ما قلنا والتقدير شيء الا ان قالوا واما مع تانيث يكن فلوقوع الخبر مؤنثا كقولهم من كانت امك وبتاويل مقالتهم قال الواحدي الاختيار قراءة من قرأ بالنصب لان ان اذا وصلت بالفعل لم يوصف فاشبهت بامتناع وصفها المضمر وكما ان المضمر والمظهر اذا اجتمعا كقولك كنت القائم كان جعل المضمر اسما اولى من جعله خبرا فكذلك ههنا قال الزجاج تاويل هذه الآية حسن في اللغة لا يعرفه الا من وقف على معاني كلام العرب وذلك انه تعالى بين كون المشركين مفتونين بشركهم متهالكين في حبه فذكر ان عاقبة كفرهم الذي لزموه اعمارهم وقاتلوا عليه وافتخروا به وقالوا انه دين آبائنا لم تكن الا الجحود والتبري والحلف على عدم التدين به ومثاله ان ترى انسانا يحب شخصا مذموم الطريقة فاذا وقع في محنة بسببه تبرأ منه فيقال له ما كانت محبتك اي عاقبة محبتك لفلان الا ان تبرأت منه وتركته فعلى هذا فتنتهم هي شركهم في الدنيا كما فسرها ابن عباس ولكن لا بد من تقدير مضاف هو العاقبة ويجوز ان يراد ثم لم يكن جوابهم الا ان قالوا فسمي فتنة لانه كذب قال القاضيان الجبائي وابو بكر ان اهل القيامة لا يجوز اقدامهم على الكذب لانهم يعرفون الله تعالى بالاضطرار فيكونون ملجئين الى ترك القبيح وكيف لا وانهم يعلمون ان ذلك لا يروج منهم ولا يستفيدون بذلك الا زيادة المقت والغضب من الله تعالى عليهم ولا يجوز ان يقال انهم لما عاينوا القيامة اختلت عقولهم واضطربت فلهذا قالوا الكذب وانهم نسوا كونهم مشركين في الدنيا لانه لا يليق بحكمته تعالى ان يوبخهم ثم يحكي عنهم ما يجري مجرى الاعتذار عند اختلال عقولهم ولان تجويز نسيان ما مر على الشخص مدة عمره نوع من السفسطة وايضا انهم لو كذبوا في موقف القيامة ثم حلفوا على ذلك الكذب لكانوا قد اقدموا على نوعين من القبيح فان عوقبوا على ذلك صارت الآخرة دار التكليف وان لم يعاقبوا كان اذنا من الله تعالى في ارتكاب الذنوب وكلاهما محال فاذن الوجه في الآية ان يقال ان القوم كانوا يعتقدون في انفسهم ويظنون انهم موحدون فاجابوا بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اي في اعتقادنا وظنوننا وعلى هذا فيكونون صادقين فيما اخبروا عنه لانهم كانوا غير مشركين

عند انفسهم فيجب تاويل قوله ثم انظر كيف كذبوا على انفسهم بان المراد كذبهم في دار الدنيا كقولهم انهم على صواب وان ما هم عليه ليس بشرك وان الهتهم شفعاؤهم عند الله فلهذا قال وضل عنهم اى وانظر كيف غاب عنهم في الاخرة ما كانوا يفترونه اى يفعلون الهيته وشفاعته والحاصل ان الاية سيقت لبيان تضاد حاليهم في الدنيا وفي الاخرة بالكذب بالصدق لان الصدق في الاخرة انما يعتبر اذا كان مقرونا بالصدق في الدنيا هذا جملة كلام القاضيين قال جمهور المفسرين ان قول القائل المراد ما كنا مشركين في اعتقادنا كيف كذبوا على انفسهم في الدنيا لمخالفة الظاهر وان الكفار قد يكذبون في القيمة لقوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون الى قوله الا انهم هم الكاذبون ولو سلم انهم لا يكذبون تعمدا الا ان الممتحن ينطق بما ينفعه وبما لا ينفعه حيرة ودهشا الا ترا هم يقولون ربنا اخرجنا منها وقد ايقنوا بالخلود وقالوا يا مالك ليقض علينا ربك وقد علموا انه لا يقضى عليهم اختلال عقولهم حالا ما يتكلمون لهذا الكلام لا يمنع كمال عقلهم في شأن الاوقات التاويل ما في الكون سوى الله لا داع ولا مجيب فلهذا يسئل ويجيب قل لمن ما في السموات والارض قل لله وله ما سكن في ليل البشرية الى التمتعات الحيوانية وفي نهار الروحانية الى المواهب الربانية وهو السميع لانين من سكن اليه العليم بحنين من اشتاق اليه قل اغير الله اتخذ وليا وقد اتخذني الله في الازل حبيبا فاطر سموات القلوب على محبته وفاطر ارض النفوس على عبوديته وهو يطعم ارواح العاشقين طعام المشاهدات ويسقيهم كؤوس المكاشفات ولا يطعم لانه لا يحتاج الى قبول الفيض من غيره فالانوار عنده كالذرات اول من اسلم لاني خاص من جنس الوجود بالكلية وحده ولهذا يقول الانبياء نفسي نفسي واقول امتي امتي ان عصيت ربي برؤية الغير عذاب يوم عظيم هو فوت الاستغراق عن مقام التوحيد من يصرف عنه عذاب الشرك يوم قدر التشرك لاقوام والتوحيد لاقوام وان يمسسك الله بضر ان دائرة ازليته متصلة بابديته وكل نقطة من الدائرة تصلح للبداية والنهاية فكل ما صدر منه فلن ينتهي الا به وهو القاهر فوق عباده قهر الكفار بحوث القلوب فضلوا في ظلمات الطبيعة وقهر نفوس المؤمنين بانوار الشريعة فخرجوا من ظلمات الطبيعة وقهر قلوب المحبين بلدغات الاشواق الى يوم التلاق وقهر ارواح الصديقين بسطوات الجلال في اوقات الوصال وهو الحكيم فيما يقهره فلا يخلو من حكمة الخبير لمن يستاهل كل صنف من قهره ونوره بر الله اكبر شهادة لا تحيط بحقايق الاشياء ولا يخفى عليه شيء من الاشياء ومن بلغ القران ووقف على حقايقه ويقول بوحدانيتي للمشركين انكم لتشهدون الذين اتيناهم الكتاب يعني العلماء بالقران يعرفون الله او النبي وفيه اشارة الى ان الابناء قد تحقق عندهم انهم صاروا ابنا فكذلك اهل المعرفة قد تحقق عندهم ان الله مصدر جميع الاشياء الذين خسروا انفسهم بافساد الاستعداد الفطري ويوم نحشرهم جميعا يعني اهل المعرفة والنكرة اين شركاؤكم من الهوى والدنيا كذبوا على انفسهم لانهم كذبوا في الدنيا ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى

ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين وهم ينهون عنه وينأون عنه وان يهلكون الا انفسهم وما يشعرون ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الا ساء ما يزرون وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الاخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات الله يجحدون ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتيهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتأتيهم باية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه

قل ان الله قادر على ان ينزل اية ولكن اكثرهم لا يعلمون القراءة ولا نكذب ونكون بالنصب فيهما حمزة ويعقوب ووافق ابن عامر في ونكون الباقون بالرفع ولدار الاخرة بالاضافة ابن عامر بتاويل الساعة الاخرة الباقون بتنوين الدار ورفع الاخرة على الوصفية تعقلون بلفظ الخطاب ابو جعفر ونافع وابن ذكوان وسهل ويعقوب وحفص وكذلك في الاعراف يكذبونك بالتخفيف من اكذبه اذا وجده كاذبا على ونافع والاعشى في اختياره الباقون بالتشديد من كذبه اذا نسبه الى الكذب بان ترك بالتخفيف ابن كثير الوقوف وقرا الاولين وينأون عنه لا تبدأ لانتفى مع واو العطف وما يشعرون من المؤمنين من قبل لكاذبون لمبعوثين نصف الجزء وربهم بالحق وربنا تكفرون بلقاء الله لان حتى للابتداء فيها لان الواو للحال على ظهورهم يزرون ولهو يتقون يعقلون يجحدون نصرنا لانقطاع النظم مع اتحاد المقصود لكلمات الله كذلك المرسلين باية من الجاهلين يسمعون يرجعون من ربه لا يعلمون التفسير لما بين احوال الكفار في الاخرة اتبعه بعض اسباب ذلك فقال ومنهم من يستمع اليك قال ابن عباس حضر عند رسول الله صلى الله عليه واله ابو سفيان والوليد بن المغيرة والنضر بن الحرث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وامية وابي ابنا خلف واستمعوا الى حديث رسول الله فقالوا للنضر ما يقول محمد فقال ما ادري ما يقول الا اني ارى تحريك شفتيه يتكلم بشيء وما يقول الا اساطير الاولين مثل ما كنت احدثكم عن القرون الماضية وكان النضر كثير الحديث من القرون الاولى وكان يحدث قريشا فيستملحون حديثه فنزلت الاية والاكنة جمع كنان وهو ما وقي شيئا وستره من الاغطية والغلف ومنه اكننت وان يفقهوه مفعول له اى كراهة ان يفقهوه والوقر الثقل في الاذان التركيب يدور على الثقل ومنه الوقر بالكسر الحمل والوقار الحلم وفي الاية دلالة على ان الله تعالى هو الذي يصرف عن الايمان ويحول بين المرء وبين قلبه وقالت المعتزلة لا يمكن اجراؤها على ظاهرها والا كان فيها حجة للكفار ولانه يكون تكليفا للعاجز ولم يتوجه ذمهم في قولهم وقالوا قلوبنا غلف فلا بد من التاويل وذلك من وجوه الاول قال الجبائي ان القوم كانوا يستمعون لقراءة الرسول ليتوسلوا باستماع قراءته الى مكانه بالليل فيقصدوا قتله وايذاءه فكان الله تعالى يلقي على قلوبهم النوم والغفلة وعلى اذانهم الثقل وزيف بان المراد لو كان ذلك لقيل ان يسمعوه بدل ان يفقهوه وبان قوله وان يروا كل اية اى كل دليل وحجة لا يؤمنوا بها لا يناسبه الثاني ان المكلف الذي علم الله تعالى انه لا يؤمن وانه يموت على الكفر يسم قلبه بعلامة مخصوصة ليستدل الملائكة برؤيتها فلا يبعد تسمية تلك العلامة بالكنان مع انها في نفسها ليست بمانعة عن الايمان الثالث يقال انه جبل على كذا اذا كان مصرا عليه وذلك على جهة التمثيل الرابع لما منعهم الالطاف التي تصلح ان يفعل بالمهتدين فوض امورهم الى انفسهم لم يبعد ان يضيف ذلك الى نفسه الخامس ان هذا حكاية قولهم في اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب وعورضت هذه الادلة بالعلم والداعي وذلك ان الله تعالى علم من الكافر انه لا يؤمن وخلاف علمه محال وانه سبحانه هو الذي خلق فيهم داعية الكفر ومع وجود تلك الداعية يستحيل الايمان فهو المعني بالكنان وتحقيق المسئلة تقدم في اول سورة البقرة في قوله ختم الله على قلوبهم والافراد في يستمع والجمع في قلوبهم اعتبار للفظ من تارة ولمعناه اخرى حتى اذا جاؤك هي حتى الابتداء التي يقع بعدها الجمل كقوله حتى ماء دجلة اشكل والجملة ههنا مجموع الشرط والجزاء اعني قوله اذا جاؤك يجادلونك في موضع الحال ويجوز ان يكون جارة حتى اى وقت مجيئهم ويجادلونك حال ويقول تفسير له والمعنى انه بلغ تكذيبهم الايات الى حالة المجادلة ثم فسر الجدل بانهم يقولون ان هذا الا اساطير الاولين واصل السطر هو ان يجعل شيئا ممتدا مؤلفا ومنه سطر الكتاب وسطر من نخيل وجمعه اسطار وجمع الجمع اساطير وقال الزجاج واحد الاساطير اسطورة كاحاديث واحدها حديث وقال ابو زيد لا واحد له كعبابيد قال ابن عباس معناه احاديث الاولين التي كانوا يسطرونها اى يكتبونها ومن فسر الاساطير بالخرافات والترهات نظر الى ان الاغلب هو ان لا يكون فيها فائدة معتبرة كحديث رستم وغيره فذلك معنى وليس بتفسير ثم ان غرض القوم من هذا القول القدح في كون القران معجزا كما ان الكتب المشتملة على الاخبار والقصص ليست بمعجزة والجواب ان هذا مقرون بالتحدي وقد عجزوا عن اخوهم دون تلك فظهر الفرق ثم اكد طعنهم في القران بقوله وهم ينهون عنه وينأون عنه قال محمد بن الحنفية وابن عباس في رواية والسدي والضحاك اى عن القران وتدبره والاستماع له وينأون عنه والنأي البعد نأيته ونأيت عنه نأيا الرجل اذا بعد لغة في نأى وحملوه على القلب لان المقصود لم يجئ الاعلى النأي وقيل الضمير للرسول والمراد النهي عن اتباعه والتصديق بنبوته جمعوا بين النأي النهي فضلوا واضلوا وعن عطاء ومقاتل عن ابن عباس نزلت في ابي طالب كان ينهى المشركين ان يؤذوا رسول الله صلى الله عليه واله ويتباعد عما جاء به روى ان قريشا اجتمعوا الى ابي طالب يريدون سوءا بالنبي صلى الله عليه واله فقال ابو طالب والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد بالتراب دفينا فاصدع بامرك ما عليك غضاضة وابشر وقر بذاك منك عيونا وعرضت دينا لا محالة انه من خير اديان البرية دينا ودعوتني وزعمت انك ناصحي ولقد صدقت وكنت ثم امينا لولا الملامة او حذاري سبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا وضعفت هذه الرواية بان قوله وان يهلكون الا انفسهم يعني بما تقدم ذكره ولكن النهي عن اذيته حسن لا يوجب الهلاك ويمكن ان يجاب بان الذم توجه على الهيئة الاجتماعية الحاصلة من النهي عن الشيء كقوله اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم ولو سلم فلم لا يجوز ان يرجع الذم الى القسم الاخير فقط ثم بين انه كيف يعود الضرر اليهم فقال ولو ترى اذ وقفوا على النار وجواب لو محذوف اى لرأيت سوء منقلبهم ونحو ذلك وجاز حذفه للعلم به وليذهب الحذف في تفخيم الشأن وهو ذهاب الوهم كل مذهب كما لو قلت لغلامك والله لئن قمت اليك وسكت عن الجواب ذهب فكره الى انواع المكاره من الضرب والقتل وغيرهما بخلاف ما لو قلت لاضربنك فلمثل هذا من ارادة المبالغة قال وقفوا بلفظ الماضي مع انه للاستقبال اذ الدال على المضي كان هذا الامر وقع وتحقق فكان من حقه ان يخبر عنه بلفظ الماضي ووقفوا على ان يدخلوا النار وهم يعاينونها او وقفوا عليها وهي تحتهم او هو من قولهم وقفت على المسئلة الفلانية وقوفا اى عرفتها وحقيقتها تعريفا والمراد انهم

وجوف النار غائصين فيها فيكون على بمعنى في وجاز لان النار دركات بعضها فوق بعض فلا يخلو من معنى الاستعلاء يا ليتنا نرد وهو داخل في حكم التمني اما قوله ولا
نكذب ونكون فمن قرأ بالنصب منهما فباضمار ان على جواب التمني والمعنى ان رددنا الى دار التكليف لم نكذب ونكن من المؤمنين ومن قرأ بالرفع فيهما فوجهان
احدهما ان التمني تم عند قوله نرد ثم ابتدأ ولا نكذب ونكون اي نحن لا نكذب ونكون كانهم ضمنوا ان لا يكذبوا ويكونوا من المؤمنين سواء حصل الرد
او لم يحصل وشبهه سيبويه بقولهم دعني ولا اعود انا لا اعود تركتني او لم تتركني وثانيهما ان يكونا معطوفين على نرد او حالين على معنى يا ليتنا نرد غير مكذبين
وكائنين من المؤمنين فيدخل المجموع تحت حكم التمني واورد على هذا الوجه ان المتمني لا يكون كاذبا وقد قال تعالى وانهم لكاذبون واجيب بان هذا التمني قد
تضمن معنى الوعد فجاز ان يتعلق به التكذيب كقول القائل ليت الله يرزقني مالا فاحسن اليك فهذا متمني في حكم الواعد فلو رزق مالا ولم يحسن الى
صاحبه كذب لانه كانه قال ان رزقني الله مالا لاحسنت اليك اما قراءة ابن عامر فمعناه ان رددنا غير مكذبين نكن من المؤمنين ثم رد الله تعالى عليهم
بانهم ما تمنوا العود الى الدنيا وترك التكذيب وتحصيل الايمان لاجل كونهم راغبين في الايمان بل لاجل خوفهم من العذاب الذي شاهدوه وعاينوه
فقال بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل وما الذي كانوا يخفونه في الدنيا قال اكثر المفسرين ان المشركين في بعض مواقف القيمة يجحدون الشرك فيقولون
والله ربنا ما كنا مشركين فينطق الله تعالى جوارحهم فتشهد عليهم بالكفر فذلك معنى بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل وقال المبرد بدا لهم وبال عقائدهم
واعمالهم وسوء عاقبتها وذلك ان كفرهم ما كان ظاهرا لهم وانما ظهر لهم يوم القيمة قال الزجاج بدا للاتباع ما اخفاه الرؤساء منهم من امر البعث والنشور
بدليل قوله بعد ذلك وقالوا ان هي الا حيوتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين فهذا قول الحسن وقيل انها في المنافقين كانوا يسرون الكفر فظهر نفاقهم
على رؤس الاشهاد يوم القيمة وقيل هو في اهل الكتاب يظهر لهم ما كانوا يكتمونه من صحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله والاولى حمل الاية على الكل لانه يوم تبلى
السرائر فلا جرم تظهر الفضائح والقبائح وينكشف من الاسرار وتنهتك الاستار اللهم كفر عنا سيئاتنا في ذلك اليوم ثم قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه قيل
كيف يتصور هذا وانهم قد عرفوا الله تعالى بالضرورة وشاهدوا الاحوال والاهوال واجاب القاضي بان المراد ولو ردوا الى حالة التكليف وعلى هذا التقدير
لا يبقى المعرفة ضرورية فلا يمتنع صدور الكفر عنهم وضعف بان المقصود من ايراد هذا الكلام المبالغة في غيهم وتماديهم واصرارهم على الكفر واذا فرض عودهم
الى حالة التكليف الى النعيم كما هو الان فاذن لا تحل العقدة الا بان يقال المراد توكيد جريان القضاء السابق فيهم بحيث لو شاهدوا العذاب والعقاب ثم
سئلوا الرجعة فردوا الى الدنيا لعادوا الى الشرك ولم يمنع ذلك فيهم وانهم لكاذبون بما وعدوا في ضمن التمني او في كل شيء ولهذا قالوا ان هي الا حيوتنا الدنيا
ان نافية والضمير عائد الى حقيقة الحيوة المعلومة في الاذهان ولهذا اضيف الى ضمير المتكلم جمع الى ما لنا حيوة الا هذه الحيوة التي هي اقرب اليها وما نحن بمبعوثين
بعدها وقيل ان تفسير الاية ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولانكروا البعث ولقالوا ان هي الا حيوتنا الدنيا ثم لما قرر انكارهم كشف عن حالهم يوم القيمة
فقال ولو ترى اذ وقفوا على ربهم تمسك بعض المشبهة بهذا على انه تعالى يحضر تارة ويغيب اخرى ورد بان استعلاء شيء على ذات الله تعالى محال بالاتفاق
فوجب تأويل الاية بانه مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي مولاه للعتاب او المضاف محذوف اي على جزاء ربهم او وعد او اخباره
بثواب المؤمنين وعقاب الكافرين او هو من قولك وقفته على كذا اي اطلعته عليه ثم كان لسائل ان يقول ماذا قال لهم ربهم اذ وقفوا عليه فاجيب قال أليس
هذا الذي عاينتموه من حديث البعث والجزاء بالحق الذي جحدتموه قالوا بلى وربنا وفيه دليل على ان حالهم في الانكار سيؤل الى الاقرار ثم كانه سئل ماذا قيل لهم
بعد الاقرار فاجيب قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون اي بسبب كفركم وذلك ليعلم ان الاقرار في غير دار التكليف لا ينفع وذلك ان جوهر النفس اللطيفة
القدسية بعثت الى هذا العالم الجسماني الكثيف واعطي الالات الجسمانية لتحصيل المعارف اليقينية والاخلاق الفاضلة التي يعظم منافعها بعد الموت
فاذا استعملها الانسان بناء على اعتقاد عدم المعاد في تحصيل اللذات الفانية والسعادات المنقطعة الى ان ينقضي اجله فقد ضاع رأس ماله ولا
ربح وذلك قوله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله اي ببلوغ الاخرة وثوابها وعقابها عبر عن ذلك بلقاء الله لانه لا حكم لاحد هنالك الا الله بخلاف
الدنيا فانه قد يظن ان للانسان تصرفا واختيارا او ملكا وملكا وحمل اللقاء على الرؤية ايضا غير بعيد عند اهل السنة وحتى غاية لكذبوا لا
لخسر لان خسرانهم لا غاية له اي لم يزل بهم التكذيب الى حسرتهم وتجيء الساعة بل وقت موتهم فان امارات السعادة والشقاوة يلوح على صفحات
احوال المكلفين وقتئذ وهذا معنى قوله صلى الله عليه وآله من مات فقد قامت قيامته وسمي يوم القيمة الساعة لسرعة الحساب فيه وكانه قيل
ما هو الا ساعة الحساب او لانها تفجأ الناس في ساعة لا يعلمها الا الله تعالى ولهذا قال بغتة اي فجأة وانتصابها على الحال اي باغتة من بغته اذا فاجأه
او على المصدر العام اي بغتتهم الساعة بغتة او الخاص لان البغتة نوع من المجيء قالوا عامل اذا يا حسرتنا مثل يا ويلتي وقد مر في المائدة اي احضري فهذا
وقتك على ما فرطنا اصله يدل على التقدم والهمزة في الافراط لازالة ذلك وقولهم فرطت القوم اي سبقتهم الى الماء معناه تركهم من ورائي حتى حصل لي
التقدم اما الضمير في فيها فقال ابن عباس اي في الدنيا وان لم يجر لها ذكر في الاية بدلالة العقل لان موضع التقصير هو الدنيا وقال الحسن اي في تلك الساعة
على معنى قصرنا في شأنها والايمان بها والاعداد لها او في تحصيل الاهبة لها وقال محمد بن جرير الطبري يعود الى الصفقة والمبايعة بدلالة ذكر الخسران او
قيل الى الملة فان ما فرطنا اي يا حسرتنا على الاعمال والطاعات التي تركناها وقصرنا فيها ثم بين تضاعف خسرانهم بانهم لم يحصلوا لانفسهم مواجب الثواب
ولكن حصلوا مواجب العقاب فقال وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم هي الاثام والخطايا واصل الوزر الثقل ومنه الوزير يحمل ثقل صاحبه والوزر
الملجأ لانه يرفع عنه ما اصابه فكانه حمله اما كيفية حملهم الاوزار فقال في الكشاف انه مجاز عن حصولها لهم كقوله فبما كسبت ايديهم لانه اعتيد حمل

الاثقال

الاثقال على الظهور كما الف الكسب بالايدي قال الزجاج الثقل يذكر في الحال والصفة تقول عن خطاب فلان لي كره وذا المعنى انهم يقاسون عذاب ذنوبهم
مقاساة ثقل ذلك عليهم وقيل هو كقولك شخصك نصب عيني لا تزيمه وقال جمع من المفسرين ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله شيء هو احسن الاشياء
صورة واطيبها ريحا فيقول انا عملك الصالح طالما ركبتك في الدنيا فاركبني انت اليوم فذلك قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا قالوا ركبانا
وان الكافر اذا خرج من قبره استقبله شيء هو اقبح الاشياء صورة واخبثها ريحا فيقول انا عملك الفاسد طالما ركبتني في الدنيا فانا اركبك اليوم
الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرون وزرهم ثم رغب في الحيوة الباقية وزهد في الحيوة العاجلة فقال وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو قال ابن عباس
يريد حيوة اهل الشرك والنفاق لان الحيوة المؤمن يحصل فيها اعمال صالحة فلا يكون لعبا ولهوا وقال اخرون هو عام في حيوة المؤمن والكافر وذلك ان مدة اللهو واللعب
وكاشي يلهيك ويشغلك عما لا اصل له قليلة سريعة الانقضاء والزوال ومدة هذه الحيوة كذلك وايضا اللعب واللهو لا يتلذذ بهما في اكثر الامر الا الصبي من الكبار
ولذات الدنيا كذلك ولهذا رفضها العلماء المحققون والحكماء المتألهون وللدار الاخرة قال ابن عباس هي الجنة وانها خير لمن اتقى الكفر والمعاصي قال الاصم التمسك بعمل
الاخرة خير وقال الاخرون نعيم الاخرة خير من نعيم الدنيا من حيث تمادي ايامها ودوامها وانه مصون عن شوائب الافات والمخافات منزه عن نقص الانقضاء والانقراض
للذين يتقون ومن هذا الحصر ان انما يحصل لمن اتقى الكفر والمعاصي اما الكفر والفاسق فالدنيا بالنسبة اليهما خير كما قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر
افلا تعقلون قال الواحدي من قرأ بالياء الخطاب فالمعنى قل لهم افلا تعقلون ايها المخاطبون ومن قرأ بالياء فالمعنى افلا يعقل الذين يتقون ان الدار الاخرة خير من
هذه الدار وقيل ان خيرات الدنيا ليست الا قضاء الشهوات التي يشاركه فيها سائر الحيوانات بل ربما كان امر الحيوانات فيها اكمل فان الجمل اكثر اكلا والديك
والعصفور اكثر وقاعا والذئب اقوى ضربا والحيوة اقوى غضبا وقهرا وكل من يقف عمره على هذه المطالب لم يكن له عند العقلاء وزن ولا عند الحكماء والعلماء
قدر وكل من صرف عمره في تحصيل الكمالات الروحانية والسعادات الباقية فانه يكون له في العيون مهابة وفي القلوب قبول وذلك دليل على ان الفطرة الاصلية
شاهدة بحساسة اللذات الجسمانية وعلو مرتبة الكمالات الروحانية وهب ان النوعين تشاركا في الفضل الا ان الفضل المنتفية الى المعلوم افضل من المظنون وان خيرات الاخرة معلومة
قطعا والوصول الى خيرات الدنيا في الغد غير معلوم ولا مظنون فكم من سلطان قاهر بكرة وصار تحت التراب عشية وكم من متمول متغلب اصبح امير اكبر ثم امسى
فقيرا حقيرا وهب انه وجد بعد هذا اليوم يوما اخر فلعله يمكنه الانتفاع بكل ما جمع من الاسباب ولو انتفع فلعله لا يخلص من شوائب المكاره والافات كما روي انه صلى
من طلب ما لم يخلق اتعب نفسه ولم يرزق فقيل وما هو يا رسول الله صلعم قال سرير يوم بتمامه وهب انه لا يوجد في الدنيا ذلك فانه يكون في الزوال والانقراض
وكفى بذلك نقصا وكدرا كما قال الكمال النعم عيب في سير فيه ينقض عنه صاحبه انتقال الامر سلي رسوله صلعم فقال قد نعلم والمراد كثرة العلم والمبالغة كما مر في قوله
قد نرى تقلب وجهك والهاء في انه ضمير الشان وكسرت بعد العلم لمكان لام الابتداء في ليحزنك وما قاله الحسن قولهم ساحر شاعر كاهن
مجنون وقيل بصرحهم انهم لا يؤمنون به ولا يقبلون دينه وقيل نسبتهم اياه الى الكذب فانهم لا يكذبونك قال ابو علي وتغلب كذبه وكذبه بمعنى
وقيل اكذبه الرجل الفتنة كاذبا وكذبه اذا قلت له كذبت قال الكسائي اكذبه اذا اخبرت انه جاء بالكذب ورواه وكذبه اذا اخبرت انه
انه كاذب وقال الزجاج معنى كذبته قلت له كذبت ومعنى اكذبته ان الذي اتى به كذب في نفسه من غير ادعاء ان ذلك القائل تكلف ذلك الكذب وانى به على
سبيل الافتعال والقصد من قرأ بالتخفيف نظر الى ان القوم كانوا يعتقدون ان محمدا ما ذكر ذلك على سبيل الافتعال والتزوير بل تخيل صحته
ذلك وانه نبي الا انه تخيله باطل ثم ان ظاهر الاية يقتضي انهم لا يكذبون محمدا صلى الله عليه وآله ولكنهم يجحدون بايات الله وفي الجمع بين الامرين وجوه الاول
ان القوم ما كانوا يكذبونه في السر ولكنهم كانوا يكذبونه في العلانية ويجحدون القران ونبوته ويؤكده رواية السدي ان الاخنس بن شريق وابا جهل
التقيا فقال الاخنس لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس هنا احد يسمع كلامك غيري فقال ابو جهل والله ان
محمدا لصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقال ابو ميسرة ان رسول الله صلعم
مر بابي جهل واصحابه فقالوا يا محمد انا والله ما نكذبك وانك عندنا الصادق ولكن نكذب ما جئت به فنزلت وقال مقاتل نزلت في الحرث بن عامر بن
نوفل كان يكذب النبي صلعم في العلانية فاذا خلا مع اهل بيته قال ما محمد من اهل الكذب ولا احسبه الا صادقا فاذن هذه الاية نظير قوله تعالى في قصة
موسى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا الثاني نظرا الى قوله بل الاية انهم لا يقولون انك كذاب لانهم جربوك الدهر الطويل فما وجدوا
منك كذبا وسموك الصادق الامين فلا يقولون لعلنا انك كاذب ولكن جحدوا صحة نبوتك ورسالتك اما لانهم اعتقدوا ان محمدا عرض له نوع
خبل ونقصان فلاجل ذلك تخيل انه رسول لا انه كذب في نفسه واما لانهم زعموا انه امين في كل الامور الا في هذا الواحد الثالث انه لما اظهر
المعجزات على يده ثم ان القوم اصروا على التكذيب فقال لهم ان القوم ما كذبوك وانما كذبوني ونحوه قول السيد لغلامه اذا اهانه بعض الناس انهم
لم يهينوك وانما اهانوني ومثله قوله سبحانه ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله فكانه قيل له لا يحزنك ليقينك ولا يشغلك عن ذلك ما هو اهم
وهو استعظام ان جحدوا ايات الله والاستهانة بكتابه الرابع مثل في التفسير الكبير لا يخصونك بهذا التكذيب بل ينكرون دلالة المعجز على الصدق مطلقا
ويكذبون جميع الانبياء والرسل وقوله ولكن الظالمين من اقامة المظهر مقام المضمر ليجيد عليهم بالظلم في جحودهم او بين من وضع التكذيب مقام
الصبر ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتيهم نصرنا
التصديق فقد ظلم ثم صبر رسوله على اذى القوم فقال ولقد كذبت رسل من قبلك اي رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتيهم نصرنا
فانت اولى بهذه السيرة لانك مبعوث الى كافة الخلائق فاصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا ولا مبدل لكلمات الله اي لمواعيده في نحو قوله لاغلبن انا ورسلي

وقوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون ولقد جاءك من نبإ المرسلين قال الاخفش من زائدة والاصح انها للتبعيض
لقلة مجيء زيادة من في الاثبات ولان الواصل اليه بعض قصص الانبياء لقوله منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك فالتقدير ولقد
جاءك بعض انبائهم وكان يكبر على النبي ع كفر قومه واعراضهم عما جاء به فنزلت وان كان كبر عليك اعراضهم عن الايمان وصحة القران فان
استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتاتيهم باية فافعل يعني انك لا تستطيع ذلك والجواب محذوف وحسن للعلم به والنفق سرب

[illegible]

في عالم الارواح عند رش النور على الهدى فلا تكونن من الجاهلين الذين لا يعلمون الحكمة في جعل التعرض في مظاهر اللطف والتعرض بظاهر القهر
والنهي في حقه صلى الله هو نهي الامتناع عن الكينونة لا حلف في الازل ممتنعا عن الجهل بواسطة كلمة لا تكن كما انه خلق مستعدا للكمال بكلمة كن
قل ان الله قادر على ان ينزل اية في كل لحظة ولمحة ولكن اكثرهم لا يعلمون دلالة الكائنات على المكون والممكنات على الواجب والمصنوعات على
الصانع وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وفي كل شيء اية تدل على انه واحد وما من دابة في الارض ولا طائر يطير
بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون والذين كذبوا باياتنا صم وبكم في الظلمات

من يشاء الله يضلله ومن يشاء يجعله على صراط مستقيم قل ارايتكم ان اتيكم عذاب الله او اتتكم الساعة
[illegible]
اغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون ولقد
[illegible]
ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالباساء والضراء لعلهم يتضرعون فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا و
[illegible]
لكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا
[illegible]
بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين قل ارايتم
[illegible]
ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله ياتيكم به انظر كيف نصرف الايات ثم هم يصدفون
[illegible]
قل ارايتكم ان اتيكم عذاب الله بغتة او جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون وما نرسل المرسلين الا مبشرين
[illegible]
ومنذرين فمن امن واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب بما كانوا
[illegible]
يفسقون قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك ان اتبع الا ما يوحى الي قل هل
[illegible]
يستوي الاعمى والبصير افلا تتفكرون القراءة ارايتكم وبابه بتليين الهمزة ابو جعفر ونافع وحمزة في الوقف رايتكم وبابه
هيهنا بغير همز علي الباقون ارايتكم بالتحقيق فتحنا بالتشديد يزيد وابن عامر ينظر
بضم الهاء روى الاصفهاني عن ورش الوقوف مثالكم يحشرون في الظلمات يضلله لابتداء شرط اخر مستقيم صادقين لان جواب ان منتظر محذوف
تقديره ان كنتم صادقين فاجيبوا مع اتحاد الكلام صادقين تشركون يتضرعون يعملون كل شيء مبلسون ظلموا العالمين ياتيكم به يصدفون الظالمون ومنذرين

[illegible]

واحدة حفظه ولم يجلس مجلسا الا ازداد فيه واعلم يا اخي ان تعاشر البهائم والسباع فبالغ في الحذار والاحتراز وذهب اهل التناسخ الى ان الارواح
البشرية ان كانت سعيدة مطيعة لله تعالى موصوفة بالمعارف الحقة وموصوفة بالاخلاق الفاضلة فانها بعد موتها تنتقل الى ابدان الملوك و
ربما قالوا انها تتصل الى مخالطة عالم الملكية وان كانت شقية جاهلة فانما تنتقل الى ابدان الحيوانات وكلما كانت اكثر شقاء فانها تنتقل الى بدن حيوان
اخس واكثر تعبا وعناء قالوا وذلك لان لفظ المماثلة يقتضي حصول المساواة في جميع الصفات الذاتية ثم زعموا ان الله تعالى ارسل الى كل جنس منها رسولا من
جنسها لقوله وان من امة الا خلا فيها نذير واستشهدوا بقصة النمل وقصة الهدهد ونحو ذلك وقد نقل مذاهب ارباب التناسخ طول والله تعالى اعلم
بحقيقة الحال ما فرطنا في الكتاب من شيء من مزيدة للاستغراق اي ما تركنا وما اغفلنا شيئا فطرح وقيل للتبعيض اي ما اهملنا فيه بعض شيء يحتاج المكلف
الى معرفته والكتاب اللوح المحفوظ المشتمل على جميع الاحوال كلها على التفصيل وقيل القرآن لانه هو الذي سبق الى الاذهان فيما بين اهل الايمان واورد عليه انه
ليس فيه تفاصيل علم الطب والحساب ولا تفاصيل كثير من العلوم ولا حاصل مذاهب الناس ولا دلائلهم في علم الاصول والفروع واجيب بان لفظ التفريط لا يستعمل
الا فيما يجب ان يفعل والمحتاج اليه انما هو الاصول والقوانين لا الفروع التي لا تنضبط ولا تتناهى وما علم الا وفي القرآن اصله منه ثمره وفصله كقوله كلوا
ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين للطب وقوله وهو اسرع الحاسبين للحساب وكقوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين للاخلاق واما تفاصيل علم
الفروع فذكر العلماء ان السنة والاجماع والقياس كلها مستندة الى الكتاب كقوله وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وكقوله ويتبع غير
سبيل المؤمنين وكقوله فاعتبروا وقيل ان القرآن واف ببيان جميع الاحكام لان الاصل براءة الذمة عن التكاليف كلها وشغل الذمة لا بد فيه من
دليل منفصل فكل حكم لم يكن مذكورا في القرآن بالمطابقة او التضمن او الالتزام لم يكن ذلك تكليفا اذ يكون باقيا على اصل الاباحة والله تعالى اعلم
اما قوله ثم الى ربهم يحشرون فللعقلاء فيه قولان الاول للاشاعرة انه تعالى يحشر الدواب لا لان ايصال العوض اليهن واجب بل بمجرد الارادة و
المشيئة ومقتضى الالهية الثاني قول المعتزلة انه تعالى يحشر الطيور والبهائم لا لايصال الاعواض اليها لان ايصال الالم اليها من غير سبق جناية لا يحسن
الا للعوض وفرع القاضي على ذلك فقال كل حيوان استحق العوض على الله تعالى بما لحقه من الآلام وكان ذلك العوض لم يصل اليه في الدنيا فانه يجب على
الله تعالى حشره في الآخرة ليوفر عليه ذلك العوض والذي لا يكون كذلك فانه لا يجب حشره عقلا الا ان السمع ورد بحشر الكل فيقطع بذلك فرع آخر كل حيوان
اذن الله تعالى في ذبحه فالعوض له على الله تعالى وكذا الذي اذن في قتله في كونه مؤذيا او آلمه بمرض وسخره للانسان لحمل الاثقال واما اذا ظلمه
ظلمها الناس فالعوض على الظالم وكذا اذا ظلم بعضها بعضا ولو ذبح المأكول لغير مأكله فالعوض على الذابح ولهذا ورد النهي عن ذبح الحيوان
لغير مأكله والمراد من العوض منافع عظيمة بلغت في الجلالة الى حيث لو كانت هذه البهيمة عاقلة وعلمت انه لا سبيل الى تحصيل تلك
المنافع الا بواسطة تحمل ذلك الذبح لرضيت به آخر مذهب القاضي واكثر المعتزلة ان العوض منقطع وبعد ذلك يصيرها ترابا وحينئذ يقول الكافر يا
ليتني كنت ترابا وقال ابو القاسم البلخي يجب دوام العوض لانه لا يمكن قطع ذلك العوض الا باماتة تلك البهيمة واماتتها يوجب
الالم وذلك الالم يوجب عوضا آخر وهلم جرا الى ما لا نهاية له واجيب بالمنع من ان الاماتة لا يمكن تحصيلها الا بالايلام آخر البهيمة اذا استحقت
عوضا على بهيمة اخرى فان كانت البهيمة الظالمة قد استحقت عوضا على الله تعالى فانما يوصل ذلك العوض الى المظلوم والا فانه تعالى
يتكفل بذلك العوض وهذا القدر يكفي في احكام الاعواض بحسب المقام سبحانه اعلم ولما ذكر من خلائقه وذكر وآثار قدرته ما ينبئ
على عظمته ويشهد لربوبيته وينبه على حكمته الكاملة وعنايته الشاملة قال والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم لا يسمعون كلام المنبه ويكم
خابطون في الظلمات ظلمة الكفر وظلمة الشكوك وظلمة الحيرة والضلالة ثم بين ان الكفر والايمان والطاعة والعصيان كلها بمشيئته وارادته
وتيسيره وتقديره فقال من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم والجبائي اول الآية بان المراد انهم كذلك في الآخرة
كقوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما او انهم شبهوا بمن حاله كذا وهو محمول على الشتم والاهانة واما قوله
من يشأ الله يضلله اي عن طريق الجنة ولا يشاء الاضلال الا لمن يستحق عقوبته كما انه لا يشاء الهدى الا للمؤمنين او المراد بالاضلال
منع الالطاف لانهم ليسوا من اهلها او بالهداية منحها لانهم من اهلها ثم بين غاية جهالة الكفار وانهم مع جحودهم يفزعون الى الله في
البليات فقال قل أرأيتكم هو منقول من رأيت بمعنى ابصرت وعرفت كانه قيل ابصرتم وشاهدتم حالة العجيبة او اعرفتها اخبروني عنها فلا
يستعمل الا في الاستخبار عن حالة عجيبة لشيء فهذا من باب ايقاع السبب على المسبب لان الاخبار انما يكون بعد المشاهدة او العرفان اما
اعرابه فالتاء ضمير الفاعل والكاف للخطاب فالتاء تكون بلفظ واحد في التثنية والجمع والتأنيث ويختلف هذه المعاني على الكاف نحو أرأيتك
أرأيتكما أرأيتكم أرأيتكن والتاء في جميع ذلك مفتوحة والكاف حرف الخطاب وليست اسما والا لكانت اما مجرورة ولا جار واما مرفوعة
وليست الكاف من ضمائر المرفوع ولا رافع ايضا لان التاء فاعل ولا يكون لفعل فاعلان واما منصوبة وهو باطل من وجوه احدها
ان هذا الفعل يتعدى الى مفعولين نحو أرأيتك زيدا ما شأنه فلو جعلت الكاف مفعولا لكان ثالثا وثانيها لو كان

مفعولا لكان هو الثاني في المعنى وليس المعنى على ذلك اذ ليس الغرض أرأيت نفسك بل أرأيت غيرك ولذلك قلت أرأيتك زيدا او زيد
وغير المخاطب كلا هو بدل منه وثالثها لو كان منصوبا على انه مفعول لظهرت علامة التثنية والجمع والتأنيث في التاء نحو أرأيتماكما وأرأيتموكم وقد ذهب
الفراء الى انه اسم مضمر منصوب في معنى المرفوع ويجوز تصريف لفظ التاء فاما مفعولا أرأيت في الآية فقيل هما محذوفان تقديره أرأيتكم عبادتكم الاصنام
هل ينفعكم عند مجيء الساعة ودل عليه قوله اغير الله تدعون وقيل لا يحتاج ههنا الى المفعول لان الشرط وجوابه قد حصل معنى المفعول واما جواب
الشرط فما دل عليه الاستفهام في قوله اغير الله تقديره ان اتتكم الساعة دعوتم الله وحاصل الآية قل يا محمد لهؤلاء الكفار أرأيتكم ان اتاكم العذاب في
الدنيا او عند قيام الساعة اتخصون آلهتكم بالدعوة ام تدعون الله دونها بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة فيكشف ما تدعون اليه
الى كشفه ان شاء لان قوارع الساعة لا يكشف عن المشركين وعلى هذا يكون قوله ادعوني استجب لكم باقيا على الاطلاق لكن في الدنيا ولو علق
المشيئة بكشف العذاب في الدنيا كان قوله ادعوني استجب لكم مقيدا بالمشيئة وتنسون ما تشركون قال ابن عباس تتركون الاصنام ولا تدعونهم
لعلمكم انها لا تضر ولا تنفع ويجوز ان يراد لا تذكرون الاصنام في ذلك الوقت لان انهاكم مقهورة بذكر الله وحده والمقصود من الآية تبكيت الكفار
كانه قيل اذا كنتم ترجعون عند نزول الشدائد الى الله تعالى لا الى الاصنام فلم تقدمون عبادتها وفيه ان مبنى الدين على الحجة والدليل لا على محض
التقليد ثم سلى النبي صلى الله عليه وآله بان اعلمه انه قد ارسل قبله الى اقوام بلغوا في القسوة الى ان اخذوا بالشدة في انفسهم واموالهم فلم يخضعوا و
اصروا على كفرهم خلاف الاقوام المذكورين الذين يفزعون الى الله في الشدائد ويحتمل ان يكون من حكم الطائفتين وحالات التضرع والالتجاء
الى الله لطلب ازالة البلية لا على سبيل الاخلاص غير معتبرة وفي الآية محذوف تقديره ولقد ارسلنا الى امم من قبلك رسلا فخالفوهم فاخذنا
هم بالبأساء والضراء وحسن الحذف لكونه مفهوما والبأساء والضراء البؤس والضر والبأساء القحط والجوع والضراء الامراض والاوجاع والرزايا
لعلهم يتضرعون يتذللون ويتخشعون واصله الانقياد وترك التمرد ضرع الرجل ضراعة فهو ضارع اي ذليل ضعيف احتج الجبائي بالآية على انه تعالى
انما ارسل الرسل وسلط البأساء والضراء عليهم ارادة ان يتضرعوا ويؤمنوا فهو يريد الايمان والطاعة من الكل واجيب بان الترجي في حقه تعالى محال فاذا هم
يحملونه على الارادة ونحن نحمله على انه تعالى يعاملهم معاملة المترجي فالترجيح على ان الفسق وتزيين الشيطان وكل ما يفوضونه لا بد ان ينتهي الى خلق الله
ويكون بنا ما قوله فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا فمعناه نفي التضرع كانه قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم بأسنا ولكن جاء بلولا لما فيه التحضيض ليفيد انه
لم يكن لهم عذر في ترك التضرع الا العناد والقسوة والاعجاب ثم بين انه لما لم ينجع فيهم المواعظ والزواجر نقلهم من البأساء والضراء الى الراحة والرخا
فيفتح ابواب الخيرات عليهم وسهل موجبات المسرات لديهم كما يفعل الاب المشفق لولده يخاشنه تارة ويلاينه اخرى ومعنى كل شيء اي كل شيء كان مغلقا
عنهم من الخير حتى اذا فرحوا بما اوتوا اي ظنوا ان ذلك باستحقاقهم ولم يزيدوا الا بطرا وترفا اخذناهم بغتة قال الحسن مكر بالقوم ورب الكعبة
وقال ص اذا رأيت الله تعالى يعطي العاصي فان ذلك استدراج من الله تعالى قال العلماء وانما اخذوا في حال الراحة والرخاء ليكون اشد لتحسرهم على ما فاتهم
من السلامة والعطاء فاذا هم مبلسون آيسون من كل خير وقال الفراء المبلس الذي انقطع رجاؤه ويقال للذي سكت عند انقطاع حجته قد ابلس و
قال الزجاج المبلس الشديد الحسرة الحزين و اذا ههنا للمفاجاة وهي ظرف مكان وهم مبتدأ ومبلسون خبره وهو العامل في اذا فقطع دابر القوم الدابر
التابع للشيء من خلفه كالولد للوالد يقال دبر فلان القوم يدبرهم دبورا ودبرا اذا كان آخرهم ابو عبيدة دابر القوم آخرهم الذي يدبرهم الاصمعي الدابر الاصل قطع
الله دابره اي اصله والحمد لله رب العالمين حمد نفسه على ان لم يترك منهم احدا واستاصلهم لان ذلك جار مجرى النعمة على اولئك الرسل او على
اولئك الهالكين كيلا يزيدوا كفرا وعنادا فيزدادوا عذابا او عقابا او حمد على ما انعم عليهم قبل ذلك هو ان كلفهم وازال عنهم الاعذار والعلل و
بعث الانبياء والرسل واخذهم بالبأساء والضراء ثم نقلهم الى الآلاء والنعماء الا انهم لم يزدادوا الا تماديا في الغي والضلال فطهر وجه الارض عن
شركهم وفيه ايذان بوجوب الحمد لله عند هلاك كل ظالم فان ذلك من جملة آلاء الله سبحانه ثم عاد الى الدلالة على وجود الصانع الحكيم المختار و
بيان وحدته جل جلاله فقال قل أرأيتم ان اخذ الله وتقرير ذلك ان اشرف اعضاء الانسان هو السمع والبصر والقلب كما عدد منافعها في اوائل
الكتاب لا ريب ان القادر على تحصيل قواها هو ايضا صرفها عن الآفات والمخافات ليس الا الله وحده ومعنى اخذ السمع والبصر تعطيل منافعهما ومعنى الختم
على القلب ازالة العقل حتى يصير كالمجانين قال ابن عباس انه الطبع او الامانة حتى لا يعقل الهدى والصلاح يأتيكم به اي بذلك الذي اخذ من السمع
والبصر والقلب فوضع الضمير موضع اسم الاشارة بناء على ان الضمير المذكور بحكم الاستعمال يلزم ان يكون لذي عقل ولو فرضا والاحسن ان يق
انه ذكر اشياء متعددة فوجب ان يعود الضمير الى جميعها مؤنثا اذ لا ترجيح وحيث لم يكن الضمير مؤنثا علم انه اراد المذكور مطلقا فتعين ان يشار اليه
بذلك ثم انه اقام الضمير المذكور مقامه او يعود الى ما اخذ وختم عليه وصح من غير التكلف المذكور بحكم التغليب انظر يا محمد او كل من له اهلية
النظر كيف نصرف الآيات نوردها على الوجوه المختلفة المتكاثرة بحيث يكون كل واحد منها يقوي ما قبله في الايصال الى المطلوب ومعنى ثم
التفاوت بين الحالين وهم يصدفون اي يعرضون ويقال امرأة صدوف للتي تعرض وجهها عليك ثم تصدف اي تعرض والصدف ميل في الحافر
الى الشق الوحشي وصدف الدرة غشاؤها المائل فيه قال الكعبي لو خلق الله فيهم الاعراض والصد لم يكن ذلك عليهم وقالت الاشاعرة لولا منع
الله تعالى لنجع فيهم الدلائل القاطعة الاعذار ثم عمم الدليل بقوله قل أرأيتكم ان اتاكم والمعنى انه لا دافع لنوع من انواع العذاب الا الله سبحانه وحده

الربع

ان لا يكون معبودا الا هو ثم العذاب المفروض اما ان يجيء من غير سبق امارة تدل على ذلك بالليل او مع سبق امارة وهو الجهرة واكثره بالنهار ولهذا قال الحسن معناه ليلا او نهارا اما قوله هل يهلك الا القوم الظالمون اي لا يهلك مع قوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة فمعناه ان الهلاك بالحقيقة وهو هلاك التعذيب والسخط مختص بالظالمين الاشرار لان الاخيار وان عمهم العذاب الا انهم يستفيدون بذلك ثوابا واجرا فهو لهم بلاء في الظاهر والا بالحقيقة خلاف الظلمة فانهم يخسرون الدنيا والاخرة ومثله قوله صلى الله عليه وآله ان امر المؤمن خير كله ان اصابته ضراء فصبر كان خيرا له وان اصابته سراء فشكر كان خيرا له واعلم انه ذكر ههنا ارأيتكم مرتين فرادى خطابا واحدا لان عذاب الاستيصال لما عليه من مزيد فناء زيادة الخطاب لاجل التاكيد وفيما بينهما قال ارأيتم حيث لم يكن كذلك وكذا في يونس ثم ذكر ان الانبياء والرسل بعثوا للتبشير والانذار فقط ولا قدرة لهم على اظهار الايات وانزال المعجزات التي اقترحوها في قوله وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه وان ذلك مفوض الى مشيئة الله وحكمته فقال وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين بالثواب على الطاعات ومنذرين بالعقاب على المعاصي فمن قبل قولهم وآمن بالايمان الذي هو من افعال القلب والعمل الصالح الذي هو من افعال البدن فلا خوف عليهم والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب ومعنى المس التقاء الشيئين من غير فصل قال في الكشاف جعل العذاب ماسا كأنه حي يفعل بهم ما يريد لم يكن بعيدا قال القاضي انه علل عذاب الكافرين بكونهم فاسقين فيكون كل فاسق كافرا واقول هذا من باب ايهام العكس فان كل كافر فاسق ولا يلزم العكس فان كل كافر فاسق ولا يلزم العكس ثم امر نبيه ان ينفي عن نفسه امورا ثلاثة فقال قل لا اقول لكم عندي خزائن الله وهي جمع خزانة للمكان الذي يخزن فيه الشيء احرازه بحيث لا يناله الايدي ولا اعلم الغيب قال في الكشاف محله النصب عطفا على محل قوله عندي خزائن الله لانه من جملة المقول اي لا اقول لكم ذاك ولا هذا قلت ويحتمل ان يكون عطفا على لا اقول اي قل لا اعلم الغيب فيكون فيه دلالة على ان الغيب بالاستقلال لا يعلمه الا الله بخلاف كون خزائن الله عنده وكونه ملكا فان النبي يحتمل ان يكون له هذه المقامات ولكن لا يظهرها واختلف المفسرون في فائدة نفي هذه الامور فقيل المراد اظهار التواضع والخضوع لله تعالى والاعتراف بعبوديته حتى لا يعتقد فيه مثل اعتقاد اليهود والنصارى في المسيح ع وقيل المقصود ابداء العجز والضعف وانه لا يستقل بايجاد المعجزات التي كانوا يقترحونها كقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى قوله هل كنت الا بشرا رسولا وقيل اي لا ادعي سوى النبوة والرسالة ولا ادعي الالهية ولا الملكية وانما زيد ههنا لكم بخلاف سورة هود حيث قال ولا اقول اني ملك لانه تقدم ذكر لكم في قوله اني لكم نذير فاكتفى به قال الجبائي في الاية دلالة على ان الملك افضل اذ المراد لا ادعي فوق منزلتي قال القاضي ان كان الغرض التواضع فالاقرب ان ذلك يدل على ان الملك افضل وان كان المراد نفي قدرته عن افعال لا يقوى عليها الا الملائكة لم يدل على افضلية الملائكة ان اتبع الا ما يوحى الي قيل هذا النص يدل على انه ع لم يحكم من تلقاء نفسه وبالاجتهاد في شيء من الاحكام ولا يجوز لاحد من امته ان يعمل الا بالوحي النازل عليه لقوله تعالى فاتبعوه فلا يجوز العمل بالقياس ثم اكد هذا الحكم بقوله هل يستوي الاعمى والبصير وذلك ان العمل بغير الوحي يجري مجرى عمل الاعمى والعمل بمقتضى الوحي يقوم مقام عمل البصير ثم قال افلا تتفكرون تنبيها على انه يجب على العاقل ان يعرف الفرق بين هذين واجيب بان اصل الاجتهاد والقياس اذا كان بالوحي لم يلزم الضلالة والاية مثل للضال والمهتدي او لمن ادعى المستقيم وهو النبوة والمحال وهو الالهية والملكية افلا تتفكرون فلا تكونوا ضالين اشباه العميان او فتعلموا اني ما ادعيت سوى ما يليق بالبشر والله تعالى اعلم واحكم

التاويل وما من دابة تدب في ارض البشرية وتتحرك من الحواس والجوارح والنفس وصفاتها الا امم امثالكم في السؤال عن اقوالهم واحوالهم كقوله ان السمع والبصر والفؤاد اولئك كان عنه مسئولا ما فرطنا ما تركنا في القرآن من شيء يحتاج اليه الانسان ظاهره وباطنه ذاته وصفاته في السير الى الله من الاوامر والنواهي والندب والاداب ثم الى ربهم يحشرون ههنا بالسير وجذبات العناية وهناك بالسلاسل والاغلال يسحبون في النار في القطيعة على وجوههم لان من شانهم التكذيب كما قال والذين كذبوا بآياتنا الموصلة الينا صم اذان قلوبهم عن استماع الحق بكم السنة احوالهم عن اجابة دعوة الحق في ظلمات صفات البشرية والاخلاق الذميمة بل اياه تدعون لان رجوعهم الى ربه مركوز في روحانيته ولقد ارسلنا الى امم اي ارسلنا اليهم نعم الصحة والكفاف والامن فشغلوا بها عنا فارسلنا اليهم بالبراهين القاطعة والحجج الساطعة ندعوهم بها الينا فلم يهتدوا فاخذناهم بالبأساء والضراء التي هي موجبة الالتجاء فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا وعلموا ان الحقائق الطافنا مدرجة في طي قهرنا وتحققوا ان درر محبتنا مستودعة في اصداف شدائد باسنا فاستقبلوها بصدق الالتجاء وحسن التضرع في الدعاء فلما نسوا بسبب القسوة ما ذكروا به من معارضة البأساء والضراء فانها تذكرة ايام الرخاء وتعرف قدر الصحة والنعماء وتؤدي الى رؤية المنعم فتحنا عليهم ابواب كل شيء من البلاء في صور النعماء لارباب الظاهر من النعم الظاهرة من المال والجاه والقبول وامثالها ولارباب الباطن بالنعم الباطنة من فتوحات الغيب واشباهها حتى اذا فرحوا بما اوتوا وظنوا انهم قد استغنوا عن صحبة الشيخ وتعليم تصرفاته فشرعوا في الطلب على وفق هواهم اخذناهم بغتة بفقد الاحوال بالقال فاذا هم مبلسون متحيرون في تيه الغرور والحمد لله على اظهار اللطف لاربابه والقهر لاصحابه ليعلم ان الكل بقدره كما قال قل ارأيتم الاية الا القوم الظالمون الذين ظلموا انفسهم بصرف استعداد عبودية المولى في عبادة الهوى فاما من ابتلي بعذاب الله من الآفات والمخافات والامراض ونحوها ابتلاء فتاب ورجع فهو غير هالك على الحقيقة قل لا اقول لكم لم يقل ليس عندي خزائن الله ليعلم ان خزائن الله وهي العلم بحقائق الاشياء وماهياتها عنده باراءة سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم وباستجابة دعائه في قوله ارنا الاشياء كما هي ولكنه يتكلم الناس على قدر عقولهم ولا اعلم الغيب اي لا اقول

والاشتغال

لكم هذا مع انه كان يخبرهم عما مضى وعما سيكون باعلام الحق وقد قال صلى الله عليه وآله في قصة ليلة المعراج فقطرت في حلقي قطرة علمت ما كان وما سيكون ولا اقول لكم اني ملك وان كنت قد عبرت عن مقام الملك حين قال لجبرئيل تقدم فقال لو دنوت انملة لاحترقت ان اتبع الا ما يوحى الي ان اخبرهم وقل معهم قل هل يستوي الاعمى كلام البصير فكيف اخبركم عما عمي الله بصائركم عنه وانا به بصير قوله تعالى

وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون ولا تطرد الذين

وبترسان بآن آنها را که میترسند که جمع آیند بسوی پروردگارشان نیست مر ایشان را از غیر او دوستی و نه شفیعی باشد که ایشان بپرهیزند و مران آنها را که

يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من

میخوانند پروردگارشان را در بامداد و شام میخواهند دیدار او را نباشد بر تو از حساب ایشان از چیزی و نیست از حساب تو بر ایشان از

شيء فتطردهم فتكون من الظالمين وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا

چیزی پس برانی ایشان را پس بگردی از ستمکاران وهمچنین آزمودیم برخی از ایشان را ببعضی تا گویند که آیا اینگروهند که منت نهاد خدا بر ایشان از میان ما

اليس الله باعلم بالشاكرين واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه

آیا نیست خدا داناتر بسپاس کنندگان وچون آیند ترا آنانکه ایمان آورده اند بآیات ما پس بگو درود بر شما نوشت پروردگار شما بر خودش

الرحمة انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم وكذلك نفصل الآيات

رحمت را که هر که بکند از شما بدی را بنادانی پس بازگردد از پس آن و نیکوکاری کند پس بدرستی که خدا آمرزنده مهربانست وهمچنین بیان کنیم آیات را

ولتستبين سبيل المجرمين قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله قل لا اتبع اهواءكم ١٣ع

وتا ظاهر شود راه گناهکاران بگو که من نهی کرده شدم که بپرستم آنها را که میخوانید از غیر خدا بگو پیروی نکنم خواهشهای شما را

قد ضللت اذا وما انا من المهتدين قل اني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به ان

هر آینه گمراه شوم آن وقت ونباشم من از راه یافتگان بگو که من بر گواهی ام از پروردگارم و تکذیب کردید بآن نیست نزد من آنچه شتاب خواهید نیست

الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين قل لو ان عندي ما تستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم

فرمان مگر از برای خدا حکایت حق را و اوست بهترین جدا کنندگان بگو اگر بودی در نزد من آنچه شتاب خواهید هر آینه گذشته بود فرمان در میان من و میان شما

والله اعلم بالظالمين وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة

وخدای داناتر است بستمکاران ودر نزد اوست کلیدهای پنهانی که دانا نیست آنرا بجز او ومیداند آنچه را که در بیابان و دریاست ونیفتد هیچ برگی

الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وهو الذي يتوفيكم بالليل

مگر که میداند آنرا و نه دانه در تاریکیهای زمین و نه تری و نه خشکی مگر که در کتاب هویداست واوست آنکه در خواب کند شما را در شب

ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون

ومیداند آنچه را که کرده اید در روز پس برانگیزاند شما را در روز تا تمام شود مدتی که نام برده شده پس بسوی اوست بازگشت شما پس خبر دهد شما را بآنچه بودید که میکردید

القراءة بالغدوة مضمومة الغين ساكنة الدال مفتوحة الواو وكذا في الكهف ابن عامر الباقون بفتح الغين والدال وبالالف انه بالفتح وانه بالكسر ابو جعفر ونافع وقرأ ابن عامر وعاصم وسهل ويعقوب جميعا بالفتح الباقون بالكسر فيهما وليستبين بياء الغيبة يزيد وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص والمفضل الباقون بالتاء الفوقانية سبيل بالنصب ابو جعفر ونافع ويزيد الباقون بالرفع يقص ابن كثير وابو جعفر ونافع وعاصم الباقون يقضي الحق الوقوف يتقون وجهه الظالمين من بيننا الشاكرين الرحمة لمن قرأ انه بكسر الالف رحيم المجرمين من دون الله اهواءكم للتعيين اذا بما قبله اي قد ضللت اذا اتبعت المهتدين وكذبتم به تستعجلون به لله الفاصلين وبينكم بالظالمين الا هو والبحر مبين مسمى لان ثم لترتيب الاخبار مع اتحاد المقصود تعملون التفسير لما وصف الرسل بكونهم مبشرين ومنذرين امر الرسول بالانذار وهو الاعلام بموضع المخافة فقال له وانذر به قال ابن عباس والزجاج اي بالقرآن وهو المذكور هنا في قوله ان اتبع الا ما يوحى الي وقال الضحاك اي بالله قيل والاول اولى لان الانذار التخويف انما يقع بالقول وفيه نظر لان الانذار لا نزاع فيه انه قول ولكن المنذر به قلما يكون قولا كقوله وانذرهم يوم الازفة فانذرتكم نارا تلظى ولو زعم ان المراد وانذرهم النار والعذاب بواسطة القرآن قلنا نقدر مثله ههنا والمعنى انذرهم العذاب يقول يعني شدة سخط الله وعقوبته اما الذين يخافون ان يحشروا فقيل انهم الكافرون الذين سبق ذكرهم فلعل ناسا من المشركين من حالهم انهم يخافون اذا سمعوا بحديث البعث ان يكون حقا فيهلكوا انهم ممن يرجى ان ينجع فيهم الانذار فامر ان ينذر هؤلاء دون المتمردين منهم ثم قال هذا القائل ولا يجوز حمله على المؤمنين لانهم يعلمون انهم يحشرون والعلم خلاف الخوف والظن وضعف بان الخوف شامل للناس كافة لعدم الجزم بالثواب في قبول الطاعة وان كانوا مقرين بصحة الحشر والنشر فالظاهر ان الضمير يتناول الكل لان العاقل لا بد ان يخاف الحشر سواء كان جازما به او شاكا فيه وايضا انه مامور بتبليغ الكل فلا وجه للتخصيص وقيل انهم قوم مسلمون مفرطون في العمل فينذرهم بما اوحي اليه ليعلم

والبصير فلا يستوي مع الاعمى ١٢ع

يخافون في زمرة اهل التقوى من المسلمين وقيل هم اهل الكتاب لانهم مقرون بالبعث ومعنى الى ربهم الى حكمه وقضائه فلا يلزم منه مكان ولا جهة
اما قوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع فقال الزجاج ان الجملة في موضع الحال من ضمير يحشروا اي يخافون ان يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا
لهم فان كان الضمير للكفار فظاهر وان كان للمؤمنين فشفاعة الملائكة والرسل اذا كانت باذن الله تعالى فانها يكون بالحقيقة من الله تعالى فصح انه
ليس لهم من دونه ولي وشفيع ولا بد من هذه الحال لان المحشر ليس مخوفا وانما الخوف هو الحشر على هذه الحالة لانهم اعتقدوا ان لا ناصر ولا شفيع
الا الله واذا لم يكن الله ناصرا او شفيعا لزم ان لا يكون ناصر اصلا لعلهم يتقون قال ابن عباس لكي يخافوا في الدنيا وينتهوا عن الكفر والمعاصي قالت
المعتزلة فيه دلالة على انه اراد من الكفار التقوى والطاعة واجيبت بان الترجي راجع الى العباد ولما امر بانذار عموم المكلفين ليتقوا اردفه بذكر المتقين
وامر بتقريبهم واكرامهم روى عن ابن مسعود ان الملأ من قريش مروا على رسول الله وعنده صهيب وبلال وخباب وعمار وغيرهم من ضعفاء المسلمين
فقالوا يا محمد ارضيت بهؤلاء اتريد ان تكون تبعا لهؤلاء اطردهم عنك فلعلك ان طردتهم اتبعناك فقال صلى الله عليه وآله ما انا بطارد المؤمنين
فقالوا فاقمهم عنا اذا جئنا فاذا قمنا فاقعدهم معك ان شئت فقال نعم طمعا في ايمانهم وروى ان عمر قال له لو فعلت حتى ننظر الى ماذا يصيرون
ثم الحوا وقالوا للرسول صلى الله عليه وآله اكتب لنا بذلك كتابا فدعا بالصحيفة وبعلي ليكتب فنزلت ولا تطرد الآية فرمى بالصحيفة واعتذر عمر عن مقالته
قال سلمان وخباب فينا نزلت فكان رسول الله يقعد معنا وندنو منه حتى تمس ركبتنا ركبته وكان يقوم عنا اذا اراد القيام فنزلت واصبر
نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا الى ان نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا
ومعكم الممات اثنى الله عليهم بانهم يدعون ربهم بالغدوة والعشي قال ابن عباس والحسن ومجاهد اي يصلون صلوة الصبح والعصر وقيل اي
يذكرون ربهم طرفي النهار والمراد بالغدوة والعشي الدوام والغدوة لغة ما بين صلوة الغدوة وطلوع الشمس والعشي ما بين الزوال الى الغروب
قال الجوهري غدوة بالتنوين نكرة وبدونها معرفة غير مصروفة وقرئ كسر ومحل يريدون وجهه نصب على الحال او على الاستيناف كانه قيل ما ارادوا
بالمواظبة على الدعاء فاجيب بقوله يريدون وجهه ولا يثبت به لله تعالى عضو كما زعمت المجسمة ولكن المراد به التعظيم فقد يعبر به عن ذات الشيء
او حقيقته كما توهم او جهة الرأي وذلك وجه الدليل وايضا المحبة تستلزم طلب وجه المحبوب كناية عن المحبة وطلب الرضا ثم علل النهي بقوله ما عليك
من حسابهم من شيء وقيل الضمير عائد الى المشركين اي لا يؤاخذون بحسابك ولا انت بحسابهم حتى يهمك ايمانهم ويدعوا ذلك الى ان تطرد
المؤمنين والاولى ان يعود الى الفقراء لمناسبته له فتطردهم كما في قصة نوح ان حسابهم الا على ربي وذلك انهم طعنوا في دينهم واخلاصهم
وقالوا يا محمد انهم قبلوا دينك ولازموك لاجل الماكول والملبوس فقال الله تعالى ان كان الامر على ما زعموا فما يلزمك الا اعتبار الظاهر
ان كان لهم باطن غير مرضي فحسابهم لا يتعدى اليك كما ان حسابك لا يتعدى اليهم فالجملتان لهما مؤدى واحد وهو المفهوم من قوله ولا تزر
وازرة وزر اخرى كانه قيل لا تؤاخذ انت ولا هم بحساب صاحبه وقيل ما عليك من حسابهم من شيء وانما الرزاق لك ولهم هو الله
سبحانه فدعهم يكونوا عندك اما قوله فتطردهم فهو جواب للنفي في ما عليك اي انتفى فتكون وجهان احدهما انه جواب للنهي والثاني انه عطف
على فتطردهم على وجه التسبب لان كونه ظالما معلوم من طردهم ومسبب عنه فان طرد من يستوجب التقريب والترحيب وضع للشيء في غير موضعه ومن
هنا طعن بعض الناس في عصمة النبي صلى الله عليه وآله قالوا وكان يقول كلما دخل اولئك الفقراء عليه بعد هذه الواقعة مرحبا بمن عاتبني
ربي فيهم او لفظ هذا معناه والجواب انه ما طردهم لاجل الاستخفاف بهم والاستنكاف من فقرهم وانما افردهم مجلسا تألفا للقلوب المشركين و
تكثير السواد الاسلام مع علمه بانه لا يفوت الفقراء هذه المصالح امر مهم في الدنيا ولا في الدين فغايته ذلك انه يكون من باب ترك الاولى
والافضل وكذلك اي مثل ذلك الفتن العظيم فتنا ابتلينا بعض الناس ببعض فاحد الفريقين وهم الكفار يرى الآخر مقدما عليه في المناصب
الدينية فيقول اهؤلاء المسترذلون من الله عليهم من بيننا كقوله أألقي الذكر عليه من بيننا والفريق الآخر يرى الاول مقدما عليه في الخيرات
العاجلة والخصب والسعة والراحة والدعة فيقول اهذا هو الذي فضله الله علينا واما المحققون فهم الذين يعلمون ان كل ما فعله الله فهو صواب
ولا اعتراض عليه بحكم المالكية وبحسب رعاية الاصلح وبالجملة فصفات الكمال غير محصورة ولا تجتمع في انسان واحد بل هي موزعة على الخلائق
وكلها محبوبة لذاتها فكل انسان يحسد صاحبه على ما اتاه الله تعالى من صفة الكمال ومن عرف سر القدر رضي بنصيب نفسه وسكت عن التعرض
لغيره وعاش عيشا مهنيا في الدنيا والآخرة قال هشام بن الحكم الافتتان الاختبار والامتحان وفيه دليل على انه تعالى لا يعلم
الجزئيات الا عند حدوثها والجواب انه يعامل المكلف معاملة المختبر وقد مر مرارا وقالت الاشاعرة في الآية دلالة على مسئلة خلق الاعمال لان تلك
الفتنة التي القاها الله تعالى ليست الا اعتراضهم على الله والاعتراض عليه كفر فهو تعالى خالق الكفر وايضا منّ الله عليهم ليس الا بالايمان ومتابعة
الرسول فلو كان الموجد للايمان هو العبد لكان هو المانّ على نفسه اجاب المعتزلة بان معنى فتناهم ليقولوا خذلناهم حتى آل امرهم الى ان قالوا فكون
اللام لام العاقبة وزيف بانه عدول عن الظاهر مع انا ننقل الكلام الى الخذلان فلا بد من الانتهاء اليه تعالى أليس الله باعلم بالشاكرين من
يصرف كل ما انعم عليه فيما اعطاه لاجله فيظهر افعاله على حسب معلوم الله تعالى وقال الكشاف اي الله اعلم بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه
للايمان ولمن يصمم على كفره فيخذله ويمنعه التوفيق واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا قال عكرمة نزلت في الذين نهى الله نبيه عن طردهم

وكان اذا رآهم بدأهم بالسلام وقال الحمد لله الذي جعل في امتي من امرني ان ابدأهم بالسلام وقال ماهان الحنفي اتى قوم النبي صلى الله عليه وآله
فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما واظهروا الندامة والاسف فما اخاله رد عليهم بشيء فلما ذهبوا وتولوا نزلت الآية قال في التفسير الكبير الاقرب ان تحمل الآية
على عمومها فكل من آمن بآيات الله تعالى يدخل تحت هذا التشريف والاكرام ثم ابدى اشكالا وهو ان المفسرين اتفقوا على ان هذه السورة نزلت دفعة
واحدة واذا كان الامر كذلك فكيف يمكن ان يقال في كل واحدة من آيات هذه السورة انها نزلت بسبب الامر الفلاني قلت لا استبعاد في ان تنزل السورة
دفعة ويبين الصحابة كل آية منها على واقعة تناسبها كيف وهم اعرف بحقائق التنزيل واعلم بدقائق التأويل لانهم اهل مشاهدة الوحي وارباب مراتب
الامر والنهي واعلم ان ما سوى الله تعالى فهو آيات وجود الله وانها لا تكاد تنحصر فيجب على المكلف ان يكون مدة حيوته كالسابح في تلك القفار ليكون دائما
مترقبا في معارجها مترقيا ان يفيض عليه الانوار من مدارجها فيسعد ببشارة سلام عليكم ويتأهل لكرامة كتب ربكم على نفسه الرحمة فقيل سلام
عليكم اما ان يكون امرا بتبليغ سلام الله اليهم واما ان يكون امرا بان يبدأهم بالسلام اكراما لهم قال الزجاج سلام اما مصدر سلمت سلاما وتسليما
مثل كلمت كلاما وتكليما ومعناه الدعاء بان يسلم من الآفات في نفسه ودينه واما ان يكون جمع سلامة وقيل السلام هو الله اي الله عليكم اي على حفظكم
ولعل هذا الوجه انما يتأتى في المعرفة لا في المنكر كتب ربكم من جملة المقول لهم تبشيرا بسعة رحمة الله وقبوله التوبة ومعنى كتب على نفسه وجب على
نفسه او وجب على ذاته ايجاب الكرم لا ايجابا يستحق بتركه الذم وقالت المعتزلة كونه عالما بقبح القبائح وباستغنائه عنها يمنعه عن الاقدام عليها او لو فعل
كان ظلما وايجاب الرحمة ينافي القول بانه منع الكافر من الايمان ثم امر حال ذلك المنع بالايمان ثم يعذبه على ترك ذلك الايمان واجيب بانه فاعل
لما يشاء ولا اعتراض عليه انه من عمل من قرأ بالفتح فعلى الابدال من الرحمة ومن قرأ بالكسر فعلى الاستيناف كان الرحمة استفسرت فقيل انه من عمل
منكم سوءا بجهالة وهو في موضع الحال اي عمله وهو جاهل والمراد انه فاعل فعل الجهال لان من عمل ما يضره في العاقبة وهو عالم بذلك او ظان
فهو من اهل السفه لا من اهل الحكمة والتدبير او انه جاهل بعاقبته ومن حق الحكيم ان لا يقدم على ما لا يعرف مآل حاله ثم تاب من بعده بان يندم
على ما فعله واصلح العمل في المستقبل فانه غفور يزيل العقاب عنه رحيم يوصل الثواب اليه من قرأ بالكسر فعلى ان الجملة جزاء للشرط ومن قرأ بالفتح
فعلى ان الخبر او المبتدأ محذوف اي فغفرانه كائن او فامره انه غفور وقيل ان الآية نزلت في عمر حين اشار باجابة الكفرة الى ما طلبوا ولم يعلم انها مفسدة
وكذلك اي كما فصلنا في هذه السورة دلائلنا على التوحيد والتنزيه والقضاء والقدر نفصل الآيات ونميزها لك في تقرير كل حق ينكره اهل
الباطل ولتستبين معطوف على محذوف كانه قيل ليظهر الحق ولتستبين او متعلق بمحذوف اي ولتستبين سبيل المجرمين فصلنا ذلك التفصيل
البين من رفع السبيل قرأ لتستبين بالياء او بالتاء لان السبيل يذكر ويؤنث ومن نصب السبيل قرأ لتستبين بتاء الخطاب مع الرسول يقال استبان
الامر وتبين واستبنته واستبانة سبيل المجرمين يستلزم استبانة طريق المحقين فلذلك اقتصر على احدهما كقوله سرابيل تقيكم الحر ولم يذكر
البرد وانما ذكر المجرمين دون المحقين لان طريق الحق واحد والمجرمون اصناف يشتبه امرهم فمنهم من هو مطبوع على قلبه ومنهم من يرجى فيهم قبول
الاسلام ومنهم من دخل في الاسلام الا انه لا يحفظ حدوده فينبغي ان يستوضح سبيلهم ليعامل كلا منهم بما يجب ومن جملة ذلك انه نهي عن عبادة معبوديهم
وذلك قوله قل اني نهيت اي صرفت بالدلائل العقلية والسمعية ان اعبد الذين تدعون تعبدون من دون الله قل لا اتبع اهواءكم لا بد
عبادة المصنوع والمخلوق محض التقليد وعين الهوى قد ضللت اذا وما انا من المهتدين اي ان اتبعت الضلال اذا ذلك وفي الجملتين مع انهما مثلان تا
للتقرير والتاكيد وفيه تعريض بهم انهم كذلك ثم نبه على ما يجب اتباعه بقوله قل اني على بينة من ربي على حجة واضحة من معرفة ربي وانه لا معبود سواه
وكذبتم انتم به حيث اشركتم به غيره يقال انا على بينة من هذا الامر وعلى يقين منه اذا كان ثابتا عنده بدليل عقلي اي على حجة من جهة ربي
وهي القرآن وكذبتم به اي بالبينة وذكر الضمير على تأويل القرآن او البيان ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه في قولهم ان
كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء قال الكلبي نزلت في النضر بن الحرث ورؤساء قريش كانوا يقولون يا محمد ائتنا بالعذاب
الذي تعدنا به استهزاء منهم ان الحكم الا لله مطلق يتناول الكل فقال الاشاعرة لا يقدر العبد على امر من الامور الا اذا قضى الله تعالى فيمتنع
منه فعل الكفر الا بارادة الله واحتجت المعتزلة بقوله يقضي بالحق اي كل ما قضى به فهو الحق وهذا يقتضي ان لا يريد الكفر من الكافر ولا المعصية
من العاصي لان ذلك ليس بحق ويمكن ان يقال ان جميع احكامه حق وصدق ولا اعتراض لاحد عليه بحكم المالكية وانتصاب الحق على انه صفة مصدر اي يقضي
القضاء الحق او مفعول به من قولهم قضى الدرع اذا صنعها اي يصنع الحق ويدبره ومثله من قرأ يقص الحق كقوله نحن نقص عليك احسن القصص اي
نقول الحق او يتبعه من قص اثره وهو خير الفاصلين اي القاضين وانما كتب يقض في المصاحف بغير ياء لانها سقطت في اللفظ لالتقاء الساكنين
وليوافق قراءة يقص قل لو ان عندي اي في قدرتي وامكاني ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي والله
اعلم بالظالمين يؤخر عقابهم الى وقته وانا لا اعلم ما يجب في الحكمة من وقت عقابهم ومقداره فان قلت ما يناقض هذا قوله فلعلك باخع نفسك
على آثارهم ان لم يؤمنوا فان استعجال الهلاك ينافي الحرص على الايمان لان من حرص على ايمان احد حرص على طول حياته طمعا في ايمانه قلت لا بل
يؤكده لاشتراك كل من الحكمين في الاستعجال اللازم للبشرية في قوله وكان الانسان عجولا ثم بين سبحانه اعلميته بقوله على سبيل الاستعارة وعنده
مفاتح الغيب اراد انه المتوصل الى المغيبات وحده كمن عنده مفاتح اقفال المخازن ويعلم فتحها ولم يمنعه من ذلك مانع والمفاتح جمع مفتح وهو المفتاح

اوجمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن قال الحكيم في بيانه ان العلم بالعلة التامة يوجب العلم بالمعلول وكل ما سوى الواجب فانه موجود بايجاده وتكوينه
بواسطة او بوسائط فعلمه بذاته يوجب العلم بجميع آثاره على ترتيبها المعتبر كلها سواء كانت ارضيات او سماويات وعلمه بذاته لا يحصل الا لذاته فصح ان يقال
وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وفيه انه لا ضد له ولا ند اذ لو كان في الوجود واجب آخر لكانت مفاتح الغيب حاصلة ايضا عنده فيبطل هذا
الحصر ولا يمكن ان يكون هذه المفاتح عند شيء من الممكنات لان المحاط لا يحيط بمحيطه فلا يحيط ما دون الواجب بالواجب فلا يكون المفتاح الاول
للعلم بجميع المعلومات الا عنده ثم ان قوله وعنده مفاتح الغيب قضية معقولة مجردة والانسان الذي يقوى على الاحاطة بمعنى هذه القضية
نادر جدا والقرآن انما نزل لينتفع به جميع الناس فذكر من الامور المحسوسة الداخلة تحت تلك القضية الكلية امثالا لما يعين الحس العقل فقال
وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ لان ذكر هذا المحسوس يكشف عن حقيقة عظيمة لذلك المعقول وقدم ذكر البر لان الانسان قد شاهد احوال البر وكثرة ما
فيه من المدن والقرى والجبال والتلال والمعادن والنبات والحيوان واما البحر فاحاطة الحس باحواله اقل مع كثرة ما فيها من العجائب والغرائب
ايضا ثم افرد من هذه المحسوسات قسما فقال وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا اي لا يتغير حال ورقة الا والحق يعلمها ثم عدل عن التعجيب بكثرة
المدركات الى التعجيب من صغر المدرك وخفائه فقال وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وفي تخصيص الحبة والورقة تنبيه للمكلفين على امر الحساب
لانه اذا كان بحيث لا يهمل امر الاشياء التي ليس لها ثواب ولا عقاب فلان لا يهمل امر المكلفين اولى ثم عاد الى ذكر القضية الكلية المجردة
بعبارة اخرى فقال وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ قال في الكشاف ولا حبة ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل في حكمها
كانه قيل وما يسقط شيء من هذه الاشياء الا وهو يعلمه وقوله الا في كتاب مبين كالتكرير لقوله الا يعلمها لان معنى الا يعلمها ومعنى الا في
كتاب مبين واحد والكتاب المبين علم الله او اللوح قال علماء التفسير يجوز ان يكون الله جل شانه اثبت كيفية المعلومات في كتاب من قبل ان
يخلق الخلق ليقف الملائكة على نفاذ علمه في المعلومات وانه لا يغيب عنه شيء فيكون في ذلك عبرة كاملة للملائكة الموكلين باللوح المحفوظ لانهم يقابلون
به ما يحدث في العالم فيجد وانه موافقا او لانه اذا كتب احوال جميع الموجودات في ذلك الكتاب على التفصيل التام امتنع تغيرها والا لزم الكذب
او الجهل فيصير كتبة جملة الاحوال في ذلك الكتاب سببا تاما في انه يمتنع تقدم ما تأخر وتأخر ما تقدم ثم لما بين كمال علمه اردفه ببيان كمال
قدرته بقوله وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ اي يتوفى انفسكم التي بها تقدرون على الادراك والتمييز وذلك ان الارواح الجسمانية تغور حالة النوم
من الظاهر الى الباطن فيتعطل الحواس عن بعض الاعمال واما عند الموت فتصير جملة البدن معطلة عن كل الاعمال فلهذا كان النوم اخا الموت
فصح لفظ الوفاة على النوم من هذا الوجه وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ اي ما كسبتم من العمل بِالنَّهَارِ ومنه الجوارح للاعضاء وللسباع ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ اي
يرد اليكم ارواحكم بالنهار لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُسَمًّى اي اعماركم المكتوبة وقضاء الاجل فصل مدة العمر من غيرها بالموت ثم لما ذكر انه يميتهم اولا ثم يوقظهم ثانيا
كان ذلك جاريا مجرى الاحياء بعد الاماتة فلا جرم استدل بذلك على صحة البعث في القيمة فقال ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ في ليلكم
ونهاركم وجميع احوالكم واوقاتكم واعلم ان في الآية اشكالا لان قوله ويعلم ما جرحتم بالنهار كان ينبغي ان يكون بعد قوله ثم يبعثكم فيه فان البعث
في النهار مقدم على الكسب فيه بل على تعلق العلم بالكسب ويمكن ان يجاب بان المراد ويعلم ما جرحتم في النهار الماضي بدليل قوله جرحتم دون تجرحون
ثم يبعثكم في النهار الآتي والغرض بيان احاطة علمه وقدرته بالزمانين المحيطين بالليل ولعل صاحب الكشاف عدل عن التفسير الى ان قال
هو الذي يتوفيكم بالليل والخطاب للكفرة اي انتم منسدحون الليل كالجيف والانسداح الانبطاح او الاستلقاء ويعلم ما جرحتم بالنهار ما كسبتم
من الآثام فيه ثم يبعثكم من القبور فيه اي في شان ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام في النهار ومن اجله كقولك فيم دعوتنى
فتقول في امر كذا ليقضى اجل مسمى وهو الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ وهو المرجع الى موقف الحساب
والاصوب عندي ان يبقى الخطاب عاما وكذا الكسب في النهار لا ينبغي ان لا يقيد بالآثام اما الضمير في فيه فيكون جاريا مجرى اسم الاشارة الى الكسب
البعث هو البعث من القبور الى آخره قال والله اعلم التأويل واند ربهم بهذه الحقائق والمعاني الذين يخافون اي يرجون ان يحشروا الى
ربهم بجذبات العناية ويتحققوا انه ليس لهم في الوصول الى الله من دونه ولي من الاولياء ولا شفيع يعني من الانبياء لان الوصول لا يمكن
الا بجذبات الحق ولا تطرد الذين يدعون اخبر عن الفقراء انهم جلساؤه بالغدوة والعشي كما قال انا جليس من ذكرني فلا تطردهم عن مجالستك
فانهم يطلبون في متابعتك لا يريدون الدنيا ولا الآخرة ولكن يريدون وجهه كما قال سوف وديني ومذهب وصلكم رسولي وديني ربكم
قال المحققون الارادة اهتياج يحصل في القلب يسلب القرار من العبد حتى يصل الى الله فصاحب الارادة لا يهدأ ليلا ولا نهارا ولا يجد من دون
الوصول الى الله سبحانه سكونا ولا قرارا ما عليك من حسابهم من شيء يعني الذي لنا معك في الحساب من المواصلة والتوحيد في الخلوة فانهم ليسوا في شيء ذلك
ليكون عليك ثقلا وما من حسابك عليهم من شيء اي الذي لنا معهم في الحساب من التفرد بالوصول والوصال ليس لك الى ذلك حاجة ليثقل عليهم
فتطردهم فيكسر قلوبهم بالطرد فتكون من الظالمين بوضع الكسر مقام الجبر فانك بعثت لجبر قلوبهم كقوله وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ
بِبَعْضٍ ليشكر الفاضل ويصبر المفضول فيستويان في الفضل فلهذا قيل لسليمان ولايوب كلاهما نعم العبد مع قدرة سليمان على اسباب الطاعة
وعجز ايوب عنه ومن فتنة الفاضل في المفضول رؤية فضله على المفضول وتحقيره ومنع حقه عنه في فضله ومن فتنة المفضول في الفاضل حسده على

فضله وسخطه عليه في منع حقه من فضله عنه فان المعطي والمانع هو الله ومنها ان لا يرى الفاضل مستحقا للفضل فيقولوا اهؤلاء من الله
عليهم من بيننا فقل سلام عليكم انه سبحانه من كمال فضله على الفقراء وحلمهم محل الاكابر والملوك في الدنيا فقال لنبيه صلى الله عليه وآله ان يبتدئ
بالسلام وفي الآخرة فالهم الملائكة ان يسلموا عليهم في الجنة سلام عليكم طبتم بل سلم بذاته عليهم سلام قولا من رب رحيم وكل ذلك نتيجة سلامتهم من ظلمة
الخلقية واصابة رشاش النور في الازل فلهذا قال كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ اي الرحمة الخاصة كما خص الخضر في قوله وآتيناه رحمة من عندنا والرحمة
العامة كما في الحديث لو يأتي الجنة انما انت رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادي من عمل منكم اي من المؤمنين سوءا بجهالة الجهولية التي جبل الانسان عليها
لاجلها الضلالة التي هي نتيجة اخطاء النور فان هذه لا تؤثر فيها ثم تاب من بعده اي رجع الى الله بقدم السير من بعد فساد الاستعداد الفطري واصلح
الاستعداد بالاعمال الصالحة لقبول الفيض قل اني طينت في الازل باصابة النور المرشش ما عندي ما تستعجلون به من عباد الهوى لقضى الامر يعني
القتال والخصومات ولا استرحت من اذيتكم لان الشيء انما ينفعل عن ضده لا شبهه وعنده مفاتح الغيب يعني العلوم العقلية التي بسببها يفتح باب صور عالم
الشهادة كالنقاش ينشئ الصورة في ذهنه ثم يصورها في الخارج وانما وحد الغيب وجمع المفاتح لان عالم الغيب عالم التكوين وهو واحد في جميع
الاشياء وفي الملكوت كثرة ويعلم ما في البر وهو عالم الشهادة وفي البحر وهو عالم الغيب بهذا العلم ما تسقط من ورقة عن شجرة الوجود الا يعلمها لانه مكونها
ومسقطها ولا حبة هي حبة الروح في ظلمات صفات ارض النفس او حبة المحبة في ظلمات ارض القلب ولا رطب ولا يابس الرطب المؤمن واليابس ما يسمى
موجودا او مافقدها او الرطب الروحانيات واليابس الجمادات او الرطب المؤمن واليابس الكافر او الرطب العالم واليابس الجاهل او الرطب العارف واليابس
الزاهد او الرطب اهل المحبة واليابس اهل السلوة او الرطب صاحب الشهود واليابس صاحب الوجود او الرطب الباقي بالله واليابس الباقي بنصيبه
وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ ليل القضاء وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ نهار القدر والليل ليل صفات البشرية والنهار نهار الشهود في عالم الوحدة

١٤ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ثُمَّ رُدُّوا
واوست قهر كننده بر بالای بندگان خود و میفرستد بر شما نگاهبانان تا چون که آمد یکی از شما را مرگ جان بستانند او را فرستادگان ما و ایشان تقصیر نکنند پس باز گردانیده شوند
إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا
بسوی خدا که مولای ایشان است بحق آگاه باش که مر اوراست فرمان و اوست زود حساب کننده بگو کیست که برهاند شما را از تاریکیهای بیابان و دریا میخوانید او را بزاری
وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ قُلْ
و پنهان هر آینه اگر رهاند ما را ازین هر آینه میباشیم از سپاس گزاران بگو که خدا میرهاند شما را ازان و از هر اندوهی پس شما شرک می آرید بگو
هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ
اوست توانا بر اینکه وا دارد بر شما عذابی از بالای سر شما یا از زیر پای شما یا آمیزد شما را گروهان و بچشاند بعضی از شما را عذاب
بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ لِكُلِّ
بعضی ببین که چگونه مکرر می‌گردانیم آیات را شاید که ایشان فهم کنند و تکذیب کردند آن را قوم تو و اوست حق بگو نیستم من بر شما وکیل هر
نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا
خبری را جای قرار است و زود است که بدانید و چون دیدی آنها را که فرو روند در آیات ما پس روی گردان از ایشان تا فرو روند
فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَمَا عَلَى الَّذِينَ
در حکایتی غیر ازان و اگر از خاطر برد تو را شیطان پس منشین بعد از یاد آوردن با گروه ستمکاران و نیست بر آنها که
يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَٰكِنْ ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ
پرهیز میکنند از حساب ایشان از چیزی و لیکن پند است شاید که ایشان پرهیزند و واگذار آنها را که فرا گرفتند دین خود را بازیچه و بیهوده و فریب داد ایشان را زندگانی
الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ
دنیا و پند ده بدین قرآن که در گرو کرده نشود هیچ تنی بانچه کسب کرده نیست مر او را از غیر خدا دوستی و نه شفاعت کننده و اگر فدا کند هر فدا کردنی

١٥ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ قُلْ
پذیرفته نشود ازان آن گروه آنانند که در گرو کرده شدند بانچه کسب کردند مر ایشان راست آشامیدنی از آب گرم و عذابی دردناک بانچه کافر بودند بگو
أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ
آیا بخوانیم از غیر خدا آنچه سود نرساند ما را و ضرر نکند ما را و بر گردیم بر پاشنهای خود بعد از آنکه راه نمود ما را خدا چون کسی که گمراه کردند او را دیوان
فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ
در زمین حیران مر او راست یاران که میخوانند او را بسوی راستی بیا با ما بگو که هدایت خدا آن راه راست است و مامور شده ایم که منقاد شویم پروردگار عالمیان را
وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ
و اینکه برپای دارید نماز را و بپرهیزید ازو و اوست آنکه بسوی او گرد آیند و اوست آنکه آفرید آسمانها و زمین را بحق و روزی

يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير

مى‌گويد كه باش پس مى‌شود گفتار او حق است و مر او راست پادشاهى در روزى كه دميده شود در صور داناى نهان و آشكارا و اوست داور

القراءة توقف واستهوته ممالة حمزة الباقون بتاء التأنيث قل من ينجيكم من الانجاء سهل ويعقوب وعباس الباقون بالتشديد وخفية بالكسر حيث كان ابو بكر وحماد الباقون بالضم انجانا ممالة حمزة وعلي وخلف انجانا بياء الغيبة الامالة عاصم الباقون انجيتنا قل الله ينجيكم بالتشديد يزيد وحمزة وخلف وعاصم وهشام الباقون بالتخفيف بعض انظر واشباه ذلك بكسر التنوين ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعاصم وابن شنبوذ عن اهل مكة وابن ذكران بنسيك بالتشديد ابن عامر الوقوف حفظة لا يفرطون الحق الحاسبين وخفية لاحتمال الاضمار يقولون لئن انجيتنا وتعلق لئن بمعنى القول في تدعونه الشاكرين تشركون بأس بعض يفقهون وهو الحق بوكيل مستقر للابتداء بسوف على التهديد مع شدة اتصال المعنى يعلمون غيره الظالمين يتقون ولا شفيع للشرط مع العطف منها كسبوا الانقطاع النظم مع اتصال المعنى والاحتمال ان يكون الذين خبره اولئك وقوله لهم شراب جزاء الهدى ائتنا الهدى العالمين لان التقدير وامرنا بان اقيموا واتقوه تحشرون بالحق فيكون في الصور والشهادة الخبير التفسير من الدلائل الدالة على كمال قدرته وحكمته قوله وهو القاهر فوق عباده والمراد منه الفوقية بالقدرة والتسخير كما يقال امر فلان فوق امر فلان اى انه اعلى واقدر منه ولا ريب ان الممكنات باسرها تحت تصرف الواجب ينقلها من حيز العدم الى حالة الوجود وبالعكس ويتصرف فيها كيف يشاء علويات كانت او سفليات ذوات او صفات نفوسا او ابدانا اخلاطا وادكانا ومن جملة قهره ارسال الحفظة وهي جمع حافظ على عبيده يضبطون اعمالهم من الطاعات والمعاصي والمباحات لانهم مطلعون على اقوال بني آدم لقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وعلى افعالهم بقوله يعلمون ما تفعلون واما صفات القلوب كالجهل والعلم فليس في الآيات ما يدل على اطلاعهم عليها وعن ابن عباس ان مع كل انسان ملكين احدهما عن يمينه والآخر عن يساره فاذا تكلم الانسان بحسنة كتبها من على اليمين واذا تكلم بسيئة قال من على اليمين لمن على اليسار انتظر لعله يتوب منها فان لم يتب كتب عليه قالت العلماء من فوائد هذه الكتبة ان المكلف اذا علم ان الملائكة الموكلين عليه يكتبون اعماله في صحائف تعرض على رؤس الاشهاد في موقف القيمة كان ذلك زاجرا له عن القبائح ومنها ان يؤذن تلك الصحائف يوم القيمة فان وزن الاعمال غير ممكن ومنها التعبد فعلى المكلف ان يؤمن بكل ما ورد به الشرع وان لم يعرف وجه الحكم في بعض ذلك وقال بعض الحكماء الحفظة النفوس والقوى الجسمانية التي تحفظ الاركان مع طبايعها المتضادة على امتزاجها وقال بعض القدماء منهم النفوس البشرية والارواح السفلية مختلفة بجواهرها متباينة بماهياتها فبعضها خيرة وبعضها شريرة وكذا القول في الذكاء والبلادة والحرية والنذالة والشرف والخساسة ولكل طائفة من هذه الارواح السفلية روح سماوي هو لها كالاب المشفق والسيد الرحيم تعينها على مهماتها في يقظتها ومنامها على سبيل الرؤيا تارة وعلى سبيل الالهامات اخرى فالارواح الخيرة لها مبادي من عالم الافلاك وكذا الارواح الشريرة وتلك المبادي في مصطلحهم تسمى بالطباع التام لان تلك الارواح في تلك الطبايع والاخلاق تامة كاملة وهذه الارواح السفلية المتولدة منها اضعف منها لان المعلول في كل باب اضعف من علته ولاصحاب الطلسمات والعزائم في هذا الباب كلام كثير وقيل ان النفوس المفارقة تميل الى ما يشاكلها ويشابهها في الطبيعة والماهية من النفوس المتعلقة بالابدان فتحفظها وتعينها حتى اذا جاء احدكم الموت اى وقته توفته رسلنا اى بادننا وتقويضنا فالمتوفي بالحقيقة هو الله تعالى لما قال الله يتوفى الانفس حين موتها وهؤلاء الرسل اتباع ملك الموت في قوله يتوفاكم ملك الموت وهم الحفظة باعيانهم ام غيرهم فيه قولان اشبههما الثاني ليكون ملائكة الروح والحفظة لم يجانسوا غير ملائكة الكروبية الاحزان وهم الكروبيون وعن مجاهد جعلت الارض مثل الطست لملك الموت يتناول من يتناوله وما من اهل بيت الا ويطوف عليهم في كل يوم مرتين وهم لا يفرطون لا يقصرون فيما امرهم الله تعالى وفيه مدح لهم بالعصمة ثم ردوا الى الله اى الى حكمه وجزائه مولاهم الحق صفتان والضمير في ردوا اما للملائكة يعني كما يموت بنو آدم يموت اولئك الملائكة او الى البشر اى انهم بعد موتهم يردون الى الله تعالى والمعنى انهم كانوا في الدنيا تحت تصرفات الموالي الباطلة وهي النفس والشهوة والغضب فلما ماتوا تخلفوا الى تصرف المولى الحق وفيه اشعار بان الانسان شيء آخر وراء هذا الهيكل المحسوس لان هذا الهيكل يبقى ميتا والانسان مردود الى ربه تعالى وفي لفظ الرد اشارة الى ان الروح كان موجودا قبل البدن وقد تعلق به زمانا ثم رد الى موضعه الاصلي وهو عالم الارواح بجذبة ارجعي الى ربك الا له الحكم كقوله ان الحكم الا لله وهو اسرع الحاسبين حسابا قيل انه تعالى يحاسب الخلق بنفسه دفعة واحدة فلا يشغله كلام عن كلام وقيل يحاسب كل انسان واحد من الملك باذن الله تعالى لانه لو حاسب الكفار بذاته لتكلم معهم وهو محال لقوله ولا يكلمهم الله وقال الحكيم معنى سرعة المحاسبة ظهور الملكات في الهيئات على النفس في ان قطع التعلق قليلة كانت او كثيرة حميدا وذميمة ويتعدد تعارض البعض بالبعض ويبقى ما هو غالب وبحسب ذلك يكون الثواب وضده وذلك انه لا يحصل للانسان لحظة ولا لحركة ولا سكون الا ويظهر منها في جوهر نفسه اثر من آثار السعادة او ضدها قل او كثر وهو المراد بكتبة الاعمال قال الجبائي هاهنا لو كان كلامه قديما لوجب ان يكون متكلما بالمحاسبة الآن وقبل خلقه وذلك محال لان المحاسبة تقتضي حكاية عمل تقدم وعورض بالعلم فانه كان قبل العالم عالما بانه سيوجد وبعد وجوده صار عالما بانه وجد ولا يلزم منه تغير الا في المعلوم ثم عدد لطفه واحسانه بقوله قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر

مجازا عن مخاوفهما واهوالهما يقال لليوم الكريه يوم مظلم وذو كواكب كانه اظلم عليه وجه الخلاص ويحتمل ان يكون الظلمات باعتقاد ظلمات البر ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمات البحر هما مع ظلمة الماء تدعونه في موضع الحال تضرعا وخفية مشغول لا حد فيما او مخلصا وبالتضرع والمراد ان الانسان عند حصول هذه الشدائد يأتي بامور احدها الدعاء الثاني التضرع والثالث الاخلاص بالقلب وهو المعنى بقوله وخفية ورابعها التزام الشكر وهو قوله لئن انجيتنا من هذه الظلم والشدة لنكونن من الشاكرين فبين الله سبحانه انه اذا شهدت الفطرة السليمة في هذه الحالة بانه لا ملجأ الا الى الله ولا معول الا عليه وجب ان يبقى هذا الاخلاص عند كل الاحوال والاوقات ثم بين انه ينجيهم من تلك المخاوف ومن سائر موجبات الحزن والكرب ثم ان ذلك الانسان يقدم على الشرك الجلي وهو عبادة الاوثان او الخفي وهو اتباع الهوى وبالجملة فعادة اكثر الخلق ذلك اذا شاهدوا الخوف اخلصوا واذا انتقلوا الى الامن والفراغ اشركوا ثم ذكر نوعا آخر من دلائل التوحيد مقرونا بنوع من التخويف فقال قل هو القادر واللام للعهد او للجنس فيفيد انه من الذي عرفتموه قادرا وهو الكامل القدرة على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم كالمطر او الحجارة مثل ما امطر على قوم لوط وعلى اصحاب الفيل او من تحت ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من قبل اكابركم وسلاطينكم او من جهة سفلتكم وعبيدكم وقيل هو حبس المطر والنبات او يلبسكم شيعا هي جمع شيعة اى يخلطكم فرقا مختلفين على اهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة لامام ومعنى خلطهم ان ينشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت الله ان لا يبعث على امتي عذابا من فوقهم او من تحت ارجلهم فاعطاني ذلك وسألته ان لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني واخبرني جبرئيل ان فناء امتي بالسيف قالت الاشاعرة في قوله او يلبسكم شيعا دلالة على ان الاهواء المختلفة والآراء الفاسدة والبدع كلها من الله تعالى وفي قوله ويذيق بعضكم بأس بعض اشارة الى ان المعاصي وانواع الظلم مستندة الى الله تعالى وقالت المعتزلة الآية لا تدل الا على انه تعالى قادر على القبيح والنزاع في انه هل يفعل ذلك ام لا واجيب بان الآية دلت على ان القدرة على هذه الامور تختص به وهذه الامور ذوات فيكون هو فاعلها بالضرورة انظر كيف نصرف الآيات تقرير الدلائل الواضحات وقد قال مثل ذلك فيما قبل فالتقدير انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون فلا يعرض عنهم بل يذكرها لعلهم يفقهون وكذب به اى بالعذاب المذكور في الآية السابقة قومك يعني قريشا ومن دان بدينهم وهو الحق اى لا بد ان ينزل بهم وقيل اى بالقرآن وهو الحق لانه كتاب منزل من عند الله وقيل اى بتصريف الآيات لانهم كذبوا كون هذه الاشياء دلالات قل لست عليكم بوكيل اى بحافظ حتى اجازيكم على تكذيبكم واعراضكم عن قبول الدلائل انما انا منذر لكل نبأ لكل خبر يخبره الله تعالى مستقر استقرار وموضع استقرار والمراد بالنبأ المنبأ به لان النبأ قد حصل والمقصود ان لعذاب الله والاستيلاء المسلمين على الكفار بالقتل والاسر والقهر وقتا ومكانا يحصل فيه من غير خلف ولا تأخير وسوف تعلمون فيه من التهديد ما فيه ثم بين ان اولئك المكذبين انضموا الى كفرهم وتكذيبهم الاستهزاء بالدين والطعن في الرسول فانه يجب الاحتراز عن مجالستهم فقال واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا والخوض في اللغة عبارة عن المفاوضة على وجه اللغو والعبث وقريب منه قول المفسرين انه في الآية الشروع في آيات الله على سبيل الطعن والاستهزاء وكان قريش في انديتهم يفعلون ذلك فاعرض عنهم بالقيام عنهم لقوله بعد ذلك فلا تقعد وقيل المطلوب اظهار الانكار وكل طريق افاد هذا الغرض وان كان غير القيام عن مجلسهم فانه يجوز المصير اليه هذا عند عدم الخوف اما مع الخوف فهذا الغرض ساقط والتقية واجبة نعم كل ما وجب على الرسول لعمله فعله وجب عليه سواء ظهر اثر الخوف او لم يظهر ولهذا الا لم يبق الاعتماد على التكاليف التي يبلغها واما ينسينك الشيطان ان يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهي عن مجالستهم فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان تذكر النهي مع القوم الظالمين اى معهم فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالظلم قال الليث الذكرى اسم للتذكرة وقال الفراء هي الذكر قال في الكشاف بناء على مذهبه يجوز ان يراد وان كان الشيطان ينسينك قبل النهي قبح مجالسة المستهزئين لانها مما تنكره العقول فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان ذكرناك قبحها ونبهناك عليه معهم قال الجبائي اذا كان عدم العلم بالشيء يوجب سقوط التكليف فعدم القدرة على الشيء اولى بان يوجب سقوط التكاليف وهذا يدل على ان تكليف ما لا يطاق لا يقع ولا يدل على ان الاستطاعة حاصلة قبل الفعل لانها لو لم تحصل الا مع الفعل لم يكن الكافر

قادرا على الايمان فوجب ان لا يتوجه عليه الامر بالايمان قال ابن عباس قال المسلمون لئن كنا كلما
استهزاء المشركون بالقران وخاضوا فيه قمنا عنهم لم نستطع ان نجلس في المسجد الحرام وان نطوف
بالبيت فنزلت الرخصة ان يقعدوا معهم ويذكروهم ويفهموهم بقوله وما على الذين يتقون اى الشرك
والكبائر والفواحش من حسابهم من ذنوبهم التي يحاسبون عليها من شيء ولكن ذكرى اى ولكن يذكرونهم
تذكيرا او لكن عليهم ان تذكرهم او ولكن الذي تامرونهم به ذكرى ولا يجوز ان يكون عطفا على محل من
شيء كقول القائل ما في الدار من احد ولكن زيد لان قوله من حسابهم يابى ذلك فان الذكرى ليس من
حساب المشركين ثم اكد الاعراض عنهم بقوله وذر الذين والمراد ترك معاشرتهم وملاطفتهم والمبالاة بهم
لا ترك انذارهم وتخويفهم كقوله فاعرض عنهم وعظهم وصفهم بوصفين الاول انهم اتخذوا دينهم لعبا
ولهوا وفيه وجوه اتخذوا الذي كلفوه ودعوا اليه وهو دين الاسلام لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزاء واتخذوا
ما هو لعب ولهو يعني عبادة الاوثان وغيرها دينا لهم او المراد ما كانوا يحكمون به بمجرد التقليد والهوى كتحريم البحائر
والسوائب او المراد ان المشركين واهل الكتاب اتخذوا اعيادهم لعبا ولهوا لا كالمسلمين حيث اتخذوا عيدهم كما شرعه
الله تعالى قال ابن عباس او هو اشارة الى من جعل دين الاسلام وسيلة الى المناصب والرياسات والغلبة
والجلال لا لانه حق وصدق في نفسه ويؤكد هذا الوجه الوصف الثاني وهو قوله وغرتهم الحيوة الدنيا
كانهم اعرضوا عن حقيقة الدين واقتصروا على تزيين الظواهر ليتوسلوا بها الى حطام الدنيا وذكر به اى بالقران
او بالدين القويم مخافة ان تبسل نفس قال الحسن ومجاهد ان تسلم الى الهلاك والعذاب وترتهن بسوء عملها واصله
المنع فالمستسلم اليه وهو العذاب يمنع المسلم ومنه الباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وقال قتادة تحبس في جهنم وعن
ابن عباس تفتضح ليس لها اى للنفس من دون الله ولي ولا شفيع وان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء لان الفادي
يعدل المفدى بمثله لا يؤخذ منها قال في الكشاف فاعل يؤخذ قوله منها لا ضمير العدل لان العدل ههنا مصدر فلا يسند
اليه الاخذ واما في قوله ولا يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدى به فصح اسناده قلت ان فسر الاخذ بالقبول كما في قوله ويأخذ
الصدقات ارتفع الفرق اولئك المتخذون هم الذين ابسلوا بما كسبوا ثم بين ما بهم صاروا مرتهنين وعليه محبوسين
بقوله لهم شراب من حميم ثم رد على عبدة الاصنام بقوله قل اندعوا من دون الله النافع الضار ما لا ينفعنا ولا يضرنا
اى لا يقدر على النفع والضر ونرد داخل في الاستفهام اى انرجع الى الشرك بعد اذ هدانا الله نعم منه وهدانا للاسلام
فان الردة عود الى الحالة الاولى التي كان الانسان عليها من الجهل كقوله والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا
كالذي استهوته محله النصب على الحال من الضمير في نرد اى انكص على العقبين مشبهين من استهوته وهو استفعال من هوى في
في الارض اذا ذهب فيها كان معناه طلبت هويه اى سقوطه من الموضع العالي الى الوهدة العميقة كقوله ومن يشرك بالله فكانما
خر من السماء وقيل اشتقاقه من اتباع الهوى وحيران حال اخرى لكن من الضمير في استهوته وكذا الجملة بعده ومعنى الحيرة التردد
في الامر بحيث لا يهتدي الى مخرج منه ومنه تحير الروضة بالماء اذا امتلأت فتردد فيها الماء اى لهذا المستهوي اصحاب
رفقة يدعونه الى الهدى اى ان يهدوه الطريق المستوي فيكون مصدرا او سمي الطريق المستقيم بالهدى يقولون له
ائتنا والدعاء في معنى القول وهذا بناء على ما تزعمه العرب وتعتقده من ان الجن والغيلان تستهوي الانسان وتستولي عليه فشبه
به الضال عن طريق الاسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه الى الحق وقد اعتسف لم يتابعا للجن غير ملتفت اليهم وقيل
ان لذلك الكافر اصحابا يدعونه اى الى الضلال ويسمونه بانه هو الهدى وروي ان الاية نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق فانه
كان يدعو اباه الى عبادة الاوثان قل ان هدى الله وهو الاسلام هو الهدى يحق ان يسمى هدى وما وراءه غي وضلال وامرنا لنسلم
لرب العالمين وان اقيموا قال الزجاج لا بد من تاويل ليستقيم العطف فالتقدير امرنا للتسلم ولا نقيم او امرنا ان اسلموا وان اقيموا
وقيل في النسخ العدل عن الظاهر ان المكلف كالغائب ما لم يسلم فاذا اسلم صار كالحاضر وتقرير الاية ان تعلق الامر اما ان يكون من باب
الافعال او من باب التروك والاول اما ان يكون من افعال القلوب او من افعال الجوارح ورئيس افعال القلوب الايمان بالله و
الاسلام وهو قوله لنسلم ورئيس اعمال الجوارح الصلوة وهو قوله وان اقيموا ثم اشار الى جوامع التروك بقوله واتقوه
ثم قال وهو الذي اليه تحشرون ليعلم ان منافع هذه الاعمال انما تظهر في يوم الحشر ثم دل على وجود الحاشر

الحاشر

الحاشر بقوله وهو الذي خلق السموات والارض قائما او ملتبسا بالحق بالحكم اللطيفة والغايات الصحيحة والاغراض المطابقة وذلك انه اودع في هذه
الاجرام قوى وخواص واثارا تتضمن مصالح الابدان ومناجح نوع الانسان وهكذا خلق يوم يقول كن فيكون قوله الحق فقوله فاعل يكون ويوم مفعول
خلق والمعنى انه تعالى خلق العالم من الافلاك والطبايع والعناصر والمواليد وخلق يوم القيمة لرد الارواح الى الاجساد بطريق كن فيكون وعلى هذا يجوز
ان يكون قوله الحق مبتدا وخبرا مستانفا وقوله الحق مبتدا ويوم يقول ظرف دال على الخبر مثل يوم الجمعة القتال اى القتال واقع يوم الجمعة والمراد
ان قضاءه في ذلك اليوم حق وصدق وخال عن الجور والعبث ويوم ينفخ ظرف لقوله وله الملك كقوله لمن الملك اليوم والمقصود انه لا ملك في
ذلك اليوم الا له من غير دافع ولا منازع والصور باتفاق اكثر اهل الاسلام قرن ينفخ فيه ملك من الملائكة كما جاء في مواضع من القران ونفخ
في الصور فصعق ففزع فاذا نقر في الناقور وقال ابو عبيدة الصور جمع صورة مثل صوف صوفة وخطاه الائمة فقالوا كل جمع على لفظ الواحد
الواحد بزيادة هاء فيه كالصوف انما اذا سبق الواحد الجمع فليس كذلك كغرفة وغرف ولهذا يجمع صورة الانسان على صور بالفتح كقوله فاحسن
صوركم ومن اسكن فقد اخطا ومما يدل على ان الصور هو القرن لا جمع صورة الانسان انه تعالى لم يضف النفخ الى نفسه كما قال ونفخت فيه من
روحي فنفخنا فيها من روحنا ثم انشاناه خلقا اخر ثم لما بين كمال قدرته بقوله وله الملك ذكر كمال علمه بقوله عالم الغيب والشهادة اى هو العالم
بكل المعلومات القادر على كل المقدورات وهو الحكيم المصيب في اقواله وافعاله الخبير النافذ علمه في بواطن الحقائق من غير اشتباه والتباس
فان امر البعث لا يتم الا بقدرة كاملة وعلم تام كيلا يشتبه المطيع والعاصي والصديق والزنديق التاويل وهو القاهر بوصف الجلال للاولياء
تهابوصف الجبروت للاعداء ويرسل عليكم حفظة من صفات قهره حتى لو اراد نفسه الخروج عن قيد مجاهدتها قهرتها سطوات العتاب فردتها
الى بذل الجهد وان اراد قلبه فرجة عن مطالبات العزة قهرته صدمات الهيبة فردته الى توديع البهجة ولو اراد روحه استرواحا من الحرقات قهرته
بوادة التجلي فردته الى بذل المهجة حتى اذا جاء احدكم الموت يعني الفناء عن اوصاف الوجود توفته رسل صفات قهرنا وهم لا يقصرون في افناء
الاوصاف ثم ردوا الى البقاء بالله قل الله ينجيكم من ظلمات بر الاجسام وبحر الارواح فان عالم الارواح بالنسبة الى عالم الالوهية ظلمانية تدعونه
تضرعا بالجسم وخفية بالروح ومن كل كرب افة وفتنة ثم انتم تشركون حين تجلى لكم نور من انوار صفاته فبعضكم يقول انا الحق وبعضكم يقول سبحاني
ما اعظم شاني عذابا من فوقكم بسد باب حجاب العزة والغيرة بينه وبينكم او تحت ارجلكم حجابا من اوصاف بشريتكم باستيلاء الهوى عليكم او يلبسكم شيعا
بجعل الخلق فيكم فرقا فمن قائل هم ومن قائل هم الزنديقون ويذيق بعضكم باس بعض بالقتل والصلب وقطع الاطراف انظر كيف نصرف ايات المعارف
للسائرين الى الله لعلهم يفقهون لشرائط السير ولا يقفوا في مقام دون الفناء عن كلية الوجود بالبقاء بشهود المعبود وكذب بهذا المقام قومك المنكرون
وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لا سلك طريق هذا المقام بوكالتكم لانه ليس للانسان الا ما سعى كما قال لكل نبا مستقر اى لكل سائر وواقف
مستقر من درجات القرب او دركات البعد واذا رايت الذين يخوضون في احوال الرجال ولا حظ لهم منها فاعرض عنهم ولا تجالسهم حتى يخوضوا
في حديث غير تلك الطامات التي هي ريح في شبح وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا لان همهم في لبس الخرقة والتزيي بزي الطالبين انما هو الدنيا
وقبول الخلق ان تبسل نفس اى كراهة ان يبطل استعدادها بالكلية بما كانوا يكفرون بمقامات الرجال من الوصول والوصال قل اندعوا من دون
الله انطلب غير الله الذي هو النافع الضار والنفع الحقيقي هو الفوز بالوصول اليه والضر الحقيقي هو الانقطاع عنه ونرد على اعقابنا الى مقام
الاثنينية التي كنا فيها بعد ان هدانا الله الى الوحدة كالذي استهوته شياطين الجن والانس في ارض البشرية باتباع الهوى حيران من اغواتهم وامرنا لنسلم
بترك الوجود كالكرة في ميدان القدرة مستسلما لصولجان القضاء وان اقيموا الصلوة بمحافظة الاسرار عن الاغيار والاتقاء به عن غيره بالحشر
اليه لا الى الجنة والنار كما قال الا من طلبني وجدني وهو الذي خلق السموات والارض بالحق اي لاظهار صفاته فجعل المخلوقات مراة لجماله وجلاله واذا
اراد ان يري عبدا من عباده تلك الصفات يقول له كن رائيا فيكون ولو بصيرا بسمعه ويبصره لان قوله في حق الانسان كن رائيا هو الحق وله
ملك الاراءة وملك الرؤية ينفخ الاراءة في صور القلب وهو الحكيم فيما اختص الانسان باراءة الايات الخبير بمن يخصه من بين الناس بالاراءة

وَاِذْ قَالَ اِبْرٰهِيمُ لِاَبِيهِ اٰزَرَ اَتَتَّخِذُ اَصْنَامًا اٰلِهَةً اِنِّيٓ اَرٰيكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلٰلٍ مُبِينٍ وَكَذٰلِكَ نُرِيٓ
وچون گفت ابراهیم مر پدر خود آزر را کیا فرا گرفته بتهارا خدایان بدرستی که من میبینم ترا و قوم ترا در گمراهی هویدا و همچنین وانمودیم
اِبْرٰهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ الَّيْلُ رَاٰ كَوْكَبًا قَالَ هٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ اَفَلَ قَالَ لَآ اُحِبُّ
ابراهیم را پادشاهی آسمانها و زمین و تا باشد از یقین دارندگان پس چون درآمد بر او شب دید ستاره را گفت که این است پروردگار من پس چون غروب کرد گفت دوست
الْاٰفِلِينَ فَلَمَّا رَاَ الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ اَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَاَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّآلِّينَ فَلَمَّا رَاَ
غروب کنندگان را پس چون دید ماه را تابان گفت که این پروردگار من است پس چون غروب کرد گفت که اگر راه ننماید مرا پروردگار من هر آینه میباشم از گروه گمراهان پس چون دید
الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هٰذَا رَبِّي هٰذَآ اَكْبَرُ فَلَمَّآ اَفَلَتْ قَالَ يٰقَوْمِ اِنِّي بَرِيٓءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ اِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ
آفتاب را تابان گفت که این پروردگار من است این بزرگتر است پس چون غروب کرد گفت ای قوم من بیزارم از آنچه شریک میآرید بدرستی که من رو آوردم یکلی
لِلَّذِي فَطَرَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ اَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ اَتُحَآجُّوٓنِّي فِي اللّٰهِ وَقَدْ
مر آنکه آفرید آسمانها و زمین را مایل از باطل و نیستم من از مشرکان و حجت کردند با او قوم او گفت که آیا حجت میکنید با من در خدا و حال آنکه

هدان ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما افلا تتذكرون وكيف
هدايت كرد مرا و نمى‌ترسم آنچه را كه انباز قرار داده‌ايد مگر آنچه خواهد پروردگار من چيزى را فرا گرفته پروردگار من همه چيز را بدانش ايا پس پند نگيريد و چگونه

اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فاي الفريقين احق بالامن ان
بترسم آنچه را كه شريك او كرده‌ايد و نمى‌ترسيد كه شما شريك او كرديد بخدا آنچه را كه فرو نيامده بر شما حجتى پس كدام از اين دو طائفه سزاوارترند بايمنى اگر

كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون وتلك حجتنا
هستيد كه بدانيد آنان كه گرويدند و نياميختند ايمان خود را بستم آن گروه مر ايشان راست ايمنى و ايشانند راه يافتگان و اينست دليل

٤ آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم
كه آورديم ابراهيم را بر قومش بلند مى‌كنيم پايه‌ها آنرا كه خواهيم بدرستى كه پروردگار تو داور داناست

القراءة اني اراك بفتح الياء ابو عمرو وابن كثير وابو جعفر ونافع لابيه آزر بالضم على النداء يعقوب راى كوكبا بامالة الهمزة ابو عمرو وعن عباس والنجاري عن ورش وكذلك راه ورا الى قراء حمزة وعلى وخلف ويحيى وعباس وهبيرة من طريق الخراز بكسر الواو والهمزة وافق ابن ذكوان في راى فقط وخالفهم فيما اتصل بالكناية والياء في سورة النجم وافق ابن مجاهد والنقاش بالامالة وكسر الراء في سورة اقرا باسم راى القمر وراى الشمس ونحوهما بكسر الراء وفتح الهمزة حمزة وخلف ونصر وعباس ويحيى والخراز وروى خلف عن يحيى بكسر الراء والهمزة اتحاجوني بتخفيف النون ابو جعفر ونافع وابن ذكوان الباقون بادغام نون الاعراب في نون الوقاية وقد هدان بالامالة على قراءة سهل ويعقوب ابن شنبوذ عن قنبل بالياء في الحالين وافق ابو عمرو وزيد واسمعيل في الوصل درجات من بالتنوين عاصم وحمزة وعلى وخلف ويعقوب الوقوف الهمزة للابتداء بان مع اتحاد مبين الموقنين راى كوكبا لان جواب لما قوله راى مع اتحاد الكلام بلا عطف ربي لان جواب لما سطح مع فاء التعقيب فيها الافلين هذا ربي لذلك الضالين هذا اكبر لذلك يشركون المشركين لاحتمال الواو والحال اي قد حاجه قومه هدان لانتهاء الاستفهام شيئا علما تتذكرون سلطانا للاستفهام بالامن لان جواب ان منتظر محذوف لتقدير ان كنتم تعلمون فاجيبوا مع اتحاد الكلام تعلمون لانتهاء الاستفهام وابتداء اخبار ولو وصل اتصل بما قبله يهتدون على قومه من نشاء عليم التفسير انه سبحانه كثيرا ما يحتج على مشركي العرب باحوال ابراهيم صلوات الرحمن عليه لانه يعرف بالفضل والتقدم عند جميع الطوائف وذلك والملك انه سلم قلبه للرحمن ولسانه للبرهان وبدنه للنيران وولده للقربان وماله للضيفان ثم ان ظاهر الاية تدل على ان اسم والد ابراهيم هو آزر ومنهم من قال اسمه تارح قال الزجاج لا خلاف بين النسابين ان اسمه تارح فمن الملحدة من طعن في هذا النسب لهذا السبب والجواب ان اجماع النسابين لا عبرة به لان ذلك ينتهي الى الواحد او الاثنين مثل وهب وكعب وغيرهما سلمنا ان اسمه كان تارح لكنه من المحتمل ان يكون احدهما لقبا والاخر اسما اصليا او يكون آزر صفة مخصوصة في لغتهم كالمخطئ والمخذول قيل ان آزر هو الشيخ الهرم بالخوارزمية وهذا عند من يجوز اشتمال القرآن على الفاظ قليلة من غير لغة العرب وقيل ان آزر اسم صنم يجوز ان يسمى به للزومه عبادته فان من بالغ في محبة واحد فقد يجعل اسم المحبوب اسما للمحب قال تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم وقال الشاعر ادعى باسماء نبزا في قبائلها كان اسماء اضحت بعض اسمائي او اريد عابد آزر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقيل ان والد ابراهيم كان تارح وكان آزر عمه والعم قد يطلق عليه اسم الاب بدليل قوله نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق ومعلوم ان اسمعيل كان عما ليعقوب ومما يدل على صحة ظاهر الاية ان اليهود والنصارى والمشركين كانوا حراصا على تكذيب الرسول صلى الله عليه وآله واظهار نقصه فلو كان النسب كذبا لامتنع في العادة سكوتهم عن تكذيبه وحيث لم يكذبوه علمنا ان النسب صحيح قالت الشيعة ومن يجري مجراهم ان احدا من آباء الرسول صلى الله عليه وآله ما كان كافرا وفسروا قوله وتقلبك في الساجدين بانتقاله من ساجد الى ساجد واكدوه بما روي انه صلى الله عليه وآله قال لم ازل انتقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات وان آزر كان عم ابراهيم وما كان والده لان ابراهيم شافهه بالغلظة والجفاء في قوله اني اراك وقومك في ضلال مبين وقد قال تعالى ولا تقل لهما اف ولا تنهرهما ولانه ناداه بالاسم في قراءة من قرا آزر بالضم والنداء بالاسم دليل الاستخفاف ولهذا لم يقراها بالضم في قوله وقال موسى لاخيه هرون اخلفني واجيب بان قوله وتقلبك في الساجدين يحتمل وجوها اخر سوف يجيء ذكرها وبان قوله لم ازل انتقل محمول على انه لم يقع في نسبه ما كان سفاحا والتغليظ من ابراهيم انما كان لاجل اصراره على الكفر كما قال فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه لا لاجل السفه والجفاء لقوله ان ابراهيم لحليم اواه منيب ثم ان ابراهيم احتج على فساد اعتقاد عبدة الاصنام بقوله منكرا على آزر وقومه اتتخذ اصناما آلهة اي معبودين وذلك ان الاصنام لو كان لها قدرة على الخير والشر لكان الصنم الواحد كافيا فلما لم يكن الواحد كافيا دل ذلك على عجزها وان كثرت احتج بعضهم بالاية على وجوب معرفة الله تعالى وعلى ان وجوب الاشتغال بشكره معلوم بالعقل لا بالسمع لان ابراهيم حكم عليهم بالضلال من حيث النظر والاستدلال واجيب بانه لعله عرف ضلالهم بحكم شرع الانبياء المتقدمين عليه وكذلك اي مثل ما اريناه من قبح عبادة الاصنام والاشتغال بغير الله نري ابراهيم ملكوت السموات والارض والنكتة فيه ان التخلي عن غير الله يوجب رفع الحجاب بقدر ذلك يكون حصول التجلي والتحلي بالله وانما لم يقل اريناه بلفظ الماضي لاقرار الحكاية كانه قيل كيف بلغ ابراهيم هذا المبلغ في قوة الدين والذب عنه فاجيب انا كنا نريه الملكوت وقت طفوليته لاجل ان يصير من الموقنين زمان بلوغه او المقصود بيان انه تعالى

ذي تاج

في معارج الكمال وازدياده في ذلك على سبيل الدوام والاستمرار فان مخلوقاته تعالى وان كانت متناهية في الذات وفي الصفات الا ان جهات دلالاتها على ذاته وصفاته سبحانه غير متناهية كما قال امام الحرمين معلومات الله غير متناهية ومعلوماته في كل معلوم ايضا غير متناهية فان الجوهر الفرد يمكن وقوعه في احياز لا نهاية لها على البدل ويمكن اتصافه بصفات لا نهاية لها على البدل فكل تلك الاحوال التقديرية معلومة لله تعالى وكل تلك الاحوال دالة على حكمة الله تعالى وعظمة قدرته واذا كان الجوهر الفرد كذلك فكيف كل الملكوت ولهذا قيل السفر الى الله تعالى له نهاية فاما السفر في الله سبحانه فانه بلا نهاية والملكوت هو الملك والتاء للمبالغة كالرغبوت والرحموت من الرغبة والرهبة قال بعضهم انه سبحانه اراه الملكوت بالعين قالوا شق له السموات حتى راى العرش والكرسي الى منتهى الاجرام العلوية وشق له الارض الى ما تحت الثرى فراى ما فيها من البدايع والعجائب عن ابن عباس انه لما اسري بابراهيم الى السماء واري ما فيها وما في الارض من العجائب راى عبدا على فاحشة فدعا عليه وعلى آخر بالهلاك فقال الله تعالى له كف عن عبادي فهم بين خلال ثلاث اما ان اجعل منهم ذرية طيبة او يتوبون فاغفر لهم او النار من ورائهم وقال الاكثرون ان هذه الاراءة كانت بعين البصيرة لان ملك السموات والارض لا يرى وانما يعرف بالعقل ولو اريد نفس السموات والارض صار لفظ الملكوت ضايعا وايضا قوله فلما جن عليه الليل جار مجرى الشرح والتفسير لتلك الاراءة فثبت انه استدل بتغير الاجرام وامكانها وحدوثها على وجود الاله الواجب الحكيم ثم قال بالآخرة وتلك حجتنا والرؤية بالعين لا يصير حجة على قومه وايضا الاراءة بالعين يفيد العلم الضروري بالاله القادر ومثل هذه المعرفة لا يوجب المدح والثواب كما للكفار في الآخرة وايضا اليقين عبارة عن تحصيل علم بالتامل اذا كان مسبوقا بالشك فالمراد ان ابراهيم يستدل بها وليكون من الموقنين وليكون من الموقنين نريها وفعلنا ذلك وذلك ان الاراءة قد تصير سببا للجحود لا للايقان كما في حق فرعون ولقد اريناه آياتنا كلها فكذب وابى وايضا الانسان لا يمكنه ان يرى بالعين اشياء كثيرة دفعة واحدة على سبيل الكمال وبتقدير الامكان لا يكون لها دوام وبقاء وبتقدير البقاء يكون شاغلة للرائي عن الله اما اذا نظر بعين البصيرة في المخلوقات وعرف حدوثها وامكانها وعرف ان كل ممكن محتاج الى الصانع الحق الواجب فكانه بهاتين المقدمتين قد طالع صفحة الملكوت بعين عقله وسمع باذن قلبه شهادتها بالاحتياج والانقياد لله وهذه الرؤية باقية غير زائلة ولا شاغلة عن الله بل هي شاغلة للقلب والروح بالله وهذه الرؤية وان كانت حاصلة لجميع الموحدين لقوله سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم الا ان الاطلاع على تفاصيل آثار حكمة الله تعالى في كل واحد من مخلوقات هذا العالم بحسب اجناسها وانواعها واصنافها واشخاصها وعوارضها ولواحقها كما هي لا تحصل الا للاكابر من الانبياء ولهذا قال صلى الله عليه وآله في دعائه ارني الاشياء كما هي ثم ان الانسان في اول استدلاله لا ينفك قلبه عن اختلاج شبهة فيه فاذا كثرت الدلائل وتوافقت وتطابقت كان لكل واحد منها نوع تاثير وقوة ويكون جاريا مجرى تكرار الدرس الواحد ويزداد النفس بكل منها نورية واشراقا وانبساطا الى ان يحصل الجزم ويكمل الايقان ويطلع شمس العلم والعرفان الى حيث اتيح لها من الارتقاء والتصاعد وذلك قوله فلما جن عليه الليل قال في الكشاف انه معطوف على قوله واذ قال ابراهيم وقوله وكذلك نري جملة وقعت اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه يقال جن عليه الليل واجنه الليل والتركيب يدور على الستر منه الجنة والجن والمجنون والجنين وقيل جن عليه الليل اي اظلم عليه ولاجل هذا التضمن عدي بعلى واما اجنه فمعناه ستره من غير تضمين معنى اظلم واعلم ان كثيرا من المفسرين ذكروا ان ملك ذلك الزمان راى رؤيا وعبرها المعبرون بانه يولد غلام ينازعه في ملكه فامر بذبح كل غلام يولد فحملت ام ابراهيم عليه السلام وما اظهرت حملها للناس فلما جاءها الطلق ذهبت الى كهف في جبل ووضعت ابراهيم وسدت الباب بحجر فجاء جبرئيل عليه السلام فوضع اصبعه في فيه فمصه فخرج منه رزقه وكان يتعهده جبرئيل عليه السلام وكانت الام تاتيه احيانا وترضعه وبقي في الغار حتى كبر وعرف ان له ربا فسال الام فقال لها من ربي فقالت انا فقال من ربك فقالت ابوك فقال لابيه من ربك فقال ملك البلد فعرف ابراهيم جهلهما بربهما فنظر من باب ذلك الغار ليرى ما يستدل به على وجود الرب سبحانه فراى النجم الذي كان اصغر النجوم في السماء فقال هذا ربي الى آخر القصة ثم منهم من قال كان هذا بعد البلوغ واوان التكليف ومنهم من قال كان هذا قبل البلوغ واكثر المحققين على فساد هذا القول لوجوه منها ان القول بربوبية النجم كفر بالاجماع والكفر لا يجوز على الانبياء بالاتفاق ومنها ان ابراهيم كان قد عرف ربه قبل هذه الواقعة لان الله تعالى اخبر عنه انه دعا اباه الى التوحيد بالرفق مرارا بقوله يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر الايات وفي هذا الموضع دعا اباه الى التوحيد بالكلام الخشن والدعوة بالرفق مقدمة على الدعوة بالخشونة والغلظة ومنها ان هذه الواقعة كانت بعد ان اراه ملكوت السموات والارض بدليل فاء التعقيب في قوله فلما جن ومنها انه تعالى وصفه بقوله اذ جاء ربه بقلب سليم ومدحه بقوله ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل اي من اول زمان الفطرة ومنها قوله عقيب هذه القصة وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه ولم يقل على نفسه ومنها انه قال بعد القصة يا قوم اني بريء مما تشركون مع انه ما كان في الغار لا قوم ولا صنم ومنها قوله وحاجه قومه وفيه دليل على انه انما اشتغل بالنظر في الكواكب بعد ان خالط قومه وراهم يعبدون الاصنام ودعوه الى عبادتها فقال لا احب الآفلين ردا عليهم وتنبيها على فساد قولهم ويؤكده قوله وكيف اخاف ما اشركتم لانه يدل على انهم كانوا قد خوفوه بالاصنام كما في قصة هود ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ومنها ان تلك الليلة كانت مسبوقة بالنهار وكان ينبغي ان يستدل اولا بغروب الشمس على عدم الهيتها ثم يبطل الهية القمر وسائر الكواكب بالطريق الاولى ولما لم يكن كذلك علمنا ان المقصود الزام القوم وافحامهم ولا ابتداء بافول الكوكب لانه اتفق كما انه مع القوم حال طلوع ذلك النجم ثم امتدت

انا فقال الخ

المناظرة لان طلعت الشمس ثم ههنا احتمالان الاول ان يقال ان هذا كلام ابرهيم بعد البلوغ ولكنه ذكره بلفظهم حتى يرجع اليه فيبطله مثاله ان
يقول في مناظرة من يزعم قدم الجسم الجسم القديم فان كان كذلك فلم نشاهده ونراه مركبا متغيرا فقوله الجسم قديم اعادة لكلام الخصم لالزام الحجة
عليه او المراد هذا ربي في زعمكم واعتقادكم كقول الموحد للمجسم ان اله جسم محدود اي في زعمه واعتقاده قال تعالى ويوم يناديهم فيقول اين شركائي
وقال ذق انك انت العزيز الكريم اي عند نفسك كان ثم يقول بالاله الاله في زعمهم او المراد منه الاستفهام على سبيل الانكار الا انه اسقط حرف
الاستفهام لدلالة الكلام او اضمر القول اي يقولون هذا ربي واضمار القول كثير واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا اي يقولان ربنا
والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم اي يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا او ذكر هذا الكلام على سبيل الاستهزاء او انه ع ذكر ذلك عن تقليدهم
لاسلافهم وبعد طباعهم عن قبول الدلائل انه لو صرح بالدعوة لم يقبلوا ولم ينال الى الاستدراج وذكر كلاما يوهم كونه مساعدا لهم مع ان ابرهيم
كان مطمئنا بالايمان فكان بمنزلة المكره على كلمة الكفر حيث لم يجد الى الدعوة المامور بها طريقا سوى ذلك واذا جاز ذكر كلمة الكفر لمصلحة تعود
الى شخص واحد كقوله تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان فلان يجوز ذكرها لتخليص جم غفير من الكفر والعقاب الابدي كان اولى قال
العلماء ان المكره على ترك الصلوة لو صلى حتى قتل استحق الاجر ثم اذا جاء وقت القتال مع الكفار وعلم انه لو اشتغل بالصلوة انهزم عسكر الاسلام فيهما
يجب عليه ترك الصلوة والاشتغال بالقتال حتى لو صلى وترك القتال اثم وان من كان في الصلوة فرأى طفلا او اعمى اشرف على غرق او حرق
وجب عليه قطع الصلوة لانقاذهما ومثل هذه الواقعة قوله فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم وذلك انهم كانوا يستدلون بعلم النجوم على الحوادث
المستقبلة فوافقهم ابرهيم على هذا الطريق في الظاهر مع انه كان بريئا عنه في الباطن ليتوصل بذلك الى كسر الاصنام قال المتكلمون انه يجوز
من الله تعالى اظهار خوارق العادات على من يدعي الالهية لان صورة هذا المدعي وشكله يدل على كذبه فلا يروج التلبيس ولكنه لا يجوز اظهارها
على يد من يدعي النبوة كاذبا لان التلبيس يروج ح فكذا ههنا قوله هذا ربي لا يوجب الضلال لان دلائل بطلانه جلية وفي ذلك استدراج
لهم لقبول الدليل فكان جائزا الاحتمال الثاني انه ذكر ذلك قبل البلوغ فلعله خطر بباله لشدة ذكائه قبل بلوغه اثبات الصانع سبحانه فتفكر فرأى
النجم فقال هذا ربي فلما افل قال لا احب الافلين ثم انه تعالى اكمل بلوغه في اثناء هذا الفكر فقال عند افول الشمس اني بريء مما تشركون واعلم ان القصة
التي ذكرناها من ان ابرهيم ع ولد في الغار وتركته امه وكان جبرئيل يربيه محتملة في الجملة لان الارهاص وهو تقديم المعجز على وقت الدعوى جائز
عندنا ولم يجوزه القاضي الا اذا حضر في ذلك الزمان رسول من الله تعالى فيكون تلك الخوارق معجزة لذلك الرسول قال في الكشاف فان قلت لم
احتج عليهم بالافول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال الى حال قلت الاحتجاج بالافول اظهر لانه انتقال مع خفاء واحتجاب وانا اقول الاحتجاج
بالبزوغ في الاثر لا يصح لانه تعالى بين انه نظر الى الكوكب وقت كونه طالعا لا حين بزوغه فلم يلزم مشاهدة التغير والانتقال وكذا الى القمر والى الشمس
دليله انه لم يقل رأى القمر بزغ بل بازغا ولو سلم فان احسن الكلام ما يحصل فيه حصة الخواص والاوساط والعوام فالخواص يفهمون من الافول الامكان
فكل ممكن محتاج والمحتاج لا يجوز ان يكون منقطع الحاجات فلا بد من الانتهاء الى الواجب بالذات واما الاوساط فانهم يفهمون من الافول مطلق
الحركة فكل متحرك محدث وكل محدث فهو محتاج الى القديم واما العوام فانهم يفهمون من الافول الغروب فكل كوكب يغرب فانه يزول نوره ويذهب
سلطانه ويصير كالمعزول ومن كان كذلك فانه لا يصلح للالهية اقصى ما في الباب ان يقال ان لها تاثيرات في احوال العالم السفلي ولكن تلك التاثيرات
للمربكين لما بدأ نها لزم استناد الكل الى الواجب سبحانه وهو الاله الاعظم القادر على خلق السموات والنجوم النيرات فيجب ان يكون قادرا على خلق
البشر وعلى تدبير السفليات بالطريق الاولى فلا يلزم من وضع الواسطة رفع المبدأ بحال ويعلم من قوله لا احب الافلين انه تعالى ليس بجسم والا كان غائبا
عنا فكان افلا وانه لا يصح عليه المجيء والذهاب والنزول والصعود ولا الصفات الحادثة وفيه ان معارف الانبياء استدلالية لا ضرورية وانه لا سبيل
الى معرفته تعالى الا بالنظر والاستدلال ثم فلما رأى القمر بازغا يقال بزغ القمر والشمس اذا ابتدأ في الطلوع واصل البزغ الشق كانه يشق بنوره الظلمة شقا
الازهري وفي قوله لئن لم يهدني ربي اشارة الى ان الهداية ليست الا من الله تعالى والمعتزلة حملوها على التمكين وازاحة الاعذار ونصب الدلائل
وزيف بان كل ذلك كان حاصلا فالهداية التي كان يطلبها بعد ذلك لا بد ان يكون زائدا عليها فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي اراد هذا
الطالع او هذا المرئي او ذكر بتاويل الضياء والنور او باعتبار الخبر وهو رب مع رعاية الادب وهو ترك التانيث عند اللفظ الدال على الربوبية
كما لم يقولوا في صفة الله علامة وان كانت بناء مبالغة هذا اكبر اي اكبر الكواكب جرما ونورا وقد برهن في الهيئة على انها مائة وستة وستون
مثلا لكرة الارض كلها وانما لم يقتصر على ذكر الشمس اولا مع انه يلزم منه عدم ربوبية ما دونها من القمر والكواكب لانه اراد الاخذ من الادون الى
الاعلى لمزيد التقرير والتصوير يا قوم اني بريء مما تشركون قيل لا يلزم من نفي ربوبية النجوم نفي الشريك مطلقا والجواب ان القوم لم ينازعوه
الا في الصور المذكورة فلما اثبت انها ليست اربابا ثبت بالاتفاق نفي الشركاء على الاطلاق ومعنى وجهت وجهي للذي وجهت عبادتي لاجله
فان من كان مطيعا لغيره منقادا لامره فانه يوجه وجهه اليه فجعل توجيه الوجه اليه كناية عن الطاعة واصل الفطر الشق يقال تفطر الشجر بالورق
والورد اذا اظهرهما والحنيف المائل عن كل معبود سوى الله تعالى قال ابو العالية الذي يستقبل البيت في صلوته ثم ان قومه حاجوه بالتمسك
بالتقليد تارة كقولهم انا وجدنا اباءنا على امة وكقولهم للرسول ص اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب وبتخويفهم اياه بالاصنام

اخرى فاجابهم بقوله اتحاجوني في الله وقد هدان اي لما ثبت بالدليل الموجب للهداية صحة قولي فكيف التفت الى حججكم الواهية ولا اخاف
ما تشركون به لان الخوف انما يحصل ممن يقدر على النفع والضر الا ان يشاء ربي شيئا الا وقت مشيئة ربي شيئا يخاف فحذف المضاف اي الا ان
اذنبت فيشاء انزال العقوبة بي او الا ان يريد ابتلائي بمحنة او الا ان يمكن بعض تلك الاصنام من ضري مثل ان يحتي بكوكب وكان تلك الاوضاع
فيها طلسم فيصيبني مكروه من جهته باذن الله تعالى وفائدة الاستثناء انه لو حدث به شيء من المكاره في الايام المستقبلة لم يحمله الحمقى والجهلة على
قدرة الاصنام وسع ربي كل شيء علما فلا يفعل الا الخير والصلاح افلا تتذكرون ان نفي الانداد عن رب الارباب لا يوجب حلول العقاب و
نزول العذاب وان الفرح لا يساوي المفاسد والعاجز لا يساوي القادر ثم اكد ذلك بقوله وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله
ما لم ينزل به عليكم سلطانا اذ لا سلطان فيه ينزل وقيل انه لا يمتنع عقلا ان يؤمر باتخاذ تلك التماثيل والصور قبلة للصلوة والدعاء ولكنه لم
يؤمر به والمعنى ما لكم تنكرون على الامن في موضع الامن ولا تنكرون على انفسكم الامن في موضع الخوف ثم قال فاي الفريقين يعني فريقي
المشركين والموحدين ولم يقل فاينا احق بالامن انا ام انتم اجتنابا عن تزكية نفسه والغرض لي احق بالامن ان كنتم تعلمون ثم استانف الجواب
عن السؤال بقوله الذين امنوا الاية والمعنى ان الذين حصل لهم الامن المطلق هم المستجمعون لكمال القوة النظرية وهي سلامة الايمان ولكمال القوة
العملية وهو وضع الاشياء في موضعها واليه الاشارة بقوله ولم يلبسوا اي لم يخلطوا ايمانهم بظلم قالت الاشاعرة شرط في الايمان الموجب للامن عدم
الظلم ولو كان ترك الظلم داخلا في الايمان لم تكن لهذا التقييد فائدة فثبت ان الفاسق مؤمن وقالت المعتزلة شرط في حصول الامن حصول
الامرين الايمان وعدم الظلم فوجب ان لا يحصل الامن للفاسق وذلك يوجب حصول الوعيد له ابدا واجيب بان الظلم ههنا الشرك
لقوله ان الشرك لظلم عظيم واجتماعه مع الاقرار بالصانع ممكن وح يصح اطلاق اللبس بمعنى الخلط ويكون المراد الذين امنوا بالله ولم يثبتوا
له شريكا في المعبودية ويؤيده ان القصة وردت في نفي الاضداد والانداد وايضا لا يلزم من عدم الامن المطلق حصول القطع بالعذاب
الابدي واعلم ان المحاجة في الله تارة يكون موجبة للذم والانكار كمحاجة قوم ابرهيم وتارة يكون موجبة للمدح وذلك اذا كان الغرض تقرير
الدين الحق والمذهب الصدق كمحاجة ابرهيم من قوله فلما جن عليه الليل الى ههنا واليها الاشارة بقوله وتلك حجتنا اتيناها ارشدناه
اليها ووفقناه لها نرفع درجات من نشاء من قرا بالاضافة فظاهر لان رفع يتعدى الى واحد ومن قرأ بالتنوين فيكون كقوله ورفع بعضهم درجات
وقد تقدم في البقرة واختلف في تلك الدرجات فقيل اعمال البر في الاخرة وقيل تلك الحجج درجات رفيعة لانها [illegible] ارتفاع الروح من حضيض
العالم الجسماني الى اعلى العالم الروحاني وقيل نرفع من نشاء في الدنيا بالنبوة والحكمة وفي الاخرة بالجنة والثواب او نرفع درجات من نشاء بالحكمة والعلم
ان ربك حكيم عليم فيرفع الدرجات بمقتضى الحكمة والعلم لا بموجب التشهي والجزاف التاويل رأى ابرهيم ملكوت الاشياء اي بواطنها ليكون من
الموقنين عند كشفها كما كان موقنا عند كشف الضلال المودع في ذرو قومه فلما جن عليه ظلمة ليلة البشرية امطر سحاب العناية غيث الهداية
على ارض قلبه فانبت بذر الخلة المودعة في ملكوت قلبه فرأى نور الرشد في صورة الكوكب طالعا من افق سماء روحانيته فقال هذا ربي اراد
به سره المكوكب لا الكوكب انه لم يشعر به نفسه كما قيل هوى فؤادي ولم يعلم به بدني فالجسم في غربة والروح في وطن فان كذبت النفس فيما قالت للكوكب
هذا ربي ما كذب الفؤاد ما رأى من الكوكب فقال هذا ربي فلما احتجب كوكب نور الرشد بغلبات صفات الخليقة عند رجوعه الى اوصافه
وافتقر كوكب السماء بالغروب قال سره لا احب الافلين فلما اتسع انفتاح روزنة القلب الى الملكوت بقدر القمر تجلى له نور الربوبية في مرآة القمر
قال هذا ربي فلما افل عند رجوعه الى اوصافه فازداد الشوق وقال لئن لم يهدني ربي بترفع حجب الاوصاف ويبقيني على وجود الخليقة لاكونن من القوم
الضالين عن الحق كاكثر قومه فلما انحرف حجب الاوصاف وخرجت شمس الهداية من غيم البشرية واشرقت ارض القلب بنور ربها قال هذا ربي
فلما افلت شمس الهداية تعززا وتعظما ليغرب ابرهيم عليه عن شرك الانانية ان شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب ليست تغيب تبرا عن
الاضداد والانداد ونزعته الخلة عن الجهات وخلصه تجلي صفة الجمال عن شبكة الوهم والخيال فقال يا قوم اني بريء مما تشركون وقد يدير
في الخلد ان ابرهيم صلوات الله الرحمن عليه جن عليه ظلمة الشبهة فنظر اولا في عالم الاجسام فرآها افلة في افق التغير فلم يرها تصلح للالهية فارتقى
منها الى عالم النفوس المدبرة للاجسام فرآها افلة في افق الاستكمال فكان حكمها حكم ما دونها فصعد منها الى عالم العقول المجردة فصادفها افلة في
افق الامكان فلم يبق الا الواجب الحق ومن الناس من حمل الكوكب على الحس والقمر على الخيال والشمس على الوهم والعقل ومراده ان هذه القوى المذكورة
الثلثة قاصرة متناهية القوة ومدبر العالم قاهر لها مستول عليها وحاجه قومه ليسبلوا ستور شبههم على شموس عرفانه وقد هدان اليه بالعيان بعد
تولي البرهان الا ان يشاء ربي شيئا من الخذلان وهذا محال لانه وسع ربي كل شيء علما فهو اعلم باهل العرفان وباصحاب الخذلان فلم يلبسوا
ايمانهم بظلم بشرك الالتفات الى غيره من الاكوان حتى قال لجبرئيل اما اليك فلا وتلك يعني اراءة الملكوت وشواهد الربوبية في مرآة الكواكب
وصدق التوجه الى الحق والتبري عما سواه والخلاص عن شرك الانانية والايمان الحقيقي بالعيان حتى ارتقى من الافعال الى الصفات ثم
الى الذات اتيناها ابرهيم بداية من غير واسطة حتى جعلها حجة على قومه نرفع درجات من نشاء بجذبات الالوهية عن حضيض الانانية الله حسبي
ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمن وايوب ويوسف وموسى

وَهٰرُونَ وَكَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيٰى وَعِيسٰى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصّٰلِحِينَ ۝ وَإِسْمٰعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَ
وهرون و همچنین پاداش دهیم نیکوکاران را و زکریا و یحیی و عیسی و ایاس را همه از نیکوکارانند و اسمعیل و یسع و یونس و
لُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعٰلَمِينَ ۝ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيّٰتِهِمْ وَإِخْوٰنِهِمْ وَاجْتَبَيْنٰهُمْ وَهَدَيْنٰهُمْ إِلٰى صِرٰطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝
و لوط را و هر یک را برتری دادیم بر جهانیان و از پدران ایشان و فرزندان ایشان و برادران ایشان و برگزیدیم ایشان را و هدایت کردیم بسوی راه راست
ذٰلِكَ هُدَى اللّٰهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ أُولٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنٰهُمُ
این هست راه خدا که هدایت کند بآن انرا که خواهد از بندگانش و اگر شرک آرند هر اینه باطل گردد از ایشان آنچه بودند که میکردند آن گروه آنانند که دادیم ایشان را
الْكِتٰبَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكٰفِرِينَ ۝ أُولٰئِكَ
کتاب و داوری و پیغمبری پس اگر کافر شوند بآن این گروه پس هر آینه برگماریم بآن گروهی را که نیستند بآن کافران آن گروه
الَّذِينَ هَدَى اللّٰهُ فَبِهُدٰىهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٰى لِلْعٰلَمِينَ ۝ القراءة
آنانند که هدایت کرد ایشان را خدا پس بهدایت ایشان اقتدا کن بگو نمیخواهم از شما بر آن مزدی نیست آن مگر اندرز برای جهانیان

واليسع بتشديد اللام حمزة وعلي وخلف الباقون بالتخفيف اقتده باشباع الهاء ابن عامر الحلواني عن هشام مختلسة وبحذف الهاء في الوصل
سهل يعقوب وحمزة وعلي وخلف الباقون بسكون هاء السكت على الاصل او الوقف ويعقوب كلا هدينا لا ان ونوحا مفعول ما بعده ولو وصل
التبس بانه مفعول ما قبله مع اتفاق الجملتين وهرون المحسنين للعطف الياس من الصالحين للعطف ولوطا العالمين للعطف واخوانهم لبيان
ان قوله واجتبيناهم يعقوب الى قوله كلا هدينا كقوله وممن هدينا واجتبينا لاحتمال الواو الحال اي وقد اجتبينا ذكرهم هديناهم بعده
مستقيم من عباده يعملون والنبوة بكافرين اقتده اجرا للعالمين التفسير لما ذكر حجة ابرهيم صلوات الرحمن عليه في التوحيد والذب عن
الدين الحنيفي عدد وجوه نعمه واحسانه عليه فعد بعد نعمة ايتاء الحجة ورفع الدرجة فقال ووهبنا باللفظ الدال على العظمة كما يقول عظماء الملوك ليدل
بذلك على عظم العطية وذلك انه جعل اشرف الناس وهم الانبياء والرسل من نسله وعقبه قيل وانما لم يذكر اسمعيل مع اسحق وان كان هو ابنه
لصلبه لان المقصود بالذكر ههنا انبياء بني اسرائيل وهم باسرهم اولاد اسحق ويعقوب واما اسمعيل فانه ما خرج من صلبه احد من الانبياء الا محمد
صلى الله عليه وآله ولا يجوز ذكر محمد صلى الله عليه وآله في هذا المقام لانه امر محمدا ان يحتج على العرب بان ابرهيم لما ترك الشرك واصر على التوحيد
شرفه الله بالنعم الجسام في الدين والدنيا ومن جملة ذلك ان اتاه اولادا كانوا ملوكا وانبياء فاذا كان المحتج بهذه الحجة هو محمد امتنع ان يذكر
نفسه في هذا المعرض فلهذا السبب لم يذكر اسمعيل مع اسحق اما قوله ونوحا هدينا من قبل فالمقصود منه بيان كرامة ابرهيم بحسب الاباء ايضا
مثل نوح وادريس وشيث واما الضمير في قوله ومن ذريته فقد قيل انه يعود الى نوح لانه اقرب ولانه تعالى ذكر في جملتهم لوطا وهو كان ابن اخي
ابرهيم وما كان من ذريته بل كان من ذرية نوح ولان ولد الانسان لا يقال انه ذريته فعلى هذا اسمعيل ما كان من ذرية ابرهيم وكان من ذرية
نوح ولان يونس عم لم يكن من ذرية ابرهيم على قول بعضهم وقيل الضمير عائد الى ابرهيم لانه المقصود بالذكر في هذا المقام واعلم ان الله تعالى
ذكر اربعة من الانبياء وهم نوح وابرهيم واسحق ويعقوب ثم ذكر من ذريتهم اربعة عشر نبيا داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهرون و
زكريا ويحيى وعيسى والياس واسمعيل واليسع ويونس ولوطا فالمجموع ثمانية عشر وانه لم يراع الترتيب بينهم في الاية لا بحسب الفضل والشرف
ولا بحسب الزمان والمدة فاستدل العلماء بذلك على ان الواو لا تفيد الترتيب قال في التفسير الكبير ان وجه الترتيب انه تعالى خص كل طائفة
من طوائف الانبياء بنوع من الكرامة فمن المراتب المعتبرة عند الجمهور الملك والسلطنة وقد اعطى داود وسليمان من ذلك نصيبا عظيما والثانية
الثانية البلاء والمحنة وقد خص ايوب بذلك والثالثة استجماع الحالتين وذلك في حق يوسف فانه ابتلي اولا ثم اوتي الملك ثانيا الرابعة قوة المعجزات
وكثرة البراهين والبينات وذلك حال موسى وهرون الخامسة الزهد الكامل كما في حق زكريا ويحيى وعيسى والياس ولهذا وصفهم بانهم من الصالحين
السادسة الانبياء الذين لم يبق لهم في الخلق اتباع ولا اشياع وهم اسمعيل واليسع ويونس ولوط واما المراد بقوله كلا هدينا ونوحا هدينا فقيل المراد
الهداية الى طريق الجنة بدليل قوله وكذلك نجزي المحسنين فان جزاء المحسن على احسانه لا يكون الا الثواب وقيل لا يبعد ان يكون المراد الهداية
الى الدين والمعرفة لانهم اجتهدوا في طلب الحق فجازاهم الله بالوصال والوصول كما قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقيل انها
الارشاد الى النبوة والرسالة لان الهداية المخصوصة بالانبياء ليست الا ذلك ورد هذا انما يصح عند من جوز ان يكون الرسالة جزاء على عمل واستدل
بعضهم بقوله وكلا فضلنا على العالمين على ان الانبياء افضل من الملائكة وذلك ان العالم اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل فيه الملائكة
وكذا الاولياء وقيل فضلناهم على عالمي زمانهم فلا يتم الاستدلال قال القاضي ويمكن ان يقال المراد وكلا من الانبياء يفضلون على كل من سواهم
من العالمين ثم الكلام في ان اي الانبياء افضل من بعض كلام آخر لا تعلق له بالاول ثم قال ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم وانه معطوف على كلا
اي فضلنا بعض آبائهم فالاباء هم الاصول والذريات هم الفروع والاخوان فروع الاصول وفيه دليل على انه تعالى خص كل من تعلق بهؤلاء
بنوع من الشرف والكرامة ثم ان قلنا المراد من الهداية الهداية الى الثواب الجنة فقوله من آبائهم وكلمة من للتبعيض يدل على انه قد كان في آباء هؤلاء الانبياء

من كان غير مؤمن ولا واصل الى الجنة وان فسرنا الهداية بالنبوة لم يفد ذلك الا انه يفيد ان لا يكون الا رسولا ولا نبيا واجتبيناهم اي
اصطفيناهم من يجتبي الماء في الحوض يجبيه اي يجمعه ذلك هدى الله اشارة الى معرفة التوحيد والتنزيه بدليل قوله ولو اشركوا وفيه
دليل على ان الهداية من الله تعالى وليس للعبد فيها اختيار وفيه تهديد عظيم كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك والغرض من ذلك زجر الامة اولئك
يعني الانبياء الثمانية عشر الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة لا بد بحكم العطف من تغاير الامور الثلاثة ووجهه ان احكام على الخلق ثلاثة
الحكام على بواطن الناس وهم العلماء والحكام على ظواهر الخلق وهم السلاطين والجامعون بين الامرين وهم الانبياء فالامور الثلاثة اشارة الى هذه الاصناف
الثلاثة ومعنى ايتاء الكتاب الفهم التام بما في هذا الجنس والعلم المحيط بحقائقه واسراره ولو قيل المراد بالايتاء الابتداء بالوحي والتنزيل كصحف ابرهيم
وتوراة موسى وانجيل عيسى لم يشمل كل المذكورين لانه تعالى ما انزل على كل واحد منهم كتابا على التعيين فان يكفر بها اي بالامور الثلاثة او بالنبوة
هؤلاء يعني اهل مكة فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين اي ليسوا كافرين بها من توكيلهم بها انهم وفقوا للايمان بها والقيام بحقوقها
كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه ومن القوم قيل كل مؤمن وقيل اهل المدينة وهم الانصار وقيل هم والمهاجرون وقال الحسن هم
الانبياء الذين تقدم ذكرهم واختاره الزجاج والقوله عقيب ذلك اولئك الذين هدى الله وقال ابو رجاء يعني الملائكة وضعف بان اسم
القوم قلما يقع على غير بني آدم وفي الاية دلالة على انه تعالى سينصر نبيه ويظاهر دين الاسلام على كل الاديان وقد وقع ما وعد فكان اخبارا بالغيب
فيصح اعجاز القرآن وفيها استدلال للاشاعرة على انه تعالى خلق قوما للايمان ولو كان خلق الكل للايمان والبيان والتمكين وفعل الالطاف مشترك
بين الكل لم يصح هذا التخصيص اجاب الكعبي بانه زاد المؤمنين من الالطاف ما لا يحصيه الا الله وبتقدير ان يستوي فاذا لم ينتفع به الكافر صح
الظاهر ان يقال انه لم يحصل له تلك الالطاف ورد بان الالطاف الداعية الى الايمان مشترك فيها بين الكافر والمؤمن ورد بان الوالد لما سوى
بين الولدين في العطية ثم ان احدهما ضيع نصيبه فاي عاقل يجوز ان يقول احد ان الاب ما انعم عليه وما اعطاه شيئا فبهداهم اقتده من
حذف الهاء في الوصل فعلى الاصل ومن اثبتها في الوصل كما في الوقف اراد موافقة المصحف فان الهاء ثابتة في الخط في الحالين واما قراءة ابن
عامر فقال ابو بكر بن مجاهد انها غلط وقال ابو علي الفارسي ليست بغلط ووجهها ان يجعل الهاء كناية عن المصدر الدال عليه الفعل والتقدير فبهداهم
اقتد الاقتداء وتقديم المفعول للاختصاص اي لا تقتد الا بهم ولا خلاف في انه امر محمدا بالاقتداء بالانبياء المذكورين انما الكلام في تفسير الهدى
فمن الناس من قال الذي اجمعوا عليه هو القول بالتوحيد والتنزيه عن كل ما لا يليق به في الذات والصفات والافعال وقال آخرون المراد
به الاقتداء بهم في شرائعهم الا ما خصه الدليل وعلى هذا فيلزم ما شرع من قبلنا وقيل اللفظ مطلق فيحمل على الكل الا ما خصه الدليل المنفصل
وقال القاضي هذا بعيد لان شرائعهم مختلفة متناقضة ولا يمكن الاتيان بالامور المتناقضة معا ولان الهدى عبارة عن الدليل دون نفس
العمل ودليل ثبات شرعهم كان مخصوصا بتلك الاوقات ولان منصبهم يلزم ان يكون اجل من منصبه وانه باطل بالاجماع واجيب بان العام يجب تخصيصه
في الصورة المتناقضة فيبقى فيما عداها حجة وبان المستدل بالدليل فصاحب ذلك الحكم فلا معنى للاقتداء بالدليل الا اذا كان فعل الاول سببا
لوجوب الفعل على الثاني وبانه يلزم ان يكون منصبه اجل من منصبهم لانه امر باستجماع خصال الكمال وصفات الشرف التي كانت متفرقة فيهم كالشكر في
داود وسليمان والصبر في ايوب والزهد في زكريا ويحيى وعيسى والصدق في اسمعيل والتضرع في يونس والمعجزات الباهرة في موسى وهرون ولهذا
قال لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي ولما امر بالاقتداء بالانبياء وكان من جملة هداهم ان لا يطلبوا الاجر في المال والجعل في ايصال الدين و
ابلاغ الشريعة قيل له قل لا اسئلكم ايها الامة عليه على التبليغ اجرا ان هو يعني القرآن الا ذكرى للعالمين يريد كونه مشتملا على كل ما يحتاجون اليه
في المعاش والمعاد وفيه دليل على انه صلى الله عليه وآله كان مبعوثا الى الناس كافة لا الى قوم دون قوم التأويل ونمارقها بدرجات ابرهيم اتانا
وهبنا له اسحق ويعقوب ولعله افرد ذكر اسمعيل لمكان محمد صلى الله عليه وآله كيلا يقع ذكره تبعا لموهبة ابرهيم فان الكائنات تبع لوجود محمد صلى الله
عليه وآله واجتبيناهم في الازل لهذا الشأن وهديناهم الى الابد لو اشركوا بان لاحظوا غيرنا فاتبعوا شيئا من دوننا ونسبوا شيئا من الحوادث
الى غير قدرتنا وارادتنا لواثا نتهم في هويتها لحبط عنهم لتلاشي عرفانهم وتلف ما سلف من احسانهم فبهداهم اقتده لانهم سلكوا واحتج اليك
مسير كل منهم الى ما قدر له آدم في السماء الدنيا ويحيى وعيسى في الثانية ويوسف في الثالثة وادريس في الرابعة وهرون في الخامسة وموسى في
السادسة وابرهيم في السابعة وجميع الملائكة المقربين الى سدرة المنتهى وانت محمد الى مقام قاب قوسين او ادنى قل لا اسئلكم ايها الانبياء
على الاقتداء اجرا ان هو الا ذكرى للعالمين ليعلموا ان الطريق الى الله لا يسلك الا بالاقتداء ولا اسئلكم ايها الامة على دعوتكم الى الحق اجرا ان هو الا ذكرى من الله ومردايه
ع وهو المستعان وَمَا قَدَرُوا اللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللّٰهُ عَلٰى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتٰبَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسٰى نُورًا
و نشناختند خدا را سزای شناختنش چون گفتند که نفرستاده است خدا بر آدمی چیزی را بگو که فرو فرستاد کتاب را که آورد آن را موسی روشنی
وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرٰطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللّٰهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ
و هدایت از برای مردم که قرار داده اید آن را کاغذهای آشکار او پنهان داشته اید بسیاری را و آموخته شدید آنچه ندانسته بودید شما و نه پدران شما بگو خدا پس واگذار ایشان را در بازی
يَلْعَبُونَ ۝ وَهٰذَا كِتٰبٌ أَنْزَلْنٰهُ مُبٰرَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرٰى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ

يسلم انه تعالى كلف الخلق بالاوامر والنواهي ولكن لا على السنة الرسل وهذا ايضا جهل فان قيل لم لا يجوز ان يكون العقل كافيا في ايجاب الواجبات وحظر المنكرات فالجواب ان الامر كذلك الا انه لا يمنع تاكيد التعريف العقلي بل يجب تفصيل تلك الجمل بالتعريفات المشروحة على السنة الرسل لان اكثر العقول قاصرة عن ادراك مدارك الاحكام الشرعية كما ان نور البصر قاصر عن ادراك المبصرات الا اذا اعين بنور من خارج كنور الشمس او السراج وايضا تفويض مصالح العباد الى مقتضى عقولهم يؤدي الى التنازع والتشاجر لتصادم الاهواء وتناقض الآراء فلا بد من ان يتفقوا على واحد يصدرون عن رايه وتعيين ذلك الواحد من الخلق ترجيح بلا مرجح واشراف على الضلال لاحتمال الخطأ في اجتهادهم فلعل الخير في نظرهم يكون شرا في نفس الامر فلزم ان يكون التعيين من الله سبحانه لكونه اعرف بالبواطن كقوله الله اعلم حيث يجعل رسالته وانما يعرف ذلك المعين بظهور المعجزة على وفق دعواه تصديقا لمقاله ومن انكر ذلك ولم يجوز خرق العادة فقد وصف الله تعالى بالعجز ونفى عنه القدرة وقد طعن بعض الملحدة في الآية بان هؤلاء القائلين ان كانوا كفار قريش او البراهمة فهم ينكرون رسالة كل الانبياء كما ينكرون رسالة محمد صلى الله عليه وآله فكيف يمكن ابطال قولهم بقوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى على ان قوله تجعلونه قراطيس تبدونها الخطاب انما يليق باليهود وان كانوا اهل الكتاب فهم لا يقولون ما انزل الله على بشر من شيء بل يقرون بنزول التوراة على موسى والانجيل على عيسى ايضا الاكثرون اتفقوا على ان السورة مكية وانها نزلت دفعة واحدة ومناظرات اليهود مع رسول الله صلى الله عليه وآله كانت مدنية فكيف يمكن حمل الآية على تلك المناظرة والجواب انهم ان كانوا كفار قريش فانهم كانوا مختلطين باليهود والنصارى وكانوا قد سمعوا من الفريقين على سبيل التواتر ظهور المعجزات على موسى كالعصا وفلق البحر واظلال الجبل وغيرها وكان جاريا مجرى ما يوجب عليهم الاعتراف بنبوة موسى وعلى هذا لا يبعد ايراد نبوة موسى الزاما لهم في قولهم ما انزل الله على بشر من شيء ولما كان كفار قريش مع اليهود والنصارى متشاركين في انكار نبوة محمد صلى الله عليه وآله لم يبعد ان يكون الكلام الواحد خطابا لكفار قريش ولاهل الكتاب اخرى واما ان كانوا اهل الكتاب فهو المشهور عند الجمهور فالتوفيق ما روي عن ابن عباس ان مالك بن الصيف من احبار اليهود ورؤسائهم وكان رجلا سمينا دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله انشدك بالذي انزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي يطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر فقال ما انزل الله على بشر من شيء فقال له قومه ما هذا الذي بلغنا عنك فقال انه اغضبني ثم ان اليهود لاجل هذا الكلام عزلوه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف فلعل مالك بن الصيف لما تاذى من الكلام المذكور طعن في نبوة الرسول صلى الله عليه وآله وانه ما انزل عليه من شيء البتة فامر بان يقول في جوابه من انزل الكتاب الذي جاء به موسى اي لما سلمت ان الله تعالى انزل الوحي والتنزيل على بشر هو موسى فكيف يمكنك ان تقطع بانه ما انزل على شيء غاية ما في الباب ان تطالبني بالمعجز والحاصل انهم قالوا ذلك مبالغة في انكار انزال القرآن على رسول الله صلى الله عليه وآله فالزموا ما لا بد لهم من الاقرار به من انزال التوراة على موسى وادرج تحت الالزام توبيخهم بالتحريف وابداء بعض واخفاء بعض وقيل اللفظ وان كان مطلقا بحسب اللغة الا انه مقيد بحسب العرف بتلك الواقعة فكانه قال ما انزل الله على بشر من شيء في انه يبغض الحبر السمين وهذا كما اذا ارادت المرأة ان تخرج من الدار فغضب الزوج وقال ان خرجت من الدار فانت طالق فان كثيرا من الفقهاء قالوا التعليق مقيد بتلك المرة حتى لو خرجت مرة اخرى لم تطلق ويرد على هذا التوجيه ان قوله من انزل الكتاب الذي جاء به موسى لا يكون مبطلا لكلام الخصم اما قوله ان السورة مكية والمناظرات مدنية فلجيب عنه بان السورة مكية الا هذه الآية فانها نزلت بالمدينة في هذه الواقعة والله اعلم ومن الاحكام المستنبطة من الآية ان قوله ما قدروا الله حق قدره يفيد ان عقول الخلق قاصرة عن كنه معرفة الله تعالى وان كانوا مقرين بالنبوة والرسالة لاطلاق قوله في موضع آخر وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته ومنها ان النكرة في سياق النفي تعم والا لم تكن قوله من انزل مبطلا لقوله ما انزل الله على بشر من شيء ومنها ان النقض يقدح في صحة الكلام والا لم يكن في قوله من انزل حجة وبعلم منه ان قول من يقول ابداء الفارق بين الصورتين يمنع من كون النقض مبطلا ضعيف والا بطلت حجة الله تعالى في هذه الآية فان لليهودي ان يقول معجزات موسى كانت اظهر وابهر من معجزاتك فلا يلزم من نبوته نبوتك ومنها ان الغزالي رحمه الله تكلف وقال حاصل الآية يرجع الى ان موسى انزل الله عليه شيئا وواحد من البشر ما انزل الله عليه شيئا فينتج من الشكل الثاني ان موسى ما كان من البشر وهذا خلف محال وليس هذه الاستحالة بحسب شكل القياس ولا بحسب صحة المقدمة الاولى فلم يبق الا انه لزم من فرض صحة المقدمة الثانية وهي قولهم ما انزل الله على بشر من شيء فوجب القول بكونها كاذبة فثبت ان دلالة هذه الآية على المطلوب انما تصح عند الاعتراف بصحة شكل الثاني وعند الاعتراف بصحة قياس الخلف ثم انه سبحانه وصف كتاب موسى بكونه نورا وهدى للناس والعطف يقتضي المغايرة فالمراد بالنور ظهوره في نفسه وبالهدى كونه سببا لظهور غيره كقوله في وصف القرآن ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا قال ابو علي الفارسي تجعلونه قراطيس اي ذات قراطيس اي تودعونه اياها فان قيل اذا كان جميع الكتب كذلك فلم ذكر في معرض الذم قلنا لانهم جعلوه قراطيس مفرقة مبعضة ليتوسلوا بذلك الى ابداء بعض واخفاء بعض مما فيه نعت محمد صلى الله عليه وآله وشيء من الاحكام التي لا توافق هواهم كالرجم وغيره وعلمتم ايها اليهود على لسان محمد صلى الله عليه وآله ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم الاقدمون الذين كانوا اعلم منكم ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل كانوا يقرؤن الآيات المشتملة على نعت محمد صلى الله عليه وآله وما كانوا يفقهون معانيها الى ان بعث الله محمدا فظهر ان المراد منها هو البشارة بمقدمه وقيل الخطاب لمن آمن من قريش كقوله لتنذر قوما ما انذر آباؤهم قل الله اي انزله فانهم لا يقدرون على ان ينكروا ذلك فان العقل

بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء ومن قال سانزل مثل ما انزل الله ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم

ع ۱۲ الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فانى تؤفكون فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وهو الذي انشاكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون

القراءة يجعلونه يبدونها ويخفونها بياء الغيبة ابو عمرو وابن كثير الباقون على الخطاب ولينذر بياء الغيبة ابو بكر وحماد الباقون بتاء الخطاب بينكم بفتح النون ابو جعفر ونافع وعلي وحفص والمفضل الباقون بالرفع وجعل الليل على لفظ الماضي ونصب الليل عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون وجاعل الليل على لفظ اسم الفاعل وبالاضافة وجنات بالرفع الاعشى والبرجمي الباقون بالنصب فمستقر بكسر القاف ابو عمرو وابن كثير وسهل ويعقوب الباقون بفتحها ثمره بضمتين حمزة وعلي وخلف وكذلك في آخر السورة وفي يس الباقون بفتحتين وخرقوا بالتشديد ابو جعفر ونافع الباقون بالتخفيف الوقوف من شيء كثيرا لمن قرأ يجعلونه بياء الغيبة ومن قرأ بالتاء فوقفه جائز لانتهاء الاستفهام مع اتفاق الخطاب على تقدير وقد علمتم آباؤكم قل الله لان قوله ثم ذرهم معطوف على قل يلعبون ومن حولها يحافظون انزل الله ايديهم لاتساق الكلام معنى مع تقدير حذف اي يقولون اخرجوا انفسكم لان المراد من اليوم يوم القيامة تستكبرون ظهوركم لاتحاد القول والوقف اوضح لابتداء النفي وانقطاع النظم شركاء تزعمون والنوى من الحي تؤفكون فالق الاصباح لمن قرأ وجعل لانقطاع النظم واتصال المعنى على تقدير فلق وجعل او وقد جعل وعامل الحال معنى الفعل في فالق حسبانا العليم والبحر يعلمون ومستودع يفقهون متراكبا للعدول مع اتحاد المقصود متراكبا لمن قرأ وجنات بالرفع فليعطف على قنوان لفظا فيلزمه وقف على دانية والا فليعطف معنى لان جنات من جملة النخل ومن خفض فوقفه على متراكبا جائز للعطف على قوله خضرا مع وقوع العارض وغير متشابه وينعه يؤمنون بغير علم يصفون التفسير اعلم ان مدار القرآن على اثبات التوحيد والنبوة والمعاد وانه تعالى لما ذكر دليل التوحيد وابطال الشرك شرع في تقرير امر النبوة فقال وما قدروا الله حق قدره قال ابن عباس اي ما عظموا الله حق تعظيمه حيث انكروا النبوة والرسالة وقال ايضا في رواية ما آمنوا بان الله على كل شيء قدير وقال ابو العالية ما وصفوه حق صفته وقال الاخفش ما عرفوه حق معرفته اي في اللطف باوليائه وفي القهر لاعدائه وقال الجوهري قدر الشيء مبلغه وقدرت الشيء اقدره واقدره قدرا من التقدير اي حزره وعرف مقداره ثم بين سبب عدم عرفانه بقوله اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء وانما كان منكر البعث والرسالة غير عارف بالله تعالى لانه اما ان يدعي انه تعالى ما كلف احدا من الخلائق تكليفا اصلا وهو باطل لانه فتح باب المنكرات والقبائح باسرها واما ان

التسليم والطبع المستقيم يشهد بان الكتاب الموصوف المؤيد بقول صاحبه بالمعجزات الباهرة لا يكون الا من الله سبحانه ونظيره قل اي شيء اكبر شهادة
قل الله والمقصود انه بلغت هذه الدلالة الى حيث يجب على كل عاقل ان يعترف به فسواء اقر الخصم به او لم يقر فالغرض حاصل ثم ذرهم في خوضهم يلعبون
يقال لمن كان في عمل لا يجدي عليه انما انت لاعب يلعبون حال من ذرهم او من خوضهم ويحتمل ان يكون في خوضهم حالا من يلعبون وان يكون صلة
لها او لذرهم والمعنى انك اذا اقمت الحجة عليهم وبلغت في الاعذار والانذار هذا المبلغ العظيم فقد قضيت ما عليك كقوله ان عليك الا البلاغ فقيل انها
منسوخة باية السيف وفيه نظر لانه مذكور لاجل التهديد فلم يكن نزول اية القتال رافعا لشيء من مدلولات هذه الاية ثم لما ذكر حال التورية اعقبه بذكر
القران فقال وهذا كتاب انزلناه وفائدة هذا الوصف انه كان من الممكن ان يظن ان محمدا مخصوص من الله بعلوم كثيرة يتمكن بسببها من تركيب القران على
هذا النوع من الفصاحة فنفى ذلك الوهم وبين ان الله هو الذي تولى انزاله بالوحي على لسان جبرئيل ع مبارك كثير خيره دائم نفعه باعث على الخيرات
زاجر عن المنكرات لما فيه من اصول العلوم النظرية والعملية وقد جرت سنة الله تعالى بان الباحث عنه والمتمسك به يفوز بعز الدنيا وسعادة في
الاخرة وقد جرب فوجد كذلك مصدق الذي بين يديه اي موافق لما قبله من الكتب الالهية اما في الاصول فلانه يمتنع وقوع التفاوت فيه
بحسب الازمنة والامكنة واما في الفروع فلانها مشتملة على البشارة بمقدم محمد صلى الله عليه وآله ويحصل منه ان التكاليف الموجودة فيها انما تبقى الى وقت ظهوره
ثم يصير منسوخا ولتنذر من قرأ بتاء الخطاب فظاهر ومن قرأ على الغيبة فلانه اسند الانذار الى الكتاب مجازا لانه سبب الانذار انما انذركم بالوحي
وهو معطوف على ما دل عليه سائر الاوصاف كانه قيل انزلناه للبركة والتصديق ما تقدمه من الكتب وللانذار قال ابن عباس سميت مكة ام القرى
لان الارض دحيت من تحتها وقال ابو بكر الاصم لانها قبلة اهل الدنيا فصارت هي كالاصل وسائر البلاد تبعا وايضا الناس يجتمعون اليها للحج و
للتجارة كما يجتمع الاولاد الى الام وقيل لان الكعبة اول بيت وضع للناس وقيل ان مكة اول بلدة في الارض ولا بد من تقدير مضاف محذوف
اي اهل ام القرى ومن حولها قيل المراد اهل جزيرة العرب فاستدل اليهود بذلك على انه مبعوث الى العرب فقط واجيب بان تخصيص هذه المواضع
بالذكر لا يدل على نفي ما عداها الا باسما وقد ثبت بالتواتر انه كان يدعي انه رسول الى العالمين ويحتمل ان من حول مكة يتناول جميع البلاد والذين
يؤمنون بالاخرة يؤمنون به اي بهذا الكتاب لان اصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن وليس لاحد من الانبياء مبالغة
في تقرير قاعدة البعث والقيامة مثل محمد صلى الله عليه وآله وفيه ان كفار مكة بعد منهم قبول هذا الدين لانهم كانوا لا يعتقدون البعث والحشر
وهم على صلاتهم يحافظون يعني ان الايمان بالاخرة كما انه يحمل المكلف على الايمان بالنبي وبالكتاب كذلك يحمله على محافظة الصلوات وخص الصلوة
بالذكر لانها عماد الدين وسنام الطاعات كان المحافظة عليها ان يأتي باخواتها كلها ويجتنب المنكرات باسرها ثم ذكر ما يدل على وعيد من ادعى النبوة
وانزل الكتاب عليه فرية وامر له فقال ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا قال المفسرون نزلت في الكذابين مسيلمة الحنفي والاسود العنسي عن النبي ص رايت
فيما يرى النائم كان في يدي سوارين من ذهب فكبرا علي واهماني فاوحى الله الي ان انفخهما فنفختهما فطارا عني فاولتهما الكذابين اللذين انا بينهما كذاب اليمامة
مسيلمة وكذاب صنعاء الاسود العنسي او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء كان مسيلمة يقول محمد صلى الله عليه وآله رسول الله في بني قريش وانا
رسول الله في بني حنيفة واعلم ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فكل من نسب الى الله تعالى ما هو بريء منه اما في الذات واما في الصفات واما في
الافعال كان داخلا تحت هذا الوعيد ومن قال سانزل مثل ما انزل الله قال المفسرون هو النضر بن الحرث كان يدعي معارضة القران وهو قوله لو
نشاء لقلنا مثل هذا وروي ايضا ان عبد الله بن سعد بن ابي سرح القرشي كان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وآله وكان اذا املى عليه سميعا
عليما كتب هو عليما حكيما واذا قال عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزل ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين املاه الرسول صلى الله عليه وآله فلما وصل
الى قوله انشأناه خلقا اخر عجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله احسن الخالقين فقال النبي ص اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد
الله وقال لئن كان محمد ص صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه وان كان كاذبا لقد قلت كما قال فارتد عن الاسلام ولحق بمكة فلما دخل رسول الله ص
مكة فر الى عثمان وكان اخاه من الرضاعة فغيبه عنده حتى اطمان اهل مكة ثم اتى به رسول الله ص فاستامن له ثم فصل ما اجمل من الوعيد فقال ولو
ترى الاية وجوابه محذوف اي لرايت يا انسان امرا عظيما اذ الظالمون يعني الذين ذكرهم من اليهود والمتنبئة فاللام للعهد ويحتمل ان يكون للجنس
فيندرج فيه هؤلاء وغمرات الموت شدائده وسكراته واصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم
قيل انه لا قدرة لهم على اخراج ارواحهم من اجسامهم فما الفائدة في هذا الخطاب واجيب بوجوه منها ان المراد ولو ترى الظالمين اذا صاروا الى غمرات
الموت في الاخرة اذا دخلوا جهنم وغمرات الموت عبارة عما يصيبهم هناك من انواع الشدائد والتعذيبات والملائكة باسطوا ايديهم بالعذاب يبكتونهم
يقولون لهم اخرجوا انفسكم من هذا العذاب الشديد ان قدرتم ومنها ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت عند نزول الموت بهم في الدنيا و
الملائكة باسطوا ايديهم لقبض ارواحهم يقولون لهم اخرجوا انفسكم من هذه الشدائد وخلصوها من هذه الافات والالام ومنها هاتوا ارواحكم و
اخرجوها الينا من اجسادكم وهذه عبارة عن العنف والتشديد في ازهاق الروح من غير تنفيس وامهال وانهم يفعلون بهم فعل الغريم الملازم الملح
يبسط يده الى من عليه الحق ويقول اخرج الي مالي عليك الان ولا اريم مكاني حتى انزعه من احداقك ومنها انه ليس بامر وانما هو وعيد وتقريع كقول القائل
امض الان لترى ما يحل بك والتحقيق ان نفس المؤمن حال النزع يبسط في الخروج الى لقاء ربه ونفس الكافر يكره ذلك ويشق عليها الخروج وقطع التعلق لانها

بصر

تصير الى العذاب واليه الاشارة في الحديث من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فهؤلاء الكفار يكرههم الملائكة على نزع الروح وعلى
فراق المالوف وفي الاية دلالة على ان النفس الانسانية شيء غير هذا الهيكل المحسوس لان المخرج يجب ان يكون مغايرا للمخرج منه اليوم يريد به وقت الاماتة
او الوقت الممتد الذي يلحقهم فيه العذاب في البرزخ والقيامة تجزون عذاب الهون كقولك رجل سوء بالاضافة لان العقاب شرطه ان يكون مضرة مقرونة
بالاهانة كما ان الثواب شرطه ان يكون منفعة مقرونة بالتعظيم والتركيب يدور على قلة المبالاة بالشيء ومنه الهون بالفتح السكينة والوقار وهان
عليه الشيء اي خف واهانه استخف به والاسم الهون بالضم والهوان والمهانة والحاصل انه جمع لهم بين الامرين الايلام والاهانة بما كنتم تقولون على الله
غير الحق وكنتم عن اياته تستكبرون يعني ان هذا العذاب الشديد انما حصل لمجموع الامرين الافتراء على الله والتكبر على ايات الله وهو عدم الايمان
لما قال الواحدي وكنتم عن اياته تستكبرون اي لا تصلون له لقوله ص من سجد لله سجدة واحدة بنية صادقة فقد برئ من الكبر ولقد جئتمونا يحتمل ان
يكون معطوفا على قول الملائكة اخرجوا انفسكم اليوم تجزون ثم الملائكة اما الملائكة الموكلون بقبض ارواحهم واما الملائكة الموكلون بعذابهم
ويحتمل ان يكون القائل هو الله تعالى ان جوزنا انه يتكلم مع الكفار فرادى جمع فرد ولا ينون واحده قيل فرد على غير قياس وقيل فردان كسكارى وسكران
قاله ابن قتيبة وقيل فريد كرديف وردافى وهم الحداة والاعوان لانه اذا مضى احدهم خلفه الاخر كما خلقناكم اي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد
او مجيئا مثل خلقنا لكم اول مرة والمراد التوبيخ والتقريع لانهم بذلوا جهدهم وصرفوا كدهم في الدنيا الى تحصيل امرين احدهما المال والجاه والثاني
انهم عبدوا الاصنام وجعلوها شركاء لله فيهم فقلبوا القضية وتركوا الحقيقة وذلك ان النفس الانسانية انما تعلقت بالجسد ليكون البدن الة
لها في اكتساب المعارف الحقة والاخلاق الفاضلة فاذا فارقت البدن ولم يحصل له هذان المطلبان عظم خسرانها وطال حرمانها فاستحق التوبيخ
بقوله ولقد جئتمونا فرادى اي منفردين عما يجب من الاعمال والعقايد ثم انها مع ذلك اكتسبت اشياء قد تعلق الرجاء بها لانه افنى العمر في تحصيلها
وانها ليست مما يبقى معها فلا جرم استحق التقريع لقوله وتركتم ما خولناكم اي اعطيناكم وتفضلنا به عليكم وراء ظهوركم يعني انها كالشيء الذي
يبقى وراء ظهر الانسان فلا يمكنه الانتفاع به وربما بقي معوج الراس بسبب التفاته اليها وما نرى معكم شفعاءكم اي ليسوا معكم حتى تروا وليس معكم
بالشفاعة والنصرة كما زعمتم بدليل قوله لقد تقطع بينكم الاية من قرأ بالنصب على الظرف فمعناه وقع التقطع بينكم كقوله وتقطعت بهم الاسباب
يقع جمع بين الشيئين اي وقع الجمع بينهما على اسناد الفعل الى مصدره وقيل المراد لقد تقطع وصلكم بينكم كقولهم اذا كان غدا فائتني اي اذا
كان الرجاء والبلاء غدا فائتني فاضمر لدلالة الحال ومن قرأ بالرفع فلانه اسند الفعل الى الظرف اتساعا كما يقول قوتل خلفكم وامامكم او لان
المراد بالبين الوصل وانما حسن استعماله في معنى الوصلة مع ان اصله الافتراق والتباين لانه يستعمل في الشيئين اللذين بينهما مشاركة ومواصلة من بعض
الوجوه كقولهم بيني وبينه مشاركة وبيني وبينه رحم والمعنى لقد تقطع وصلكم قلت ويحتمل ان يكون البين بمعنى الافتراق ويفيد المبالغة كقولهم جد
جده فان العاقل من يكتسب الزاد ليوم المعاد حتى لا يوبخ بقوله ولقد جئتمونا فرادى ويصرف المال في وجوه التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله
حتى لا يخاطب بقوله وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم بل يكون من زمرة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله كيلا يطول حسرته يوم ينقطع
بين النفس والجسد وصله ثم انه سبحانه لما فرغ من تقرير التوحيد والنبوة والمعاد عاد الى ذكر الدلائل الدالة على وجود الصانع وكمال قدرته لتعلم
ان حاصل المباحث العقلية والنقلية انما هو معرفة ذات الله وصفاته وافعاله فقال ان الله فالق الحب والنوى اي بالنبات والشجر وعن مجاهد اراد الشقين
اللذين في الحنطة والنواة والفلق هو الشق وعن ابن عباس والضحاك الفلق هو الخلق ووجه بان العقل يتصور من العدم ظلمة متصلة لا انفراج فيها
ولا انشقاق فاخراج الشيء من العدم الى الوجود شق لذلك العدم فلق بحسب التخيل والتعقل واعلم انه اذا وقعت الحبة والنواة في الارض الرطبة ثم
مر بها قدر من المدة اظهر الله في اعلاها شقا ومن اسفلها شقا اما العالي فيخرج منه الشجرة الصاعدة الى الهواء واما السافل فانه يخرج منها الشجرة الهابطة
في الارض وهي المسماة بعروق الشجرة وههنا عجائب منها ان طبيعة الشجرة ان كانت تقتضي الهوي في الارض فكيف تولدت منها الشجرة الصاعدة الى الهواء
وبالعكس فاتصال الشجرتين على التبادل ليس بمقتضى الطبع والخاصية بل بمقتضى ارادة الموجد المختار ومنها ان باطن الارض جسم صلب كثيف لا ينفذ فيه
المسلة ولا السكين ثم انا نشاهد اطراف تلك العروق مع غاية نعومتها تقوى على النفوذ والغوص في جرم الارض فحصول هذه القوة الشديدة للجرم
الضعيف ليس الا بتقدير العزيز العليم ومنها انه يتولد من النواة شجرة ويحصل من الشجرة اغصان واوراق وانهار وثمار وللثمر قشر اعلى وقشر اسفل
وفيه اللب وفي اللب الدهن الذي هو المقصود الاصلي فتولد هذه الاجرام المختلفة في طبايعها وصفاتها والوانها وطعومها واشكالها مع تساوي
تاثيرات النجوم والطبايع في المادة الواحدة يدل على وجود الفاعل المختار ومنها انك تجد الطبايع الاربع حاصلة في الفاكهة الواحدة فالاترج قشره
حار يابس ولحمه بارد رطب وحامضه بارد يابس وبزره حار يابس وكذلك العنب قشره وعجمه بارد يابس وماؤه ولحمه حار رطب ومنها انك تجد احوال الفواكه
مختلفة فبعضها يكون لبه في الداخل وقشره في الخارج كالجوز واللوز وبعضها يكون فاكهته المطلوبة في الخارج والخشبة في الداخل كالخوخ والمشمش
وبعضها يكون لنواها حب كالخوخ وقد لا يكون كالتمر وبعض الفواكه يكون مطلوبا كالتين فهذه الاحوال المختلفة والاشكال المختلفة تتضمن حكما
وفوائد لا يعلمها الا مبدعها ومنها انك اذا اخذت ورقة واحدة من اوراق الشجرة وجدت في وسطها خطا واحدا مستقيما يشبه النخاع في بدن الانسان
ولا يزال يتشعب حتى يخرج عن ادراك الحس ثم ينفصل عن ذلك الخط خطوط دقاق اصغر من الاول فكانه سبحانه اوجد ذلك ليقوم به الجاذبة المذكورة في

جرم تلك الورقة على جذب الاجزاء اللطيفة الارضية في تلك المجاري الضيقة فاذا وقفت على عناية الخالق في ايجاد تلك الورقة الواحدة علمت ان عنايته في ايجاد جملة تلك الشجرة اكثر وعلمت عنايته بتخليق الحيوان الذي خلق النبات لاجله يكون اكمل وكذا عنايته بحال الانسان الذي خلق لاجله النبات و الحيوان ويصير ذلك مرقاة لك الى وجود الصانع الخبير الحكيم القدير ثم بين كونه فالق الحب والنوى بقوله يخرج الحي من الميت لان فلق الحب والنوى بالنبات والشجر النامين من جنس اخراج الحي من الميت لان النامي في حكم الحيوان ولهذا قال يحيي الارض بعد موتها ثم عطف على قوله فالق الحب قوله ومخرج الميت من الحي قال ابن عباس مخرج النطفة بشرا حيا ثم يخرج من البشر الحي نطفة او يخرج من البيض دجاجة ومن الدجاجة بيضا او يخرج المؤمن من الكافر كما في حق ابرهيم والكافر من المؤمن كنوح وابنه او المطيع من العاصي والعاصي من المطيع او العالم من الجاهل والجاهل من العالم بل الكامل من الناقص والناقص من الكامل وقد يجعل الضار نافعا وبالعكس يحكى ان انسانا سقي الافيون في الشراب ليموت فلما اشتد ولما ظن القوم انه يموت فرموه و جعلوه في بيت مظلم فلدغته حية وصارت تلك اللدغة لقوة حرارة سم الحية سببا لدفع ضرر برودة الافيون ونقل عن عبد القاهر الجرجاني رحمه الله ان قوله ومخرج الميت معطوف على قوله يخرج وانما حسن عطف الاسم على الفعل ههنا لان لفظ الفعل يدل على اعتناء الفاعل بذكر الفعل في كل وقت بخلاف لفظ الاسم ولهذا قال هل من خالق غير الله يرزقكم ليفيد انه يرزقهم حالا فحالا وساعة فساعة اذا ثبت هذا فنقول الحي اشرف من الميت فذكره بلفظ الفعل فيدل على ان الاعتناء باخراج الحي من الميت اكثر من العكس ذلكم الله المدبر الخالق النافع الضار المحيي المميت فانى تؤفكون فكيف تصرفون عن عبادته الى عبادة غيره ام كيف تستبعدون البعث والنشور لان الاعادة اهون من الابداء ثم عدل عن الاحوال الارضية الى الاستدلال بما فوقها وهي الاحوال الفلكية فقال فالق الاصباح وهو مصدر سمي به الصبح والمراد فالق ظلمة الاصباح وهو الغبش في اخر الليل وكان الافق كان بحرا مملوا من الظلمة ثم انه سبحانه شق ذلك البحر المظلم بان اجرى فيه جدولا من النور فالمعنى فالق ظلمة الاصباح بنور الاصباح وحسن الحذف للعلم به او المراد فالق الاصباح ببياض النهار واسفاره ومنه قولهم انشق عمود الفجر وانصدع الفجر او المراد مظهر الاصباح بواسطة فلق الظلمة فذكر السبب واراد المسبب او الفالق بمعنى الخالق كما مر وقد سلف لنا تقرير الصبح في البقرة في تفسير قوله عز من قائل ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار ثم ان كون الصبح بسبب وقوع ضوء الشمس على ضلع مخروط ظل الارض بجانبه الشرقي لا ينافي كون الله سبحانه فالق الاصباح بالحقيقة كما ان وجود النهار بسبب طلوع جرم الشمس عن الافق لا ينافي ذلك والامام فخر الدين الرازي اراد ان يبين ان ذلك بقدرة الفاعل المختار فنفى كونه بسبب ضوء الشمس بحجج اخترعها من عنده وكلها خلاف المعقول والمنقول من علم الرياضة فلذلك اسقطناها عن درجة الاعتبار النوع الثاني من الدلائل الفلكية الدالة على التوحيد قوله وجاعل الليل سكنا حجة من قرا باسم فاعل ان المعطوف عليه اسم فاعل وحجة من قرا بصيغة الفعل ان قوله بعد ذلك والشمس والقمر منصوبا ولا بد من عامل وما ذاك الا ان يقدر وجاعل بمعنى جعل والسكن ما يسكن اليه الرجل ويطمئن اليه من زوج او حبيب ومنه قيل للنار سكن كما سموها المؤنسة لانها يستأنس بها والليل يطمئن اليه المتعب بالنهار لاستراحته فيه وجمامه ويحتمل ان يراد وجعل الليل مسكونا فيه فالليل والنهار من ضروريات مصالح هذا العالم فهما نعمتان من الله تعالى وايتان على وحدته وقدرته النوع الثالث قوله والشمس والقمر حسبانا اي بحسبان لان حساب الاوقات يعلم بسيرهما ودورهما والحسبان بالضم مصدر حسب بالفتح كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب بالكسر وقيل انه جمع حساب مثل شهاب وشهبان قال في الكشاف الشمس والقمر قرئا بالحركات الثلث فالنصب على اضمار فعل دل عليه جاعل الليل او يعطفان على محل الليل لان اسم الفاعل اريد ههنا الاستمرار كما تقول الله عالم قادر فلا تقصد زمانا دون زمان فتكون الاضافة غير حقيقية ويكون لليل محل قلت هذا مناقض لما ذكره في مالك يوم الدين من انه يجوز ان يراد به زمان مستمر حتى يكون الاضافة حقيقية ويصح وقوعه صفة للمعرفة واما وجه الجر فظاهر ووجه الرفع كونهما مبتدأين محذوف الخبر اي والشمس والقمر مجعولان او محسوبان حسبانا ذلك الجعل تقدير العزيز الذي قهرهما العليم الذي دبرهما وذلك انه قدر اجرام الافلاك بصفاتها المخصوصة وهيئاتها المحدودة واوضاعها المعينة لا بتمام الابقاء وشاملة لجميع الممكنات وعلم نافذ في الكليات والجزئيات النوع الرابع قوله وهو الذي جعل لكم النجوم عد ههنا من منافع النجوم كونها سببا للاهتداء الى الطرق والمسالك في ظلمات البر والبحر حيث لا يرون شمسا ولا قمرا والتقدير في ظلمات الليل بالبر والبحر فاضافها اليهما للملابسة لها وقيل المراد ظلمات التعطيل ومجرد التشبيه فان اختصاص كل من هذه الكواكب بمحال وصفة اخرى مع تشاركها في الجسمية دليل ظاهر على مختار قادر وايضا اتصافها بالاعضاء و الابعاض والحدود والاحياز مع انها لا تصلح للالهية بالاتفاق دليل على تنزيه الله سبحانه من هذه السمات ولهذا قال قد فصلنا الايات لقوم يعلمون فيستدلون بالمحسوس على المعقول وينتقلون من الشاهد الى الغائب ثم عدل عن الايات الافاقية الى ايات الانفس فقال وهو الذي انشأكم اي خلقكم بطريق النشو والنماء من نفس واحدة هي ادم وحوا مخلوقة من ضلع من اضلاعه وكذا عيسى لانه من مريم وان كان بتوسط كلمة كن او بالنفخ و هي من ادم فمستقر من قرأ بكسر القاف فالتقدير ومنكم مستقر ومنكم مستودع الاول اسم فاعل والثاني اسم مفعول ومن قرأ بفتح القاف فالتقدير فلكم مستقر ولكم مستودع فيكون كلاهما اسمي مكان او مصدر وذلك ان استقر لازم فلا يجيء منه المفعول به بلا واسطة فينبغي تفسير مستودع ايضا بما يشاكله استحسانا عن ابن عباس ان المستودع الصلب والمستقر الرحم لقوله ونقر في الارحام ما نشاء ولان النطفة في الرحم اكثر فيكون لفظ القرار بذلك انسب بخلاف المستودع فانه في معرض الاسترداد ساعة فساعة وهذا شان المني في الاصلاب فانه بصدد الاراقة في كل حين واوان وقيل المستقر صلب

الاب

الاب والمستودع الرحم لان النطفة قد حصلت في صلب الاب اولا واستقرت هناك ثم حصلت في الرحم على سبيل الوديعة ولان هذا الترتيب مناسب لتقديم المستقر على المستودع وعن الحسن المستقر حاله بعد الموت لان سعادته وشقاوته تبقى وتستقر على حالة واحدة والمستودع حالته قبل الموت لان الكافر قد ينقلب مؤمنا والفاسق صالحا والوديعة على شرف الزوال والذهاب وقال الاصم المستقر الذي خلق من النفس الاولى وحصل في الوجود والمستودع الذي لم يخلق بعد وسيخلق وعنه ايضا المستقر من في قرار الدنيا والمستودع من في القبور الى يوم البعث وعن قتادة بالعكس و عن ابي مسلم الاصفهاني المستقر الذكر لان النطفة انما تستقر في صلبه والمستودع الانثى لانها تستودع النطفة وحاصل الكلام ان الانسان خلق من نفس واحدة ثم انه يتقلب في الاطوار ويتردد في الاحوال وليس هذا بمقتضى الطبع والخاصية والا لتساوى الكل في الاحوال والامزجة فلذلك دل على تدبير فاعل قدير مختار خبير ولهذا قال قد فصلنا الايات ميزنا بعضها عن بعض لقوم يفقهون لان الفائدة تعود اليهم وكان الارشاد عاما ولان الايات الانفسية اقرب الى الاعتبار واهون لدى الاستبصار ختم الاية بالفقه وخص خاتمة الاولى بالعلم ليعلم ان الغافل عن هذه لا فطنة له ولا ذكاء اصلا فضلا عن العلم ثم عدد ما كونه نعمة ابين فيه من كونه اية فقال وهو الذي انزل من السماء ماء قيل انه من جانب السماء وقيل اي من السحاب لان العرب يسمي كل ما فوقك سماء كسماء البيت وقال اكثر اهل الظاهر اي من السماء نفسها لانه تعالى فاعل مختار قادر على خلق الاجسام كيف شاء واراد ونحن قد حكينا في اول سورة البقرة مذهب الحكماء في هذا الباب والله تعالى اعلم قال ابن عباس يريد بالماء ههنا المطر ولا تنزل قطرة من السماء الا ومعها ملك والفلاسفة يحملون ذلك على الطبيعة الحالة فيها الموجبة للنزول الى مركزها فاخرجنا به اي بواسطة ذلك الماء وذلك بوجب الطبع والمتكلمون ينكرونه نبات كل شيء قال الفراء اي نبات كل شيء له نبات فيخصص بنبت كل صنف من اصناف النامي ويخرج ما عدا ذلك وفي الاية التفاتان الاول من الحكاية الى الغيبة حيث لم يقل نحن الذي انزلنا والثاني من الغيبة الى الحكاية وانه خبر ان نقل الكلام من اسلوب الى اسلوب باب من ابواب البلاغة وصيغة الجمع لاجل التعظيم كما هو ديدن الملوك ثم لما بين ان السبب هو الماء واحد والمسببات صنوف كثيرة فصل ذلك بعض التفصيل حسب ما ذكر في قوله ان الله فالق الحب والنوى فقال فاخرجنا منه اي من النبات خضرا طريا وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة نخرج منه اي من ذلك الخضر حبا متراكبا بعضه على بعض قال ابن عباس يريد القمح و الشعير والسلت والذرة فاصل ذلك هو الورق الاخضر ويكون السنبلة واكثر عليه من فوقه والحبات متراكبة وفوق السنبلة اجسام دقيقة حادة كا الابر والمقصود من تخليقها ان تمنع الطيور من التقاط تلك الحبات المتراكبة ولما ذكر ما ينبت من الحب اتبعه بذكر ما ينبت من النوى فقال من النخل وهو خبر وقوله من طلعها بدل منه كانه قيل وحاصلة من طلع النخل قنوان او الخبر محذوف لدلالة اخرجنا عليه والتقدير ومخرجة من طلع النخل قنوان وهو جمع قنو كصنو وصنوان والقنو العذق وهو من النخل بمنزلة العنقود من العنب والطلع اول ما يبدو من عذق النخلة قال ابن عباس يريد العراجين التي قد تدلت من الطلع دانية ممن يجتنيها وعنه ايضا قصار النخل اللاصقة بالارض قال الزجاج ولم يقل ومنها قنوان بعيدة لان احد القسمين يغني عن الاخر كما قال سرابيل تقيكم الحر ويحتمل ان يقال ترك البعيدة لان النعمة في القريبة اكمل واتم وقيل اراد بكونها دانية انها سهلة المجتنى معرضة للقاطف كالشيء الداني القريب المتناول وان النخلة وان كانت صغيرة ينالها القاعد فانها تأتي بالثمر لا تنتظر الطول وجنات من اعناب بالنصب عطفا على خضرا اي واخرجنا به جنات من اعناب من قرأ بالرفع فعلى انها مبتدأ محذوف الخبر اي وثم جنات من اعناب او وجنات من اعناب مخرجة ولا يجوز ان يكون عطفا على قنوان وان جوزه في الكشاف اذ يصير المعنى وحاصلة او مخرجة من النخل من طلعها جنات حصلت من اعناب اما قوله والزيتون والرمان بالنصب فللعطف على منصوبات قبلها او للاختصاص لفضل هذين الصنفين قال الفراء اراد شجر الزيتون وشجر الرمان فحذف المضاف واعلم انه سبحانه قدم الزرع على الاشجار لان الزرع غذاء والغذاء مقدم على الفواكه ثم قدم النخل على سائر الفواكه لان التمر يقوم مقام الغذاء ولا سيما للعرب ومن فضائلها ان الحكماء بينوا ان بينه وبين الحيوانات مشابهات كثيرة ولهذا قال صلى الله عليه وآله اكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من بقية طينة ادم ثم ذكر العنب عقيب النخل لانه اشرف انواع الفواكه وانه ينتفع به من اول ظهوره الى اخر حاله فاوله خيوط دقيقة حامضة الطعم لذيذة وقد يمكن اتخاذ الطبائخ منه ثم يظهر الحصرم وهو طعام شريف للاصحاء وللمرضى من اصحاب الصفراء ثم يتم العنب فيؤكل كما هو ويدخر ويتخذ منه الزبيب والدبس والخمر والخل ومنافع كلها لا تحصى الا ان الخمر حرمها الشرع لاسكارها واخس ما في العنب عجمه والاطباء يتخذون منه جوارشنات نافعة للمعدة الضعيفة الرطبة ويتلو العنب في المنفعة الزيتون لانه يمكن تناوله كما هو وينفصل منه الزيت الذي يعظم غناؤه واما الرمان فحاله عجيبة جدا لانه قشر وشحم وعجم وماء والثلاثة الاول باردة يابسة ارضية كثيفة قابضة عفصة واما ماء الرمان فبالضد من هذه الصفات فانه الذ الاشربة والطفها واقربها الى الاعتدال واشدها مناسبة للطباع المعتدلة وفيه تقوية للمزاج الضعيف وهو غذاء من وجه ودواء من وجه وكانه سبحانه جمع فيه بين المتضادين فيكون دلالة القدرة والرحمة والحكمة فيه اكمل وانواع النبات اكثر من ان يفي بشرحها المجلدات فاكتفى بذكر هذه الانواع الخمسة تنبيها على البواقي واما قوله مشتبها وغير متشابه ففي تفسيره وجوه الاول ان هذه الفواكه يكون متشابهة في اللون والشكل مع انها تكون مختلفة في الطعم واللذة فان الاعناب والرمان قد يكون متشابهة في الصورة واللون والشكل ثم انها تكون مختلفة في الحلاوة والحموضة وبالعكس الثاني ان اكثر الفواكه يكون ما فيها من القشر والعجم متشابهة في الطعم والخاصية واما ما فيها من اللحم والرطوبة فانها تكون مختلفة ومنهم من يقول الاشجار متشابهة والثمار مختلفة ومنهم من قال بعض حبات العنقود متشابهة وذلك انك قد تأخذ العنقود من العنب فترى جميع حباته مدركة نضيجة حلوة طيبة الا حبات مخصوصة فانها بقيت على اول حالها من الخضرة والحموضة

والغموضة ومعنى اشتبه وتشابه واحد نحو اشتبه الشيئان وتشابها كقولك استويا وتساويا وانما قال مشتبها ولم يقل مشتبهين اما اكتفاء بوصف احدهما او على تقدير والزيتون مشتبها وغير متشابه والرمان كذلك كقوله رضين بالامر كنت منه ووالدي بريئا ومن اجل الطوى رماني انظروا الى ثمره من قرأ بفتحتين فلانه جمع ثمرة مثل بقر وبقرة وشجر وشجرة ومن قرأ بضمتين فعلى انه جمع ثمرة ايضا مثل خشبة وخشب قال تعالى كانهم خشب مسندة او على انه ثمرة جمعت على ثمار ثم جمع ثمار على ثمر اذا اخرج ثمره وينعه ينع الثمرة ينعا وينعا بالفتح والضم اذا ادركت ونضجت امر بالنظر في حال ثمر كل شجر اول حدوثه وفي اخر حاله فانها قد تكون موصوفة بالخضرة والحموضة ثم تصير الى السواد والحلاوة وربما كانت اول الامر باردة بحسب الطبيعة ثم يصير حارة الطبع وقد يخرج ضئيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع به ثم يؤول الى كمال اللذة والمنفعة فحصول هذه الانتقالات والتغيرات لا بد له من سبب مستقل في التاثير سوى الطبايع والفصول والافلاك والنجوم وما ذاك الا السبب الاول ومبدع الكل ولهذا ختم الاية بقوله ان في ذلكم لايات لقوم يؤمنون قال القاضي المراد لمن يطلب الايمان بالله لانه اية لمن امن ولمن لم يؤمن ويحتمل ان يخص المؤمنين لانهم المنتفعون به دون غيرهم او المراد ان هذه الدلالة على قوتها وظهورها دالة لمن سبق قضاء الله تعالى في حقه بالايمان والا فلا ينتفع به البتة ويكون من زمرة من قال في حقهم وجعلوا لله شركاء الجن قال الكلبي عن ابن عباس نزلت في الزنادقة قالوا ان الله تعالى وابليس اخوان فالله خالق الناس والدواب والانعام وابليس خالق الحيات والسباع والعقارب قال في التفسير الكبير هذا مذهب المجوس وانما قال ابن عباس هذا قول الزنادقة لان المجوس يلقبون بالزنادقة لان الكتاب الذي زعم زرادشت انه نزل عليه من عند الله يسمى بالزند والمنسوب اليه زندي ثم عرب فقيل زنديق ثم جمع فقيل زنادقة ثم انهم قالوا كل ما في هذا العالم من الخيرات فهو من يزدان وجميع ما فيه من الشرور فهو من اهرمن وهو المسمى بابليس في شرعنا ثم اختلفوا فالاكثرون منهم على انه من محدث ولهم في كيفية حدوثه اقوال عجيبة كقولهم انه تعالى فكر في مملكة نفسه استعظمها فحصل نوع من العجب فتولد الشيطان من ذلك العجب وكقولهم شك في قدرة نفسه فتولد من شكه الشيطان والاقلون منهم قالوا انه قديم ازلي والحاصل انهم يقولون عسكر الله تعالى هم الملائكة وعسكر ابليس هم الشياطين والملائكة فيهم كثرة عظيمة وهم ارواح طاهرة مقدسة تلهم الارواح البشرية الطاعات والشياطين فيهم ايضا كثرة عظيمة يلقون الوساوس في الارواح البشرية والله تعالى مع عسكره يحاربون ابليس مع عسكره فلهذا السبب حكى الله تعالى عنهم انهم اتخذوا لله شركاء من الجن بلفظ الجمع وان كان شريكه عندهم بالحقيقة واحدا وهو اهرمن وانتصاب الجن على انه بدل او بيان لشركاء او على انه مفعول اول وشركاء ثانيه ويكون لله ظرفا لغوا وفائدة تقديم المفعول الثاني على هذا القول استعظام ان يتخذ لله شريك كائنا من كان ملكا او جنيا او انسيا ولذلك قدم اسم الله على الشركاء وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة التي للتبيين وقيل ان الاية نزلت في الكفار الذين جعلوا الملائكة بنات الله وحسن اطلاق الجن على الملائكة لاستتارهم عن العيون ومعنى كونها شركاء انها مدبرة لاحوال هذا العالم ومعينة لله اعانة الولد للوالد وعن الحسن طائفة من المفسرين ان المراد ان الجن دعوا الكفار الى عبادة الاصنام والى القول بالشرك فاطاعوهم كما يطاع الله اما قوله وخلقهم فاشارة الى الدليل القاطع على ابطال الشريك والضمير فيها اما ان يعود الى الجن او الى الجاعلين فان عاد الى الجن فان قلنا ان الاية نزلت في المجوس فنقرره ان الاكثرين منهم معترفون بان ابليس محدث ولو لم يعترفوا به فلا بد البرهان العقلي قائم على ان ما سوى الحق الواحد ممكن لذاته وكل ممكن لذاته فهو محدث فنقول كل محدث مخلوق وله خالق وما ذاك الا الله سبحانه فيلزم منه نقض قولهم لانه ثبت ان اله الخير قد فعل اعظم الشرور وهو خلق ابليس الذي هو مادة كل شر وان قلنا انها في كفار العرب القائلين الملائكة بنات الله فظاهر لانهم يسلمون ان الملائكة مخلوقون وانهم تولدوا من الوالد وان عاد الضمير الى الجاعلين فالمعنى وعلموا ان الله خالقهم دون الجن كقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فلم يمنعهم علمهم ان يتخذوا من لا يخلق شريكا للخالق والجملة في موضع الحال وقد خلقهم وقرئ وخلقهم بسكون اللام اي اختلاقهم للافك يعني جعلوا لله خلقهم حيث نسبوا قبائحهم الى الله في قولهم والله امرنا بها ثم حكى عن قوم اخرين نوعا اخر من الاشراك فقال وخرقوا له بنين وبنات وذلك قول اهل الكتابين في المسيح وعزير وقول قريش في الملائكة ومن هنا يعلم ضعف قول من قال وجعلوا لله شركاء الجن نزل في كفار قريش لانه يلزم التكرار من غير فائدة ظاهرة يقال خرق الافك وخلقه واخترقه واختلقه بمعنى قال الحسن كلمة عربية كان الرجل اذا كذب كذبة في نادي القوم يقول له بعضهم قد خرقتها والله ويجوز ان يكون من خرق الثوب اذا شقه اي اشتقوا له بنين وبنات اما قوله بغير علم فكالتنبيه على ابطال قولهم فان من عرف الاله حق معرفته استحال ان يثبت له ولدا لان ذلك الولد ان كان واجب الوجود لذاته كان مستقلا بنفسه قائما بنفسه قائما بذاته لا تعلق له في وجوده بالاخر تعلق الفرعية وان كان ممكن الوجود لذاته كان موجودا بايجاد الواجب كان عبدا له لا ولدا وايضا الولد انما يحتاج اليه ليقوم مقام الوالد بعد فنائه ومن تقدس عن الفناء لم يحتج الى الولد وايضا الولد جزء من اجزاء الوالد ومن لم يكن مركبا استحال ان ينفصل منه جزء يتولد منه الولد ثم نزه نفسه عما لا يليق به فقال سبحانه وهذا على لسان المسبحين وتعالى عما يصفون وهذا له في نفسه سواء سبحه مسبح ام لا والمراد بالتعالي العلو بالشرف والرفعة بدليل قوله عما يصفون التاويل وما قدروا الله حق قدره حين انكروا انزال الكتب والبعثة على انهم لو اعترفوا بذلك لم يصلوا بمعرفته حق معرفته لان الحادث لا يحيط بالمحيط نعم يزداد معرفته بازدياد معرفته اوصافه تجعلونه قراطيس اي في القراطيس وما يجعلونه في قلوبكم بالتخلق بالخلق وعلمتم بتعليم محمد صلى الله عليه وآله ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم كقوله ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ومن الحكمة ما هو سر الذي

يكون

يكون تعليمه بسر المتابعة سرا بسر وباضمار والذي علم النبي هو الله في خلق ما سوى الله ولهذا قال قل الله مبارك على العوام بان يدعوهم الى ربهم وعلى الخواص بان يهديهم الى ربهم وعلى خواص الخواص بان يوصلهم الى ربهم ويخلقهم باخلاقه وفي كتاب المحبوب شفاء لما في القلوب مصدق الذي بين يديه لانه يصدق حقا بحقيقة جميع ما في الكتب ولتنذر ام القرى وهي الذرة المودعة في القلب التي هي المخاطب في الميثاق وقد دحيت جميع ارض القلب تحتها ومن حولها من الجوارح والاعضاء والسمع والبصر والفؤاد والصفات والاخلاق بان تنوروا بانواره وينتفعوا باسراره ويتخلقوا والذين يؤمنون بالاخرة فيستعملون الادوات والالات في امور الدنيا والاخرة لا في لذات الدنيا الفانية وشهوات النفس وهواها يؤمنون بالقران وهم على صلواتهم بالترقي من صفاتهم الى التخلق باخلاق القران يداومون لان الصلاة معراج المؤمن ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا باظهار المواجد والحالات دعاوى مراء من غير ان يكون له منها نصيب او قال اوحي الي الاشارات ولم يلهم نفسه شيئا منها ومن قال متشدقا منفيهقا ساتكلم بمثل كلام الله من الحقائق والاسرار فيظهر معرة ظلمه وافترائه عند سكرات الموت وانقطاع تعلق الروح عن البدن واخراج النفس عن القالب كرها لتعلقها بالشهوات واللذات وطلب الترياسات ويكون شدة النزع والهوان بحسب التعلقات ولقد جئتمونا فرادى عن الدنيا وما يتعلق بها او فرادى عن تعلقات الكونين كما خلقناكم اول مرة في اول خلقة الروح قبل تعلقه بالقالب وتركتم بالتجريد عن الدنيا والاخرة ما خولناكم من تعلق الكونين وراء ظهوركم وما نرى معكم الاعمال والاحوال التي ظننتم انها توصلكم الى الله لقد تقطع بينكم وبينها عند انتهاء سيركم كما انتهى سير جبرئيل عند سدرة المنتهى وحرم الوصلة الى الوحدة الا بجذبة ارجعي الى ربك ولو لم يدركه الجذبة المسندة الى العناية لانقطع عن السير في الله بالله وبقي بالسدرة وهو يقول وما منا الا له مقام معلوم ان الله فالق حب الذرة التي اخذ منها الميثاق المودعة في حبة القلب عن نبات المحبة وفالق النوى بذكر لا اله الا الله في ارض القلب شجرة الايمان كلمة طيبة كشجرة طيبة تخرج بنات المحبة التي هي من صفات الحي القيوم من الذرة والمنية الانسانية ويخرج الافعال الطبيعية التي هي من صفات الكفار الموتى من المؤمن الحي في الدارين وايضا يخرج نخل الايمان الحي من نوى الحروف الميتة في كلمة لا اله الا الله ويخرج ميت النفاق من الكلمة الحية وهي لا اله الا الله فالق الاصباح فالق ظلمة الجمادية بصباح العقل والحيوة والرشاد وفالق ظلمة الجهالة بصباح الفهم والادراك وفالق ظلمات العالم الجسماني بتخليص النفس القدسية الى صحبة عالم الافلاك وفالق ظلمات الاشتغال بعالم المكان بصباح نور الاستغراق في معرفة المحدثات والمبدعات وبالجملة فالق انوار الروح عن ظلمة ليل البشرية وجاعل ليل البشرية سترا عن ضياء شمس الروح ليسكن فيه النفس الحيوانية والاوصاف البشرية والشمس والقمر حسبانا يعني تجلي شمس الروحانية وطلوع قمر القلب بالحساب لئلا يفسد امر القلب والقالب وايضا تجلي شمس الربوبية وطلوع قمر الروحانية لليل البشرية بالحساب لئلا يفسد امر الدين والدنيا على العبد بالتفريط والافراط فان افراط طلوع شموس المعارف والشهود منه انا الحق وسبحاني وفي تفريطها منه انا ربكم الاعلى وعبادة الهوى ذلك تقدير العزيز الذي لا يهتدي اليه الا به العليم بمن يستحق الاهتداء اليه وهو الذي جعل لكم النجوم انوار الغيوب في سموات القلوب لتهتدوا بها في ظلمات بر البشرية وبحر الروحانية الى عالم الربوبية وهو الذي انشأ ارواحكم من روح واحد هو روح محمد صلى الله عليه وآله اول ما خلق الله روحي كما خلق اجسامكم من جسد آدم ابي البشر من الارواح ما تعلق بالاجساد واستقر بها وما هو بعد مستودع في عالم الارواح وايضا من الارواح ما هو مستقر منه نور صفة الايمان وما هو مستودع فيه جذبات الحق ومنها ما هو مستقر في انانيته مع علو رتبته بالبقاء وما هو مستودع في بقاء البقاء عن الفناء قد فصلنا دلالات الوصول والوصال لقوم يفقهون اشارات القلوب وهو الذي انزل من سماء العناية ماء الهداية فاخرجنا به نبات كل شيء من انواع المعارف فاخرجنا منه خضر الطيبات من الحقائق والاسرار يخرج به من الحقائق ما تركب بعضها بعضا فترتب بعضها على بعض ومن النخل يعني اصحاب الولايات من طلعها من ثمرات ولايتهم ما هو متدل للطالبين ومنهم من يكون مريدا فينتفع بثمرات ولايته ومنهم من يختار العزلة والانقطاع عن المريدين وجنات من اعناب ارباب الزهد والتقوى والفتوى الذين لم يبلغوا رتبة الولاية من اعناب الاجتهاد والزيتون الاصول والرمان الفروع مشتبها اي متفقا في الاصول والفروع وغير متشابه اي مختلفا فيما بين العلماء انظروا الى ثمر الولايات كيف ينتفع به الخواص والعوام وينعه الى الكامل منها ان في ذلكم لايات لقوم يؤمنون باحوالهم وينتفعون باقوالهم واحوالهم وجعلوا لله اشارة الى انه كما يخرج بماء اللطف من ارض القلوب لارباب انواع الكمالات كذلك يخرج بماء القهر من ارض النفوس لاصحابها انواع الضلالات بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما انا عليكم بحفيظ وكذلك نصرف الايات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون اتبع ما اوحي اليك من ربك لا اله الا هو واعرض عن المشركين ولو شاء الله ما اشركوا وما جعلناك

عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ
برانها نگاهبان ونیستی تو برایشان کارگذار ودشنام مدهید انهارا که میخوانند از غیر خدارا پس دشنام دهند خدارا از دشمنی وبی دانشی همچنین
زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ
آراستیم از برای هر طائفه کردارشان را پس سوی پروردگار بازگشت ایشان پس خبر دهد انهارا بانچه بودند میکردند وسوگند یاد کردند بخدا غایت سوگندی که اگر بیاید ایشان را
آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ
نشانی هر آینه بگروند بان بگو که جز این نیست که نشانها نزد خداست وچه آگاه کرد شمارا که آن نشانها چون بیاید نگروند وبرگردانیم دلهای ایشان وچشمهای ایشان را چنانکه نگرویدند بان اول بار وواگذاریم انهارا در سرکشی ایشان سرگردان میشوند

القراءة ولم يكن بتاء الغيبة قتيبة درست بتاء التانيث ابن عامر وسهل ويعقوب دارست بتاء الخطاب من المدارسة ابن كثير وابو عمرو والباقون بتاء الخطاب
درست من الدرس عدوا على فعول بالضم يعقوب الباقون عدوا على فعل انها اذا جاءت بالكسر ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب وخلف وقتيبة ونصير
وابو بكر وحماد الباقون بالفتح لا تؤمنون بتاء الخطاب ابن عامر وحمزة الباقون على الغيبة الوقوف والارض ط صاحبة ط كل شيء ج لاحتمال الواو الحال و
الاستيناف عليهم ط ربكم ج لاحتمال الجملة الاستيناف والحال والعامل معنى الاشارة الا هو ج لان قوله خالق بدل الضمير المستثنى او خبر ضمير محذوف فاعبدوه ج
لاحتمال الواو الحال والاستيناف وكيل لا تدركه الابصار لاختلاف الجملتين مع ان الثانية من تمام المقصود يدرك الابصار ج لطيف الخبير من
ربكم ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب فلنفسه ج لذلك مع الواو فعليها ط بحفيظ يعلمون من ربك ج لاحتمال الجملة الحال والاستيناف على انها جملة معترضة
الا هو للعطف مع العارض المشركين ما اشركوا حفيظا للابتداء بالنفي مع اتحاد المعنى بوكيل بغير علم يعملون ليؤمنن بها وما يشعركم لمن قرأ انها بكسر
الالف لا يؤمنون يعمهون التفسير لما نبه اجمالا بقوله بغير علم على الدليل الدال على ابطال من خرق له بنين وبنات فصل ذلك بقوله بديع
السموات والارض الآية والمراد هو بديع السموات ويجوز ان يكون بديع مبتدأ والجملة بعده خبره وتقرير الدليل انكم اما ان تريدوا بكون
عيسى ولدا لله انه احدثه على سبيل الابداع من غير تقديم نطفة ولا اب وح يلزمكم القول بانه والد السموات والارض بكونه مبدعا لهما
هذا باطل بالاتفاق واما ان تريدوا به الولادة كما هو المالوف في الحيوانات وهذا ايضا محال لان تلك الولادة لا تصح الا ممن كانت له صاحبة
من جنسه وينفصل منه جزء يحتبس في رحمها وهذه الاحوال انما يثبت في حق الجسم الذي يصح عليه الاجتماع والافتراق والحركة والسكون والحد
والنهاية والشهوة واللذة وكل ذلك على الله محال واشار الى هذا بقوله أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وايضا الولد بهذا الطريق
انما يتصور في حق من لا يقدر على خلق الاشياء دفعة واحدة اما الذي اذا اراد شيئا فانما يقول له كن فيكون فذلك في حقه مستحيل والى هذا
اشار بقوله خلق كل شيء وايضا هذا الولد لا يكون ازليا والا كان واجبا لذاته غنيا عن غيره فبقي ان يكون حادثا فيقول انه تعالى عالم بكل
المعلومات ازلا وابدا كما قال وهو بكل شيء عليم فان كان قد علم ان له في تحصيل ذلك الولد كمالا او نفعا او لذة تعلقت ارادته بايجاده
في الازل دفعا لذلك الاحتياج والنقصان فيكون الولد ازليا على تقدير كونه حادثا هذا خلف فتبين ان اله العالم فرد واحد صمد منزه
عن الشريك والنظير والاضداد والاولاد فلهذا صرح بالنتيجة فقال ذلكم الله فاسم الاشارة مبتدأ وما بعده اخبار مترادفة اي ذلكم الموصوف
الجامع لتلك الصفات المقدسة هو الله الى آخره وانما قال ههنا لا اله الا هو خالق كل شيء وفي المؤمن بالعكس لا ترى وقع ههنا ذكر بعد الشركاء
والبنين والبنات فكان رفع الشرك اهم هنالك وقع بعد ذكر خلق السموات والارض فكان تقديم الخالقية اهم ثم قال فاعبدوه وهو مسبب
عن مضمون الجملة المتقدمة يعني ان من استجمعت له هذه الكمالات كان حقيقا بالعبادة وهو مع تلك الصفات على كل شيء وكيل يحفظه ويرزقه
ويراقبه قال في التفسير الكبير انه سبحانه اقام الدليل على وجود الخالق ثم تنبه طريق من اثبت له شريكا وهذا القدر لا يوجب التوحيد المحض لكن للعلماء
في اثبات التوحيد طرق منها ان الدليل قد دل على وجود صانع والزائد على الواحد لم يدل دليل على ثبوته فليس عدد اولى من عدد آخر فيلزم الطرار الا
نهاية لها او القول بعدد معين بلا ترجيح وكلاهما محال فلم يبق الا الاكتفاء بواحد وهو المطلوب ومنها انا لو قدرنا الهين قادرين على كل المقدورات
عالمين بكل المعلومات فكل فعل يفعله احدهما صار كونه فاعلا لذلك الفعل مانعا للآخر من تحصيل مقدوره وذلك يوجب ان يكون كل واحد يعجز
الآخر وهو محال وان كان في احدهما عجز ونقص لم يصلح للالهية ومنها انا لو فرضنا الها ثانيا للعالم فاما ان يكون الثاني مشاركا للاول في جميع صفات الكمال
او لا وعلى الاول لا بد ان يحصل الامتياز بامر ما والا لم يحصل التعدد فذلك المميز ان كان من صفات الكمال مشتركا بينهما وان كان من صفات النقص فا
لموصوف به لا يصلح للالهية وكذا ان لم يكن الثاني مشاركا للاول في جميع صفات الكمال فثبت التوحيد بهذه الدلائل مع ان الدليل النقلي في التوحيد
كاف والله اعلم قالت الاشاعرة عموم قوله خالق كل شيء يدل على انه خالق افعال العباد وقالت المعتزلة انما ذكر هذا الكلام في معرض المدح ولكنه لا
يتمدح بخلق الزنى واللواط والكفر وعورض بالعلم والداعي كما مر مرارا وايضا احتج كثير من المعتزلة به على نفي الصفات وعلى ان القرآن مخلوق اما
الثاني فلان القرآن شيء فيدخل تحت العموم واما الاول فلان الصفات لو كانت موجودة له تعالى لزم ان يكون مخلوقة له واجيب بانكم تخصصون
هذا العام بحسب ذاته ضرورة انه يمتنع ان يكون خالقا لنفسه وبحسب افعال العباد فنحن ايضا نخصصه بحسب الصفات وبحسب القرآن واما الفرق بين قوله
وخلق كل شيء وقوله خالق كل شيء فذلك لان الاول يتعلق بالزمان الماضي والثاني يتناول الاوقات كلها على سبيل الاستمرار ثم بين انه سبحانه

لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير

ربكم جميع صفات الكمال

من النوع الذي يدركه لا يحيط بحقيقته وان عقلا من العقول لا يقف على كنه صمديته فقال لا تدركه الابصار هذه الآية من مشهورات استدلالات
المعتزلة على نفي رؤيته تعالى قالوا الادراك بالبصر عبارة عن الرؤية بدليل ان قول القائل ادركته ببصري وما رأيته متناقضان ثم ان قوله لا تدركه
الابصار يقتضي انه لا يراه شيء من الابصار في شيء من الاحوال بدليل صحة الاستثناء وايضا انه ذكر في معرض المدح والثناء وكل ما كان عدمه مدحا له
يكن ذلك من باب الفعل كان ثبوته نقصا كقوله لا تأخذه سنة ولا نوم لم يلد ولم يولد فوجب كون الرؤية نقصا في حقه تعالى وانما قيد وانما
لا يكون من باب الفعل لانه تعالى يمدح بنفي الظلم عن نفسه في قوله وما ربك بظلام للعبيد مع انه تعالى قادر على الظلم عندهم واجيب بالمنع من ان ادراك
البصر عبارة عن الرؤية لانه في اصل اللغة موضوع للوصول واللحوق ومنه قال اصحاب موسى انا لمدركون اي لملحقون وقوله تعالى حتى اذا ادركه الغرق
اي لحقه وادرك الغلام اي بلغ وادركت الثمرة اذا نضجت واذ قد ثبت ذلك فنقول الرؤية جنس والادراك اي ادراك البصر نوع منه مع الاحاطة ولا
يلزم من نفي الخاص نفي العام فلا يلزم من نفي ادراك البصر نفي الرؤية سلمنا ان ادراك البصر عبارة عن الرؤية لكن قوله لا تدركه الابصار لا يفيد
الا نفي العموم وانتم تدعون عموم النفي فاين ذلك من هذا وانما قلنا انه لا يفيد الا نفي العموم لان صيغة الجمع كما يحمل على الاستغراق فقد يحمل على المعهود
السابق ايضا فقوله لا تدركه يفيد انها لا تدركه الابصار اذا تبدلت صفاتها وتغيرت احوالها في الآخرة او نقول قول القائل يدركه جميع الابصار يفيد
سلب العموم ولا يفيد عموم السلب فلم لا يجوز ان يفيد انه يدركه بعض الابصار ان محمدا ما امن به كل الناس فانه يفيد انه امن به بعض الناس
سلمنا ان الابصار لا تدركه البتة فلم لا يجوز حصول ادراك الله تعالى بحاسة سادسة يخلقها الله تعالى يوم القيامة كما هو مذهب ضرار بن عمرو
الكوفي او نقول سلمنا ان الابصار لا تدركه فلم قلتم ان المبصرين لا يدركونه اما قولهم ان الآية مذكورة في معرض المدح فنقول لو لم يكن الله تعالى
جائز الرؤية لما حصل المدح بقوله لا تدركه الابصار انما يحصل التمدح لو كان بحيث يصح رؤيته ثم انه تعالى يحجب الابصار عن رؤيته لغاية جلاله
ونهاية جماله والتحقيق فيه ان النفي المحض والعدم الصرف لا يكون موجبا للمدح والعلم به ضروري بل اذا كان النفي دليلا على حصول صفة ثابتة
من صفات المدح قبل ان ذلك النفي يوجب التمدح كقوله لا تأخذه سنة ولا نوم فانه لا يفيد المدح نظرا الى هذا النفي فان الجماد ايضا لا
تأخذه ولا نوم الا ان هذا النفي في حق الباري تعالى يدل على كونه عالما بجميع المعلومات من غير تبدل ولا زوال فقوله لا تدركه الابصار يمتنع ان
يفيد المدح الا اذا دل على معنى موجود وذلك ما قلناه من كونه قادرا على حجب الابصار ومنعها عن الاحاطة به فثبت بما ذكرنا ان هذه الآية
عليكم لا لكم لانها افادت انه تعالى جائز الرؤية بحسب ذاته ثم نقول اذا ثبت ذلك يجب القطع بان المؤمنين يرونه يوم القيامة لان القائل قائلان
قائل بجواز الرؤية مع ان المؤمنين يرونه وقائل لا يرونه ولا يجوز رؤيته واذا بطل هذا القول بقي الاول حقا لان القول بجواز رؤيته مع
انه لا يراه احد قول لم يقل به احد وهذا استدلال لطيف ثم ان الفاضل استدل ههنا على نفي الرؤية بوجوه اخر خارجة عن التفسير لا تليق
بالاصول فاولها ان الحاسة اذا كانت سليمة وكان المرئي حاضرا وكانت الشرائط المعتبرة حاصلة وهو ان لا يحصل القرب القريب والبعد البعيد
ولا تقع الحجاب وكان المرئي مقابلا او في حكم المقابل فانه يجب حصول الرؤية والا لجاز ان يكون بحضرتنا بوقات وطبول ونحن لا نسمعها ولا
نراها وهذا يوجب السفسطة اذا ثبت هذا فنقول القرب القريب والبعد البعيد والحجاب والمقابلة في حقه تعالى ممتنع فلو صحت رؤيته كان المقتضي
لحصول تلك الرؤية سلامة الحاسة وكون المرئي بحيث يصح رؤيته وهذان المعنيان حاصلان في هذا الوقت فوجب ان يحصل رؤيته وحيث
لم يحصل علمنا ان رؤيته ممتنعة في نفسها واجيب بان ذاته تعالى مخالفة لسائر الذوات ولا يلزم من ثبوت حكم لشيء ثبوت مثله فيما يخالفه
وثانيها لو صحت رؤيته لاهل الجنة لرآه اهل النار ايضا لان القرب والبعد والحجاب ممتنع في حقه تعالى واجيب بانه لا يجوز ان يخلق الله تعالى الرؤية
في عيون اهل الجنة ولا يخلقها في عيون اهل النار وثالثها ان كل ما كان مرئيا كان مقابلا او في حكم المقابل والله تعالى منزه عن ذلك واجيب
بمنع الكلية وبانه اعادة لعين الدعوى لان النزاع واقع في ان الموجود الذي لا يكون مختصا بمكان وجهة هل يجوز رؤيته ام لا ورابعها ان اهل الجنة
يلزم ان يروه في كل حال حتى عند الجماع لان القرب والبعد عليه تعالى محال ولان رؤيته اعظم اللذات وفوات ذلك يوجب الغم والحزن وذلك
لا يليق بحال اهل الجنة واجيب بانه تعالى يعلم اعلم بانهم يشتهون الرؤية في حال دون حال كسائر الملاذ والمنافع في تعدد الوجوه الدالة على جواز الرؤية منها
هذه الآية كما بينا ومنها هذه الآية كما بيناه ومنها ان موسى عليه السلام طلب الرؤية فدل ذلك على جوازها ومنها انه تعالى علق الرؤية على استقرار
الجبل والمعلق على الجائز جائز ومنها قوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة فقد اتفق الجمهور على ان النبي صلى الله عليه وآله فسر الحسنى بالجنة والزيادة بالرؤية
ومنها قوله فمن كان يرجو لقاء ربه ونحو ذلك من الآيات الدالة على اللقاء ومنها قوله كانت لهم جنات الفردوس نزلا والاقتصار على النزل لا
يجوز فلا بد على جنات الفردوس لا يكون الا اللقاء ومنها قوله ولقد رآه نزلة اخرى وسوف يأتي في سورة النجم ان شاء الله تعالى ومنها قوله وجوه يومئذ
ناضرة الى ربها ناظرة ومنها قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فيكون المؤمنون غير محجوبين ومنها قوله فيها ما تشتهيه الانفس ولا
شك ان القلوب الصافية مجبولة على حب معرفة الله على اكمل الوجوه واكمل طرق المعرفة هو العيان ومنها قوله واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا فيمن
قرأ بفتح الميم وكسر اللام واما الاخبار فكثيرة منها الحديث المشهور ستررون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته والمراد تشبيه الرؤية
بالرؤية في الجلاء والوضوح لا تشبيه المرئي بالمرئي ومنها ان الصحابة اختلفوا في ان النبي صلى الله عليه وآله هل رأى الله تعالى ليلة المعراج ولم يكفر بعضهم بعضا بهذا

في الدنيا وانما يدركه

السبب فيه انهم كانوا يجمعون على امكان الرؤية اما قوله تعالى وهو يدرك الابصار ففيه دليل على انه سبحانه مبصر للمبصرات راء للمرئيات مطلع
عليها عالم بعوارضها وذاتياتها ثم قال وهو اللطيف الخبير وليس المراد باللطافة ضد الكثافة وهو رقة القوام فان ذلك من صفات الاجسام
بل المراد لطف صنعه في تركيب بدن الحيوانات من الاجزاء الدقيقة والاغشية الرقيقة والمنافذ الضيقة التي لا يعلمها الا مبدعها او المراد انه لطيف في
الانعام والرحمة لا يامرهم فوق طاقتهم وينعم عليهم فوق استحقاقهم او الغرض انه يثني عليهم بالطاعة مواد احسانهم بالمعصية او المراد انه يلطف عن ان يدركه الا
الخبير بكل لطيف ولا يلطف شيء عن ادراكه ثم عاد الى تقرير امر الدعوة والرسالة فقال قد جاءكم بصائر موجباتها والبصيرة للقلب بمنزلة البصر للعين
فمن ابصر الحق وامن فلنفسه ابصر واياها نفع ومن عمي عنه فعلى نفسه عمي واياها ضر قالت المعتزلة فيه تصريح بان العبد متمكن من الامرين الفعل والترك
وعورض بالعلم والداعي وما انا عليكم بحفيظ احفظ اعمالكم واجازيكم عليها انما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم ثم حكى شبه المنكرين بقوله وكذلك
اي مثل ذلك التقرير البليغ نصرف الايات نأتي بها متواترة حالا بعد حال وليقولوا عطف على محذوف اي لتلزمهم الحجة وليقولوا درست نصرفها
ومعنى درست قرأت وتعلمت من الدرس ومن قرأ دارست اي قرأت على اليهود وقرأوا عليك وجرت بينك وبينهم مدارسة ومذاكرة واما قراءة
ابن عامر درست فهي من الدروس يعني ان هذه الايات تقدمت وعفت هذه الاخبار التي تتلوها علينا من جملة اساطير القرون الخالية فالتاء للعلماء
التركيب يدل على التذليل والتليين لان من درس الكتاب فقد ذلله بكثرة القراءة ومنه قيل للثوب الخلق دريس لانه قد لان فكانه تعالى ذكر الوجه
الذي لاجله صرف الايات وهو امران احدهما درست والثاني قوله ولنبينه اما الثاني فلا اشكال فيه لانه بين ان الحكمة في هذا التصريف ان
يظهر منه البيان والعلم والضمير في لنبينه للايات لانها في معنى القران او يعود الى القران وان لم يجر له ذكر للعلم به او الى التبيين الذي هو مصدر الفعل
نحو ضربته الضرب يدا واما الاول ففيه ورد ان قولهم للرسول دارست كفر منهم بالقران والرسول وعلى هذا ينجر مسئلة الجبر والقدر اما الاشاعرة
فاجروا الكلام على ظاهره وقالوا معناه انا ذكرنا هذه الدلائل حالا بعد حال ليقول بعضهم دارست فيزدادوا كفرا على كفر وتبيينه لبعض فيزدادوا
ايمانا على ايمان كقوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا واما المعتزلة فقال الجبائي منهم والقاضي ان هذا الاثبات محمول على النفي والتقدير وصرف
الايات لئلا يقولوا كقوله يبين الله لكم ان تضلوا اي لئلا تضلوا والمراد لام العاقبة وزيف بان حمل الاثبات على النفي تحريف لكلام الله وفتح هذا
يخرج الكتاب عن ان يكون حجة وايضا انه مناف للمقصود لان انزال الايات نجما نجما هو الذي اوقع الشبهة للقوم في ان محمدا انما اتى بالقران على
سبيل المدارسة والمذاكرة مع اقوام اخرين ولهذا كانوا يقولون لولا نزل عليه القران جملة واحدة فالجواب الذي ذكروه انما يصح لو كان التصريف
علة لان يمتنعوا من هذا القول لكنه موجب له فسقط كلامهم وايضا حمل اللام على لام العاقبة مجاز وحمل الكلام على الحقيقة اولى ثم انه لما حكى عن الكفار
انهم نسبوه في اتيان القران الى الافتراء والى انه تدارس قوما واستفاد هذه العلوم منهم ثم نظمها قرانا وادعى انه نزل عليه من الله امره بقوله
اتبع ما اوحي اليك من ربك لئلا يصير ذلك القول سببا لفتوره في تبليغ الدعوة والرسالة والمقصود تقوية قلبه وازالة الحزن الذي يعتريه
بسماع تلك الشبهة وبين بالجملة المعترضة او الحال المؤكدة وهي قوله لا اله الا هو على انه سبحانه لما كان واحدا في الالهية فانه يجب طاعته ولا
يجوز الاعراض عن تكاليفه بسبب جهل الجاهلين وزيغ الزائغين ثم ختم الاية بقوله واعرض عن المشركين وحمله بعضهم على انها منسوخة باية القتال
وضعف بان المراد ترك مقابلتهم فيما ياتونه من سفه وان يعدل صلوات الله عليه الى الطريق الذي يكون اقرب الى القبول وابعد عن
التنفير والتغليظ ولو شاء الله ما اشركوا مذهب الاشاعرة فيه ظاهر وحمله المعتزلة على مشية الالجاء والقسر اجيب بعد المعارضة بالعلم و
الداعي بان الايمان الاختياري هب انه انفع وافضل من الايمان القهري الا انه تعالى لما علم ان ذلك لا يقع ولا يحصل فقد كان يجب في حكمته ان
يخلق الله فيه الايمان القهري كي يخلص من العقاب وان لم يجب له الثواب كما ان الاب المشفق اذا علم ان ابنه لا يحسن الغوص يقول له اترك الغوص في
البحر ولا تطلب اللآلي فانك لا تجدها واكتف بالرزق القليل مع السلامة فاما ان يامره بالغوص في البحر مع اليقين التام بانه لا يستفيد منه الا الهلاك
فان ذلك من الرحمة والشفقة بمعزل ثم ختم الكلام بما يكمل به بصيرة الرسول صلى الله عليه واله وذلك انه بين له قدر ما جعل اليه فذكر انه ما جعله
عليه حفيظا ولا وكيلا عليهم وانما فوض اليه الابلاغ والانذار ثم انهم لما نسبوا الرسول صلعم الى انه جمع القران بطريق المدارسة وكان
لا يبعد ان يغضب له المسلمون لسبب ذلك فيسبوا الهتهم نهى الله تعالى عن ذلك فقال ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله وذلك
ان المسلمين اذا شتموا الهتهم ربما غضبوا وذكروا الله بما لا ينبغي من القول وفيه تنبيه على ان خصمك اذا شافهك بجهل وسفاهة لم يجز لك
ان تقدم على مشافهته بما يجري مجرى كلامه فان ذلك يوجب فتح باب المشاتمة والمسافهة وانه لا يليق بالعقلاء قال ابن عباس لما نزل انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم قال المشركون لئن لم تنته عن سب الهتنا وعيبها لنهجون الهك فنزلت وقال السدي لما حضر ابا طالب الوفاة قالت
قريش انطلقوا فلندخل على هذا الرجل فلنامره ان ينهى عنا ابن اخيه فانا نستحيي ان نقتله بعد موته فيقول العرب كان يمنعه فلما مات قتلوه
فانطلق ابو سفيان وابو جهل والنضر بن الحارث وامية وابي ابنا خلف وعقبة بن ابي معيط وعمرو بن العاص والاسود بن البختري الى ابي طالب
فقالوا انت كبيرنا وسيدنا وان محمدا قد اذانا واذى الهتنا فنحب ان تدعوه فتنهاه عن ذكر الهتنا ولندعه والهه فدعاه فجاء النبي صلى الله عليه واله
فقال له ابو طالب هؤلاء قومك وبنو عمك فقال رسول الله صلعم ماذا تريدون قالوا نريد ان تدعنا والهتنا وندعك والهك فقال ابو طالب

قد انصفك قومك وبنو عمك فقال رسول الله صلعم ارايتم ان اعطيتكم هذا هل انتم معطي كلمة ان تكلمتم بها ملكتم بها العرب ودانت لكم بها
العجم قال ابو جهل نعم وابيك لنعطينكها وعشر امثالها فما هي قال قولوا لا اله الا الله فابوا واشمأزوا فقال ابو طالب قل غيرها يا ابن اخي فان قومك
قد فزعوا منها فقال يا عم ما انا بالذي اقول غيرها ولو اتوني بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت غيرها فقالوا لتكفن عن شتمك الهتنا او لنشتمن من
يامرك فانزل الله تعالى هذه الاية قالت العلماء ان القوم كانوا مقرين بوجود الاله تعالى فكيف يتصور اقدامهم على شتم الله واجيب بانه ربما كان بعضهم قائلا
بالدهر ونفي الصانع فما كان يبالي هذا النوع من السفاهة او لعل مرادهم شتم الرسول صلى الله عليه واله فاجرى الله تعالى شتمه مجرى شتم الله كما في قوله
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله او لعلهم من جهالتهم اعتقدوا ان الشيطان يحمله على ادعاء الرسالة ثم انهم سموا ذلك الشيطان بانه اله
محمد صلى الله عليه واله وههنا سؤال وهو ان شتم الاصنام من اصول الطاعات فكيف يحسن من الله تعالى ان ينهى عنه والجواب ان هذا الشتم وان كان طاعة
الا انه اذا وقع على وجه يستلزم منكرا وجب الاحتراز عنه لان هذا الشتم كان يستلزم اقدامهم على شتم الله سبحانه وشتم رسوله وفتح باب السفاهة و
تنفيرهم عن قبول الدين وادخال الغيظ والغضب في قلوبهم وفيه ان الامر بالمعروف قد يقبح اذا ادى الى ارتكاب منكر والنهي عن المنكر يقبح اذا ادى الى
زيادة منكر وغلبة الظن قائمة مقام اليقين في هذا الباب وفيه تاديب لمن يدعو الى الدين كيلا يتشاغل بما لا يفيد في المطلوب فان وصف الاوثان
بانها جمادات لا تنفع ولا تضر يكفي في القدح في الهيتها فلا حاجة مع ذلك الى شتمها يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعدوانا وعداء اذا ظلم ظلما يجاوز القدر
قال الزجاج عدوا منصوب على المصدر لان المعنى فيعدوا عدوا وقرئ عدوا بفتح العين والتشديد اي في حال كونهم اعداء ومعنى بغير علم على جهالة
بالله وبما يجب ان يذكر به كذلك اي مثل ذلك التزيين زينا لكل امة عملهم قالت الاشاعرة فيه دلالة على انه تعالى هو الذي زين للكافر الكفر وللمؤمن
الايمان وللعاصي المعصية وزيفه الكعبي بقوله تعالى وزين لهم الشيطان اعمالهم وبقوله والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت فاذا المراد انه تعالى زين لهم
ما ينبغي لهم ان يعملوا وهم لا يفقهون او المراد زينا لكل امة من امم الكفار عملهم اي خليناهم وشانهم وامهلناهم حتى حسن عندهم سوء عملهم وامهلنا الشيطان
حتى زين لهم او زيناه في زعمهم وقولهم ان الله امرنا بهذا او زينه لنا وضعف بعد المعارضة بالعلم وحصر الداعي بان قوله ثم كذلك زينا بعد قوله
فيسبوا الله مشعر بان اقدامهم على ذلك المنكر انما كان بتزيين الله تعالى وايضا الانسان لا يختار الكفر والجهل ابتداء مع العلم بكونه كفرا و
جهلا والعلم بذلك ضروري بل انما يختاره لانه اعتقد كونه ايمانا وعلما وحقا وصدقا ولولا سابقة الجهل الاول لما اختار الجهل الثاني ولا
يذهب الجهالات الى غير النهاية فلا بد ان ينتهي الى جهل يخلقه الله تعالى فيه وهو بسبب ذلك الجهل ظن الكفر ايمانا والجهل علما قال واقسموا بالله
جهد ايمانهم والغرض حكاية شبهة اخرى لهم وهي ان هذا القران كيف كان امره فليس من جنس المعجزات البينة ولو انك يا محمد جئتنا بمعجزة باهرة وبينة
قاهرة لامنا بك واكدوا هذا المعنى بالايمان والاقسام قال الواحدي انما سمي اليمين بالقسم لان اليمين موضوعة لتوكيد الخبر وكانت الحاجة الى ذكر
الحلف عند انقسام الناس وقت سماع الخبر الى مصدق ومكذب بمعنى الاقسام ازالة القسمة وجعل الناس كلهم مصدقين بواسطة الحلف واليمين عن محمد
ابن كعب قال كلم رسول الله صلى الله عليه واله قريش فقالوا يا محمد تخبرنا ان موسى كانت معه عصا فضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا وان عيسى
كان يحيي الموتى وان صالحا كانت له ناقة فائتنا ببعض تلك الايات حتى نصدقك فقال رسول الله صلعم اي شيء تحبون ان اتيكم به قالوا تجعل لنا الصفا
ذهبا قال فان فعلت تصدقوني قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعنك اجمعون فقام رسول الله صلعم يدعو فجاءه جبرئيل عم فقال ان شئت اصبح الصفا
ذهبا ولكن لم ارسل اية فلم يصدق بها الا انزلنا العذاب وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله صلعم اتركهم حتى يتوب تائبهم و
انزل الله الايات الى قوله ولكن اكثرهم يجهلون قال الكلبي ومقاتل اذا حلف الرجل بالله فهو جهد يمينه وقال الزجاج معناها بالغوا في الايمان والمراد
بقوله ان جاءتهم اية ما روينا من جعل الصفا ذهبا وقيل هي الاشياء المذكورة في قوله وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا الاية وقيل كان النبي صلى
الله عليه واله يخبرهم بان عذاب الاستيصال كان ينزل بالامم المتقدمين المكذبين فالمشركون طلبوا امثالها قل انما الايات عند الله اي هو مختص
بالقدرة على امثال هذه الايات لان المعجزات لا يحصل الا بتخليق الله تعالى او المراد بالعندية هو العلم بان احداث هذه المعجزات هل يقتضي ايمانهم
ام لا كقوله وعنده مفاتح الغيب والمراد انها وان كانت معدومة في الحال الا انه تعالى متى شاء احدثها وليس لكم ان تحكموا في طلبها كقوله
وان من شيء الا عندنا خزائنه وما يشعركم ما استفهام والجملة خبره ثم من قرأ انها بكسر الهمزة على الابتداء وهي القراءة الجيدة فالتقدير وما يشعركم ما
يكون منهم ثم ابتدأ فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون واما قراءة الفتح فقال سيبويه سألت الخليل عن ذلك فقال لا يحسن لانها تصير عذرا للكفار
لان معنى قول القائل ما يدريك انه لا يفعل هو انه يفعل فمعنى الاية انها اذا جاءت امنوا وذلك يوجب مجيء هذه الايات ويصير هذا الكلام عذرا
لهم في طلبها لكن القراءة لما كانت متواترة فلا جرم ذكر العلماء فيه وجوها قال الخليل ان بمعنى لعل تقول العرب ائت السوق انك تشتري لنا شيئا اي لعلك
ويقوي هذا الوجه قراءة ابي لعلها اذا جاءت لا يؤمنون وثانيها ان يجعل لا صلة كما في قوله ما منعك ان لا تسجد وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون
وثالثها ان المؤمنين كانوا يطمعون في ايمانهم اذا جاءت تلك الاية ويتمنون مجيئها فقال الله وما يدريكم ايها المؤمنون انهم لا يؤمنون على معنى انكم لا تدرون
ما سبق به علمي من انهم لا يؤمنون واما من قرأ لا تؤمنون بتاء الخطاب فالمراد وما يشعركم ايها الكفار في الاية دلالة على انه تعالى ان يفعل كل
ما مقدوره من الالطاف اذ لو كان في المعلوم لطف يؤمنون عنده ثم انه لا يفعل ذلك لم يكن لتعليل ترك الاجابة بانهم لا يؤمنون وجه وايضا لو كان الايمان

لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّٰهِ عَلَيْهِ وَاِنَّهُ لَفِسْقٌ وَاِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ اِلٰى اَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَاِنْ اَطَعْتُمُوهُمْ اِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ

[illegible]

القراءة قبلا بكسر القاف وفتح الباء ابو جعفر ونافع وابن عامر الباقون بضمتين منزل بالتشديد ابن عامر وحفص المفضل كلمة ربك عاصم وحمزة و

علي وخلف عاصم وسهل ويعقوب الباقون كلمات من يضل من الاضلال الاصبهاني عن نصير ضل على البناء للفاعل حرم على البناء للمفعول حمزة وخلف وعاصم

غير حفص المفضل وقرأ ابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب حفص جميعا بالفتح الباقون على البناء للمفعول فيهما ليضلون بضم الياء عاصم وحمزة وعلي وخلف

[illegible]

بخلق الله تعالى ولم يكن يفعل الالطاف التي تحمل المكلف على الطاعات لم يكن لاظهار تلك المعجزات اثر واجيب بان تاثير المعجزات عندهم مبني على وجوب اللطف

بل لزم الدور وبان الاية التي بعد هذا وهو قوله ونقلب افئدتهم وابصارهم تدل على ان الكفر والايمان بقضاء الله وقدره ومعنى تقليب الافئدة

والابصار هو انهم اذا جاءتهم الايات القاهرة التي اقترحوها وعرفوا كيفية دلالتها على صدق الرسول الا انهم اذا قلب قلوبهم وابصارهم عن ذلك الوجه

الصحيح بقوا على الكفر ولم ينتفعوا بتلك الايات والتقليب تحريك الشيء عن وجهه وكان صلى الله عليه وآله يقول يا مقلب القلوب والابصار ثبت قلبي

على دينك والمراد انه تعالى يقلب القلوب تارة من دواعي الخير الى دواعي الشر وبالعكس وانما قدم ذكر تقليب الافئدة على تقليب الابصار لان موضع الدواعي

والصوارف هو القلب فاذا حصلت الداعية في القلب انصرف البصر عنه والحاصل ان السمع والبصر آلتان للقلب فلهذا السبب وقع الابتداء بتقليب

[illegible]

لا يخاطبوه اهل الضلال على مواجب نوازع النفس الطبيعية فحملهم ذلك على ترك الاجلال واظهار الضلال بل خاطبوهم بلسان الحجة والزام

الحجة ونفي الشبهة واقسموا بالله حسبوا ان البرهان يوجب الايمان ولم يعلموا انهم مقهورون تحت حكم السلطان وما يغني وضوح الادلة لمن لم يدركه

سوابق الرحمة ونقلب افئدتهم عن الآخرة الى الدنيا وابصارهم عن شواهد المولى الى مشاهدة النفس والهوى كما لم يؤمنوا يوم الميثاق اذ قلت الست بربكم قالوا

بلى وَلَوْ اَنَّنَا نَزَّلْنَا اِلَيْهِمُ الْمَلٰئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتٰى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا اِلَّا اَنْ يَشَاءَ

[illegible]

اللّٰهُ وَلٰكِنَّ اَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْاِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ اِلٰى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ

[illegible]

غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ وَلِتَصْغٰى اِلَيْهِ اَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْاٰخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَ

[illegible]

لِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ اَفَغَيْرَ اللّٰهِ اَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي اَنْزَلَ اِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ اٰتَيْنَاهُمُ

[illegible]

الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ اَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا

[illegible]

مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وَاِنْ تُطِعْ اَكْثَرَ مَنْ فِي الْاَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ اِنْ

[illegible]

يَتَّبِعُونَ اِلَّا الظَّنَّ وَاِنْ هُمْ اِلَّا يَخْرُصُونَ اِنَّ رَبَّكَ هُوَ اَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ اَعْلَمُ

[illegible]

بِالْمُهْتَدِينَ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللّٰهِ عَلَيْهِ اِنْ كُنْتُمْ بِاٰيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ وَمَا لَكُمْ اَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللّٰهِ

[illegible]

عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ اِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ اِلَيْهِ وَاِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِاَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ اِنَّ رَبَّكَ

[illegible]

هُوَ اَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْاِثْمِ وَبَاطِنَهُ اِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْاِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا

[illegible]

والالهام وكان صادرا من الملك ولا كان مزخرفا اى يكون باطنه فاسدا وظاهره مزينا فال الواحدى غرورا نصب على المصدر لان ايحاء الزخرف
من القول في معنى الغرور ولو شاء ربك ما فعلوه استدلال الاشاعرة بظاهره والمعتزلة يحملونه على مشيئة الالجاء فذرهم وما يفترون منصوب على
انه مفعول معه او مفعول به اى واتركهم وافتراءهم وما يفترونه قال ابن عباس يريد ما زين لهم ابليس وغرهم به وفيه تحذير من الكفر وترغيب في الايمان وتسلية لرسول الله
صلى الله عليه وآله وتنبيه له على ما اعد للكفرة من العقاب وله من الثواب بسبب صبره على سفاهتهم وتلطفه بهم الصغو في اللغة الميل يقال في المستمع
انه مصغ اذا مال بحاسته الى ناحية الصوت واصغى الاناء اذا اماله حتى انصب بعضه في البعض ويقال للقمر اذا مال الى الغروب صغى واصغى قال
الجوهري صغا يصغو ويصغى صغوا اى مال وكذلك صغى بالكسر يصغى بالفتح صغى وصغيا واللام في ولتصغى لا بد له من متعلق فقالت الاشاعرة التقدير
وانما جعلنا مثل ذلك التخصيص عدوا للنبي لتميل اليه او الى قوله المزخرف افئدة الكفار فيبعدوا بذلك لتسبب عن قبول دعوة النبي وليرضوه وليختاروه
على انفسهم وليقترفوا ليكتسبوا من الآثام ما هم مقترفون وقال الجبائي ان هذا الكلام خرج مخرج الامر ومعناه الزجر كقوله واستفزز من استطعت
منهم بصوتك وزيف بان حمل لام كي على لام الامر غريب وقال الكعبي هي لام العاقبة تقديره ولتميل الى ما ذكر من عداوة الانبياء ووسوسة
الشياطين افئدة الكفار جعلنا لكل نبي عدوا وعن ابى مسلم انها معطوفة على موضع غرورا والتقدير يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول ليغروا
بذلك ولتميل قلوب الكفار الى المذاهب الباطلة واورد عليه ان ميل القلوب الى الآراء الفاسدة هو عين الاغترار فيلزم عطف الشيء على نفسه
وههنا بحث وهو ان الاشاعرة قالوا البنية ليست شرطا للحيوة فالحي هو الجزء الذي قامت الحيوة به والعالم هو الجزء الذي قام العلم به وقالت المعتزلة
الحي والعالم هو الجملة لا ذلك الجزء حجة الاشاعرة انه جعل الموصوف بالميل والرغبة في الآية هو القلب لا جملة الحي وبمثله استدل من جعل المتعلق
الاول للنفس هو القلب لا مجموع البدن ثم انه سبحانه لما ذكر انه لا فائدة لهم في اظهار الآيات التي اقترحوها بين بقوله افغير الله ابتغي حكما الآية
ان الدليل الدال على نبوته قد حصل وكمل والزائد على ذلك لا يجب الالتفات اليه وانما قلنا ان الدليل على نبوته قد حصل لوجهين الاول
ان الله تعالى قد حكم بنبوته من حيث انه انزل عليه الكتاب المبين المشتمل على العلوم الكثيرة والفصاحة الكاملة وقد عجز الخلق عن معارضته واشار الى هذا
الوجه بقوله افغير الله ابتغي حكما يعني قل يا محمد انكم تحكمون في طلب سائر المعجزات فهل يجوز في العقل ان يطلب غير الله حكما فان كل احد يقول
ان ذلك غير جائز الوجه الثاني اشتمال التوراة والانجيل على ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله حقا وعلى ان القرآن كتاب حق من عند الله
واشار اليه بقوله والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق ثم قال فلا تكونن من الممترين والخطاب لكل احد اى اذا ظهرت
الدلائل فلا ينبغي ان يمتري فيه احد وقيل الخطاب للرسول في الظاهر والمراد به الامة وقيل الخطاب للرسول في الحقيقة والمراد التهييج والالهاب
كقوله ولا تكونن من المشركين او المراد فلا تكونن من الممترين في ان اهل الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق ولا يريبك جحود اكثرهم قال الواحدي
الحكم والحاكم واحد عند اهل اللغة وقال بعض اهل التاويل الحكم اكمل من الحاكم لان الحاكم كل من يحكم والحكم هو الذي لا يحكم الا بالحق ثم لما بين ان القرآن
معجز قال وتمت كلمة ربك اى القرآن وقوله صدقا وعدلا مصدران ينتصبان على الحال من الكلمة ومعنى تمامها انها وافية كافية في كونها معجزة
دالة على صدق محمد او كافية في بيان ما يحتاج المكلفون اليه الى القيامة علما وعملا والمراد بالتمام انها ازلية لا يحدث بعد ذلك شيء واعلم ان كل ما
حصل في القرآن نوعان الخبر والتكليف فالخبر كل ما اخبر الله تعالى عن وجوده او عن عدمه كالخبر عن وجود ذاته وحصول صفاته من كونه تعالى قادرا سميعا
بصيرا يدخل فيه الخبر عن صفات التقديس والتنزيه كقوله تعالى لم يلد ولم يولد ولا تأخذه سنة ولا نوم ويدخل فيه الخبر عن اقسام افعال الله
تعالى وكيفية تدبيره لملكوت السموات والارض وفي عالم الارواح والاجسام ويدخل فيه الخبر عن احكام الله تعالى في الوعد والوعيد والثواب
والعقاب ويدخل فيه الخبر عن اقسام اسماء الله تعالى والخبر عن النبوات واقسام المعجزات والخبر عن احوال الحشر والقيامة وصفات اهل الجنة و
النار والخبر عن احوال المتقدمين والخبر عن المغيبات واما التكليف فيدخل فيه كل امر ونهي توجه منه سبحانه على عبيده سواء كان ملكا او بشرا او شيطانا
وسواء كان ذلك في شرعنا او في شرائع الانبياء المتقدمين او في مراسم الملائكة المقربين الذين هم سكان السموات والجنة والنار والعرش وما
وراءه مما لا يعلم احوالهم الا الله تعالى فاذن المراد وتمت كلمات ربك صدقا ان كان من باب الخبر وعدلا ان كان من باب التكاليف وهذا ضبط حسن
وقيل ان كل ما اخبر الله تعالى عنه من وعد ووعيد وثواب وعقاب فهو صدق لانه لا بد ان يكون واقعا وهو بعد ذلك عدل لان افعاله منزهة
عن ان يكون بصفة الظلم ثم قال لا مبدل لكلماته والمعنى ان هؤلاء الكفار يلقون الشبه في كون القرآن دالا على صدق محمد الا ان تلك الشبهات
لا تاثير لها في هذه الدلالة لاشتمالها ووضوحها او المراد ان كلماته تبقى موصوفة بصفتها مصونة عن التحريف والتغيير كما قال انا نحن نزلنا
الذكر وانا له لحافظون او الغرض انها براءة عن التناقض كما قال ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا او المعنى ان احكام الله تعالى
لا تتغير ولا تتبدل لانها ازلية والازلي لا يزول وهذا الوجه احد الاصول القوية في اثبات الجبر اذ يلزم منه ان لا ينقلب السعيد شقيا وبالضد
ثم لما اجاب عن شبه الكفار بين انه بعد ظهور الحجة وتبين المحجة لا ينبغي للعاقل ان يلتفت الى كلمات الجهال فقال وان تطع اكثر من في الارض يضلوك
عن سبيل الله والمضل لا بد ان يكون ضالا ويعني بهم الذين ينازعون النبي في الدين عن غير بصيرة بحجة مذاهبهم كالزنادقة وعبدة الكواكب
والاصنام وكالذين يحرمون البحائر والسوائب والوصائل ويحللون الميتة فيحكمون على الحق بانه باطل وعلى الباطل بانه حق فلا يتبعون الا الظن

وان هم الا يخرصون يقدرون انهم على شيء او يكذبون في ان الله احل كذا وحرم كذا واصل الخرص حزر ما على النخل من الرطب تمرا وليس لنفاة
القياس تمسك بالآية من قبل توجه الذم على متبع الظن لان المذموم من اتباع الظن هو الذي لا يسند الى امارة كظن الكفار المستند الى تقليد اسلافهم
فقط اما اذا كان الاعتقاد الراجح مستندا الى امارة فلم قلتم انه كذلك ثم قال ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين والمراد
انك بعد ما عرفت ان الحق ما هو والباطل ما هو فلا تكن في قيدهم بل فوض امرهم الى خالقهم لان الله تعالى عالم بان المهتدي من هو والضال من هو فيجازي
كل احد بما يليق بعلمه او المراد ان هؤلاء الكفار وان اظهروا من انفسهم ادعاء الجزم واليقين فهم كاذبون والله تعالى عالم باحوال قلوبهم وبواطنهم ومطلع
على تحيرهم في اودية الجهالة وتيه الضلالة قال النحويون ان افعل التفضيل لا يعمل في مظهر ففي الكلام محذوف اى يعلم من يضل عن سبيله فان لم يقدر
محذوف قوي بالباء كما في القلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين وهذا هو الاصل وانما خص هذه السورة بالحذف موافقة
لقوله الله اعلم حيث يجعل رسالته وعدل الى لفظ المستقبل تنبيها على قطع الاضافة لان الاكثر باستعمال افعل هي يستعمل مع الماضي نحو اعلم من دب
ودرج واحسن من قام وقعد وافضل من حج واعتمر فلو لم يعدل الى لفظ المستقبل التبس بالاضافة تعالى الله عن ذلك وجوز بعضهم ان يكون من
للاستفهام كقوله لنعلم اى الحزبين احصى ثم قال فكلوا والفاء مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك انهم
كانوا يقولون للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون الله فما قتله الله احق ان تاكلوا مما قتلتم انتم فقال الله سبحانه للمسلمين ان كنتم محقين بالايمان فكلوا
مما ذكر اسم الله عليه وهو المذكى ببسم الله فان قيل ان القوم كانوا يبيحون ما ذبح على اسم الله تعالى ولا ينازعون فيه وانما النزاع في اكل الميتة فانهم كانوا
يبيحونها والمسلمون يحرمونها فما الحكمة في اثبات الحكم في المتفق عليه وترك الحكم في المختلف فيه فالجواب لعل القوم كانوا يحرمون اكل المذكاة و
يبيحون اكل الميتة فرد الله تعالى عليهم في الامرين بقوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه او نقول المراد اجعلوا اكلكم مقصورا على ما ذكر اسم الله عليه وعلى هذا
فيكون المراد تحريم الميتة فقط والله اعلم اما قوله وقد فصل لكم فاكثر المفسرين قالوا المراد به ما فصل في اول المائدة من قوله حرمت عليكم الميتة
الى آخر الآية واعترض عليه بان سورة الانعام مكية والمائدة من آخر ما نزل بالمدينة والآية تقتضي ان يكون المفصل مقدما على هذا المجمل بل الاولى
ان يقال المراد بقوله تعالى بعد هذه الآية قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الى آخرها فان هذا القدر من التأخر غير ضائر وقوله الا ما اضطررتم
اي دعتكم الضرورة الى اكله بسبب شدة المجاعة وان كثيرا ليضلون المبالغة في قراءة ضم الياء اكثر لان كل مضل فانه يكون ضالا وقد يكون الضال
غير مضل قيل انه عمرو بن لحي فمن دونه من المشركين لانه اول من غير دين اسمعيل واتخذ البحائر والسوائب واكل الميتة وقوله باهوائهم بغير علم
يريد ان عمرو بن لحي اقدم على هذه المذاهب من الجهالة الصرفة وقال الزجاج المراد منه الذين يحللون الميتة ويناظرون في احلالها ويحتجون
عليها بقولهم اذا ما انتم ذبحتموه فلان يحل ما يذبحه الله تعالى اولى وكذا كل ما يضلون فيه من عبادة الاوثان والطعن في نبوة محمد صلى الله عليه وآله
وفي الآية دلالة على ان النزاع في الدين بمجرد التقليد حرام ان ربك هو اعلم بالمعتدين فيجازيهم عليها وفيه تهديد عظيم ثم ذكر ما يجب
فقال وذروا ظاهر الاثم وباطنه قيل ظاهره الزنى في الحوانيت وباطنه الصديقة في السر قال الضحاك كان اهل الجاهلية يرون الزنى حلالا
ما كان سرا والاصح ان النهي عام اذ لا دليل على تخصيصه ثم قيل المراد ما اعلنتم وما اسررتم وقيل ما عملتم وما نويتم وقال ابن الانباري يريد وذروا الاثم
من جميع جهاته كما تقول ما اخذت من هذا المال قليلا ولا كثيرا اى ما اخذته بوجه من الوجوه وقريب منه قول من قال المراد النهي عن الاثم مع بيان
انه لا يخرج عن كونه اثما بسبب اخفائه وكتمانه وقيل المراد النهي عن الاقدام على الاثم ثم قال وباطنه ليظهر بذلك ان الداعي له الى ترك ذلك
الاثم خوف الله لا خوف الناس وقيل ظاهر الاثم افعال الجوارح وباطنه افعال القلوب من الكبر والحسد والعجب وارادة الشر للمسلمين ويدخل
فيه الاعتقاد والعزم والنظر والظن والتمني والندم على افعال الخيرات ومنه يعلم ان ما يوجد في القلب قد يؤاخذ به وان لم يقترن به عمل ان الذين
يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون اى يكتسبون من الآثام ومنه يعلم ان الاعتراف يمحو الاقتراف وكما قيل التوبة تمحو الحوبة وظاهر النص يدل
على انه يعاقب المذنب البتة الا ان المسلمين اجمعوا على انه اذا تاب لم يعاقب واهل السنة على انه اذا لم يتب احتمل العفو ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله
عليه نقل عن عطاء انه قال كل ما لم يذكر اسم الله عليه من طعام او شراب فهو حرام تمسكا بعموم الآية واجمع سائر الفقهاء على تخصيص هذا العموم
بالذبح ثم اختلفوا فقال مالك كل ذبح لم يذكر اسم الله تعالى عليه من طعام او شراب فهو حرام ترك الذكر عمدا او نسيانا وهو قول ابن سيرين وطائفة من المتكلمين
ابو حنيفة ان ترك عمدا حرم وان ترك نسيانا حل الشافعي متروك التسمية عمدا او سهوا حلال اذا كان الذابح مسلما لقوله تعالى وانه لفسق والضمير عائد
الى الاكل الذي دل عليه الفعل او الى الموصول على انه في نفسه فسق مثل رجل عدل او على تقدير حذف المضاف اى ان اكله لفسق وقد اجمع
المسلمون على انه لا يفسق باكل ذبيحة المسلم الذي ترك التسمية ولقوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وهذه المناظرة كانت
في مسئلة الميتة وذلك ان المشركين قالوا يا محمد اخبرنا عن الشاة من قتلها اذا ماتت قال الله قتلها قالوا فتزعم ان ما قتلت انت واصحابك حلال و
ما قتل الكلب والصقر حلال وما قتله الله حرام فانزل الله الآية فالمراد من الشياطين ههنا ابليس وجنوده وسوسوا الى اوليائهم من المشركين ليخاصموا
محمدا واصحابه في اكل الميتة وقال عكرمة وان الشياطين يعني مردة المجوس ليوحون الى اوليائهم من مشركي قريش وذلك انه لما نزل تحريم الميتة سمعه المجوس
من اهل فارس فكتبوا الى قريش وكانت بينهم مكاتبة ان محمدا واصحابه يزعمون ان ما يذبحونه حلال وان ما يذبحه الله حرام فوقع في انفس ناس من المشركين

شيء نزلت الآية ثم قال وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ يعني في استحلال الميتة إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ قال الزجاج وفيه دليل على ان كل من احل شيئا مما حرم الله تعالى او حرم
شيئا مما احل الله فهو مشرك لانه اثبت حاكما سوى الله تعالى ثم قال الشافعي الفسق في الآية الاخرى وهي قوله قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا الى قوله اَوْ فِسْقًا
أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ مفسر بما اهل به لغير الله فعلمنا ان الفسق في هذه الآية ايضا مفسر بذلك عن هذا المقام وهو التمسك بالمخصصات فلم قلتم
انه لم يوجد ذكر الله ههنا لما روى انه صلى الله عليه وآله قال ذكر الله مع المسلم سواء قال او لم يقل فيحمل هذا الذكر على ذكر القلب ونقول هب ان
هذا الدليل يوجب الحرمة الا ان معنا ما يدل على الحل واذا تعارض الحل والحرمة فالحل راجح لان الاصل في الاشياء الاباحة وللعمومات الدالة
على الحل كقوله خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا كُلُوا وَاشْرَبُوا ولانه مستطاب وقد قال أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ولان الطبع يميل اليه وقد نهى عن
اضاعة المال هذا تقرير مذهب الشافعي ومع ذلك فالاولى بالمسلم ان يحترز عنه لقوة ظاهر النص قال الكعبي في الآية دلالة على ان الايمان
اسم لجميع الطاعات لانه تعالى سمى مخالفته شركا واجيب بانه لا يجوز ان يراد بالشرك ههنا اعتقاد ان لله شريكا في الحكم التأويل وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى اي تلاوتهم
المنية وحشرنا اي ربنا اهم جميع الآيات المودعة في المكونات الا ان يشاء الله فان المشيئة تعبير السجية والعناية الازلية كفاية الابدية ولكن
اكثرهم يجهلون ان الهدى ليس بالمنى وانه بمشيئة المولى ثم اخبر ان البلاء بالمتأوين الى الله هي المطايا فقال وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا اشياطين
الانس هي النفس الامارة التي هي اعدى الاعداء وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ هديناهم بنور الكتاب الى حضرة الجلال فلا تكونن نهي التكوين في الازل
وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ كلامه وقضاؤه في الازل صدقا فيما قال وعدلا فيما حكم بالوجود والعدم والسعادة والشقاوة والرد والقبول والخير والشر
والحسن والقبح والايمان والكفر واحسن شيء خلقه هو الانسان لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ وكل شر شيء هو الانسان عند فساد استعداده
ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ فلاهل الكمال ترق في كمال الحسن الى الابد ولاهل النقصان تسفل في القبح الى الابد ايضا اظهارا للقدرة الكاملة
غير المتناهية وهو السميع لحاجة كل ذي حاجة العليم بما يستأهله كل موجود وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ وهم اهل الاهواء واقلهم اهل الحق وَإِنْ هُمْ
إِلَّا يَخْرُصُونَ في دعوى طلب الحق فان سبيل الحق لا تسلك بالهوى انما يسلك بالصدق والهدى فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ من امارات
الايمان ان يأكلوا الطعام بحكم الشرع لا على وفق الطبع ويبدءوا بذكر الله كما قال صلى الله عليه وآله اذيبوا طعامكم بذكر الله فالاكل على الغفلة
والنسيان والاستعانة به على العصيان يورث موت الجنان والحرمان عن الجنان وقد فصل لكم ما اهل الله ما حرم عليكم وهو الدنيا وما فيها والآخرة
ونعيمها إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ من ضرورات البشرية في الدارين بامر المولى لا بالطبع والهوى إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ الذين جاوزوا المولى
وركنوا الى الدنيا والعقبى وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ يعني الاعمال الطبيعية وباطنه يعني الاخلاق الذميمة الردية سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ لان
الاخلاق الظلمانية توجب صداء مرآة القلب بزيد هارينا الى ان يصير حجابا بين العبد وبين الله تعالى ولا تأكلوا طعاما الا بامر الله وعلى ذكر الله
وفي طلب الله ليندفع بنور الذكر ظلمة الطعام وشهوته وانه يعني ظلام الطعام يؤدي الى الفسق الذي هو الخروج من النور الروحاني الى الظلمة
النفسانية وان الشياطين مجال الاوهام الوسوسة اذا كانت النفوس في الجدال لتمنع القلوب ليدعوها الى متابعة الهوى الى الله حسبي أَوَمَنْ
كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ
بود مرده پس زنده گردانیدیم اورا وقرار دادیم از برای او روشنی که راه رود بآن در میان مردمان چون کسی است که در تاریکیهاست بیرون آینده از آن همچنین آراسته
لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ
از برای کافران آنچه بودند که میکردند وهمچنین قرار دادیم در هر دهی بزرگان گناهکاران تا مکر کنند در آن ومکر نمیکنند مگر بنفسهای خود
وَمَا يَشْعُرُونَ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ
ودرک نمیکنند وچون آمد ایشانرا آیتی گفتند که نگرویم تا بیاید ما را مانند آنچه داده شد پیغمبران خدا خدا داناتر است که کجا قرار دهد رسالت خود را
سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ
زود است که برسد آنها را که گناه کردند خواری در نزد خدا وعذابی سخت بآنچه بودند که مکر میکردند پس هر کرا خدا خواهد که هدایت کند او را بگشاید سینه او را
لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ
از برای اسلام وهر کرا خواهد خدا که گمراه کند او را بگرداند سینه او را تنگ گویا که ببالا میرود در آسمان همچنین میگرداند خدای لعنت بر آنانکه
لَا يُؤْمِنُونَ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ
نگروند واینست راه پروردگار تو راست بتحقیق بیان کردیم آیات را از برای گروهی که پند گیرند مر ایشانراست بهشت در نزد پروردگار ایشان واوست
وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ
کارساز ایشان بآنچه بودند که میکردند وروزی که گرد آوریم ایشانرا همه ای طائفه پریان هر آینه بیشتر شدید از آدمیان وگویند دوستان ایشان از آدمیان
رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ
پروردگارا بهره برد بعضی از ما ببعضی ورسیدیم بمدتی که قرار دادی برای ما گفت آتش جایگاه شماست جاویدان در آن مگر آنچه بخواهد خدا بدرستی که پروردگار

حکیم

حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ
داناست دانا وهمچنین بکار میگذاریم ستمکاران را بعضی بعضی بآنچه بودند که کسب میکردند ای طائفه پری وآدمی آیا نیامد شما را پیغمبران از جنس شما که حکایت کردند
عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ
برشما آیات مرا وبترسانیدند شما را از دیدن این روز گفتند که گواهی دادیم بر نفسهای خود وفریب داد ایشانرا زندگانی دنیا وگواهی دادند بر نفسهای خود که ایشان بودند کافران
القراءة ميتا بالتشديد ابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب رسالته بالنصب للتوحيد ابن كثير وحفص والمفضل الباقون رسالاته على الجمع وبالكسر في موضع
النصب ضيقا وبابه بالتخفيف ابن كثير حرجا بكسر الراء ابو جعفر ونافع وسهل وابو بكر وحماد الباقون بالفتح يصعد من الصعود ابن كثير يصاعد من التصاعد
بادغام التاء في الصاد ابو بكر وحماد الباقون يصعد بالادغام من التصعد نحشرهم بياء الغيبة حفص الآخرون بالنون الوقوف بخارج منها يعملون بها
وما يشعرون رسل الله ط رسالاته ط يمكرون للاسلام ط لابتداء شرط آخر مع العطف في السماء ط لا يؤمنون مستقيما ط يذكرون يعملون جميعا لحذف اي نحشرهم
ويقول لهم مع اتحاد المقصود من الانس ج لاول لتبدل الفاعل مع اتفاق الجملتين اجلت لنا ط قال النار ط لتغليظ الصوت على النار اشارة الى ان النار
مبتدأ بعد القول وليست فاعله شاء الله ط عليم يكسبون يومكم هذا ط كافرين التفسير انه سبحانه بعد ان ذكر ان المشركين يجادلون المؤمنين ضرب
مثلا للفريقين تبيين ان المؤمن المهتدي بمنزلة من كان ميتا فجعله الله حيا واعطاه نورا يهتدي به في مصالحه وان الكافر بمنزلة من هو في الظلمات
منغمس فيها لا خلاص له منها فيكون متحيرا على الدوام وهل هما خاصان او عامان فيه قولان الاول قال ابن عباس يريد حمزة بن عبد المطلب وابا جهل
وذلك ان ابا جهل رمى رسول الله صلى الله عليه وآله بفرث وحمزة لم يؤمن بعد فاخبر حمزة بما فعل ابو جهل وهو راجع من قنصه وبيده قوس فاقبل غضبان
حتى علا ابا جهل بالقوس وهو يتضرع اليه ويقول يا ابا يعلى اما ترى ما جاء به سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا فقال حمزة ومن اسفه منكم تعبدون
الحجارة من دون الله اشهد ان لا اله الا الله لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله فانزل الآية وعن مقاتل نزلت في النبي صلى الله عليه وآله وابي
جهل وذلك انه قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نؤمن به الا ان يأتينا وحي كما يأتيه
فنزلت وعن عكرمة انها في عمار بن ياسر وابي جهل وعن الضحاك هي في عمر بن الخطاب وابي جهل والقول الثاني انها عامة في كل مؤمن وكافر لحصول
المعنى في الكل وانما جعل الكفر موتا لانه جهل والجهل يوجب الحيرة والوقفة فهو كالموت الذي يوجب السكون وايضا الميت لا يهتدي الى شيء وكذا
الجاهل والهدى علم وبصيرة وهما يوجبان الفوز بالمطالب كالحيوة والنور قال بعض العلماء قوله أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا اشارة الى اول مراتب النفس لانها
وهي الاستعداد المحض المسماة بالعقل الهيولاني عند الحكيم وقوله فَأَحْيَيْنَاهُ اشارة الى ثانية مراتبها المسماة بالعقل بالملكة وهي ان يحصل لها العلوم
الكلية الاولية وقوله وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا اشارة الى ثالثة المراتب وهي التي قد حصلت لها المعقولات المكتسبة ولكنها لا تكون حاضرة بالفعل بل يكون
بحيث متى شاء صاحبها استرجاعها او استحضارها قدر عليه ولهذا يسمى عقلا بالفعل اي العقل القريب وقوله يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ اشارة الى رابعة
المراتب وهي النهاية المسماة بالعقل المستفاد وقد حصلت المعارف القدسية والجلايا الروحانية للنفس حاضرة بالفعل وصار جوهر الروح مشرقا بتلك
المعارف مستضيئا بها ويمكن ان يقال الحيوة عبارة عن الاستعداد القائم بجوهر الروح والنور عبارة عن اتصال نور الوحي والتنزيل فانه لابد في الابصار
من امرين سلامة الحاسة والنور الخارجي من الشمس والسراج فكذلك البصيرة لا يبطل في الادراك من سلامة حاسة العقل ومن طلوع نور الوحي فلهذا
قال جمع من المفسرين المراد بهذا النور القرآن ومنهم من قال نور الدين او نور الحكمة والاقوال متقاربة واما مثل الكافر فهو كَمَنْ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ
منها وفيه ان ظلمات الجهل والاخلاق الذميمة صارت كالصفة اللازمة له لا يكاد يزول عنه فيبقى متحيرا خائفا فزعا نعوذ بالله من هذه الحالة و
معنى المثل ههنا الصفة الغريبة اي كمن صفته هذه والمراد كمن هو في الظلمات ثم قال كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ والمزين هو الله بالتحقيق
عند الاشاعرة والشيطان بالحقيقة او الله مجازا عند المعتزلة والاضافة الى الله بالحقيقة اولى والمجاز اولى بدليل قوله وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا اي كما جعلنا في
مكة صناديدها لِيَمْكُرُوا فِيهَا كذلك جعلنا او وكما زينا للكافرين اعمالهم كذلك جعلنا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ وهي جمع الاكبر ومجرميها مضاف اليه والظرف
مفعول ثان قدم ليعود الضمير الى القرية وقيل التقدير جعلنا مجرميها اكابر قال الزجاج انما جعل المجرمين اكابر لاجل رياستهم اقدر على الغدر والمكر
وترويج الاباطيل على الناس من غيرهم ولان كثرة المال وقوة الجاه يحمل الناس على المبالغة في حفظهما وذلك لا يتم الا باستعمال بعض الاخلاق الذميمة
من المكر والغدر والكذب والغيبة والنميمة والشح والايمان الكاذبة وكفى بهذه الامور دليلا على خساسة المال والجاه واللام في ليمكروا على اصله
عند الاشاعرة واستدلوا على ان الشر بارادة الله تعالى وحمله المعتزلة على لام العاقبة مجازا كما حملوا الجعل في قوله وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا على التخلية والخذلان
ثم قال في معرض التهديد وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ لان وباله يعود عليهم وما يشعرون وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وتقدمة بوعد
بالنصرة ثم انه سبحانه حكى قول ابي جهل واضرابه زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف الى آخره وقول الوليد بن المغيرة لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك
سنا واكثر منك مالا فقال وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ اي معجزة قاهرة او وحي قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ قال الضحاك اراد كل واحد منهم
ذلك كما في الآية الاخرى بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً ويشبه ان يكون هذا الكلام الخبيث هو المراد بالمكر المذكور في الآية المتقدمة
وللمفسرين في مقترحهم قولان احدهما وهو الاشهر انهم ارادوا ان يحصل لهم النبوة والرسالة كما حصلت للنبي صلى الله عليه وآله وان يكونوا متبوعين لا تابعين و

الجزء الثامن

ومحمد ومن لاخادمين وثانيهما عن ابن عباس والحسن ان المغيرة واذا جاءتهم اية من القران يامرهم باتباع محمد صلى الله عليه واله قالوا لن نؤمن
حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى قوله حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه من الله تعالى الى ابي جهل وفلان وفلان فالقوم ما طلبوا النبوة وانما طلبوا
ايات قاهرة ومعجزات ظاهرة مثل معجزات الانبياء المتقدمين يدل على صحة نبوة محمد ص فقوله سبحانه في جوابهم على سبيل الاستيناف الله
اعلم حيث يجعل رسالته على القول الاول ظاهر واما على القول الثاني فوجهان القوم اذا اقترحوا تلك الايات فلو اظهر الله تعالى تلك المعجزات
على وفق التماسهم لكانوا قد قربوا من منصب الرسالة قال بعض العقلاء الارواح متساوية في تمام الماهية فحصول النبوة والرسالة لبعضها دون
بعض تشريف من الله تعالى واحسان وتفضل وقال اخرون بل النفوس مختلفة بجواهرها وماهياتها فبعضها خيرة طاهرة عن علائق الجسمانيات مشرقة
بالانوار الالهية مستعلية مؤثرة وبعضها خبيثة كدرة محبة للجسمانيات فالنفس ما لم تكن من القسم الاول لم تصلح لقبول الوحي والرسالة ومراتب
الرسل مختلفة فمنهم ذو معجزة واحدة وذو معجزتين او اكثر ومنهم من له تبع قليل ومنهم من امن به جم غفير ومنهم من كان الرفق غالبا عليه ومنهم من كان
مدار امره على التغليظ والتشديد وفي الاية تعريض بان حصول النبوة والرسالة لا بد فيه من قلب سليم والمقترحون فيهم من المكر والحسد فيهم فكيف
يعقل حصول الرسالة لهم وانما يحصل لهم ما يناسب اخلاقهم واحوالهم ولهذا قال تعالى سيصيب الذين اجرموا صغار ذل وهوان عند الله اي
في الاخرة او في الدنيا بحكم الله وايجابه من الاسر والقتل والمراد من عند الله حذف وقوله عند الله مستانف اي معد لهم ذلك واعلم ان كمال
العقاب لا بد فيه من امرين الضرر والاهانة ثم ان القوم لما تمردوا عن طاعة محمد صلى الله عليه واله طلبا للعز والكرامة فالله تعالى بين انه يقابلهم بضد
مقصودهم فاول ما يوصل اليهم الذل والهوان وبعده عذاب شديد بجميع ذلك بسبب مكرهم ونكرهم فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام
يقال شرح فلان امره اذا اظهره واوضحه ومنه شرح المسئلة اذا بينها وقال الليث شرح الله صدره فانشرح اي وسعه لقبول ذلك الامر ولا شك ان
توسيع الصدر غير ممكن على سبيل الحقيقة ولكن ههنا معنا وهو انه اذا اعتقد الانسان في عمل من الاعمال ان نفعه زايد وخيره راجح مال الطبع اليه
وقوي طلبه ورغبته في حصوله وظهر في القلب استعداد شديد لتحصيله فسميت هذه الحالة سعة الصدر وان حصل في القلب علم او اعتقاد او ظن
يكون ذلك العمل مشتملا على ضرر زايد ومفسدة راجحة دعاه ذلك الى تركه وحصل في النفس نبوة عن قبوله فيقال لهذه الحال ضيق الصدر لان المكان
اذا كان ضيقا لم يتمكن الداخل من الدخول فيه واذا كان واسعا قدر على الدخول فيه واكثر استعمال شرح الصدر في جانب الحق والاسلام وقد ورد في
الكفر ايضا قال تعالى ولكن من شرح بالكفر صدرا قال المفسرون لما نزلت هذه الاية سئل رسول الله ص فقيل كيف يشرح الله صدره فقال صلى الله
عليه واله يقذف الله تعالى فيه نورا حتى ينفسح وينشرح فقيل له وهل لذلك من امارة يعرف بها فقال ص الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار
الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله وهذا البيان مناسب لما ذكرنا فان الانابة الى دار الخلود لا بد ان يترتب على اعتقاد ان عمل الاخرة والخير زايد
النفع والتجافي عن دار الغرور انما ينبعث عن اعتقاد كون عمل الدنيا زايد الضرر والضير والاستعداد للموت قبل نزوله نتيجة مجموع الامرين الزهد
في الدنيا والرغبة في الاخرة اما قوله حرجا فمن قرا بكسر الراء فعلى النعت ومن قرا بالفتح فعلى الوصف بالمصدر للمبالغة قال الزجاج الحرج في
اللغة اضيق الضيق وقيل الحرج بالفتح جمع حرجة وهو الموضع الكثير الاشجار الذي لا يناله الراعية حكى الواحدي باسناده عن ابن عباس انه قرا
هذه الاية وقال هل ههنا احد من بني بكر قال رجل نعم قال ما الحرجة فيكم قال الوادي الكثير الاشجار المستمسك الذي لا طريق فيه فقال
كذلك قلب الكافر ومعنى يصعد في السماء كانما يزاول امرا غير ممكن لان صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد عن الاستطاعة فكان الكافر في
نفوره من الاسلام وثقله عليه بمنزلة من يتكلف الصعود الى السماء وقيل المراد ان قلبه يتباعد عن الاسلام وقبوله تباعد ما بين الارض والسماء كذلك
يجعل اي كما جعل ضيق الصدر في قلوبهم كذلك يجعل الرجس عليهم وقال الزجاج اي مثل ما قصصنا عليك يجعل الله الرجس عن ابن عباس هو الشيطان
سلطه الله عليهم وقال مجاهد الرجس ما لا خير فيه وعن عطاء الرجس هو العذاب قال الزجاج هو اللعنة في الدنيا والعذاب في الاخرة قالت الاشاعرة
في الاية دلالة على ان الهداية والضلال من الله تعالى بيانه ان العبد قادر على الايمان وعلى الكفر وقدرته بالنسبة الى الامرين سواء ولا يترجح
الا لداعية ولا معنى للداعية الا علمه او اعتقاده او ظنه بكون ذلك الفعل مشتملا على مصلحة زايدة ومجموع القدرة مع الداعي يوجب الفعل ولا
بد ان ينتهي تلك الداعية الى تخليق الله وتكوينه دفعا للتسلسل فاذا خلق الله تعالى في قلبه اعتقاد ان الايمان راجح المنفعة وهو المراد بشرح
الصدر مال القلب اليه واذا خلق في قلبه اعتقادات الايمان مجلبة للمفسدة الدينية والدنيوية نفر الطبع عنه وبقي على الكفر فحاصل الاية
ان من اراد الله منه الايمان قوى دواعيه اليه ومن اراد منه الكفر قوى صوارفه عن الايمان وقالت المعتزلة انه لا دلالة في الاية على قولكم لانه ليس
فيها اكثر من انه اذا اراد ان يهدي انسانا او يضله فعل به كيت وكيت وليس فيها انه اراد ذلك او لم يرد نظيره قوله لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا
فبين انه كيف يفعل اللهو لو اراده ثم انه لم يرد ذلك بالاتفاق وايضا لم قلتم انه اراد ومن يرد ان يضله على الايمان بل المراد من يرد الله ان يهديه
يوم القيامة الى طريق الجنة يشرح صدره للاسلام حتى يثبت عليه وتفسير الشرح هو انه يفعل به الطافا يدعوه الى البقاء على الايمان والثبات
عليه ومن يرد ان يضله عن طريق الجنة فعند ذلك يلقي في صدره الضيق والحرج لا في كل الاوقات بل في بعضها كيلا يمكن دفعه وخصوصا
عند ظهور نصرة المؤمنين وبدو الذل والصغار في الكافرين وايضا لا يجوز ان يبقى المعنى فمن يرد الله ان يهديه الى الجنة يشرح صدره للاسلام

فى ذلك

في ذلك الوقت الذي يهديه فيه الى الجنة لما راى من فوائد الايمان ونتايجه من الدرجات العالية والمراتب الشريفة فيزداد رغبته فيه ومن يرد ان يضله
يوم القيمة عن طريق الجنة ففي ذلك الوقت يضيق صدره للحزن الشديد الذي ناله عند الحرمان من الجنة والدخول في النار وقال في الكشاف فمن
يرد الله ان يهديه ان يلطف به ولا يريد ان يلطف الا بمن له لطف يشرح صدره للاسلام ويسكن اليه نفسه ويحب الدخول فيه ومن يرد ان يضله اي
يخذله ويخليه وشانه وهو الذي لا لطف له يجعل صدره ضيقا حرجا يمنعه الطاف حتى يقسو قلبه وينبو عن قبول الحق وينسد فلا يدخله الايمان
واجيب عن قولهم ليس في الاية انه اراد ذلك ولم يرد بان قوله في اخر الاية كذلك يجعل الله الرجس تصريح بانه فعل به ذلك الاضلال لان الكاف للتشبيه
والتقدير كما جعلنا ذلك الضيق والحرج في صدره كذلك يجعل فيه ايضا دلالة على ان المراد من قوله ومن يرد ان يضله عن الدين وتفسير الضيق والحرج
باستيلاء الغم والحزن على قلب الكافر بعيد لان اكثر من يعتريه الحزن في الدنيا هو المؤمن ولهذا قال صلى الله عليه واله خص البلاء بالانبياء ثم الاولياء
ثم الامثل فالامثل ولو خص ذلك بالاخرة كان من ايضاح الواضحات لان المعلوم لكل احد ان من يضله الله عن طريق الجنة فانه يضيق قلبه في ذلك الوقت
والجواب على قول صاحب الكشاف ما مر من ان فعل الايمان يتوقف على ان تحصل في القلب داعية جازمة الى الايمان وفاعل تلك الداعية هو الله تعالى
وكذا القول في جانب الكفر فان سمى الداعية احد باللطف والخذلان فلا مشاحة في الاسامي قال القاضي في تفسيره روي عن محمد بن كعب القرظي انه
قال تذاكرنا امر القدرية عند ابن عمر فقال لعنت القدرية على لسان سبعين نبيا فاذا كان يوم القيمة نادى مناد وقد جمع الناس بحيث يسمع الكل اين
خصماء الله فيقوم القدرية قال ولا يخفى ان الذين ينسبون افعال العباد الى الله قضاء وقدرا وخلقا لانهم يقولون الذنب لله فاي ذنب لنا حتى تعاقبنا
انت الذي خلقته فينا واردته منا وقضيته علينا وانت خلقتنا الا له ولا يسرت لنا غيره فهؤلاء لا بد ان يكونوا خصماء الله اما الذين قالوا ان الله تعالى
مكن وازاح العلة وانما اتى العبد من قبل نفسه فكلامه موافق لما يعامل به من نزول العقوبة فهؤلاء منقادون لله تعالى لا خصماء هذا كلام القاضي و
تعجب منه الاشاعرة فقالوا كيف يكون خصم الله من يقول ليس للعبد على الله حجة ولا استحقاق بوجه من الوجوه وان كل ما يفعله الرب في العبد فهو
حكمة وصواب ليس للعبد على ربه اعتراض ولا مناظرة وكل ما يصل منه الى عباده حتى الملائكة والانبياء فهو تفضل منه واحسان لكن الخصم من يدعي
عليه وجوب الثواب والعوض ويقول لو لم تعطني ذلك لخرجت عن الالهية وصرت معزولا عن الربوبية وكنت من السفهاء وان من واظب على الكفر
سبعين سنة ثم انه في اخر رمق حيوته قال لا اله الا الله محمد رسول الله عن القلب ثم مات فان رب العالمين اعطاه النعم الفايقة سنين غير محصورة
ثم انه لو ترك ذلك لحظة واحدة قال العبد له انك معزول عن الالهية يحكى ان الشيخ ابا الحسن الاشعري لما فارق مجلس استاده ابي علي الجبائي وترك
مذهبه كثر اعتراضه عن اقاويله عظمت الوحشة بينهما فاتفق ان ابا علي عقد مجلس التذكير وحضر عنده جم غفير فذهب الشيخ ابو الحسن الى ذلك المجلس
مختفيا عن الجبائي وقال لبعض من حضر هناك من العجائز اني اعلمك مسئلة فاذكرها لهذا الشيخ قولي له كان لي ثلاثة من البنين واحد في غاية
الزهد والاخر في غاية الفسق والثالث كان صبيا لم يبلغ فماتوا على هذه الصفات فاخبرني ايها الشيخ عن احوالهم فقال الجبائي اما الزاهد ففي درجات
الجنة واما الكافر ففي دركات النار واما الصبي فمن اهل السلامة فقال قولي له ان الصبي لو اراد ان يذهب الى تلك الدرجات العالية التي حصل
فيها اخوه الزاهد فهل يمكن منه قال الجبائي لا لان الله تعالى يقول له انما اخوك وصل الى تلك الدرجات لانه اتعب نفسه في العلم والعمل وانت فليس
معك ذلك فقال ابو الحسن قولي له لو ان الصبي يقول يا رب العالمين ليس الذنب لي لانك امتني قبل بلوغي ولو ابلغتني فربما زدت على اخي الزاهد في
الزهد فقال الجبائي يقول الله تعالى له علمت انك لو عشت لطغيت وكفرت وكنت تستوجب النار فراعيت مصلحتك فقال لها ابو الحسن قولي له لو ان
الاخ الكافر الفاسق رفع راسه من الدرك الاسفل من النار وقال يا رب العالمين ويا احكم الحاكمين ويا ارحم الراحمين لم راعيت حال الاخ الصغير
وما راعيت حالي ومصلحتي قال الراوي فانقطع الجبائي فنظر فراى ابا الحسن فعلم ان المسئلة منه لا من العجوز ثم ان ابا الحسن البصري جاء بعده وارد اكثر مجيبا
عن الجبائي فان الحق لا نرضى بهذا الجواب انما نقول الجواب مبني على مسئلة اختلف شيوخنا فيها وهي انه هل يجب على الله تعالى ان يكلف العبد ام لا
فقال البصريون انه غير واجب لكنه تفضل واحسان وقال البغداديون انه واجب على الاول لله تعالى ان يقول لذلك الصبي اني طولت عمر الاخ الزاهد
وكلفته على سبيل التفضل ولم يلزم من كوني متفضلا على احد بشيء ان اتفضل على غيره بمثله وعلى قول البغداديين فلله ان يقول ان اطالة عمر
اخيك وتوجيه التكليف في حقه لم يستلزم مفسدة الغير فلا جرم فعلته اما اطالة عمرك وتوجيه التكليف عليك فكان يلزم منه عود مفسدة الى غيرك
فلهذا ما فعلته فظهر الفرق واورد على القسم الاول انه تعالى لما اوصل التفضل الى احدهما فالامتناع من ايصاله الى الثاني قبيح منه عقلا لانه
ليس فعلا شاقا عليه ولا ينقص به لك شيء من ملكه والصبي محتاج الى الاحسان اليه ومثل هذا الامتناع قبيح في الشاهد كمن منع غيره من النظر
في مرآته المنصوبة على الجدار لعامة الناس فان كان حكم العقل في التحسين والتقبيح مقبولا فليكن ههنا ايضا مقبولا والا فلا يقبل في شيء من الصور و
يبطل كلية مذهبكم واورد على الشق الثاني ان قولنا تكليفه يتضمن المفسدة والا لم ينفك تكليف عن المفسدة وانه باطل بالاتفاق فمعناه انه
تعالى علم انه اذا كلف هذا الشخص فان انسانا اخر يختار من قبل نفسه فعلا قبيحا فان اقتضى هذا القدر ان يترك الله تعالى تكليفه وجب ان يقبح تكليف
كل من علم الله من حاله انه يكفر والا لزم محض التحكم هذا تمام مناظرة الفريقين ولعلك قد عرفت التحقيق هنا فيما سلف فتذكر ثم قال وهذا صراط
ربك في المشار اليه وجوه منها ان المذكور في الاية المتقدمة اما على مذهب الاشاعرة وهو ان الفعل يتوقف على الداعي وحصول تلك الداعية

يلطف

في ا

هو انه د

مفسدة لغير معنا ان ذات التكليف يتضمن

من الله تعالى فيكون الفعل من الله ويلزم استناد الكل الى قضائه وقدره واما على مذهب المعتزلة والمراد هذا الذي قررنا طريقته التى اقتضتها الحكمة
وعادته ان جارية في عباده من التوفيق والخذلان ومعنى مستقيما عادلا مطردا وانتصابه على الحال المؤكدة والعامل ما فى اسم الاشارة من معنى الفعل او
هو محذوف وفى احقه وعن ابن عباس يريد هذا الذى انت عليه يا محمد دين ربك وقال ابن مسعود يعنى القرآن قد فصلنا الآيات ذكرناها فصلا
فصلا بحيث لا يختلط واحد منها بالآخر قال فى التفسير الكبير قد بين الله تعالى صحة القول بالقضاء والقدر فى آيات من هذه السورة متوالية متعاقبة
بطرق كثيرة ووجوه مختلفة وختم الآية بقوله لقوم يذكرون لانه تقرر فى عقل كل واحد ان احد طرفى الممكن لا يترجح عن الآخر الا لمرجح فكانه يقول للمعتزلى تذكر
ما تقرر فى عقلك ان الممكن لا يترجح احد طرفيه الا لمرجح حتى تزول الشبهة عن قلبك فان حصول الفعل عن القادر لو لم يتوقف على الداعى مع تساوى طرفيه
وجب ان يحصل هذا الاستغناء فى كل الممكنات والمحدثات وح يلزم نفى الصانع وابطال القول والفعل والفاعل والتأثير والمؤثر ثم لما بين عظم
نعمته فى الصراط المستقيم بين ما اعد وهيأ للمتذكرين فقال لهم دار السلام اى دار الله يعنى الجنة والاضافة للتشريف والتعظيم كما قيل الكعبة بيت الله
او دار السلامة من كل آفة وكرب السلام والسلامة مثل الضلال والضلالة والرضاع والرضاعة كلاهما مصدر وقيل السلام جمع السلامة لان انواع السلامة
حاصلة فى الجنة ومعنى عند ربهم انها معدة عنده فى ضمانه كما تقول لفلان عندك حق لا ينسى وذلك نهاية فى بيان وصولهم اليها وكونهم على ثقة من حصولها
وهو وليهم اى قريب منهم بالرحمة والرضوان او مواليهم ومحبهم او ناصرهم على اعدائهم وذلك ان القوم قد عرفوا ان المدبر والمقدر ليس الا
هو جل جلاله وان النافع والضار ليس الا هو سبحانه فانقطعوا عن كل ما سواه فما كان رجوعهم الا اليه وما كان توكلهم الا عليه ولم يكن انسهم الا
به فلما صاروا بالكلية له لا جرم قال سبحانه وهو وليهم على انه متكفل لجميع مصالحهم دينا ودنيا ثم قال بما كانوا يعملون اى بسبب اعمالهم او متوليهم
جزاء بما كانوا يعملون لئلا ينقطع العمل ولا يتكلموا وذلك ان بين النفس والبدن تعلقا شديدا وكان الهيئات النفسانية قد تؤثر فى البدن كحمرة
الخجل وصفرة الوجل فالهيئات البدنية قد تصعد من البدن الى النفس فاذا واظب الانسان على اعمال الخير ظهرت الآثار المناسبة لها فى جوهر النفس
فلا بد للسالك من العمل بعد كمال العلم والمعرفة ثم لما بين حال من تمسك بالصراط المستقيم اردفه بذكر من تعلق بضده فقال ويوم يحشرهم
والمراد واذكر يوم كذا او يوم يحشرهم قلنا او متعلقه محذوف التقدير ويوم يحشرهم وقلنا يا معشر الجن كان ما لا يوصف لفظاعته والضمير اما
ان يعود الى الشياطين الذين تقدم ذكرهم فى قوله شياطين الانس والجن او يعود الى جميع المكلفين الذين علموا ان الله تعالى يبعثهم من الثقلين و
غيرهم ويكون القائل على تقدير حذف القول هو الله تعالى كما انه الحاشر لجميعهم وهذا القول منه تعالى بعد الحشر لا يكون الا للتبكيت وانهم وان تمردوا
فى الدنيا انتهى حالهم فى الآخرة الى الاستسلام والانقياد والاعتراف وقال الزجاج التقدير فيقال لهم يا معشر الجن لانه يبعد ان يتكلم الله تعالى
بنفسه مع الكفار لقوله ولا يكلمهم الله قد استكثرتم من الانس لا بد فيه من اضمار لان الجن اى الشياطين لا يقدرون على الاستكثار من نفس
الانس فالمراد قد استكثرتم من اضلال الانس واستتباعهم بحشر معكم منهم الجم الغفير كما تقول استكثر الامير من الجنود واما قوله وقال اولياؤهم من الانس
فالاقرب عند بعضهم ان فيه حذفا كانه قال للجن تبكيتا ناسب ان يقول للانس ايضا مثل ذلك توبيخا لانه حصل من الجن الدعاء ومن الانس القبول و
لما بكت الله كلا الفريقين حكى جواب الانس وهو قوله ربنا استمتع بعضنا ببعض وفيه قولان الاول ان المراد استمتاع الجن بالانس والانس بالجن
وعلى هذا ففى الاستمتاع وجهان احدهما ان الرجل كان اذا سافر فامسى بارض منفردا وخاف على نفسه قال اعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه
فيبيت امنا فى نفسه فهذا استمتاع الانس بالجن واما استمتاع الجن بالانس فهو ان الانسى اذا عاذ بالجنى كان ذلك تعظيما منهم للجن وذلك الجن يقول
قد سدت الجن والانس لان الانسى قد اعترف له بانه يقدر ان يدفع عنه وهذا قول الحسن وعكرمة والكلبى وابن جريج وبعضده قوله سبحانه وانه
كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن والثانى الوجهين ان الانس كانوا ينقادون للجن ويطيعون حكمهم فصار الجن كالرؤساء والانس كالاتباع فانتفعوا
بالانس انتفاع الرئيس بالخادم واما انتفاع الانس بالجن فهو ان دلوهم على الشهوات واللذات الى ان بلغوا هذا المبلغ الذى انتهوا اليه وهذا اختيار
الزجاج القول الثانى ان البعضين كليهما من الانس لان استمتاع الجن بالانس وبالعكس امر قليل نادر وبلغنا اجلنا الذى اجلت لنا اى وقت الاستمتاع
كان حاصلا الى وقت محدود ثم جاءت الحسرة والندامة من حيث لا ينفع وما ذلك الاجل قيل هو وقت الموت وعلى هذا فكل من مات من مقتول وغيره فانه
يموت باجله لانهم اقروا بانهم بلغوا اجلهم وفيهم المقتول وغير المقتول وقيل هو وقت التخلية والتمكين وقيل وقت المحاسبة فى القيمة قال الله تعالى
فى جوابهم النار مثويكم مقامكم ومقركم من ثوى بالمكان ثويا وثواء اذا اقام به قال ابو على الفارسى المثوى اسم للمصدر دون المكان لان قوله تعالى
خالدين فيها حال واسم الموضع لا يعمل عمل الفعل فالمعنى النار اهل ان يقيموا فيها خالدين الا ما شاء الله قيل المراد منه اوقات المحاسبة ووقت كونهم
فى المحشر كانه قيل خالدين فيها منذ يبعثون الا ما شاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدتهم فى محاسبتهم وقال ابن عباس استثنى الله
قوما سبق فى علمه انهم يسلمون ويصدقون النبى صلى الله عليه وآله وعلى هذا يلزم ان يكون ما بمعنى من فيخلل آخر وهو ان الاستثناء انما هو من يوم القيمة
الذين يحشرون فيه وقيل المراد الاوقات التى ينقلون فيها من عذاب النار الى عذاب الزمهرير فقد روى انهم يدخلون واديا فيه برد شديد فهم
يطلبون الرد من ذلك البرد الشديد الى حر الجحيم وقال فى الكشاف ويكون هذا من قول الموتور الذى ظفر بواتره ولم يزل يحرق عليه انيابه وقد
طلب اليه ان ينفس عن خناقه اهلكنى الله ان نفست عنك الا اذا شئت فيكون قوله الا اذا شئت فيكون قوله الا اذا شئت من اشد الوعيد مع

الانعام

الحكم لانه اطماع محض وياس كلى وقال ابو مسلم هذا الاستثناء غير راجع الى الخلود وانما هو راجع الى الاجل المؤجل لهم كانهم قالوا وبلغنا اجلنا الذى سميته
لنا الا من اهلكته قبل الاجل المسمى يعنى الاجال الاخترامية ان ربك حكيم فيما يفعله من ثواب وعقاب وسائر وجوه المجازاة عليم بما يستاهله كل طائفة فكانه
تعالى يقول حكمت لهم بعذاب الابد لعلمى انهم يستحقون ذلك ثم لما حكى عن الجن ان بعضهم بين ان ذلك انما حصل بتقديره وقضائه فقال وكذلك نولى
بعض الظالمين بعضا وذلك ان القدرة صالحة للعداوة والصداقة فترجح احد الجانبين لا يكون الا بداعية خلقها الله تعالى قطعا للتسلسل وايضا لما بين انه
سبحانه ولى اهل الجنة بقوله وهو وليهم ذكر ان اولياء اهل النار من يشبههم فى الظلم والخزى والنكال واشار اليه بقوله بما كانوا يكسبون اى بسبب كون ذلك البعض
مكتسبا للظلم وهذا مناسبة فى غاية اللطف لان الجنسية علة الضم فالطيبات للطيبين والخبيثات للخبيثين وفى الآية دلالة على ان الرعية متى كانوا
ظلمة فان الله تعالى يسلط عليهم ظالما مثلهم فان ارادوا الخلاص منه فليتركوا الظلم وعن مالك بن دينار قال جاء فى بعض الكتب السماوية انا الله مالك الملوك
قلوب الملوك بيدى فمن اطاعنى جعلتهم عليهم رحمة ومن عصانى جعلتهم عليهم نقمة لا تشغلوا انفسكم بسب الملوك لكن توبوا الى اعطفهم عليكم ثم بين ان
كفار الثقلين لا يكون لهم الى الجحود يوم القيمة سبيل وانهم لا يعذبون الا بالحجة فقال يا معشر الجن والانس قال اهل اللغة المعشر كل جماعة امرهم
واحد الم يأتكم رسل منكم استفهام على سبيل التقرير فلا جرم استدل الضحاك بالآية بقوله وان من امة الا خلا فيها نذير على ان من الجن رسلا كالانس
ولان استيناس الجنس بالجنس اكمل ولهذا قال سبحانه ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا والاكثرون على انه ما كان من الجن رسول البتة انما كانت الرسل من بنى
ادم وزعموا ان ذلك مجمع عليه ورد بانه كيف ينعقد الاجماع مع حصول الاختلاف واستدل بعضهم بقوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم
وآل عمران على العالمين والمراد بالاصطفاء ههنا النبوة بالاجماع واجيب عن قول الضحاك بان الآية تقتضى ان رسل الجن والانس بعضا يكون من بعض
هذا المجموع فكان هذا القدر كافيا فى حمل اللفظ على ظاهره فلا يلزم اثبات رسول من الجن وايضا لا يبعد ان يقال ان الرسل كانوا من الانس ثم كان
من الجن نفر يستمعون من رسول الانس وينذرون قومهم بذلك قال واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الآية وقد يسمى رسول الرسول رسولا كما انه تعالى
سمى رسل عيسى رسل نفسه فقال اذ ارسلنا اليهم اثنين ثم انه سبحانه يكون قد بكت كفار الثقلين بهذه الآية لانه ازال العذر وازاح العلة بسبب
ارسال الرسل او رسل الرسل اليهم فاذا وصلت البشارة والنذارة الى الكل بهذا الطريق فقد حصل المقصود قال الواحدى اراد رسل من احدكم وهو
الانس كقوله يخرج منهما اللؤلؤ اى احدهما وهو الملح الذى ليس بعذب وعن الكلبى كانت الرسل قبل ان يبعث محمد يبعثون الى الانس ورسول الله صلى الله عليه و
آله بعث الى الجن والانس اما قوله يقصون عليكم آياتى فالمراد منه التنبيه على الادلة بالتأويل وبالتلاوة وينذرونكم لقاء يومكم هذا يخوفونكم عذاب
هذا اليوم فلم يجدوا بدا من الاعتراف فلذلك قالوا شهدنا على انفسنا والسبب فى انهم اقروا فى هذه الآية وجحدوا فى قوله والله ربنا ما كنا مشركين
هو انهم مختلفو الاحوال فى يوم القيمة مضطربون فتارة يقرون واخرى يجحدون ومنهم من حمل هذه الشهادة على شهادة الجوارح عليهم ثم اخبر الله تعالى
عن حالهم فى الدنيا بقوله وغرتهم الحيوة الدنيا وعن حالهم فى الآخرة بقوله وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين والمقصود من شرح احوالهم فى
القيمة زجر امثالهم فى الدنيا عن الكفر والمعصية وقد يستدل بالآية على ان لا وجوب قبل ورود الشرع والا لم يكن لهذا التوبيخ والتبكيت فائدة
التأويل او من كان ميتا فى حالة العدم فاحييناه بالحيوة الحقيقية اى بالحى الذى لا يموت وجعلنا له نورا الوجود الحقيقى الذى يمشى به فى الناس
وبه يسمع وبه يبصر كمن هو محبوس فى ظلمات الطبيعة وكذلك جعلنا فى كل قرية اى كل قالب اكابر مجرميها من النفس والهوى والشيطان ليمكروا
فيها بمخالفات الشرع وموافقات الطبع ما اوتى رسل الله من القلب السر والروح يشرح صدره اى ينظر الى قلبه بنظر العناية فيصير منورا بنور جماله
وهو نور الايمان فيشرح الصدر بضوء النور الواقع فى القلب هذا الضوء هو المسمى بنور الاسلام وهذا النور يقبل الزيادة والاشتداد الى ان يصير
الايمان ايقانا والايقان عيانا والعيان عينا ضيقا لتزاحم ظلمات صفات البشرية حرجا لتعلقاته بالدنيا وشهواتها كانما يصعد فى السماء لانه
سفلى بالطبع لا يصعد الا بالتصعيد والقسر وهذا الذى بيناه من الهداية والضلال صراط ربك باللطف والقهر فيجذبات اللطف يهدى السعيد
وبسطوات القهر يضل الشقى لهم دار السلام اى السلامة عن القطيعة فى مقام العندية بالوصول الى الوحدة بعد الخروج عن ظلمات الاثنينية ويوم
نحشرهم فى موقف القالب البشرى بالحكمة البالغة والقدرة الكاملة يا معشر الجن اى الصفات الشيطانية قد استكثرتم من الانس اى غلبتم على
الصفات الانسانية وقال اولياؤهم من الانس يعنى النفس الامارة ربنا استمتع بعضنا ببعض واستمتاع النفس الامارة بالشيطان هو ان يستعين
بصفات مكره على تحصيل شهواتها ولذاتها العاجلة وحظوظها واستمتاع الشيطان بالانس هو ان يستعين به على اضلال الخلق واغوائهم كما استعان
بحواء على اغواء آدم وبلغنا اجلنا الذى اجلت لنا يعنى ان مدة الاستمتاع وما جرى بيننا انما كان بمقتضى قضائك وقدرك فاجابهم بان التوبيخ النار
بقضاء الله الا ان يشاء الله فيتوب عليهم ان ربك حكيم فى تقدير الاستمتاع عليم باهل الجنة وباهل النار وكذلك اى كما جعلنا امرة الجن والانس بعضهم اولياء بعض كذلك
نجعل بعض الظالمين اولياء بعض بما كانوا يكسبون من افساد الاستعداد الفطرى الم يأتكم رسل منكم يعنى الالهامات الربانية وشهدوا على انفسهم اقروا عند
الحرمان عن السعادة العظمى انهم بدلوا انهم كانوا اصلا مرآت قلوبهم وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى وما التوفيق الا من الله
ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون وربك
اين از انجهة است كه نبوده است پروردگار تو هلاك كننده ديهها بستم كه اهل آن بيخبر باشند و مر هر يك را درجاتست از انچه كرده بودند و نيست پروردگار تو بيخبر از انچه ميكنند و پروردگار تو

بتولى بعضاهم

على المطلوب

الغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ

بى نياز صاحب مهربانى است اگر بخواهد ببرد شما را و جانشين سازد پس از شما آنچه را كه خواهد چنانچه آفريد شما را از فرزندان گروهى ديگران هر آينه آنچه وعده كرده شده ايد آينده است

وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ

و نيستيد شما عاجز كنندگان بگو اى قوم من كار كنيد بر خوى خويش بدرستى كه من كار كنم پس زود باشد كه بدانيد كيست كه مر او راست عاقبت سراى بدرستى كه

لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ

رستگار نشوند ستمكاران و قرار دادند براى خدا از آنچه پيدا كرد از كشت و چهارپايان بهره پس گفتند كه اين مر خداى راست بگمان ايشان و اين مر انبازان خداى ماراست پس آنچه باشد

لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ

مر شريكان ايشان را پس نمى رسد بسوى خدا و آنچه باشد از براى خدا پس مى رسد بشريكان ايشان بد است آنچه حكم ميكنند و همچنين جلوه داد از براى بسيارى از

الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ

مشركان كشتن فرزندان ايشان را انبازان ايشان تا هلاك كردانند ايشان را و تا بپوشانند بر ايشان دين ايشان را و اگر ميخواست خدا نميكردند اين را پس واگذار ايشان را و آنچه دروغ مى بندند

وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ

و گفتند كه اين حيوانات و كشت ممنوعند كه نخورد آنها را مگر آنكه ميخواهيم بگمان ايشان و حيواناتى اند كه حرام است پشتهاى آن و حيواناتى كه ياد نكنند

اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ

نام خدا را بر آن از روى دروغ بر او زود است كه پاداش دهد ايشان را بآنچه بودند كه دروغ ميگفتند و گفتند كه آنچه در شكمهاى اين حيوانات است مخصوص است

لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ قَدْ خَسِرَ

از براى مردان ما و حرام است بر زنهاى ما و اگر بچه باشد مرده پس ايشان در آن انبازانند زود است كه پاداش دهد ايشان را وصف ايشان بدرستى كه او درست كار داناست بتحقيق زيان كردند

الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ

آنان كه كشتند فرزندان خود را از بيخردى و بى دانشى و حرام كردند آنچه را كه روزى كرد ايشان را خدا از روى دروغ بخدا هر آينه گمراه شدند و نباشند راه يافتگان

القراءة عما تعملون بتاء الخطاب ابن عامر مكاناتكم بالجمع حيث كان ابو بكر وحماد الباقون مكانتكم على التوحيد من يكون بالياء التحتانية حمزة وعلى وخلف الباقون بتاء التانيث بزعمهم بضم الزاء علي وكذلك ما بعده الباقون بالفتح زين على البناء للمفعول قتل بالرفع اولادهم بالنصب شركائهم بالجر ابن عامر الاخرون زين على البناء للفاعل قتل بالنصب اولادهم بالجر شركاؤهم بالرفع وان تكن بتاء التانيث ابن عامر و يزيد وابو بكر وحماد ميتة بالرفع ابن كثير وابن عامر و يزيد وقرا يزيد ميتة بالتشديد ابن كثير وابن عامر الباقون بالتخفيف الوقوف غافلون مما عملوا يعملون ذو الرحمة آخرين لآت لان الواو بعده للحال بمعجزين عامل لابتداء التهديد مع فاء التعقيب تعلمون لان ما بعده مفعول سواء كان من استفهامية او موصولة عاقبة الدار الظالمون لشركائنا للشرط مع الفاء الى الله للفصل بين المتضادين معنى مع الاتفاق ظاهرا شركائهم يحكمون دينهم يفترون افتراء عليه يفترون ازواجنا للشرط مع العطف شركاء وصفهم عليم على الله مهتدين التفسير ذلك اشارة الى ما تقدم من بعثة الرسل اليهم وانذارهم سوء العاقبة وهو خبر مبتدأ محذوف اى الامر ذلك ويحتمل ان يكون مبتدأ خبره ان لم يكن وهو للتعليل والمعنى الامر ما قصصنا عليك او ذلك الذى ذكر لانتفاء كون ربك مهلك القرى وان هى الناصبة للافعال او مخففة من الثقيلة وعلى هذا يكون ضمير الشان والحديث كذا ويجوز ان يكون ان لم يكن بدلا من ذلك كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع ومعنى قوله بظلم اى بسبب ظلم اقدموا عليه وهذا اليق باصول الاشاعرة او المراد ظلما لكم فيكون من فعل الله وهذا انسب باصول المعتزلة ومعناه انه تعالى اهلكهم قبل بعثة الرسل لم ينبههوا برسول ولا كتاب كان ظالما وعلى هذا التفسير يمكن للاشاعرة ان يقولوا انه لو فعل ذلك لم يكن هو الظلم فاطلق الظلم على نفسه مجازا ولانه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا اعتراض عليه لاحد فى شىء من افعاله واما قوله واهلها غافلون فليس المراد ان هذه الغفلة ان يتغافل المرء عما يوعظ وانما معناه انه لا يبين لهم كيفية الحال وان لا يزيل عذرهم وعللهم قالت الاشاعرة فى الاية دلالة على انه لا يحصل الوجوب قبل الشرع وان الفعل المحض لا يدل على الوجوب البتة لانها تدل على انه تعالى ما يعذب احدا على امر من الامور قبل بعثة الرسل لكن بعدها فالمعتزلة قالوا انها تدل من وجه آخر على تقرير الوجوب قبل الشرع لان قوله بظلم ان كان عائدا الى العبد دل على انه يمكن ان يصدر منه الظلم والقبيح قبل البعثة وان كان عائدا الى الله تعالى فقد تم الاعتراف بتحسين العقل وتقبيحه ثم لما شرح احوال اهل الثواب والعقاب ذكر كلاما كليا فقال ولكل درجات اى لكل عامل فى عمله درجات وعلى حسب تلك الدرجات يكون الجزاء ان خيرا فخير وان شرا فشر ومعنى مما عملوا اى من جزاء اعمالهم وقيل ان اول الاية مختصة باهل الطاعات لان لفظ الدرجة يليق بهم ولاهل المعصية يكون الدركات واليه الاشارة بقوله وما ربك بغافل عما يعملون قالت الاشاعرة فى الاية دليل على مسئلة الجبر والقدر فانه تعالى حكم لكل واحد بدرجة معينة فى وقت معين وجب فعل معين واثبت تلك الدركة فى اللوح المحفوظ واشهد عليها الملئكة وخلاف علمه واثباته واشهاده محال ثم بين انه ليس محتاجا طاعة المطيعين ولا يدخل عليه نقص بمعصية العاصين فقال وربك الغنى ذو الرحمة اما انه غنى فى ذاته وصفاته وفى افعاله وفى احكامه عن كل ما سواه ممكن لذاته

مفتقر

مفتقر فى الوجود وفى الامور التابعة للوجود اليه فلا غنى الا هو واما انه ذو الرحمة فلان كل ما دخل فى الوجود من الخيرات والراحات والكرامات والسعادات من الروحانيات ومن الجسمانيات فهو من الحق وبايجاده وتخليقه والاستقراء دل على ان الخير غالب كالصحة والشبع والسمع والبصر وما ذلك الا رحمة الكاملة وراقته الشاملة والذى يتصور من رحمة الوالدين وغيرهما فانما ذلك بايجاد داعية ذلك فيهم ومع ذلك فتمكن الشخص من الانتفاع بها انما هو الامنة فقال ومن هذا انه منزه تعالى عن الظلم والسفه والكذب والعبث ومن رحمته تكليف الخلائق ليعرضهم للمنافع الباقيات الدائمات ثم لما وصف نفسه بانه ذو الرحمة كان لظان ان يظن ان للرحمة معدنا مخصوصا وموضعا معينا فبين تعالى بقوله ثم ان يشا يذهبكم انه قادر على وضع الرحمة فى هذا الخلق وقادر على ان يخلق قوما آخرين ويضع رحمته فيهم وعلى هذا الوجه يكون الاستغناء عن العالمين اكمل واتم ومعنى الاذهاب الاهلاك وان لا يبلغهم مبلغ التكليف ويستخلف من بعدكم اى من بعد اذهابكم لان الاستخلاف لا يكون الا على طريق البدل من فائت وقوله ما يشاء اى خلق ثالث ورابع ثم اختلفوا فقال بعضهم خلفا آخرين من امثال الجن والانس لكن اطوع وقال ابو مسلم يعنى خلفا ثالثا مخالفا للثقلين ليكون اقوى فى دلالة القدرة ثم بين سبب قدرته على ذلك فقال كما انشاكم من ذرية قوم آخرين لان من قدر تصوير النطفة المتشابهة الاجزاء بهذه الصور المخصوصة قدر على تصويرها بصور اخرى مخالفة لها وقال فى الكشاف المعنى كما انشاكم من اولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح ثم ذكر حال المعاد فقال ان ما توعدون لآت قال الحسن اى من مجىء الساعة لانهم كانوا ينكرون القيمة ويحتمل ان يتناول ما توعدون لان الاشارة الى الطعام اى ما يتعلق بالوعد والثواب فهو آت لا محالة وقوله وما انتم بمعجزين اى خارجين عن قدرتنا وحكمنا اشارة الى تهديد تقرير الجزاء الثانى فانه فالجزم فى جانب الوعد والتعريض فى جانب الوعيد دليل على ان جانب الرحمة والاحسان اغلب ثم امر نبيه صلى الله عليه واله بتهديد منكرى البعث فقال قل يا قوم اعملوا على مكانتكم قال الواحدى قراءة الافراد اوجه لان المصدر لا يجمع فى اغلب الاحوال وقال فى الكشاف المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة فيعنى الاية اعملوا على تمكنكم من امركم واقصى استطاعتكم وامكانكم او اعملوا على جهتكم وحالكم التى انتم عليها يقال للرجل على مكانتك يا فلان اى اثبت على ما انت عليه لا تتحرف عنه انى عامل على مكانتى التى انا عليها والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم لى فانى ثابت على الاسلام وعلى مصابرتكم والغرض تفويض الامر اليه على سبيل التهديد كقوله اعملوا ما شئتم فسوف تعلمون اينا تكون له عاقبة المحمودة والفاء لتعقيب الجزاء الايعادى اى قل اعملوا فستجزون وهكذا فى سورة الزمر بخلاف سورة هود حيث لم يقل هناك قل فقال استينافا ومحل من نصب ان كان بمعنى الذى او رفع والجملة مفعول تعلمون ان كان بمعنى اى وعاقبة الدار العاقبة الحسنى التى خلق الله هذه الدار لها وهى مصدر كالعافية وهذا طريق من الانذار ولطيف المسلك فيه انصاف وادب وثوق بان المنذر محق ولهذا قيل له فان الكافر تكون العاقبة عليه لا له ثم حكى انواعا من جهالاتهم وركاكات اقوالهم تنبيها على ضعف عقولهم وقلة محصولهم وتنفيرا للعقلاء عن الالتفات الى اقوالهم امثالهم فقال وجعلوا لله قال الزجاج وجه لوا لله نصيبا ولشركائهم نصيبا بدليل قوله فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا وجعل الاوثان شركاء لانهم جعلوا لها نصيبا من اموالهم ينفقونها عليها ثم قال فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم وفى تفسيره وجوه قال ابن عباس كان المشركون يجعلون لله تعالى من حروثهم وانعامهم نصيبا وللاوثان نصيبا فما كان للصنم انفقوه عليه وما كان لله اطعموا الضيفان والمساكين ولا ياكلون منه البتة ثم ان سقط شىء مما جعلوه لله فى نصيب الاوثان تركوه وقالوا ان الله غنى عن هذا وان سقط شىء مما جعلوا للاوثان فى نصيب الله تعالى اخذوه وردوه الى نصيب الصنم وقالوا انه فقير وانما ذلك لحبهم آلهتهم وايثارهم لها وعن الحسن والسدى كان اذا هلك لاوثانهم شىء اخذوا بدله مما لله ولا يفعلون مثل ذلك فيما لله تعالى وقال مجاهد انه اذا انفجر من سقى ما جعلوه للشيطان فى نصيب الله عز وجل سدوه وان كان على ضد ذلك تركوه قال قتادة اذا اصابتهم شدة استعانوا بالله واذا اصابتهم حسنة نسبوها الى شركائهم قال مقاتل ان زكا ونما نصيب الآلهة ولم يزك نصيب الله تركوا نصيب الآلهة وقالوا لو شاء زكى نصيب نفسه اما ان كان نصيب الله ولم يزك نصيب الآلهة فانهم قالوا لا بد لآلهتنا من نفقة واخذوا نصيب الله تعالى فاعطوه السدنة فمعنى فلا يصل الى الله انه لا يصل الى الوجوه التى كانوا يصرفونها اليها من قرى الضيفان والتصدق الى المساكين ومعنى الوصول الى شركائهم انهم ينفقونه عليها بذبح نسائك عندها والاجراء على سدنتها ونحو ذلك وقوله مما ذرا اى ان الله تعالى كان اولى بان يجعل له الزاكى لانه هو الذى ذرأه اى خلقه ثم انه سبحانه ذم فعلهم فقال ساء ما يحكمون وذكر العلماء فيه وجوها الاول انهم رجحوا جانب الاصنام فى الرعاية والحفظ على جانبه وهو سفه الثانى جعلوا بعض الحرث لله وبعضه لغيره مع انه تعالى هو الخالق للجميع الثالث ان ذلك حكم احدثوه من قبل انفسهم ولم يشهد بصحته عقل ولا شرع واليه يقوله اشار بزعمهم الرابع لو حسن افراز نصيب الاصنام لحسن افراز نصيب لكل حجر الخامس لا تاثير للاصنام فى حصول الحرث والانعام ولا قدرة لها على الانتفاع بذلك النصيب فافراز النصيب لها عبث النوع الثانى من احكامهم الفاسدة قوله وكذلك زين كان اهل الجاهلية يدفنون بناتهم احياء خوفا من الفقر ومن التزويج وكان الرجل يحلف بالله ان ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما فعل عبد المطلب على ابنه عبد الله والشركاء على الوجه الاول الشياطين الذين اطاعوهم فى معصية الله تعالى وعلى الثانى هم السدنة والخدام والاول قول مجاهد والثانى للكلبى تقدير الكلام ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك فى قسمة القربات بين الله والآلهة او ومثل ذلك التزيين البليغ الذى علم من الشياطين زين لهم شركاؤهم من الشياطين او من سدنة الاصنام قتل اولادهم بالوأد

او بالجر ثم ان وجه القراءة الاكثرين ظاهر وليس فيها الا تقديم المفعول وذلك لشدة الاعتناء به واما قراءة ابن عامر فخطاها الزمخشري من جهة
الفصل بين المضاف والمضاف اليه بغير الظرف فان ذلك لا يجوز الا بالظرف كقوله لله در اليوم من لامها وضعف بغير الظرف كقوله فزججتها بمزجة زج
القلوص ابي مزاده وحملوه على ضرورة الشعر مع الاستكراه والحق عندي في هذا المقام ان القران حجة على غيره وليس غيره حجة عليه والقراءات السبع
كلها متواترة فكيف يمكن تخطئة بعضها فاذا ورد في القران المعجز مثل هذا التركيب لزم القول بصحته وفصاحته وان لا يلتفت الى انه هل ورد له نظير في
اشعار العرب وتراكيبهم ام لا وان ورد فكثير ام لا ومع ذلك فقد وجه بعض الفضلاء بان المضاف ليس من الاول محذوف على نحو قوله بين ذراعي
وجبهة الاسد والمضاف مضمر مع الثاني كقراءة من قرا والله يريد الاخرة بالجر على تقدير عرض الاخرة فتقدير الاية قتل شركائهم اولادهم قتل شركائهم
ومعنى ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء قال ابن عباس ليردوهم في النار واللام محمول على العاقبة ان كان التزيين من السدنة وعلى حقيقة التعليل ان
كان من الشيطان وليلبسوا عليهم دينهم ليخلطوه عليهم دينهم ليخلطوه عليهم ليشتبهوه ودينهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل فهذا الذي اتاهم
بهذه الاوضاع الفاسدة اراد ان يلبس عليهم ذلك الدين الحق وقيل دينهم الذي وجب ان يكونوا عليه وقيل ليوقعوهم في دين ملتبس ولو شاء الله
ما فعلوه كما فعل المشركون ما زين لهم او لما فعل الشياطين السدنة والتزيين او الارداء او اللبس او جميع ما ذكر ان جعل الضمير جاريا مجرى اسم الاشارة
والمعتزلة حملوا هذه المشية على مشية الالجاء والقسر ثم قال فذرهم وما يفترون على قانون قوله اعملوا ما شئتم وفيه مع التهديد التخجيل على المامور
بانه لا ياتي منه الا الشر والشرك قيل انما قال في هذه الاية ولو شاء الله ما فعلوه ليكون مناسبا لقوله وجعلوا لله وقال فيما قبل ولو شاء ربك ما فعلوه لانه
وقع عقيب ايات فيها ذكر الرب كقوله قد جاءكم بصائر من ربكم الايات النوع الثالث من احكامهم الباطلة انهم قسموا انعامهم اقساما فاولها ان قالوا
هذه انعام وحرث حجر وحجر فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن ويستوي في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات واصل
الحجر المنع وسمي الحجر لمنعه من القبائح وفلان في حجر القاضي اي في منعه كانوا اذا عينوا اشياء من حرثهم وانعامهم لالهتهم قالوا لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم
الاوثان والرجال دون النساء وثانيها ان قالوا هذه انعام حرمت ظهورها وهي البحائر والسوائب والحوامي وقد سبق في المائدة وثالثها انعام لا يذكرون
اسم الله عليها في الذبح وانما يذكرون عليها اسماء الاصنام وقيل هي انعام لا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها وانما فعلوا ذلك كله من غير حكم من الله وشرع
منه بل افتراء عليه وانتصابه على انه مفعول له او حال او مصدر مؤكد لان قولهم ذلك في معنى افتراء ثم قال سيجزيهم بما كانوا يفترون والمقصود منه الوعيد
والنوع الرابع من قضاياهم الفاسدة ان قالوا ما في بطون هذه الانعام يعنون اجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا هذا ان ولد حيا وان
يكن ميتة فهم فيه شركاء اي اشترك فيه الذكور والاناث من قرا بنصب ميتة فتقديره وان يكن ما في بطونها ميتة ومن قرا بالرفع فعلى ان كان تامة او لان
التقدير وان لم يكن لهم او هناك ميتة وانما جاز تذكير الفعل وتانيثه لان تانيث الميتة غير حقيقي ولان الميتة لكل ميت ذكرا او انثى فكانه قيل ميت
ولهذا جاز عود الضمير اليه مذكرا في قوله فهم فيه شركاء وتذكير الضمير في قوله فهم للتغليب سيجزيهم وصفهم اي جزاء وصفهم على الله الكذب في التحليل والتحريم انه
حكيم عليم ليكون الجزاء وفقا على حد الحكمة وبحسب الاستحقاق فان قيل كيف انث خالصة وذكر محرم قلنا الاول حملا على المعنى لان ما في بطون الانعام
في معنى الاجنة والثاني حمل على اللفظ وفي الاول وجها اخر ان يكون التاء للمبالغة مثل راوية الشعر او ان يكون مصدرا كالعاقبة والعافية
اي ذو خالصة ثم انه سبحانه جمع قبائح احكامهم وافعالهم وحكم عليهم بالخسران والسفاهة وعدم العلم وبالضلال وعدم الاهتداء فقال قد خسر الذين
قتلوا اولادهم سفها بغير علم وذلك ان الولد نعمة عظيمة من الله يبقى ذكره ونسله فالسعي في ابطال مثل هذه النعمة لضرر مظنون هو الفقر وعوده او
لفائدة موهومة هي القربة الى الاصنام دليل خفة العقل وعدم العلم وانه موجب لخسران الدارين وكذا تحريم ما احل الله من الطيبات بالهوى والتقليد
بل لمحض الافتراء على الله وان ذلك من اعظم الذنوب اكبر الكبائر ولهذا سجل عليهم اولا بالضلال ثم بعدم الاهتداء لتحصيل كلا الامرين لهم بالمطابقة
كما حصل بالتضمن والله اعلم التاويل مهلك القرى اي قرى اشخاص الانسان بظلم وهو صرف الاستعداد الفطري في استيفاء اللذات الفانية واهلها
غافلون لم يبلغوا مبلغ التكليف بعد وربك الغني عن كل مخلوق عامة وعن الانسان خاصة لذا ان خلقهم ليربحوا عليه لا ليربح عليهم اعملوا على مكانتكم اي
على ما جبلتم عليه اني عامل على ما جبلت عليه قتل اولادهم شركاؤهم من الشياطين والنفس والهوى والدنيا سيجزيهم بما كانوا يفترون ذهبوا مذهب
الطبع لا مذهب الشرع والعمل بالطبع وان كان فيه نوع مجاهدة النفس لا يكون له نور اذا لم يكن لامتثال الشرع قد خسر الذين قتلوا اولادهم لان
ذلك نتيجة انتزاع الرحمة عن قلوبهم وحرموا ما رزقهم الله صورة وهو ظاهر ومعنى وهو استعداد دخول مراتب اهل القرب وما كانوا
مهتدين لان خشية الفقر حملهم على قتل الاولاد وقال اهل التحقيق من امارات اليقين حقا يقين كثرة العيال على بساط التوكل

وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا
واوست آنکه بیافرید بستانهای بسته و نابسته و درخت خرما و کشت را که مختلف است میوه اش و زیتون را و انار را که مانند اند بهم
وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً
و نا مانند بخورید از میوه اش چون میوه آورد و بدهید حق او را در روز درویدنش و زیاده روی مکنید که خدا دوست ندارد زیاده روان را و از چهارپایان ستوران بارکش
وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ
و شتران خورد بخورید از آنچه روزی کرد شما را خدا و پیروی مکنید گامهای شیطان را که او شما را دشمنیست آشکارا هشت قسم از میش دو

ومن

وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ
واز بز دو بگو آیا هر دو نرینه حرام کرده است یا هر دو مادینه یا آنچه جمع آمد براو رحمهای هر دو مادینه خبر دهید مرا اگر هستید راستگویان
وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ
واز شتر دو واز گاو دو بگو آیا هر دو نرینه حرام کرده است یا هر دو مادینه یا آنچه فرا گرفته براو رحمهای دو مادینه یا بودید
شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ
گواهان چون فرمود شما را خدا باین پس کیست ستمکار تر از آنکه افترا بست بر خدا دروغ تا گمراه کند مردم را بدون دانشی بدرستی که خدا راه ننماید گروه ستمکاران را
قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ ع
بگو نمی یابم در آنچه وحی کرده شده بمن حرام بر خورنده که بخوردش مگر آنکه باشد مرده یا خون ریخته یا گوشت خوک پس بدرستی که آن پلید است یا فسقی که آواز
لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا
بر نام غیر خدا بآن پس هر که لاچار شود نه جوینده و نه از حد گذرنده بدرستی که پروردگار تو آمرزنده مهربانست و بر آنانکه یهود شدند حرام کردیم هر صاحب ناخنی را و از گاو و گوسفند حرام کردیم
كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَا
بر ایشان پیهای آنها را مگر آنچه را بر داشته پشتهای آن یا چربی رودها یا آنچه ممزوج شده باستخوان این جزا دادیم
هُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ سَيَقُولُ
ایشان را بسبب ستم ایشان و بدرستی که ما راستگویانیم پس اگر تکذیب کردند ترا پس بگو که پروردگار شما صاحب رحمت فراخست و برگردانیده نمیشود عذابش از گروه گناهکاران زود است که گویند
الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا
آنان که انباز آوردند اگر خواستی خدا شرک نیاوردیم ما و نه پدران ما و حرام نکردیم از چیزی همچنین تکذیب کردند آنان که از پیش ایشان بودند تا چشیدند
بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ
عذاب ما را بگو آیا در نزد شماست دانشی پس بیرون آرید آن را برای ما پیروی نمیکنید مگر گمان را و نیستید مگر دروغ میگوئید بگو پس خدا راست دلیل رسنده پس اگر خواستی
لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ
خدا هر آینه راه نمودی شما را همه بگو بیارید گواهان خود را آنانکه گواهی دهند بدرستی که خدا حرام کرد اینرا پس اگر گواهی دادند پس گواهی مده با ایشان
وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ
و پیروی مکن خواهشهای آنها را که تکذیب کردند بآیات ما و آنان که نگروند بروز واپسین و ایشان بپروردگار خود برابری میکنند

القراءات حصاده بفتح الحاء ابو عمرو وعاصم وابن عامر وسهل ويعقوب الباقون بالكسر وكلاهما مصدر من الضان بغير همزة ابو عمرو غير شجاع واوقية والاعشى والاصبهاني
عن ورش ويزيد وحمزة في الوقف ومن المعز ساكن العين عاصم وحمزة وعلي وخلف ونافع وابو جعفر وابن فليح وزمعة والخزاعي عن البزي والقواس غير
ابن مجاهد وابي عون عن قنبل عنه الباقون بفتحها الا ان تكون بتاء التانيث ابن كثير وابن عامر ويزيد وحمزة وعباس من طريق ابن رومي عنه ميتة
بالتخفيف الا نافع ابن عامر وزاد يزيد التشديد الباقون بالياء وبالنصب الحوايا بامالة علي وحمزة وخلف نقل ربكم وربا مظهر الحلواني عن قالون
والبرجمي الوقوف متشابه ط ولا تسرفوا ط المسرفين لا لان قوله حمولة منصوب بانشا وفرشا ط الشيطان ط مبين لا لان ثمانية منصوب بانشا جنا ازواج ج لانقطاع النظم
مع اتحاد المعنى المعز اثنين ط ارحام الانثيين ط لانتهاء الاستفهام صادقين لا لان اثنين منصوب انشا ايضا ومن البقر اثنين ط ارحام الانثيين ط لان ام في قوله
ام كنتم بمعنى الف استفهام توبيخ بعد الاستفهام مع الفاء ولانقطاع النظم مع اتحاد المعنى علم ط الظالمين لغير الله به ج رحيم ظفر ج لانقطاع النظم مع اتحاد المعنى
عظم ط ببغيهم ج للابتداء بان واثبات وصف لصدق مط وللوصل وجه لان المعنى وانا لصادقون فما اخبرنا عن التحريم ببغيهم واسعة ج لاختلاف الجملتين المجرمين
من شيء باسنا ط تخرصون البالغة ج للشرط مع الفاء اجمعين حرم هذا ج لذلك معهم ج لتناهي جزاء الشرط مع العطف يعدلون التفسير انه سبحانه جعل مدار
هذا الكتاب الكريم على تقرير التوحيد والنبوة والمعاد واثبات القضاء والقدر وانه بالغ في تقرير هذه الاصول وانتهى الكلام الى شرح احوال السعداء و
الاشقياء ثم انتقل منه الى تهجين طريقة منكري البعث والقيامة ثم اتبعه حكايات اقوالهم الركيكة تنبيها على ضعف عقولهم فلما تم هذه المقاصد عاد الى ما هو المقصود
الاصلي وهو اقامة الدلائل على اثبات ذاته ووجوب توحيده فقال وهو الذي انشا الاية نشا الشي ينشا نشأ اذا ظهر وارتفع وانشاه الله ينشئه انشاء
اظهره ورفعه جنات معروشات وغير معروشات يقال عرشت الكرم اذا جعلت له دعائم وسمكا يعطف عليه القضبان وقيل كلاهما الكرم فان بعض الاعناب
تعرش وبعضها يبقى على وجه الارض منبسطا كالقرع والبطيخ وقيل المعروشات ما يحتاج الى ان يتخذ له عريش يحمل عليها فتمسكه وهو الكرم وما يجري مجراه وغير
معروشات هو القائم من الشجر المستغني باستوائه وقوة ساقه من التعريش وقيل المعروشات ما في البساتين والعمارات مما غرسه الناس واهتموا به فعرشوه
وغير معروشات ما انبته الله وحشيا في البراري والجبال فبقي غير معروش والنخل والزرع فسر ابن عباس الزرع بجميع الحبوب التي يقتات مختلفا اكله والاكل
كل ما يؤكل والمراد ههنا ثمر النخل والزرع فاكتفي باعادة الذكر على احدهما كقوله واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها اي اليهما والمراد ان لكل شيء منهما

طعما غير طعم الآخر ومختلفا حال مقدرة اي انشاءه مقدرا اختلافه كله لانه لم يكن وقت الانشاء كذلك متشابها وغير متشابه في القدر واللون
والطعم ثم قال كلوا من ثمره وقد قال في الآية المتقدمة التي نظير هذه الآية وذلك قوله وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء الى
انظروا الى ثمره تنبيها على ان الامر بالاستدلال بها على الصانع الحكيم متقدم على الإذن في الانتفاع بها لان الحاصل من الاولى سعادة روحانية
ابدية والحاصل من الانتفاع سعادة جسمانية زائلة وفائدة هذا الامر الاباحة الاكل على اخراج الحق كيلا يظن انه يحرم على المالك تناوله لمكان
شركة المساكين فيه وفي الآية اشارة الى ان خلق هذه النعم اما للاكل واما للتصدق والاول لكونه حق النفس مقدم على الثاني لانه حق الغير
وفيه ان الاصل في المنافع الاباحة والاطلاق لان قوله كلوا خطاب عام يتناول الكل ويمكن ان يستدل به على ان الاصل عدم وجوب الصوم وان
من ادعى ايجابه فهو المحتاج الى الدليل وان المجنون اذا افاق في اثناء النهار لا يلزمه قضاء ما مضى وان الشارع في صوم النفل لا يجب عليه الاتمام
قال علماء الاصول من المعلوم من لغة العرب ان صيغة الامر تفيد ترجيح جانب الفعل فحملها على الاباحة او الوجوب لا يصار اليه الا بدليل منفصل وفائدة
اذا اثمر وقد علم انه اذا لم يثمر لم يؤكل منه فهي ان يعلم ان اول وقت الاباحة وقت اطلاع الشجر الثمر ولا يتوهم انه لا يباح الا اذا ادرك واينع اما قوله وآتوا حقه
يوم حصاده فعن ابن عباس في رواية عطاء وهو قول سعيد بن المسيب والحسن وطاوس والضحاك ان الآية مدنية والحق هو الزكوة المفروضة وعلى هذا
فكيف يؤدى الزكوة يوم الحصاد والحب في السنبل والجواب ان المراد فاعزموا على ايتاء الحق يوم الحصاد واهتموا به حتى لا تؤخروه عن اول وقت
يمكن فيه الايتاء وقال مجاهد الآية مكية وان هذا حق في المال سوى الزكوة وكان يقول اذا حصدت فحضرك المساكين فاطرح لهم منه واذا داسته
واذا عرفت كيله فاعزل زكوته وزيف بقوله صلى الله عليه وآله ليس في المال حق سوى الزكوة وبان قوله وآتوا حقه انما يحسن ذكره لو كان ذلك الحق معلوما
قبل ورود هذه الآية والا لزم الاجمال وعن سعيد بن جبير ان هذا كان قبل وجوب الزكوة فلما فرض العشر ونصف العشر فيما سقي بالسواقي نسخ
والقول الاول اصح ثم ان ابا حنيفة احتج بالآية على وجوب الزكوة في الثمار لانه قال وآتوا حقه بعد ذكر الانواع الخمسة وهو العنب والنخل والزرع والزيتون
والرمان واعترض عليه بان لفظ الحصاد مخصوص بالزرع واجيب بان الحصد في اللغة عبارة عن القطع وذلك يتناول الكل واحتج هو ايضا بها على ان العشر
واجب في القليل والكثير للاطلاق والجواب بيانه في الحديث ليس فيما دون خمسة اوسق صدقة ثم قال تعالى ولا تسرفوا ولاهل اللغة فيه تفسيران فعن
ابن الاعرابي السرف تجاوز ما حد لك فعلى هذا اذا اعطى الكل ولم يوصل الى عياله شيئا فقد اسرف كما جاء في الخبر ابدأ بنفسك ثم بمن تعول
روي ان ثابت بن قيس بن شماس عمد الى جملة نخلة فاخذها فقسمها في يوم واحد ولم يدخل الى منزله شيئا فنزلت الآية ولا تسرفوا اي لا تعطوا كله واذا منع الصدقة
فقد اسرف وبه فسر الآية سعيد بن المسيب فان مجاوزة الحد يكون الى طرف الافراط والى طرف التفريط وقال عمر سرف المال ما ذهب منه في غير
منفعة وعلى هذا فقد قال مقاتل معناه لا تشركوا الاصنام في الانعام والحرث وقال الزهري ولا تنفقوا في معصية الله تعالى وعن مجاهد لو كان ابو
قبيس ذهبا فانفقه رجل في طاعة الله تعالى لم يكن مسرفا ولو انفق درهما في معصية الله كان مسرفا وهذا المعنى اراد حاتم الطائي حين قيل له لا خير في
السرف فقال لا سرف في الخير ثم ختم الآية بقوله انه لا يحب المسرفين لان المقصود منه الزجر فان كل مكلف لا يحبه الله فانه من اهل النار لان محبة الله
تعالى عبارة عن ارادة ايصال الثواب اليه قوله حمولة وفرشا معطوف على جنات اي انشأ من الانعام هذين الجنسين فالحمولة ما يحمل الاثقال فعولة
بمعنى فاعلة والفرش ما يفرش للذبح او ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش مصدر بمعنى مفعول وقيل الحمولة الكبار التي تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان
والعجاجيل والغنم لانها دانية من الارض للطافة اجرامها مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله قالت المعتزلة اي مما احلها لكم ولا تتبعوا
خطوات الشيطان لا تسلكوا طريقه الذي يدعوكم اليه في التحليل والتحريم من عند انفسكم كما فعل اهل الجاهلية انه لكم عدو مبين بين العداوة
وفي انتصاب ثمانية ازواج وجهان قال الفراء هو بدل من قوله حمولة وفرشا وجوز غيره ان يكون مفعول كلوا والعرب تسمي الواحد فردا اذا كان
وحده فاذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجا وهما زوجان قال عز من قائل خلق الزوجين الذكر والانثى وقال ثمانية ازواج ثم
فسرها بقوله من الضأن اثنين اي زوجين اثنين ومن المعز اثنين وفي الآية الثانية ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قال الجوهري الضائن خلاف
الماعز والجمع يعني اسم الجمع الضأن والمعز مثل راكب وركب وسافر وسفر وضأن ايضا مثل حارس وحرس وقال في الكشاف انه قرئ
بفتح العين والضأن ذوات الصوف من الغنم والمعز ذوات الشعر منها قل آلذكرين حرم ام الانثيين نصب بقوله حرم والاستفهام يعمل فيه ما بعده
ولا يعمل فيه ما قبله والمراد بالذكرين الذكر من الضأن وهو الكبش والذكر من المعز وهو التيس والانثيين الانثى من الضأن وهي النعجة والانثى
من المعز وهي العنز وذلك على طريق الجنسية والمشاكلة ومعنى الاستفهام انكار ان يحرم الله من جنسي الغنم ضأنها ومعزها شيئا من نوعي ذكورها
واناثها ولا مما تشتمل عليه ارحام الانثيين اي مما تحمل اناث الجنسين وكذلك الذكر من جنسي الابل والبقر يعني الجمل والثور والانثيان منهما الناقة
والبقرة وما تحمل اناثهما وذلك انهم كانوا يحرمون ذكورة الانعام تارة واناثها اخرى واولادها كيفما كانت ذكورا او اناثا او مختلطة تارة وكانوا
يقولون قد حرمها الله فقيل لهم انكم لا تقرون بنبوة نبي ولا بشريعة شارع فكيف تحكمون بان هذا يحل وهذا يحرم واكد ذلك بقوله نبئوني
بعلم اخبروني بامر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرمتم ان كنتم صادقين في ان الله حرمه واعلم انه سبحانه من على عباده بانشاء الازواج الثمانية
من الانعام لمنافعهم واباحتها لهم الا انه فصل بين بعض المعدود وبعضه بالاحتجاج على من حرمها وليس ذلك باجنبي وانما هي جملة معترضة

بها تأكيدا وتشديدا للتحليل فالاعتراضات في الكلام لا تساق الا للتوكيد اما قوله ام كنتم شهداء فام منقطعة اي بل كنتم شهداء ومعناه الانكار
يقول اعرفتم التوصية به مشاهدين لانكم لا تؤمنون بالرسل وتقولون ان الله حرم هذا فلم يبق الا المشاهدة فهكم بهم بذلك وسجل عليه وعلى
امثالهم بالظلم بقوله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم قال المفسرون يريد عمرو بن لحي بن قمعة الذي غير شريعة اسمعيل ع
وبحر البحائر وسيب السوائب الاقرب ان اللفظ عام فيتناول كل مفتر واذا استحق هذا الوعيد على افتراء الكذب في تحريم مباح فكيف اذا كذب على الله
تعالى في مسائل التوحيد ومعرفة الذات والصفات والملائكة وفي النبوات وفي المعاد قال القاضي في الآية دلالة على ان الاضلال عن الدين مذموم
فلا يجوز ان ينسب الى الله تعالى واجيب بانه ليس كل ما كان مذموما منا كان مذموما من الله تعالى فان تمكين العبيد من اسباب الفجور وتسليط الشهوة عليهم مذموم منا
دونه ان الله لا يهدي القوم الظالمين قال القاضي لا يهديهم الى ثوابه والى زيادات الهدى التي يختص المهتدي بها وقالت الاشاعرة معناه انه
لا ينقل المشركين من ظلمات الكفر الى نور الايمان ثم لما بين فساد طريقة الجاهلية فيما يحل ويحرم من المطاعم اتبعه البيان الصحيح في الباب فقال قل لا
اجد فيما اوحي الي محرما اي طعاما محرما على طاعم يطعمه على آكل ياكله الا ان يكون ذلك الماكول او الموجود او الطعام ميتة او دما مسفوحا مصبوبا
سائلا قال ابن عباس يريد ما خرج من الانعام وهي احياء وما خرج من الاوداج عند الذبح فلا يدخل فيه الكبد والطحال لجمودهما ولا ما يخالط اللحم من الدم
فانه غير سائل وسئل ابو مجلز عما يتلطخ باللحم من الدم وعن القدر التي يرى فيها حمرة الدم فقال لا باس به انما النهي عن الدم المسفوح وباقي الآية
ظاهر مما سلف في امثالها وانتصاب فسقا على انه معطوف على المنصوب قبله واهل صفة له منصوب المحل سمي ما اهل به لغير الله فسقا لتوغله في باب
الفسق كما يقال فلان كرم وجود وجوز ان يكون فسقا مفعولا له من اهل وعلى هذا فقد عطف اهل على يكون والضمير في به يعود الى ما يرجع اليه
المستكن في يكون قالت العلماء ان هذه السورة مكية وقد بين في الآية انه لم يجد فيما اوحي اليه قرآنا او غيره محرما سوى هذه الاربعة وقد اكد هذا
بما في النحل وفي البقرة مصدرة بكلمة انما الدالة على الحصر فصارت المدنية مطابقة للمكية والذي جاء في المائدة حرمت عليكم الميتة والدم الى قوله
وما اكل السبع الا ما ذكيتم من اقسام الميتة ولكنه خص بالذكر لانهم كانوا يحكمون على تلك الاشياء بالتحليل لتبين ان الشريعة من اولها الى آخرها
كانت مستقرة على هذا الحكم وعلى هذا الحصر بقي الكلام في الخمر وفي سائر النجاسات والمستقذرات فنقول انه سبحانه قد وصف الخمر بانه رجس
وههنا علل تحريم لحم الخنزير بكونه رجسا فعلمنا ان النجاسة علة لتحريم الاكل وكل نجس فانه يحرم اكله هذا بعد اجماع الامة على تحريم الخبائث والنجاسات
وان جوزنا تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد كما روي انه صلى الله عليه وآله نهى عن كل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطيور فلا اشكال
وقيل المراد ان وقت نزول هذه الآية لم يكن محرم غير هذه الاربعة وزيف بان تحريم شيء خامس نسخ والاصل عدمه ثم بين سبحانه انه حرم على اليهود
اشياء اخر سوى هذه الاربعة فقال وعلى الذين هادوا حرمنا وذلك نوعان الاول انه حرم عليهم كل ذي ظفر وفيه لغات ضم الفاء والعين وهي
الفصحى وكسرهما وهي قراءة ابن السماك والضم مع السكون والكسر مع السكون وهي قراءة الحسن اختلف في الظفر فعن ابن عباس في رواية عطاء انه
الابل فقط وعنه في رواية اخرى وهو قول مجاهد انه الابل والنعام وقيل كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب وسمي الحافر ظفرا على
الاستعارة وزيف بان الحافر لا يكاد يسمى ظفرا وبان البقر والغنم مباحان لهم كما يجيء مع ان لهما حافرا فاذن يجب حمل الظفر على المخلب والبراثن
من الجوارح والسباع بل على كل ما له اصبع من دابة وطائر وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا عمم التحريم فعموم التحريم خاص بهم ولهذا فقد
الجارية قوله وعلى الذين هادوا حرمنا فيستدل بذلك على حل بعض هذه الحيوانات على المسلمين وهو ما سوى ذات المخلب والناب فيكون الخبر
مبينا للآية لا مخالفا كما ظن صاحب التفسير الكبير النوع الثاني قوله ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما قال في الكشاف هو كقولك من زيد اخذت
ماله تريد بالاضافة يعني اضافة الاخذ الى زيد بواسطة من زيادة الربط والمعنى انه حرم عليهم من كل ذي ظفر كله ومن البقر والغنم بعضهما وهو
ذلك شحومهما فقط وهذا ايضا ليس على الاطلاق لقوله الا ما حملت ظهورهما قال ابن عباس الا ما علق من الشحم فاني لم احرمه وقال قتادة الا ما علق
بالظهر والجنب من داخل بطونهما وقيل الا ما اشتمل على الظهور والجنوب من السحفة وهي الشحمة التي على الظهر الملتزقة بالجلد فيما بين الكتفين الى
الوركين وهي بالحقيقة لحم سمين لانه يحمر عند الهزال ولهذا لو حلف لا ياكل الشحم فاكل من ذلك اللحم السمين لم يحنث على الاصح والاستثناء الثاني
قوله او الحوايا قال الجوهري الحوايا الامعاء واحدها حوية وفي معناها حاوية البطن وحاوياء البطن وقال الواحدي هي المباعر والمصارين والفحوى
او ما اشتمل على الامعاء يعني ان الشحوم الملتصقة بالمباعر والمصارين غير محرمة والاستثناء الثالث او ما اختلط بعظم قال جمهور المفسرين يعني شحم
الالية وقال ابن جريج كل شحم في القوائم والجنب والراس وفي العينين والاذنين فانه مخلوط بعظم فهو حلال لهم والحاصل ان الشحم الذي حرم الله
عليهم هو الثرب وشحم الكلية وقيل ان الحوايا غير معطوف على المستثنى وانما هو معطوف على المستثنى منه والتقدير حرمنا عليهم شحومهما او الحوايا
او ما اختلط بعظم الا ما حملت الظهور فانه غير محرم ودخول كلمة او كدخولها في قوله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا والمعنى كل هؤلاء اهل
ان يعصى فاعص هذا وكذا ههنا المعنى حرمنا عليهم هذا وهذا ذلك الجزاء وهو تحريم الطيبات جزيناهم ببغيهم بسبب قتلهم الانبياء و
اخذهم الربوا واستحلالهم اموال الناس بالباطل وغير ذلك من قبائح افعالهم وانا لصادقون في هذه الاخبار وفيما نوعد به العصاة
قال القاضي نفس التحريم لا يجوز ان يكون عقوبة على جرم صدر عنهم لان التكليف تعريض للثواب والتعريض للثواب احسان واجيب بان المنع

من الانتفاع يمكن ان يكون لمزيد الثواب يمكن ان يكون بشوم الجرم المتقدم فان كذبوك في ادعاء النبوة والرسالة او في تبليغ الاحكام وعلى المعتزلة فان
كذبوك في انجاز ابعاد العصاة وزعموا ان الله واسع الرحمة وانه يخلف الوعيد جودا وكرما فقل ربكم ذو رحمة واسعة فلذلك لا يعجل بالعقوبة ولا يرد باسه
اذا جاء وقت عذابه عن القوم المجرمين يعني المكذبين على اصولهم رحمته واسعة لاهل طاعته ولا يرد باسه مع ذلك عن الذين ان تكبوا الكبائر فاتوا قبل
التوبة ثم حكى اعذار الكفار الواهية فقال سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا وانما جاز العطف على الضمير المرفوع المتصل من غير ان اكد
بالمنفصل لمكان الفصل بعد حرف العطف بلاء الزائدة لتاكيد النفي اخبر الله تعالى بما سوف يقولونه ولما قالوه وقال في سورة النحل وقال الذين اشركوا
لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء واما قال في سورة النحل بزيادة نحن ومن دونه مرتين لان الاشراك مستنكر مطلقا فلفظ الاشراك يدل على
اثبات شريك لا يجوز اثباته وعلى تحليل اشياء وتحريم اشياء من دون الله فلم يحتج الى لفظ من دونه واما العبادة فانها غير مستنكرة على الاطلاق وانما
المستنكر عبادة شيء مع الله سبحانه ولا يدل على تحريم شيء فلم يكن بد من تقييده بقوله من دونه ولما حذف من الاية لفظ من دونه مرتين حذف معه
نحن ليطرد الاية في حكم التخفيف اما تفسير الاية فزعمت المعتزلة انها يدل على قولهم في مسئلة ارادة الكائنات من سبعة اوجه الاول ان الذي حكى
الكفار في معرض الذم والتقبيح وذلك قولهم لو شاء الله ما اشركنا هو صريح قول المجبرة فيكون هذا المذهب مذموما الثاني قوله كذلك
كذب الذين من قبلهم فلم يذكر المكذب به تنبيها على انهم جاؤا بالتكذيب المطلق لان الله عز وعلا ركب في العقول وانزل في الكتب ما دل على
غناه وبراءته من مشية القبائح وارادتها والرسل اخبروا بذلك فمن علق وجود القبائح من الكفر والمعاصي بمشية الله وارادته فقد كذب كله وهو
تكذيب الله ورسله وكتبه ونبذ ادلة السمع والعقل وراء ظهره والحاصل ان هذا طريق متعين لكل الكفار المتقدمين منهم والمتاخرين في تكذيب
الانبياء في دفع دعوتهم عن انفسهم لانهم يقولون الكل بمشية الله تعالى الثالث قوله حتى ذاقوا باسنا وذلك يدل على انهم استوجبوا الوعيد من الله
تعالى في هذا المذهب الرابع قوله قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا وانه استفهام على سبيل الانكار اي لا علم لهؤلاء القائلين ولا حجة الخامس ان
يتبعون الا الظن السادس وان انتم الا تخرصون السابع قل فلله الحجة البالغة لانه ازال الاعذار بالتمكين والاقدار فلم يبق لكم على الله حجة وتما
الحجة البالغة له عليكم وذلك انكم تقولون لو انا نعمل على خلاف مشية الله لزم ان يكون الاله عاجزا مغلوبا وهذا الكلام غير لازم لان الله قادر
على ان يحملكم على الايمان والطاعة على سبيل القهر والالجاء الا ان ذلك يبطل الحكمة المطلوبة من التكليف هذا هو المراد من قوله فلو شاء لهداكم
اجمعين وبوجه اخر ان كان الامر كما زعمتم ان ما انتم عليه بمشية الله فلله الحجة الكاملة عليكم فان تعليقكم دينكم بمشية الله يقتضي ان تكونوا ... من
يخالفكم ايضا بمشيته فتوالوا جميع اهل الاديان ولا تعادوهم اجابت الاشاعرة بانا قد بينا ما الدلائل القاطعة من اول القرآن الى ههنا صحة مذهبنا
فوجب تاويل هذه الاية دفعا للتناقض فنقول ان القوم كانوا يتمسكون بمشية الله تعالى في ابطال دعوة الانبياء وفي ان التكليف عبث فبين الله
تعالى ان ذلك من تكاذيبهم واكاذيبهم وان التشبث بهذا العذر لا يفيدهم لانه اله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد عليه شاء
الكفر من الكافر ومع ذلك بعث الانبياء وامر بالايمان وورود الامر على خلاف الارادة غير ممتنع ويؤيد ذلك ما روي عن ابن عباس اول ما خلق
الله القلم فقال اكتب لقد رجرى بما يكون الى قيام الساعة وقال رسول الله صلى الله عليه واله المكذبون بالقدر مجوس هذه الامة
ثم ان ظاهر الاية معناه وهو قوله فلو شاء لهداكم اجمعين وحمل المشية على مشية الالجاء والقسر تعسف والله اعلم ثم لما ابطل جميع حجج الكفار
بين انه ليس لهم على قولهم شهود فقال قل هلم معناه اذا كان لازما اقبل واذا كان متعديا احضر قال الخليل اصله ها لم ثم حذفت الفها لكثرة
الاستعمال وجعلا اسما واحدا يستوي فيه الواحد والجمع والتذكير والتانيث في لغة اهل الحجاز واهل نجد يصرفونها هلما هلموا هلمي هلممن والاول افصح وقد
يوصل بالى كقوله تعالى والقائلين لاخوانهم هلم الينا وقال الفراء اصلها هل ام ارادوا بهل حرف الاستفهام ومعنى ام اقصد وقيل ان اصل
استعماله ان قالوا هل لك في الطعام ام اي قصد ثم شاع في الكل امر الله تعالى نبيه باستدعاء اقامة الشهداء من الكافرين ليظهر ان لا شاهد لهم
على تحريم ما حرموه وانما قيل شهداءكم يشهدون لانه لعل الغرض احضار اناس يشهدون بالتحريم وانما المراد احضار شهدائهم الموسومين بالشهادة لهم
المعروفين بنصرة مذهبهم ولهذا قال فان شهدوا اي فان وقعت شهادتهم فلا تشهد معهم اي لا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لان شهادتهم
محض الهوى والتعصب لاجل ذلك قال ايضا ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالتكذيب ولترتب عليه
باقي الاية فعلم ان المتصف بهذه الصفات لا يكون شهادتهم عند العقلاء مقبولة التاويل وهو الذي انشا جنات في القلوب معروشات
من شجرة الاسلام والايمان والاحسان وغير معروشات هي الصفات الروحانية التي جبلت القلوب عليها كالسخاء والحياء والوفاء والمودة و
الفتوة والشفقة والعفة والعلم والحلم والعقل والشجاعة والقناعة ونخل الايمان وزرع الاعمال الصالحة وزيتون الاخلاق الحميدة ورمان
الاخلاص متشابها اعمالها وغير متشابه احوالها كلوا من ثمره انتفعوا من ثمار الايمان والاعمال والاخلاص بالشواهد والاحوال لا بالدعاوي و
القيل والقال واتوا حقه يوم حصاده حقه دعوة الخلق وتربيتهم بالحكمة والموعظة الحسنة وان بلوغ السالك مبلغ الرجال البالغين عند
ادراك ثمرة الكمال للواصلين دون السالك الذي يتردد بعد بين المنازل والمراحل ولا تسرفوا بالشروع في الكلام في خير وقته والحرص على
الدعوة قبل اوانها ومن الانعام اي من الصفات الحيوانية التي هي مركوزة في الانسان ما هو مستعد لحمل الامانة وتكاليف الشرع ومنها ما هو مستعد

بالشواهد والاحوال

للاكل والشرب لصلاح القالب قيام البشرية كلوا مما رزقكم الله فرزق القلب هو التحقيق من حيث البرهان ورزق الروح هو المحبة بصدق التوجه
عن الاكوان ورزق السر هو شهود العرفان بلحظ العيان فانتفعوا من هذه الارزاق بقدر ما ينبغي انه لكم عدو مبين يخرجكم بالتفريط والافراط
الى ضد المقصود ثم ان الصفات الحيوانية ثمان بعضها ذكور وبعضها اناث يتولد منها صفات اخر كلها محمودة اذا استعملت في محالها وبمقدار
ما ينبغي من الضان اثنين ومن المعز اثنين والضان والمعز جنس الفرشية كما ان الابل والبقر من جنس الحمولة والذكر من الضان والمعز هما
شهوة البطن والفرج والانثى منهما صفة حسن الخلق عند الاستمتاع بهما وصفة التسليم عند تحمل الاذى والذكر من الابل والبقر صفتا الظلومية
والجهولية وانثاهما الحمولية ولا ستسلام للاستعمال فبهذه الصفات الثمانية صار الانسان حامل اعباء الامانة التي ابت المكونات عن حملها
وبين ايضا حملة عرش القلب فافهم وقد احل الله تعالى استعمالها واستعمال المتولد منها على قانون الشريعة والطريقة ومن زعم انه يجب تركها وقطعها
بالكلية فقد افترى لو شاء الله ما اشركنا الكلام في نفسه حق وصدق الا انهم لما ذكروه في معرض الاعتذار دفعا للاذية والالام كذبوا فيما قالوا والله سبحانه اعلم بالصواب

ع قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ
وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ
وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا
قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا
فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا
عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ
ع فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ
أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ
بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ هَلْ يَنْظُرُونَ
إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا
لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا
لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ
فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ قُلْ
أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ
ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ

ومنه قولهم بلاد الفلاح سباسب وقيل انه واحد جاء على بناء الجمع كأنك لا نظير لهما وأوفوا الكيل والميزان بالقسط بالعدل والتسوية اي بايفاء الكيل
اتمامه خلاف البخس قوله والميزان اي الوزن بالميزان فان قيل ايفاء الكيل والوزن هو عين القسط فما فائدة التكرار قلنا امر الله المعطي بايفاء
ذي الحق حقه من غير نقصان وامر صاحب الحق باخذ حقه من غير طلب الزيادة ثم قال لا نكلف نفسا الا وسعها ليعلم ان الواجب هو القدر الممكن من العدالة
والتسوية لا التحقيق المؤدي الى الحرج والعسر فزعمت المعتزلة ههنا ان هذا القدر من التضييق حين لم يجوزه الله تعالى فكيف يكلف الكافر الايمان مع
انه لا قدرة له عليه او يخلق القدرة الموجبة للكفر والداعية المقتضية له ثم ينهاه عنه وعورض بالعلم والداعي كما تقدم مرارا واذا قلتم فاعدلوا
ولو كان المقول له او عليه ذا قربى حمله المفسرون على اداء الشهادة وعلى الامر والنهي والاولى ان يحمل على الاقوال كلها ويدخل فيه قول الرجل
الى الدين وتقريره الدلائل عليه بان يذكر الدليل مخلصا عن الحشو ومتبرأ عن النقص ومجردا عن العصبية والجدال على مقتضى الهوى والتشهي
كذا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وكذا الحكاية والرواية والرسالة وحكم الحاكم بحيث يسوى فيه بين القريب والبعيد ولا ينظر الا رضاء الله
وختم الاوامر بقوله وبعهد الله اوفوا كما قال اوفوا بالعقود ويندرج في هذه الخاتمة بالحقيقة جميع الانواع المذكورة وان هذا صراطي من قرأ
بالفتح والتخفيف فباعماله في ضمير الشان والتقدير تعالوا اتل ما حرم واتل انه هذا صراطي وكذا من قرأ بالتشديد بدلا ...
لا يقدر وان شئت جعلتها خفضا متعلقا بما قبله اي ذلكم وصيكم به وبان او بما بعده والتقدير ولان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ومن قرأ بكسرة
التلاوة في معنى القول وعلى الاستيناف والمعنى اتبعوا صراطي انه مستقيم ولا تتبعوا السبل المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية
وساير البدع والضلالات فتفرق بكم الباء للتعدية اي فيفرقكم ذلك الاتباع عن سبيله المستقيم وهو دين الاسلام وعن ابن مسعود عن النبي
صلى الله عليه وآله انه خط خطا ثم قال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعوا
اليه ثم تلا هذه الاية هذه الاية بالحقيقة اجمال لما في الايتين المتقدمتين ولهذا ختمها بالتقوى التي هي ملاك العمل وخير الزاد وختم الاولى بقوله
لعلكم تعقلون لانها امور ظاهرة جلية يكفي في تعلقها ادنى مسكة وعقل وختم الثانية بقوله لعلكم تذكرون لان المذكورة فيها امور
خفية يحتاج الى التدبر والتذكر حتى يقف فيها على موضع الاعتدال او نقول الامور الخمسة المذكورة في الاية الاولى كلها عظام جسام وكانت
الوصية بها من ابلغ الوصايا فختم الاية بما في الانسان من اشرف السجايا وهو العقل الذي امتاز به الانسان عن ساير الحيوان واما المذكورة
في الثانية فاشياء يقبح تعاطيها وارتكابها وكانت الوصية بها تجري مجرى الزجر والوعظ فختمها بقوله تذكرون اي تتعظون بمواعظ الله تعالى
قوله ثم آتينا موسى الكتاب معطوف على وصيكم فسئل كيف صح عطفه عليه بثم والايتاء قبل الوصية بدهر طويل واجيب بان التكاليف
التسعة المذكورة تكاليف لا يختلف بحسب اختلاف الشرائع كما روي عن ابن عباس ان هذه الايات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وقيل
انهن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب الاحبار والذي نفس كعب بيده ان هذه الايات لاول شيء في التورية
مختصة بها فهي مما حدث بعد تلك التكاليف التسعة فكانه قيل ذلكم وصيكم به يا بني آدم قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى
الكتاب وانزلنا هذا الكتاب المبارك وقيل ان في الاية حذفا فالتقدير ثم قل يا محمد صلى الله عليه وآله انا آتينا والمعنى اتل ما اوحي اليك ثم
اتل عليهم خبر ما آتينا موسى وقيل هو معطوف على ما تقدم قبل شطر السورة من قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب وقوله تماما على الذي احسن
مفعول له اي لتتم نعمتنا على الذي احسن اي على من كان محسنا صالحا والمراد اتمام النعمة والكرامة على العبد الذي احسن الطاعة في التبليغ
وكل ما امر به او تماما على الذي احسن موسى من العلم والشرايع من احسن الشيء اذا اجاد معرفته اي زيادة على علمه وقرئ احسن بالرفع على الذي
الذي هو احسن دين وارضاه وتفصيلا لكل شيء فيدخل فيه ذلك بيان نبوة رسولنا صلى الله عليه وآله وصحة دينه وشرعه وهدى
دلالة ورحمة لكي تؤمنوا بلقاء ما وعدهم ربهم من ثواب وعقاب وهذا كتاب انزلناه لا شك انه القرآن مبارك كثير الخير والنفع او ثابت
لا يتطرق اليه النسخ كما في الكتابين فاتبعوه واتقوا لكي ترحموا لان الغرض من التقوى رحمة الله تعالى او اتقوا لترجوا جزاء التقوى او اتقوا مخالفته
على رجاء الرحمة قال الفراء قوله ان تقولوا مفعول واتقوا وقال الكسائي التقدير وانا انزلناه لئلا تقولوا وقال البصريون انا انزلناه كراهة
ان تقولوا والخطاب لاهل مكة انما انزل الكتاب اي التورية والانجيل على طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى وان كنا هي المخففة من الثقيلة
واللام في لغافلين هي الفارقة بينها وبين النافية والاصل وانه كنا ومعنى الدراسة القراءة وانما قالوا لكنا اهدى منهم لحدة اذهانهم
وكثرة حفظهم لايام العرب ووقايعها وخطبها واشعارها وامثالها مع كونهم اميين قطع الله عذرهم بانزال القرآن عليهم ثم قال فقد جاءكم
اي ان صدقتم ان عدم انزال الكتاب يصلح للعذر وانه لو انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم فيما يعلم سمعا
وهدى فيما يعلم سمعا وعقلا ورحمة من الله في صلاح المعاش والمعاد فمن اظلم بعد هذه المعجزات والبينات ممن كذب بآيات الله وصدف
عنها اي منع غيره منها لان الاول ضلال والثاني اضلال ثم ختم الاية باشد الوعيد وابلغ التهديد ثم ذكر انهم بعد نصب الادلة وازاحة
العذر لا يؤمنون البتة وشرح احوالا توجب المبادرة الى الايمان والتوبة فقال هل ينظرون اي ينتظرون ومعنى الاستفهام النفي و
تقدير الاية انهم لا يؤمنون بك الا عند مجيء احد هذه الامور مجيء الملائكة او مجيء الرب ويعني به عذابه وبأسه كما سلف في البقرة او مجيء

بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم القراءة

تذكرون بتخفيف الذال حيث كان حمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد فحذفوا احدى التائين الباقون بالتشديد لاجل ادغام تاء التفعل في
الذال وان هذا بسكون النون ابن عامر ويعقوب وان هذا بكسر الهمزة وتشديد النون حمزة وعلي وخلف الباقون وان بالفتح والتشديد صراطي
بفتح الياء ابن عامر والاعشى والبرجمي فتفرق بتشديد التاء البزي وابن فليح ان ياتيهم بالياء التحتانية وكذلك في النحل علي وحمزة وخلف الباقون
بالتاء الفوقانية فارقوا وكذلك في الروم حمزة وعلي الباقون فرقوا بالتشديد عشر بالتنوين امثالها بالرفع يعقوب الباقون بالاضافة ربي الى بفتح ياء
المتكلم ابو عمرو وابو جعفر ونافع قيما بكسر القاف وفتح الياء ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير المفضل الباقون بالعكس مع تشديد الياء محياي
بالسكون مماتي بالفتح ابو جعفر ونافع الباقون بالعكس وانا اول بالمد نافع وابو جعفر الوقوف شيئا للحذف اي واحسنوا بالوالدين احسانا لابتداء
النهي احتمال العطف اي وان لا تقتلوا من املاق واياهم للعطف مع العارض ما بطن للفصل بين الحكمين المعظمين مع اتفاق الجملتين بالحق لانها
بيان الاحكام اي توكيد لا ايضا للاحكام تعقلون اشد للفصل بين الحكمين بالقسط لاحتمال ما بعده الحال او الاستيناف ذا قربى لتناهي جواب اذا
وتقدم مفعول او فوا تذكرون لمن قرأ وان هذا بالكسر فاتبعوه للفصل بين النقيضين معنى مع الاتفاق نظما عن سبيله تتقون يؤمنون ترحمون
لان التقدير فاتبعوه لئلا يقولوا من قبلنا لغافلين للعطف اهدى منهم للفاء مع ان قد لتوكيد الابتداء ورحمة للاستفهام مع الفاء وصدف عنها
يصدفون بعض آيات ربك خبر منتظرون في شيء يفعلون امثالها لابتداء شرط آخر مع العطف لا يظلمون مستقيم لاحتمال ان دينا نصب على البدل
من محل الصراط او على الاغراء الزموا حنيفا لابتداء النفي مع اتحاد المعنى المشركين العالمين لا شريك له المسلمين كل شيء لانتهاء الاستفهام الى الاخبار
اعليها التفصيل الامرين على التهويل مع اتفاق الجملتين اخرى لان ثم لترتيب الاخبار مع اتحاد المقصود تختلفون آتيكم العقاب للتفصيل بين تعذيب
وتبشير والوصل للعطف وضح رحيم التفسير لما بين فساد ما يقوله الكفار في باب التحليل والتحريم اتبعه البيان الشافي في الباب فقال قل تعالوا وهو
تعال الذي صار عاما لان اصله ان يقوله من كان في مكان عال لمن هو اسفل منه وما في قوله ما حرم اما منصوب بفعل التلاوة اي اتل الذي حرمه ربكم
فالعايد محذوف وقوله عليكم يكون متعلقا باتل او بحرم واما منصوب بحرم على ان ما استفهامية فلا راجع والمعنى اتل اي شيء حرم لان التلاوة
نوع من القول وتقديم المفعول للتخصيص فان قيل قوله ان لا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا كالتفصيل لما اجمل في قوله ما حرم فيلزم ان يكون
ترك الشرك والاحسان الى الوالدين محرما فالجواب ان المراد من تحريم البيان المضبوط او الكلام تم عند قوله ما حرم ربكم ثم ابتدأ فقال عليكم ان لا تشركوا
او ان مفسرة اي ذلك التحريم هو قوله لا تشركوا وهذا في النواهي واضح واما الاوامر فيعلم بالقرينة ان التحريم راجع الى اضدادها وهي الاساءة الى الوالدين
وبخس الكيل والميزان وترك العدل في القول ونكث عهد الله ولا يجوز ان يجعل ان ناصبة والا لزم عطف الطلب اعني الامر على الخبر واعلم انه
سبحانه بين فرق المشركين في هذه السورة احسن بيان وذلك ان منهم من يجعل الاصنام شركاء لله تعالى فاشار اليهم بقوله واذ قال ابراهيم لابيه آزر
اتتخذ اصناما آلهة ومنهم عبدة الكواكب الذين ابطل قولهم بقوله لا احب الآفلين ومنهم القائلون بيزدان واهرمن ومنهم الذين يقولون
الملائكة بنات الله والمسيح ابن الله وزيف معتقدهم بقوله وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ثم عمم النهي
بقوله لا تشركوا به شيئا ثم حث على احسان الوالدين وكفى بهذه الخصلة شرفا ان جعلها تاليا للتوحيد ثم اوجب رعاية حقوق الاولاد بعد رعاية
حقوق الوالدين ومعنى من املاق اي من خوف الفقر كما صرح بذلك في الاية الاخرى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق كانوا يدفنون البنات
احياء بعضهم للغيرة وبعضهم لخوف الاملاق وهو السبب الغالب فلذلك نبل ذلك لوهم بقوله نحن نرزقكم واياهم فكما يجب على الوالد الاتكال
في رزق نفسه على الله فكذا القول في حال الولد قال شمر املق الرجل اذا افتقر واملق الدهر ما عنده اذا افسده وانما قال ههنا نحن نرزقكم و
اياهم وقال في سبحان بالعكس لان التقدير في الاية من املاق بكم نحن نرزقكم واياهم وهناك تحدث الخشية التي تتعلق بالمستقبل فالتقدير خشية
املاق يقع بهم نحن نرزقهم واياكم ثم نهى عن قربان الفواحش كلها ومعنى ما ظهر منها وما بطن كما مر في قوله وذروا ظاهر الاثم وباطنه وفيه ان الانسان
اذا احترز عن المعصية في الظاهر ولم يحترز عنها في الباطن دل على ان احترازه عنها ليس لاجل عبودية الله تعالى وامتثال امره ولكن لاجل الخوف من
مذمة الناس ثم افرز من جملة الفواحش قتل النفس المحرمة تنبيها على عظمها وليناط بها من الاستثناء وهو قوله الا بالحق وذلك ان قتل النفس المحرمة
قد يكون حقا لجرم صدر عنها كما جاء في الحديث لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل نفس بغير حق وينخرط
في سلكه جزاء قاطع الطريق والحاصل ان الاصل في قتل النفس هو الحرمة وحله لا يثبت الا بامر منفصل ثم لما بين النواهي الخمسة اتبعه الكلام الذي
يقرب الى القلوب القبول فقال ذلكم وصيكم لما في لفظ التوصية من الرافة والاستعطاف ومعنى لعلكم تعقلون لكي تعقلوا فوائد هذه التكاليف و
منافعها في الدين والدنيا ثم ذكر بعض انواع اخر من التكاليف وذلك قوله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي اي بالخصلة او الطريقة التي هي احسن
السعي في تثميره وانمائه ورعاية وجوه الغبطة لاجله كما مر في اول سورة النساء حتى يبلغ اشده اي احفظوا ماله الى هذه الغاية اي اوان الاحتلام
ولكن بشرط ان يونس منه الرشد قال الفراء واحد الاشد شد في القياس وشد ولم يسمع وقال ابو الهيثم واحد الاشد شدة كالنعم في نعمة والشدة القوة

المعجزات القاهرة قال في الكشاف الملائكة ملائكة الموت او ملائكة العذاب ومجئ الرب مجئ كل اية ثم يوم ياتي بعض ايات ربك واجمعوا على ان المراد بهذه الايات
علامات القيمة عن البراء بن عازب قال كنا نتذاكر امر الساعة اذ اشرف النبي صلى الله عليه واله فقال ما تذاكرون الساعة انها لا تقوم حتى ترون قبلها عشر
ايات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها وياجوج وماجوج ونزول
عيسى ونار تخرج من عدن والمراد انه اذا بدت اشراط الساعة ذهب اوان التكليف عندها فلم ينفع نفسا لم تكن امنت من قبل ايمانها ولا
نفسا ما كسبت في ايمانها خيرا ثم اوعدهم بقوله قل انتظروا انا منتظرون ثم سلى رسول الله صلى الله عليه واله بقوله ان الذين فرقوا دينهم او فرقوا ومعنى
القراءتين في الحقيقة واحد لان الذي فرق دينه بمعنى انه اقر ببعض وكفر ببعض فقد فارقه اى تركه قال ابن عباس يريد ان المشركين بعضهم يعبد
الملائكة ويقولون انهم بنات الله وبعضهم يعبدون الاصنام ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فصاروا شيعا اى فرقا واحزابا في الضلالة
والشيعة كل فرقة تشيع اماما لها وقال مجاهد ايضا انهم من هذه الامة وهم اهل البدع والشبهات وفي الحديث افترقت اليهود على احدى وسبعين
فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وهي الناجية وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفترق امتي على ثلث وسبعين
كلها في الهاوية الا واحدة لست منهم في شيء اى انك بعيد من اقوالهم ومذاهبهم والعقاب اللازم على ذلك الا بالميل مقصور عليهم لا يتعداهم اليك
وقال السدى معناه لم تؤمر بقتالهم فلما امر بقتالهم نسخ ويحتمل ان يقال ان النهي عن القتال في وقت لا ينافي الامر في وقت اخر فلا نسخ انما امرهم الى الله بالاستيصال
والاهلاك ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون وفيه من الوعيد ما فيه وفي الاية حث على ان كلمة المسلمين يجب ان يكون واحدة ليستاهلوا التواب الجزيل كما قال
من جاء بالحسنة هي لا اله الا الله والسيئة الشرك والاولى حملها على العموم فله عشر امثالها اقام صفة الجنس المميز مقام الموصوف تقديره عشر حسنات
امثالها بالرفع والتنوين قيل هذا اقل الموعود وقد وعد سبع مائة وبغير حساب قيل ليس المراد التحديد بل اراد الاضعاف كقول القائل لئن اسديت
الى معروفا لاكافينك بعشرة امثاله وفي الوعيد لئن كلمتني واحدة لاكلمنك عشرا روى ابو ذر ان النبي صلى الله عليه واله قال عن الله تعالى الحسنة عشر او ازيد
والسيئة واحدة او اغفر فالويل لمن غلبت احاده اعشاره وقال صلى الله عليه واله يقول الله تعالى اذا هم عبدي بحسنة فاكتبوها له حسنة وان هم بسيئة فلا تكتبوها
فان عملها فسيئة وهم لا يظلمون اى لا ينقص من ثواب طاعاتهم ولا يزاد على عقاب سيئاتهم سؤال ما الحكمة في الاضعاف جوابه كان للامم اعمار طويلة وطاعات
كثيرة فوضع الله لهذه الامة ليلة القدر خير من الف شهر واضعاف الاعمال من جاء بالحسنة فله عشر امثالها كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة
حبة انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وايضا ان الخصماء يتعلقون بهم يوم القيمة فيذهبون باعمالهم الى ان يبقى الاضعاف فيقول الله اضعافه
ليس من فعلهم وهو من رحمتي فلا اقبض منهم ابدا اخر كيف يوجب الكفر عقاب الابد جوابه ان الكافر كان على عزم الكفر لو عاش ابدا فاستحق العقاب
الابدي بناء على ذلك الاعتقاد بخلاف المسلم المذنب فانه يكون على عزم الاقلاع فلا جرم يكون عقوبته منقطعة وايضا الكفر جهله الكافر وهو ذات
القديم سبحانه وصفاته شيء لا نهاية له فيكون جهله لا يتناهى فكذا عقابه اخر اعتاق الرقبة الواحدة تارة جعل بدلا عن صيام ستين يوما وهو في
كفارة الظهار وتارة بدلا عن صيام ايام قلائل اخر احدث في راس انسان موضحتين فوجب ارشان فان عاد ورفع الحاجز بينهما صار الواجب ارش موضحة
واحدة فههنا ازداد الجناية وقل العقاب اخر قد يجتمع بسبب اطراف تبان ولطائف تزال ديات متعددة اذا حصل الاندمال وتقديره تفقا
العينان وغير من الاذنان او ابطال حسهما العينان او البصر الاجفان المارن الشفتان اللسان او النطق الاسنان اللحيان اليدان الذكر
الانثيان او الحلمتان الحلمتان والشعران والاليتان الرجلان العقل السمع الشم الصوت الذوق الامناء او الاحبال ابطال لذة الجماع ابطال
لذة الطعام الافضاء البطش المشي وقد تضاف اليها موجبات الجوائف والمواضح وسائر الشجاج فان عاد الجاني قبل الاندمال وجز الرقبة او
بنصفين لم يجب الا دية النفس وكل ذلك يدل على ان رعاية المماثلة غير معتبرة في الشرع والجواب عن الاسولة الثلثة ان هذه الامور من تعبدات
الشرع المطهر وتحكماته فلا سبيل لعقولنا اليها ويمكن ان يجاب عن الثالث بان بدل الاطراف انما لم يستقر لان الاندمال دخل في دية النفس لعسر ضبط
ذلك والجزاء الحقيقي موكول الى يوم الجزاء والله اعلم قال اهل السنة كل الثواب تفضل من الله تعالى فلا اشكال وقالت المعتزلة ان بين الثواب
والتفضل فرقا لان الثواب هو المنفعة المستحقة والتفضل هو المنفعة التي لا يكون مستحقة ثم اختلفوا فقال الجبائي العشرة تفضل والثواب
غيرها اذ لو كان الواحد ثوابا والتسعة تفضلا لزم ان يكون الثواب دون التفضل فلا يكون للتكليف فائدة وقال اخرون لا يبعد ان يكون
الواحد ثوابا الا انه يكون على شان من التسعة الباقية ثم لما علم رسوله صلى الله عليه واله انواع الدلائل والرد على اصناف المشركين وبالغ في تقرير اثبات
القضاء والقدر ورد على اهل الجاهلية اباطيلهم امره بان يقول انني هداني ربي ليعلم ان الهداية لا تحصل الا بالله عز وجل قيما فيعل من قام
كسيد من ساد ومن قرأ قيما فعلى انه مصدر بمعنى القيام كالصغر والكبر وصف به للمبالغة وملة ابراهيم عطف بيان وحنيفا من ابراهيم او من ملة والمعنى هداني
وعرفني ملة ابراهيم لكونها وكونها موصوفا بالحنيفية ثم قال في صفة ابراهيم وما كان من المشركين ردا على من زعم عليه شيئا من ذلك كفرا الدين القويم
والطريق المستقيم علمه كيف يصنع به ويؤديه فقال قل ان صلاتي ونسكي اى عبادتي وتقربي اليه كما روى تغلب عن ابن الاعرابي انه قال النسك
سبائك الفضة كل سبيكة منها نسيكة وقيل المتعبد ناسك لانه خلص نفسه من دنس الاثام وصفاها كالسبيكة المخلصة من الخبث وقيل المراد بالنسك
ههنا الذبائح جمع بين الصلوة والذبح كما في قوله فصل لربك وانحر وقيل صلاتي وحجي اخذا من مناسك الحج ومحياي ومماتي اى حيوتي وموتي ومصدران

ايمانها

فيهما وقال في الكشاف المراد وما اتيه في حيوتي واموت عليه من الايمان والعمل الصالح وفيه انه لا يكفي في العبادات ان يوتى بها كيف كانت بل لابد ان
يكون جميع حركات المرء وسكناته لله رب العالمين وبذلك من الاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته وقال في التفسير
الكبير انه تعالى امر رسوله ان يبين ان صلوته وسائر عباداته وحياته ومماته كلها واقعة بخلق الله تعالى وتقديره وقضائه وحكمه وذلك ان المحيا والممات
بخلق الله فكذا الصلوة والنسك وبذلك من التوحيد المحض امرت ثم ذكر ما يجري مجرى الدليل عليه فقال قل اغير الله ابغي ربا وتقريره ان طوائف
المشركين من عبدة الاصنام والكواكب من اليهود والنصارى والثنوية كلهم معترفون بان الله تعالى خالق الكل فكانه سبحانه قال قل يا محمد منكرا اغير
الله اطلب ربا مع ان هؤلاء الذين اتخذوا من دونه الهة مقرون بانه خالق تلك الاشياء ولا يدخل في العقل جعل المربوب والعبد شريكا للرب
والمولى وبوجه اخر الموجود اما واجب لذاته او ممكن لذاته وقد ثبت ان الواجب لذاته واحد وما سواه ممكن لذاته والممكن لذاته لا يوجد الا بايجاد
الواجب لذاته فهو اذن رب كل شيء وصريح العقل شاهد بان المربوب لا يكون شريكا للرب فلا يختص اذن بالربوبية غيره ثم لما بين الدليل
القاطع على التوحيد ذكر انه لا يرجع اليه عن كفرهم وشركهم ذم ولا عقاب فقال ولا تكسب كل نفس الا عليها ومعناه ان اثم الجاني عليه لا على
غيره ولا تزر وازرة وزر اخرى اى لا تؤخذ نفس اثمة باثم نفس اخرى وهذا كالرد لقولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم بين ان رجوع هؤلاء
المشركين الى موضع لا حاكم هناك الا الله تعالى فقال ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ثم ختم السورة ببيان حال المبدا والوسط
والمعاد على سبيل الاجمال فقال وهو الذي جعلكم خلائف الارض قيل الخطاب لبني ادم لانه جعلهم بحيث يخلف بعضهم بعضا وقيل لامة
محمد صلى الله عليه واله لانه خاتم النبيين فخلفت امته سائر الامم وقيل لخواص الامة الذين هم خلفاء الله في ارضه يملكونها ويتصرفون فيها
بالحق كقوله يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الشرف والعقل والجاه والمال والرزق
لا للعجز والبخل ولكن لاجل شبه الابتلاء والامتحان وليظهر الموفر من المقصر ويمتاز المطيع من العاصي حسب ما تقتضيه الحكمة والعدالة والتدبير
والتقدير ثم وصف نفسه بالقدرة الكاملة على ايصال العقاب وايفاء الثواب فقال ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم فادخل
اللام في قرينة الترغيب واسقطها عن قرينة الترهيب ترجيحا لجانب الرحمة والغفران فان اللطف والرحمة تقتضيه بالذات والقهر والتعذيب
يصدر عنه بالعرض لان ذلك من ضرورات الملك ولهذا قال سبقت رحمتي غضبي وانما وصف العقاب بالسرعة لان كل ما هو ات قريب
وانما لم يسقط اللام عن قرينة العقاب في سورة الاعراف في قصة اصحاب السبت لان ذلك تذور وعقبت ذكر المسخ فناسب التاكيد باللام وانما اخر
قرينة الرحمة في الموضعين ليقع ختم الكلام على المغفرة والرحمة فيكون على كمال رافته وفوراحسانه التاويل من املاق فيترك التوكل على الله وعلم الفقر
بالله واوفوا الكيل او فوا بكيل وميزان الشرع حقوق الربوبية واستوفوا بكيل الاجتهاد وميزان الانتصار حظوظ العبودية من الالوهية وبعهد الله
اوفوا بان لا تعبدوا ولا تحبوا ولا تروا الا اياه وان هذا صراطي مستقيما اشارة الى ان الصراط المستقيم الحقيقي الى الله تعالى هو صراط محمد صلى الله عليه
ولهذا امر بان يقتدى بالانبياء ليجمع بين هداهم وهديهم ويحتمل ان يراد بالذي احسن النبي صلى الله عليه واله والاحسان ان تعبد الله كانك تراه الا انزلناه مبارك وبركته
انه انزل على قلبه فكان خلقه القران فقد جاءكم بينة ما يبين لكم طريق السير الى الله وهدى ما يهديكم الى الله اتم واكمل مما جاء في الكتابين ولا رطب
ولا يابس الا في كتاب مبين هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة عيانا او يسوقهم الى الله قهرا او الجاء او ياتي ربك الهم او ياتوا اليه في متابعتك
قل انتظروا المستحيلات انا منتظرون للبقاء في المعادات الذين فارقوا الدين الحقيقي الذي فيه كمالية الانسان وكانوا شيعا فرقا مختلفة من المتدعة
والزنادقة والمرتدة ريا وسمعة وعلماء السوء وملحدة المتفلسفة لست منهم في شيء لانك على الحق وهم على الباطل وبينهما انفصال انما امرهم
الى الله في بدء الخلقة وقسم الاستعداد كما شاء ثم ينبئهم يوم الجزاء بما يستحقه كل منهم من جاء بالحسنة فله عشر امثالها قبل ذلك حتى يقدر
على الاتيان بتلك الحسنة وهي حسنة الايجاد من العدم وحسنة الاستعداد حيث خلقه في احسن تقويم وحسنة الرزق وحسنة بعثة الرسل
وحسنة انزال الكتب وحسنة تبيين الحسنات من السيئات وحسنة التوفيق للحسنة وحسنة الاخلاص في الاحسان وحسنة قبول الحسنات
ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها لان السيئة بذر يزرع في ارض النفس والنفس خبيثة لانها امارة بالسوء والحسنة بذر يزرع في ارض
القلب والقلب طيب والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا والتحقيق انه كما للاعداد ثلث مراتب الاحاد والعشرات
والمات وبعد ذلك يكون الالوف الى حيث لا يتناهى فكذلك للانسان اربع مراتب النفس والقلب والروح والسر فالعمل الواحد في مرتبة النفس
اى اذا صدر عنها يكون واحدا وفي مرتبة القلب يكون بعشر امثالها وفي مرتبة الروح يكون بمائة وفي مرتبة السر يكون بالف الى الاضعاف
كثيرة بقدر صفاء السر وخلوص النية الى ما لا يتناهى وهذا سر ما جاء في القران والحديث من تفاوت جزاء الحسنات والله تعالى اعلم ورسوله قل
انني هداني ربي من اسفل سافلين القالب بجذبة العناية الازلية ونسكي اى سيري على منهاج الصلوة معراج المؤمن ومحياي اى حيوة قلبي
وروحي ومماتي اى موت نفسي لطلب رب العالمين والوصول اليه وانا اول المستسلمين عند الايجاد لامر كن كما قال اول ما خلق الله نوري قل
اغير الله كيف اطلب غير الله وهو حبيبي والمحب لا يطلب الا الحبيب وهو رب كل شيء فيكون ما له لي وان طلبت غيره دونه يكون ذلك الغير على

امرت ثم لما امر به بالتوحيد

لا الى كما قال ولا تكسب كل نفس الا عليها لان النفس امارة بالسوء والسوء عليها لا لطاف ولا تزر وازرة وزر اخرى فان كان القلب سليمان من كدورات
صفات النفس باقيا على ما جبل عليه من حب الله تعالى وطلبه لا يؤاخذ بمعاملة النفس ولا ينالم بعذابها وانما يكون النفس فقط ماخوذة بوزرها معاقبة بما
هي اهله وان كان القلب متقلب الحال واذا عرا الله تعالى باصبع القهر الى محاذات النفس فيصدا مراة القلب بصفات النفس واخلاقها فيتبع النفس وهواها فيزول
عنه الصفا والطهارة والسلامة والذكر والفكر والتوحيد والايمان والتوكل والصدق والاخلاص ورعاية وظايف العبودية فيكون ماخوذا
بوزره لا بوزر غيره وهو الذي جعل كل واحد من بني ادم وقته وخليفة ربه في الارض وسر الخلافة ان صوره على صفات نفسه حيا قيوما سميعا بصيرا عالما
قادرا مريدا متكلما ورفع بعضكم فوق بعض درجات في استعداد الخلافة ليبلوكم ليظهر من المخلوق بالخلافة منكم القائم بها بامره في العباد والبلاد
ممن الذي رجع القهقرى الى صفات البهائم وابطل الاستعداد للخلافة بالختم والطبع والحبس في سجين الطبيعة غفور رحيم لمن رفعه الله درجات الله حسبي

سورة الاعراف مكية الا خمس ايات وسئلهم عن القرية الى قوله وقطعناهم حروفها ١٤٣ اكلها ٣٣٢٥ اياتها مائتان وست

بسم الله الرحمن الرحيم

المص كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا
كتابي است فرود آمده بسوي تو پس نباشد در سينه تو تنگي از ان تا بترساني بان و پندي است از براي مومنان پيروي كنيد آنچه را كه فرستاده شده بسوي شما از پروردگار شما
تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون فما كان دعويهم
و متابعت مكنيد از غير او دوستان اندكي پند ميگيريد و چه قدر از ديهها كه هلاك كرديم انرا پس آمد او را عذاب ما در شب يا ايشان در گفتگو بودند پس نبود حرف ايشان
اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين فلنقصن عليهم
چون آمد ايشان را عذاب ما مگر گفتند كه ما بوديم ستمكاران پس هر آينه سوال كنيم انها را كه فرستاديم بسوي ايشان و هر آينه سوال كنيم پيغمبران را پس هر آينه حكايت كنيم بر ايشان
بعلم وما كنا غائبين والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك
بدانش و نبوديم ما پنهان و ترازوي در ان روز حق است پس آنكه سنگين است ترازوي او پس آن گروه ايشانند رستگاران و هر كه سبك است ترازوي او پس آن گروه
الذين خسروا انفسهم بما كانوا باياتنا يظلمون ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون
آنانند كه زيان كردند بنفسهاي خود بانچه بودند باياتهاي ما ستم ميكردند و هر آينه جاي داديم شما را در زمين و قرار داديم از براي شما دران گذرانها كم سپاس گذاريد

القراءة يذكرون بتاء الغيبة ثم التفعل ابن عامر والباقون كما مر في اخر الانعام الوقوف المص كوفي للمؤمنين ولا تذكرون قائلون نصف الجزء والربع
الثاني من القران ظالمين المرسلين للعطف غائبين الحق للابتداء الشرط مع فاء التعقيب المفلحون يظلمون معايش تشكرون التفسير قد تقدم
في اول الكتاب مباحث هذه المقطعة على سبيل العموم وعن ابن عباس معنى المص انا الله اعلم وافصل وقال السدى معناه انا المصور وقيل معناه
الم نشرح لك صدرك بدليل فلا يكن في صدرك حرج منه كما زاد في الرعد راء لقوله بعده رفع السموات ثم ان جعلنا هذه الحروف بدل جملة فلا
محل لها من الاعراب وان كانت اسما للسورة جاز ان يكون المص مبتداء وكتاب بمعنى السورة خبره والجملة بعده صفة له وجاز ان يكون المص خبر
مبتداء محذوف وكذا كتاب اي هذه المص هو كتاب انزل عليك والدليل على انه منزل من الله تعالى هو انه ما تلمذ استاذا ولا تعلم من معلم ولا طالع
كتابا ولم يخالط اهل الاخبار والاشعار وقد مضى على ذلك اربعون سنة ثم ظهر عليه هذا الكتاب اشتمل على علوم الاولين والاخرين فلن يبقى
شبهة في انه مستفاد بطريق الوحي القائلون بخلق القران زعموا ان الانزال يقتضي الانتقال من حال الى حال وهذا من سمات المحدثات واجيب
بان الموصوف بالانزال والتنزيل على سبيل المجاز هو الحروف والالفاظ ولا نزاع في كونها محدثة مخلوقة فان قيل الحروف اعراض غير باقية بدليل انه
لا يمكن الاتيان بها الا على سبيل التوالي وعدم الاستقرار فكيف يعقل وصفها بالنزول اجيب بانه تعالى احدث هذه الرقوم في اللوح المحفوظ
ثم ان الملك طالع تلك النقوش وحفظها ونزل فعلمها محمدا صلى الله عليه واله ثم قال فلا يكن في صدرك حرج اي شك وسمي الشك حرجا لان
الشاك ضيق الصدر حرج كما ان المتيقن منفسح الصدر منشرح ومعناه اي من شان الكتاب اي لا شك في انه منزل من عند الله او من تبليغه اي لا يضيق
صدرك من الاداء وتوجه النهي الى الحرج كقولهم لا ارينك ههنا والمراد نهيه عن الكون بحضرته فان ذلك سبب رؤيته ومثل قوله تعالى وليجدوا
فيكم غلظة ظاهره امر للمشركين وانه في الحقيقة امر للمؤمنين بان يغلظوا على المشركين وفي متعلق قوله لتنذر اقوال قال الفراء انه متعلق
بانزل وفي الكلام تقديم وتاخير اي انزل اليك لتنذر به فلا يكن في صدرك حرج وفائدة التقديم والتاخير ان الاقدام على الانذار و
التبليغ لا يتم ولا يكمل الا عند زوال الحرج عن الصدر وقال ابن الانباري انه متعلق بالنهي اللام بمعنى كي والتقدير فلا يكن في صدرك شك
كي تقدر على انذار غيرك لانه اذا لم يخفهم انذرهم وكذا اذا ايقن انه من عند الله شجعه اليقين على الانذار لان صاحب اليقين جسور لتوكله
على ربه وثقته بعصمته وقال صاحب النظم اللام بمعنى ان كقوله يريدون ان يطفئوا وفي موضع اخر ليطفئوا والتقدير لا يضيق صدرك
ولا يضعف عن ان تنذر به وقيل ان تقدير الكلام هذا الكتاب انزله الله عليك واذا علمت انه تنزيل الله تعالى فاعلم ان عناية الله معك
واذا علمت هذا فلا يكن في صدرك حرج لان من كان الله له حافظا وناصرا لم يخف احدا واذا زال الخوف والضيق عن القلب فاشتغل بالابلاغ

والانذار اشتغال الرجال الابطال ولا يبال باحد من اهل الضلال والابطال ثم قال وذكرى للمؤمنين قال ابن عباس يريد مواعظ للمصدقين
وقال الزجاج هو اسم في موضع المصدر قال الليث الذكرى اسم للتذكرة وقال صاحب الكشاف محل ذكرى يحتمل النصب باضمار فعلها كانه قيل لتنذر
به وتذكر تذكيرا والرفع عطفا على كتاب وبانه خبر مبتدا محذوف والجر للعطف على محل ان تنذر اي للانذار وللذكرى وانما لم ينقله على محل لتنذر
لان المفعول له يجب ان يكون فاعله وفاعل الفعل المعلل واحدا ولو صح ذلك لكان محله النصب لا الجر وخص الذكرى بالمؤمنين كقوله هدى للمتقين
والتحقيق فيه ان النفوس البشرية منها بليدة بعيدة عن عالم الغيب غريقة في بحر اللذات الجسمانية فتحتاج الى زاجر قوي ومنها مشرقة بالانوار
الالهية مستعدة للانجذاب الى عالم القدس الا انها غشيتها غواش من عالم الجسم فعرض لها نوع ذهول وغفلة فالصنف الاول يحتاج الى
انذار وتخويف واما الصنف الثاني فاذا سمعت دعوة الانبياء واتصل بها انوار ارواح رسل الله تعالى تذكرت معدنها وابصرت مركزها واشتاقت
الى ما هنالك من الروح والراحة والريحان فلم يحتج الا الى تذكرة وتنبيه فثبت انه سبحانه انزل هذا الكتاب على رسوله ليكون انذارا في حق طائفة
وذكرى في شان طائفة ثم كما امر الرسول بالتبليغ والانذار مع قلب قوي وعزم صحيح امر المرسل اليهم وهم الامة بالمتابعة فقال اتبعوا ما انزل اليكم
من ربكم ومعنى كونه منزلا اليهم انهم مخاطبون به مكلفون بذلك والا فهو بالحقيقة منزل على الرسول قالت العلماء المنزل متناول للقران والسنة
جميعا عن الحسن يا ابن ادم امرت باتباع كتاب الله وسنة رسوله وفي الاية دلالة على ان تخصيص عموم القران بالقياس غير جائز لان متابعة المنزل
واجبة فلو عمل بالقياس لكونه مستفادا من القران وهو قوله فاعتبروا عمل بالقران ايضا قلنا بعد التسليم ان الترجيح معنا لان العمل بالمنزل ابتداء
ومن العمل بالمنزل بواسطة ثم اكد الامر المذكور بقوله ولا تتبعوا من دونه اولياء اي لا تتخذوا من دون الله اولياء من شياطين الجن والانس فيحملوكم
على عبادة الاوثان والاهواء والبدع ويجوز ان يكون الضمير في من دونه لما انزل اي لا تتبعوا من دون دين الله دينا اولياء احتج نفاة القياس
بان الاية دلت على انه لا يجوز متابعة غير ما انزل الله تعالى والعمل بالقياس متابعة غير ما انزل فلا يجوز لا يقال العمل بالقياس عمل بالمنزل لقوله
فاعتبروا لانا نقول لو كان الامر كذلك لكان تارك العمل بمقتضى القياس كافرا لقوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون وقد اجمعت
الامة على عدم تكفيره اجاب مثبتوا القياس حجة ثبت باجماع الصحابة والاجماع دليل قاطع وظاهر العموم دليل مظنون فلا يعارض القاطع ورد
بانكم اثبتم ان الاجماع حجة بعموم قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وبعموم قوله صلى الله عليه واله لا تجتمع امتي
على الضلالة والفرع لا يكون اقوى من الاصل اجاب المثبتون بان الايات والاحاديث والاجماع لما تعاضدت في اثبات القياس قوي الظن
وحصل الترجيح ومن الحشوية من انكر النظر في البراهين العقلية تمسكا بالاية واجيب بان العلم بكون القران حجة موقوف على صحة التمسك بالدلائل
العقلية فكيف تنكر ثم ختم المخاطبة بنوع معاتبة فقال قليلا ما تذكرون اي تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة ثم ذكر ما نزل بالمنافي بعض
من ابو عبيد فقال وكم من قرية فموضع كم رفع بالابتداء ومن مزيدة للتاكيد والبيان اي كثير من القرى اهلكناها مثل زيد ضربته وتقدم
النصب ايضا عربي جيد وفي الاية حذف لان القرية لا تهلك فقط فان القرية تهلك بالهدم والخسف كما يهلك اهلها ولكنه يقال التقدير
وكم من اهل قرية لقوله فجاءها باسنا والباس بالاهل انسب لقوله او هم قائلون ولان الزجر والتحذير لا يقع للمكلفين الا باهلاكهم ولا
معنى البيات والقيلولة لا يصح الا فيهم وانما قال فجاءها ردا بالكلام على اللفظ وكما يقال الرجال فعلت وهنا سؤال وهو ان قوله فجاءها باسنا
يقتضي ان يكون مقدما على مجيء الباس ولكن الامر بالعكس والعلماء اجابوا بوجوه منها ان المراد حكمنا بهلاكها واردنا اهلاكها فجاءها كقوله اذا
قمتم الى الصلوة فاغسلوا ومنها ان معنى الاهلاك ومعنى مجيء الباس واحد فكانه قيل وكم من قرية اهلكناها فجاءهم اهلاكنا وهذا كلام صحيح
فان قيل كيف يصح والعطف يوجب المغايرة فالجواب ان الفاء قد يجيء للتفسير كقوله صلى الله عليه واله لا يقبل الله صلوة احدكم حتى يضع
الطهور مواضعه فيغسل وجهه ويديه فان غسل الوجه واليدين كالتفسير لوضع الطهور مواضعه فكذا ههنا مجيء الباس جار مجرى التفسير
للاهلاك لان الاهلاك قد يكون بالموت المعتاد وقد يكون بتسليط الباس والبلاء عليهم وقريب منه قول الفراء لا يبعد ان يكون الباس
والهلاك يقعان معا كما تقول اعطيتني فاحسنت وما كان الاحسان بعد الاعطاء ولا قبله وانما وقعا معا ومنها ان ذلك محمول على حذف المعطوف والتقدير
اهلكناها فحكم بمجيء الباس كان الاهلاك امارة للحكم بوصول مجيء الباس ومنها انه من باب القلب الذي يشجع عليه امن الالباس كقولهم عرضت الناقة
على الحوض وقوله بياتا قال الجوهري بيت العدو اي اوقع بهم ليلا والاسم البيات وفي الكشاف انه مصدر بات الرجل بياتا حسنا وعلى القول
فانه وقع موقع الحال بمعنى بائتين او مبيتين ثم قال او هم قائلون والجملة حال معطوفة على بياتا كانه قيل فجاءها باسنا مبيتين او بائتين او قائلين وانما حسن
ترك الواو ههنا من الجملة الاسمية الواقعة حالا لان واو الحال قريب من واو العطف لا سيما استعيرت منها للوصل فالجمع بين حرف العطف وبينه
جمع بين المثلين وذلك مستثقل فقولك جاءني زيد راجلا او هو فارس كلام فصيح ولو قلت جاءني زيد هو فارس كان ضعيفا وقال بعض النحويين الواو
محذوفة مقدرة ورده الزجاج لما قلنا اما معنى القيلولة فالمشهور انها نوم نصف النهار وقال الازهري هي الاستراحة نصف النهار وان لم يكن نوم لقوله
تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا والجنة لا نوم فيها وانما خص وقتا البيات والقيلولة لانهما وقتا الغفلة والدعة فيكون نزول
العذاب فيهما اشد وافظع وكانه قيل للكفار لا تغتروا بالفراغ والرفاغ والامن والسكون فان عذاب الله انما يجيء دفعة من غير سبق امارة الا قد

بان كون القياس صح

او قائلين صح

اللَّيْلِ مَسْرُورًا بِاَوَّلِهِ اِنَّ الْحَوَادِثَ قَدْ يَطْرُقْنَ اَسْحَارًا فقوم لوط هلكوا وقت السحر وقوم شعيب وقت القيلولة ثم قرر حالهم عند مجئ البأس فقال فما كان
دعويهم اى ما كانوا يدعونه من قبل دينهم وينتحلونه من مذهبهم الا اعترافهم ببطلانه وفساده والاقرار بالاساءة والظلم على انفسهم وقال ابن عباس
فما كان تضرعهم واستغاثتهم الا قولهم هذا وذلك اقرار منهم على انفسهم بالشرك وقال اهل اللغة الدعوى اسم يقوم مقام الدعاء حكى سيبويه
اللهم اشركنا فى صالح دعاء المسلمين ودعوى المسلمين اى فما كان دعاؤهم ربهم الا اعترافهم بعلمهم ان الدعاء لا ينفعهم فلا يزيدون على ذم انفسهم
وتحسرهم على ما فرط منهم وفرطوا فيه ومحل دعويهم وعلى عكسه محل ان قالوا يجوز ان يكون نصبا او رفعا كما سبق فى اعراب قوله فلم تكن فتنتهم الا
ان قالوا ثم ذكر على ترك القبول والمتابعة وعيدا اجلا فقال فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ اُرْسِلَ اِلَيْهِمْ نسأل المرسل اليهم عما اجابوا به رسلهم كقوله ويوم يناديهم
فيقول ماذا اجبتم المرسلين ولنسئلن المرسلين عما اجيبوا به كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم ثم قال فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ اى على الرسل
والمرسل اليهم اليهم ما كان منهم بعلم عالمين باحوالهم الظاهرة والباطنة واقوالهم وافعالهم وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ عنهم وعما وجد منهم فان قيل ما الفائدة
فى سؤال المرسل اليهم بعد ما اخبر عنهم انهم اعترفوا بذنوبهم فالجواب انهم لما اقروا بانهم كانوا ظالمين مقصرين سئلوا بعد ذلك عن سبب الظلم
والتقصير تقريعا وتوبيخا فان قيل ما الفائدة فى سؤال الرسل مع العلم بانه لم يصدر عنهم تقصير البتة قلنا ليلحق كل التقصير بالامة فيتضاعف
اكرام الله تعالى فى حق الرسل لظهور براءتهم عن جميع موجبات التقصير ويتضاعف اسباب الخزى والاهانة فى حق الكفار فان قلت كيف الجمع بين قوله فلنسئلن
وبين قوله فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان فالجواب بعد تسليم اتحاد الزمان والمكان ان القوم لا يسئلون عن الاعمال لان الكتب مشتملة عليها
ولكنهم يسئلون عن الدواعى التى دعتهم اليها وعن الصوارف التى صرفتهم عنها او المراد نفى سؤال الاستفادة والاسترشاد واثبات سؤال التوبيخ والاهانة
بلا تناقض وفى الاية ابطال قول من زعم انه لا حساب على الانبياء ولا على الكفار وفيها انه سبحانه عالم بالكليات وبالجزئيات ولا يعزب عن علمه شئ
فى الارض ولا فى السموات فالالهية لا تكمل الا بذلك وفيها انه غير مختص بشئ من الاحياز والجهات والا كان غائبا عن غيره ثم بين ان من جملة
احوال يوم القيمة وزن الاعمال فقال وَالْوَزْنُ هو مبتداء خبره يَوْمَئِذٍ وقوله الْحَقُّ صفة المبتداء اى الوزن العدل يوم يسئل الله الامم ورسلهم
وقيل لا يجوز الاخبار عن شئ وقد بقيت منه بقية فيجب على هذا ان يكون الحق خبرا ويومئذ ظرفا للوزن ومعنى الحق انه كائن لا محالة وفى كيفية
الميزان قولان الاول ما جاء فى الخبر انه تعالى ينصب ميزانا له لسان وكفتان يوم القيمة يوزن به اعمال العباد خيرها وشرها وكيف يوزن فيه وجهان
احدهما ان المؤمن يتصور اعماله بصور حسنة واعمال الكافر بصور قبيحة فتوزن تلك الصور ذكره ابن عباس وثانيهما ان الوزن يعود الى الصحف التى
يكون فيها اعمال العباد روى ان رسول الله صلى الله عليه وآله سئل عما يوزن يوم القيمة فقال الصحف وعن عبد الله بن سلام ان ميزان رب
العالمين ينصب بين الجن والانس يستقبل به العرش احدى كفتى الميزان على الجنة والاخرى على جهنم ولو وضعت السموات والارض فى احديهما لوسعتهن
وجبرئيل اخذ بعموده ناظر الى لسانه وعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى برجل يوم القيمة الى الميزان ويؤتى له بتسعة وتسعين
سجلا كل سجل مد البصر فيها خطاياه وذنوبه فيوضع فى كفة الميزان ثم يخرج له قرطاس كالانملة فيه شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا صلى الله عليه وآله
عبده ورسوله فيوضع فى الاخرى فترجح قال القاضى يجب ان يحمل هذا على انه يأتى بالشهادتين بحقهما من العبادات والا كان اغراء على المعصية
ورد بانه خلاف الظاهر وبانه لا يبعد ان يكون ثواب كلمة الشهادة ادنى وازيد من سائر الاعمال لان معرفة الله تعالى اشرف العقائد والاعمال وفى
روى الواحدى فى البسيط انه اذا خف حسنات المؤمن اخرج رسول الله صلى الله عليه وآله من حجرته بطاقة كالانملة فيلقيها فى كفة الميزان اليمنى التى فيها حسناته
فترجح الحسنات فيقول ذلك العبد المؤمن للنبى صلى الله عليه وآله بابى انت وامى ما احسن وجهك وخلقك فيقول انا نبيك وهذه صلواتك التى كنت
تصليها على قد وفيت احوج ما تكون اليها القول الثانى قول مجاهد والضحاك والاعمش وكثير من المتأخرين ان المراد من الميزان العدل لان
العدل فى الاخذ والاعطاء لا يظهر الا بالوزن والكيل فلا يبعد جعل الوزن مجازا عن العدل ومما يؤكد ذلك ان اعمال العباد اعراض وانها قد فنيت
وعدمت ووزن المعدوم محال وكذا لو قدر بقاؤها واما قولهم الموزون صحائف الاعمال او صور مخلوقة على حسب مقادير الاعمال فنقول المكلف
يوم القيمة اما ان يكون مقرا بانه تعالى عادل حكيم وح يكفيه حكم الله تعالى بمقادير الثواب والعقاب فى علمه بانه عدل وصواب واما ان لا يكون مقرا
فلا يعرف من رجحان الحسنات على السيئات وبالعكس حقيقة الرجحان اجاب الاولون بان جميع المكلفين يعرفون يوم القيمة انه تعالى منزه عن الظلم والجور
لكن الفائدة فى وضع الميزان ظهور الرجحان لاهل الموقف وازدياد الفرح والسرور للمؤمن وبالضد للكافر واختلف العلماء ايضا فى كيفية الرجحان
فقال بعضهم يظهر هناك نور فى رجحان الحسنات وظلمة فى رجحان السيئات وقال اخرون بل يظهر الرجحان فى الكفة واختلف ايضا فى الموازين
فقيل انها جمع موزون واراد الاعمال الموزونة والميزان المنصوب واحد ولئن سلم انها جمع الميزان فالعرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد فتقول
خرج فلان الى مكة على الافراس والبغال قاله الزجاج وقال الاكثرون كما لا يمتنع اثبات ميزان له لسان وكفتان فكذلك لا يمتنع اثبات موازين
بهذه الصفة فالموجب لترك الظاهر والمصير الى التأويل قال عز من قائل ونضع الموازين القسط ليوم القيمة وايضا لا يبعد ان يكون لافعال
القلوب ميزان ولافعال الجوارح ميزان ولما يتعلق بالقول ميزان اخر ثم المرجئة الذين يقولون المعصية لا تضر مع الايمان قالوا ان الله حصر
اهل الموقف فى قسمين منهم من يزيد حسناته على سيئاته ومنهم من على العكس ولا ريب ان هذا القسم اهل الكفر لانه حكم عليهم بانهم الذين خسروا

انفسهم

انفسهم بسبب الظلم بآيات الله اى لتكذيب بها وهذا لا يليق الا بالكافر ولئن سلم ان العاصى معاقب لكنه يعاقب بآثامه ثم يعفى عنه ويتخلص
الى رحمة الله تعالى فهو بالحقيقة ما خسر نفسه بل فاز برحمة الله ابد الآباد من غير زوال ولا انقطاع قيل فى الاية دلالة على ان الذى يكون حسناته
وسيئاته متعادلتين متساويتين غير موجود والله اعلم ثم لما فرغ من التخويف بالعذاب لاجل رغبة الخلائق فى قبول دعوة الانبياء بطريق
اخر وهو تذكر النعم فان ذلك يوجب الطاعة فقال وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِى الْاَرْضِ اقدرناكم على التصرف فيها وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ هى جمع معيشة
وهى ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها او ما يتوصل به الى ذلك وبالجملة وجوه المنافع التى تحصل بتخليق الله تعالى ابتداء كالاثمار او بواسطة
كالاكتساب والوجه فى معايش تصريح الياء لانها اصلية لا زائدة كصحائف بالهمزة فى صحيفة وعن ابن عامر او نافع فى بعض الروايات الهمزة تشبيها
بصحائف واستبعده النحويون البصريون ثم عاتب المكلفين بانهم لا يقومون بشكر نعمه كما ينبغى فقال قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ وفيه اشارة الى انهم قد
يشكرون وقليل من عبادى الشكور التأويل المص هو اله من لطفه افرد عباده للمحبة والمعرفة وانعم عليهم بالصدق والصبر لقبول القبول كالية
المعرفة والمحبة بواسطة كتاب انزل على قلبك فانفسح له صدرك وانشرح فلم يبق فيه ضيق وحرج بخلاف ما انزل من الكتب فى الالواح والصحف فقد
عرض لبعضهم ضيق وحرج فالقى الالواح وكما شرف نبيه بالكتاب المنزل على قلبه حتى صار خلقه القران اشرف امته بان امرهم باتباع ما انزل اليهم
ليتخلقوا باخلاق الله وكم من قرية قلب افسدنا استعدادها فجاءهم باسنا اى ذاقت قلوبهم باصبع القهار بياتا واهلها نائمون على فراش الحسبان او هم
قائلون فى نهار الخذلان فما كان ادعاءهم الا ان قالوا من قصر نظرهم لا من طريق الادب انا كنا ظالمين فنسبوا التصرف الى انفسهم ولم يعلموا ان
الله نعم مقلب افئدتهم وابصارهم فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ اُرْسِلَ اِلَيْهِمْ وهم عامة الخلائق هل قبلتم الدعوة وعملتم بما امرتم لا يكون السؤال سؤال
تعنيف وتعذيب وهم الذين قبلوا الدعوة فيكون السؤال سؤال تشريف وتقريب ولنسئلن المرسلين سؤال انعام والزام هل بلغتم وهل
وجدتم امما قابلى الدعوة فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ فليعلمن انا ما ارسلنا الرسل اليهم عبثا وانما ارسلناهم لامر عظيم وخطب جسيم وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ عن
الرسل بالنصرة والمعونة وعن المرسل اليهم بالتوفيق والعناية والوزن يومئذ لاهل الحق لا الباطل فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا وروى انه يؤتى يوم
القيمة بالرجل العظيم الطويل الاكول الشروب فلا يوزن جناح بعوضة فمن ثقلت موازينه بالاعمال الصالحة والاخلاق الفاضلة والاحوال الكاملة
فاولئك هم المفلحون ومن ترانا نيتهم وانما جمع الموازين لان لبدن كل مكلف ميزانا يوزن به اعماله ولنفسه ميزانا يوزن به صفاتها ولقلبه
ميزانا يوزن به اوصافه ولروحه ميزانا يوزن به نعوته ولسره ميزانا يوزن به احواله ولخفيه ميزانا يوزن به اخلاقه والخفى لطيفة روحانية قابلة
لفيض الاخلاق الربانية ولهذا قال صلى الله عليه وآله ما وضع فى الميزان شئ اثقل من حسن الخلق وذلك انه ليس من نعوت المخلوقين وانما هو
خلق رب العالمين والعباد مأمورون بالتخلق باخلاقه خسروا انفسهم افسدوا استعدادها ولقد مكناكم هيأنا لكم خلافة الارض دون غيركم من
الحيوانات والملك وجعلنا لكم خاصة معايش لكل صنف من الملك والحيوانات معيشة واحدة وذلك ان الانسان مجموع من الملكية والحيوانية
والشيطانية والانسانية فمعيشة الملك هى معيشة روحه ومعيشة الحيوان هى معيشة بدنه ومعيشة الشيطان هى معيشة نفسه الامارة بالسوء وقد حصل للانسان
بهذا التركيب بالانسانية قلبا وسرا وخفيا ولم يكن لكل واحد من الملك والحيوان والشيطان القلب والسر والخفى فمعيشة قلبه هى الشهود ومعيشة سره هى الكشوف ومعيشة خفيه هى الوصال والوصول

ع وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا اِلَّا اِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ قَالَ مَا مَنَعَكَ
و هر آینه آفریدیم شما را پس صورت بستیم شما را پس گفتیم مر فرشتگان را سجده کنید مر آدم را پس سجده کردند بجز ابلیس که نبود از سجده کنندگان گفت که چه واداشت ترا
اَلَّا تَسْجُدَ اِذْ اَمَرْتُكَ قَالَ اَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِى مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ اَنْ تَتَكَبَّرَ
که سجده نکردی چون بفرمودم ترا گفت که من بهترم ازان آفریدی مرا از آتش و آفریدی ورا از گل گفت که پس فرود آ ازینجا پس نسزد ترا که بزرگی جوئی
فِيهَا فَاخْرُجْ اِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ قَالَ اَنْظِرْنِى اِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ اِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ قَالَ فَبِمَا اَغْوَيْتَنِى
دران پس بیرون رو که تو از زیردستانی گفت که باز دار مرا تا روزی که مردگان زنده شوند گفت که تو از مهلت داده شدگانی گفت که پس بسبب گمراه کردنت مرا
لَاَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ اَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ اَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ
هر آینه باز دارم ایشانرا از راه تو که راست است پس هر آینه بیایم ایشانرا از پیش روی ایشان و از پشت ایشان و از طرف راست ایشان و از طرف چپ ایشان و نیابی
اَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَاَمْلَاَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ اَجْمَعِينَ وَيَا آدَمُ
بیشتر ایشانرا سپاسگذاران گفت که بیرون رو ازان نکوهیده و رانده هر آینه هر که پیروی کند ترا از ایشان هر آینه پر کنم دوزخ را از شما همه و ای آدم
اسْكُنْ اَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَوَسْوَسَ
جای گیر تو و زنت در بهشت پس بخورید از هر جا که خواسته باشید و نزدیک مشوید این درخت را پس بوده باشید از ستمکاران پس وسوسه کرد
لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُورِىَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْاٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ اِلَّا اَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ
مر ایشانرا شیطان تا ظاهر کند برای ایشان آنچه را که پنهان بود از ایشان از عورتهای ایشان و گفت که نهی نکرده است شما را پروردگار شما ازین درخت مگر که بوده باشید دو فرشته
اَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا اِنِّى لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ فَدَلّٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ
یا بوده باشید از جاویدان و سوگند خورد با ایشان که من مر شما را هر آینه از پند دهندگانم پس راهنمونی کرد ایشان را بفریب پس چون چشیدند از درخت

بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة

ظاهر شد مر ایشانرا عورتهای ایشان و نزدیک رفتند که بپوشانند بر خودشان از برگ درخت بهشت و ندا کرد ایشانرا پروردگار ایشان که آیا نهی نکردم شمارا ازین درخت

واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من

و نگفتم مر شمارا که بدرستی که شیطان مر شمارا دشمنیست آشکارا گفتند که پروردگارا ستم کردیم نفس خود را و اگر نیامرزی مارا و رحم نکنی مارا هر آینه بباشیم از

الخاسرين قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون

زیان کاران گفت فرود آیید بعضی از شما مر بعضی را دشمن است و مر شماراست در زمین قرارگاه و بهره تا هنگامی گفت که در آن زندگانی کنید و در آن بمیرید و از آن بیرون آیید

القراءة لاملان بتليين الهمزة الثانية حيث كان الاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف تخرجون من الخروج حمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب وابن ذكوان الباقون مبنيا للمفعول من الاخراج والله اعلم الوقوف الا ابليس ط لانه معه فلا يصح جعله صفة له الساجدين اذ امرتك ط منه ج لانقطاع النظم من اتحاد المقول طين الصاغرين يبعثون المنظرين المستقيم للعطف شمائلهم ط شاكرين مدحورا ط لان ما بعده ابتداء قسم محذوف اجمعين الظالمين الخالدين الناصحين بغرور ج لان جواب لما منتظر مع الفاء وورق الجنة ط لان الواو للاستيناف مبين انفسنا للادب اعلاما بانقطاع الحجة قبل ابتداء الحاجة الخاسرين عدو ج لعطف المختلفين الى حين تخرجون التفسير من جملة نعم الله تعالى علينا ان خلق ابانا ادم وجعله مسجودا للملائكة فلذلك ذكر تلك القصة عقيب تذكر النعم ونظير هذه الآيات ما سبق في سورة البقرة كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم منع من المعصية بقوله كيف تكفرون ثم علل ذلك المنع بكثرة نعمه على المكلفين وهو انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم خلق لهم ما في الارض جميعا من المنافع ثم ختم ذلك بقصة جعل ادم خليفة في الارض مسجودا للملائكة والغرض من الكل ان التمرد والجحود لا يليق بازاء هذه النعم السابقة وقصة ادم وما جرى له مع ابليس ذكرها الله في سبعة مواضع البقرة وههنا وفي الحجر وفي سبحان وفي الكهف وفي طه وفي ص وسنبين بعض حكمة اختلاف العبارات بقدر الفهم انشاء الله تعالى وههنا سؤال وهو ان قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا يقتضي ان امر الملائكة بالسجود لادم وقع بعد خلقنا وتصويرنا والامر في الواقع بالعكس واجاب المفسرون بوجوه منها ان المضاف محذوف اي خلقنا اباكم ادم طينا غير مصور ثم صورنا اباكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا وانما حسن هذه الكناية لان ادم عليه السلام اصل البشر نظيره قوله لبني اسرائيل المعاصرين واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور اي ميثاق اسلافكم وقاله ثم انتم يا خواص قد قتلتم هذا الفعل وانما فعله احدهم ومنها ان المراد خلقناكم من ادم ثم صورناكم اي صورنا ذرية ادم في ظهره في صورة الذر ثم قلنا للملائكة وهذا قول مجاهد ومنها خلقناكم ثم صورناكم ثم نخبركم انا قلنا للملائكة ومنها ان الخلق في اللغة التقدير وتقدير الله تعالى عبارة عن علمه بالاشياء ومشيته بتخصيص كل شيء بمقداره المعين له فقوله خلقناكم اشارة الى حكم الله وتقديره لاحداث البشر في هذا العالم وقوله صورناكم اشارة الى انه تعالى اثبت في اللوح المحفوظ صورهم كما انه اثبت صور كل كائن كما جاء في الخبر اكتب ما هو كائن الى يوم القيمة ثم بعد هذين الامرين احدث الله تعالى ادم وامر الملائكة بالسجود له قال الامام فخر الدين ره وهذا التاويل عندي اقرب الوجوه وتاويل هذه السجدة وان ابليس هل هو من الملائكة ام لا قد تقدم في اوائل سورة البقرة فلا وجه لاعادته اما قوله سبحانه ما منعك ان لا تسجد فظاهره يقتضي انه تعالى طلب من ابليس ما منعه من ترك السجود وليس الامر كذلك فان المقصود طلب ما منعه من السجود كما قال في سورة ص ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي فلهذا الاشكال حصل للمفسرين ره اقوال اولها وهو الاشهر ان لا صلة زائدة كما في لا اقسم وكما في قوله لئلا يعلم اهل الكتاب اي ليعلم وهذا قول الكسائي والفراء والزجاج والاكثرين قال في الكشاف وفائدة زيادته توكيد معنى الفعل الذي يدخل عليه وتحقيقه كانه قيل في لئلا يعلم ليتحقق علم اهل الكتاب فيما منعك ان لا تسجد ما منعك ان تحقق السجود وتلزمه نفسك ثانيها لعل ارادة زيادة لا اشارة الى ان المذكور ما عدل عنه ولا يلزم منه تحقق المذكور وثالثها ان اثبات الزيادة في كلام الله تعالى خارج عن الادب وان الاستفهام للانكار اي لم يمنعك من ترك السجود شيء كقول القائل لمن ضربه ظلما ما الذي منعك من ضربي ادينك ام عقلك ام حياؤك والمعنى انه لم يوجد احد هذه فما امتنعت من ضربي ثالثها قال القاضي ذكر الله تعالى المنع واراد الداعي فكانه قال ما دعاك الى ان لا تسجد لان مخالفة امر الله تعالى حالة يتعجب منها ويسأل عن الداعي اليها وقيل الممنوع من الشيء مضطر الى خلاف ما منع منه وقيل معناه ما الذي جعلك في منعة من عذابي وقيل معناه من قال لك لا تسجد واقول يمكن ان لا يعلق قوله ان لا تسجد بقوله ما منعك وانما يكون متعلقه محذوفا والتقدير ما منعك من السجود ان لا تسجد اي لان لا تسجد توجه عليك هذا السؤال والحاصل ان عدم سجودك ما سببه اذ امرتك امر ايجاب وفائدة هذا السؤال من علام الغيوب توبيخه واظهار معاندته وجحوده واستدل العلماء بالآية على ان مجرد الامر يقتضي الوجوب لان الذم ترتب عليه وان الامر يقتضي الفور والا لم يستوجب الذم بترك السجود في الحال ثم استانف اللعين قصة اخبر فيها عن نفسه بالفضل على ادم زعما منه ان مثله مستبعد ان يؤمر بما امر به وتلك الخيرية هي التي منعته عن السجود فقال انا خير منه ثم بين هذه المقدمة بقوله خلقتني من نار وخلقته من طين والنار افضل من الطين لان النار جوهر مشرق علوي لطيف خفيف حار يابس مجاور لجواهر السموات ملاصق لها والطين مظلم سفلي كثيف ثقيل بارد يابس بعيد عن الاجرام اللطيفة كلها وايضا النار قوية التاثير والفعل اشرف من الانفعال وايضا النار مناسبة للحرارة وهي مادة الحيوة والنضج واما الارضية فللبرد واليبس مناسب للموت والحيوة اشرف من الموت وايضا سن التميز والشباب لما كان وقت كمال الحرارة كان افضل اوقات عمر الحيوان وبخلافه وقت الشيخوخة لغلبة البرد واليبس المناسب للارضية و

والارض كثيف ليس لها الا القبول والانفعال والفعل اشرف من الانفعال م

المخلوق

والمخلوق من الافضل افضل لان شرف الاصل يوجب شرف الفرع واما ان الاشرف لا يجوز ان يؤمر بخدمة الادون فمما تقرر في العقول فهذه شبهة ابليس المقدمات باسرها ممنوعة اما ان النار افضل من الارض فممنوع لان كل عنصر من العناصر الاربعة يختص بفوائد ليست لغيره وكلها ضرورية في الوجود وفي التركيب فلكل فضيلة في مقامه وحاله فترجيح بعضها على البعض تطويل بلا طائل ومن تامل ما ذكرنا في تفسير قوله سبحانه الذي جعل لكم الارض فراشا وقف على بعض منافعها وعلم ان طعن اللعين مردود جدا ولو لم يكن في النار الا الخفة المقتضية للطيش والاستكبار والترفع وفي الارض الرزانة الموجبة للحلم والوقار والتواضع لكفى به رد الكلام واما ان المخلوق من الافضل افضل فهو محل البحث والنزاع لان الفضيلة عطية من الله تعالى ابتداء ولا يلزم من فضيلة المادة فضيلة الصورة فقد يخرج الكافر من المؤمن ويحصل الدخان والتكليف يتناول الحي بعد انتهائه الى حد كمال العقل فالاعتبار بما انتهى اليه لا بما خلق منه وقد قال ائتوني باعمالكم ولا تاتوني بانسابكم ان اكرمكم عند الله اتقيكم وفي كلام الحكماء العاقل من يفتخر بالهمم العالية لا بالرمم البالية فثبت ان دعوى اللعين في قوله انا خير منه باطلة ولئن سلم فلم لا يجوز خدمة الفاضل للمفضول تواضعا واسقاطا لحق النفس ولم لا يجوز الامر بذلك لغرض الطاعة والامتثال وتشريف المفضول والرفع من مقداره قالت العلماء ههنا ان قوله تعالى للملائكة اسجدوا لادم خطاب عام يتناول جميع الملائكة ثم ابليس اخرج نفسه من هذا العموم بالقياس فاستوجب الذم والتعنيف والدخول في جملة المتكبرين على الله فدل ذلك على انه لا يجوز تخصيص عموم النص بالقياس ويؤيد ذلك ما روي عن ابن عباس انه كانت الطاعة اولى بابليس من القياس فعصى وقاس واول من قاس ابليس فكفر بقياسه فمن قاس الدين بشيء من رأيه قرنه الله تعالى مع ابليس ويمكن ان يجاب بانه انما استحق الذم لان قياسه كان مبطلا للنص بالكلية لا مخصصا وتقريره انه لو قبح امر من كان مخلوقا من النار بالسجود لمن كان مخلوقا من الطين لقبح امر من كان مخلوقا من النور المحض بسجود من هو مخلوق من الارض اولى ويحتمل ان يزيف هذا الجواب بان الشريف اذا رضي بتلك الخدمة فلا اعتراض عليه فلم لا يقبح امره بذلك ثم ان الملائكة رضوا بذلك فلا باس واما ابليس فانه لم يرض باسقاط هذا الحق فقبح امره بالسجود فقياسه يوجب تخصيص النص لا رفعه بالكلية فعلمنا ان استحقاق الذم انما كان لتخصيص النص بالقياس كما ادعينا قال اي الله تعالى كلام تعنيف وتعذيب لا اكرام وتشريف او قال على لسان بعض الملائكة فاهبط يعني اذ لم تمتثل امري فاهبط منها قال ابن عباس يريد من الجنة وكانوا في جنة عدن وفيها خلق ادم وقال بعض المعتزلة امره بالهبوط من السماء التي هي مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة الى الارض التي هي مقر العاصين المتكبرين من الثقلين فما يكون فما يصح لك ان تتكبر فيها وتعصي فاخرج انك من الصاغرين من اهل الصغار والهوان يقال للرجل قم صاغرا اذا اهين وفي ضده قم راشدا قال الزجاج ان ابليس طلب التكبر فابتلاه الله بالذلة والصغار قال النبي صلى الله عليه واله من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله قال انظرني الى يوم يبعثون طلب الانظار من الله تعالى الى وقت البعث هو وقت النفخة الثانية حين يقوم الناس لرب العالمين ومقصوده انه لا يذوق الموت فلم يعطه الله تعالى ذلك بل قال انك من المنظرين قيل ان هذا المطلق مقيد بقوله في موضع آخر الى يوم الوقت المعلوم اي اليوم الذي يموت الاحياء كلهم فيه وهو وقت النفخة الاولى وقال آخرون لم يوقت الله تعالى له اجلا والمراد الوقت المعلوم في علم الله تعالى والدليل على ذلك ان ابليس كان مكلفا والمكلف لا يجوز ان يعلم اجله لانه يقدم على المعصية بقلب فارغ حتى اذا قرب اجله تاب فيقبل توبته وهذا كالاغراء على المعاصي فيكون قبيحا اجاب الاولون بان من علم الله تعالى من حاله انه يموت على الطهارة والعصمة كالانبياء او على الكفر والمعاصي كابليس فان اعلامه بوقت اجله لا يكون اغراء على المعصية لانه لا يتفاوت حاله بسبب ذلك التعريف والاعلام قال فبما اغويتني الاغواء ضد الارشاد واصل الغي الفساد ومنه غوى الفصيل اذا بشم والبشم فساد يعرض في جوفه من كثرة شرب اللبن ولا يمكن ان يتعلق الباء بقوله لاقعدن لان لام القسم تصد عن ذلك لا يقال والله بزيد لامرن لان حكم القسم وما يتلوه حكم همزة الاستفهام وحرف النفي الذي هو ما وهي تمنع من حيث اللفظ فكانها عوامل ضعيفة فلم يتقدم عليها شيء من معمولاتها لضعفها وانما يتعلق بفعل القسم المحذوف وما مصدرية تقديره فبما اغويتني اي فبسبب اغوائك اياي اقسم ويجوز ان يكون الباء للقسم اي فاقسم باغوائك لاقعدن ومعنى القسم بالاغواء انه من جملة آثار القدرة اي بقدرتك علي ونفاذ سلطانك في لاقعدن وقال في الكشاف ان الامر بالسجود كان سبب اغوائه وهو تكليف والتكليف من احسن افعال الله لكونه تعريضا لسعادة الابد فكان جديرا بان يقسم به وهذا يناسب اصول الاعتزال قال مشايخ العراق الحلف بصفات الذات كالقدرة والعظمة والجلال والعزة يمين والحلف بصفات الفعل كالرحمة والغضب لا يكون يمينا ويعني بصفات الفعل ما يجوز ان يوصف بضده فيقال رحم فلانا ولم يرحم فلانا وغضب ولم يغضب وقال بعضهم ما للاستفهام كانه قيل باي شيء اغويتني ثم ابتدا فقال لاقعدن ويرد على هذا القول ان اثبات الالف اذا دخل حرف الجر على ما الاستفهامية قليل قيل ان ابليس اضاف الاغواء ههنا الى الله وفي قوله فبعزتك لاغوينهم اضاف الاغواء الى نفسه الاول يدل على الجبر والثاني على القدر وهذا يدل على انه كان متحيرا في هذه المسئلة اجابت المعتزلة عن قوله فبما اغويتني بان قول ابليس واعتقاده ليس بحجة او المراد انه تعالى لما امره بالسجود لادم فعند ذلك ظهر منه كفره فلهذا المعنى اضاف الغي الى الله وقد يقال لا تحملني على ضربك عنك او المراد بالاغواء الاهلاك واللعن قالت الاشاعرة نحن لا نبالغ في ان المراد بالاغواء ههنا هو الاضلال لان حاصله كيف ما كان يرجع على حكاية قول ابليس وهو ليس بحجة الا انا نقطع بان الغاوي لابد له من مغو وليس ذلك نفسه لان العاقل لا يختار الغواية مع العلم بكونها غواية والدور والتسلسل محال فلا بد ان ينتهي الى خالق الكل وهو المقصود واما قوله لاقعدن لهم صراطك فانتصاب على الظرف كقوله لاقعدن

الارض لكان من كان مخلوقا من النار صح

المعنى لا من حيث

اي لا تفعل ما اضربك صح

بظهر الكف يغسل منه فيه كما غسل الطريق الثعلب قال الزجاج هو كقولهم ضرب زيد الظهر والبطن اي على الظهر والبطن والمراد لاعترضن لهم على
لبني آدم المذكورين في قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم على طريق الاسلام كما يعترض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة والحاصل انه يواظب
على الافساد بالوسوسة مواظبة لا يفتر عنه ولهذا ذكر القعود لان من اراد المبالغة في تكميل امر من الامور قعد حتى يصير فارغ البال فيمكنه اتمام المقصود
واعلم ان العلماء اختلفوا في ان كفر ابليس كفر عناد او كفر جهل فمن قال بالاول لقوله صراطك المستقيم وصراط الله المستقيم هو دينه الحق ومن
قال بالثاني لقوله فبما اغويتني فدل ذلك على انه اعتقد ان الذي هو عليه محض الغواية وانما وصف الصراط بالمستقيم بناء على زعم الخصم واعتقاده
ورد بانه متى علم ان مذهبه ضلال وغواية فقد علم ان ضده هو الحق فكان انكاره انكار اللسان لا القلب هو المعني بكفر العناد ويمكن ان يجاب
بانه اراد بالاغواء ايضا الاغواء بزعم الخصم قالت الاشاعرة في الاية دلالة على انه لا يجب على الله رعاية مصالح العبد في دينه ولا في دنياه والا لم يمهل ابليس حين
استمهله مع علمه بالمفاسد والغوائل المترتبة على ذلك ومما يؤيد ذلك انه بعث الانبياء دعاة للخلق الى الحق وعلم من حال ابليس انه لا يدعو الا الى
الكفر والضلال ثم انه امات الانبياء وابقى ابليس ومن كان يريد مصالح العباد امتنع منه ان يفعل ذلك قال الجبائي في دفع هذا الاعتراض انه لا يختلف
الحال بسبب وجوده وعدمه ولا يضل بقوله احد بل انما يضل من لو فرضنا عدم ابليس لكان يضل ايضا بدليل قوله تعالى فانكم وما تعبدون ما انتم
عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم ولانه لو ضل به احد لكان بقاؤه مفسدة وقال ابو هاشم يجوز ان يضل به قوم ويكون خلقه جاريا
مجرى زيادة الشهوة فان هذه الزيادة من المشقة يوجب الزيادة في الثواب ضعف قول الجبائي بانا نعلم بالضرورة ان الانسان اذا جلس عنده
جلساء السوء وحسنوا في عينه امرا من الامور مرة بعد اخرى فانه لا يكون حاله في الاقدام على ذلك الفعل كحاله اذا لم يوجد هذا التحسين فكذا
الشيطان المزين للقبائح في قلوب الكفار والفساق وزيف قول ابي هاشم بان خلق الزيادة في الشهوة حجة اخرى لنا في انه تعالى لا يراعي
المصلحة وتقريره ان خلق تلك الزيادة يوقع في الكفر وعقاب الابد ولو احترز عن تلك الشهوة فغايته ان يزداد ثوابه وحصول هذه الزيادة
شيء لا حاجة اليه والاهم دفع العقاب لا تحصيل زيادة الثواب فلو كان اله العالم مراعيا لمصالح العباد لم يهمل الاهم لطلب الزيادة التي لا ضرورة
اليها اما ذكر الجهات الاربع ففيه وجوه احدها من بين ايديهم اي اشككهم في صحة البعث والقيامة ومن خلفهم القي اليهم ان الدنيا قديمة ازلية
وثانيها من بين ايديهم انفرهم عن الرغبة في سعادات الاخرة ومن خلفهم اقوي رغبتهم في لذات الدنيا وطيباتها فالاخرة بين ايديهم لانهم يردون
اليها ويصلون اليها والدنيا خلفهم لانهم يخلفونها وثالثها قول الحكم والسدي من بين ايديهم يعني الدنيا لانها بين يدي الانسان وانه يشاهدها
ومن خلفهم الاخرة لانها تاتي بعد ذلك واما قوله وعن ايمانهم وعن شمائلهم فقيل عن ايمانهم في الكفر والبدعة وعن شمائلهم في انواع
المعاصي وقيل عن ايمانهم في الصرف عن الحق وعن شمائلهم في الترغيب في الباطل وقيل عن ايمانهم انفرهم عن الحسنات وعن شمائلهم اقوي دواعيهم
الى السيئات قال ابن الانباري وهذا قول حسن لان العرب تقول اجعلني في يمينك اي من المقدمين ولا تجعلني في شمالك اي من المؤخرين وعن
الاصمعي هو عندنا باليمين اي بمنزلة حسنة وبالشمال للعكس وقال حكماء الاسلام ان في البدن قوى اربعا هي الموجبة لفوات السعادات الروحانية
احدها القوة الخيالية التي يجتمع فيها مثل المحسوسات وموضعها البطن المقدم من الدماغ واليها الاشارة بقوله من بين ايديهم وثانيها القوة
الوهمية التي تحكم في غير المحسوسات بالاحكام المناسبة للمحسوسات ومحلها البطن المؤخر من الدماغ وهو قوله ومن خلفهم وثالثها الشهوة ومحلها الكبد
التي عن يمين البدن ورابعها الغضب ومنشاؤه القلب الذي هو في الشق الايسر فالشياطين الخارجة ما لم تستعن بشيء من هذه القوى الاربع لم
يقدر على القاء الوسوسة وقيل من بين ايديهم الشبهات المبنية على التشبيه اما في الذات او في الصفات كشبهة المجسمة واما في الافعال
كشبهة المعتزلة في التعديل والتجوير والتحسين والتقبيح لان الانسان يشاهد هذه الجسمانيات فهي بين يديه وبحضرته فيعتقد ان الغائب مثل
الشاهد ومن خلفهم شبهات اهل التعطيل لان هذه بازاء الاولى وعن ايمانهم الترغيب في ترك المامورات وعن شمائلهم الترغيب في فعل المنهيات
وعن شقيق ما من صباح الا وياتيني الشيطان من الجهات الاربع اما من بين يدي فيقول لا تخف ان الله غفور رحيم فاقرأ واني لغفار لمن تاب
وآمن وعمل صالحا واما من خلفي فيخوفني من وقوع اولادي في الفقر فاقرأ وما من دابة في الارض الا على الله رزقها واما من يميني فياتيني من قبل الثناء
فاقرأ والعاقبة للمتقين واما من شمالي فياتيني من قبل الشهوات فاقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون وعن رسول الله ص ان الشيطان قعد لابن آدم باطرقه
قعد له بطريق الاسلام فقال له تدع دين آبائك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال له تدع ديارك وتتغرب فعصاه فهاجر
ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له تقاتل فتقتل فيقسم مالك وتنكح امراتك فعصاه فقاتل وعلى هذا فالقعود في الطريق والاتيان من الجهات مثل
لوسوسته اليهم وتسويله بكل ما يمكنه ويتيسر له كقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك بقي ههنا بحث
وهو انه كيف قال من بين ايديهم ومن خلفهم بحرف الابتداء وعن ايمانهم وعن شمائلهم بحرف المجاوزة قال في الكشاف وقد يختلف حروف الظرف
كما يختلف حروف التعدية على حسب السماع يقال جلس عن يمينه وعلى يمينه فمعنى على انه تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلي من المستعلى عليه ومعنى عن
انه جلس متجافيا عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملاصق له ثم كثر حتى استعمل في المتجافي وغيره ونظيره في المفعول به رميت السهم عن القوس وعلى القوس ومن القوس
لان السهم يبعد عنها ويستعليها اذا وضع على كبدها للرمي ويبتدئ الرمي منها وكذلك قالوا جلس بين يديه وخلفه بمعنى في لانهما ظرفان للفعل ومن

بين

بين يديه ومن خلفه لان الفعل يقع في بعض الجهتين كما يقول جئت من الليل يريد بعض الليل وقال بعض المفسرين خص اليمين والشمال بكلمة عن
لانهما يفيد البعد والمباعدة على جهتي اليمين والشمال ملكان لقوله عن اليمين وعن الشمال قعيد والشيطان لا بد ان يتباعد عن الملك ولا كذلك الحال
القدام والخلف وقالت الحكماء من بين ايديهم ومن خلفهم هما الوهم والخيال كما مر والناشئ منهما العقائد الباطلة والكفر وعن ايمانهم وعن شمائلهم
الشهوة والغضب والناشئ منهما الاعمال الشهوية والغضبية وضرر الكفر لازم لان عقابه دائم وضرر المعاصي مفارق لان عذابها منقطع فلهذا
السبب خص هذين القسمين بكلمة عن تنبيها على انهما في اللزوم والاتصال دون القسم الاول وانما اقتصر على الجهات الاربع ولم يذكر الفوق
والتحت لان القوى التي منها يتولد ما يوجب تفويت السعادات الروحانية هي هذه الموضوعة في الجوانب الاربعة من البدن واما في الظاهر فقد
روي ان الشيطان لما قال هذا الكلام رقت قلوب الملائكة على البشر فقالوا يا الهنا كيف يتخلص الانسان من الشيطان مع استيلائه عليهم من الجهات
فاوحى الله تعالى اليهم انه قد بقي للانسان جهة الفوق والتحت فاذا رفع يديه الى فوق بالدعاء على سبيل الخضوع او وضع جبهته على الارض
بطريق الخشوع غفرت له ذنب سبعين سنة قال القاضي هذا القول من ابليس كالدلالة على انه لا يمكنه ان يدخل في بدن ابن آدم ويخالطه اذ لو امكنه
ذلك لكان بان يذكره في باب المبالغة احق قلت هذا مناف لما في الحديث ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم اما قوله ولا تجد اكثرهم
شاكرين فسئل انه من باب الغيب فكيف عرف واجاب بعضهم بانه كان قد راه في اللوح المحفوظ فقال على سبيل القطع واليقين وقال آخرون انه
قال على سبيل الظن لانه كان عازما على المبالغة في تزيين الشهوات وتحسين الطيبات فغلب على ظنه انهم يقبلون قوله ولقد صدق الله
تعالى ذلك الظن حيث قال ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقليل من عبادي الشكور وقيل ان للنفس تسع عشرة قوة الحواس الظاهرة
والباطنة والشهوة والغضب والقوى السبع النباتية الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة وهي باسرها تدعو
النفس الى عالم الجسم واما التي تدعوها الى عالم الارواح فقوة واحدة وهي العقل ولا شك ان استيلاء تسع عشرة قوة اكثر من استيلاء واحدة لا سيما
وهي في اول الخلقة تكون قوية والعقل يكون ضعيفا وهو بعد قوتها يصير جليا ضعيفا مرجوحا فلذلك قطع بقوله ولا تجد اكثرهم شاكرين
قال الله تعالى في جوابه اذا كان هذا عزمك فاخرج منها مذؤما مدحورا الذام العيب والذام يهمز ولا يهمز والدحر الطرد والابعاد وفي المثل
لا تعدم الحسناء ذاما واللام في لمن تبعك موطئة للقسم ولاملأن جوابه وهو ساد مسد جواب الشرط وعن عاصم لمن تبعك بكسر اللام بمعنى
لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله لاملأن جهنم منكم فغلب ضمير المخاطب كما في قوله انكم قوم تجهلون اي انكم وانتم على هذا فقوله لاملأن
في محل الابتداء ولمن تبعك خبره قال القاضي كما ان الكافر يتبعه وكذا الفاسق يتبعه فكذلك يجب القطع بدخول الفاسق النار واجيب بشرط
عدم العفو وقوله ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة الاية فيها من المسائل ان يقول اسكن امر تعبد او امر اباحة من حيث انه لا مشقة فيه
فلا يتعلق به التكليف وان زوج آدم وهي حواء وان تلك الجنة كانت جنة الخلد او جنة من جنان السماء او جنة من جنان الارض وان قوله وكلا
اباحة لا امر تكليف وان قوله لا تقربا نهي تحريم وان الشجرة المشار اليها شجرة واحدة بالشخص او بالنوع وانها اي شجرة كانت وان ذلك الذنب كان
صغيرا او كبيرا وان الظلم في قوله فتكونا من الظالمين باي معنى هو وان هذه الواقعة وقعت قبل نبوة آدم او بعدها فنحن قد قضينا الوطر
عن جميعها في سورة البقرة فلا حاجة الى الاعادة فوسوس لهما الشيطان الوسوسة حديث النفس وهو فعل غير متعد كولولت المراة ووعوع
الذئب والمصدر الوسواس ايضا بكسر الواو والوسواس بالفتح الاسم كالزلزال والزلزال ويوصل الى المفعول باللام والى بمعنى وسوس له فعل الوسوسة لاجله
ووسوس اليه انهاها اليه اي تكلم معه كلاما خفيا يكرره ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما قيل اللام لام العاقبة لان الشيطان لم يقصد بالوسوسة
ظهور عورتهما وانما آل امرهما الى ذلك وقيل لام العرض وبدو العورة كناية عن زوال الحرمة وسقوط الجاه الذي كان غرضه ولعله راى في اللوح
المحفوظ او سمع من الملائكة انه اذا اكل الشجرة بدت عورته وفي ذلك سقوط حشمته وقوله ووري اي ستر والسوءة فرج الرجل والمراة بين وسوسة
ابليس بانه قال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا الا كراهة ان تكونا ملكين الى قوله اني لكما لمن الناصحين سؤال كيف يطمع ابليس آدم في
ان يكون ملكا عند الاكل من الشجرة مع انه شاهد الملائكة ساجدين معترفين بفضله والجواب بعد تسليم ان هذه الواقعة كانت بعد النبوة وبعد
سجود الملائكة له ان هذا احد ما يدل على ان الملائكة الذين سجدوا لآدم هم ملائكة الارض اما ملائكة السموات او ملائكة العرش والكرسي والملائكة
المقربون فما سجدوا البتة لآدم والا كان هذا التطميع فاسدا وربما يجاب بانه اراد انه يصير مثل الملك في البقاء والدوام وتنبيه بلزوم التكرار
من قوله او تكونا من الخالدين قال الواحدي كان ابن عباس يقرأ ملكين بكسر اللام كان الملعون اتاهما من جهة الملك كقوله هل ادلك على شجرة
الخلد وملك لا يبلى واعترض بانه لا نزاع في هذه القراءة الشاذة وانما النزاع في القراءة المشهورة ويمكن ان يجاب بان آدم لعله رغب في ان
يصير من الملائكة في القدرة والقوة والبطش والخلقة بان يصير جوهرا نورانيا مقره العرش والكرسي نقل ان عمرو بن عبيد قال للحسن ان آدم وحواء
هل صدقاه في قوله فقال الحسن معاذ الله لو صدقاه لكانا من الكافرين اراد الحسن ان تصديق الخلود يوجب انكار البعث والقيامة وانه كفر
ويمكن ان يقال لو اراد بالخلود طول المكث لم يلزم التكفير ولو سلم ان الخلود مفسر بالدوام فلا نسلم ان اعتقاد الدوام من آدم يوجب الكفر لان
العلم بالموت ثم البعث يتوقف على السمع ولعل ذلك الدليل السمعي لم يصل الى آدم وقتئذ ثم ان المحققين اتفقوا على ان التصديق لم يوجد من آدم

لاقعدن ثم لاتينهم من الجهات التي فيها حظوظ النفس من بين ايديهم من قبل الحسد على الاكابر من المشائخ والعلماء المعاصرين ومن خلفهم من قبل من الطعن في الاكابر الائمة من والسلف لتنالحين وعن ايمانهم من قبل افساد ذات البين والقاء العداوة والبغضاء بين الاخوان وعن شمائلهم من جهة ترك النصيحة مع اهاليهم واقاربهم وترك الامر بالمعروف مع عامة المسلمين او المراد من بين ايديهم من قبل الرياء والعجب ومن خلفهم من قبل الصلف والفخر وعن ايمانهم من قبل الادعاء واظهار المواعيد والمواجيد وعن شمائلهم من قبل الافتراء على انفسهم ما ليس فيهما من الكشوف والاحوال او من بين ايديهم من قبل الاعتراض على الشيخ ومن خلفهم من قبل التفريق والاخراج عن صحبة الشيخ وعن ايمانهم من قبل ترك حشمة المشائخ وعن شمائلهم من قبل مخالفة الشيخ والرد بعد القبول او من بين ايديهم اثروا عليهم اهاليهم واولادهم ليمنعوهم عن طلب الحق ومن خلفهم اثروا عليهم اباءهم وامهاتهم وعن ايمانهم اثروا عليهم احبابهم وعن شمائلهم اثروا عليهم اعداءهم وحسادهم ولا تقربا هذه الشجرة يعني شجرة المحبة فان المحبة مطية المحنة فتكونا من الظالمين على انفسكما ان للمحبة نارا ونورا لمن يرد نارها يجد نورها ومن يرد نارها احترقت انانيته فيبقى بلاهويته فبعضهم يجد نور المحبة ويتنور به كقوله يحبهم ويحبونه فشجرة المحبة شجرة غرسها الرحمن بيده لاجل ادم كما خمر طينة ادم بيده لاجل هذه الشجرة وان منعه منها كان تحريضا له على تناولها فان الانسان حريص على ما منع ولم تكن الشجرة طعمة لغير ادم واولاده الا ان تكونا ملكين اي من اهل السلو كالملكين في زوايا الجنة او تكونا من الخالدين في الجنة كالحور والرضوان فسقاهما ابليس في كاس القسم شراب كرامة الحبيب فاسمها فلما غرقا في لجة المحبة بدت لهما سوءة نار المحبة قبل نورها وهي نار فرقة الاحبة وفي البداية وطفقا لاشتغال نائرة المحبة يخصفان كل نعيم الجنة على نارهما فلما التهبت احترقت بلظاها دار الجنة الواصلة ونعيم ابا البين بالفرقة

فبيننا نحن في لهو وفي طرب، بدا سحاب فراق صوبه هطل، وان كنت مشعوفا بطلعته مضى، وافقر منه الرسم والطلل، فالعبر مرتحل والوجد متصل، والدمع منهمل والقلب مشتعل،

وناديهما ربهما نداء العزة والكبرياء الم انهكما عن تلكما الشجرة فانها تذل العزيز وتزيل النعيم وتذهب الطرب وتورث التعب والنصب ان الشيطان لكما عدو مبين ولكن في عداوته صلاح خفية تظهر ولو بعد حين ولنجلنا من قوته باب دارهم لو اقبل لي مغضبا من انت يارجل فاغتسل بماء الخجل منهما دعونات البشرية ولوث العجلانية فرجعا عما طمعا فيه ووقفا ليروعلما ان لا منجا ولا ملجأ منه الا اليه فقالا ربنا ظلمنا انفسنا بان اوقعناها في شبكة المحبة تغنينا او لا المحنة تعنينا بالزوال وان لم تغفر لنا بنوال الوصال وترحمنا على الجمال لنكونن من الخاسرين الذين خسروا الدنيا والعقبى ولم يظفروا بالمولى فامرا بالصبر على الهجر وقيل اهبطوا بعضكم لبعض عدو والنفس عدو القلب والروح والقلب عدو لما سوى الله ولكم للنفس والقلب والروح في ارض البدن مقام وتمتع في الشريعة باستعمال الطريقة للوصول الى الحقيقة الى حين تصير النفس مطمئنة تستحق لخطاب ارجعي من الهبوط وارتقى بعد السقوط ان الامور اذا انسدت مسالكها، فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا، لاتيأسن وان طالت مطالبة، اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا، اخلق بذي الصبر ان يحظى بحاجته، ومدمن القرع للابواب ان يلجا، قال فيها اي في المحبة تحيون بصدق الطلب وقرع باب العزة وفيها تموتون بطلب الحق على جادة الشريعة باقدام الطريقة ومنها تخرجون الى عالم الحقيقة

ع ١٠ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ

اى فرزندان آدم بتحقيق فرستاديم برشما پوشیدنی را که پنهان کند عورت شما را وجامه نيکو و لباس پرهيزگاری اين بهترست اين از ايات خداست شايد که ايشان

يَذَّكَّرُونَ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا

پند گيرند اى فرزندان آدم فريب ندهد شما را شيطان چنانچه بيرون کرد پدر ومادر شما را از بهشت ميکند از ايشان لباس ايشان را تا بنمايد

سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

عورت ايشان را بدرستی که او میبيند شما را او وخويشانش از انجا که شما نمی بينيد ايشان را بدرستی ما گردانيديم ديوان را صاحب اختياران از برای انانکه نگرويدند

وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا

وچون کردند ناشايسته را گفتند که يافتيم بران فاحشه پدران خود را وخدا فرموده ما را بان بگو بدرستی که خدا نفرمايد بناشايسته ايا ميگوييد بر خدا آنچه را که

تَعْلَمُونَ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ

نميدانيد بگو که فرمانداده پروردگار من براستی وانکه درست داريد روهای خود را نزد هر مسجدی و بخوانيد او را خالص کنندگان از برای او دين را چنانچه بخست افريد شما را بر

فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ

گرديد گروهيرا راه نمود وگروهيرا ثابت گرديد بر ايشان گمراهی بدرستی ايشان فرا گرفتند ديوان را دوستان از غير خدا وميپندارند

ع ١١ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ

که ايشان هدايت کرده شدند اى بنی آدم فرا گيريد زينت خود را نزد هر مسجدی وبخوريد وبياشاميد واسراف مکنيد بدرستيکه او دوست ندارد مسرفان را

قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

بگو که حرام کرده زينت خدا را که بيرون اورد از برای بندگانش وپاکيزهای از روزی بگو ان از برای انان که گرويدند در زندگانی دنيا

خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ

خالص روز قيامت همچنين ظاهر سازيم ايات را از برای گروهيکه ميدانند بگو جز اين نيست که حرام کرده پروردگار من ناشايستها را

لاقطعا ولا ظنا وانما اقدما على الاكل لغلبة الشهوة كما نجد من انفسنا عند الشهوة ان نقدم على الفعل اذا زين لنا الغير ما نشتهيه وان لم نعتقد ان الامر كما قال ثم ان بعضهم زعم ان الترغيب كان في مجموع الامرين كونهما ملكين وكونهما خالدين والظاهر انه على طريقة التخيير سوال المقاسمة من الجانبين فكيف تصور التقاسم بين ادم وابليس والجواب كانه قال لهما اقسم بالله اني لكما ناصح وقالا له انقسم بالله انك ناصحا واقسم لهما بالنصيحة واقسما له بقبولها او اخرج قسم ابليس على زنة المفاعلة لانه اجتهد فيها اجتهاد المقاسم فدلهما بغرور اي اوقعهما اراده من تغرير واصله ان الرجل العطشان يدلي رجليه في البئر لياخذ الماء فلا يجد فيها ماء فوضعت التدلية موضع الطمع فيما لا فائدة فيه قيل اي جرهما على اكل الشجرة من قولهم فلان يدلي على اقرانه في الحرب كالطائر يدل على صيده قال ابن عباس غرهما باليمين وكان ادم يظن ان لا يحلف احد بالله كاذبا وعن ابي عمر انه كان اذا راى من بعض عبيده طاعة وحسن صلوة اعتقه فكان عبيده يفعلون ذلك طلبا للعتق فقيل انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا به فلما ذاقا الشجرة فيه دلالة على انهما قصدا الى معرفة طعمه ولولا انه ذكر في ايات اخرى فاكلا منها لم يدل على الاكل لان الذوق قد يكون من غير اكل بدت لهما سوءاتهما ظهرت عوراتهما اي عورتاهما مثل صغت قلوبكما مكان قلبا وطفقا يخصفان اخذا في الفعل وهو الخصف ويستعمل طفق بمعنى كاد قال الزجاج اي يجعلان ورقة على ورقة ليسترا بها كما يخصف النعل طرفه على طرفه وتوثق بالسيور والورق ورق التين وفيه دليل ان كشف العورة قبيح من لدن ادم الا ترى انهما كيف بادرا الى الستر لما تقرر في عقلهما من قبح كشف العورة الم انهكما عتاب من الله وتوبيخ وباقي الايات مفسر في سورة البقرة عن ثابت البناني لما اهبط ادم وحضرته الوفاة احاطت به الملئكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها خلي ملئكة ربي فانما اصابني الذي اصابني فيك فلما توفي غسلته الملئكة بماء وسدر وترا وحنطوه وكفنوه في وتر من الثياب وحفروا له ولحدوا ودفنوه بسرنديب بارض الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده وقد بقي علينا من التفسير اسرار المتشابهات الواقعة في هذه القصة فلنفرغ لها قوله ما منعك وفي ص يا ابليس ما منعك وفي الحجر يا ابليس ما لك حذف المنادى في هذه السورة لان مضى ذكره هنا اقرب فلم يحتج الى اعادة اسم اللعين بالنداء قوله ما منعك ان لا تسجد وفي ص ما منعك ان تسجد جمع بين لفظ المنع ولفظ لا في السورة لانه لما حذف النداء زاد لفظة لا زيادة في النفي واعلاما بان المخاطب ابليس وان شئت قلت جمع في السورة بين ما في ص وما في الحجر فقال ما منعك ان تسجد ومالك ان لا تسجد وحذف ان تسجد وحذف مالك لدلالة الحال ودلالة السورتين عليه فبقي ما منعك ان لا تسجد قوله انا خير منه الاية في ص مثله كلاهما في جواب ما منعك ظاهر الا انه زاد في الحجر لفظ ان يكون فقال لم اكن لاسجد ليكون مطابقا للسوال حيث قيل ما لك الا تكون مع الساجدين قوله انظرني الى يوم يبعثون وفي ص وفي الحجر فانظرني لانه لما اقتصر في السوال على الخطاب دون صريح الاسم اقتصر ههنا ايضا على الخطاب دون المنادى بخلاف السورتين واما زيادة الفاء في السورتين دون هذه السورة فلان داعية الفاء ما تضمنه النداء من ادعوا ونادي نحو قوله ربنا فاغفر اي ادعوك فاعرض فلما حذف النداء في هذه السورة ترك الفاء وكذلك قوله من المنظرين ليطابق الجواب السوال قوله فبما اغويتني وفي الحجر رب بما اغويتني بزيادة النداء ليوافق ما قبله وزاد في هذه الفاء وكذا في ص فبعزتك لاغوينهم لزيادة الربط ولم يمكن دخول الفاء في رب لامتناع النداء منه لان ذلك يقع مع السوال والطلب قال اخرج منها مذءوما مدحورا وفي الحجر ليس في القران غيره وانما اختص الموضع بذلك لان اللعين بالغ في العزم على الاغواء فقال لاقعدن لهم الى اخره فبالغ الله جل وعلا في ذمه اذ الذام اشد الذم قوله فكلا بالفاء وفي البقرة وكلا لان اسكن ههنا من السكنى التي معناها اتخاذ المواضع مسكنا وهذا لا يستدعي زمانا ممتدا ولكن الجمع بين الاتخاذ والاكل فيه بل يقع الاكل عقيبه وفي البقرة من السكون الذي يراد به الاقامة فلم يصلح الا بالواو فان المعنى جمعا بين الاقامة فيها والاكل من ثمارها ولو كان بالفاء لوجب تاخير الاكل الى الفراق من الاقامة وانما زاد في البقرة رغدا لما زاد في الخبر تعظيما بقوله وقلنا قال بعض الافاضل في الجواب غيره وهذه المسائل ان اقتصاص ما مضى اذا لم يقصد به اداء الالفاظ باعينها كان اختلافها واتفاقها سواء اذا ادى المعنى المقصود وهذا جواب حسن ان رضيت به كفيت مؤنة السهر الى السحر والله اعلم التاويل ولقد خلقناكم ثم صورناكم اي خلقنا الارواح قبل الاجساد كما جاء في الحديث ان الله خلق الارواح قبل الاجساد بالفي الف عام ولتصوير الاجساد بداية وهي قوله واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم فان لفظ الذرية يقع على المصورين ووسط يصوركم في الارحام كيف يشاء ونهاية هي حالة الكهولية في الاغلب ثم قلنا للملئكة اسجدوا لادم وانتم في صلبه وهذا من التمكين ايضا فسجدوا والاستعداد هم الفطري للسجود ولا يتمارهم لامر الله الا ابليس لم يكن من المستعدين للسجود لما فيه من الاستكبار الناري قال ما منعك خطاب الامتحان لجرم ابليس ليظهر به استحقاقه اللعن فانه لو كان ذا بصيرة لقال في الجواب منعني تقديرك وخذلانك ولكنه كان اعور عين اليمنى بصيرا بالعين التي راى بها انانيته فقال انا خير منه اي منعني خيريتي منه ان اسجد لمن دوني واستدل على خيريته بانه خلق من نار وهي علوية نورانية لطيفة وادم خلق من طين سفلي ظلماني كثيف وهذا القياس معارض بان النار من خاصيتها الاحراق والفناء والطين من خواصه النشوء والانماء والاستمساك الذي يقوى به الانسان مستمسكا للفيض الالهي ونفخ الروح ورضي بالفساد والطالب الحيوة فقال انظرني فاجيب الى ما سال ليكون وبالا عليه ويزيد في شقوته ولكن لم يجبه بان لا يذيقه الموت لقوله في موضع اخر الى يوم الوقت المعلوم قال فبما اغويتني لم يكن حوالة الاغواء الى الله منه من نظر التوحيد وانما كان للمعارضة والمعاندة لقوله لاغوينهم

مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا

ازانها وانچه پنهانست وگناه وازحد گذشتن راببدون حق واگر شرک اوريد بخدا انچه نرسيده است بان حجتی واگر بگوييد

عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ

برخدای انچه را که نميدانيد وهرگروهيرا مدتيست پس چون امد مدت ايشان پس پس نيفتند ساعتی وپيش نيفتند

القراءة وريشا ابو زيد عن المفضل الباقون ريشا ولباس بالنصب ابو جعفر ونافع وابن عامر وعلى الباقون بالرفع خالصة بالرفع نافع الاخرون بالنصب ربى الفواحش مرسلة الياء حمزة الوقوف وريشا لمن قرأ ولباس مرفوعا ومن قرأ بالنصب وقف على التقوى خير تذكرون سواتهما لا يؤمنون امرنا بها ط بالفحشاء ما لا يعلمون الذين ط تعودون على جواز الوصل لرد النهاية الى البداية الضلالة مهتدون ولا تسرفوا لاحتمال الفاء منها ولا يستقدمون التفسير لما ذكر ان الارض مستقر لبنى ادم ذكر انه انزل كل ما يحتاجون اليه فى الدين والدنيا فقال يا بنى ادم قد انزلنا وايضا لما ذكر ادم فى انكشاف العورة انه كان يخصف عليها اتبعه ذكر اللباس الساتر للعورة اظهارا للمنة واشعارا بان التستر باب من ابواب التقوى ومعنى انزال اللباس انه قضى ثم وكتب وانه حاصل بالمطر المنزل من السماء ومثله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وانزلنا الحديد والريش لباس الزينة استعير من ريش الطير لانه لباسه وزينته اى انزلنا عليكم لباسين لباسا يوارى سوآتكم ولباسا لزينتكم لان الزينة غرض صحيح كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال ومن قرأ رياشا فقد قيل انه جمع ريش كشعب وشعاب وقال الجوهرى الريش والرياش بمعنى كاللبس واللباس وهو لباس الفاخر وقيل الريش والرياش المال والخصب والمعاش وبالجملة كل شئ يعيش به الانسان ومنه قولهم ريشت فلانا اصلحت حاله وقال ابن السكيت الرياش مختص بالثياب والاثاث والريش قد يطلق على سائر الاموال اما قوله ولباس التقوى فمن قرأ بالنصب فعلى المصدر قبله عطف ومن رفع فعلى الابتداء وخبره اما الجملة التى هى ذلك خير كانه قيل ولباس التقوى هو خير لان اسماء الاشارة كالضمائر فى صلوح العود بسببها واما المفرد الذى هو خير وذلك بدل او عطف بيان او صفة بتاويل ولباس التقوى المشار اليه خير والعدول الى الاشارة اما للتعظيم لباس التقوى واما ان يكون المراد بلباس التقوى تفضيلا له على لباس الزينة ثم من المفسرين من حمل لباس التقوى على نفس الملبوس الذى انزله الله تعالى ليوارى به السوآة هو لباس التقوى لان قوما من اهل الجاهلية كانوا يتعبدون بالتعرى وخلع الثياب ويطوفون بالبيت عراة فيكون كقول القائل قد عرفتك الصدق فى ابواب البر والصدق خير لك من غيره فتعبد به والمراد به ما يلبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها مما فى الحروب او يراد الملبوسات المعدة لاجل اقامة الصلوة ومنهم من حمله على لباس التقوى مجازا فقال قتادة والسدى وابن جريج انه الايمان وقال ابن عباس هو العمل الصالح وقيل هو السمت الحسن وقيل هو العفاف والتوحيد لان المؤمن لا تبدو عورته وان كان عاريا عن الثياب والفاجر لا تزال عورته مكشوفة وان كان كاسيا وقال معبد هو الحياء وقيل هو ما اظهر على الانسان من السكينة والاخبات والاعمال الصالحات وعلى هذا فمعنى الاية ان لباس التقوى خير لصاحبه اذا اخذ به وقربه الى الله تعالى مما خلق من اللباس والرياش الذى يتجمل به فاضافة اللباس الى التقوى كما اضيف الى الجوع والخوف فى قوله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف ذلك من آيات الله الدالة على فضله ورحمته على عباده لعلهم يذكرون فيعرفوا عظيم النعمة فيه ثم حذر اولاد ادم من قبول وسوسة الشيطان لان المقصود من قصص الانبياء عليهم السلام ان يكون عبرة لمن يسمعها فقال يا بنى ادم لا يفتننكم الشيطان الفتنة الامتحان تقول فتنت الذهب اذا ادخلته النار لتنظر ما جودته وقال الخليل الفتن الاحراق ومنه قوله تعالى يوم هم على النار يفتنون ومنه ورق فتين اى فضة محرقة قال الله تعالى يفتنون من تدل على اخراج الاب من الجنة مع كمال قوته وقرب عهده من فيضان ربه فهو على اولاده اقدر ومحل كما اخرج نصب على المصدر اى فتنة مثل اخراج ابويكم لان هذا الاخراج نوع من الفتنة فى اولاده ومحل ينزع عنهما لباسهما حال اى اخرجهما نازعا لباسهما بان كان سببا فى ان نزع عنهما واللام فى ليريهما سوآتهما لام العاقبة او لام الغرض كما تقدم فى قوله ليبدى لهما قال ابن عباس يرى ادم سوآة حواء ويرى حواء سوآة ادم وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الاخر وعن عائشة ما رأيت منه ولا رأى منى وحمل العلماء على الكراهة لا على التحريم واختلفوا فى لباس نزع عنهما فقيل الثوب الحائل بينهما وبين النظر وعن سعيد بن جبير كان لباسهما من جنس الاظفار وقيل اللباس الذى هو ثياب الجنة قال الكعبى فى الاية دلالة على ان المعاصى والفتن كلها منسوبة الى الشيطان واجيب بانه لا بد من الانتهاء الى خالق الكل وموجد القدر والدواعى ثم علل النهى واكد التحذير بقوله انه يريكم هو وقبيله اى جماعته التلثة فصاعدا او القبيل بنو اب واحد وقال ابن قتيبة اى اصحابه وجنده وقال الليث هو وقبيله وجماعته من حيث لا ترونهم اى يكيدون ويغتالون من حيث لا تشعرون قال بعض المتكلمين ومنهم المعتزلة الوجه فى ان الانس لا يرون الجن رقة اجسام الجن ولطافتها والوجه فى رؤية الجن بعضهم بعضا ان الله تعالى يقوى ابصار الجن ويزيد فيه ولو زاد الله فى قوة ابصارنا لرأيناهم كما يرى بعضنا بعضا ولو انه تعالى كثف اجسامهم وبقيت ابصارنا على هذه الحالة لرأيناهم وقال اهل السنة انهم يرون الانسان لانه تعالى خلق فى عيونهم ادراكا والانس لا يرونهم لانه تعالى لم يخلق هذا الادراك فى عيون الانس قال بعض العلماء من حيث لا ترونهم تبيانا لتقارن الاستقبال من غير تخصيص ففيه دليل على ان الجن لا يرون ولا يظهرون للانس وان اظهارهم انفسهم ليس فى استطاعتهم وان زعم من يدعى رؤيتهم زور

ومخرفة ولو قدر الجن على تغيير صورهم وانفسهم باى صورة شاؤا لارتفع الوثوق عن الناس حتى الزوجة والولد ولو كانوا قادرين على تخبط الناس وازالة العقل عنهم لكان اولى الناس بذلك العلماء والمشايخ لان العداوة بينهم وبين خواص الانس اشد وعن مجاهد قال ابليس اعطينا اربع خصال نرى ولا نرى ونخرج من تحت الثرى ويعود شيخنا فتى والضمير فى انه للشان وهو تاكيد ليصح العطف على المرفوع المتصل ثم قال انا جعلنا الشياطين الاية واحتج اهل السنة على انه تعالى هو الذى سلط الشيطان عليهم حتى اضلهم واغواهم ويتاكد هذا النص بقوله انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا اعتذر القاضى بان المراد من الجعل الحكم بان الشيطان ولى لمن لا يؤمن او المراد التخلية بينهم وبينهم كمن يربط الكلب فى داره ولا يمنعه من التوثب على الداخل واجيب بان حمل الجعل على الحكم خلاف الظاهر وهب انه حكم بذلك فهل يمكن مخالفة حكم الله وبان الارسال انما يصدق على التسليط لا على التخلية المجردة قوله واذا فعلوا فاحشة قال بعضهم نزلت فى اتخاذهم البحائر والسوائب وقيل فى الطواف بالبيت عراة والاولى التعميم والفحشاء الخصلة المتزائدة فى القبح اعنى الكبيرة والمراد انهم كانوا يفعلون اشياء هى فى انفسها فواحش ويعتقدون انها طاعات فنهوا عنها لينتهوا عنها ثم انه حكى عنهم حجتين الاولى التقليد ولم يذكر جوابها لظهور بطلانه عند كل عاقل والثانية ان الله امرهم بذلك فاجاب عنها بقوله قل ان الله لا يأمر بالفحشاء فللمعتزلة ان يحتجوا به على ان الشئ انما يقبح لوجه عائد اليه وان كونه فى نفسه من الفحشاء مغاير لتعلق الامر والنهى ولهذا المعنى بقوله اتقولون على الله ما لا تعلمون والجواب ان عدم الامر بالفحشاء لا ينافى ارادة الفحشاء ومشيئتها ونحن لا ندعى الا انه تعالى مريد لجميع الكائنات وان شيئا منها لا يخرج عن حكمه وارادته وتقديره مع انه لا يأمر الا بالعدل والصواب كما قال قل امر ربى بالقسط قال عطاء والسدى اى بالعدل وبما ظهر فى العقول كونه حسنا وعن ابن عباس هو قول لا اله الا الله ويندرج فيه معرفة الله تعالى بذاته وافعاله واحكامه اما قوله واقيموا فليس من باب عطف الطلب على الخبر وانما التقدير وقل اقيموا وجوهكم اى استقبلوا واخلصوا عند كل مسجد فى كل وقت سجود كان المعنى وجهوا وجوهكم حيثما كنتم فى الصلوة الى الكعبة وقال ابن عباس المراد انه اذا حضرت الصلوة وانتم عند مسجد فصلوا فيه ولا يقولن احدكم لا اصلى الا فى مسجد قومى ثم لما امر بالتوجه الى القبلة امر بعد بالدعاء والاظهر ان المراد به اعمال الصلوة سميت دعاء لان اشرف اجزاء الصلوة هو الدعاء والذكر ويمكن ان يبقى الدعاء بمعنى العبادة فيكون كقوله وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ثم برهن على المعاد ليتحقق الجزاء فقال كما بدأكم تعودون قال الحسن ومجاهد كما بدأ خلقكم فى الدنيا ولم تكونوا شيئا كذلك تعودون احياء وعن ابن عباس المراد كما بدأ خلقكم مؤمنا او كافرا تعودون فيبعث المؤمن مؤمنا والكافر كافرا فان من خلقه الله تعالى فى اول الامر للشقاوة يعمل بعمل اهل الشقاوة وكانت عاقبته ذلك ومن خلقه للسعادة فانه يعمل عمل اهل السعادة وكانت عاقبته السعادة ويؤيد هذا التفسير قوله عقيب ذلك فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة وانتصاب فريقا الثانى بفعل مضمر يفسره ما بعده اى خذل واضل فريقا حق عليهم الضلالة كقولك زيدا مررت به قال القاضى المعنى فريقا هدى الى الجنة والثواب وفريقا حق عليهم الضلالة اى العذاب والصرف عن طريق الثواب لان هذا هو الذى يحق عليهم دون غيره اذ العبد لا يستحق ان يضل عن الدين اذ لو استحق ذلك لجاز ان يأمر انبياءه باضلالهم عن الدين كما امرهم باقامة الحدود المستحقة واجيب بان قوله هدى خطاب وحمله على المستقبل خلاف الظاهر وبان الهدى الى الجنة او الضلالة عنها لا بد ان يكون محكوما فى الازل وخلاف حكمه محال ثم بين ما لاجله حقت على هذه الفرقة الضلالة اعنى السبب القريب والا فانتهاء الكل الى مسبب الاسباب فقال انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله فقبلوا دعوتهم دون دعوته ولم يتاملوا فى التمييز بين الحق والباطل ثم عين ان جهلهم مركب لا بسيط فقال ويحسبون انهم مهتدون وفيه ان مجرد الظن والحسبان لا يكفى فى اصول الدين بل لا بد فيه من القطع واليقين ثم لما امر بالقسط وكان من جملته امر اللباس والمأكول والمشروب وايضا امر باقامة الصلوة وكان ستر العورة شرطا لصحتها فلاجرم قال يا بنى ادم خذوا زينتكم عن ابن عباس قال كان اناس من الاعراب يطوفون بالبيت عراة حتى كانت المرأة لتطوف بالبيت وهى عريانة فتعلق على سفلها سيورا مثل هذه السيور التى تكون على وجه الحمر من الذباب وهى تقول اليوم يبدو بعضه او كله وما بدا منه فلا احله وعن طاوس لم يأمرهم بالحرير والديباج وانما كان احدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه وراء المسجد ان طاف وهى عليهم وضرب وانتزعت منه لانهم قالوا لا نعبد الله فى ثياب اذنبنا فيها وقيل كانوا يفعلون ذلك تفاؤلا ليعروا من الذنوب كما يعروا من الثياب وقال الكلبى كان اهل الجاهلية لا ياكلون من الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما فى ايام حجهم فقال المسلمون يا رسول الله نحن احق بذلك فانزل الله الاية قال اكثر المفسرين المراد من الزينة لبس الثياب لقوله تعالى لا يبدين زينتهن يعنى الثياب وايضا الزينة لا تحصل الا بالستر التام للعورات ولانه يناسب ما تقدم من ذكر اللباس والرياش ولان ظاهر الامر للوجوب وكل ما سوى اللبس غير واجب فوجب حمل الزينة على اللبس عملا بالنص بقدر الامكان والسنة ان ياخذ الرجل احسن هيئة للصلوة وقيل الزينة المشط وقيل الطيب ثم ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فالاية تقتضى وجوب اللبس التام عند كل صلوة ترك العمل به فى القدر الذى لا يجب ستره من الاعضاء اجماعا بقى الباقى داخلا تحت اللفظ فاذن ستر العورة واجب فى الصلوة والا فسدت صلوته قال اصحاب ابى حنيفة لبس الثوب المغسول بماء الورد على اقصى وجوه النظافة اخذ الزينة ويكفى فى صحة الصلوة واحتج بان اللام فى قوله واقيموا الصلوة ينصرف الى المعهود السابق وهو صلوة رسول الله صلعم فلم تعلم انه صلى فى الثوب المغسول بماء

الورد اما قوله كلوا اي اللحم والدسم واشربوا فقد قيل انهما امر اباحة بالاتفاق فوجب ان يكون امرا لزينة ايضا على الاباحة واجيب بانه لا يلزم
من ترك الظاهر في المعطوف تركه في المعطوف عليه مع ان الاكل والشرب قد يكونان واجبين ايضا في الجملة وهما يتناولان جميع المطعومات والمشروبات
وبتناولان الاحوال والاوقات الا ما خصه الدليل المنفصل والعقل ايضا مؤكد لهذا المعنى لان الاصل في المنافع الحل والاباحة وفي قوله ولا
تسرفوا وجهان الاول انه ياكل ويشرب بحيث لا يتعدى الى الحرام ولا يكثر الانفاق المستقبح ولا يتناول مقدارا كثيرا يضره ولا يحتاج اليه الثاني
وهو قول ابي بكر الاصم ان المراد من الاسراف قولهم بتحريم البحيرة والسائبة فانهم اخرجوها عن ملكهم وتركوا الانتفاع بها وايضا انهم حرموا على انفسهم
في وقت الحج ما احلها الله لهم تعالى قال بعض العلماء ان حمل الاسراف على الاستكثار مما لا ينبغي اولى من حمله على المنع مما يجوز وينبغي عن ابن عباس
كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطاتك خصلتان سرف ومخيلة ويحكى ان الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن
واقد صاحب المغازي ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال له قد جمع الله الطب كله في نصف اية من كتابه
قال وما هي قال قوله كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يؤثر من رسولكم شيء في الطب فقال قد جمع رسولنا صلعم الطب في الفاظ
يسيرة قال وما هي قال قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء واعط كل بدن ما عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس
طبا قيل كانوا اذا احرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها فانكر ذلك عليهم بقوله قل من حرم زينة الله قال ابن عباس واكثر
المفسرين هي اللباس الساتر للعورة وقال اخرون انها يتناول جميع انواع الزينة من الملابس والمراكب والحلي وكذا كل ما يستطاب ويستلذ
من الماكل والمشارب والنساء والطيب عن عثمان بن مظعون انه اتى رسول الله صلعم وقال غلبني حديث النفس عزمت على ان اختصي فقال
مهلا يا عثمان فان خصاء امتي الصيام قال فان نفسي تحدثني بالترهب فقال ان ترهب امتي القعود في المساجد لانتظار الصلوات فقال
تحدثني نفسي بالسياحة فقال سياحة امتي الغزو والحج والعمرة فقال ان نفسي تحدثني ان اخرج مما املك فقال الاولى ان تكفي نفسك وعيالك وان ترحم
المسكين واليتيم وتعطيه افضل من ذلك فقال نفسي تحدثني ان اطلق خولة فقال ان الهجرة في امتي هجرة ما حرم الله تعالى قال فان نفسي تحدثني
ان لا اغشاها فقال ان المسلم اذا غشي اهله وما ملكت يمينه فان لم يصب وقعته تلك ولدا كان له وصيف في الجنة وان كان له ولد مات قبله
او بعده كان له قرة عين وفرح يوم القيمة وان مات قبل ان يبلغ الحنث كان له شفيعا ورحمة يوم القيمة قال فان نفسي تحدثني ان لا اكل اللحم قال
مهلا فان جبرئيل اتاني بالطيب وقال لا تتركه يوم الجمعة ثم قال يا عثمان لا ترغب عن سنتي فانه من رغب عن سنتي ومات قبل ان
يتوب ضربت الملائكة وجهه عن حوضي واعلم ان كل واقعة تقع فاما ان لا يكون فيها نفع ولا ضرر او يتساوى ضررها ونفعها فوجب الحكم
في القسمين ببقاء ما كان على ما كان وان كان النفع خالصا وكان تركه خالص النفع فيلتحق بالقسم المتقدم وان كان النفع راجحا والضرر
مرجوحا نقابل المثل بالمثل ويبقى القدر الزايد نفعا خالصا وان كان الضرر راجحا بقي القدر الزايد ضررا خالصا وكان تركه نفعا خالصا فبهذا
الطريق صارت هذه الاية دالة على الاحكام التي لا نهاية لها في الحل والحرمة الا ان تجد نصا خاصا في الواقعة فتقضي به تقديما للخاص على العام
قال نفاة القياس لو تعبدنا الله تعالى بالقياس لكان حكم ذلك القياس اما ان يكون موافقا لحكم هذا النص العام وحينئذ يكون ضايعا لان هذا
النص مستقل به وان كان مخالفا كان ذلك القياس تخصيصا لعموم هذا النص فيكون مردودا لان العمل بالنص اولى من العمل بالقياس فاذن
القران واف بجميع الاحكام الشرعية والله تعالى اعلم ثم بين ان الزينة والطيبات خلقت في الحيوة الدنيا لاجل المؤمنين بالاصالة والكفرة
بالتبعية كقوله ومن كفر فامتعه قليلا واما في الاخرة فانها خالصة لهم فقال قل هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا خالصة من قرأ بالرفع فلانه
خبر بعد خبر قال ابو علي وعلى الخبر للذين امنوا متعلق به والتقدير هي خالصة للذين امنوا في الحيوة يوم القيمة وعلى هذا يكون في الحيوة الدنيا
ظرفا لخالصة فيفهم من ذلك انها في غير يوم القيمة غير خالصة لهم بل يكون مشوبة بزحمة الكفار وعلى الاول يكون في الحيوة ظرفا للمحذوف
اي هي للذين امنوا غير خالصة في الحيوة الدنيا وهي لهم خالصة يوم القيمة ومن قرأ بالنصب فعلى الحال والباقي التقدير كذلك نفصل الايات
لقوم يعلمون اي لقوم يمكنهم النظر والاستدلال حتى يتوصلوا به الى تحصيل العلوم النظرية ثم بين اصول الافعال المحرمة وحصرها في
ستة انواع لان الجناية اما على الفروج واشار اليها بقوله قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن واما ان يكون على العقول وهي شرب
الخمر واليها الاشارة بقوله والاثم وقيل الفواحش الكبائر والاثم الصغائر وقيل الفواحش كل ما تزايد قبحه وتبالغ والاثم عام لكل ذنب كانه
خصص ولا ثم عمم واما ان يكون الجناية على النفوس والاموال والاعراض واليه الاشارة بقوله والبغي بغير الحق ومعنى بغير الحق ان لا يقدموا
على ايذاء الناس بالقتل والقهر الا ان يكون لهم فيه حق فح يخرج عن ان يكون بغيا واما ان يكون الجناية على الاديان اما بالطعن في التوحيد
واليه اشار بقوله وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا اي لا سلطانا حتى ينزل واما بالافتراء على الله وذلك قوله ان تقولوا على الله ما لا
تعلمون فان قيل الفاحشة وغيرها هي التي نهى الله تعالى عنها فيصير تقدير الاية انما حرم ربي المحرمات وهذا كلام خال عن الفائدة فالجواب
ان كون الفعل فاحشة عبارة عن اشتماله في ذاته على امور باعتبارها يجب النهي عنه فزول الاشكال ثم سلى الرسول التكاليف بالاجال المحدودة
والانفاس المعدودة فقال لكل امة اجل عن ابن عباس والحسن ومقاتل معناه انه تعالى امهل كل امة كذبت رسولها الى وقت معين لا يعذبهم

قبل ذلك ولا يؤخر عنها والمقصود وعيد اهل مكة وقيل معناه ان اجل العمر لا يتقدم ولا يتاخر سواء الهالك والمقتول وقيل معناه ان اجل العمر لا يتقدم
ولا يتاخر واورد على القول الاول انه ليس لكل امة من الامم وقت معين لا يعذبهم في نزول عذاب الاستيصال وعلى الثاني انه كان ينبغي ان يقال
ولكل انسان او احد اجل ويمكن ان يقال الامة هي الجماعة في كل زمان والمعلوم من حالها التفاوت في الاجال فزال السؤال وليس المراد انه تعالى
لا يقدر على تبقيته اريد من ذلك ولا انقص ولا يقدر على ان يميته الا في ذلك الوقت لان هذا يقتضي خروجه سبحانه وتعالى عن كونه
قادرا مختارا وصيرورته كالموجب بالذات بل المراد انه تعالى اختار ان الامر يقع على هذا الوجه وانما ذكر الساعة لان هذا الجزء من الزمان اقل ما
يستعمل في تقليل الاوقات عرفا والساعة في اصطلاح اهل التنجيم جزء من اربعة وعشرين جزءا من اليوم بليلته قيل ان عند حضور الاجل يمتنع عقلا
وقوع ذلك الاجل في وقت المتقدم فما معنى قوله ولا يستقدمون واجيب بان مجيء الاجل محمول على قرب حضور الاجل لقول العرب جاء الشتاء اذا قارب وقته
ومع مقاربة الاجل يصح التقدم على ذلك الوقت تارة والتاخر عنه اخرى التاويل قد انزلنا عليكم لباسا هو لباس الشريعة يواري سوات الافعال القبيحة
في الظاهر وسوات الصفات الذميمة والنفسانية والحيوانية باداب الطريقة في الباطن وريشا زينة وجمالا في الظاهر والباطن ولباس التقوى وهو
هو لباس القلب والروح والسر والخفي فلباس القلب من التقوى هو الصدق في طلب المولى يواري به سوات الطمع في الدنيا وما فيها ولباس الروح من
التقوى هو محبة المولى تواري به سوات التعلق بغير المولى ولباس السر من التقوى هو رؤية المولى تواري بها رؤية غير المولى ولباس الخفي من
التقى بقاؤه بهوية المولى فيواري بها هوية غير المولى ذلك خير لان لباس البدن بالفتوى وهو الشريعة ولباس القلب بالتقوى هو الحقيقة ذلك
من ايات الله اي نزول الشريعة الحقيقية مما يدل على المولى لا يفتننكم الشيطان بالدنيا وما فيها والمتابعة الهوى فيخرجكم عن جنة الصدق في طلب
الحق كما اخرج ابويكم من الجنة وجوار الحق ينزع عنهما لباسهما من الشرع وذلك نهيهما عن شجرة المحبة ليريهما سواتهما من مخالفة الحق وما عملا اثر
هذه الصفة ومن جملة سواتهما كل كمال ونقصان وكان مستورا عنهما فاراهما بعد تناول الشجرة انه يريكم هو وقبيله يعني من الروحانيين الذين لا
صورة لهم في الظاهر فانهم يرون بنظر الملكوت الروحاني من الانسان بعض الافعال التي تتولد عن الاوصاف البشرية كما راوا في ادم وقالوا اتجعل
فيها من يفسد فيها من حيث لا ترونهم اي انما يرونكم من حيث البشرية التي منشأها الصفات الحيوانية فانكم محجوبون بهذه الصفات عن رؤيتهم
لا من حيث الروحانية التي هي منشأ علوم الاسماء والمعرفة فانهم لا يرونكم في هذا المقام وانتم ترونهم بالنظر الروحاني بل بالنور انا جعلنا الشياطين اولياء
خلقنا مستعدين لتوليته امور اهل الغفلة والطبيعة واذا فعلوا فاحشة هي طلب الدنيا وجهها قالوا انا وجدنا ابانا على محبة الدنيا وشهواتها
والله امرنا بطلب الكسب الحلال قل ان الله لا يامر بالفحشاء وانما يامر بالكسب الحلال بقدر الحاجة الضرورية لقوام القالب بالقوت واللباس ليقوم باداء حق
العبودية وذلك قوله قل امر ربي بالقسط كما بداكم لطفا او قهرا تعودون اليه فاهل اللطف يعودون اليه بالاخلاص والطاعة واهل القهر الذين
حقت عليهم الضلالة يعودون اليه جبرا واضطرارا فيسحبون في النار على وجوههم خذوا زينتكم فزينة الظاهر التواضع والخضوع وزينة الباطن
الانكسار والخشوع وزينة نفوس العابدين اثار التجود وزينة قلوب العارفين انوار الوجد فالعابد على الباب بنعت العبودية والعارف على
البساط بحكم الحرية وكلوا واشربوا في مقام العبدية كما قال ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني ولا تسرفوا بالافراط فوق الحاجة الضرورية والتفريط في حفظ
القوة بحيث يضيع حقوق العبودية زينة الله فزين الابدان بالشرايع واثارها وزين النفوس بالاداب وانوارها وزين القلوب بالشواهد وانوارها
وزين الارواح بالمعارف واسرارها وزين الاسرار بالطوالع واثارها من تصدى لطلب هذه المقامات وهي مباحة له من غير تاخير وقصور
وحظر ومنع والطيبات من الرزق ما لم يكن مشوبا بالحظوظ النفس فهذه الكرامات والمقامات لهؤلاء السادة في الدنيا مشوبة بشوايب هذه الافات
النفسانية وكدورات الصفات الحيوانية خالصة يوم القيمة من هذه الافات والكدورات كما قال ونزعنا ما في صدورهم من غل الفواحش اي قطع
على العبد طريق السلوك الى الرب ففاحشة العوام ما ظهر منها ارتكاب المناهي وما بطن حظوظها بالبال وفاحشة الخواص ما ظهر منها تتبع ما للانفس فيه
نصيب ولو بذرة وما بطن الصبر على المحبوب ولو بلحظة وفاحشة الاخص ما ظهر منها ترك ادب من الاداب او التعلق بسبب من الاسباب وما بطن الركون
الى شيء في الدارين والالتفات الى غير الله من العالمين والاثم الاعراض عن الله ولو طرفة عين والبغي وهو حب غير الله فانه وضع في غير موضعه وان يستغيثوا
بغير الله ما لم يكن فيه رخصة وحجة من الشريعة وان يقولوا بفتوى النفس هواها او بنظر العقل على الله ما لا يعلمون حقيقتها او تقولوا في معرفة الله ذاتا وصفاتا
السنيين ما لم يعرفوا ولكل امة من اشار الى الله والى الجنة مقرب في الازل وفيه وعد للاولياء واستمالة لقلوبهم ووعيد للاعداء وسياسة لنفوسهم

يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ وَالَّذِينَ
ای فرزندان آدم اگر آیند شما را رسولان از شما که بیان کنند بر شما آیات مرا پس آنکه پرهیز کرد و نیکو کار شد هیچ ترس نیست بر ایشان و نه ایشان اندوهناک و آنانکه
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ
تکذیب کردند آیات ما را و سرکشی کردند از آن آن گروه یاران آتش اند ایشان در آن جاویدان پس کیست ستمکارتر از آنکه دروغ گفت بر خدا دروغ را
كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ
یا تکذیب کرد آیات او را آن گروه میرسد ایشانرا بهره ایشان از کتاب تا چون آید ایشانرا فرستادهای ما که بمیرانند ایشانرا گفتند کجا بود آنکه میخواندید

مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ قَالُوْا ضَلُّوْا عَنَّا وَشَهِدُوْا عَلٰۤى اَنْفُسِهِمْ اَنَّهُمْ كَانُوْا كٰفِرِيْنَ قَالَ ادْخُلُوْا فِيْۤ اُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِّنَ

از غیر خدا گویند گم گشتند از ما و گواهی دهند بر حق خود شان که ایشان بودند کافران گوید که در آیید در طائفه که گذشته بود از پیش شما از

الْجِنِّ وَالْاِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ اُمَّةٌ لَّعَنَتْ اُخْتَهَا حَتّٰۤى اِذَا ادَّارَكُوْا فِيْهَا جَمِيْعًا قَالَتْ اُخْرٰىهُمْ لِاُوْلٰىهُمْ رَبَّنَا هٰۤؤُلَاۤءِ

پری و آدمی در آتش هرچند داخل شد گروهی لعنت کرد خواهر خود را تا آنکه چون بپیوندند در آتش همه گوید طائفه اخری مر اولی را که پروردگارا ایشان

اَضَلُّوْنَا فَاٰتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَّلٰكِنْ لَّا تَعْلَمُوْنَ وَقَالَتْ اُوْلٰىهُمْ لِاُخْرٰىهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا

از راه بردند ما را پس بده ایشان را عذاب فراوان از آتش گوید که مر هر یکی را عذاب فراوانست لیکن نمیدانید و گوید طائفه اول مر آخر را پس نیست شما را

ع مِنْ فَضْلٍ فَذُوْقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُوْنَ اِنَّ الَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِاٰيٰتِنَا وَاسْتَكْبَرُوْا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ اَبْوَابُ

بر ما زیادتی پس بچشید عذاب بانچه بودید که کسب کردید بدرستی آنان که تکذیب کردند آیات ما را و سر پیچیدند از آن گشوده نشود برای ایشان درهای

السَّمَاۤءِ وَلَا يَدْخُلُوْنَ الْجَنَّةَ حَتّٰى يَلِجَ الْجَمَلُ فِيْ سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِيْنَ لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَّمِنْ فَوْقِهِمْ

آسمان و در نخواهند آمد در بهشت تا آنکه درآید شتر در سوراخ سوزن و چنین جزا میدهیم گناهکاران را ایشان راست از دوزخ گهواره و از زبر ایشان

غَوَاشٍ وَكَذٰلِكَ نَجْزِي الظّٰلِمِيْنَ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا اِلَّا وُسْعَهَاۤ اُولٰۤئِكَ

پوشش و همچنین جزا دهیم ستمکاران را و آنان که گرویدند و کردند کارهای شایسته تکلیف نمیکنیم هیچ نفسی را مگر بقدر طاقت آن این گروه

اَصْحٰبُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيْهَا خٰلِدُوْنَ وَنَزَعْنَا مَا فِيْ صُدُوْرِهِمْ مِّنْ غِلٍّ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهِمُ الْاَنْهٰرُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلّٰهِ

یاران بهشت اند ایشان در آن جاویدان و دور کردیم آنچه در سینهای ایشان بود از کینه روان است از زیر ایشان جویها و گویند سپاس مر خدای را

الَّذِيْ هَدٰىنَا لِهٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَاۤ اَنْ هَدٰىنَا اللّٰهُ لَقَدْ جَاۤءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُوْدُوْۤا اَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ اُوْرِثْتُمُوْهَا

آنکه راهنمود ما را برای این و نبودیم که راه یابیم اگر نه آنکه هدایت کرده بود ما را هر آیینه آمدند فرستادهای پروردگار ما براستی و آواز داده شوند که این است بهشت که داده شد

بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ القراءة حتى اذا ادّاركوا كان يعقوب اذا وقف على اذا يبتدئ تداركوا بالتاء سهل مخير وكذلك قوله تعالى اذا قلتم وقالوا اطبنا ولقى الكسائى في تاقلتم اخريهم لاوليهم بالامالة الشديدة ابرهيم بن حماد وحمزة وعلى وخلف وقرأ ابو عمرو وابرهيم بن حماد واوليهم لامالة اللطيفة اخريهم بالامالة الشديدة واقف ورش من طريق البخاري هبيرة اخريهم بالامالة الشديدة فاتهم بضم الهاء رويس وكذلك كل كلمة سقطت الياء لعلة الاولى ومن يولهم لا يعلمون بتاء الغيبة ابو بكر وحماد لا تفتح بتاء التانيث والتخفيف ابو عمرو وقرأ حمزة وعلى وخلف بفتح الياء مخففة والتخفيف الباقون بتاء التانيث والتشديد غواشى بالياء في الوقف يعقوب وكذلك كل كلمة سقطت الياء لاجل التنوين او لاجتماع الساكنين وهو مذهب سهل من طريق ابن دريد ما كنا بغير واو العطف ابن عامر الاخرون بالواو اورثتموها وبابه بادغام الثاء في التاء ابو عمرو وحمزة وعلى وهشام الوقوف اياتي ط لان الفاء بعده لجواب الشرط ولا هم يحزنون النار خالدون باياتنا من الكتب ط يتوفونهم ط لان ما بعده جواب اذا من دون الله ط كافرين في النار اخرها جميعا ط لما فاتنا من النار ط لا يعلمون يكسبون الخياط المجرمين غواش الظالمين وسعها وجعل اولئك خبر الموصول وجعل ربنا على ان قوله لا نكلف نفسا الا وسعها معترضا الجنة خالدون الانهار للعطف مع العارض هدانا الله لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى بالحق لا لابتداء بانها جى بعد انها الحمد والثناء على انها عطاء تعملون التفسير لما بين احوال التكليف وان لكل احد اجلا معينا لا يتقدم ولا يتاخر بين انهم بعد الموت ان كانوا قد قبلوا الشرائع الحقة فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وان كانوا متمردين وقعوا في اشد العذاب فقال يا بني آدم اما ياتينكم واعرابه مثل ما مر في سورة البقرة فاما ياتينكم مني هدى والراجع محذوف اى فمن اتقى واصلح منكم وانما قال رسل منكم لان ذلك يكون اقطع لعذرهم واقرب الى الفهم والانس ومعنى اياتي احكامي وشرائعي الدالة على صحة المبدء والمعاد ثم قطع شان الجاحدين بقوله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته والاول الحكم بوجود ما لم يوجد كاقوال اصناف المشركين وطوايف المبتدعة والثاني انكار حكم وجد من نبي او كتاب ثم عن عاقبة امرهم فقال اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قيل اى العذاب المعين من سواد الوجه وزرقة العين وقال الزجاج اى انواع البلايا المعدة لكل صنف منهم من السلاسل والاغلال وغيرها على مقدار ذنوبهم وقيل هم اليهود والنصارى يجب علينا اذا كانوا في ذمتنا ان نصفهم ولا نعتدى عليهم وان نذب عنهم فذلك معنى النصيب وعن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير ان النصيب هو ما سبق لهم في حكم الله تعالى ومشيته من الشقاوة والسعادة والختم على الكفر والشرك او على الايمان والتوحيد وقال الربيع وابن زيد يعنى ما كتب لهم من الارزاق والاعمال والاعمار كانه سبحانه بين انهم وان بلغوا في الكفر ذلك المبلغ العظيم الا ان ذلك ليس بمانع من ان ينالهم ما قدر لهم من رزق وعمر تفضلا من الله تعالى لكى يصلحوا ويتوبوا ويؤكد هذا التفسير قوله عقيبه للحصر حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم وذلك ان حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام والمراد ههنا جملة شرطية فدل على ان مجئ الرسل المتوفين كالغاية لحصول ذلك النصيب فيكون مقدما على حصول الوفاة وليس ذلك الا العمر والرزق ومحل يتوفونهم نصب على الحال من الرسل قال ابن عباس هم ملك الموت واعوانه وانهم يطالبون الكفار بهذه الاشياء عند الموت على سبيل الزجر والتوبيخ وقال الحسن والزجاج ان هذا يكون في الآخرة والرسل ملئكة العذاب يتوفون عدتهم عند حشرهم الى النار اى يستكملون عدتهم حتى لا ينفلت منهم احد في

الكشاف ما وقعت موصولة باين في خط المصحف قلت رأى رايت النقل على العكس كما ذكرنا في المقدمة السابقة من مقدمات الكتاب معنى الاين الالهة التي تدعون اى تعبدونهم وتدعونهم في الشدائد قالوا على سبيل الاعتراف والعود الى الانصاف ضلوا عنا اى غابوا وذهبوا ولم ننتفع بهم وشهدوا على انفسهم بالاعتراف او بشهادة الجوارح عند معاينة الموت انهم كانوا كافرين ثم شرح بقية احوال الكفار وذلك قوله قال اى الله عز وجل او قائل هو من كلام خازن النار وهذا مبنى على انه سبحانه لا يجوز ان يكلم الكفار وان كان كلام سخط ادخلوا في امم قبل اى ادخلوا في النار مع امم والاولى ان يلتزم الاضمار والمجاز والمعنى ادخلوا كائنين في جملة امم تقدم زمانهم زمانكم في النار وفيه دليل على ان اصحاب النار لا يدخلون النار دفعة واحدة ولكن فيهم سابق ومسبوق كلما دخلت امة لعنت اختها في الدين والعقيدة فالمشرك يلعن المشرك اليهودي اليهودي والنصراني النصراني وكذا المجوس وسائر اديان الضلالة نظيرها فلان يلعن غيرها اولى حتى اذا اداركوا بمعنى تلاحقوا واجتمعوا في النار وادرك بعضهم بعضا واستقر معهم قالت اخريهم دخولا في النار لاوليهم دخولا فيها او اتباعهم وسفلتهم لرؤسائهم وقادتهم والمعنيان متلازمان عندى لان المضل لابد ان يكون مقدما على الضال في دخول النار واللام بمعنى لاجل اولاهم وذلك لان خطابهم مع الله لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا فاتهم الفاء للجزاء عذابا ضعفا اى مضاعفا وذلك عذاب الضلال وعذاب الاضلال بالدعوة الى الباطل وتزيينه في اعينهم والسعى في اخفاء الدلائل قال ابو عبيدة الضعف مثل الشيء مرة واحدة وهو قول الشافعي في رجل اوصى فقال اعطوا فلانا ضعف نصيب ولدى يعطى مثل نصيبه مرتين وقال الزهري العرب يريد بالضعف المثل الى ما زاد وليس بمقصود على المثلين بدليل قوله عز من قائل فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا واقل ذلك عشرة لقوله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها واما الشافعي فقال لا ذلك متيقن وما فوقه مشكوك قال الله او خازن النار لكل من القادة والاتباع ضعف اما للقادة فلما قلنا واما للاتباع فلانهم عظموهم وقلدوهم وتجوا امرهم سئل ههنا ان تضعيف العذاب الذى يستحقه الشخص ظلم واجيب في التفسير الكبير بان عذاب الكفار مؤبد فكل المحصل فانه يعقبه حصول الام اخرى الى غير النهاية قلت وهذا لا يختص بصنف من الكفار دون صنف ولا بشخص دون شخص فلا يصلح للجواب والصواب ان يقال معنى تضعيف عذاب التابع والمتبوع ان ذلك العذاب زائد على مقدار ما يستحقه تلك العقيدة لو حصلت لا من حيث انه لا ان الاسم الظاهر يعود الضمير اليه على الغيبة ومن قرأ على الخطاب فالمعنى لا تعلمون ايها المخاطبون ما لكل منكم من العذاب او لا تعلمون يا اهل الدنيا ما مقدار ذلك وقالت اولاهم لاخريهم اذ قد حكم الله بان لكل منا ضعفا فما كان اى فما ثبت لكم علينا من فضل لانكم مؤاخذون بالاتباع كما نحن مؤاخذون بالاستتباع فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون يحتمل ان يكون من قول القادة وان يكون من قول الله تعالى فيهم قال في التفسير الكبير قول القادة ليس لكم علينا فضل كذب لانه الرؤساء لهم عذاب الضلال وعذاب الاضلال والاتباع لهم عذاب الضلال فقط لكنه حكاية قول الكفار يوم القيمة والكذب عليهم جائز عندنا كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين قلت ان سلمنا ان الكذب يجوز ان يصدر عنهم يوم القيمة الا ان هذا الكلام لا يجوز ان يكون كاذبا لانهم بنوا كلامهم على حكم الله سبحانه بان لكل ضعفا ثم ذكر ما يدل على خلودهم في النار فقال ان الذين كذبوا باياتنا وهي الدلائل الدالة على الذات والصفات والنبوات والمعاد واستكبروا عنها اى ترفعوا عن قبولها لا تفتح لهم ابواب السماء قال ابن عباس اى لا تفتح لاعمالهم ولا لدعائهم ولا لشيء مما يريدون به طاعة الله تعالى من قوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ومن قوله ان كتاب الابرار لفي عليين وقال السدى وغيره لا تفتح لارواحهم ابواب السماء التي هي موضع بهجة الارواح واماكن سعادتها كما جاء في الحديث ان روح المؤمن يعرج بها الى السماء فيستفتح لها فيقال مرحبا بالنفس الطيبة التي كانت في الجسد الطيب ويقال لها ذلك حتى ينتهى الى السماء السابعة ويستفتح لروح الكافر فيقال لها ارجعى ذميمة فانه لا تفتح لك ابواب السماء وقيل بناء على ان الجنة في السماء معناه ولا يؤذن لهم في الصعود الى السماء ولا يطرق لهم اليها حتى يدخلوا الجنة وقيل اى لا ينزل عليهم البركة والخير من قوله تعالى ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط الولوج الدخول وسئل ابن مسعود عن الجمل فقال زوج الناقة استجهالا للسائل واشارة الى ان طلب معنى اخر تكلف والسم بالحركات الثلاث وقد قرئ بها ثقب الابرة وكل ثقب في البدن لطيف ومنه السم القاتل لنفوذه بلطفه في مسام البدن حتى يصل الى القلب والخياط ما يخاط به قال الفراء خياط ومخيط كازار ومئزر ولحاف وملحف وقناع ومقنع ولما كان جسم الجمل اعظم الاجسام المشهورة عند العرب كما قال: لا عيب بالقوم من طول ومن عظم جسم الجمال واحلام العصافير وكان سم الابرة مثلا في ضيق المسلك حتى قيل اضيق من خرت الابرة قالوا للدليل الماهر خريت لاهتدائه في المضايق المشبهة باخرات الابر وقف الله تعالى دخولهم الجنة على حصول هذا الشرط المحال ليلزم ياسهم من دخول الجنة قطعا فان الموقوف على المحال محال ومثله قول العرب لا افعل كذا حتى يشيب الغراب ويبيض القار وقرئ الجمل بوزن القمل وكذا الجمل بوزن الحبل وبمعناه لانه الفلس وانه الحبل مناسب للخيط الذى يسلك في سم الابرة والبعير لا يناسبه واهل التناسخ اولوا الاية بان الارواح كانت في الابدان البشرية لما عصت واذنبت فانها بعد موت الابدان ترد من بدن الى بدن ولا يزال يبقى في التعذيب حتى ينتقل من بدن الجمل الى بدن الذرة فينفذ في سم الخياط وحينئذ يصير مطهرة عن تلك الذنوب فتدخل الجنة وتصل الى السعادة وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين بل هم الكافرون المكذبون المستكبرون المار ذكرهم وقيل يدخل فيه الفساق بشرط عدم التوبة عند المعتزلة وبشرط عدم العفو عند الاشاعرة ثم لما بين انهم لا يدخلون الجنة ذكر انهم

يدخلون النار فقال لهم من جهنم مهاد اى فراش ومن فوقهم غواش هى جمع غاشية وهى كل ما يغشاك اى يجللك والمراد الاخبار عن احاطة النار بهم من كل جانب فلهم منها غطاء ووطاء وفراش ولحاف والتنوين فى غواش مثلها فى جوار على انها للتمكن عند بعض لانه بعد حذف بائه لم يبق على زنة مساجد والعوض عند بعض اما عن الياء او عن اسكان الياء وكذلك نجزى الظالمين هم المشركون او الفسقة الذين ظلموا انفسهم ثم عقب الوعيد بالوعد فقال والذين امنوا وعملوا الصالحات الاية وقوله لا نكلف نفسا الا وسعها وقد مر تفسيره فى اخر سورة البقرة اعتراض بين المبتداء وخبره وليس باجنبى والامر بحسن وفيه تنبيه للمقصرين على ان الجنة مع عظم قدرها يحصل بالعمل السهل من غير مانع وصعوبة فبعدا لمن فاتته وسحقا ومن جعله خبرا فالعائد محذوف اى لا يكلف نفسا منهم ثم وصف اخلاق اهل الجنة فقال ونزعنا ما فى صدورهم من غل نزع الشئ قلعه من مكانه والغل الحقد والتركيب يدور على الاخفاء ومنه الغلول كما مر فى تفسير قوله وما كان لنبى ان يغل والاية تفسيران الاول ازلنا الاحقاد التى كانت لبعضهم على بعض فى دار الدنيا بتصفية الطباع واسقاط الوساوس ومنعه من ان يرد على القلوب فان الشيطان مشغول بالعذاب فلا يتفرغ لالقاء الوسواس فلم يكن بينهم الا التواد والتعاطف عن على كرم الله وجهه انى لارجوان اكون انا وعثمان والزبير منهم الثانى ان درجات اهل الجنة متفاوتة بحسب الكمال والنقص فالله تعالى ازال الحسد عن قلوبهم حتى ان صاحب الدرجة الناقصة لا يحسد صاحب الدرجة الكاملة فيكون هذا فى مقابلة ما ذكره الله تعالى من تبرى بعض اهل النار من بعض ولعن بعضهم بعضا وليس هذا ببدع ولا بعيد من حال اهل الجنة فان اولياء الله تعالى فى دار الدنيا ايضا بهذه المثابة بحسن توفيق الله تعالى ونور عنايته وهذا شأن كل منكم قد قنع بما حصل له من نعيم الدنيا وطيباتها لا يميل طبعه الى زوجة وكل هذا نتيجة ملكة الرضا بالقضاء والتسليم لامر رب الارض والسماء فيموتون كذلك ويحشرون على ذلك وفقنا الله لنيل هذا المقام ببركة اولئك الكرام تجرى من تحتهم الانهار وهذه من جملة اسباب التنزه والتزهران اجرى على ظاهره ومن جملة السعادات الروحانية ان اريد بها انواع المكاشفات واصناف التجليات وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا النعيم والفوز العظيم المقيم والفوز العظيم بان يسر لنا اسباب وخلق الدواعى ومنع الصوارف او بان اعطى العقل ونصب الادلة وازاح العلة وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله من قرأ بواو العطف فظاهر ومن حذف الواو فلانها جملة يقرب معناها من معنى الاولى وكانها مفسرها فلا حاجة الى العطف المؤذن بالتغاير ثم حكى عنهم سبب الاهتداء وذلك قوله لقد جاءت رسل ربنا بالحق فجعله واسطة لهدايتنا او لطفا وتنبيها يقولون ذلك فيما بينهم سرورا واغتباطا بما نالوا وتلذذا بالتكلم به لا تقربا وتعبدا فان الجنة ليست دار التكليف ونودوا ان تلكم بانه تلكم الجنة والضمير للشان والحديث ويجوز كونه بمعنى اى لان النداء فى معنى القول وانما قيل تلكم لانهم وعدوا بها فى الدنيا وكانه قيل لهم هذه تلكم التى وعدتم بها ويجوز ان يكون التقييد للتعظيم ومعنى اورثتموها صارت اليكم ميراثا كما يصير الميراث الى اهله قد يستعمل الارث ولا يراد به زوال الملك عن الميت الى الحى كما يقال هذا الفعل يورثك الشرف او العار وقيل اعطوا تلك المنازل من غير تعب فى الحال فصار شبيها بالميراث وقيل ان اهل الجنة يرثون منازل اهل النار لما روى ان رسول الله صلى الله عليه واله قال ليس من مؤمن ولا كافر الا له فى الجنة والنار منزل فاذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار رفعت الجنة لاهل النار فنظروا الى منازلهم فيها فقيل لهم هذه منازلكم لو عملتم بطاعة الله ثم يقال يا اهل الجنة رثوهم بما كنتم تعملون فيقسم بين اهل الجنة منازلهم قالت المعتزلة قوله بما كنتم تعملون يدل على ان الموجب للجزاء هو العمل لا التفضل وقال غيرهم لما كان الموفق للعمل الصالح هو الله تعالى كان دخول الجنة بفضله وجعل العمل امارة على ذلك والمنادى هو الله جل وعلا او الملك الموكل بذلك والله تعالى اعلم التأويل يا بنى ادم اما يأتينكم رسل الالهامات من انفسكم من طريق قلوبكم واسراركم وفيه ان بنى ادم كلهم مستعدون لاشارات الحق والهاماته افترى على الله كذبا بان يقول اكرمنى الله بالكرامات والمقامات ولم يعط او كذب بمقامات اعطاها بعض اوليائه اولئك ينالهم نصيبهم من الشقاء الذى كتب لهم حتى اذا جاءتهم رسل الالهامات الالهية والواردات الربانية بعد ان كان هائما فى تيه البشرية يتوفونهم يجذبات الالطاف الالهية عن الاوصاف البشرية قالوا اين ما كنتم تدعون من دون الله من الدنيا وشهواتها وشهدوا هؤلاء المجرمون المحرومون انهم كانوا ساترين الحق بالباطل فهداهم الله تعالى ثم قال لاهل الخذلان ادخلوا فى امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس وقدم الجن لان الله تعالى خلق اولا بنى الجان منهم مؤمن ومنهم كافر فلما استولى اهل الكفر منهم بعث اليهم جندا من الملائكة وقيل رئيسهم ابليس فاستأصلوهم ثم خلق ادم وذريته منهم مؤمن ومنهم كافر كلما دخلت امة فى اعمال اهل النار لعنت اختها المتقدمة فى تلك الاعمال لانهم سبقوها حتى اذا تداركوا فيها جميعا الكل فى الاعمال الموجبة للنار عذابا ضعفا لان من سن سنة فله وزرها ووزر من عمل بها لكل ضعف لان المتاخر ايضا متقدم الذى يتلوه ويقتدى بسنته ولكن لا تعلمون انكم متقدمون لمتاخريكم فما كان لكم علينا من فضل لانكم سننتم لمتاخريكم كما سننا لكم لا تفتح لهم ابواب سماء القلوب الى الحضرة ولا يدخلون جنة القربة والوصلة حتى يدخل جمل النفس المتكبرة فى سم خياط احكام الشريعة واداب الطريقة وحتى يصير بالتربية فى ازالة الصفات الذميمة وقطع تعلقات ما سوى الله ادق من الشعر بالف مرة فيلج فى سم خياط الفناء فيدخل جنة البقاء وكذلك نجزى المجرمين الذين ظلموا انفسهم فى حمل الاوزار كالجمل لهم من جهنم المجاهدة والتزكية فراش ومن فوقهم من مخالفات النفس وقمع الهوى لحاف فنذهبهم ونحرق انانيتهم لا نكلف نفسا الا وسعها فرنفع عن ظاهرهم وباطنهم كلفة الايمان والعمل حتى تتيسر عليهم العبودية بحسن التوفيق

وَنَادَى اَصْحَابُ الْجَنَّةِ اَصْحَابَ النَّارِ اَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ

فَاَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ اَنْ لَعْنَةُ اللّٰهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ

پس ندا در دهد ندا كننده در ميان ايشان كه لعنت خدا باد بر ستمكاران آنان كه باز دارند از راه خدا و بخواهند از او كجى و ايشان بآن سراى كافرانند

وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْاَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا اَصْحَابَ الْجَنَّةِ اَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا

و در ميان ايشان پرده ايست و بر اعراف مردانند كه ميشناسند هر يكرا بنشان و آواز دهند ياران بهشت را كه درود باد بر شما در نيامده اند بهشت را

وَهُمْ يَطْمَعُونَ وَاِذَا صُرِفَتْ اَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ اَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ

و ايشان طمع دارند و چون بر گردد ديده ايشان بجانب ياران آتش گويند كه پروردگارا مگردان ما را با گروه ستمكاران

وَنَادَى اَصْحَابُ الْاَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا اَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ اَهٰؤُلَاءِ الَّذِينَ

صدا زنند ياران اعراف مردانى را كه ميشناسند ايشان را بنشان گويند كه بى نياز نساخت شما را جمعيت شما و آنچه بوديد گردن كشى ميكرديد آيا اينها آنانند

اَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللّٰهُ بِرَحْمَةٍ اُدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا اَنْتُمْ تَحْزَنُونَ وَنَادَى اَصْحَابُ النَّارِ اَصْحَابَ

كه سوگند ياد كرديد كه نرساند ايشانرا رحمت خدا در آييد در بهشت ترسى نيست بر شما و نه شما اندوهناك شويد و گويند ياران آتش ياران

الْجَنَّةِ اَنْ اَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ اَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّٰهُ قَالُوا اِنَّ اللّٰهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ

بهشت را كه بريزيد بر ما از آب يا از آنچه روزى كرد شما را خدا گويند كه بدرستى كه خدا حرام كرد آنها را بر كافران آنان كه فرا گرفتند دين خود را

لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسٰهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هٰذَا وَمَا كَانُوا بِاٰيَاتِنَا يَجْحَدُونَ

لغو و بازيچه و فريب داد ايشانرا زندگانى دنيا پس امروز فراموش كنيم ايشانرا چنانكه فراموش كردند ديدار چنين روزشان را و آنچه بودند كه بآيات ما انكار ميكردند

وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلٰى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ هَلْ يَنْظُرُونَ اِلَّا تَأْوِيلَهُ

و هر اينه آورديم ايشانرا كتابى كه ظاهر كرديم آنرا بر دانش خود براستى و رحمت از براى گروهى كه گروند چشم ندارند مگر تاويل آنرا

يَوْمَ يَاْتِى تَاْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ

روزى كه بيايد تاويل او گويند آنان كه فراموش كردند آنرا از پيش بحقيقت آوردند پيغمبران پروردگار ما براستى پس آيا از براى ما هست از شفيعان

فَيَشْفَعُوا لَنَا اَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا اَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ

پس شفاعت كنند از براى ما يا بر گرديم پس بجا آريم غير آنچه را كه بوديم ميكرديم هر آينه زيان كردند نفسهاى خود را و رفت از ايشان آنچه بودند افترا ميبستند

القراءة نعم بكسر العين حيث كان على الباقون بالفتح مؤذن بغير همز البخارى عن ورش ويزيد والشمونى وحمزة فى الوقف ان مخففة لعنة الله بالرفع عاصم وابو عمرو وابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب وابن مجاهد وابو عون عن قنبل الباقون مشددة وبالنصب الوقوف حقا لانتهاء الاستفهام نعم للعطف مع الابتداء بالتاذين على التعظيم الظالمين لان الذين صفتهم عوجا لاحتمال الواو الاستيناف والحال كافرون لان ما بعده لم يدخل فى التاذين ولم يجز ان يكون حالا للتناهى حال القسمين لاتفاق الجملتين بسيماهم يطمعون اصحاب النار لان بعده جواب الظالمين تستكبرون برحمة للتناهى الى الاستفهام والاقسام تحزنون رزقكم الله الكافرين الحيوة الدنيا للابتداء مع فاء التعقيب هذا وما مصدرية كانى كما نسوا والتقدير تناساهم نسيانهم وجحودهم يجحدون يؤمنون الا تأويله بالحق لابتداء الاستفهام مع الفاء للتعقيب كنا نعمل يفترون التفسير لما شرح وعيد الكفار وثواب الابرار اتبعه المناظرات التى تدور بين الفريقين فقال ونادى وانما ذكره بلفظ الماضى لان المستقبل الذى يخبر الله تعالى عنه موجب للتحقق وقوعه كالماضى والظاهر ان هذا النداء انما يكون بعد الاستقرار فى الجنة لانه ورد بعد قوله ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها قيل الجنة فى اعلى السموات والنار فى اسفل الارض ومع هذا البعد الشديد كيف يصح هذا النداء واجيب بان البعد الشديد والقرب القريب عندنا ليس من موانع الادراك ولو سلم المنع فى الشاهد فلم يسلم فى الغائب وهذا النداء يقع من كل اهل الجنة لكل اهل النار لان اصحاب الجنة واصحاب النار يفيد العموم لكن الجمع اذا قرن بالجمع يوزع الفرد على الفرد فكل فريق من اهل الجنة ينادى من كان يعرفه من الكفار وان فى ان وجدنا مخففة من الثقيلة كما فى قوله ان تلكم الجنة وكذا قوله ان لعنة الله لان النداء والتاذين فى معنى القول قال ابن عباس وجدنا ما وعدنا ربنا فى الدنيا من الثواب حقا صحيحا مطابقا للواقع فهل وجدتم ما وعد ربكم من العقاب حقا والغرض من هذا الاستفهام اظهار البشاشة والاغتباط وايقاع الحزن فى قلب العدو وفى هذه الحكاية لطف للمؤمنين وترغيب كما فى سائر الاخبار وانما حذف المفعول فى وعد ربكم للدلالة المفعول فى وعدنا عليه ولان كونهم مخاطبين من قبل الله تعالى بهذا الوعد يوجب مزيد التشريف وانه لا يليق الا بحال المؤمنين ويحتمل ان يكون الاطلاق ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر احوال القيمة قالوا نعم قال سيبويه نعم عدة وتصديق اى يستعمل تارة تصديقا فاذا قال قد كان كذا وكذا فقلت نعم فقد صدقته والحاصل ان نعم للتصديق فى الخبر والتحقيق فى الاستفهام مثبتين كانا او منفيين ولو قيل قام زيد او اقام زيد فيقول نعم كان معناه نعم قام زيد او لم يقم زيد فقلت نعم كان المعنى ما قام زيد مصدقا او محققا ومن ثم قال ابن العباس لو قالوا فى جواب الست بربكم نعم لكان كفرا هذا من حيث اللغة وقد يكون العرف على خلاف ذلك كقول الفقهاء لو قيل اليس لى عليك دين فقلت نعم لزمت الدين بناء على العرف الطارى

بعد الوضع وكانه تكسر العين من نعم وروى عن عمر انه سئل قوما عن شئ فقالوا نعم فقال عمر اما النعم فالابل قولوا نعم وانكر هذه الرواية ابو عبيد فاذن مؤذن قال ابن عباس هو الملك صاحب الصور يامره الله فينادي نداء يسمع اهل الجنة واهل النار ومعنى التاذين بالنداء والتصويت للاعلام بالصلوة ويوقتها ان الظالمون الاية قيل عام للكافر والفاسق والظاهر انهم الكفار لان الصد عن سبيل الله اى المنع عن قبول الدين الحق بالقهر او بالحيلة والقاء الشكوك والشبهات فى الدلائل وهو المراد بقوله ويبغونها عوجا وقد مر فى ال عمران والكفر بالاخرة كلاهما من اوصاف الكفرة وانما قدم بالاخرة تصحيحا لفواصل الاى لا لمزيد لفظة هم هنا على القياس واما فى سورة هود فلما تقدم هولاء الذين كذبوا على ربهم قال الا لعنة الله على الظالمين ولم يقل عليهم والقياس ذلك لئلا يلتبس انهم هم ام غيرهم فكرر ليعلم انهم هم المذكورون لا غيرهم ثم وصف اهل الجنة والنار فقال وبينهما يعنى بين الجنة والنار او بين الفريقين حجاب هو السور المذكور فى قوله سبحانه فضرب بينهم بسور له باب قيل لا حاجة الى ضرب هذا السور والجنة فوق السموات والجحيم فى اسفل سافلين واجيب بان بعد احدهما عن الاخر لا يمنع ان يكون بينهما سور وحجاب والاعراف لغة جمع عرف بالضم وهو الرمل المرتفع ومنه عرف الفرس وعرف الديك وكل مرتفع من الارض عرف لانه بسبب ارتفاعه يصير اعرف مما انخفض منه والاعراف فى الاية يفسر بالمكان تارة وبغيره اخرى اما الذين فسروه بالمكان وهم الاكثرون فقالوا ان الاعراف اعلى عالى السور المضروب بين الجنة والنار ويروى عن ابن عباس وعنه ايضا ان الاعراف شرف الصراط وعلى هذا التفسير فالذين هم على الاعراف من هم فيه قولان احدهما انهم اقوام يكونون فى الدرجة العليا من الثواب وثانيهما انهم فى الدرجة النازلة وعلى الاول فيه وجوه وقال ابو مجلد هم ملئكة يعرفون اهل الجنة واهل النار فقيل له يقول الله تعالى وعلى الاعراف رجال وانت تقول انهم ملئكة فقال الملئكة ذكور لا اناث ويرد عليه ان الرجل لغة يطلق على من يصلح ان يكون من نوعه انثى بل يطلق على الذكر من بنى ادم وقيل انهم الانبياء عليهم السلام اجلسهم الله تعالى على ذلك المكان العالى اظهارا لشرفهم وليكونوا مشرفين على الفريقين مطلعين على احوالهم ومقادير ثوابهم وعقابهم وقيل انهم الشهداء وعلى القول الثانى فقيل انهم قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم اوقفهم الله على هذه الاعراف لانها درجة متوسطة بين الجنة والنار ثم يؤل عاقبة امرهم الى الجنة برحمة من الله وفضل قاله حذيفة وابن مسعود واختاره الفراء وخصصه بعضهم فقال هم قوم خرجوا الى الغزو بغير اذن امامهم فاستشهدوا فساوت معصيتهم طاعتهم وفى هذا التخصيص نظر وقال عبد الله بن الحرث انهم مساكين اهل الجنة وقال قوم هم الفساق من اهل الصلوة يعفو الله عنهم ويسكنهم الاعراف واما الذين فسروه بغير المكان وهو قول الحسن والزجاج فقد قالوا ان المعنى على معرفة اهل الجنة والنار رجال يميزون البعض من البعض اما بالالهام او بتعريف الملائكة قال الحسن والله لا ادرى لعل بعضهم الان معنا وعلى جميع التفاسير فهم يعرفون اهل الجنة واهل النار قال قوم يعرفون اهل الجنة بكون وجوههم ضاحكة مستبشرة ومبيضة واهل النار بسواد وجوههم وزرقة عيونهم وزيف بان هذا النوع من المعرفة عام لاهل المحشر فلا وجه لتخصيص اصحاب الاعراف بذلك ويمكن ان يقال ان معرفتهم لكونهم على الامكنة المرتفعة امتن وقال المحققون انهم كانوا يعرفون اهل الخير والايمان والصلوة واهل الشر والكفر والافساد وهم كانوا فى الدنيا شهداء الله على اهل الايمان والطاعة وعلى اهل الكفر والمعصية فهو تعالى يجلسهم على الاعراف ليكونوا مطلعين على الكل يشهدون على كل احد بما يليق به ثم قال ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم اى انهم اذا نظروا الى الجنة سلموا على اهلها ثم اخبر على سبيل الاستيناف ان اهل الاعراف لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون كان سائلا سال عن حالهم او على انه صفة اخرى لرجال فان قلنا ان اصحاب الاعراف هم الاشراف فيكون الله تعالى اخر ادخالهم الجنة ليطلعوا على احوال الجنة والنار ثم انه تعالى ينقلهم الى الدرجات العالية فى الجنة كما روى عن النبى صلى الله عليه واله انه قال ان اهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون الكوكب الدرى فى وسط السماء وان ابا بكر وعمر منهم ومعنى يطمعون على هذا يتيقنون كقول ابرهيم والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين ولا يخفى ما فى هذه العبارة من حسن الادب وان قلنا اصحاب الاعراف هم الاوساط فلا اشكال لانهم يطمعون من فضل الله واحسانه ان ينقلهم من ذلك الموضع الى الجنة واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قال الواحدى التلقاء جهة اللقاء وهى جهة المقابلة وهو فى الاصل مصدر استعمل ظرفا ولم يات من المصادر على تفعال بالكسر الا حرفان تبيان وتلقاء واما فى الاسم فكثير كتمثال وتقصار والمعنى انه كلما وقعت ابصار اصحاب الاعراف على اهل النار تضرعوا الى الله تعالى انه لا يجعلهم من زمرتهم وفى بناء الفعل للمفعول وان لم يقل واذا ابصروا فائدة هى ان صارفا يصرف ابصارهم لينظروا فيستعيذوا ويتجنبوا ثم بين ان اصحاب الاعراف ينادون رجالا من اكابر اهل النار واستغنى عن التصريح بهم بوصفهم بما لا يليق لا بهم فقال ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم المال او كثرتكم واجتماعكم وما كنتم تستكبرون عن الحق وعلى الناس وفيه تبكيت للمخاطبين وشماتة بهم ثم زادوا فى التبكيت مشيرين الى فريق من اهل الجنة كانوا يستضعفونهم ويستقلون احوالهم وربما استهزؤا بهم وانفوا من مشاركتهم فى دينهم لقلة حظوظهم من الدنيا فقالوا اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة اما قوله ادخلوا الجنة الى الاخر الاية فمن قول الله تعالى لاصحاب الاعراف او من قول الملئكة لهم بامره او من قول بعضهم لبعض وذلك بعد ان يحبسوا ويحسوا ويقولوا قال المفسرون ان الرجال منهما الوليد بن المغيرة وابو جهل بن هشام والعاص بن وائل السهمى ونظراؤهم وكانوا يقولون ان بلالا وسلمان وعمارا وامثالهم يدخلهم الله الجنة ويدخلنا النار كلا والله ان الله لا يفضل علينا احدا منا ورعاتنا اقسموا ان لا يخصهم بفضل دونهم فناداهم اصحاب الاعراف ثم ختم المناظرين بقوله ونادى اصحاب النار قال ابن عباس لما صار اصحاب الاعراف الى الجنة طمع اهل النار بفرج بعد الياس

فقالوا

فقالوا ربنا ان لنا قرابات من اهل الجنة فائذن لنا حتى نريهم ونكلمهم فامر الله بالجنة فزخرفت ثم نظر اهل جهنم الى قراباتهم فى الجنة وما هم فيه من النعيم فعرفوهم فنظر اهل الجنة الى قراباتهم من اهل جهنم فلم يعرفوهم قد اسودت وجوههم وصاروا خلقا اخر فنادى اصحاب النار اصحاب الجنة باسمائهم وقالوا ان افيضوا علينا من الماء طلبوا الماء اولا لما فى بواطنهم من الاحتراق الشديد وفى الافاضة نوع دلالة على ان اهل الجنة اعلى مكانا من اهل النار قال بعض العلماء انهم سئلوا ذلك مع جواز الحصول وقال الاخرون بل مع الياس لانهم عرفوا دوام عقابهم ولكن الايس من الشئ قد يطلبه كما يقال فى المثل الغريق يتعلق بالزبد وان علم انه لا يغنيه قوله او مما رزقكم الله قيل اى سائر الاشربة لدخوله فى حكم الافاضة وقيل اى من الثمار او الطعام والمراد والقوا علينا من الطعام والفاكهة كقوله علفتها تبنا وماء باردا فيكون فى الاية دليل على نهاية عطشهم وشدة جوعهم ثم كان لسائل ان يسئل فبماذا اجابهم اهل الجنة فقيل قالوا ان الله حرمهما على الكافرين اى منعهم شراب الجنة وطعامها كما تمنع المكلف ما يحرم عليه وهذه نهاية الحسرة والخيبة اعاذنا الله منها ثم وصف هولاء الكافرين بانهم الذين اتخذوا لهوا ولعبا وغرتهم الحيوة وقد مر تفسير الوصفين فى اواسط سورة الانعام وقال ابن عباس يريد المستهزئين المقتسمين وجملة الامر ان الانسان يطمع فى طول العمر وحسن العيش وكثرة المال وقوة الجاه فلشدة رغبته فى هذه الاشياء يصير محجوبا عن طلب الدين غريقا فى بحر الدنيا ومشتهياتها ثم ذكر جزاءهم يوم القيمة على سبيل الحكاية فقال فاليوم ننسيهم اى نتركهم فى عذابهم كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا قال الحسن ومجاهد والسدى والاكثرون قيل اى نعاملهم معاملة من نسى تركهم فى النار كما فعلوه هم فى الاعراض عن ايتنا فسمى جزاء النسيان نسيانا كقوله وجزاء سيئة سيئة والحاصل انه لا يجيب دعائهم ولا يرحم ضعفهم وذلهم عن ابى الدرداء ان الله تعالى يرسل على اهل النار الجوع حتى يعدل عذابهم فيستغيثون فيغاثون بالضريع الذى لا يسمن ولا يغنى من جوع ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذى غصة ثم يذكرون الشراب فيستغيثون الى اهل الجنة كما فى هذه الاية فيقول اهل الجنة ان الله حرمهما على الكافرين ويقولون لمالك ليقض علينا ربك فيجيبهم على ما قيل بعد الف عام انكم ماكثون ويقولون ربنا اخرجنا منها فيجيبهم اخسئوا فيها ولا تكلمون فعند ذلك ييئسون من كل خير وياخذون فى زفير وشهيق وعن ابن عباس فى صفة اهل الجنة انهم يرون الله عز وجل فى كل جمعة ويبنى لكل واحد منهم الف باب فاذا زاروا الله تعالى دخل من كل باب ملك معهم الهدايا الشريفة وقال ان نخل الجنة خشبها الزمرد وقوائمها الذهب الاحمر وسعفها حلل وكسوة لاهل الجنة وثمرتها امثال القلال اشد بياضا من الفضة والين من الزبد واحلى من العسل لا عجم فيها فهذه صفة الفريقين من القران والحديث فناهيك بها ما شئت والله الموفق ولما شرح الله تعالى حال الطائفتين والمناظرات الجارية بينهم لتكون حاملا للمكلف على الحذر من مواجب النار وعلى الرغبة فى مستتبعات الجنة بين شرف هذا الكتاب الكريم وغاية منافعه الجليلة فقال جئناهم بكتاب فصلناه ميزنا بعضه عن بعض تمييزا يهدى الى الرشاد ويؤمن من الغلط والتخابط وانما فعلنا ذلك لا كيفما اتفق بل على علم بما فى كل فصل من تلك الفصول من الفوائد الكثيرة والمنافع العزيزة حتى جاء بينا من كل خلل وقدح ومعجزا باقيا على وجه الدهر وقوله هدى ورحمة حالان من منصوب فصلناه كما ان على علم حال مرفوعه ويحتمل ان يكونا مفعولا لهما لقوم يؤمنون لان فائدته تعود اليهم ثم لما بين ازاحة العلة بسبب انزال هذا الكتاب المفصل الموجب للهداية والرحمة بين بعده حال من كذب فقال هل ينظرون الا تاويله والنظر ههنا بمعنى الانتظار والتوقع وكيف ينتظرون مع جحدهم وانكارهم الجواب لعلهم انهم اقروا ما تشككوا وتوقفوا لهذا السبب انتظروه وايضا انهم كانوا جاحدين الا انهم بمنزلة المنتظرين من حيث ان تلك الاحوال تاتيهم لا محالة قال الفراء الضمير فى تاويله للكتاب اى عاقبة امره وما يؤل اليه من بيان صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد او عاقبة ما وعد وابه على السنة الرسل من الثواب والعقاب والتاويل مرجع الشئ ومصيره من قولهم ال الشئ يؤل يوم ياتى يريد يوم القيمة وانتصابه على انه ظرف يقول ومعنى نسوه تركوا العمل به والايمان او انهم صاروا فى الاعراض عنه بمنزلة من نسيه قد جاءت رسل ربنا بالحق اى متلبسين بما هو الحق او انباء التعذيب والمراد اعترافهم بثبوت الحشر واحوال القيمة واهوالها اذا عاينوها فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا منصوب باضمار ان بعد الفاء والتقدير هل يثبت لنا شفيع فيشفع او هل نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل فنوحد الله تعالى بدلا عن الشرك ونطيعه بدلا عن المعصية وفيه دليل على ان اهل الاخرة لا تكليف عليهم خلافا للنجار ومن يتبعه والا لم يسئلوا الرد الى دار التكليف ولم يتمنوه بل كانوا يتوبون فى الحال ثم حكم بان ذلك التمنى لا يفيدهم شيئا وان مطلوبهم لا يكون البتة قال قد خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون اى لا ينتفعون بالاصنام التى عبدوها فى الدنيا وليس تفيدهم نصرة الاوثان وان بالغوا فى نصرها التاويل نادى اهل الجنة اهل القطيعة ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا يعنى قوله الا من طلبنى وجدنى فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وهو قوله ومن طلب غيرى لم يجدنى فاذن مؤذن العزة والعظمة على الظالمين الذين وضعوا استعداد الطلب فى غير موضع مطلوبه الذين يصدون القلب الروح عن سبيل الله وطلبه ويطلبون صرف وجوههم الى الدنيا وما فيها وما بينهما حجاب من الاوصاف البشرية والاخلاق الذميمة النفسانية فلا يرى اهل النار اهل الجنة وبين اهل الله وهم اصحاب الاعراف حجاب من الاوصاف الخلقية والاخلاق الحميدة الروحانية وسميت اعرافا لانها موطن اهل المعرفة وسموا رجالا لانهم بالرجولية يتصرفون فيما سوى الله تصرف الرجال فى النساء ولا يتصرف فيهم شئ منه فالاعراف مرتبة فوق الجنان فى حظائر القدس عند الرحمن يعرفون كلا من اهل الجنة واهل النيران بسيماهم من اثار نور القلب وظلمته ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم يعنى هنيئا لكم ما انتم فيه من

الجنة واهلها

النعيم والحور والقصور ثم اخبر عن هؤلاء اهل الاعراف فقال لم يدخلوها اى الجنة ودونها لم يلتفتوا الى غير المولى وهم يطمعون فى الوصول الى الحق
سبحانه واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار ابتلاء لهم ليعرفوا انه تعالى من اين ردهم وخلصهم وبات كرامته خصهم ومن هذا القبيل يكون ما ينبغى للابرار
الكمال لان من الخواطر النفسانية يعرفونهم بسيماهم يعنى اهل الجنة واهل النار ما اغنى عنكم جمعكم يا اهل الجنة واهل الله من الطاعات ويا اهل
النار من الدنيا والشهوات وما كنتم تستكبرون عن السير فى حقيقة لا اله الا الله اهؤلاء الذين اقسمتم سبحان من المؤمنين والعلماء بعلم اللقاء
فى بعض الاوقات من يقول الدنيا جنة لاهل الجنة والمعرفة لا ينالهم الله برحمة الوصول ادخلوا الجنة يعنى الجنة المضافة اليه فى قوله ادخلى جنتى
فى بها القدس وعند حضرته لا خوف عليكم من الخروج ولا انتم تحزنون على ما فاتكم من نعيم الجنة اذ فزتم بشهود جمالنا واعلم ان الله
خطائر القدس وسرادق العزة انقطع عنهم نظرهم ونظر الملائكة المقربين فانهم يحكى عن ابا جعفر الابهرى انه دخل على ابا طاهر الهمدانى فقال انى
كنت فى حضرت البارحة مع الخواص على باب الله فما رايتك ثم قال يا باطاهر صدقت كنت على الباب مع الخواص وكنت داخلا مع الاخص فما رايتنى
ان افيضوا علينا من الماء كانوا فى الدنيا عبيد البطون حراصا على الطعام والشراب فماتوا على ما عاشوا وحشروا على ما ماتوا وان اهل الجنة لما جوعوا بطونهم
تولية الفردوس كان اشتغالهم فى الجنة بشهوات النفس لما يفتر فقالوا ان الله حرمهما على الكافرين وفى الحقيقة انما حرمهما عليهم فى الازل فلم يوفقوا لما
تورث الجنة هل ينظرون الا تاويله اى ما يؤول اليه عاقبته فى شانهم للمؤمنين كشف الغطاء ولاهل الحجب القهر والانتقام وعذاب النار اعاذنا الله تعالى منه

إِنَّ رَبَّكُمُ اللّٰهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ
بدرستی که پروردگار شما خدائیست که بیافرید آسمانها و زمین را در شش روز پس جای گرفت بر عرش میپوشاند شب را بروز طلب میکند
حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللّٰهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا
شتابان و آفتاب و ماه و ستارگان منقادست بفرمان او آگاه باش که مر او راست آفرینش و فرمان بزرگوارست خدا پروردگار جهانیان بخوانید پروردگار خودرا بزاری
وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللّٰهِ قَرِيبٌ
و در نهان بدرستی که او دوست ندارد در گذرندگانرا و فساد مکنید در زمین پس از اصلاح آن و بخوانید خدارا به بیم و امید بدرستی که رحمت خدا نزدیکست
مِنَ الْمُحْسِنِينَ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتّٰى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ
از نیکوکاران و اوست آنکه میفرستد بادها را مژده دهنده در پیش رحمت خود تا چون بردارد ابرهای گرانرا برانیم آنرا
لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتٰى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
سوی شهر مرده پس فرو فرستادیم بآن آب را پس بیرون آوردیم بآن از همه میوه ها همچنین بیرون آریم مردگانرا شاید شما پند گیرید
وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ
و زمین پاکیزه بیرون آید رویید نی آن بفرمان پروردگارش و آنکه ناپاکست بر نیاید مگر اندک اینچنین بگردانیم آیات را از برای گروهی که سپاس گذارند

القراءة يغشى بالتشديد حيث كان حمزة وعلى وخلف وسهل ويعقوب غير روح والشمس والقمر والنجوم مسخرات كلها بالرفع ابن عامر الاخرون بالنصب
الريح على التوحيد ابن كثير وحمزة وعلى وخلف نشرا بالنون وسكون الشين حمزة وعلى وخلف ابو زيد عن المفضل وبضم الباء الموحدة والشين الساكنة
عاصم غير ابى زيد الباقون بضم النون والشين ميت بالتشديد ابو جعفر ونافع وحمزة وعلى وخلف وحفص والمفضل نكدا بفتح الكاف يزيد الاخوة
بكسرها الوقوف حثيثا لمن قرا والشمس وما بعده مرفوعات بامره والامر العالمين وخفية المعتدين للعطف مع الاية وطمعا المحسنين رحمته الثمرات تذكرون
اذن ربه للابتداء مع العطف نكدا يشكرون التفسير لما بالغ سبحانه فى تقرير امر المعاد عاد على عادته الى بيان المبدأ وهو ذكر الدلائل الدالة على
التوحيد وكمال القدرة والعلم تاكيدا للمعاد والمعنى ان الذى يربيكم ويصلح شانكم ويوصل اليكم الخيرات ويدفع عنكم المكاره هو الذى بلغ كمال قدرته
وعلمه وحكمته ورحمته الى حيث خلق هذه الاجسام العظام واودع فيها انواع المنافع واصناف الفوائد وكيف يليق ان يرجع الى غيره فى طلب الخيرات و
يعول على غيره فى تحصيل السعادات قال علماء الادب اصل ست سدس بدليل سدس واسداس ثم ان العرب كانوا يعظمون البهو فالظاهر انهم
سمعوا بعض اوصاف الخالق منهم فكانه سبحانه يقول لا تشتغلوا بعبادة الاوثان والاصنام فان ربكم هو الذى سمعتم من عقلاء الناس انه بالغ
هو الذى خلق السموات والارض على غاية عظمتها ونهاية جلالتها فى ستة ايام قيل انه تعالى كان قادرا على ايجادها دفعة واحدة فما الفائدة فى ذكر
انه خلقها فى ستة ايام فى اثناء ذكر ما يدل على وجود الصانع واجيب بانه اراد ان يعلم عباده الرفق والتانى فى الامور والصبر فيها كيلا يحمل المكلف تاخير
الثواب والعقاب على التعطيل ومن العلماء من قال ان الشئ اذا احدث دفعة واحدة ثم انقطع الاحداث فلعله يخطر ببال بعضهم ان ذلك انما وقع على
سبيل الاتفاق اما اذا احدثت الاشياء على التعاقب والتواصل مع كونها مطابقة للحكمة والمصلحة كان ذلك اقوى فى الدلالة على كونها واقعة باحداث
محدث حكيم عليم قادر رحيم وايضا ثبت بالدليل انه تعالى خلق العاقل اولا ثم خلق السموات والارض بعده لان خلق ما لا ينتفع فى الحال يجرى الى العبث
ثم ان ذلك العاقل ملكا كان او جنيا اذا شاهد فى كل ساعة وحين حدوث شئ اخر على سبيل التعاقب والتوالى كان ذلك اقوى فى افادة اليقين
لانه يتكرر على عقله ظهور هذه الدلائل لحظة فلحظة واما تقدير المدة بستة ايام فلا يرد عليه اشكال لان السؤال يعود على اى مقدار فرض وقيل

ان

ان لعدد السبعة شرفا عظيما ولهذا اختصت ليلة القدر بالسابع والعشرين فالايام الستة لتخليق العالم والسابع لتحصيل كمال الملك والملكوت فان قيل
كيف يعقل حصول الايام قبل خلق الشمس التى بها تتحدد الايام لان منتهيها طلوعها وغروبها فالجواب ان المراد خلق السموات والارض فى مقدار ستة ايام كقوله ولهم رزقهم
فيها بكرة وعشيا والمراد مقدار البكرة والعشى فى الدنيا لانه لا صباح عند الله ولا مساء وعن ابن عباس ان هذه الايام ايام الاخرة كل يوم الف سنة مما
تعدون والاكثرون على انها ايام الدنيا لان التعريف بما نعرف والظاهر انها الايام بلياليها لا النهار ويقول يمكن ان تحمل الايام الستة على الاطوار
الستة على الاطوار الستة التى للاجسام الهيولى والصورة والجسم البسيط ثم المركب المعدنى والنباتى والحيوانى والله تعالى اعلم بمراده اما قوله سبحانه
ثم استوى على العرش فحمل بعضهم الاستواء على الاستقرار وزيف بوجوه عقلية ونقلية منها ان استقراره على العرش يستلزم تناهيه من الجانب
الذى يلى العرش وكل ما هو متناه فاختصاصه بذلك الحد المعين يستند لا محالة الى محدث مخصص فلا يكون واجبا ولقائل ان يقول لم لا يجوز
ان يكون الاله تعالى نورا غير متناه ويراد استقراره على العرش بلا تناهيه احاطته به من الجوانب ونفوذه فى الكل كاحاطة الفلك الحاوى بالمحوى
ولا كنفوذ النور المحسوس فى الشف بل على نحو اخر تعوزه العبارة ومنها انه تعالى لو كان فى مكان وجهة لكان اما ان يكون غير متناه من كل الجهات
او متناهيا من بعضها دون بعض وعلى الاول يلزم اختلاطه بجميع الاجسام حتى القاذورات ومع ذلك فالشئ الذى محل السموات اما ان يكون عين الشئ
الذى هو محل الارض او غيره وعلى الاول يلزم ان يكون السماء والارض حالين فى محل واحد فهما شئ واحد لا شيئان وعلى الثانى يلزم التركيب
والتجزى فى ذاته تعالى واما ان كان متناهيا من الجهات فلو حصل فى جميع الاحياز فهو محال بالبديهة وان حصل فى حيز واحد فلو كان جوهرا فردا
لزم ان يكون واجب الوجود احقر الاشياء والا لزم التبعيض لان جهة الفوق منه يكون مغايرة لمقابلها وكذا الكلام فيه ان كان متناهيا من
بعض الجهات ولو جاز ان يكون الشئ المحدود من جانب ومن جانب قديما ازليا فاعلا للعالم فلم لا يجوز ان يقال فاعل العالم هو الشمس او القمر او كوكب
اخر وايضا يصح على الشق المتناهى ان يكون غير متناه وعلى غير المتناهى ان يكون متناهيا لان الاشياء المتساوية فى تمام الماهية كل ما صح على واحد منها
صح على الباقى فيصح النمو والذبول والزيادة والنقصان والتفريق والتمزق على ذاته تعالى فيكون ممكنا محدثا لا واجبا قديما ولقائل ان يقول انه غير متناه
ولا يلزم من ذلك ان يكون محلا للعالم ولا حالا فيه واستصحاب الشئ المحل غير كونه نفس المحل او مفتقرا الى المحل وحديث اختلاطه بالقاذورات تخييل
لا اصل له عند الرجل البرهانى ومنها انه لو كان البارى تعالى ازليا ومحال ان يكون ما سوى الواجب ازليا وان لم يكن موجودا لزم كون العدم المحض
ظرفا لغيره ومشارا اليه بالحس وذلك باطل واعترض بان ذلك يرد عليكم ايضا فى قولكم الجسم حاصل فى الحيز والجهة واجيب بان مكان الجسم عندنا
عبارة عن السطح الظاهر من الجسم المحوى وهذا المعنى بالاتفاق فى حق الله محال فسقط الاعتراض ولقائل ان يقول الجهة مقطع الاشارة الحسية
وهذا فى حقه محال لعدم تناهيه لم لا يجوز ان يكون المكان خلاء فلا يلزم تداخل البعدين ولو لزم هناك لزم فى الاجسام ايضا بل لا بعد هناك ولا
امتداد ولو فرض فلا يلزم منه الانقسام فى الخارج ومنها انه لو امتنع وجود البارى تعالى بحيث لا يكون مختصا بالحيز والجهة لكانت ذاته مفتقرة
فى تحققها ووجودها الى غيره فيكون ممكنا والجواب ما مر من ان استصحاب المكان لا يوجب الافتقار اليه ومنها ان الحيز والجهة لا معنى له الا الفراغ
المحض ولان هذا المفهوم واحد فالاحياز باسرها متساوية فى تمام الماهية فلو اختص ذاته تعالى بحيز معين لكان اختصاصه به لمخصص مختار وكل
ما كان فعل الفاعل المختار فهو محدث وكل ما لا يخلو عن الحادث فهو اولى بالحدوث فالواجب محدث هذا خلف ولقائل ان يقول ما لا يتناهى لا يعقل
له حيز معين ولو فرض لا تناهى الاحياز ايضا فافتقاره اليها ممنوع وكيف يفتقر الشئ الى ما تاخر وجوده عن وجود ذلك الشئ والميتية بعد ذلك
لا تضر ومنها لو كان فى الحيز والجهة لكان مشارا اليه بالحس ثم ان كان قابلا للقسمة لزم التجزى والا لكان نقطة او جوهرا فردا فلا يبعد ان
يقال ان اله العالم اخس من الف جزء من راس ابرة ملتصقة بذنب نملة او نملة ولقائل ان يقول لا نسلم ان كونه مع الحيز من جميع الجهات المفروضة
يستلزم كونه مشارا اليه حسا فان العقل يعجز عن ادراكه فضلا عن الحس وباقى الكلام لا يستحق الجواب ومنها كل ذات قائمة بالنفس يشار اليه بحسب
الحس فلا بد ان يكون جانب يمينه مغايرا لجانب شماله فيكون منقسما وكل منقسم مفتقر ممكن قالوا هذا الدليل مبنى على نفى الجوهر الفرد ومنها لو كان
فى حيز لكان اما اعظم من العرش ومساويا او اصغر منه والثالث باطل بالاجماع والاولان يستلزمان الانقسام لان المساوى للمنقسم منقسم و
كذا الزائد عليه ولان القدر الذى فضل عليه مغاير لما سواه ولقائل ان يقول لا نسبة بين الجسم وبين نور الانوار ويستحيل هذه التقادير
ومنها انه لو فرض كونه تعالى غير متناه من جميع الجهات كما يزعم الخصم لزم لا تناهى الابعاد وانه محال لبرهان تناهى الابعاد ولقائل ان يقول ان براهين
تناهى الابعاد لا نسلم ولو سلم فلا بعد فيما وراء العالم الجسمانى ولا امتداد ومنها انه سبحانه لو كان حاصلا فى الحيز وكونه هناك اما ان يمنع من حصول
جسم اخر فيه او لم يمنع وعلى الاول كان تعالى مساويا لجميع الاجسام فى هذا المعنى ثم انه ان لم يحصل بينه وبينها مخالفة بوجه اخر صح عليه التغيرات وانه
محال وان حصل بينه وبينها مخالفة من سائر الوجوه كان ما به المشاركة مغايرا لما به المخالفة فيكون الواجب مركبا بل ممكنا وايضا ان ما به المشاركة
وهو طبيعة البعد والامتداد اما ان يكون محل ما به المخالفة او حالا فيه او لا هذا ولا ذاك فان كان محلا له كان البعد جوهرا قائما بنفسه والامور
التى بها حصلت المخالفة اعراضا وصفات واذا كانت الذوات متساوية فى تمام الماهية وكل ما يصح على البواقى وكل ما يصح على بعض الاجسام من التفرق
والتمزق والنمو والذبول والعفونة والفساد يصح على ذاته تعالى وان كان ما به المخالفة محلا او ذوات وما به المشاركة حالا او صفة فذلك المحل ان كان

له ايضا اختصاص بحيز وجهة فيجب افتقاره الى محل اخر لا الى نهاية والا كان موجودا مجردا فلا يكون بعدا وامتدادا هذا خلف وان لم يكن حالا ولا
محلا كان اجنبيا مباينا فيكون ذات الله تعالى مساوية لتمام الاجسام فى الماهية ويصح عليها هذا محال وعلى التقدير الثانى وهو ان ذاته تعالى لا يمنع
حصول جسم اخر فى حيزه ان سريانه فى ذلك الجسم وتداخل البعدين كما ان الكل محال فالمقدم وهو كونه تعالى فى حيز محال وللقائل ان يقول كون البارى
تعالى مع الحيز مغاير لكون الجسم فى الحيز فاين الاشتراك ولو سلم فالاشتراك فى اللوازم لا يوجب الاشتراك فى الملزومات فمن اين يلزم التركيب قوله
فان كان محلا له كان البعد جوهرا اى قائما بنفسه قلنا كون البعد جوهرا قائما بنفسه حق ولكن الملازمة ممنوعة وكذا قولنا الامور التى بها حصلت الخالقية
اعراض وصفات لجواز قيام العرض بالعرض كالبطوء والسرعة القائمين بالحركة قوله والا كان موجودا مجردا فلا يكون بعدا ممنوع لما قلنا من احتمال
وجود بعد مجرد بلا جوهر والكلام فى سريانه فى الموجودات قد مر ومنها انه لو كان فى حيز فان امكنه التحرك منه بعد سكونه فيه كان المؤثر فى
حركته وسكونه فاعلا مختارا وكل فعل لفاعل مختار فهو محدث وما لا يخلو عن المحدث او لا بان يكون محدثا وان لم يمكنه التحرك منه كان كالزمن المقعد
العاجز وذلك محال وايضا لا يبعد فرض اجسام اخرى مختصة باحياز معينة بحيث يمتنع خروجها عنها فلا يمكن اثبات حدوث الاجسام بدليل
الحركة والسكون والكرامية يباعدون على انه كفر وللقائل ان يقول ان الحركة والسكون من خواص الاجسام المفتقرة الى احياز فاما النور المجرد فلا يوصف
بالحركة والسكون وان كان مع الحيز والمتحيز سلمنا وجوب تصافه باحدهما فلم لا يجوز ان لا يمكنه التحرك لا لكونه زمنا مقعدا ولكن لا نه نور غير متناه
لا يصح وصفه بالتخلخل ونحو ذلك فيستحيل عليه الحركة لانها موقوفة على شغل حيز وتفريغ حيز اخر ولان العالم النورانى الذى لا نهاية له مملو منه
فكيف يتصور خلو حيز عنه ومنها انه لو كان مختصا بحيز فان كان لطيفا كالماء والهواء كان قابلا للتفرق والتمزق وان كان صلبا كان اله العالم
جبلا واقفا فى الحيز العالى وان كان نورا محضا جاز ان تعرض هذه الانوار التى تشرق على الجدران الهواء وايضا ان كان له طرف وحد فان كان ذا عمق
وتحرك كان باطنه غير ظاهره والا كان سطحا فى غاية الرقة مثل قشرة الثوم بل ارق منها الف الف مرة قلت ان امثال هذه الكلمات لا يصدر والا عمن لا يفرق
بين النور المعقول والنور المحسوس والجوهر المجرد والجوهر المادى والشئ القائم بذاته والمفتقر الى غيره ومن العجب العجاب ان هذا المستدل قد سمع
من جمهور العقلاء ان الاجرام الفلكية لا تطلق عليها الصلابة واذا جاز ان يكون فى انواع الاجسام نوع لا يمكن ان يتصف بهذين المتقابلين لان
ذلك الموضع اجل واشرف من ان يتصف باحدهما فلم لا يجوز ان يكون فيما هو اشرف من ذلك النوع شئ لا يتصف بهما ومنها لو كان اله العالم فوق
العرش لكان مماسا للعرش او مباينا له ببعد متناه او غير متناه وعلى الاول فان لم يكن له تحيز فالمماس مغاير لغير المماس ويلزم تركيبه وان كان مباينا
ببعد متناه فلا يمتنع ان يرتفع العالم من حيزه الى حيز ثانية ويعود الالزام المذكور وان كان مباينا ببعد غير متناه لزم ان يكون غير المتناهى
محصورا بين الحاصرين وللقائل ان يقول المباينة والمماسة من خواص الاجسام وانه تعالى نور مجرد محض فلا يصلح عليه الاتصال والانفصال والتماس
والتباين والتداخل واشباه ذلك ومنها ان الاستقراء قد دل على ان الجرمية كلما كانت اقوى كانت الفاعلية والتاثير اضعف وبالعكس
ولهذا كان تاثير الارض اقل من تاثير الماء وتاثير الماء من تاثير الهواء وتاثير الهواء من تاثير النار بالاحراق والطبخ وتاثير النار من تاثير الافلاك
المؤثرة فى العنصريات ثم انه لا قدرة ولا قوة اشد من قدرة الواجب لذاته فيكون بريا من الحجم والجرم والكثافة والتركيب قلت الاستقراء
نوع انه صحيح تام اولا ولكن لا نزاع فى ان واجب الوجود تعالى شانه برئ عن الحجمية والكثافة وعن كل شئ يقدح فى قيوميته وهمنا حجج قد اوردت
فى سورة الانعام فى تفسير قوله سبحانه وهو القاهر فوق عباده وقد عرفت ما عليها فهذه حجج عقلية صال بها الامام فخر الدين الرازى فى تفسير
الكبير وقد اوردنا عليها ما كانت تردمن المنوع والاعتراضات لا اعتقادا للتشبيه والتجسيم او تقليدا لاولئك الاقوام بل تشحيذا للاذهان وتقريبا
الى المعارف والحقائق وحثا بالضبع المتأمل فى المضايق والمزالق فليختر المصنف ما اراد والله الموفق للرشاد ولعل هذا المقام مما لا يكشف المقال
عنها غير الحال والله اعلم بحقيقة الحال ثم قال ره واما الدلائل السمعية فكثيرة منها قوله تعالى قل هو الله احد والاحد مبالغة فى كونه واحدا والذى
يمتلى منه العرش ويفضل عن العرش يكون مركبا من اجزاء وذلك ينافى كونه احدا والحب بانه ذات واحدة حصلت فى كل الاحياز دفعة واحدة ورد
من هذا المعلوم الفساد بالضرورة ولو جاز ذلك فلم لا يجوز ان يقع جميع الارض الى ما تحت الثرى جوهر واحد وموجود واحد الا ان ذلك الجزء
الذى لا يتجزى حصل فى جملة الاحياز فظن انها اشياء كثيرة قلت وهذه مغالطة فان الجزء الذى لا يتجزى لصغره غير الشئ الذى لا يقبل التجزية
الانقسام لذاته وايضا المتحيز الذى له مقدار ذراع لا يشغل بالبداهة حيزين كل منهما ذراع فى ذراع فلزم منه ان لا يشغل ذلك الحيزين
متحيز مقداره ضعف ذلك ثم ان الحق ما عرفت مرارا ان نور الانوار قيوم فى ذاته حاصل بجميع الاشياء لا منفصل المحيط عن المحاط ولا متصل
بها اتصال العرض السارى فى الاجسام ولهذا لا يلزم انقسامها الانقسام ومنها قوله ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ويلزم منه ان يكون
حامل العرش حاملا للاله والجواب انك ان سميت المعية حملا فلا نزاع ومنها قوله والله الغنى فوجب ان يكون غير مفتقر الى المكان والجهة
والجواب ان الاستغناء ... غير الافتقار ... و طلب ... قوله وما رب العالمين ولم يزد موسى على ذكر الاوصاف والافعال
... فى السمع قوله فارجع الى ... ان النزاع ... بين موسى ووصفه بالمكان والحيز دون فرعون والجواب لا نزاع فى
ان ... لا يعلمها الا هو والبسائط المحضة لا تعرف الا باللوازم وطلب فرعون انما كان مذموما لانه تصور ان يكون الاله شخصا

عنها انفصال

مثله على تقدير وجوده لقوله ما علمت لكم من اله غيرى ومنها مدح الاية لانها تدل على انه استقر على العرش بعد تخليق السموات والارض وكان قبل
ذلك مضطربا والجواب المراد بالاستقرار انه كان ولم يكن معه شئ فاذا خلق ما خلق من عالم الاجسام والاختلاط ما وراءه نورا محضا ومنها اقتصارهم
وتبريهم من الافلين ولو كان جسما لكان افلا فى افق الامكان والجواب بان نور الانوار اجل من ذلك ولا يلزم من كونه مع جميع الاشياء ومع ما سواها ان
يكون فى مرتبة الاجسام بل النفوس والعقول ومنها ان اول الاية اعنى قوله ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض يدل على قدرته وحكمته وكذا
قوله يغشى الليل والنهار الى اخر الاية فلو كان المراد من الاستواء هو الاستقرار كان اجنبيا عما قبله وعما بعده لانه ليس من صفات المدح اذ لو استقر
عليه بق وبعوض صدق عليه انه استقر على العرش فاذن المراد بالاستواء كمال قدرته بتدبير الملك والملكوت حتى تصير هذه الكلمة مناسبة لما
قبلها ولما بعدها والجواب ان الاستقرار بالتفسير الذى ذكرناه ادل شئ على المدح والثناء وحديث البق والبعوض جزاف وهل هو الا كقول
القائل لو كان واجب الوجود بقا او بعوضا صدق عليه انه اله فلا يكون الاله دالا على المدح ومنها انه سبحانه حكم فى ايات كثيرة بانه رب
السموات والعرش لان السماء عبارة عن كل ما علا وسما ومن هنا قد سمى السحاب سماء فيلزم ان يكون خالقا لنفسه والجواب بعد تسليم ان كل ما سما وارتفع
فهو سماء من غير اعتبار انه نور وجسم ان ذاته سبحانه مخصوص بدليل منفصل كقوله الله خالق كل شئ هذا ولغير الموسومين بالمجسمة والمشبهة فى الاية
قولان الاول انقطع بكونه متعاليا عن المكان والجهة ثم التوقف عن تاويل الاية وتفويض علمها الى الله والثانى الخوض فى التاويل وذلك من وجوه احدها
تفسير العرش بالملك والاستواء بالاستعلاء على الملك وثانيها ان استوى بمعنى استولى كقول الشاعر قد استوى بشر على العراق من غير سيف
ودم مهراق وثالثها ان العرش فى كلامهم هو السرير الذى يجلس عليه الملوك ثم جعل العرش كناية عن نفس الملك يقال استوى على سريره وملكه اذا
استقام له امره واطرد وفى ضده ثل عرشه اى انتقض ملكه وفسد فالله تعالى دل على ذاته وصفاته وكيفية تدبيره للعالم بالوجه الذى الفوه من
ملوكهم ورؤسائهم استقرت عظمة الله تعالى فى قلوبهم الا ان ذلك مشروط بنفى التشبيه فاذا قال انه عالم فهموا منه انه تعالى لا يخفى عليه شئ
ثم علموا بعقولهم انه لم يحصل ذلك العلم بفكرة وروية ولا باستعمال حاسة واذا قال قادر علموا انه متمكن من ايجاد الكائنات وتكوين الممكنات ثم عرفوا
انه غنى فى ذلك الايجاد والتكوين عن الالات والادوات وسبق المادة والمدة والفكرة والروية وكذا القول فى كل من صفاته واذا اخبر ان له بيتا
يجب على عباده حجه فهموا منه انه نصب موضعا يقصدونه لمسائلهم وحوائجهم كما يقصدون بيوت الملوك والرؤساء لهذا المطلوب ثم علموا بعقولهم
نفى التشبيه وانه لم يجعل ذلك البيت مسكنا لنفسه ولم ينتفع به لدفع الحر والبرد واذا امرهم بتحميده وتمجيده فهموا منه انه امرهم بنهاية تعظيمه ثم علموا انه
لا يفرح بذلك التحميد والتمجيد ولا يحزن بتركه والاعراض عنه واذا اخبر انه خلق السموات والارض ثم استوى على العرش فهموا منه انه بعد ان خلقها استوى
على عرش الملك والجلال ومعنى التراخى انه يظهر تصرفه فى هذه الاشياء وتدبيره لها بعد خلقها لان تاثير الفاعل لا يظهر الا فى القابل وقال ابو
مسلم العرش لغة هو البناء والعارش البانى قال تعالى ومن الشجر ومما يعرشون فالمراد انه بعد ان خلقها قصد الى تعريشها وتسطيحها وتشكيلها بالاشكال
الموافقة لها قوله سبحانه يغشى الليل النهار قال صاحب الكشاف يلحق الليل بالنهار والنهار بالليل يحتملهما اللفظ جميعا وقال صاحب القفال لما اخبر
بالاستواء على العرش وان امر المخلوقات منوط بتدبيره ومشيئته اراهم ذلك عيانا فيما يشاهدونه لينضم العيان الى الخبر وقدم ذكر الليل والنهار لما
فى تعاقبهما من المنافع الجليلة بهما يتم امر الحياة ثم وصف الحركة التى يحصلان منها بالسرعة حيث انها فى مقدار ما يقول واحد واحد يتحرك الفا وستمائة
واثنين وثلثين فرسخا من مقعر فلكه والله اعلم بتحرك محدبه فان قيل ما محل الجملتين قلنا اما الاولى فمستانفة كانه قيل فماذا يفعل بعد خلق السموات
والارض فاجيب يغشى الليل النهار وعلى قول من يفسر الاستواء بالتدبير والتصرف يحتمل ان يكون هذه الجملة مبينة واما الثانية ففى محل
النصب على الحال من المحو كان حثيثا منصوب على الحال من الطالب هو الملحق بعينه ثم قال والشمس والقمر والنجوم مسخرات من قرأها مرفوعات فعلى
الابتداء والخبر وكلتا القراءتين حسنة لانك اذا قلت ضربت زيدا استقام ان تقول زيد مضروب وقوله بامره متعلق بمسخرات اى خلقهن جاريات
بمقتضى حكمته وتدبيره قال فى الكشاف سمى ذلك امرا على التشبيه كانهن مامورات بذلك ومنهم من حمل هذا الامر على الامر الذى هو الكلام وعلى هذا لا
بعد ان يكون بامره متعلقا بخلق بدا بالشمس لانه سلطان الكواكب وثنى بالقمر لانه كالنائب وثلث بسائر النجوم لانها كالخدم فالشمس سلطان النهار
والقمر سلطان الليل والشمس تاثيرها بالتسخين والقمر تاثيره فى الترطيب وتوليد بخاصية عجيبة وتاثير غريب لا يعلم بتمامه الا مبدعه وخالقه واعلم
ان الاجسام متماثلة فى الجسمية فاختصاص جرم الشمس بالنور القاهر والتسخين الشديد والتدبيرات العجيبة فى العالم العلوى والسفلى وكذا تخصيص
كل واحد من سائر السيارات والثوابت بقوة اخرى لا بد ان يستند الى فاعل حكيم قدير عليم فلهذا قال مسخرات بامره وايضا ان لكل واحد من
اجرام الشمس والقمر والكواكب سيرا خاصا من المشرق والمغرب وسيرا اخر سريعا بسبب حركة الفلك الاعظم فقوله يغشى الليل والنهار تنبيه على ان حدوث
الليل والنهار انما هو بحركة الفلك الاعظم المسمى بالعرش وجعل فى جرمه قوة قاهرة ناشرة باعتبارها قوى على تحريك ما دونه على خلاف طبعها من المشرق
الى المغرب وايضا ان اقسام الاجسام ثلثة متحرك الى الوسط وهما العنصران الثقيلان ومتحرك عن الوسط وهما الخفيفان ومتحرك على الوسط وهى الاجرام
الفلكية فكون الافلاك والكواكب متحركة بالاستدارة لا الى المركز ولا عن المركز لا يكون الا بتسخير الله تعالى ولا مر ما اكثر الله سبحانه فى كتابه الكريم
من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة باحوال السموات والارض وتعاقب الليل والنهار وكيفية تبدل الضياء بالظلام وبالعكس واحوال الشمس

اى استعلى

والنجوم

والقمر والنجوم وامر بالنظر في ملكوت السماء والغبراء بالتفكر فيها قائلا اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات وما بينهما الا بالحق وانه من صنف كتابا شريفا مشتملا على دقائق العلوم العقلية والنقلية فالمعتقدون في شرفه وفضيلته فريقان منهم من اعتقد كونه كذلك على الاجمال ومنهم من وقف على دقائقها على سبيل التفصيل والكمال ولا ريب ان اعتقاد الفريق الثاني يكون اكمل واقوى اذا ثبت هذا فنقول من اعتقد ان جملة هذا العالم محدث وكل محدث فله محدث حصل له بهذا الطريق اثبات الصانع اما الذي ضم الى هذه المرتبة البحث عن احوال العالم العلوي والعالم السفلي على التفصيل لمكن لا يزال ينتقل من برهان الى برهان ومن دليل الى دليل فان يقينه يتزايد وبصيرته تتكامل الى ان تصير عالما معقولا مضاهيا لما عليه الموجود ولمثل هذه الفوائد والاغراض والغايات انزل هذا الكتاب الكريم لا لتكثير وجوه الاعراب والاشتقاقات المؤدية الى الاطناب والاسهاب واما قوله عز من قائل الا له الخلق فالخلق عبارة عن التقدير يختص بكل ما هو جسم جسماني لانه مختص بمقدار معين فكل ما كان بريا عن الحجم والمقدار فهو من عالم الارواح وعالم الامر لانه اوجد بامر كن من غير سبق مادة ومدة فعالم الخلق في تسخيره وعالم الامر في تدبيره واستيلاء الروحانيات على الجسمانيات بتقديره وههنا مسائل ذكرها العلماء الاولى انه تعالى متكلم امرا مخبرا مستخبرا لان قوله الا له الخلق والامر دل على ان له الامر فوجب ان يكون له النهي وسائر انواع الكلام ضرورة انه لا قائل بالفرق الثانية لا خالق الا هو لان قوله الا له الخلق بتقديم الخبر يفيد الحصر لو سلم انه لا يفيده فلا اقل من افادة انه خالق بعض الاشياء وح يثبت المطلوب لان افتقار المخلوق الى الخالق لامكانه والامكان مفهوم واحد في الممكنات وانه علة للحاجة الى موجود معين فجميع الممكنات محتاجة الى ذلك المعين فالذي يكون مؤثرا في جميع الممكنات يحتاج الى ذلك المعين فالذي يكون مؤثرا في جميع الممكنات الثالثة قالت الاشاعرة كل اثر يصدر عن فلك وملك وجني وانسي فخالق ذلك الاثر في الحقيقة هو الله تعالى لقوله الا له الخلق والامر ويتفرع على هذا انه لا اله الا الله وانه لو كان الثاني مدبرا وخالقا وانه لا تاثير للكواكب في احوال هذا العالم وان القول بالطبايع والعقول والنفوس على ما يزعم الفلاسفة واصحاب الطلسمات باطل وان خالق اعمال العباد هو الله تعالى وان القول بان العلم يوجب العالمية والقدرة توجب القادرية كل باطل لان ذلك لئلا يلزم خالق ومؤثر غير الله تعالى الرابعة كلام الله تعالى قديم لانه ميز بين الخلق وبين الامر ولو كان كلام الله مخلوقا لما صح هذا التمييز اجاب الجبائي بانه لا يلزم من افراد الامر بالذكر عقيب الخلق ان لا يكون الامر داخلا في الخلق كقوله وملائكته ورسله وجبريل وميكال وعارض الكعبي بقوله بقوله فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته فانه لو وجب مغايرة المعطوف للمعطوف عليه لزم ان يكون الكلمات غير الله تعالى وكل ما كان غير الله تعالى فانه محدث ومخلوق وكلمات الله مخلوقة وقال القاضي اتفق المفسرون على انه ليس المراد بهذا الامر كلام الله تعالى بل المراد نفاذ ارادته واظهار قدرته وقال قوم لا يبعد ان يقال الامر داخل في الخلق ولكنه من حيث كونه امرا يدل على نوع آخر من الكمال والجلال والمعنى له الخلق والايجاد في المرتبة الاولى ثم بعد الايجاد والتكوين له الامر والتكليف في المرتبة الثانية وقال آخرون معنى قوله الا له الخلق انه ان شاء خلق وان شاء لم يخلق فقوله والامر يجب ان يكون معناه ان شاء امر وان شاء لم يامر ويلزم منه ان يكون الامر محدثا مخلوقا لانه لو كان قديما لم يكن ذلك الامر بحسب مشيته بل كان من لوازم ذاته فلا يصدق انه ان شاء امر وان شاء لم يامر وهذا خلف اجيب بانه لو كان الامر داخلا تحت الخلق لزم التكرار والاصل عدمه فلا يصار اليه الا للضرورة ولا ضرورة ههنا الخامسة في الاية دلالة على انه ليس لاحد ان يلزم غيره شيئا الا الله ففعل الطاعة لا يوجب الثواب وفعل المعصية لا يوجب العقاب وايصال الالم لا يوجب العوض السادسة دلت الاية على ان القبيح لا يجوز ان يقبح لوجه عايد اليه والا لم يامر الا بما حصل فيه وجه القبح فلا يكون متمكنا من الامر والنهي كيف شاء واراد هذا خلف السابعة اطلق الخلق والامر فيعلم انه لو اراد خلق الف عالم بما فيه من العرش والكرسي والكواكب في اقل من لحظة لقدر عليه لان هذه الماهيات ممكنة والحق قادر على كل الممكنات الثامنة قال قوم الخلق صفة من صفات الله تعالى وهو غير المخلوق لان اهل السنة يقولون معنى قوله الامر صفة له فكذا الخلق صفة قائمة بذاته فلا يكون مخلوقا واجيب بان الخلق لو كان غير المخلوق فاما ان يكون قديما ويلزم من قدمه قدم المخلوق واما ان يكون حادثا فيفتقر الى خلق آخر ويتسلسل ويمكن ان يقال الصفة قديمة والتعلق حادث التاسعة له الامر يقتضي ان لا امر الا لله وقول النبي صلى الله عليه وآله اذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم لا ينافي ذلك لان الموجب للامر في الحقيقة هو امر الله تعالى العاشرة في الاية دلالة على ان لله تعالى امرا ونهيا على عباده والخلاف مع نفاة التكليف قالوا ان كان التكليف معلوم الوقوع لكان واجب الوقوع والا فلا فائدة في الامر به وانهم الكافر والفاسق لا يستفيد بالتكليف الا الضرر المحض لانه تعالى يعلم انه لا يؤمن ولا يطيع وخلاف علم الله محال فلا يحصل من الامر الا مجرد استحقاق العذاب وهذا لا يليق بالرحيم الحليم وايضا التكليف ان لم يكن لفائدة فهو عبث وان كان لفائدة فلا بد ان يعود الى المكلف لانه سبحانه غني عن جميع الفوائد منحصرة في تحصيل نفع او دفع ضرر والله تعالى قادر على تحصيلها للمكلف من غير واسطة التكليف فكان توسيط التكليف اضرارا محضا والجواب ان اول الاية دل على انه تعالى هو الخالق لكل العبيد واذا كان خالقا لهم كان مالكا لهم وتصرف المالك في ملك نفسه كيف شاء مستحسن ويحسن منه تعالى ان يامر عباده بما شاء بمجرد كونه خالقا لا لما يقوله المعتزلة من كون ذلك الفعل صلاحا او من كونه موجب عوض او ثواب ولما بين انه الامر والناهي بالحكمة والتكليف ذكر انه يستحق الثناء والتقديس فقال تبارك الله رب العالمين وللبركة تفسيران احدهما الثبات والدوام

ولا ريب انه الواجب لذاته الدايم القايم بذاته الغني بذاته وصفاته وافعاله واحكامه عن كل ما سواه وثانيهما كثرة الآثار الفاضلة والاشياء ان كل الخيرات والكمالات فائضة من وجوده واحسانه بل جميع الممكنات رشحة من بحار فضله وامتنانه ثم لما بين كمال قدرته وحكمته وارشد الى التكاليف الموصلة الى سعادة الدارين اتبعه ذكر ما يستعان به على تحصيل المطالب الدينية والمآرب الدنيوية فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية قال في الكشاف نصب على الحال اي ذوي تضرع وخفية وكذلك خوفا وطمعا قلت ويحتمل الانتصاب على المصدر مثل رجع القهقرى والتضرع التذلل وهو اظهار ذل النفس والخفية بالضم او الكسر ضد العلانية نقل بعض العلماء الدعاء ههنا بمعنى العبادة لئلا يلزم التكرار وعطف الشيء على نفسه في قوله وادعوه خوفا وطمعا والاظهر انه على الاصل ومن انكر الدعاء لان المطلوب بالدعاء ان كان معلوم الوقوع او كان مرادا في الازل او كان على وفق الحكمة والمصلحة وقع لا محالة والا فلا فائدة فيه وايضا انه نوع من سوء الادب وعدم الرضا وقد يطلب ما ليس بنافع او فيه من الاشتغال بغير الله وعدم التوكل عليه ما لا يخفى والحق ان الدعاء نوع من انواع العبادة ورفضه يستدعي نقض كثير من الوسايط والروابط ولو لم يكن فيه الا معرفة ذلة العبودية وعزة الربوبية لكفى بذلك فائدة ولهذا روي عنه صلى الله عليه وآله ما من شيء اكرم على الله سبحانه من الدعاء الا انه لا بد فيه من الاخلاص والصون عن الرياء واليهما اشار بقوله تضرعا وخفية ونحن بحمد الله فصلنا في تحقيق الدعاء وشرايطه في سورة البقرة في تفسير قوله واذا سألك عبادي عني ثم ختم الاية بقوله انه لا يحب المعتدين اتفق على انه ليس المحبة عند اطلاقها على الله شهوة النفس وميل الطبع و لكنها عبارة عن ايصال الثواب او ارادة الايصال لكنا لا نعرف تلك المحبة ما هي وكيف هي الا ان عدم العلم بالشيء لا يوجب العلم بعدم ذلك الشيء نظيره ذلك ان اهل السنة يثبتون كونه مرئيا ثم يقولون ان تلك الرؤية لا كرؤية الاجسام والالوان ويعني المعتدين المجاوزين ما امروا به فيشمل كل من خالف امر الله ونهيه وقال الكلبي وابن جريج من الاعتداء رفع الصوت في الدعاء ويفيد انه امر بالدعاء مقرونا بالاخفاء وظاهره الوجوب اذ اثنى على زكريا فقال اذ نادى ربه نداء خفيا وعن النبي صلى الله عليه دعوة في السر تعدل سبعين دعوة في العلانية وعنه خير الذكر الخفي وخير الرزق ما يكفي وعنه صلى الله عليه وآله سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرا قوله انه لا يحب المعتدين ومن هنا اختلف ارباب الطريقة في ان الادعية في العبادات الاخفاء ام الاظهار فقيل الاولى الاخفاء صونا لها عن الرياء وقيل الاولى الاظهار ليرغب غيره في الاقتداء وتوسط الشيخ محمد بن علي الحكيم الترمذي فقال ان كان خائفا على نفسه من الرياء فالاولى في حقه الاخفاء وان بلغ في الصفاء وقوة اليقين الى حيث صار امنا من شائبة الرياء فالاولى في حقه الاظهار ليحصل فائدة الاقتداء قال الشافعي اظهار التامين افضل وقال ابو حنيفة الاخفاء افضل لانه ان كان دعاء وجب اخفاؤه لقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وان كان اسما من اسماء الله تعالى على ما قيل فكذلك لقوله تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخفية فان لم يثبت الوجوب فلا اقل من الندبية ثم نهى عن مجامع المفاسد والمضار بقوله ولا تفسدوا في الارض فيدخل فيه خمسة اشياء المنع من افساد النفوس بالقتل ومن افساد الاموال بقطع الطريق والسرقة وافساد الانساب بالزنا واللواط والقذف وافساد العقول بشرب المسكر وافساد الاديان بالكفر والبدعة وذلك ان قوله لا تفسدوا منع عن ادخال ماهية الفساد في الوجود والمنع عن الماهية يقتضي المنع من جميع انواعه ومعنى بعد اصلاحها بعد ان اصلح خلق الارض على الوجه المطابق لمنافع الخلق الموافق لمصالح المكلفين او المراد اصلاح الارض بسبب ارسال الانبياء وانزال الكتب وتفصيل الشرايع فان الاقدام على تكذيب الرسل وانكار الكتب والتمرد عن قبول الشرايع يقتضي وقوع الهرج والمرج وحدوث الفتن في الارض وفي الاية دلالة على ان الاصل في المضار الحرمة فان وجدنا نصا خاصا على جواز الاقدام على بعض المضار قضينا به تقديما للخاص على العام وفيها ايضا دلالة على ان كل عقد وقع التراضي به بين الخصمين فانه منعقد صحيح لان رفعه بعد ثبوته يكون افسادا بعد الاصلاح فان وجدنا نصا يدل على عدم صحة بعض تلك العقود قضينا فيه بالبطلان عملا بالاخص فجميع احكام الله تعالى داخلة تحت عموم هذه الاية الدالة على ان الاصل في المضار والالام الحرمة كما كانت داخلة تحت عموم قوله قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق بانها كانت تدل على ان الاصل في المنافع واللذات الاباحة والحاصل فكل واحدة من الايتين مطابقة ومؤكدة للاخرى ثم لما بين ان الدعاء لا بد ان يكون مقرونا بالتضرع والاخفاء وبعدم المنافي وهو الافساد بالوجوه الخمسة ذكر ان فائدة الدعاء والباعث عليه احد الامرين الخوف من العقاب والطمع في الثواب واعترض عليه بان اهل السنة يقولون التكاليف انما وردت بمقتضى الالهية والعبودية اي كونه الها لنا وكوننا عبيدا له اقتضى ان يحسن منه ان يامر عبيده بما شاء كيف شاء ولا يعتبر فيه كونه في نفسه صلاحا وحسنا والمعتزلة يقولون انها وردت لانها في نفسها مصالح فعلى القولين من اتى بها للخوف من العقاب والطمع في الثواب لم يات بها لوجه وجوبها فوجب ان لا يصح واجيب بان المراد من الاية ادعوه مع الخوف من وقوع التقصير في بعض الشرايط المعتبرة في قبول ذلك الدعاء ومع الطمع في حصول تلك الشرايط باسرها اي كونوا جامعين في نفوسكم بين الحزن والرجاء في جميع اعمالكم ولا تقطعوا اعمالكم وان اجتهدتم انكم اديتم حق ربكم كقوله والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة والجواب الصحيح عندي ان غاية التكليف من الامر غير غايته من المامور فهب ان الغاية الاولى هي المصلحة او الالهية والعبودية فلم لا يجوز ان يكون الغاية الثانية الخلاص من العذاب والوصول الى الثواب ثم ختم الاية بقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين ظاهره ان يقال قريبة فذكروا في حذف علامة التانيث

وجوهاً فقيل لان تانيث الرحمة غير حقيقي وقال الزجاج لان الرحمة والغفران والعفو والانعام بمعنى واحد او لان المراد بالرحمة الترحم والرحم وقيل
انه صفة موصوف محذوف اى شئ قريب وشبهه بفعيل الذى بمعنى مفعول كما شبه ذاك به فقيل قتلاء واسراء وقيل لانه بزنة المصدر كالنقيض
صوت العقبان او الزجاجة والضغيب صوت الارنب وقيل المراد ذات مكان قريب كلابن وتامر وروى الواحدى باسناده عن ابن السكيت يقول
العرب هو قريب مني وهما قريب مني وهي قريب مني ثم في تاويل هو في مكان قريب منى قال بعض المفسرين معنى هذا القرب ان الانسان يزداد بعد اعن الدنيا
وقربا من المستقبل اى الاخرة التي هي مقام رحمة الله ويمكن ان يقال المراد به قرب الحصول سواء كان في الدنيا او الاخرة كقوله الا ان نصر الله قريب
قالت المعتزلة ان ماهية الرحمة لما كانت حصة المحسنين وجب ان لا يحصل للكافر والفاسق منها شئ والغرض ان صاحب الكبيرة لا يكون له نصيب
العفو واجيب بان المحسن من صدر عنه الاحسان ولو من بعض الوجوه فكل من امن بالله تعالى واقر بالتوحيد والنبوة فقد احسن والدليل عليه الاجماع
على ان الصبي اذا بلغ وقت الضحوة وامن بالله ورسوله واليوم الاخر ومات قبل الوصول الى الظهر فانه يسمى مومنا محسنا على ان قوله ماهية
الرحمة نصيب المحسنين ممنوع لان الكافر ايضا في رحمة الله ونعمه في الدنيا بدليل قوله ومن كفر فامتعه ثم انه سبحانه لما ذكر دلائل الالهية
وكمال العلم والقدرة من العالم العلوي اتبعه ذكر الدلائل من احوال هذا العالم وهي الاثار العلوية المعادن والنبات والحيوان ومن جملتها
احوال الرياح والسحب والامطار لما في تمام الدلائل التي لاجلها الاول على وجود الاله القادر العليم الحكيم الرحيم افاد الدلالة في هذه الاية على
صحة القول بالحشر والنشر فالايتين تقرير المبدا والمعاد فقال وهو الذى يرسل الرياح الريح هواء متحرك وتحركه ليس لذاته ولا للوازم
ذاته والا لدام بدوام الذات فهو بتحريك الفاعل المختار قالت الحكماء من اسباب الريح تقع من الارض اجزاء ارضية تسخنت تسخينا شديدا
فبسبب تلك السخونة ترتفع وتتصاعد فاذا وصلت الى قريب من الفلك فان الهواء الملاصق لمقعر الفلك تمنع هذه الادخنة من الصعود
بل يردها عن سمت حركتها لتحرك تلك الطبقة على الاستدارة تبعا للفلك فحينئذ ترجع الادخنة وتتفرق في الجوانب وبسبب تفرقها تحصل الرياح
وكلما كانت تلك الادخنة اكثر كان صعودها اقوى كان رجوعها ايضا اشد فكانت الرياح وزيف بان صعود تلك الاجزاء الارضية اما
يكون لاجل شدة تسخينها بالعرض فاذا تصاعدت ووصلت الى الطبقة الباردة بردت فامتنع صعودها الى الطبقة العليا المتحركة بحركة الفلك
سلمنا انها تصعد الى الطبقة المتحركة بالاستدارة لكن رجوعها يجب ان يكون على الاستقامة كما هو مقتضى طبيعة الارض لكنها تتحرك يمنة ويسرة
وايضا ان حركة تلك الاجزاء لا يكون قاهرة فان الرياح اذا اصعدت الغبار الكثير ثم عاد ذلك الغبار ونزل على السطوح لم يحس احد بنزولها
ونحن نرى هذه الرياح تقلع الاشجار وتهدم الجبال وتموج البحار وايضا لو كان الامر على ما قالوا لكانت الرياح كلما كانت اشد وجب ان يكون
حصول الاجزاء الغبارية الارضية اكثر وليس كذلك لانه قد توجد الرياح العاصفة في وجه البحر وليس فيها شئ من الغبار ويمكن ان يجاب بان الحكم
بامتناع الصعود استبعاد محض وحديث الرجوع على الاستقامة مبني على ان الريح هي تلك الاجزاء الراجعة فقط وليس كذلك فان الراجع اذا خرق الهواء
تحرك واضطرب تموج شبيه ما يحدث في الماء اذا القي فيه حجر وكذا الكلام في الوجهين الباقيين وقال المنجمون قد يحدث بسبب وصول كوكب
معين الى موضع معين من البروج ريح عاصفة وزيف بانه لو كان كذلك لزم تحرك كل الهواء والجواب ان وصول الكوكب الى الموضع الفلاني
انما يوجب تحرك الهواء بتسخين او تلطيف او تكثيف يحدث في بعض المواد المستعدة لذلك فيطلب ذلك القابل مكانا اكثر او اقل مما كان عليه
فيلزم من ذلك تحرك المجاور له لاستحالة التداخل والخلاء لا يتدافع الى ان يتحرك جميع كرة الهواء بل يتموج بعض اجزاء الهواء ثم يستقر كل في
موضعه ويختلف مقدار ذلك بحسب المؤثر والمتاثر والكل يستند الى تدبير الله سبحانه وتقديره وانما قرئ في هذه السورة يرسل الرياح بلفظ
المستقبل وكذا في الروم لان ما قبله ههنا ذكر الخوف والطمع وانهما يناسبان المستقبل واما في الروم فليناسب ما قبله وهو ومن اياته ان يرسل وقال
في الفرقان ارسل الرياح بلفظ الماضي ليناسب ما قبله كيف مد الظل وما بعده وهو الذى جعل وكذا في فاطر مبني على اول السورة فاطر
السموات والارض جاعل الملائكة وهما بمعنى الماضي والله تعالى اعلم اما قوله نشرا بنون مفتوحة وشين ساكنة فانه مصدر نشر وانتصابه اما على الحال
بمعنى منتشرات واما لان ارسل ونشر متقاربان كانه قيل نشرها نشرا ومن قرا نشرا بضمتين فلانه جمع نشور كرسول ورسل وقد تخفف كرسل
ومن قرا بشرا بضم الباء الواحدة وسكون الشين فلانه مخفف بشر جمع بشير ومعنى بين يدى رحمته امام نعمته وهي الغيث الذى هو من اجل النعم
واحسنها وهذا بحسب الاغلب فان المطر قلما لا ينقدمه رياح يسلطها الله تعالى على السحاب والعرب يستعمل اليدين بدل قدام وامام مجازا
لان اليدين من الحيوان متقدمان على الرجلين حتى اذا اقلت حملت وزنه واشتقاقه من القلة لان الرافع الذى يقدر على حمل الثقيل
يزعم ان ما يرفعه قليل سحابا جمع سحابة وهذا قال ثقالا على الجمع جمع ثقيلة والضمير في سقناه يعود الى السحاب على لفظه وضمير المتكلم في سقناه
على اصله اما الذى في قوله وهو الذى فعلى طريقة الالتفات والافالظاهر ان يقول نحن ارسلنا واعلم ان السحاب المستمطر للمياه العظيمة انما يبقى
معلقا في الهواء لانه تعالى دبر بحكمته ان يحرك الرياح تحريكا شديدا ولتلك الحركات فوائد منها ان اجزاء السحاب ينضم بعضها الى البعض ويتراكم
وينعقد السحاب الكثيف الماطر ثم يصير متفرقا ومنها ان تحرك الرياح يمنة ويسرة فيمنع الاجزاء المائية المرشة عن النزول فيبقى معلقا
في الهواء ومنها ان يسوق السحاب الى موضع علم الله احتياجهم الى نزول الامطار ومن الرياح مقوية للزروع والاشجار ومكملة لما فيها

من النشو

من النشو والنماء وهي اللواقح ومنها مبطلة لها كما في الخريف ومنها طيبة لذيذة موافقة للابدان ومنها مهلكة للحر الشديد كالسموم او البرد
الشديد مشرقية ومغربية وشمالية وجنوبية وبالحقيقة تهب الرياح من كل جانب ولكنها ضبطت كذلك وقد يصعد الريح من قعر الارض
فقد شاهد غليان شديد في البحر بسبب تولد الرياح في قعره ثم لا يزال يتزايد ذلك الغليان الى ان ينفصل الريح الى ما فوق البحر وعن ابن
عمر الرياح ثمان اربع منها عذاب وهو العاصف والقاصف والصرصر والعقيم واربع منها رحمة الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات
وعن النبي صلى الله عليه وآله نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور والجنوب وعن كعب لو حبس الله الريح عن عباده ثلثة ايام لانتن اكثر الارض وعن
السدي انه تعالى يرسل الرياح فتاتي بالسحاب ثم انه تعالى يبسطه في السماء فيرسل الماء على السحاب ثم يمطر السحاب بعد ذلك برحمته وهي المطر ومعنى
لبلد ميت اى لاجل بلد ميت ليس فيه نبات ولا زرع والبلد كل موضع من الارض عامر او غير عامر خال او مسكون فانزلنا به الماء قال الزجاج
وابن الانباري اى بالبلد وجائز ان يراد بالسحاب او بالسوق فالباء للسببية فاخرجنا به قال الزجاج اى بالبلد من كل الثمرات ويجوز ان يراد
بالماء قال جمهور الحكماء انه تعالى اودع في الماء قوة وطبيعة توجب حدوث الاحوال المخصوصة عند امتزاج الماء بالتراب وقال اكثر المتكلمين ان الثمار ليست
متولدة من الماء وانما اجرى الله تعالى عادته بخلق النبات ابتداء عقيب اختلاط الماء والتراب كذلك نخرج الموتى في ذلك الاخراج وهو اخراج الثمرات نخرج
الموتى فالتشبيه انما وقع في اصل الاحياء اى كما احيينا هذا البلد بانبات الشجر وجعل فيه الثمر كذلك نحيي الموتى بعد ان كانوا ترابا لان من يقدر
على احداث الجسم وخلق الرطوبة والطعم فيه كان قادرا على احداث الحيوة في بدن الميت قال كثير من المفسرين المراد انه تعالى كما يخلق النبات بواسطة
انزال المطر على الاجساد الرميمة يروى انه يمطر على اجساد الموتى فيما بين النفختين مطر كالمني اربعين يوما فينبتون عند ذلك احياء وعن مجاهد
يمطر السماء عليهم حتى ينشق عنهم الارض كما ينشق الشجر عن النور والثمر ثم يرسل الارواح فيعود كل روح الى جسدها قال العلماء ان هؤلاء المفسرين ذهبوا
الى هذا بناء على النقل وعلى اجراء العادة والا فانه تعالى قادر على خلق الحيوة في الجسم ابتداء من غير واسطة المطر كما انه يجمع بقدرته الاجزاء
المتفرقة والممزقة غاية التفرق والتمزق ولهذا ختم الاية بقوله لعلكم تذكرون والمعنى انكم لما شاهدتم ان الارض كانت مزينة وقت الربيع و
الصيف والخريف بالازهار والثمار والاشجار ثم صارت وقت الشتاء ميتة عارية عن تلك الزينة ثم احياها مرة اخرى فالقادر على احيائها
قادر على احياء الاجساد بعد موتها ثم ضرب الله سبحانه مثلا للمؤمن والكافر وشبه القرآن بالمطر وذلك ان الارض الحرة اذا انزل بها المطر حصل فيها
انواع الازهار والثمار والارض السبخة بعد نزول المطر لا يخرج منها الا النزر القليل من النبات فكذلك النفس الطاهرة النقية من الاخلاق
الذميمة اذا اتصل بها انوار القرآن ظهرت عليه انواع المعارف والاخلاق الفاضلة والنفس الخبيثة لا ترجع من ذلك الا بخفي حنين وقيل ليس
المراد من الاية تمثيل المؤمن والكافر وانما المراد ان الارض السبخة يقل نفعها وثمرتها ومع ذلك فان صاحبها لا يهمل امرها بل يتعب نفسه
في اصلاحها طمعا منه في تحصيل ما يليق بها من المنفعة فمن يطلب هذا النفع اليسير فلان يطلب النفع العظيم الموعود به في الدار الاخرة
بالمشقة التي لا بد منها ومن تحملها اداء الطاعات كان اولى وفي الاية دلالة على ان السعيد لا ينقلب شقيا وبالعكس لا نهاد لنا على ان الارواح
قسمان منها ما يكون في اصل جوهرها طاهرة نقية مستعدة لان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به ومنها ما يكون بالضد لا يقبل المعارف الحقيقية
والاخلاق الفاضلة كالارض السبخة التي لا يتولد فيها الاشجار والانهار والثمار ومما يقوي هذا الكلام ان النفوس منها مختلفة في سبيل الله
منها قاسية قلوبهم كالحجارة او اشد قسوة ومنها ما لذته الشهوة دون الغضب ومنها على العكس ومنها راغبة في المال دون الجاه ومنها بالخلاف
ومن الراغبين في المال من يرغب في العقار دون الاثمان والنقود ومنهم من هو بالعكس ومما يؤكد هذه المعاني قوله سبحانه باذن ربه اى بتيسيره
وهو في موضع الحال كانه قيل يخرج نباته حسنا كاملا والوقوع في طباق نكدا والنكد الذى لا خير فيه وتقدير الاية ونبات البلد الخبيث لا يخرج
نباته الا نكدا فحذف المضاف الذى هو النبات واقيم المضاف اليه وهو الضمير الراجع الى البلد مقامه فانقلب مرفوعا مستكنا بعد ان كان
مجرورا بارزا ومن قرا نكدا بفتح الكاف فعلى المصدر اى ذا نكد مثل ذلك التصريف نردد الايات ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله لان
فائدة التصريف تعود عليهم وانما ختم الاية بالحث على الشكر لان الذى سبق ذكره هو ان الله تعالى يرسل الرياح النافعة فيجعلها سببا للمطر
الذى هو سبب الملاذ والطيبات فهذا يدل من احد الوجهين على وجود الصانع وقد مر ذكره ومن الوجه الثاني على عظيم نعمه وقد تقرر وجوب
من هذا الوجه مقابلتها بالشكر والله اعلم التاويل عرف ذاته للخلق بصفات الهوية والالوهية والقادرية والخالقية والمدبرية والحكيمية
والاستوائية فقال ان ربكم الله الاية وانما خص ستة ايام لان انواع المخلوقات الارواح الانسانية ثم المكونات منها الملائكة والجن و
الشياطين والملكوت والسموات والارض ومنها العقول المفردة والمركبة ثم النفوس السماوية والارضية ثم الاجرام البسيطة العلوية كالعرش
والكرسي والسموات والجنة والنار ثم الاجسام البسيطة السفلية وهي العناصر والاجسام الكثيفة المركبة من العناصر فلما خلق الانواع الستة
استوى على العرش بعد الفراغ من خلقها استواء التصرف في العالم وما فيه وخص العرش بالاستواء لانه مبدا الاجسام اللطيفة قابلة للفيض الرحماني
والاستواء لا يشبه استواء المخلوقين كما ان علمه لا يشبه علم المخلوقين ومن اسرار الخلافة الروح يتصرف في النطفة ايام الحمل فيجعلها عالما صغيرا قالبه
كالارض وراسه كالسماء والقلب كالعرش والسر كالكرسي والقلب يقسم فيض الروح الى القالب كما ان العرش يقسم فيض الاله الى سائر المخلوقات

يا تبيح نعوتب على ذلك قال الله اعتبني اذ خلقته ام عنب الكلب هذه الوجوه متكلفة فان الاعلام لا تفيد صفة في المسمى والصحيح انه اسم اعجمي
قال ابن عباس معنى ارسلنا بعثنا وقال اخرون معناه انه تعالى حمله رسالة يؤديها فالرسالة على هذا التقدير يكون متضمنة للبعث فيكون البعث كالتابع
لانه اصل في التفسير الكبير هذا البحث مبني على مسئلة اصولية هي ان الرسول ارسل الى قوم ليعرفهم احكاما لا سبيل لهم الى معرفتها بعقولهم او الغرض
من بعثته مجرد تاكيد ما في العقول وهذا الاختلاف بتفاريع المعتزلة التي امرهم نوح بعبادة الله ثم حكم بانه لا اله الا الله ثم حذرهم عذاب يوم عظيم
هو القيامة او الطوفان ولم يذكر دليلا على هذه الدعاوى الثلث لان قول النبي بعد ظهور المعجزة حجة او لعله قد ذكر الحجج وما حكاها الله تعالى لانه قد علم
من القران ذم التقليد في مواضع كثيرة فيعلم ان نبي الله لا يامر قومه بالتقليد المحض وايضا تقدم دلائل التوحيد والنبوة وصحة القران من اول سورة
البقرة الى ههنا غير مرة فوقع التعويل على ذلك هذا مع ان الحكم الثاني كالعلة للاول لانه اذا لم يكن لهم اله غيره كان كل ما حصل عندهم من وجوه النفع
والاحسان والبر واللطف حاصلا منه ونهاية الانعام يوجب غاية التعظيم ومن هنا قال بعض العلماء لا يحسن منا عبادة الله تعالى قبل العلم بانه واحد
لانا اذا جوزنا التعدد لم يتعين المنعم فيقع العبادة ضائعا والاله معناه المستحق للعبادة والاول في الاول غير معبود ومعنى الخوف في الاية قال بعضهم
الجزم واليقين فانه كان جازما بنزول العذاب بهم عاجلا او اجلا وقال اخرون الشك لانه كان يجوز ايمانهم ومع هذا التجويز كيف يجزم بالعذاب ولعل
السمع لم يرد بعد فلهذا كان متوقفا او لعله وصف العذاب على جواز ثم انه تردد في وصف العذاب لا في نفس العذاب وقيل المراد من الخوف
التحذير وجملة قوله اني اخاف بيان للداعي ان عبادته لانه هو المحذور وعقابه دون الاصنام فقال الملأ من قومه اي الاشراف وصدور المجالس
الذين بهم يعض قومه في جواب نوح انا لنراك في ضلال في ذهاب عن طريق الحق والصواب مبين بين والروية رؤية القلب بمعنى الاعتقاد
والظن دون المشاهدة والمراد بهم نسبوه الى الضلال فيما ادعاه من التكليف والتوحيد والنبوة والمعاد قال يا قوم ليس بي ضلالة لم يقل ضلال
ليكون ابلغ لعموم السلب كانه قال ليس بي نوع من انواع الضلال ثم لما نفى عن نفسه العيب الذي نسب اليه وصف نفسه باشرف الصفات واجلها
فاستدرك قائلا ولكني رسول من رب العالمين وهذا الاستدراك يسمى في علم البيان تاكيد المدح بما يشبه الذم وفي ذلك بيان فرط جهلهم
وعتوهم حيث وصفوا من هو بهذه المنزلة من الهدى بالضلال الظاهر الذي لا ضلال بعده وفيه ان مدح الانسان نفسه اذا كان في موضع
جائز ثم ذكر ما هو المقصود من البعثة وهو امران الاول تبليغ الرسالة والثاني تقرير النصيحة فقال ابلغكم الاية الجملة الاستيناف بيانا لكونه
رسولا من رب العالمين او صفة لرسول ولما جاز ان يكون صفة ولفظ الرسول غائب نظر الى المعنى كقوله انا الذي سمتني امي حيدره رسالات
ربي ما اوحي الي في الاوقات المتطاولة او ما اوحي الي في المعاني المختلفة من الاوامر والنواهي وشرح مقاديره وان كان جائزا او لكن يقول نصحت
لك قال في الكشاف وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على امحاض النصيحة وحقيقة النصح الارشاد الى المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه ومعنى
الاية وابلغكم تكاليف الله ثم ارشدكم الى الاصلح الاصوب ادعوكم الى ما دعاني الله تعالى واحب لكم ما احب لنفسي واعلم من الله ما لا تعلمون اي اعلم انكم
ان عصيتم امره عاقبكم بالطوفان وذلك انهم لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم او اعلم ان الله يعاقبكم في الاخرة عقابا او اعلم من توحيد الله من
صفات جلاله ما لا تعلمون يكون المقصود حمل القوم على ان يرجعوا اليه في طلب تلك العلوم اوعجبتم الهمزة للانكار والمعطوف محذوف والتقدير اكذبتم
وعجبتم من ان جاءكم ذكر من ربكم قال الحسن يعني الوحي الذي جاءهم به وقال اخرون الذكر المعجز كتابا او غير كتاب قيل هو الموعظة على رجل اي على لسان
قاله ابن قتيبة ونظيره اتنا ما وعدتنا على رسلك وقال الفراء على بمعنى مع تقول جاءنا الخير على وجهك كلاهما جائز وقيل على منزل على رجل ومعنى
منكم من بني نوعكم كانهم استبعدوا ان يكون لله رسول الى خلقه لاعتقادهم ان المقصود من الارسال التكليف وان التكليف لا منفعة للمعبود لتعاليه
ولا للعابد لتضرره في الحال واما في المال فالله تعالى قادر على تحصيله بدون واسطة التكليف وايضا ان العقل كاف في معرفة الحسن والقبيح والاتم
حسنه ولا تبحه فان كان المكلف مضطرا اليه ترك حذرا عن الخطر ويعتقد بانه لا بد من الرسول فان ارسال الملائكة اولى لشدة بطشهم وقوة
عصمتهم وطهارتهم واستغنائهم عن الاكل والشرب والنكاح ويعتقد بجواز كون النبي من البشر فلعلهم اعتقدوا ان من كان فقيرا خاملا لا يصلح
للنبوة فانكر نوح عم كل هذه الاشياء لانه تعالى خالق الخلق فله بحكم الالهية ان يامر عباده ببعض الاشياء وينهاهم عن بعضها ولا يجوزان يخاطبهم
تبلك التكاليف من غير واسطة لان ذلك ينتهي الى حد الالجاء المنافي للتكليف ولا يجوز ان يكون ذلك الرسول ملكا لان الجنس الى الجنس
اسكن وقد مر في اول الانعام ثم بين ما لاجله يبعث الرسول فقال لينذركم الاية وانه ترتيب انيق لان المقصود من البعثة الانذار والتقوى و
من التقوى الفوز برحمة الله قال الجبائي والكعبي في الاية دلالة على انه تعالى اراد من المبعوث اليهم الا التقوى ومن التقوى الجنة دون الكفر والعذاب
وعورض بالعلم والداعي كما مر مرارا فكذبوه في ادعاء النبوة وتبليغ التكاليف اصروا قال بعض العلماء ما في حق العقلاء من التكذيب فبغير
الباء نحو كذبوا رسلي وكذبوه وما في حق غيرهم فبالباء نحو كذبوا باياتنا والتحقيق ان المراد كذبوا رسلنا برد اياتنا فانجيناه والذين استقروا
معه في الفلك وانجيناهم في السفينة من الطوفان قيل كانوا اربعين رجلا وامرأة وقيل كانوا اتسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن امن وانما
قال في سورة يونس فنجيناه ومن معه في الفلك لان التشديد للتكثير ولفظة من ادل على العموم ولهذا يقع على الواحد والتثنية والجمع والمذكر
والمؤنث بخلاف الذين انهم كانوا قوما عمين قال ابن عباس عميت قلوبهم عن معرفة التوحيد والنبوة والمعاد وقال اهل اللغة يقال الرجل عمي في

بالعظمة
الضرورة
ذكر
ومع وجههم
ومن الانذار

يغشي اي استولى ليل ظلمات النفس وصفاتها على نهار انوار القلب بالعكس الا له الخلق بواسطة والامر بلا واسطة ادعوا ربكم تضرعا بالجوارح وخفية
بالقلوب او تضرعا بالاداء حق العبودية وخفية بمطالب حق الربوبية انه لا يحب المعتدين الذين يطلبون منه سواه ولا تفسدوا في ارض القلوب بعد
ان اصلحها الله برفع الوسائط وادعوه خوفا من الانقطاع وطمعا في الاصطناع او خوفا من الاثنينية وطمعا في الوحدة او خوفا من الانفصال وطمعا
في الوصال من المحسنين الذين لا يرون سواه برسل رياح العناية فيبشر سحاب الهداية سحابا ثقالا بامطار المحبة سقناه لكل قلب ميت
فانزلنا به ماء المحبة فاخرجنا ثمرات المكاشفات والمشاهدات كذلك نخرج موتى القلوب من قبور الصدور لعلكم تذكرون ايام حيوتكم في عالم
الارواح اذ كنتم في رياض القدس وحياض الانس والبلد الطيب القلب الحي يتخلق باخلاق الحميدة كذلك نصرف الايات الى النفوس صفاتها الى اوصاف القلب واخلاقه

ع لقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم
تحقیق فرستادیم نوح را بسوی قومش پس گفت ای قوم بپرستید خدا را نیست شما را خدائی بجز او بدرستی که من میترسم بر شما عذاب روز بزرگ را
قال الملأ من قومه انا لنراك في ضلال مبين قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم
گفتند بزرگان از قوم او که ما هر آینه میبینیم ترا در گمراهی هویدا گفت ای قوم نیست در من گمراهی ولیکن من پیغمبری از پروردگار جهانیانم میرسانم بشما
رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم
[illegible]
لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون فكذبوه فانجيناه والذين معه في الفلك واغرقنا الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا
[illegible]
قوما عمين والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون قال الملأ الذين كفروا من
[illegible]
قومه انا لنراك في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب
[illegible]
العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم
[illegible]
واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون قالوا
[illegible]
اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال قد وقع عليكم
[illegible]
من ربكم رجس وغضب اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا اني معكم
[illegible]
من المنتظرين فانجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا وما كانوا مؤمنين
از منتظرانم پس رهانیدیم او را و آنان را که با او بودند بمهربانی از خود و بریدیم اصل آنان را که تکذیب کردند آیات ما را و نبودند مؤمنان

القراءة اله غيره بالجر على الوصف حيث كان يزيد وعلى الباقون بالرفع حملا على محل من اله اني اخاف بفتح الياء ابو عمرو وابو جعفر ونافع وابن كثير ابلغكم
بالتخفيف حيث كان ابو عمرو والباقون بالتشديد عباس بالاختلاس بسطة بالصاد ابو جعفر ونافع وابن كثير غير ابن مجاهد وابي عون عن قنبل
وعاصم وعلي وسهل وشجاع وابن الاخرم عن ابن ذكوان الحلواني عن قالون مخير الوقوف غيره ط عظيم مبين العالمين لا يعلمون ترحمون باياتنا
عمين هودا غيره ط تتقون الكاذبين العالمين امين لينذركم ط لتناهي الاستفهام بسطة تنبيها على الانعام العام بعد ذكر انعام خاص مع اتفاق
الجملتين تفلحون اباؤنا للعدول مع فاء التعقيب الصادقين وغضب سلطان لانتهاء الاستفهام الى امر التهديد المنتظرين مؤمنين التفسير
لما ذكر في تقرير المبدأ والمعاد دلائل قاهرة وبينات باهرة شرع في قصص الانبياء وفي ذلك فوائد منها التنبيه على ان اعراض الناس عن قبول
الدلائل عادة معتادة فيكون فيه تسلية لرسول الله صلعم ومنها بيان سوء عاقبة المستكبرين وحسن عقبى المطيعين وفي ذلك تقوية قلوب
المحقين وكسر قلوب المبطلين ومنها التنبيه على ان الله سبحانه لا يهمل المبطلين وان كان يمهلهم ومنها العظة والاعتبار لقد كان في قصصهم
عبرة لاولي الالباب ومنها الدلالة على نبوة محمد صلعم من حيث انه اخبار بالغيب لانه لم يقرأ الكتب فيكون قد عرف ذلك بالوحي لا محالة من
القصص او لا قصة ادم قد مرت في اول السورة الثانية قصة نوح وهو نوح بن ملك بن متوشلخ بن اخنوخ واخنوخ اسم ادريس قيل كان
اسمه يشكر فسمي نوحا لكثرة ما ناح على نفسه حين دعا على قومه فاهلكوا او لندمه حين راجع ربه في شان ابنه او حين مر بكلب مجذوم فقال له اخسأ

البصيرة واعمى في البصر العمي يدل على عمي ثابت على عمي حادث القصة الثالثة قصة هود وذلك قوله سبحانه والى عاد اخاهم هودا والتقدير لقد ارسلنا نوحا الى قومه ولقد ارسلنا الى عاد اخاهم هودا وما كان اخاهم في الدين ثم قال الزجاج معناه انه كان من ادم ومن جنسهم لا من جنس الملئكة والجن وقيل اراد واحدا منهم قاله الكلبي وهو من قولك يا اخا العرب لواحد منهم وخص تعالى واحدا منهم بالارسال اليهم ليكونوا اعرف بحاله في صدقه وامانته وقيل معناه صاحبهم ونسبه هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح وهودا عطف بيان لاخاهم واما عاد فانهم كانوا باليمن بالاحقاف قال ابن اسحق والاحقاف الرمل الذي بين عمان الى حضرموت واعلم ان الفاظ هذه القصة بعضها يوافق الالفاظ المذكورة في قصة نوح وبعضها يخالفها فلنبين اسرارها اما الجواب عن مشابهاتهم لفظة واحدة واما نوح فما كان حده الى هذا الحد فلا جرم جاء بالتعقيب في قصة نوح دون قصة هود ووقعة هود كانت مسبوقة بواقعة نوح فوقع الاقتصار على ذلك اي لعلكم تحذرون مثل ذلك العذاب العظيم الذي اشتهر خبره في الدنيا ومنها قال الملاء من قومه ويمكن ان يقال لما اضمر ارسلنا اضمر الفاء لان الداعي الى الالفاظ لفظ ارسلنا وفي الكشاف ان هذا وارد على سبيل الاستيناف قصة هود قال الملاء الذين كفروا من قومه اما ان هذا وصف لدرء التوهم لا غير واما انه لم تكن في اشراف قوم نوح من يؤمن وكان في اشراف قوم هود من امن بهم منهم مرثد بن سعد الذي كان يكتم اسلامه فاريد التفرقة بالوصف ومنها ان قوم نوح قالوا انا لنراك في ضلال مبين وقوم هود قالوا انا لنراك في سفاهة اي تمكنا منها تمكن المظروف من الظرف وذلك ان نوحا كان يخوفهم بالطوفان العام وكان يشتغل باعداد السفينة مدة طويلة فوصفوه بضعف الراي والبعد عن السداد واما هود فما ذكر شيئا الا ان معتقدهم في عبادة الاصنام وطعن فيها فقابلوه بمثله ونسبوه الى السفاهة وخفة العقل حيث فارق دين قومه ثم قالوا وانا لنظنك من الكاذبين في ادعاء الرسالة قيل الظن بمعنى الجزم واليقين كقوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم قال الحسن والزجاج كانوا شاكين فيعلم منه ان الشك في نحو ذلك في اصول الدين يوجب الكفر ومنها قول نوح وانصح لكم وقول هود وانا لكم ناصح وذلك لانه كان من عادة نوح العود الى تجديد تلك الدعوة في كل يوم وفي كل ساعة وصيغة الفعل دلت على التجدد المستمر ولهذا قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا الى اخر الايات واما هود فكان ثابتا على النصح غير مجدد اياه لحظة فلحظة كما كان يفعل نوح ثم ان نوحا قال اعلم من الله ما لا تعلمون لانه كان يعلم من اسرار الله تعالى ما لم يصل اليه هود فلا جرم امسك هود لسانه واقتصر على وصف نفسه بكونه امينا تقريرا اي عرفت فيما بينكم بالنصح والامانة فليس من حقي ان اتي بالكذب والغش والمراد تقرير الرسالة فانها تدور على الامانة اي انا لكم ناصح فيما ادعوكم اليه امين على ما اقول لكم لا اكذب فيه وفي هذين الجوابين عن مثل ذينك التشخيصين مع جلالة قدرهما دليل على ان الحكيم يجب ان لا يقابل السفهاء الا بالكلام المبني على الحلم والاغضاء ومنها ان هودا اقتصر على قوله لينذركم لما مر في قصة نوح ان فائدة الانذار هي حصول التقوى الموجبة للرحمة فلم يكن حاجة الى الاعادة ولكنه ضم الى ذلك امرا يختص بهم فقال واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اي خلفهم في الارض وجعلكم ملوكا فقد استخلفكم فيها بعدهم واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم واملاكهم وما يتصل بها من المنافع واذ مفعول به لا ظرف اي اذكروا وقت جعلكم وزادكم في الخلق بسطة فالخلق التقدير وقلما يطلق الا على الشي الذي له مقدار وحجمية والمراد حصول الزيادة في اجسامهم زيادة خارقة للعادة والا لم تذكر في معرض الامتنان قال الكلبي كان اطولهم مائة ذراع واقصرهم ستون ذراعا وقال اخرون تلك الزيادة هو مقدار ما يبلغه يد الانسان اذا رفعها كانوا يفضلون على اهل زمانهم بهذا القدر ومنهم من حمل اللفظ على الزيادة في القوة ومنهم من حمل اللفظ على الزيادة في القوة ومنهم من قال الخلق الخليقة وبسطتهم فيهم كونهم من قبيلة واحدة متشاركين في القوة والشدة والجلادة متناصرين متوادين فاذكروا الاء الله في استخلافكم وبسطة اجرامكم وفيما سواهما من عطاياه والالاء النعم واحدها الى ونحوه اني واناء كعنب واعناب قال ابن الجوهري واحدها الى بالفتح وقد يكسر ويكتب الياء استدل الطاعنون في وجوب الاعمال الظاهرة بالاية قالوا انه تعالى رتب حصول الفلاح على مجرد التذكر واجيب بان الاية دالة على وجوب العمل مختصرا ومقيدة والتقدير فاذكروا الاء الله واعملوا عملا يليق بذلك الانعام لعلكم تفلحون ذكرهم نعم الله عليهم ليرجعوا الى عقولهم فيعلموا ان العبادة نهاية التعظيم ولا يليق الا بمن صدر عنه نهاية الانعام وليس للاصنام على الخلق شي من النعم لانها جماد لا قدرة له اصلا فلم يكن للقوم جواب عن هذه الحجة الا التمسك بطريقة التقليد وذلك قولهم اجئتنا لنعبد الله وحده الهمزة للانكار اختصاصه وحده بالعبادة وفي المجي وجوه منها ان يكون لهود معتزل يتحنث فيه اي يتعبد كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحرا قبل المبعث فلما اوحي اليه جاء قومه يدعوهم ومنها الاستهزاء اعتقادا منهم ان الله لا يرسل الا الملك فكانهم قالوا اجئتنا من السماء كما يجي الملك ومنها ان لا يراد به القصد كما يقال ذهب يشتمني ولا يراد حقيقة الذهاب كانهم قالوا تعرضت لنا بتكليف عبادة الله وحده اي منفردا عن الاصنام وهو من المعارف التي وقعت حالا بتاويل ولا يمكن ان يكون وحده ههنا اعتراضا كما يقول الموحد لا اله الا الله وقال الله وحده لان الغرض انهم مشركون ثم ان قول هود فيما قبل افلا تتقون كان مشعرا بالتهديد والوعيد فلهذا استعجل العذاب زعما منهم انه كاذب وذلك قولهم فأتنا بما تعدنا فاجابهم هود بقوله قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب ولا بد ان يحملا على معنيين متغايرين لمكان العطف اما الغضب في حقه تعالى فارادة ايقاع السوء كما سبق مرارا واما الرجس ضد الطهر كما قال سبحانه في صفة اهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وقال القفال الرجس هو الازدياد في الكفر بالرين على القلوب كما قال فزادتهم رجسا الى رجسهم وهذا التفسير اخص اما قوله قد

وقع ولا يقع العذاب بعد ففيه وجوه قال بعض من يقول بان ارادة الله تعالى حادثة معناه انه تعالى احدث ارادة في ذلك الوقت وقيل اراد هود انه اخبر بنزول العذاب قيل جعل المتوقع الذي لا شك فيه بمنزلة الواقع كقولك لمن طلب منك حاجة قد كان ذلك تريد انها ستكون البتة وعن حسان ان ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور وهو طفل فجاء اباه يبكي فقال له يا بني ما لك فقال لسعني طوير كانه ملتف في بردي حبرة فضمه الى صدره وقال يا بني قد قلت الشعر ثم انكر عليهم قبيح فعالهم فقال اتجادلونني في اسماء تنازعونني في شان الهة اشياء ما هي الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما نزل الله بها من سلطان اي لا حجة على حقيقتها فيزول والحاصل انها اسماء بلا مسميات لانكم تسمونها الهة ومعنى الالهية فيها معدوم محال سموا واحدا بالعزى مشتقا من العز وما اعطاه الله تعالى عزا اصلا وسموا اخر منها باللات من الالهية اثر وقال انما في هذه السورة وفي غيرها مما سيجي انزل لان نزل للتكثير فيكون للمبالغة ويجري ما بعده مجرى التفصيل للجملة والله اعلم ثم انه ذكرهم وعيدا مجددا فقال فانجيناه والذين امنوا معه برحمة منا بسبب حمد كانوا يستحقونها منا وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا اي استاصلناهم عن اخرهم وقد مر مثله في الانعام وفائدة نفي الايمان عنهم في قوله وما كانوا مؤمنين مع اثبات التكذيب بايات ربهم ان يكون تعريضا بمن امن منهم كمرثد بن سعد ومن نجا مع هود ولقد قطعنا دابر الذين كذبوا ولم يكونوا مثل من امن منهم ومعنى وما كانوا مؤمنين في علم الله تعالى اي لم يكونوا بعض من المكذبين اولو بقوا لامنوا قال في الكشاف وان عادا قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم اصنام يعبدونها صدا وصمودا والهبا فبعث الله هودا نبيا وكان من اوسطهم واشرفهم وافضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فامسك الله عنهم القطر ثلث سنين حتى جهدوا وان الناس كانوا اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله الفرج من ذلك عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم واهل مكة اذ ذاك العماليق اولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معوية بن بكر فجهزت عاد الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذي كان يكتم اسلامه فلما نزلوا على معوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم انزلهم واكرمهم كانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر ويغنيهم الجرادتان قينتان كانتا لمعوية احد بها وردة والاخرى جرادة ولما راى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا لاجله اهمه ذلك وقال قد هلك اخوالي واصهاري وهولاء على ما هم عليه وكان يستحيي ان يكلمهم خيفة ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معوية الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما ويسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا ما يبينون الكلاما الهينم اخفاء الكلام في الدعاء وغيره ومعنى يسقينا يجعله ساقيا لنا وقوله ما يبينون الكلام اي لا يكادون يفقهون قولا من ضعفهم وسوء حالهم فلما غنتا به قالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد ابطاتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا يسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى ربكم سقيتم واظهر اسلامه فقالوا لمعوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد لهم يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة فتعبدوا الله فيها حتى ماتوا التاويل لقد ارسلنا نوح الروح الى قومه بلاد القوالب وهم القلب وصفاته والنفس وصفاتها ومن صفة الروح العبودية والطاعة ودعوة القلب والنفس وصفاتها الى الله وعبوديته ومن صفات النفس تكذيب الروح ومخالفته والاباء عن نصحه والتعجب فكذبوا يعني النفس وصفاتها نوح الروح فانجيناه والذين معه في الفلك الشريعة واغرقنا النفس وصفاتها في بحر الدنيا وشهواتها انهم كانوا قوما عمين عن روية الله والوصول اليه وزادكم في الخلق بسطة كما ارتفع التفاوت بين الشخص وشخص فيما يعود الى المباني او ارتفع التباين بين قوم وقوم فيما يرجع الى المعاني قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب اي مقالتكم تدل على حالتكم انه اصابكم سطوات العذاب فمن امارات الاعراض رد العبد الى شهود الاغيار وتفريقه اياه في بحار الظنون والاوهام والجلال

ع ٧ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً

و فرستادیم بسوی ثمود برادر ایشان صالح را گفت ای قوم پرستید خدا را نیست شما را خدا بجز او هر آینه آمد شما را نشانه روشن از پروردگار شما این ناقه خدا از برای شما نشانه

فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَ

پس واگذارید او را که بخورد در زمین خدا و ملاقات نکنید او را ببدی پس فرا گیرد شما را عذابی دردناک و یاد آورید وقتی را که گردانید شما را جانشینان از بعد قوم عاد

بَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ

منزل داد شما را در زمین که فرا میگیرید از دشتان قصرها و میتراشید کوهها را از جهة خانه پس یاد کنید نعمتهای خدا را و حرکت نکنید در زمین

مُفْسِدِينَ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا

فساد کنندگان گفتند بزرگان آنان که سرکشی کردند از قوم او مر آنهائی را که ناتوان بودند مر آنها را که ایمان آورده بودند از ایشان آیا دانید که صالح

مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ

فرستاده است از پروردگار او گفتند که ما بآنچه فرستاده شده باو گرویدگانیم گفتند آنان که سرکشی کردند بدرستیکه ما بآنچه گرویده اید بآن کافرانیم

فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ

پس پی کردند شتر را و در گذشتند از فرمان پروردگار ایشان و گفتند ای صالح بیاور ما را آنچه وعده میدهی ما را اگر هستی از پیغمبران

نزل

از انواع للتجنيس

كانه قيل حتم

فَاَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَاَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ فَتَوَلّٰى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ اَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ

پس فراگرفت ایشان را عذاب پس صبح کردند در خانها و منزلهای خود زانو زدگان پس رو گردانید از ایشان و گفت ای قوم هر آینه رسانیدم بشما پیغام

رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلٰكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ وَلُوطًا اِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اَتَاْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ اَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ

پروردگار را و پند دادم شما را ولیکن دوست نمیدارید پند دهندگان را و فرستادیم لوط را چون گفت مر قوم خود را آیا می آیید بفعل زشتی که پیشی نگرفت بشما بآن هیچکس از عالمیان

اَئِنَّكُمْ لَتَاْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ اَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ اِلَّا اَنْ قَالُوا اَخْرِجُوهُمْ مِنْ

بدرستیکه شما می آیید مردان را از غلبه شهوت از غیر زنان بلکه شما گروهی زیاده روانید و نبود پاسخ قوم او بجز اینکه گفتند بیرون کنید ایشان را از

قَرْيَتِكُمْ اِنَّهُمْ اُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ فَاَنْجَيْنَاهُ وَاَهْلَهُ اِلَّا امْرَاَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ وَاَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ

ده خود که ایشان مردمانیند پاکیزه پس رهانیدیم او را و اهل او را مگر زن او که بود از بازماندگان و باراندیم بر ایشان باران پس بنگر که چگونه بود عاقبت گناهکاران

القراءة وقال الملأ بالواو ابن عامر انكم بحذف همزة الاستفهام ابو جعفر ونافع وحفص سهل أئنكم بهمزتين ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص هشام يدخل بينهما مدة آئنكم بالمد وبالياء ابو عمرو ويزيد ايكم بالهمزة والياء ابن كثير ويعقوب غير يزيد الوقوف صالحا لئلا يظن ان صالحا صفة لاعلم فالجملة بعده نعت له وهذا بخلاف اسم شعيب غيره من الاعلام العربية غيره ط من ربكم ط اليم بيوتا ط المكان في قصة هود بن بسطة مفسرا من ربه مؤمنون كافرون المرسلين جاثمين ناصحين من العالمين من دون النساء لمكان الاضراب مسرفون من قريتكم ج لاحتمال التعليل استهزاء لام انه لاحتمال الاستيناف والاشبه انها حال المراة من الغابرين مطرا المجرمين التفسير القصة الرابعة قصة صالح مع قوم ثمود قال ابو عمرو بن العلاء سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى وانه لا ينصرف تارة بتاويل القبيلة وينصرف اخرى بتاويل الحي او باعتبار الاصل لانه اسم ابيهم الاكبر وهو ثمود بن عامر بن ارم بن سام بن نوح وقيل ان ثمود اخ جديس وطسم وقد ورد القران بالصرف وبمنعه جميعا قال تعالى الا ان ثمودا كفروا ربهم الا بعدا لثمود قد جاءتكم بينة اية ظاهرة دالة على صدقي وكانه قيل ما تلك البينة فقال هذه ناقة الله لكم اية وانتصابها على الحال والعامل فيها ما في اسم الاشارة او حرف التنبيه من معنى الفعل اي اشير اليها او انبه عليها اية ولكم بيان لمن هي له اية موجبة للايمان وهم ثمود وسبب تخصيص اولئك الاقوام بها مع انها اية لكل احد انهم عاينوها وغيرهم اخبروا بها وليس الخبر كالمعاينة او لعله سبقت سائر المعجزات الا ان القوم التمسوا هذه المعجزة بعينها على سبيل الاقتراح فاظهرها الله تعالى لهم فلهذا حسن التخصيص وانما اضيفت الى اسم الله تعظيما لها وتفخيما لشانها حيث جاءت مكونة من عنده من غير فحل وطروقة اية من اياته كما يقول اية الله وبيت الله وبالحقيقة هي اية تشتمل على ايات لخروجها من الجبل اية وكونها لا من ذكر وانثى اية وكمال خلقها من غير تدريج ومهل اية وان لها شرب يوم ولجميع ثمود شرب يوم اية وكذا الكلام في قوتها المناسبة للماء وفي غزارة لبنها وانكر الحسن فقال انها لم تحلب قطرة لبن قط وروي ان جميع الحيوانات كانت تمتنع عن الورود في يوم شربها وقيل سميت ناقة الله لانه لا مالك لها سوى الله تعالى وقيل لانها حجة الله على القوم فذروها تاكل في ارض الله اي الناقة ناقة الله والارض ارض الله فدعوها تاكل في ارض ربها مما انبت منها ولا تمسوها بسوء من الضرب والطرد وسائر انواع الاذى اكراما لاية الله فياخذكم عذاب اليم يعني اخذ الاستيزاز والاستيصال واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد تفسيره كما في قصة هود وبوّاكم في الارض انزلكم فيها والمباءة المنزل والارض ارض الحجر تتخذون من سهولها اي تبنون من سهولة الارض قصورا بما تعملون من الاراضي السهلة لبنا واجرا ودهصا وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة كما تقول خط هذا الثوب قميصا اي حال الخياطة ويجوز ان يكون من مقدرة اكتفاء بقوله من سهولها كما ثبت في موضع اخر تنحتون من الجبال بيوتا فارهين فيكون منصوبا على انه مفعول به وقيل المراد انهم كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء فاذكروا الاء الله يعني اني قد ذكرت لكم بعض نعم ربكم فاذكروا انتم تمامها ولا تعثوا في الارض مفسدين قيل نهى عن عقر الناقة والاولى حمله على العموم واعرابه قد مر في اوائل سورة البقرة قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا اي المساكين الذين يستحقرهم رؤساء الكفار وقوله لمن امن منهم بدل من قوله للذين استضعفوا باعادة الجار لشدة الاتصال والضمير في منهم اما ان يرجع الى الذين استضعفوا فيكون البدل بدل البعض ودل على ان المستضعفين فرقتان مؤمنون وكافرون واما ان يرجع الى قومه فيكون البدل بدل الكل ودل على ان الاستضعاف من شان اهل الايمان يستحقرهم المستكبرون ولا يكون صفة ذم في حقهم وانما الذم يعود الى المستحقرين وفي الاية دلالة على ان الفقر خير من الغنى لان الاستكبار يتولد من كثرة المال والجاه والتصديق والانقياد ينشآن من قلتهما اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوه على سبيل التحكم والسخرية لا للاستعلام والاسترشاد قالوا انا بما ارسل به مؤمنون جعلوا ارساله امرا بينا مكشوفا مسلما لا يدخله ريب انما الكلام في وجوب الايمان فخبروا انا به مؤمنون ولذلك قال الذين استكبروا في جوابهم انا بالذي امنتم به كافرون فعقروا الناقة قال الازهري العقر عند العرب كشف عن قوت البعير ثم اطلق على النحر اطلاقا لاسم السبب على المسبب واسند العقر الى جميعهم لانه كان برضاهم مع انه ما باشره الا بعضهم وقد يقال للقبيلة العظيمة انتم فعلتم كذا ولعله لم يفعله الا واحد منهم كقوله واذ قتلتم نفسا وعتوا عن امر ربهم استكبروا عن امتثاله قال مجاهد العتو الغلو في الباطل وامر ربهم شانه ودينه المراد امر به صالحا

من قوله فذروها ولا تمسوها والمعنى امر ربهم بتركها كان هو السبب في عتوهم فان الانسان حريص على ما منع وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين اطلقوا الوعد واراد واما وعدهم من العذاب الاليم واستعجالهم العذاب انما كان لاجل تكذيبهم لكل ما اخبر عنه من الوعد والوعيد ولذلك علقوه بما كانوا ينكرونه وهو كونه من المرسلين فاخذتهم الرجفة قال الفراء والزجاج هي الزلزلة الشديدة قال تعالى يوم ترجف الارض والجبال قال الليث هي كرجفان البعير تحت الرجل وكما ترجف الشجرة اذا رجفتها الريح وهذا لا يناقض ما ورد في موضع اخر انهم اهلكوا بالطاغية وفي اخر انهم اهلكوا بالصيحة لان الطغيان مجاوزة الحد قال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم فالزلزلة هي الحركة الخارجة عن الحد المعتاد والغالب ان الزلزلة لا تنفك عن الصيحة الهائلة واصبحوا في دارهم اي في بلدهم كقولك دار الحرب ودار الاسلام وقد جمع في اية اخرى فقال في ديارهم لانه اراد بالدار لكل واحد من منزله الخاص الا انه حيث ذكر الرجفة وحد وحيث ذكر الصيحة جمع لان الصيحة كانها من السماء فبلوغها اكثر وابلغ من الزلزلة ومعنى جاثمين موتى لا حراك بهم قال ابو عبيدة الجثوم للناس والطير بمنزلة البروك للابل فجثوم الطير هو وقوعه لاطيا بالارض في حال سكونه بالليل ومنه المجثمة التي جاء النهي عنها وهي البهيمة تربط وتجمع قوائمها لترمى فتولى عنهم الفاء للتعقيب فالظاهر انه ادبر عنهم بعد ما ابصرهم جاثمين قول متحسر على ما فاته من ايمانهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي وحد الرسالة بخلاف ما مر في قصتي نوح وهود لان المراد هناك اشياء كان يامرهم بها قومه ما بعد الايمان بالله وههنا وقع في اخر القصة فاراد بها مجموع ما ادى من الرسالة او اراد بذلك اداء حديث الناقة فقط ونصحت لكم اي اجهدت في النصيحة ولكن لا تحبون الناصحين حكاية حال ماضية واعترض على هذا التفسير بانه كيف يصح خطاب الموتى واجيب بانه قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت وكان قد نصحه فلم يصغ اليه يا اخي كم نصحتك وكم قلت فلم تقبل مني حتى القيت بنفسك الى التهلكة والفائدة في مثل هذا الكلام ان يسمعه بعض الاحياء فيعتبر به ولعل القائل ايضا يتسلى بذلك وتزول بعض الغصة عن قلبه ويخف عليه ما نزل به وان رسول الله صلى الله عليه وآله وقف على قليب بدر وقال يا فلان ويا فلان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقيل له كيف تكلم هؤلاء الجيف فقال ما انتم باسمع منهم ولكنهم لا يقدرون على الجواب تفسير اخر وهو ان يكون تولى عنهم تولي ذاهب عنهم منكر لاصرارهم حين راى العلامات قبل نزول العذاب وجملة قصتهم ما روي ان عادا لما اهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض فكثروا وعمروا اعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا عن امر الله وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وانذرهم فسالوه اية فقال اية اية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو الهك وندعو الهتنا فان استجيب لك اتبعناك فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسالوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي شاكلت البخت فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ صالح عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء كما وصفوا وكانت في غاية العظم حتى قال ابو موسى الاشعري اتيت ارض ثمود فذرعت مصدر الناقة يعني موضع بروكها فوجدته ستين ذراعا ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فامن به جندع ورهط من قومه ومنع بقاياهم ناس من رؤسهم ان يؤمنوا فمكثت الناقة وولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا كما قال عز من قائل لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وذلك ان الماء كان عندهم قليلا فجعلوا ذلك الماء بالكلية شربا لها يوما وشربا للقوم يوما قال السدي وكانت الناقة في اليوم الذي تشرب فيه الماء تحلب فيكفي الكل فكانها كانت تصب اللبن صبا وفي اليوم الذي يشربون الماء لا تاتيهم وكانت اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطن الوادي واذا وقع البرد كان الامر بالعكس فشق ذلك عليهم وقال لهم صالح يولد في شهركم هذا غلام يكون هلاككم على يديه فذبحوا تسعة نفر من ابنائهم ثم ولد العاشر فابى ان يذبح ابنه فنبت نباتا سريعا ولما كبر الغلام قال هل لكم في ان اعقر هذه الناقة فشد عليها فلما ابصرت به شدت عليه فهرب منها الى جانب صخرة فردوها عليه فلما مرت به تناولها فعقرها فسقطت فذلك قوله تعالى فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر واظهروا كفرهم وقيل زينت لهم عقرها امرأتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت الناقة بمواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقى جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا وكان صالح قال لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجرت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد ووجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما راوا العلامات طلبوه ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتاهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا واستبعد بعضهم ان العاقل مع مشاهدة المعجزات والعلامات يبقى مصرا على كفره واجيب بانهم عند مشاهدة العلامات خرجوا عن حد التكليف وان يكون توبتهم مقبولة عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مر بالحجر قال لا تسئلوا الايات فقد سئلها قوم صالح فاخذتهم الصيحة فلم يبق منهم الا رجل واحد كان في حرم الله قالوا من هو قال ذاك ابو رغال فلما خرج من الحرم اصابه ما اصاب قومه وروي ان نبينا صلى الله عليه وسلم مر بقبر ابي رغال فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم فذكر قصة ابي رغال وانه دفن معه غصن من ذهب فابتدروه وبحثوا عنه باسيافهم فاستخرجوا الغصن وروي ان عاقر الناقة كان

يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروى انه خرج فى مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكى فالتفت فراى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا
وكانوا الفا وخمسمائة دار وروى انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم وروى ان رسول الله صلعم حين مر بالحجر فى غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن
احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذى اصابهم وقال صلعم يا على اتدرى
من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح اتدرى من اشقى الاخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك القصة الخامسة قوله سبحانه
وَلُوطًا اِذْ قَالَ لِقَوْمِهٖ نقله ارسلنا لوطا وقت قال لقومه ويجوز ان يكون معناه واذكروا لوطا اذ قال على ان اذ بدل من المفعول به لا ظرف
واما صرف نوح ولوط مع ان فيه سببين العجمة والعلمية لان سكون وسطه قاوم احد السببين اَتَاْتُوْنَ الْفَاحِشَةَ اتفعلون الخصلة المتمادية
فى القبح ماسبقكم بها قال فى الكشاف الباء للتعدية من قولك سبقته بالكرة اذا ضربتها قبله اى ما عملت قبلكم قلت ومن المحتمل ان يكون الباء
فيه مثلها فى قولك كتبت بالقلم قوله تنبت بالدهن اى ماسبقكم ملتبسا بها مِنْ اَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِيْنَ من الاولى زائدة لتاكيد النفى وافادة الاستغراق
والثانية للتبعيض وموقع هذه الجملة استيناف لانه انكر عليهم اولا بقوله اَتَاْتُوْنَ الْفَاحِشَةَ ثم وبخهم عليها فقال وانتم اول من عملها وهو
جواب سؤال مقدر كانه قيل لم لا ناتيها فقال مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ اَحَدٍ فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به ويجوز ان يكون صفة الفاحشة كقوله
وَلَقَدْ اَمُرُّ عَلَى اللَّئِيْمِ يَسُبُّنِيْ وههنا سؤال وهو انه كيف يجوز دعوى عدم السبق فى هذه الخصلة ولم تزل الشهوة داعية اليها والجواب لعل
متقدميهم كانوا يستقذرونها ويتنفرون عنها طبعا كسائر الحيوانات والمراد ان الاقبال بالكلية على ذلك العمل لم يوجد فى الاعصار
المتقدمة قال الحسن كانوا ينكحون الرجال فى ادبارهم وكانوا لا ينكحون الا الغرباء وقال عطاء عن ابن عباس استحكم ذلك فيهم حتى فعل بعضهم
ببعض اِنَّكُمْ لَتَاْتُوْنَ الرِّجَالَ بيان لما اجمله فى قوله اتاتون الفاحشة وكلا الاستفهامين للانكار وفى الثانى اكثر ولهذا زيد فيه ان و
مثله فى النمل اتاتون الفاحشة اَئِنَّكُمْ لَتَاْتُوْنَ الرِّجَالَ تجمع بين ان واللام لموافقة اخر القصة انا منجولك انا منزلون وانتصب شَهْوَةً على انها
مفعول له اى لا حامل لكم على غشيانكم الرجال من دون النساء الا مجرد الشهوة او مصدر وقع حالا اى مشتهين شهوة بَلْ اَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُوْنَ
اضرب عن الانكار الى الاخبار عنهم بالحالة الموجبة لارتكاب القبائح وهو انهم قوم عادتهم الاسراف وتجاوز الحدود فى كل شئ وختم هذه
الاية بلفظ الاسم موافقة لرؤس الايات التى تقدمت وهى العالمين الناصحين جاثمين المرسلين وفى النمل قال بَلْ اَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُوْنَ اما العدول
من الاسراف الى الجهل فلتغير العبارة وكل اسراف جهل وكل جهل اسراف واما العدول من الاسم الى الفعل فليتوافق ماقبلها من الايات و
وكلها افعال يبصرون تتقون يعلمون واعلم ان قبح هذا العمل كالامر المقرر فى الطباع ووجوه القبح فيه كثيرة منها ان اكثر الناس يحترزون
فيه عن الولد لان الولد يحمل المرء على طلب المال واتعاب النفس فى وجوه المكاسب الا انه تعالى جعل الوقاع سببا لحصول اللذة العظيمة حتى ان الانسان
يطلب تلك اللذة ويقدم على الوقاع وح يحصل الولد شاء ام ابى وبهذا الطريق يبقى النسل ولا ينقطع النوع فوضع اللذة فى الوقاع يشبه وضع
الشئ الذى يشتهيه الحيوان فى الفخ والغرض ابقاء النوع الانسانى الذى هو اشرف الانواع فكل لذة لا تؤدى الى هذا الغرض وجب الحكم
بتحريمها لما فيه من ضياع البذر ولزوم خلاف الحكمة ومنها ان الذكورة مظنة الفعل والانوثة مظنة الانفعال فانعكاس القضية يكون
خروجا عن مقتضى الطبيعة والحكمة ومنها ان الاشتغال بمحض الشهوة يشبه بالبهائم وخروج عن الغريزة الانسانية وهبت الفاعل يلتذ بذلك
العمل الا انه يسعى فى الحاق العار العظيم بالمفعول الى حيث يقدم المفعول على قتل الفاعل او على الحاق الضرر به بكل طريق يقدر عليه وذلك
لنفرة طبعه عن رؤيته واما حصول هذا العمل بين الرجل والمراة فانه يوجب زيادة الالفة والمحبة كما قال خَلَقَ لَكُمْ مِّنْ اَنْفُسِكُمْ اَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوْا اِلَيْهَا
وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَّوَدَّةً وَّرَحْمَةً ومنها انه تعالى اودع فى الرحم قوة جاذبة للمنى بحيث لا يبقى شئ منه فى مجاريه وعبثه اما اذا واقع الذكر فانه يبقى شئ
من اواخر المنى فى المجارى فيعفن ويفسد ويتولد منه العلل والاورام فى الاسافل كما يشهد به القوانين الطبية قال بعضهم وَالَّذِيْنَ هُمْ لِفُرُوْجِهِمْ
حٰفِظُوْنَ اِلَّا عَلٰٓى اَزْوَاجِهِمْ اَوْ مَا مَلَكَتْ اَيْمَانُهُمْ يقتضى حل وطى المملوك مطلقا ذكرا كان او انثى ولا يمكن تخصيص هذا العموم بقوله اَتَاْتُوْنَ الذُّكْرَانَ
مِنَ الْعٰلَمِيْنَ لان كلا من الاثنين اعم من الاخر من وجه لان المملوك قد يكون ذكرا وقد لا يكون والذكر قد يكون مملوكا وقد لا يكون فتخصيص
احدهما بالاخر ترجيح من غير مرجح بل الترجيح لجانب الحل لمقتضى الاصل ولان المالك مطلق التصرف ولان شرع محمد اولى من شرع لوط واجيب
بان الاعتماد على التواتر الظاهر من محمد صلعم ان هذا العمل حرام قال وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهٖ بالواو وكذا لا يكون التعقيب بالفاء بعد الاسم وفى النمل بجهلون
فما كان وفى العنكبوت وَتَاْتُوْنَ فِىْ نَادِيْكُمُ الْمُنْكَرَ فما كان فصح تعقيب الفعل الفعل الا ان قالوا اَخْرِجُوْهُمْ من قريتكم وفى النمل اَخْرِجُوْٓا اٰلَ لُوْطٍ
ليكون ما فى النمل تفسيرا لهذه الكناية وقيل ان سورة النمل نزلت قبل الاعراف فيكون قد صرح فى الاولى وكنى فى الثانية سؤال فى الكشاف
يعنى ما اجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط من انكار الفاحشة وسمهم بصفة الاسراف الذى هو اصل الشر كله ولكنهم جاؤا بكلام اخر لا
يتعلق بكلامه ونصيحته من الامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ضجرا بهم وبما يسمعونه من وعظهم ونصحهم قولهم اِنَّهُمْ اُنَاسٌ يَّتَطَهَّرُوْنَ
سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخارا بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشيطان من الفسقة لبعض الصلحاء اذا وعظهم ابعدوا عنا هذا
المتقشف واريحونا من هذا المتزهد وقيل المراد ان ذلك العمل فى موضع النجاسة فمن تركه فقد تطهر وقيل ان البعد عن الاثم يسمى

طهارة فالمراد انهم يتباعدون عن المعاصى والاثام فَاَنْجَيْنٰهُ وَاَهْلَهٗٓ اى انصاره واتباعه والذين قبلوا دينه وعن ابن عباس اراد المتصلين
به فى النسب بدليل قوله اِلَّا امْرَاَتَهٗ يقال لامراة الرجل اهله زوجته ولا يقال لمراة بعينه وجها لان المالكية حق الزوج كَانَتْ مِنَ الْغٰبِرِيْنَ
وفى النمل قدرناها من الغابرين اى كانت فى علم الله من الغابرين فقدرناها من الغابرين وان قلنا بتاخر نزول الاعراف فالمعنى قدرناها
من الغابرين فصارت من الغابرين والغبور المكث والبقاء اى من الذين بقوا من ديارهم وهلكوا والتذكير لتغليب الذكور وكانت كافرة
موالية لاهل سدوم وروى انها التفتت فاصابها حجر فماتت ثم وصف العذاب فقال اَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَّطَرًا اى ارسلنا عليهم نوعا من المطر
عجيبا قيل كانت المؤتفكة خمس مدائن وقيل كانوا اربعة الاف بين الشام والمدينة فامطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين
منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم وروى ان تاجرا منهم كان فى الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى
قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه فَانْظُرْ يا محمد صلى الله عليه واله وكل من له اهلية الاعتبار كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِيْنَ وهذه الامة وان امنت من
الاولى لهم عذاب الاستيصال الا ان الخوف والاعتبار من شعار المؤمن لا ينبغى ان ينفك عنه على ان عذاب الاخرة اشد وابقى ولم يؤمنوه بعد مسائل مذهب
الشافعى ان اللواط يوجب الحد لانه ثبت فى شريعة لوط فالاصل بقاؤه الى طريان الناسخ ولم يظهر نسخ فى شرعنا ولان ذكر الحكم عقيب الوصف
المناسب يدل على علية الوصف للحكم فالاية تدل على ان هذا الجرم المخصوص علة لحصول هذا الزاجر المخصوص قال ابو حنيفة ان الواجب فيه التعزير لانه
فرج لا يجب المهر بالايلاج فيه فلا يجب الحد كاتيان البهيمة وعلى الاول فى عقوبة الفاعل قولان احدهما ان عقوبته القتل محصنا كان او لم يكن
لما روى انه صلى الله عليه واله قال من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول واصحهما ان حده حد الزنى فيرجم ان كان محصنا ويجلد
ويغرب ان لم يكن محصنا لانه حد يجب بالوطى فيختلف فيه البكر والثيب كالاتيان فى القبل وعلى قول القتل فيه وجوه احدها يقتل بالسيف
كالمرتد والثانى وبه قال مالك واحمد يرجم تغليظا ويروى عن على عليه السلام والثالث يهدم عليه جدار او يرمى من شاهق ليموت اخذا من عذاب
قوم لوط واما المفعول فان كان صغيرا او مجنونا او مكرها فلا حد عليه ولا مهر لان منفعة بضع الرجل لا تتقوم وان كان مكلفا طائعا فيقتل بما يقتل
به الفاعل ان قلنا ان الفاعل يقتل وان قلنا يحد حد الزنى فيجلد ويغرب محصنا كان او لم يكن وان اتى امراة فى دبرها ولا ملك ولا نكاح فا
لاظهر انه لواط لانه اتيان فى غير المأتى ويجئ فى الفاعل والمفعول ما ذكرنا وقيل انه زنى لانه وطى انثى فاشبه الوطى فى القبل فعلى هذا احده حد
الزنى بلا اختلاف ترجم المراة ان كانت محصنة واذا لاط بعبده فهو كالاجنبى على الاصح ولو اتى امراته او جاريته فى الدبر فالاصح القطع بمنع
الحد لانها محل استمتاعه بالجملة التاويل هذه ناقة الله معجزة الخواص ان يخرج لهم من حجارة القلب ناقة السر عشراء بشعب السر وهو الخفى و
ناقة الله هى التى تحمل امانة معرفته ويعطى ساكنى بلد القالب من القوى والحواس لكن الواردات الالهية تذروها ترتع فى رياض القدس وحياض الانس
ولا تمسوها بمخالفات الشريعة ومعارضات الطريقة فياخذكم عذاب اليم بالانقطاع عن المواصلات الحقيقية اذ جعلكم خلفاء مستعدين
للخلافة وبوأكم فى ارض القلوب تتخذون من سهولها وهى المعاملات بالصدق والاخلاص قصورا فى الجنان والجنان تنحتون من جبال اطوار القلب
بيوتا هى مقامات السائرين الى الله فاذكروا الاء الله النعماء والاخلاص فالاول يتضمن ترويح الظاهر والثانى يوجب ملوح السر فالتروح بوجوه المبارد و
التلويح بشهود الاسرار وَلَا تَعْثَوْا فِى الْاَرْضِ القلب بافساد الاستعداد الفطرى الذين استكبروا هم الاوصاف البشرية والاخلاق الذميمة الذين استضعفوا
من اوصاف القلب والروح وتعلمون ان صالح الروح مرسل بنفخة الحق الى بلد القالب ساكنيه ليدعوهم من الاوصاف السفلية الظلمانية
الى الاخلاق العلوية النورانية فعقروا اى النفس وصفاتها ناقة سر القلب بسكاكين مخالفات الحق فاخذتهم رجفة الموت فاصبحوا فى دار قالبهم جاثمين والله العزيز
ع ٨ وَاِلٰى مَدْيَنَ اَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللّٰهَ مَا لَكُمْ مِّنْ اِلٰهٍ غَيْرُهٗ قَدْ جَآءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ فَاَوْفُوا الْكَيْلَ
وفرستاديم بسوى مدين برادر ايشان شعيب را گفت اى قوم بپرستيد خدا را نيست شما را خدائى بجز او هر آينه آمد شما را نشانى از پروردگار شما پس تمام كنيد پيمانه
وَالْمِيْزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ اَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوْا فِى الْاَرْضِ بَعْدَ اِصْلَاحِهَا ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ وَلَا تَقْعُدُوْا بِكُلِّ
وترازو را وكم مكنيد مردم را چيزهاى ايشان را و فساد مكنيد در زمين پس از اصلاح آن اين بهتر است از براى شما اگر باشيد مؤمنان و منشينيد بهر
صِرَاطٍ تُوْعِدُوْنَ وَتَصُدُّوْنَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ مَنْ اٰمَنَ بِهٖ وَتَبْغُوْنَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوْٓا اِذْ كُنْتُمْ قَلِيْلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوْا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
راهى وعده وعيد ميدهيد مردمان را و باز ميداريد از راه خدا هر كه گرويد بخدا و ميجوئيد از براى راه كجى را و ياد كنيد وقتى را كه بوديد كم پس بسيار كرد شما را و بنگريد كه چگونه بوده عاقبت
الْمُفْسِدِيْنَ وَاِنْ كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنْكُمْ اٰمَنُوْا بِالَّذِيْٓ اُرْسِلْتُ بِهٖ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوْا فَاصْبِرُوْا حَتّٰى يَحْكُمَ اللّٰهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحٰكِمِيْنَ قَالَ
ع ١ مفسدان و اگر بوده اند گروهى از شما كه گرويده اند بآنچه فرستاده شده ام بآن و گروهى كه نگرويده اند پس صبر كنيد تا وقتى كه حكم كند خدا ميان ما و او بهترين داوران است گفت
الْمَلَاُ الَّذِيْنَ اسْتَكْبَرُوْا مِنْ قَوْمِهٖ لَنُخْرِجَنَّكَ يٰشُعَيْبُ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَآ اَوْ لَتَعُوْدُنَّ فِىْ مِلَّتِنَا قَالَ اَوَلَوْ كُنَّا كٰرِهِيْنَ
بزرگان آنان كه گردنكشى كردند از قوم او هر آينه بيرون كنيم ترا اى شعيب و آنها را كه گرويدند با تو از ده ما يا البته بر گردى در طريقه ما گفت آيا اگر چه باشيم كراهت داشته
قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا اِنْ عُدْنَا فِىْ مِلَّتِكُمْ بَعْدَ اِذْ نَجّٰىنَا اللّٰهُ مِنْهَا وَمَا يَكُوْنُ لَنَآ اَنْ نَّعُوْدَ فِيْهَآ اِلَّآ اَنْ يَّشَآءَ اللّٰهُ
بتحقيق بر بافته ايم بر خدا دروغ را اگر بر گرديم در طريقه شما پس از آنكه نجات داد خدا ما را از آن و سزاوار نيست ما را كه بر گرديم در آن مگر آنكه بخواهد خدا

ع

ربنا وسع ربنا كل شئ علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين وقال الملأ الذين كفروا

پروردگار ما فرا گرفت پروردگار ما همه چیز را از روی دانش بر خدای توکل کردیم پروردگارا حکم کن در میان ما و میان قوم ما بحق و تو بهترین حکم کنندگانی و گفتند بزرگان آنان که کافر شدند

من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كان

از قوم او که اگر پیروی کردید شعیب را شما آنگاه زیانکارانید پس گرفت ایشان را زلزله پس صبح کردند در خانهای خود زانو زدگان آنان که تکذیب کردند شعیب را گویا

لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين

که نبوده اند در آنجا آنان که تکذیب کردند شعیب را بودند ایشان زیانکاران پس روی گردانید از ایشان و گفت ای قوم تحقیق رسانیدم بشما پیغامهای پروردگار خود را و پند دادم شما را پس چگونه اندوه خورم بر گروه کافران

القراءة كما مر الوقوف شعيبا غير اصل احمالة مؤمنين لعطف المنفصلين نوع العارض اوراس الاية عوجا لاتفاق الجملتين مع طول الكلام وكثرة العطف المتفصلين المفسدين بيننا لاحتمال الواو الحال والاستيناف الحاكمين الجزء التاسع ملتنا ط كارهين ممل لا وتفا لان الابتداء بقوله قد افترينا قبيح قلنا اذا كان محكيا عن شعيب كان اقبح ولكن الكلام معلول بشرط يعقبه منها الله ط ربنا ط علما ط توكلنا للعدول الفاتحين لخاسرون جاثمين ج ان يوصل وقف على كان لم يغنوا حال لمعنى الفعل في الجاثمين وان جعل الذين مبتدا خبره كان لم يغنوا وقف على جاثمين وعلى فيها ومن لم يقف على فيها وجعل الذين بدلا عن الذين الاول وقف على شعيبا ويستانف بكانوا ولا يخ من تعسف الخاسرين ونصحت لكم لان كيف للتعجب فيصلح للابتداء مع ان فيه فاء التعقيب كافرين والله اعلم التفسير القصة الخامسة قصة شعيب ومدين اسم البلد وقيل اسم القبيلة لانهم من ولد مدين بن ابرهيم خليل الرحمن وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وذلك انه امرهم باشياء الاول عبادة الله امرهم بها ونهاهم عن عبادة غير الله وهذا اصل معتبر في شرائع جميع الانبياء الثاني تصديقه في ما ادعاه من النبوة واشار اليه بقوله قد جاءتكم بينة اى معجزة دالة على نبوتي ففي الاية دلالة على ان لشعيب معجزة ظاهرة كما ينبغي لكل مدعي نبوة والا كان متنبئا غير ان معجزته لم يذكر في القرآن كما لم يذكر اكثر معجزات نبينا صلى الله عليه وآله فيه ويحكى انه دفع الى موسى عصاه وتلك العصا كانت من آس الجنة وايضا قال لموسى ان هذه الاغنام تلد اولادا عنقها اسود وسائرها ابيض وقد وهبتها منك وكان الامر كما اخبر وكل ذلك قبل ان يستنبأ موسى فقال اهل السنة ان هذه الامور علامات نبوة موسى ويسمى ارهاصا وقالت المعتزلة انها معجزات شعيب بناء على ان الارهاص عندهم غير جائز الثالث قوله فاوفوا الكيل الاية واعلم ان للانبياء ان يبدؤا في الموعظة بما يكون قومهم مقبلين عليه وكان قوم شعيب مشغوفين بالبخس والتطفيف وكان يقول البخس عبارة عن الخيانة بالشيء القليل وهو امر مستقبح في العقول ومع ذلك فقد جاءت البينة والشريعة الموجبة لتحريمه فلم يبق لكم فيه عذر فاوفوا الكيل والميزان قال في الكشاف لم يقل المكيال والميزان كما في سورة هود لانه اراد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال او سمى ما يكال به بالكيل كما قيل العيش لما يعاش به او اريد فاوفوا الكيل ووزن الميزان او الميزان مصدر كالميعاد والميلاد الرابع ولا تبخسوا الناس اشياءهم يقال بخسه حقه اذا نقصه اياه ومنه قيل للمكس البخس وفي المثل تحسبها حمقاء وهي باخس قال تغلب ان شئت قلت باخسة وذلك يتناول الانسان والبهيمة يضرب لمن لا يعبأ به وفيه دهاء وجربزة خص اولا ثم عمم ليشمل جميع انواع الضيم كالغصب والسرقة واخذ الرشوة وقطع الطريق وانتزاع الاموال بوجوه الاحتيال وروي انهم كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه وكانوا اذا دخل الغريب بلدهم اخذوا دراهمه الجياد وقالوا هي زيوف فقطعوها قطاعا ثم اخذوها بنقصان ظاهر واعطوه بدلها زيوفا الخامس ولا تفسدوا في الارض وهذا اعم من البخس لشموله الاموال والاعراض والنفوس وكل ما يوجب مفسدة ونبوة والمعنى بعد اصلاح اهلها على حذف المضاف او كقوله بل مكر الليل والنهار بعد الاصلاح فيها بعث اصلاح الصالحين من الانبياء ومتابعيهم العاملين بشرائعهم ذلكم الذي ذكر من الامور الخمسة خير لكم في الانسانية وحسن الاحدوثة وزيادة البركة لرغبة الناس في متاجرتكم عند اشتهاركم بالامانة والديانة ولا يخفى ان حاصل هذه التكاليف الخمسة يرجع الى التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله ان كنتم مؤمنين مصدقين لي في قولي ثم فصل بعض ما اجمل فقال ولا تقعدوا بكل صراط حقيقة ذلك انهم كانوا يجلسون على الطرق والمراصد كما كانت تفعل قريش بمكة يخوفون من آمن بشعيب يقولون انه كذاب لا يفتنكم عن دينكم او كانوا يقطعون الطريق او كانوا عشارين وقيل انه مجاز وهم الذين تعدوا على طريق الدين ومنهاج الحق لاجل ان يمنعوا الناس عن قبوله اقتداء بالشيطان حيث قال لاقعدن لهم صراطك المستقيم ودليل هذا المجاز قوله ويصدون عن سبيل الله يقعد بمكان كذا اي لتصق به وعلى مكان كذا اى على ذلك المكان وفيه اذا احل فحروف الجر يتعاقب في مثل هذا الموضع لتقارب معانيها ومحل توعدون وما عطف عليه نصب على الحال نهاهم عن القعود على صراط الله حال الاشتغال باحد هذه الافعال وانما قال بكل صراط مع ان صراط الحق واحد لانه يتشعب الى معارف وحدود واحكام كثيرة كل منها تفسير سبيل وكانوا اذا راوا احدا يشرع فيها اوعدوه وصدوه والضمير في به راجع الى كل صراط والتقدير توعدون من آمن به وتصدون عنه فوضع الظاهر موضع الضمير زيادة في التقبيح والتفظيع ومعنى وتبغونها تطلبون لسبيل الله عوجا اى تصفونها للناس بانها معوجة وذلك بالقاء الشكوك والشبهات قال في الكشاف ويكون تهكما بهم يطلبون لها ما هو محال لان طريق الحق لا يعوج ثم ذكرهم نعم الله تعالى لان ذكر النعم مما يحمل على الطاعة ويبعد عن المعصية فقال واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم قال الزجاج يحتمل كثرة العدد بعد القلة وكثرة القدرة والشدة بعد الضعف والذلة قيل ان مدين بن ابرهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله في نسلها بالبركة والنماء وصاروا اكثر في العدد والعدة والشدة ثم حذرهم سوء

القلة وكثرة العدد بعد صح

عاقبته

الاعراف

عاقبة من افسد قبلهم من الامم وكانوا قريبي العهد مما اصاب المؤتفكة فقال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين رغبهم اولا ثم رهبهم ثانيا واكد الترهيب بقوله وان كان طائفة الاية وفيه وعيد للكافرين ووعد للمحقين المؤمنين وحث لهم على الصبر على ما يلحقهم من اذى المشركين الى ان يحكم بمقتضى العدل والحكمة خير الحاكمين ثم حكى جواب قومه المحجوبين المستكبرين وذلك قولهم لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا اى لا بد من احد الامرين كان لا محالة اما اخراجكم واما عودكم الى الكفر وههنا سؤال وهو ان الكفر على الانبياء محال فكيف يتصور العود وهب ان قول الكفار ليس بحجة اليس قول شعيب حجة حيث قال ان عدنا في ملتكم واجيب بان الكلام مبني على التغليب وان شعيبا اراد عود قومه الا انه نظم نفسه في جملتهم لما ذكرنا ولعل رؤساءهم قالوا ذلك تلبيسا على العوام وشعيب اجرى كلامه على وفق ذلك كان اوله وفي العرب تخفى من هب فتوهموا انه على دينهم او اريد بالملة الشريعة التي صارت منسوخة بشرعه او يطلق العود على الابتداء كقوله وان يكن الايام احسن مرة الى فقد عادت لهن ذنوب قال شعيب في جوابهم اولو كنا كارهين الهمزة للاستفهام والواو للحال والتقدير لا نعيد ونكون في ملتكم وحال كراهيتنا ثم بانه لا يفعل ذلك فقال قد افترينا على الله كذبا ان فعلنا ذلك وذلك ان اصل الباب في النبوة والرسالة صدق اللهجة والبراءة عن الكذب و العود في ملتكم بنا في ذلك ومعنى قوله بعد اذ نجانا الله منها بعد ان علمنا قبحه وفساده ونصب الادلة على بطلانها اذ المراد مجيء قومه فيلبا والمراد على حسب زعمكم ومعتقدكم كما مر قال في الكشاف وقوله قد افترينا اخبار مقيد بالشرط وفيه وجهان احدهما ان يكون كلاما مستانفا فيه معنى التعجب كانهم قالوا ما اكذبنا على الله ان عدنا في الكفر والثاني ان يكون قسما على تقدير حذف اللام معناه والله لقد افترينا على الله كذبا وما يكون لنا اى ما ينبغي لنا وما يصح ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا قال اهل السنة في الاية دلالة على ان المنجي من الكفر هو الله تعالى وكذا المعيد اليه قال الواحدي ولم تزل الانبياء والاكابر يخافون العاقبة وانقلاب الامر الا ترى الى قول الخليل عليه السلام واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وكثيرا ما كان يقول نبينا يا مقلب القلوب والابصار ثبت قلوبنا على دينك وطاعتك وقال يوسف توفني مسلما اجابت المعتزلة بوجوه الاول ان قوله الا ان يشاء الله قضية شرطية اى من شاء يعيد وليس فيه بيان انه شاء ام ابى الثاني ان هذا على طريق التبعيد والاحالة كما يقال لا افعل ذلك الا اذا ابيض القار وشاب الغراب الثالث لعل المراد ما لو اكرهوا على العود فان اظهار الكفر عند الاكراه جائز وان كان الصبر افضل وما كان جائزا صح ان يكون مراد الله تعالى كما ان المسح على الخفين مراد الله وان كان غسل الرجلين افضل الرابع يحتمل ان يعود الضمير في فيها الى قرية كانه قال اذا اخرجتمونا من القرية حرم علينا العود فيها الا باذن الله تعالى الخامس المشية عند اهل السنة لا يوجب جواز الفعل فانه تعالى يريد الكفر من الكافر ولا يجوز فعله انما الذي يوجب الجواز هو الامر فيحتمل ان يراد بالمشية ههنا الامر فيكون التقدير الا ان يامر الله ان نعود الى شريعتكم المنسوخة فان الشرع المنسوخ لا يبعد ان يامر الله تعالى بالعمل بها مرة اخرى السادس قال الجبائي المراد من الملة الشريعة التي لا يجوز اختلاف التعبد فيها بالاوقات كالصوم والصلوة فمن الجائز ان يكون بعض احكام الشريعة المنسوخة باقيا فيكون المعنى الا ان يشاء الله بقاء بعض تلك الملة فيدلنا عليها ثم ان المعتزلة تمسكوا بالاية على صحة قولهم من وجهين احدهما ان قوله وما يكون لنا معناه لو شاء الله عودنا اليها لكان لنا ان نعود وذلك يقتضي ان كل ما شاء الله تعالى ويجوز ان يكون فعله جائزا مأذونا فيه وما كان حراما ممنوعا منه لم يكن مراد الله تعالى وثانيهما ان قوله لنخرجنك او لتعودن لا وجه للفصل بينهما فان كان العود بخلق الله كان الاخراج ايضا بخلقه قلت للسني ان يلتزم ذلك اما قوله وسع ربنا كل شيء فتوجيه تعلقه بما تقدم على قول الجبائي هو ان التكليف بحسب المصالح فيكون معنى قول شعيب الا ان يشاء الله الا ان يختلف المصلحة في تلك العبادات فيكلفناها والعلم بالمصالح لا يكون الا بان وسع كل شيء علما وقالت الاشاعرة وجه التعلق هو ان القوم لما قالوا لنخرجنك او لتعودن قال شعيب وسع ربنا كل شيء علما فربما كان في علمه قسم ثالث وهو ان يبقينا في القرية مؤمنين ويجعلكم مقهورين خاسرين ويؤكد هذا التفسير قوله عقيب ذلك على الله توكلنا اى لا على غيره وانتصاب علما على التمييز في قوله وسع بلفظ الماضي دلالة على انه تعالى كان في الازل عالما بجميع المعلومات فلا يخرج شيء عن مقتضى علمه وهو معنى جف الاقلام وطي الصحف ولزوم الاحكام وسعادة السعيد وشقاوة الشقي ويعلم من عموم كل شيء انه علم الماضي والحال والمستقبل وعلم المعدوم انه لو كان كيف يكون وهذه اقسام اربعة يقع كل منها على اربعة اوجه لانه علم الماضي كيف كان وعلم انه لو لم يكن ماضيا بل كان حالا او مستقبلا او معدوما محضا فانه كيف يكون وكذا الكلام في الاقسام الاخر فيكون المجموع ستة عشر واذا اعتبر كل منها بحسب كل جنس او نوع او صنف او شخص من الموجودات ومن الاعراض صار مبلغا يتحير فيه عقول العقلاء بل يقف دون اول مرتبة من مراتب بحاره ثم ان شعيبا لما اعرض عن الاسباب وارتقى بطريق التوكل الى مسببها ختم كلامه بالدعاء فقال ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق قال ابن عباس والحسن وقتادة والسدي احكم واقض وعن ابن عباس ما ادري معناه حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول لزوجها تعال افاتحك اى احاكمك وجوز الزجاج ان يكون معنى الاية اظهر امرنا حتى يتضح ما بيننا وبين قومنا وينكشف والمراد ان ينزل عليهم عذابا يدل على كونهم مبطلين وعلى كون شعيب وقومه محقين ثم اثنى على الله بقوله وانت خير الفاتحين كما قال وهو خير الحاكمين قالت الاشاعرة الاية فيها دلالة على ان الفتح بالخيرات وهو شرف صفات المحدثات فلو كان موجد الايمان العبد لكان خير الفاتحين هو العبد وللمعتزلة ان يقولوا لولا الطاف الله لم يوجد الداعية لم يوجد لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون اى في الدين او في الدنيا لانه يمنعكم من زيادة الاموال بطريق البخس والتطفيف فاخذتهم الرجفة قد سبق تفسيرها الذين كذبوا

شعيبا

شعيبا كان لم يغنوا فيها اى غنى القوم فى دارهم اذا طال مقامهم فيها والمغانى المنازل اذا كان بها اهلها وقال الزجاج اى كان لم يعيشوا فيها مستغنين
من الغنى الذى هو ضد الفقر على التفسير شبه حال المكذبين بحال من لم يكن قطنى تلك الديار كقوله كان لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس
ولم يسمر بمكة سامر قال فى الكشاف الذين كذبوا مبتدأ خبره كان لم يغنوا وكذلك كانوا هم الخاسرين وفى هذا الابتداء معنى الاختصاص كانه قيل
الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بان اهلكوا واستوصلوا كان لم يقيموا فى ديارهم لان الذين اتبعوا شعيبا قد انجاهم الله الذين كذبوا شعيبا
هم المخصوصون بالخسران العظيم دون اتباعه فانهم الرابحون وفى هذا الاستيناف والابتداء والتكرير مبالغة فى رد مقالة الملأ لاشياعهم وتسفيه
لرأيهم واستهزائهم بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم قلت وفى العرب قد تكون للتفخيم والتعظيم فيقول اخوك الذى ظلمنا اخوك الذى
هتك اعراضنا وايضا ان القوم لما قالوا لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون بين تعالى ان الذين لم يتبعوه وخالفوه هم الخاسرون وفى الآية فوائد
اخر منها ان ذلك العذاب انما حدث بتخليق فاعل مختار وليس ذلك بتاثير الكواكب والطبيعة والا حصل فى اتباع شعيب كما حصل فى حق الكفار
ومنها ان ذلك الفاعل عليم بالجزئيات حتى يمكنه التمييز بين المطيع والعاصى ومنها يكون معجزة لشعيب حيث وقع ذلك العذاب على قوم دون
قوم مع كونهم مجتمعين فى بلد واحد فتولى عنهم قد تقدم ان هذا التولى جاز ان يكون بعده قال الكلبى خرج من بينهم ولما اشتد حزنه على
قوم من جهة الوصلة والقرابة والمجاورة وطول الالفة ولانهم كانوا كثيرين وكان يتوقع منهم الاجابة للايمان عزى نفسه وقال فكيف آسى
على قوم كافرين لانهم الذين اهلكوا انفسهم بسبب اصرارهم على الكفر والاسى شدة الحزن وقيل المراد لقد اعذرت اليكم فى الابلاغ والنصيحة
والتحذير مما حل بكم فلم تسمعوا قولى ولم تقبلوا نصيحتى فكيف آسى عليكم لانكم لستم مستحقين لذلك التاويل ولا تبخسوا فيه الخساسة والدناءة
والحرص والظلم من الصفات التى يجب كف النفس عنها فان الله تعالى يحب معالى الامور ويبغض سفسافها ولا تفسدوا فى الارض الطينة التى جبل
الانسان عليها ولا تقعدوا بكل صراط لا تقطعوا الطريق على الطالبين بانواع الحيل والمكائد اذ كنتم قليلا فكثركم بالتناصر والتعاون فى
الامور وبكثرة العدة نعمة تامة يجب ان تصرف فى اعلاء كلمة الدين وان كان طائفة منكم اى الروح والقلب طائفة لم يؤمنوا وهم النفس
وصفاتها وهو خير الحاكمين لا يجعل الروح والقلب المؤمنين تبعا للنفس الكافرة فى العذاب وانانة المطهران او لتعودن فى ملتنا اشارة
الى ان كل جنس لا يميلون الا الى اشكالهم والاوحد بابه من ابن نهج اضرابه بعد اذ نجانا الله منها فى القسمة الازلية افتح بيننا احكم بيننا وبينهم
باظهار حقيقة ما قدرت من خاتمة الخير والطاف فاقدة من خاتمة السوء فاخذتهم الرجفة فصارت صحوتهم تبعا للمعاملة فانهم كانوا احيا الارواح فى دنيا الاشباح كان لم يغنوا فيها لان الاباطيل
زاهقة لا محالة وما ارسلنا فى قرية من نبى الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون ثم بدلنا
مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون
ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا
يكسبون افأمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون او امن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى
ع وهم يلعبون افأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد
اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون تلك القرى نقص عليك من انبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات
فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين
القراءة لفتحنا بالتشديد ابن عامر ويزيد او امن بسكون الواو ابو جعفر ونافع غير ورش وابن عامر وقرا ورش بنقل حركتها الى الساكن قبلها اولم يهد بالنون
حيث كان زيد عن يعقوب الباقون بالياء التحتانية رسلهم بسكون السين حيث كان ابو عمرو الوقوف يضرعون لا يشعرون ه يكسبون نائمون ط من
قرأ او امن بفتح الواو على ان الهمزة للاستفهام ومن سكن الواو فلا وقف لان او للعطف يلعبون مكر الله ج للفصل بين الاخبار والاستخبار مع ان الفاء
للتعقيب الخاسرون بذنوبهم ج للفصل بين الماضى والمستقبل وتقدير ونحن نطبع مع اتحاد القصة لا يسمعون من انبائها ج لعطف المختلفين
بالبينات ج لان ضمير فما كانوا ليؤمنوا لاهل مكة وضمير جاءتهم للامم الماضية مع ان الفاء توجب الاتصال من قبل ط الكافرين من عهد ج لعطف
الجملتين لفاسقين التفسير انه سبحانه لما عرفنا احوال هؤلاء الانبياء وما جرى على اممهم ذكر ما يدل على ان هذا الجنس من الهلاك قد فعله بغيرهم

وليس مقصورا عليهم وبين العلة التى لاجلها فعل بهم ما فعل والقرية مجتمع القوم فتشمل المدينة ايضا وتقدير الكلام وما ارسلنا فى قرية من نبى فكذبه
اهلها الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء قال الزجاج البأساء الشدة فى الاموال والضراء الامراض فى الابدان وقيل بالعكس لعلهم يضرعون اى
يتضرعون فادغم التاء فى الضاد والمعنى ليحطوا اردية التعزز والاستكبار ويبتغوا نهايتهم ثم بين ثم تدبيره فى اهل القرى لا يجرى على نمط واحد فقال
ثم بدلنا مكان السيئة وهى كل ما يسوء صاحبه الحسنة وهى ما يستحسنه الطبع والعقل اى اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من الفقر والضر السعة والصحة
حتى عفوا كثروا ونموا فى انفسهم واموالهم من قولهم عفى النبات والشعر ويرد منه قوله صلى الله عليه وسلم واعفوا اللحى وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء كما
هو داب الاشرين يقولون هذه عادة الدهر فى اهله يوم محنة ويوم منحة والمراد انهم لم ينتفعوا البتة بما الله تعالى فيهم من رخاء بعد شدة وامن
بعد خوف وراحة بعد عناء فاخذناهم بغتة امن ما كانوا عليه ليكون ذلك اعظم فى الحسرة وهم لا يشعرون بنزول العذاب والحكمة فى جميع
هذه الحكايات اعتبار من سمعها ووعاها وتعريف ان العصيان سبب الحرمان عن الخيرات وسد لجميع ابواب السعادات ولهذا قال ولو ان اهل القرى
اى جنسها او القرى المذكورة فى قوله وما ارسلنا فى قرية آمنوا بما يجب به الايمان فى باب المبدأ والمعاد واتقوا كل ما نهى الله عنه لفتحنا عليهم بركات
من السماء والارض اى لآتيناهم بالخير من كل وجه وارادوا القطر والنبات والمراد بفتح البركات عليهم تيسرها اسباب النجاح كقولهم فتحت على القارى اذا يسرت
القراءة عليه بالتلقين ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم بغتة والاية بينهما اعتراض والتقدير بعد ذلك من اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وامنوا
ان يأتيهم بأسنا ضحى فلهذا عطف الثانية بالواو واما قوله افأمنوا مكر الله فتكرير لقوله افأمن اهل القرى فلهذا رجع فعطف بالفاء قلت يجوز
ان يقدر المعطوف عليه بعد الهمزة والمعنى اضلوا ما فعلوا فأمن واما من قرأ او ساكنة فمعناه اما احد الشيئين ويرجع المعنى الى قولنا فامنوا احد هذه
العقوبات واما الاضراب كما تقول انا اخرج تقول او اقيم على ان المراد هو الاضراب عن الخروج واثبات الاقامة اى لا بل اقيم ومعنى بياتا قد تقدم فى
اول السورة وضحى نصب على الظرف قال الجوهرى ضحوة النهار بعد طلوع الشمس ثم بعده الضحى وهو حين تشرق الشمس مقصورة وتذكر على انه
المقر كصرد لان ذلك كاللعب فى انه يضر ولا ينفع ومكر الله تقدم فى آل عمران بعد الاستدراج او سمى جزاء المكر مكرا عن الربيع بن خثيم ان ابنته قالت له ما لى ارى الناس ينامون ولا اراك تنام قال يا بنتاه ان اباك يخاف البيات يعنى المذكور فى الاية اللهم اجعلنا من الخائفين العاقلين لا من عذاب
الامنين الغافلين ثم لما بين حال المهلكين مفصلا ومجملا ذكر ان الغرض من القصص حصول العبرة للباقين فقال اولم يهد من قرأ بالياء فقاعله
ان لو نشاء والمعنى اولم يهد الذين يخلفون اولئك المتقدمين فيرثون ارضهم وديارهم هذا الشان وهو انا لو نشاء اصبناهم بذنوبهم اى بعقابها
كما اصبناهم من قبلهم ومن قرأ بالنون فقوله ان لو نشاء منصوب بالهداية لمعنى لنبين على القراءتين على القراءة الاولى محذوف والتقدير او لم
يكشف لهم الحال والشان المذكور واما قوله ونطبع على قلوبهم فاما ان يكون منقطعا عما قبله بمعنى ونحن نطبع واما ان يكون متصلا بما قبله قال
فى الكشاف وذلك هو يرثون او ما دل عليه معنى اولم يهد كانه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع قال لا يجوز ان يكون معطوفا على اصبناهم وطبعنا
لان القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم فيجرى مجرى تحصيل الحاصل ولقائل ان يقول لا يلزم من المذكور وهو كونهم مذنبين ان يكونوا مطبوعين
فالقرف لذنوب غير الطبع لانه يذنب ويتوب ولا او يكفر ثم يستمر على ذلك فيصير مطبوعا على قلبه وايضا جاز ان يراد لو شئنا لزدنا فى طبعهم او لادمناه والله
سبحانه اعلم بمراده ثم اخبر عن الاقوام المذكورين تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم فقال تلك القرى وهى مبتدأ وخبر وقوله نقص الحال والعامل معنى اسم
الاشارة او خبر بعد خبر او القرى صفة لتلك ونقص خبر وفائدة الاخبار على هذا التقدير ظاهرة واما على الاولين فيرجع الفائدة الى الحال و
الخبر الثانى كما ترجع الى الصفة فى قولك هو الرجل الكريم والحاصل ان تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض انبائها وطالما انباء غيرها لم نقصها
عليك وايضا خصصنا تلك القرى بقصص بعض انبائها لانهم اغتروا بطول الامهال مع كثرة النعم وكانوا اقرب الامم الى العرب فذكرنا احوالهم ليتنبها
على الاحتراز عن مثل اعمالهم ثم عزى رسوله بقوله ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل اللام لتاكيد النفى
وان الايمان كان منافيا لحالهم قال ابن عباس والسدى فما كان اولئك الكفار ليؤمنوا عند ارسال الرسل بسبب تكذيبهم يوم اخذ ميثاقهم حين
اخرجهم من ظهر آدم اقروا باللسان كرها واضمروا التكذيب قال الزجاج ما كانوا ليؤمنوا بعد رؤية المعجزات بما كذبوا به من قبل رؤية تلك المعجزات
وعن مجاهد فما كانوا ليؤمنوا لو احييناهم بعد الاهلاك ورددناهم الى دار التكليف بما كذبوا من قبل كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل
فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بما كذبوا من قبل مجيئهم وقيل ما كانوا ليؤمنوا فى الزمان المستقبل بما كذبوا به فى الزمان الماضى اى استمروا على التكذيب
من لدن مجيء الرسل الى ان ماتوا مصرين لم ينجع فيهم تكرير المواعظ وتتابع الآيات كذلك اى مثل ذلك الطبع الشديد يطبع الله على قلوب الكافرين
الذين كتب ان لا يؤمنوا ابدا والطبع والختم والرين والكنان والغشاوة والصد والمنع واحد كما سلف قال الجبائى هو ان يسم الكفار بسمات و
علامات يعرف الملائكة بها ان صاحبها لا يؤمن وقال الكعبى انما اضاف الطبع الى نفسه لاجل ان القوم انما صاروا الى ذلك الكفر عند امره وامتحانه
فهو كقوله تعالى فلم يزدهم دعائى الا فرارا ثم شرح حال المعذبين فقال وما وجدنا لاكثرهم من عهد والضمير للناس على الاطلاق قال ابن عباس
يعنى بالعهد قوله للذر الست بربكم قالوا بلى ثم خالفوا وعن ابن مسعود هو الايمان كقوله الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يعنى من قال لا اله الا الله
وقيل العهد عبارة عن الادلة الدالة على التوحيد والنبوة والمراد الوفاء بالعهد وان وجدنا هى المخففة من الثقيلة اعملت فى ضمير شان مقدر

والتقدير والحديث علمنا اكثرهم فاسقين خارجين من الطاعة والآية اعتراض ويحتمل ان يعود الضمير الى الامم المذكورين كانوا اذا عاهدوا الله في ضر ومخافة لئن انجيتنا لنؤمنن نكثوه بعد كشف الضر التأويل الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء الولى يتضرع اليه عند البلاء ويتوكل عليه والعدو يذهل عن الحق ولا يرجع اليه ولو ان اهل القرى يعني صفات النفس امنوا بما يرد الى صفات القلب الروح من الطاف الحق واتقوا مشابهات النفس لفتحنا عليهم اسباب العواطف من سماء الروح وارض القلب فاخذناهم عاقبناهم بعذاب البعد بما كسبوا من مخالفات الحق وعلى موافقات الطبع بياتا في صورة القهر ضحى في صورة اللطف بسطوات الجذبات وهم يلعبون يشتغلون بالدنيا الا القوم الخاسرون من اهل القهر هم الذين خسروا سعادة الدارين ومن اهل اللطف هم الذين خسروا الدنيا والعقبى وربحوا المولى اولئك لهم الامن وهم مهتدون

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ

وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ

مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ

فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ع

يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُوكَ

بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ

قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ

وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا

كَانُوا يَعْمَلُونَ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَىٰ وَ

هَارُونَ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ

تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ وَ

مَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ

القراءة حقيق علي بالتشديد نافع الباقون بالتخفيف مع فتح الياء حيث كان حفص ارجه باسكان الهاء الضم حمزة وعاصم غير المفضل رجه بكسر الجيم والهاء من غير اشباع يزيد وقالون وعلي وعباس وخلف والمفضل ارجئه بالهمزة ابو عمرو وغير عباس وسهل ويعقوب وابن الاخرم عن ابن ذكوان وهشام غير الحلواني ارجهو بالاشباع ابن كثير والحلواني عن هشام ارجئه بكسر الهاء ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان سحار بالمبالغة حمزة وعلي وخلف وكذلك في يونس وقرأ قتيبة ونصير والدوري وحمزة في رواية ابن سعدان وابي عمرو بالامالة الباقون ساحر ان لنا بحذف همزة الاستفهام ابن كثير وابو جعفر ونافع وحفص أان لنا باثبات همزة الاستفهام عاصم غير حفص وحمزة وعلي وخلف وابن عامر هشام يدخل بينهما مدة وقلب الهمزة ياء ابو عمرو ويزيد ابن بالياء ولا مدة سهل ويعقوب غير زيد تلقف بالتخفيف حيث كان حفص والمفضل هي تلقف بالتشديد وادغام التاء الاولى في الثانية البزي وابن فليح الباقون بتشديد القاف وحذف تاء التفعل امنتم بزيادة همزة الاستفهام بهمزة واحدة ممدودة حفص ابن زيادة همزة الاستفهام حمزة وعلي وخلف وعاصم سوى حفص امنتم بالمد وتليين الهمزة ابو جعفر ونافع وابن عامر وابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير غير الهاشمي وابن مجاهد وابي عون عن قنبل فرعون وامنتم بالواو والخالص الهاشمي عن قنبل وامنتم بالواو وتحقيق الهمزة الاولى ابن مجاهد وابو عون

ارجه بالاشباع غير قالون

والمهتدي عن قنبل الوقوف فظلموا بها ج للفصل بين الخبر والطلب مع العطف بالفاء المفسدين العالمين ج وقفا على بالتشديد اي واجب علي ومن قرأ مخففا جاز الوصل على جعل حقيق وصفا لرسول وعلى بمعنى الباء الا الحق ط بني اسرائيل ط الصادقين مبين ج للفصل بين الجملتين والوصل اجوز للجمع بين الجنسين للناظرين عليم لا لان ما بعده وصف لساحر من ارضكم ج لاحتمال ان بعده من تمام قول الملأ لفرعون والجمع للتعظيم او له ولعظماء حضرته وان يكون ابتداء جواب من فرعون اي فاذا تشيرون تأمرون حاشرين لا لان ما بعده جواب الامر عليم الغالبين المقربين الملقين القوا ج للعطف عظيم عصاك ج لحق المحذوف لان التقدير فالقاها فاذا هي ما يأفكون يعملون صاغرين لكان حروف العطف ساجدين لا لاحتمال كون قالوا حالا باضمار قد العالمين لا للبدل وهرون لان لكم للابتداء مع اتحاد القائل اهلها لان سوف للتهديد مع العطف تعلمون اجمعين منقلبون ط للآية مع القول جاءتنا للعدول عن المخاطبة الى المناجاة المسلمين التفسير القصة السادسة من قصص هذه السورة قصة موسى وقد ذكر في هذه القصة من البسط والتفصيل ما لم يذكر في غيرها لان جهل قوم اعظم وافحش من جهل سائر الاقوام ولهذا كانت معجزات متقدمة من الانبياء والضمير في قوله ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ يعود الى رسل الامم المذكورين وفي قوله بآياتنا دلالة على كثرة معجزاته وان النبي لا بد له من آية ومعجزة بها يمتاز عن المتنبي فظلموا بها اي بتلك الآيات والمراد كفرهم بها لان وضع الانكار في موضع الاقرار وايراد الكفر بدل الايمان وضع الشيء في غير موضعه او فظلموا الناس بسببها حين اوعدوهم وصدوهم عنها واذوا من آمن بها فانظر ايها المعتبر المستبصر بعين بصيرتك كيف كان عاقبة المفسدين كيف فعلنا بهم وهذا اجمال ثم شرع في تفصيلها وذلك قوله وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين اي اله قادر عليم حكيم وفيه ان العالم موصوف بصفات لاجلها افتقر الى رب يربيه حقيق على ان لا اقول من قرأ بالتشديد فحقيق اما بمعنى فاعل اي واجب علي ترك القول على الله الا الحق او بمعنى مفعول اي حق علي ذلك تقول العرب انت محقوق على ان افعل خيرا واما قراءة العامة فحقيق على مسألة الباء وفيه وجوه احدها ان يكون على بمعنى الباء كقولهم جئت على حال حسنة وبحال حسنة قال الاخفش وهذا كما قال ولا تقعدوا بكل صراط اي على كل صراط ويؤكد هذا الوجه قراءة ابي حقيق بان لا اقول اي انا خليق بذلك وثانيها ان الحق هو الدائم الثابت والحقيق مبالغة فيه وكل ما لزمك فقد لزمته وكان المعنى انا ثابت مستمر على ان لا اقول الا بالحق وثالثها ان يضمن حقيق معنى حريص ورابعها ان يكون من القلب الذي يشجع عليه امن الالتباس فيؤول المعنى الى قراءة نافع وخامسها ان يكون اغراقا في الوصف ومبالغة بالصدق والمراد انا حقيق على قول الحق اي اجب عليه ان اكون انا قائله والقائم به ولا يرضى الا بمثلي ناطقا به وسادسها ان يكون على هذه هي التي تقرن بالاوصاف اللازمة الاصلية كقوله تعالى فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ويقال جاءني فلان على هيئته وعلى عادته وعرفته وتحققته على كذا او كذا من الصفات فمعنى الآية انا احق لا على قول الحق ولما كان ظهور المعجز على وفق الدعوى لا لاله القادر المختار وعلى تصديق الرسول جميعا قال قد جئتكم ببينة من ربكم اي بمعجزة قاهرة باهرة منه ثم فرع عليه تبليغ الحكم وهو قوله فارسل معي بني اسرائيل اي اطلقهم وخل سبيلهم حتى يذهبوا معي راجعين الى الارض المقدسة التي هي وطنهم ومولد آبائهم وذلك ان يوسف عليه السلام لما توفي وانقرضت الاسباط غلب فرعون نسلهم واستعبدهم واستخدمهم في الاعمال الشاقة قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين فيه سؤال لان احدهما لفظ وهو ان ههنا شرطين فاين جوابهما والجواب ان المؤخر في اللفظ مقدم في المعنى نظيره قول القائل ان دخلت الدار فانت طالق ان كلمت زيدا وثانيهما ان قوله ان كنت جئت بآية وقوله فأت بها كلاهما واحد في المعنى فكيف يفيد تعليق احدهما بالآخر وجوابه المنع اذ المراد ان كنت جئت من عند من ارسلك بآية فاحضرها لتصح دعواك ثم ان فرعون لما طالب موسى باقامة البينة الدالة على وجود الرب وعلى صحة نبوته قلب العصا ثعبانا واظهر اليد البيضاء وذلك قوله سبحانه فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ومعنى كون الثعبان مبينا ان امره ظاهر لا شك في انه ثعبان ليس مما جاءت به السحرة من التمويهات وانما هو من قبيل المعجزات او المراد انه ابان قول المدعي الكاذب والثعبان في اللغة الحية الضخم الذكر روي انه كان اشقر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض ولحيه الاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون ليأخذه فوثب فرعون من سريره وهرب واخذه البطن يومئذ اربعمائة مرة وكان لم يره منه الحدث قبل ذلك وهرب الناس وانهزموا ومات منهم خمسة وعشرون الفا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى خذه وانا اؤمن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه موسى فعاد عصا والنزع في اللغة القلع والاخراج اي اخرجها من جيبه او من جناحه بدليل قوله في مواضع اخر وادخل يدك في جيبك تخرج روي انه اري فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها في جيبه وعليه مدرعة صوف ثم نزعها فاذا هي بيضاء نورانية غلب شعاعها الشمس وكان موسى عليه السلام آدم شديد الادمة وقوله للناظرين يتعلق ببيضاء فانها لا يكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضها عجيبا خارجا من العادة اجتمع الناس للنظر اليه كما يجتمعون للعجائب واعلم ان القول بجواز انقلاب العادات عن مجاريها مقام صعب مشكل ولهذا اضطربت اقوال العلماء فيه فالاشاعرة جوزوا ذلك على الاطلاق بناء على القول بالفاعل المختار فجوزوا في الانسان وسائر انواع الحيوان ان يتولد دفعة واحدة من غير سابقة مادة ومدة وجوزوا في الجوهر الفرد ان يكون حيا عالما قادرا قاهرا من غير حصول بنية ولا مزاج وجوزوا في الاعمى الذي بالاندلس ان يبصر في ظلمة الليل البقة التي تكون باقصى المشرق وفي سليم البصر ان لا يرى الشمس في كبد السماء من غير حائل والمعتزلة جوزوا انخراق العادات في بعض

معجزات انبياء موسى ع

قول موسى ع

وصا حوادث على الناس ع

الصور دون بعض من غير ضابط ولا قانون الملهم الآن بحال على الشرع والطبيعيون المتفلسفون انكروا ذلك على الاطلاق وزعموا انه لا يجوز
حدوث الاشيا ودخولها في الوجود الا على هذا الوجه المخصوص والطريق المعين والا لزم فتح باب الجهالات فانه اذا جاز ان ينقلب العصا
ثعبانا جاز في الشخص الذي شاهدناه كموسى وعيسى ومحمد مثلا انه ليس هو الشخص الاول وهذا يوجب القدح في النبوة والرسالة فان زعم
زاعم ان هذه الامور يختص بزمان دعوة الانبيا قلنا المخصص في ذلك الزمان لا يعرف الا بدليل غامض وكل من لا يقف على ذلك الدليل يقع
في تيه الاشكال والضلال مع ان زمان جواز الكرامات لا ينقرض عندكم ابدا فلا ينقضي التجويز سرمدا هذا وانما جمع بين العصا واليد مع ان
المعجز الواحد كاف لان كثرة الدلائل يوجب مزيد اليقين قال بعض المحققين هما شيء واحد والمراد ان حجة موسى كانت قوية ظاهرة من حيث
ان الحجة ابطلت اقوال المخالفين كانت كالثعبان الذي يلقف ما يافكون ومن حيث انها كانت باهرة ظاهرة في نفسها وصفت باليد البيضا كما يقال
لفلان يد بيضا في الامر الفلاني اي قوة كاملة ومرتبة ظاهرة والتحقيق ان انقلاب العصا وغير ذلك الامور ممكنة في ذواتها لان الاجسام متماثلة
في الجسمية فكل ما صح على شيء صح على مثله والله سبحانه قادر على كل الممكنات فكل ما ثبت وقوعه بالتواتر وجب قبوله من غير تاويل ودفع ثم ان السحر كان
غالبا في ذلك الزمان وكانت السحرة متفاوتين في ذلك فزعم اتباع فرعون ان موسى لكونه في النهاية من علم السحر اتى بتلك الصفة وانه كان يطلب
بذلك الملك والرياسة وذلك قوله سبحانه قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم ولا ينافي هذا ما حكى الله تعالى في
سورة الشعراء انه قال ذلك فرعون فانه يحتمل صدور هذا القول في تلك الحالة منه ومنهم او لعل فرعون قاله ابتداء فتلقفه الملأ منه فقالوه لغيرهم
او قالوا عنه لسائر على طريق التبليغ فان الملوك اذا راوا رايا ذكروه للخاصة وهم يذكرونه للعامة والاظهر ان قوله فماذا تامرون من كلام فرعون
اما لان الامر لا يجوز ان يكون من الادنى للاعلى او لانه من قولهم امرته فامرني بكذا اذا شاورته فاشار عليك براي ولهذا فان الملأ قالوا في
جوابه ارجه واخاه اي اخر امره وامر اخيه ولا تعجل بقضا في شانهما لتبصر حالهما مجتهد عليك قال الجوهري ارجئت الامر اخرته وعن الكلبي
وقتادة ان المعنى احبسه وزيف بانه خلاف اللغة الا ان يوجه بان الحبس نوع من التاخير في امره وبان فرعون ما كان يظن انه قادر على حبس موسى بعد
مشاهدة حال العصا وارسل في المداين المدينة فعيلة من مدن بالمكان يمدن مدونا اذا اقام به ولهذا اطبق القراء على همز مداين لانه كصحايف
قيل انها مفعلة من دنت اي ملكت وكان هذا القائل لا يهمز مداين وقال المبرد اصلها مديونة من دانه اذا قهره وساسه فعل بها ما فعل بمخيط ومبيع
في مبيوع ولعل المراد مداين الارض كلها ولكن المقصود مداين صعيد مصر وقال ابن عباس وكان روسا السحرة باقصى مداين الصعيد حاشرين
جامعين ياتوك بكل سحار الباء بمعنى مع او للتعدية قيل كانوا سبعين ساحرا سوى رئيسهم وقيل بضعة وثلثين الفا وقيل سبعين الفا وقيل ثمانين
الفا وقيل كان يعلمهم مجوسيان من اهل نينوى قرية بقرب الموصل وضعف بان المجوس من اتباع زرادشت وهو انما جاء بعد موسى
وفي الاية دلالة على كثرة السحرة في ذلك الزمان ولهذا كانت معجزة موسى شبيهة بالسحر وان كان مخالفا له في الحقيقة كما ان الطب لما كان غالبا على
اهل زمن عيسى كان معجزته من جنس ذلك كابراء الاكمه والابرص واحيا الموتى وكانت الفصاحة غالبة في عصر نبينا صلى الله عليه وسلم فلا جرم كانت معجزته العظمى
وهي القران من جنس الفصاحة وتحقيق السحر وسائر ما يتعلق به قد مر في سورة البقرة فليتذكر وجاء السحرة فرعون قالوا لم يقل فقالوا بناء الكلام
على سوال مقدر كان سائلا سئل ما قالوا اذا جاءوه فاجيب قالوا ان لنا لاجرا اي جعلا على الغلبة والتنكير للتعظيم كقول العرب ان له لابلا وان له
لغنما يقصد الكثرة قال نعم ان لكم اجرا وانكم لمن المقربين اراد اني لا اقتصر لكم على الثواب بل لكم مع ذلك ما يقل معه الثواب وهو التقريب والتكريم
لان الثواب انما يهنا اذا كان مقرونا بالتعظيم روي انه قال لهم تكونون اول من يدخل واخر من يخرج وروي انه دعا برؤسا السحرة فقال لهم ما صنعتم
قالوا قد عملنا سحرا لا يطيقه سحرة اهل الارض الا ان يكون امرا من السما فانه لا طاقة لنا به وفي الاية اشارة الى ان اهل السحر ليسوا قادرين على قلب
الاعيان والا فلقلبوا الحجر ذهبا بل قلبوا ملك فرعون الى انفسهم ولم يطلبوا منه الاجر فعلى العاقل ان لا يغتر بالكاذبين ومزخرفاتهم ثم ان السحرة راعوا
حسن الادب فخيروا موسى اولا وقدموه في الذكر ثانيا حيث قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين كما هو داب المناظرين والمتصارعين
مع ان في قولهم واما ان نكون نحن ما يدل على رغبتهم في ان يلقوا قبله من تاكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر او من جهة تعريف الخبر
واقحام الفصل قال الفراء قد جمع بين اما وان في هذه الاية بخلاف قوله اما يعذبهم واما يتوب عليهم لان الفعل ههنا في موضع امر بالاختيار
اعني في موضع نصب كقول القائل اختر ذا او ذا كانهم قالوا اختر ان تلقي بخلاف تلك الاية فان الامر لا يصلح هناك قال موسى للسحرة القوا ما ارغبوا
فيه ازدراء بشانهم وتلقيا لا الاثم وثقة بان الامر الالهي يغلب لن يغلب فان قيل ان القاءهم الحبال والعصي معارضة المعجز بالسحر وذلك كفر والامر
بالكفر كفر فالجواب من وجوه احدها انه انما امرهم بشرط ان يعلموا ان في فعلهم ان يكون حقا فاذا لم يكن كذلك فلا امر البتة كقول القائل اسقني الماء من
الجرة فهذا انما يكون امرا بشرط حصول الماء في الجرة والثاني ان موسى علم انهم جاؤا لذلك فلا بد ان يفعلوه ودفع النزاع في التقديم والتاخير الثالث
انه اذن لهم في الاتيان بذلك السحر ليتمكن من الاقدام على ابطاله كمن يريد سماع شبهة ملحد ليجيب عنها ويكشف عن ضعفها يقول له هات وقل
ومراده ان يجيب عنها ويبين لكل احد ضعفها وسقوطها فلما القوا سحروا اعين الناس قال القاضي لو كان السحر حقا لكانوا قد سحروا قلوبهم لا اعينهم
فثبت انهم خيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه وقال الواحدي بل المراد انهم غلبوا الاعين عن صحة ادراكها بسبب تلك التمويهات وروي انهم اتوا بالحبال

بالزيبق وجعلوا الزيبق في داخل العصي فلما اثر تسخين الشمس فيها تحركت والتوى بعضها على بعض فخيل الى الناس انها تسعى واسترهبوهم اي رهبوهم
والسين زائدة كانهم استدعوا رهبتهم وقال الزجاج اشتدت رهبة الناس بعثوا جماعة ينادون عند القاء ذلك ايها الناس احذروا فذلك هو
الاسترهاب وجاءوا بسحر عظيم كما زعموا ان ذلك سحر لا يطيقه سحرة الارض عن ابن عباس انه خيل الى موسى ان حبالهم وعصيهم حيات مثل عصا موسى
فاوحى الله عز وجل اليه ان الق عصاك وفي رواية الواحدي عنه ان المراد بالوحي ههنا الالهام والالقاء اخبار والتقدير فالقاها فاذا هي تلقف قال الجوهري لقفت
الشيء بالكسر القفه وتلقفته ايضا تناولته بسرعة وما في ما يافكون موصولة او مصدرية بمعنى ما يافكونه اي يقلبونه عن الحق الى الباطل ويزورونه
وافكهم تسمية للمافوك بالافك قال المفسرون لما القى موسى العصا صارت حية عظيمة حتى الافق ثم فتحت فاها ثمانين ذراعا وابتلعت ما القوا من
حبالهم وعصيهم فلما اخذها موسى صارت عصا كما كانت من غير تفاوت في الحجم والمقدار اصلا فلعل الله سبحانه اعدم بقدرته تلك الاجرام
العظيمة او فرقها اجزاء لطيفة ثم قال سبحانه وتعالى فوقع الحق قال مجاهد والحسن وقال القاضي معناه قوة الظهور بحيث لا يصح في الواقع ان يغير
لا وانفعل مع ثبوت هذا الحق زالت الاعيان التي افكوها وهي تلك الحبال والعصي وذلك قوله وبطل ما كانوا يعملون اي الذي عملوا
فغلبوا هنالك اي حين التحدي وانقلبوا صاغرين لانه لا ذل ولا صغار اعظم في حق المبطل من دحوض حجته روي ان تلك الحبال والعصي كانت
حمل ثلثمائة بعير فلما ابتلعها ثعبان موسى وصارت عصا كما كانت قال بعض السحرة لبعض هذا خارج عن حد السحر وانما هو امر الهي قال المحققون انهم
لاجل كمالهم في علم السحر ميزوا السحر عن غيره فانتقلوا ببركة ذلك من الكفر الى الايمان فما ظنك بالانسان الكامل في علم التوحيد والشريعة و
الحكمة وفي قوله والقي السحرة ساجدين دليل على ان ملقيا القاهم وما ذاك الا الله سبحانه الموجد للدواعي والقدر وقال الاخفش من سرعة
ما سجدوا صاروا كانه القاهم غيرهم لانهم لم يتمالكوا ان وقعوا ساجدين قال بعض العلماء الايمان مقدم على السجود فكيف نقل عنهم انهم سجدوا ثم
قالوا امنا برب العالمين واجيب بانه لا يبعد انهم عند الذهاب الى السجود قالوا ذلك او انهم لما ظفروا بالمعرفة سجدوا لله في الحال شكرا على الفوز
بذلك واظهارا للخشوع والتذلل واقرارا بالايمان بعد التصديق بالجنان قال المفسرون لما قالوا امنا برب العالمين قال فرعون اياي يعنون
فلما قالوا رب موسى قال اياي يعنون لاني انا الذي ربيته فلما زادوا وهرون زالت الشبهة وعرف الكل انهم امنوا باله السما وكفروا بفرعون
وقيل افردا بالذكر من جملة العالمين ليعلم ان الداعي الى ايمانهم هو موسى وهرون وقيل خصا بالذكر تعظيما وتشريفا ثم ان فرعون لما راى ان اعلم
الناس بالسحر اقر بنبوة موسى بمحضر جمع عظيم خاف ان يصير ذلك حجة عليه عند قومه فالقى في الحال شبهة في البين جدا وانكر عليهم ايمانهم اما
الانكار فذلك قوله امنتم له من لم يدخل حرف الاستفهام ظن انه اخبار توبيخا اي فعلتم هذا الفعل الشنيع ومن قرا بحرف الاستفهام فمعناه الاستبعاد
والانكار وفي قوله قبل ان اذن لكم دلالة على مناقضة فرعون في دعاية الالهية لانه لو كان الها لما جاز ان ياذن لهم في ان يومنوا بغيره وهذا
من جملة الخذلان والدحوض الذي يظهر على المبطلين واما الشبهة فقوله ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها اي هذه حيلة
احتلتموها انتم وموسى وتواطاتم عليها لغرض لكم وهو ان تخرجوا القبط وتسكنوا بني اسرائيل وروى محمد بن جرير عن السدي في حديث ابن
عباس وابن مسعود وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم ان موسى وامير السحرة التقيا فقال له موسى ارايتك ان غلبتك اتومن بي وتشهد ان ما جئت به
حق فقال الساحر لاتين غدا بسحر لا يغلبه سحر وان غلبتني لاومنن بك وفرعون ينظر اليهما ويسمع فلذلك زعم التواطؤ فسوف تعلمون وعيد
اجمال وتفصيله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اي من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين واختلف المفسرون هل وقع ذلك منه ام لا فمن
قائل لم يقع لانهم سألوا ربهم ان يتوفاهم من جهته لا بهذا القتل والقطع ومن قائل وقع هو الاظهر وعليه الاكثر ومنهم ابن عباس لانه حكى عن الملأ
انهم قالوا لفرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ولو انه ترك اولئك السحرة لذكروهم ايضا وحذروه اياهم ولانهم قالوا ربنا افرغ
علينا صبرا والصبر لا يطلب الا عند نزول البلاء وقد يجاب عن الاول بانهم داخلون تحت قوله وقومه وعن الثاني بانهم طلبوا الصبر على
الايمان والثبات عليه وعدم الالتفات الى وعيده وعن قتادة كانوا اول النهار كفارا سحرة وفي اخره شهداء بررة ثم حكى عن القوم انهم قالوا
عند الوعيد انا الى ربنا منقلبون اي نحن لا نبالي بالموت لانا ننقلب الى لقاء ربنا ونخلص منك وننقلب الى الله يوم الجزاء فيثيبنا على شدائد
القطع والصلب او انا جميعا يعنون انفسهم وفرعون نرجع الى الله فيحكم بيننا او انا لا محالة ميتون فما يقدر ان يفعل بنا الا ما لا بد لنا منه وما
تنقم منا قال ابن عباس ما اتينا بذنب تعذبنا عليه وما تعيب منا الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا وهي المعجزات الظاهرة التي لا يقدر على مثلها
الا الله تعالى وهذا من باب تاكيد المدح بما يشبه الذم كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ثم لجاوا الى الدعا كما هو
داب الصديقين حين نزول البلا فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا افض علينا سجال الثبات على متابعة الدين او على ما توعدنا به فرعون وتوفنا
مسلمين ثابتين على الدين الذي جاء به موسى اخبروا عن ايمانهم اولا وسألوا التوفي على الاسلام ثانيا فيمكن ان يستدل بذلك على ان الايمان
والاسلام واحد واحتجت الاشاعرة بالاية على ان الايمان والاسلام بخلق الله تعالى والا لم يطلبوا ذلك منه والمعتزلة يحملون امثال ذلك
على منح الالطاف واعلم ان بين القصة في هذه السورة على الاختصار وفي الشعراء على التطويل فلهذا قيل هناك يريد ان يخرجكم من ارضكم
بسحره وانكم اذا لمن المقربين قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون فلسوف تعلمون وفي كل ذلك زيادة واما قوله ههنا وارسل في المداين

وهنالك وابعث فلان الارسال يفيد معنى البعث مع العلو فخص هذه السورة بذلك ليعلم ان المخاطب فرعون دون غيره وانما قال ههنا امنتم به وفي طه والشعراء امنتم له باللام لان الضمير في هذه يعود الى رب العالمين وفي السورتين الى موسى وقيل امنتم به واحد وقال ههنا لاصلبنكم لانه لما افاد الترتيب كان العطف لمطلق كافيا وكثير من متشابهات هذه السور الثلث يعود الى رعاية الفواصل فتنبه التاويل فظلموا بها بان جعلوها سحرا فوضعوها في غير موضعها عاقبة المفسدين الذين افسدوا الاستعداد بالركون الى الدنيا ولذاتها حقيق على ان لا اقول لاني قائم بحقائق الجمع فان عن الخلق واثار التفرقة فاذا هي ثعبان لانه اضاف العصا الى نفسه في قوله هي عصاي ويعلم منه ان كل شيء اضفته الى نفسك وجعلته حاجاتك فانه ثعبان يبتلعك ولهذا قيل القها يا موسى فاذا هي بيضاء فيه الايد قبل تعلقها بالاشياء كانت بيضاء نقية نورانية لو روحانية لموسى كانت روحانية في جميع الاوقات ولكن ما كانت نورانيتها منظورة للناظرين الا باظهار الله تعالى في بعض الاوقات خرق للعادات على يد الجسمانية يريد ان يخرجكم لاشك ان موسى اراد ان يخرجهم من ارضهم ولكن من ارض بشريتهم الى النور الروحانية توهموا ان التاخير وحسن التدبير يغير شيئا من التقدير ولم يعلموا ان عند حلول الحكم لا سلطان للعلم والفهم ان لنا لاجرا لم يعلموا ان اجرهم في المغلوبية لا في الغالبية قال نعم وانكم لمن المقربين اجرى الله تعالى على هذا لسان فرعون حقا وصدقا فصاروا مقربين عند الله قالوا يا موسى اما ان تلقي اكرموا موسى بالتقديم والاستيذان فاكرمهم الله تعالى بالسجود والايمان بسحر عظيم اي عظيم في الاثم كما قال سبحانك هذا بهتان عظيم في الاثم كما قال سبحانك هذا بهتان عظيم وعظم اثم السحر لمعارضة المعجزة فاذا هي تلقف ما يافكون فيه ان عصا الذكر اذا القيتها عند القاء سحرة صفات النفس يبتلع بفم لا النفي جميع ما سحروا اعين الناس فوقع الحق باثبات الى الله وبطل ما كانوا يعملون من تزيين زخارف الدنيا في العيون فغلبوا اي سحرة صفات النفس بنور الذكر وانقلبوا صاغرين ذليلين تحت ولم الشرع ونواهيه والقي السحرة ساجدين اي صارت صفات النفس بعد التمرد منقادة للعبودية رب موسى الروح وهرون القلب اعلم ان صفات النفس اذا تنورت بنور الذكر تبدل كفرها بالايمان ولكن النفس بذاتها لا تؤمن ولا تتبدل اللهم الا عند غرقها في الواردات والمواهب الربانية كحال فرعون وايمانه عند الغرق وفي القصة دلالة على انه تعالى قد يبرز العدو في صورة الولي مثل بلعام وبالعكس كالسحرة قبل ان اذن لكم هذا من جملة جهل فرعون ظن ان الايمان باذن الله لمكر مكرتموه في موافقة موسى الروح في مدينة القالب لتخرجوا منها اهلها وهو اللذات والشهوات البدنية لاقطعن بسكين التسويل عن الاعمال الصالحة ثم لاصلبنكم في جذوع تعلقات الدنيا وزخارفها والله اعلم وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا

فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا

در زمین و واگذارد تورا و خدایان تورا گفت که هر آینه میکشیم فرزندان ایشان را و زنده گذاریم زنان ایشان را و ما بالای ایشان قهر کننده ایم گفت موسی مر قوم خود را یاری جوئید

بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ

بخدا و صبر کنید بدرستیکه زمین مر خدا راست میراث میدهد آنرا هر کرا خواهد از بندگان خود و عاقبت مر پرهیزگاران راست گفتند رنجانیده شدیم پیش از آنکه بیائی بما و پس از آنکه

مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ

آمدی بما گفت امید است که پروردگار شما هلاک کند دشمن شما را و جانشین شما گرداند در زمین پس بنگرد که چه میکنید و هر آینه بتحقیق گرفتیم آل فرعون را

بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا

بقحطها و کمی از میوها شاید ایشان پند گیرند پس چون میرسید ایشانرا نیکی گفتند که مر ما راست این و اگر میرسید ایشانرا بدی فال بد میزدند

بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا

بموسی و کسیکه با او بود آگاه باش که شومی ایشان نزد خداست ولیکن بیشتر ایشان نمیدانند و گفتند که هر زمان که بیاوری بما از نشانی تا جادو کنی ما را بآن

فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا

پس نیستیم مر ترا گروندگان پس فرستادیم بر ایشان طوفان را و ملخ را و شپش را و وزغ و خون را نشانهای جدا جدا پس گردنکشی کردند

وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ

و بودند گروهی گناهکار و چون ثابت شد بر ایشان پلیدی گفتند ای موسی بخوان برای ما پروردگار خود را بآنچه پیمان بسته است نزد تو که هرگاه برداری از ما پلیدی را

لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ

هر آینه بگرویم بتو و هر آینه بفرستیم با تو بنی اسرائیل را پس چون برطرف کردیم از ایشان پلیدی را تا زمانیکه ایشان رسنده بودند بآن ناگاه ایشان میشکستند عهد را پس انتقام کشیدیم از ایشان

فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ

پس غرق کردیم ایشانرا در دریا بجهت آنکه تکذیب کردند آیات ما را و بودند از آن بیخبران و میراث دادیم گروهی را که بودند ناتوانان

مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ

مشرقهای زمین و مغربهای آنرا که برکت دادیم در آن و تمام شد کلمه پروردگار تو نیکو بر بنی اسرائیل بآنچه صبر کردند و هلاک کردیم آنچه میساخت فرعون

وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى

و قوم او و آنچه ایشان بر افراشته بودند و گذرانیدیم بنی اسرائیل را از دریا پس آمدند بر گروهی که مقیم بودند بر بتهائی که داشتند گفتند ای موسی

اجْعَلْ لَنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

قرار ده از برای ما خدائی چنانچه مر ایشانراست خدایان گفت بدرستیکه شما گروهی نادانید بدرستیکه اینگروه هلاک کرده شده است آنچه ایشان در آنند و باطل است آنچه بودند میکردند

قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ

گفت آیا غیر خدا را میخواهم خداوند و او زیادتی داد شما را بر عالمیان و چون رهانیدیم شما را از آل فرعون میرسانیدند شما را

سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ القراءة سنقتل

از بدی عذاب میکشتند فرزندان شما را و زنده میگذاشتند زنان شما را و در این بلائیست از پروردگار شما بزرگ

بالتخفيف ابن كثير وابو جعفر ونافع يورثها بالتشديد يد الخراز عن هبيرة كلمات ربك على الجمع يزيد في رواية يعرشون بضم الراء حيث كان ابن عامر وابو بكر وحماد الباقون بالكسر يعكفون بكسر الكاف حمزة وخلف الباقون بالضم انجاكم ابن عامر الاخرون انجيناكم على الحكاية يقتلون بالتخفيف الوقوف والهتك ط قاهرون ج للابتداء بان العطف اتحاد القائل فاصبروا ج لما قلنا من عباده ط للمتقين ه جئتنا ط تعملون يذكرون ج لنا هذه لبيان شأن الاصنافين على التناقض ومن معه ط لا يعلمون بها بمؤمنين مجرمين بما عهد عندك ج لان جواب لئن منتظر مع اتحاد القائل بني اسرائيل ج لان جواب لما منتظر مع دخول الفاء ينكثون غافلين باركنا فيها ط للعدول عن الحكاية وكل بما صبروا ط والعكس يعرشون يعكفون اصنام لهم ط لاتحاد القائل بلا عطف آلهة ط تجهلون يعملون العالمين سوء العذاب ج لاحتمال كون ما بعده مستانفا وحالا نساءكم ط عظيم والله اعلم

التفسير ان فرعون بعد وقوع الواقعة لم يتعرض لموسى ولا اخذه وحبسه لانه كان كلما راى موسى خافه اشد الخوف الا ان قومه لم يعرفوا ذلك فحملوه على اخذه وحبسه فقالوا اتذر موسى اتتركه وقومه ليفسدوا في الارض اي يغيروا على الناس دينهم الذي كانوا عليه فيتوسلوا بذلك الى اخذ الملك ويذرك عطف على ليفسدوا وقوله والهتك مفعول معه والمراد انه اذا تركهم ولم يمنعهم كان ذلك مؤديا الى تركه مع آلهته فقط ويحتمل ان يكون منصوبا على انه جواب الاستفهام والمعنى ايكون منك ان تذر موسى ويكون من موسى ان يذرك والهتك قال كثير من المفسرين ان فرعون كان قد وضع لقومه اصناما صغارا وامرهم بعبادتها وسمى نفسه الرب الاعلى وقال الحسن كان فرعون يعبد الاصنام ووجه بانه لعله كان اتخذ اصناما على صور الكواكب مدبرات العالم السفلي واما مخدوم الخلق في هذا العالم والمربي لهم فهو نفسه فقوله انا ربكم الاعلى اي انا مربيكم والمنعم عليكم والمطعم لكم وكل ذلك بناء على انه كان دهريا ينكر وجود الصانع ثم ان فرعون اوهم قومه انما يحبسه ولم يمنعه لعدم التفاته اليه لا للخوف فقال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم فكانه قال ان موسى انما يمكنه الافساد بواسطة الرهط والشيعة فنحن نسعى في تقليل رهطه وشيعته وانا فوقهم قاهرون اي سنعيد عليهم ما كنا عليه من الغلبة ولئلا يتوهم العامة انه المولود الموعود من قبل الكهنة ولكنه شغله بعد قال موسى لما وصل ما جرى بين فرعون وملائه اليه لقومه استعينوا بالله واصبروا ولا ريب ان الصبر يتيح الاستعانة بالله فان من انه لا مدبر للعالم الا الله تعم انشرح قلبه بنور المعرفة وعلم ان الكل بقضاء الله وقدره فيسهل عليه كل ما يصل اليه ثم لما امرهم بشيئين بشرهم باخرين فقال ان الارض يعني ارض مصر او جنس الارض فيتناول مصر بالتبعية لله يورثها من يشاء من عباده يعني بالتوريث جعل الشيء للخلف بعد السلف والعاقبة للمتقين والخاتمة الحميدة لمن هو بصدد التقوى منكم ومن القبط وهذا من الكلام المنصف الا ان المعلوم ان القبط لا تقوى لهم او المراد ان كل من اتقى الله تعالى وخافه فالله الغني الكريم يعينه في الدنيا والآخرة ثم انهم خافوا وفزعوا من تهديد فرعون فشكوا الى موسى مستعجلين النصر و قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا يعنون قتل ابنائهم قبل مولده الى حين نبوته ثم اعادته ذلك عليهم في قوله سنقتل لما غير ذلك من انواع المحن والمهن فعند ذلك قال لهم موسى مصرحا بما رمز اليهم من البشارة قبل عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض ارض مصر ولا ريب ان في عسى طمعا واشفاقا ومثل هذا الكلام اذا صدر عن النبي المؤيد بالمعجزات القاهرة الناظر بنور الحق افاد قوة اليقين وازال ما خامرهم من الضعف ثم قال فينظر كيف تعملون قال الزجاج اي يرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه شكره وكفره لوقوع ذلك منكم لان الله تعالى لا يجازيهم على ما يعلمه منهم تقديما وانما يجازيهم على ما يقع حديثا فيتعلق الرؤية الان ليته روي عن عمرو بن عبيد انه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف او رغيفان فطلبت زيادة لعمرو فلم يكن فقرا عمرو هذه الاية ثم دخل عليه بعدما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون وكيف نصب يعملون لا بينظر لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ثم حكى سبحانه ما نزل بفرعون وآله من المحن والبلايا بشوم التكذيب والتمرد فقال ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين اي بسني القحط فالسنة من الاسماء الغالبة غلبت عليه الحرب كالدابة والنجم وقد يراد بها في غير هذا الموضع الحال والعام قال ابو زيد والفراء بعض العرب يقول هذه سنين ورايت سنينا فيعرب ومنه قول الشاعر دعاني من نجد فان سنينه لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا والسنون من الجوع المحضة الشاذة عن ابن عباس السنون لاهل البوادي واصحاب المواشي ونقص من الثمرات لاهل الامصار وفائدة التوسيط من ان يعلم ان كل الثمرات لم ينقص وانما نقص بعضها لعلهم يذكرون فيتنبهوا ويرجعوا الى الانقياد والطاعة فان مس الضر مما

محنا هم من قتل الابناء ليعلموا انا على ما كنا م

يلين الاعطاف ويرق القلوب قيل عاش فرعون اربعمائة سنة لم ير مكروها في ثلثمائة وعشرين سنة ولو اصابه في تلك المدة وجع او جوع او حمى لما
ادعى الربوبية قال القاضي في الاية دلالة على انه تعالى اراد منهم ان يتذكروا ولا يبقوا على ما هم عليه من الكفر واجيب بانه يعاملهم معاملة المختبر ولا اختيار
في الحقيقة ولا اختيار ولا يرعوي عن الكفر والطغيان الا من شاء واراده ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فلهذا حكى عن فرعون وقومه
فاذا جاءتهم الحسنة قال ابن عباس اي العشب والخصب والمواشي والثمار وسعة الرزق والعافية والسلامة قالوا لنا هذه اي نحن مخصوصون
بذلك لم نزل في الرفاهية والنعمة وهكذا عادة الزمان فيناولها ولم يعلموا انها من الله فيشكروه عليه ويقوموا بحق نعمة وان تصبهم سيئة اضدادها
ذكروا يطيروا اي يتشاءموا بموسى ومن معه واصله يتطيروا فادغم التاء في الطاء لقرب مخرجهما وانما عرفت الحسنة وخصت باذا ونكرت السيئة وقرنت
بان لان جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته وشموله واما السيئة فوقوعها نادر مشكوك فيه ولهذا قيل لقد عددت ايام البلاء فهل
عددت ايام الرخاء الا انما طائرهم عند الله قال الازهري يقال للشوم طائر وطير وطيرة وعن ابن عباس طائرهم ما قضي عليهم وقدر لهم ومنه قول العرب
طار له سهم كذا اي حصل ووقع ذلك في حظه وكان النبي صلعم يتفاءل ولا يتطير لان الفال الكلمة الحسنة والتطير عيافة الطير قال الامام فخر الدين الرازي
وذلك لان الارواح الانسانية اقوى واصفى من الارواح البهيمية فيمكن الاستدلال بالاول على بعض الخفيات بخلاف الثاني ومعنى الاية ان
كل ما يصيبهم من خير او شر فهو بقضاء الله وبتقديره ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الكل رهين بمشيته وتقديره فيقولون هذا بيمن فلان او
بشومه وقد تشاءمت اليهود بالنبي صلى الله عليه واله في المدينة فقالوا منذ دخل اسعارنا وقلت امطارنا معناه قال في الكشاف ويجوز ان يكون
الا انما سبب شومهم عند الله وهو عملهم المكتوب عنده الذي يجري عليهم ما يسوءهم لاجله ويعاقبون له بعد موتهم وكما حكى عنهم انهم لجهلهم اسندوا
حوادث هذا العالم لا الى قضاء الله وقدره كذلك حكى عنهم انهم لجهلهم وسفههم لم يميزوا بين المعجزة والسحر وقالوا لنبيهم مهما تاتنا به من اية ومهما
تقولان فعل لنصير بين ان اصلها ما الشرطية ثم زيدت عليها ما المؤكدة الابهامية ثم كرهوا التكرار فجعلوا الالف من الاولى هاء وعن الكسائي
ان مه بمعنى اكفف وما الشرط كانه قيل كف ما تاتنا به ومحل مهما الرفع بمعنى اي شيء تحضرنا تاتنا به ومن اية بيان لهما والضمير في به وكذا في بها يعود
الى شيء ما امكن العود الى المبين الا ان الضمير ذكر تارة حملا على اللفظ وانث اخرى حملا على المعنى وسموها اية تهكما اذ لو قالوا ذلك اعتقادا
لم يردفوها بقولهم لتسحرنا بها وبقولهم فما نحن لك بمؤمنين قال ابن عباس ان القوم لما قالوا ما قالوا وكان موسى رجلا حديدا دعا عليهم فا
فارسل الله عليهم الطوفان قيل هو الجدري وهو اول عذاب وقع فيهم فبقي في الارض وقيل هو الموتان وقيل الطاعون والاصح انه المطر
واصله ما طاف وغلب من مطر او سيل ارسل الله عليهم من السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط مشتبكة فامتلأت بيوت
القبط ماء حتى قاموا في الماء الى تراقيهم فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فرفع
عنهم فما امنوا فنبت لهم تلك السنة من الكلأ والزرع ما لم يعهد بمثله وزعموا ان هذا الذي جزعوا منه هو خير لهم ولم يشعروا به فبعث الله
عليهم الجراد فاكلت عامة زروعهم وثمارهم ثم اكلت كل شيء حتى الابواب والسقوف والثياب ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منها شيء ففزعوا الى موسى
ووعدوه التوبة فارسل الله تعالى ريحا فاحتملت الجراد فالقته في البحر وقيل خرج موسى الى الفضاء فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد
الى النواحي التي جاء منها فقالوا ما نحن بتاركي ديننا فاقاموا شهرا فسلط الله عليهم القمل وهو الحمنان كبار القردان عن ابي عبيدة وقيل الدبا
وهو اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها وقيل البراغيث وقرأ الحسن القمل بفتح القاف وسكون الميم يريد القمل المعروف وعن سعيد بن جبير
هو السوس فاكل ما ابقاه الجراد ولحس الارض وكان يدخل بين ثوب احدهم وبين جلده فيمصه وكان ياكل احدهم طعاما فيمتلئ قملا وعن سعيد بن
جبير كان الى جنبهم كثيب اعفر فضربه موسى بعصاه فصار قملا فاخذ في ابشارهم واشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كانه الجدري وصاحوا
وصرخوا وفزعوا الى موسى فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الان انك ساحر وعزة فرعون لا نصدقك ابدا فارسل عليهم الضفادع بعد
شهر فدخلت بيوتهم وامتلأت منها انيتهم واطعمتهم وكان احدهم اذا اراد ان يتكلم وثبت الضفدع الى فيه وكان يمتلي منها مضاجعهم
فلا يقدرون على الرقود وكانت تقذف بانفسها في القدور وهي تغلي فشكوا الى موسى فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد
فارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما وكان يجتمع القبطي والاسرائيلي على اناء واحد فيكون ما يلي القبطي دما وعطش فرعون حتى اشفى على الهلاك
وكان يمص الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها الطيب ملحا اجاجا وقيل الدم الرعاف سلطه الله عليهم وقوله ايات مفصلات نصب على
الحال من المذكورات ومعناها ظاهرات لا تشكل على عاقل انها معجزات او فصل بين بعض وبعض بزمان يمتحن فيه احوالهم وينظر ايوفون بالعهد ام ينكثون
كما روي ان موسى عم مكث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الايات ولا شك ان كل واحدة من هذه معجزة في نفسها واختصاصها
بالقبطي دون الاسرائيلي معجزة اخرى فاستكبروا عن العبادة والطاعة وكانوا قوما مجرمين مصرين على الذنب والجرم ثم فصل استكبارهم واجرامهم
فقال ولما وقع عليهم الرجز اي الانواع الخمسة المذكورة من العذاب وعن سعيد بن جبير انه الطاعون وهو العذاب السادس الذي كان اصابهم
فمات من القبط سبعون الف انسان في يوم واحد فتركوا غير مدفونين قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك اي بعهده عندك
وهو النبوة فما مصدرية والباء يتعلق بادع تعلق القلم بالكتبة في قولك كتبت بالقلم اي ادع متوسلا اليه بعهده عندك او تعلق المقسم به

بالفعل

بالفعل فيكون باء الاستعطاف اي اسعفنا الى ما نطلب اليك من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوة وجواب اخر وهو ان يكون
قسما مجابا بلنؤمن فيكون متعلقا بالاقسام اي اقسمنا بعهد الله وعندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل
اي نخليهم وشانهم فيذهبون حيث شاءوا فلما كشفنا عنهم العذاب لا مطلقا ولا في جميع الوقائع بل الى اجل هم بالغوه لا محالة فمعذبون فيه اذا هم
ينكثون جواب لما اي لما كشف عنهم فاجأوا النكث وبادروه فانتقمنا منهم سلبنا النعمة عنهم بالعذاب فاغرقناهم في اليم وهو البحر الذي لا يدرك
قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه سمي باليم لان المنتفعين به يقصدونه بانهم كذبوا باياتنا اي كان اغراقهم بسبب التكذيب بانهم
كانوا عنها اي عن الايات وقيل عن النقمة بدلالة انتقمنا اي كانوا عن النقمة قبل حلولها غافلين اي معرضين غير متفكرين فان نفس الغفلة
ليست باختيار الانسان حتى يترتب الوعيد عليها ثم بين ما فعله بالمحقين بعد هلاك المبطلين فقال واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
بقتل الابناء واستحياء النساء والاستخدام في الاعمال الشاقة مشارق الارض ومغاربها يعني ارض مصر والشام لانهما التي كانت تحت تصرف فرعون
ويقوله التي باركنا اي بالخصب وسعة الارزاق وذلك لا يليق الا بارض الشام وقيل المراد جملة الارض لانه خرج من بني اسرائيل من ملك جملتها كداود
وسليمان وتمت كلمة ربك الحسنى تانيث الاحسن صفة الكلمة قيل يريد بالكلمة قوله في سورة القصص ونريد ان نمن على الذين استضعفوا
في الارض ونجعلهم ائمة الى تمام الايتين ومعنى تمت مضت واستمرت من قولك تم على الامر اذا مضى عليه وقيل معنى تمام الكلمة الحسنى انجاز الوعد
الذي تقدم باهلاك عدوهم واستخلافهم في الارض لان الوعد بالشيء يجعله كالمعلق فاذا حصل الموعود صار تاما كاملا بما صبروا اي بسبب صبرهم
وفيه ان عنوان الظفر مضمن بالنصر والفرج ودمرنا اي اهلكنا والدمار الهلاك ما كان يصنع فرعون وقومه قال ابن عباس يريد المصانع
وقال غيره يعني العمارات وبناء القصور ولعله على العموم فيتناول المغلات والاعيان وما كانوا يعرشون من الجنات كقوله وهو الذي انشا جنات
معروشات وقيل ما كانوا يرفعون من الابنية المشيدة في السماء كصرح هامان وغيره وههنا تمت قصة فرعون والقبط ثم ذكر ما جرى على بني
اسرائيل بعد ذلك فقال وجاوزنا ببني اسرائيل البحر روي انه عبر بهم موسى يوم عاشوراء بعد ما اهلك الله فرعون وقومه فصاموا شكرا لله
فاتوا على قوم لهم قيل ملك فمروا بقوم يعكفون يواظبون على عبادة اصنام لهم قال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك اول شان العجل وقيل كانوا قوما من لخم
نزلوا بالرقة عن قتادة وقيل كانوا من الكنعانيين الذين امر موسى بقتالهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة ما كافة للكاف عن العمل ولهذا
دخلت على الجملة وكانهم طلبوا من موسى ان يعين لهم اصناما وتماثيل يتقربون بعبادتها الى الله تعم كقول الكفرة ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى فتوجه الذم عليهم لان العبادة نهاية التعظيم سواء اعتقد انه المقصود في التقرب الى الله ونهاية التعظيم لا يليق الا بمن يصدر عنه نهاية الانعام
وكان هذا القول لم يصدر من مشايخ اسرائيل وعظمائهم كالسبعين المختارين ولكنه صدر عن عوامهم وجهلتهم ولهذا قال لهم موسى انكم قوم
تجهلون تعجب من قولهم على اثر ما راوا من الايات العظمى فوصفهم بالجهل المطلق المؤكد وعن علي رضي الله عنه ان يهوديا قال اختلفتم بعد نبيكم
قبل ان يجف ماؤه فقال علي اختلفنا عنه لا فيه ثم قال قلتم اجعل لنا الها ولما يجف اقدامكم ان هؤلاء عبدة تلك التماثيل متبر اي مكسر مهلك
ما هم فيه من قولهم اناء متبر اذا كان فضاضا والتبار الهلاك وباطل ما كانوا يعملون اي يتبر الله اصنامهم ويهدم دينهم الذي هم عليه على يدي
فيصير الى الزوال والاضمحلال وفي ايقاع هؤلاء اسما لان وفي تقديم خبر المبتدا من الجملة الواقعة خبرا لان اشارة الى ان عبدة الاصنام ليسوا
على شيء البتة وان مصيرهم الى النار لا محالة فقال اغير الله ابغيكم الها انتصب غير على الحال المقدمة التي لو تاخرت كانت صفة كما تقول ابغيكم الها
غير الله وانتصب الها على المفعول به قال الواحدي يقال بغيت فلانا شيئا وبغيته له قال تعالى يبغونكم الفتنة والمعنى اغير المستحق للعبادة اطلب لكم
معبودا وهو فضلكم على العالمين خصكم بالنعم الجسام دون ابناء زمانكم ومعنى الهمزة الانكار والتعجب مما اقترحوه مع كونهم مغمورين في نعم الله فان
الاله ليس شيئا يطلب ويجعل بل الاله هو الموجود بنفسه القادر على الايجاد والاعدام والاكرام والانعام والاية الباقية قد مر تفسيرها في
البقرة والفائدة في اعادتها ههنا التعجب والتعجيب ممن اشتغل بعبادة غير هذا المنعم وانما قيل ههنا يقتلون ودون يذبحون ليناسب قوله
سنقتل ابناءهم والله اعلم التاويل وقال الملأ من قوم فرعون من الهوى والغضب والكبر لفرعون النفس اتذر موسى الروح وقومه من القلب
والسر والعقل ليفسدوا في الارض البشرية ويذرك والهتك من الدنيا والشيطان والطبع قال فرعون النفس سنقتل ابناءهم يعني
اعمالهم الصالحة نبطلها بالرياء والعجب ونستحيي نساءهم اي الصفات التي عنها يتولد الاعمال وانا فوقهم قاهرون بالمكر والخديعة والحيلة قال
موسى الروح لقومه لهم القلب والعقل والسر استعينوا بالله واصبروا على جهاد النفس ومخالفتها ومتابعة الحق ان الارض لله اي ارض البشرية
يورثها من يشاء من عباده يورث ارض بشرية السعداء الروح وصفاته فتتصف بصفاته ويورث ارض بشرية الاشقياء النفس وصفاتها
فتتصف بصفاتها والعاقبة للمتقين يعني عاقبة الخير والسعادة للاتقياء السعداء يورثها يورث ارض بشرية السعداء الروح وصفاته فتتصف
بصفاته ويورث ارض بشرية الاشقياء النفس وصفاتها فتتصف بصفاتها اوذينا من قبل ان تاتينا بالواردات الروحانية قبل البلوغ كنا
نتاذى من اوصاف البشرية ومعاملاتها ومن بعد ما جئتنا بالواردات والالهامات الروحانية بعد البلوغ نتاذى من دواعي البشرية
عسى ربكم ان يهلك عدوكم النفس وصفاتها وفيه اشارة الى ان الواردات الروحانية لا يكفي لافناء النفس وصفاتها ولا بد في ذلك من

بخلی صفات الربوبیة فاذا جاءتهم الحسنة الکفر ولا یوبے فضل المنعم وکذا المسلوک اذا اراد قطیعة مل الوصال وقال کان وکانا ولکن اکثرهم
لا یعلمون لان بصائرهم مسدودة عقولهم عن شهود الحق مصدودة فارسلنا علیهم الطوفان العلم الکثیر والجراد الواردات والقمل
والالهامات والضفادع الخواطر والدم اصناف المجاهدات والریاضات مفصلات وتنابعد وقت وحینا غب حین فاستکبروا عن
قبولها وکانوا قوما مجرمین فی الازل فلهذا لم یفدهم الوسایط والاسباب لما وقع علیهم الرجز وهو عذاب القطیعة فاغرقناهم فی یم الدنیا
وشهواتها وما کانوا یعرشون ای یرفعون بالتجبر والتکبر انفسهم تحت عرش الطائر اذا ارتفع بجناحیه علی من تحته وجاوزنا بصفات القلب
من بحر الدنیا وخلصناهم من فرعون النفس نوصلوا الی صفات الروح یعکفون علی اصنام لهم من المعانی المعقولة والمعارف الروحانیة
فاستحسنوها وارادوا العکوف علی عتبة عالم الارواح قال لهم موسی لو اردالربانی عند دکونهم الی الروحانیات انکم قوم تجهلون قدر الله
وعنایته علم ان هؤلاء یعنی صفات الروح متبر ما هم فیه من الرکون والعکوف علی استحلاء المعانی المعقولة وباطل ما کانوا یعملون فی غیر طلب الحق و
الوصول الی المعارف الربانیة وهو فضلکم علی العالمین من الحیوان والجن والملک بفضیلة العبور من الجسمانیات والروحانیات والوصول الی المعارف والحقایق الالهیة
ع وَوٰعَدْنَا مُوسٰی ثَلٰثِیْنَ لَیْلَةً وَّاَتْمَمْنٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِیْقَاتُ رَبِّهٖۤ اَرْبَعِیْنَ لَیْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسٰی لِاَخِیْهِ هٰرُوْنَ اخْلُفْنِیْ فِیْ
قَوْمِیْ وَاَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِیْلَ الْمُفْسِدِیْنَ ۝ وَلَمَّا جَآءَ مُوسٰی لِمِیْقَاتِنَا وَكَلَّمَهٗ رَبُّهٗ ۙ قَالَ رَبِّ اَرِنِیْۤ اَنْظُرْ اِلَیْكَ ۚ قَالَ
لَنْ تَرٰىنِیْ وَلٰكِنِ انْظُرْ اِلَى الْجَبَلِ فَاِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهٗ فَسَوْفَ تَرٰىنِیْ ۚ فَلَمَّا تَجَلّٰی رَبُّهٗ لِلْجَبَلِ جَعَلَهٗ دَكًّا وَّخَرَّ مُوسٰی صَعِقًا ۚ
فَلَمَّاۤ اَفَاقَ قَالَ سُبْحٰنَكَ تُبْتُ اِلَیْكَ وَاَنَا اَوَّلُ الْمُؤْمِنِیْنَ ۝ قَالَ یٰمُوسٰۤی اِنِّی اصْطَفَیْتُكَ عَلَی النَّاسِ بِرِسٰلٰتِیْ
وَبِكَلَامِیْ ۖ فَخُذْ مَاۤ اٰتَیْتُكَ وَكُنْ مِّنَ الشّٰكِرِیْنَ ۝ وَكَتَبْنَا لَهٗ فِی الْاَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَیْءٍ مَّوْعِظَةً وَّتَفْصِیْلًا لِّكُلِّ
شَیْءٍ ۚ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَّاْمُرْ قَوْمَكَ یَاْخُذُوْا بِاَحْسَنِهَا ۚ سَاُورِیْكُمْ دَارَ الْفٰسِقِیْنَ ۝ سَاَصْرِفُ عَنْ اٰیٰتِیَ الَّذِیْنَ
یَتَكَبَّرُوْنَ فِی الْاَرْضِ بِغَیْرِ الْحَقِّ ۚ وَاِنْ یَّرَوْا كُلَّ اٰیَةٍ لَّا یُؤْمِنُوْا بِهَا ۚ وَاِنْ یَّرَوْا سَبِیْلَ الرُّشْدِ لَا یَتَّخِذُوْهُ سَبِیْلًا ۚ
ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ كَذَّبُوْا بِاٰیٰتِنَا وَكَانُوْا عَنْهَا غٰفِلِیْنَ ۝ وَالَّذِیْنَ كَذَّبُوْا بِاٰیٰتِنَا وَلِقَآءِ الْاٰخِرَةِ حَبِطَتْ اَعْمَالُهُمْ ۚ هَلْ
یُجْزَوْنَ اِلَّا مَا كَانُوْا یَعْمَلُوْنَ ۝ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسٰی مِنْۢ بَعْدِهٖ مِنْ حُلِیِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهٗ خُوَارٌ ۚ اَلَمْ یَرَوْا اَنَّهٗ لَا یُكَلِّمُهُمْ
وَلَا یَهْدِیْهِمْ سَبِیْلًا ۘ اِتَّخَذُوْهُ وَكَانُوْا ظٰلِمِیْنَ ۝ وَلَمَّا سُقِطَ فِیْۤ اَیْدِیْهِمْ وَرَاَوْا اَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوْا ۙ قَالُوْا لَئِنْ لَّمْ یَرْحَمْنَا
رَبُّنَا وَیَغْفِرْ لَنَا لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الْخٰسِرِیْنَ ۝ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسٰۤی اِلٰی قَوْمِهٖ غَضْبَانَ اَسِفًا ۙ قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُوْنِیْ
مِنْۢ بَعْدِیْ ۚ اَعَجِلْتُمْ اَمْرَ رَبِّكُمْ ۚ وَاَلْقَی الْاَلْوَاحَ وَاَخَذَ بِرَاْسِ اَخِیْهِ یَجُرُّهٗۤ اِلَیْهِ ۚ قَالَ ابْنَ اُمَّ اِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُوْنِیْ
وَكَادُوْا یَقْتُلُوْنَنِیْ ۖ فَلَا تُشْمِتْ بِیَ الْاَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِیْ مَعَ الْقَوْمِ الظّٰلِمِیْنَ ۝ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِیْ وَلِاَخِیْ وَاَدْخِلْنَا فِیْ رَحْمَتِكَ ۖ
ع وَاَنْتَ اَرْحَمُ الرّٰحِمِیْنَ ۝ اِنَّ الَّذِیْنَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَیَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِی الْحَیٰوةِ الدُّنْیَا ۚ وَكَذٰلِكَ
نَجْزِی الْمُفْتَرِیْنَ ۝ وَالَّذِیْنَ عَمِلُوا السَّیِّاٰتِ ثُمَّ تَابُوْا مِنْۢ بَعْدِهَا وَاٰمَنُوْۤا ۚ اِنَّ رَبَّكَ مِنْۢ بَعْدِهَا لَغَفُوْرٌ رَّحِیْمٌ

وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُّوسَی الْغَضَبُ اَخَذَ الْاَلْوَاحَ ۖ وَفِیْ نُسْخَتِهَا هُدًی وَّرَحْمَةٌ لِّلَّذِیْنَ هُمْ لِرَبِّهِمْ یَرْهَبُوْنَ الفاء وادی انظر
وچون فرونشست از موسی خشم فراگرفت لوحها را و در نوشته آن هدایتی بود و رحمتی برای آنکه ایشان مر پروردگار خود را میترسند بسکون الراء وفتح
الیاء ابن الفلیح وزمعة والخزاعی عن البزی الباقون بکسر الراء وسکون الیاء دکاء بالمد حمزة وعلی وخلف انی اصطفیتک بفتح الیاء المتکلم ابن کثیر
وابو عمرو برسالتی علی التوحید ابو جعفر ونافع وابن کثیر الاخرون برسالات ایاتی الذین مرسلة الیاء ابن عامر وحمزة الرشد بفتحتین حمزة وعلی وخلف
الباقون بضم الراء وسکون الشین حلیهم بکسر الحاء وتشدید الیاء حمزة وعلی الباقون مثله ولکن بضم الحاء ترحمنا ربنا وتغفر لنا بالخطاب و
النصب حمزة وعلی وخلف المفضل الباقون علی الغیبة ورفع ربنا علی الفاعلیة بعدی اعجلتم بفتح الیاء ابو جعفر ونافع وابن کثیر وابو عمرو قال ابن ام بکسر
المیم ابن عامر وحمزة وعلی وخلف وعاصم غیر حفص والمفضل الباقون بفتحها ومثله یا ابن ام فی طه الوقوف اربعین لیلة ج للعطف مع اختلاف
القائل المفسدین ربه لا لان ما بعده جواب لما الیک ط فسوف ترانی ج صعقا ج المؤمنین الشاکرین لکل شیء للعدول مع فاء التعقیب باحسنها ط
الفاسقین ه بغیر الحق ط بها ج لابتداء شرط اخر لبیان تعارض الاحوال مع العطف سبیلا ج لذلک سبیلا غافلین اعمالهم ط یعملون خوار سبیلا
لئلا یصیر الجملة صفة السبیل فان المعنی ضمیر العجل ظالمین ضلوا لا لان ما بعده جواب الخاسرین اسفا لا مر بعدی ج للابتداء بالاستفهام مع اتحاد
القائل امر ربکم لان قوله والقی معطوف علی قوله قال بئسما وقد اعترض بینهما استفهام الیه ط یقتلوننی ز لاحتمال الوصل اولی لان الفاء
للجواب ای اذا هم هموا بقتلی فلا تشمت بی الظالمین فی رحمتک ز علی الاولی ان یوصل لان الواو للحال تحسینا للدعاء بالثناء الراحمین الدنیا ط
المفترین وامنوا لظاهر ان والوجه الوصل لان ما بعده خبر والعائد محذوف والتقدیر ان ربک من بعد توبتهم لغفور لهم رحیم الالواح ج
لاحتمال ما بعده الحال یرهبون التفسیر لما املک الله سبحانه اعداء بنی اسرائیل سئل موسی ربه ان یؤتیه الکتاب الذی وعده فامره بصوم ثلثین
وهو شهر ذی القعدة فلما اتم الثلثین انکر من نفسه خلوق الفم فتسوک فقالت الملائکة کنا نشم من فیک رائحة المسک فافسدتها بالسواک
فاوحی الله تعالی الیه اما علمت ان خلوق فم الصائم اطیب عندی من ریح المسک فامره الله ان یزید علیها عشرة ایام من ذی الحجة لهذا السبب وقیل فائدة
التفصیل انه تعالی امره بصوم ثلثین وان یعمل فیها ما یقربه من الله ثم انزل علیه التوریة فی العشرة وکلمه فیها وقال ابو مسلم الاصفهانی
من الجائز ان یکون موسی عند تمام الثلثین بادر الی میقات ربه قبل قومه بدلیل قوله فی طه وما اعجلک عن قومک یا موسی فلما اعلمه
الله تعالی خبر قومه مع السامری رجع الی قومه ثم عاد الی المیقات فی عشرة اخری فتم اربعون لیلة وقیل لا یمتنع ان یکون الوعد الاول لحضور المناجاة
معه لیسمعوا الکلام ومن فوائد الفذلکة فی قوله فتم میقات ربه اربعین لیلة ازالة وهم من یتوهم ان المیقات کان عشرین ثم اتمه بعشر
فصار ثلثین والفرق بین المیقات والوقت ان المیقات ما قدر فیه عمل من الاعمال والوقت وقت الشیء قدره مقدر ام لا وانتصب اربعین علی الحال
ای تم بالغا هذا العدد وهرون عطف بیان لاخیه وقرئ بالضم علی النداء اخلفنی فی قومی کن خلیفتی فیهم واصلح کن مصلحا او واصلح ما یجب ان یصلح
من امور بنی اسرائیل ومن دعاک الی الافساد فلا تتبعه وانما جعله خلیفة مع انه شریکه فی النبوة بدلیل واشرکه فی امری والشریک اعلی حالا
من الخلیفة لان نبوة موسی کانت بالاصالة ونبوة هرون بتبعیته فکانه خلیفته ووزیره وانما وصاه بالاصلاح تاکیدا واطمینانا والا فالنبی
لا یفعل الا الاصلاح ولما جاء موسی لمیقاتنا اللام بمعنی الاختصاص کانه قیل اختص مجیئه بوقتنا الذی حددنا له کما یقال اتیته لعشر خلون
من شهر کذا وکلمه ربه للناس فی کلام الله مذاهب فقیل عبارة عن هذه الحروف المؤلفة المنتظمة وقیل صفة حقیقیة مخالفة للحروف و
الاصوات وعلی الاول فمحل تلک الحروف والاصوات هو ذات الله تعالی وهو قول الکرامیة او جسم مغایر کالشجرة ونحوها وهو قول المعتزلة
وعلی الثانی فالاشعریة قالوا ان موسی سمع تلک الصفة الازلیة لانه کما لا یبعد رؤیته عند نا مع انه لیس بجسم ولا عرض فکذا لا یمتنع
سماع کلامه مع انه لیس بحرف ولا صوت وقال ابو منصور الماتریدی الذی سمعه موسی اصوات مقطعة وحروف مؤلفة قائمة بالشجرة واختلف
العلماء ایضا فی ان الله تعالی کلم موسی وحده ظاهر الایة او مع السبعین المختارین وهو قول القاضی لان تکلیم الله موسی معجز وقد تقدمت
نبوة موسی فلا بد من ظهور هذا المعجز لغیره قال رب ارنی انظر الیک ای ارنی نفسک اجعلنی متمکنا من رؤیتک فانظر الیک و
اراک عن ابن عباس ان موسی جاء ومعه السبعون وصعد الجبل وبقی السبعون فی اسفل الجبل وکلم الله موسی وکتب له فی الالواح کتابا
وقربه نجیا فلما سمع صریر القلم عظم شوقه فقال رب ارنی انظر الیک قالت الاشاعرة ان موسی سئل الرؤیة وانه عارف
بما یجب ویجوز ویمتنع علی الله تعالی فلو کانت الرؤیة ممتنعة لما سئلها قال القاضی للمحصلین من العلماء فی هذا المقام اقوال احدها قول
الحسن وغیره ان موسی ما عرف ان الرؤیة غیر جائزة علی الله تعالی وهذا لا یقدح فی معرفته لان العلم بامتناع الرؤیة وجوازها لا یبعد ان
یکون موقوفا علی السمع وزیف بانه یلزم ان یکون موسی ادون حالا من علماء المعتزلة العالمین بامتناع الرؤیة علی الله تعالی وبانهم یدعون
العلم الضروری بان کل ما کان مرئیا فانه یجب ان یکون مقابلا او فی حکم المقابل فلو لم یکن هذا العلم حاصلا لموسی کان ناقص العقل
وهو محال وان کان حاصلا لم یجوز موسی علیه المقابلة کان کفرا وهو ایضا محال وثانیها طریقة ابی علی وابی هاشم ان موسی
سئل الرؤیة عن لسان قومه فقد کانوا یکررون المسئلة علیه بقولهم لن نؤمن لک حتی نری الله جهرة وزیف بانه لو کان کذلک

لقد ل موسى ارهم ينظروا اليك لقال الله لن يرونى وبانه لو كان محالا لمنعهم كما منعهم لما قالوا اجعل لنا الها وبان تذكر الدليل القاطع فى هذا
المقام فرض مضيق فلم يمكن تاخيره مع انهم لو كانوا مقرين بنبوة موسى كفاهم فى الامتناع عن السؤال قول موسى والا فلا انتفاع لهم بهذا الجواب فاتق
لهم ان يقولوا لا نسلم ان هذا المنع من الله بل هذا مما افتريته على الله وثالثها وهو اختيار ابى القاسم الكعبى ان موسى سئل ربه المعرفة الضرورية
بحيث يزول عنه هذه الخواطر والوساوس كما فى معرفة اهل الآخرة ورد بانه تعالى اراه من الآيات كالعصا واليد وغيرهما ما لا غاية بعدها يليق به ان
يقول اظهر لى اية تدل على انك موجود ولو فرض انه لا يليق بحال موسى فلم منعه الله تعالى عن ذلك ولقائل ان يقول منعه فى الدنيا لحكمة عرفها الله
تعالى ولا يلزم منه المنع فى الآخرة ورابعها وهو قول ابى بكر الاصم ان موسى اراد تاكيد الدليل العقلى بالدليل السمعى وتعاضد الدلائل امر مطلوب
للعقلاء وضعف بانه كان الواجب عليه ح ان يقول اريد يا الهى ان يقوى امتناع رؤيتك بوجوه زائدة على ما ظهر فى عقلى ولقائل ان يقول
هذا تعيين الطريق وفى الآية سؤال وهو انه تعالى لم قال لن ترانى دون لن تنظر الى المناسب لقوله انظر اليك والجواب لان موسى لم يطلب النظر
المطلق وانما طلب النظر الذى معه الادراك بدليل ارنى ومن حجج الاشاعرة انه تعالى علق رؤيته على امر جائز هو استقرار الجبل والمعلق على الجائز
جائز ورد بانه علق حصول الرؤية على استقرار الجبل حال حركته بدليل قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه اى فى وقت النظر عقيبه و
استقرار الجبل حال حركته محال ومنها قوله فلما تجلى ربه اى ظهر وبان ومنه جلوت العروس اذا ابرزتها وظهر للجبل اقتداره وتصدى له امره وارادته
جعله دكا اى مدكوكا مصدر بمعنى مفعول والدك والدق اخوان ومن قرا بالمد اراد ارضا دكاء مستوية ومنه ناقة دكاء متواضعة السنام والدكاء
ايضا اسم للرابية الناشزة من الارض كالدكة والغرض من الجميع تعظيم شان الرؤية وان احدا لا يقوى على ذلك الا بتقوية الله وتاييده وقالت
المعتزلة الرؤية امر محال لقوله لن ترانى وكلمة لن ان لم تفد التابيد فلا اقل من التاكيد وايضا الاستدراك فى قوله ولكن انظر معناه ان النظر الى
محال فلا تطلبه ولكن عليك بنظر اخر الى الجبل لتشاهد تدكدك اجزائه وتفرق ابعاضه من عظمة التجلى واذا لم يطق الجماد ذلك فكيف الانسان قالت
الاشاعرة ههنا لم يبعد ان يخلق الله تعالى فى الجبل حيوة وعقلا وفهما ورؤية وايضا قوله وخر موسى صعقا اى مغشيا عليه غشية كالموت دليل
استحالة الرؤية على الانبياء عن غيرهم روى ان الملائكة مرت عليه غشية كالموت دليل استحالة الرؤية على الانبياء فضلا عن غيرهم روى ان
الملائكة مرت عليه وهو مغشى عليه فجعلوا يلكزونه بارجلهم يقولون يا ابن النساء الحيض اطمعت فى رؤية رب العزة وايضا قوله بعد الافاقة من
الصعقة سبحانك انزهك عما لا يليق بك من جواز الرؤية عليك انى تبت اليك من طلب الرؤية بغير اذن منك وان كان لغرض صحيح
هو تنبيه لقوم على استحالة ذلك بنص من عندك وانا اول المؤمنين بانك لست بمرئى ولا مدرك بشئ من الحواس وقالت الاشاعرة وانا
اول المؤمنين بانك لا ترى فى الدنيا او بانه لا يجوز السؤال منك الا باذنك ثم لما سال الرؤية ومنعه الله اياها اخذ فى تعداد وسائر
نعمه عليه وامره ان يشتغل بشكرها فقال يا موسى انى اصطفيتك الاية والمقصود تسلية موسى عن منع الرؤية قيل وفى هذا دليل على
جواز الرؤية فى نفسها والا لم يكن الى هذا العذر حاجة وانما قال اصطفيتك على الناس ولم يقل على الخلق لان الملائكة قد تسمع كلام الله
تعالى من غير واسطة كما سمعه موسى والغرض انه تعالى خصه من دون الناس بمجموع امرين الرسالة والكلام وسائر الرسل لهم الرسالة فقط وانما كان
الكلام بلا واسطة سببا للشرف بناء على العرف الظاهر وقد جاء فى الامثال لنا شتان بين من اتخذه الملك لنفسه حبيبا وقربه اليه بلطفه تقريبا
وبين من ضرب له الحجاب وحال بينه وبين المقصود بواب ونواب المراد بالرسالات ههنا اسفار التورية فخذ ما اتيتك من شرف الرسالة
والكلام وكن من الشاكرين لله على ذلك بان تشتغل بلوازمهما علما وعملا ثم فصل تلك الرسالة فقال وكتبنا له فى الالواح قيل خر موسى صعقا
يوم عرفة واعطاه الله التورية يوم النحر ذكروا فى عدد الالواح وفى جوهرها وطولها انها كانت عشر الواح وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت
من زمرد جاء بها جبرئيل وقيل من زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء وقيل كانت من خشب نزلت من السماء وعن وهب انها كانت من صخرة صماء لينها الله
تعالى لموسى قطعها بيده وشققها باصابعه وقيل طولها كان عشرة اذرع والتحقيق ان امثال هذه يحتاج الى النقل الصحيح والا وجب السكوت
عنه اذ ليس فى الاية ما يدل على ذلك واما كيفية تلك الكتابة فقال ابن جريج كتبها جبرئيل بالقلم الذى كتب به الذكر واستمد من نهر النور وحكم
هذا النقل ايضا كما قلنا من كل شئ مفعول كتبنا ومن للتبعيض نحو اخذت من الدراهم وموعظة وتفصيلا بدل منه فيدخل فى الموعظة
كل ما يوجب الرغبة فى الطاعة والنفرة عن المعصية وذلك بذكر الوعد والوعيد واراد بالتفصيل تبيين كل ما يحتاج اليه بنو اسرائيل من اقسام
الاحكام ويجوز ان يكون موعظة وتفصيلا مفعولين لكتبنا والتقدير وكتبنا فى الالواح موعظة من كل شئ وتفصيلا لكل شئ قيل انزلت
التورية وهى سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه فى سنة لم يقرأها الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى وعن مقاتل كتب فى الالواح انى انا الله
الرحمن الرحيم لا تشركوا بى شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا تحلفوا باسمى كاذبا فان من حلف باسمى كاذبا فلا ازكيه ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين فخذها ولا تقتلوا
على ارادة القول اى وكتبنا فقلنا له خذها او بدل من قوله فخذ ما اتيتك والضمير للالواح او لكل شئ لانه فى معنى الاشياء او للرسالات
او للتورية بقوة بجد وعزيمة فعل اولى العزم من الرسل وامر قومك ياخذوا باحسنها سئل ههنا انه لما تعبد بكل ما فى التورية وجب كون
الكل مامورا به فظاهر قوله ياخذوا باحسنها يقتضى ان فيه ما ليس باحسن ولا يجوز لهم الاخذ به واجاب العلماء بوجوه منها ان تلك التكاليف منها

مامور بها ما هو احسن كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر فمرهم ان ياخذوا بما هو ادخل فى الحسن واكثر للثواب فيكون كقوله واتبعوا احسن
ما انزل اليكم من ربكم وكقوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وقال قطرب الاحسن بمعنى الحسن وكلها حسن وقيل الحسن يتناول الواجب
والمندوب والمباح والاحسن الواجب والمندوب وقال فى الكشاف يجوز ان يراد ياخذوا بما امروا به دون ما نهوا عنه كقولهم الصيف احر من
الشتاء ثم ختم الاية بالوعيد والتهديد فقال ساريكم دار الفاسقين قال ابن عباس والحسن ومجاهد يعنى جهنم اى ليكن ذكر جهنم حاضرا فى انفسكم
لتحذروا ان تكونوا منهم وعن قتادة يريد مواطن الجبابرة والفراعنة الخاوية بالشام ومصر لتعتبروا بذلك فلا تفسقوا مثل فسقهم فيصيبكم مثل ما
اصابهم وقال الكلبى هى منازل عاد وثمود واقرانهم يمرون عليها فى اسفارهم وقيل المراد الوعد والبشارة بان الله تعالى سيورثهم ارض اعدائهم و
يؤيده ما فى ساوريكم وقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون ثم ذكر ما به يعامل الفاسقين المتكبرين فقال ساصرف عن اياتى
الاية فاحتجت الاشاعرة بها على انه تعالى قد يمنع عن الايمان ويصرف عنه وقال الجبائى قوله ساصرف للاستقبال والمصروفون موصوفون
بالتكبر والانحراف عن الطريق المستقيم فى الزمان الماضى نعلم ان المراد من هذا الصرف ليس هو الكفر وايضا الصرف مذكور على وجه العقوبة
على التكبر والاعتساف ولا يكون العقوبة عين المعاقب عليه فوجب تاويل الاية فقال الكعبى وابو مسلم الاصفهانى ان هذا الكلام تمام لما و
عد الله به موسى من النصرة والعصمة اى اصرفهم عن اياتى فلا يقدرون على منعك من تبليغها كما قال فى حق نبينا بلغ ما انزل اليك
الى قوله والله يعصمك من الناس وقيل ساصرف هؤلاء المتكبرين عن نيل ما فى اياتى من العز والكرامة المعدة للانبياء والمؤمنين فيكون ذلك
الصرف مستلزما للاذلال والاهانة جاريا مجرى العقوبة على كفرهم وتكبرهم على الله تعالى وقيل ان من الايات ايات لا يمكن الانتفاع بها الا بعد سبق
الايمان فاذا كفروا فقد صيروا انفسهم بحيث لا يمكنهم الانتفاع بها بعد ذلك فح يصرفهم الله تعالى عنها وبوجه اخر ان الله تعالى اذا علم من حال بعضهم
انه اذا شاهد تلك الايات فانه لا يستدل بها بل يستخف بها ولا يقوم بحقها فاذا علم الله تعالى ذلك صح ان يصرفهم عنها وعن الحسن ان من الكفار من بالغ
فى كفره وانتهى الى الحد الذى اذا وصل اليه مات قلبه وهى بالطبع والخذلان فالمراد بالمصروفين هؤلاء عن رسول الله صلعم اذا عظمت امتى الدنيا نزع
عنها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر حرمت بركة الوحى قوله بغير الحق اما ان يكون حالا بمعنى يتكبرون غير محقين لان التكبر
بالحق لله وحده اذ له كمال فوق كل احد فله اظهار العظمة والكبرياء على كل من سواه واما ان يكون صلة للفعل اى يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الذى
لا اصل له ومنه يعلم ان للمحق ان يتكبر على المبطل كما قيل التكبر على المتكبر صدقة والرشد طريق الهدى والحق والصواب كلاهما واحد قال الكسائى و
قرا ابو عمرو فقال الرشد بضم الراء الصلاح لقوله فان انستم منهم رشدا والسبيل لغى ضد ما ذكرنا ثم بين ان ذلك الصرف وتعكيس القضية
انما كان لامرين كونهم مكذبين بايات الله وكونهم غافلين عنها ومحل ذلك الرفع على الابتداء او النصب على معنى صرفهم الله ذلك الصرف بسبب
انهم كذا وكذا ثم بين ان اولئك المتكبرين يجزون شر الجزاء وان صدر عنهم صورة الاحسان والخير فقال والذين كذبوا باياتنا ولقاء الاخرة
اى جحدوا المعاد حبطت اعمالهم ثم قال هل يجزون الا ما كانوا يعملون احتجت الاشاعرة بها على فساد قول ابى هاشم ان تارك الواجب يستحق العقاب بمجرد
ترك الواجب وان لم يصدر عنه فعل ضد ذلك قالوا الاية دلت على انه لا جزاء الا على عمل وترك الواجب ليس بعمل اجاب ابو هاشم بانى لا اسمى ذلك
العقاب جزاء ورد بان الجزاء ما يجزى اى يكفى فى المنع عن المنهى وفى الحث على المامور به لكن العقاب على ترك الواجب كاف فى الزجر عن ذلك الترك
فكان جزاء قيل ان بنى اسرائيل كان لهم عيد يتزينون فيه ويستعيرون من القبط الحلى فاستعاروا حليهم فاغرق الله القبط فبقيت تلك الحلى فى ايدى
بنى اسرائيل فلهذا اضيفت اليهم على ان مجرد ملابسة الاستعارة ايضا يصحح الاضافة والحلى جمع حلى كثدى وثدى ومن كسر الحاء فللاتباع فجمع السامرى
تلك الحلى وكان رجلا مطاعا فيهم ذا قدر وكانوا قد سئلوا موسى ان يجعل لهم الها يعبدونه فصاغ السامرى عجلا واختلف المفسرون بعد ذلك
فقال قوم كان قد اخذ ترابا من حافر فرس جبرئيل فالقاه فى جوف ذلك العجل فانقلب لحما ودما وظهر منه الخوار مرة واحدة فقال السامرى هذا الهكم
واله موسى وقال اكثر المفسرين من المعتزلة انه كان قد جعل ذلك العجل مجوفا ووضع فى جوفه انابيب على وجه مخصوص ثم وضع التمثال على مهب
الرياح فظهر منه صوت يشبه خوار العجل وقال اخرون انه صير ذلك التمثال اجوف وجعل تحته من ينفخ فيه من حيث لا يشعر به الناس وانما قال
سبحانه واتخذ قوم موسى مع ان المتخذ هو السامرى وحده لان القوم رضوا بذلك واجتمعوا عليه فكانهم شاركوه او لان المراد باتخاذ العجل
هو عبادته كقوله ثم اتخذتم العجل من بعده اى من بعد مضيه الى الطور وقال الحسن كلهم عبدوا العجل غير هرون لعموم الاية ولقول موسى فى الدعاء رب اغفر
لى ولاخى ولو كان غيرهما اهلا للدعاء لاشركهم فى ذلك وقال اخرون بل كان قد بقى فى بنى اسرائيل من ثبت على ايمانه لقوله سبحانه ومن قوم موسى
امة يهدون بالحق وبه يعدلون وهل انقلب ذلك التمثال لحما ودما او بقى ذهبا كما كان قال بعضهم الى الاول لانه تعالى قال عجلا جسدا له خوار
والجسد اسم للجسم ذى اللحم والدم والخوار انما يكون للبقر لا للصورة واستبعده بعضهم وناقش فى ان الجسد مختص بذى الروح ثم قال ان ذلك الصوت
لما اشبه الخوار لم يبعد اطلاق لفظ الخوار عليه وقرا على كرم الله وجهه جؤار بالجيم والهمزة من جار اذا صاح وجسدا بدل من عجلا ثم انه سبحانه احتج على
نفى كون ذلك العجل الها بقوله الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ومن حق الاله ان يكون متكلما هاديا الى سبيل الحق ومناهج بار كون فى
العقول من الادلة وبما انزل من الكتب قالت المعتزلة ههنا سؤال فان كان مضلا عن الدين لا يصلح ان يكون الها قالت الاشاعرة لو صح ان الاله

ويفتحتين الاستقامة فى الدين ثم تعم مما علمت رشدا ع

لسنحق

يلزم ان يكون هاديا لزم ان يكون كل متكلم هاديا والحق ان الملازمة ممنوعة فان الدعوى ليست الا ان كل اله وانه يجب ان يكون متكلما هاديا او
الموجبة الكلية لا ينعكس كنفسها على انه يمكن ان يبقى لا متكلم ولا هادي في الحقيقة الا الله تعالى ثم ختم الاية بقوله اتخذوه وكانوا ظالمين وهذا كما قال
في البقرة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون ثم اخبر عن عقبى حالهم بقوله ولما سقط في ايديهم معناه ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل و
اختلفوا في وجه هذه الاستعارة فقال الزجاج اريد بالايدي القلوب والانفس كما يقال حصل في يده مكروه وان كان من المحال حصول المكروه في اليد
تشبيها لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين وقال في الكشاف ان من شان من اشتد ندمه ان يعض يده غما فصارت يده مسقوطا فيها لان فاه وقع فيها
فاصل الكلام سقط فاه في يده فحذف الفاعل وبني الفعل للمفعول نحو قولهم مر بزيد وهذا من باب الكناية لان عض اليد من لوازم الحسرة والندم
وقيل كل عمل يقدم المرء عليه فذلك لاعتقاد ان ذلك العمل خير له وصواب وانه يورثه نفعا وتيسرا فاذا بان ان ذلك العمل كان باطلا فكانه انحط وسقط من
علو الى سفل ومنه قولهم للرجل اذا اخطأ ذلك منه سقطة ثم ان اليد آلة البطش والاخذ والنادم كانه يتدارك الحالة لاجلها حصل الندم وكانه قد سقط
في يد نفسه من حيث انه بعد حصول ذلك الندم يشتغل بالتدارك والتلافي وحكى الواحدي انه من السقيط وهو ما يغشي الارض بالغدوات شبه الثلج فمن
وقع في يده السقيط لم يحصل منه على شيء فلا انه يذوب بادنى حرارة فهذا مثل من خسر في عاقبته ولم يحصل على طائل من سعيه وقال بعضهم الآلة الاصلية
في اكثر الاعمال اليد والعاجز في حكم الساقط فسقوط اليد هو العجز التام كما يقال في العرف ضل يده ورجله لمن لا يهتدي الى صلاحه وقيل ان في بمعنى
على اي سقط على ايديهم فان من عادة النادم ان يطاطأ راسه ويضع على يده تحت ذقنه ثم قال تعالى ورأوا انهم قد ضلوا اي تبينوا ضلالهم كانهم ابصروه
بعقولهم قال القاضي الكلام على التقديم والتاخير لان الندم والتحير بعد تعرف الحال وتبين الخطاء والترتيب لا يصلح ولما رأوا انهم قد ضلوا وسقط في
ايديهم ويمكن ان يقال الواو لا يفيد الترتيب او يقال الانسان اذا اقدم على ما يعلم كونه صوابا او خطأ فاسد موجب للندم وقد يتكامل العلم فيظهر انه خطأ جزما ثم انهم
اعترفوا بذنوبهم وانقطعوا الى ربهم وذكروا مثل ما ذكر ابوانا آدم وحواء ان لم يرحمنا ربنا الاية ولما رجع موسى الى قومه قال بعضهم ان موسى قد عرف
خبر القوم بعد رجوعه اليهم وقال الاكثرون وهو قول مسلم انه كان عارفا بذلك قبل رجوعه بدليل قوله غضبان اسفا فانه يدل على ان هاتين
الحالتين حاصلتان له عند رجوعه اليهم ولما جاء في سورة طه قد فتنا قومك من بعدك فيه دليل ظاهر على انه تعالى اخبره بوقوع الواقعة في الميقات
والاسف الشديد وهو قول ابي الدرداء وعطاء والزجاج وعن ابن عباس والحسن انه الحزين وقال الواحدي هما متقاربان فاذا جاءك ما تكره ممن
هو دونك غضبت واذا جاءك ممن هو فوقك حزنت فكان موسى غضبانا على قومه اسفا من فتنة ربه بئسما خلفتموني خاطب عبدة العجل او وجوه القوم
هرون والمؤمنين حيث لم يكفوا العبدة وفاعل بئس مضمر يفسره ما خلفتموني والمخصوص محذوف والتقدير بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم
ومعنى من بعدي مع قوله خلفتموني من بعد ما رأيتم مني من توحيد الله ونفي الانداد ومن بعد ما كنت احمل القوم عليه من التوحيد والكف من اتخاذ
اله غير الله حيث قالوا اجعل لنا الها ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة مستخلفهم من بعدهم ولا يخالفوهم ونظير الاية قوله فخلف من بعدهم خلف اي من
بعد اولئك الموصوفين بالصفات الحميدة اعجلتم امر ربكم قال الواحدي العجلة التقدم بالشيء قبل وقته ولذلك صارت مذمومة في الاغلب بخلاف
السرعة فانها عمل الشيء اول وقته قال ابن عباس يعني اعجلتم ميعاد ربكم فلم تصبروا له وقال الحسن اعجلتم وعد ربكم الذي وعدكم من الاربعين و
ذلك انهم قدروا انه لما لم يات على راس الثلاثين ليلة فقد مات وروي ان السامري قال لهم ان موسى لن يرجع وانه قد مات وروي انهم عدوا عشرين
يوما بلياليها فجعلوها اربعين ثم احدثوا ما احدثوا وقال الكلبي اعجلتم عبادة العجل قبل ان ياتيكم امر ربكم وقال عطاء اعجلتم سخط ربكم وفي الكشاف
يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه واعجله عنه غيره ويضمن معنى سبق فيعدى تعديته فيقال عجلت الامر والمعنى اعجلتم عن امر ربكم وهو انتظار
موسى حافظين بعهده وما وصيكم به والقى الالواح التي فيها التورية لما لحقه من الدهش والضجر غضبا لله عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال يرحم الله
اخي موسى ما الخبر كالمعاينة لقد اخبره الله تعالى بفتنة قومه فعرف ان ما اخبره الله تعالى به حق وانه مع ذلك تمسك بما في يده وروي ان التورية كانت سبعة
اسباع فلما القى الالواح تكسرت فرفع منها ستة اسباعها وبقي سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل كل شيء وفيما بقي الهدى والرحمة قال في التفسير الكبير القاء الالواح
ثابت بالقران فاما القاؤها بحيث تكسرت فلا وانه جراءة عظيمة ومثله لا يليق بالانبياء وقول الجراءة تحصل بنفس الالقاء الا بالتكسر الذي لا يتعلق
باختياره فكل ما يجعل عذرا عن نفس الالقاء يصح ان يجعل عذرا عن التكسر واخذ براس اخيه اي بشعر راسه يجره اليه بذؤابته واعلم ان موسى كان
في نفسه حديدا شديد الغضب وكان هرون الين منه جانبا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل من موسى وقد استتبع غضبه امرين احدهما
القاء الالواح والاخر اخذ راس اخيه جارا اليه فزعم مثبتوا عصمة الانبياء انه جر راس اخيه الى نفسه ليساره ويستكشف منه كيفية الواقعة لا لاجل
الاهانة والاستخفاف ثم ان هرون خاف ان يتوهم جهال بني اسرائيل ان موسى فعل ما فعل به اهانة فقال يا ابن ام من كسرها بناء على طرح ياء المتكلم و
من فتحها فتشبيها بخمسة عشر لكثرة الاستعمال او على حذف الالف المبدلة من ياء الاضافة وانما اضافه الى الام اشارة الى انهما واحدة على ما روي
انه كان اخاه لابيه وامه ليكون ادعى الى العطف والرقة ولانها كانت مؤمنة فافتخر بنسبها ولانها هي التي تحملت فيه الشدائد فذكره حقها ان القوم
استضعفوني استذلوني وقهروني ولم يبالوا بي لقلة انصاري وكادوا يقتلونني حين منعتهم عبادة العجل ونهيتهم عنها فلا تشمت بي الاعداء
العابدين العجل فانهم يحملون هذا الذي تفعل بي على الاهانة لا على الاكرام ولا تجعلني مع القوم الظالمين في اشتراك العقوبة والاذلال ولا تعتقد

كما عند القتل وبني انعو ۴۳

الى واحد منهم ولا اماني بعض هذا التفسير من التعسف والتكلف والحق ان هذا القدر من الحدة الناشئة من عصبية الدين لا يقدح في العصمة
وغايته ان يكون من قبيل ترك الاولى فلذلك قال موسى رب اغفر لي لما اندمت عليه من الحدة قبل جلية الحال ولاخي ان عسى فرط في شان
الخلافة ثم اخبر عن مجازاة القوم فقال ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحيوة الدنيا فالغضب والم والامر بقتل
انفسهم والذلة خروجهم من ديارهم وذل الغربة لا يخفى واعترض بان قوله سينالهم للاستقبال وفي وقت نزول الاية كان القتل والقعاد
واجيب بان هذا الكلام حكاية عما اخبر الله تعالى موسى به في الميقات من افتتان قومه وكان سابقا على وقوعهم في الغضب والذلة قلت ويجوز
ان يكون الاتيان من تتمة قول موسى الا ان قوله وكذلك نجزي المفترين ينبو عن ذلك الا ان يحمل على الاعتراض ولما في هذا التفسير
من التكلف ذهب بعض المفسرين الى ان المضاف في الاية محذوف والتقدير ان الذين اتخذوا اباؤهم العجل يعني الذين
كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم سينالهم غضب من ربهم في الاخرة وذلة في الحيوة الدنيا بضرب الجزية او غضب وذلة كلاهما في الدنيا بالقتل والجلاء كما نال بني
قريظة والنضير والتقدير ان الذين اتخذوا العجل سينالهم اولادهم وكذلك نجزي المفترين اي في كل مفتر في دين الله بجزاؤه الغضب والذلة
قال مالك بن انس ما من مبتدع الا ويجد فوق راسه ذلة ثم قرأ هذه الاية والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وامنوا ظاهر الاية
يدل على ان التوبة شرط العفو وانه لا بد مع التوبة من تجديد الايمان فما اصعب شان المذنبين لكن عموم لفظ السيئات يدل على ان من اتى
بجميع المعاصي ثم تاب فان الله يغفرها فما احسن حال التائبين لغفور ستور عليهم محاء لما صدر عنهم رحيم منعم عليهم بالجنة وفيه ان الذنوب وان جلت
وعظمت الا ان عفوه وكرمه اعظم واجل ولما بين ما كان منه بعد الغضب قال ولما سكت عن موسى الغضب قال علماء البيان انه خرج على قانون
الاستعارة فكان الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول الق الالواح وغير ذلك ثم ترك النطق وقطع الاغراء وعن عكرمة ان المعنى سكت موسى عن الغضب فقلب
كما يقال ادخلت الخف في رجلي وانما ادخل الرجل في الخف وقيل السكوت بمعنى السكون وقد قرىء به اخذ الالواح التي القاها ليبين انها على زوال الغضب لانه
اوكد ما تقدم من امارات الغضب وفي نسختها فعلة بمعنى مفعول كالخطبة من النسخ الكتابة اي في مكتوبها من اللوح المحفوظ سواء قلنا ان الالواح لم
يتكسر واخذها موسى باعيانها بعدما القاها او قلنا انها تكسرت اخذ ما بقي منها وقيل النسخ بمعنى الازالة لما روي عن ابن عباس انه لما القى الالواح
تكسرت فصام اربعين يوما فاعاد الله تعالى الالواح وفيها عين ما في الاولى هدى من الضلالة ورحمة من العذاب للذين هم لربهم يرهبون ادخل اللام
في المفعول لتقدمه فان تاخر الفعل يكسبه ضعفا ونظيره للرؤيا تعبرون وقولك لزيد ضربت ويجوز ان يكون المراد للذين هم لاجل ربهم يرهبون
لا رياء وسمعة وجوز بعضهم ان يكون اللام صلة نحو ردف لكم التاويل ثلثين ليلة لئلا يستكثر النفس الاربعين من ضعف البشرية واتممناها
بعشر لخصوصية الاربعين في ظهور ينابيع الحكمة من القلب على اللسان وقال موسى للروح لاخيه هرون القلب عند توجهه لمقام المكالمة والتجلي
كن خليفتي في قومي من الاوصاف البشرية واصلح ذات بينهم على وفق الشريعة وقانون الطريقة ولا تتبع سبيل المفسدين من الهوى والطبيعة
وهذه الخلافة هي السر الاعظم في بعثة الروح من ذروة عالم الارواح الى حضيض عالم الاشباح ولما جاء موسى لما حصل الروح على بساط القرب
وتتابع عليه كاسات الشراب اثر فيه سماع الكلام فطال لسان انبساطه عند التمكن على بساطه فقال رب ارني انظر فقيل هيهات انت بعد في
بعد الاثنينية وحجاب جبل الانانية فلن تراني ببصر انانيتك وخر موسى صعقا بالانانية فكان ما كان بعد ان بان ما بان فاشرقت الارض
بنور ربها فذ كان ما كان سر لا ابوح به فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر فلو لم يكن جبل انانية النفس بين موسى الروح وتجلي الرب لطاش في
الحال وما عاش ولولا ان القلب خليفته عند الفناء بالتجلي لما امكنه الافاقة والروح الى الوجود ولو لم يكن تعلق الروح بالجسد لما استسعد بالتجلي فافهم
فلما افاق من غشية الانانية بسطوة تجلي الربوبية قال موسى بلا هوية سبحانك تنزيها لك من خلقك واتصال الخلوق بك وانا اول المؤمنين
بانك لا ترى بالانانية وانما ترى بنور هويتك برسالاتي وبكلامي دون رؤيتي وكن من الشاكرين فان الشكر يبلغك الى ما سالت من الرؤية
لان الشكر يورث الزيادة والزيادة هي الرؤية للذين احسنوا الحسنى وزيادة فخذها بقوة اي بقوة الصدق والاخلاص بقوة واعانة منا
ساريكم دار الفاسقين الخارجين عن طلب الله الى طلب الاخرة او الدنيا ساصرف عن اياتي فيحجاب التكبر حرم المتكبر عن رؤية الايات واتخذ قوم
موسى ان سامري الهوى من بعد توجه موسى الروح مكالمة الحق تخذ من حلي زينة الدنيا ورعونات البشرية التي استعارها بنو اسرائيل صفات
القلب من قبط صفات النفس عجلا هو الدنيا له خوار يدعو الخلق به الى نفسه ولما سقط في ايديهم عند رجوع موسى الروح الى قومه الاوصاف
الانسانية ندمت من فعلها وعادت الى ما كانت فيه من عبودية الحق والاخلاص لئن لم يرحمنا بجذبات العناية ربنا الاية غضبان مما
عبد صفات القلب عجل الدنيا اسفا على ما فات لهما من عبودية الحق اعجلتم امر ربكم بالرجوع الى الدنيا وزينتها والتعلق بها قبل وانه من غير ان
يامركم به ربكم وفيه اشارة الى ان اصحاب السلوك لا ينبغي ان يلتفتوا الى شيء من الدنيا في اثناء الطلب لله الا اذا قطعوا مفاوز النفس والهوى
ووصلوا الى كعبة وصال المولى فيامرهم المولى ان يرجعوا الى الدنيا لدعوة الخلق والقى الالواح يعني ما لاح للروح من اللوائح الربانية عند استيلاء
الغضب الطبيعي واخذ براس اخيه القلب فانه اخو الروح يجره اليه قسرا عند استيلاء طبيعة الروحانية قال ابن ام هما من اب وام واحد ابوهما الامر
وامهما الخلق وانما نسبه الى الخلق لان في عالم الخلق تواضعا وتذللا بالنسبة الى عالم الامر ان القوم استضعفوني يعني ان اوصاف البشرية استذلوني

من موسى مع الغضب بين ما كان ۴

بالغلبات عند غيبتك وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء وهم الشيطان والنفس والهوى ولا تجعلني مع القوم الظالمين فيه ان صفات القلب تتغير و
تتلون بلون صفات النفس ورعوناتها ولكن القلب من حيث هو هو لا يتغير عما جبل عليه من محبة الله وطلبه وانما يعرض تغير صفاته كما ان النفس لا تتغير من
حيث هي عما جبلت عليه من حب الدنيا وطلبها وانما تتغير صفاتها من الامارية الى اللوامية والملهمية والمطمئنة والرجوع الى الحق ولو وكلت الى نفسها طرفة عين لعادت
الى طبعها رب اغفر لي ولاخي اشارة ان للروح والقلب استعداد قبول الجذبة الالهية التي يدخلهما بالسر في عالم الصفا وكذلك نجزي المفترين الذين يدعون ان الله اعطاهم قوة لا
يضرهم عبادة الهوى والدنيا وشهواتها واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل
و برگزید موسی از قوم خود هفتاد مرد را از برای وعده جای ما پس چون فرو گرفت ایشان را عذاب گفت پروردگارا اگر خواستی هلاک کردی ایشان را از
واياي اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت
و مرا نیز آیا هلاک کردانی مرا بانچه کردند بیخردان از ما نیست این مگر آزمایش تو گمراه کنی بآن هر که را خواهی و هدایت کنی هر که را خواهی تو کارساز مایی پس بخش ما را و رحم کن ما را و تویی
خير الغافرين واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة انا هدنا اليك قال عذابي اصيب به من اشاء و
بهترین آمرزندگان و بنویس از برای ما در این دنیا نیکویی و در آخرت نیکویی بدرستی که ما بازآمدیم بسوی تو گفت عذاب من برسانم بآن هر که خواهم و
رحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم باياتنا يؤمنون الذين يتبعون
رحمت من فرو گرفت هر چیزی را پس زود باشد که بنویسم آن را از برای آنان که میپرهیزند و میدهند زکوة را و آنان که ایشان بآیات ما میگروند آنان که پیروی کنند
الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل يامرهم بالمعروف وينههم عن المنكر ويحل
رسول را پیغمبر امی را آنکه مییابند او را نوشته در نزد ایشان در توریه و انجیل بفرماید ایشان را بمعروف و بازدارد ایشان را از منکر و حلال کند
لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين امنوا به وعزروه و
از برای ایشان پاکیزها را و حرام گرداند بر ایشان ناپاکها را و بنهد از ایشان بار گران ایشان را و زنجیرها که بود بر ایشان پس آنان که گرویدند بان و عزیز داشتند او را
نصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون قل يايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا
یاری کردند او را و پیروی کردند روشنی را که فرستاده شد با او آنگروه ایشانند رستگاران بگو ای زمره مردمان بدرستی که من پیغمبر خدایم بر شما همه
الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن
آنکه مر او راست پادشاهی آسمانها و زمین نیست خدائی بجز او زنده کند و بمیراند پس بگروید بخدا و رسول او پیغمبر امی آنکه ایمان آورد
بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون القراءة عذا
بخدا و کلمات او و پیروی کنید او را شاید که راه یابید و از قوم موسی گروهی اند که راه برند بحق و بان برابری کنند
ع ١٠

اصيب بفتح الياء ابو جعفر ونافع اصارهم على الجمع ابو جعفر ونافع وابن عامر وسهل ويعقوب والمفضل الباقون على التوحيد الوقوف لميقاتنا ج للابتداء
بكلمة الجزاء مع فاء التعقيب ايَّاي ط منا لتضاد ان النافية مع اتحاد القائل فتنتك ط لان ما بعده مستانف وتهدي من تشاء ط الغافرين اليك ط
من اشاء ط للفصل بين الجملتين تعظيما لشانها مع الاتفاق في اللفظ كل شيء ط للسر واختلاف الجملتين والفاء للاستيناف وعد على الخصوص يؤمنون ج
لاحتمال ما بعده النصب او الرفع على المدح والجر على البدل والانجيل ز لان يامرهم يحتمل ان يكون خبر مبتداء محذوف اي هو يامرهم وان يكون نعتا
اي مكتوبا امرا او بدلا عن مكتوبا او مفعولا بعد مفعول اي يجدونه امرا او يكون التقدير الامي الذي يامرهم فيكون كالبدل عن الصلة
كانت عليهم ط انزل معه لا لان ما بعده خبر فالذين المفلحون والارض ج لاحتمال ما بعده الابتداء والحال اي استحق ملك السموات غير مشارك ويميت
لطول الكلام والا فالفاء للجواب اي اذا كنت رسولا فامنوا اجابته يهتدون يعدلون التفسير الاختيار افتعال من لفظ الخير يقال اختار الشيء اذا
اخذ خيره وخياره ومن هنا سمي به فعل الحيوان فعلا اختياريا وذلك ان صدور الفعل عن الحيوان موقوف على حكمة يكون ذلك الفعل خيرا له من
تركه قال النحويون اصله واختار موسى من قومه فحذف الجار واوصل الفعل لان الافعال ما يتعدى الى المفعول الثاني بحرف واحد ثم يتسع
فيحذف الحرف من ذلك قولهم اخترت من الرجال زيدا ثم يتسع فيقال اخترت الرجال زيدا وكذا استغفرت الله من ذنبي واستغفرته ذنبي وجوز
بعضهم في الاية ان يراد بالقوم المعتبرون منهم اطلاقا لاسم الجنس على ما هو المقصود منهم فيكون مفعولا اول من غير واسطة ويكون سبعين
بدلا او بيانا قيل من اثني عشر سبطا من كل سبط ستة فصاروا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد منكم مثل
اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وروي انه لم يجد الا ستين شيخا فاوحى الله اليه ان يختار من الشبان عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا وقيل كانوا
ابناء ما عدا العشرين ولم يجاوزوا الاربعين قد ذهب عنهم الجهل والصبي فامرهم موسى ان يتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم خرج بهم الى طور سيناء لميقات
ربه وللمفسرين خلاف في ان هذا الميقات عين ميقات الكلام والروية ام غيره الذاهبون الى الاول قالوا ان موسى كان امره ربه ان ياتيه في
سبعين من بني اسرائيل فلما سمعوا الكلام طلبوا الروية وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وهي المراد من الرجفة في هذه
الاية والذاهبون الى الثاني حملوا القصة على ما مر في البقرة في تفسير قوله واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك وقد ذكرنا هنالك ان منهم من قال

هذه الواقعة كانت قبل قتل الانفس توبة من عبادة العجل ومنهم من قال انها كانت بعد القتل واحتج اصحاب هذا المذهب على المغايرة بانه
تعالى ذكر قصة ميقات الكلام وطلب الروية ثم اتبعها ذكر قصة العجل ثم ختم الكلام بهذه القصة فظاهر الحال يقتضي ان يكون هذه القصة مغايرة
لتلك القصة والا لخرج النظم عن التناسب عن علي ان موسى وهرون انطلقا الى سفح جبل فنام هرون فتوفاه الله تعالى فلما رجع موسى الى قومه قالوا انه قتل
هرون فاختار من قومه سبعين فذهبوا الى هرون فاحياه الله تعالى فقال ما قتلني احد فاخذتهم الرجفة هنالك قيل كانت موتا وقيل اخذتهم الرعدة
حتى كادت تبين مفاصلهم وتنقض ظهورهم فخاف موسى عليهم الموت فدعا الله تعالى وقال رب لو شئت اهلكتهم من قبل هذا اتهلكنا جميعا يعني نفسه واياهم بما فعل
السفهاء منا قال اهل العلم لا يجوز ان يظن موسى ان الله تعالى اهلك قوما بذنوب غيرهم فهذا الاستفهام بمعنى الجحد اراد انك لا تفعل ذلك كما تقول
اتهين من يخدمك تريد انك لا تفعل ذلك وقال المبرد انه استفهام استعطاف اي لا تهلكنا قيل لو كان تسفيههم لقولهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
ناسب ان يقول اتهلكنا بما قال السفهاء فاذن التسفيه لفعل صدر عنهم كعبادة العجل او غيرها ومنه يعلم ان هذا الميقات غير طلب الروية ان هي الا فتنتك
الضمير تعود الى الفتنة كما تقول ان هو الا زيد وان هي الا هند قاله الواحدي ولعله يعود الى مقدر ذهني والمعنى ان الفتنة التي وقع فيها السفهاء لم تكن الا
فتنتك ابتلاؤك ومحنتك حين كلمتني وسمعوا كلامك وحين اسمعتهم صوت العجل تضل بها اي بالفتنة من تشاء فيفتتن ويهدي بها من تشاء فيثبت
على الحق قالت الاشاعرة في الاية دلالة ظاهرة على مذهبنا ان الاضلال والهداية من الله تعالى وقالت المعتزلة ان محنته لما كانت سببا لان ضلوا
اهتدوا فكانه اضلهم بها وهداهم على الاتساع في الكلام او الضمير يعود الى الرجفة اي تضل عن ابتهم بعدم الصبر على تلك الرجفة ولعدم الايمان
بانها من عندك من تشاء وتهدي اي الجنة بها لا ضلالهم فيما تلنا من تشاء او المراد بالاضلال الاهلاك اي تهلك من تشاء بالرجفة وتصرفها
عمن تشاء انت ولينا يفيد الحصر اي لا ولي لنا ولا ناصر الا انت فاغفر لنا وارحمنا قيل تذكر ان قوله ان هي الا فتنتك جرأة عظيمة فاشار الى نفسه
توسي في طلب المغفرة والرحمة وانت خير الغافرين لان غفرانك غير متوقف على جلب نفع او دفع ضرر بل لمحض الفضل والكرم واكتب اوجب لنا في هذه
الدنيا حسنة وفي الاخرة نظيره سؤال المؤمنين من هذه الامة ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقد فسرناها في سورة البقرة واعلم
ان كونه تعالى وليا للعبد يناسب ان يطلب العبد منه دفع المضار وتحصيل المنافع ليظهر اثار كرمه والهيته وايضا اشتغال العبد بالتوبة والخضوع
يناسب طلب هذه الاشياء فذكر السبب الاول ثم رتب عليه الدعاء وختم بالسبب الثاني وهو قوله انا هدنا اليك العبودية فلا يبعد وقوع الاجابة
ولان دفع الضرر مقدم على تحصيل النفع قدم المغفرة والرحمة على طلب ايجاب الحسنة في الدارين قال الله تعالى في جوابه موسى عذابي من حاله
صفته اصيب به من اشاء اذ ليس لاحد على اعتراض في ملكي وقالت المعتزلة اي من وجب علي في الحكمة تعذيبه ولم يكن في العفو عنه مساغ لكونه
مفسدة وقراءة الحسن من اساء من الاساءة ورحمتي من شانها انها وسعت كل شيء قالت الاشاعرة هذا من العام الذي اريد به الخاص وقال اكثر
المحققين ان رحمته في الدنيا تعم الكل ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص الا وهو متقلب في نعمته واما في الاخرة فهي مختصة بالمؤمنين وذلك قوله
فساكتبها للذين يتقون وقيل الوجود خير من العدم فلا موجود الا وهو مشمول بنعمته وقيل الخير مطلوب بالذات والشر مطلوب بالعرض وما بالذات
راجح غالب وقالت المعتزلة الرحمة عبارة عن ارادة الخير ولا حي الا وقد خلقه الله تعالى للرحمة والخير واللذة وان حصل هناك الم فله اعواض كثيرة
واعلم ان تكاليف الله تعالى كثيرة ولكنها محصورة في نوعين التروك والافعال فقوله فساكتبها للذين يتقون اشارة الى التروك والتكليف
الفعلي اما مالي وهو قوله ويؤتون الزكوة واما غيره وذلك قوله والذين هم باياتنا يؤمنون فانه يشمل كل ما يجب على الانسان علما وعملا ثم ضم الى ذلك
اتباع النبي الامي الى اخره ووصف محمدا صلى الله عليه وسلم في هذه الاية بصفات تسع الاولى الرسالة الثانية النبوة فان قيل النبوة مندرجة تحت الرسالة فلم افردها بالذكر
قلت لا بل بينهما عموم وخصوص من وجه فقد يكون رسولا ولا يكون نبيا كقوله جاعل الملئكة رسلا وقد يكون نبيا ولا رسولا ككثير من الانبياء فلا يكون
احد الوصفين على الاطلاق مغنيا عن الاخر ولو سلم فذكر الاخر تتميم وتصريح لما علم ضمنا الثالثة كونه اميا قال الزجاج معناه انه على صفة امة العرب قال
صلى الله عليه واله انا امة امية لا نكتب ولا نحسب وقيل انه منسوب الى الام اي انه على هيئة يوم ولد لم يكتسب خطا ودراسة وكان هذا من جملة معجزاته نبينا
من وجوه الاول انه كان يقرأ عليهم كتاب الله منظوما مرة بعد اخرى من غير تبديل والخطيب من العرب اذا ارتجل خطبة ثم اعادها فانه لا بد من ان
فيها ويتقص فهذا المعنى من مدد سماوي كقوله سنقرئك فلا تنسى الثاني لو كان يحسن الخط والقراءة لصار متهما بانه طالع كتب الاولين فلما اتى بهذا
القران العظيم المشتمل على جلائل العلوم من غير تعلم ومطالعة عرف انه من السماء واليه الاشارة بقوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك
اذا لارتاب المبطلون الثالث ان تعلم الخط لا يفتقر الى فطنة قليلة ومع ذلك كان الخط مشكلا عليه ثم ان الله تعالى اتاه علوم الاولين والاخرين
وما لم يصل اليه احد من العالمين فالجمع بينهما بين الحالتين من الامور الخارقة للعادة كالجمع بين الضدين الصفة الرابعة الذي يجدونه مكتوبا عندهم
في التورية والانجيل الضمير في يجدونه للذين يتبعونه من بني اسرائيل ثم ان كان المراد اسلافهم فالوجه ان يراد بالاتباع استفادة نبوته من حيث وجدوا
نعته في التورية اذ لا يمكن ان يتبعوه في شرائعه قبل بعثه الى الخلق ويكون المراد من قوله والانجيل انهم يجدونه مكتوبا عندهم ان نعته في الانجيل
فمن المحال ان يجدونه في الانجيل قبل نزول الانجيل وان كان المراد المعاصرين فالمعنى ان هذه الرحمة لا يفوز بها من بني اسرائيل الا من اتقى واتى
الزكوة وامن بالدلائل في زمن موسى واتبع في اخر الزمان في شرائعه وفي هذا دليل على ان نعته وصحة نبوته مكتوب في التورية والانجيل والا كان ذكره هذا

الكلام من اعظم الفوادح والمنفردات لاهل الكتابين عن قبول قوله لان الاصرار على الزور والبهتان يوجب نفضاح حال المدعى فلا يرتكبه عاقل فلما اخبر على ذلك دل على انه صادق في نفسه كما ان الخامسة والسادسة يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وقد ذكرنا تفصيل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في آل عمران ومجامع ذلك محصورة في قوله صلعم ملاك الدين تعظيم امر الله والشفقة على خلق الله فان كل ذرة من ذرات المخلوقات لما كانت دليلا قاهرا وبرهانا باهرا على توحيد الله وتنزيهه فانه يجب النظر اليها بعين الاحترام والاشفاق كما يليق بها السابعة ويحل لهم الطيبات قيل اي ما يستطاب طبعا لان تناول ذلك يفيد لذة وقيل يعني الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها الثامنة التي حكم الله تعالى بحلها وزيف بانه يجري مجرى قول القائل ويحل لهم المحللات وهو تكرير ويمكن ان يجاب بان المراد ويبين لهم المحللات وفائدته العدول ان يعلم ان كل حلال مستطاب طبعا وان الاصل في كل ما يستطيبه النفس ويستلذه الطبع الحل الا لدليل منفصل وقيل معنى ما حرم عليهم من الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها الثامنة ويحرم عليهم الخبائث قال عطاء عن ابن عباس الميتة والدم ونحوهما من المحرمات وقيل كل ما يستخبثه الطبع فالاصل فيه الحرمة الا بدليل منفصل التاسعة ويضع عنهم اصرهم الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله وهو مثل لصعوبة تكاليفهم كاشتراط قتل النفس في صحة التوبة وكذا الاغلال التي كانت عليهم مثل للملتزم في شرائعهم من الامور الشاقة كالقصاص بتة من غير شرع الدية وكقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم العروق في اللحم جعلها الله تعالى اغلالا لان التحريم يمنع من الفعل كما ان الغل يمنع من الفعل عن عطاء كانت بنو اسرائيل اذا قامت تصلي لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها على السارية يحبس نفسه على العبادة فالاغلال على هذا القول غير مستعارة وفي الاية دلالة على ان الاصل في المضار والمشاق الحرمة كما قال صلعم بعثت بالحنيفية السهلة السمحة وهذا اصل عظيم في هذه الشريعة ثم لما وصفه بالصفات التسع اكد الامر بقوله والذين آمنوا به قال ابن عباس يعني من اليهود والاولى حمله على العموم وعزروه وقروه وعظموه قال في الكشاف واصل العزر المنع ومنه التعزير للضرب دون الحد لانه منع من معاودة القبيح فالمراد ومنعوه حتى لا يقوى عليه عدوه وعلى هذا يقرب منه قوله ونصروه فرق كثير واتبعوا النور الذي انزل معه وهو القرآن اي انزل مع نبوته لان نبوته ظهرت مع ظهور القرآن او يتعلق باتبعوا اي اتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته واتبعوا القرآن كما اتبعوا النبي مصاحبين له في اتباعه اولئك هم المفلحون الفائزون بالمطلوب في الدارين اعلم انه سبحانه لما قال فسأكتبها للذين يتقون بين ان من شرط نزول الرحمة لاولئك المتقين كونهم متبعين للرسول على ما بان ثم اراد ان يحقق عموم رسالته الى المكلفين فقال قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وانتصابه على الحال من اليكم وفيه دليل على ان محمدا صلى الله عليه وآله مبعوث الى الخلق كافة خلافا لطائفة من اليهود يقال لهم العيسوية اتباع عيسى الاصفهاني زعموا ان محمدا رسول صادق لكنه مبعوث الى العرب خاصة وفساده ظاهر لانه من المعلوم بالتواتر من دينه انه كان يدعي عموم الرسالة فان كان رسولا حقا امتنع الكذب عليه وان لم يكن رسولا حقا فهذا يقتضي القدح في كونه رسولا الى العرب والى غيرهم وزعم بعض العلماء انه عام دخله التخصيص لانه غير مبعوث الى غير المكلفين بقوله صلعم رفع القلم عن ثلاث عن الصبي حتى يبلغ وعن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق وايضا يمكن وجود قوم في طرف من اطراف العمارة لم يصل اليهم خبر وجوده فهم لا يكونون مكلفين بالاقرار بنبوته والجواب ان رفع القلم عن الاصناف الثلاثة انهم حكم عليهم بهذا الاعتبار بدخلون تحت الخطاب وان وجود قوم كما زعمتم من المستبعدات فلا يستحق الالتفات اليه قال بعض الاكابر ان الاية وان دلت على انه مبعوث الى كل الخلق فليس فيها دلالة على ان غيره من الانبياء ما كان مبعوثا الى كلهم وقد تمسك جمع من العلماء بالحديث المشهور اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي ارسلت الى الاحمر والاسود وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا ونصرت بالرعب مسيرة شهر واحلت لي الغنائم وختم بي النبيون ورد بان مجموع هذه الامور من خواصه لا كل واحد واحد وبان آدم بعث الى كل اولاده في ذلك الزمان فكان مبعوثا الى كل الناس وفيه نظر ولا يخفى ضعف هذا الرد لانا نعلم من دين محمد انه خاتم النبيين وحده وفي رواية اخرى واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي واذا كان بعض هذه الامور من خواصه لزم ان يكون كل واحد منها كذلك وايضا ان آدم لم يكن مبعوثا الى حواء لانه عرفت التكاليف بواسطة آدم بدليل ولا نقر بانه كما امر رسول الله بان يقول للناس اني رسول الله اليكم اتبعه ذكر ما يدل على صحة هذه الدعوى وانها لا تتم الا بتقرير اصول اربعة اولها اثبات ان للعالم الها حيا عالما قادرا واشار اليه بقوله الذي له ملك السموات والارض اذ لو لم يكن للعالم مؤثر او كان له مؤثر موجب بالذات لا فاعل بالاختيار لم يكن القول ببعثة الرسول ومحل الذي نصب او رفع على المدح او جر بدلا او وصفا لله وثانيها ان اله العالم واحد وذلك قوله لا اله الا هو اذ لو فرض الهان لم يكن عبادة احدهما اولى من عبادة الآخر وثالثها انه تعالى قادر على الخير والشر والبعث والحساب كما قال يحيي ويميت وانما لم يوسط العاطف بين هذه الجمل لان كلا منها مبينة لما قبلها واذا ثبت هذه الاصول الثلاثة ثبت اصل رابع وهو انه يصح من الله تعالى ارسال الرسل ومطالبة الخلق بالتكاليف اما بالاصل الاول والثاني فلانه يحسن من المولى مطالبة عبده بطاعته وخدمته ولا سيما اذا كان فردا منزها عن الشريك والنظير مستقلا بالامر والنهي واما بالاصل الثالث فلانه يحسن من القادر تكليف المكلف بنوع من طاعته ايصالا الى الجزاء والى اللذة الجزاء فان تحصيل لذة الاجر بدون كونه اجرا ممتنع واشار الى هذا الاصل الرابع بقوله فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي فنص من الصفات التي كونه هينا على الامية لانها اجل الاوصاف وادلها على حقيته وذلك انه لم يتفق له مطالعة كتاب ولا مصاحبة معلم لانه ما كانت مكة بلدة العلماء وما غاب منها رسول الله صلعم غيبة طويلة يمكن التعلم فيها ومع ذلك فتح الله عليه ابواب العلم والتحقيق واظهر عليه هذا القرآن الذي اشتمل على علوم الاولين والآخرين فليس

ذلك الا بتأييد سماوي وفيض الهي ثم وصفه بقوله الذي يؤمن بالله وكلماته لان النبي صلى الله عليه وآله يجب ان يكون ممن آمن بالله وبكتبه ولما قيل فآمنوا بالله وجب بعد قوله اني رسول الله بل عدل الى المظهر ليمكن ان يجري عليه الصفات المذكورة ولما في طريقة الالتفات من البلاغة وليعلم ان الذي وجب الايمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بانه النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان انا او غيري اظهارا للنصفة واحترازا عن العصبية واعلم ان الكمالات اما نظرية واشار اليها بقوله فآمنوا واما عملية واشار اليها بقوله واتبعوه والاولى اشارة الى التكاليف المستفادة من اقواله فان كل فعل يصدر عنه وقد واظب عليه فلا بد ان يكون جانب فعله راجحا على تركه ثم ان ظاهر الامر للوجوب فيجب علينا اتباعه وان كان ذلك مندوبا له الا ان يدل دليل منفصل على ان ذلك الفعل من خصائصه ومعنى الترجي لعلكم تهتدون قد مر نظائره لا سيما في اول البقرة في قوله لعلكم تتقون ثم لما ذكر ان الرسول انه يجب على الخلق متابعته ذكر ان في قوم موسى من اتبع الحق وهدى اليه فقال ومن قوم موسى امة يهدون بالحق اي يهدون الناس بكلمة الحق وبه يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون وهذه الامة متى حصلت وفي اي زمان كانت اختلف المفسرون في ذلك فقيل هم اليهود الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله كعبد الله بن سلام وابن صوريا وغيرهما ولفظ الامة قد يطلق على القليل اذا كان لهم شأن كما اطلق على الواحد في قوله ان ابراهيم كان امة وقيل انهم قوم ثبتوا على الدين الحق الذي جاء به موسى ودعوا الناس اليه وصانوه عن التحريف والتبديل في زمن تفرق بني اسرائيل واحداثهم البدع ويجوز ان يكونوا قاموا على ذلك الى ان جاء المسيح فدخلوا في دينه ويجوز ان يكونوا هلكوا قبل ذلك وقال السدي وجماعة من المفسرين ان بني اسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله ان يفرق بينهم وبين اخوانهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين ثم من المفسرين من قال انهم بقوا متمسكين بدين اليهودية الى الآن بناء على ان خبر نبينا لم يصل اليهم ثم منهم من استبعد عدم وصول الخبر اليهم مع ان خبر هذه الشريعة طار في كل افق وتغلغل في كل نفق فقال انهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وروي عن النبي صلعم ان جبرئيل ذهب به ليلة الاسراء نحوهم فكلمهم فقال لهم جبرئيل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا فقال هذا محمد صلعم النبي الامي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله صلعم ان موسى اوصانا من ادرك منكم احمد فليقرأ عليه مني السلام ثم اقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم يكن نزلت فريضة غير الصلوة والزكوة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا او يتركوا السبت والله اعلم التأويل واختار موسى قومه المختار من الخلق من اختاره الله تعالى دون تلك يخلق ويختار بلا ولا شاء ما كان لهم الخيرة فالذي اختاره الله كان مثل موسى وانا اخترتك والذين اختارهم موسى كانوا مستحقين لترك الادب للرجفة والصعقة وههنا نكتة هي ان تأدب موسى لما كان مخصوصا بالاصطفاء للرسالة والكلام دون القوم كان سؤاله الرؤية شعلة نار المحبة مقرونا بحفظ الادب على بساط القرب بقوله رب ارني انظر اليك قدم عزة الربوبية واظهر ذلة العبودية وكان سؤال القوم من القلوب المتناهية اللاهية فتصاعد دخان الشوق بسوء الادب فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة قدموا الجحود والانكار وطلبوا الرؤية جهارا فاخذتهم الصاعقة فصعقة موسى كانت صعقة اللطف مع تجلي صفة الربوبية وان صعقتهم كانت صعقة القهر عند اظهار صفة العزة والعظمة ولما كان موسى ثابتا في مقام التوحيد كان ينظر بنور الوحدة فيرى الاشياء كلها من عند الله فرأى سفاهة القوم من آثار صفات قهره فتنته واختبارا لهم فقال ان هي الا فتنتك تزيغ بها قلب من تشاء باصبع صفة القهر وتهدي قلب من تشاء باصبع صفة اللطف واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة الرؤية كما كتبت لمحمد صلعم فسأكتبها يعني حسنة الرؤية والرحمة للذين يتقون بالله عن غيره ويؤتون عن نفسها هذا المقام الزكوة الى الطالبين والذين هم بانوار شواهد الآيات بالتحقيق لا بالتقليد يؤمنون وفي قوله الذين يتبعون الرسول النبي الامي اشارة الى ان في امته من يكون مستعدا لاتباعه في هذه المقامات الثلاثة ومعنى الامي انه ام الموجودات واصل المكونات كما قال صلعم اول ما خلق الله روحي وقال حكاية عن الله لولاك لما خلقت الكون فاما اتباعه في مقام الرسالة فبان تأخذ منه ما آتاك وتنتهي عما نهاك وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فالرسالة تتعلق بالظاهر والنبوة بالباطن فللعوام شركة مع الخواص في الانتفاع من الرسالة وللخواص اختصاص بالانتفاع من النبوة فمن ادى حقوق احكام الرسالة في الظاهر يفتح له ببركة ذلك احوال النبوة في الباطن فيصير صاحب الاشارة والالهامات الصادقة والرؤيا الصالحة والهواتف المكنونة بما يؤول حاله الى ان يكون صاحب المكالمة والمشاهدة والمكاشفة ولعله يصير مأمورا بدعوة الخلق الى الحق بالمتابعة لا بالاستقلال كما قال صلى الله عليه وآله علماء امتي كانبياء بني اسرائيل واما اتباعه في مقام اميته فذلك لاخص الخواص وذلك انه صلى الله عليه وآله يرجع بالسير من مقام بشريته الى مقام روحانيته الاولى ثم يجد بانا الوحي الى في مقام التوحيد وهو قاب قوسين ثم يختطف بانوار الهوية عن انانيته الى او ادنى وهو مقام الوحدة كما قال قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فمن رجع بالسير منها بعينه من مقام البشرية الى ان بلغ مقام روحانيته ثم يجد باب النبوة الى مقام التوحيد ثم اختطف بانوار المتابعة عن انانيته الى مقام الوحدة فقد حظي من مقام اميته مكتوبا عندهم بالحقيقة وهو مكتوب عنده في مقعد صدق يأمرهم بالمعروف وهو طلب الحق وينهاهم عن المنكر طلب ما سواه ويحل لهم الطيبات كل ما يقرب الى الله فان الله هو الطيب ويحرم عليهم الخبائث الدنيا وما فيها ويضع عنهم اصرهم الى العهد الذي بين الله وبين حبيبه ان لا يوصل احد الى مقام اميته الا امته واهل شفاعته كقوله الناس يحتاجون الى شفاعتي حتى ابراهيم فكان من هذا العهد عليهم شدة واغلال يمنعهم من الوصول الى هذا المقام فقد وضع النبي صلعم عنهم هذا الاصر والاغلال بالدعوة الى متابعته واشار الى هذا المعاني بقوله فالذين آمنوا

به وعزروه وقرره باعتقاد اختصاص هذا المقام به دون سائر الانبياء والرسل ونصروه بالمتابعة واتبعوا نور الوحدة الذى نزل معه له ملك السموات
الفلوب وارض النفوس لا مدبر فيهما غيره يحيى قلب من يشاء من عباده بنور الوحدة ويميت نفسه عن صفات البشرية وكلماته هى ما اوحى اليه ليلة المعراج
بلا واسطة ومن قوم موسى امة يهدون بالحق يعنى خواصهم الذين يرشدون الخلق بالكتاب المنزل بالحق على موسى وبه يعدلون فى الحكم بين العوام
نشتان بين امة غايتهم القصوى هى هداية الخلق وكان نبيهم محجوبا بحجاب الانانية عند سؤال الرؤية فاجيب بلن ترانى وبين امة امية بلغوا بجذبات
انوار المتابعة الى مقام الوحدة حتى سموا امة امين وفى حقهم كنت له سمعا وبصرا ولسانا فبى يسمع وبى يبصر وبى ينطق فلهذا دعا موسى اللهم اجعلنى من امة محمد شوقا الى القاهرة فافهم

وَقَطَّعْنٰهُمُ اثْنَتَیْ عَشْرَةَ اَسْبَاطًا اُمَمًا وَاَوْحَیْنَاۤ اِلٰی مُوْسٰۤی اِذِ اسْتَسْقٰىهُ قَوْمُهٗۤ اَنِ اضْرِبْ بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْۢبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا
و پراکنده کردیم ایشان را دوازده فرقه گروهان و وحی فرستادیم بسوی موسی چون طلب آب کردند از او قوم او که بزن بعصای خود سنگ را پس روان شد از آن دوازده
عَشْرَةَ عَیْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ اُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَیْهِمُ الْغَمَامَ وَاَنْزَلْنَا عَلَیْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوٰى كُلُوْا مِنْ طَیِّبٰتِ مَا رَزَقْنٰكُمْ وَمَا
چشمه و اینه دانست هر آدمی آب خور خود را و سایبان کردیم بر ایشان ابر را و فرو فرستادیم بر ایشان من و سلوی را که بخورید از پاکیزه‌های آنچه روزی کردیم شما را
ظَلَمُوْنَا وَلٰكِنْ كَانُوْۤا اَنْفُسَهُمْ یَظْلِمُوْنَ وَاِذْ قِیْلَ لَهُمُ اسْكُنُوْا هٰذِهِ الْقَرْیَةَ وَكُلُوْا مِنْهَا حَیْثُ شِئْتُمْ وَقُوْلُوْا حِطَّةٌ وَّادْخُلُوا الْبَابَ
و ستم نکردند بر ما و لیکن بودند که بر خود ستم میکردند و چون گفته شد مر ایشان را که منزل گیرید درین ده و بخورید از آن هر جا که خواستید و بگوئید حطه و در روید در را
سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِیْٓـٰٔتِكُمْ سَنَزِیْدُ الْمُحْسِنِیْنَ فَبَدَّلَ الَّذِیْنَ ظَلَمُوْا مِنْهُمْ قَوْلًا غَیْرَ الَّذِیْ قِیْلَ لَهُمْ فَاَرْسَلْنَا عَلَیْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَآءِ
سجده کنان که بیامرزیم گناهان شما را و زود است که بیفزائیم نیکوکاران را پس تغییر دادند ستمکاران سخن را بغیر آن که گفته شد ایشان را پس فرستادیم بر ایشان عذاب از آسمان
بِمَا كَانُوْا یَظْلِمُوْنَ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ الْقَرْیَةِ الَّتِیْ كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ اِذْ یَعْدُوْنَ فِی السَّبْتِ اِذْ تَاْتِیْهِمْ حِیْتَانُهُمْ یَوْمَ سَبْتِهِمْ ع ۱۱
بجهت ظلم ایشان و سوال کن ایشان را از آن دیهی که بود در نزد دریا چون از حد درگذشتند در ماهی گرفتن در شنبه چون می‌آمدند ماهیان ایشان در روز شنبه ایشان
شُرَّعًا وَّیَوْمَ لَا یَسْبِتُوْنَ لَا تَاْتِیْهِمْ كَذٰلِكَ نَبْلُوْهُمْ بِمَا كَانُوْا یَفْسُقُوْنَ وَاِذْ قَالَتْ اُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُوْنَ قَوْمَا اللّٰهُ
آشکارا و روزی که شنبه نمی‌کردند نمی‌آمدند چنین می‌آزمودیم ایشان را بجهت آنچه بودند تباه کاران و چون گفتند گروهی از ایشان که چرا پند میدهید گروهی را که خدا
مُهْلِكُهُمْ اَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِیْدًا قَالُوْا مَعْذِرَةً اِلٰی رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ یَتَّقُوْنَ فَلَمَّا نَسُوْا مَا ذُكِّرُوْا بِهٖۤ اَنْجَیْنَا الَّذِیْنَ
هلاک کننده ایشان است یا عذاب کننده ایشان را عذاب سخت گفتند از بهر عذر بر گرفتن بسوی پروردگار شما و شاید که ایشان پرهیز کنند پس چون فراموش کردند آنچه را پند داده شده بودند نجات دادیم
یَنْهَوْنَ عَنِ السُّوْٓءِ وَاَخَذْنَا الَّذِیْنَ ظَلَمُوْا بِعَذَابٍۭ بَـِٕیْسٍۭ بِمَا كَانُوْا یَفْسُقُوْنَ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَّا نُهُوْا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُوْنُوْا
آنان را که نهی میکردند از بدی و گرفتیم ستمکاران را بعذابی سخت بجهت آنچه بودند تباه کاران پس چون سرکشیدند از آنچه نهی کرده شدند از آن گفتیم
قِرَدَةً خٰسِـِٕیْنَ وَاِذْ تَاَذَّنَ رَبُّكَ لَیَبْعَثَنَّ عَلَیْهِمْ اِلٰی یَوْمِ الْقِیٰمَةِ مَنْ یَّسُوْمُهُمْ سُوْٓءَ الْعَذَابِ اِنَّ رَبَّكَ لَسَرِیْعُ الْعِقَابِ
بوزینگان رانده شده و چون اعلام کرد پروردگار تو که هر آینه برانگیزد بر ایشان تا روز قیامت کسی را که برساند ایشان را بدی عذاب بدرستی که پروردگار تو زود عقوبت است
وَاِنَّهٗ لَغَفُوْرٌ رَّحِیْمٌ وَقَطَّعْنٰهُمْ فِی الْاَرْضِ اُمَمًا مِنْهُمُ الصّٰلِحُوْنَ وَمِنْهُمْ دُوْنَ ذٰلِكَ وَبَلَوْنٰهُمْ بِالْحَسَنٰتِ وَالسَّیِّاٰتِ
و بدرستی که او آمرزنده مهربان است و متفرق کردیم ایشان را در زمین طائفه‌ها بعضی از ایشان نیکوکارانند و بعضی از ایشان غیر از این اند و آزمودیم ایشان را بخوبیها و بدیها
لَعَلَّهُمْ یَرْجِعُوْنَ فَخَلَفَ مِنْۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَّرِثُوا الْكِتٰبَ یَاْخُذُوْنَ عَرَضَ هٰذَا الْاَدْنٰى وَیَقُوْلُوْنَ سَیُغْفَرُ لَنَا وَاِنْ
تا شاید که ایشان باز گردند پس بجای ایشان از پس ایشان ناخلفانی که بمیراث بردند کتاب را فرا گیرند متاع این دنیا را و گویند که زود آمرزیده شود ما را و اگر
یَّاْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهٗ یَاْخُذُوْهُ اَلَمْ یُؤْخَذْ عَلَیْهِمْ مِّیْثَاقُ الْكِتٰبِ اَنْ لَّا یَقُوْلُوْا عَلَی اللّٰهِ اِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوْا مَا فِیْهِ وَالدَّارُ الْاٰخِرَةُ
بیاید ایشان را متاعی مانند آن فرا گیرند آن را آیا گرفته نشد بر ایشان پیمان کتاب که نگویند بر خدای بجز حق و درس گویند آنچه در آنست و خانه آخرت
خَیْرٌ لِّلَّذِیْنَ یَتَّقُوْنَ اَفَلَا تَعْقِلُوْنَ وَالَّذِیْنَ یُمَسِّكُوْنَ بِالْكِتٰبِ وَاَقَامُوا الصَّلٰوةَ اِنَّا لَا نُضِیْعُ اَجْرَ الْمُصْلِحِیْنَ وَاِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ
بهتر است مر آنان را که پرهیز میکنند آیا پس در نمی‌یابید و آنان که دست آویزند بکتاب و برپای دارند نماز را بدرستی که ضائع نمیکنیم مزد صالحان را و چون برافراشتیم کوه را
كَاَنَّهٗ ظُلَّةٌ وَّظَنُّوْۤا اَنَّهٗ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوْا مَاۤ اٰتَیْنٰكُمْ بِقُوَّةٍ وَّاذْكُرُوْا مَا فِیْهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُوْنَ
گویا که آن سایبانیست و گمان کردند که آن فرود آینده است بایشان بگیرید آنچه را که دادیم شما را بتوانائی و یاد کنید آنچه را که در آنست شاید که شما پرهیزید

القراءة تغفر بالتاء الفوقانية مضمومة وفتح الفاء ابو جعفر ونافع وابن عامر وسهل ويعقوب والمفضل والباقون بالنون وكسر الفاء خطاياكم مجموعا جمع التكسير ابو عمرو خطيئتكم بالرفع على الوحدة ابن عامر خطاياتكم بالرفع مجموعا جمع السلامة ابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب والمفضل الباقون مثله ولكن بالنصب الذى يليق بجمع سلامة المؤنث معذرة بالنصب حفص والمفضل الباقون بالرفع بئس مثل ريم ابو جعفر ونافع بيئس على فيعل بفتح العين الاعشى يسبتون من الاسبات ابو زيد عن المفضل والبرجمي الباقون بئيس على فعيل تأذن بالنابين الاصفهاني عن ورش والشموني وحمزة فى الوقف تعقلون بتاء الخطاب ابو جعفر ونافع وابن ذكوان وسهل ويعقوب وحفص الباقون بياء الغيبة يمسكون من الامساك ابو بكر وحماد والآخرون بالتشديد الوقوف امما ط وان اوحينا عامل اذ استسقيه دون قطعنا فان تفرق الاسباط يكن فى زمان الاستسقاء الحجر ط للحذف مع اتحاد الكلام اى فضرب فانبجست عينا ط والسلوى ط

بيئس على فيعل كسنابر بن ...

ما رزقناكم

ما رزقناكم ط لحذف جملة اى قلنا لهم كلوا ولا تدخروا فادخروا فانقطع عنهم وما ظلمونا يظلمون وخطيئاتكم ط المحسنين يظلمون فمن اوحيا نفس الطالب بمونه الذين جبنوه نفس محبتها فى معالجة عين قلبه وانف قلبه وتسن قلبه معالجة هذه الاعضاء بمزيد الادراك فمن بهذا الاحياء فهو كفارة له فيما فرط من احياء نفسه معالجة قلبه طرفة عين لم يحكم على نفسه بما انزل الله فى تركيبها وتخليتها فاولئك الذين ظلموا انفسهم بوضع الحظوظ مقام الحقوق فى البحر كيلا يصير ما بعده ظرفا لقوله واسئلهم فانه محال لانه لا تأتيهم لاحتمال تعلق كاف بما اى يوم لا يسبتون لا تأتيهم اتيانا كاتيانهم يوم السبت والاصح ان كاف صفة مصدر محذوف اى يبلوهم بلاء كاف فالوقف على كاف جائز ايضا يفسقون قوما لا لا تفاق الجملة بعد صفة شديدا يتقون يفسقون خاسئين العذاب ط رحيم نصف الجزء وامّا الاحتمال كون ما بعده صفة او مستأنفا دون ذلك لعطف على قطعنا فان لم يجعل الجار صفة للام كان عطفا مع عارض يرجعون سيغفر لنا ياخذوه ط ما فيه ط يتقون تعقلون الصلوة على تقدير خبر ذلك لا نضيع اجرهم انا لا نضيع اذ هم المصلحون ولا نضيع اجر المصلحين وللوصل وجه على تقدير وضع الظاهر موضع الضمير اى انا لا نضيع اجر المصلحين منهم السبع الثالث واقع بهم لحق الحذف وف تتقون التفسير انه سبحانه ختم قصة بنى اسرائيل بتعداد جمل من احوالهم تبصرة للمكلفين بعدهم ومعنى قطعناهم صيرناهم قطعا اى فرقا وميزنا بعضهم من بعض كيلا يتحاسدوا او يتباغضوا فيقع بينهم الفتن والهرج والاسباط اولاد الاولاد جمع سبط واصله من السبط نبت يعتلفه الابل فكان الاب كالشجرة والاولاد كالاغصان والاسباط فى بنى اسرائيل كالقبائل من العرب وههنا سؤال وهو ان مميز ما عدا العشرة الى التسعة والتسعين مفرد فهلا قيل اثنى عشر سبطا واجيب بان كل قبيلة اسباط لا سبط فوضع اسباطا موضع قبيلة كقوله بين رماحى مالك ونهشل ولهذا انث اثنتى عشرة وقال الزجاج الزجاج المميز محذوف واسباطا نعت له لان المحذوف التقدير اثنتى عشرة فرقة اسباطا وقال الفارسى والجوهرى اسباطا بدل من اثنتى عشرة والمميز كما قال الزجاج وقوله امما بدل من اثنتى عشرة لان كل اسباط كانت جماعة كثيفة العدد توم خلافا كانت تؤم الاخرى وباقى الاية الى قوله بما كانوا يظلمون قد مر تفسيره فى البقرة وكذا بيان المتشابهات فيها ثم ذكر النوع الآخر من احوالهم قوله سبحانه واسئلهم عن القرية اى عن اهلها وليس المقصود تعرف هذه القصة من قبل اليهود لانها معلوم للرسول من قبل الله تعالى ولكن المراد تقريرهم انهم كانوا قد اقدموا عليه على هذا الاعتداء والفسوق ليعلم ان لهم سابقة فى ذلك ليس كفرهم بمحمد اول مناكيرهم وقد يقول الانسان لغيره هل كان هذا الامر كذا وكذا ليعرف ذلك لغيره انه محيط بتلك القصة وفيه انه اذا اعلمهم بها من لم يقرأ كتابا ولم يتعلم علما كان ذلك مستفادا من الوحى فيكون معجزا والاكثرون على ان تلك القرية ايلة وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمى المدينة قرية ومعنى حاضرة البحر قريبة من البحر وعلى شاطئه اذ يعدون فى السبت يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم فى يوم السبت ومحل اذ يعدون مجرور بدلا عن القرية بدل الاشتمال اى واسئلهم عن وقت عدوانهم قال فى الكشاف ويجوز ان يكون منصوبا بحاضرة او بكانت بناء على ان كان الناقصة تعمل فى غير الاسم والخبر وفيه نظر اذ لا معنى لكون القرية حاضرة البحر فى زمان العدوان لانها حاضرة فى جميع الاحيان وقوله اذ تأتيهم منصوب بيعدون او مجرور بدلا بعد بدل والحيتان جمع الحوت وهو السمكة شرعا ظاهرة على وجه الماء جمع شارع وكل شىء دان من شىء فهو شارع ودار شارعة اذا دنت من الطريق ونجوم شوارع اى دنت من المغيب فالحيتان كانت تدنو من القرية بحيث يمكنهم صيدها عن الحسن تشرع على ابوابهم كانها الكباش البيض وقال ابن عباس ومجاهد ان اليهود امروا باليوم الذى امرتم به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلاهم الله تعالى به وحرم عليهم الصيد فيه وباقى القصة مذكورة فى البقرة وفيها دلالة على ان من اطاع الله تعالى خفف الله عليه احوال الدنيا والاخرة ومن عصاه ابتلاه بانواع البلاء والمحن قالت الاشاعرة لو وجب رعاية الاصلح على الله تعالى لوجب ان لا يكثر الحيتان فى ذلك اليوم صونا لهم عن الكفر والمعصية وهذا الاعتراض وارد على خلق ابليس وسائر ابواب الشر والنوع الثالث قوله واذ قالت وهو معطوف على اذ يعدون وحكمه حكمه فى الاعراب انه منهم جماعة من صلحاء اهل القرية الذين بالغوا فى موعظتهم حتى ايسوا الاخرين كانوا لا يتركون وعظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا لعلمهم بان عاقبة المعصية شوم والمنهمك فى الفساد لا يكاد يفلح قالوا معذرة من رفع فتقدير هذه او موعظتنا او قولنا ابداء عذر الى الله والمعذرة مصدر كالمغفرة ومن نصب فعلى انا نعتذر معذرة او وعظناهم معذرة الى ربكم اى اذا طولبنا بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر قلنا قد فعلنا فنكون بذلك معذورين ولعلهم يتقون ولانا نرجوا ان ينفع بعض الانتفاع فيتركوا الصيد فى السبت فلما نسوا يعنى اهل القرية تركوا ما ذكرهم به الصالحون انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس ومعناه على اختلاف القراءات شديد من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد والظاهر ان هذا العذاب غير المسخ المذكور فى قوله فلما عتوا تكبروا وتمردوا وابوا عن ترك ما نهوا عنه بحذف المضاف لان الاباء عن النهى عنه يكون طاعة قلنا لهم كونوا قردة خاسئين والمراد من الكون والايجاد لا ان هناك قولا وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ عن الحسن اكلوا والله اوخم اكلة اكلها اهلها اثقلها خزيا فى الدنيا واطولها عذابا فى الآخرة هاه وايم الله ما حوت اخذه قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة ادهى وامر وقد ذكرنا هذه القصة مع تحقيق المسخ فى سورة البقرة الا انه بقى ههنا بحث وهو ان اهل القرية كم فرقة كانوا فقيل فرقتان المذنبة والواعظة واما الامة القائلة لم تعظون فهم المذنبة بعينها قالوا للفرقة الواعظة لم تعظون قوما الله مهلكهم بزعمكم والاعتراض على هذا القول انه لو صح ذلك لكان اللائق ان يقع فى الجواب معذرة الى ربكم ولعلكم تتقون لان الجميع خطاب من الفرقة الناهية للفرقة العاصية والصحيح

كرام

انهم ثلث فرق فرقة مذنبة وفرقة واعظة قالوا للواعظين لم تعظون اما المذنبة فقد هلكوا بالاتفاق واما الواعظة فقد نجوا بقي الكلام في الثالثة
فعن ابن عباس انه توقف فيهم وكان يقول ليتهم ليت شعري ما فعل بهؤلاء وعنه ايضا انهم هلكوا وكان اذا قرء هذه الاية بكى وقال ان هؤلاء الذين
سكتوا عن النهي عن المنكر هلكوا ونحن نرى اشياء ننكرها ثم نسكت ولا نقول شيئا وعن الحسن انهم نجوا لانهم كانوا ينكرون عليهم ويقولون بان الله
مهلكهم او معذبهم وانما تركوا الوعظ لانهم لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم بحال القوم واذا علم الناهي بحال المنهي وان النهي لا ينجع فيه سقط عنه النهي
ولعل الواعظين لم يستحكم باسهم بعد كما استحكم باس هؤلاء او لعلهم كانوا احرص الطائفتين لعل الامر سئلوا عن علة الوعظ سؤال المنكرين والله تعالى
اعلم بالسرائر النوع الرابع واذ تاذن ربك هو تفعل من الايذان الاعلام والمعنى عزم ربك لان العازم على الامر يحدث به نفسه فكانه يوذن النفس بانه يفعل
واجري مجرى فعل القسم في الجزم بالجزاء نحو علم الله وشهد الله فاجيب بجواب القسم اي حتم ربك وكتب على نفسه ليبعثن ومعناه التسليط كقوله بعثنا عليكم
عبادا لنا اولي باس شديد وقد اختلف في العائد في عليهم فقيل يرجع الى الممسوخين بناء على ان لهم نسلا وقيل الى صلحاء تلك القرية فكانه مسخ المتعدين الحق
الذل بالبقية وقال الاكثرون هم اليهود الذين ادركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى شريعته فثبتوا على الكفر واستمروا على اليهودية اما العذاب فقيل هو
اخذ الجزية كانوا يودونها الى المجوس الى ان بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم الى يوم القيمة وقيل الاستخفاف والاهانة و
قيل القتل والقتال كما وقع في زمن بختنصر وغيره وقيل الاخراج عن الاوطان كما في يهود خيبر وبني قريظة والنظير وقد اخبر الله تعالى بلزوم الذل والصغار
اياهم ونحن نشاهد ان الامر كذلك فهو اذن اخبار عن الغيب فيكون معجزا قيل والخبر المروي في ان اتباع الدجال هم ان صح فمعناه انهم كانوا اهل ذمة و
يهود ثم دانوا باليهودية فذكروا بالاسم الاول وانما تكلف ذلك لانهم يكونون في وقت اتباع الدجال ظاهرين غالبين النوع الخامس وقطعناهم في
الارض امما فرقناهم فيها فقل بقعة بهذا فلا يكاد يوجد بلد الا وفيه منهم طائفة منهم الصالحون الذين كانوا في زمن موسى يهدون بالحق او الذين
وراء الصين او عن ابن عباس ومجاهد الذين ادركوا النبي صلى الله عليه وآله وامنوا به ومنهم دون ذلك اي ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون
عنه فيجوز ان يكون فيهم بعض الصلاح وان كان ادون من صلاح الاولين الا ان قوله بعد ذلك لعلهم يرجعون يدل على ان المراد بهم الكفرة الفسقة
الباقية على الخبر او الفساد ومحل دون ذلك رفع على انه صفة مرفوع محذوف كما قلنا وبلوناهم عاملناهم معاملة المبتلى المختبر بالحسنات الخصب والعافية
والسيئات بالجدب والشدائد لعلهم يرجعون لان كلا من الحالتين تدعوا الى الطاعة والانابة النعم بالترغيب والنقم بالترهيب فخلف من بعدهم
خلف ظاهره يدل على ان الاول ممدوح والثاني مذموم فالمراد فخلف من اولئك الصلحاء خلف قال الجوهري الخلف القرن بعد القرن فقال هؤلاء
خلف سوء لناس لاحقين بناس اكثر منهم قال الاخفش وقد يحرك ومنهم من يقول خلف سوء من ابيه بالتسكين وخلف صدق من ابيه بالتحريك قال لبيد
ذهب الذين يعاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب والخلف الردي من القول قولهم سكت الفا ونطق خلفا اي سكت عن الف كلمة ثم تكلم بخطا
ورثوا الكتاب التورية بقيت في ايديهم بعد سلفهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها من الاوامر والنواهي ولا يعملون بها ياخذون عرض هذا الادنى
اي حطام هذا الشيء الادنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها يقال الدنيا عرض حاضر ياكل منها البر والفاجر وفي الاشارة بقوله هذا الادنى تحقير و
تخسيس واراد بالدنو القرب لانه عاجل او دنو الحال وسقوطها وقلتها والمراد ما كانوا ياخذونه من الرشى في تحريف الاحكام والنعوت ويقولون
سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بما اخذنا واسناد الفعل اما الى الجار والمجرور واما الى الاخذ الدال عليه ياخذون وان ياتهم عرض مثله ياخذوه
الواو للحال اي يرجون المغفرة جزما وهم مصرون والمراد الاخبار عن اصرارهم على الذنوب وقال الحسن هذا اخبار عن حرصهم على الدنيا
وانهم لا يستعون منها ثم بين نكث عهدهم فقال الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اي التورية ومحل ان لا يقولوا على الله الا الحق رفع عطف بيان
للميثاق المذكور في التورية هو ان لا يحرفوا الكلم عن مواضعه ولا يقبلوا الرشى ولا يصروا على الذنب مع الجزم بالغفران فان خلاف كل ذلك
خروج عن ميثاق الكتاب افتراء على الله عليه ما ليس بحق ويجوز ان يكون ان لا يقولوا مفعولا لاجله ومعناه لئلا يقولوا ويجوز ان يكون ان مفسرة
ولا يقولوا نهيا كانه قيل الم نقل لهم لا تقولوا على الله الا الحق ودرسوا عطف على الم يؤخذ لانه تقرير كانه قيل اخذ عليهم الميثاق وقرؤا ما فيه
اي انهم ذاكرون لما اخذ عليهم لانهم قد قراؤه ودرسوه والدار الاخرة خير من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون الرشى والمحارم ثم لما ذكر حال
من ترك التمسك بالتورية اتبعها حال من تمسك به اعتصم به فقال والذين يمسكون الاية والتشديد للتكثير وافراد اقامة الصلوة مع ان
التمسك بالكتاب مشتمل على كل عبادة اظهار لمزية الصلوة واشعار بانها عماد الدين النوع السادس واذ نتقنا قال ابو عبيدة اصل النتق قلع
الشيء عن موضعه والرمي به ومنه امرأة ناتق اذا اكثرت ولدها لانها ترمي باولادها رميا والمعنى واذ قلعنا الجبل من اصله وجعلناه فوقهم كانه ظلة و
هي كل ما اظلك من سقف او حائط وظنوا انه واقع بهم علموا او تيقنوا انه ساقط عليهم وقيل قوي في نفوسهم انه يقع بهم ان خالفوا وروي انهم ابوا ان يقبلوا
احكام التورية فرفع الله الطور عليهم على راسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ وقيل لهم ان تقبلوها بما فيها والا ليقعن عليكم فلما نظروا الى
الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد الا على حاجبه الايسر ويقولون
هي السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة ولما نشر موسى الالواح وفيها كتاب الله لم يبق جبل ولا حجر الا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا يقرأ عليه التورية الا
اهتز وانقض لها راسه خذوا على ارادة القول اي قلنا لهم او قائلين خذوا ما اتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة على احتمال مشاقه وتكاليفه

واذكروا

واذكروا ما فيه من الاوامر والنواهي او من التعريض للثواب والعقاب او خذوا ما اتيناكم من الاية العظيمة بقوة ان كنتم تطيقونه كقوله ان استطعتم ان تنفذوا
من اقطار السموات والارض فانفذوا واذكروا ما فيه من الدلالة على القدرة الباهرة لعلكم تتقون ما انتم عليه من الاباء التاويل القرية التي كانت
حاضرة البحر هي قرية الجسد الحيواني على شاطئ بحر البشرية واهل قرية الجسد الصفات الانسانية صنف وفيها كصفات الروح الروحانية وصنف كصفات
النفس الامارة بالسوء وكل قد نهوا عن صيد حيتان الدواعي البشرية في سبت محارم الله فلم ينتهك الحرمة الا الصفات الانسانية اذ تاتيهم حيتانهم يوم
سبتهم شرعا لان الانسان حريص على ما منع تهيج الدواعي في المحرمات دون المحللات بما كانوا يفسقون اي بما كان من طبيعة النفس وصفاتها من الخروج
عن امر الله لانها امارة بالسوء واذ قالت امة منهم صفات القلب او الصفات الروح لم تعظون قوما الله مهلكهم بالمخالفات عند استيفاء اللذات الشهوات
او معذبهم عذابا شديدا وهو المسخ بتبديل الصفات الانسانية الى الصفات الحيوانية قالوا معذرة الى ربكم لانا خلقنا هكذا امرا بالمعروف
ناهين عن المنكر فنقضي ما علينا ليعلم انا ما قصرنا من اوصافنا الروحانية الملكية ولعل النفس وصفاتها يتقون تتصف بالمامورية والاطمئنان فانها
قابلة لذلك بعذاب بئيس وهو ابطال استعداد قبول الفيض الالهي ليبعثن عليهم على الارواح والقلوب الذين يتبعون النفس وصفاتها من
يسومهم وهو الشيطان المنظر الى يوم القيمة سوء العذاب عذاب البعد عن الله وعذاب لذة الخدمة للنفس والشيطان وقطعناهم فرقنا الارواح
والقلوب في ارض الاجساد منهم الصالحون قابلون لفيض نور الله ومنهم دون ذلك في القبول وبلوناهم بالحسنات والسيئات وهي المعاصي لعلهم
يرجعون الى الحق وذلك ان السير الى الله يتم بقدم الطاعة وبقدم ترك المعصية ومن هنا قيل خطوتان وقد وصلت او بلوناهم بالحسنات
ليرجعوا الينا بقدم الشكر والسيئات ليرجعوا بقدم الصبر او بلوناهم بكثرة الطاعات والعجب بها كما كان حال ابليس او بكثرة المعاصي والندامة عليها
كما كان حال ادم فخلف من بعد الارواح والقلوب لما سلكوا طريق الحق ووصلوا الى مقعد صدق خلفهم النفوس الامارة بالسوء ورثوا الكتاب و
هو ما الهم الله تعالى الارواح والقلوب من المواعظ والحكم والمعاني والاسرار وورثت النفوس وجعلوها ذريعة العروض الدنياوية وتحصيل المال
والجاه واستيفاء اللذات ويقولون سيغفر لنا مثل هذه الزلات لانا واصلون كاملون كما هو مذهب اهل الاباحة او سيغفر لنا اذا استغفرنا
وهم يستغفرون باللسان لا بالقلب واذ نتقنا الجبل فيه ان الانسان لو وكل الى الطبيعة ونفسه لا يقبل شيا من الامور الدينية واتباعها على
القبول بامر ظاهر او باطن وفيه ان على رؤس اهل الطلب جبل امر الحق وهو امر التحويل فيحولهم بالقدرة الى ان ياخذ واما بهم الله تعالى بقوة لا بقوته
وارادتهم واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم ع ١٢
وچون فرا گرفت پروردگار تو از فرزندان آدم از پشت ایشان فرزندان ایشان را وگواه گرفت ایشان را بر نفسهای ایشان آیا نیستم من پروردگار شما گفتند آری گواهی دادیم تا نگویید در روز
القيمة انا كنا عن هذا غافلين او تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون
قیامت که ما بودیم ازین بیخبران یا بگویید که جز این نیست که شرک آوردند پدران ما از پیش و بودیم فرزندان از بعد ایشان آیا پس هلاک کنی ما را بآنچه کردند مبطلان
وكذلك نفصل الايات ولعلهم يرجعون واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان
و همچنین بیان سازیم آیات را و شاید که ایشان باز گردند و بخوان بر ایشان خبر آنرا که دادیم او را نشانهای خود را پس بیرون آمد از آن پس در پی او افتاد شیطان
فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه
پس گردید از جمله بیراهان و اگر میخواستیم هر آینه بالا بردیم او را بآن ولیکن او جاوید شد در زمین و متابعت کرد هوای خود را پس مانند او چون مانند سگ است اگر حمله بری بر او
يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ساء مثلا القوم الذين
زبان بیرون آرد یا واگذاری او را زبان بیرون آرد این است مثل آن گروه که تکذیب کردند بآیات ما پس بیان کن حکایتها را شاید اندیشه کنند بد است مانند شان گروهی که
كذبوا باياتنا وانفسهم كانوا يظلمون من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون ولقد
تکذیب کردند بآیات ما و تنهای خود را بودند که ستم کردند هر کرا راه نماید خدا پس اوست راه یافته و هر کرا گمراه کند پس آن گروه ایشانند زیانکاران و هر آینه بتحقیق که
ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها
آفریدیم از برای جهنم بسیاری از پریان و آدمیان که از برای ایشانست دلهایی که نفهمند بآن و از برای ایشانست چشمها که نمی بینند بآن و مر ایشانراست گوشها که نشنوند بآن
اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون
آن گروه چون چهارپایانند بلکه ایشان گمراه ترند آن گروه ایشانند غافلان و مر خدا راست نامهای نیکو پس بخوانید او را بآن و واگذارید آنها را که کج روی می کنند در نامهای او جزا داده شوند
ما كانوا يعملون وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملي لهم ان كيدي ع ١٣
بآنچه بودند که میکردند و از آنها که آفریدیم گروهی است که راه مینمایند بحق و بآن عدل میکنند و آنانکه تکذیب کردند بآیات ما زود بکشیم ایشانرا از جایی که ندانند و مهلت میدهم ایشانرا بدرستیکه مکر من
متين القراءة ذريتهم على التوحيد حمزة وخلف وابن كثير وعاصم سوى حفص والمفضل الباقون على الجمع يقولوا بياء الغيبة في الحرفين ابو عمرو يلهث
ذلك بالاظهار حفص والاصفهاني عن ورش والحلواني عن قالون والنقاش عن ابي ربيعة عن قنبل يلحدون بفتح الياء والحاء حمزة الباقون
بضم الياء وكسر الحاء من الالحاد ولقد ذرانا مظهرا ابو جعفر ونافع وابن كثير غير ورش وعاصم غير الاعشى ذرانا بغير همز ابو عمرو ويزيد

الاعشى اذرانا بغير همز ابو عمرو ويزيد والاعشى والاصفهانى عن ورش وحمزة فى الوقف الباقون بالهمز الوقوف انفسهم لان التقدير وقال الست بربكم مع اتحاد الكلام بربكم فصلا بين السؤال والجواب بلى لان شهدنا يصلح ان يكون من قولهم فيوقف على شهدنا ويتعلق ان بمحذوف اى فعلنا ذلك لئلا يقولوا ويصلح ان يكون شهدنا من قول الملائكة اى قيل للملائكة اشهدوا فقالوا شهدنا فيكون منفصلا من جملة ومتصلا بان يقولوا غافلين ه للعطف من بعدهم ج لابتداء الاستفهام وانما القائل المبطلون ه يرجعون ه الغاوين ه هويه ج لان قوله فمثله مبتدا ولذا دخل الفاء فيه جزء كمثل الكلب ج لابتداء الشرط مع ان الجملة تفسير للمثل او تركه يلهث ط باياتنا يتفكرون ه يظلمون ه المهتدى ج للعطف ولان التفصيل من الجملتين ابلغ فى التنبيه الخاسرون ه والانس ز والوصل اولى لان الجملة بعده صفة لكثيرا لا يفقهون بها ز لان العطف صحيح ولكن الوقف لامهال فرصة الاعتبار وكذا التاسعة ولهذا كرر لفظ لهم فى اول كل جملة لا يسمعون بها ط اضل ط الغافلون ه فادعوه بها ص لعطف المتفقين فى اسمائه ط يعملون يعدلون ه لا يعلمون ه وعطف املى على سنستدرجهم احسن من جعله مستانفا فتوقف على املى لهم متين ه التفسير لما شرح قصة موسى على اقصى الوجوه ذكر ما يجرى مجرى تقرير الحجة على جميع المكلفين وفى الاية للمفسرين قولان احدهما ما روى مسلم بن يسار الجهنى ان عمر بن الخطاب قال سئل عنها رسول الله صلعم فقال ان الله تبارك وتعالى خلق ادم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية قال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون قال رجل يا رسول الله ففيم العمل فقال رسول الله صلعم ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخله به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخله به النار وهذا القول ذهب اليه كثير من قدماء المفسرين كسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والضحاك وعكرمة والكلبى وابن عباس اما المعتزلة واصحاب النظر والمعقولات فانهم فسروا الاية بانه تعالى اخرج الذرية وهم الاولاد من اصلاب ابائهم وذلك الاخراج انهم كانوا نطفة فاخرجها الله تعالى الى ارحام الامهات وجعلها علقة ثم مضغة ثم جعلهم بشرا سويا وخلقا كاملا ثم اشهدهم على انفسهم بما ركب فى عقولهم من دلائل وحدانيته وعجائب خلقته وغرائب صنعته وكانه قررهم وقال الست بربكم وكانهم قالوا بلى انت ربنا شهدنا على انفسنا واقررنا بوحدانيتك وباب التمثيل باب واسع فى كلام الله ورسوله وفى كلام العرب نظيره فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقال الشاعر امتلأ الحوض وقال قطنى وهذا القول الثانى غير مناف للقول الاول ولا هو مطعون فى نفسه انما الكلام فى صحة القول الاول والمنكرون طعنوا فيه بوجوه منها ان قوله من ظهورهم بدل من بنى ادم بدل البعض من الكل فالمعنى واذ اخذ ربك من ظهور بنى ادم وعلى هذا فلم يذكر الله تعالى انه اخذ من ظهر ادم شيئا ويمكن ان يجاب بانه تعالى علم ان الشخص الفلانى يتولد من ادم ومن فلان فلان اخر فعلى الترتيب الذى علم دخولهم فى الوجود يخرجهم ويميز بعضهم من بعض فثبت اخراج الذرية من ظهور بنى ادم بالقران وثبت اخراج الذرية من ظهر ادم بالخبر ووجب المصير اليهما معا صونا للاية والخبر عن الطعن ومنها ان اولئك الذر ان لم يكونوا عقلاء لم يمكن اخذ الميثاق منهم وان كانوا عقلاء وجب ان يتذكروا تلك الحالة فى هذا الوقت وبهذا الدليل بعينه يبطل التناسخ ويحتمل ان يجاب بالفرق وذلك انا اذا كنا فى ابدان اخرى وبقينا فيها دهورا امتنع فى مجرى العادة نسياننا لها واما اخذ هذا الميثاق فانما حصل فى اسرع زمان فلم يبعد حصول النسيان ومنها ان جميع الخلق من اولاد ادم جمع عظيم وجم غفير وصلب ادم على صغره لن يتسع لذلك المجموع على ان البنية شرط الحيوة والعقل والفهم فكل واحد من اولئك الذر لها بنية وان كانت صغيرة والمجموع يبلغ مبلغا عظيما فى الحجمية والمقدار واجيب بان البنية عندنا ليست شرطا فى الحيوة والعقل ومن الجائز ان يكون كل من الذر جوهرا فردا ومنها ان فائدة اخذ الميثاق ان يكون حجة عليهم فى ذلك الوقت او فى الدنيا والاجماع منعقد على انهم بسبب ذلك لا يصيرون مستحقين للثواب والعقاب على انهم ادون حالا من الاطفال ولا يتوجه التكليف على الطفل فكيف على الذر واجيب بانه لا يسأل عما يفعل وان المعتزلة اذا ارادوا تصحيح القول بوزن الاعمال وانطاق الجوارح قالوا لا يبعد ان يكون لبعض الملائكة فى تمييز السعداء من الاشقياء فى وقت اخذ الميثاق لطف وقيل ان الله تعالى يذكرهم ذلك الميثاق يوم القيمة ومنها انه سبحانه قال ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين وقال فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق وكون اولئك الذر اناسا لا ينافى كون الانسان مخلوقا من الماء والطين والجواب لم لا يجوز ان يخرج الله تعالى من صلب ادم ذرة من الماء ثم منها ذرة اخرى وهلم جرا الى اخر نسلها ثم يعدم الكل ويعيدها فيحصل الحيوة للانسان اربع مرات اولها وقت الميثاق وثانيها فى الدنيا وثالثها فى القبر ورابعها فى القيمة ويحصل له الموت ثلث مرات بين كل حيوتين واحد ولا ينافى هذا حكاية قول الكفرة ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين لانهم قالوا ذلك بناء على حسب ظنونهم اما قوله ان تقولوا فالتقدير واشهدهم على انفسهم بكذا لئلا يقولوا او كراهة ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا المشهود له غافلين من قرأ بياء الغيبة فلان الكلام على الغيبة وهو قوله بنى ادم من ظهورهم واشهدهم على انفسهم لئلا يقولوا ومن قرأ على الخطاب فلانه قد جرى فى الكلام خطاب وهو قوله الست بربكم وكلا الوجهين حسن لان الغائبين هم المخاطبون فى المعنى او يقولوا يعنى الكفار انما اشرك اباؤنا اى انا اشركوا فقلدناهم فى ذلك الاشراك فكان الذنب لاسلافنا فتعذبنا على هذا الشرك وهو معنى قوله افتهلكنا بما فعل المبطلون والحاصل انه تعالى لما اخذ عليهم الميثاق امتنع منهم التمسك بهذا العذر وعند المعتزلة معناه اشهدنا عليهم كراهة ان يقولوا انما اشركنا على سبيل التقليد لاسلافنا لان نصب الادلة على التوحيد قائم فلا عذر معهم فى الاعراض عنه

والاقبال على التقليد والاقتداء بالاباء وقال فى الكشاف المراد ببنى ادم اسلاف اليهود الذين اشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبذرياتهم الذين كانوا فى عهد رسول الله صلعم من اخلافهم المقتدين بابائهم لان الايات السابقة فى شان اليهود وكذلك قوله واتل عليهم اى على اليهود نبأ الذى اتيناه اياتنا اما قوله وكذلك اى ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل الايات لهم ولعلهم يرجعون وارادة ان يرجعوا الى الحق ويعرضوا عن الباطل نفصلها او يرجعوا الى ما اخذ الله عليهم من الميثاق فى التوحيد ولبعض العلماء فى الاية قول ثالث وهو ان الارواح البشرية موجودة قبل الابدان والاقرار بوجود الاله من لوازم ذواتها وحقائقها وهذا العلم ليس مما يحتاج فى تحصيله الى كسب وطلب وهو المراد باخذ الميثاق عليهم لكنها بعد التعلق بالابدان يشغلها التعلق عن معلومها فربما يتذكر بالتذكير واتل عليهم على بنى ادم او اليهود خاصة قال ابن عباس وابن مسعود ومجاهد نزلت فى بلعم بن باعوراء وذلك ان موسى ع قصد بلده الذى هو فيه وغزا اهله وكانوا كفارا فطلبوا منه ان يدعو على موسى وقومه وكان مجاب الدعوة وعنده اسم الله الاعظم فامتنع منه فما زالوا يطلبونه منه حتى دعا عليهم فاستجيب له ووقع موسى ع وبنو اسرائيل بدعائه فى التيه فقال موسى يا رب باى ذنب وقعنا فى التيه فقال بدعاء بلعم فقال كما سمعت دعاءه على فاسمع دعائى عليه ثم دعا موسى ع ان ينزع عنه الاسم الاعظم والايمان فسلخه الله تعالى مما كان عليه ونزع عنه المعرفة فخرجت من صدره كحمامة بيضاء فهذه قصته ويقال ايضا انه كان نبيا من انبياء الله تعالى فلما دعا عليه موسى ع انتزع الله تعالى منه الايمان فكان كافرا وهذا بعيد لانه سبحانه قال الله اعلم حيث يجعل رسالاته وفيه انه تعالى لا يشرف عبدا من عبيده بالرسالة الا اذا علم امتيازه عن سائر عبيده بمزيد الشرف والفضل ومن كان هذا حاله فكيف يليق به الكفر وقال عبد الله ابن عمرو وسعيد بن المسيب وزيد بن اسلم وابو روق نزلت فى امية بن ابى الصلت وكان قد قرأ الكتب وعلم ان الله تعالى مرسل رسولا فى ذلك الوقت فرجا ان يكون هو فلما ارسل الله محمدا صلى الله عليه وآله حسده ثم مات كافرا ولم يؤمن بالنبى صلعم وهو الذى قال فيه النبى صلعم ولقد كان يسلم وذلك انه يوحد الله تعالى فى شعره ويذكر دلائل توحيده من خلق السماء والارض واحوال الاخرة والجنة والنار وقيل نزلت فى ابى عامر الراهب الذى سماه النبى صلعم بالفاسق وكان يترهب فى الجاهلية فلما جاء الاسلام خرج الى الشام وامر المنافقين باتخاذ مسجد الضرار واتى قيصر واستنجد على النبى صلى الله عليه وآله فمات هناك طريدا وحيدا وقيل نزلت فى منافقى اهل الكتاب وكانوا يعرفون النبى صلعم عن الحسن والاصم وروى عكرمة عن ابن عباس قال رجل هو رجل اعطى ثلث دعوات يستجاب له فيها وكانت له امراة يقال لها البسوس وكان له منها ولد وكانت له محبة فقالت اجعل لى منها دعوة قال لك واحدة فماذا تامرين قالت ادع الله ان يجعلنى اجمل امراة فى بنى اسرائيل فلما علمت ان ليس فيهم مثلها رغبت عنه وارادت شيئا اخر فدعا الله عليها ان يجعلها كلبة نباحة فذهبت فيها دعوتان وجاء بنوها فقالوا ليس لنا على هذا قرار قد صارت امنا كلبة نباحة يعيرنا بها الناس فادع الله ان يردها الى الحال التى كانت عليها فدعا الله فعادت كما كانت وذهبت الدعوات الثلث وبها يضرب المثل فيقال اشأم من البسوس وقيل هو عام فيمن عرض عليه الهدى فاعرض عنه وهو قول قتادة وعكرمة وابى مسلم ومعنى قوله اتيناه اياتنا عند الاكثرين علمناه حجج التوحيد وفهمناه ادلته حتى صار عارفا بها فانسلخ منها فخرج من محبة الله تعالى الى معصيته ومن رحمته الى سخطه يقال لكل من فارق شيئا بالكلية انه انسلخ منه وقال ابو مسلم اتيناه اياتنا فانسلخ منها اى اتيناها فلم يقبل وعرى منها وتباعد كما هو شأن كل كافر لم يؤمن بالادلة واقام على الكفر والقول الاول اولى لان الانسلاخ يدل على انه كان فى الشئ مقصودا فيه ثم خرج منه لا على انه لم يوجد فيه اصلا وايضا ثبت بالاخبار ان الاية نزلت فى انسان كان عارفا بدين ثم خرج من المعرفة الى الكفر والغواية وذلك قوله فاتبعه الشيطان اى ادركه ولحقه وصار قرينا له او اتبعه الشيطان خطواته او كفار الانس وغواتهم اى الشيطان جعل كفار الانس اتباعا له فكان من الغاوين فى علم الله تعالى او نصار منهم ولو شئنا لرفعناه الى منازل الابرار بها اى بتلك الايات ولكنه اخلد الى الارض اصل الاخلاد اللزوم على الدوام فكانه قيل لزم الميل الى الارض ومنه اخلد فلان بالمكان اذا لزم الاقامة به قال ابن عباس معناه مال الى الدنيا وقال مقاتل رضى بالدنيا وقال الزجاج سكن الى الدنيا قال الواحدى فهؤلاء فسروا الارض بالدنيا لان ما فى الدنيا من الضياع والعقار كلها ارض وسائر امتعتها من المعادن والنبات والحيوان يستخرج من الارض وبها يكمل ويقوى ومعنى قوله واتبع هواه انه اعرض عن التمسك بما اتاه الله من الايات ثم انه لو جاء الكلام على ظاهره لقيل ولو شئنا لرفعناه بها ولكنا لم نشأ الا ان قوله ولكنه اخلد الى الارض لما دل على هذا المعنى لا جرم اقيم مقامه قالت الاشاعرة لفظة لو تدل على ان الله تعالى قد لا يريد الايمان ويريد الكفر وقال الجبائى معناه ولو شئنا لرفعناه باعماله بان نخترمه ونزيل التكليف عنه قبل ذلك الكفر حتى تسلم له الرفعة لكنا عرضناه بزيادة التكليف لمنزلة زائدة فابى ان يستمر على الايمان او المراد لو شئنا لرفعناه بان نحول بينه وبين الكفر قهرا وجبرا الا ان ذلك ينافى التكليف فلا جرم تركناه مع اختياره وقال صاحب الكشاف معناه ولو لزم العمل بالايات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك ان مشية الله تعالى رفعه تابعة للزوم الايات فذكرت المشية والمراد ما هى تابعة له ومسببة عنه كانه قيل ولو لزمها لرفعناه بها الا ترى الى قوله ولكنه اخلد الى الارض فاستدرك المشية باخلاده الذى هو فعله فوجب ان يكون ولو شئنا فى معنى ما هو فعله ثم وضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع فحططناه ابلغ حط لان تمثيله بالكلب فى اخس احواله وارذلها فى معنى المعنى ومحل قوله ان تحمل عليه النصب على الحال كانه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا فى الحالين ويجوز ان يكون تفسيرا للمثل كما مر قال الليث هو هو ان الكلب يخرج لسانه اذا ناله الاعياء عند شدة الحر فانه يدلع لسانه من العطش وكل شئ يلهث فانه يلهث من اعياء او عطش الا الكلب اللاهث فانه

يلهث في جميع احواله لا لحاجة وضرورة بل لطبيعة الخبيثة فعلى الانسان هذا الكلب ان شد عليه وهيج لهث وان ترك لهث ايضا لاجل ان ذلك
الفعل القبيح طبيعة اصلية له عن ابن عباس الكلب منقطع الفؤاد يلهث ان حمل عليه او لم يحمل عليه قيل لما دعا بلعم على موسى خرج لسانه فوقع على صدره
وجعل يلهث كما يلهث الكلب فيكون هذا وجه التمثيل ما وقع بجميع الكلاب وانما وقع بالكلب اللاهث واخس الحيوانات هو الكلب واخس الكلاب هو
اللاهث فان الرجل العالم اذا توسل بعلمه الى طلب الدنيا فذلك انما يكون لاجل انه يورد عليهم انواع علومه ويظهر عندهم فضائل نفسه ومناقبها
ولا شك انه عند ذكر تلك الكلمات يدلع لسانه ويخرجه لاجل ما تمكن من قلبه من حرارة الحرص وشدة العطش الى الفوز بالدنيا فكانت حالته
شبيهة بحال ذلك الكلب الذي اخرج لسانه ابدا من غير حاجة ولا ضرورة بل لمجرد الطبيعة الخبيثة وايضا هذا الحريص الضال ان وعظته فهو ضال وان
لم تعظه فهو ضال لا لاجل ان ذلك الضلال والخسة عادة اصلية وطبيعة ذاتية له كما ان ذلك الكلب ان شد عليه لهث وان ترك لهث ثم عم بالتمثيل جميع
المكذبين الضالين فقال ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا وقال ابن عباس يريد اهل مكة كانوا يتمنون هاديا يهديهم وداعيا يدعوهم
الى طاعة الله ثم لما جاءهم من لا يشكون في صدقه وديانته كذبوه وقيل هم اليهود قرأوا نعت رسول الله صلعم في التورية وذكر القرآن المعجز وما
فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فاقصص القصص يريد قصص المكذبين او قصص بلعم الذي
هو نحو قصص المكذبين لعلهم يتفكرون فيحذرون مثل عاقبته اذا ساروا نحو سيرته ثم ذكر تاكيدا اخر في باب التحذير فقال ساء مثلا ولا
بد من تقدير مضاف لتناسب التمييز المخصوص بالذم فيصير التقدير ساء مثلا مثل القوم او ساء اصحاب مثل القوم وفي ساء ضمير مبهم يفسره المنصوب
بعده وظاهر الاية يقتضي كون المثل مذموما فقيل كيف يتصور ذلك مع ان الله تعالى ذكره والجواب ان الذم انما يتوجه الى ما افاده المثل من تكذيبهم
بآيات الله واعراضهم عنها حتى صاروا في ذلك بمنزلة الكلب اللاهث اما قوله وانفسهم كانوا يظلمون فاما ان يكون معطوفا على كذبوا فيدخل
في حيز الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم انفسهم واما ان يكون كلاما منقطعا بمعنى وما ظلموا الا انفسهم بالتكذيب وتقديم
المفعول للاختصاص كانه قيل وخصوا انفسهم بالظلم لم يتعدها الى غيرها ثم بين ان الهداية والضلال بتقديره فقال من يهد الله فهو المهتدي
وهو محمول على اللفظ من حيث ان من مفرد اللفظ ومن حيث ان الاهتداء مطاوع هدى ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون وانه محمول على المعنى
لان من معناه ههنا الجمع ولان الخاسرين ليس مطاوع الاضلال بل الضلال مطاوع له والخسار لازم اللازم ولا يخفى ان ظاهر الاية موافق لمعتقد الاشاعرة
ان الهداية والضلال بل جميع الاعمال بخلق الله تعالى والمعتزلة اولوها بان المراد من يهد الله الى الجنة والثواب فهو المهتدي في الدنيا ومن يضلله عن
طريق الجنة وقال بعضهم التقدير من يهده الله فقبل هداه فهو المهتدي ومن يضلل بان لم يقبل فهو الخاسر وقيل من يهده الله بالالطاف
وزيادة الهدى فهو المهتدي ومن يضلله عن ذلك بما تقدم منه من سوء اختياره فاخرج لهذا السبب تلك الالطاف من ان تؤثر فيه فهو الخاسر ورد بالعلم
والداعي وبان الاصل عدم الاضمار وبان كل ما في مقدور الله تعالى من الالطاف فقد فعله عند المعتزلة في حق جميع الكفار وبالاية بعدها وهي قوله
ولقد ذرأنا الى اخره وذلك انه بين انه خلق كثيرا من الجن والانس لجهنم وقد علم ذلك في الازل وخلاف مقدوره ومعلومه محال وايضا العاقل لا
يريد الكفر والجهل الموجبين لدخول النار فحصول ذلك على خلاف قصده واجتهاده لا يكون الا من قبل غيره ولا يتسلسل بل ينتهي الى مسبب الاسباب
لا محالة لا يقال العبد انما سعى في تحصيل ذلك الاعتقاد الباطل لانه اشتبه الامر عليه وظنه اعتقادا صحيحا لانا نقول على هذا التقدير انما وقع في هذا
الجهل لاجل جهل متقدم ولا يتسلسل بل ينتهي الى جهل حصل ابتداء فيتوجه الالزام قالت المعتزلة الايات الدالة على انه سبحانه اراد من العبد الطاعة
والعبادة والخير فقط كثيرة كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وايضا انه قال في معرض الذم لهم قلوب لا يفقهون بها الى اخره ولو كانوا
مخلوقين للنار غير قادرين على الايمان لم يحسن ذمهم وايضا لو خلقهم للنار لما كان له نعمة على الكفار لان منافع الدنيا باسرها لا اعتداد بها في جنب
العذاب الدائم لكن القرآن مملوء من انه تعالى منعم على جميع الخلائق وايضا مذهبكم يوجب ان لا يكون للمدح والذم والثواب والعقاب والترغيب
والترهيب فائدة ولو خلقهم للنار لوجب ان يخلقهم في النار ابتداء لانه لا فائدة في ان يستدرجهم الى النار بخلق الكفر فيهم وايضا الاية متروكة
الظاهر لان لام الاختصاص لا يفيد ههنا الا اذا قدر ولقد ذرأناهم لكي يكفروا فيصيروا الى جهنم فيجب بناؤها على قوله وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون ولان ظاهره يصح من غير حذف وعلى هذا وجب تاويل الاية بان اللام فيها لام العاقبة كقوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا
او يقال انه جعلهم لاغراقهم في الكفر وشدة شكائمهم كانهم مخلوقون للنار كقولهم ما خلق فلان الا لكذا اذا كان غريقا في بعض الامور واجيب
اجمالا بانه لا يسئل عما يفعل وتفصيلا بان النعمة وان قلت فهي في نفسها نعمة وبان الوسائط معتبرة وبان حمل اللام على العاقبة تجوز لا يصار اليه
الا لضرورة في تصحيح المعنى وههنا لا ضرورة فقد تعاضدت الدلائل العقلية كالعلم والداعي والنقلية كآيات كثيرة على ان الكل من الله فوجب
المصير الى طرف الجبر ولا سيما ان ما قبل هذه الاية وهو قوله من يهد الله فهو المهتدي وما بعدها وهو قوله والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم
يدل على ما قلنا وايضا الارتياب ان اولئك الكفار كانت لهم قلوب يفقهون بها مصالح الدنيا وكذا اعين مبصرة واذان سامعة فالمراد انهم ما كانوا
يفقهون ويبصرون ويسمعون ما يرجع الى مصالح الدين ثم انه تعالى كلفهم تحصيل الدين مع عدم القابلية كيف ان الكفار بلغوا في عداوة الرسول
صلى الله عليه وسلم وفي شدة النفرة عن قبول دينه مبلغا لا يمكنهم كتمه والعلم الضروري حاصل بان حصول الحب والبغض في القلب ليس باختيار الانسان

واعلم ان التمثيل

بل هو حالة حاصلة في القلب كره الانسان او اراد ومع هذا يثبت القول بالجبر وروى الشيخ احمد البيهقي في كتاب مناقب الشافعي ان علي بن ابي
طالب عليه السلام خطب الناس فقال واعجب ما في الانسان قلبه فيه مواد من الحكمة واضدادها فان سنح له الرجاء اذله الطمع وان هاج به الطمع
اهلكه الحرص وان ملكه اليأس قتله الاسف وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ وان اسعد بالرضى نسي التحفظ وان ناله الخوف شغله الحزن
وان اصابته المصيبة قتله الجزع وان وجد مالا اطغاه الغنى وان عضته فاقة شغله البلاء وان اجهده الجوع قعد به الضعف فكل تقصير به مضر
وكل افراط له مفسد وهذا الفصل كالمطلع على سر مسئلة القضاء والقدر لان اعمال الجوارح مربوطة باحوال القلوب وكل حالة من احوال القلب
فانها مستندة الى حالة اخرى حصلت قبلها واذا وقف الانسان على هذه الحالة علم انه لا خلاص من الاعتراف بالجبر وذكر الامام الغزالي
في الاحياء فصلا ثم قال فان قلت اني اجد من نفسي اني ان شئت الفعل فعلت وان شئت الترك تركت فيكون فعلي حاصلا بي لا بغيري اجبنا
وقلنا هب انك وجدت من نفسك ذلك الا انا نقول وهل تجد من نفسك انك ان شئت ان تشاء شيئا شئت وان شئت ان لا تشاء
لم تشأ ما اظنك تقول ذلك لانه لذهب الامر فيه الى ما لا نهاية له فالمشية بك ولا حصول لفعلك بعد حصول المشية بك فانما انت مضطر
في صورة مختار والله تعالى اعلم قال بعض العلماء انه تعالى نفى الفقه والفهم عن قلوبهم في معرض الذم وفيه دليل على ان محل الفقه هو القلب
واقول ليس المراد بالقلب ههنا اللحم الصنوبري بل اللطيفة الربانية التي بها يكون الانسان انسانا وقد يعبر عنها بالنفس الناطقة وبالروح اما
قوله اولئك كالانعام بل هم اضل فتقريره ان الانسان يشاركه سائر الحيوان في القوى الطبيعية الغاذية والنامية والمولدة وفي منافع الحواس
الخمس الظاهرة وفي احوال التخيل والتفكر وانما يحصل الامتياز بالقوة العقلية والفكرية التي تهديه الى معرفة الحق لذاته والخير لاجل العمل به فاذا
لم يحصل هذه الغاية للانسان صار في درجة الانعام بل اضل وادون لان الذي اعرض عن اكتساب الفضائل مع القدرة على تحصيلها من حيث
النوع كان اخس حالا ممن لم يكتسبها مع العجز عنها وقيل وجه الاضلية ان الانعام مطيعة لله والكافر غير مطيع وقال مقاتل الانعام تعرف ربها
وتتبصر منافعها ومضارها فتسعى في تحصيلها ودفعها وهؤلاء الكفار اكثرهم معاندون مصرون وقيل انها تفر ابدا الى اربابها ومن يقوم
بمصالحها والكافر يهرب عن ربه الى الاصنام وقيل انها لا تضل اذا كان معها مرشد والكافر يضل بعد ارسال الرسل وانزال الكتب اولئك هم الغافلون
الكاملون في الغفلة وقال عطاء انهم الغافلون عما اعد الله لاوليائه من الثواب ولاعدائه من العقاب ثم نبه بقوله ولله الاسماء الحسنى على ان الموجب لدخول
جهنم هو الغفلة عن ذكره سبحانه والمخلص من عذاب جهنم هو ذكره وكل من له ذوق وجد من نفسه ان الامر كذلك فان القلب اذا غفل عن الذكر واقبل على
الدنيا وقع في نار الحرص وزمهرير الحرمان ولا يزال ينتقل من رغبة الى رغبة ومن طلب الى طلب ومن ظلمة الى ظلمة فاذا انفتح على قلبه باب الذكر خلص
من نيران الافات وخسران الحسرات الى معرفة رب الارض والسموات وهذا اللفظ مذكور في ثلاثة مواضع اخر في بني اسرائيل وفي طه وفي اخر الحشر ومعنى
حسن الاسماء حسن معانيها ومفهوماتها لانها اسماء دالة على معاني الكمال ونعوت الجلال وهي محصورة في نوعين عدم افتقاره تعالى الى غيره وثبوت افتقار
غيره اليه وقد عرفت في تفسير البسملة ان اسماء الله تعالى لا تكاد تنحصر بحسب السلوب والاضافات فكل من كان وقوفه على اسرار حكمه في مخلوقاته اكثر كان
علمه باسماء الله الحسنى اكثر الا ان نقول ان من تقسيمات اسماء الله ما يقوله المتكلمون من ان صفات الله انواع ما يجب عليه وما يجوز وما يستحيل ومنها ان يقال
ان اسماء الله اما ان يجوز اطلاقها على غيره كالرحيم والكريم وان كان معناها في حق الله مغايرا لمعناها في حق غيره واما ان لا يجوز نحو الله والرحمن وقد
يقيد القسم الاول بقيود مخصوصة فيصير من القسم الثاني مثل يا ارحم الراحمين ويا اكرم الاكرمين ويا خالق السموات والارضين ومنها ان يقال
من الاسماء ما يمكن ذكره وحده كقولنا يا الله يا رحمن يا حي يا حكيم ومنها ما لا يكون كذلك كقولنا مميت وضار فانه لا يجوز افراده بالذكر بل يجب
ان يقال يا محيي يا مميت يا ضار يا نافع ومنها ان يقال اول ما يعلم من صفات الله تعالى كونه محدثا للاشياء مرجحا لوجودها على عدمها وذلك انما يعلم
بواسطة الاستدلال بوجود الممكنات عليه وذلك المرجح اما ان يرجح على سبيل الوجوب او على سبيل الصحة والاول باطل والا لزم
دوام العالم بدوامه والثاني هو المعني بكونه قادرا ثم انا بعد هذا نستدل بكون افعاله محكمة متقنة على كونه عالما ثم نقول ان القادر العالم يمتنع
ان لا يكون حيا فظهر ان العلم بصفاته تعالى وباسمائه ليس واقعا في درجة واحدة بل العلم بها علوم مترتبة يستفاد بعضها من بعض ومن البين
ان الاسماء الحسنى لا يكون الا لله تعالى لان كل الشرف والجلال لمن يستلزم وجوب الوجود وكل نقص وخساسة فانه يعقب الامكان وكل اسم لا يفيد
في المسمى صفة كمال وجلال فانه لا يجوز اطلاقه على الله تعالى ومن هنا اختلف في انه هل يطلق عليه اسم الشيء ام لا وقد مر تحقيق ذلك في تفسير البسملة
وفي الانعام في قوله قل اي شيء اكبر شهادة قل الله اما قوله فادعوه بها ففيه دليل على ان الانسان لا يجوز ان يدعو ربه الا بتلك الاسماء
الحسنى بعد ان عرف معانيها ويكون مستحضرا لامرين عزة الربوبية وذلة العبودية كما انه في قوله عند التحريمة الله اكبر يشير الى انه لا نسبة لكبريائه
وعظمته الى ما سواه من الروحانيات والجسمانيات والعلويات والسفليات وانما هو اكبر من هذه الاشياء وذروا الذين يلحدون في
اسمائه قال ابن السكيت الملحد العادل عن الحق والمدخل فيه ما ليس منه يقال قد الحد في الدين ولحد وقال غيره من اهل اللغة الالحاد العدول
عن الاستقامة والانحراف عنها ومنه اللحد الذي يحفر في جانب القبر خلاف الواحد الاجود قراءة العامة ولا يكاد يسمع لاحد بمعنى ملحد والالحاد
في اسماء الله تعالى يقع على ثلاثة اوجه الاول اطلاق اسمائه المقدسة على الاصنام كاشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز ومناة من

واكبر من ان يقال اكبر من هذه الاشياء

المنان وكان مسيلمة الكذاب يسمي نفسه بالرحمن والثاني ان يسموه بما لا يجوز عليه كما سمع عن البدو قالوا يا ابا المكارم يا ابيض الوجه يا سخي بناء على ان النحوه مدح الثالث ان يابوا تسمية ببعض اسمائه الحسنى كالرحمن مثلا قال بعض العلماء ان ورود الاذن في بعض الاسماء لا يجوز اطلاق سائر الالفاظ المشتقة منه عليه فلا يجوز ان يقال يا معلم وان ورد وعلّم آدم الاسماء وكذا في خلق الانبياء لا يجوز ان يقال ان آدم عاص او غاو وان ورد وعصى آدم ربه فغوى ثم اوعد الملحدين في اسمائه بقوله سيجزون ما كانوا يعملون ثم اخبر ان كثيرا من الثقلين مخلوقون للجنة فقال وممن خلقنا امة يهدون بالحق وقد مر مثل هذه الآية في قصة موسى عن قتادة وابن جريج وابن عباس ان المراد في الآية امة محمد صلى الله عليه وآله وروى الربيع ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد اعطى القوم بين ايديكم مثلها وعن الربيع بن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فقال ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وعن الكلبي هم الذين آمنوا من هذا الكتاب وقال الجبائي هم العلماء والدعاة الى الدين في كل حين ثم اعاد ذكر المكذبين وما عليهم من الوعيد فقال والذين كذبوا بآياتنا قال ابن عباس يريد اهل مكة والظاهر انه عام والاستدراج استفعال من الدرجة ومنه درج الصبي اذا قارب بين خطاه وادرج الكتاب اذا طواه شيئا بعد شيء ومعنى الآية سنقربهم الى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك كلما اقدموا على ذنب فتح الله عليهم بابا من ابواب الخير فيزدادون بطرا وانهماكا في الغي والفساد ثم ياخذهم اغفل ما يكونون وأملي لهم الطيل لهم مدة عمرهم ان كيدي متين عن ابن عباس يريد ان مكري شديد والمتين من كل شيء هو القوي يقال متن متانة واحتجت الاشاعرة بالفاظ الاستدراج والاملاء والكيد في مسألة القضاء والقدر قال بعض المجبرة سنستدرجهم الى الكفر مع انه فاسد لان جزاء الكفر لا يكون كفرا وحملها المعتزلة على ان المراد سنستدرجهم الى العقوبات اما في الدنيا او في الآخرة ونقرتهان هذا الاستدراج والامهال بما يزيد الكافر به كفرا وعتوا واستحقاقا للعقاب فلو اراد به الخير لاماته قبل ان يصير مستوجبا لتلك الزيادات من العقوبة بل كان يجب في حكمته ورعاية الاصلح ان لا يخلقه ابتداء او يميته قبل التكليف فلما خلقه والقاه في ورطة التكاليف وامهله ومكنه من المعاصي مع علمه بان كل ذلك لا يفيده الا مزيد استحقاق العقاب علمنا انه ما خلقه الا كما قال ولقد ذرأنا لجهنم الآية التأويل واذ اخذ ربك لم يقل ربكم لان في الآية غموضا لا يطلع عليه غيره صلى الله عليه وسلم وغير من انعم عليه من خواص متابعيه وانه تعالى لم يكلم احدا وهو بعد في العدم الا بني آدم كلهم وهم غير موجودين واجابوه وهم معدومون فجرى ما جرى بالمعدوم لا بالوجود فهذا مبدأهم والى هذا ينتهي نهايتهم بان يكون الله تعالى سمعهم وابصارهم والسنتهم انما اشرك اباؤنا بان رضوا بالاثنينية وما رجعوا الى الوحدة بالفناء في الله بما فعل المبطلون الذين ابطلوا استعداد الرجوع الى الوحدة لله ولعلهم يرجعون بهذه الدلالة لان من البداية الى النهاية وهو مقام الوحدة فانسلخ منها اي وقع في حرجه من العلية عن ذوق طلب الحق ومحبته فادركته همزة الشيطان وجعلته من الهالكين ليعلم ان المعصوم من عصمه الله وان السالك بل الواصل يجب ان لا يامن مكر الله فلا يفتح على نفسه ابواب التشتت والتفرقة ولا يميل الى حب المال والجاه ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا هم مظاهر القهر فادعوه بها بان تتصفوا بصفاته بالنيات الصالحات وبالاعمال الزاكيات لم يتخلقوا بها بالاحوال بتصفية مرآة القلب ومراقبته عن التعلق بما سوى الله تعالى والذين كذبوا بآياتنا بان لم يوافق اقوالهم افعالهم سنستدرجهم فيتخطون عن مراتبهم بالتدريج والله اعلم

اَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ

آیا اندیشه نکنند که نیست در رفیق ایشان از دیوانگی نیست او مگر ترساننده ظاهر آیا نمی‌نگرند در حقیقت آسمان و زمین و هرچه آفرید

اللّٰهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ مَنْ يُضْلِلِ اللّٰهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَ

خدا از چیزها و آنکه شاید بود باشد که نزدیک رسیده باشد اجل ایشان پس بکدام حدیث بعد از آن ایمان آرند هر کرا گمراه کرد خدا پس نیست راهنمای مر او را و

يَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ

وا گذارد ایشان را در گمراهی ایشان کور دلان سؤال کنند ترا از قیامت که کی باشد ثبات آن بگو که دانش آن نزد پروردگار من است ظاهر نکند آن را بوقت آن مگر او

ثَقُلَتْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللّٰهِ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ

سنگین است در آسمانها و زمین در نمی‌رسد شما را مگر ناگهان سؤال می‌کنند گویا که تو آگاهی از آن بگو که جز این نیست که علم آن نزد خداست ولکن بیشتر مردمان

لَا يَعْلَمُونَ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللّٰهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ

نمیدانند بگو که مالک نیستم برای خود سود و نه زیان را مگر آنچه خواهد خدا و اگر بودمی که بدانم غیب را هر آینه بسیار ساختمی از خیر و نرسیدی مرا

السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ع ١٤

بدی نیستم من مگر ترساننده و مژده دهنده مر گروهی را که ایمان می‌آرند اوست آنکه آفرید شما را از یک نفس و گردانید از آن جفت آن را تا آرام گیرد بسوی آن

فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللّٰهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ

پس چون مباشرت کرد او را برداشت باری سبک پس گذشت بآن پس چون سنگین شد خواندند خدا را پروردگار خود را که اگر بدهی ما را فرزند صالح هر آینه باشیم از سپاس گذاران

فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللّٰهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ

پس چون داد ایشان را فرزند صالح قرار دادند مر او را انبازان در آنچه داد ایشان را پس برتر است خدا از آنچه شریک قرار دهند آیا شریک قرار دهند آنچه را که نیافریند چیزی را و ایشان

یخلقون

يُخْلَقُونَ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ

آفریده شوند و نتوانند برای ایشان یاری دادن و نه خویشتن را یاری کنند و اگر بخوانی ایشان را بسوی راستی متابعت نکنند شما را یکسانست بر شما خواه بخوانید ایشان را یا

صَامِتُونَ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ

خاموش باشید هر آینه آنان را که می‌خوانید بغیر خدا بندگانند مانند شما پس بخوانید ایشان را پس باید که اجابت کنند شما را اگر هستید راستگویان آیا ایشان را پایهاست

يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا

که راه روند بآن یا ایشان را دستهاست که بگیرند بآن یا ایشان را چشمهاست که ببینند بآن یا ایشان را گوشهاست که بشنوند بآن بگو که بخوانید انبازان خود را پس سگالش کنید با من پس

تُنْظِرُونِ إِنَّ وَلِيِّيَ اللّٰهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ

زمان مدهید مرا هر آینه صاحب من آن خدایست که فرستاد کتاب را و او دوستی کند با نیکوکاران و آنانکه می‌خوانید بغیر او نتوانند

نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ

یاری شما را و نه خودشان را یاری کنند و اگر بخوانید آنها را بسوی راستی نشنوند و بینی که بنگرند بسوی تو و ایشان نمی‌بینند

القراءة فباي بتليين الهمزة حيث كان الاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف يذرهم بالياء مرفوعا ابو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم غير عباد والمفضل ويذرهم بالياء مجزوما عباس وحمزة وعلي وخلف الباقون بالنون مرفوعا ان انا الا بالمد ابو نشيط شركا بكسر الشين وسكون الراء ابو جعفر ونافع وابو بكر وحماد الآخرون شركاء على الجمع يتبعوكم مخففا نافع الباقون بالتشديد يبطشون بضم الطاء يزيد قل ادعو بكسر اللام للساكنين وكذا ابن حمزة وعاصم وسهل ويعقوب وعباس الآخرون بالضم للاتباع كيدوني بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو ويزيد واسمعيل الحلواني عن هشام في الوصل تنظرون بالياء في الحالين يعقوب وافق سهل وعباس في الوصل ان ولي الله بياء واحدة مشددة ابو زيد عن المفضل وشجاع وعباس اذا قرأ بالادغام الكبير وليي بثلاث ياآت روبس والبرجمي الباقون بياءين اولاهما مشددة مكسورة والثانية مفتوحة الوقوف من جنة ط مبين ه من شيء لا لان التقدير وفي ان عسى اجلهم ط لابتداء الاستفهام مع الفاء يؤمنون هادي له ط لمن قرأ ويذرهم بالرفع على الاستئناف ومن جزم فلا وقف لانه معطوف على موضع فلا هادي له يعمهون مرساها ط عند ربي ج لاختلاف الجملتين الا هو ط والارض ط بغتة ط عنها ط لا يعلمون ه ما شاء الله ط من الخير ج لاحتمال ان يفسر السوء بالجوع فيكون معطوفا على جواب لو واحتمال ان يفسر بالجنون الذي نسبوا اليه فيكون ابتداء نفي يؤمنون ه اليها ج لاجل الفاء فمرت به ج لذلك الشاكرين ه فيما آتاهما ج لابتداء التنزيه ووجه الوصل تعجيل التنزيه يشركون ه وهم يخلقون ه والوصل اولى للعطف ينصرون ه لا يتبعوكم ط صامتون ه صادقين ه يمشون بها لان ام عاطفة مع انها في معنى ابتداء استفهام للانكار والثانية والثالثة كذلك يسمعون بها ط تنظرون ه الكتاب والوصل اولى لتكون الواو عاطفة الصالحين ه ينصرون ه لا يسمعوا ط لا يبصرون ه التفسير انه تعالى لما بالغ في تهديد الملحدين المعرضين عن آياته الغافلين عن التأمل في بيناته عاد الى الجواب عن شبهاتهم فقال اولم يتفكروا اذا علم ان الرؤية بالبصر حالة مخصوصة بالانكشاف والجلاء ولها مقدمة هي تقليب الحدقة الى جهة المرئي كذلك الرؤية البصيرة وهي المسماة بالعلم واليقين متعينة بالوضوح والانارة ولها مقدمة هي تقليب حدقة القلب الى الجوانب لطلب ذلك وهذه الحالة تسمى بنظر العقل وفكرته وفي اللفظ محذوف والتقدير اولم يتفكروا فيعلموا ما بصاحبهم من جنة وهي حالة من الجنون كالجلسة كان جهال اهل مكة ينسبونه الى الجنون لوجهين احدهما انه صلى الله عليه وسلم كان يغشاه حالة عجيبة عند الوحي شبيهة بالغشي فيتغير وجهه ويتغير لونه والثاني ان فعله وهو الاعراض عن الدنيا والاقبال على الآخرة والدعاء الى الله تعالى كان مخالفا لفعلهم عن الحسن وقتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قام ليلا على الصفا يدعو قريشا فخذا فخذا من قريش يا بني فلان يحذرهم باس الله وعقابه فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون واطب على الصباح فامرهم الله تعالى بالتفكر والتدبر في امره وذلك انه كان يدعوهم الى عبادة الله وحده ويتم عليهم الدلائل القاطعة بالفاظ فصيحة عجز الاولون والآخرون عن معارضتها وكان حسن الاخلاق طيب العشرة مرضي السيرة مواظبا على اعمال حسنة صار بسببها قدوة العقلاء العالمين ومن المعلوم بالضرورة ان مثل هذا الانسان لا يمكن وصفه بالجنون وانما هو نذير مبين ارسله رب العالمين لترهيب الكافرين وترغيب المؤمنين ولما كان النظر في امر النبوة مفرعا على دلائل التوحيد قال اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض اي في مدلولاتها او الملكوت الملك العظيم وفي عدم النظر دلالة على وجوب الاستدلال فانما للعقل اليه سبيل وقد مر في هذا الكتاب كيفية دلالة السموات والارض على وجود الصانع ولا سيما في سورة البقرة عند قوله ان في خلق السموات والارض ثم قال وما خلق الله من شيء اي مما يقع عليه اسم الشيء من اجناس غير محصورة والغرض التنبيه على ان الدلالة على التوحيد ليست مقصورة على السموات والارض بل كل ذرة من ذرات هذا العالم فيها برهان باهر ودليل قاهر على الوحدانية لانها مختصة بحيز معين من الاحياز المتناهية وبقدر معين من الاقدار وبوضع معين من الاوضاع وكذا الكلام في لونها وشكلها وطبعها وطعمها وسائر صفاتها وكل واحد من هذه الاختصاصات لا بد له من مخصص ولا بد من الانتهاء الى الواجب واحد في ذاته وفي جميع اعتباراته وان عسى هي مخففة من الثقيلة والاصل وانه عسى على ان الضمير للشان ولا بد ان يكون ضمير الشان ايضا والمعنى اولم ينظروا في ان الشان والحديث عسى ان يكون الشان قد اقترب اجلهم الموت او القيمة واذا كان ناحد هذين

الاحتمالين فانما وجب على العاقل المسارعة الى هذا الفكر والنظر سعيا في تخليص النفس من هذا الخوف الشديد والخطر العظيم اما قوله فباي حديث بعده يؤمنون فمتعلق بقوله عسى ان يكون كانه قيل لعل اجلهم قد قرب فما لهم لا يبادرون الايمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وباي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا ولا دلالة في الخلاف لفظ الحديث على حدوث الكلام ولو سلم فانه محمول على الالفاظ والكلمات ولا نزاع في حدوثها قوله من يضلل الله قد سبق تفسير مثله ثم لما تكلم في النبوة والتوحيد والقضاء والقدر اتبعه الكلام في المعاد فقال يسئلونك عن الساعة وايضا لما ذكر اقتراب الاجل بين ان وقت الساعة مكتوم عن الافهام ليصير ذلك حاملا للمكلفين على المسارعة الى التوبة واداء الفرائض ومن السائل عن ابن عباس انهم اليهود قالوا يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي وعن قتادة انهم قريش قالوا يا محمد ان بيننا وبينك قرابة فاسر الينا متى الساعة قال في الكشاف الساعة من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا سميت القيمة ساعة لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او على العكس لطولها كما يقال للحبشي ابو البيضاء او لانها عند الله كساعة من الساعات عند الخلق واما ان استفهام عن الزمان ويختص بالامور العظام نحو ايان مرسيها وايان يوم الدين ولا يقال ايان نمت وكسر همزته لغة سليم وعن ابن جني ان اشتقاقه من اي فعلان منه واي فعل من اوت اليه لان البعض ياوي الى الكل وانكران يكون اشتقاقه من اين لانه للزمان واين للمكان ولقلة فعال في الاسماء وكثرة فعلان فيها وقال الاندلسي اصله اي اوان حذفت الهمزة مع الياء الاخيرة فبقي ايوان فادغم بعد القلب وقيل اصله ايان بمعنى اي حين فخفف بحذف الهمزة فاتصلت الالف والنون بالياء وورد بان انا لا يستعمل الابهام التعريف والمرسي بمعنى الارساء والاثبات والرسو الثبات والاستقرار ولعله لا يطلق الا على ما فيه ثقل ومنه رسا الجبل وارست السفينة ولا اثقل من الساعة على الخلايق قل انما علمها اي علم وقت ارسائها واثباتها واقرارها عند ربي قد استاثر به لم يخبر احدا من ملك مقرب ولا نبي مرسل بكا دخفيها من نفسه ليكون ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية كما اخفى وقت الموت لذلك لا يجليها لا يظهرها لوقتها اي للخبر عن وقتها قبل مجيئها احد الا هو والحاصل انه لا يقدر على اظهار وقتها المعين بالاخبار والاعلام الا هو ثقلت في السموات والارض قال الحسن اي ثقل مجيئها على اهل السموات لانشقاق السماء وتكوير الشمس وانتثار النجوم وعلى اهل الارض لان في ذلك اليوم فناؤهم وهلاكهم او ثقل هذا اليوم على الخلايق بما فيه من الشدائد والاهوال او ثقل تحصيل العلم بوقتها المعين عليهم اي شكل واستبهم حتى صار ثقيلا على الاذهان لا تاتيكم الا بغتة الا فجاءة على حين غفلة منكم وهذه الجمل مؤكدات ومبينات لما تقدمها ولهذا فقد العاطف عن النبي صلعم ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه وروى الحسن عن النبي صلعم انه قال والذي نفس محمد بيده ليقومن الساعة وان الرجل ليرفع اللقمة الى فيه حتى يحول الساعة بينه وبين ذلك ثم كرر يسئلونك للتاكيد ولما نيط به من زيادة قوله كانك حفي عنها فكان السؤال الاول عن وقت قيام الساعة والسؤال الثاني عن كنه ثقل الساعة وشدتها ومهابتها ولهذا خص باسم الله في قوله قل انما علمها عند الله لان اعظم اسماء الله مهابة هو الله واما الرب فيدل على التربية والرحمة دون الهيبة والعزة وفي الحفي وجوه فقيل انه البار اللطيف عن بعض الباء اي كانك بار بهم لطيف العشرة معهم وهذا قول الحسن وقتادة والسدي والضمير عائد الى قريش لانهم ادعت القرابة وجعلوها وسيلة الى ان يخبرهم بالساعة والمعنى انك لا تكون حفيا بهم ما داموا على كفرهم ولو اخبرت بوقتها وامرت بالاخبار عنها لكنت مبلغة القريب والبعيد من غير تخصيص كسائر ما اوحي اليك وعلى هذا القول جاز ان يكون عنها متعلقا بيسئلونك اي يسئلونك عنها كانك حفي اي عالم بها فحذف قوله بها لطول الكلام او لانه معلوم وقيل عنها متعلق بمحذوف وحفي فعيل من حفي فلان بالمسئلة اي استقصى والمعنى كانك بليغ في السؤال عنها لان من اكثر السؤال علم وهذا التركيب يفيد المبالغة ومنه احفاء الشارب واحفى في المسئلة اذا الحف وقيل المراد كانك حفي بالسؤال عنها تحبه وتؤثره يعني انك تكره السؤال عنها لانه من علم الغيب الذي استاثر الله به ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه مختص بذلك العلم او لا يعلمون ان القيمة حق وانما يقولون ان هي الا حيوتنا الدنيا او لا يعلمون السبب الذي لاجله خفيت معرفة وقتها المعين عن الخلق ثم امر نبيه باظهار ذل العبودية حتى لا ينسب اليه نقص ولا يعاب من قبل عدم العلم بالغيب فقال قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله وفيه ان قدرته قاصرة وعلمه قليل وكل من كان عبدا كان كذلك والقدرة الكاملة والعلم المحيط ليس الا لله تعالى واحتجت الاشاعرة بالاية في مسئلة خلق الاعمال قالوا الايمان نفع والكفر ضر فوجب ان لا يحصل الا بمشية الله تعالى واجابت المعتزلة بان المراد لا املك لنفسي من النفع والضر الا قدر ما شاء الله ان يقدرني عليه ويمكنني منه وظاهر الاية وان كان عاما الا انها مخصوصة بصورة النزول قال الكلبي ان اهل مكة قالوا يا محمد الا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل ان يغلو فنشتري فنربح بالارض التي تريد ان تجدب فنرتحل عنها الى ما قد اخصبت فانزل الله هذه الاية فالمراد بالخير في قوله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير هو جلب منافع الدنيا وخيراتها من الخصب والارباح والا وقيل المراد ما يتصل بامر الدين يعني لو كنت اعلم الغيب لكنت اعلم ان الدعوة الى الدين الحق تؤثر في هذا ولا تؤثر في ذلك لكنت اشتغل بدعوة هذا دون ذاك وقال بعضهم لما رجع صلعم من غزوة بني المصطلق جاء في الطريق ريح نفرت منها الدواب فاخبر صلعم بموت رفاعة وكان فيه غيظ للمنافقين وقال انظروا اين ناقتي فقال عبد الله بن ابي لقومه الا تعجبون من هذا الرجل يخبر عن موت رجل بالمدينة ولا

يعرف اين ناقته فقال صلى الله عليه وسلم ان ناسا من المنافقين قالوا كيت وكيت وناقتي في هذا الشعب قد تعلق زمامها بشجرة فوجدوها على ما قال فنزلت اما قوله وما مسني السوء فمعناه لكان حالي على خلاف ما هي عليه من المغلوبية في بعض الحروب والخسران في بعض التجارات والاخطاء في بعض التدابير ان انا الا عبد مرسل للنذارة والبشارة وما من شاني ان اعلم الغيب قوله لقوم يؤمنون اما ان يتعلق بالبشير وحده ويكون المتعلق بالنذير وهو للكافرين محذوفا للعلم به كقوله سرابيل تقيكم الحر او يتعلق بالوصفين جميعا الا ان المؤمنين لما كانوا هم المنتفعين بهما خصوا بالذكر كقوله هدى للمتقين واعلم ان اكثر ما جاء في القرآن من لفظ الضر والنفع معا جاء بتقديم لفظ الضر على النفع وهو الاصل لان العابد يعبد معبوده خوفا من عقابه اولا ثم طمعا في ثوابه ثانيا ويؤيده قوله يدعون ربهم خوفا وطمعا وحيث تقدم النفع على الضر فلذلك لسابقة لفظ تضمن معنى نفع كما في هذه السورة تقدم لفظ الهداية على الضلال في قوله من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل ويقدم الخير على السوء في قوله لاستكثرت من الخير وما مسني السوء وفي الرعد تقدم ذكر الطوع في قوله طوعا وكرها والطوع نفع وفي الفرقان تقدم قوله هذا عذب فرات وهو نفع وفي سبا تقدم البسط في قوله الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقس على هذا ثم رجع الى تقرير امر التوحيد وابطال الشرك فقال هو الذي خلقكم من نفس واحدة المروي عن ابن عباس انها نفس ادم وقد تقدم مثل ذلك في اول سورة النساء قال مجاهد كان لا يعيش لادم وامراته ولد فقال لهما الشيطان اذا ولد لكما ولد فسمياه عبد الحرث وكان اسم ابليس في الملائكة الحرث وذلك قوله فلما اتاهما صالحا ولدا سويا جعلا يعني ادم وحواء له شركاء والمراد تسميته بعبد الحرث هذا تمام القصة وقد زيفها النقاد لوجوه منها انه تعالى قال فتعالى الله عما يشركون بلفظ الجمع لا التثنية ومنها قوله ايشركون ما لا يخلق شيئا الى اخر الايات وفي ذلك تصريح بان المراد الاصنام ولو كان المراد ابليس لكان ايشركون من لا يخلق شيئا وهو يخلق ومنها ان ادم عم كان عالما بجميع الاسماء فكيف ضاقت عليه الاسماء ام كيف لم يعرف ان اسم ابليس كان حارثا ام كيف لم يتنبه لغدر ابليس بعد ان جرى عليه منه ما جرى ومنها انه ان اراد بذلك اسم علم او اسم صفة والاول لا يستلزم محذورا لان اسماء الاعلام لا يفيد في المسميات فائدة فلا يلزم الاشراك والثاني يوجب الكفر الصريح ولا قائل بامكان نسبته الى ادم نعم ذكر العلماء في تاويله وجوها احدها ان هذا مثل فكانه تعالى يقول هو الذي خلقكم اي كل واحد منكم من نفس واحدة وجعل من جنسها زوجها انسانا يساويه في الانسانية ليسكن اي تلك النفس فذكر بعد ما انث حملا على المعنى ولان الذكر هو الذي يسكن الى الانثى ويطمئن اليها فكان التذكير احسن لطباق المعنى فلما تغشيها اي جامعها لانه اذا علاها صار كالغاشية لها حملت حملا خفيفا قالوا يريد النطفة والحمل بالفتح ما كان في البطن او على راس الشجرة وبكسر الحاء ما حمل على الظهر وعلى الدابة فمرت به اي استمرت وقضت على ذلك الحمل من غير انزلاق وقيل فقامت وقعدت به من غير ما ثقل وقيل المراد بالخفة انها لم تلق ما تلقاه بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذى فلما اثقلت كان وقت ثقل حملها ودنت ولادتها دعوا اي الزوج والزوجة الله ربهما ومالك امرهما الذي هو الحقيق بان يدعى ويلتجا اليه فقالا لئن اتيتنا صالحا ولدا قد صلح بدنه او ولدا ذكرا لان الذكورة من الصلاح والجودة لنكونن من الشاكرين لنعمائك فلما اتاهما صالحا كما طلبا جعلا له شركاء ومن قرا شركا فعلى حذف المضاف اي ذوي شرك وهم الشركاء ايضا والمراد احدثا لله اشراكا في الولد لانهم تارة ينسبون ذلك الولد الى الطبايع وتارة الى الكواكب وتارة الى الاوثان والاصنام وثانيها ان يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله وهم ال قصي والمعنى هو الذي خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجة عربية قرشية فلما اتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوي سميا اولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد قصي وعبد العزى وعبد الدار والضمير في يشركون لهما ولاعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك وثالثها سلمنا ان الاية وردت في قصة ادم الا انه لم لا يجوز ان يكون قوله جعلا وارد بمعنى الاستفهام على سبيل الانكار والتبعيد ثم قال فتعالى الله عما يشركون اي تعالى الله عن شرك هؤلاء المشركين الذين يقولون بالشرك وذلك انهم كانوا يقولون ان ادم عم كان يعبد الاصنام ويرجع في طلب الخير ودفع الشر اليها ونظيره ان ينعم رجل على رجل بوجوه كثيرة من الانعام ثم يقول لذلك المنعم ان ذلك المنعم عليه يقصد ايذائك وايصال الشر اليك فيقول ذلك المنعم فعلت في حق فلان كذا او احسنت اليه بكذا وكذا ثم انه يقابلني بالشر والاساءة فانه بريء من ذلك فغرضه من قوله انه يقابلني بالشر والاساءة انه بريء عن ذلك فغرضه من قوله انه يقابلني بالشر النفي والتبعيد او نقول لم لا يجوز ان يكون قوله جعلا له على حذف المضاف اي جعل اولادهما له شركاء وكذا فيما اتاهما اي اولادهما كما عبر عنهم بلفظ التثنية مرة لكونهم صنفين او نوعين ذكرا وانثى وبلفظ الجمع اخرى وهو قوله فتعالى الله عما يشركون سلمنا ان الضمير في جعلا وفي اتاهما لادم وحواء الا انهما كانا عزما ان يجعلاه وقفا على خدمة الله وطاعته ثم بدا لهما فكانا ينتفعان به في مصالح الدنيا فاريد بالشرك هذا فاما قال تعالى عما يشركون لان حسنات الابرار سيئات المقربين او نقول انما سمياه عبد الحرث اعتقادا منهما انه انما سلم من الافات ببركة دعائه وقد يسمى المنعم ومنه قول بعض العلماء انا عبد من علمني حرفا فلما حصل الاشراك في لفظ العبد عوتبا على ذلك والله تعالى اعلم ثم اقام الحجة على ان الاوثان لا تصلح للالهية فقال ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون اعتبر اللفظ او لا فوحد والمعنى ثانيا فجمع وانما جمع بالواو والنون بناء على معتقدهم انهم عقلاء واحتجت الاشاعرة بها في مسئلة خلق الاعمال فانها تدل على ان غير الله لا يخلق ثم بين ان المعبود يجب ان يكون قادرا على ايصال النفع ودفع الضر وهذه الاصنام ليست كذلك فقال ولا يستطيعون

العزى وعبد الدار

القدر وعط

عليه عبد المنعم

لهم نصرا وهو المعونة على العدو ولا انفسهم ينصرون ولا يدفعون عن انفسهم مكروها فان من اراد كسرهم لم يقدروا على دفعه والحاصل ان الاصنام لا ينصر من اطاعها ولا ينتقم ممن عصاها بل عبدتها هم الذين يدفعون عنهم ويحامون عليهم ثم ذكر انها كما لا ينفع ولا يضر فكذلك لا تعلم شيئا من الاشياء وانها لا يتضح منها اذا دعيت الى الخير والصلاح الاتباع ولا يفصل حال من يخاطبهم ممن يسكت عنهم فقال وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم ويجوز ان يكون المراد وان يطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير لا يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبكم كما يجيبكم الله بدليل قوله بعد فادعوهم فليستجيبوا لكم ثم قوى هذا الكلام بقوله سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون واعرابه شبيه بما تقدم في اول سورة البقرة في قوله سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم وانما عطف الاسمية على الفعلية لان هؤلاء المشركين اذا وقعوا في مهم ومعضلة تضرعوا الى تلك الاصنام واذا لم يحدث تلك الواقعة بقوا ساكتين صامتين فقيل لهم لا فرق بين احداثكم دعاءهم وبين ان تستمروا على صمتكم ثم اكد بيان انها لا تصلح للالهية بقوله ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فسئل انه كيف يحسن وصف الجمادات بانها عباد واجيب بعد تسليم اختصاص العباد بالعقلاء بان ذلك ورد على معتقدهم انها عقلاء ففيه ايضا نوع من الاستهزاء اي قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء فان ثبت ذلك فهم عباد امثالكم ولا فضل لهم عليكم فلم قبلتموها الهة لكم وادبابا ثم بين عدم التفاضل بقوله فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين في انها الهة ولام الامر للتعجيز فانه اذا ظهر لكل عاقل انها لا تقدر على الاجابة ظهر انها لا تصلح للعبودية وانها والعبث سواء بل هم اخس وادون بدليل قوله الهم ارجل يمشون بها الاية وذلك ان كل ما من شانه ان يكون له هذه الاعضاء والالات فاذا كان فيها قوى محركة ومدركة كان هو افضل ممن خلا اعضاؤه عن هذه القوى فكيف يليق بالافضل الاكرم الاشرف خدمة المفضول الخسيس الدني وانما قلنا كل ما من شانه ان يكون له هذه الاعضاء لان من جل عن ثبوت هذه الاعضاء والجوارح له فعدم هذه الاشياء بالنسبة اليه فضيلة وكمال فان القادر القاهر من غير افتقار الى الة وعدة كان اشرف ممن يفتقر في افعاله الى الالات فسقط عمن لا نفع لا له فلا يرد اعتراض بعض اغمار المشبهة ان الله تعالى لو لم تكن له هذه الاعضاء لكان عدمها دليلا على عدم الالهية ثم انهم كانوا يخوفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهتهم كما قال قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء فقال عز من قائل لنبيه قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون امر من الكيد المكر فلا تنظرون نهي من الانظار الامهال والخطاب لهم ولشركائهم جميعا وهذا قول واثق بعصمة الله ان لا يبالي بغير الله كائنا من كان ثم لما امره صلى الله عليه وسلم بالتبري حثه على التولي فقال ان وليي اي ناصري عليكم الله الاية وفيه ان الواجب على كل عاقل عبادة الذي يتولى تحصيل منافع الدارين اما الدينية فلانه انزل الكتاب المشتمل على العلوم الجمة واما الدنيوية فهو المراد بقوله وهو يتولى الصالحين اي من عادته ان ينصرهم فلا يضرهم عداوة من عاداهم وفي ذلك ياس المشركين ان يضره كيدهم يحكى ان عمر بن العبد العزيز كان لا يدخر لاولاده شيئا فقيل له ذلك فقال اما ان يكون ولدي من الصالحين فوليه الله ولا حاجة له الى مالي واما ان يكون من المجرمين وقد قال تعالى فلن اكون ظهيرا للمجرمين ومن رده الله لم اشتغل باصلاحه مهما انا اقول وفي التقريب بالاية الثانية نظر لانها حكاية كلام موسى اللهم الا ان يقع التقريب في النظر ثم اعاد وصف الاصنام بمثل الصفات المذكورة فقال والذين تدعون من دونه الاية قال الواحدي انما اعيد هذا المعنى لان الاول مذكور على جهة الفرق بين من يجوز له العبادة وبين من لا يجوز كانه قيل الاله المعبود يجب ان يكون بحيث يتولى الصالحين وهذه الاصنام ليست كذلك فلا تكون صالحة للالهية وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا لا اسماع سمع ولا سماع اجابة وتريهم تحسبهم ينظرون اليك يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا اصنامهم بصورة من قلب حدقته الى الشيء ينظر اليه وهم لا يبصرون لا يدركون المرئي وقيل الضمير في قوله وان تدعوهم الى اخر الاية يعود الى المشركين المار ذكرهم في قوله قل ادعوا والمراد انهم بلغوا في الجهل والحماقة الى انك لو دعوتهم واظهرت انواع الحجة والبرهان لم يسمعوا بعقولهم البتة وتراهم ايها الناس ينظرون اليك ولكنهم لشدة اعراضهم عن قبول الحق لم ينتفعوا بذلك النظر فكانهم عمي بصيرة قوله في موضع اخر فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور والتاويل او لم ينظروا في ملكوت السموات والارض لارباب العقول والنظر والاستدلال لتحصيل الايمان ولارباب القلوب باللوح والكشف لحصول الايقان والعيان وما خلق الله من شيء يعني عالم الملك المخلوق من مادة بخلاف عالم الملكوت الذي ابدع من غير شيء وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم يعني اجل فنائهم عما سوى الحق فان لم يؤمنوا بطريق النظر استدلالا لا يبقى حديث بعده اي بعد النظر يؤمنون يسئلونك عن الساعة التي يظهر الله تعالى فيها اثار صفة القهارية لافناء عالم الصورة فلا يبقى منه داع ولا مجيب فهو بنفسه لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لاستكثرت من الخير من الجود الابدية ودفع الحاجات البشرية خلقكم من نفس واحدة هي الروح وخلق منها زوجها وهي القلب ليسكن اليها لان القلب بين اصبعين من اصابع الرحمن فكان الروح يشم من القلب نسائم نفحات الطاف الحق حملت حملا خفيفا في البداية بظهور ادنى اثر من اثار الصفات البشرية في القلب الروحاني فلما اثقلت كثرت اثار الصفات خاف الروح والقلب على انفسهما من تبدل الصفات الروحانية الاخروية النورانية بالصفات النفسانية الدنيوية الظلمانية فدعوا الله ربهما لئن اتيتنا صالحا قابلا للعبودية لنكونن من الشاكرين فلما اتاهما صالحا جعلا الروح والقلب لها شركاء اي جعلا وجه النفس الى الدنيا ونعيمها فصارت عبد البطن وعبد الخميصة وعبد الدرهم والدينار ولا يستطيع

لهم نصرا اي لا يستطيع الدنيا ومن فيها للروح والقلب في النفس تقوية وتربية الا بالله ولا انفسهم ينصرون للبقاء والدوام

خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم

پیشه گیر درگذشتن را و بفرمای بنیکوئی و روگردان از نادانان و اگر رسد بتو از دیو وسوسه پس پناه بر بخدا که او شنونده داناست

ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون

بدرستی آنانکه پرهیز کردند هرگاه رسید ایشان را وسوسه از شیطان یاد کردند خدا را پس ایشان بیدار شدند و برادران ایشان میکشند ایشان را در گمراهی پس کوتاهی نمیکنند

واذا لم تاتهم باية قالوا لولا اجتبيتها قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم

و چون نیاوری بایشان آیتی گفتند چرا فراهم نیاوردی آنرا بگو جز این نیست پیروی میکنم آنچه وحی کرده میشود بمن از پروردگار من این بینائیهاست از پروردگار شما و رهنمائی و رحمت مر گروهی را

يؤمنون واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة

که میگروند و چون خوانده شود قرآن پس گوش دهید آنرا و خاموش باشید شاید که شما رحم کرده شوید و یاد کن پروردگار خود را در نفس خود بزاری و ترس

ودون الجهر من القول بالغدو والاصال ولا تكن من الغافلين ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون

و جز آواز بلند از گفتار در بامدادان و عصرها و مباش از غافلان بدرستی آنانکه نزد پروردگار تواند سرکشی نمیکنند از بندگی او و تسبیح کنند او را و مر او را سجده کنند

القراءات طيف بسكون الياء ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب وعلي الباقون طائف على وزن فاعل يمدونهم من الامداد ابو جعفر ونافع الاخرون بفتح الياء وضم الميم من المد العفو وامر مدغما ابو عمرو وقرئ بغير همز حيث كان يزيد والشموني وحمزة في الوقف الوقوف الجاهلين ه بالله ط عليم ه مبصرون ج لان قوله واخوانهم مبتدا الا ان المعنى يقتضي الوصل لبيان اختلاف حالي الفريقين لا يقصرون ه اجتبيتها ط من ربي ج لاختلاف الجملتين بلا عطف مع اتحاد المقول يؤمنون ه ترحمون ه من الغافلين ه يسجدون ه سجدة التفسير لما ذكر فساد طريقة عبدة الاصنام وبين النهج القويم والصراط المستقيم ارشد الى مكارم الاخلاق والعفو الفضل وكل ما اتى من غير كلفة واعلم ان الحقوق التي تستوفى من الناس اما ان يجوز ادخال المساهلة فيها وهو المراد بقوله خذ العفو ويدخل فيه التخلق مع الناس بالخلق الحسن وترك الغلظة والفظاظة ومن هذا الباب ان يدعو الخلق الى الدين الحق بالرفق واللطف كما قال في حق نبيه صلى الله عليه وسلم فبما رحمة من الله لنت لهم واما ان لا يجوز دخول المساهلة فيها وذلك قوله وامر بالعرف وهو المعروف والعارفة انه كل امر عرف انه لابد من الاتيان به ويكون وجوده خيرا من عدمه فلو اقتصر في هذا القسم على الاخذ ولم يبذل في ذلك وسعه كان راضيا بتغيير الدين وابطال الحق ثم اذا امر بالمعروف ورغب فيه ونهى عن المنكر ونفر عنه فربما اقدم بعض الجاهلين على السفاهة والايذاء فلهذا قال واعرض عن الجاهلين قال عكرمة لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبرئيل ما هذا فقال لا ادري حتى اسئل ثم رجع فقال يا محمد ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك قال اهل العلم تفسير جبرئيل مطابق للفظ الاية فانك اذا وصلت من قطعك فقد عفوت عنه واذا اعطيت من حرمك فقد امرت بالمعروف واذا عفوت عمن ظلمك فقد اعرضت عن الجاهل يروى عن جعفر الصادق عليه السلام ليس في القران العزيز اية اجمع لمكارم الاخلاق من هذه الاية ولبعض المفسرين في تفسير الاية طريق اخر قالوا خذ العفو اي ما اتوك به عفوا فخذه ولا تسل ما وراء ذلك فنسخت باية الزكوة وامر بالمعروف اي باظهار الدين الحق وهذا غير منسوخ واعرض عن الجاهلين اي المشركين وهذه منسوخة باية القتال والحق ان تخصيص اخذ العفو بالمال تقييد للمطلق من غير دليل ولو سلم فايجاب الزكوة بالمقادير المخصوصة لا ينافي ذلك لان اخذ الزكوة مامور بان لا ياخذ كرائم اموال الناس وان لا يشدد الامر على المزكي وايضا لا يمتنع ان يؤمر النبي بان لا يقابل سفاهة المشركين بمثلها ولكن بقتالهم واذا كان الجمع بين الامرين ممكنا فلا حاجة الى التزام النسخ قال ابو زيد لما نزل قوله واعرض عن الجاهلين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف كيف يا رب والغضب فنزل واما ينزغنك من الشيطان نزغ اي غرز ونخس جعل النزغ نازغا كما قيل جد جده عن ابي زيد نزغت ما بين القوم اي افسدت ما بينهم واصله الازعاج بالحركة الى الشر واكثر ما يكون ذلك عند الغضب نزغ الشيطان وسوسته في القلب بما يسول للانسان من المعاصي وعلاجه ودفعه انما يكون بالاستعاذة وهي الاستخلاص عن حول الشيطان وقوته الى حول الرحمن وقوته والاعراض عن مقتضى الطبع والاقبال على اوامر الشرع عن معاذ بن جبل قال استب رجلان عند النبي حتى عرف الغضب في وجه احدهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لاعلم كلمة لو قالها لذهب غضبه اعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال بعض الطاعنين في عصمة الانبياء لو لم يجز على النبي الاقبال على وسوسة الشيطان لم يؤمر بالاستعاذة والجواب ان كلمة ان لا يفيد وقوع الشرط ولو سلم فمن اين علم انه صلى الله عليه وسلم قبل تلك الوسوسة منه ولو سلم فمحمول على ترك الاولى ثم ختم الاية بقوله انه سميع عليم ليعرف ان القول اللساني بدون المعارف الحقيقية عديم الفائدة وكانه تعالى قال اذكر لفظ الاستعاذة بلسانك فاني سميع واحضر معنى الاستعاذة في ضميرك فاني عليم ثم بين ان حال المتقين قد تزيد على حال النبي في باب وسوسة ابليس فان النبي لا يكون له الا النزغ الذي هو كابتداء الوسوسة واما المتقون فقد يمسهم الشيطان وذلك قوله ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف قال الفراء الطائف والطيف كالخاطر وجوز بعضهم ان يكون مصدرا كالعاقبة ولكنه بلا تاء والاصح انه اسم فاعل من طاف يطوف ومن طاف به الخيال يطيف طيفا ومن قرأ طيفا فهو اما مصدر اي لمسة من الشيطان واما مخفف طيف فيعل من طاف يطيف كلين او من طاف يطوف كهين قال في الكشاف

وهذا تأكيد وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وان المتقين هذه عادتهم اذا اصابهم نزغ من الشيطان و
المام بوسوسته ومفعول تذكروا محذوف اى تذكروا ما امر الله به ونهى عنه فابصروا السداد واعلم ان الغضب انما يهيج بالانسان اذا استقبح من
المغضوب عليه عملا من الاعمال ثم اعتقد فى نفسه كونه قادرا وفى المغضوب عليه كونه عاجزا هذا اذا كان واقفا على ظلمات عالم الاجسام فيغتر بظواهر
الامور اما اذا انكشف له نور من عالم العقل عرف ان المغضوب عليه انما اقدم على ذلك العمل لان الله تعالى خلق فيه داعية جازمة وقد علم منه
تلك الحالة فى الازل ومتى كان كذلك فلا سبيل له الى تركها فيفتر غضبه كما قال صلى الله عليه وسلم من عرف سر الله فى القدر هانت عليه المصائب وايضا انه كم اساء
فى العمل وقد تجاوز الله عنه وان الله اقدر عليه منه فاذا امضى الغضب كان شريكا للسباع الموذية واذا اختار العفو كان مضاهيا للانبياء والاولياء
مستاهلا للثواب الجزيل وانه ربما انقلب الضعيف قويا وبالجملة فالمراد من قوله تعالى اذا مسهم طائف من الشيطان ما ذكرنا من الاعتقادات والمراد
من قوله تذكروا الامور التى تفيد ضعف تلك الاعتقادات اما قوله واخوانهم فالضمير فيه يرجع الى الشيطان وجمع لان المراد به الجنس كقوله اولياؤهم
الطاغوت والضمير المرفوع فى يمدون يرجع الى الاخوان لان شياطين الانس يعضدون شياطين الجن على الاغواء والاضلال او الى الشياطين
الذين ليسوا بمتقين فان الشياطين يمدونهم اى يكونون مددا لهم فى الغى ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين والضمير المجرور يعود الى الجاهلين
فيكون الخبر جاريا على ما هو له قال فى الكشاف والاول اوجه لان اخوانهم فى مقابلة الذين اتقوا قال الواحدى عامة ما جاء فى التنزيل مما يحمد
ويستحب امددت على افعلت كقوله انما نمدهم به من مال وامددناهم بفاكهة اتمدونن بمال وما كان بخلافه فانه يجئ على مددت قال ويمدهم فى
طغيانهم يعمهون فالوجه ههنا قراءة العامة ووجه الغى الاستهزاء والتهكم نحو فبشرهم بعذاب اليم اما قوله ثم لا يقصرون فالاقصار الكف عن الشئ
قال ابن عباس اى لا يمسك الغاوى عند الضلال والمغوى عن الاضلال ومعنى ثم تبعيد عدم الاقصار عن المدد فانه يجب على العاقل اذا اقبل
على غى ان يمسك عنه سريعا الا ان يتمادى فيه ويتهمك ولهذا قيل الرجوع الى الحق اولى من التمادى فى الباطل ثم ذكر نوعا واحدا من اغوائهم فقال
واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها اى لم تأتهم بآية لانهم كانوا يطلبون ايات معينة ومعجزات مخصوصة على سبيل التعنت كقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض
ينبوعا فكان اذا لم يأتهم بها تعنتوا لك قالوا لولا اجتبيتها اى اجتبيتها بمعنى جبيتها لنفسك اى جمعتها وجئت اليه فاجتبيته اى اخذته والمعنى هلا
افتعلتها وجئت بها من عند نفسك لانهم كانوا يقولون ان هذا الا افك مفترى وكانوا ينسبونه الى السحر او المراد هلا اخذتها وافترحتها على
الهك ان كنت صادقا فى ان الله يجيب دعاءك ويسعف باقتراحك فعند هذا امر رسوله ان يذكر فى الجواب انما اتبع ما يوحى الى من ربى
ولست بمفتعل للآيات او لست بمقترح لها ثم بين ان عدم الاتيان بتلك المعجزات التى اقترحوها لا يقدح فى الغرض لان ظهور القرآن على
وفق دعواه معجزة باهرة قاصرة كافية فى تصحيح النبوة فكان طلب الزيادة من التعنت فقال هذا يعنى القرآن بصائر اطلاقا لاسم السبب وذلك
ان فيها حججا بينة تفيد للقلوب بصيرة وكشفا وهدى للمستدلين الواصلين بالنظر والاستدلال الى درجة العرفان فالبصائر لاصحاب
عين اليقين والهدى لارباب علم اليقين والرحمة لغيرهم من الصالحين المقلدين والجمع لقوم يؤمنون ولما عظم شأن القرآن بتلك الاوصاف
علم المكلفين ادبا حسنا فى بابه فقال واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا والانصات السكوت للاستماع قال العلماء ظاهر الامر للوجوب فمقتضاه
ان يكون الاستماع والسكوت واجبا وقت قراءة القرآن فى صلوة وغير صلوة وهو قول الحسن واهل الظاهر وعن ابى هريرة كانوا يتكلمون فى
الصلوة فنزلت وقال قتادة كان الرجل يأتى وهم فى الصلوة فيسألهم كم صليتم كم بقى وكانوا يتكلمون فى الصلوة لحوائجهم فنزلت ثم صار سنة
فى غير الصلوة ان ينصت القوم اذا كانوا فى مجلس يقرأ فيه القرآن وقيل نزلت فى ترك الجهر بالقراءة وراء الامام لما روى عن ابن عباس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قرأ فى الصلوة المكتوبة وقرأ اصحابه رافعين اصواتهم فخلطوا عليه فنزلت وقال سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وعمرو بن دينار
وجماعة نزلت فى الانصات عند الخطبة يوم الجمعة وزيف بان اللفظ عام فكيف يجوز قصره على قراءة القرآن فى الخطبة او على الخطبة نفسها بناء على انها تتضمن
قرآنا الا انه ما عليه واجيب بان كلمة اذا لا يفيد العموم بدليل انه اذا قال لزوجته اذا دخلت الدار فانت طالق فانها لا تطلق مرة ثانية بدخول
الدار مرة اخرى وقيل لان الشافعى اوجب على المأموم ان يقرأ الفاتحة ورد بان المأموم انما يقرأ الفاتحة فى حال سكتة الامام كما قال
ابو سلمة للامام سكتتان فاغتنم القراءة فى ايهما شئت يعنى سكتة بين التكبير الى ان يقرأ واخرى بين القراءة الى ان يركع واعترض بان سكوت
الامام واجب ام لا والاول باطل بالاجماع وعلى الثانى يجوز ان لا يسكت وح يلزم ان يحصل قراءة المأموم مع قراءة الامام فيفضى الى ترك
الاستماع وايضا فهذا السكوت ليس له حد محدود والمأمومون مختلفون ببطوء القراءة وسرعتها فربما لا يتمكن المأموم من اتمام قراءة الفاتحة فى مقدار
سكوت الامام فيلزم المحذور المذكور وايضا الامام فى هذا السكوت يصير كالتابع للمأموم وذلك غير جائز قال الواحدى الانصات هو
ترك الجهر عند العرب وان كان يقرأ فى نفسه اذا لم يسمع احدا ورد عليه ان غاية توجيهه هو ان الانصات مع قراءة الامام ممكن لكن امكان
حصول الاستماع عبارة عن كونه بحيث يحيط بذلك الكلام المسموع على الوجه الكامل ولعل الانصات ان الاستماع على تقدير الانصات الحق المفسر
ممكن ان يحصل مع قراءة الامام هذا وقد سلم كثير من الفقهاء عموم اللفظ الا انهم جوزوا تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد وذلك
ههنا قوله صلى الله عليه وسلم لا صلوة الا بفاتحة الكتاب فذهب الامام مالك وهو القول القديم للشافعى انه لا يجوز للمأموم قراءة الفاتحة

فى الصلوة الجهرية عملا بمقتضى هذا النص ويجب عليه القراءة فى الصلوات السرية لان الاية لا دلالة لها على هذه الحالة وفى الاية
تفسير آخر وهو ان الخطاب فى الاية مع الكفار وذلك ان كون القرآن بصائر وهدى ورحمة لا يظهر الا بشرط مخصوص وهو ان النبى اذا
قرأ عليهم القرآن عند نزوله استمعوا له وانصتوا ليقفوا على مراتبه ومعانيه فيعترفوا باعجازه ويستغنوا بذلك عن طلب سائر المعجزات
ومما يؤكد هذا التفسير قوله فى آخر الاية لعلكم ترحمون والترجى انما يناسب حال الكفار لا حال المؤمنين الذين حصل لهم الرحمة جزما فى
قوله ورحمة لقوم يؤمنون ويمكن ان يجاب بان الاطماع من الكريم واجب فلم يبق الفرق وقيل المراد باستماع القرآن العمل بما فيه ثم امر نبيه
وامته بتبعيته صلى الله عليه وسلم بالذكر العام قرآنا كان او غيره على سبيل الدوام وذلك ان استماع القرآن كان كالذكر الخفى فقال واذكر ربك فى نفسك وفى
الاية فوائد الاول تخصيص اسم الرب دون الاله وغيره تنبيها على ان سبب الذكر هو التربية والانعام وليدل على الطمع والرجاء والثانى ذكر الرب
فى النفس ليكون ادخل فى الاخلاص ابعد عن الرياء وقيل ذكره فى النفس هو ان يكون عارفا بمعانى الاسماء التى يذكرها بلسانه وقال بعض المتكلمين الذكر
النفسى هو الكلام النفسى الذى يثبته الاشاعرة الثالث والرابع قوله تضرعا وخيفة اى متضرعا وخائفا فالتضرع لاظهار ذلة العبودية والخوف اما خوف العقاب
وهو مقام المذنبين واما خوف الجلال وهو مقام العارفين فاذا كوشفوا بالجمال عاشوا واذا كوشفوا بالجلال طاشوا واما خوف الخاتمة والخوف
السابقة فانها علة الخاتمة الخامس قوله ودون الجهر من القول والمراد ان يقع ذلك الذكر متوسطا بين الجهر والاخفاء قال ابن عباس هو
ان يذكر ربه على وجه يسمع نفسه وانما اخر هذا عن الذكر القلبى لان الخيال يتأثر من الذكر القلبى فيوجب قوة فى النفس ولا يزال يتزايد فى ذلك
الى ان يجرى الذكر على اللسان بل يسرى فى جميع اعضائه وجوارحه واركانه فيرتاح معتدلا خاليا عن التكلف بريا من التعسف السادس قوله بالغدو
والآصال والغدو مصدر غدا يغدو والمراد وقت الغدو كما تقول دنا الصباح اى وقته وقيل انه جمع غدوة واما الآصال فانها جمع الاصيل وهو
الوقت بعد العصر الى المغرب وقد يقال اشتقاقه من الاصل واليوم بليلته انما يبتدئ فى الشرع من اول الليل فسمى آخر النهار اصيلا لكونه
ملاصقا لما هو الاصل فى اليوم الثانى وخص هذان الوقتان بالذكر لان الغدو عندها ينقلب الحيوان من النوم الذى هو كالموت الى اليقظة
التى هى كالحيوة والعالم يتحول من الظلمة التى هى طبيعة عدمية الى النور الذى هو طبيعة وجودية والآصال الامر بالضد وهذان النوعان
من التغير العجيب دليلان قاهران باهران على وجود صانع قدير وحكيم خبير فوجب ان يكون المكلف فيهما مشتغلا بالذكر والخضوع ويمكن
ان يكون المراد مداومة الذكر والمواظبة عليه بقدر الامكان السابع قوله ولا تكن من الغافلين وفيه اشارة الى ان الذكر القلبى يجب ان
يداوم عليه ولا يزال الانسان يستحضر جلال الله وكبرياءه بحسب الطاقة البشرية ليتنور جوهر النفس ويستعد لقبول الاشراقات القدسية
فيضاهى سكان حظائر الجبروت الذين مدحهم الله بقوله ان الذين عند ربك ومعنى دنو الشرف والقرب من عنايته والطاف لا يستكبرون
عن عبادته فيعترفون على ذلك ويسبحونه يبرؤنه وينزهونه عن كل سوء وهذا يرجع الى المعارف والعلوم وله يسجدون يخصونه بغاية الخضوع
والاستكانة وهذا يعود الى اعمال الجوارح وفى هذا الترتيب دليل على ان الاصل فى الطاعة والعبودية اعمال القلوب ويتفرع عليها اعمال
الجوارح والمقصود من الاخبار عن الملائكة مع غاية طهارتهم ونهاية عصمتهم وبراءتهم عن بواعث الشهوة والغضب ودواعى الحقد والحسد
يواظبون على العبودية والطاعة فالانسان مع كونه مبتلى بظلمات عالم الطبيعة وكدورات الزلات البشرية اولى بان يداوم على
ذكر معبوده ويجذب بما امكن الى العالم العقلى ومقره الاصلى ويتصفى مرآة قلبه عن اصداء الهواجس ويتنقش بالجلايا القدسية والمعارف
الحقيقية والله ولى التوفيق التأويل وأمر بالعرف وهو طلب الحق لانه معروف العارفين واعرض عن الجاهلين الذين يطلبون غير الله
من الشيطان نزغ فى طلب غير الله فاستعذ بالله من طلب غير الله ان الذين اتقوا هم ارباب القلوب فان التقوى من شأن القلب
كما قال صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا واشار الى صدره طائف من الشيطان نزغ من العمل الشيطانى يراه القلب بنور التقوى ويعرف فيذكر انه يفسد
ويكدر صفاءه فيجتنبه واخوانهم يعنى اخوان القلوب وهم النفوس الامارة واذا لم تأتهم اى لمات القلوب بآية من الله لتمنع النفوس عن
تكذيبها قال لو ان النفوس للقلب لولا اختلقتها من خاصية قلبيتك لتزكية النفوس قل انما اتبع الهام الحق فلا اقدر على تزكية النفوس
الا بقوة الالهام الربانى فاستمعوا باذانكم الظاهرة وانصتوا بالسنتكم الباطنة لعلكم ترحمون بالاسماع بالسمع الحقيقى وذلك قوله كنت له
سمعا وبصرا فبى يسمع فمن سمع القرآن من باريه فقد سمع من قاريه وهذا سر الرحمن علم القرآن فهو المستعد لخطاب واذكر ربك فى نفسك
بان تبدل اخلاقها باخلاق الله تضرعا فى البداية وهو من باب التكلف وخيفة فى الوسط ودون الجهر من القول فى النهاية وهو مقام الفناء
فان انشاء سر الوتوبية كمر فى غدو الازل واصال الابد فان الذاكر والذكر والمذكور هو الله ولهذا قال فى الازل فاذكرونى اذكركم
ومن هنا قال يوسف بن الحسين الرازى ما قال احد الله الا الله ولا تكن من الغافلين الذين لا يعلمون ان الذاكر والذكر والمذكور هو الله ان الذين عند
ربك وهم الذين بقوا ببقاء الله لا يستكبرون عن عبادته لانهم افنوا اخلاقهم فى اخلاقه يسبحونه ينزهونه عن الحلول والاتصال والاتحاد وله يسجدون
فى الوجود والعدم من الازل الى الابد منه المبدأ واليه المنتهى الله حسبى

سورة الانفال مدنية الا سبع آيات من قوله واذ يمكر بك الى قوله يحشرون حروفها ٥٢٩٤ كلماتها ١٢٣١ آياتها خمس وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

بنام خداوند بخشنده مهربان

يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ

سؤال کنند ترا از حال غنیمتها بگو که غنیمتها از برای خدا و پیغمبرست پس پرهیز کنید از خدا و باصلاح آرید کار میان خود را و فرمان برید خدا و رسول او را اگر باشید

مُؤْمِنِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ

گروندگان جز این نیست که مؤمنان آنها اند که چون یاد کرده شود خدا بترسد دلهای ایشان و چون خوانده شود بر ایشان آیات او بیفزاید در ایمان و بر پروردگار ایشان توکل کنند

الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ

آنان که بر پا دارند نماز را و از آنچه روزی کردیم ایشان را انفاق کنند آن گروه ایشانند مؤمنان براستی مر ایشان راست پایها نزد پروردگار ایشان و آمرزش

وَرِزْقٌ كَرِيمٌ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ

و روزی فراوان چنانچه بیرون آورد ترا پروردگار تو از خانه ات بحق و بدرستی که طائفه از مؤمنان هر اینه ناخوش دارند خصومت کنند ترا در حق

بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ

پس از آنکه ظاهر شد گویا که رانده شوند بسوی مرگ و ایشان مینگرند و چون وعده داد شما را خدا یکی از دو طائفه را که آن از برای شماست و دوست داشتید

أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ

که صاحبان سلاح نباشید بوده باشد از برای شما و میخواهد خدا که ثابت کند حق را بسخنان خود و ببرد دنباله کافران را تا پا بر جا سازد حق را و بر طرف کند

الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ

باطل و هر چند ناخوش داشته باشند گناهکاران چون فریاد کردید پروردگار خود را پس مستجاب گردانید برای شما که من یاری کننده شما را بهزار از فرشتگان از پی هم آیندگان و نگردانید او را خدا

إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ القراءة مردفين بفتح الدال ابو جعفر و سهل و يعقوب و مجاهد

مگر مژده گانی و تا ساکن شود بآن دلهای شما و نیست یاری مگر از نزد خدا بدرستی که خدا غالب و دانا است

وابو عون عن قنبل الباقون بالكسر الوقوف عن الانفال ط والرسول ج لعطف المختلفين مع الفاءات بينكم ص مؤمنين يتوكلون لاحتمال جعل الذين مبتداء والاصل ان لا يكون الوقف على ينفقون ويكون الثناء بخفيف الايمان منتهيا الى قوله هم المؤمنون حقا ط كريم ج لما يجيء في التفسير بالحق لطول الكلام لكارهون لا ينظرون الكافرين المجرمون ج لاحتمال كون اذ متعلقا بمحذوف وهو اذكر وبقوله ويحق مردفين قلوبكم لابتداء النفي مع احتمال الحال عند الله ط حكيم التفسير روى عكرمة عن ابن عباس لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل كذا فله كذا فذهب شبان الرجال وجلس الشيوخ تحت الرايات فلما كانت الغنيمة جاء الشبان يطلبون نفلهم فقالت الشيوخ لا تستأثروا علينا فانا كنا تحت الرايات ولو انهزمتم كنا ردء لكم فانزل الله تعالى يسئلونك عن الانفال فقسمها بينهم بالسواء وعن عبادة بن الصامت قال لما هزم العدو يوم بدر واتبعتهم طائفة يقتلونهم احدقت طائفة برسول الله صلى الله عليه وسلم واستولت طائفة العسكر والنهب فلما نفى الله العدو ورجع الذين طلبوهم وقالوا لنا النفل نحن طلبنا العدو وبنا نفاهم الله وهزمهم وقال الذين احدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما انتم باحق به منا نحن احدقنا برسول الله لا ينال العدو منه غرة وقال الذين استولوا على العسكر والنهب نحن اخذناه واستولينا عليه فهو لنا فنزلت الاية فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم بالسواء وعن سعد بن ابي وقاص لما كان يوم بدر قتل اخي عمير وقتلت سعيد بن العاص واخذت سيفه فاعجبني فجئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض اي في المقبوض من الغنائم فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد انزلت سورة الانفال فقال يا سعد انك سألتني السيف وليس لي وانه الان قد صار لي فاذهب فخذه والنفل بالتحريك الغنيمة وجمعه الانفال وهي الاموال المأخوذة من الكفار قهرا قال الازهري هو ما كان زيادة على الاصل فسميت الغنائم به لان المسلمين فضلوا بها على سائر الامم الذين لم يحل لهم الغنائم وصلوة التطوع نافلة لانها زيادة على الفرض وقال تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة اي زيادة على ما سئل والضمير في يسئلونك عائد الى جمع معينين من الصحابة لهم تعلق بالغنائم كما قررنا وحسن العود وان لم يجر لهم ذكر في اللفظ لدلالة الحال عليهم ولفظ السؤال وان كان مبهما الا ان تعيين الجواب يدل على انهم سئلوا عن الانفال كيف مصرفها ومن المستحق لها قال الزجاج انما سئلوا عنها لانها كانت حراما على من كان قبلهم وضعف بان الاية دلت على انها مسبوقة بالتنازع والتنافس فسئلوا عن كيفية قسمتها لا عن حلها وحرمتها وعن عكرمة ان المراد من هذا السؤال الاستعطاء اي يطلبون منك الغنائم وقال في الكشاف النفل ما ينفله الغازي اي يعطاه زائدا على سهمه من المغنم وهو ان يقول الامام تحريضا على البلاء في الحرب من قتل قتيلا فله سلبه او قال لسرية ما اصبتم فهو لكم او فلكم نصفه او ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الامام الوفاء بما وعد به وهذا التفسير يناسب خبر سعد بن ابي وقاص في اعطاء السيف اياه وعن ابن عباس في بعض الروايات ان المراد بالانفال ما شذ عن المشركين الى المسلمين من غير قتال من دابة او عبد او متاع فهو الى النبي صلى الله عليه وسلم يضعه حيث

يشاء وعن مجاهد ان الانفال الخمس الذي جعله الله لاهل الخمس وعلى هذا فالقوم انما سئلوا عن الخمس فنزلت الاية ثم امر بالشروع في الجواب فقال قل الانفال لله والرسول اي حكمها مختص بالله ورسوله يامر الله بقسمتها على ما يقتضيه حكمته ويمتثل الرسول امر الله فيها وليس الامر في قسمتها مفوضا الى راي احد قال مجاهد وعكرمة والسدي انها منسوخة بقوله واعلموا انما غنمتم الاية وضعف بان جعل اربعة اخماسها ملكا للغانمين لا ينافي كون الحكم فيها لله والرسول ولو فسر الانفال بالخمس او بالسلب فلا اشكال ثم حثهم على ترك المنازعة وعلى المواخاة والمصافاة فقال فاتقوا الله اي عقابه ولا تقدموا على معصيته واتركوا المنازعة والمخاصمة بسبب هذه الاموال واصلحوا ذات بينكم اي التي هي بينكم من الاحوال حتى يكون احوال الفة ومودة وموافقة لما كانت الاحوال واقعة في البين قيل لها ذات البين كما ان الاسرار لما كانت مضمرة في الصدور قيل ذات الصدور ثم ختم الاية بقوله ان كنتم مؤمنين اي كاملي الايمان موقوف على التقوى واصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله ثم وصف المؤمنين الكاملين فقال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اي فزعت لذكره استعظاما لجلاله وحذرا من اليم عقابه وقد تطمئن القلب بعد ذلك اذا تذكر كمال رافته وجزيل ثوابه كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقيل هو الرجل يريد ان يظلم او يهم بمعصية فيقال له اتق الله فيفزع واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا قالت العلماء زيادة الايمان يكون على احد ثلثة انحاء الاول بقوة الدليل بكثرته فان كل دليل فهو مركب لا محالة من مقدمات ولا شك في ان النفوس مختلفة في الاشراق والانارة والاذهان متفاوتة بالذكاء والغباوة فكل من كان جزمه بالمقدمات اكثر وادوم كان علمه بالنتيجة اكمل واتم وكذا من سنح له على المطلوب دليلان كان علمه اتم ممن لا يجده على المطلوب سوى دليل واحد ولذا يورد العلماء دلائل متعددة على مدلول واحد ولله در القائل وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد الثاني بتعدد التصديق وتجدده فمن المعلوم ان من صدق انسانا في شيئين كان تصديقه اياه ازيد من تصديق من صدقه في شيء واحد بمعنى الاية انهم كلما سمعوا آية متجددة اتوا باقرار جديد الثالث ان يكون الايمان عبارة عن مجموع الاعتقاد والاقرار والعمل كما ينبئ عنه ظاهر الاية لاشتماله ذكر الامور الخمسة قال اولئك هم المؤمنون فدل ذلك على ان كل الخصال داخلة في مسمى الايمان ويؤيده ما رواه ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان واذا كان الايمان عبارة عن مجموع الاركان الثلثة فبسبب التفاوت في العمل يظهر التفاوت في الايمان وان لم يكن التفاوت في الاقرار والاعتقاد متصورا اما قوله وعلى ربهم يتوكلون فيفيد الحصر اي لا يتوكلون الا على ربهم وهذه الصفات مرتبة على احسن جهات الترتيب فالاولى الفزع من عقاب الله والثانية الانقياد لتكاليفه والثالثة الانقطاع بالكلية عما سواه ثم لما فرغ من اعمال القلوب وهي الخشية والتسليم والتوكل شرع في وصفهم باعمال الجوارح وذكر منها راسها وسنامها وهما الصلوة والصدقة ثم عظمهم بقوله اولئك هم المؤمنون حقا وفي اولئك وفي توسيط الفصل وتعريف الخبر وايراد حقا من المبالغات ما لا يخفى وحقا صفة مصدر محذوف اي ايمانا حقا وهو مصدر مؤكد للجملة قبله وقال الفراء معناه اخبركم بذلك اخبارا حقا وقيل انه منوط بما بعده اي حقا لهم درجات واعلم ان الائمة اتفقوا على ان الرجل المؤمن يجوز له ان يقول انا مؤمن ثم اختلفوا في انه هل يجوز ان يقول انا مؤمن حقا ام لا قال الاكثرون يجوز لان التصديق والاقرار كلاهما محقق والثاني مذهب اصحاب الشافعي واجابوا عن الاية بانه لا نزاع في ان الموصوف بالصفات المذكورة مؤمن حقا انما النزاع في ان القائل هل هو موصوف بتلك الصفات جزما ام لا واما حديث الشك فمبني على ان الايمان عبارة عن الاركان الثلثة ولا ريب ان كون الانسان اتيا بالاعمال الصالحة امر مشكوك فيه والشك في احد اجزاء الماهية يوجب الشك في حصول تلك الماهية فاذن النزاع لفظي على انا لا نسلم ان الاستثناء لاجل الشك وانما هو لزوال العجب لعدم القطع بحسن الخاتمة ولنوع من الادب ففيه تفويض الامر الى علم الله وحكمه كقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين والله تعالى منزه عن الشك والريب عن الحسن ان رجلا سئله امؤمن انت قال الايمان ايمانان فان كنت تسئلني عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا مؤمن وان كنت تسئلني عن قوله انما المؤمنون فوالله لا ادري امنهم انا ام لا وعن الثوري من زعم انه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد انه من اهل الجنة حقا فلا يقطع بانه مؤمن حقا ويحكى عن ابي حنيفة انه قال لقتادة لم تستثني في ايمانك فقال اتباعا لابراهيم في قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي فقال هلا اقتديت به في قوله اولم تؤمن قال بلى قيل وكان لقتادة ان يقول ولكن ليطمئن قلبي وفيه ما فيه ثم اخبر عن مال حالهم فقال لهم درجات عند ربهم اي سعادات روحانية متفاوتة في الصعود والارتفاع ولكن استغراق كل واحد في سعادته الخاصة به يمنعه عن التالم من حال من فوقه كما قال سبحانه ونزعنا ما في صدورهم من غل ومغفرة وتجاوز عن سيئاتهم ورزق كريم هو نعيم الجنة المقرون بالدوام والتعظيم والكريم اسم جامع لكل ما يحمد ويستحسن في بابه نقله الواحدي عن اهل اللغة فالله سبحانه موصوف بانه كريم لانه محمود في كل ما يحتاج اليه والقرآن كريم لانه يوجد فيه بيان كل شيء وقال اني القي الي كتاب كريم وقال من كل زوج كريم وقل لهما قولا كريما قال بعض العارفين المغفرة ازالة الظلمات الحاصلة من الاشتغال بغير الله والرزق الكريم الانوار الحاصلة بسبب الاستغراق في معرفته ومحبته قوله عز من قائل كما اخرجك يقتضي شيئا شبه به هذا الاخراج وذكروا فيه وجوها الاول ان المشبه مبتدأ محذوف تقديره هذا الحال كحال اخراجك والمعنى ان حالهم في كراهة ما صنعت من تنفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجك للحرب وذلك انه صلى الله عليه وسلم لما راى كثرة المشركين يوم بدر وقلة المسلمين قال من قتل قتيلا فله كذا وكذا ومن اسر اسيرا فله كذا وكذا

ترغيباً لهم في القتال فلما انهزم المشركون قال سعد بن عبادة يا رسول الله لو اعطيت هؤلاء ما سميته لهم بقي خلق كثير بغير شيء فنزلت الانفال لله والرسول يصنع فيها ما يشاء فامسك المسلمون عن الطلب وفي انفس بعضهم شيء من الكراهة الثاني ان ينتصب الكاف على انه صفة مصدر والفعل المقدر في قوله الانفال لله والرسول اي ثبت الحكم واستقر بان الانفال له وان كرهوا ثباتاً كاخراج مثل ربك اياك الى القتال وان كرهوا ووجه تخصيص هذا المشبه به بالذكر من بين سائر احكام الله ان القضية واحدة ووجه جعل الاخراج مشبهاً به كونه اقوى في وجه الشبه لان مدار القصة عليه وقيل التقدير هو الحق كما ان حكم الله باخراجك من بيتك لاجل القتال حق الثالث قال الكسائي الكاف متعلق بما بعده وهو قوله يجادلونك والتقدير كما اخرجك ربك من بيتك بالحق على كره فريق من المؤمنين كذلك هم يكرهون القتال ويجادلونك فيه والبيت بيته صلى الله عليه وآله بالمدينة او المدينة نفسها لانها مهاجره ومسكنه فلها به اختصاص كاختصاص البيت بساكنه ومعنى بالحق اي اخراجاً ملتبساً بالحكمة والصواب وان فريقاً من المؤمنين لكارهون في موضع الحال اي اخرجك في حال كراهة بعضهم ثم بين الكراهة بقوله يجادلونك ويجوز ان يكون الجملة بدلاً او خبراً بعد خبر روي ان عير قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعهم اربعون راكباً منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فاخبر جبرئيل رسول الله صلعم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر خروجهم فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد صلى الله عليه وآله لن تفلحوا بعدها ابداً وقد رأت اخت العباس بنت عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها اني رأيت عجباً رأيت كأن ملكاً نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل فرمى بها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال ابو جهل ما يرضى رجالهم حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير على ما قيل في المثل السائر لا في العير ولا في النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابداً حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وان محمداً لم يصب العير فمضى بهم الى بدر ونزل جبرئيل فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشاً فاستشار النبي صلعم اصحابه وقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير احب اليكم ام النفير قالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلعم ثم ردد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله صلعم عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبي صلعم ابو بكر وعمر فاحسنا الكلام ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ما تخلف عنك احد من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله فانا معك حيث ما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله صلعم ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا براء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان النبي صلعم يتخوف ان يكون الانصار لا ترى عليهم نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلعم وبسطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله لكأني انظر الى مصارع القوم وارجع الى التفسير قوله في الحق اي في تلقي النفير بعد ما تبين اي بعد اعلام النبي صلعم بانهم هم المنصورون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتأهب وذلك لكراهتهم القتال كانما يساقون الى الموت المتيقن لمشاهدة اسبابه من قلة العدد والعُدد والعير والنفير وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم اي تتمنون ان يكون لكم العير لانها الطائفة التي لا حدة لها ولا شدة والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويريد الله ان يحق الحق يثبته ويعليه بكلماته بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة من انزال الملائكة واسر الكفرة وقتلهم وطرحهم في قليب بدر ويقطع دابر الكافرين اي يستأصلهم والدابر الآخر يعني انكم تريدون العاجل وسفساف الامور والله يريد معاليها وما يرجع الى تقوية الدين وشتان ما بين المرادين وقوله ليحق الحق متعلق بمحذوف اي لاظهار الاسلام وابطال الكفر فعل ما فعل وانما قدر المحذوف متأخراً ليفيد معنى الاختصاص اي ما فعل ذلك الا ليحق الحق ويبطل الباطل وقيل يتعلق بيقطع فان قيل الحق حق لذاته والباطل باطل في ذاته وما ثبت للشيء لذاته فانه يمتنع تحصيله بجعل جاعل قلنا المراد اظهار كون الحق حقاً والباطل باطلاً وذلك يكون تارة باظهار الدلائل وتارة بتقوية رؤساء الباطل فان قيل اليس في الكلام تكرار قلنا لا اذ المراد بالاول تثبيت ما وعد في هذه الواقعة من الظفر بالاعداء والمراد بالثاني اعلاء الاسلام ومحق الكفر والحاصل ان الاول جزئي اي انتم تريدون العير والله يريد اهلاك النفير والثاني كلي يشمل هذه القضية وغيرها من القضايا التي يحصل في ضمنها اعلاء كلمة الله وقمع كلمة الكفر احتجت الاشاعرة بقوله كما اخرجك ربك وقوله ليحق الحق على ان الاعمال والعقائد كلها بخلق الله وتكوينه ولا يمكن ان يقال

المراد

المراد من اظهار الحق وضع الدلائل عليه لان هذا المعنى حاصل بالنسبة الى المسلم والكافر وقيل هذه الواقعة وبعدها فلا يبقى للتخصيص فائدة والمعتزلة تمسكوا بالآية على ابطال قول من يقول انه لا باطل ولا كفر الا والله مريد له لان ذلك ينافي ارادة تحقيق الحق وابطال الباطل واجيب بان اللام في الحق ينصرفها الى المعهود السابق اي في هذه القضية فلم قلتم انه كذلك في جميع الصور ولو كره المجرمون اي الكافرون او المشركون كقوله ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون وفي موضع آخر ولو كره المشركون وقوله اذ تستغيثون بدل من قوله اذ يعدكم وقيل يتعلق بقوله ليحق الحق واستغاثتهم انهم لما علموا انه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله يقولون يا غياث المستغيثين اغثنا وعن عمر ان رسول الله صلعم نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر فالقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك بالدعا ربك فانه سينجز لك ما وعدك ويروى انه لما اصطف القوم قال ابو جهل اللهم اولانا بالحق فانصره ورفع رسول الله يده بالدعاء المذكور ومعنى تستغيثون تطلبون الاغاثة بقول الواقع في بلية اغثني اي فرج عني فاستجاب لكم اني اي باني ممدكم بالف من الملائكة مردفين بكسر الدال وفتحها من اردفته اياه اذا اتبعته متعدياً الى مفعولين او من اردفته اذا اتبعته اي جئت بعده متعدياً الى مفعول واحد ومعنى الاول جاعلين بعضهم او مجعولين بعضهم تابعاً لبعض او انفسهم تابعين للمؤمنين يحرسونهم او للملائكة اخرى ومعنى الثاني تابعين بعضهم لبعض او للمؤمنين يقدمونهم على ساقتهم يحفظونهم او لغيرهم من الملائكة واختلف في قتال الملائكة يوم بدر فقيل نزل جبرئيل في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها ابو بكر وميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيها علي بن ابي طالب في صور الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم قد ارخوا اذنابها بين اكتافهم فقاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم الاحزاب ويوم حنين وعن ابي جهل انه قال لابن مسعود من اين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصاً قال من الملائكة فقال ابو جهل هم غلبونا لا انتم وروي ان رجلاً من المسلمين بينا هو يشتد في اثر رجل من المشركين اذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر الى المشرك قد خر مستلقياً وشق وجهه فحدث الانصاري رسول الله صلعم فقال صدقت ذاك من مدد السماء وعن ابي داود المازني اني تبعت رجلاً من المشركين لاضربه يوم بدر فوقع رأسه بين يدي قبل ان يصل اليه سيفي وقيل لم يقاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين والا فملك واحد كاف في اهلاك اهل الدنيا وقد اجبنا عن هذه الشبهة في تفسير سورة آل عمران وكذا فسر قوله وما جعله الآية وقد مر هنالك وقد بقي علينا ان المتشابه فنقول حذف لكم ههنا لان المخاطبين معلومون في قوله فاستجاب لكم وقدم قلوبكم واخر به في آل عمران ازدواجاً بين الخطابين ثم ان قصة بدر مقدمة على قصة احد فقيل في الانفال ان الله عزيز حكيم ليستقر الخبر وجعل في آل عمران صفة لان الخبر قد سبق والله اعلم بالتأويل بل كثرة السؤال توجب الملال وانما سألوا ليكون لهم الانفال فاجيبوا على خلاف ما تمنوا وقيل الانفال لله والرسول قطعاً لطريق الاعتراض والسؤال واصلحوا ذات بينكم من الاخلاق الردية والهمم الدنية واطيعوا الله ورسوله بالتسليم والايثار زادتهم ايماناً بحسب تزايد الانوار كما اخرجك ربك فيه اشارة الى انه اخرج المؤمن الحقيقي عن اوصاف البشرية الى مقام العبدية بجذبات العناية كما اخرجك من وطن وجودك بالحق وهو تجلي صفات الجمال والجلال وان فريقاً هم القلب والروح لكارهون للفناء عند التجلي فان البقاء محبوب عند كل ذي وجود يجادلونك اي الروح والقلب في الحق بعد ما تبين مجيئه كانهم ينظرون الى الفناء ولا يرون البقاء بعد الفناء كمن يساق الى الموت واذ يعدكم الله ايها السائرون احدى الطائفتين اما الظفر بالاعداء وهي النفوس واما غير الواردات الروحانية وغنائم الاسرار الربانية وتودون ان غير ذات الشوكة اي اردتم ان لا تجاهدوا اعداء النفس ذات المكر والحيلة والهوى واستحليتم الواردات والشواهد الغيبية وذلك ان السير قسمان سير السالكين على اقدام الطاعات وتبديل الصفات النفسانية الى جنات الروحانية وسير المجذوبين على اجنحة عنقاء الجذبات الى وراء قاف الانانية فكان موسى من السالكين الى ميقات ربه ولم يجاوز طور النفس فكان مقامه مع الله المكالمة وكان محمد من المجذوبين وكان سيره على جناح جبرئيل الى سدرة المنتهى ومنها على رفرف الجذبة الالهية الى قاب قوسين او ادنى فكان مكانه المشاهدة ثم العناية ان لا يكل السائر الى ما يوافق طبعه وهواه كما قال ويريد الله ان يحق الحق بكلماته اي بجذباته ويقطع دابر الكافرين النفوس الامارة بالسوء اذ تستغيثون ربكم يعني استغاثة الروح والقلب من النفس عند استيلاء صفاتها بالف من الملائكة هم الصفات الملكية والروحانية الآتية لكم بتبديل الاخلاق وما النصر الا من عند الله في اهلاك النفس وصفاتها الا بتجلي صفة القهار ان الله عزيز لا يصل اليه الا بعد فناء الوجود حكيم في كل ما يفعل بمن يفعل والله اعلم

ع اِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ اَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ

چون فرا گرفت شما را پینکی ايمنى از قبل او و ميفرستد بر شما از آسمان آب را تا پاک کند شما را بآن و ببرد از شما پليدى شيطان را و تا ببندد بر دلهاى شما

وَيُثَبِّتَ بِهِ الْاَقْدَامَ اِذْ يُوحِي رَبُّكَ اِلَى الْمَلَائِكَةِ اَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَاُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا

و پايدار کند بآن قدمهارا چون وحى ميفرستاد پروردگار تو بسوى فرشتگان که من با شمايم پس ثابت بداريد آنانرا که گرويدند زود باشد که بيفکنم در دلهاى آنانکه کافر شدند

الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْاَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ذَلِكَ بِاَنَّهُمْ شَاقُّوا اللّٰهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ

ترس را پس بزنيد بالاى گردنها و بزنيد از ايشان هر سر انگشتى را اين بجهت آنست که ايشان خصومت کردند خدا را و رسول او را و هر که نزاع کند خدا را و رسول او را

فَاِنَّ اللّٰهَ شَدِيْدُ الْعِقَابِ ذٰلِكُمْ فَذُوْقُوْهُ وَاَنَّ لِلْكَافِرِيْنَ عَذَابَ النَّارِ يَا اَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا اِذَا لَقِيْتُمُ الَّذِيْنَ

كَفَرُوْا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوْهُمُ الْاَدْبَارَ وَمَنْ يُّوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهٗ اِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ اَوْ مُتَحَيِّزًا اِلٰى فِئَةٍ فَقَدْ

بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللّٰهِ وَمَاْوٰىهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيْرُ فَلَمْ تَقْتُلُوْهُمْ وَلٰكِنَّ اللّٰهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ اِذْ رَمَيْتَ

وَلٰكِنَّ اللّٰهَ رَمٰى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِيْنَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا اِنَّ اللّٰهَ سَمِيْعٌ عَلِيْمٌ ذٰلِكُمْ وَاَنَّ اللّٰهَ مُوْهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِيْنَ اِنْ

تَسْتَفْتِحُوْا فَقَدْ جَآءَكُمُ الْفَتْحُ وَاِنْ تَنْتَهُوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَاِنْ تَعُوْدُوْا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَّلَوْ كَثُرَتْ وَاَنَّ اللّٰهَ مَعَ الْمُؤْمِنِيْنَ

القراءة يغشاكم النعاس ابن كثير وابو عمرو يغشيكم النعاس من باب الافعال ابو جعفر ونافع الباقون يغشيكم النعاس من التفعيل وينزل من
الانزال ابن كثير وسهل ويعقوب وابو عمرو الآخرون بالتشديد ردي بالامالة حمزة وعلي وخلف ويحيى موهن من الافعال كيد بالنصب ابن
عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص وسهل ورويس موهن من الافعال كيد بالجر للاضافة حفص الباقون موهن بالتشديد كيد بالنصب
وان الله بالفتح ابن عامر وابو جعفر ونافع وحفص والمفضل الباقون بالكسر الوقوف الاقدام لتعلق اذ بمحذوف هو اذكر الذين آمنوا ط كل بنان ط
ورسوله الاول العقاب النار الادبار جهنم ط المصير قتلهم ج لعطف المتفقين مع الاحتمال ان يكون الواو مقحمة واللام متعلقا بما قبله واحتمال
ان يكون عاطفة على ولكن الله رمى او على محذوف اي لتستبشر وليبلي حسنا عليم ط الكافرين الفتح ج للفصل بين الجملتين المتضادتين مع العطف خير
لكم ج لذلك نعد ج كثرت لا لمن قرأ وان بالكسر المؤمنين التفسير قال في الكشاف اذ يغشيكم بدل ثان من اذ يعدكم او منصوب بالنصر او بما في عند الله
من معنى الفعل او بما جعله الله او باضمار اذكروا امنة مفعول لاجله ومنه صفة لها اي امنة حاصلة لكم من عند الله ولما كان غشيان النعاس و
كذا اغشاؤه وتغشيته متضمنا معنى تنعسون كان فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا كما هو شرط انتصاب المفعول له والمعنى اذ تنعسون لامنكم او
يغشيكم النعاس فتنعسون امنا وجوز على قراءة الاغشاء والتغشية ان يكون الامنة بمعنى الايمان اي ينعسكم ايمانا منه وجوز ان ينتصب
الامنة على انها للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم اي يغشاكم النعاس لامنه على ان اسناد الامن الى النعاس اسناد مجازي وهو لاصحاب النعاس على
الحقيقة او على ان المراد انه اتاكم في الوقت كان من حق النعاس في مثل ذلك الوقت المخوف ان لا يقدم على غشيانكم وانما غشيكم امنة حاصلة
له من الله لولا ها لم يغشيكم على طريقة التمثيل وقد والتخييل من فوائد هذا النعاس في سورة آل عمران ومن نعم الله تعالى عليهم في تلك الواقعة انزال
المطر عليهم وكان فيه فوائد احدها تحصيل الطهارة والثانية اذهاب رجز الشيطان وقيل هو الجنابة التي اصابتهم لانها من تخييل الشيطان ولا
تكرار لان الاولى عام وهذه خاص وقيل المراد المني لانه شيء مستخبث مستقذر وعلى هذا يكون في الآية دلالة على نجاسة المني لقوله والرجز فاهجر وقيل
المراد وسوسة الشيطان اليهم وتخويفه اياهم من العطش وذلك ان المشركين سبقوهم الى الماء ونزل المؤمنون في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام
على غير ماء فناموا فاحتلم اكثرهم فتمثل لهم ابليس في صورة انسان فقال لهم انتم يا اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى
الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على حق لما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع العطش اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا
من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا واشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذ اصحاب رسول الله الحياض على عدوة
الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤا وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وكانت هذه ثالثة الفوائد
واشار اليها بقوله ويثبت به اي بالماء الاقدام وقيل الضمير عائد الى الربط الذي يدل عليه قوله وليربط على قلوبكم والمراد من تثبيت الاقدام
الصبر في مواطن القتال وذلك ان من كان قلبه ضعيفا فر وان كان قويا ربط الله على قلوبهم اي قواها ثبتت اقدامهم ومعنى على ان القلوب امتلأت
من ذلك الربط حتى كانه علاها وارتفع فوقها وقال الواحدي يشبه ان يكون على صلة والمعنى وليربط قلوبكم بالنصر وما وقع فيها من اليقين روي
ان المطر نزل على الكافرين ايضا ولكن الموضع الذي نزل الكفار فيه كان موضع التراب فعظم الوحل وصار مانعا لهم من المشي والاستقرار فقوله
ويثبت به الاقدام يدل بمفهومه على ان حال الاعداء كان بخلاف ذلك ومن جملة النعم قوله اذ يوحي ربك وهو بدل ثالث من اذ يعدكم او
منصوب بيثبت او باذكر اني معكم الخطاب للملائكة والمراد اني معينكم على التثبيت فثبتوهم وقيل الخطاب للمؤمنين لان المقصود من
هذا الكلام ازالة التخويف والملائكة ما كانوا يخافون الكفار وفيه نبوة لقوله فثبتوا الذين آمنوا وفي هذا التثبيت وجوه احدها انه
مفسر لقوله سألقي فاضربوا ولا معونة اعظم من القاء الرعب على قلوب الكفرة ولا تثبيت ابلغ من ضرب اعناقهم واجتماعهما غاية النصر
وثانيها ان يراد بالتثبيت ان يخطروا ببالهم ما يقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم في القتال فالالهام من الملائكة كالوسوسة من الشياطين و

وثالثها ان الملائكة كانوا يتشبهون بصور رجال عرفوهم وكانوا يعدونهم النصر والظفر ومعنى فوق الاعناق اعالي الاعناق التي هي المذابح
لانها مفاصل فكان ايقاع الضرب فيها حزا الرأس من الجسد وقيل اراد ضرب الهام لان الرؤس فوق الاعناق والبنان الاصابع سميت به لان
لانه بها صلاح احوال الانسان التي يريد ان يقيم بها من ابن بالمكان اي اقام به والمراد نفي الاطراف من اليدين والرجلين ثم اختلفوا فمنهم
من قال المراد ان يضربوهم كما شاؤا لان ما فوق العنق هو الرأس وهو اشرف الاعضاء والبنان عبارة عن اضعف الاعضاء فذكر الاشرف والاخس
تنبيها على كل الاعضاء وبوجه اخو الضرب بما واقع على مقتل فامرهم بان يجمعوا عليهم النوعين معا ومنهم من قال الاول اشارة الى القتل وقطع
البنان عبارة عن افناء الآلات المدافعة والمحاربة ليعجزوا عن القتال وجوز في الكشاف ان يكون قوله سألقي الى قوله كل بنان تلقينا للملائكة
ما يثبتونهم به اي قولوا لهم قول سألقي او يكون واردا على الاستيناف كانهم قالوا كيف نثبتهم فقيل قولوا لهم قول سألقي فالضاربون
على هذا هم المؤمنون ذلك العقاب العاجل من الضرب والقتل وقع عليهم بانهم شاقوا بسبب مشاقتهم ومخالفتهم الله ورسوله ثم بين ان
الذي نزل بهم في ذلك اليوم شيء يسير وقد رزقني جنب ما اعد الله لهم ولامثالهم في الاجل فقال ومن يشاقق الله ورسوله فان الله
شديد العقاب اي له والكاف في ذلك للرسول او لكل من له اهلية الخطاب وفي ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع تقديره
ذلكم العذاب المعجل من القتل والاسر او العذاب ذلكم اي الزموه فذوقوه او هو كقولك زيدا فاضربه قال في الكشاف وان للكافرين عطف
على ذلكم في وجهيه او نصب على ان الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الاجل الذي لكم في الآخرة فوضع الظاهر موضع
ضمير الخطاب تلك وجوز ان يكون مبتدأ محذوف الخبر اي وان للكافرين عذاب النار حق او بالعكس اي والحكم والشأن ان للكافرين
وفي ذكر الذوق اشارة الى ان عذاب الدنيا شيء قليل بالنسبة الى عذاب الآخرة قوله سبحانه يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا
زحفا قال الازهري اصل الزحف هو ان يزحف الصبي على استه قبل ان يقوم شبه بزحف الصبي مشي الطائفتين يمشي كل فئة مشيا رويدا
الى الفئة الاخرى بتداني للضراب فانتصابه على الحال من الفريقين اي اذا لقيتموهم متزاحفين هم وانتم ويجوز ان يكون حالا من الذين كفروا
والزحف الجيش الدهم الذي يرى لكثرته كانه يزحف اي يدب دبيبا سمي بالمصدر والجمع زحوف والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وانتم
قليل فلا تفروا فضلا عن حالة المداناة والمساواة ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين وهم المؤمنون اي اذا ذهبتم اليهم للقتال فلا تنهزموا
ومعنى فلا تولوهم الادبار لا تجعلوا ظهوركم مما يليهم او هو تقدمة نهي عن الفرار يوم حنين حين تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر
الفا في قوله ومن يولهم يومئذ امارة عليه ثم بين ان الانهزام محرم الا في حالتين فقال الا متحرفا لقتال هو الكر بعد الفر يخيل عدوه انه
منهزم ثم يعطف عليه وهو نوع من خدع الحرب او متحيزا الى فئة متحازا الى جماعة اخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها وعلى هذا
انتصب متحرفا ومتحيزا على انه استثناء مفرغ من اعم العام ووجه صحته مع انه ليس في الكلام نفي ظاهر انه في معنى النفي كانه قيل ومن لا يقدم
او لا يعطف عليهم في حال من الاحوال الا في حال التحرف او التحيز ويجوز ان يكون الاستثناء تاما على ان الموصوف محذوف والتقدير ومن
يولهم الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل لانه من حاز يحوز فعل بزماخل بالياء ولو كان متفعلا لقيل متحوز عن ابن عمر خرجت
سرية وانا فيهم ففروا فلما رجعوا الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم
والعكار الكرار وعن ابن عباس ان الفرار من الزحف من اكبر الكبائر واحتج القاضي بالآية على القطع بوعيد الفساق من اهل
الصلاة واجيب بانه مشروط بعدم العفو وعن ابي سعيد الخدري والحسن وقتادة والضحاك ان هذا الحكم مختص بيوم بدر لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان حاضرا بنفسه ولانه تعالى وعدهم النصر ولانه كان اول جهاده فناسب التشديد ولهذا منع من اخذ الفداء واكثر المفسرين على انه عام في
جميع الحروب لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب قال اكثر المفسرين ان المؤمنين لما كسروا اهل مكة وقتلوا واسروا اقبلوا على التفاخر وكان
القائل يقول قتلت واسرت فقيل لهم فلم تقتلوهم والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بسلبهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم لانه
هو الذي انزل الملائكة والقى الرعب في قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوى قلوبكم وربط عليها ولما طلعت قريش قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه قريش قد
جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسألك ما وعدتني فاتاه جبريل عليه السلام فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال لما التقى
الجمعان لعلي اعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا فنزلت وما رميت
انت يا محمد اذ رميت ولكن الله رمى اثبت الرمية للرسول لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه لان اثرها فوق حد تأثير القوى
قال حكيم بن حزام لما كان يوم بدر سمعنا صوتا وقع من السماء الى الارض كانه صوت حصاة وقعت في طست ورمى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الحصاة فانهزمنا
وعن سعيد بن المسيب عن ابيه قال اقبل ابي بن خلف يوم احد الى النبي صلى الله عليه وسلم يريده فاعترض له رجال من المؤمنين فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخلوا سبيله
فاستقبله مصعب بن عمير اخو بني عبد الدار ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ترقوة ابي من فرجة بين سابغة البيضة والدرع فطعنه بحربته فسقط ابي
من فرسه ولم يخرج من طعنته دم وكسر ضلعا من اضلاعه فاتاه اصحابه وهو يخور خوار الثور فقالوا له ما اعجزك انما هو خدش فقال والذي
نفسي بيده لو كان هذا الذي بي باهل ذي المجاز لماتوا اجمعين فمات ابي الى النار قبل ان يقدم مكة فانزل الله في ذلك وما رميت اذ رميت ولكن

الله رمى وقيل نزلت في خيبر حين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوس فرمى منها بسهم فاقبل السهم يهوى حتى قتل كنانة بن ابى الحقيق وهو على فراشه والاصح الاقوال
هو الاول كيلا يدخل في اثناء القصة كلام اجنبى نعم لا يبعد ان يدخل تحته سائر الوقايع لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وليبلى المؤمنين
منه بلاء حسنا وليعطيهم عطاء جميلا نفعل ما فعل ما فعله الا لذلك قال القاضي ولولا ان المفسرين اجمعوا على ان معنى البلاء ههنا النعمة والا
لكان يحتمل المحنة اى الذى فعله ثم يوم بدر كان كالسبب في حصول تكليف شاق عليهم فيما بعد ذلك من الغزوات ان الله سميع لكلامكم عليم بضمائركم
وهذا يجرى مجرى التحذير والترهيب كيلا يغتر العبد بظواهر الامور ذلكم الغرض لكم وان الله موهن كيد الكافرين اعرابه كما مر في قوله
ذلكم وان للكافرين عذاب النار قال ابن عباس ينبئ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول انى قد اوهنت كيد عدوك حتى قتلت جبابرتهم واسرت اشرافهم
قال السدى والكلبى والحسن كان المشركون حين خرجوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة اخذوا واخذوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين
واهدى الفئتين واكرم الحزبين وافضل الدينين فانزل الله تعالى خطابا لهم على سبيل التهكم ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وقال عكرمة
قال المشركون اللهم لا نعرف ما جاء به محمد فافتح بيننا وبينه بالحق فنزلت وروى ان ابا جهل قال يوم بدر اللهم ايّنا كان اهجر واقطع
للرحم فاحنه اليوم اى فاهلكه وقيل انه خطاب للمؤمنين الذين استغاثوا الله وطلبوا النصر ثم خاطب الكفار بقوله وان تنتهوا اى عن
عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو خير لكم واسلم وان تعودوا لمحاربته نعد لنصرته عليكم وجوز بعضهم ان يكون الخطاب في الجميع للمؤمنين اى ان
تكفوا عن المنازعة في امر القتال وعن طلب الفداء فهو خير لكم وان تعودوا الى المنازعات نعد الى ترك نصرتكم ثم ختم الاية بقوله وان الله
مع المؤمنين وتقديره على قراءة الفتح ولان الله معين المؤمنين كان ذلك التاويل اذ يغشيكم النعاس امنة تغليب الحال الى ضده
بامر التكوين كما قال للنار كونى بردا وسلاما على ابراهيم كذلك قال للخوف كن امنا على محمد واصحابه فكان وينزل عليكم من سماء الروح
ماء الالهام الربانى ليطهركم به من دنس الصفات النفسانية والحيوانية ويذهب عنكم وساوس الشيطان وهواجسه وليربط على قلوبكم
بالصدق والاخلاص والجد والتوكل واليقين ويثبت به الاقدام على طريق الطلب انى معكم فثبتوا فيه ان التثبيت من الله لا من غيره
وكذا القاء الرعب في قلوبهم وغير ذلك اذا لقيتم الذين كفروا اذا لقيتم كفار النفوس وصفاتها مجتمعين على قهر القلوب وصفاتها فلا
تولوهم الادبار مواقفهم عن صراط الطلب الا متحرفا لقتال يتحرف لتهيؤ اسباب القتال مع النفس او راجعا الى الاستمداد من الروح وصفاتها
او الى ولاية الشيخ والى حضرة الله تعالى مستمدا في قمع النفس وقهرها بطريق المجاهدة فانها تورث المشاهدة فلم تقتلوهم نفى القتل عن
الصحابة بالكلية واحاله الى نفسه فقال ولكن لم ينف الرمى عن النبى بالكلية حيث قال اذ رميت لان الله تعالى كان قد تجلى له بالقدرة
وكان يده يد الله كما كان حال عيسى لما تجلى له بصفة الاحياء كان يحيى الموتى وليبلى المؤمنين منه فيجتهد وافى متابعته الى ان يبلغوا هذا المقام
ان تستفتحوا اى تفتحوا ابواب قلوبكم بمفتاح الصدق والاخلاص وترك ماسوى الله في طلب التجلى فقد جاءكم الفتح التجلى فانه تعالى متجل في ذاته ازلا
وابدا وانما التغير في احوال الخلق فهم عند انغلاق ابواب قلوبهم محرومون وعند انفتاح ابوابها محظوظون وان تنتهوا عن طلب غير الله فهو
خير لكم وان تعودوا الى طلب الدنيا وزخارفها نعد الى خذلانكم ونكلكم الى انفسكم ودواعيها ولن تغنى عنكم لا يقوم شيء من الدنيا
والاخرة وما فيهما مقام شيء مما اعد لاهل الله وخاصته يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون

ع ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم
خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا
ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله
شديد العقاب واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس فاواكم وايدكم بنصره
ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون
ع واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة وان الله عنده اجر عظيم يا ايها الذين امنوا ان
تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم واذ يمكر بك
[illegible]

الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين القراءات ولا تولوا
بالادغام تسمعون
للاية والعطف لا يسمعون لا يعقلون لاسمعهم معرضون لما يحييكم لعطف المتفقين مع اعتراض الظرف تحشرون خاصة لتمام العقاب تشكرون تعلمون
فتنة للعطف عظيم ويغفر لكم للعطف العظيم او يخرجوك ط ويمكر الله الماكرين التفسير انه سبحانه بعد ان ذكر نحوا من قصة بدر والغنائم ادب المؤمنين احسن
تاديب فامرهم بطاعته وطاعة رسوله في قسمة الغنائم وغيرها ثم قال ولا تولوا عنه فوحد الضمير لان التولى انما يصح في حق الرسول بان يعرضوا عنه و
عن قبول قوله وعن معونته في الجهاد ولان طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد فكان رجوع الضمير الى احدهما كرجوعه اليهما كقوله والله ورسوله
احق ان يرضوه وكقولك الاحسان والاجمال لا ينفع في فلان ويجوز ان يرجع الى الامر بالطاعة اى لا تولوا عن هذا الامر وامتثاله وانتم تسمعون
لم يبين انهم ماذا يسمعون لانه يعلم من سياق الكلام في السورة ان المراد وانتم تسمعون دعاءه الى الجهاد او المراد انتم تسمعوا الامر المذكور او
وانتم تصدقون بدليل قوله ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون لانهم ليسوا بمصدقين فلا يصح دعوى السماع منهم وتحقيق ذلك ان
الانسان لا يمكنه ان يقبل التكليف ويلتزمه الا بعد ان يسمعه فجعل السماع كناية عن القبول ثم اكد التكاليف المذكورة بقوله ان شر الدواب اى
ان شر من يدب على الارض وان شر البهائم والفرق بين التفسيرين ان الاول حقيقة لانه ذكر في معرض الذم كقولك لمن لا يفهم الكلام هو
شبح وجسد والثانى مذكور في معرض التشبيه بالبهائم بل جعلهم شرها لجعلهم وعدولهم عن الانتفاع بالحواس كقوله بل هم اضل ومعنى عند الله
اى في حكمه وقضائه ثم قال ولو علم الله فيهم اى في هؤلاء الصم البكم خيرا لاسمعهم عن ابن جريج انهم المنافقون وعن الحسن اهل الكتاب وقيل بنو عبد
الدار بن قصى لم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن بكم عمى عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعا
باحد وكانوا اصحاب اللواء وروى انهم سألوا النبى ان يحيى لهم قصى بن كلاب وغيره من امواتهم ليخبروهم بصحة نبوته فبين تعالى انه لو علم فيهم خيرا
وهو انتفاعهم بقول هؤلاء الاموات لاحياهم حتى يسمعوا كلامهم ولكنه يقول تعالى علم منهم انهم لا يقولون هذا الكلام الا على سبيل العناد
والتعنت وانهم لو اسمعهم الله كلامهم لتولوا عن قبول الحق ولاعرضوا عنه على عادتهم المستمرة واعلم ان معلومات الله تعالى على اربعة اقسام جملة
الموجودات وجملة المعدومات وان كل واحد من الموجودات لو كان معدوما فكيف يكون حاله وان كل واحد من المعدومات لو كان موجودا
فكيف يكون حاله والاولان علم بالواقع والاخيران الباقيان علم بالمقدر ومن هذا القبيل قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم وتقدير
الكلام لو حصل فيهم خير لاسمعهم الله الحجج والمواعظ فعبر عن عدمه في نفسه بعدم علم الله بوجوده واورد على الاية انها على صورة قياس شرطي
فاذا حذفنا الحد الاوسط بقيت النتيجة لو علم الله فيهم خيرا لتولوا ولكن كلمة لو وضعت للدلالة على انتفاء الشيء لانتفاء غيره فيكون التولى
منتفيا لاجل انتفاء علم الله الخير فيهم بل لاجل انتفاء الخير فيهم لكن انتفاء التولى خير من الخيرات فاول الكلام يقتضى نفى الخير عنهم واخره يقتضى حصول
الخير فيهم وهذا تناقض والجواب المنع من ان الحد الاوسط مكرر لان المراد بالاسماع الاول اسماع التفهيم والزام القبول والمراد بالاسماع
الثانى صورة الاسماع فحسب وايضا كلمة لو في المقدمة الثانية هى التى للمبالغة بمعنى ان كقوله صلى الله عليه وسلم نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه
فاذن لا تعلق لاحدى الجملتين بالاخرى فلا قياس واستدلت الاشاعرة بالاية على ان صدور الايمان عن الكافر محال لان الصادق قد اخبر
سماع م
انهم على تقدير الاسماع معرضون وخلاف علمه وخبره محال وقال في الكشاف لو علم الله فيهم خيرا اى انتفاعا باللطف للطف بهم حتى يسمعوا
المصدقين ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف فلذلك منعهم الطافه او ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا
وتزييف هذا التفسير سهل ثم علم المؤمنين ادبا اخر فقال استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم فوحد الضمير كما مر والمراد بالاستجابة الطاعة والا
الامتثال وبالدعوة البعث والتحريض عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم مر على باب ابى بن كعب فناداه وهو في الصلوة فعجل في صلوته ثم جاء فقال ما منعك
عن اجابتى قال كنت اصلى قال الم تخبر فيما اوحى الى استجيبوا لله وللرسول قال لا جرم لا تدعونى الا اجبتك وقد يتمسك الفقهاء بهذا الخبر
على ان ظاهر الامر للوجوب والا لم يتوجه اللوم ثم قيل ان هذا مما اختص به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ان دعاءه كان لامر لم يحتمل التاخير واذا وقع مثله
للمصلى فله ان يقطع صلوته ثم الاصح انه لا يمكن ان يحمل على نفس الحيوة لان احياء الحى محال فذكروا فيه وجوها قال السدى هو الاسلام والايمان
لان الايمان حيوة القلب والكفر موته بدليل قوله يخرج الحى من الميت اى المؤمن من الكافر وقال قتادة يعنى القران لان فيه العلم الذى هو
الحيوة الحقيقية والاكثرون على انه الجهاد لانه وهن احد العدوين سبب حيوة الاخر ولان الجهاد سبب حصول الشهادة التى توجب الحيوة الدائمة لقوله
بل احياء عند ربهم وقيل انه عام في كل حق وصواب فيدخل فيه القران والايمان والجهاد وكل اعمال البر والطاعة والمراد لما يحييكم الحيوة الطيبة
كما قال فلنحيينه حيوة طيبة واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه اختلف الناس فيه بحسب اختلافهم في مسئلة الجبر والقدر فنقل الواحدى عن
ابن عباس والضحاك يحول بين الكافر وطاعته ويحول بين المطيع ومعصيته فالسعيد من اسعده الله والشقى من اضله الله والقلوب بيد الله
يقلبها كيف يشاء ويخلق فيها القصود والدواعى والعقايد حسبما يريد وتقرير ذلك من حيث العقل وجوب انتهاء جميع الاسباب اليه ثم ختم الاية بقوله
وانه اليه تحشرون ليعلم انهم مع كونهم مجبورين خلقوا اما مثابين او معاقبين اما للجنة واما للنار لا يتركون مهملين معطلين وقالت المعتزلة ان من حال الله

بينه وبين الايمان فهو عاجز وامر العاجز سفه ولا يكلف الله نفسا الا وسعها وانه تعلق امر بالاستجابة لله وللرسول فلو لم يكن الاجابة ممكنة فكيف
يأمر بها ولو كان الامر بغير المقدور جائز الكان القرآن حجة للكفار على الرسول لا له عليهم فاذن لا يمكن حمل الاية على ما قاله اهل الجبر فتأويلها
ان الله يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بسبب الموت يدل عليه قوله وانه اي وان الشان او الله اليه تحشرون والمقصود الحث على الطاعة
قبل نزول سلطان الموت او انه تعالى يحول بين المرء وبين ما يتمناه بقلبه تسمية للشئ باسم محله فكانه قيل بادروا الى الاعمال الصالحة ولا تعتمدوا
على طول البقاء فان الاجل يحول دون الامل اذ المراد سارعوا الى الطاعة ولا تمتنعوا عنها بسبب ما تجدون في قلوبكم من الضعف و
الجبن فان الله مقلب القلوب من حال العجز والجبن الى القوة والشجاعة وقد يبدل بالامن خوفا وبالخوف امنا وبالذكر نسيانا وبالنسيان
ذكرا وما اشبه ذلك مما هو جائز على الله تعالى فاما ما يثاب عليه العبد ويعاقب من افعال القلوب فلا وقال مجاهد المراد بالقلب العقل و
المعنى بادروا الى الاعمال وانتم تعقلون ولا تأمنوا زوال العقول التي عند ارتفاعها يبطل التكليف فلا يقدر على الكفر والايمان وعن الحسن
ان الغرض التنبيه على انه تعالى مطلع على بواطن العبد وضمائره وان قربه من عبده اشد من قرب قلبه منه كقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد
ثم حذرهم الفتن والاختلاف فقال واتقوا فتنة قيل هو العذاب وقيل افتراق الكلمة وقيل اقرار المنكر بين اظهرهم وقوله لا تصيبن اما ان
يكون جوابا للامر وجاز دخول النون المؤكدة فيه مع خلوه عن الطلب لان فيه معنى النهي كقولك انزل عن الدابة لا تطرحك وان شئت
لا تطرحنك وعلى هذا من في منكم للتبعيض وقيل الجواب محذوف والمعنى ان اصابتكم لا تصيب بعضكم وهم الظالمون حال كونهم خاصة
ولكنها تعم الظالمين وغيرهم لا انه يحسن من الله تعالى ذلك بحكم المالكية او لاشتمال ذلك على نوع من الصلاح واما ان يكون نهيا بعد امر ومن البيان
كانه قيل احذر وادنبا او عقابا ثم قيل لا تصيبنكم تلك العقوبة خاصة على ظلمكم لان الفتنة بعيث عن ذلك لا الاختصاص على طريق الاستعارة
وهكذا ان جعلت الجملة الناهية صفة للفتنة على ارادة القول اي اتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن كقوله جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط
عن الحسن نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير وهو يوم الجمل خاصة قال الزبير نزلت فينا وقرأناها زمانا وما ارانا من اهلها فاذا نحن المعنيون بها
وعن السدي نزلت في اهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل روي ان الزبير كان يساير النبي صلى الله عليه وسلم يوما اذ اقبل علي فضحك اليه الزبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كيف حبك لعلي فقال يا رسول الله بابي انت وامي اني احبه كحبي لولدي او اشد حبا قال فكيف انت اذا سرت اليه تقاتله ثم ختم الاية بقوله
واعلموا ان الله شديد العقاب والمراد منه الحث على لزوم الاستقامة ثم ذكرهم نعمه عليهم فقال واذكروا اذ انتم وانتصابه على انه مفعول به
اي وقت كونكم قليلا يستوي فيه الواحد والجمع مستضعفون في الارض ارض مكة قبل الهجرة تخافون ان يتخطفكم الناس يستلبونكم لكونهم اعداء
لكم فآواكم الى المدينة وايدكم بنصره بمظاهرة الانصار وبامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون
اي نقلكم من الشدة الى الرخاء ومن البلاء الى النعماء والالاء حتى تشتغلوا بالشكر والطاعة فكيف يليق بكم ان تشتغلوا بالمنازعة في الانفال
ثم منعهم من الخيانة في الامانة روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير
على ان يسيروا الى اذرعات واريحا من ارض الشام فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة
مروان المنذر وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا له ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه
ان حكم سعد بن معاذ هو الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت الاية فشد نفسه على سارية من
سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له
قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر
دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث ان تتصدق به وقال السدي كانوا يسمعون من النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فيفشونه
ويلقونه الى المشركين فنهاهم الله عن ذلك وقال ابن زيد نهاهم الله ان يخونوا كما صنع المنافقون يظهرون الايمان ويسرون الكفر وعن
جابر بن عبد الله ان ابا سفيان خرج من مكة فعلم النبي صلى الله عليه وسلم خروجه وعزم على الذهاب اليه فكتب اليه رجل من المنافقين ان محمدا يريدكم فخذوا
حذركم فنزلت وقال الزهري والكلبي نزلت في حاطب بن ابي بلتعة حين كتب الى اهل مكة بخروج النبي صلى الله عليه وسلم اليها حكاه الاصم قال القاضي والاقرب
انها في الغنائم فالخيانة فيها خيانة الله لانها عطيته وخيانة لرسوله لانه القيم بقسمها وخيانة للمؤمنين الغانمين فلكل منهم فيها حق قال و
يحتمل ان يراد بالامانة كل ما تعبد به وكان معنى الاية ايجاب اداء التكاليف باسرها في الغنيمة وغيرها على سبيل التمام والكمال من غير نقص
واخلال ومعنى الخون النقص كما ان معنى الوفاء التمام فاذا خنت الرجل في شئ فقد ادخلت عليه النقصان وقد استعير فقيل خان الدلو الكرب
وخان المشتار السبب الكرب حبل قصير يوصل بالرشاء ويكون على العراقي سمي كربا لانه يكرب من الدلو اي يقرب منه والمشتار العسل
اذا اجتناه وجمعه وتخونوا يحتمل ان يكون جزما داخلا في حكم النهي وان يكون نصبا باضمار ان كقوله وتكتموا الحق ومعنى الاية على الوجه العام لا
تخونوا الله بان تعطلوا فرائضه ورسوله بان لا تستنوا به وامانتكم فيما بينكم بان لا تحفظوها وانتم تعلمون تبعة ذلك ووباله او تعلمون
انكم تخونون يعني ان الخيانة توجد منكم عمدا لا سهوا وقيل وانتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن ثم لما كان الداعي الى الخيانة هو حب

الاموال

الاموال والاولاد ولعل ما فرط من ابي لبابة كان بسبب ذلك نبه الله سبحانه على انه يجب على العاقل ان يحترز عن المضار المتولدة من ذلك الحب
فقال انما اموالكم واولادكم فتنة اي انها سبب الوقوع في الفتنة وهي الاثم والعذاب او هي محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون على حدوده
في ذلك الباب وان الله عنده اجر عظيم فعليكم ان تزهدوا في الدنيا وما يتعلق بها وتنوطوا هممكم بما يفضي الى السعادات الروحانية
الباقية ويمكن ان يتمسك بالاية في بيان ان الاشتغال بالنوافل لكونه مفضيا الى الاجر العظيم عند الله وهو افضل من الاشتغال بالنكاح
لادائه الى الفتنة ثم رغب في التقوى التي توجب الاعراض عن محبة الاموال والاولاد عن المهالك في شانهم فقال يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله
في ارتكاب الكبائر والاصرار على الصغائر يجعل لكم فرقانا فارقا بينكم وبين الكفار في الاحوال الباطنة بالاختصاص بالمعرفة والهداية وانشراح
الصدر وازالة الغل والحسد والمكر وسائر الاخلاق الذميمة والاوصاف السبعية والبهيمية وفي الاحوال الظاهرة باعلاء الكلمة والاظهار
على اهل الاديان كلهم وفي احوال الاخرة بالثواب الجزيل والمنافع الدائمة والتعظيم من الله والملائكة ويكفر عنكم سيئاتكم يستر عليكم في الدنيا
صغائركم ان زلت منكم ويغفر لكم في دار الجزاء والله ذو الفضل العظيم فاذا وعد بشئ وفى به احسن الايفاء ومن عظيم فضله انه يتفضل بذاته
من غير واسطة وبدون الناس عوض وكل متفضل سواه فانه لا يتفضل الا بعد ان يخلق الله فيه داعية التفضل وبعد ان يمكن المتفضل عليه
من الانتفاع بذلك وبعد ان يكون قد تصور فيه ثوابا او ثناء او حمله على ذلك رقة طبع وعصبية او لا فلا فضل في الحقيقة الا لله سبحانه
فلهذا وصفه بالعظم ثم لما ذكر المؤمنين نعمه عليهم بقوله واذكروا اذ انتم قليل ذكر رسوله نعمته عليه وذلك دفع كيد المشركين عنه حين كان
بمكة ليشكر نعمة الله في نجاته من مكرهم وفيما اتاح له من حسن العاقبة والمعنى واذكر وقت مكرهم فان ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم من المفسرين
ان قريشا اجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا شيخ من نجد ما انا من تهامة دخلت
مكة فسمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقالوا هذا من نجد لا بأس عليكم به فقال ابو البختري من بني عبد الدار
رأيي ان تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون فقال ابليس بئس
الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رأيي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع
واسترحتم فقال بئس الرأي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما فيضربوه
ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال الشيخ صدق
هذا الفتى هو اجودكم رأيا فتفرقوا على رأي ابي جهل مجمعين على قتله فاخبر جبرئيل رسول الله وامره ان لا يبيت في مضجعه واذن الله في الهجرة فامر
عليا عليه السلام فنام في مضجعه وقال له اتشح ببردتي فانه لن يخلص اليك امر تكرهه وباتوا مترصدين فلما اصبحوا ثاروا الى مضجعه فابصروا
عليا فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتضوا اثره فابطل مكرهم ومعنى ليثبتوك قال ابن عباس ليوثقوك ويسجنوك لانه لا يقدر على الحركة
وهو اشارة الى رأي البختري وقوله او يقتلوك اشارة الى رأي ابي جهل وقوله او يخرجوك اي من مكة اشارة الى رأي هشام وانكر القاضي حديث
ابليس في الفضة وتصويره نفسه بصورة الانس قال لان ذلك التغيير ان كان من فعل ابليس فذلك لا يليق بحكمة الله تعالى لان اقدار ابليس
على تغيير صورة نفسه اغانة له على الاغواء والتلبيس هذا ما حكي عن القاضي ويتفق عليه ان هذا الاعتراض وارد على خلق ابليس نفسه و
على خلق سائر اسباب الشرور والاثام وقد اجبنا عن امثال ذلك مرارا فقد عرفت تفسير المكر في سورة آل عمران والحاصل انهم احتالوا في ابطال امر
محمد والله نصره وقواه فضاع فعلهم وظهر صنع الله فيكل الاخير في مكرهم فكيف قال والله خير الماكرين واجيب بان المراد انه اقوى الماكرين او المراد انه لو قدر
في مكرهم خير لكان الخير في مكره اكثر او المراد انه في نفسه خير لنا وبل ان شر من دب في الوجود هم الصم عن استماع كلام الحق بسمع القلب والقبول البكم
عن كلام الحق والكلام مع الحق والاصم لابد ان يكون ابكم فلذلك خصا بالذكر الذين لا يعقلون انهم لماذا خلقوا فلا جرم تؤول حالهم من ان
يكونوا اخير البرية الى ان يكونوا شر الدواب استجيبوا لله انه تعالى يطلب المحبة من العبد الاجابة كما يطلب العبد الحاجة منه الاجابة فالاستجابة لله
اجابة الارواح للشهود واجابة القلوب للشواهد واجابة الاسرار للمشاهدة واجابة الخفي للفناء في الله والاستجابة للرسول بالمتابعة لما يحييكم
بالفناء عنكم والبقاء به واتقوا ايها الواصلون فتنة ابتلاء النفوس بحظوظها الدنيوية والاخروية لا تصيب النفوس الظلمانية فقط بل تصيب ظلمتها
الارواح النورانية والقلوب الربانية فتجتذبها من حظائر القدس ورياض الانس الى حضائض صفات الانس واعلموا ان الله شديد العقاب
يعاقب الواصلين بالانقطاع والاستدراج عند الالتفات الى ما سواه واذكروا اذ انتم ايها الارواح والقلوب قليل لم يتشابعد لكما الصفات
والاخلاق الروحانية مستضعفون من غلبات صفات النفس لاعوازالتربية بالبان اداب الطريقة ولانعدام جريان احكام الشريعة
عليهم الى اوان البلوغ تخافون ان يتخطفكم النفوس وصفاتها والشيطان واعوانه فآواكم الى خطائر القدس وايدكم بالواردات
الربانية ورزقكم من المواهب الظاهرة من لوث الحدوث يا ايها الذين آمنوا يعني الارواح والقلوب المنورة بنور الايمان المستعدة
بسعادات العرفان لا تخونوا الله فيما آتاكم من المواهب فتجعلوها شبكة لاصطياد الدنيا ولا تخونوا الرسول بترك السنة والقيام
بالبدعة وتخونوا اماناتكم التي هي محبة الله وخيانتها تبديلها بمحبة المخلوقات وانتم تعلمون انكم تبيعون الدين بالدنيا والمولى

ذكر زمان

اراد به ...

ليفعل الله فيه واما انه للكفا على المكر وان كان

بالاولى فتنة يخبركم الله بها للتمييز الموافق والصديق من الزنديق يا ايها الذين امنوا بهذه المقامات والكرامات ان تتقوا الله من غير الله يجعل لكم فرقانا يفيض عليكم من سبحات جماله وجلاله القديم ما تفرقون به بين الحدوث والقدم ويكفر عنكم سيئات وجودكم الفاني ويغفر لكم بستركم بانوار جماله وجلاله والله ذو الفضل العظيم وهو البقاء بالله بعد الفناء فيه ليثبتوك ايها الروح في اسفل سافلين الطبيعة او يقتلوك بالانعدام اثارك او يخرجوك من عالم الارواح والله خير الماكرين يصلح حال اهل الصلاح البتة

وَاِذَا تُتْلٰى عَلَيْهِمْ اٰيٰتُنَا قَالُوْا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هٰذَآ اِنْ هٰذَآ اِلَّآ اَسَاطِيْرُ الْاَوَّلِيْنَ وَاِذْ قَالُوا اللّٰهُمَّ

وچون خوانده شود بر ایشان آیات ما گویند که شنیدیم اگر خواهیم هر آینه بگوئیم مانند این نیست این مگر افسانهای پیشینیان وچون گفتند خداوندا

اِنْ كَانَ هٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَاَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَآءِ اَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ اَلِيْمٍ وَمَا كَانَ اللّٰهُ لِيُعَذِّبَهُمْ

اگر هست این آن حق از نزد تو پس بباران بر ما سنگ از آسمان یا بیاور بما عذابی دردناک ونباشد خدا که عذاب کند ایشانرا

وَاَنْتَ فِيْهِمْ وَمَا كَانَ اللّٰهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُوْنَ وَمَا لَهُمْ اَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللّٰهُ وَهُمْ يَصُدُّوْنَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

وحال آنکه تو در میان ایشانی ونباشد خدا عذاب کننده ایشانرا وایشان استغفار کنند وچه ایشانراست که عذاب نکند خدا ایشانرا وایشان باز میدارند از مسجد الحرام

وَمَا كَانُوْآ اَوْلِيَآءَهٗ اِنْ اَوْلِيَآؤُهٗ اِلَّا الْمُتَّقُوْنَ وَلٰكِنَّ اَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُوْنَ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ اِلَّا مُكَآءً وَّتَصْدِيَةً

ونباشند دوستان او نیست دوستان او مگر پرهیزگاران ولیکن بیشتر ایشان نمیدانند ونباشد نماز ایشان نزد خانه مگر شوشکه زدن ودست بر هم زدن

فَذُوْقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُوْنَ اِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا يُنْفِقُوْنَ اَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوْا عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ فَسَيُنْفِقُوْنَهَا

پس بچشید عذاب بآنچه بودید که کافر میشدید بدرستیکه آنان که کافر شدند میدهند مالهای خود را تا باز دارند از راه خدا پس خرج کنند آنرا

ثُمَّ تَكُوْنُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُوْنَ وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْآ اِلٰى جَهَنَّمَ يُحْشَرُوْنَ لِيَمِيْزَ اللّٰهُ الْخَبِيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَ

پس باشد بر ایشان پشیمانی پس مغلوب شوند وآنان که کافر شدند بسوی جهنم گرد آیند تا جدا کند خدا پلید را از پاک و

١٩ يَجْعَلَ الْخَبِيْثَ بَعْضَهٗ عَلٰى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهٗ جَمِيْعًا فَيَجْعَلَهٗ فِيْ جَهَنَّمَ اُولٰٓئِكَ هُمُ الْخٰسِرُوْنَ قُلْ لِّلَّذِيْنَ كَفَرُوْآ

قرار دهد پلید را بعض اورا بر بعضی پس بر روی هم نهد او را همه پس بیفکند او را در جهنم آن گروه ایشانند زیانکاران بگو مر آنان را که کافر شدند

اِنْ يَّنْتَهُوْا يُغْفَرْ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ وَاِنْ يَّعُوْدُوْا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْاَوَّلِيْنَ وَقَاتِلُوْهُمْ حَتّٰى لَا تَكُوْنَ

اگر باز ایستند بخشیده شود ایشانرا آنچه گذشته واگر باز گردند پس بتحقیق گذشت طریقه پیشینیان وکارزار کنید با ایشان تا نباشد

فِتْنَةٌ وَّيَكُوْنَ الدِّيْنُ كُلُّهٗ لِلّٰهِ فَاِنِ انْتَهَوْا فَاِنَّ اللّٰهَ بِمَا يَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌ وَاِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوْٓا اَنَّ اللّٰهَ مَوْلٰىكُمْ نِعْمَ الْمَوْلٰى وَنِعْمَ

فتنه وباشد دین همه آن برای خدا پس اگر باز ایستند پس بدرستیکه خدا بآنچه میکنند بیناست واگر روی گردانند پس بدانید که خدا کارساز شماست خوب کارسازی است

النَّصِيْرُ القراءة بما تعملون بصير بتاء الخطاب يعقوب الوقوف مثل هذا لا لان الابتداء بان هذا الا اساطير الاولين قبيح الاولين اليم وانت فيهم ط يستغفرون وما كانوا اولياءه ط لا يعلمون وتصدية تكفرون عن سبيل الله يغلبون ط لان ما بعده مبتدأ يحشرون لا لتعلق اللام في جهنم ط الخاسرون سلف ج لابتداء الشرط مع العطف الاولين كله لله بصير مولكم ط النصير الجزء العاشر التفسير لما حكى مكرهم في ذات محمد صلى الله عليه واله حكى مكرهم في دينه روي ان النضر بن الحرث خرج الى الحيرة تاجرا واشترى احاديث كليلة ودمنة وقصة رستم واسفنديار وكان يقعد مع المستهزئين والمقتسمين فيقرأ عليهم ويقول هذا مثل ما يذكره محمد من قصص الاولين ولو شئت لقلت مثل قوله وهذا منه ومن امثاله صلف تحت الراعدة لانهم لم يتوانوا في مشيئتهم لو ساعدتهم الاستطاعة ويروى ان النضر او عن ابي جهل على ما في الصحيحين ان احدهما قال ما معناه اللهم ان كان هذا هو الحق الاية وهذا اسلوب من العناد بليغ بليغ لان قوله هو الحق وبالفصل وتعريف الخبر تهكم لمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين هذا هو الحق ومعنى حجارة من السماء الحجارة المسومة للعذاب اي ان كان القرآن هو المخصوص بالحقية فعاقبنا على انكاره بالسجيل كما فعلت باصحاب الفيل او بنوع اخر من جنس العذاب الاليم ومراده نفي كونه حقا فلذلك علق بحقيته العذاب كما لو علق بامر محال فهو كقول القائل ان كان الباطل حقا فامطر علينا حجارة وعن معوية انه قال لرجل من سبأ ما اجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال اجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق فامطر علينا حجارة ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا له ثم شرع في الجواب عن شبههم فقال وما كان الله ليعذبهم اللام لتأكيد النفي دلالة على ان تعذيبهم بعذاب الاستيصال والنبي بين اظهرهم غير مستقيم عادة تعظيما لشأن النبي وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال قتادة والسدي المراد نفي الاستغفار عنهم اي لو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم وقيل للفظ عام الا ان المراد بعضهم وهم الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المستضعفين المؤمنين فهو كقولك قتل اهل فلان وانما قتله واحد منهم او اثنان وقيل وصفوا بصفة اولادهم والمعنى وما كان الله معذب هؤلاء الكفار وفي علم الله انه يكون لهم اولاد يؤمنون بالله ويستغفرونه وفي علم الله ان فيهم من يؤل امره الى الايمان كحكيم بن حزام والحرث بن هشام وعدد كثير ممن امن يوم الفتح وقبله وبعده وفي الاية دلالة على ان الاستغفار امان وسلامة من العذاب قال ابن عباس كان فيهم امانان نبي الله

والاستغفار اما النبي فقد مضى واما الاستغفار فهو باق الى يوم القيمة ثم بين انه يعذبهم اذا خرج الرسول من بينهم فقال وما لهم الا يعذبهم الله واي شيء لهم في انتفاء العذاب عنهم يعني لا حظ لهم في ذلك وهم معذبون لا محالة ثم بين لحوقهم هذا العذاب المتوعد به يوم بدر وقيل يوم فتح مكة بدليل قوله وهم يصدون اي كيف يعذبون وحالهم انهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله عام الحديبية والاولون قالوا ان اخراجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من الصد وعن ابن عباس هذا العذاب عذاب الاخرة والذي نفاه عنهم هو عذاب الدنيا وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء فنفى الله استحقاقهم الولاية بقوله وما كانوا اولياءه ان اولياؤه الا المتقون من المسلمين ليس كل مسلم يصلح لذلك فضلا عن مشرك ولكن اكثرهم لا يعلمون كان فيهم من كان يعلم وهو يعاند ويطلب الرياسة او اراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم ثم ذكر بعض اسباب سلب الولاية عنهم فقال وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية المكاء فعال كالثغاء والرغاء من مكا يمكو اذا صفر والتصدية التصفيق تفعلة من الصدى وهو الصوت الذي يرجع من الجبل فيكون في الاصل مثل الكلام او من صد يصد مضاعفا اي صاح فقلبت الدال الاخيرة ياء كالتقضي في التقضض وانكر هذا الاشتقاق بعضهم وصوبه الازهري وابو عبيدة قال جعفر بن ربيعة سألت ابا سلمة بن عبد الرحمن عن المكاء والتصدية فجمع كفيه ثم نفخ فيهما صفيرا او قيل هو ان يجعل بعض اصابع اليمين وبعض اصابع الشمال في الفم ثم يصفر به وقيل تشويت تشبه صوت المكاء بالتشديد وهو طائر معروف عن ابن عمر كانوا يطوفون بالبيت عراة فهم مشبكون بين اصابعهم فيها يصفرون ويصفقون فالمكاء والتصدية صلوة فالصلوة له كقول العرب على هذا نوع عبادة لهم فلهذا اوضعا موضع الصلوة بناء على معتقدهم وفيه ان من كان المكاء والتصدية صلوته فلا صلوة له كقول العرب ما لفلان عيب الا السخاء اي من كان السخاء عيبه فلا عيب له وقال مجاهد ومقاتل كانوا يعارضون النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف والصلوة عند المسجد الحرام يستهزءون به ويخلطون عليه فجعل المكاء والتصدية صلوة لهم كقولك زرت الامير فجعل جفائي صلتي اي اقام الجفاء مقام الصلة ثم خاطبهم على سبيل المجازاة بقوله فذوقوا العذاب عذاب القتل والاسر يوم بدر او عذاب الاخرة بما كنتم تكفرون بسبب كفركم وافعالكم التي لا يقدم عليها الا الكفرة ولما شرح احوال هؤلاء الكفار في الطاعات البدنية اتبعها شرح احوالهم في الطاعات المالية فقال ان الذين كفروا ينفقون اموالهم الاية قال مقاتل والكلبي نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا ابو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ونبيه ومنبه ابنا حجاج وابو البختري بن هشام والنضر بن الحرث وحكيم بن حزام وابي بن خلف وزمعة بن اسود والحرث بن عامر بن نوفل والعباس بن عبد المطلب كلهم من قريش وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر وقال سعيد بن جبير وابن ابزى نزلت في ابي سفيان بن حرب استأجر يوم احد الفين من الاحابيش والاحبوش جماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة وانفق عليهم اربعين اوقية اثنان واربعون مثقالا اوقية في الكشاف وقال محمد بن اسحق عن رجاله لما اصيب قريش يوم بدر فرجع فلهم الى مكة ورجع ابو سفيان بعيره مشى عبد الله بن ابي ربيعة وعكرمة بن ابي جهل وصفوان بن امية في رجال من قريش اصيب ابناؤهم واباؤهم واخوانهم ببدر فكلموا ابا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير تجارة فقالوا يا معشر قريش ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال الذي افلت على حربه لعلنا ان ندرك منه ثارا لمن اصيب منا فانزل الله تعالى الاية ومعنى ليصدوا عن سبيل الله ان غرضهم في الانفاق كان هو الصد عن اتباع محمد وهو سبيل الله وان لم تكن عندهم كذلك ثم اخبر عن الغيب على وجه الاعجاز فقال فسينفقونها اي سيقع منهم هذا الانفاق ثم تكون عاقبة انفاقها ندما وحسرة فكان ذاتها تصير ندما وتنقلب حسرة ثم يغلبون اخر الامر وان كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين سجالا قبل ذلك كتب الله لاغلبن انا ورسلي ومعنى ثم في الجملتين اما التراخي في الزمان لما بين الانفاق المذكور وبين ظهور دولة الاسلام من الامتداد واما التراخي في الرتبة لما بين بذل المال وعدم حصول المقصود من المباينة ثم قال والذين كفروا اي الكافرون منهم ولم يقل ثم يغلبون والى جهنم يحشرون لان منهم من اسلم وحسن اسلامه فذكر ان الذين بقوا على الكفر لا يكون حشرهم الا الى جهنم دون من اسلم منهم ثم بين الغاية والغرض فيما يفعل بهم من الغلبة ثم الحشر الى جهنم فقال ليميز الله الخبيث اي الفريق الخبيث من الكفار من الفريق الطيب وهم المؤمنون ويجعل الفريق الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا عبارة عن الجمع والضم وفرط الازدحام يقال ركم الشيء يركمه اذا جمعه والقى بعضه على بعض اولئك الفريق الخبيث هم الخاسرون وقيل الخبيث والطيب صفة المال اي ليميز المال الخبيث الذي انفقه المشركون في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من المال الطيب الذي انفقه المهاجرون والانصار في نصرته فيركمه فيضم تلك الاموال الخبيثة بعضها الى بعض فيلقيه في جهنم ويعذبهم بها كقوله فتكوى بها جباههم وجنوبهم على هذا فاللام في قوله ليميز الله يتعلق بقوله ثم تكون عليهم حسرة قاله في الكشاف ولا يبعد عندي ان يتعلق بيحشرون واولئك اشارة الى الذين كفروا ولما بين ضلالهم في عباداتهم البدنية والمالية ارشدهم الى الطريق المستقيم وما يتبعه من الصلاح فقال قل للذين كفروا اي قل لاجلهم هذا القول وهو ان ينتهوا عما هم عليه من عداوة الرسول وقتاله بالدخول في السلم والاسلام يغفر لهم ما قد سلف من الكفر والمعاصي ولو كان المراد خطابهم بهذا القول لقيل ان تنتهوا يغفر لكم وقد قرأ بذلك ابن مسعود وان يعودوا لقتاله فقد مضت سنة الاولين منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر او سنة الذين تحزبوا

ان اولياؤه

على انبيائهم من الامم فاهلكوا او غلبوا كقوله كتب الله لاغلبن انا ورسلى واستدل كثير من العلماء منهم اصحاب ابى حنيفة بالاية على ان الكفار ليسوا
مخاطبين بفروع الاسلام لان الخطاب مع الكفر باطل بالاجماع وبعد زواله لا يؤمر بقضاء العبادات الفائتة بل ذهب ابو حنيفة الى ان المرتد
اذا اسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة فى حال الردة وقبلها وفسران يعودوا بالعود الى الردة واختلفوا فى ان الزنديق تقبل توبته ام لا
والصحيح انها مقبولة لشمول الاية جميع الكفار لقوله صلى الله عليه وسلم نحن نحكم بالظاهر ولانه يكلف بالرجوع ولا طريق له الا التوبة فلو لم تقبل لزم تكليف
ما لا يطاق ثم امر بقتالهم ان اصروا على الكفر فقال وقاتلوهم الاية وقد مر تفسيرها فى سورة البقرة الا انه زاد ههنا لفظة كله فى قوله ويكون الدين
كله لله لان القتال ههنا مع جميع الكفار وهناك كان مع اهل مكة فحسب فان انتهوا عن الكفر واسلموا فان الله بما تعملون بصير يثيبهم على توبتهم
واسلامهم ومن قرأ بتاء الخطاب اراد فان الله بما تعملون من الجهاد فى سبيله والدعوة الى دينه بصير يجازيكم احسن الجزاء وان تولوا ولم
ينتهوا فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم ومتولى اموركم يحفظكم ويدفع شر الكفار عنكم فانه نعم المولى ونعم النصير فثقوا بولايته ونصرته التاويل
قالوا قد سمعنا وما سمعوا فى الحقيقة والا لم يقولوا لو نشاء لقلنا فان كلام المخلوق لن يكون مثل كلام الله ثم انظر كيف استخرج الله منهم
عقيب دعويهم لقلنا مثل هذا قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر ليعلم ان من هذا حاله كيف يكون مثل القران مقاله ولو
كان لهم عقل لقالوا ان كان هذا حقا فاهدنا له ومتعنا بروح انواره واسراره وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم لانه رحمة للعالمين والرحمة
تنافى العذاب ان اولياؤه الا المتقون ولكن اكثرهم يعنى اكثر المتقين لا يعلمون انهم اولياؤه لان الولى قد لا يعرف انه ولى ان الذين
كفروا ينفقون كذلك داب كفار النفوس ينفقون اموال الاستعداد الفطرى فى غير طلب الله وانما تصرفها فى استيفاء اللذات والشهوات
فستندم حين لا ينفع الندم ثم يغلبون لا يظفرون بمشتهيات النفس كلها ولا اجلها والذين كفروا من الارواح والقلوب التابعة والنفوس
الى جهنم البعد والقطيعة يحشرون ليميز الله الارواح والقلوب الخبيثة من الطيبة التى لا تركن الى الدنيا ولا ينخدع بانخداع النفوس
فتركهم جميعا فيجعل الارواح الخبيثة فوق النفوس الخبيثة فيلقى الجميع فى جهنم القطيعة قل للذين كفروا من الارواح والقلوب اى استتروا
النور الروحانى بظلمات صفات النفس ان ينتهوا عن اتباع الهوى يغفر لهم استرهم تلك الظلمات بنور الفرقان والرشاد وقاتلوا كفار النفوس
حتى لا يكون ارتما نعمة عن الوصول ويكون الدين كله لله ببذل الوجود وفقد الموجود لنيل الوجود وكرامة الشهود والله تعالى اعلم

ع١ وَاعْلَمُوا اَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَاَنَّ لِلّٰهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبٰى وَالْيَتٰمٰى وَالْمَسٰكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ اِنْ
وبدانيد که بدرستی که هرچه غنیمت گرفتید از چیزی پس بدرستی که مر خدا راست پنج یک آن و از برای پیغمبر و از برای صاحبان خویشی و یتیمان و درویشان و راه گذریان اگر
كُنْتُمْ اٰمَنْتُمْ بِاللّٰهِ وَمَا اَنْزَلْنَا عَلٰى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعٰنِ وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ اِذْ اَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا
بوده گرویده اید بخدا و آنچه فرستادیم بر بنده خود در روز جدائی روزی که بهم رسیدند دو طائفه و خدا بر هر چیزی تواناست وقتی که شما بکناره نزدیکتر
وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوٰى وَالرَّكْبُ اَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعٰدِ وَلٰكِنْ لِيَقْضِيَ اللّٰهُ اَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا
و ایشان بکناره دورتر بودند و کاروان زیرتر از شما و اگر وعده کردید هر آینه اختلاف کردید در وعده و لیکن تا بگذارد خدا فرمانی را که شدنی بود
لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيٰى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَاِنَّ اللّٰهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ اِذْ يُرِيكَهُمُ اللّٰهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا
تا گمراه شود آنکه گمراه شود از حجت و زنده ماند آنکه زنده شود از حجت و بدرستی که خدا هر آینه شنونده داناست چون نمود ایشان را خدا بتو در خواب تو کم
وَلَوْ اَرٰىكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْاَمْرِ وَلٰكِنَّ اللّٰهَ سَلَّمَ اِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ وَاِذْ يُرِيكُمُوهُمْ
و اگر نمودی ایشان را بسیار هر آینه بددل شدید و خلاف کردید در کار و لیکن خدا سلامت داد بدرستی که او داناست بآنچه در سینه هاست و چون نمود ایشان را
ع٢ اِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي اَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي اَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللّٰهُ اَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَاِلَى اللّٰهِ تُرْجَعُ الْاُمُورُ يٰاَيُّهَا الَّذِينَ
چون بیکدیگر رسیدید در نظر شما کم و کم نمود شما را در نظرهای ایشان تا بگذارد خدا کاری را که کرده شده و بسوی خداست گردانیده کارها ای گروه آنانی که
اٰمَنُوا اِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللّٰهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَاَطِيعُوا اللّٰهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا
گرویده اید چون دیدید گروهی را ثابت باشید و یاد کنید خدا را بسیار باشد که رستگار شوید و فرمان برید خدا و پیغمبر او را و خصومت مکنید
فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا اِنَّ اللّٰهَ مَعَ الصّٰبِرِينَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ
پس بددل شوید و برود صولت شما و صبر کنید بدرستی که خدا با صبرکنندگان است و مباشید چون کسانی که بیرون رفتند از منزلهای خود بنخوت و نمودن
النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ وَاللّٰهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ وَاِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطٰنُ اَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ
بمردم و باز میدارند از راه خدا و خدا بآنچه میکنند احاطه کرده و چون آراست از برای ایشان شیطان کردارهای ایشان را و گفت که غالب نیست
لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَاِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتٰنِ نَكَصَ عَلٰى عَقِبَيْهِ وَقَالَ اِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ اِنِّي اَرٰى مَا لَا
بر شما امروز از مردمان و من یاورم از برای شما پس چون برابر شدند دو گروه برگشت بر پاشنه خود و گفت من بیزارم از شما که من میبینم چیزی را که
ع٣ تَرَوْنَ اِنِّي اَخَافُ اللّٰهَ وَاللّٰهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ اِذْ يَقُولُ الْمُنٰفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هٰؤُلَاءِ وَمَنْ
نمی بینید بدرستی که من میترسم خدا را و خدا سخت عقوبت است چون گفتند منافقان و آنان که در دلهای ایشان ناخوشی بود فریب داد اینها را دین ایشان

يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ فَاِنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ القراءة بالعدوة بالكسر فى الحرفين ابن كثير وابو عمرو ويعقوب الباقون بالضم من حيى بيائين ابو جعفر
توکل کند بر خدا پس بدرستی که خدا غالب دانا است نافع وخلف وسهل ويعقوب والبزى ونصير وابو بكر وحماد الباقون بالادغام ولا تنازعوا بالادغام
البزى وابن فليح وتذهب بالجزم للجزاء عن هبيرة واذ زين وبابه مدغما ابو عمرو وعلى وحمزة وفى رواية خلاد وابن سعدان وابى عمرو وهشام انى ارى
انى اخاف بفتح الياء فيهما ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو تراءت الفئتان بالامالة نصير الوقوف وابن السبيل لا لتعلق حرف الشرط بمحذوف يدل
عليه ما قبلها تقديره واعلموا واعتقدوا واهدوا الاقسام ان كنتم الجمعان ط قدير ط اسفل منكم ط فى الميعاد لا لعطف لكن مفعولا لا لتعلق اللام من حى عن
بينة ط عليم لا لتعلق اذ قليلا ط منكم ط الصدور مفعولا ط الامور تفلحون ج للاية وللعطف واصبروا ط الصابرين ج لاحتمل عن سبيل الله ط محيط جا
لكم ط اخاف الله ط العقاب دينهم ط حكيم التفسير لما امر سبحانه بالقتال فى قوله وقاتلوهم والمقاتلة مظنة حصول الغنيمة اعاد حكم الغنيمة ببيان
اوفى واشفى فقال واعلموا انما غنمتم الذى غنمتموه من اموال الكفرة قهرا وقوله من شيء بيان ما اى من كل ما يقع عليه اسم الشيء حتى المخيط و
الخياط وقوله فان لله بالفتح مبتدأ محذوف الخبر وروى الجعفى عن ابى عمرو فان لله بالكسر قال فى الكشاف والمشهور اكد واثبت للايجاب كانه
قيل فلا بد من ثبات الخمس فيه ولا سبيل الى الاخلال به لانه اذا حذف الخبر احتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت واجب حق لازم كان
اقوى لايجابه من النص على واحد عن الكلبى ان الاية نزلت ببدر وقال الواقدى كان الخمس فى غزوة بنى قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف
من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة واعلم ان الاية تقتضى اخذ الخمس من الغنائم واختلفوا فى كيفية قسمة تلك الخمس على اقوال اشهرها
ان ذلك الخمس يخمس حتى يكون مجموع الغنيمة مقسوما بخمسة وعشرين قسما عشرون للغانمين بالاتفاق لانهم كسبوها كالاحتطاب والاصطياد
واما الخمسة الباقية فواحد منها وكان لرسول الله يصرف الان الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كسد الثغور وعمارة الحصون والقناطير
والمساجد وارزاق القضاة والائمة الاهم فالاهم وواحد لذوى القربى يعنى اقارب رسول الله من اولاد هاشم والمطلب ابنى عبد مناف
دون عبد شمس ونوفل وهما ابنا عبد مناف ايضا لما روى عن عثمان بن عفان وجبير بن مطعم وكان عثمان من بنى عبد شمس وجبير من بنى
نوفل انهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذى جعلك الله منهم ارايت اخواننا بنى المطلب اعطيتهم
وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال صلى الله عليه وسلم انهم لم يفارقونا فى جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين
اصابعه يستوى فى هذا السهم غنيهم وفقيرهم الا ان الذكر مثل حظ الانثيين وثلاثة اخماس الخمس الباقيات لليتامى والمساكين وابن السبيل
هذا عند الامامين ابى حنيفة والشافعى الا ان ابا حنيفة قال ان سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ساقط بموته وكذلك سهم ذوى القربى وانما يعطون
لفقرهم فهم اسوة سائر الفقراء فعلى مذهب الامامين معنى قوله سبحانه فان لله خمسه وللرسول فان للرسول الله خمسه كقوله والله
ورسوله احق ان يرضوه وعن ابى العالية ايجاب سهم اخر لله وانه يقسم الخمس على ستة اسهم الذاهبون الى هذا القول اختلفوا فقيل
ان ذلك السهم لبيت المال وقيل يصرف الى مصالح الكعبة لما روى انه صلى الله عليه وسلم كان ياخذ الخمس فيضرب بيده فيه فياخذ منه قبضة فيجعلها
للكعبة فهو سهم الله وعن ابن عباس انه كان يقسم على ستة لله وللرسول سهمان وسهم لاقاربه حتى قبض فاجرى ابو بكر الخمس على ثلاثة وهم
اليتامى والمساكين وابن السبيل وكذلك روى عن عمر ومن بعده من الخلفاء وروى ان ابا بكر منع ابا هاشم الخمس وقال انما لكم ان يعطى
فقيركم ويزوج ايمكم ويخدم من لا خادم له منكم فاما الغنى منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غنى لا يعطى هو ولا يتيم موسر من الصدقة شيئا وروى
عن زيد بن على انه قال ليس لنا ان نبنى منه قصورا ولا ان نركب منه البراذين وقيل الخمس كله للقرابة لما روى عن على عليه السلام انه قيل له ان الله
تعالى قال واليتامى والمساكين فقال ايتامنا ومساكيننا وعن الحسن فى سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لولى الامر من بعده وعند مالك ابن انس الامر
مفوض الى اجتهاد الامام ان راى قسمه بين الاصناف الخمسة عند الشافعى وان راى اعطى بعضهم دون بعض وان راى غيرهم اولى واهم
فذلك نعلم هذا يكون معنى قوله فان لله خمسه ان من حق الخمس ان يكون متقربا به الى الله لا غير ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة
تفضيلا لها على غيرها كقوله وملئكته ورسله وجبريل وميكال وحاصل الاية ان كنتم امنتم بالله وبالمنزل على عبدنا فاعلموا
علما يتضمن العمل والطاعة ان الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه اطماعكم واقنعوا بالاخماس الاربعة ويوم الفرقان يوم بدر لانه
فرق فيه بين اهل الحق واهل الباطل والجمعان فريقا المسلمين والكافرين والذى نزل عليه يومئذ الايات والملائكة والنصر والتاييد والله على كل
شيء قدير فيقدر لك نصر القليل على الكثير اذا اسم بدل من يوم الفرقان العدوة بالكسر والضم شط الوادى اى جانبه وحافته وقال ابو
عمرو هى المكان المرتفع والدنيا تانيث الادنى يعنى الجانب الذى يلى المدينة وقلب الواو ياء فيه على القياس لان فعلى من بنات الواو
يقلب ياء كالعليا واما القصوى تانيث الاقصى فانه كالقود فى مجيئه على الاصل وقد جاء القصيا ايضا قليلا والعدوة القصوى مما يلى مكة والركب
يعنى الاربعين الذين كانوا يقودون العير اسفل منكم بالساحل وهو نصب على الظرف مرفوع المحل خبر للمبتدأ اى مكانا اسفل من مكانكم
والفائدة فى ذكر مراكز الفرق الثلث تصوير وقعة بدر وما دبر الله سبحانه فيها من عجيب صنعه وكمال رافته ونصره حتى كان ما كان وذلك ان
العدوة القصوى التى اناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت ارضا لا باس بها واما العدوة الدنيا ففى خبار رخوة تسوخ فيها الاقدام

ولاماء بها وكانت العير وراء ظهورالعدو مع كثرة عدوهم فكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم وحدتهم ولهذا كانت العرب تخرج الى الحروب بعيالهم واثقالهم ليبعثهم الذب عن الحرم على بذل مجهودهم حيث لم يتركوا وراءهم ما يحدثون انفسهم بالانحياز اليه ولو تواعدتم انتم واهل مكة على موضع تتلاقون فيه لاختلفتم في الميعاد فبطكم قلتكم وكثرتكم عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما في قلوبهم من هيبة الرسول والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقي ما تيسر بتوفيق الله وتسبيبه ولكن ليقضي الله اى ليظهر امرا كان مفعولا مقدرا وهو نصر اولياءه وقهر اعدائه دبر ذلك وقوله ليهلك بدل ليقضي بدل الخاص من العام واستعير الهلاك والحيوة للكفر والاسلام وذلك ان وقعة بدر كان فيها من الايات والمعجزات ما الكافر بعدها كالمكابر لنفسه فكفره صادر عن وضوح بينة اى لاشك في كفره وعناده كما لم يبق شك للمسلمين في حقية دين الاسلام وفي قوله ليقضي ليهلك دلالة على ان افعاله تعالى مستتبعة للحكم والمقاصد والغايات خلاف ما عليه ظاهر مذهب الاشاعرة وان الله لسميع الدعائكم عليم بنياتكم اذ يريكهم منصوب باذكر او بدل اخر من يوم الفرقان او متعلق بعليم اى يعلم تدابيركم في منامك اى في رؤياك قليلا اراهم اياه في رؤياه قليلا فاخبر بذلك اصحابه وكان تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم وقيل في منامك اى في عينك في اليقظة لان العين موضع النوم وفيه تكلف ولو اراكهم كثيرا على ما هم عليه لفشلتم والفشل الجبن والخور ولتنازعتم في الامر امر الحرب والاقدام ولكن الله سلم عصم من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيحدث فيها من مواجب الاقدام والاحجام واذ يريكموهم بصر كم اياهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا نصب على الحال لان الرؤية رؤية العين لا القلب وقد استوفت الاراءة مفعوليه فلن يتعدى الى ثالث ويقللكم في اعينهم الحكمة في تقليل الكفار في اعين المؤمنين ظاهرة مع ان في ذلك تصديقا لرؤيا النبي واما في تقليل المؤمنين في اعينهم فالحكمة في ذلك ان يجترى الكفار عليهم قلة مبالاة بهم وان لا يستعدوا لهم كما ينبغي ليقضي الله امرا كان مفعولا فعل ما فعل من التقليل والى الله ترجع الامور فيه ان احوال الدنيا غير مقصودة لذواتها وانما المراد منها ما يصلح ان يكون زاد المعاد ثم علم المؤمنين اداب اللقاء في الحروب فقال اذا لقيتم فئة فاثبتوا القتال لهم ولا تنهزموا واللقاء اسم قد غلب في القتال فلهذا ترك وصف الفئة بالمحاربين ونحو ذلك والامر بالثبات في القتال لا ينافي الرخصة في التحرف والتحيز فلعل الثبات في الحرب لا يحصل الا بهما واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه اشعار بان العبد لا يجوز ان يفتر عن ذكر ربه في اى شغل وعمل كان ولو ان رجلا اقبل من المغرب الى المشرق ينفق امواله لله والاخر من المشرق الى المغرب ضاربا بسيفه في سبيل الله كان الذاكر لله اعظم اجرا وقيل المراد من هذا الذكر ان يدعو على العدو اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم ونحو ذلك والاولى حمله على العموم واطيعوا الله ورسوله في سائر ما يامر به لان الجهاد لا ينفع الا مع التمسك بسائر الطاعات ولا تنازعوا فتفشلوا منصوب باضمار ان او مجزوم لدخوله في حكم النهي ويظهر التفسير ان في قوله وتذهب ريحكم على قراءتين والريح الدولة شبهت في نفوذ امرها وتمشيته على وفق المشيئة بالريح وهبوبها هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة ونفذ امره وقيل الريح حقيقة ولم يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا حذرهم التنازع واختلاف الراى نحو ما وقع لهم باحد بخلافهم رسول الله احتج نفاة القياس بالاية لان القول به يفضي غالبا الى النزاع المنهي عنه وكذا القائلون بان النص لا يجوز تخصيصه بالقياس قال اهل السير ان اهل مكة حين نفروا لحماية العير اتاهم رسول ابي سفيان وهم بالجحفة ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فابى ابو جهل وقال حتى نقدم بدرا نشرب بها الخمور تعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهى الله المؤمنين ان يكونوا امثالهم بطرين مرائين باعمالهم كاطعام الطعام ونحوه فقال ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم الاية وصفهم باوصاف ثلثة اولها البطر وهو الطغيان في نعمة ويقال ايضا شدة المرح والتحقيق ان النعم اذا كثرت من الله على العبد فان صرفها الى مرضاته وعرف حق الله فيها فذاك هو الشكر وان توسل بها الى المفاخرة على الاقران والمكاثرة على ابناء الزمان فذاك هو البطر وثانيها رئاء الناس وهو القصد الى اظهار الجميل مع قبح النية فساد الطوية او هو اظهار الجميل مع قبح النية فساد الطوية او هو اظهار الطاعة مع ابطان المعصية كان النفاق اظهار الايمان مع ابطان الكفر وثالثها قوله ويصدون عن سبيل الله اى يمنعون عن قبول دين محمد صلى الله عليه وسلم قال الواحدي معناه وصدا عن سبيل الله ليكون عطفا للاسم على الاسم او يكون الكل احوالا على تاويل مرائين صادين او بطرين مرائين ويصدون واعترض عليه في التفسير الكبير بانه تارة يقيم الاسم مقام الفعل والاخرى بالعكس ليصح كون الكلمة معطوفا على جنسها وكان من الواجب عليه ان يذكر السبب الذي لاجله عبر عن الاولين بالمصدر وعن الثالث بالفعل ثم ذكر السبب فقال ان ابا جهل ورهطه كانوا مجبولين على البطر والرئاء فذكر بلفظ الاسم تنبيها على اصالتهم فيهما واما الصد فانما حصل في زمان ادعاء محمد النبوة فذكر بلفظ الفعل الدال على التجدد قلت لو جعلنا قوله ويصدون عطفا على صلة الذين لم يحتج الى هذه التكلفات التي اخترعها الامامان والله بما تعملون محيط فيه زجر عن التصنع والافتخار ويعلم منه ان المعصية مع الانكسار اقرب الى الخلاص من الطاعة مع الاستكبار واذ زين اى واذكر او هو معطوف على ما قبله من النعم واقربها قوله واذ يريكموهم وفي هذا التزيين وجهان احدهما ان الشيطان زين بوسوسته من غير ان يتمثل بصورة انسان وهو قول الحسن والاصم وفي الكشاف زين لهم الشيطان اعمالهم التي عملوها في معاداة رسول

الله صلى الله عليه وسلم ووسوس اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون واوهمهم ان اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان وتبرأ منهم اى بطل كيده حين نزلت جنود الله وثانيهما انه ظهر في صورة انسان وذلك ان المشركين حين ارادوا المسير الى بدر ذكروا التي بينهم وبين بني كنانة من الحرب فلم يامنوا ان ياتوهم من ورائهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الشاعر الكناني وكان من اشرافهم في جند من الشيطان معه راية وقال لا غالب لكم اليوم من الناس لا غالب كائن لكم ولو كان لكم مفعولا بمعنى لا غالب اياكم لانتصب كما يقال لا ضاربا زيدا واني جار لكم اى مجيركم من بني كنانة ومن كل عدو بفرض من البشر ومعنى الجار ههنا الدافع عن صاحبه انواع الضرر كما يدفع الجار عن الجار فلما تراءت الفئتان اى التقى الجمعان بحيث رأت كل واحدة الاخرى نكص على عقبيه والنكوص الاحجام عن الشيء اى رجع وقال اني بريء منكم قيل كانت يده في يد الحرث بن هشام فلما نكص قال له الحرث الى اين اتخذلنا في هذه الحالة فقال اني ارى ما لا ترون الملائكة ودفع في صدر الحرث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وفي الحديث ما رأى ابليس يوما اصغر ولا ادحر ولا اغيظ من يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة الا ما رأى يوم بدر اما قوله اني اخاف الله فقد قيل انه لما رأى جبرئيل خافه وقيل لما رأى الملائكة ينزلون من السماء خاف انهم لا انظرن ان لو التي انظر اليه قد حضر قال قتادة صدق في قوله اني ارى ما لا ترون وكذب لعنه الله في قوله اني اخاف الله وقوله والله شديد العقاب يجوز ان يكون من بقية حكاية كلام ابليس ويجوز ان يكون اعتراضا وظرفا اذ يقول او لا ظرف له واذ يقول ينتصب باذكر على انه كلام مبتدأ منقطع عما قبله ولهذا فقد العاطف والمنافقون قوم من الاوس والخزرج بالمدينة والذين في قلوبهم مرض يجوز ان يكون من صفة المنافقين وان يراد قوم من قريش اسلموا وما قوي الاسلام في قلوبهم ولم يهاجروا ثم ان قريشا لما خرجوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اولئك نخرج مع قومنا فان كان محمد في كثرة خرجنا اليه وان كان في قلة اقمنا في قومنا قال محمد بن اسحق ثم قتلوا جميعا مع المشركين ببدر يوم غر هؤلاء دينهم قال ابن عباس معناه انه خرج ثلثمائة وثلثة عشر الى زهاء الف وما ذلك الا لانهم اعتمدوا على دينهم وقيل المراد ان هؤلاء يسعون في قتل انفسهم رجاء ان يجعلوا احياء بعد الموت ثم قال جوابا لهم ومن يتوكل على الله يكل امره اليه ويثق بفضله فان الله عزيز غالب يسلط الضعيف على القوي الكثير حكيم يوصل العذاب الى اعدائه والرحمة الى اوليائه التاويل واعلموا يا اهل الجهاد الاكبر انما غنمتم عند رفع الحجب من انوار المشاهدات واسرار المكاشفات فلكم اربعة اخماسه تعيشون بها مع الله وتكتمونها عن الاغيار وتنفقونها خمسها في الله مخلصا وللرسول متابعا ولذي القربى يعني الاخوان في الله مواصلا واليتامى يعني اهل الطلب من الذين غاب عنهم مشايخهم قبل بلوغهم الى حد الكمال والمساكين الذين تمسكوا بايديكم الارادة بذبال ارشادكم وابن السبيل يعني الصادر والوارد من الصدق والارادة مراعيا جانب كل طائفة على حسب صدقهم وارادتهم واستعدادهم ان كنتم وصلتم في متابعة الرسول الى الايمان بالله عيانا وبما انزلنا على عبدنا في سر فاوحى الى عبده ما اوحى يوم الفرقان الذي فيه الرحمن علم القرآن يوم التقى الجمعان جمع الصفات الانسانية وجمع الاخلاق الربانية فصار لمحمد صلى الله عليه وسلم مع الله خلوة لا يسع فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل والله على كل شيء قدير فيقدر على ان يوصلكم في متابعة رسوله الى هذا المقام وهو الفناء عن الوجود والبقاء بالمعبود اذ انتم ايها الصادقون في الطلب بالعدوة الدنيا نازلة وهم بالعدوة القصوى اى الارواح باقصى عالم الملكوت بارزة والركب اسفل منكم يعني الهياكل والقوالب في اسفل سافلين الطبيعة ولو تواعدتم ايها الارواح والنفوس والاجساد لاختلفتم في الميعاد لما بينكم من التباين والتضاد ولكن جمعكم الله بالقدرة والحكمة ليقضي امرا كان مفعولا وهو ايصال كل شخص الى رتبته التي استعد لها فيهلك من هلك عن بينة عن حجة ثابتة عليه ويحيى من حي عن بينة له فالاشقياء يبقون في سجين الطبيعة ونار القطيعة واما السعداء فارواحهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر كما قال ارجعي الى ربك ونفوسهم مع الملئكة المقربين كما قال فادخلي في عبادي وابدانهم في جنات النعيم كما قال وادخلي جنتي وان الله لسميع لمن دعاه للوصول والوصال بالغدو والاصال عليم بمن يستحق الاذلال او بنا اهل الاجلال اذ يريكهم في منامك قليلا مع كثرتهم في الصورة ليدل على قلتهم في المعنى لفشلتم على عادة الطبع الانساني ولكن الله سلم عن الخوف البشري ويقللكم في اعينهم لانهم نظروا اليكم بالابصار الظاهرة فلم يدركوا كثرة معناكم ومددكم بالملئكة اذا لقيتم فئة هي النفس وهواها والشيطان واعوانه والدنيا وزينتها فاثبتوا على ما انتم عليه من اليقين والصدق والاخلاص والطلب ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم اوصافهم وتركوا الدنيا ودار البلاء ودار العباد ليتباهوا بذلك على الاخوان والاقران واذ زين لهم الشيطان اعمالهم فظنوا انهم بلغوا مبلغ الرجال وانه لا يضرهم التصرف في الدنيا وارتكاب بعض المنهيات بل ينفعهم في نفي الرياء والعجب اذ هو طريق اهل الملامة فلما تراءت الفئتان فئة الارواح والقلوب بالاوصاف الملكية والواردات الربانية حتى تقادت النفوس لها نكص على عقبيه وهو باطله وصار مخالفا للنفس كما قال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون لانه يرى بنظر الروحانية تجلى الانوار الربانية من القلوب لو وقع على الشيطان من ذلك تلالؤ لاحترق ولهذا قال اني اخاف الله وفيه اشارة الى انه غير منقطع الرجاء من رحمة الله انه ارحم الراحمين ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم وذوقوا عذاب الحريق ذلك

ادبريكم

اى من نزول

مطرين

معناه اذكر اذ زين

وفئة النفوس وصفاتها وامداد الله من فئة الارواح و القلوب

بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد كداب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بايات الله فاخذ
بسبب آنچه پیش فرستاد دستهای شما و آنکه خدا ستم کننده نیست مر بندگان را چون طریقه آل فرعون و آنانی که از پیش ایشان بودند کافر شدند بآیات الهی گرفت
هم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا
ایشان را خدا بگناهان ایشان بدرستی که خدا توانای سخت عقوبت است این بآن سبب است که خدا نیست تغییر دهنده نعمتی که عطا کرد بر گروهی تا که تغییر دهند
ما بانفسهم وان الله سميع عليم كداب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بايات ربهم فاهلكناهم
و آنکه خدا شنونده داناست چون خوی آل فرعون و آنانی که پیش از ایشان بودند تکذیب کردند بآیات پروردگار خود پس هلاک کردیم ایشان را
بذنوبهم واغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون
بسبب گناهان ایشان و غرق کردیم آل فرعون را و هر یک بودند ستمکاران بدرستی که بدترین جنبندگان در نزد خدا آنانند که کافر شدند پس ایشان ایمان نمی آورند
الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم
آنانی که عهد گرفتید از ایشان پس میشکنند پیمان خود را در هر مرتبه و ایشان پرهیز نمیکنند پس اگر یابی ایشان را در کارزار پس پراکنده ساز بایشان آنان را که در عقب ایشانند
ع لعلهم يذكرون واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين ولا يحسبن الذين
شاید که پند گیرند و اگر بترسی از گروهی خیانت را پس بینداز بسوی ایشان برابر بدرستی که خدا دوست ندارد خیانتکاران را و نپندارند آنان که
كفروا سبقوا انهم لا يعجزون واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم
کافر شدند که پیشی گرفتند بدرستی که ایشان عاجز نمیکنند و مهیا سازید برای ایشان آنچه توانید از توانایی و از بستن اسپان تا بترسانید بآن دشمن خدا را و دشمن خود را
وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون وان جنحوا
و دیگران را بجز ایشان نمیدانید ایشان را خدا میداند ایشان را و هر چه خرج کنید از چیزی در راه خدا تمام باز داده شود بشما و شما ستم کرده نشوید و اگر میل کنند
للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذي
بصلح پس میل کن بآن و توکل کن بر خدا که او است شنونده دانا و اگر خواهند که فریب دهند ترا پس بدرستی که کفایت کننده تو خداست او است آنکه
ايدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله
قوت داد ترا بیاری خود و بمومنان و دوستی انداخت در دلهای ایشان که اگر خرج میکردی آنچه در زمین است همه را دوستی نمی افکندی در دلهای ایشان و لیکن خدا
ع الف بينهم انه عزيز حكيم يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين يا ايها النبي حرض المؤمنين
دوستی انداخت در میان ایشان بدرستی که او غالب با حکمت است ای پیغمبر بس است ترا خدا و هر که پیروی کرد ترا از مومنان ای پیغمبر راغب گردان مومنان را
على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين
بر کارزار اگر باشند از شما بیست نفر صبر کنندگان غالب آیند بر دویست نفر و اگر باشند از شما صد نفر غالب آیند هزار نفر از آنان که
كفروا بانهم قوم لا يفقهون الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة
کافر شدند بآنکه ایشان گروهی اند که نمیفهمند در اینوقت سبک کرد خدا از شما و دانست که در شما ناتوانی است پس اگر باشند از شما صد نفر صبر کننده
يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين القراءة تتوفى
غالب آیند بر دویست نفر و اگر باشند از شما هزار نفر غالب آیند بر دو هزار بفرمان خدا و خدا با صبر کنندگان است بتاء التانيث

شامي الباقون بالتذكير ولا يحسبن بتاء الغيبة ابن عامر ويزيد وحمزة وحفص والمفضل الآخرون بتاء الخطاب انهم بالفتح ابن عامر السلم بكسر السين ابو بكر وحماد ترهبون بالتشديد رويس الباقون بالتخفيف من الارهاب وان يكن منكم بالياء التحتانية ابو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بالتاء الفوقانية وعلم مبنيا للمفعول ضعفا بالمد جمعا يزيد وقرأ حمزة وعاصم غير المفضل وخلف لنفسه ضعفا بفتح الضاد الآخرون بالضم فان يكن منكم مائة بالتحتانية عاصم وحمزة وعلي وخلف الوقوف كفروا لا لان فاعل تتوفى الملائكة وما قيل ان المتوفى هنا الله غير صحيح لاختلال النظم وفساد المعنى لان الكفار لا يستحقون ان يتوفاهم الله بلا واسطة وادبارهم ج لحق الاضمار اي يقولون ذوقوا الحريق للعبيد ه لتعلق الكاف فرعون لا للعطف من قبلهم ط بذنوبهم ط العقاب بانفسهم لا للعطف ان على عليم لا للكاف من قبلهم ط بآيات ربهم ج لاختلاف الجملتين من آل فرعون لان الواو يصلح للاستيناف والحال ظالمين لا يؤمنون ه لاحتمال الوصف واحتمال النصب والرفع على الذم لا يتقون يذكرون على سواء ط الخائنين لا سبقوا ط لمن قرأ انهم بالكسر لا يعجزون من دونهم ج لاحتمال الجملة بعده الوصف والاستيناف لا تعلمونهم ج لذلك يعلمهم ط لا تظلمون على الله ط العليم حسبك الله بين قلوبهم الاولى بينهم ط حكيم من المؤمنين على القتال ط مائتين ج لابتداء الشرط مع العطف لا يفقهون ضعفا ه مائتين ج باذن الله ط الصابرين التفسير لما شرح احوال هؤلاء الكفار في حياتهم شرح احوالهم حين وفاتهم وجواب لو محذوف وترى في معنى الماضي لخاصية لو وكذا ترى في لخاصية اذ

واذ نصب على الظرف قال في الكشاف ويمكن ان يكون مفعولا به والمعنى لو رأيت او عاينت او شاهدت وقت قبض الملائكة ارواح الكفار لرأيت امرا فظيعا يضربون وجوههم وادبارهم قال مجاهد يريد بالادبار الاستاه ولكن الله كريم يكني وفي تخصيص العضوين بالضرب نوع من الخزي والنكال وعن ابن عباس المراد ما اقبل منهم وما ادبر وذلك ان المشركين كانوا اذا اقبلوا بوجوههم الى المسلمين ضربوا وجوههم بالسيف واذا ولوا ضربوا ادبارهم فلا جرم قابلهم الله بمثله في وقت خروج ومعنى عذاب الحريق مقدمة عذاب النار ونفسها في الآخرة تبشرهم بذلك عن ابن عباس ان معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار قوله ذلك بما قدمت ايديكم الآية قد مر تفسيرها في آل عمران ويحتمل ان يكون هذا حكاية كلام الملائكة ولما بين سبحانه ما انزل باهل بدر من الكفار عاجلا وآجلا ذكر ان هذه سنة في فرق الكفرة كلهم فقال كداب آل فرعون يريد ان عادتهم وعملهم الذي داموا عليه كعادة آل فرعون فيجوزي هؤلاء بالقتل والسبي كما جوزي اولئك بالاهلاك والاغراق ثم ذكر ما يجري مجرى العلة في العقاب الذي انزله بهم فقال ذلك بان الله لم يك حذف النون لكثرة الاستعمال ومعنى الآية ان ذلك العذاب والانتقام بسبب ان الله لم يستقم في حكمته وتدبيره ان يغير نعمة على قوم حتى يغيروا ما بهم من الاحوال والاخلاق والغرض ان آل فرعون ومشركي مكة قد فتح عليهم ابواب الخيرات وازال الموانع وسهل السبل ومن عليهم بانزال الكتب وارسال الرسل ثم انهم قابلوا هذه النعم بالكفر بها والفسوق والعصيان فلا جرم استحقوا تبديل النعم بالنقم والمنح بالمحن وان الله سميع للاقوال عليم بالاحوال يجزي كل فريق بما يستاهله ثم ذكر مرة اخرى قوله كداب آل فرعون وفي التكرير بعد التاكيد فوائد استنبطها العلماء منها ان الثاني كالتفصيل للاول لان الاغراق كالبيان للاخذ بالذنوب ومنها ان الاول لعله في حال الموت والثاني لما بعد الموت قلت ويشبه ان يكون بالعكس لان الاهلاك والاغراق بحال الموت انسب ومنها ان الاول اخبار عن عذاب لم يمكن الله احدا من فعله وهو ضرب الملائكة وجوههم وادبارهم عند نزع ارواحهم والثاني اخبار عن عذاب مكن الناس من فعل مثله وهو الاهلاك والاغراق ومنها ان المراد في الاول كداب آل فرعون فيما فعلوا وفي الثاني كداب آل فرعون فيما فعل بهم فهم فاعلون في الاول ومفعولون في الثاني ومنها ان المراد بالاول كفرهم بالله وبالثاني تكذيبهم الانبياء لان التقدير كذبوا الرسل بردايات ربهم ومنها ان يجعل الضمير في كفروا وكذبوا لكفار قريش اي كفروا بايات الله كداب آل فرعون وكذبوا بايات ربهم كداب آل فرعون ومنها ان الاول اشارة الى انهم انكروا دلائل الالهية فكان لازمه الاخذ والثاني اشارة الى انهم انكروا دلائل التربية والاحسان فكان لازمه الاهلاك والاغراق ثم ختم الآية بقوله وكل كانوا ظالمين اي وكل من غرقى القبط وقتلى قريش ومن قبلهم من الكفرة كانوا ظالمي انفسهم بالكفر والمعاصي وظالمي غيرهم بالايذاء والايحاش فلا جرم دمرهم الله بسبب ظلمهم ثم خص من الظلمة شرهم فقال ان شر الدواب الآية جعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون منهم واشار الى هذا بقوله فهم لا يؤمنون وشر المصرين الناكثون للعهود واشار اليهم بقوله الذين عاهدت منهم ومن للتبعيض ومفعول عاهدت محذوف اي الذين عاهدتهم وهم بعض اولئك الكفرة يعني الاشراف لان من معهم يليق المعاهدة ثم ينقضون عطف المستقبل على الماضي لفائدة الاستمرار وان من شانهم نقض العهد في كل مرة من مرات المعاهدة ومعنى ثم تبعيد النقض عن المعاهدة قال ابن عباس هم بنو قريظة نقضوا عهد رسول الله ص واعانوا عليه المشركين بالسلاح يوم بدر وقالوا قد نسينا واخطانا ثم عاهدهم فنكثوا واعانوا عليه يوم الخندق وهم لا يتقون عاقبة الغدر ومعافيه من العار والنار ثم امر رسوله بالمخاشنة معهم والغلظة عليهم جزاء على قبح فعلهم وسوء عقيدتهم فقال واما تثقفنهم تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب فشرد بهم في الحرب فشردهم من خلفهم والتشريد التفريق مع الاضطراب اي ففرق عن محاربتك من وراءهم وقال عطاء معناه اكثر فيهم القتل حتى يخافك غيرهم والضمير في لعلهم يذكرون لمن خلفهم لانه اذا نكل بالناكثين وقتلهم شر قتلة لن يجسر عليه احد بعدهم اتعاظا بحالهم واما تخافن من قوم معاهدين خيانة ونكثا بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم العهد على سواء على طريق مستو قصد اي اخبرهم اخبارا مكشوفا بينا انك قطعت ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك وقيل على استواء في العلم بنقض العهد وقيل على استواء في العداوة قال في الكشاف الجار والمجرور في موضع الحال كانه قيل فانبذ اليهم ثابتا على طريق قصد سوي او حاصلين على استواء في العلم والعداوة على انها حال من النابذ والمنبوذ اليهم معا ثلث ويحتمل ان يكون حالا من المنبوذ اي حال كون المنبوذ وهو العهد واقعا على طريق واضح فيكون كناية عن تحقق شان العهد اذ ذاك وعن انكشاف حاله في النبذ قال اهل العلم ان آثار نقض العهد اذا ظهرت فاما ان يظهر ظهورا محتملا او ظهورا مقطوعا به وعلى الاول وجب الاعلام به كما هو مذكور في الآية وذلك ان قريظة عاهدوا النبي ثم اجابوا ابا سفيان ومن معه من المشركين الى تظاهرهم على رسول الله فحصل لرسول الله صلى الله عليه وآله خوف الغدر منهم به وباصحابه فههنا يجب على الامام ان ينبذ اليهم على سواء ويؤذنهم بالحرب اما اذا ظهر نقض العهد ظهورا قطعيا فلا حاجة الى نبذ العهد اليهم كما فعل رسول الله ص باهل مكة لما نقضوا العهد ثم بين حال من فاته في يوم بدر ولم يتمكن من التشفي والانتقام كيلا يبقى حسرة فقد كان فيهم من بلغ في اذيته مبلغا عظيما فقال لا تحسبن من قرا بتاء الخطاب فمفعوله الاول الذين كفروا وثانيه سبقوا اي فاتوا وافلتوا من ان يظفر بهم انهم لا يعجزون كل من المكسورة والمفتوحة تعليل له لان المكسورة على طريقة الاستيناف

او عذاب النار

كان سائلا سأل ما لهم لا يحسبوا سابقين فأجيب بما أجيب. المفتوحة تعليل صريح والجار محذوف أي لأنهم لا يعجزون الله من الانتقام
منهم ولا يجدون طالبهم عاجزا عن إدراكهم. أعجزت فلانا وعجزته جعلته أو وجدته عاجزا والمراد لا يحسبنهم أنهم لما تخلصوا من الأسر والقتل
يوم بدر فقد تخلصوا من العقاب عاجلا وآجلا. ومن قرأ بالياء التحتانية فذكر فيه وجوها منها أن فاعله الذين كفروا ومفعوله سبقوا على
أن الأصل أن سبقوا فحذفت أن كقوله ومن آياته يريكم البرق ويؤيده قراءة ابن مسعود أنهم سبقوا ومنها أن الفعل وقع على أنهم لا يعجزون
على أن لا صلة وسبقوا في موضع الحال ومنها أن المفعول الأول محذوف للعلم به والتقدير ولا يحسبنهم أو ولا يحسبن أنفسهم الذين كفروا
سبقوا ومنها أن فاعله محذوف أي ولا يحسبن قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا. ثم إنه لما اتفق لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في قصة بدر أن قصدوا
الكفار بلا آلة وعدة أمرهم الله أن لا يعودوا لمثله ويتأهبوا للقتال للأعداء فقال وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة عن عكرمة هي الحصون
وعن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية على المنبر ثم قال ألا إن القوة الرمي قالها ثلاثا ومات عقبة عن سبعين قوسا في سبيل الله
والأصح أنها عامة في كل ما يتقوى به في الحرب من آلة وعدة وقوله صلى الله عليه وسلم القوة الرمي كقوله الحج عرفة وفيه تنبيه على أن المذكور جزء شريف من جملة
المقصود ومن رباط الخيل هو اسم للخيل التي تربط في سبيل الله الخمس فما فوقها ويجوز أن يكون جمع ربيط كفصال وفصيل والظاهر أنه بمعنى المرابطة
ويجوز أن يكون قوله ومن رباط الخيل تخصيصا للخيل من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكائيل فلا ريب أن ربط الخيل من أقوى آلات
الجهاد روي عن ابن سيرين أنه سئل عمن أوصى بثلث ماله في الحصون فقال يشترى به الخيل فتربط في سبيل الله ويغزى عليها فقيل له إنما أوصى في
الحصون فقال ألم تسمع قول الشاعر: ولقد علمت على توقي الردى ... أن الحصون الخيل لا مدر القرى. وعن عكرمة أن الخيل ههنا الإناث
لأنها أولى بالربط لتفيد النسل وقيل هي الفحول لأنها أقوى على الكر والفر والظاهر العموم ثم ذكر ما لأجله أمر بإعداد هذه الأشياء فقال
ترهبون به أي بما استطعتم عدو الله وعدوكم لأن الكفار إذا علموا تأهب المسلمين للقتال لم يجترئوا عليهم وخافوهم وربما يدعوهم ذلك إلى
الانقياد والطاعة وآخرين من دونهم يريد بالأولين أهل مكة وبالآخرين اليهود على قول ولكنه لا يجاوبه قوله لا تعلمونهم الله يعلمهم
والمنافقين على قول واعترض عليه بأنهم لا يرهبون لانخراطهم في سلك المسلمين ظاهرا وأجيب بأن الخائن خائف فكلما اشتدت شوكة
المسلمين ازداد المنافقون في أنفسهم خوفا وغما وربما يدعوهم ذلك إلى الإخلاص وعن السدي هم أهل فارس وروى ابن جريج عن سليمان
ابن موسى أنهم كفرة الجن وجاء في الحديث أن الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروي أن صهيل الخيل يرهب الجن وقيل
المراد بالآخرين أعداء المرء من دينه فإن المسلم قد يعاديه مسلم آخر ثم رغبهم في الإنفاق في باب الجهاد فقال وما تنفقوا من شيء في سبيل
الله يوف إليكم أي ثوابه وأنتم لا تظلمون لا تنقصون من ثواب أعمالكم شيئا أو خص المصالحة إن مال الأعداء إليها فقال وإن جنحوا
للسلم الآية جنح له وإليه جنوحا إذا مال وإنما قيل فاجنح لها لأن السلم يؤنث تأنيث نقيضها وهي الحرب أو بتأويل الخصلة أو الفعلة عن
ابن عباس ومجاهد أن الآية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله أو بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والأولى أن يقال
إنها ثابتة فليس بحتم أن تقبل المشركون أبدا إذا جنحوا إلى الهدنة أبدا وإنما الأمر موقوف على ما يرى فيه الإمام صلاح الإسلام ودونه فإذا رأى
الصلاح في الصلح فذاك والمصلحة قد تظهر عند ضعف المسلمين إما لقلة العدد أو لقلة المال وبعد العدو وقد يكون مع القوة للطمع في
إسلامهم أو قبولهم الجزية أو إذا خالطوا المسلمين أو بأن يعينوه على قتال غيرهم وإمامة المهادنة فإذا لم يكن بالمسلمين ضعف ورأى الإمام الصلاح
في المهادنة فقد قال الشافعي هادن أربعة أشهر فما دونها لقوله تعالى فسيحوا في الأرض أربعة أشهر وذلك كان في أقوى ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
منصرفه من تبوك وإن كان بالمسلمين ضعف جازت الزيادة بحسب الحاجة إلى عشر سنين اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حين صالح أهل مكة بالحديبية
على وضع القتال عشر سنين إلا أنهم نقضوا العهد قبل كمال المدة وإن انقضت المدة والحاجة باقية استأنف العقد ثم قال وتوكل على الله
أي فوض الأمر فيما عقدته معهم إلى الله ليكون عونا لك على السلامة وينصرك عليهم إذا نقضوا العهد وعدلوا عن الوفاء كما كان من شأن
قريظة والنضير وعن مجاهد نزلت فيهم إنه هو السميع للأقوال العليم بالأحوال وفيه زجر عن نقض الصلح ما أمكن ثم ذكر حكما من أحكام المهادنة
فقال وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك محسبك كافيك الله والمعنى أنهم إن صالحوا على سبيل المخادعة وجب قبول ذلك الصلح
لأن الحكم فيه يبنى على الظاهر كما أن أصل الإيمان مبني على الظاهر ولا تنافي بين هذه الآية وبين ما تقدم من قوله وإما تخافن من قوم
خيانة فانبذ إليهم لأن هذه المخادعة محمولة على أمور خفية تدل على الغل والنفاق وذلك الخوف محمول على أمارة قوية تدل على كونهم
قاصدين للشر وإثارة الفتنة ثم أكد كون الله تعالى كافيا له بقوله هو الذي أيدك بنصره أي من غير واسطة أسباب معتادة وبالمؤمنين
أي بوساطة الأنصار ثم بين أنه كيف أيده بالمؤمنين فقال وألف بين قلوبهم قال جمع من المفسرين هم الأوس والخزرج كان بينهم من الحروب
والوقائع ما أهلك أشرافهم ودق جماجمهم فرفع الله تعالى ذلك بلطفه وصنعه والأولى حمله على العموم والتأليف بين قلوب من بعث إليهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الآيات الباهرة لأن العرب لما فيهم من الحمية والعصبية والانطواء على الضغائن في الأمور المستحقرة لم تكد تأتلف أهواؤهم و
ينتظم شملهم ثم ائتلف قلوبهم على اتباع رسول الله حتى بذلوا دونه المهج والأرواح والأموال فليس ذلك إلا من مقلب القلوب ومبدل الأحوال

والتحقيق في الباب أن المحبة لا تحصل إلا عند تصور حصول خير من المحبوب ثم إن كان سبب انعقاد المحبة أمرا سريع التغير كالمال أو الجاه أو
اللذة الجسمانية كانت تلك المحبة بصدد الزوال والاضمحلال فالمعشوق يريد مال العاشق والعاشق يحب المعشوق لاستيفاء لذة بهيمية
فيها حصل مرادهما كانا متحابين ومتى لم يحصل عادا متباغضين وإن كان سبب انعقاد المودة كمالا حقيقيا روحانيا دائما لم يتصور لها تغير وزوال
ثم إن العرب كانوا قبل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم مقبلين على المفاخرة والتسابق في المال والجاه والتعصب والتفرق فلا جرم كانوا متحابين تارة ومتباغضين
أخرى فلما جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى عبادة الله تعالى والإعراض عن الدنيا والإقبال على تحصيل السعادة الأبدية الروحانية توحد مطلبهم و
صاروا إخوانا متراحمين متحابين في الله ولله إنه عزيز حكيم أي قادر قاهر على تقليب القلوب والدواعي فاعل لكل ما يفعل على وجه الإحكام
والإتقان أو على حسب المصالح على اختلاف القولين في مسألة الجبر والقدر قال القاضي لولا ألطاف الله تعالى ساعة فساعة لما حصلت هذه
الأحوال ونظيره أنه يضاف علم الولد وأدبه إلى أبيه لأجل أنه لم يحصل ذلك إلا بمعونة الأب وتربيته وأجيب بأنه عدول عن الظاهر والآية صريحة في
أن العقائد والإرادات والكراهات كلها بخلق الله تعالى وإيجاده اللهم يا مصرف القلوب ومقلبها ثبت قلبي على دينك ووفقني لمتابعة نبيك إنك
قادر على ما تشاء ولا يكون إلا ما تشاء. ثم إنه سبحانه لما وعد نبيه النصر والكفاية عند مخادعة الأعداء وعده النصر والكفاية على الإطلاق فقال
يا أيها النبي حسبك الله ومحل من اتبعك منصوب لأنه بمنزلة زيد في قولك حسبك وزيدا درهم قال الفراء وليس بكثير في كلامهم أن يقولوا حسبك و
أخيك بل المستعمل أن يقولوا حسبك وحسب أخيك بإعادة الجار ولو كان قوله ومن اتبعك مجرورا لقيل حسبك ومن اتبعك ومعنى الآية كفاك
وكفى أتباعك من المؤمنين الله ناصرا أو جوز أن يكون في محل الرفع أي كفاك الله وكفاك المؤمنون فيكون كقوله هو الذي أيدك بنصره
وبالمؤمنين ويؤكده ما روي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر فصاروا أربعين
فأنزل الله تعالى الآية ثم بين سبحانه أن كفايته مشروطة بالجد والاجتهاد في الجهاد فقال يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال والتحريض
في اللغة كالتحضيض وهو الحث على الشيء وذكر الزجاج في اشتقاقه أنه من الحرض وهو الإشراف على الهلاك من شدة الضنى كأنه ينسبه إلى الهلاك لو
تخلف عن المأمور وكأنه يأمره أن يبالغ فيه وفي تحصيله حتى يدنو من التلف في قوله إن يكن منكم عشرون صابرون عدة من الله وبشارة
بأن الجماعة من المؤمنين إن صبروا غلبوا عشرة أمثالهم بعون الله وتأييده واعترض عليه بأنه يلزم منه أن لا يغلب قط مائتان من الكفار عشرين
من المؤمنين ويمكن أن يجاب بعد تسليم وقوع مثل ذلك أن الخلل لعله يكون من فقدان الشرط وهو الصبر قال بعض العلماء هذا خبر في معنى
الأمر كقوله والوالدات يرضعن والمطلوب يتربصن بدليل قوله الآن خفف الله عنكم والنسخ بالأمر أليق منه بالخبر وبدليل قوله والله مع
الصابرين وفيه ترغيب في الثبات على الجهاد فمعنى الآية إذن إن يكن منكم عشرون فليصبروا وليجتهدوا في القتال حتى يغلبوا مائتين ثم الصبر
لا يحصل إلا لمن يكون شديد الأعضاء قويا جلدا شجاعا غير جبان ولا متحرف لقتال أو متحيز إلى فئة وعند حصول هذه الأمور كان يجب للواحد
أن يثبت للعشرة لما سبق من وعد النصر في قوله حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وإنما كرر النسبة مرتين لأن السرايا التي كانت يبعثها
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا ينقص عددها عن العشرين وما كانت تزيد على المائة فورد على وفق الواقعة وأما في الكرة الثانية فإنما كررت النسبة
للطباق وليكون فيه بشارة وإشارة إلى أن عدد عسكر الإسلام سيؤول من العشرات والمئات إلى الألوف والله أعلم بمراده ثم بين السبب في الغلبة
فقال بأنهم قوم لا يفقهون أي بسبب أن الكفار قوم جهلة لا يعرفون معادا وقد انحصرت السعادة واللذة عندهم في هذه الحياة العاجلة
وأيضا أنهم يعولون على قوتهم وشوكتهم والمسلمون يتوكلون على ربهم ويستغيثونه ويتوقعون منه إنجاز ما وعد من النصر والتأييد ووجه آخر
وهو أن أهل العلم والمعرفة يكون لهم في أعين الناس هيبة وحشمة ويكونون في أنفسهم أقوياء أشداء لما تجلى عليهم من أنوار المعرفة والبصيرة
يعرف ذلك أصحاب العلوم وأرباب المعارف بخلاف الجهلة الذين لا بصيرة لهم ولا نور قال عطاء عن ابن عباس لما نزل التكليف الأول ضج
المهاجرون وقالوا يا رب نحن جياع وعدونا شباع ونحن في غربة وعدونا في أهليهم وقال الأنصار شغلنا بعدونا وواسينا إخواننا وعن
ابن جريج كان عليهم أن لا يفر واحد من العشرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث حمزة في ثلاثين راكبا فلقي أبا جهل في ثلاثمائة راكب وأرادوا
قتالهم فمنعهم جهينة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أنيس إلى خالد بن سفيان جماعة فابتدر عبد الله فقال يا رسول الله صفه لي فقال
إنك إذا رأيته ذكرت الشيطان ووجدت لذلك قشعريرة وبلغني أنه جمع لي فاخرج إليه واقتله فلما خرجت نحوه فلما دنوت منه وجدت القشعريرة
فقال لي من الرجل قلت له من العرب سمعت بك وبجمعك ومشيت معه حتى إذا تمكنت منه قتلته بالسيف وأسرعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرت أني
قتلته فأعطاني عصا وقال أمسكها فإنها آية بيني وبينك يوم القيامة وقال عكرمة إنما أمر الرجل أن يصبر لعشرة والعشرة لمائة حال ما كان المسلمون
قليلين فلما كثروا خفف الله عنهم ولهذا قال ابن عباس أيما رجل فر من ثلاثة فلم يفر فإن فر من اثنين فقد فر والحاصل أن الجمهور ادعوا أن قوله
الآن خفف الله عنكم ناسخ لحكم الآية المتقدمة وأنكر ذلك أبو مسلم الأصفهاني قال لأن لفظ الآية ورد على الخبر سلمنا أنه بمعنى الأمر لكن لم قلتم إن
التقدير ليكن العشرون صابرين في مقابلة المائتين ولم لا يجوز أن يكون المراد إن حصل عشرون صابرون في مقابلة المائتين فليشتغلوا بجهادهم
وإذا كان الشرط غير حاصل في حق هؤلاء لقوله وعلم أن فيكم ضعفا فلا جرم لم يثبت ذلك الحكم فلا يتصور النسخ ولفظ التخفيف لا يقتضي ورود التثقيل قبله

لان مثل هذا الكلام قد يقوله العرب ابتداء ومما يدل على عدم النسخ تقارن الايتين والناسخ يجب ان يكون بعد المنسوخ وبيان هذا ما حاصل
قول ابي مسلم وهو مما يستحق الجواب لو لم يحصل قبلنا اطباق على حصول هذا النسخ والله تعالى اعلم ومعنى قوله وَعَلِمَ اَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ظهر معلومه
فلا يبقى لهشام حجة في مذهبه انه تعالى لا يعلم الجزئيات الا بعد وقوعها والمراد بالضعف قيل الضعف في البدن وقيل في البصيرة والاستقامة
في الدين وكانوا متفاوتين في ذلك والظاهر ان المراد الضعف الانساني المذكور في قوله وَخُلِقَ الْاِنْسَانُ ضَعِيفًا التاويل يخبرون
في وجوههم وادبارهم لان الكافر ذاهب عن الدنيا مع تعلقه بها فيحصل له الم من جهة الخلف ويقبل على الاخرة ولا نور له يبصر به ما امامه
فيحصل له تالم من قدام ذلك بان الله لم يك مغيرا مبدا لاحسن تقديم واستعدادا عطائهم بضده حتى يغيروا بالكفر والتكذيب ما بانفسهم من نعم الاستعداد
الفطري الذين عاهدت منهم بالروح في الازل لان نورك وصفتك غلب على ظلمة النفس وصفاتها فشرد بالروح بهم من خلفهم اي بالغ في
تبديل صفات النفس وتزكيتها بحيث يؤثر نوره تبديل اخلاق لصفات التي وراءها فانبذ اليهم على سواء اظهر عداوتك معهم وجاهدهم
انهم لا يعجزون اي النفوس الكافرة تحت تصرفك فلا تقنطوا من رحمتي في صلاح حالهم من قوة الروح وغلبات صفاتها واعداده بمداومة
الذكر وقطع التعلق ومن رباط الخيل ومن ربط القلب بطريق المراقبة لئلا يلتفت الى الدنيا وزينتها ترهبون بالذكر والمراقبة عدو الشيطان
وعدوكم النفس والهوى واخرين من دونهم من نفوس شياطين الانس لا تعلمونهم انهم عدوكم من الاخيار والاصدقاء والاقرباء الله يعلمهم
انهم عدو لكم كقوله اِنَّ مِنْ اَزْوَاجِكُمْ وَاَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ من شهوات النفس ولذاتها وزينتها بطريق الذكر والمراقبة
يُوَفَّ اِلَيْكُمْ نوافله من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا وَاَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ بين الروح والقلب والسر وبين النفس وصفاتها لو انفقت
ما في الارض وجودك من السعي والجد والاجتهاد كما بين الروح النوراني والنفس الظلماني من التضاد ولكن الله الف بين الروح
وبين القلب والقالب ليكون الشخص الانساني طلسما على كنز وجوده لم يكسر الطلسم للوصول الى الكنز والله اعلم مَا كَانَ لِنَبِيٍّ اَنْ يَكُونَ
لَهُ اَسْرٰى حَتّٰى يُثْخِنَ فِي الْاَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّٰهُ يُرِيدُ الْاٰخِرَةَ وَاللّٰهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللّٰهِ
مر او اسیران تا بسیار کشد در زمین میخواهید شما خواسته دنیا را وخدا میخواهد اخرت را وخدا غالب داناست اگر نبود کتابی از خدا
سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا اَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللّٰهَ اِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ يَا اَيُّهَا النَّبِيُّ
که پیشی گرفت هر اینه رسیدی شما را در آنچه گرفتید عذابی بزرگ پس بخورید از آنچه غنیمت بردید حلال و پاک و بپرهیزید خدا را بدرستیکه خدا آمرزنده مهربانست ای پیغمبر
قُلْ لِمَنْ فِي اَيْدِيكُمْ مِنَ الْاَسْرٰى اِنْ يَعْلَمِ اللّٰهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا اُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ع
بگو مر کسیرا که در دستهای شماست از اسیران اگر بداند خدا در دلهای شما خوبی را بدهد شما را خوبتر از آنچه گرفته شد از شما و بیامرزد شما را وخدا آمرزنده مهربانست
وَاِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللّٰهَ مِنْ قَبْلُ فَاَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللّٰهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ اِنَّ الَّذِينَ اٰمَنُوا وَهَاجَرُوا
واگر بخواهند خیانت کردن ترا پس بدرستیکه خیانت کردند خدا را از پیش پس دست داد ترا بر ایشان وخدا دانای محکم کار است بدرستیکه آنان که ایمان آوردند و سفر کردند
وَجَاهَدُوا بِاَمْوَالِهِمْ وَاَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَالَّذِينَ اٰوَوْا وَنَصَرُوا اُولٰئِكَ بَعْضُهُمْ اَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ
و کوشش کردند بمالهای خود و نفسهای خود در راه خدا وآنان که جای دادند و یاری کردند آن گروه بعضی از ایشان دوستان بعضی اند وآنان
اٰمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتّٰى يُهَاجِرُوا وَاِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ اِلَّا عَلٰى
که گرویدند و سفر نکردند نباشد شما را از ولایت ایشان از چیزی تا هجرت کنند واگر طلب یاری کنند شما را در دین پس بر شماست یاری کردن مگر بر
قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ اَوْلِيَاءُ بَعْضٍ اِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ
گروهیکه در میان شما و در میان ایشان پیمانست وخدا بآنچه میکنید بیناست وآنان که کافر شدند بعضی از ایشان دوستان بعضی اند اگر نکنید آنرا باشد
فِتْنَةٌ فِي الْاَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ وَالَّذِينَ اٰمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَالَّذِينَ اٰوَوْا
فتنه در زمین و تباه کاری بزرگ وآنان که گرویدند و سفر کردند و کوشش کردند در راه خدا وآنان که جای دادند
وَنَصَرُوا اُولٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ وَالَّذِينَ اٰمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَاُولٰئِكَ
و یاری کردند آن گروه ایشانند مومنان براستی مر ایشانراست آمرزش و روزی بزرگ وآنان که گرویدند در بعد و سفر کردند و جهاد کردند با شما پس آن گروه
مِنْكُمْ وَاُولُوا الْاَرْحَامِ بَعْضُهُمْ اَوْلٰى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّٰهِ اِنَّ اللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ القراءة ان تكون
از شمایند و صاحبان قرابت بعضی از ایشان سزاوارترند ببعضی در کتاب خدا بدرستیکه خدا بهر چیز داناست بالتاء الفوقانية
ابو عمرو وسهل ويعقوب ويزيد اسارى يزيد والمفضل الاخرون اسرى من الاسارى يزيد وابو عمرو والمفضل الباقون من الاسرى
من ولايتهم بكسر الواو حمزة الباقون بفتحها الوقوف في الارض ط لتقدير الاستفهام اي تريدون الاخرة ط حكيم عظيم ط واتقوا الله ط رحيم و
يغفر لكم ط رحيم منهم ط حكيم اولياء بعض ط حتى يهاجروا ج ميثاق ط بصير اولياء بعض ط كبير حقا ط كريم منكم ط في كتاب الله ط عليم التفسير هذا حكم آخر
من احكام الجهاد ومعنى ما كان ما صح وما استقام والاثخان كثرة القتل واشاعته من الثخانة التي هي الغلظ والكثافة والمعنى فيه تذليل الكفر

واضعافه واعزاز الاسلام واظهاره باشاعة القتل في الكفرة روي ان رسول الله صلعم اتي بسبعين اسيرا فيهم العباس عمه وعقيل بن ابي طالب
فاستشار ابا بكر فيهم فقال قومك واهلك فاستبقهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر كذبوك واخرجوك فقدمهم
واضرب اعناقهم فان هؤلاء ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان نسيب له فلنضرب اعناقهم
فقال النبي صلعم ان الله ليلين قلوب رجال حتى يكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى يكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا
بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
ثم قال لاصحابه انتم اليوم عالة فلا يفلتن احد منهم الا بفداء او ضرب عنق وروي انه قال لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد
واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل ناخذ الفداء فاستشهدوا باحد وكان فداء الاسارى عشرين اوقية وفداء العباس اربعين اوقية وعن
محمد بن سيرين كان فداؤهم مائة اوقية والاوقية اربعون درهما وروي انهم لما اخذوا الفداء نزلت الاية فدخل عمر على رسول الله صلعم فاذا
هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذ الفداء ولقد
عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي انه قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله
كان الاثخان في القتل احب الي واعلم ان الطاعنين في عصمة الانبياء تمسكوا في هذا المقام بوجوه الاول ما كان لنبي تصريح في النهي وقد حصل
الاسر بدليل قوله قُلْ لِمَنْ فِي اَيْدِيكُمْ مِنَ الْاَسْرٰى الثاني انهم امروا بالقتل يوم بدر في قوله فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْاَعْنَاقِ فكان الاسر معصية واجيب بان
قوله حتى يثخن يدل على ان الاسر كان مشروعا ولكن بشرط سبق الاثخان ولا شك ان الصحابة قتلوا يوم بدر خلقا عظيما فلعل العتاب انما
ترتب لان الاثخان امر غير مضبوط فظنوا ان ذلك القدر من القتل بلغ حد الاثخان فاخطؤا في الاجتهاد وكان قوله فاضربوا فوق الا
تكليفا مختصا بحالة الحرب فلم يتناول الاسر بعد انهزام الكفار الثالث قالوا الحكم باخذ الفداء معصية والا لم يتوجه الذم في قوله
تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا اي حطامها سمي بذلك لانه سريع الزوال كالعرض قسيم الجوهر وَاللّٰهُ يُرِيدُ الْاٰخِرَةَ اي ثوابها او ما هو سبب الجنة اي عرض الاخرة
وهو اعزاز الاسلام باشاعة القتل في اعدائه وقرا بجر الاخرة على التقابل وَاللّٰهُ عَزِيزٌ يغلب اولياءه على اعدائه ويقهرونهم ويلجئونهم
الى القتل والفداء بعد الاسر لكنه حَكِيمٌ لا يرخص في اخذ الفداء الا بعد افناء القتل في الاعداء والجواب ان كل ذلك محمول على ترك الاولى
وكذا الكلام في قوله لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللّٰهِ سَبَقَ اي لولا حكم من الله سبق اثباته في اللوح وهو انه لا يعاقب احد بخطاء في الاجتهاد لانهم نظروا
في ان استبقاءهم انما كان سببا في اسلامهم وتوبتهم وحصول اولادهم مسلمين وان فداءهم يتقوى به على الجهاد في سبيل الله وخفي عليهم ان قتلهم
اعز للاسلام واهيب لمن وراءهم قال ابن عباس هذا الحكم انما كان يوم بدر لان المسلمين كانوا قليلين فلما كثروا وقوي سلطانهم انزل الله بعد
ذلك في الاسارى حَتّٰى اِذَا اَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَاِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَاِمَّا فِدَاءً قال بعض العلماء هذا الكلام يوهم ان مقتضى الايتين مختلفا
وليس كذلك فان كلتيهما تدل على انه لا بد من تقديم الاثخان على الفداء وعن سعيد بن جبير لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللّٰهِ سَبَقَ بانه سيحل لكم الغنائم
وكان قريبا لو تم من التحليل يوجب تخفيف العقاب وقال محمد بن اسحق لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللّٰهِ سَبَقَ انه لا يعذب احدا الا بعد تاكيد الحجة
وتقديم النهي وحاصل هذا القول يرجع الى ترك الاولى وذلك ان الاولى وغير الاولى يشتركان في كونهما مباحين انما يعاتب على ترك
الاولى وغير الاولى يشتركان في كونهما مباحين وانما يعاتب على ترك الاولى لا على سبيل العقوبة بل على سبيل الحث على فعل الاولى وعن
بعضهم المراد حكم الله بانه لا يعذب من شهد بدرا واعترض بانه يلزم ان لا يكونوا مكلفين والجواب ان عدم العقاب على الذنب لا يوجب
عدم التكليف فلعل التكليف لاجل زيادة الثواب وقيل لولا كتاب سبق بالعفو عن هذه الواقعة لكان استحقاق مس العذاب حاصلا
وروي انهم امسكوا عن الغنائم وعن اخذ الفداء لانه من جملة الغنائم فنزلت فَكُلُوا والفاء للتسبيب ومعنى الاية قد ابحت لكم الغنائم فكلوا
حلالا نصب على الحال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وَاتَّقُوا اللّٰهَ فيما يستقبل فلا تقدموا على شيء لم تؤمروا به اِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ لما فرط
منكم من ترك الاولى رَحِيمٌ فمن ذلك رخص لكم فيما رخص من اخذ الفداء ثم قال لاستمالة قلوب الاسارى يَا اَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي اَيْدِيكُمْ
من الاسارى ان يعلم الله ان يظهر معلومه ان في قلوبكم خيرا وهو الايمان والعزم على طاعة الله وطاعة رسوله في جميع التكاليف والتوبة
عن الكفر وعن جميع المعاصي ويدخل فيه العزم على نصرة الرسول والتوبة عن محاربته يُؤْتِكُمْ في الدنيا خَيْرًا مِمَّا اُخِذَ مِنْكُمْ من المنافع العاجلة
وَيَغْفِرْ لَكُمْ في الاخرة او المراد بالخير ايضا الثواب وبالمغفرة ازالة العقاب ثم انا قد نعلم ان كل من خلص من الاسر وامن فقد اتاه الله الدنيا خيرا
لدلالة الاية على ذلك اجمالا او ذلك الخير ان كان دينيا فلا شك ان كلهم قد وجدوا ذلك لان قليل الدنيا مع الايمان اعظم من كثير الدنيا
مع الكفر وان كان دنيويا فتفصيل ذلك غير معلوم الا ما روي عن بعضهم كالعباس روي ان رسول الله صلعم قدم عليه مال البحرين ثمانون الفا
فتوضا لصلوة الظهر وما صلى حتى فرقه وامر العباس ان ياخذ منه فاخذ ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما اخذ مني وانا ارجو المغفرة
وقال ابن عباس نزلت الاية في العباس وعقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحرث وكان العباس اسيرا يوم بدر ومعه عشرون اوقية من
من الذهب اخرجها ليطعم الناس وكان احد العشرة الذين ضمنوا الطعام لاهل بدر فلم يبلغه النوبة حتى اسر فقال العباس كنت مسلما

الا انهم استكرهوني فقال ان يكن ما تذكر حقا فالله يجزيك فاما ظاهر امرك فقد كان علينا قال العباس و كلمت رسول الله صلى
الله عليه وآله ان يرد ذلك الذهب علي فقال اما شيء خرجت به تستعين به علينا فلا قال وكلفني الرسول فداء ابن اخي عقيل بن ابي
طالب عشرين اوقية وفداء نوفل بن الحرث فقال العباس تركتني يا محمد اتكفف قريشا فقال رسول الله فاين الذهب الذي دفعته
الى ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها لا ادري ما يصيبني في وجهي فان حدث في حدث فهو لك و لعبد الله و عبيد الله والفضل
فقال العباس و ما يدريك قال اخبرني ربي قال العباس فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده و رسوله والله لم يطلع عليه
احد الا الله و لقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في امرك فاما اذ اخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس فابدلني الله خيرا من
ذلك لي الان عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة
من ربي ثم قال وان يريدوا خيانتك اي نكث ما بايعوك عليه انه روي لما اطلقهم من الاسر عهد معهم ان لا يعودوا الى محاربته والى معاضدة
المشركين كما هو العادة فيمن يطلق من الحبس والاسر وقيل المراد من الخيانة منع ما ضمنوا من الفداء فقد خانوا الله من قبل في كفرهم بروح نقض
ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه فامكن اي المؤمنين منهم يوم بدر قتلا واسرا فذوقوا وبال امرهم فسيمكن المؤمنين منهم مرة اخرى ان اعادوا
الخيانة والله عليم باحوالهم حكيم فيجازيهم على حسب اعمالهم واعلم ان رسول الله انما ظهرت نبوته بمكة ودعا الناس هناك الى الدين ثم انتقل
منها الى المدينة فمن المؤمنين من وافقه في الهجرة وهم المهاجرون الاولون ومنهم من لم يوافقه في ذلك ومنهم من هاجر بعد هجرته فذكر في خاتمة
هذه السورة احكام هذه الاصناف واحوالهم مع ذكر انصاره بالمدينة ومع ذكر الكفار ايضا فقال ان الذين امنوا ويدخل فيه الايمان بالله
وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والانقياد لجميع التكاليف وهاجروا وفارقوا الاوطان وتركوا الاقارب والجيران في طلب مرضاة الله
وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اما المجاهدة بالاموال فلانهم اذا فارقوا الديار ضاعت مساكنهم ومزارعهم وضياعهم
وبقيت في ايدي الاعداء واحتاجوا الى الانفاق في تلك العزيمة والسفرة وفي الغزوات والمحاربات واما المجاهدة بالانفس فيكفي في وصف
ذلك انهم اقدموا على قتال اهل بدر من غير الة ولا عدة والاعداء في غاية الكثرة ونهاية الشدة وذلك يدل على انهم ازالوا اطماعهم عن الحيوة
وبذلوا ارواحهم في سبيل الله وكانوا اول الناس اقداما على هذه الافعال والتزاما لهذه الخصال ولهذه المسابقة اثر عظيم في تقوية الدين لا
يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وذلك ان غيرهم يقتدي بهم ويقوي
دواعيهم بما يرون منهم والمحن تخف على القلوب بالمشاركة ولان المهاجرين لهم سابقة قدم في الاسلام ذكر الله تعالى الانصار بعدهم
فقال والذين اووا ونصروا اي الذين انزلوا المهاجرين بهم وجعلوا لهم مأوى ونصروهم على اعدائهم اولئك بعضهم اولياء بعض
المتوجع عند من المفسرين كابن عباس وغيره على ان المراد بهذه الولاية الارث كان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة
دون القرابة حتى نسخ ذلك بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض واستبعد الامام فخر الدين الرازي هذا التفسير لانه يستلزم
النسخ واستلزام النسخ محذور منه ما امكن ولان لفظ الولاية يشعر بالقرب حيث دون يطلق الارث كقولهم السلطان ولي من لا ولي
له وقال سبحانه الا ان اولياء الله لا خوف عليهم فان المراد ان المهاجرين والانصار يعظم بعضهم بعضا وبينهم معاونة وتناصر وانهم يد
واحدة على الاعداء وان حب كل واحد لغيره جار مجرى حبه لنفسه اما قوله والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء فوجهت قراءة
حمزة بان تولي بعضهم بعضا شبه بالعمل والصناعة كالتجارة والقصارة كانه بتوليه صاحبه يزاول امرا ويباشر عملا قال المفسرون لا يجوز ان يكون
المراد بهذه الولاية النصرة والمعونة والا لم يصح عطف وان استنصروكم عليه لان الشيء لا يعطف على مثله فالمراد بها الارث كما مر واجيب بان
لو حملناها على التعظيم زال الاشكال وحصل التغاير لان اهل الايمان قد ينصر بعض الذمة في بعض الاحوال مع انهم لا يوالونهم بمعنى الاجلال
والتعظيم وكذا قد ينصر المرء عبده ولا تعظيم جعل الله تعالى حكم هؤلاء المؤمنين متوسطا بين الاولين وبين الكفرة من حيث انه نفى عنهم الولاية
قبل ان يهاجروا واثبت لهم النصرة عند الاستنصار الا على الكفار المعاهدين لانهم لا يبتدؤن بالقتال ثم قال والذين كفروا بعضهم اولياء
بعض ظاهره اثبات الموالاة بينهم والغرض نهي المسلمين عن موالاتهم وان كانوا اقارب وان يتركوا يتوارث بعضهم بعضا وفيه ان المشركين واليهود
والنصارى لما اشتركوا في عداوة محمد صارت هذه الجهة موجبة لاتصال بعضهم الى بعض وقرب بعضهم من بعض وان كان واحد منهم في
نهاية الانكار لصاحبه وذلك من ادل الدلائل ان تلك العداوة ليست لاجل الدين ولكنها محض الحسد والعناد ومن جعل الولاية في هذه
الايات بمعنى الارث استدل بذلك على ان الكفار في التوارث على اختلاف مللهم كاهل ملة واحدة فالمجوسي يرث الوثني والنصراني يرث المجوسي
واليهودي يرث النصراني وبالعكس ثم قال الا تفعلوه اي ما امرتكم به من موالاة المسلمين المهاجرين ومن عدم موالاة غير المهاجرين الا في
حالة الاستنصار ومن عدم موالاة الكفرة اصلا تكن فتنة اي تحصل مفاسد عظيمة في الارض من تفرق الكلمة واختلاط المؤمن بالكافر و
وقوع الهرج والمرج ثم كرر تعظيما لشأن المؤمنين واثناء عليهم قوله والذين امنوا وهاجروا الاية فوصفهم بانهم هم المؤمنون حقا و لهم مغفرة
ورزق كريم وقد تقدم تفسير مثله في اول السورة والحاصل ان هذه السعادات العالية انما حصلت لهم لانهم اعرضوا عن اللذات الجسمانية

فتركوا الاهل والوطن وبذلوا النفس والمال وفيه تنبيه على انه لا طريق الى تحصيل السعادات الا بالاعراض عن هذه الجسمانيات ثم وصف
اللاحقين بالهجرة بعد السابقين اليها فقال والذين امنوا من بعد نقل الواحدي عن ابن عباس ان المراد بعد الحديبية وهي الهجرة الثانية
وقيل بعد نزول الاية وقيل بعد يوم بدر والاصح ان المراد والذين هاجروا بعد الهجرة الاولى فاولئك منكم الحقهم بالاولين تشريفا
للاخرين وتعظيما لشان ولولا كون القسم الاول اشرف لما صح هذا الالحاق ثم ختم الكلام بقوله واولوا الارحام اي ذووا القرابات بعضهم اولى
ببعض اي احق بهم واجدر في كتاب الله اي في حكمه وقسمته او في اللوح او في القران وهو اية المواريث وهذه الاية ناسخة للتوارث بالهجرة
والنصرة اما الذين فسروا تلك الولاية بالنصرة والمحبة والتعظيم فانهم قالوا لما كانت تلك الولاية مخالفة للولاية بسبب الميراث بين الله تعالى
في هذه الاية ان ولاية الارث انما تحصل بسبب القرابة فيكون المقصود من هذا الكلام ازالة ذلك الوهم اعني ازالة توهم من يجعل الولاية هناك
بمعنى الارث وقد تمسك اصحاب ابي حنيفة بهذه الاية في توريث ذوي الارحام وهم ذووا قرابة ليست بسبب فرض ولا عصوبة او كل قريب خرج
عن اصحاب الفروض والعصبات وانهم عشرة اصناف الجد ابو الام وكل جد وجدة ساقطين واولاد البنات وبنات الاخوة واولاد الاخوات وبنو الاخوة للام
وبنات الاعمام والعمات والاخوال والخالات والخلاف في انه اذا لم يوجد ذو فرض وعصبة فهل يورث ذووا الارحام او يوضع المال في بيت
المال فقدمهم ابو حنيفة على بيت المال للاية وعكس الشافعي قال ان الاية مجملة في الشيء الذي حصلت فيه هذه الاولوية فلما قال في كتاب الله
كان معناه في الحكم الذي بينه الله في كتابه فصارت هذه الاولوية مقيدة باحكام اية المواريث فلا يبقى حجة في توريث ذوي الارحام و
اعلم انه سبحانه قال في اول الايات وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله وفي براءة تقديم في سبيل الله لان في هذه السورة تقدم
ذكر المال والفداء والغنيمة في قوله تريدون عرض الدنيا وفي قوله لمسكم فيما اخذتم اي من الفداء وفي قوله فكلوا مما غنمتم وفي براءة
تقدم ذكر الجهاد في سبيل الله وهو قوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وفي قوله لمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله
ثم الحذف من الاية الثانية باموالهم وانفسهم اكتفاء بما في الايتين قبلها والله اعلم ثم ختم السورة بقوله ان الله بكل شيء عليم والمراد
ان هذه الاحكام التي ذكرتها وفصلتها كلها حكمة وصواب وصلاح وليس فيها عيب وعبث لان العالم بجميع المعلومات لا يحكم الا بالصواب
نظيره ان الملائكة لما قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها قال مجيبا لهم اني اعلم ما لا تعلمون التاويل ما كان لنبي الروح ان يكون له نفس ما
سورة وقوى موجهة الى تدبير امور المعاش والدعوة الى الله وان كان تصرفا بالحق حتى يثخن في ارض البشرية بقتل القوى والنفوس المطبعة
بسيف الرياضة والمجاهدة ولهذا كان رسول الله قبل الوحي يتحنث في غار حراء تريدون عرض الدنيا فيه اشارة الى ان الانسان اذا وكل
الى نفسه وطبعه يكون مائلا الى الدنيا راغبا فيها والله يريد الاخرة منكم اي ليس الانسان من سجيته وطبعه ان يميل الى الاخرة انما هو بتوفيق
الله وبعنايته الازلية ولولا كتاب من الله سبق بان الانسان لا يكون مجذوبا نحو عالم الارواح بالكلية وانما يكون متوسطا بين العالمين
مراعيا للطرفين لمسكم فيما اخذتم من وراء النفس الما سورة وهو التفاتها الى تدبير البدن عذاب عظيم هو عذاب القطيعة والبعد عن
عالم النور فكلوا مما غنمتم من اوقات الجهاد الاكبر من الانوار والاسرار عند رفع الاستار حلالا طيبا نفوسكم عن لوث محبتها فكل ما يشغل
المرء عن الالتفات الى الله فهو شرك وصنم واتقوا الله عما سواه ان الله غفور يستر بانوار وجوده ظلمات وجودكم رحيم بكم حيث يغنيكم عنكم
ويبقيكم به يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من النفوس الماسورة التي اسرت في الجهاد الاكبر عند استيلاء سلطان الدال عليها ان يعلم الله في قلوبكم خيرا
من الاطمينان الى ذكر الله والانقياد لاحكامه يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من اللذات الفانية واسبابها وذلك هو البقاء الحقيقي واللذة السرمدي
وان يريدوا خيانتك يعني الميل الى ما جبلت النفوس عليه من طموح الى زخارف الدنيوية فقد خانوا الله من قبل التجاوز عن حدود الشريعة و
رسوم الطريقة فامكن منهم عند استيلاء الذكر عليها وقتلها بسيف الرياضة والله عليم باحوالها حكيم فيما دبر من امر جهادها وتزكيتها ان الذين
اووا ذكر الله ومحبته في القلوب ونصروا المحبة بالذكر الدائم والطلب القائم اولئك بعضهم اولياء بعض في المرافقة والموافقة في الطلب والسير الى
الله والذين امنوا بان الطلب حق ولم يهاجروا عن اوصافهم وافعالهم ووجودهم المجازي وان استنصروكم تمسكوا باذيال ارادة الواصلين منكم
فعليكم النصر بان تدلوهم على طريق الحق بمعاملتكم وسيركم ليقتدوا بكم وباحوالكم الا على قوم اي الا على بعض احوالكم مما صالحتم عليه نفوسكم
بعد ما جاهدتموها واسرتموها وامنتم شرها فلا تدلوا الطلاب على هذه الاحوال لئلا يميلوا الى الصلح في اوان الجهاد فاولئك منكم يشير الى ان
المتاخرين اذا دخلوا في زمرة المتقدمين الواصلين فهم منهم وانهم ذووا رحم الوصول لانه ليس عند الله صباح ولا مساء ولهذا قال امتي كالمطر لا يدرى
اوله خير ام اخرهم سورة التوبة مائة و تسع و ثلاثون اية مدنية حروفها ... كلماتها ... مائة تسع واياتها عشرون
براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض اربعة اشهر واعلموا انكم غير
معجزي الله وان الله مخزي الكافرين واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله بريء من المشركين و

السابقين

بلغ الاية ... في سبيل الله ...

رسوله فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا انكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم الا
وپيغمبرش پس اگر توبه كنيد پس آن بهتر است شما را واگر برگشتيد پس بدانيد كه شما عاجز كننده نيستيد خدا را ومژده ده آنها را كه كافر شدند بعذاب دردناك مگر آنها
الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان
كه عهد بستيد شما از مشركان پس نشكستند شما را چيزى وهم پشتى نكردند بر شما احدى را پس تمام كنيد بايشان عهد ايشان را تا مدت ايشان بدرستى كه
الله يحب المتقين فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد
خدا دوست دارد پرهيزگاران را پس چون تمام درآيد ماههاى حرام پس بكشيد مشركان را هر جا كه يافتيد ايشان را ومحاصره كنيد ايشان را وبنشينيد براى ايشان هر راه
فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم وان احد من المشركين استجارك
پس اگر توبه كردند وبرپاى داشتند نماز را وادا كردند زكوة را پس رها كنيد راه ايشان را بدرستى كه خدا آمرزنده مهربان است واگر يكى از مشركان پناه آرد بتو
ع فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مامنه ذلك بانهم قوم لا يعلمون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند
پس پناه ده او را تا بشنود كلام خدا را پس برسان او را بجاى امن او اين باعث است كه ايشان گروهى اند كه نمى دانند چگونه باشد براى مشركان عهدى در نزد خدا ونزد
رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين كيف
پيغمبرش مگر آنها كه عهد نموديد در نزد مسجد الحرام پس هرچه استاده بودند براى شما پس بايستيد براى ايشان بدرستى كه خدا دوست دارد پرهيزگاران را چگونه
وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يرضونكم بافواههم وتابى قلوبهم واكثرهم فاسقون اشتروا
واگر غالب آيند بر شما نگاه ندارند در شما خويشى ونه زنهارى خوشنود كنند شما را بزبانهاى خود وقبول نكند دلهاى ايشان وبيشتر ايشان تباه كاران اند خريدند
بايات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة واولئك
بآيات خدا بهاى كم را پس بازداشتند از راه خدا بدرستى كه ايشان بد است آنچه بودند ميكردند كه نگاه ندارند در حق مومنى خويشى ونه زنهارى وآن گروه
هم المعتدون فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم في الدين ونفصل الايات لقوم
ايشانند از حد گذشتگان پس اگر توبه كردند وبرپاى داشتند نماز را ودادند زكوة را پس برادران شما يند در دين ووا ضح كنيم آيات را براى گروهى
يعلمون وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم
كه ميدانند واگر شكستند سوگندهاى شان را پس از ميثاق شان وطعنه زدند در دين شما پس كارزار كنيد با پيشوايان كافران بدرستى كه ايشان را پيمانى نيست
لعلهم ينتهون الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدءوكم اول مرة اتخشونهم
شايد كه ايشان باز مانند آگاه باش كه كارزار نميكنيد گروهى را كه شكستند سوگندهاى خود را وقصد كردند بيرون كردن پيغمبر را وايشان ابتدا كردند شما را اول مرتبه آيا ميترسيد ازيشان
فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف
پس خدا سزاوارتر است كه بترسيد او را اگر باشيد گروندگان كارزار كنيد با ايشان تا عذاب كند ايشان را خدا بدست شما ورسوا گرداند ايشان را ويارى كند شما را بر ايشان وشفا دهد
صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم ام حسبتم ان تتركوا ولما
سينهاى گروه مومنان را وببرد خشم دلهاى ايشان را وتوبه پذيرد خدا بر آنكه خواهد وخدا داناى محكم كار است آيا پنداشتيد كه واگذاشته شويد وهنوز
يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون
ندانسته خدا آنها را كه جهاد كردند از شما ونگرفتند از سواى خدا ونه پيغمبراو ونه مومنان دوستى وخدا مطلع است بآنچه ميكنيد

القراءة ورسوله بالنصب روح وزيد الباقون بالرفع ائمة بهمزتين عاصم وحمزة وعلى وخلف ابن عامر هشام يدخل بينهما مدة الباقون ايمة بهمزة ثم ياء
لا ايمان بكسر الهمزة ابن عامر الباقون بالفتح جمع يمين يعملون بياء الغيبة عباس مخير الوقوف من المشركين ط معجزي الله لا للعطف الكافرين من
المشركين لا للعطف ورسوله ط حين لكم ج لابتداء الشرط مع الواو معجزي الله ط اليم لا للاستثناء مدتهم ط المتقين مرصد ج سبيلهم ط رحيم مامنه ط
لا يعلمون المسجد الحرام ج لان ما للجزاء مع اتصالها بالفاء فاستقيموا لهم ط المتقين ولا ذمة ط قلوبهم ج فاسقون ج لان ما بعده يصلح وصفا واستينافا
يعلمون ولا ذمة ط المعتدون في الدين ط يعلمون ائمة الكفر لا للتعلق لهم بقوله فقاتلوا وما بينهما اعتراض ينتهون اول مرة ط اتخشونهم لان ما
بعده مبتدا مع الفاء مؤمنين مؤمنين لا للعطف قلوبهم ط من يشاء ط حكيم وليجة ط تعملون التفسير قد عد في الكشاف من اسماء هذه السورة
براءة وذلك واضح والتوبة لان فيها ذكر التوبة على المؤمنين والمقشقشة لانها تقشقش من النفاق اى تبرئ منه والمبعثرة والمثيرة والحافرة والفاضحة
والمنكلة والمشردة والمخزية والمدمدمة لانها تبعثر عن اسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشرد بهم وتخزيهم و
تدمدم عليهم وعن حذيفة انكم تسمونها سورة التوبة وانما هي سورة العذاب والله ما تركت احدا الا نالت منه وعن ابن عباس ما زالت تقول
ومنهم حتى حسبنا ان لا تدع وللعلماء خلاف في سبب اسقاط التسمية من اولها فعن ابن عباس قال قلت لعثمان بن عفان في ذلك
فقال كان النبي صلعم كلما نزلت عليه سورة يقول ضعوها في موضع كذا وكان براءة من آخر القرآن نزولا وتوفي رسول الله صلعم ولم يبين موضعها

وكانت قصتها شبيهة بقصتها فقرنت بينهما وكانه اراد بالمشابهة ما روي عن ابي بن كعب في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود
فوضعت احديهما بجنب الاخرى واستبعد جمع من العلماء هذا القول لانا لو جوزنا في بعض السور ان لا يكون ترتيبها من الله على سبيل الوحي
لجوزنا مثله في ساير السور وفي ايات السورة الواحدة وذلك يفضي الى تجويز الزيادة والنقصان في القرآن على ما يقوله الامامية و
قال بعض العلماء ان الصحابة اختلفوا ان الانفال مع التوبة سورتان ام سورة واحدة لانهما ما تتان وست ايات فهما بمنزلة احدى الطوال
وكلتاهما وردت في القتال والمغازي فلما كان هذا الاختلاف فرجوا بينهما فرجة تنبيها على قول من يقول انهما سورتان ولم يكتب البسملة بينهما
على قول من يرى انهما واحدة فعملوا عملا يدل على ان هذا الاشتباه حاصل وفيه انهم لم يتسامحوا بهذا القدر من الشبهة دل على انهم كانوا متشددين
في ضبط الدين وحفظ القرآن عن التغيير والتحريف وذلك يبطل قول الامامية وفيه دليل على ان البسملة اية من كل سورة والا لجاز ان كتبها
ههنا بل عند كل مقطع كلام وعن ابن عباس سألت علي بن ابي طالب ع عن ذلك فقال لان بسم الله الرحمن الرحيم امان وهذه السورة نزلت بالسيف
ونبذ العهود وذكر سفيان بن عيينة هذا المعنى واكده بقوله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا فقيل له اليس ان النبي صلعم كتب الى اهل الحرب
بسم الله الرحمن الرحيم فاجاب بان ذلك ابتداء منه يدعوهم الى الله ولم ينبذ اليهم عهدهم ولهذا قال في آخر الكتاب والسلام على من اتبع الهدى
ومما يؤكد شبهة من زعم انهما سورة واحدة ان ختم الانفال وقع بايجاب ان يوالي المؤمنون بعضهم بعضا وان يكونوا منقطعين عن الكفار
بالكلية وقوله براءة من الله ورسوله تاكيد لذلك الكلام وتقرير له ومعنى البراءة انقطاع العصمة وهي خبر مبتدا محذوف ومن لابتداء
الغاية متعلق بمحذوف والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان الى فلان ويجوز ان يكون
براءة مبتدا لتخصصها بصفتها وهي الجار والمجرور كما قلنا والخبر محذوف كما ذكرنا نظيره قولك رجل من بني تميم في الدار كان قد اذن الله في
معاهدة المشركين فاتفق المسلمون مع رسول الله صلعم وعاهدوهم فلما نقضوا العهد اوجب الله النبذ اليهم وكانه قيل للمسلمين اعلموا ان
الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وروي انهم كانوا عاهدوا المشركين من اهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا
الا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين وامروا ان يسيحوا في الارض اربعة اشهر امنين ان شاؤا واراد الاشهر الحرم لقوله
فاذا انسلخ الاشهر الحرم والسياحة الضرب في الارض والاتساع في السير والبعد عن المدن وموضع العمارة مع الاقلال من الطعام والشراب و
منه قيل للصائم سائح لتركه المطعم والمشرب والمعنى في هذا الامر اباحة الذهاب مع الامان وازالة الخوف روي ان فتح مكة كان سنة ثمان من
الهجرة وكان رسول الله صلعم قد ولى عتاب بن اسيد الوقوف بالناس في الموسم فاجتمع في تلك السنة في المواقف معالم الحج المسلمون والمشركون
ونزلت هذه السورة سنة تسع وكان قد امر فيها ابا بكر على الموسم فلما نزلت السورة امر عليا ان يركب العضباء ليقرأها على اهل الموسم فقيل
له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلعم فلما لحقه قال
امير او مامور وروي ان ابا بكر لما كان ببعض الطريق هبط جبرئيل ع فقال يا محمد لا يبلغن رسالتك الا رجل منك فارسل عليا فرجع ابو بكر الى رسول
الله صلعم فقال يا رسول الله اشيء نزل من السماء قال نعم فسر وانت على الموسم وعلي ينادي بالاي فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم
وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلثين او اربعين اية وعن مجاهد ثلث عشرة
ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل البيت الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي
عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن الرماح وضرب بالسيوف
استدلت الامامية بهذه القصة على تفضيل علي ع كرم الله وجهه وعلى تقدمه واجاب اهل السنة بانه امر ابا بكر على الموسم وبعث عليا خلفه
لتبليغ هذه الرسالة حتى يصلي خلف ابي بكر ويكون ذلك جاريا مجرى التنبيه على امامة ابي بكر واما قوله لا يبلغ عني الا رجل مني فذلك لان
المتعارف بين العرب انه اذا عقد السيد الكبير منهم لقوم حلفا او عاهد عهدا لم يحل ذلك العهد الا هو او رجل من ذوي قرابته كاخ او عم
فلو تولاه ابو بكر لجاز ان يقولوا خلاف هذا ما نعرف فينا نقض العهد فان يلت عليهم بتوليته ذلك عليا وقيل لما خص ابا بكر بتولية
امر الموسم خص عليا بهذا التبليغ تطييبا للقلوب ورعاية للجوانب ولنرجع الى التفسير قال ابن الانباري في الكلام اضمار والتقدير فقل لهم
سيحوا ويكون ذلك رجوعا من الغيبة الى الحضور كقوله وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء واختلفوا في الاشهر الاربعة عن الزهري
ان براءة نزلت في شوال والمراد في شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من
ربيع الاخر وكانت حرما لانهم اومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم او سميت حرما على التغليب لان ذا الحجة والمحرم منها وقيل ابتداء المدة من عشر ذي
القعدة الى عشر من ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسيء الذي كان فيهم ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة قال
المفسرون هذا تاجيل من الله للمشركين فمن كانت مدة عهده اكثر من اربعة اشهر حطت الى اربعة ومن كانت مدته اقل رفعت اليها والمقصود
من هذا التاجيل ان يتفكروا في انفسهم ويحتاطوا في الامر ويعلموا انه ليس لهم بعد هذه المدة الا احد امور ثلثة الاسلام او قبول الاسلام

او قبول الجزية او السيف فيصير ذلك حاملا لهم على قبول الاسلام ظاهرا والى هذا المعنى اشار بقوله واعلموا ان هذا الامهال ليس لعجز ولكن
لمصلحة ولطف ليتوب من تاب فيه ضرب من التهديد كانه قيل افعلوا في هذه المدة كل ما امكنكم من اعداد الالات والادوات فانكم لا تفوتون
الله وهو مخزيكم اي مذلكم في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالعذاب وقوله مخزي الكافرين من باب الالتفات من الحضور الى الغيبة ومن وضع
الظاهر موضع المضمر ليكون فيه اشارة الى ان سبب الاخزاء هو الكفر ثم اراد ان يعلم جميع الناس البراءة المذكورة فقال واذان وارتفاعه ك
كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها وخطأ الزجاج في قوله انه معطوف على براءة لانه لو عطف عليها لكان هو ايضا مخبرا عنه بالخبر
الاول وهو الى الذين عاهدتم لكنه غير مقصود بل المقصود الاخبار عنه بقوله الى الناس والاذان اسم بمعنى الايذان الاعلام كالامان والعطا
بمعنى الايمان والاعطاء ومنه اذان الصلوة امر الله تعالى بهذا الاعلام يوم الحج الاكبر وهو الجمع الاعظم الذي يحضر فيه المؤمن والمشرك والمعاهد
الناكث وغير الناكث ليصل الخبر الى جميع الاطراف ويشتهر وكان النبي صلعم يريد ان يحج في السنة الاتية فامر باظهار هذه البراءة لئلا يحضر الموقف
غير المؤمنين الموحدين وقيل يوم الحج الاكبر يوم عرفة لان فيه اعظم اعمال الحج وهو الوقوف بعرفة ولهذا قال صلعم الحج عرفة وهو قول عمر وسعيد
ابن المسيب وابن الزبير وعطاء وطاوس ومجاهد واحدى الروايتين عن علي عم وابن عباس ورواية المسور بن مخرمة عن رسول الله صلعم انه
قال خطب رسول الله صلعم عشية عرفة فقال اما بعد فان هذا يوم الحج الاكبر وقال ابن عباس في رواية عطاء هو يوم النحر ووافقه قول الشعبي والسدي
والمغيرة بن شعبة وسعيد بن جبير وذلك ان معظم افعال الحج من الطواف والحلق والرمي والنحر يقع فيه ومثله ما روي عن علي عم ان رجلا اخذ
بلجام دابته فقال ما يوم الحج الاكبر فقال يومك هذا خل عن دابتي يعني يوم النحر وعن ابن عمر ان رسول الله صلعم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة
الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقال ابن جريج عن مجاهد يوم الحج الاكبر ايام منى كلها وهو قول سفيان الثوري وكان يقول يوم الحج الاكبر ايام
كلها كيوم صفين ويوم الجمل يراد به الحين والزمان لان كل حرب من هذه الحروب دام اياما كثيرة وعلى هذا فقد وصف الحج بالاكبر
لان العمرة تسمى الحج الاصغر وقيل الحج الاكبر القران والاصغر الافراد عن مجاهد ايضا هذا وقد حذفت الباء التي هي صلة الاذان تخفيفا و
التقدير بان الله بريء من المشركين وقوله ورسوله بالرفع مبتدأ محذوف الخبر اي ورسوله ايضا كذلك او هو معطوف على المنوي في بريء
اي بريء هو ورسوله وجاز العطف من غير تاكيد بالمنفصل للفصل وقرئ بالجر على الجوار او على ان الواو للقسم كقوله سبحانه لعمرك انهم
لفي سكرتهم يعمهون والفرق بين قوله براءة من الله وبين قوله ان الله بريء ان المقصود من الكلام الاول هو الاخبار بثبوت البراءة
من العهد وبالثاني البراءة التي هي نقيض الموالاة ولهذا لم يصف المشركين ثانيا بوصف معين كالمعاهدة تنبيها على ان الموجب لهذه البراءة
هو كفرهم وشركهم ولهذا اتبعه قوله فان تبتم اي عن الشرك فهو خير لكم وفيه ترغيب في التوبة والاقلاع الموجب لزوال البراءة وان توليتم
اعرضتم عن التوبة او بقيتم على التولي والاعراض عن الايمان والوفاء فاعلموا انكم غير فائتين اخذ الله وعقابه قال بعض العلماء قوله سبحانه
واعلموا انكم غير معجزي الله ليس بتكرار لان الاول للمكان والثاني للزمان وبشر يا محمد او يا من له اهلية الخطاب وفيه من التهكم والتهديد
ما فيه كيلا يظن ان عذاب الدنيا لو فات وزال فقد خلصوا من العذاب بل العذاب الشديد معد لهم يوم القيمة اما قوله الا الذين فقد قال
الزجاج ان الاستثناء يعود الى قوله براءة والتقدير براءة من الله ورسوله الى المشركين المعاهدين الا الذين لم ينقضوا العهد وقال
في الكشاف وجهه ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين والتقدير فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم
ثم لم ينقصوا فاتموا اليهم عهدهم وقيل استثناء من قوله الا الذين عاهدتم ومعنى لم ينقصوكم شيئا لم ينقضوا عهدكم ومعنى فاتموا
اليهم ادوه اليهم تاما كاملا قال ابن عباس بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم ثم ختم الاية بقوله ان الله يحب المتقين
يعني ان قضية التقوى ان لا يسوى بين القبيلتين ولا يجعل الوفي كالغادر ومن جملة الغادرين بنو بكر عدوا على خزاعة عيبة رسول الله صلعم
من قوله الانصار كرشي وعيبتي اراد انهم بطانتي وموضع سري وامانتي وظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله صلعم
فانشد لاهم اني ناشد محمدا ان قريشا اخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا هم بيتونا بالحطيم هجدا وقتلونا ركعا وسجدا حلف
ابينا وابيه الاتلدا فقال صلعم لا نصرت ان لم انصركم ومعنى ناشد محمدا اذكر له الحلف والعهد لانه كان بين عبد المطلب وبين
خزاعة حلف قديم والاتلد الاقدم ثم بين حكم انقضاء اجل الناكثين فقال فاذا انسلخ الاشهر الحرم اي التي ابيح فيها للناكثين ان يسيحوا
وانسلاخ الشهر تكامله جزءا فجزءا الى ان ينقضي كانسلاخ الجلد عما يحويه شبه خروج المتزمن عن زمانه بانفصال المتمكن عن مكانه فكلاهما
ظرف فاقتلوا المشركين يعني الناقضين حيث وجدتموهم من حل او حرم وفي اي وقت كان وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم امنعوهم
من التصرف في البلاد وقيدوهم وقال ابن عباس حصرهم ان يحال بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد اي في كل ممر ومجتاز
ترقبوهم هنالك وانتصابه على الظرف كما مر في قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة ان حصلوا على
شرطها فخلوا سبيلهم المراد من التخلية الكف عنهم او اطلاقهم من الاسر والحصر عن البيت الحرام او عن التصرف في مهماتهم ان الله غفور
رحيم يغفر لهم ما سلف لهم من الكفر والغدر وقال ... تعالى ابيح دماء الكفار بجميع الطرق والاحوال ثم حرمها عند التوبة عن الكفر و

واقامة الصلوة وايتاء الزكوة فما لم يوجد احد هذه الامور ولم يوجد هذا المجموع فوجب ان يبقى اباحة الدم على الاصل فتارك الصلوة يقتل
ولعل ابا بكر استدل بمثل ذلك على جواز قتال مانعي الزكوة وحمل اكثر الائمة الاقامة والايتاء ههنا على اعتقاد وجوبهما والاقرار به لله وان
كان عدولا عن الظاهر عن الحسن ان اسيرا نادى بحيث يسمع النبي صلعم اتوب الى الله ولا اتوب الى محمد ثلثا فقال صلعم عرف الحق لاهله فارسلوه
قال بعض العلماء ذكر التوبة ههنا عبارة عن تطهير القوة النظرية عن الجهل وذكر الصلوة والزكوة عبارة عن تطهير القوة العملية عما لا ينبغي ولا ريب
ان كمال السعادة منوط بهذا المعنى جعلنا الله من اهلها لما اوجب الله سبحانه بعد انسلاخ الاشهر الحرم قتل المشركين دل ذلك على ان حجة الله تعالى
قد قامت عليهم وان ما ذكره الرسول قبل ذلك من انواع الدلائل والبينات كفى في ازاحة عللهم فبقي ذلك ان احدا من المشركين لو طلب الدليل و
الحجة لم يلتفت اليه بل يطالب اما بالاسلام او بالجزية او بالقتل فازال الله تعالى بكمال رأفته هذه الشبهة فقال وان احد من المشركين استجارك الاية
قال علماء العربية ارتفع احد بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وان استجارك احد استجارك وهو الجمع بين المفسر والمفسر وفائدته تقرير الغرض بالكلام
على الابهام ثم التفسير من حيث انه من مظان وقوع الفعل بعده وايضا ذكر الفاعل ههنا اهم لما بينا ان ظاهر الدليل يقتضي اباحة دم المشرك
فقدم ليدل على مزيد العناية بصون دمه عن الاهدار ومعنى استجار فلانا اي طلب منه ان يكون جارا له محاميا وحافظا من ان يظلمه ظالم ومنه
يقال اجاره الله من العذاب اي انقذه والمعنى وان جاءك احد من المشركين بعد انسلاخ الاشهر بلا عهد ولا ميثاق فاستامنك ليسمع ما تدعوا
اليه من التوحيد والقرآن فامنه حتى يسمع كلام الله سماع تدبر وتامل ثم ابلغه داره التي يامن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت وفيه ان المقصود
من شرع القتل قبول الدين والاقرار بالتوحيد وان النظر في دين الله من اعلى المقامات فان الكافر الذي هو مهدر الدم لما اظهر من نفسه
كونه طالبا للنظر والاستدلال زال ذلك الاهدار ووجب على الرسول ان يبلغه مأمنه اما زمان مهلة النظر فليس في الاية ما يدل على ذلك
ولعله مفوض الى اجتهاد الامام فمتى ظهر على المشرك علامات كونه طالبا للحق باحثا عن وجه الاستدلال امهل وترك ومتى ظهر عليه كونه معرضا
عن الحق دافعا للزمان بالاكاذيب لم يلتفت اليه وابلغه الى مأمنه من وقته ويشبه ان يقدر المدة باربعة اشهر وهو الصحيح من مذهب الشافعي والمذكور في الاية
كونه طالبا لسماع القرآن الا انه الحق به كونه طالبا لسماع الدلائل وجواب الشبهات لانه تعالى علل وجوب الاجارة بكونه غير عالم حيث قال
في اخر الاية ذلك بانهم قوم لا يعلمون فكل من حصلت فيه هذه العلة وجبت اجارته وفي سماع كلام الله وجوه قيل اراد جميع القرآن لان تمام
الدلائل والبينات فيه وقيل اراد سماع سورة براءة لانها مشتملة على كيفية المعاملة مع المشركين والاولى حمله على كل الدلائل وانما خص القرآن
بالذكر لانه الكتاب الحاوي لمعظم جميع الدلائل واعلم ان الامان قد يكون عاما يتعلق باهل اقليم او بلدة او ناحية وهو عقد المهادنة ويختص
بالامام وقد مر في تفسير قوله نعم وان جنحوا للسلم فاجنح لها وقد يكون خاصا يتعلق باحاد الكفار وهذا يصح من الولاة ومن احاد المسلمين
ايضا وهذا مقصود الاية وانه ثابت غير منسوخ روي عن سعيد بن جبير ان رجلا من المشركين جاء الى علي عم فقال ان اراد الرجل منا
ان ياتي محمدا بعد انقضاء هذا الاجل يسمع كلام الله او ياتيه لحاجة قتل قال لا واستدل بالاية وعن السدي هو منسوخ بقوله فاقتلوا
المشركين وشرط الامان الاسلام والتكليف فيصح من العبد والمرأة والفاسق دون الصبي ثم قال يسعى بذمتهم ادناهم وعن ام هاني قالت اجرت رجلين
من احمائي فقال صلعم امنا من امنت ويعتبر مع الاسلام والتكليف الاختيار فلا يصح امان المكره على عقد الامان وينعقد الامان بكل لفظ مفهم
للغرض صريحا كقوله اجرتك او لا تخف او كناية كقوله انت على ما تحب او كن كيف شئت ومثله الكتابة والرسالة والاشارة المفهمة روي عن عمر
انه قال والذي نفسي بيده لو ان احدكم اشار باصبعه الى مشرك فنزل على ذلك ثم قتله لقتلته هذا اذا دخل الكافر بلادنا بلا سبب اما اذا
دخل لسفارة فلا يتعرض له وكذا اذا دخل لسماع الدلائل وقصد التجارة لا يفيد الامان الا اذا رأى الامام مصلحة في دخول التجار وحكم
الامان اذا انعقد عصمة المؤمن من القتل والسبي فان قتله قاتل ضمن بما يضمن به الذمي ولا يتعدى الامان الى ما خلفه في دار الحرب
من اهل ومال واما الذي معه فيهما فان وقع التعرض له لامانه اتبع الشرط والا فالارجح ان لا يتعدى الامان الى ذلك وقد بقي في الاية مسئلة اصولية
هي ان المعتزلة استدلوا بالاية على ان كلام الله تعالى هو هذه الحروف المسموعة ويتبع ذلك ان يكون كلامه محدثا لان دخول هذه
الحروف في الوجود على التعاقب واجيب بان هذه المسموعة فعل الانسان وليست هي التي خلقها الله تعالى اولا عندكم ونعلم ان هذا المسموع
ليس كلامه بالاتفاق فيجب ارتكاب التجوز البتة ونحن نحمله على انها هي الدالة على الكلام النفسي فلهذا اطلق عليها انها كلام الله كما ان الجبائي قال ان كلام
الله شيء مغاير لهذه الحروف والاصوات وهو باق مع قراءة كل قاري وزعم بعض الناس حين راوا انه تعالى جعل كلامه مسموعا ان هذه الحروف
والاصوات قديمة لئلا يلزم قدم كلامه تعالى وفيه ما فيه ثم اكد المعاني المذكورة من اول السورة الى ههنا فقال على سبيل الاستنكار والاستبعاد
كيف يكون للمشركين عهد المرفوع اسم كان وفي خبره ثلثة اوجه الاول كيف وقدم للاستفهام الثاني للمشركين وعند على هذين ظرف للعهد
او ليكون او للجار وهو وصف للعهد الثالث الخبر عند الله وللمشركين تبيين او متعلق بيكون وكيف حال من العهد يعني محال ان يثبت لهؤلاء
عهد وهم اضداد لكم يضمرون الغدر في كل عهد فلا تطمعوا في الوفاء منهم ولا تفكروا في قتلهم ثم استثنى منهم المعاهدين عند المسجد الحرام
الذين لم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة ثم بين حكمهم فقال فما استقاموا لكم في ما وجهان احدهما ان يكون زمانية وهي المصدرية

على التحقيق اى استقيموا لهم مدة استقامتهم لكم الثانى شرطية اى ان استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ
فيه اشارة الى ان الوفاء بالعهد والاستقامة عليه من اعمال المتقين ثم كرر الاستبعاد فقال كيف وحذف الفعل لكونه معلوما اى كيف
يكون لهم عهد وحالهم انهم ان يظهروا عليكم اى يغلبوكم ويظفروا بكم وذلك ان الغلبة من الكمال عند الشخص وكل من تصورها فى نفسه كمالا
فانه يريد ان يظهر ذلك لغيره فاطلق الظهور على الغلبة لكونه من لوازمها لا يرقبوا لا يراعوا فيكم ولا ينظروا بكم إِلًّا وَلَا ذِمَّةً قال فى الصحاح الال
العهد والقرابة ووجه ذلك فى الكشاف بان اشتقاقه من الال وهو الجوار والانين لانهم اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وسميت به القرابة
لانها تعقد بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق وفى الصحاح ايضا ان الال بالكسر من اسماء الله عز وجل وفى الكشاف نه قرئ ايلا بمعناه وقيل
جبرئيل وجبرال من ذلك وقيل منه اشتق الال بمعنى القرابة كما اشتقت الرحم من الرحمن قال الزجاج الال عندى على ما يوجبه اللغة يدور على معنى الحدة
من ذلك الالة للحربة واذن موالة محددة ومعنى العهد والقرابة غير خارج من ذلك والذمة العهد وجمعها ذمم وذمام وهو كل امر لزمك وكان
بحيث لو ضيعته لزمك مذمة وقال ابو عبيدة الذمة ما يتذمم به اى يجتنب فيه الذم قال فى الكشاف يُرْضُونَكُمْ كلام مبتدأ فى وصف حالهم
من مخالفة الظاهر والباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد واباء القلوب مخالفة ما فيها من الاضغان لما يجرونه على السنتهم من الكلام
الجميل ثم قال سبحانه وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ عن ابن عباس لا يبعد ان يكون بعض هؤلاء الكفار قد اسلم وتاب فلهذا لم يحكم بالفسق على الكل والظاهر
انما اراد ان اكثرهم فساق فى دينهم لا يتحرزون عن الكذب ونقض العهد الذى هو مذموم فى جميع الاديان والنحل اشتروا استبدلوا بِآيَاتِ اللَّهِ
بالقرآن او بالاسلام ثَمَنًا قَلِيلًا هو اتباع الاهواء فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ فصرفوا عنه غيرهم وعدلوا هم انفسهم قال مجاهد اراد به الاعراب الذين
جمعهم ابو سفيان واطعمهم وقيل لا يبعد ان يراد طائفة من اليهود الذين اعانوا المشركين على نقض العهود فان هذا اللفظ من القرآن كالامر
المختص باليهود ولانه وصفهم بقوله لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ولو اراد المشركين كان تكرارا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ المتجاوزون حدود الله
فى دينه وما يوجبه العهد والعقد ثم قال فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فان كان هذا فى اليهود وما ذكره قبل فى الكفار فلا تكرار
وان كان كلاهما فى الكفار فجزاء الاول تخلية سبيلهم وجزاء هذا الثانى قوله فَإِخْوَانُكُمْ اى فهم اخوانكم فِي الدِّينِ فلم يكن من التكرار فى شئ
قال ابن عباس حرمت هذه الاية دماء اهل القبلة وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ نبينها لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ لانهم هم المنتفعون بالبيان وهذه جملة معترضة
تفيد البعث على التامل فى احكام المشركين وعلى المحافظة على مواردها وَإِنْ نَكَثُوا يعنى هؤلاء التائبين أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ اى من
بعد اسلامهم حتى يكونوا مرتدين او المراد نكث المشركين عهودهم ومواثيقهم والنكث نقض الخيط من بعد ابرام وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ ثلبوه و
عابوه فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ هى جمع امام واصلها ائممة كمثال وامثلة نقلت حركة الميم الى الهمزة وادغمت الميم فى الميم وهو من وضع الظاهر موضع
المضمر فيه دلالة على ان من كان بهذه المثابة من الغدر وقلة الوفاء وعدم الحياء فهو عريق فى الكفر مقتدى فيه لا يشق كافر غباره وقيل خص
سادتهم بالذكر لان من سواهم يتبعهم لا محالة ثم ذكر غرض القتال بقوله لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ليعلم ان الباعث على قتالهم هو ردهم الى الطاعة معبود لهم
رحمة عليهم لا امر نفسانى وداع شهوانى ووسط بين الامر بالقتال وبين الحامل عليه قوله إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ تنبيها على العلة الفاعلية للقتال
اى لهم لا ايمان اولا فى الظاهر حيث قال وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ ثم نفاها عنهم فى الحقيقة لان ايمانهم ليست بما يعد ايمانا اذ لم يوفوا بها وبهذا
تمسك ابو حنيفة فى ان يمين الكافر لا يكون يمينا وعند الشافعى يمينهم يمين لانه تعالى وصفها بالنكث ولو لم تكن
منعقدة لم يتصور نكثها ومن قرأ لا ايمان لهم بالكسر اى لا اسلام لهم او لا يعطون الامان بعد الردة والنكث فظاهر قال العلماء اذا
طعن الذمى فى دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على ان لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة
ثم شرع فى ذكر سائر الاسباب المحرضة على القتال فقال أَلَا تُقَاتِلُونَ قال اهل المعانى اذا قلت الا تفعل كذا فانما يستعمل ذلك فى فعل
يقدر وجوده واذا قلت لست تفعل فانما تقول ذلك فى فعل تحقق وجوده والفرق ان لا ينفى بها المستقبل فاذا دخلت عليها الالف صار
تحضيضا على فعل ما يستقبل وليس مستعمل فى نفى الحال فاذا دخلت عليها الالف صار لتحقيق الحال قال ابن اسحق والسدى والكلبى نزلت فى
فى كفار مكة نكثوا ايمانهم بعد عهد الحديبية واعانوا بنى بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول من مكة حين هاجروا من المدينة يريد اليهود
هموا باخراجه منها ونكثوا عهده وظاهروا ابا سفيان عليه يوم الاحزاب وقيل همت قريش يوم الحديبية بان يخلوه من مكة ثم يخرجوه قبل
ان تم حجة استخفافا بهم وعلى هذا اريد بالهم العزم على الفعل وان لم يوجد وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بالقتال يعنى يوم بدر لانهم حين سلم العير
قالوا لا ننصرف حتى نستاصل محمدا ومن معه او المراد انهم قاتلوا حلفاءه من خزاعة او المراد ان الرسول جاءهم اولا بالكتاب المنير وتحداهم
به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى المقاتلة والبادى اظلم والحاصل ان من كان فى مثل صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول والبدء
بالقتال حقيق بان لا تترك مقاتلته وان يوبخ من فرط فيها ثم زاد فى التوبيخ فقال فيه تقرير الخشية وتقوية لداعية القتال منهم كما اذا قلت
للرجل اتخشى خصمك لانه يستنكف ان ينسب الى كونه خائفا من خصمه ثم بين ما يجب ان يكون الامر عليه فقال فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ
يعنى ان قضية الايمان الصحيح ان لا يخشى المؤمن الا الله لانه قادر على كل شئ وعقابه اشد بل لا قدرة الا له ولا يكون الا ما يريد وفى الفاء نوع

تعليل

تعليل لان الاستفهام فى أَتَخْشَوْنَهُمْ كانه قيل لا تخشوهم لان الله احق بالخشية واحرى بالطاعة وفيه نوع مجازاة كانه قيل ان صح انكم مؤمنون فلا تخشوا
الا الله ثم زاد فى تاكيد الامر بالقتال فقال قَاتِلُوهُمْ ورتب عليه خمس نتائج الاولى قوله يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ اى بالقتل والاسر والاغتنام
الاموال وهذا لا ينافى وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ لانه اراد هناك عذاب الاستيصال قالت الاشاعرة فى الاية دلالة على ان الله
يدخل فى الوجود من الافعال كلها من الله يظهرها على ايدى العباد واعترض الجبائى بانه لو كان كذلك لجاز ان يقال كذب الله انبيائه على لسان
الكفرة واجيب بان الامر كذلك عندنا الا انا لا نقوله رعاية للادب كما لا يقال يا خالق الخنافس والحشرات وكما انكم لا تقولون يا مسهل اسباب
الزنى واللواط ويا دافع الموانع عنها الثانية وَيُخْزِهِمْ قيل هو الاسر وقيل المراد ما نزل بهم من الذل والهوان حين شاهدوا انفسهم مقهورين
فى ايدى المؤمنين وهو قريب من الاول وهو هو وقيل هو عذاب الاخرة الثالثة وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ اورد عليه ان النصر يستتبع اخزاء الخصم فما
حاجة الى افراده بالذكر والجواب ان المغايرة كافية فى افراد كل من المتلازمين بالذكر على انه من المحتمل ان يحصل لهم الخزى من جهة المؤمنين
الا ان المؤمنين يحصل لهم افة لسبب اخر فلما وعدهم النصر على الاطلاق زال ذلك الاحتمال الرابعة وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ هم خزاعة عن
ابن عباس بطون من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال ابشروا فان الفرج
قريب الخامسة وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ قيل شفاء الصدور واذهاب غيظ القلب كلاهما بمعنى فيكون تكرارا والجواب ان القلب اخص من الصدر
كقوله يا دارمية بالعلياء فالسند او شفاء الصدر اشارة الى الوعد بالفتح ولا ريب ان الانتظار شاق وان كان مع التيقن بالموعود فاذهاب غيظ
القلب اشارة الى الفتح وقد حصل الله لهم هذه المواعيد كلها وكان ذلك دليلا على صدق النبى صلى الله عليه وسلم واعجازه ثم قال وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وهو
ابتداء كلام للاخبار بان بعض اهل مكة يتوب عن كفره وقد وقع فقد اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ ويتوب بالنصب باضمار ان ودخول
التوبة فى جملة ما اجيب به الامر من طريق المعنى كقوله فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ اما ان التوبة كيف يقع جزاء للمقاتلة فذلك من قبل الكفرة واضح فان القتال
قد يصير سببا للتوبة بعضهم عن الكفر واما من جهة المؤمنين فلعل القتال كان شاقا على بعضهم فاذا اقدم صار ذلك العمل جاريا مجرى التوبة
عن تلك الكراهة وايضا ان حصول النصر والظفر العام عظيم والعبد اذا شاهد توالى النعم لم يبعد ان يصير ذلك داعيا له الى ان يتوب عن
جميع الذنوب وقد يصير كثرة المال والجاه سببا لتحصيل اللذات بالطريق الحلال فينتهى عن الحرام وايضا الانسان حريص على ما منع فاذا انفتح
عليه ابواب الخيرات الدنيوية فربما يصير ذلك سببا للانقباض عن الدنيا واعراضه عنها وهذا هو احد الوجوه التى ذكروها فى تفسير قوله تعالى
حكاية عن سليمان رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي يعنى حصول هذا الملك لا ينبغى للنفس الاشتغال بالدنيا والله عليم بكل
ما يجرى فى ملكه وملكوته حكيم مصيب فى افعاله واقواله واحكامه وتدبيره عن ابن عباس ان قوله أَلَا تُقَاتِلُونَ الاية ترغيب فى فتح مكة لان
النتائج المذكورة مشاكلة لتلك الاحوال واستبعده الحسن لان هذه السورة نزلت بعد فتح مكة بسنة ثم بين انه ليس الغرض من ايجاب القتال
نفس القتال وانما المقصود ان يؤتى به انقيادا لامر الله ولكى يظهر المخلص من المنافق فقال أَمْ حَسِبْتُمْ الاية وقد مر وجه اعرابه فى ال عمران
عند قوله أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا وقوله وَلَمْ يَتَّخِذُوا معطوف على جاهدوا داخل فى حيز الصلة والوليجة
البطانة يعنى الحبيب الخالص فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل وهو الرجل يكون فى القوم وليس منهم قال الواحدى يقال هو وليجتى يستوى الواحد
والجمع ومعنى الاية لا تحسبوا ان تتركوا على ما انتم عليه ولم يظهر بعد معلوم الله من تميز المجاهدين المخلصين الذين جاهدوا لوجه الله ولم يتخذوا
حبيبا من الذين يضادون رسول الله والمؤمنين ثم ختم الاية بقوله وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ليعلموا انه لم يزل عالما بالاشياء لا يخفى عليه شئ فى
الارض ولا فى السماء فيجتهدوا فى استقامة السيرة ويجتهدوا فى نقاء السريرة التاويل بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ من النفوس
المشركة التى اتخذت الهوى وصنم الدنيا معبودا فهادنها الروح والقلب اوان الطفولية لاستكمال القالب وتربيته فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ ارض البشرية
أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ هى مدة كمال الاوصاف الاربعة النباتية والحيوانية والشيطانية والانسانية وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ الى الصفات الناسوتية
يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ يوم الوصول الى كعبة الجمال والحج الاصغر الوصول الى كعبة القلب ان زيارة كعبة الوصال حرام على مشرك الصفات الناسوتية
فَإِنْ تُبْتُمْ عن الناسوتية بافنائها فى اللاهوتية فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ من قيامكم بالناسوت وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ وكنتم الى غير الله فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ
عن التصرف فيكم اما لاهل السعادة فبالجذبات الازلية واما لاهل الشقاوة فبالهم عذاب القطيعة إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ ايها القلوب والارواح
من مشركى النفوس على التوافق فى العبودية ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا من وظائف الشريعة وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا من الشيطان والدنيا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ
بالمداراة والرفق الى اوان طلوع قمر العناية ونجم الجذبة والهداية فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ استكملت مدة التربية بتمام الاوصاف الاربعة فاقتلوا
النفوس المشركة بسيف النهى عن الشهوات حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ فى الطاعة بان تكلفوها اياها وفى المعصية بان تزجروها عنها وَخُذُوهُمْ بآداب الطريقة
وَاحْصُرُوهُمْ احبسوهم فى حصار الحقيقة وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ راقبوهم فى الاحوال كلها فان تابوا رجعوا الى الطلب الحق واقاموا الصلوة اداء
حق العبودية واتوا الزكوة تزكت عن الاخلاق الذميمة فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ اتركوا التشديد عليهم بالرياضات ليعملوا بالشريعة بعد الوصول
الى الحقيقة فان النهاية هى الرجوع الى البداية وان احد من مشركى صفات النفس استجارك يا قلب ترك ما هو المخصوص من الصفات الذميمة

المنافقين من المجاهدين ح

فاجره حتى يسمع كلام الله حتى يلهم بالهام ثم ابلغه مامنه وهو وارد الجذبة الالهية وان الجذبة اذا تعلقت بصفة من صفات النفس تجذب
النفس بجميع صفاتها ذلك بانهم قوم لا يعلمون الله واسراره فلا يميلون اليه ويعلمون الدنيا وشهواتها فيركنون اليها كيف يكون للمشركي
النفوس ثبات على العهد وقد جبلت ميالة الى السفليات وغايتها بعد اصلاح حالها ان تميل الى نعيم الجنات الا الذين عاهدتم
عند المسجد الحرام وهو مقام الوصول المحرم على اهل الدنيا والاخرة وهو مقام اهل الله وخاصته الذين تنورت نفوسهم بانوار الجمال والجلال
فيثبتها الله على العهد بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة فما استقاموا لكم على الصراط المستقيم فاستقيموا لهم بشرعها في متسع رياض
الشريعة لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة لا يحفظوا حقوق الجنسية فان الارواح والقلوب والنفوس مزدوجة في عالمي الامر والخلق يرضونكم بالاعمال
الظاهرة وتابى قلوبهم واكثرهم فاسقون فيما يعملون خارجون عن الصدق والاخلاص اشتروا بدلالات توصلهم الى الله ثمنا قليلا من متاع
الدنيا ومصالحها فصدوا عن سبيله قطعوا طريق الحق على الارواح والقلوب واخوانكم في الدين رفقاؤكم في طلب الحق فارعوا حقوقهم
فان لنفسك عليك حقا القوم يعلمون ان السير الى الله من اعظم المقامات واهم المهمات وطعنوا في دينكم انكروا مذهب السلوك ائمة الكفر
النفوس وهموا باخراج الرسول يعني الواردات الغيبية بالتسدد ورزنة القلب اول مرة في اوان الطفولية اتخشونهم لفوات حظوظها فالله
احق ان تخشوه بفوات حقوقها ويذهب غيظ قلوبهم يعني وحشة الارواح والقلوب وكدورتها ويتوب الله على من يشاء بالرجوع الى
الحق قبل التمادي في الباطل من حاجة الى رياضة شديدة والله عليم باستعدادات النفوس حكيم فيما يدبر لكل منها ام حسبتم ايها النفوس
الامارة ان تتركوا بلا رياضة ولم يتخذوا اوليآء من الشيطان والدنيا والاخرة ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم

ع ٩ بالكفر اولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر

واقام الصلوة واتى الزكوة ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين اجعلتم سقاية الحاج

وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي

القوم الظالمين الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة

عند الله واولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين

فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على

الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم و

عشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله

ع ١٠ وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين لقد نصركم الله في مواطن

كثيرة ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين

ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك

جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس فلا

يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم

القراءة مسجد الله ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون على الجمع يبشرهم خفيفا حمزة وعشيراتكم على الجمع ابو بكر وحماد وجبلة وضاقت
ونحوها بامالة حمزة رحبت ثم مظاهرا ابو جعفر ونافع وابن كثير وخلف ويعقوب وعاصم غير الاعشى الوقوف بالكفر ط اعمالهم ج لعطف الجملتين
خالدون المهتدين في سبيل الله ط عند الله ط والظالمين لئلا يشتبه بالوصف وانفسهم لان ما بعده خبر الذين عند الله ط الفائزون مقيم
لان ما بعده حال ابدا ط عظيم على الايمان ط الظالمون بامره ط الفاسقين كثيرة لعطف الظرف حنين لان اذ ظرف نصركم مدبرين للاية والعطف
كفروا ط الكافرين من يشاء ط رحيم نصف الجزء هذا ان شاء ط حكيم التفسير انه سبحانه بدأ بالسورة بذكر البراءة من المشركين وبالغ في ايجاب ذلك
بتعداد فضائحهم وقبائحهم ثم اراد ان يحكي شبهاتهم التي كانوا يحتجون بها على ان هذه البراءة غير جائزة مع الجواب عنها قال المفسرون لما اسر العباس
يوم بدر اقبل عليه المسلمون فعيروه بالكفر وقطيعة الرحم واغلظ علي له القول فقال العباس ما لكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسننا
فقال له علي عليه السلام الكم محاسن فقال نعم انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج ونفك العاني فانزل الله تعالى ردا عليهم ما كان للمشركين
ما صح لهم وما استقام ان يعمروا مسجد الله يعني مسجد الحرام ومن قرأ على الجمع فاما ان يراد جميع المساجد فيشمل المسجد الحرام ايضا الذي هو اشرفها
وهذا اكد لان طريقه طريق الكناية كما لو قلت فلان لا يقرأ كتب الله كنت انفى لقراءته القران من تصريحك بذلك واما ان يراد المسجد الحرام وجمع
لانه قبلة المساجد كلها وامامها فعامره كعامر جميع المساجد ولان كل بقعة منه مسجد قال الفراء العرب قد يضع الواحد مكان الجمع كقولهم
فلان كثير الدرهم وبالعكس كقولهم فلان يجالس الملوك ولعله لم يجالس الا ملكا واحدا وعمارة المسجد اما لزومه واما كثرة اتيانه للصلوة و
الاعتكاف ولا شك انه ليس للمشرك ذلك واما مرمته وتولية تعهده وليس للمشرك هذا ايضا انه لا يجري مجرى الانعام على المسلمين ولا ينبغي ان يكون
للكافر منة على اهل الاسلام ولان دخوله المسجد يؤدي الى تلويث المسجد اما لكونه نجسا في الحكم واما لانه قلما يحترز عن النجاسات وما روي انه
صلى الله عليه واله انزل وفد ثقيف في المسجد وهم كفار وشد ثمامة بن اثال الحنفي على سارية من سواري المسجد محمول على تعظيم شانه ص كان اراد
ان يكون ذلك بمحضر منه وهو في المسجد وقوله شاهدين على انفسهم حال من الواو في يعمروا والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين
عمارة متعبدات الله مع الكفر به وفي تفسير هذه الشهادة اقوال اصحها انهم اقروا على انفسهم بعبادة الاوثان وتكذيب النبي والقران وهذا
قال السدي هي ان النصراني اذا قيل له ما انت قال نصراني واليهودي يقول يهودي وعابد الوثن وقيل هي قولهم في طوافهم لبيك لا شريك
لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وعن ابن عباس انه قال المراد انهم يشهدون على محمد بالكفر وانما جاز هذا التفسير لقوله تعالى لقد
جاءكم رسول من انفسكم ثم بين تعالى ما هو الحق في هذا الباب فقال اولئك حبطت اعمالهم الصادرة عنهم كاكرام الوالدين وبناء الربط واطعام
الجائع لانه لا يفيد مع الكفر طاعة لان الكفر يوجب عقاب الابد ولهذا قال وفي النار هم فيها خالدون ولافادة هذا التركيب الحصر احتج
الاشاعرة به على خلاص صاحب الكبيرة ثم وصف من له استيهال عمارة المسجد فقال انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر لان من لم
يعرف المبدأ والمعاد لا يصح منه التوجه اليه وانما طوي ذكر الرسول تنبيها على انه واسطة والتوجه الحقيقي من الله والى الله ولهذا ورد في الحديث
المصلي يناجي ربه وقيل ان المشركين كانوا يقولون ان محمدا ادعى رسالة الله طلبا للرياسة والملك فلنفي هذه التهمة ترك ذكره ص وقيل دل
عليه بقوله واقام الصلوة واتى الزكوة لانهما معلومتان من افعاله ص ولما في الصلوة من التشهد وقبلها الاذان والاقامة ثم ان اقامة الصلوة
لا ريب فيها عمارة المسجد والحضور فيه واما ايتاء الزكوة فانما كان سببا للعمارة لانه يحضر المسجد طوائف الفقراء والمساكين لاخذ الزكوة ولان
ايتاء الزكوة واجب وبناء المسجد واصلاحه نفل والانسان ما لم يفرغ عن الواجب لم يشتغل بالنافلة فلو لم يكن مؤديا للزكوة فالظاهر انه
لم يشتغل بعمارة المسجد ثم قال ولم يخش الا الله ليعلم انه لو اتى المسجد وبناه رياء وسمعة لم يكن عامرا له فعلى المؤمن ان يختار في جميع الاحوال رضوان
الله على غيره فان ذلك لو ضره في العاجل فسينفعه في الاجل وفي ادخال كلمة انما في صدر الاية تنبيه على ان من لم يكن موصوفا بالصفات
المذكورة لم يكن من اهل عمارة المسجد وان المسجد يجب صونه عن غير العبادة فقد روي عن النبي ص انه قال يأتي في اخر الزمان ناس من امتي يأتون
المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وعنه ص الحديث في المجلس ياكل الحسنات كما تاكل البهيمة الحشيش وقال
صلى الله عليه واله قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور
ان يكرم زائره ومن عمارة المساجد تعظيمها والتدريس فيها وتزيينها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح نعن انس عن النبي ص من اسرج في مسجد سراجا لم تزل
الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوءه وفي قوله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين حسم لاطماع الكفار في الانتفاع
باعمالهم فان الموصوفين بالصفات المذكورة اذا كان اهتداؤهم المستعقب لصلاح حالهم في الدارين دائرا بين عسى ولعل فما ظنك بالاشقياء
المشركين ومغبتهم وفيه ان المؤمن يجب ان لا يغتر بالله عز وجل هذا وقد مر ان بعض الائمة ذهبوا الى ان عسى من الله الكريم واجب وقال بعضهم ان
الرجاء راجع الى العباد ثم انه قال اجعلتم سقاية الحاج ومعناه هبوا ان عمارة المسجد وسقي الحجيج يوجب لكم نوعا من الفضيلة الا ان هذه الاعمال
في مقابلة الايمان بالله والجهاد شيء نزر قال المفسرون انها نزلت في مناظرة جرت بين الفريقين الا انهم اختلفوا فقيل كافر ومؤمن
لقوله كمن امن وقصته ما مر ان العباس بن عبد المطلب حين اسر يوم بدر قال لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد فلقد كنا نعمر

يقول انا عابد الوثن

المسجد الحرام ونسقي الحاج وروي ان المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام فنحن افضل ام محمد واصحابه فقالت اليهود لهم انتم
افضل وقيل ان كلا الفريقين مؤمن لقوله اولئك أعظم درجة وهذا يقتضي ان يكون للمفضول ايضا درجة وقصته ما روي عن النعمان بن بشير
قال كنت عند منبر رسول الله صلعم فقال رجل لا ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اسقي الحاج وقال الآخر ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اعمر المسجد
الحرام وقال آخر الجهاد في سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله وهو يوم الجمعة ولكني اذا صليت دخلت
فاستفتيت رسول الله فيما اختلفتم فيه ففعل فانزل الله الآية وروي عن الحسن والشعبي ان طلحة قال انا صاحب البيت بيدي مفتاحه ولو اشاء
بت فيه وقال العباس وذلك بعد اسلامه انا صاحب السقاية والقائم عليها وقال علي عم ما ادري ما تقولان لقد صليت ستة اشهر قبل الناس وانا
صاحب الجهاد فنزلت وعن ابن سيرين قال علي عم للعباس بعد ان كان اسلم الا تهاجر الا تلحق بالنبي صلعم فقال الست في افضل من الهجرة الست اسقي
حاج بيت الله واعمر المسجد الحرام فنزلت هذه الآية فقال العباس ما اراني الا تارك سقايتنا فقال النبي صلعم اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها
خيرا والسقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر ولا بد من تقدير مضاف اي اجعلتم اهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن او
اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كخصال من آمن ثم كان لسائل ان يسئل ما بال احد الفريقين لا يشبه بالآخر فلا جرم له قال مستأنفا
لا يستوون عند الله ثم صرح بالمفضول فقال والله لا يهدي القوم الظالمين اي المشركين ان الشرك لظلم عظيم واي ظلم اشنع من وضع
اخس الموجودات وهو الاصنام مقام اشرفها وهو الله سبحانه وانما لم يهدهم الله لعدم قابلية وقع في استعدادهم الفطري وذلك لكونهم مظاهر
القهر واللطف ثم صرح بالفريق الفاضل فقال الذين آمنوا الآية ثم من قال ان الفريقين المتناظرين كافر ومؤمن اورد عليه ان قوله اعظم
درجة يوجب ان يكون للمفضول ايضا درجة ولكنه ليس للكافر درجة واجيب بان هذا وارد على حسب ما كانوا يقدرونه لانفسهم من الدرجة
والفضيلة نظيره قوله ذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم او المراد انهم اعظم درجة من كل من لم يكن موصوفا بالهجرة والجهاد وان كان مؤمنا فضلا
عن الكافر او المراد ترجيح الايمان والهجرة والجهاد على السقاية والعمارة ولا شك انهما من اعمال الخير وموجبان للثواب لولا الكفر وفي قوله عند
الله تشريف عظيم كقوله ومن عنده لا يستكبرون وكذا في قوله واولئك هم الفائزون لدلالته على اختصاص الفوز بهم ثم فسر الفوز بقوله يبشرهم
ربهم برحمة منه ورضوان وجنات التنكير فيها يفيد انها وراء وصف الواصف قال المتكلمون الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة
بالتعظيم فالتبشير بالرحمة والرضوان اشارة الى غاية التعظيم ونهاية الاجلال والجنات اشارة الى حصول المنافع العظيمة وقوله لهم
فيها نعيم اشارة الى خلوص تلك المنافع عن شوائب الكدورات ثم عبر دوامها بثلثة الفاظ مؤكدات اولها مقيم وثانيها خالدين وثالثها
ابدا وقال اهل التحقيق الفرح بالنعمة قد يكون من حيث ان المنعم خصه بها كالسلطان اذا اعطى بعض الحاضرين تفاحة مثلا ثم النعمة قد يكون
حسية وقد يكون عقلية فقوله يبشرهم ربهم اشارة الى اعلى المراتب هو مقام العارفين الذين نظرهم على مجرد سماع البشارة لا على المبشر به
وقوله برحمة منه ورضوان اشارة الى المرتبة الوسطى وهم العاكفون على عتبة اللذات الروحانية العقلية وقوله جنات الى آخره اشارة
الى المرتبة السفلى وهم الواقفون عند ساحات مواقع اللذات الحسيات وفي تخصيص الرب بالمقام اشارة الى ان الذي رباكم في الدنيا
بالنعم التي لا تعد لها يبشركم بخيرات دائمة وسعادات باقية لا تحصر لها ويجوز ان يكون الرحمة اشارة الى رضاء العبد بقضائه فيسهل عليه الغموم
الآفات والرضوان اشارة الى رضاه عن العبد فيكون كقوله ارجعي الى ربك راضية مرضية ثم اكد المعاني المذكورة بقوله ان الله عنده
اجر عظيم وفي تصدير الجملة الاسمية بان وفي لفظ عند وتقدمه وتنكير اجر ووصفه بالعظم مبالغات لا تخفى قال الكلبي لما امر رسول الله صلعم بالهجرة
الى المدينة جعل الرجل يقول لابيه ولاخيه ولقرابته انا قد امرنا بالهجرة فمنهم من يسرع الى ذلك ويعجبه ومنهم من يتعلق به زوجته وعياله وولده
يقولون انشدك الله ان تدعنا الى غير شيء فنضيع فيرق فيجلس معهم ويدع فنزل فيهم يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الى الاثنين و
ذكروا في وجه النظم ان هذه الآية جواب عن شبهة اخرى قالوها وهي انه كيف يمكن دعوى البراءة من الكفار وبينهم وبين المسلمين قرابات و
مواصلات ومعاملات فذكر الله تعم ان الانقطاع عن الآباء والابناء والاخوان واجب بسبب الكفر ومعنى استحبوا اختاروا وهو في الاصل طلب المحبة
ثم ان النهي كان يحتمل ان يكون نهي تنزيه لا تحريم فلازالة ذلك الوهم ختم الآية بقوله ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون قال ابن عباس يريد
انه يكون مشركا مثلهم لان الرضا بالشرك شرك وعن النبي صلعم لا يطعم احدكم طعم الايمان حتى يحب ويبغض في الله حتى يحب في الله اقرب الناس
وعن ابن عباس هي في المهاجرين خاصة كان قبل فتح مكة من آمن لم يتم ايمانه الا بان يهاجر ويصارم اقاربه الكفرة ويقطع موالاتهم فقالوا
يا رسول الله ان نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا آباءنا وعشائرنا وذهبت تجارتنا وهلكت اموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين
فنزلت قل ان كان آباؤكم الآية فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه او ابوه او اخوه او بعض اقربائه فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم
رخص لهم بعد ذلك وقيل نزلت في السبعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله عز وجل عن موالاتهم قال الواحدي عشيرة الرجل اهله
الادنون وهم الذين يعاشرونه من قراه على الوحدة فلان العشيرة اسم جمع ومن قرأ على الجمع فلان كل واحد من المخاطبين له عشيرة قال الاخفش
لا يكاد العرب يجمع عشيرة على عشيرات وانما يجمعونها على عشائر والقرآن حجة عليه والاقتراف الاكتساب وفي التركيب يدور على الدنو و

الكاسب يدني الشيء ويدخله تحت ملكه والترتيب المذكور في الآية في غاية الحسن لان اعظم الاسباب الداعية الى المخالطة القرابة ثم القرابة
البعيدة ثم ان يتوسل بتلك المخالطة الى ابقاء الاموال المكتسبة ثم الى التجارات المثمرة ثم الى آخر المراتب الرغبة في الاوطان التي بنيت
للسكنى فبين تعم انه يجب تحمل هذه المضار في الدنيا ليبقى الدين سليما وذكر انه ان كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية اولى عنده من
طاعة الله وطاعة رسوله ومن المجاهدة في سبيل الله فتربصوا انتظروا بما تحبون حتى يأتي الله بامره عن الحسن هو عقوبة عاجلة او آجلة
وقيل يعني القتال وعن ابن عباس هو فتح مكة وفيه بعد لما روي ان هذه السورة نزلت بعد فتح مكة والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين
عن طاعة الله الى معصيته ولا يخفى ما فيه من التهديد ثم لما اوجب ترك مصالح الدنيا لاجل الدين اراد ان يبين ان كل من اعرض عن
الدنيا لاجل مصالح دينه فان الله تعم يراعي مصالح دنياه فيفوز بسعادة الدارين وضرب لهذا مثلا فقال لقد نصركم الله في مواطن
كثيرة قال الواحدي النصر المعونة على الاعداء خاصة والمواطن جمع الموطن وهو كل موضع اقام به الانسان لامر ومواطن الحرب مقاماتها ومواقفها
وامتناعها من الصرف لانه على صيغة منتهى الجموع ولا هاء كمساجد والمواطن الكثيرة غزوات الرسول صلعم وهي على ما في الصحاح تسع عشرة منها
غزوة بدر وقريظة والنضير واحد وغزوة خندق وذات الرقاع وغزوة بني المصطلق وغزوة انمار وغزوة ذي القرد وخيبر والحديبية
والفتح ويوم حنين اي وفي يوم حنين واستبعد صاحب الكشاف عطف الزمان على المكان فقال معناه في ايام مواطن كثيرة ويوم حنين ويجوز ان
يراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين عم قال على ان الواجب ان يكون يوم حنين منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر اي ونصركم يوم حنين
لان قوله اذ اعجبتكم كثرتكم بدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لان كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا
كثيرا في جميعها ويجوز ان يكون اذ منصوبا باضمار اذكر قلت ولعله لا حاجة الى هذه التكلفات فلا استبعاد في عطف الزمان على المكان و
ما جعل بدلا عن الزمان لا يلزم ان يكون بدلا عن المكان حتى يكون الفعل الاول مقيدا بهما جميعا وحنين واد بين مكة والطائف
قال المفسرون لما فتح رسول الله صلعم مكة وقد بقيت ايام شهر رمضان خرج متوجها الى حنين لقتال هوازن وثقيف واختلفوا في عدد
عسكر رسول الله صلعم حينئذ فعن عطاء عن ابن عباس كانوا ستة عشر الفا عشرة آلاف من الذين حضروا مكة والفان من الطلقاء
الاسارى الذين اعتقهم رسول الله صلعم وقال الكلبي كانوا عشرة آلاف وبالجملة كانوا عددا كثيرين وكان هوازن وثقيف اربعة
آلاف فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فهذه الكلمة ساءت رسول الله صلعم وهي المراد من قوله اذ اعجبتكم وقيل قالها ابو بكر
وقيل رسول الله صلعم وهو بعيد لانه كان في الاحوال متوكلا على الله منقطع القلب عن الدنيا واسبابها ثم قال فلم تغن عنكم شيئا والاغناء اعطاء ما يدفع
الحاجة اي لم يعطكم الكثرة شيئا يدفع حاجتكم ولم يفدكم وضاقت عليكم الارض بما رحبت ما مصدرية والباء بمعنى مع والرحب السعة والجار والمجرور
في موضع الحال اي ملتبسة برحبها كقولك دخلت عليه بثياب السفر والمعنى انكم لشدة ما لحقكم من الرعب لم تجدوا في الارض ذات الطول والعرض
موضعا يصلح لفراركم اليه وكانها ضاقت عليكم ثم وليتم مدبرين اي انهزمتم انهزاما قال البراء بن عازب كانت هوازن رماة فلما حملنا عليهم انكشفوا
واكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام فانكشف المسلمون عن رسول الله صلعم ولم يبق معه الا العباس بن عبد المطلب وابو سفيان بن الحرث والذي
لا اله الا هو ما ولى رسول الله صلعم دبره قط لقد رأيته وابو سفيان آخذ بالركاب والعباس آخذ بلجام الدابة وهو يقول انا النبي لا كذب انا ابن
عبد المطلب وطفق يركض بغلته نحو الكفار لا يبالي وكانت بغلته شهباء ثم قال العباس ناد المهاجرين والانصار وكان العباس رجلا صيتا
فنادى يا اصحاب الشجرة فرجعوا ونزلت الملائكة عليهم ثياب بيض وهم على خيول بلق واخذ رسول الله صلعم بيده كفا من الحصباء فرماهم بها وقال شاهت
الوجوه فما زال جدهم مدبرا وحدهم كليلا ولم يبق منهم احد الا وقد امتلأت عيناه من ذلك التراب فانهزموا وذلك قوله سبحانه ثم انزل الله
سكينته رحمته التي سكنوا بها وامنوا على رسوله وعلى المؤمنين الذين كانوا انهزموا وعلى الذين ثبتوا مع رسول الله صلعم حين وقع الهرب وانزل
جنودا لم تروها يعني الملائكة ستة عشر الفا او ثمانية آلاف على اختلاف الروايات وعن سعيد بن المسيب قال حدثني رجل كان في المشركين يوم
حنين قال لما كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم فلما انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء تلقانا رجال بيض الوجوه حسان فقالوا شاهت الوجوه ارجعوا
فرجعنا وركبوا اكتافنا واختلفوا في قتال الملائكة فقيل قاتلوا وقيل ما قاتلوا الا يوم بدر وانما نزلوا في هذا اليوم لتكثير السواد ولالقاء الخواطر
الحسنة في قلوب المؤمنين ثم قال وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر واخذ الاموال وسبي الذراري احتجت الاشاعرة بان انزال السكينة
وهي عبارة السكون والثبات وبقوله وعذب على ان الدواعي والافعال كلها بخلق الله تعم ثم ختم الله بقوله وذلك جزاء الكافرين واعلم ان
الحنفية تمسكوا في مسئلة الجلد مع التغريب بقوله تعم الزانية والزاني فاجلدوا وقالوا الفاء للجزاء والجزاء اسم للكافي وكون الجلد كافيا يمنع
ان يكون غيره مشروعا معه واجابت الشافعية بانه تعالى قال في هذه الآية وذلك اي الاخذ والاسر جزاء الكافرين مع ان العذاب العاجل
جزاء مع انه غير كاف لان العذاب الآجل باق اما قوله ثم يتوب الله من بعد ذلك اي يسلم ناس منهم روي ان ناسا منهم جاؤا تائبين فاسلموا
وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابرهم وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا قيل سبي يومئذ ستة آلاف نفس واخذ من الابل و
الغنم ما لا يحصى فقال ان عندي ما ترون يعني العساكر الفقراء ان خير القول اصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساؤكم واما اموالكم قالوا ما كنا

الجزء العاشر

نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول الله صلعم فقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرتهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده شيء وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه قالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء ان قد رضوا ثم انه سبحانه اجاب عن شبهة اخرى لهم وذلك ان عليا عليه السلم حين قرأ عليهم براءة ينبذ اليهم عهدهم قال اناس يا اهل مكة ستعلمون ما تلقونه من الشدة لانقطاع السبل وفقد الحمولات فقال تعالى يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس قال في الكشاف هو مصدر كالقذر ومعناه ذووا نجس قال الليث انه صفة يستوي فيه الواحد وغيره رجل نجس وقوم نجس وامرأة نجس قلت ويجوز ان يجعل المصدر نعتا للمبالغة في الوصف واختلف في تفسير كون المشرك نجسا فعن ابن عباس ان اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن ان من صافح مشركا توضأ وهو قول الهادي من ائمة الزيدية واما الفقهاء فقد اتفقوا على طهارة ابدانهم واحتج القاضي على ذلك بما روي انه صلعم شرب من اوانيهم وبانه لو كان نجس العين لما تبدلت النجاسة بسبب الاسلام واولوا الاية بان معناها انهم لا يغتسلون عن الجنابة ولا يتوضأون عن الحدث او انهم بمنزلة الشيء النجس في وجوب الاجتناب والاحتراز او ان كفرهم الذي هو صفة بمنزلة النجاسة الملتصقة بالشيء فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وهي السنة التاسعة من الهجرة التي وقع النداء فيها بالبراءة من المشركين واختلفوا في هذا النهي فعن ابي حنيفة واصحابه ان المراد ان لا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلونه في الجاهلية والدليل عليه قول علي عليه السلم في النداء الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك وقال الشافعي المراد المنع من الدخول فيه وهو ظاهر النص وقاس مالك سائر المساجد على المسجد الحرام في المنع وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك وعن عطاء ان المراد بالمسجد الحرام الحرم وان على المسلمين ان لا يمكنوهم من دخوله ونهي المشركين ان يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم منه لقوله تعالى وان خفتم عيلة اي فقرا بسبب منع المشركين وموضع التجارات ليس هو عين المسجد بل الحرم كله ومن قال ان المراد منعهم من الحج قال انهم اذا لم يحضروا الموسم لم يحصل للمسلمين ما كان لهم في قدومهم عليهم من الارفاق والمكاسب فلهذا خافوا الفقر ثم وعدهم الله ازالة الفقر بقوله فسوف يغنيكم الله من فضله اي من تفضله بوجه اخر قال عكرمة انزل الله عليهم المطر فكثر خيرهم وعن الحسن جعل الله لهم اخذ الجزية بدلا عن ذلك وقيل اغناهم عن الفيء وعن مقاتل اسلم اهل جدة وصنعاء وجرش وحملوا الطعام الى مكة فكان ذلك اعود عليهم واعلم ان هذا اخبار بالغيب وقد وقع فكان معجزا ومعنى ان شاء تعليم وارشاد وان لا يفتر المسلمون بذلك فيتركوا التضرع الى الله والالتجاء اليه وليعلم ان حصول ذلك لا يكون في كل الاوقات لاغراض ومقاصد لا يعلمها الا ضابط الامور ورابط الاسباب ولهذا اختتم الاية بقوله ان الله عليم اي باحوالكم حكيم لا يعطي ولا يمنع الا عن حكمة وصوا التاويل ما كان لمشركي النفوس الامارة ان يعمروا مساجد الله وهي القلوب وهم مصرون على ما جبلوا عليه من التمرد وتعبد الهوى حبطت اعمالهم التي صدرت عنهم رياء وسمعة انما يعمر القلوب من امن بالله واليوم الاخر صدق بان المقصود والمعبود هو الله وعمل لنيل السعادات الاخروية وادام المناجات مع الله بصدق الطلب وزكى نفسه عن الاخلاق الذميمة ولم يخف فوات الحظوظ الدنيوية وانما يخاف فوات الحقوق الالهية سقاية الحاج خدمة هذه الطائفة للاغراض الفاسدة وعمارة المسجد الحرام بالاعمال الموجبة لعمارة القلوب اذا كانت مشوبة بالرياء والهوى لا يستوون عند الله الطالبون والبطالون والله لا يهدي القوم الظالمين الذين يضعون الاعمال الصالحة في غير موضعها الذين امنوا اي القلوب المؤمنة وهاجروا اي الارواح المهاجرة الى القوالب وجاهدوا في سبيل الله الجهاد الاكبر باموالهم وانفسهم ببذل الموجود والوجود جميعا يبشرهم ربهم بعد الخلاص عن حجب الوجود بتجلي صفات لطفه وجنات الشواهد والكشوف ان الله عنده اجر عظيم اي من وصل الى مقام العندية فالله العظيم اجره لا تتخذوا اباءكم الاتيان فيهما اشارة الى ان من اثر محبة الخالق فقد ابطل الاستعداد الفطري لقبول الفيض الالهي ويوم حنين اي حين حنت نفوسكم شوقا الى لقاء ربها وحسبتم انكم تبلغونه بكثرة الطاعات وضاقت عليكم ارض الوجود ثم اعرضتم عن الطلب اذ احتجبتم بحجب العجب ثم ثم وليتم الى عالم الطبيعة الحيوانية ثم انزل الله سكينته وهي واردات ترد على الارواح والقلوب فتسكن الى ربها على رسوله الروح وعلى القلوب المؤمنة وانزل جنودا من المواهب الربانية ومن المتمردة باستعمالها في احكام الشريعة واداب الطريقة وذلك جزاء الكافرين اي علاج النفوس المتمردة باستعمالها في احكام الشريعة واداب الطريقة ذلك جزاء الكافرين اي علاج النفوس المتمردة ثم يتوب الله من بعد ذلك العلاج يجذبة ارجعي انما المشركون النفوس العابدة للدنيا والشيطان والهوى فلا يقربوا القلب بعد عامهم هذا وهو حالة البلوغ وجريان قلم التكليف على الانسان نهى القلوب عن اتباع النفوس وامرها بقتالها ومنعها عن طوافها لئلا تنجس كعبة القلب بنجاسة شرك النفس ولوصافها الذميمة وان خفتم عيلة حظوظا يستلذ بها عند اتباع النفس فسوف يغنيكم الله بعد انقطاع تصرفات النفس عن القلب بالواردات الربانية والكشوف الروحانية ان الله عليم بمستحقي فضله حكيم فيما دبر من تلك النفوس قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين

كارزار كنيد انهارا كه نكروند بخدا ونه بروز بازپسين و حرام نسازند انچه را حرام كرده خدا و رسول او و دينداري نكنند دين حق را از انان

اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح

كه داده شدند كتاب را تا بدهند جزيه را از دست و ايشان ذليل باشند و گفتند جهود كه عزير پسر خداست و گفتند ترسايان كه مسيح

التوبة

ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون اتخذوا

پسر خداست اين گفتار ايشان است بزبان خود شباهت دارند گفتار انها را كه كافر شدند از پيش بكشد ايشان را خدا از كجا بر گردانيده مى‌شوند فرا گرفتند

احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا

دانشمندان خود را و پارسايان خود را پروردگاران از غير خدا و مسيح پسر مريم را و مامور نشدند مگر كه بپرستند خدائي يگانه را نيست خدائي بجز

هو سبحانه عما يشركون يريدون ان يطفؤا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون

او منزه است او از انچه شريك گردانند ميخواهند كه خاموش كنند روشني خدا را بدهانهاي خود و نميخواهد خدا مگر كه تمام كند نور خود را و اگر چه نخواهند كافران

هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون يا ايها الذين

اوست انكه فرستاد پيغمبر خود را براستي و دين استوار تا غالب گرداند او را بر دينها همه و اگر چه نخواهند مشركان اي انهائي كه

امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله

گرويده ايد بدرستي كه بسياري از دانشمندان و پارسايان هر آينه ميخورند مالهاي مردم را بباطل و باز دارند از راه خدا

والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم

وانها كه گنج نهند طلا و نقره را و خرج نكنند انرا در راه خدا پس مژده ده انها را بعذاب دردناك روزي كه

يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا

گرم كنند انرا در اتش جهنم پس داغ كنند بان پيشانيهاي انها را و پهلوهاي انها را و پشتهاي انها را اين است انچه ذخيره كرديد براي خود پس بچشيد

ما كنتم تكنزون ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات

انچه را كه بوديد كه گنج مينهاديد بدرستيكه شماره ماهها در نزد خدا دوازده ماه است در كتاب خدا روزي كه افريد اسمانها

والارض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم وقاتلوا المشركين كافة

و زمين را از انها چهار ماه حرام است اين است دين استوار پس ستم مكنيد در انها نفسهاي خود را و كارزار كنيد مشركان را همه

كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا

چنانكه كارزار كنند با شما همه و بدانيد كه خدا با پرهيزگاران است بدرستيكه فراموش انداختن زيادتي است در كفر گمراه كرده ميشوند بان انها كه كافر شدند

يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين

حلال ميكنند انرا در سالي و حرام ميكنند در سالي تا موافقت كنند شماره انچه را كه حرام كرده خدا پس حلال كنند انچه را كه حرام كرده خدا اراسته شد براي ايشان بدي كردارهاي ايشان و خدا هدايت نميكند گروه كافران را

القراءة عزير بالتنوين مكسورة للساكنين عاصم وعلي وسهل ويعقوب الباقون بغير تنوين يضاهئون بالهمزة عاصم غير الخزاز الاخرون يضاهون بحذف الهمزة ان يطفوا وليواطوا بحذف الهمزة فيهما يزيد وحمزة في الوقف وان شاء لين الهمزة اثنا عشر بسكون العين يزيد والخزاز انما النسي بالتشديد وورش من طريق النجاري وحمزة في الوقف الباقون بياء بعدها همزة يضل بضم الياء وفتح الضاد علي وحمزة غير العجلي وحفص وخلف لنفسه يضل بضم الياء وكسر الضاد العجلي والمفيد ورويس الباقون يضل بفتح الياء وكسر الضاد الوقوف صاغرون ج المسيح ابن الله ط بافواههم ج لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف من قبل ط قاتلهم الله ج يؤفكون ابن مريم ج لاحتمال الجملة بعده ان يكون حالا واستينافا واحدا ج لان ما بعده يصلح ابتداء ووصفا الا هو ط يشركون الكافرون كلمة لا لتعلق لو بما قبله المشركون عن سبيل الله ط في سبيل الله لتعلق الفاء اليم لا اي في يوم وظهورهم ط تكنزون حرم ط تقاتلونكم كافة ط المتقين فيحلوا ما حرم الله ط اعمالهم ط الكافرين التفسير انه لما ذكر شبهات المشركين واجاب عنها باجوبة صحيحة اراد ان يبين احكام اهل الكتاب المقصود تميزهم من المشركين في الحكم لان الواجب في المشركين القتال الى الاسلام والواجب في اهل الكتاب القتال او الجزية الى الاسلام واعلم انه تعالى ذكر صفات اربعة وامر بقتال من اتصف بها بقوله من الذين اوتوا الكتاب فدل على ان اهل الكتاب متصفون بتلك الصفات فالصفة الاولى انهم لا يؤمنون بالله فان ورد عليه ان القوم يقولون نحن نؤمن بالله واجيب بان ايمانهم بالله كلا ايمان لانهم مشبهة وحلولية واعترض ثانيا بان كل من نازع في صفة من صفات الله لو كان منكر الله لزم ان يكون اكثر المتكلمين كذلك فالاشعري من اهل السنة اثبت البقاء صفة والقاضي انكره وعبد الله بن سعيد اثبت القدم صفة والباقون انكروه والقاضي اثبت لله ادراك المطعوم وادراك الروايح والحرارة والبرودة والاستاذ ابو اسحق انكره والقاضي اثبت الصفات سبعة احوال معللة بتلك الصفات وغيره انكره وعبد الله بن سعيد زعم ان كلام الله في الازل ما كان امرا ولا نهيا ولا خبرا ثم صار كذلك عند الانزال والاخرون انكروه وقوم من قدماء الاشاعرة اثبتوا لله خمس كلمات الامر والنهي والاستخبار والخبر والنداء والمشهور ان كلام الله واحد واختلفوا في ان خلاف المعلوم هل هو مقدور لله واما اختلافات المعتزلة وساير الفرق فاكثر من ان تحصى ههنا واجيب بان المجسم خالف في الذات لانه يقول ان الاله جسم والبرهان على ان اله العالم ليس بجسم ولا جسماني واما الخلاف في المسائل المذكورة فراجع الى الصفة وظهر الفرق نعم انا نكفر الحلولية

ثم بين الموصوفين بها

والحروفية القائلين بان كلام الله تعالى في كل لسان وفي كل جسم كتب فيه القرآن كما يكفر النصارى القائلين بان اقنوم الكلمة حلت في عيسى الصفة
الثانية انهم لا يؤمنون باليوم الآخر لان اليهود والنصارى ينكرون المعاد الجسماني والقرآن دل على ان اهل الجنة ياكلون ويشربون ويتلذذون
يتمتعون انما السعادات الروحانية تفوق عليها الصفة الثالثة ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله اي لا يحرمون ما حرم الله في القرآن والرسول
في سنته كالخمر والخنزير ونحوهما وقال ابو روق اي لا يعملون بما في التوراة والانجيل بل حرفوهما واتوا باحكام توافق شهواتهم الصفة الرابعة ولا
يدينون دين الحق اي لا يعتقدون في صحة دين الاسلام الذي هو الحق يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذ ذلك دينه ومعتقده وقيل الحق هو الله
ثم ذكر غاية القتال فقال حتى يعطوا الجزية فعلة من جزى يجزي اذا قضى ما عليه قال الواحدي هي ما يعطي المعاهد على عهده وقال في الكشاف سميت
جزية لانها طائفة مما على اهل الذمة ان يجزوه اي يقضوه او لانهم يجزون بها من منّ عليهم بالاعفاء عن القتل ومعنى عن يد ان اريد بها يد المعطي اي عن يد
مواتية غير ممتنعة يقال اعطى بيده اذا انقاد واصحب او المراد حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا غير نسيئة ولا مبعوثا على يد احد وان اريد بها يد الآخذ
فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية اي بسببها كقوله ينهون عن اكل وعن شرب اي يتناهون في السمن بسببها او المراد عن انعام عليهم لان
قبول الجزية منهم بدلا عن ارواحهم نعمة عظيمة عليهم قيل ان من اليهود موحدة فما وجه ايجاب الجزية عليهم والجواب انه اذا ثبت وجوب الجزية على بعضهم
لزم القول به في حق الكل لعسر الامتياز ولوجود الصفات الباقية فيهم اما مقدار الجزية فعن انس قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل محتلم دينارا وقسم عمر على
فقرائهم في المدينة اثني عشر درهما وعلى الاوساط اربعة وعشرين وعلى اهل الثروة ثمانية واربعين فذهب الشافعي الى ان اقل الجزية دينار ولا
يزاد على الدينار الا بالتراضي وذهب ابو حنيفة الى قسم عمر والمجوس سبيلهم سبيل اهل الكتاب لقوله صلى الله عليه وسلم سنوا بهم سنة اهل الكتاب ويروى انه صلى الله عليه وسلم اخذ الجزية
من مجوس هجر وذلك ان لهم شبهة كتاب معنى ذلك ان كتبهم وهي الصحف التي انزلت على ابراهيم عليه السلام قد رفعت الى السماء لاحداث احدثوها وليس
المقصود من اخذ الجزية تقرير الكفرة على كفرهم بدينار واحد حتى يصير موجبا للطعن وانما الغرض حقن دمائهم وامهالهم مدة لعلهم يتفكرون في كتابهم
فيعرفون صدق محمد وما دعاهم اليه وانضاف حرمة انبيائهم وحرمة كتابهم وحرمة آبائهم الذين انقرضوا على الحق من شريعة التوراة والانجيل واما
قوله وهم صاغرون فمعناه انه لا بد مع اخذ الجزية من الحاق الذل والصغار بهم والسبب فيه ان طبع العاقل ينفر عن تحمل الذل فاذا امهل الكافر مدة
وهو يشاهد عز الاسلام وذل الكفر ويسمع الدلائل فالظاهر ان مجموع ذلك يحمل على الانتقال الى الاسلام وفسروا الصغار في الآية باخذ الجزية
على سبيل الاهانة بان يكون الذمي قائما والمسلم الذي ياخذ الجزية قاعدا ويامره بان يخرج يده من جيبه ويحني ظهره ويطاطئ راسه فيصب ما معه
في كفة الميزان وياخذ المستوفي بلحيته ويضرب في لهزمتيه وهذه الهيئة مستحبة على الاصح لا واجبة وقيل الصغار هو نفس اخذ الجزية والجزية تسقط
بالاسلام عند ابي حنيفة دون الشافعي وانها تؤخذ عند ابي حنيفة في اول السنة وعند الشافعي في آخرها ولا تؤخذ من فقير لا كسب له ولا من امرأة
وخنثى ولا صبي ولا مجنون وعبد ولا من سيده بسببه وتضرب على الزمن والعسيف والشيخ الفاني والراهب والاعمى على الاصح من قولي الشافعي لان الجزية
بمنزلة الكراء لسكنى فيه المعذور وغيرهم قال الشافعي في احد قوليه العاجز عن الكسب يعقد له الذمة بالجزية فاذا تم الحول اخذنا ان ايسر والا فهي
في ذمته الى ان يوسر وهكذا في كل حول ولا يصح عقد الذمة الا من الامام او نائبه الذي فوض اليه لانه من الامور الكلية وكيفية العقد ان يقول
اقررتكم او اذنت لكم في الاقامة في دار الاسلام على ان تبذلوا الجزية وتنقادوا لاحكام الاسلام التي يراها الامام ولا يقر اهل الكتاب بالجزية في ارض
الحجاز لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال اخرجوا اليهود من الحجاز قال الشافعي هو مكة والمدينة ومخاليفها اي قراها وما روي انه صلى الله عليه وسلم اوصى بان يخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة
العرب محمول على ان المراد الحجاز جمعا بين الحديثين وقد بقي في الآية نكتة ذكرها بعض العلماء في ان المسلم لا يقتل بالذمي قال لان قوله قاتلوا مشتمل
على اباحة دمهم وعلى عدم وجوب القصاص بسبب قتلهم فلما قال حتى يعطوا الجزية علمنا ان المجموع انتهى عند اعطاء الجزية ولكن انتفاء
احد جزئيه واحد الجزئين وهو وجوب قتلهم مرتفع بالاتفاق فيبقى الآخر وهو عدم وجوب القصاص بقتلهم والجزية كما كان ولقائل ان يقول
لا نزاع في الاحتمال ولكن ما الدليل على عدم وجوب القصاص وانت بصدد اثباته والحاكم في الآية المتقدمة ان اهل الكتاب لا يؤمنون بالله
شرع في اثبات تلك الدعوى فقال وقالت اليهود عزير ابن الله الآية العلم مبتدا والابن خبره ومن اسقط التنوين من عزير فلانه اسم
عجمي زائد على ثلثة احرف فيمتنع من الصرف كعازر وقيل منصرف لكونه عربيا فكان الوجه كسر التنوين كقراءة عاصم ولكنه اسقط التنوين للساكنين
على مذهب بعضهم او لان الابن وقع وصفا والخبر محذوف وهو معبودنا وطعن في هذا الوجه عبد القاهر باستلزامه احتمال توجه الذم الى الخبر دون
الوصف فيحصل تسليم كونه ابن الله ومعلوم ان ذلك كفر وهذا قول ناس من اليهود بالمدينة وما قاله هو بقول كلهم الا انه جاء على عادة العرب في
ايقاع اسم الجماعة على الواحد يقال فلان يركب الخيول ويجالس الملوك ولعله لم يركب الا واحدا ولا يجالس الا واحدا عن ابن عباس جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم
ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وعنه ايضا ان اليهود اضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فانساهم الله التوراة و
نسخها من صدورهم فتضرع عزير الى الله تعالى وابتهل اليه فعاد حفظ التوراة الى قلبه فانذر قومه فلما جربوه وجدوه صادقا فيه فقالوا انه
ابن الله وقال عبيد بن عمير انما قال هذا القول رجل من اليهود اسمه فنحاص بن عازوراء وقيل لعل هذا المذهب كان فاشيا فيهم ثم انقطع ولا
عبرة بانكار اليهود فقول الله اصدق وقال في الكشاف الدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الآية تليت عليهم فما انكروا ولا كذبوا مع تهالكهم

ويكفي في انتفائه

على التكذيب

على التكذيب واما النصارى فلان ناسا منهم يقولون ذلك وقيل السبب في ذلك ان اتباع عيسى كانوا على الحق بعد رفع عيسى حتى وقع حرب بينهم وبين
اليهود وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولس قتل جمعا من اصحاب عيسى ثم قال لليهود ان كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا ونحن مغبونون ان
دخلوا الجنة ودخلنا النار واني احتال فاضلهم فعرقب فرسه واظهر الندامة مما كان يصنع ووضع على راسه التراب وقال نوديت من السماء ليس لك توبة الا
ان تتنصر وقد تبت فادخله النصارى الكنيسة ومكث سنة لا يخرج وتعلم الانجيل فصدقوه واحبوه ثم مضى الى بيت المقدس واستخلف عليهم رجلا اسمه
نسطور وعلمه ان عيسى ومريم والاله كانوا ثلاثة وتوجه الى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت وقال ما كان عيسى انسانا ولا جسما ولكنه الله
وعلم رجلا آخر يقال له يعقوب ذلك ثم دعا رجلا يقال له ملكا فقال ان الاله لم يزل ولا يزال عيسى ثم دعا هؤلاء الثلاثة وقال لكل واحد منهم انت خالصتي
فادع الناس الى نحلتك ولقد رايت عيسى في المنام فرضي عني واني غدا اذبح نفسي لمرضاة عيسى ثم دخل المذبح فذبح نفسه فذهب هؤلاء ثم بث في نوع
هذا الكفر في طوائف النصارى الا ان لفظ الابن قد وقع في الانجيل على سبيل التشريف حيث قال انك انت الابن الوحيد كما وقع لفظ
الخليل في حق ابراهيم وقال المسيح للحواريين احبوا اعداءكم وبركوا على لاعنيكم واحسنوا الى مبغضيكم وصلوا على من يؤذيكم لكي تكونوا ابناء ابيكم الذي
في السماء الذي اشرق شمسه على الصالحين والفجرة فزاد القوم لاجل عداوة اليهود ولاجل ان يقابلوا غلوهم الفاسد في احد الطرفين بغلو فاسد في الطرف
الآخر حملوا لفظ الابن على البنوة الحقيقية والله تعالى اعلم بحقيقة الحال والله تعالى اعلم بحقيقة الحال ثم قال سبحانه ذلك قولهم بافواههم وفائدة
هذا التخصيص في كل قول انما يقال بالفم انه قول لا يعضده برهان بل البرهان دال على نقيضه لا سبيل الى اثبات الولد لمن هو بريء عن الحاجة والشهوة والمصاحبة
واتخاذ الصاحبة فما هو الا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته كالالفاظ المهملة لا يجاوز الحناجر ولا يؤثر معناها في القلب بل لا معنى لها حتى يؤثر نظيره قوله
وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم او نقول ان الانسان قد يختار مذهبا ولكن لا يصرح به ولا يذكره بلسانه اما اذا نطق به فذلك هو الغاية في اختياره واذا
ساعده عليه دليل كان غاية في الحسن والتأثير فالمراد بالقول المذهب وانهم يصرحون به لا يجمجمونه البتة او انه مذهب لا يساعده دليل فلا تاثير له في القلوب
ويحتمل ان يراد انهم دعوا الخلق الى هذه المقالة حتى وقعت في الافواه والالسنة يضاهئون من قرا بغير همز فظاهر لانه من ضاهى يضاهي مضاهاة اي شاكل
ومن قرا بالهمز فلعل ضاهأت لغة في ضاهيت ومنه امراة ضهيأ وهي التي شاكلت الرجال في انها لا تحيض ومن جعل ضهيأ فعلاء بزيادة الهمزة كما في غرقئ البيض
السفلي الجني ضهياء ممدودا بمعناه فلا ثبت في هذا الثاني عنده ولا بد من تقدير مضاف اي يضاهي قولهم قول الذين حذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه فانقلب مرفوعا لفقد الجار والمعنى ان قول هؤلاء المعاصرين للنبي من اهل الكتاب يشبه قول قدمائهم اي انه كفر قديم فيهم غير مستحدث او يضاهي
قول اهل الكتاب قول المشركين القائلين الملائكة بنات الله وقيل الضمير للنصارى فقط اي يشاكل قول النصارى المسيح ابن الله قول اليهود عزير
ابن الله لان اليهود اقدم منهم ثم قال على عادة محاورات العرب تعجبا ومنه فيها على سبيل الانكار قاتلهم الله انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق اي هم
احقاء بان يقال لهم هذا تعجبا من شناعة قولهم كما يقال لقوم ركبوا شنعاء قاتلهم الله ما اعجب فعلهم ولمن ضل عن الطريق اين تذهب ثم وصفهم بضرب
آخر من الاشراك فقال اتخذوا احبارهم ورهبانهم قال اهل المعاني الحبر العالم الذي يعبر عما يحسن بيانه والراهب الذي ظهر اثر الرهبة من قلبه على
وجهه ولباسه لكن في عرف الاستعمال اختص الاحبار بعلماء اليهود من ولد هرون والرهبان بعلماء النصارى من اصحاب الصوامع واختلفوا في معنى اتخاذهم اياهم
اربابا بعد الاتفاق على انه ليس المراد انهم جعلوهم آلهة العالم فقال اكثر المفسرين المراد انهم اطاعوهم في اوامرهم ونواهيهم نقل ان عدي بن حاتم كان نصرانيا
فانتهى الى النبي وهو يقرا سورة براءة فلما وصل الى هذه الآية قال عدي انا لسنا نعبدهم فقال اليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتستحلونه فقلت بلى قال
فتلك عبادتهم قال الربيع قلت لابي العالية كيف كانت تلك الربوبية في بني اسرائيل فقال انهم ربما وجدوا في كتاب الله ما يخالف قول الاحبار والرهبان وكانوا
ياخذون باقوالهم وما كانوا يقبلون حكم الله قال العلماء انما لم يلزم تكفير الفاسق بطاعة الشيطان خلافا للخوارج لان الفاسق وان كان يقبل
دعوة الشيطان الا انه يلعنه ويستخف به بخلاف اولئك الاتباع المعظمين لمتبوعيهم قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله قد شاهدت جماعة من مقلدة الفقهاء
قرات عليهم آيات كثيرة من كتاب الله في مسائل كانت تلك الآيات مخالفة لمذهبهم فيها فلم يقبلوا تلك الآيات ولم يلتفتوا اليها وكانوا ينظرون الي كالمتعجب
يعني كيف يمكن العمل بظواهر تلك الآيات مع ان الرواية عن سلفنا وردت بخلافها ولو تاملت حق التامل وجدت هذا ساريا في عروق الاكثرين قلت ولعلهم
توهموا لحسن ظنهم بالسلف لانهم ربما وقفوا من تلك الآي على ما لم يقف عليه الخلف وقيل في تفسير هذه الربوبية ان الجهال والحشوية اذا بالغوا في تعظيم شيخهم
وقدوتهم فقد يميل طبعهم الى الحلول والاتحاد وقد يباعدهم الشيخ في ذلك اذا كان مزورا طالبا للدنيا وقد يرضى بسجودهم له تعظيما واجلالا الا ان
السجود عبادة لا يليق الا بالله واذا كان هذا مشاهدا في هذه الامة فكيف بالامم السالفة واما المسيح فحين جعلوه ابنا لله فقد اهلوه للعبادة والالهية ولعل
السبب في افراد المسيح بالذكر ان قولهم فيه اشنع من قولهم في الاحبار والرهبان او لان القول بالهية المسيح مخصوص باحد الفريقين فلو قيل اتخذوا احبارهم ورهبانهم
والمسيح ابن مريم اربابا لاوهم اشتراك الفريقين في اتخاذ المسيح ربا وما امروا الضمير للمتخذين والذي امرهم بذلك ادلة العقل والكتب السماوية وفي القرآن
حكاية عن المسيح انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ويجوز ان يكون الضمير للاحبار والرهبان اي ما امر هؤلاء الذين هم عندهم ارباب الا
بان يكونوا مربوبين ثم نزه نفسه عن مقالة الظالمين فقال سبحانه عما يشركون ثم ذكر نوعا آخر من قبائح افعال اهل الكتاب وهو سعيهم في ابطال امر محمد
وجدهم في اخفاء الدلائل الدالة على صحة نبوته فقال يريدون ان يطفئوا نور الله اي دينه الثابت بالدليل المشبه بالنور لاشتراكهما في الاهتداء
بهما وذلك ان دين محمد تايد بالمعجزات الباهرة التي بمثلها ثبت نبوة موسى وعيسى لا سيما بالقرآن وحاصل شرعه تعظيم الله وتنزيهه عما لا يليق به والانقياد

لطاعته وصرف النفس عن الاموال الفانية والترغيب في السعادات الباقية ثم انهم بكلماتهم الركيكة وشبهاتهم السخيفة ارادوا ابطال هذه الدلائل فكانوا كمن يريد ابطال نور الشمس الذي هو اشد الانوار المحسوسة بسبب ان ينفخ فيه ولا ريب ان ذلك سعي باطل وكيد زاهق ولهذا قال ويأبى الله الا ان يتم نوره اي لم يرد الله الا ذلك لان الاباء يفيد زيادة على عدم الارادة وهي المنع والامتناع قال وان ارادوا ظلمنا ابينا امتدح بذلك ولا يجوز ان يمتدح بانه يكره الظلم لان ذلك يستوي فيه القوي والضعيف وفيه وعد بمزيد النصرة والقوة واعلاء الدرجة ثم اكد ذلك المعنى بقوله هو الذي ارسل رسوله بالهدى وبكثرة الدلائل والمعجزات ودين الحق وهو ما يشتمل على امور يظهر لكل احد كونه موصوفا بالصواب مطابقا للحكمة ومؤديا الى صلاح الدنيا والاخرة ثم بين غاية امره وتمام حكمه فقال ليظهره على الدين كله اي ليجعل الرسول او دين الحق غالبا على اهل الاديان كلهم او على كل دين عن ابي هريرة انه قال هذا وعد من الله بان يجعل الاسلام غالبا على جميع الاديان وتمام هذا انما يظهر عند خروج عيسى وقال السدي ذلك عند خروج المهدي لا يبقى احد الا دخل في الاسلام او ادى الخراج قلت قد دخل في عصرنا من الملوك الكفرة ومن اشياعهم في الاسلام ما لا يعد ولا يحصى وازدياد ذلك كل يوم دليل ظاهر على ان الكل سيدخلون في الاسلام وقد جاء في الحديث زويت لي الارض فاريت مشارق الارض ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها وقيل ليظهر الاسلام على غيره في جزيرة العرب وهذا تخصيص اوجبه ضيق العطن وقيل ليظهر الرسول على جميع شرائع الدين حتى لا يخفى عليه شيء من مدارك الاحكام وقيل ليظهره بالحجة والبرهان لان غلبة الكفار في بعض الاقطار ظاهرة ولقائل ان يقول ان المسلمين في تلك البلاد وان قلوا غالبة على الكفار وان كثروا بدليل انهم لا يمنعونهم من اظهار شعائر الاسلام والتزام احكامه قوله هو الذي ارسل فيه مدح منه تعالى لنفسه من جهة انه هو القادر على ابداء مثل هذا الامر العظيم ومن جهة انه هو الغالب على ايصاله الى حيث شاء واراد من غير معاند ولا منازع ومن جهة انه هو المعطي لمثل هذه النعمة التي لا يوازيها نعمة وهي نعمة الهدى في الاسلام وقوله ولو كره الكافرون وفي الاية الثانية ولو كره المشركون اما متساويا بالدلالة تنبيها على ان اليهود والنصارى ايضا مشركون واما تخصيص بعد تعميم ولعله رغم لانف مشركي قريش ثم لما وصف رؤساء اليهود والنصارى بالتكبر والتجبر وادعاء الربوبية والترفع على الخلق اراد ان يصفهم بالطمع والحرص فقال يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان الاية وفيه تنبيه على ان مقصودهم من اظهار تلك الربوبية والتجبر تحصيل حطام الدنيا قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله ولعمري من تامل في احوال اهل الناموس والتزوير في زماننا وجد هذه الايات كانها ما انزلت الا في شانهم وشرح احوالهم فترى الواحد منهم يدعي انه لا يلتفت الى الجنة ولا يعلق خاطره بجميع المخلوقات وانه في الطهارة والعصمة مثل الملائكة المقربين حتى اذا آل الامر الى الرغيف الواحد تراه يتهالك ويتحمل الذل والدناءة في تحصيله وفي قوله كثيرا دلالة على ان هذه الطريقة طريقة بعضهم لا كلهم فان العالم لا يخلو عن المحق واطباق الكل على الباطل واثبات ذلك كالممتنع وهذا يوهم انه كما ان اجماع هذه الامة على الباطل لا يحصل فكذلك في سائر الامم وعبر عن اخذهم اموال الناس بالاكل تسمية للشيء باسم ما هو اعظم مقاصده وايضا من اكل شيئا فقد ضمه الى نفسه ومنعه من الوصول الى غيره كما لو اخذه ولهذا فان من اخذ اموال الناس فاذا طولب بردها قال اكلتها وما بقيت فلا قدرة لي على ردها وفي تفسير الباطل وجوه منها انهم كانوا ياخذون الرشى في تخفيف الاحكام والمسامحة في الشرائع وفي اخفاء بعث محمد وتاول الدلائل الدالة على نبوته ومنها انهم كانوا يوعدون عند عوامهم الحمقى انه لا سبيل الى الفوز بمرضاة الله تعالى الا بخدمتهم وطاعتهم وبذل الاموال في ذاتهم والعوام كانوا يغترون بتلك الاكاذيب ومنها انهم قالوا لا طريق الى تقوية دينهم الا اذا كان اولئك الفقهاء اقوياء عظماء اصحاب الجاه والحشمة والاموال كما يفعله المزورون في زماننا هذا اما قوله ويصدون عن سبيل الله فمعناه بيان العون في المنع من متابعة محمد كيلا يبطل جاههم وحشمتهم عند العوام لو اقروا بدينه ثم قال سبحانه والذين يكنزون الكنز هو المال المدفون وقد كنزه يكنزه والتركيب يدل على الجمع ومنه ناقة كناز مكتنزة اللحم واكتنز الشيء اجتمع قيل المراد بقوله والذين الاحبار والرهبان لما وصفهم بالحرص الشديد اراد ان يصفهم بالامتناع من اخراج الواجبات عن اموالهم وقيل المقصود مانعوا الزكوة من المسلمين ووجه النظم انه لما كان حال من امسك مال نفسه بالباطل كذلك فما ظنك بحال من سعى في اخذ مال غيره بالباطل والحيلة عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة فاذا انا بابي ذر فقلت له ما انزلك هذه البلاد فقال كنت بالشام فاختلفت انا ومعوية في هذه الاية فقال معوية نزلت في اهل الكتاب فقلت نزلت فينا وفيهم فصار ذلك سببا للوحشة فكتب الي عثمان ان اقدم المدينة فلما قدمت المدينة انحرف الناس عني كانهم لم يروني من قبل فذكرت ذلك لعثمان فقال ان شئت تنحيت فكنت قريبا فقلت اني والله لا ادع ما كنت اقول وعن الاحنف قال لما قدمت المدينة رايت ابا ذر يقول بشر الكافرين برضف يوم يحمى عليه في نار جهنم فيوضع على حلمة ثدي احدهم حتى يخرج من نغض كتفه ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه فلما سمع القوم ذلك تركوه فاتبعته وقلت ما رايت هؤلاء الا كرهوا ما قلت لهم فقال ما عسى يصنع بي قريش واختلف علماء الصحابة في هذا الكنز المذموم فقال الاكثرون هو المال الذي لم تؤد زكوته عن عمر بن الخطاب ان كل مال اديت زكوته ليس بكنز وقال ابن عمر كل ما اديت زكوته فليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين وكل مال لم تؤد زكوته فهو كنز وان كان فوق الارض قال جابر اذا اخرجت الصدقة من مالك فقد اذهبت عنك شره وليس بكنز وعن ابن عباس

قوله ولا ينفقونها في سبيل الله يريد الذين لا يؤدون زكوة اموالهم قال القاضي ويندرج فيه سائر الحقوق من الكفارات والديون ونفقة الحج والجهاد والانفاق على الاهل والعيال وضمان المتلفات واروش الجنايات وقال الاقلون كل مال كثير فهو مذموم سواء اديت زكوته او لم تؤد حجة الاولين قوله لها ما كسبت ولا يسئلكم اموالكم وقوله كل امرئ احق بكسبه نعم المال الصالح ما اديت زكوته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ ان يزكى ولم تزك فهو كنز وان كان ظاهرا وقد كان في عهد رسول الله صلعم جمع من الاغنياء كعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وكان بعدهم من اكابر المؤمنين وقد ندب الى اخراج الثلث والاقل في المرض ولو كان جمع المال محرما لكان يأمر المريض بتصدق الكل بل الصحيح في حال الصحة حجة الاقلين عموم الاية وما روى سالم بن الجعد انها لما نزلت قال رسول الله تبا للذهب تبا للفضة قالها ثلثا فقالوا له اي مال نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين احدكم على دينه وقوله من ترك صفراء وبيضاء كوي بها وتوفي رجل فوجد في مئزره دينار فقال رسول الله صلعم كية وتوفي اخر فوجد في مئزره ديناران فقال كيتان وعن علي ع كل مال زاد على اربعة الاف فهو كنز اديت منه الزكوة او لم تؤده ومن المعقول ان الله تعالى خلق الاموال لدفع الحاجات فاذا حصل للمرء منه ما زاد على قدر حاجته ومنع منه الغير كان مانعا من ظهور حكمة الله ودافعا لوجوه الاحسان الى عبيده وقد رام طائفة من العلماء الجمع بين القولين فقالوا كان هذا قبل ان يفرض الزكوة فاما بعد فرض الزكوة فان الله اعدل واكرم من ان يجمع عبده مالا من حيث اذن له فيه ويؤدي عنه ما اوجب عليه ثم يعاقبه وقال اهل التحقيق النهي عن جمع المال محمول على التقوى لان تزايد المال لا حد له يقف هناك فيجر الى تضييع العمر في تحصيله واخرى في حفظه ولانه كلما ازدادت لذته بذلك فيشتد حرصه لا ينقطع البتة وقد يفضي الى الطغيان والجدال كقوله تعالى ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ولو لم يكن في الفقر سوى الانكسار وقلة التعلق وفراغ البال لكفى بها منقبة وفخرا وكل ما يلهيك عن الله ولم يكن في سبيل الله فعدمه خير من وجوده واما ظاهر الفتوى فهو ان صاحب المال الكثير لا عتب عليه اذا ادى منه حقوق هذا ومن حمل الاية على وعيد مانعي الزكوة في النقود قاس الزكوة في المواشي عليه وقد ورد ايضا في الحديث ما من صاحب ابل او بقر او غنم وهو مشهور ولا ريب ان الاصل المعتبر في الاموال هو النقد وسائر الامتعة انما تحصل بها وتدور عليها ولمن اوجب الزكوة في الحلي المباح الاستدلال بالاية لان الذهب والفضة يشمله ومن لم يوجب الزكوة فيه خصص عموم الاية بما روي انه صلعم قال لا زكوة في الحلي المباح ولم يصححه ابو عيسى الترمذي وبتقدير ان يصح حملوه على اللالي لقوله تعالى وتستخرجون حلية تلبسونها ولقائل ان يقول لو حملنا الحلي في الحديث على اللالي لم يبق لتقييد المباح فائدة ثم انه تعالى ذكر شيئين الذهب والفضة ثم قال ولا ينفقونها فقيل الضمير عائد الى المعنى وهو الكنوز او الاموال ولان كل واحد منهما جملة واحدة فيه وعدة كثيرة ودراهم ودنانير فهو كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل الى اللفظ اي لا ينفقون من الفضة وحذف الذهب لما انه داخل في الفضة من حيث كونهما جوهرين ثمينين نفيسين مقصودين بالكنز فاغنى ذكر احدهما عن الاخر كقوله واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا واما لان التقدير والذهب كذلك كما ان معنى قوله فاني وقيار بها لغريب وقيار كذلك ثم قال فبشرهم بعذاب اليم تهكما مثل قولهم تحيتهم الضرب واكرامهم الشتم ولو قيل البشارة هي الخبر الذي يؤثر في القلب فيتغير بسببه لون بشرة الوجه سواء كان من الفرح ومن الغم كان حقيقة يوم يحمى عليها معناه ان النار تحمى عليها اي يوقد عليها نار ذات حمى وحر شديد من قوله نار حامية ولو قيل يحمى اي الكنوز كقولك حمي الحديد لم يفد هذا المعنى وانما ذكر الفعل مع ان الاحماء للنار لانه مسند الى الجار والمجرور وبعد حذف النار كما تقول رفعت القصة الى الامير فان لم تذكر القصة قلت رفع الى الامير فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ذكر العلماء في تخصيص هذه الاعضاء بالكي وجوها منها ان حصول الاموال يقصد به فرح في القلب يظهر اثره في الوجه وشبع ينتفخ بسببه الجنبان ولبس ثياب فاخرة يطرحونها على ظهورهم فعورضوا بنقيض المقصود ومنها ان هذه الاعضاء يعظم تالمها لكونها مجوفة ولما في داخلها من الاعضاء الشريفة ومنها انهم يكوون على الجهات الاربع اما من قدام فعلى الجبهة واما من خلف فعلى الظهر واما من اليمين واليسار فعلى الجنبين ومنها ان المراد وقوع الكي على كل الاعضاء لانها اما في غاية اللطافة ومثاله الجبهة واما في غاية الصلابة ومثاله الظهر واما متوسطة ومثاله الجنبان ومنها الجمال في الوجه والقوة في الظهر والجنبين والانسان انما يطلب المال للجمال والقوة فعورض بازائهما ومنها قول ابي بكر الوراق خصت بالذكر لان صاحب المال اذا راى الفقير قبض جبينه واذا قعد بجنبه تباعد وتجافى عنه وولى عليه ظهره وانا اقول يحتمل ان يراد بالجباه قدام الشخص حين لم يقدم لنفسه خيرا وبالظهور جهة الخلف حين خلف ما اعقبه الحسرات وبالجنبين اليمين والشمال حين لم يصرف المال في مرضات الله وانفقه في معصيته وسخطه وهذا بالتاويل اليق ثم الذي جعل كيا هو كل المال او القدر الزكوي الظاهر انه الكل لانه لما لم يخرج منه الحق كان ذلك الجزء شايعا في كل المال فناسب ان يعذب بكل الاجزاء ثم قال هذا ما كنزتم والتقدير فيقال لهم هذا ما كنزتم لانفسكم وفيه توبيخ واشعار بانهم عورضوا بنقيض ما قصدوا واكد ذلك بقوله فذوقوا ما كنتم تكنزون ما مصدرية او موصولة والمعنى ذوقوا وبال كونكم كانزين او وبال المال الذي كنتم تكنزونه ثم ذكر نوعا اخر من قبائح اعمال اليهود والنصارى والمشركين فقال ان عدة الشهور الاية وذلك انه تعالى لما حكم في كل وقت بحكم خاص فاذا غيروا تلك الاوقات بسبب النسيء والكبيسة كان ذلك سعيا منهم في تغيير حكم الله بحسب الهوى فكان ذلك زيادة

ذكرهم واعلم ان المعالم الشرعية كلها منوطة بالشهور القمرية الهلالية لقوله سبحانه قل هي مواقيت للناس والحج والسنة القمرية عبارة عن اثنى عشر شهرا قمريا بدليل قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا قال ابو علي الفارسي لا يجوز ان يتعلق قوله في كتاب الله بقوله عدة الشهور للفصل بالاجنبي وهو الخبر اعني اثنا عشر فقوله في كتاب الله ويوم خلق الثاني بدل من الاول وهو من عند والتقدير ان عدة الشهور عند الله في كتاب الله يوم خلق السموات والارض وفائدة الابدالات تقرير الكلام في الاذهان لانه يعلم منه ان ذلك العدد واجب عند الله وثابت في علمه في اول ما خلق الله العالم ويجوز ان يكون في كتاب الله صفة اثنى عشر اى اثنا عشر شهرا مثبتا في كتاب الله وعلى هذا لا يجوز ان يراد بالكتاب كتاب من الكتب لان يوم متعلق به ولا يتعلق الظروف باسماء الاعيان لا يقال غلامك يوم الجمعة بل الكتاب يكون مصدرا بمعنى المفعول اى فيما اثبته في ذلك اليوم اللهم الا اذا قدر الكلام هكذا ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا مكتوبا في كتاب الله يوم خلق قال ابن عباس هو اللوح المحفوظ وقيل القرآن منها اربعة حرم ثلثة سرد اى مسرودة ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب ذلك الدين القيم يعني ان تحريم الاشهر الحرم الدين المستقيم الذي كان عليه ابرهيم واسمعيل وقد توارثته العرب منهما وكانوا يعظمونها ويحرمون القتال فيها حتى لو لقى الرجل قاتل ابيه واخيه تركه فلا تظلموا فيهن اى في الاشهر الاربعة انفسكم بان تجعلوا حرامها حلالا عن عطاء تالله ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخت وعن الحسن مثله لانه فسر الدين القيم بانه الثابت الذي لا يزول وعن عطاء الخراساني احلت القتال في الاشهر الحرم براءة من الله ورسوله وقيل معناه لا تأثموا فيهن بيانا لعظم حرمتهن كما عظم اشهر الحج بقوله فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق والسبب فيه ان لبعض الاوقات اثرا في زيادة الثواب والعقاب كما للامكنة وكان الحكماء يختارون لاجابة الدعاء اوقاتا مخصوصة وفيه فائدة اخرى هي ان الانسان جبل مطبوعا على الظلم والفساد ومنعه من ذلك على الاطلاق شاق عليه فخص بعض الازمنة والامكنة بطاعته ليسهل عليه الاتيان بها فيهما ولا يمتنع عن ذلك ثم لو اقتصر على ذلك فهو امر مطلوب في نفسه وان جره ذلك الى الاستدامة والاستقامة بحسب الالف والاعتياد او لاعتقاده ان الاقدام على ضد ذلك يبطل مساعيه السالفة فذلك هو المطلوب الكلي ولا ريب ان تخصيص ذلك من الشارع اقرب الى اتحاد الآراء ولطائف الكلمة وقيل الضمير في قوله فيهن عائد الى اثنى عشر والمقصود منع الانسان من الاقدام على الافساد مدة عمره والمراد المنع من النسئ على ما يجيء قال الفراء الاولى رجوع الضمير الى الاربعة لقربها ولما ذكرنا ان لهذه الاشهر مزيد شرف فناسب ان يخص بالمنع من الظلم ولان العرب تختار فيما بين الثلثة الى العشرة ضمير الجماعة وفيما جاوز العشرة وهو جمع الكثرة تختار ضمير الواحدة قال حسان لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى واسيافنا يقطرن من نجدة دما ويقال لثلث خلون من شهر كذا ولاحدى عشرة ليلة خلت ثم قال عز من قائل وقاتلوا المشركين وظاهره انه يدل على اباحة القتال في جميع الاشهر لان الامر الوارد عقيب الحظر يدل على الاباحة ومعنى كافة جميعا لانهم اذا اجتمعوا تزاحموا فكف بعضهم بعضا ونصب على المصدر عند بعضهم لانه مثل العاقبة والعافية وقال الزجاج نصبه على الحال ولا يجوز ان يثنى ويجمع ويعرف باللام كقولك قاموا معا وقاموا جميعا وفي وجه التشبيه في قوله كما يقاتلونكم كافة قولان عن ابن عباس قاتلوهم بكليتهم ولا تحابوهم بترك القتال كما انهم يستحلون قتال جميعكم وقيل قاتلوهم باجمعكم غير متفرقين في مقاتلة الاعداء ومقابلتهم فعلى الاول يكون كافة حالا من المفعول وعلى الثاني يكون حالا من الفاعل وفي قوله واعلموا ان الله مع المتقين حث لهم على التقوى وعلى الجهاد بضمان النصر والمعونة ثم فسر الظلم المنهي عنه في الآية المتقدمة واكد النهي عنه بقوله انما النسئ وهو مصدر نسأ اذا اخر كالنذير والنكير وقال قطرب اصله الزيادة من قولهم نسأت المرأة اذا حبلت لزيادة الولد فيها ورد بانه يقال لها ذلك لتأخر حيضها وقيل هو بمعنى منسوء كقتيل بمعنى مقتول واعترض بان المؤخر هو الشهر فيؤول المعنى الى ان الشهر زيادة في الكفر وهذا الحمل غير صحيح ويمكن ان يجاب بان المراد ان العمل الذي لسببه يصير الشهر الحرام مؤخرا زيادة في الكفر احتج الجبائي ههنا بان الكفر يقبل الزيادة فكذا الايمان وايضا اطلق الكفر على هذا العمل فتركه يكون ايمانا فلا يكون الايمان مجرد الاعتقاد والاقرار واجيب بان الزيادة راجعة الى الكفار او انما سمي هذا العمل كفرا لانه يؤول الى اعتقاد تحليل ما هو حرام وبالعكس وفي قوله يضل به الذين كفروا بحث مشهور بين المعتزلة وغيرهم ان اسناد الاضلال الى الله تعالى بالمجاز او بالحقيقة وقد مر مرارا قوله يحلونه عاما الضمير فيه عائد الى النسئ قال الواحدي اى يحلون التأخير عاما وهو العام الذي يريدون ان يقاتلوا في الشهر الحرام ويحرمونه اى التأخير عاما آخر وهو الذي يتركون الشهر الحرام على تحريمه قال المفسرون انهم كانوا اصحاب حروب وغارات وكان يشق عليهم مكث ثلثة اشهر متوالية من غير قتل وغارة فاذا اتفق لهم في شهر منها او في المحرم حرب وغارة اخروا تحريمه الى الشهر الآخر قال الواحدي واكثر العلماء على ان هذا التأخير كان من المحرم الى صفر ويروى انه حدث في كنانة لانهم كانوا فقراء محاويج الى الغارة وكان جنادة بن عوف الكناني مطاعا في قومه وكان يقوم على جمل في الموسم فيقول باعلى صوته ان الهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم يقوم في القابل فيقول ان الهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والاكثرون على انهم كانوا يحرمون من جملة شهور العام اربعة اشهر وذلك قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله اى ليوافقوا العدة التي هي الاربعة ولا يخالفوا ولم يعلموا انهم خالفوا في ازالة القتال ووجوب التخصيص وذلك قوله

فيحلوا ما حرم الله اى من القتال وترك الاختصاص قال اهل اللغة يقال تواطأ القوم على كذا اذا اجتمعوا عليه لان كل واحد منهم يطأ حيث يطأ صاحبه والايطاء في الشعر من هذا وهو ان يأتي في القصيدة بقافيتين لفظهما ومعناهما واحد قال ابن عباس انهم ما احلوا شهرا من الاشهر الحرم الا حرموا مكانه شهرا آخر من الحلال ولم يحرموا شهرا من الحلال الا احلوا مكانه شهرا آخر من الحرام لاجل ان يكون عدد الحرم اربعة مطابقة لما ذكره الله ثم هذا هو المراد بالمواطأة وللآية تفسير آخر وهو ان يكون المراد بالنسئ كبس بعض السنين القمرية بشهر حتى يلتحق بالسنة الشمسية وذلك ان السنة القمرية اعني اثنى عشر شهرا قمريا هي ثلثمائة واربعة وخمسون يوما وخمس وسدس من يوم على ما عرف من علم النجوم وعمل الزيجات والسنة الشمسية وهي عبارة عن عود الشمس من اية نقطة تفرض من الفلك اليها بحركتها الخاصة ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم الا كسرا قليلا فالسنة القمرية اقل من السنة الشمسية بعشرة ايام واحدى وعشرين ساعة وخمس ساعة تقريبا وبسبب هذا النقصان تنتقل الشهور القمرية من فصل الى فصل فيكون الحج واقعا في الشتاء مرة وفي الصيف اخرى وكذا في الربيع والخريف فكان يشق الامر عليهم اذ ربما كان وقت الحج غير موافق لحضور التجار من الاطراف فكان يختل اسباب تجاراتهم ومعايشهم فلهذا السبب اقدموا على الكبيس بحيث يقع الحج دائما عند اعتدال الهواء وادراك الثمار والغلات وذلك بقرب حلول الشمس نقطة الاعتدال الخريفي فكبسوا تسع عشرة سنة قمرية بسبعة اشهر قمرية حتى صارت تسع عشرة سنة شمسية فزادوا في السنة الثانية شهرا ثم في الخامسة ثم في السابعة ثم في العاشرة ثم في الثالثة عشرة ثم في السادسة عشرة ثم في الثامنة عشرة وذلك ترتيب بهزيحوج عند المنجمين وقد تعلموا هذه الصنعة من اليهود والنصارى فانهم يفعلون هكذا لاجل اعيادهم فالشهر الزائد هو الكبيس وسمي بالنسئ لانه المؤخر والزائد مؤخر عن مكانه وهذا التفسير يطابق ما روي انه صلى الله عليه وسلم خطب في حجة الوداع وكان في جملة ما خطب الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه وعاد الحج في ذي الحجة وبطل النسئ الذي كان في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة في نفس الامر وكانت حجة ابي بكر قبلها في ذي القعدة التي سموها ذا الحجة وانما لزم العتب عليهم في هذا التفسير لانهم اذا حكموا على بعض السنين بانها ثلثة عشر شهرا كان مخالفا لحكم الله بان عدة الشهور اثنا عشر شهرا اى لا ازيد ولا انقص واليه الاشارة بقوله ذلك الدين القيم على هذا التفسير ويلزمهم ايضا ما لزمهم في التفسير الاول من تغيير الاشهر الحرم عن اماكنها فيجوز ان يكون الاشارة الى المجموع ومعنى قوله يحلونه عاما اى يحلون النسئ من عام الكبيس ويحرمونه عاما اى في غير سنة الكبيس ومعنى قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله ما روي انه كان يقوم في الموسم منهم خطيب فيقول انا النسئ لكم في هذه السنة شهر وكذا افعل في كل سنتين او ثلث فيرضى باى حكم وقت الاداء فيسمى المحرم ويجعله كبيسا ثم انه متى انتهت النوبة الى الشهر الحرام فنكورد حرم عليهم واحله على وفق مصلحتهم واحل الآخر وباقي الآية قد مر تفسيره مثله مرارا والله تعالى اعلم التأويل قاتلوا النفوس الذين لا يؤمنون بالله بتعبده ولا باليوم الآخر اى لا يعملون للآخرة ولا يحرمون ما حرم الله من حب الدنيا فانها رأس كل خطيئة وحرم رسوله على نفسه ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب من النفوس الملهمة بالواردات الربانية حتى يعطوا الجزية وهي معاملتها على الخلاف قطعها عن يد غير حكم صاحب قوة وهو الشارع وقالت اليهود النفس عزير القلب ابن الله وذلك اذا انعكس عن مرآة القلب آثار انوار الواردات الى النفس المظلمة فتنورت كما ان اليهود لما سمعت التورية والعلوم التي هم عنها بمعزل من عزير قالوا انه ابن الله وقالت نصارى القلوب ان مسيح الروح ابن الله وذلك ان الروح ربما يتجلى للقلب في صفة الربوبية والخلافة مقترنا بصفة ابداع الحق وبتشريفها اضافة ونفخت فيه من روحي يضاهئون قول الذين كفروا من قبل وهم النفوس الكافرة اتخذوا احبارهم اى قلوبهم ورهبانهم اى ارواحهم اربابا والمسيح ابن مريم وهو الخفي وذلك ان الخفي هو اول مظهر للفيض الالهي الذي منه التربية الروح ثم القلب ثم النفس ثم القالب فالنفس من قصر نظرها الى ان يرى الكل من الحق فان رؤية ذلك من شأن القلب كقوله ما كذب الفؤاد ما رأى يريدون اى النفوس ان يطفئوا نور الله الذي رش على الارواح في بدء الخلق بافواه استيفاء الشهوات واللذات الجسمانيات هو الذي ارسل رسوله وهو الفيض النوراني المرشد بالهداية الى الله وطلب الحق لهم في طلب الحق على طلب غيره ان كثيرا من احبار القلوب ورهبان الارواح لياكلون اى يتمتعون بحظوظ النفس وهواها والذين يكنزون الذهب والفضة حرصا وطمعا في الاستمتاع بحظوظ النفس ولا ينفقونها في سبيل الله ليقطعوا مسافة البعد عن الله بقدم ترك الدنيا وقمع الهوى يحمى عليها في نار جهنم الحرص فتكوى بها جباه القلوب والارواح لانهم اشتغلوا بذلك عن التوجه الى الحق وجنوبهم حيث لا يتجافى جنوبهم عن مضاجع المكونات وظهورهم حيث لم يقضوا حق التواضع والخشوع فيقال لهم هذا الذي اصابكم من الم الحرمان وعذاب القطيعة بسبب ما كنزتم فذوقوا الآن الم كي نار الحرص لانكم لم تذوقوا في الدنيا حيث كنتم في منام الغفلة منها اربعة حرم فيه اشارة الى ان الطالب المضطر الى تحصيل قوت نفسه وعبادة ربه يجعل اوقات عمره اثلاثا ثلثا للطلب المعاش وترتيب مصالح الدنيا وثلثا للطاعات التي ينتفع بها في الآخرة وثلثا من ذلك حرام ان يقع في خاطره غير المولى ومن استغنى عن الموانع فحرم عليه صرف لحظة في غير طلب الحق والى هذا المعنى اشار بقوله ذلك الدين القيم وفيه تنبيه على من لم يكن هكذا كان في سلوكه

ع اعوجاج ثم ذكر من شأن النفوس المشركة انها ان اقبلت على طاعة اخرتها عن وقتها وهو لينبئ الموجب لا ذهابا دكفرها لانها قد خالفت
الشرع من حيث تركها الطاعة باختيارها ومن حيث ذلك اذا اعتقدت انها التأخير مما لا بأس به يا ايها الذين امنوا ما لكم
اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة فما متاع الحيوة الدنيا
كه چون گويند شما را كه بيرون رويد در راه خدا درنگ كنيد در زمين آيا خوشنود شديد بزندگانى دنيا از آخرت پس نيست بهره زندگانى دنيا
في الاخرة الا قليل الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل
در جنب آخرت مگر كمى اگر كه بيرون نرويد عذاب كند شما را عذابى دردناك و بدل آورد از شما گروهى غير از شما را و ضرر نرسانيد او را چيزى و خدا بر همه
شيء قدير الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا
چيز تواناست اگر يارى نكنيد او را پس تحقيق يارى كند او را خدا وقتى كه بيرون كردند او را كافران كه دوم بود از دو وقتى كه در غار بودند چون گفت يار خود را كه
تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة
اندوه مخور كه خدا با ماست پس فرو فرستاد خدا اطمينان خود را بر او و يارى كرد او را بلشكرى نديديد شما آن را و گردانيد سخن آنان را كه كافر شدند پست و سخن
الله هي العليا والله عزيز حكيم انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير
خدا آن بلند است و خدا غالب داناست بيرون رويد سبك و بارگران يا سواره و پياده و كوشش كنيد با مالهاتان و نفسهاتان در راه خدا اين بهتر است
لكم ان كنتم تعلمون لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون
مر شما را اگر ميدانيد اگر بودى كالاى نزديك و سفرى آسان هرآينه پيروى كردندى ترا و ليكن دشوار است برايشان سفر دور و سوگند خورند
بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون عفا الله عنك لم اذنت
بخدا كه اگر بتوانيم هرآينه بيرون شويم با شما هلاك مى نمايند نفسهاى خود را و خدا ميداند كه ايشان هرآينه دروغگويانند در گذشت خدا از تو چرا اذن دادى
لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم ع
ايشان را تا ظاهر شود مر ترا آنان كه راست گفتند و بدانى دروغگويان را دستورى نمى خواهند از تو آنان كه مى گروند بخدا و روز
الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين انما يستاذنك الذين لا يؤمنون بالله و
واپسين كه كوشش كنند بمالهاى خود و نفسهاى خود و خدا داناست به پرهيزگاران جز اين نيست كه دستورى خواهند از تو آنانكه نمى گروند بخدا و
اليوم الاخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن
روز واپسين و در شك است دلهاى ايشان پس ايشان در شك خود متردد اند و اگر اراده بيرون رفتن داشتند هرآينه مهيا كردندى از براى آن اسباب
كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولاوضعوا
وليكن ناخوش داشت خدا برخاستن ايشان را پس درنگ گردانيد و گفته شد كه بنشينيد با نشستگان اگر بيرون روند با شما نيفزايند شما را بجز تباهى و هرآينه بشتابند
خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا
ميان شما جويندى شما را فتنه و در شما هستند جاسوسان ايشان و خدا داناست بستمكاران تحقيق كه جستند فتنه را از پيش و دگرگون كردند
لك الامور حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني الا في الفتنة
بر تو كارها را تا كه آمد حق و هويدا شد فرمان خدا و ايشان كراهت داراند و از ايشان كسى است كه ميگويد اذن ده مرا و مفتون مساز مرا آگاه باشيد در فتنه
سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين القراءة وكلمة الله بالنصب يعقوب الباقون من الاخرة قليل شيئا لا تنصروه معنا العطف
افتادند و بدرستى كه جهنم هرآينه فرا گيرنده است بكافران انزل على نصره مع عوض للظروف السفلى لا المنزع وكلمة بالنصب العليا حكيم في
سبيل الله تعلمون الشقة معكم لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال لكاذبون عنك لحق لا الاستفهام مع اتصال الكلام معنى الكاذبين و
انفسهم بالمتقين يترددون القاعدين لفتنة لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال لهم بالظالمين كارهون ولا تفتني سقطوا بالكافرين
التفسير لما شرح معايب هؤلاء الكفار عاد الى الترغيب في قتالهم عن ابن عباس انها نزلت في غزوة تبوك سنة عشر وذلك انه صلعم لما رجع عن
الطائف اقام بالمدينة اياما فامر بجهاد الروم فاستثقل الناس لكون الزمان زمان شدة والقحط ولبعد المسافة ولزيادة احتياج الى
الاستعداد ولشدة الحر وللخوف من عسكر الروم ولوجود اسباب الرفاهية بالمدينة لكون الوقت وقت ادراك الثمار وحصول الغلات روي
ان رسول الله ما خرج في غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة واصل النفر الخروج الى مكان لامر هاج عليه واسم ذلك القوم الذين يخرجون
النفير واصل اثاقلتم تثاقلتم كما قلنا في فادارأتم ومعناه تباطأتم وانما عدي بالى لتضمين معنى الميل والاخلاد كقوله اخلد الى الارض اي مال الى
الدنيا وشهواتها وقيل المراد ملتم الى الاقامة بارضكم والبقاء فيها ومعنى الاستفهام في ما لكم الانكار وقرئ اثاقلتم على الاستفهام للانكار ايضا
فيكون جواب اذا فعلا اخر مدلولا عليه باثاقلتم كتملتم وذلك لان جواب اذا عامل في اذا والاستفهام لا يعمل فيما قبله ويجوز على هذه ان يكون اذا مجرد
الظرفية والعامل فيه ما في ما لكم من معنى الفعل كانه قيل ما تصنعون اذا قيل لكم ومن في الاخرة للبدل كقوله لجعلنا منكم ملائكة في الارض

يخلفون

يخلفون كانه قيل قد ذكرنا الموجبات الكثيرة الداعية الى القتال وبينا انواع فضائحهم التي تحمل العاقل على مقاتلتهم ولو لم يكن فيه
الا طاعة المعبود المستلزمة لثواب الاخرة لكفى به باعثا فما متاع الحيوة الدنيا في الاخرة اي في جنبها وفي مقابلتها الا قليل ويجوز
ان يراد بالقلة العدم اذ لا نسبة للمتناهي الزائل الى غير المتناهي الباقي والظاهر ان هذا التثاقل لم يصدر من جميع المخاطبين لا محالة
الحباق هذه الاية على المعصية والضلالة الا انه اعطي للاكثر حكم الكل واطلق لفظ الكل على الاغلب ثم لما رغبهم في الجهاد
بعوض الثواب عليهم رغبهم فيه بعوض العقاب فقال الا تنفروا واورد عليه ثلث خصال الاولى قوله يعذبكم عذابا اليما قيل هو عذاب
الدنيا عن ابن عباس استنفرهم رسول الله صلعم فتثاقلوا فامسك الله عنهم المطر وقال الحسن الله اعلم بالعذاب الذي كان ينزل عليهم و
قيل هو عذاب الاخرة فان الاليم لا يليق الا به وقيل انه تهديد بالعذاب المطلق الشامل للدارين الثانية قوله ويستبدل قوما
غيركم يعني قوما اخرين خيرا منهم واطوع قيل هم اهل اليمن عن ابي روق وقيل ابناء فارس عن سعيد بن جبير وقيل يحتمل انه اراد بهم الملائكة
وقال الاصم معناه انه يخرجكم من بين اظهركم وهو المدينة والاصح ابقاء الاية على الاطلاق الثالثة قوله ولا تضروه شيئا قال الحسن
الضمير لله وفيه انه غني عنهم في نصرة دينه بل في كل شيء وقال الاخرون الضمير للرسول لان الله وعده ان يعصمه ووعد الله كائن لا محالة
في قوله والله على كل شيء قدير تنبيه على انه قادر على نصرة رسوله باي وجه اراد وقادر على ايقاع العذاب بكل من تخالف امره كائنا
من كان عن الحسن وعكرمة ان الاية منسوخة بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة والصحيح انها خطاب لمن استنفره رسول الله
فلم ينفروا فلا نسخ قال الجبائي في الاية دلالة على ابطال مذهب المرجئة من اهل القبلة لا وعيد لهم وقال القاضي فيها دلالة على
وجوب الجهاد سواء كان مع الرسول او لا كقوله تعالى ما لكم اذا قيل لكم ولم ينص على ان القائل هو الرسول ومن قال ان الضمير في
قوله لا تنصروه عائد الى الرسول فجوابه ان خصوص اخر الاية لا يمنع من عموم اولها ثم رغبهم في الجهاد بطريق اخر فقال الا تنصروه فقد
نصره الله وهذا كالتفسير لما تقدم والمعنى ان لم تشتغلوا بنصره فان الله سينصره بدليل ان الله نصره وقواه حال ما لم تكن معه الا
رجل واحد ولا اقل من الواحد فيعلم انه لما اوجب النصرة فحينئذ فلن يخذله بعد ذلك وقوله اذ اخرجه الذين كفروا اي الجاؤه الى الخروج
ظرف له نصره وثاني اثنين نصب على الحال ومعناه احد اثنين لانه اذا حضر اثنان فكل واحد منهما ثان للاخر وواحد منهما وقوله
اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه واذ يقول بدل ثان والغار نقب عظيم في الجبل والمراد به ههنا نقب في اعلى ثور وهو جبل في
يمنى مكة على مسيرة ساعة واعلم انا قد ذكرنا في سورة الانفال ان قريشا ومن بمكة تعاقدوا على قتل رسول الله فنزل واذ يمكر بك الذين
كفروا فامره الله تعالى ان يخرج هو وابو بكر الصديق الى الغار وامر عليا ان يضطجع على فراشه فلما وصلا الى الغار دخل ابو بكر يلتمس
ما في الغار فقال له الرسول ما لك فقال له الرسول ما لك فقال بابي انت وامي الغيران ماوى السباع والهوام فان كان فيه شيء كان
لابي بكر فخرق عمامته وسد الجحرة وبقي جحر واحد فوضع عقبه عليه كيلا يخرج منه ما يؤذي الرسول فلما طلب المشركون الاثر وقربوا
بكى ابو بكر خوفا على رسول الله صلعم فقال عم لا تحزن ان الله معنا وقيل طلع المشركون فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله صلعم
فقال عم لا تحزن ان الله معنا وقيل طلع المشركون فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله صلعم فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله
فقال صلعم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال
رسول الله صلعم اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون له قد اخذ الله ابصارهم عنه استدل اهل السنة بالاية على
افضلية ابي بكر وغاية اتحاده ونهاية صحبته وموافقة باطنه ظاهره والا لم يعتمد الرسول عليه في مثل تلك الحالة وانه كان ثاني
رسول الله صلعم في الغار وفي العلم لقوله ما صب في صدري شيء الا وصببته في صدر ابي بكر وفي الدعوة الى الله لانه صلعم عرض الايمان اولا
على ابي بكر فامن ثم عرض ابو بكر الايمان على طلحة والزبير وعثمان بن عفان وجماعة اخرى من اجلة الصحابة وكان لا يفارق الرسول صلعم
في الغزوات وفي اداء الجماعات وفي المجالس والمحافل وقد قام في مرضه مقامه في الامامة ولما توفي دفن بجنب رسول الله فكان ثاني
اثنين من اول الامر الى الاخر ولو قدرنا انه توفي رسول الله صلعم في ذلك السفر لزم ان لا يقوم بامره ولا يكون وصيه الا ابو بكر وان لا يبلغ
ما حدث في ذلك الطريق من الوحي والتنزيل الا ابو بكر وقوله لا تحزن نهي عن الحزن مطلقا والنهي يقتضي الدوام والتكرار فهو لا يحزن
قبل الموت وعنده وبعده ولا شك ان من كان الله معه فانه يكون من المتقين المحسنين لقوله ان الله مع الذين اتقوا والذين
هم محسنون قال الحسين بن الفضل من انكر صحبة غير ابي بكر من الصحابة فانه يكون كذابا مبتدعا ومن انكر صحبة ابي بكر فانه يكون كافرا لانه
خالف قول الله تعالى اذ يقول لصاحبه اجابت الشيعة بان كونه ثاني اثنين ليس اعظم من كون الله رابعا لكل ثلثة في قوله ما يكون من
نجوى ثلثة الا هو رابعهم وهذا عام في حق كل كافر ومؤمن وكون الصاحبية موجبة للتشريف معارض بقوله تعالى للكافر
قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك وكما احتمل ان يقال انه عم استخلصه لنفسه في هذا السفر لاجل الشفقة
احتمل ان يكون ذلك لاجل انه خاف ان يدل الكفار عليه ويوقفهم على اسراره لو تركه ثم انه حزنه لو كان حقا لم ينه عنه فهو ذنب
وخطاء سلمناه لكن الاية على فضل ابي بكر الا ان مضاجعة علي على فراشه اعظم من ذلك لما فيه من خطر النفس اجاب اهل

السنة بان كون الله ثالثا لكل اثنين امر مشترك وكونه ثانى اثنين تشريف زائد اختص الله ابا بكر به على ان المعتبر هنا ثالث بالعلم
والتدبير وههنا بالصحبة والمرافقة فاين احدهما من الاخرى الصحبة فى قوله قال له صاحبه مقرونة بما تقتضى الاهانة والاذلال
وهو قوله اكفرت وفى الاية مقرونة بما يوجب التعظيم والاجلال وهو قوله لا تحزن ان الله معنا قالوا والعجب ان الشيعة اذا
حلفوا قالوا وحق خمسة سادسهم جبرئيل واستنكروا ان يقال وحق اثنين الله ثالثهما والاحتمال الذى ذكروه مدفوع بما روى
ان ابا بكر هو الذى اشترى الراحلة للرسول وان عبد الرحمن بن ابى بكر واسماء بنت ابى بكر هما اللذان كانا ياتيانهما بالطعام مدة مكثهما
فى الغار وذلك ثلثة ايام وقيل بضعة عشر يوما وروى ان جبرئيل عليه السلام اتاه وهو جائع فقال هذه اسماء قد اتتك بحيسة ففرح بذلك
رسول الله صلعم واخبر به ابا بكر ولو كان ابو بكر قاصدا له لصاح بالكفار عند وصولهم الى باب الغار ولقال ابنه وابنته نحن نعرف
مكان محمد وكون حزنه معصية معارض بقوله تعالى لموسى ولا تخف انك انت الاعلى وقول الملئكة لابراهيم لا تخف وبشروه ثم انا
لا ننكر ان اضطجاع على ع على فراش الرسول طاعة وفضيلة الا ان صحبة ابى بكر اعظم لان الحاضر اعلى حالا من الغائب ولان عليا
ما تحمل المحنة الا ليلة وابو بكر مكث فى الغار اياما وانما اختار عليا للنوم على فراشه لانه كان صغيرا لم يظهر عنه بعد دعوة بالدليل
والحجة ولا جهاد بالسيف والسنان بخلاف ابى بكر فانه قد دعا جماعة الى الدين وكان يذب عن الرسول بالنفس والمال وكان غضب
الكفار على ابى بكر اشد من غضبهم على على ع ولهذا لم يقصدوا عليا بضرب ولا ايلام فوان المضطجع هو ثم زعم اهل السنة ان الضمير فى
قوله فانزل الله سكينته عليه عائد الى ابى بكر لا الى الرسول لانه اقرب المذكورين فان التقدير اذ يقول محمد لصاحبه ابى بكر ولان
الخوف كان حاصلا لابى بكر والرسول كان امنا ساكن القلب بما وعده الله من النصر ولو كان خائفا لم يمكنه ازالة الخوف عن غيره
وبقوله لا تحزن ولناسب ان يقال فانزل الله سكينته عليه فقال لصاحبه لا تحزن واعترض بان قوله وايده على عطف فانزل
فوجب اتحاد الضميرين فى حكم النحو واجيب بان قوله وايده معطوف على قوله فقد نصره والتقدير الا تنصروه فقد نصره فى واقعة
الغار وايده فى واقعة بدر والاحزاب وحنين بالملائكة والظاهر ان الحزن لا يبعد ان يكون شاملا للنبى صلعم ايضا من حيث البشرية
كقوله وزلزلوا او يكون فى الكلام تقديم وتاخير والتقدير فانزل الله سكينته عليه اذ يقول او يكون فانزل معطوفا على نصره
والمراد بالسكينة ما لقى فى قلبه من الامنة التى سكن عندها وعلم انه منصور لا محالة كقوله فى قصة حنين ثم انزل الله سكينته
على رسوله وقوله وجعل يعنى يوم بدر وسائر الوقائع كلمة الذين كفروا وهى دعوتهم الى الكفر وعبادة الاصنام السفلى وكلمة
الله وهى دعوته الى الاسلام او كلمة التوحيد لا اله الا الله هى العليا وفى توسيط كلمة الفصل اعنى هى تاكيد فضل كلمة الله فى
العلو وانها المختصة بالعلاء دون سائر الكلم قال الفراء لا احب قراءة نصب الكلمة لان الاجود حينئذ ان يقال وكلمته هى العليا
الا ترى انك تقول اعتق ابوك غلامه ولا تقول اعتق ابوك غلام ابيك قلت وفى الرفع ايضا الاستيناف وما فى الجملة الاسمية
من الثبات والله عزيز حكيم قاهر غالب لا يفعل الا الصواب ثم لما توعد من لا ينفر مع الرسول وضرب له من الامثال ما وصف
عقبه بالامر الجزم فقال انفروا خفافا وثقالا قال المفسرون اى خفافا فى النفور لنشاطكم وثقالا عنه لمشقته عليكم او خفافا
لقلة عيالكم وثقالا لكثرتها او خفافا من السلاح وثقالا منه او ركبانا ومشاة او شبانا وشيوخا او مهازيل وسمانا او صحاحا و
مراضا والصحيح التعميم وان المراد انفروا سواء كنتم على الصفة التى يخف عليكم الجهاد معها او على ضدها قال الاكثرون ظاهر هذا الامر
يقتضى تناوله لجميع الناس حتى المرضى والعاجزين ويؤيده ما روى عن ابن ام مكتوم انه قال لرسول الله صلعم اعلى ان انفر قال ما انت الا
خفيف او ثقيل فرجع الى اهله ولبس سلاحه ووقف بين يديه ونزل قوله ليس على الاعمى حرج وقال مجاهد ان ابا ايوب شهد بدرا
مع الرسول صلعم ولم يتخلف عن غزوات المسلمين ويقول قال الله انفروا خفافا وثقالا فلا اجدنى الا خفيفا او ثقيلا وعن صفوان بن عمرو
كنت واليا على حمص فلقيت شيخا كبيرا قد سقط حاجباه من اهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم لقد اعذر الله اليك
فرفع حاجبيه فقال يا ابن اخى استنفرنا الله خفافا وثقالا الا انه من يحبه الله يبتليه وعن الزهرى خرج سعيد بن المسيب الى الغزو وقد ذهبت
احدى عينيه فقيل انك عليل صاحب ضرر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم تمكنى الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع
وعن انس قال قرا ابو طلحة هذه الاية فقال ما اسمع الله عذر احدا فخرج مجاهدا الى الشام حتى مات وقال السدى جاء المقداد بن الاسود
الى رسول الله صلعم وكان عظيما سمينا وشكا اليه وسئله ان ياذن له فنزل فيه انفروا خفافا وثقالا فاشتد شانها على الناس حتى نسخها
الله بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الاية وقيل لا حاجة الى التزام النسخ لان هذه الايات نزلت فى غزوة تبوك
بالاتفاق ولا شك انه صلعم خلف فيها النساء والرجال اقواما فدل ذلك على ان هذا الوجوب ليس على الاعيان لكنه من فروض الكفايات
فمن امره الرسول صلعم بان يخرج لزمه ذلك ومن امره ان يبقى لزمه ان يبقى ولقائل ان يقول لا نزاع فى الضعفاء والمرضى ثم قال وجاهدوا باموالكم
وانفسكم وفيه ايجاب للجهاد بهما ان امكن او بالنفس ان لم تكن مال زائد على اسباب الجهاد او بالمال بان يستنيب من يغزو عنه
ان لم تكن له نفس سليمة صالحة للجهاد وهذا قول كثير من العلماء ذلكم خير لكم يعنى انه خير فى نفسه وانه خير من القعود لما فيه من الراحة

والدعة والنعيم العاجل وانما قال ان كنتم تعلمون لان ما يحصل من الخيرات فى الجهاد لا يدرك الا بالتامل ولا يعرفه الا المؤمن
الذى عرف بالدليل ان وعد الله حق ثم نزل فى المتخلفين من غزوة تبوك من المنافقين لو كان عرضا قريبا قال الزجاج اى لو كان المدعو
اليه فحذف لدلالة ما تقدم عليه والعرض ما عرض من منافع الدنيا ومنه قولهم الدنيا عرض حاضر ياكل منه البر والفاجر والمراد بالقرب سهولة
ماخذه وسفرا قاصدا اى وسطا بين القرب والبعد وكل متوسط بين الافراط والتفريط فهو قاصد اى ذو قصد لان كل احد
يقصده والشقة المسافة الشاقة الشاطة ووصف المسافة بالبعيدة بالبعد مبالغة نحو جد جده ومحصول الكلام لو كانت المنافع
قريبة الحصول والسفر وسطا لاتبعوك طمعا فى الفوز بتلك المنافع ولكن طال السفر فكانوا كالايسين من الفوز بالغنيمة ثم اخبر
انه سيجدهم اذا رجعوا من الجهاد يحلفون بالله اما ابتداء على طريقة اقامة العذر واما عندما يعاتبهم بسبب التخلف وقد
وقع كما اخبر فكان معجزا وبالله متعلق بسيحلفون او هو من جملة كلام المتخلفين والقول مقدر فى الوجهين اى سيحلفون بالله
قائلين لو استطعنا وقوله لخرجنا ساد مسد جوابى القسم ولو جميعا قيل فى الاية دلالة على ان قوله انفروا خطاب للمستطيعين
والا لما امكنهم جعل عدم الاستطاعة عذرا فى التخلف قال الجبائى فيها دليل على ان الاستطاعة قبل الفعل والا لما كذبهم
الله تعالى فان من لم يخرج الى القتال لم يكن مستطيعا للقتال عند من يجعل الاستطاعة مع الفعل وقال الكعبى زيادة عليه فان
قيل لم لا يجوز ان يراد انهم ما كان لهم زاد ولا راحلة ولا يراد نفس القدرة قلنا ان من لا راحلة له يعذر فى ترك الخروج فمن لا قدرة
له اولى وايضا الظاهر من الاستطاعة قوة البدن واذا اريد به المال فلانه يعين على ما يفعله الانسان بقوة البدن واجيب بان
المعتزلة سلموا ان القدرة على الفعل لا بوقت واحد فان الانسان الجالس فى مكان لا يكون قادرا فى هذا الزمان على ان يفعل
فعلا فى مكان بعيد عنه وانما يقدر على فعله فى المكان الملاصق لمكانه فالقوم الذين تخلفوا ما كانوا قادرين على القتال عندنا
وعندهم فيلزمهم ما الزموه علينا فوجب المصير الى تفسير الاستطاعة بالزاد والراحلة فيسقط السؤال ولقائل ان يقول انهم
وان كانوا غير قادرين على القتال الا انهم كانوا قادرين على الاشتغال باسباب القتال فيعود السؤال قال فى الكشاف يهلكون
بدل من سيحلفون او حال اى يوقعونها فى الهلاك بحلفهم الكاذب وحال من ضمير لخرجنا اى لخرجنا معكم وان القينا انفسنا فى
التهلكة وانما جاء به على لفظ الغائب لانه مخبر عنهم بقال حلف بالله ليفعلن او لا فعلن فالغيبة على الاخبار والتكلم على الحكاية
قلت وفى الوجه الاخير نظر للزوم بناء اول الكلام على التكلم واخره على الغيبة ولعل الصحيح ان لو قيل لخرجنا معكم نهلك انفسنا
والله تعالى اعلم ثم بين ان ذلك التخلف من بعضهم كان باذن الرسول ولهذا توجه عليه العتاب بقوله عفا الله عنك فان
العفو يستدعى سابقة الذنب وبقوله لم اذنت لهم فانه استفهام فى معنى الانكار وبيان لما كنى عنه بالعفو قال قتادة وعمرو بن
ميمون شيئان فعلهما الرسول لم يؤمر بهما اذنه للمنافقين واخذه الفداء من الاسارى فعاتبه الله كما تسمعون والذى عليه المحققون
انه محمول على ترك الاولى وقوله عفا الله عنك انما جاء على عادة العرب فى التعظيم والتوقير فيقدمون امثال ذلك بين يدى الكلام
يقولون عفا الله عنك ما صنعت فى امرى رضى الله عنك ما جوابك عن كلامى وعافاك الله الا عرفت حقى وبعد حصول
العفو من الله تعالى يستحيل ان يكون قوله لم اذنت لهم واردا على سبيل الذم والانكار بل يحمل على ترك الاكمل والاولى لا سيما
وهذه الواقعة كانت من جنس ما يتعلق بالحروب ومصالح الدنيا قال كثير من العلماء فى الاية دلالة على جواز الاجتهاد لانه ع
اذن لهم من تلقاء نفسه من غير ان يكون من الله فى ذلك اذن والا لم يعاتب او منع والا كان خاصا بل كافرا لقوله ومن لم يحكم
بما انزل الله ولا ريب انه لا يكون مجرد التشهى فيكون بالاجتهاد ثم انه لم يمنع من الاجتهاد مطلقا وانما منع الى غاية هى قوله حتى
يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ولا يمكن ان يكون المراد من ذلك التبين هو التبين بطريق الوحى والا كان ترك
ذلك كبيرة فتعين ان يحمل التبين على استعلام الحال بطريق الاجتهاد فيكون الخطاء واقعا فى الاجتهاد لا فى النص ويدخل
تحت قوله ومن اجتهد واخطا فله اجر واحد وفى الاية دلالة على وجوب الاحتراز عن العجلة وترك الاغترار بظواهر الامور وقال
قتادة عاتبه الله كما تسمعون ثم رخص له فى سورة النور فى قوله فاذا استاذنوك لبعض شانهم فاذن لمن شئت منهم قال ابو مسلم
يحتمل انه يريد بقوله اذنت لهم الاذن فى الخروج لا فى القعود فقد يكون الخروج غير صواب لكونهم عيونا للمنافقين واذا كان هذا
محتملا فلا يتعين ان الاية لرخصة الاذن فى القعود وقال القاضى هذا بعيد لان سياق الاية يدل على ان الكلام فى القاعدين وفى
بيان حالهم ثم ذكر انه ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوا لان الاستيذان من علامات النفاق فقال لا يستاذنك الذين
يؤمنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا اى فى ان يجاهدوا وكان الاكابر من المهاجرين والانصار يقولون لا نستاذن
النبى صلعم فى الجهاد وكانوا بحيث لو امرهم بالقعود شق عليهم ذلك الا ترى ان على بن ابى طالب لما امره الرسول صلعم بان يبقى فى
المدينة شق عليه ذلك ولم يرض الى ان قال له الرسول صلعم انت منى بمنزلة هرون من موسى وقيل ان حرف النفى مضمر كاضمار الجار
والتقدير فى ان لا يجاهدوا ولان سياق الاية يدل على ذم من يستاذن فى القعود وعلى هذا يمكن ان يقوى معناه كراهة ان

يجاهدوا وفي قوله والله عليم بالمتقين رمز الى انهم من جملة المتقين وان لهم ثوابهم ثم بين الذين من شأنهم الاستيذان فقال
انما يستأذنك الاية وفيه ان الشاك في امر الدين وفي اصوله لا في بعض مسائله غير مؤمن بالله لغة وفيه ان محل الريب واليقين هو
القلب وان الايمان ليس مجرد الاقرار باللسان والا لم يصح نفيه عن المنافقين ومعنى قوله فهم في ريبهم يترددون ان الشاك متردد
بين النفي والاثبات غير حاكم باحد الطرفين وتقديره ان الاعتقاد اما ان يكون جازما اولا والجازم ان كان غير مطابق فهو
الجهل وان كان مطابقا فاما بضرورة او نظر فهو العلم والا فهو اعتقاد المقلد وغير الجازم ان كان احد الطرفين راجحا عنده فالراجح
هو الظن والمرجوح هو الوهم وان تساوى الطرفان فهو الريب والشك فلهذا كانت الحيرة والتردد من شأن صاحبه كما ان الثبات
والاستقرار من شأن المستبصر قال المفسرون وان المستأذنين هم المنافقون وكانوا تسعة وثلثين رجلا ثم نعى على المنافقين سوء فعالهم
فقال ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة قال ابن عباس يريد من الماء والزاد والراحلة لان سفرهم بعيد والزمان شديد
فتركهم العدة دليل على انهم ارادوا التخلف قال العلماء وفيه اشارة الى انهم كانوا مياسير قادرين على تحصيل الاهبة والعدة ولكن
كره الله انبعاثهم اي نهوضهم فثبطهم والتثبيط رد الانسان عن الفعل الذي هم به ومعنى الاستدراك ان قوله ولو ارادوا
الخروج يعطي معنى نفي الخروج فكانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا لان الله تعالى صرفهم عن ذلك كما يقول ما احسن الى زيد ولكن
اساء الي ومثل هذا يسمى في علم البديع صنعة الاستدراك وقد يقال تاكيد الذم بما يشبه المدح وههنا سؤال وهو ان خروجهم
مع الرسول ان كان مفسدة فلم عاتب الله رسوله في اذنه لهم بالقعود وان كان مصلحة فلم كره الله انبعاثهم والجواب انه كان مفسدة
لقوله عقيب ذلك لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا وحديث العتاب ظاهر عند من لا يجوز الاجتهاد على الانبياء لتمكنهم من استعلام
الصواب بطريق الوحي وكذا على قول ابي مسلم وقد توهموا انه ما اذن لهم في الخروج قوله تعالى في هذه الصورة فان رجعك الله الى
طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا وقوله في سورة الفتح سيقول لك المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم الى قوله
قل لن تتبعونا واما عندنا فانما خطأ الرسول في اذنه لهم بالقعود وان كان قعودهم مصلحة لانه اذن لهم قبل تمام الفحص وكمال
التدبر ولانه لو لم ياذن لهم فهم كانوا يقعدون من تلقاء انفسهم وكان يصير ذلك القعود علامة على نفاقهم فكان لا يقع الحاجة الى
اظهار نفاقهم بوجوه اخر دالة على هتك استارهم وكشف اسرارهم قال معتزلة البصرة في الاية دلالة على انه تعالى موصوف بصفة الكراهة
كما انه موصوف بصفة الارادة وقالت الاشاعرة معنى كره الله انه اراد عدم ذلك الشيء وزيف بان العدم لا يصلح ان يكون متعلق
الارادة لان العدم مستمر فتعلق الارادة به يكون تحصيلا للحاصل ويمكن ان يجاب بان الارادة صفة تقتضي ترجيح احد طرفي
الممكن على الآخر سواء في ذلك طرف الوجود وطرف العدم وطرف العدم غير حاصل الا بارادة العدم فكيف يكون تعلق الارادة
تحصيلا للحاصل وايضا عدم الشيء المخصوص ليس عدما محضا اما قوله وقيل اقعدوا فيحتمل ان يكون قد جعل القاء الله في قلوبهم
كراهة الخروج امرا بالقعود ويحتمل ان يراد به قول الشيطان بطريق الوسوسة او قول بعضهم لبعض لما ارادوا الاجماع على التخلف
او هو قول الرسول كانه غضب عليهم حين استأذنوه فقال على سبيل الزجر اقعدوا مع القاعدين فاغتنموا هذه اللفظة وقالوا
قد اذن لنا فلهذا عوتب بقوله لم اذنت لهم اي لم ذكرت هذه اللفظة التي امكنهم ان يتوسلوا بها الى تحصيل غرضهم ومعنى قوله
مع القاعدين ذم لهم وتعجيز والحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شأنهم الجثوم في البيوت رضوا بان يكونوا مع الخوالف قال
المفسرون لما خرج رسول الله صلعم ضرب عسكره على ثنية الوداع وضرب عبد الله بن ابي عسكره على ذي جدة اسفل من ثنية الوداع
ولم يكن باقل العسكرين فلما سار رسول الله صلعم تخلف عنه عبد الله بن ابي فيمن تخلف من المنافقين واهل الريب فانزل الله تعالى
يعزي نبيه لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا فيكون استثناء متصلا من اعم العام وحمله على الاستثناء المنقطع بناء على
ان التقدير ما زادوكم خيرا الا خبالا ضعيف والخبال في اللغة الفساد ومنه الخبل للمعتوه وللمفسرين عبارات قال الكلبي الا شرا
وقال يمان الا مكرا وقال الضحاك الا غدرا وقيل الا خبثا وقيل هو الاضطراب في الرأي وذلك بتزيين امر لقوم وتقبيحه لآخرين
حتى يختلفوا ويتفرق كلمتهم قالت المعتزلة دلت الاية على انه كره انبعاثهم لاشتماله على هذا الخبال والشر فهو دليل على انه تعالى
لا يريد الا الخير والصلاح وللقائل ان يقول اثبات تحكم كلي بحكم جزئي غير معقول واعلم انه سبحانه عد من مفاسد خروجهم ثلثة
الاول قوله ما زادوكم الا خبالا والثاني ولا وضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة قال في الكشاف زيدت الف في الكتابة لان الفتحة كانت تكتب الفا
قبل الخط العربي اخترع قبل نزول القرآن وقد بقي من ذلك الالف اثر في الطباع فكتبوا صورة الهمزة الفا وفتحتها الفا اخرى ونحوه
اولا اذبحنه في النمل ولا توها في الاحزاب ولا رابع لها في القرآن وفي الايضاع قولان لاهل اللغة فقال الاكثرهم هو متعد يقال
وضع البعير اذا عدا واوضعه الراكب اذا حمله على العدو وعلى هذا يكون في الاية حذف والتقدير ولا وضعوا ركائبهم وقال الاخفش
وابو عبيد انه جاء لازما يقال اوضع الرجل اذا سار بنفسه سيرا حثيثا ومنه ما روي ان النبي صلعم افاض من عرفة وعليه السكينة

واوضع

واوضع في وادي محسر اي اسرع قال الواحدي والاية تشهد للاخفش وابي عبيد وعلى القولين المراد في الاية السعي بين المسلمين بالتضريب
والنميمة والمبالغة في الاول اكثر لان الراكب اسرع من الماشي ومعنى خلالكم اي فيما بينكم والخلل الفرجة فيما بين الشيئين ويبغونكم
الفتنة اي يبغون لكم قال الاصمعي يقال ابغني كذا وابغ لي اي اطلبه لي ومعنى الفتنة هنا افتراق الكلمة والتشويش في المقاصد
فعند ذلك يحصل الانهزام اسرع فالحاصل من النوع الاول يحصل اختلاف الآراء ومن الثاني المشي بالنميمة لتسهيل ذلك العزم
واما النوع الثالث فذلك قوله وفيكم سماعون لهم قال ابن مجاهد وابن زيد اي عيون لهم ينقلون اليهم ما يسمعون منكم وقال
قتادة فيكم من يسمع كلامهم ويقبل قولهم واذا تعاضد الفاعل والقابل وقع الاثر على اكمل الوجوه لا محالة واعترض على هذا
القول بانه كيف يجوز ذلك على المؤمنين مع قوة دينهم واجيب بان ذلك انما يقع لمن قرب عهده بالاسلام او لمن جبل على الجبن
والفشل او لمن حسن ظنه ببعض المنافقين لقرابة او هيبة وقلما يخلو الاقوياء من ضعيف سخيف واهل الحق من مبطل منافق
ولهذا ختم الاية بقوله والله عليم بالظالمين الذين ظلموا انفسهم بكفرهم ونفاقهم وغيرهم بالقاء الفتنة فيما بينهم ثم سلى نبيه بتوهين
كيد اهل النفاق قديما وحديثا فقال لقد ابتغوا الفتنة من قبل اي من قبل وقعة تبوك قال ابن جريج هو ان اثني عشر رجلا من
المنافقين وقفوا على ثنية الوداع ليلة العقبة ليفتكوا بالنبي صلعم وقيل المراد ما فعله عبد الله بن ابي يوم احد حين انصرف عن النبي صلعم
مع اصحابه ومعنى الفتنة في تشتيت شمل المسلمين والاختلاف الموجب للفرقة بعد الالفة فسلمهم الله منه وقلبوا لك الامور
حرفوها ودبروا كل الحيل والمكايد ومنه فلان حول قلب اذا كان ذا حول مصايد المكايد حتى جاء الحق الذي هو القرآن وظهر
امر الله غلب دينه وشرعه وهم كارهون رد الله مكرهم في نحرهم واتى بضد مقصودهم ولما كان الامر كذلك في الماضي فكذا يكون
الحال في المستقبل لقوله ويابى الله الا ان يتم نوره ومنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة
وهي الاثم بان لا تاذن لي فاني ان تخلفت بغير اذنك اثمت احتمل ان يكون قد ذكره على سبيل السخرية او على سبيل الجد بان
كان يغلب على ظن ذلك المنافق صدق محمد وان كان غير جازم به بعد وقيل لا تفتني اي لا تلقني في الهلكة فاني ان خرجت
معك هلك مالي وعيالي وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نساء
الروم ولكني اعينك بمال فاتركني فاعرض عنه النبي صلعم وقال قد اذنت لك فنزلت الاية فقال رسول الله صلعم لبني سلمة وكان الجد
منهم من سيدكم يا بني سلمة قالوا جد بن قيس غير انه بخيل جبان فقال النبي صلعم واي داء ادوى من البخل بل سيدكم الابيض الفتى
الجعد بشر بن البراء بن معرور الا في الفتنة سقطوا اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة النفاق والتمرد عن قبول التكاليف
المستتبع لشقاء الدارين ولهذا ختم الاية بقوله وان جهنم لمحيطة بالكافرين اما في الدنيا فلاحاطة اسبابها بهم من البغي عليهم
بالنفاق وافشاء الاسرار وهتك الاستار وتحقير المقدار واما في الاخرة فلمآل الحال اليها اي الدرك الاسفل من النار التأويل ايها
الارواح والقلوب المؤمنة ما يصيبكم وبلواكم اذا قيل لكم بالالهام الرباني اخرجوا من الدنيا وما فيها في طلب الله والسير اليه اثا
قلتم الى ارض الدنيا وشهواتها الا تنفروا من سجن الدنيا وقيود شهواتها يعذبكم عذابا اليما باستيلاء ظلمات الصفات النفسانية
وغلبات الاوصاف السبعية والشيطانية وبالم البعد عن الحضرة الربانية ويستبدل قوما غيركم من الارواح والقلوب العاشقة
الصادقة بل من العقول الكاملة المفارقة الا تنصروا رسول الوارد الرباني فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا اي النفوس الامارة
الكافرة من ارض القبول ثاني اثنين ثاني النفس الملهمة اذ هما في غار العدم وكلمة الله هي العليا بجعل النفس المطمئنة بعد ما
ارجعي واصلة الى مقام العندية انفروا ايها الطلاب خفافا مجردين من علائق الاهل والاولاد والاموال وثقالا متلبسين بها
او خفافا مجذوبين بالعناية وثقالا سالكين بالهداية وجاهدوا ابتداء ببذل الاموال والانفس وقدم انفاق المال لان
بذل النفس مع بقاء صفاتها الذميمة غير معتبر ومن صفاتها الذميمة الحرص على الدنيا والبخل بها ذلكم خير لكم لان الحاصل من
المال ومن النفس الوزر والوبال والحاصل من الطلب الوصول والوصال لو كان مطلوبك يا محمد عرضا قريبا هو الدنيا ونعيمها و
سفرا قاصدا هو تتبع شهوات النفس وهواها لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة لانها الخروج من الدنيا والعقبى وسيحلفون يعني
ابناء النفوس لخرجنا معكم يا اهل القلوب عفا الله عنك قدم العفو على العتاب تحقيقا لقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تاخر فهم في ريبهم يترددون بين اوصافهم الذميمة النفسانية والحيوانية بلا داعية الخروج الى الانوار الروحانية لاعدوا له
عدة وهي متابعة الانبياء فثبطهم حبسهم في سجن البشرية ما زادوكم الا خبالا فيه اشارة الى ان قعود اهل الطبيعة في حبس
البشرية صلاح لارباب القلوب واصحاب السلوك لانهم لو خرجوا عن نية صادقة وعزيمة صالحة ما زادوهم الا تشويشا وتفرقة
لاقوالهم وافعالهم واحوالهم لقد ابتغوا الفتنة من قبل يعني ان صفات النفس قبل البلوغ كانت تستخدم الروح في شهواتها حتى جاء الحق
وهو العقل القابل لاوامر الشرع وظهر امر الله وهو التكليف ومنهم من صفات النفس من يقول وهو الهوى ائذن لي في القعود

عن الارتقاء فى مدارج المعارف والمشارع ولا تفتنى اى بروح بتكليفى ما ليس من شانى وذلك ان الهوى مركب الجبن يستعمله الروح فى تصاعده الى ذروة الكمال والوصال الا فى الفتنة سقطوا اى ان فتنة الهبوط هى الفتنة بالحقيقة وان جهنم البعد والقطيعة من لوازم كفار النفس

إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ

وصفاتها اعاذنا الله عنها

فَرِحُونَ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ

وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا

أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا

يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ

لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ

قَوْمٌ يَفْرَقُونَ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ

فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا ع

اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ القراءة هل تربصون باظهار اللام وتشديد التاء البزى وابن فليح وقراءة حمزة وعلى وهشام مدغما خفى لا يجتمع ساكنان

الباقون باظهار اللام وتخفيف التاء لن تقبل بالياء التحتانية حمزة وعلى وخلف الباقون بالفوقانية مدخلا بضم الميم وسكون الدال سهل ويعقوب الباقون بالدال المشددة المفتوحة يلمزك بضم الميم سهل ويعقوب الاخرون بكسرها سوء عباس فانه مجز الوقوف تسؤهم لابتداء شرط اخر مع واو العطف فرحون لنا للابتداء لفظا مع الاتحاد معنى هو مولينا للابتداء اخبار من الله او الحكاية عنهم المؤمنون الحسنيين للاستيناف بعد تمام الاستفهام بايدينا لوصل اصح لان الفاجواب نتربص متربصون منكم فاسقين كارهون ولا اولادهم كافرون لمنكم يفرقون يجمحون الصدقات للشرط مع الفاء يسخطون ورسوله الى قوله راغبون لان الكل يتعلق بلو وجواب لو بعد التمام محذوف اى لكان خيرا لهم التفسير هذا نوع اخر من خبث ضمائر المنافقين عن ابن عباس الحسنة فى يوم بدر والمصيبة فى يوم احد والاولى حمله على العموم اذ معلوم من حال المنافقين انهم كانوا فى كل حسنة وعند كل مصيبة بالوصف الذى ذكر الله تعالى ومعنى اخذنا امرنا اى امرنا الذى نحن موسومون به من التيقظ والتحرز وحسن الراى والتدبير من قبل اى من قبل ما وقع ويتولوا اى عن مقام التحدث بذلك الى اهاليهم او اعرضوا عن الرسول وهم فرحون مسرورون ثم امر نبيه ان يقولوا فى جوابهم لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا قيل اى فى اللوح المحفوظ من خير او شر او خوف او رجاء او شدة او رخاء وفائدته انه اذا علم الانسان ان الذى وقع امتنع ان لا يقع لان خلاف معلوم الله ومقدوره محال لذلك عنه منازعة النفس وهانت عليه المصائب وقيل اى فى عاقبة امرنا من الظفر بالعدو واظهار دين الله على كل الاديان فيكون المقصود ان احوال المسلمين وان كانت مختلفة فى الغم والسرور والدولة والمحنة الا ان العاقبة يكون لهم والظفر يقع من جانبهم فلا معنى لفرح المنافقين فى الحال وقال الزجاج معناه لن يصيبنا الا ما اختصنا الله به من النصرة عليكم او الشهادة وعلى هذا القول يقع ما فى الاية الثانية كالمكرر هو مولينا لا يتولى امورنا الا هو يفعل بنا ما يريد من اسباب التهانى والتعازى لا اعتراض لاحد عليه وعلى الله فليتوكل المؤمنون فيه تنبيه على ان المؤمن يجب ان لا يعلق الرجاء الا برب الارباب فانهم يتعلقون بالوسائط والاسباب ثم امرهم بجواب ثان فقال هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين التربص التمسك بما ينتظر به مجئ حينه ومنه تربص بالطعام اذا تمسك به الى حين زيادة سعره والحسنى تانيث الاحسن وهى صفة الحالة او الخصلة او العاقبة يعنى النصرة او الشهادة وفى الاولى احراز الغنيمة والظفر بالاعداء وفى الثانية ابقاء الذكر والفوز بنعم الاخرة ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده قارعة مثل قارعة عاد وثمود وقيل عذاب الله يشمل

الدارين او بايدينا يعنى القتال بان يظهر نفاقكم ويامر بقتلكم كالكافر الحربى فتربصوا امر التهديد بتخوف انك انت العزيز الكريم ثم ذكر انهم ان تولوا شيئا من صورة البر لم يتقبل منهم لم يحمد عند الله ولا ينتفعون به فى الاخرة والغرض ان اسباب الذل والهوان مجتمعة عليهم فى الدنيا والاخرى عن ابن عباس نزلت فى الجد بن قيس حين قال للنبى صلى الله عليه وسلم ائذن لى فى القعود وهذا مالى اعينك به ولا يبعد ان يكون السبب خاصا والحكم عاما وانفقوا لفظه امر ومعناه خبر كقوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم ومعناه انفقوا وانظروا هل يتقبل منكم واستغفر لهم او لا تستغفر لهم وانظر هل ترى اختلافا بين حال الاستغفار وتركه ومثله قول كثير عزة اسيئى بنا او احسنى لا ملومة كانه يقول امتحنى لطف محلك عندى وعامليني بالاساءة والاحسان وانظرى هل يتفاوت منى فى الحالين وانما يجوز اقامة الخبر والطلب احدهما مقام الاخر اذا دل الكلام عليه ويعدل عن الاصل لافادة المبالغة وانتصب طوعا او كرها على الحال ومعناه طائعين من غير الزام من الله ورسوله او ملزمين من جهتهما وسمى الالزام اكراها لانهم منافقون فكان الزامهم اياهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه ويحتمل ان يراد طائعين من غير اكراه من رؤسائكم او ملزمين من جهتهم وذلك ان رؤساء اهل النفاق كانوا يحملونهم على الانفاق اذا راوه من مصلحة ومعنى لن يتقبل منكم ان الرسول لا يقبله منكم او انه لا يقع مقبولا عند الله ثم علل عدم القبول بقوله انكم كنتم قوما فاسقين قال الجبائى فيه دليل على ان الفسق يحبط الطاعات واجيب بان الفسق ههنا بمعنى الكفر ولا يلزم منه كون الفسق المطلق كذلك وانما قلنا ان الفسق بمعنى الكفر لقوله سبحانه وما منعهم ان يقبل منهم الاية علل منع القبول بامور ثلثة اولها الكفر بالله وبرسوله وثانيها ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى قال المفسرون معناه انه ان كان فى جماعة صلى وان كان وحده لم يصل وفيه انه يصلى للناس لا لله وفيه انه غير معتقد للصلوة ووجوبها فلهذا لزم منهم الكفر وثالثها ولا ينفقون الا وهم كارهون وذلك انهم لا ينفقون رغبة فى ثواب الله وانما ينفقون لاجل المصالح الدنيوية فهم فى حكم الكارهين وان انفقوا مختارين يعدون الانفاق مغرما ومنعه مغنما خلاف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ادوا زكوة اموالكم طيبة بها نفوسكم قيل الكفر بالله سبب مستقل فى منع القبول فكيف ضم اليه الامرين الاخرين والجواب انها امارات ويجوز تواردد الامارات المتعددة على شئ واحد ويوجه اخر اطلق كفرهم اولا ثم قيده بعدم اعتقادهم وجوب الصلوة والزكوة وبعبارة اخرى حكم عليهم بالكفر مطلقا ثم خص من انواع كفرهم هذين تفظيعا لشان تارك الصلوة والزكوة قال فى الكشاف وقرات فى بعض الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كره للمؤمن ان يقول كسلت كانه ذهب الى هذه الاية وان الكسل من صفات المنافقين قال بعض العلماء وجه الجمع بين قوله ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وبين مضمون هذه الاية وهو ان شيئا من اعمال البر لا يكون مقبولا عند الله مع الكفر هو ان يصرف ذلك الى تاثيره فى تخفيف العقاب ولقائل ان يقول لو لم يكن مقبولا بوجه لم يكن له فى التخفيف ايضا اثر وقيل فى الاية دلالة على ان الصلوة لازمة للكفار والا لم يكن الاتيان بها على وجه الكسل مانعا من تقبل طاعاتهم كان قيامهم وقعودهم وسائر تصرفاتهم على وجه الكسل ليس مانعا من تقبل الانفاق ثم لما قطع رجاء المنافقين عن منافع الاخرة اراد ان يبين ان ما يظنونه من منافع الدنيا فهو ايضا فى الحقيقة سبب لتعذيبهم وبلائهم وتشديد المحنة عليهم فقال مخاطبا للرسول او لكل احد فلا تعجبك الاية ونظيره ولا تمدن عينيك وانما قال فلا تعجبك بالفاء لان ما قبله مستقبل يصلح للشرط اى ان يكن منهم ما ذكرنا من الاتيان بالصلوة على وجه الكسل وغير ذلك فهذا جزاؤه وهذا بخلاف ما سيجئ فى الاية الاخرى من هذه السورة والاعجاب سرور المرء بالشئ مع نوع من الافتخار واعتقاد انه ليس لغيره ما يساويه وانه من البعيد فى حكم الله ان يزيل ذلك الشئ عنه ويحصله لغيره كقوله ما اظن ان تبيد هذه ابدا ولا شك ان هذه خصلة مذمومة من جهة استغراق النفس فى ذلك الشئ او انقطاعها عن الله ومن جهة استبعاد زواله فى قدرة الله ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه والمقصود من الاية زجر الناس عن الانصباب الى الدنيا والمنع من التهالك فى حبها فان المسكن الاصلى هو الاخرة لا الاولى وقوله انما يريد الله ليعذبهم اعرابه كما مر فى قوله يريد الله ليبين لكم قال مجاهد والسدى وقتادة فى الاية تقديم وتاخير والتقدير فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فى الحيوة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها فى الاخرة كانهم نظروا الى ان المال والولد لا يكونان عذابا بل هما من نعم الله تعالى على عباده واورد عليه انهما لا يكونان عذابا فى الاخرة ايضا فان تكلفوا وقالوا اراد بذلك انهما سبب العذاب فقد استغنوا عن التقديم والتاخير لانهما قد يكونان سببا للعذاب فى الدنيا ايضا وبوجه اخر المال والولد وكذا الاعجاب بهما يكونان فى الدنيا لا محالة فاى فائدة فى ذكرها واعلم ان الاموال والاولاد قد يكونان سببا للتعذيب فى الدنيا والاخرة وذلك ان كل ما كان حب الشئ اشد كان حزنه عن فواته اكثر وحزنه على فواته اعظم وصاحب المال ابدا اما فى خوف فوات المال واما فى حزن فواته واما فى تعب حفظه وتثميره ثم ان الدنيا حلوة خضرة فاذا كثر ما لديه انصب بكليته اليه وبفضى الى طغيانه وقساوة قلبه الى ان ينسى حب الله وذكر الاخرة ثم انه ان بقى عليه ذلك الى الخاتمة فعند الموت عظم اسفه على مفارقته وكان كمن ينتقل من بستان ونعيم الى جحيم وعذاب

الخير يكون حلالا له حسابا وحراما عذابا فثبت ان حصول المال سبب لعذاب الدارين الا من يتصرف فيه بالحق ومثله يكون نادرا وكذا الكلام في الولد وهذا المعنى وان كان عاما للكل الا ان المنافقين لهم وجوه اختصاص بالتعذيب وذلك ان الرجل اذا كان مؤمنا بالله واليوم الآخر علم انه خلق للآخرة لا للدنيا فيغير حبه للامور الدنيوية بخلاف المنافق الذي اعتقد ان لا سعادة الا في الخيرات العاجلة وايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكلفهم انفاق الاموال وبعث الاولاد الى الغزو والجهاد وكانوا لا يعتقدون في ذلك فائدة اخروية وكانوا في اشق تكليف كانوا مبغضين للنبي صلى الله عليه وسلم مع انهم كانوا مضطرين الى بذل المال وبعث الاولاد الى خدمته وكانوا خائفين من افتضاحهم واظهار نفاقهم وتعريض اولادهم واموالهم للنهب والسبي وكثير منهم كان لهم اولاد اتقياء مخلصون كحنظلة بن ابي عامر غسيل الملئكة وكعبد بن عبد الله شهد بدرا وكان عند الله بمكان وهم خلق كثير كانوا يعيبون طريقة آبائهم في النفاق ويقدحون فيهم والابن اذا صار هكذا تأذى الاب بسببه لاجل هذه المعاني ذكر بعض العلماء ان التقدير يريد الله ان يزيد في اموالهم ليعذبهم اما قوله وتزهق انفسهم اي تخرج وهم كافرون فقد قالت الاشاعرة فيه دليل على انه تعالى اراد منهم الكفر واورد الجبائي عليه ان المريض اذا قال للطبيب اريد ان تدخل علي في حالة مرضي لم يلزم منه كونه مريدا للمرض نفسه والجواب ان امثال هذه موكولة الى قرائن الحال ففي قول المريض لا ريب ان المطلوب هو دخول الطبيب وكون الدخول واقعا في تلك الحالة من ضرورات كونه مريضا وهو طبيبه وفي الآية ليس المراد زهوق الروح فقط لان المسلم والمنافق في ذلك سيان فالمراد وقوع الزهوق في حالة الكفر فيكون الكفر منهم مرادا بالضرورة وقال في الكشاف المراد الاستدراج بالنعم كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما كانه قيل ويريد ان يديم عليهم نعمه الى ان يموتوا وهم كافرون مشغولون بالتمتع عن النظر للعاقبة ومن قبائح افعال المنافقين ما حكى الله سبحانه عنهم في قوله ويحلفون بالله انهم لمنكم اي على دينكم ثم قال وما هم منكم اي ليسوا على دينكم ولكنهم قوم يفرقون يخافون القتل فيظهرون الايمان تقية ثم اكد نفاقهم بقوله لو يجدون ملجأ مفرا يتحصنون فيه منكم لفروا اليه او لفارقوكم فلا تظنوا ان موافقتهم اياكم في الدار والمسكن من صميم القلب المغارات جمع مغارة وهو الموضع الذي يغار فيه الانسان فيه اي يستتر والمدخل بالتشديد مفتعل من الدخول ادغمت التاء في الدال لقرب مخرجيهما والمدخل مفعل من الادخال ومعناه المسلك الذي يندس بالدخول فيه قال الكلبي وابن زيد نفقا كنفق اليربوع والمراد انهم لو وجدوا مكانا على احد هذه الوجوه مع انها شر الامكنة لولوا اليه يقال ولى اليه بنفسه اذا انصرف وولى غيره اذا صرف وهم يجمحون اي يسرعون اسراعا لا يرد وجوههم شيء ومنه الفرس الجموح لا يرده اللجام والحاصل انهم من شدة تأذيهم وتنفرهم من الرسول والمسلمين صاروا بهذه الحالة قال بعض العلماء انه تعالى ذكر ثلثة اشياء والاقرب حملها على المعاني المتغايرة فالملجأ الحصون والمغارات الكهوف في الجبال والمدخل السرب تحت الارض كالآبار والله تعالى اعلم ومن جملة قبائحهم قوله ومنهم من يلمزك الآية قال الزجاج لمزت الرجل المزه والمزه بكسر الميم وضمها اذا عبته وفرق الليث فقال اللمز العيب في الحضور والهمز العيب في الغيبة واعلم ان العيب في الصدقات يحتمل وجوها الاول في اخذها بان يقال انتزاع كسب الانسان من يده غير معقول لان الله هو المتكفل بمصالح عبيده ان شاء افقرهم وان شاء اغناهم الثاني ان يقال هب انك تأخذ الزكوات الا ان ما تأخذه كثير فوجب ان تقتنع باقل من ذلك الثالث هب انك تأخذ هذا الكثير الا انك تصرفه الى غير مصرفه فيكون العيب قد وقع في قسمة الصدقات وفي تفريقها وهذا هو الذي دلت الاخبار على انهم ارادوه عن ابي سعيد الخدري بينا يقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين قال له ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج اعدل يا رسول الله فقال ويلك ومن يعدل اذا لم اعدل فنزلت وعن الكلبي هو ابو الجواظ قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم وهو يزعم انه يعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ابا لك اما كان موسى راعيا اما كان داود راعيا فلما ذهب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احذروا هذا واصحابه فانهم منافقون وقيل هم المؤلفة قلوبهم ثم بين ان عيبهم ذلك وسخطهم لاجل نصيب نفسهم لا للدين فقال فان اعطوا منها رضوا وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعطف قلوب اهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون ومعنى اذا هم يسخطون فهم يسخطون وفائدته ان تعلم ان الشرط مفاجئ للجزاء ومتهجم عليه ثم ارشدهم الى ما هو صلاحهم في نفس الامر فقال ولو انهم رضوا الآية ورتبه على اربع مراتب الاولى الرضا بما آتاهم الله ورسوله لعلمهم بانه تعالى حكيم يعلم عواقب الامور فكلما كان حكما له وقضاء منه كان حقا وصوابا ولا اعتراض عليه الثانية ان يظهر اثر ذلك الرضا على لسانه وهو قولهم حسبنا الله كفانا فضله وصنعه لغيرنا المال ولنا الرضا والتسليم وذكر الحبيب الثالثة ان نزل من هذه المرتبة العالية كان واثقا بان الله لا يهمله وسيعوضه من فضله في غنيمة اخرى الرابعة الرغبة الى الله بان المقصد الحقيقي والمقصود الاصلي من الايمان والطاعة والمال والمنال يروى ان عيسى عليه الصلوة والسلام مر بقوم يذكرون الله فقال لهم الذي يحملكم عليه قالوا الخوف من عقاب الله فقال اصبتم ومر على قوم آخرين يذكرون فقال ما الذي حملكم عليه فقالوا الرغبة في الثواب فقال اصبتم ومر على قوم ثالث مشتغلين بالذكر فسألهم فقالوا لا نذكره للخوف من العقاب ولا للرغبة في الثواب بل لاظهار ذلة العبودية وعزة الربوبية وتشريف القلب بمعرفته وتشريف اللسان بذكره فقال انتم المحقون التأويل ان تصبك يا روح حسنة من علو طغ الحق بحرز النفس

دصفاتها

وصفاتها بها تظفر الروح عليها وان تصبك مصيبة من الموانع والقواطع اخذنا نصيبنا من المراتع الحيوانية لما خافا الفناء في سير الى العالم الروحاني فقل يا روح لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا لا علينا من الفترات والوقفات للتربية لا للرد وانظر وقل هل تربصون بنا ايها النفس وصفاتها الا احدى الحسنيين الاحسان والعواطف الربانية والوقفة والفترة الموجبة لحسن التربية بعذاب من عنده هو الابتلاء بالمصائب من الخوف والجوع وغيرهما او بايدينا بالمنع من المخالفات وبكثرة الرياضات والمجاهدات طوعا او رياء وكرها اي نفاقا لن يتقبل منكم لان اعمال اللسان وغيره من الجوارح من غير عمل القلب ليست بمقبولة وان كان عمل القلب بدون الجوارح مقبولة لقوله صلى الله عليه وسلم نية المؤمن ابلغ من عمله وباقي الآيات اشارات الى ان من امارات النفاق عدم الرضا بقسمة الخلاق وحال المخلص بالعكس

إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ع ١٥ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ

القراءات اذن خير كلاهما بالرفع والتنوين الاعشى وبالرفع الم يعلموا بتاء الخطاب جبلة عن المفضل الباقون بياء الغيبة ان نعف نعذب كلاهما بالنون ونصب طائفة عاصم غير المفضل الباقون على البناء للمفعول بياء الغيبة في الاول وبتاء التانيث في الثاني الوقوف وابن السبيل ط اي فرض الله فريضة من الله حكيم هو اذن ط آمنوا منكم ط اليم لمن يرضوكم ج لاحتمال الواو الحال والاستيناف مؤمنين خالدا فيها ط العظيم بما في قلوبهم ط استهزءوا لاحتمال ان فيه للتعليل تحذرون ونلعب ط تستهزءون ايمانكم ط مجرمين من بعض كيلا تصير الجملة صفة لبعض المنافقين وهي تكلمهم ايديهم ط فنسيهم ط الفاسقون ج منها ط حسبهم ج لاختلاف النظم مع اتحاد المقصود في تمام الجزاء ولعنهم الله لذلك مقيم بناء على تعلق الكاف واولادا خاضوا ط والآخرة ج الخاسرون التفسير ان المنافقين لما لمزوا الرسول صلى الله عليه وسلم في قسمة الصدقات بين لهم الله سبحانه مصرفها كيلا يبقى لهم طعن اذا وجدوا فعله موافقا لحكم الله فقال انما الصدقات الآية وفي تصدير الكلام بانما دلالة على انه لا حق لاحد في الصدقات الا لهؤلاء ويؤيده ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لرجل ان كنت من الاصناف الثمانية فلك فيها حق والا فهو صداع في الرأس وداء في البطن ولنتكلم في تعريف هؤلاء الاصناف فالاول والثاني الفقراء والمساكين ولا شك ان كلا من الصنفين محتاجون

لا يبقى بخلهم بخرجهم انما الكلام فى انهما متغايرتان او بالدلالة او احدهما اسوء حالا فعن ابى يوسف ومحمد والجبائى انهما واحد حتى
لو اوصى لزيد وللفقراء والمساكين بمال كان لزيد النصف لا الثلث قال الجبائى انه تعم ذكرهما باسمين لتوكد امرهم فى الصدقات
والفائدة ان يصرف اليهم من الصدقات سهمان لا كسائرهم وعند الشافعى الفقير اسوء حالا لانه تعم ابتدأ الصدقات لهؤلاء
الاصناف دفعا لحاجاتهم فالذى وقع الابتداء بذكره يكون اشد حاجة لان الظاهر تقديم الاهم على المهم ومما يدل على اشعار
الفقر بالشدة العظيمة قوله تعم تظن ان يفعل بها فاقرة جعل الفاقرة كناية عن اعظم انواع الشر والدواهى وروى انه تم كان يتعوذ
من الفقر وقد سال المسكنة فى قوله اللهم احينى مسكينا وامتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين فكانه سال التوسط الحال ولهذا مات وفى
رسول الله تم ترك اشياء معلومة مع انه تعم اجاب غالبا ظاهرا فاما مسكينا وتقييده تعم المسكين بقوله ذا متربة يدل على ان المسكين
قد لا يكون كذلك وقال تعم اما السفينة فكانت لمساكين وكان ابن عباس يفسر الفقير بانه الذى لا يجد شيئا كاهل الصفة والمسكين بانه
الطواف الذى يسال الناس وفى الغالب انه يحصل له منهم شئ وقريب منه قول من قال سمى مسكينا لانه الدائم السكون الى الناس ولما كان
المسكين هو السائل لما قلنا فالمحروم فى قوله سبحانه وفى اموالهم حق للسائل والمحروم هو الفقير صاحب الحرمان واتفق الناس على ان
الفقر ضد الغنى ولم يجعل احد ان الغنى والمسكنة ضدان فلعل الترفع هو ضد التمسكن وقال ابو حنيفة المسكين اسوء حالا لقوله تعم او
مسكينا ذا متربة وقد تقدم الكلام عليه ولانه تعم جعل الكفارات من الاطعمة له ولا فاقة اعظم من الجوع ونقل الاصمعى عن ابى عمرو بن
العلاء ان الفقير الذى له ما ياكل والمسكين هو الذى لا شئ له وقال يونس قلت لاعرابى افقير انت قال لا والله بل مسكين وقيل سمى مسكينا
لانه يسكن حيث يحضر لاجل انه لا بيت له ولا منزل واجيب بانه تعالى جعل الكفارة للمسكين ذى المتربة وهو الفقير بعينه وانما النزاع
فى المسكين المطلق والروايات معارضة بامثالها والله اعلم الصنف الثالث العاملون على الصدقات وهم السعاة الجباة للصدقة قال ابن
عمر وابن الزبير والشافعى يعطى هؤلاء اجور امثالهم لانها اجرة للعمل وقال مجاهد والضحاك يعطون الثمن من الصدقات لانهم صنف من
الثمانية والصحيح ان الهاشمى والمطلبى لا يجوز ان يكون عاملا على الصدقات لان رسول الله تم ابى ان يبعث ابا رافع عاملا على الصدقات
وقال اما علمت ان مولى القوم منهم وفائدة التعدية بعلى التسليط والولاية يقال فلان على بلدة كذا اذا كان واليا عليها واختلفوا فى ان
الامام هل له حق لانه هو العامل فى الحقيقة او لا حق له لخروجه عن الاصناف والجمهور على ان العامل ياخذ نصيبه وان كان غنيا
لان ذلك اجرة عمله وعن الحسن انه لا ياخذ الا مع الحاجة الصنف الرابع المؤلفة قلوبهم عن ابن عباس هم قوم اشراف من الاحياء اعطاهم رسول
الله تم يوم حنين وكانوا خمسة عشر رجلا منهم ابو سفيان والاقرع بن حابس وعيينة بن حصين اعطى كل رجل منهم مائة من الابل قال الحليمى
لعل مراد ابن عباس انه لا يمتنع فى الجملة صرف الاموال الى المؤلفة والا فلم يكن ما اعطاهم من الصدقات ويروى ان ابا بكر الصديق اعطى
عدى بن حاتم لما جاءه بصدقاته وصدقات قومه ايام الردة والذى استقر عليه راى الائمة ان المؤلفة ثلثة اقسام ضعيف النية فى
الاسلام وشريف باعطائه يتوقع اسلام نظرائه والمتالف على جهاد من يليهم من الكفار ومانعى الزكوة حيث يكون ذلك اهون للامام من
بعث جيش يعطى كل واحد منهم ما راى الامام باجتهاده هذا كله اذا كانوا مسلمين فاما الكفار الذين يميلون الى الاسلام فيرغبون فيه
باعطاء مال والذين يخاف شرهم فيتالفون لدفع الشر بمال فلا يعطون شيئا من الزكوة وكان النبى تم يعطيهم من خمس الخمس والان لا
يعطون اصلا لقوة الاسلام والاستغناء عن تالفهم ولانه ليس فى الاية دلالة على ان المؤلفة يجوز ان يكونوا من الكفار فلا ينبغى ان
يقال ان حكم الاية منسوخ الصنف الخامس قوله وفى الرقاب قال الزجاج تقديره وفى فك الرقاب والائمة فى تفسيره اقوال فعن ابن عباس
انهم المكاتبون وهو مذهب الشافعى قال اذا عجزوا عن اداء النجوم بان لا يكون لهم شئ او لا يفى ما فى ايديهم بنجومهم صرف اليهم او الى سيدهم
باذنهم ما يعينهم على العتق وقال مالك واحمد واسحق المراد انه يشترى به عبيد فيعتقون وعن ابى حنيفة واصحابه وهو قول سعيد بن
جبير انه لا يعتق من الزكوة رقبة كاملة ولكن يعطى منها فى رقبة ويعان بها مكاتب لان قوله وفى الرقاب يقتضى ان يكون له فيه مدخل
وذلك ينافى كونه تاما فيه وقال الزهرى سهم الرقاب نصفه للمكاتبين المسلمين ونصفه يشترى به رقاب ممن صلوا وصاموا وقدم
اسلامهم فيعتقون قال المفسرون انما عدل عن اللام الى فى لان الاصناف الاربعة الاول يصرف المال اليهم حتى يتصرفوا فيه كما شاؤا
وفى الاربعة الاخيرة لا يصرف المال اليهم بل يصرف الى جهات الحاجات المعتبرة فى الصفات التى لاجلها استحقوا سهم الزكوة ففى الرقاب
يوضع نصيبهم فى تخليص رقابهم عن الرق او الاسر ولا يدفع اليهم وفى الغارمين يصرف المال الى قضاء ديونهم وفى الغزاة يصرف المال
الى عدد ما يحتاج اليه فى الغزو وفى ابن السبيل كذلك يصرف الى ما يبلغه المقصد وقال فى الكشاف انما عدل للايذان بانهم ارسخ
فى استحقاق التصدق عليهم ممن سبق لان فى للوعاء فنبه به على انهم احقاء بان يجعلوا مصبا للصدقات وتكريره فى قوله وفى سبيل
الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين الصنف السادس الغارمون قال الزجاج اهل الغرم لزمهم ما يستحق و
سمى العشق غراما لكونه امرا شاقا لازما وفلان مغرم بالنساء وسمى الدين غرما لانه شاق لازم والغارمون المديونون والدين

ان حصل بسبب معصية لم يدخل فى الاية لان المعصية لا تستوجب الاعانة وان حصل لا بالمعصية فهو مقصود الاية سواء حصل
بسبب نفقات ضرورية او لاصلاح ذات البين وان كان متمولا او للضمان ان اعسروا الاصيل وكل داخل فى الاية روى الاصم فى
تفسيره انه تم لما قضى بالغرة فى جنين قالت العاقلة لا نملك الغرة يا رسول الله فقال لحمل بن مالك اعنهم بغرة من صدقاتهم وكان
حمل على الصدقة يومئذ وانما يعطى الغارم قدر دينه ان لم يقدر على شئ وان قدر على بعض اعطى الباقى الصنف السابع قوله فى سبيل الله
يعنى الغزاة قال الشافعى يجوز له ان ياخذ من مال الصدقات وان كان غنيا وهو مذهب مالك واحمد واسحق وابى عبيد وقال ابو
حنيفة لا يعطى الغازى الا اذا كان محتاجا وظاهر لفظ الاية لا يوجب القصر على الغزاة فلهذا نقل القفال عن بعض الفقهاء انهم
اجازوا صرف الصدقة الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الحصون وعمارة المساجد لان كلها فى سبيل الله الصنف الثامن ابن
السبيل وهو المسافر لا لاجل معصية يعطى ما يبلغه المقصد وموضع ماله ان كان له فى الطريق مال قال الشافعى ويدخل فى المسافر
الشاخص من وطنه ومن بلد كان مقيما به منشئا للسفر والغريب المجتاز ببلدنا والله اعلم ولنذكر طرفا من احكام هذه الاصناف
الحكم الاول اتفقوا على دخول الزكوة الواجبة فى قوله انما الصدقات لقوله فى موضع اخر خذ من اموالهم صدقة ولقوله تم ليس
فيما دون خمسة اوسق صدقة واختلفوا فى الصدقة المندوبة فمنهم من قال يدخل والفائدة ان نعلم ان مصارف جميع الصدقات
ليست الا هؤلاء الاصناف والاقرب اختصاص الاية بالواجبة لدخول لام التمليك فى الاصناف والصدقة المملوكة لهم ليست الا
الزكوة تدل على الحصر فى الاصناف الثمانية والصدقة المندوبة يجوز صرفها الى وجوه اخر كالمساجد والمدارس وتجهيز الموتى
ولان الصدقات ينصرف الى معهود سابق وهو الصدقات الواجبة فى قوله ومنهم من يلمزك فى الصدقات الحكم الثانى فى الاية دلالة
على ان الزكوة انما يتولى اخذها الامام او نائبه لانه تعم جعل للعاملين سهما منها والعامل هو الذى نصبه الامام لاخذ الزكوات
ويتاكد هذا النص بقوله خذ من اموالهم صدقة فالقول بان المالك يجوز له اخراج زكوة الاموال الباطنة بنفسه انما يعرف بدليل
اخر كقوله وفى اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم واذا كان حقا لهما وجب ان يجوز دفعه اليهما ابتداء واذا كان الامام جائرا فالتفريق
بنفسه افضل الحكم الثالث مذهب ابى حنيفة انه يجوز صرف الصدقة الى بعض هؤلاء الاصناف وهو قول عمر وحذيفة
وابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء وابى العالية والنخعى لانه تعالى جعل جملة الصدقات لهؤلاء الثمانية فلا يلزم ان يكون كل
جزء من اجزائها كصدقة زيد مثلا موزعا على كل واحد منهم ولان الرجل الذى لا يملك الا عشرين دينارا فاخرج نصف دينار
لو كلفناه ان يقسمه على اربعة وعشرين ليقع كل ثلثة منها الى ثلثة من كل صنف صار كل قسم حقيرا صغيرا غير منتفع به فى مهم
معتبر وعن سعيد بن جبير لو نظرت الى اهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها كان احب الى وقال الشافعى لا بد من صرفها
الى الاصناف الثمانية وهو قول عكرمة والزهرى وعمر بن عبد العزيز واحتجوا عليه بان الله تعم ذكر هذه القسمة فى نص الكتاب
ثم اكدها بقوله فريضة من الله وهو فى معنى المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء فى قوة قوله فرض الله الصدقات
لهم وهذا كالزجر عن مخالفة الاية وعن النبى تم ان الله تبارك وتعم لم يرض بقسمة ملك مقرب ولا نبى مرسل حتى تولى قسمتها
بنفسه ثم ختم الاية بقوله والله عليم اى بمقادير الانصباء والمصالح حكيم لا يفعل الا ما هو الاصوب الاصلح وكل هذه المؤكدات
دليل على وجوب الاحتياط فى صرف الزكوة ومن ههنا قال الشافعى لا بد فى كل صنف من ثلثة لانه تعم ذكر اكثر الاصناف
بلفظ الجمع واقله ثلثة فان دفع نصيب الفقراء الى اثنين غرم للثالث اقل متمول على الاصح لا الثلث لان التفضيل فى افراد الصنف
جائز للمالك لان العدد من كل صنف غير محصور فيصعب اعتبار التسوية بخلاف التسوية بين الاصناف لانهم محصورون
فيسهل التسوية بينهم الحكم الرابع العامل والمؤلفة قلوبهم مفقودان فى زماننا فبقى ان يصرف الزكوة الى الاصناف الستة
الباقية كما لو فقد بعض الاصناف فى بلد فانه يصرف الى الباقين ولا يؤمر بالنقل الى بلد وجد فيه جميعا والاحوط رعاية
التسوية بينهم على ما يقوله الشافعى ما اذا لم يفعل ذلك فانه مجزية عند سائر الائمة اما الحكمة فى ايجاب الزكوة فهو ان المال
محبوب بالطبع لان القدرة من صفات الكمال والمال سبب لحصول القدرة على المشتهيات والمآرب لكن الاستغراق فى
حبه يذهل النفس عن حب الله وعن التاهب للاخرة فاقتضت الحكمة الالهية تكليف مالك المال الاخراج طائفة منه كسرا للنفس
ومنعا من انصبابها بالكلية اليه فايجاب الزكوة علاج صالح لازالة مرض حب الدنيا عن القلب وهو المراد من قوله خذ من اموالهم
صدقة تطهرهم اى عن درن الاستغراق فى حب المال وايضا ان كثرة الاموال يوجب القوة والقدرة والشدة وتزايد تلك
اللذات يدعو الانسان الى تحصيل الاموال المتزايدة فيصير المسئلة دورية لا مقطع لها ولا اخر فاثبت الشرع لها مقطعا
واخرا وهو صرف طائفة من المال فى طلب مرضاة الله ليصرف النفس عن ذلك الطريق الظلمانى الذى لا اخر له ويفضى الى الاغلب
الى الطغيان وقساوة القلب وايضا النفس الناطقة لها قوتان نظرية وكمالها فى التعظيم لامر الله وعملية وكمالها فى الشفقة

على خلق الله فاوجب الله الزكوة ليتصف جوهر الروح بهذا الكمال ويصير بسبب ذلك محبا الى الخلق وامدواله بالدعا والهمة وايضا المال سمي مالا لكثرة ميله الى كل احد فهو غادر رائح سريع الزوال مشرف على التلف والبوار فاذا انفقه لوجه الله بقي بقاء لا يمكن زواله وفي انفاق المال تشبه بالمجردات والمفارقات وليس الغنا الا عن الشيء لا به لان الاستغناء عن الشيء صفة الحق والاستغناء بالشيء صفة المخلوقين العاجزين ففي الامر بالزكوة نقل للانسان من درجة ادنى الى درجة اعلى وايضا للانسان روح وبدن ومال فاذا بذل الروح في الاستغراق في بحار معرفة الله وبذل البدن في العبودية لله والصلوة لم يكف يليق به ان لا يبذل المال في ابتغاء مرضاته وايضا اذا فضل له المال عن قدر الحاجة وحضر انسان اخر محتاج فههنا حصل سببان كل واحد منهما يوجب تملك ذلك المال اما في حق المالك فهو انه سعى في اكتسابه وتحصيله وتعلق قلبه به واما في الفقير فالاحتياج الموجب للتعلق به فلما وجد هذان السببان المتدافعان اقتضت حكمة الشارع رعاية كل منهما بقدر الامكان ورجح جانب المالك لان له حق الاكتساب وحق التعلق فابقى عليه الكثير وامر بصرف جزء يسير الى الفقير توفيقا بين الامرين وجمعا بين المصلحتين مع رعاية المال عن التعطيل فلا معطل في الوجود وايضا الاغنياء خزان الله لان المال مال الله وهم عبيده ولولا انه القاها في ايديهم لما ملكوا منها حبة فكم من عاقل لا يملك ملأ بطنه وكم من غافل ياتيه الدنيا عفوا صفوا وليس بمستبعد ان يقول الملك لخزانه اصرفوا طائفة مما في الخزانة الى المحتاجين من عبيدي وايضا ان الاغنياء لو لم يلتزموا اصلاح مهمات الفقراء فربما حملهم شدة الحاجة على تحصيل المال من وجوه منكرة كالسرقة ونحوها او على اللحاق باعداء المسلمين وقال عم الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وكان الله تعم يقول للغني اعطيتك المال فشكرت فصرت من الشاكرين فاخرج من يدك نصيبا منه حتى تصبر على فقدان المال فصرت من الصابرين ويقول للفقير ما اعطيتك الاموال الكثيرة فصرت من الصابرين ولكني اوجبت على الغني ان يصرف اليك طائفة من المال لتشكرني فتكون من الشاكرين وايضا اراد الله سبحانه ان يكون الغني منعما على الفقير بما يؤديه اليه ويكون الفقير منعما على الغني بما قبله منه ليحصل الخلاص له في الدنيا من الذم والعار وفي الاخرة من عذاب النار ثم حكى نوعا اخر من فضائح المنافقين وهو انهم كانوا يقولون لرسول الله صم على وجه الطعن والذم هو اذن عن ابن عباس كانوا يؤذون النبي صم ويقولون ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه ما تقولون فينا نخاف ان يبلغه ما تقولون فانما محمد اذن سامعة فقال الجلاس بن سويد نقول ما شئنا ثم ناتيه فيصدقنا بما نقول فانما هو اذن سامعة فنزلت الاية وقال محمد بن اسحق بن يسار وغيره نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحرث وكان رجلا احمر العينين اسفع الخدين مشوه الخلقة وهو الذي قال فيه النبي صم من اراد ان ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحرث وكان ينم حديث النبي صم الى المنافقين فقيل له لا تفعل فقال انما محمد اذن من حدثه شيئا صدقه نقول ما شئنا ثم ناتيه فنحلف له فيصدقنا وقال السدي اجتمع ناس من المنافقين فيهم جلاس بن سويد بن الصامت ووديعة بن ثابت فارادوا ان يقعوا في النبي صم وعندهم غلام من الانصار يدعى عامر بن قيس فحقروه فتكلموا وقالوا ان كان ما يقوله محمد حقا لنحن شر من الحمير فغضب الغلام وقال والله ان ما يقول محمد حق وانكم لشر من الحمير ثم اتى النبي صم فاخبره فدعاهم فسالهم فحلفوا ان عامرا كاذب وحلف عامر انهم كذبة وقال اللهم لا تفرق بيننا حتى تبين صدق الصادق من كذب الكاذب فنزلت الاية قال علماء اللغة الاذن الرجل الذي يصدق بكل ما يسمع ويقبل قول كل احد سمي بالجارحة التي هي الة السماع كان جملته اذن سامعة ومثله قولهم للربيئة عين وايذاؤهم النبي صم بانهم يقولون له هو اذن وذلك انهم قصدوا به المذمة وانه ليس بذكاء ولا بعد غور بل هو سليم القلب سريع الاغترار بكل ما يسمع ويجوز ان يراد بايذاء انواع اخر سوى هذا القول اي يؤذونه بالغيبة والنميمة وسائر انواع الاذية ويقولون في وجه الاعتذار عن ذلك هو اذن يقبل كلما يسمع فنحن ناتيه فنعتذر اليه فيسمع عذرنا فيرضى ثم انه سبحانه اجاب عن قولهم فقال قل اذن خير لكم بالاضافة كقولهم رجل صدق يريدون الجودة والصلاح ويجوز الاضافة هو الملابسة كانه قيل نعم هو اذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس باذن في غير ذلك ويؤيده قراءة حمزة ورحمة بالجر عطفا عليه عطف الخاص على العام اي هو اذن خير ورحمة لا يسمع ولا يقبل غيرهما ثم بين كونه اذن خير بانه يؤمن بالله اي يقربه ويعترف بوحدانيته لما قام عنده من الادلة ويؤمن للمؤمنين يسلم لهم قولهم لوثوقه بقولهم وعلمه باخلاصهم لا لكونه من اهل الغرة والبله وهو رحمة للذين امنوا منكم باللسان دون الجنان لانه يجري امرهم على الظاهر ولا يبالغ في التفتيش عن بواطنكم فان الله هو الذي يتولى السرائر ولهذا ختم الاية بقوله والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم واما من قرأ اذن خير بالرفع فيهما فعلى ان اذن خبر مبتدأ محذوف وخير كذلك اي هو اذن هو خير والمعنى هو موصوف بالخيرية في حقكم لانه يقبل معاذيركم ويتغافل عن جهالاتكم فتحفظ بذلك دماؤكم واموالكم وقيل التقدير قل اذن واعتبر سامعة للحق خير لكم من هذا الطعن الفاسد ثم

ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن

ذكر

ذكر بعده ما يدل على فساد هذا الطعن وهو قوله يؤمن بالله الى اخره ووجه ثالث ذكره صاحب النظم واستحسنه الواحدي وهو ان قوله اذن وان كان رفعا في الظاهر لكنه نصب في الحقيقة على الحال اي تاويله قل هو اذنا خيرا لكم ثم ذكر ان من قبائح المنافقين اقدامهم على الايمان الكاذبة فقال يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله احق ان يرضوه اي كان من الواجب ان يرضوا الله تعالى بالاخلاص والتوبة لا باظهار ما يسترون خلافه وانما لم يقل يرضوهما تعظيما لله بالافراد بالذكر او المراد والله احق ان يرضوه ورسوله كذلك ووقع الاكتفاء بذكر الله لان رضى الله ورضى رسوله شيء واحد كما يقال احسان زيد واجماله نعشني ومعنى ان كنتم مؤمنين اي بزعمكم ثم وبخهم بقوله الم يعلموا وذلك انه يقال ذلك لمن يولع في تعليم مدة ثم لم يظهر عليه اثر العلم والرشد وكان النبي صم طال مكثه فيهم وكثر تحذيره عن المعصية وترغيبه في الطاعة والضمير في قوله انه للشان وفائدته مزيد التعظيم والتهويل والمحادة المخالفة لان كلا منهما في حد غير حد صاحبه كالمشاقة لان كلا منهما في شق اخر وقال ابو مسلم هي من الحد بحديد السلاح ثم ذكر الجزاء وقوله فان له بالفتح اي فحق ان له نار جهنم وقيل ان مكرر للتاكيد والتقدير فله نار جهنم وقيل فان معطوف على انه وجواب من محذوف وهو هلك قال الزجاج يجوز كسر ان على الاستيناف بعد الفاء ولكن القراءة بالفتح ونقل الكعبي في تفسيره انه قرأ بالكسر قال السدي بعض المنافقين والله لوددت اني قدمت فجلدت مائة جلدة ولا ينزل فينا شيء يفضحنا فانزل الله تعالى يحذر المنافقون وقال مجاهد كانوا يقولون القول بينهم ثم يقولون عسى ان لا يفشي علينا سرنا فنزلت والضمير في عليهم وفي تنبئهم للمؤمنين وفي قلوبهم للمنافقين لان السورة اذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم وكانها تخبرهم عما في بواطنهم وتذيع عليهم اسرارهم قيل المنافق كافر فكيف يحذر نزول الوحي لانه غير قائل به واجيب بانهم عرفوا ذلك بالتجربة او كفرهم كان كفر عناد او كانوا شاكين في صحة نبوته والشاك في امر خائف من وقوعه او هذا الخبر في معنى الامر اي ليحذر المنافقون عن ابي مسلم انهم اظهروا هذا الحذر على سبيل الاستهزاء ولهذا اجابهم الله بقوله استهزؤا وهو امر تهديد ان الله مخرج ما تحذرون يظهر ما تحذرونه من نفاقكم او محصل انزال السورة لان الشيء اذا حصل بعد عدم فكان فاعله اخرجه من العدم الى الوجود قوله وان سألتهم الاية عن ابن عمر ان رجلا من المنافقين قال في غزوة تبوك ما رايت مثل هؤلاء القراء ارغب بطونا اي اوسع ولا اكذب السنا ولا اجبن عند اللقاء يعني رسوله واصحابه فقال واحد من المؤمنين كذبت وانت منافق ثم ذهب ليخبر رسول الله فوجد القران قد سبقه فجاء ذلك الرجل الى رسول الله صم وقد ارتحل وركب ناقته فقال يا رسول الله صم انما كنا نلعب ونتحدث بحديث نقطع به عنا الطريق قال ابن عمر رايت عبد الله بن ابي يشتد قدام رسول الله صم والحجارة تنكبه وهو يقول انما كنا نخوض ونلعب والنبي صم يقول ابالله ورسوله كنتم تستهزؤن ما يلتفت اليه ولا يزيد عليه وقال الحسن وقتادة بينا رسول الله صم يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فاطلع الله عز وجل نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا رسول الله صم انما كنا نخوض ونلعب قال الواحدي اصل الخوض الدخول في مائع مثل الماء والطين ثم كثر حتى اطلق على كل دخول فيه تلويث واذى اي كنا نخوض في الباطل كما يخوض الركب لقطع الطريق ثم امر نبيه بان يقول في جوابهم ابالله اي بتكاليفه وباسمائه او بقدرته حيث استبعدتم غلبة النبي صم واصحابه على فتح قصور الشام واياته يعني القران ورسوله كنتم تستهزؤن لم يعبأ باعتذارهم فجعلوا كانهم معترفون بوقوع الاستهزاء منهم فاوقع الانكار على الاستهزاء بالله بان اولاه الاستفهام الذي يفيد التقرير بالمستهزأ به ولم يقل اتستهزؤن بالله ثم قال لا تعتذروا ونقل الواحدي عن ائمة اللغة ان معنى الاعتذار محو اثر الذنب وقطعه من قولهم اعتذر المنزل اذا درس واعتذرت المياه اذا انقطعت ومنه عذرة الجارية لانها تعذر اي تقطع والعذر سبب لقطع اللوم نهاهم الله عن الاعتذار بالخوض واللعب لان الشيء الذي يوجب الكفر لا يصلح للعذر ثم بين ذلك بقوله قد كفرتم اي صرحا بعد ايمانكم لكن بعد الايمان الذي اظهرتموه وفيه ان الاستهزاء بالدين كيف كان كفر بالله صريح لان العمدة الكبرى في الايمان هو التعظيم لامر الله ولشرائعه ان نعف عن طائفة منكم ذكر المفسرون انهم كانوا ثلثة استهزأ اثنان وضحك الثالث ولما كان ذنب الضاحك اخف لانه لم يوافق القوم في الكفر فلا جرم عفا الله عنه وفيه اشارة الى انه من خاض في عمل باطل فعليه ان يجتهد في التقليل ويحذر من الانهماك فانه يرجى له بتركه ذلك القليل ان يعفو الله عنه الكل قال الزجاج الطائفة في اللغة الجماعة لانها الذي يمكنه ان يطيف بالشيء ثم يجوز ان يسمى الواحد بالطائفة قال تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين واقله الواحد وروى الفراء باسناده عن ابن عباس انه قال الطائفة الواحد فما فوقه ووجهه بان من اختار مذهبا فانه ينصره ويذب عنه من كل الجوانب فلا يبعد ان يسمى طائفة بهذا السبب والبناء للمبالغة وقال ابن الانباري العرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد وقال تعالى الذين قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود ثم علل كونه معذبا للطائفة الثانية بانهم كانوا مجرمين اي مصرين مستمرين على الجرم ويجوز ان يكون سبب العفو عن الطائفة الاولى

احداثهم التوبة واخلاصهم الايمان بعد النفاق ويجوز ان يراد بالعذاب العذاب العاجل ومن قرأ ان نعف على البناء للمفعول والتذكير فلانه مستند الى الظرف كما تقول سير بالدابة دون سيرت وقرئ بالتأنيث ذهابا الى المعنى كانه قيل ان ترحم طائفة ثم ذكر جملة احوال المنافقين وان اناثهم فى ذلك كذكورهم فقال المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اى فى صفة النفاق واريد به نفى ان يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم فى قولهم انهم لمنكم وتقرير قوله وما هم منكم ثم فصل ذلك المجمل ببيان مضادة حالهم لحال المؤمنين فقال يامرون بالمنكر وهو كل قبيح عقلا اوشرعا واعظم ذلك الاخلاص فى الايمان ويقبضون ايديهم عن كل واجب كصدقة اوزكوة اوانفاق فى سبيل الله وهذا اولى ليتوجه الذم بتركه وقبض اليد كناية عن الشح والبخل كبسطها فى الكرم والسخاء نسوا الله اغفلوا امره وتركوا ذكره وذلك ان النسيان الحقيقى لا يتوجه عليه الذم فنسيهم جازاهم بان صيرهم بمنزلة المنسى من ثوابه ورحمته وهذا على سبيل المزاوجة والطباق وانما جعل النسيان عبارة عن ترك الذكر لان من نسى شيئا لم يذكره فدل بذكر الملزوم على اللازم ثم قال ان المنافقين هم الفاسقون وفيه دليل على انهم هم الكاملون فى الفسق وان على المسلم ان يحترز عما يكسبه هذا الاسم ثم بين مآل حال اهل النفاق والكفر فقال وعد الله الاية ومعنى خالدين فيها مقدرين الخلود فيها قاله فى الكشاف ويحتمل ان يراد مستاهلين للخلود هى حسبهم كافيهم فى الجزاء والايلام ومع ذلك فقد لعنهم الله ليكون العذاب مقرونا بالاهانة والطرد ولهم عذاب مقيم نوع اخر من العذاب الدائم سوى عذاب النار او عذاب عاجل لا ينفكون عنه من النفاق والخوف من افتضاحهم ثم شبه المنافقين بالكفار الذين كانوا قبلهم فى الامر بالمنكر والنهى عن المعروف وقبض الايدى عن الخيرات فقال ملتفتا من الغيبة الى الخطاب كالذين من قبلكم اى انتم مثل الذين او فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم فعلى الاول محل الكاف رفع وعلى الثانى نصب ثم وصف اولئك الكفار بانهم كانوا اشد قوة اى جسامة من هؤلاء المنافقين واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم وهو ما خلق للانسان اى قدر له من خير كما قيل له قسم لانه قسم ونصيب لانه نصب اى اثبت فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم قيل ما الفائدة فى ذكر الاستمتاع بالخلاق فى حق الاولين مرة ثم ذكره فى حق المنافقين ثانيا ثم تكريره فى حق الاولين ثالثا واجيب بانه تعالى ذم الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا وحرمانهم عن سعادة الاخرة بسبب استغراقهم فى تلك الحظوظ فلما قرر تعالى هذا الذم عاد فشبه حال المنافقين بحالهم فيكون ذلك نهاية فى المبالغة قال جار الله نظيره ان تقول لبعض الظلمة انت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب وانت تفعل مثل فعله واما قوله وخضتم كالذى خاضوا فمعطوف على ما قبله مستند اليه مستغن باسناده اليه عن تلك التقدمة ومعنى كالذى كالخوض الذى خاضوه او كالفوج الذى خاضوا وقيل اصله كالذين فحذف النون ثم بين ان اولئك الكفار لم يحصل لهم الا حبوط الاعمال فى الدنيا بسبب الفقر والانتقال من العز الى الذل ومن القوة الى الضعف واما فى الاخرة فلانهم هلكوا وبادوا وانتقلوا الى العقاب الدائم وخسران الدارين فهؤلاء المنافقون المشاركون لهم فى هذه الاعمال والفضائح مع ضعفهم وقلة عددهم وعُددهم اولى بحبط الدارين وخسار الامرين التأويل انما الصدقات وهى صدقات مواهب الله كما قال ما من يوم ولا ليلة ولا ساعة الا لله فيها صدقة على من يشاء من عباده للفقراء وهم الاغنياء بالله الذين فنوا عنهم وبقوا به والمساكين الذين لهم بقية اوصاف الوجود الفانى سفينة القلب فى بحر الطلب فخرقها خضر المحبة وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا والعاملين عليها وهم ارباب الاعمال كما كان الفقراء والمساكين ارباب الاحوال والمؤلفة قلوبهم الذين تتألف قلوبهم بذكر الله وفى الرقاب الذين يريدون ان يتخلصوا عن رق الموجودات بالعبودية موجدها والمكاتب عبد ما بقى عليه درهم والغارمين الذين استقرضوا من مراتب المكونات اوصافها وطبائعها وخواصها وهم محبوسون فى سجن الوجود فهم معاونون بتلك الصدقات للخلاص عن حبس الوجود وفى سبيل الله المجاهدين والجهاد الاكبر مع كفار النفوس والهوى والشيطان والدنيا وابن السبيل المسافرون عن اوصاف الطبيعة وعالم البشرية السائرون الى الله على اقدام الشريعة والطريقة فريضة من الله اوجبها على ذمة كرمه كما قال الا من طلبنى وجدنى والله عليم بطالبيه حكيم فى معاونتهم بعد الطلب كقوله من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ويقولون هو اذن داووا مخامده بنظر المذمة والعيب قل اذن خير لكم اى سامعة خير لكم لان المقام السامعية يسمع ما يوحى اليه يؤمن بالله عيانا ويؤمن للمؤمنين لان فوائدها انه تعود اليهم كما تعود الى نفسه ورحمة للذين امنوا لانهم يهتدون بهداه والذين يؤذون رسول الله باقوالهم وافعالهم واحوالهم يحذر المنافقون والحذر لا يغنى عن القدر ان نعف عن طائفة اظهارا للفضل والرأفة نعذب طائفة اظهارا للقهر والعزة ولكن اظهار اللطف بلا سبب واظهار القهر لا يكون الا بسبب انهم كانوا مجرمين وبعضهم من بعض لان ارواحهم كانت فى صف واحد فى الازل فعاملاتهم من نتائج خصوصيات ارواحهم نسوا الله ولو ذكروه قبل الاتيان بالمعاصى لم يفعلوا ما فعلوا ولو ذكروه بعد الاتيان لاستغفروا فغفر لهم فهى حسبهم لانها نصيبهم فى الازل كانوا اشد منكم قوة بالاشتغال

الفقراء وضيعوها فى الاستمتاع العاجل وخسروا راس المال ولم يربحوا الم ياتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح
وعاد وثمود وقوم ابرهيم واصحاب مدين والمؤتفكات اتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم
الله ان الله عزيز حكيم وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين
فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم
ع ١ يا ايها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وماويهم جهنم وبئس المصير يحلفون بالله ما قالوا ولقد
قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا ان اغنيهم الله ورسوله من فضله فان
يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما فى الدنيا والاخرة وما لهم فى الارض من ولى ولا
نصير ومنهم من عاهد الله لئن اتينا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما اتيهم من فضله
بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه و
بما كانوا يكذبون الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجويهم وان الله علام الغيوب الذين يلمزون المطوعين
من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب اليم

القراءة والمؤتفكات وبابه بغير همز ابو عمرو وغير شجاع وورش ويزيد والحلوانى عن قالون والاعشى وحمزة فى الوقف الوقوف والمؤتفكات ط بالبينات لابتداء النفى مع فاء التعقيب يظلمون من بعض لا م ورسوله ط سيرحمهم الله ط حكيم عدن ط اكبر العظيم واغلظ عليهم ط جهنم المصير ط ما قالوا ط لم ينالوا من فضله ج خيرا لهم ط والاخرة ج ولا نصير من الصالحين معرضون يكذبون علام الغيوب لا لاحتمال النصب والرفع على الذم وكونه بدلا من الضمير فى نجويهم فيسخرون منهم ط سخر الله منهم لانتهاء الجزاء مع اختلاف النظم اليم التفسير لما شبه المنافقين بالكفار المتقدمين فى تكذيب الانبياء والاشتغال بالنعيم العاجل بين ان اولئك الكفار من هم فذكر ست طوائف سمع العرب اخبارهم لان بلادهم وهى الشام قريبة من بلادهم وقد بقيت آثارهم مشاهدة ولهذا صدر الكلام بحرف الاستفهام للتقرير فاولهم قوم نوح وقد اهلكوا بالاغراق وثانيهم قوم عاد واهلكوا بالريح العقيم وثالثهم ثمود واخذوا بالصيحة ورابعهم قوم ابرهيم سلط الله عليهم البعوض وكفى شر ملكهم وهو نمرود ببعوضة واحدة سلطها على دماغه وخامسهم اصحاب مدين قوم شعيب اخذتهم الرجفة وسادسهم اصحاب المؤتفكات قوم لوط امطر الله عليهم الحجارة بعد ان جعل مدائنهم عاليها سافلها والائتفاك الانقلاب سميت مدائنهم بذلك لان الله تعالى قلبها عليهم ويمكن ان يراد بالمؤتفكات الناس لانقلاب احوالهم من الخير الى الشر قال انتهم رسلهم بالبينات اى بالمعجزات ولا بد بعد هذا من اضمار والتقدير فكذبوهم فاهلكهم الله فما كان الله ليظلمهم قالت المعتزلة اى ما صح منه الظلم ولكنهم استحقوا ذلك بسبب كفرهم وتقدم الكلام فى امثال ذلك ثم بين ان شان المؤمنين فى الدنيا والاخرة بخلاف المنافقين فقال والمؤمنون الاية قال بعض العلماء انما قال ههنا اولياء بعض وهناك من بعض لان نفاق اتباع المنافقين حصل بسبب التقليد لاكابرهم ومقتضى الطبع والعادة بخلاف الموافقة بين المؤمنين فانها بسبب المشاركة

فى الاستدلال والتوفيق والهداية واقول كون بعض المنافقين من بعض يوجب اشتراكهم فى امر من الامور بالجملة كالدار او حكم من
الاحكام الشرعية او سيرة وطريقة وهذا هو المقصود ولكنه يحتمل ان يكون تكليفا او بطريق النفاق لان سبب انعقاد غرض من
الاغراض الدنيوية العاجلة فذكر الله تعم اشتراكهم فى ذلك بلفظ منهم لمكان الاحتمال المذكور واما اشتراك المؤمنين فى
السيرة فلما كان سببه الاخلاص والعصبية للدين والاجتماع على ما يفضى الى سعادة الدارين كانت الموالاة بينهم محققة
فصرح الله تعم بذلك ثم وصفهم باضداد صفات المنافقين فقال يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وهاتان الصفتان
بالنسبة الى غيرهم ثم قال ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهاتان لهم فى انفسهم وهما بازاء قوله فى صفة المنافقين ولا يأتون
الصلوة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون ثم وصفهم بالطاعة على الاطلاق فقال ويطيعون الله ورسوله اى فى كل
ما يأتون ويذرون ثم ذكر ما اعد لهم من الثواب على سبيل الاجمال فقال اولئك سيرحمهم الله والسين يفيد المبالغة فى انجاز الوعد با
الرحمة كما يؤكد الوعيد بها اذا قلت سانتقم منك يوما يعنى انك لا تفوتنى وان تباطأ ذلك ثم ختم الاية بقوله ان الله عزيز
حكيم وفيه ترغيب للمؤمنين وترهيب للكافرين لان العزيز هو من لا يمنع من مراده فى عباده من رحمة او عقوبة والحكيم هو
الذى يدبر عباده على ما هو فوق ما يقتضيه العدل والصلاح ثم فصل ما اجمل من الرحمة بقوله وعد الله المؤمنين الاية وقد كثر
كلام اصحاب الاثار فى معنى جنات عدن فقال الحسن سالت عمران بن الحصين وابا هريرة عن ذلك فقالا على الخبير سقطت سالنا
رسول الله فقال هو قصر فى الجنة من اللؤلؤ وفيه سبعون دارا من ياقوتة حمراء فى كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء فى كل بيت
سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا على كل فراش زوجة من الحور العين وفى كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون
لونا من الطعام وفى كل بيت سبعون وصيفة يعطى المؤمن من القوة ما يأتى على ذلك اجمع وعن ابن عباس انها دار الله لم ترها عين
ولم يخطر على قلب بشر وقال ابن مسعود جنات عدن بطنان الجنة اى وسطها قال الازهرى وبطنان الاودية المواضع التى يستنقع
فيها السيل واحدها بطن وقال عطاء عن ابن عباس هى قصبة الجنة وسقفها عرش الرحمن وهى المدينة التى فيها الرسل والانبياء
والشهداء وائمة الهدى وسائر الجنات حولها وفيها عين التسنيم وفيها قصور الدر والياقوت والذهب فتهب الريح من تحت العرش
فتدخل عليهم كثبان المسك الابيض وقال عبد الله بن عمران فى الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج وله خمسة الاف باب على كل باب
خمسة الاف حبرة لا يدخله الا نبى او صديق او شهيد وفى هذه الاخبار دلالة على ان عدنا علم ويؤيده قوله جنات عدن التى وعد
الرحمن عباده بالغيب ولو لم يكن علما لم يوصف بالمعرفة ولا ريب ان اصله صفة من قولك عدن بالمكان اذا اقام به ومنه المعدن للمكان
الذى يخلق فيه الجوهر وعلى هذا فالجنات كلها جنات عدن الا ان يغلب الاسم على بعضها ورضوان من الله شئ يسير من رضاه
اكبر من ذلك كله لان رضاه سبب كل فوز وكرامة وكل خطب مع رضا المولى هين وكل نعيم مع سخطه منغص وفيه دليل على ان السعادات
الروحانية اعلى حالا واشرف من السعادات الجسمانية بل لا نسبة لتلك اللذة والابتهاج الى هذه على ان الاعتراف بالسعادات
الجسمانية واجب من حيث الشرع ذلك الموعود والرضوان هو الفوز العظيم وحده دون ما يعده الناس فوزا فى الحديث ان الله عز
وجل يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل
من ذلك قال ادخل عليكم رضوانى فلا اسخط عليكم ابدا ثم عاد مرة اخرى الى شرح احوال المنافقين فقال يا ايها النبى جاهد الكفار
والمنافقين واغلظ عليهم قال الضحاك اى جاهد الكفار واغلظ على المنافقين لان المنافق لا يجوز محاربته فى ظاهر الشرع وضعف
بان النسق يأباه وقيل المراد بهؤلاء المنافقين هم الذين عرفهم الله حالهم فصاروا اكسابر الكفرة فجاز قتالهم وزيف بانه وان علم حالهم
بالوحى الا انه مأمور بان يحكم بالظاهر والقوم كانوا يظهرون الاسلام فكيف يجوز قتالهم والصحيح ان الجهاد بذل الجهود فى حصول
المقصود وهو شامل للسيف واللسان فالمراد جاهد الكفار بالسيف والمنافقين واغلظ عليهم فى الجهادين جميعا عن ابن مسعود
ان لم يستطع بيده فبلسانه فان لم يستطع فليكفهر فى وجهه فان لم يستطع فبقلبه بان يكرهه ويبغضه ويتبرأ منه وحمل الحسن جهاد
المنافقين على اقامة الحدود عليهم اذا تعاطوا اسبابها واعترض عليه بان اقامة الحدود واجبة على كل فاسق منافقا او لا ولان الغالب
ممن يقام عليه الحد فى زمن رسول الله صلعم كونه منافقا قال الضحاك خرج المنافقون مع رسول الله صلعم الى تبوك وكانوا اذا خلا
بعضهم الى بعض سبوا رسول الله صلعم واصحابه وطعنوا فى الدين فنقل ما قالوا حذيفة الى رسول الله صلعم فقال رسول الله صلعم يا اهل
النفاق ما هذا الذى بلغنى عنكم فحلفوا ما قالوا شيئا من ذلك فانزل الله تعم يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وعن
قتادة عن رجلين اقتتلا رجلا من جهينة ورجل من غفار فظهر الغفارى على الجهنى فنادى عبد الله بن ابى يا بنى الاوس انصروا
اخاكم فوالله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فسعى
بها رجل من المسلمين الى نبى الله صلعم فارسل اليه فجعل يحلف بالله ما قال فنزلت الاية اما قوله وهموا بما لم ينالوا فهو الفتك برسول

الله صلعم عند مرجعه من تبوك وذلك انه توافق خمسة عشر رجلا منهم على ان يدفعوه عن راحلته الى الوادى اذا تسنم العقبة بالليل وكان
عمار بن ياسر اخذ بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينا هم كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح
فالتفت فاذا هم قوم متلثمون فقال اليكم يا اعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بردعامر بن قيس لرده على الجلاس بن سويد وقد
مر فى تفسير قوله يحلفون بالله لكم ليرضوكم وقيل ارادوا ان يتوجوا عبد الله بن ابى وان لم يرض رسول الله صلعم وما نقموا وما عابوا
الا ان اغناهم كقول القائل ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله صلعم المدينة فى ضنك من العيش
لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فظفروا بالغنائم وجمعوا الاموال وروى انه قتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلعم بديته اثنى عشر الفا
فاستغنى ثم استعطف قلوبهم بعد صدور هذه الجنايات العظيمة عنهم فقال فان يتوبوا يك خيرا لهم وكان الجلاس
ممن تاب فحسنت توبته وان يتولوا يعرضوا عن التوبة يعذبهم عذابا اليما فى الدنيا بالقتل والسبى واغتنام الاموال وقيل بما ينالهم
عند الموت ومعاينة ملائكة العذاب وقيل فى القبر واما عذاب الاخرة فمعلوم وما لهم فى الارض يحتمل ارض الدنيا وارض القيامة ثم
بين ان هؤلاء كما ينافقون الرسول والمؤمنين فكذلك ينافقون ربهم فيما يعاهدونه عليه فقال ومنهم من عاهد الله روى عن ابى
امامة الباهلى ان ابا ثعلبة بن حاطب الانصارى قال لرسول الله صلعم ادع الله ان يرزقنى مالا فقال ويحك يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير
من كثير لا تطيقه ثم قال مرة اخرى فقال اما ترضى ان تكون مثل نبى الله فوالذى نفسى بيده لو شئت ان تسيل معى الجبال فضة وذهبا
لسالت فقال والذى بعثك بالحق لئن دعوت الله ان يرزقنى مالا لاوتين كل ذى حق حقه فقال رسول الله صلعم اللهم ارزق ثعلبة
مالا فاتخذ غنما فنمت كما تنمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها ونزل واديا من اوديتها حتى جعل يصلى الظهر والعصر فى جماعة
ويترك ما سواهما ثم نمت وكثرت حتى ترك الصلوات الا الجمعة وهى تنمو كما تنمو الدود حتى ترك الجمعة فسال عنه رسول الله صلعم فاخبر
فقال يا ويح ثعلبة ثلثا وانزل الله عز وجل خذ من اموالهم صدقة فبعث رسول الله صلعم رجلين على الصدقة رجلا من جهينة ورجلا من بنى سليم
كتب لهما كيف ياخذان الصدقة وقال لهما مرا بثعلبة وبفلان رجل من بنى سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى اتيا ثعلبة فسالاه الصدقة واقرآه كتاب
رسول الله صلعم فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية ما ارى ما هذا انطلقا حتى تفرغا ثم تعودان الى فانطلقا واخبر السلمى فنظر
الى خيار اسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما راوها قالوا ما يجب هذا عليك وما نريد ان ناخذ هذا منك قال بلى خذوه فان
نفسى بها طيبة فاخذوها منه ثم رجعا على ثعلبة فقال ارونى كتابكما ثم قال ما هذه الا اخت الجزية انطلقا حتى ارى رايى فانطلقا حتى
اتيا النبى صلعم فلما راهما قال يا ويح ثعلبة قبل ان يكلمهما ودعا للسلمى بالبركة ثم نزلت الاية وعند رسول الله صلعم من اقارب ثعلبة فخرج اليه وقال
ويحك يا ثعلبة قد انزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى اتى النبى صلعم فسأله ان يقبل منه صدقته فقال ان الله قد منعنى ان اقبل منك
صدقتك فجعل يحثو التراب على راسه فقال رسول الله صلعم هذا عملك قد امرتك فلم تطعنى فلما ابى ان يقبل منه شيئا رجع الى منزله
وقبض رسول الله صلعم ولم يقبل منه شيئا رجع الى منزله وقبض رسول الله صلعم ولم يقبل منه شيئا ثم اتى ابا بكر حين استخلف فقال قد علمت منزلتى
من رسول الله صلعم وموضعى من الانصار فاقبل صدقتى فقال لم يقبلها رسول الله وانا اقبلها فقبض ابو بكر وابى ان يقبلها ثم جاء
بها الى عمر فى خلافته فلم يقبلها وكذا فى خلافة عثمان ولم يقبل صدقته واحد من الخلفاء اقتداء برسول الله صلعم واقول وما ذاك الا
بشؤم اللجاج والالحاح قال بعض العلماء المعاهدة اعم من ان يكون باللسان وبالقلب قال المحققون انه لا بد من التلفظ بها لما روى
انه صلعم قال ان الله عفا عن امتى ما حدثت به نفوسهم ولم يتلفظوا به ولان قوله عز من قائل ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن
ظاهر مشعر بالقول اللسانى والمراد بالفضل ابتاء السؤال بطريق التجارة او الاستغنام ونحوها واصل لنصدقن لنتصدقن فادغمت التاء
فى الصاد والمتصدق المعطى لا السائل كقوله تعم وتصدق علينا ان الله يجزى المتصدقين ومعنى قوله ولنكونن من الصالحين عن ابن عباس
انه اراد الحج ولعل المراد اخراج كل ما يجب اخراجه اذ لا دليل على التقييد ثم وصفهم بصفات ثلث فقال فلما اتاهم من فضله بخلوا به وتولوا
وهم معرضون فالبخل عبارة عن منع الحق الشرعى والتولى نقض العهد والاعراض ازدياد الاحجام عن تكاليف الله وان ذلك منهم عادة
معتادة ولترتب هذا الذم على منع الصدقة ولاطلاق لفظ البخل عليه وهو فى عرف الشرع عبارة عن منع الواجب ذكر العلماء ان الصدقة
الملتزمة فى قوله لنصدقن هى الصدقة الواجبة وان الرجل قد عاهد ربه ان يقوم بما يلزمه من الانفاقات الواجبة ان وسع الله عليه دون
ما يلزمه الانسان بالنذر من المندوبات اذ لا دليل فى الاية على ذلك مع ان سبب النزول يأباه فان قيل الزكوة لا تلزم بسبب الالتزام وانما
تلزم بسبب ملك النصاب وحلول الحول قلنا ان قوله لنصدقن لا دليل فيه على الفور بل المراد لنصدقن فى وقته الذى يليق به وفى الاية دلالة
على ان ذلك الرجل حين عاهد بهذا العهد كان مسلما ثم انه لما بخل بالمال ولم يف بالعهد صار منافقا ويؤكده قوله سبحانه فاعقبهم نفاقا
عن الحسن وقتادة ان اعقب مسند الى ضمير البخل اى اورثهم البخل نفاقا متمكنا فى قلوبهم لانه كان سببا فيه وباعثا عليه وكذا التاويل
ان جعل عائدا الى التولى او الاعراض وضعف بان حاصل هذه الامور كونه تاركا للاداء الواجب وذلك لا يمكن جعله مؤثرا فى

حصول النفاق فى القلب لان ترك الواجب عدم والنفاق جهل وكفر وشوامر وجودى والعدم لا يؤثر فى الوجود ولان هذا الترك قد يوجد فى حق
كثير من الفساق مع انه لا يحصل معه النفاق ولانه لو اوجب حصول الكفر فى القلب لاوجبه سواء كان الترك جائزا شرعا او محرما فبسبب اختلاف
الاحكام الشرعية لا يخرج التسبب عن كونه مؤثرا ولان البخل والتولى والاعراض هو بعينه خلاف ما وعدوا الله به فيصير تقدير الاية ان التولى
اوجب النفاق بسبب التولى هذا كلام كما ترى فلم يبق الا ان يسند الفعل الى الله تعالى فيكون فيه دليل على ان خالق الكفر فى القلوب هو
الله ومن معنا قال الزجاج معناه انهم لما ضلوا فى الماضى فالله تعالى يضلهم عن الدين فى المستقبل ومما يؤكد القول بان الضمير فى اعقبهم لله
ان الضمير فى قوله الى يوم يلقونه عائد الى الله وللمعتزلة ان يقولوا النفاق وان سلم انه وجودى لكنه امر شرعى ولا يبعد جعل شئ عدمى
امارة عليه ايضا الترك المقرون بالتولى والاعراض لا نسلم انه لا يحصل معه النفاق ولا يلزم من كون الترك المحرم موجبا للكفر بجعل الشارع
كون الترك الجائز كذلك ولا نسلم ان البخل هو بعينه اخلاف الوعد والكذب بل قد يقع البخل من غير سبق وعد سلمنا عود الضمير الى الله لكن
من اين يلزم كونه خالقا للكفر والنفاق ولم لا يجوز ان يراد فاعقبهم الله العقوبة على النفاق باحداث الغم فى قلوبهم وضيق الصدر وما
ينالهم من الذل والخوف او يراد فخذلهم حتى نافقوا وتمكن فى قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها الى ان يموتوا ولاهل السنة ان يقولوا هذا
عدول عن الظاهر مع ان الدلائل الدالة على وجوب انتهاء الكل الى مشيئة الله وتقديره تعضد ما قلناه قال العلماء ظاهر الاية يدل على
ان نقض العهد وخلف الوعد يورث النفاق فعلى المسلم ان يبالغ فى الاحتراز عنه ومذهب الحسن البصرى ان نقض العهد يوجب النفاق لا محالة
تمسكا بهذه الاية وبقوله صلى الله عليه وسلم ثلث من كن فيه فهو منافق وان صلى وصام وزعم انه مؤمن اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان
وقال عطاء بن ابى رباح حدثنى جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ذكر قوله ثلث من كن فيه فهو منافق فى المنافقين خاصة الذين
حدثوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبوه وائتمنوا على سره فخانوه ووعدوه ان يخرجوا معه الى الغزو فاخلفوه ونقل ان عمرو بن عبيد فسر الحديث
فقال اذا حدث عن الله كذب عليه وعلى دينه ورسوله واذا وعد اخلف كما ذكره الله فيمن عاهد الله واذا ائتمن على دين الله خان فى
السر وكان قلبه على خلاف لسانه ونقل ان واصل بن عطاء ارسل الى الحسن رجلا فقال ان اولاد يعقوب حدثوه فى قولهم فاكله الذئب
فكذبوا ووعدوه فى قولهم وانا له لحافظون فاخلفوا وائتمنهم ابوهم على يوسف فخانوه فهل نحكم بكونهم منافقين فتوقف الحسن
فى مذهبه قال اهل التفسير قوله الى يوم يلقونه يدل على ان ذلك المعاهد يموت وكان كما اخبر فيكون اخبارا بالغيب ومعجزا قال الجبائى
هذا اللقاء لا شك انه ليس بمعنى الرؤية لان الكفار لا يرونه بالاتفاق فدل على ان اللقاء فى القران ليس بمعنى الرؤية وضعف
بانه لا يلزم من عدم كون هذا اللقاء بمعنى الرؤية كون كل لقاء ورد فى القران كذلك كقوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم ثم
وبخهم على التجاهل وعدم العلم بعلم الله واحاطته بضمائرهم وتناجيهم فقال الم يعلموا الاية والسر ما ينطوى عليه الصدور
والنجوى ما يكون بين اثنين واكثر مع الاخفاء عن غيرهم والتركيب يدل على التخليص كان السر فى الاخفاء كان المتناجيين تخلصا عن
غيرهما ومنه خلصوا نجيا ومعنى الاية كيف يتجرأون على النفاق الذى الاصل فيه الاستسرار والتناجى فيما بينهم مع انه تعالى يعلم ذلك
من حالهم كما يعلم الظاهر ويعاقب عليه كما يعاقب على الظاهر لانه العالم بجميع المعلومات على اى وجه يفرض عن ابن عباس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم خطبهم ذات يوم وحثهم على ان يجمعوا الصدقات فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة الاف درهم وقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالى ثمانية
الاف جئتك بنصفها فاجعلها فى سبيل الله وامسكت نصفها لعيالى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت
فبارك الله فى مال عبد الرحمن حتى انه خلف امرأتين يوم مات فبلغ ثمن ماله لهما مائة وستين الف درهم وقيل صولحت احديهما على
ثمانين الفا وتصدق يومئذ عاصم بن عدى العجلانى بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصارى بصاع من تمر وقال اجرت الليلة
الماضية نفسى من رجل لارسال الماء الى نخيله فاخذت صاعين من تمر امسكت احدهما لعيالى واقرضت الاخر بى فامر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بوضعه فى الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وسمعة واما ابو عقيل فانه جاء بصاعه ليذكر
مع سائر الاكابر والله غنى عن صاعه فانزل الله سبحانه الذين يلمزون المطوعين اى المتطوعين فادغمت والتطوع التنفل وهو
الطاعة لله بما ليس بواجب الجهد بالضم والفتح لغتان وهو الشئ قليل يعيش به المقل قاله الليث وقال الفراء الضم لغة اهل الحجاز والفتح لغة غيرهم
وفرق ابن السكيت بينهما فقال الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة وقال الشعبى الاول فى العمل والثانى فى القوة سخر الله منهم خبر لا
دعاء كقوله الله يستهزئ بهم وقد عرفنا ان هذا من قبيل المشاكلة او المراد منه لازم السخرية وهو ايقاع الذل والهوان بهم قال
الاصم المراد انه تعالى تكلم بما نفاق المال مع انه لا يثيبهم عليها وانما توجه الذم على المنافقين فى هذا اللمز لان الحكم بالرياء لمن يعطى
الكثير كعبد الرحمن وعاصم حكم على بواطن الامور وذلك امر استاثر الله به وبرسوله وايضا لمز الفقير على جهد المقل سفه لانه لما
يقدر الا عليه فقد بذل كل ما له فعلم منه غالبا انه ان قدر على الاكثر من ذلك لم يكن ممنوع وسعى الانسان فى ان يضم نفسه الى
اهل الخير والدين خير له من ان يضم نفسه الى اهل الكسل والبطالة ولو لم يكن فعله الا الثقة بالله والدخول فى زمرة من يؤثرون على

انفسهم ولو كان بهم خصاصة لكفى به منقبة وفضلا التأويل بعضهم اولياء بعض لان التعارف فى عالم الارواح يوجب التألف
فى عالم الاشباح يأمرون بالمعروف الحقيقى اى بطلبه والمطلوب هو الله لقوله فاحببت ان اعرف وينهون عن المنكر وهو ما
يقطع العبد عن الله ويقيمون الصلوة الحقيقية ويؤتون الزكوة يعنى ما فضل عن كفافهم الضرورى ويطيعون الله ورسوله
بخلاف المنافقين فانهم يطيعون النفس والهوى ومساكن طيبة على مراتب النفوس الطيبة فان الطيبات للطيبين يا ايها النبى
يعنى القلب الذى له نبأ من مقام الانباء جاهد النفوس الكافرة بسيف الصدق والمخالفات وجاهد نفوس المريدين الذين
تدعون الارادة فى الظاهر دون الباطن واغلظ عليهم فى المؤاخذات باحكام الشريعة والطريقة حتى يتمرن نفوسهم والاناوهم
جهنم القطيعة ولقد قالوا كلمة الكفر وهى التى توجب الانكار والاعتراض عن الشيخ وهموا بما لم ينالوا اى ثبتوا لانفسهم مرتبة الشيوخ
قبل اوانها وما نقموا الا ان الشيخ رباهم ببيان فضل الله عن حكمة الولاية فلم يحملوا لضيق حوصلة الهمة ومرتبة الطريقة اعظم من مرتبة
الشريعة فلهذا يكون عذابهم اليما فى الدنيا والاخرة كما قال الجنيد لو اقبل صديق الى الله الف سنة ثم اعرض عنه لحظة فان ما فاته اكثر
مما ناله ومنهم من عاهد الله باستعداده الفطرى لئن اتانا من فضله جعلنا متمكنين من اكتساب الكمال لنصدقن لنصرفن كل ما اعطانا
فيما اعطى لاجله الى يوم يلقونه اى يلقون جزاء النفاق وان الله علام الغيوب يعلم ما توسوس به انفسهم وهو غيب من الخلق
ويعلم ما يستكن فى قلوبهم وهو غيب من نفوسهم ولهذا قال الغيوب سخر الله منهم ذكره بلفظ الماضى ليعلم ان سخرية المنافقين نتيجة
سخرية الله بهم **اسْتَغْفِرْ لَهُمْ اَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ اِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِيْنَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللّٰهُ لَهُمْ ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ كَفَرُوْا**
فى الازل
آمرزش خواه برای ایشان یا آمرزش مخواه از برای ایشان اگر آمرزش خواهی از برای ایشان هفتاد مرتبه پس هرگز نیامرزد خدا ایشان را این آنست که کافر شدند

ع
بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهٖ وَاللّٰهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفٰسِقِيْنَ فَرِحَ الْمُخَلَّفُوْنَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلٰفَ رَسُوْلِ اللّٰهِ وَكَرِهُوْا اَنْ يُّجَاهِدُوْا
بخدا و رسول او و خدا راه ننماید گروه تباه کاران را شاد شدند پس ماندگان به نشستن ایشان بر خلاف پیغمبر خدا و کاره داشتند که جهاد کنند

بِاَمْوَالِهِمْ وَاَنْفُسِهِمْ فِىْ سَبِيْلِ اللّٰهِ وَقَالُوْا لَا تَنْفِرُوْا فِى الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ اَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوْا يَفْقَهُوْنَ فَلْيَضْحَكُوْا قَلِيْلًا
بمالهای خویش در راه خدا و گفتند بیرون مروید در گرما بگو آتش دوزخ سخت ترست از روی گرمی اگر دانسته باشند پس باید که بخندند اندکی

وَّلْيَبْكُوْا كَثِيْرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوْا يَكْسِبُوْنَ فَاِنْ رَّجَعَكَ اللّٰهُ اِلٰى طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَاْذَنُوْكَ لِلْخُرُوْجِ فَقُلْ لَّنْ تَخْرُجُوْا
و بسیار گریند بپاداش آنچه میکردند پس اگر باز گرداند ترا خدا بسوی گروهی از ایشان پس دستوری خواهند از تو برای بیرون رفتن پس بگو بیرون نروید

مَعِىَ اَبَدًا وَّلَنْ تُقَاتِلُوْا مَعِىَ عَدُوًّا اِنَّكُمْ رَضِيْتُمْ بِالْقُعُوْدِ اَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوْا مَعَ الْخٰلِفِيْنَ وَلَا تُصَلِّ عَلٰٓى اَحَدٍ مِّنْهُمْ
با من همیشه و کارزار مکنید با من با دشمنی بدرستیکه راضی شدید به نشستن اول بار پس بنشینید با بازماندگان و نماز مکن بر احدی از ایشان

مَّاتَ اَبَدًا وَّلَا تَقُمْ عَلٰى قَبْرِهٖ اِنَّهُمْ كَفَرُوْا بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهٖ وَمَاتُوْا وَهُمْ فٰسِقُوْنَ وَلَا تُعْجِبْكَ اَمْوَالُهُمْ وَاَوْلَادُهُمْ اِنَّمَا
که بمیرد هرگز و بایست بر گور او که ایشان کافر شدند بخدا و رسول او و مردند و ایشان تباه کاران بودند و باید که بشگفت نیاورد ترا مالهای ایشان و فرزندان ایشان جز این نیست

يُرِيْدُ اللّٰهُ اَنْ يُّعَذِّبَهُمْ بِهَا فِى الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ اَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كٰفِرُوْنَ وَاِذَآ اُنْزِلَتْ سُوْرَةٌ اَنْ اٰمِنُوْا بِاللّٰهِ وَجَاهِدُوْا
میخواهد خدا که عذاب کند ایشان را بآن در دنیا و بیرون رود جانهای ایشان و ایشان کافر باشند و چون فرستاده شد سوره که ایمان آرید بخدا و جهاد کنید

مَعَ رَسُوْلِهِ اسْتَاْذَنَكَ اُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوْا ذَرْنَا نَكُنْ مَّعَ الْقٰعِدِيْنَ رَضُوْا بِاَنْ يَّكُوْنُوْا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ
با رسول او دستوری خواهند از تو خداوندان توانگری از ایشان و گفتند بگذار ما را تا باشیم با نشستگان راضی شدند بآنکه باشند با زنان و مهر نهاده شد

عَلٰى قُلُوْبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُوْنَ لٰكِنِ الرَّسُوْلُ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا مَعَهٗ جٰهَدُوْا بِاَمْوَالِهِمْ وَاَنْفُسِهِمْ وَاُولٰٓئِكَ لَهُمُ الْخَيْرٰتُ
بر دلهای ایشان پس ایشان در نمی یابند لیکن رسول و آنانکه گرویدند با او جهاد کردند بمالهای خود و جانهای خویش و اینگروه مر ایشانراست نیکوئیها

ع
وَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ اَعَدَّ اللّٰهُ لَهُمْ جَنّٰتٍ تَجْرِىْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ القراءة معى ابدا
و اینگروه ایشانند رستگاران ساخته است خدا برای ایشان بوستانها که میرود از زیر آنها نهرها جاوید باشند در آنجا اینست پیروزی بزرگ

بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وحفص والمفضل معى عدوا بالفتح حفص الوقوف اولا تستغفر لهم فلن يغفر الله
لهم ورسوله الفاسقين فى الحر حرا لان المعنى لو كانوا يفقهون حرارة النار لما قالوا لا تنفروا فى الحر ولو وصل لاوهم ان جهنم
لا يكون نارها اشد حرا اذا لم يفقهوا ذلك يفقهون كثيرا لان جزاء يصلح ان يكون مفعولا له او مصدر محذوف اى يجزون جزاء
يكسبون معى عدوا الخالفين على قبره فاسقون واولادهم كافرون القاعدين لا يفقهون وانفسهم الخيرات لابتداء وعد
الفلاح على العظيم بدليل تكرار اولئك مع اتفاق الجملتين المفلحون خالدين فيها العظيم التفسير عن ابن عباس ان عند نزول الاية
الاولى فى المنافقين قالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر لنا فاشتغل بالاستغفار لهم فنزل استغفر لهم الاية ومن المفسرين من قال
انهم طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لهم وان الله نهاه عنه والنهى عن الشئ لا يدل على ان المنهى اقدم على ذلك الفعل ثم ان الدليل

تدبدل على انه ما اشتغل بالاستغفار لان المنافق كافر وقد ظهر في شرعنا ان الاستغفار للمنافق يجري مجرى اغرائه على مزيد النفاق ولانه يلزم ان يكون النبي صلعم غير مجاب الدعوة وان اكثر في الدعاء ومن الفقهاء من قال التخصيص بالعدد المعين يدل على ان الحال فيما وراء ذلك العدد بخلافه لما روى انه لما نزلت الاية قال صلعم لازيدن على السبعين فنزل سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم فلن يغفر الله لهم فكف عنه فلولا انه فهم بدليل الخطاب ان الامر فيما وراء السبعين بالخلاف لم يقل لازيدن على ذلك واجيب بانه انما ذكر ذلك لاظهار الرحمة والرافة بامته ودعا لهم الى ترحم بعضهم لبعض لا انه فهم منه ذلك كيف وقد قال تعم فلن يغفر الله لهم واردفه بقوله ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله فليس لخصوص هذا العدد تحديد بالمنع وانما هو كقول القائل لمن يسأله حاجة لو سألتني سبعين مرة لم اقضها ولهذا بين العلة التي لاجلها لا ينفعهم استغفار الرسول وهي كفرهم وفسقهم وهذا المعنى قائم في الزيادة على السبعين وذكر بعضهم لتخصيص السبعين وجها هو ان السبعة عدد شريف لانه عدد السموات والارضين والبحار والاقاليم ونجوم السيارة والاعضاء وايام الاسبوع فضرب السبعة في عشرة لان الحسنة بعشر امثالها وقيل خص بالذكر لانه صلعم كبر على حمزة سبعين تكبيرة وكانه قال ان تستغفر لهم سبعين مرة بازاء تكبيراتك على حمزة هذا وقد مر في تفسير قوله قل انفقوا طوعا او كرها ان هذا امر في معنى الخبر كانه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم ام لا وانتصاب سبعين على المصدر كقولك ضربته عشرين ضربة ثم ذكر نوعا اخر من قبائح افعالهم فقال فرح المخلفون قيل انهم احتالوا حتى تخلفوا وكان الاولى ان يقال فرح المتخلفون واجيب بانهم استاذنوا رسول الله صلعم فاذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك واريد خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان او المجاهدون لما تبوا وقومهم في القعود فكانهم خلفوهم او اطلق عليهم المخلفون باعتبار انهم سيصيرون ممنوعين من الخروج في الاية الاتية فان رجعك الله الى قوله ولن تقاتلوا معي عدوا ومعنى بمقعدهم بقعودهم قاله مقاتل او بموضع قعودهم وهو المدينة قاله ابن عباس ومعنى خلاف رسول الله صلعم حين ساروا واقاموا قاله قطرب والزجاج فانتصابه على انه مفعول له اي بقعد والاجل خلافه او على الحال مثل فارسلها العراك اي مخالفين له وقال الاخفش ويونس الخلاف بمعنى الخلف اي بعد رسول الله صلعم وذلك ان جهة الامام التي يقصدها الانسان تخالفها جهة الخلف وكرهوا ان يجاهدوا وكيف لا يكرهونه وليس فيهم باعث الايمان وداعي الاخلاص ومعهم صارف الكفر والنفاق وفيه تعريض بالمؤمنين الباذلين اموالهم وارواحهم في الله المؤثرين ذلك على الدعة والخفض واعلم ان الفرح بالاقامة يدل على كراهية الذهاب لانه صرح بذلك للتوكيد ولعل المراد انه مال الطبع الى الاقامة لالفهم بالبلد واستيناسهم بالاهل والولد وكره الخروج الى الغزو لانه تعريض بالنفس والمال للقتل والاهدار قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون ان بعد هذه الدار دارا اخرى وبعد هذه الحيوة حيوة اخرى وهذه المشقة منقضية سهلة وتلك باقية صعبة ولبعضهم وكانه صاحب الكشاف

مَسَرَّةُ أَحْقَابٍ تَلَقَّيْتَ بَعْدَهَا مَسَاءَةَ يَوْمٍ أَنَّهَا شِبْهُ أَنْصَابٍ فَكَيْفَ بِأَنْ تَلْقَى مَسَرَّةَ سَاعَةٍ وَرَاءَ تَقَضِّيهَا مَسَاءَةُ أَحْقَابٍ

وفي هذا استجهال عظيم لهم ثم قال فليضحكوا وهو خبر الا انه اخرج على لفظ الامر للدلالة على انه حتم لا يكون غيره ومعناه فيضحكون قليلا اي ضحكا قليلا او زمانا قليلا ويبكون كثيرا يروى ان اهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم ثم عرف نبيه وجه الصلاح في سائر الغزوات فقال فان رجعك الله الى طائفة منهم اي ان ردك الى المدينة والرجع متعد مثل الرد والرجوع لازم وانما قال طائفة لان منهم من تاب على النفاق وندم واعتذر بعذر صحيح وقيل لم يكن المخلفون كلهم منافقين فاراد بالطائفة المخلفين من المنافقين فاستاذنوك للخروج الى غزوة اخرى بعد غزوة تبوك فقل لن تخرجوا معي ابدا غايته اسقاطهم عن ديوان الغزاة جزاء على تخلفهم لما فيه من الذم والطرد وصلاحا لامر الجهاد لما في استصحابهم من المفاسد المذكورة في قوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ويعني باول مرة غزوة تبوك وانما لم يقل اول المرات معرفا مجموعا لان المعنى ان فضلت المرات مرة مرة كانت هذه اولها نظيره هو افضل رجل يعني ان عد الرجال رجلا رجلا كان هو افضلهم وانما لم يقل اولى مرة لان اكثر اللغتين هذا اكثر النساء ولا يكاد يقال هي كبرى امرأة فاقعدوا مع الخالفين كقوله وقيل اقعدوا مع القاعدين والخالف من يخلف الرجل في قوم وعن الاصمعي انه الفاسد من خلف اللبن والنبيذ اذا فسد وعن الفراء معناه المخالف قال قتادة ذكر لنا ان الخالفين الذين امروا بالقعود كانوا اثني عشر رجلا عن ابن عباس قال سمعت عمر بن الخطاب يقول لما توفي عبد الله بن ابي دعي رسول الله صلعم للصلوة فقام اليه فلما وقف عليه يريد الصلوة تحولت حتى قمت في صدره فقلت يا رسول الله صلعم اعلى عدو الله عبد الله بن ابي القائل يوم كذا وكذا اعدد ايامه ورسول الله صلعم يتبسم حتى اذا اكثرت عليه قال اخر عني يا عمر اني خيرت فاخترت قد قيل لي استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم لو اعلم اني ان زدت على السبعين غفر له لزدت قال ثم صلى عليه ومشى معه فقام على قبره حتى فرغ منه فعجبت من تجرأتي على رسول الله صلعم والله ورسوله اعلم قال فوالله ما كان الا يسيرا حتى نزل ولا تصل على احد منهم مات ابدا الاية فما صلى رسول الله صلعم بعده على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله قال المفسرون وكلم رسول الله صلعم فيما فعل بعبد الله بن ابي فقال وما

يغني عنه قميصي وصلوتي من الله والله اني كنت لارجو ان يسلم به الف من قومه وكان كما قال وقيل لعل السبب فيه انه لما طلب من الرسول قميصه الذي مس جلده ليدفن فيه غلب على ظن الرسول انه انتقل الى الايمان لان ذلك وقت يتوب فيه الكافر فرغب ان يصلي عليه وذكر من اسباب دفع القميص ان العباس عم رسول الله صلعم اخذ اسيرا ببدر ولم يجد له قميصا طويلا فكساه عبد الله قميصه ومنها ان المشركين قالوا له يوم الحديبية انا لا ننقاد لمحمد ولكنا ننقاد لك فقال ان لي في رسول الله صلعم اسوة حسنة فشكر رسول الله صلعم صنيعه ومنها انه كان لا يرد السائل لقوله تعالى واما السائل فلا تنهر ومنها ان ابنه عبد الله كان من الصالحين فالرسول اكرمه لمكان ابنه ومنها اظهار الرافة والرحمة كما مر قوله مات صفة لاحد وابدا ظرف لقوله لا تصل وانه يحتمل تابيد النفي ونفي التابيد والظاهر الاول لان القرائن تدل على منعه من ان يصلي على احد منهم منعا كليا دائما قال الزجاج معنى قوله ولا تقم على قبره ان رسول الله صلعم كان اذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له فمنع ههنا منه وقال الكلبي معناه لا تقم باصلاح مهمات قبره وانهم كفروا تعليل للنهي ورد عليه ان الكفر حادث وحكم الله قديم والحادث لا يكون علة للقديم واجيب بان العلة ههنا بمعنى الامارة المعرفة للحكم قال في الكشاف وانما قيل مات وماتوا بلفظ الماضي والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لانه كائن موجود لا محالة وانما وصفهم بالفسق بعد وصفهم بالكفر لان الكافر قد يكون عدلا في دينه والكذب والنفاق والخداع والجبن والخبث مستقبح في جميع الاديان اما قوله ولا تعجبك اموالهم واولادهم فقد سبق مثله في هذه السورة بتفاوت الفاظ فوجب علينا ان نذكر سبب التفاوت ثم فائدة التكرار فنقول والله تعالى اعلم بمراده انما ذكر النهي ههنا بالواو وهنالك بالفاء لانه لا تعلق له ههنا بما قبله وهو موطهم على حالة الفسق خلاف ما هنالك وانما قال ههنا واولادهم بدون لا لان المراد هنالك الترقي من الادون الى الاعلى وان اعجاب اولئك الاقوام باولادهم فوق اعجابهم باموالهم كقولك لا تعجبني امر الثائب ولا امر المتوب وههنا اراد المعية فقط اما اكتفاء بما سبق هناك واما لان هؤلاء اقوام اخرون لم يكن عندهم تفاوت بين الامرين وقيل انه هنالك لما علق الثاني بالاول تعلق الجزاء بالشرط اكد معنى النهي بتكرار لا وانما قال ههنا ان يعذبهم لانه اخبار عن قوم ماتوا على الكفر فتعلق الارادة بما هم فيه وهو العذاب واما في الاية المتقدمة فالمفعول محذوف وتقديره وقيل الفائدة فيه التنبيه على ان التعليل في احكام الله محال وانه اينما ورد حرف التعليل فمعناه ان وانما حذف الحيوة ههنا اكتفاء بما ذكر هنالك وقيل تنبيها على ان الحيوة الدنيا لا يستحق ان يسمى حيوة لخستها واما فائدة التكرير فهي المبالغة في التحذير من الاموال والاولاد لانها جاذبة للقلوب فيحتاج الى صارف قوي ويحتمل ان يكون الاولى في قوم والثانية في اخرين وقيل الثانية في اليهود والاولى في المنافقين ثم عاد الى توبيخ المنافقين فقال واذا انزلت سورة اي بتمامها ويجوز ان يراد بعضها كما يقع القران والكتاب على بعضه وقيل هي براءة لان فيها الامر بالايمان والجهاد ان امنوا ان هي المفسرة لان انزال السورة في معنى القول وقال الواحدي تقديره بان امنوا وانما قدم الامر بالايمان لان الاشتغال بالجهاد لا يفيد الا بعد الايمان اولوا الطول ذوو الفضل والسعة من طال عليه طولا قال ابن عباس والحسن وقال الاصم الرؤساء والكبراء المنظور اليهم وخصوا بالذكر لان الذم لهم الزم اذ لا اعذار لهم في القعود مع القاعدين مع اصحاب الاعذار من الضعفة والزمنى والخوالف النساء اللواتي تخلفن في البيت وجوز بعضهم ان يكون الخوالف جمع خالف وكان يصعب على المنافقين تشبيههم بالخوالف ثم قال وطبع على قلوبهم كقوله ختم الله على قلوبهم وقد مر البحث فيه وقال الحسن الطبع بلوغ القلب في الكفر الى حد كانه مات عن الايمان وقالت الاشاعرة هو حصول داعية الكفر المانعة من الايمان والطبع في اللغة الختم وهو التاثير في الطين ونحوه ومنه الطبع للسجية التي جبل عليها الانسان فهم لا يفقهون اسرار حكمة الله في الجهاد وفي الذهاب من السعادة وما في التخلف من الشقاء وفي قوله لكن الرسول نكتة هي انه ان تخلف هؤلاء فقد نهض الى الغزو من هو خير منهم واخلص نية كقوله فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين ثم ذكر منافع الجهاد على الاجمال فقال واولئك لهم الخيرات وهي شاملة لمنافع الدارين وقيل هي الحور لقوله فيهن خيرات حسان وقوله واولئك هم المفلحون المراد منه الخلاص من المكان ثم فصل ما اجمل فقال اعد الله الاية وقيل الخيرات الفلاح الدنيا وهذه في الاخرة والفوز العظيم عبارة عن تلك الحالة مرتبة رفيعة ودرجة عالية

التاويل انما لا يؤثر استغفار الرسول في حقهم لقصور في القابل لا لتقصير في الفاعل والاثر يتوقف على الامرين جزاء بما كانوا يكسبون من رين القلوب وكدورة الارواح بظلمة الصفات الحيوانية وهم كافرون مستورو القلوب بحجاب حب الاموال والاولاد لهم الخيرات لما سعوا سعي العبودية نالوا خيرات الربوبية هم المفلحون المتخلصون عن حجب صفات النفس ذلك الفوز العظيم اذ لا حجاب اعظم من حجاب النفس

وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ

و آمدند تعذیر کنندگان از اهل بادیه تا دستوری دهند ایشان را و نشستند آنانکه دروغ داشتند خدا و رسول او زود برسد بآنانکه کافر شدند از ایشان عذابی دردناک نیست بر ضعیفان و نه بر آنانکه ناخوش باشند و نه بر آنانکه

التاويل

لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله
بابند ايشان آنچه نفقه كنند تنگى چون نيك خواهند خدا و رسول او را نيست بر نيكوكاران از راهى وخدا
غفور رحيم ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم
آمرزگار مهربانست ونه بر آنكه چون آيند بتو تا برنشانى ايشان را گوئى نمى يابم آنچه برنشانم شما را
عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون انما السبيل
بر آن بر گردند و چشمهاى ايشان مملو بود از اشك اندوه آنكه نيابند آنچه نفقه كنند جز اينست كه راه
على الذين يستاذنونك وهم اغنياء رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع
بر آنها بود كه دستورى ميخواهند از تو و ايشان توانگرانند خوشنودند بآنكه باشند با زنان و كودكان و مهر نهاد
الله على قلوبهم فهم لا يعلمون يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا
خدا بر دلهاى ايشان پس ايشان نميدانند عذر خواهند از شما چون باز گرديد بسوى ايشان بگو
تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبانا الله من اخباركم وسيرى الله عملكم
عذر مخواهيد باور نداريم شما را بدرستيكه خبر داد ما را خدا از اخبار شما و زود باشد كه ببيند خدا عمل شما
ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون
و رسول او پس باز گردانيده شويد بسوى داناى نهان و آشكار پس بياگاهاند شما را بانچه كرده باشيد
سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم
زود سوگند خورند بخداى شما چون بر گرديد بسوى ايشان تا بر گرديد از ايشان پس بر گرديد از ايشان بدرستيكه ايشان
رجس وماويهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم
پليدند و جايگاه ايشان دوزخ است پاداش بانچه ايشان مى اندوختند سوگند خورند شما را تا راضى شويد از ايشان
فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين الاعراب اشد كفرا
پس اگر راضى شويد از ايشان پس بدرستيكه خدا راضى نشود از گروه تباه كاران اهل باديه سخت ترند بكفر
ونفاقا واجدر الا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله والله عليم حكيم
و نفاق و سزاوارتر كه ندانند حدهاى آنچه فرستاد خدا بر رسول خود و خدا داناى محكم كار است
ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة
و از اهل باديه كسيست كه فرا ميگيرد آنچه انفاق ميكند تاوانى و چشم ميدارد بشما حادثها بر ايشانست حادثه بد
السوء والله سميع عليم ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق
و خدا شنواى داناست و از اهل باديه كسيست كه ايمان آورده است بخدا و روز جزا و فرا ميگيرد آنچه نفقه ميكند
قربات عند الله وصلوات الرسول الا انها قربة لهم سيدخلهم الله فى رحمته
نزديكيها نزد خداى را و درودهاى رسول بدان كه آن نزديك است ايشان را زود در آورد ايشان را خدا در رحمت خود
ان الله غفور رحيم القراءة المعذرون من الاعذار قتيبة ويعقوب الباقون بالتشديد
بدرستيكه خدا آمرزگار مهربان است دائرة السوء بضم السين وكذلك فى الفتح ابو عمرو وابن كثير الاخرون
بفتحها قربة بضم الراء نافع غيره قالون الاخرون باسكانها وكلاهما بمعنى الوقوف ورسوله ط اليم ه
لله ورسوله ط من سبيل ط رحيم ه لا للعطف ما ينفقون ط اغنياء ج لاحتمال ان يكون رضوا مستانفا
او وصفا مع الخوالف لا لان الواو انما للعطف والحال لا يعلمون ه الجزء الحادى عشر وثلث القران اليكم
من اخباركم ط تعملون ه لتعرضوا عنهم ط عنهم ط رجس ز لاختلاف الجملتين مع شدة اتصال المعنى
فى اتمام الوعيد جهنم ج لان جزاء يصلح ان يكون مفعولا له او مفعولا مطلقا لمحذوف اى يجزون جزاء
يكسبون ه لترضوا عنهم ج ط لابتداء الشرط مع فاء التعقيب الفاسقين ه على رسوله ط حكيم ه الدوائر ط

دائرة

دائرة السوء ط عليم ط الرسول ط لهم ط فى رحمته ط رحيم ه التفسير لما شرح احوال منافقى المدينة
شرع فى احوال المنافقين من اهل البدو فقال وجاء المعذرون من قرء بالتخفيف فهو من اعذر اذا اجتهد
فى العذر وبالغ فيه ومنه قولهم من انذر فقد اعذر فكانه تعالى فصل بين اصحاب العذر وبين الكاذبين
فالمعذرون هم الذين اتوا بالعذر وهم اسد وغطفان قالوا ان لنا اعيالا وان بنا جهدا فائذن
لنا فى التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طى على اهالينا ومواشينا
فقال صلى الله عليه وآله سيغنينى الله عنكم وعن مجاهد نفر من غفار ومن قرأ بالتشديد ففيه وجهان الاول
ان يكون من التعذير وهو التقصير فى الامر والتوانى فيه وحقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له
الثانى وقد ذكره الفراء والزجاج وابن الانبارى انه من الاعتذار والاصل فيه المعتذرون ادغمت
التاء فى الذال بعد نقل حركتها الى العين والاعتذار قد يكون بالكذب كقوله تعالى يعتذرون اليكم
اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا وقد يكون صحيحا كقول القائل ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر اى
جاء بعذر صحيح فاذا اخذنا بقراءة التخفيف كان المعذرون صادقين واذا اخذنا بقراءة التشديد و
فسرناها بالمعتذرين احتمل الامران ومن المفسرين من رجح جانب صدقهم لانه تعالى ميزهم من الكاذبين
بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله ومنهم من مال الى انهم كاذبون روى الواحدى باسناده
عن ابى عمرو انه قال ان اقواما تكلفوا عذرا بباطل وهم الذين عناهم الله بقوله وجاء المعذرون وتخلف
آخرون لا بعذر ولا بشبهة عذر جراءة على الله وهم الذين ارادهم الله بقوله وقعد الذين كذبوا الله
ورسوله وهم منافقوا الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا وظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله
فى ادعائهم الايمان سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب عذاب اليم فى الدنيا بالقتل وفى
العقبى بالنار وانما قال منهم لعلمه بان بعضهم سيؤمن ويتخلص من هذا العقاب ثم ذكر ان تكليف
الجهاد ساقط عن اصحاب الاعذار الحقيقية فقال ليس على الضعفاء وهم الذين فى ابدانهم ضعف فى اصل
الخلقة او لهرم ولا على المرضى ويدخل فيه اصحاب العمى والعرج والزمانة وكل من كان موصوفا بمرض
يمنعه من التمكن من المحاربة ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون فى الغزو وعلى انفسهم حرج قيل هم
مزينة وجهينة ومن عدده وفيه دليل على انه لا يحرم عليه الخروج اذا امكنه الاعانة بمقدار القدرة كحفظ
متاع المجاهدين وتكثير سوادهم وانما يكون ذلك منه طاعة مقبولة اذا لم يجعل نفسه كلا ووبالا عليهم ثم
انه شرط فى جواز القعود النصح لله ورسوله ليحترزوا بعدهم عن القاء الارجاف واثارة الفتن ويقدموا
على اصلاح مهمات بيوتهم وبالجملة على كل ما له مدخل فى طاعة الله ورسوله وموافقة السر العلن
كما يفعل المولى الناصح بصاحبه ثم قال ما على المحسنين اى المعذرين الناصحين من سبيل العقاب
والمؤاخذة قال بعض اهل الظاهر كداود الاصفهانى وغيره ان المحسن هو الآتى بالاحسان ورأس
الاحسان وسنامه هو قول لا اله الا الله فهذا يدل على ان المكلف اذا تكلم بهذه الكلمة برئت ذمته
نفسه وماله لا بدليل منفصل كما ان السلطان لو قال لاهل مملكته تكليفى عليكم كذا وكذا وبعد
ذلك لا سبيل لاحد على احد كان ذلك دليلا على انه لا تكليف عليهم فيما وراء ذلك لان باب
النفى لا نهاية له فلا ينضبط الا بهذا الطريق وعلى هذا لو ورد فى القرآن الف تكليف واقل او اكثر كان ذلك
تنصيصا على ان التكاليف محصورة فيها وفيما وراءها ليس لله على الخلق تكليف وامر ونهى وبهذا الطريق
يصير الشريعة مضبوطة ويكون القرآن وافيا ببيان التكاليف والاحكام ولا حاجة الى التمسك بالقياس
لان هذا النص دل على ان الاصل براءة الذمة فان كان القياس مفيدا للبراءة ايضا فضايع وان كان

يعيد شغل الذمة صار مخصصًا لعموم النص وانه لا يجوز لان النص اقوى من القياس ولما ذكر
ذكر الضعفاء والمرضى والفقراء بين متممًا رابعا وهم الذين لا يجدون الراحلة وان قدروا
على الزاد فقال وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ اى على المركوب قلت قال فى الكشاف
هو حال من الكاف فى اتوك باضمار قد اى اذا ما اتوك قائلا لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا
وجوزان يكون واسطة بين الشرط والجزاء كالاعتراض قلت ويحتمل ان يكون بدلا من اتوك قال
مجاهد هم ابناء مقرن ومعقل وسويد والنعمان وقيل ابو موسى الاشعرى واصحابه اتوا
رسول الله صلى الله عليه واله يستحملونه ووافق منه غضبا فقال مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ فتولوا
وهم مدبرون يبكون فدعاهم واعطاهم ذودا غر الذرى فقال ابو موسى الست حلفت يا رسول
الله صلى الله عليه واله فقال اما انى ان شاء الله لا احلف بيمين فارى غيرها خيرا منها وكفرت
عن يمينى وقيل هم البكاؤن ستة نفر من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله
ابن كعب وعلبة بن زيد وسالم بن عمير وثعلبة بن عنمة وعبد الله بن مغفل اتوا رسول الله صلى الله
عليه واله فقالوا يا نبى الله ان الله عز وجل قد ندبنا للخروج معك فاحملنا على الخفاف المرقوعة و
البغال المخصوصة نغز معك فقال لا احد ما احملكم عليه فتولوا وهم يبكون وقوله تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ
كقولك تفيض من الدمع دمعا وهو ابلغ من تفيض دمعها لان العين جعلت كانها فائضة
ومن للبيان والجار والمجرور فى محل النصب على التميز حَزَنًا الا يجدوا اى على ان لا يجدوا إِنَّمَا
السَّبِيلُ اى سبيل الخطاب والعتاب فى امر الغزو والجهاد عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ فى التخلف وَهُمْ
أَغْنِيَاءُ ثم قال على سبيل الاستيناف رَضُوا كانه قيل ما لهم استاذنوا وهم قادرون على الاستعداد
فقيل رضوا بالدناءة والانتظام فى جملة الخوالف ومن جملة اسباب الاستيذان اَنْ طَبَعَ اللّٰهُ
تعالى عَلَى قُلُوبِهِمْ قال اهل العلم لما قال فى الاية الاولى وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ قال هناك
وطبع لكون المجهول منفيا على المجهول بخلافه فى هذه الاية ثم ان العلم فوق الفقه وكان انسب بالمقام
الذى جرى فيه ذكر الله اما قوله قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم فانه علة المنع من الاعتذار لان غرض المعتذر
ان يصير عذره مقبولا فاذا علم بان القوم يكذبونه وجب عليه تركه وقوله قد نبأنا الله علة لانتفاء التصديق
وَسَيَرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ يعنى رؤيته وقوع اى سيقع انكم هل تبقون على الحالة التى تظاهرونها ام لا وفى قوله ثُمَّ
تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ تخويف شديد وفيه انه مطلع على بواطنهم الخبيثة وضمائرهم المملوة من
النفاق والكذب وانما لم يقل فى هذه الاية وَالْمُؤْمِنُونَ كما فى الاية التى تجئ لان هذه فى المنافقين
ولا يطلع على ما فى باطنهم الا الله ثم رسوله باطلاع الله اياه دينونة كما قال قد نبأنا الله من اخبار
كم والاية الاخرى فى المؤمنين وعباداتهم ظاهرة للكل وختم اية المنافقين بقوله ثُمَّ تُرَدُّونَ
لانه وعيد فقطعه عن الاول بخلاف اية المؤمنين حيث وصلها بالواو لانه وعد والله اعلم ثم ذكر ان
منافقى الاعراب سيؤكدون اعذارهم بالايمان الكاذبة مثل ما حكى تعالى عن منافقى المدينة فقال
سَيَحْلِفُونَ بِاللّٰهِ لَكُمْ اى لاجلكم اذا انقلبتم اى رجعتم اليهم ولم يذكر المحلوف عليه والظاهر انهم حلفوا على انهم ما
قدروا على الخروج ولكن بين غرضهم من الحلف فقال لتعرضوا عنهم ارادوا الصفح والعفو فامر الله المؤمنين باعطاء
طلبتهم ولكن على سبيل المقت لا الصفح وكذا قال ابن عباس اراد ترك الكلام والسلام وقال مقاتل قال

رسول الله صلعم حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وكانوا ثمانين رجلا منهم جد بن قيس ومعتب بن قشير ثم بين علة الاعراض
عنهم فقال إِنَّهُمْ رِجْسٌ فكانهم نجس العين فلا سبيل الى تطهيرهم بالعقاب والتوبيخ وفى امثالهم انما يعاد الاديم دون البشرة
المعاتبة المعاودة والبشرة الاديم ظاهره الذى عليه الشعر اى انما يعاد الى الدباغ من الاديم ما سلمت بشرته يضرب لمن فيه مراجعة
ومستعتب اذا لم يكن المعاتبة نافعة فيهم فتركهما هو الصواب وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ سينقلهم النار عتابا وتوبيخا ثم بين انهم طلبوا اعراض
الصفح بقوله يحلفون لترضوا عنهم لما هم عن الرضى بقوله فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ الاية ذلك ان ارادة المؤمن يجب ان تكون موافقة
لارادة الله واى فائدة فى رضى المؤمنين اذا كان الله تعالى ساخطا عليهم ثم عدد مثالب الاعراب وارادتهم جمعا معينين كانوا
يوالون منافقى المدينة قال اهل اللغة رجل عربى اذا كان نسبه الى العرب ثابتا وجمعه عراب كالمجوسى والمجوس واليهودى واليهود فالاعرابى
اذا قيل له يا اعرابى فرح واذا قيل للعربى يا اعرابى غضب وذلك ان من استوطن القرى العربية فهو عرب ومن نزل البادية فهو اعرابى
ولهذا لا يجوز ان يقال للمهاجرين والانصار اعراب وانما هم عرب قال صلعم لا تؤمن امرأة رجلا ولا فاسق مؤمنا ولا اعرابى مهاجرا قيل
انما سمى العرب عربا لان اولاد اسمعيل نشاؤا بالعرب وهى من تهامة ونسبوا الى بلدهم وكل من يسكن جزيرة العرب وينطق بلسانهم
فهو منه وقيل لان السنتهم معربة عما فى ضمائرهم لما فى لسانهم من الفصاحة والبلاغة يحكى عن بعض الحكماء انه قال حكمة الروم فى
ادمغتهم وذلك لانهم يقدرون على التركيبات العجيبة وحكمة الهند فى اوهامهم وحكمة يونان فى افئدتهم وذلك لكثرة ما لهم
من المباحث العقلية وحكمة العرب فى السنتهم وذلك لحلاوة الفاظهم وعذوبة عباراتهم وانما حكم على الاعراب بانهم اشد
كفرا ونفاقا لانهم يشبهون الوحوش سئل بعض الحكماء ما بال اهل البادية لا يحتاجون الى الطبيب فقال كما لا يحتاج حمر الوحش
الى البيطار ولاستيلاء الهواء الحار عليهم الموجب لكثرة الطيش والخروج عن الاعتدال وان من اصبح وامسى مشرقا عليه انوار
النبوة ومشرفا باستماع مواعظه واذابه كيف يكون مساويا لمن نشاء كما شاء من غير سائس ولا تاديب مؤدب ان شئت فقل
الفواكه الجبلية بالفواكه البستانية ولهذا قال ان الجفاء والقسوة فى الفدادين اى الاكادين لانهم يعدون اى يصيحون وقوله وَأَجْدَرُ
اى اولى واحق بان لا يعلموا حدود ما انزل الله اى مقاديرها كالفرائض واحكامها وما ينتهى اليه الادلة العقلية والسمعية وَاللّٰهُ عَلِيمٌ
بما فى قلوب اهل البدو والحضر واصحاب الوبر والمدر حكيم فى كل ما قدر من الشرائع وما يتبعها من الجزاء ثم نوع جنس الاعراب فقال
وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا هو مفعول ثان ليتخذ لانه بمعنى الجعل والاعتقاد والزعم اى يعتقد ان الذى ينفقه فى
سبيل الله غرامة وخسران وقد عرفت ان اصل الغرم اللزوم كانه اعتقد انه لزمه لامر من خارج كتقية او رياء لا لبس مما يبتغى من
النفع والمغرم اما مصدر او موضع ويتربص بكم الدوائر نوب الزمان وتصاريفه ودوله وكانها لا تستعمل الا فى المكروه تشبيها
بالدائرة التى يحيط بما فى ضمنها بحيث لا يوجد منها مخلص ثم خيب الله ظنونهم بالاسلام وذويه بان دعا عليهم بقوله عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ
السَّوْءِ وانها جملة معترضة كقوله غلت ايديهم والسوء بالفتح مصدر واضيف اليه الدائرة للملابسة كقوله رجل صدق قال فى
الكشاف وهو ذم للدائرة لان من دارت عليه ذام لها وبالضم اسم بمعنى البلاء والعذاب والمراد انهم لا يرون فى محمد ودينه الا
ما يسوءهم والله سميع لاقوالهم عليم بنياتهم قيل هم اعراب اسد وغطفان وتميم ثم ختم الكلام بذكر الصالحين منهم فقال وَمِنَ
الاية والمعنى انهم يعتقدون ما ينفقونه سببا لحصول القربات عند الله وسببا لحصول القربات عند الله وسببا لصلوات
الرسول عليهم لانه كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم صل على آل ابى اوفى ثم انه تعالى اشهد لهم ولا مثالهم
بصحة ما اعتقدوه فقال على طريق الاستيناف مؤكدا بحرفى التنبيه والتحقيق الا انها قربة لهم ثم فسر القربة بقوله سيدخلهم
والسين لتحقيق الوعد قيل هم عبد الله ذو البجادين ورهطه اخذت امه بجادا وهو كساء مخطط فشقته بنصفين فزودته
باحدهما وازرته بالثانى وبعثته الى رسول الله صلعم فكان فائدة والله اعلم التاويل الناس ثلثة المقصرون المعذرون المعترفون
بتقصيرهم والقاعدون الكاذبون والناصحون المخلصون فى الطلب لكن فيهم الضعفاء والمرضى والفقراء فلا حرج عليهم فى
القعود عن طلب الكمال بالظواهر مع اشتغال البواطن فى الطلب بقدر الاستعداد ولا على الذين اذا ما اتوك بطريق المتابعة
لتحملهم على جناح الهمة النبوية وتوصلهم الى مقامات لم يكونوا بالغيها بجناحى البشرية والروحانية قلت لا اجد ما احملكم
عليه ترضا ودلالا واستهزاء لن نالوا اشرافهم كما قيل لموسى لن ترانى زيادة لشوقه ذمهم اغنياء لهم الاستعداد الكاملة فلم
يستعملوها فى طلب الكمال كسلا وميلا الى اللذات العاجلة الاعراب اشد كفرا ان فى عالم الانسانية هو نفسه وحضرها هو
قلبه والكفر والنفاق للنفس مقتضى الذات كما ان الايمان للقلب لذاته بالنظرة وقد يصير القلب كافرا لسراية النفس مؤمنة
بسراية القلب ولكن النفس يكون اشد كفرا من القلب الكافر كما ان القلب يكون اشد ايمانا من النفس المؤمنة حدود ما انزل الله على
رسوله يعنى الواردات النازلة على الروح فان القلب حضرة الروح كما ان المدينة حضرة الرسول صلعم ومن النفوس من يعتقد ما

لما ذكر الاعراب المخلصين بين ان فوق منازلهم منازل اعلى واجل وهى منازل السابقين الاولين والتابعين لهم باحسان قال ابن عباس السابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين وشهدوا بدرا وعن الشعبى هم الذين بايعوا بيعة الرضوان بالحديبية ومن الانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل بيعة العقبة الثانية وكانوا سبعين و الذين امنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير يعلمهم القران والظاهر ان الاية عامة فى كل من سبق فى الهجرة او النصرة قال اهل السنة لا شك ان ابا بكر اسبق فى الهجرة اذ هو من السابقين فيها وقد اخبر الله تعالى عنهم بانه رضى عنهم ولا شك ان الرضاء معلل بالسبق الى الهجرة فيدوم بدوامه فدل ذلك على صحة امامته والا استحق اللعن والمقت قال اكثر العلماء كلمة من فى قوله من المهاجرين والانصار للتبعيض وانما استحق السابقون منهم هذا التعظيم لانهم امنوا وفى عدد المسلمين فى مكة والمدينة قلة وفيهم ضعف فقوى الاسلام بسببهم وكثر عدد المسلمين واقتدى بهم غيرهم وقد قيل من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها وقيل للتبيين ليتناول المدح جميع الصحابة وروى عن حميد بن زياد انه قال قلت يوما لمحمد بن كعب القرظى الا تخبرنى عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان بينهم فقال ان الله تعالى قد غفر لهم واوجب لهم الجنة فى كتابه محسنهم ومسيئهم قلت له فى اى موضع اوجب لهم الجنة قال سبحان الله الا تقرا قوله تعالى والسابقون الاولون الى اخر الاية اوجب لجميعهم الرضوان وشرط على التابعين شرطا لم يشترط عليهم وهو الاتباع بالاحسان وذلك ان يقتدوا بهم فى اعمالهم الحسنة لا السيئة او باحسان فى القول وهو ان لا يقولوا فيهم سوءا ويحفظوا لسانهم عن الاغتياب والطعن فى حقهم قال العلماء معنى رضاء الله عنهم قبول طاعاتهم ثم عاد الى شرح احوال المنافقين فقال وممن حولكم هو خبر ومن الاعراب بيان او حال ومنافقون مبتداء ومن اهل المدينة عطف على الخبر او خبر لمبتداء اخر بناء على ان التقدير ومن اهل المدينة قوم مردوا والتركيب يدل على الملاسة والبقاء على هيئة واحدة من ذلك صرح ممرد وغلام امرد وارض مرداء لا نبات فيها وتمرد اذا عتا فان من لم يقبل قول غيره ولم يلتفت اليه بقى كما كان على هيئته الاصلية من غير تغير فمعنى مردوا على النفاق تمهروا وتمرنوا وبقوا عليه حذاقا معودين الى حيث لا تعلم انت نفاقهم مع وفور حدسك وقوة ذكائك ثم قال سنعذبهم مرتين قال ابن عباس هما العذاب فى الدنيا بالفضيحة والعذاب فى القبر روى السدى عن ابى مالك ان النبى صلى الله عليه وسلم قام خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان انك منافق حتى اخرج ناسا وفضحهم وقال مجاهد هما القتل والسبى وعذاب القبر وقال قتادة بالزبانية وعذاب القبر وقال محمد بن اسحق هو ما يدخل عليهم من غيظ الاسلام والمسلمين ثم عذابهم فى القبور وقال الحسن باخذ الزكوة من اموالهم وبعذاب القبر وقيل احد العذابين ضرب الملائكة الوجوه والادبار والاخر عند البعث يوكل بهم عنق من نار ثم يردون الى عذاب عظيم هو الدرك الاسفل من النار قال الكلبى وممن حولكم جهينة ومزينة واشجع واسلم وغفار ومن اهل المدينة عبد الله بن ابى وجد بن قيس ومعتب بن قشير وابو عامر الراهب واضرابهم ثم قال واخرون وهو معطوف على منافقون او مبتداء اعترفوا صفته وخلطوا خبره وعسى الله جملة مستانفة وقيل خلطوا حال باضمار قد وعسى الله خبر وللمفسرين خلاف فى انهم قوم من المنافقين تابوا عن نفاقهم او قوم من المسلمين تخلفوا عن غزوة تبوك لا للكفر والنفاق ولكن للكسل ثم ندموا على ما فعلوا عن ابن عباس فى رواية الوالبى نزلت فى قوم كانوا قد تخلفوا ثم ندموا وقالوا نكون فى الكن والظلال مع النساء ورسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فى الجهاد روى انهم كانوا ثلثة ابو لبابة مروان بن المنذر واوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وقيل كانوا عشرة فسبعة منهم حين بلغهم ما نزل فى المتخلفين فايقنوا بالهلاك اوثقوا انفسهم على سوارى المسجد وقالوا والله لا نطلق انفسنا حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يطلقنا ويعذرنا فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد وصلى ركعتين وكانت هذه عادته كلما قدم من سفر فراهم موثقين فسئل عنهم فقالوا هؤلاء تخلفوا عنك فعاهدوا الله ان لا يطلقوا انفسهم حتى تكون انت الذى تطلقهم وترضى عنهم فقال رسول الله وانا اقسم بالله لا اطلقهم ولا اعذرهم حتى اومر باطلاقهم فنزلت هذه الاية فاطلقهم وعذرهم فقالوا يا رسول الله هذه اموالنا وانما تخلفنا عنك بسببها فتصدق وطهرنا فقال ما امرت ان اخذ من اموالكم شيئا فنزل خذ من اموالهم صدقة الاية والاعتراف هو الاقرار بالشئ عن معرفة والمراد انهم اقروا بذنوبهم وهذا كالمقدمة للتوبة لان الاعتراف بالذنب لا يكون توبة الا اذا اقترن به الندم على الماضى والعزم على تركه فى الحال وفى الاستقبال خلطوا عملا صالحا واخر سيئا اى خلطوا كل واحد منهما بالاخر كقولك خلطت الماء واللبن وهذا ابلغ من قولك خلطت لانك جعلت فى الاول كلا منهما مخلوطا ومخلوطا به كانك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز ان يكون الواو بمعنى الباء من قولك بعت الشاة شاة ودرهما اى شاة بدرهم وذلك ان الواو للجمع والباء للالصاق فهما متقاربان ويجوز ان يقال الخلط ههنا بمعنى الجمع قال اهل السنة فيه دليل على نفى القول بالمحابطة لانه لو لم يبق العملان لم يتصور اختلاطهما وفى قوله عسى الله ان يتوب عليهم دليل على وقوع

يصرف من او فاتر فى طلب لكمال ضايع وخسارة ينتظر بالقلب اشتغالا او فترة عليهم دائرة السوء باستيلاء القلب عليها وقهرها بما يخالف هواها والله سميع يجيب هذا الدعاء عليهم بمن ينبغى ان يسمع فى حقه والسابقون الاولون من المهاجرين

والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم والله سميع عليم الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وان الله هو التواب الرحيم وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون واخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم حكيم والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان اردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون لا تقم فيه ابدا لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم والله عليم حكيم

القراءة من تحتها بزيادة من ابن كثير الباقون بحذفها وبالنصب على الظرف والانصار بالرفع يعقوب الاخرون بالجر ان صلوتك على التوحيد حمزة وعلى وخلف وعاصم غير ابى بكر وحماد الباقون على الجمع بكسر التاء علامة للنصب مرجون بواو ساكنة بعد الجيم ابو جعفر ونافع وحمزة وعلى وخلف وعاصم سوى ابى بكر وحماد الباقون بالهمزة المضمومة بعد الجيم الذين اتخذوا بغير واو ابو جعفر ونافع وابن عامر اسس بنيانه مجهولا فى الحرفين ابن عامر ونافع جرف بسكون الراء ابن عامر وحمزة وخلف ويحيى وحماد الباقون بالضم هار بالامالة ابو عمرو وحمزة وفى رواية ابن سعدان وابى عمرو وعلى غير ليث وابن حمدون وحمدويه والنجارى عن ورش وابن ذكوان غير ابن مجاهد والنقاش ويحيى وحماد الى ان قراها يعقوب الباقون الا ان تقطع فعلا ماضيا او مضارعا بحذف التاء من الفعل ابن عامر ويزيد وحمزة وحفص والمفضل وسهل ورويس تقطع مضارعا مجهولا من التقطيع الوقوف باحسان لا لان قوله رضى الله عنهم خبر والسابقون ابدا ط العظيم ط منافقون ط لمن قدر ومن اهل المدينة قوم مردوا ومن وصل وقف على اهل المدينة تقديره مردوا على النفاق ط ومن قال ومن اهل المدينة قوم احتمل ان يجعل لا يعلمهم صفة للقوم فلم يقف لا تعلمهم ط نحن نعلمهم ط عظيم ط لاحتمال التقدير ومنهم اخرون وان يكون معطوفا على منافقون او على قوم المقدر سيئا ط عليهم ط رحيم وصل عليهم ط لهم ط عليم الرحيم والمؤمنون ط تعملون ج يتوب عليهم ط حكيم من قبل ط الحسنى ط لكاذبون ابدا ط ان تقوم فيه ط ان يتطهروا ط المطهرين فى نار جهنم ط الظالمين قلوبهم ط حكيم التفسير

التوبة التي اخبر بحصولها مقدمتها وهي الاعتراف عنهم وفيه دليل على قبول توبتهم لان عسى من الكريم اطماع واجب وفائدته ان يكون المكلف على الطمع والاشفاق فلا يتكل ولا يهمل وفيه ان التوبة بخلق الله وقالت المعتزلة معناه ان يتوب ان يقبل التوبة وديانة عدول عن الظاهر مع ان الدليل العام وهو وجوب انتهاء الكل الى مشيته وتكوينه يعضد ما قلناه ثم قال سبحانه خذ من اموالهم صدقة عن الحسن كانوا يقولون ليس المراد من هذه الاية الصدقة الواجبة وانما هي صدقة كفارة الذنب الذي صدر عنهم وبهذا يحصل النظم بينها وبين ما قبلها كما مر وقال اكثر الفقهاء المراد بها الزكوة ووجه النظم انهم لما اظهروا التوبة والندامة امروا باخراج الزكوة الواجبة مصححا لدعواهم ومما يدل على ذلك ان الامر ظاهره الوجوب وايضا التطهير والتزكية يناسب الواجب لا التطوع وفي قوله من اموالهم دلالة على ان القدر الماخوذ بعض تلك الاموال ويتعين ذلك البعض انما عرف من السنة وفي اضافة المال اليهم دليل على ان المال مالهم ولا شركة للفقير فيه فتكون الزكوة متعلقة بذمته حتى لو تلف النصاب بعد الوجوب بقي الحق في ذمة المالك وهو قول الشافعي وقوله تطهرهم وتزكيهم التاء فيهما للخطاب اي تطهرهم ايها الاخذ وتزكيهم بواسطة تلك الصدقة وقيل التاء في تطهرهم للتانيث والضمير للصدقة وفيه نوع انقطاع للمعطوفين قال العلماء المعطوفان متغايران لا محالة فالتزكية مبالغة في التطهير او هي بمعنى الانماء كانه تعالى جعل النقصان سببا للانماء والزيادة والبركة او المراد بالتزكية تعظيم شانهم والاثناء عليهم قال ابو حنيفة ظاهر الاية يدل على ان الزكوة طهرة للاثام فلا تجب الا حيث يمكن حصول الاثام وذلك لا يعلم الا في حق البالغ العاقل دون الصبي والمجنون وقال الشافعي يجب الزكوة في مالهما لانه لا يلزم من انتفاء سبب معين انتفاء الحكم مطلقا وصل عليهم قال ابن عباس معناه ادع لهم من هنا قال الشافعي السنة للامام اذا اخذ الصدقة ان يدعو للمتصدق ويقول اجرك الله فيما اعطيت وبارك لك فيما ابقيت وقال اخرون بظاهر اللفظ لما روي عن عبد الله بن ابي اوفى قال كان ابي من اصحاب الشجرة وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على ال فلان فاتاه ابي بصدقته فقال اللهم صل على ال ابي اوفى واكثر الائمة الان على انه لا يحسن الصلوة لغير النبي على غير الاتباع واطلق بعضهم كالغزالي وامام الحرمين لفظ الكراهة وقالوا السلام ايضا في معنى الصلوة واما الشيعة فانهم يذكرون الصلوة والسلام في حق ال الرسول ايضا كعلي واولاده عليهم السلام وهم على العموم من القرشيين بنو هاشم والمطلب دون بني امية وبني نوفل وغيرهم قالوا لانها كانت جائزة في حق من يؤدي الزكوة فكيف يمنع ذكره او لا يحسن في اهل بيت الرسول ولان الكل اجمعوا على جوازها بالتبعية فما الفرق واما السلام فلا كلام عليه لانه جائز في حق جمهور المسلمين فكيف لا يجوز في ال الرسول ان صلوتك سكن لهم والسكن ما يسكن اليه المرء وتطمئن به نفسه وذلك لان دعاءه يستجاب البتة فيستظهرون بها وكيف لا وفيض اشراق نفسه عليهم بتوجهه اليهم والترحم لهم احتج مانعوا الزكوة بها في زمان ابي بكر فان الوجوب مشروط بحصول السكن ولا سكن ورد عليهم بما مر من الايات روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حكم بصحة توبة هؤلاء قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت الم يعلموا يعني غير التائبين وقيل معناه الم يعلم التائبون قبل ان يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم ان الله يقبل التوبة الصحيحة ويقبل الصدقات الصادرة عن خلوص النية وفائدة توسط هو ان يعلم ان الالهية هي الموجبة لقبول التوبة لاستغنائه عن طاعة المطيعين ومعصية المذنبين فاذا انتقل العبد من حالة المعصية الى حالة الطاعة وجب على كرمه قبول توبته وفيه ايضا ان قبول التوبة ليس الى الرسول وفي قوله عن عباده دون من اشارة الى البعد الذي يحصل للعبد عن الله بسبب العصيان او الى تبعيده نفسه عن الله هضما وانكسارا وفي اضافة اخذ الصدقات الى الله بعد ان امر الرسول بالاخذ تشريف عظيم لهذه الطاعة وانها من الله بمكان وانه يربيها كما يربي احدنا فلوه حتى ان اللقمة يكون عند الله اعظم من احد وقد جاء هذا المعنى في الحديث ثم امر نبيه بان يقول للتائبين او لغير التائبين ترغيبا لهم في التوبة اعملوا وفيه نوع تهديد وتخويف فسيرى الله عملكم وقد مر تفسير مثله عن قريب والحاصل انه كانه قيل لهم اجتهدوا في العمل فان له في الدنيا حكما وهو ان يراه الله ورسوله والمؤمنون وفي الاخرة حكما وهو الجزاء وبوجه اخر كانه قيل ان كنت من المحققين فاعمل لله وان كنت من الظاهريين فاعمل للفوز بثناء الخلق وهم الرسول والمؤمنون فانهم شهداء الله يوم القيمة والشهادة لا تصح الا بعد الرؤية ولا شك ان رؤية الله تعم شاملة لافعال القلوب والجوارح جميعا اما رؤية الرسول والمؤمنين فلا يشمل افعال القلوب الا باراءة الله واطلاعه وان شاء واعلم انه تعالى قسم المخلفين الى ثلثة اقسام منهم المنافقون الذين مردوا على النفاق والثاني التائبون المعترفون بذنوبهم والثالث الذين بقوا موقوفا امرهم وذلك قوله واخرون واعرابه كاعراب قوله واخرون اعترفوا ومعنى مرجون ممن ارجيته وارجاته اذا اخرته ومنه قوله ارجه واخاه كما مر وبه سميت المرجئة لانهم لا يجزمون بعفو الله عن ذنب التائب ولكن يؤخرونها الى مشية الله ويقولون انهم مرجون لامر الله وقال الاوزاعي لانهم يؤخرون العمل

شهداء

او يؤخرون

عن الايمان

عن الايمان وقال ابن عباس نزلت في كعب بن مالك ومرارة بن ربيع وهلال بن امية امر رسول الله اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل ابو لبابة واصحابه من شد انفسهم على السواري واظهار الجزع والغم فلما علموا ان احدا لا ينظر اليهم فوضوا امرهم الى الله واخلصوا نياتهم فقبلت توبتهم ونزل فيهم وعلى الثلثة الذين خلفوا كما سيجيء وقال الحسن هم قوم من المنافقين حذرهم الله بهذه الاية ان لم يتوبوا وقوله اما يعذبهم التشكيك فيه راجع الى العباد اي ليكن امرهم على الخوف والرجاء وكان يقول الناس هلكوا ان لم ينزل الله لهم عذرا ويقول اخرون عسى الله ان يغفر لهم قال الجبائي جعل دائر امرهم بين التعذيب والتوبة فدل ذلك على انتفاء القسم الثالث وهو العفو من غير التوبة واجيب بانه لا يجوز ان يكون المنفصلة مانعة الجمع فقط ولما ذكر اصناف المنافقين وبين طرائقهم المختلفة قال والذين اتخذوا كانه قال ومنهم الذين اتخذوا في الكشاف انه محله الرفع على الابتداء وخبره محذوف اي ومن وصفوا هؤلاء الاقوام قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وعامة اهل التفسير كانوا اثني عشر رجلا بنوا مسجدا يضارون به مسجد قباء وروي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا كذلك واعلم انه سبحانه حكى ان الباعث لهم على هذا العمل كان امورا اربعة الاول الضرار وهو المضارة والثاني الكفر بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالاسلام وذلك انهم ارادوا تقوية اهل النفاق والثالث التفريق بين المؤمنين لانهم ارادوا ان لا يحضروا مسجد قباء فيقل جماعتهم ولا سيما اذا صلى النبي في مسجدهم فيؤدي ذلك الى اختلاف الكلمة وبطلان الالفة والرابع قوله وارصادا لمن حارب الله ورسوله وقوله من قبل يتعلق بحارب اي من قبل بناء مسجد الضرار وقال في الكشاف انه متعلق باتخذوا والمراد من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف قال الزجاج الارصاد الانتظار وقال ابن قتيبة الانتظار مع العداوة قال الاكثرون انه الاعداد والمراد من حارب ابو عامر الراهب والد ابي حنظلة الذي غسلته الملائكة وسماه رسول الله الفاسق وكان قد تنصر في الجاهلية وترهب وطلب العلم فلما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم عاداه لانه زالت رياسته وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر واتي بجنود ومخرج محمدا واصحابه من المدينة فبنوا مسجدا وانتظروا ابا عامر ليصلي بهم في ذلك المسجد ثم اخبر الله تعالى عن نفاقهم بقوله وليحلفن ان اردنا اي ما اردنا ببناء هذا المسجد الا الحسنى وهي الصلوة وذكر الله والتوسعة على المسلمين قال المفسرون انهم لما بنوا مسجدهم وانى ذلك غزوة تبوك فاتوا رسول الله وقالوا بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية ونحن نحب ان تصلي لنا فيه وتدعو بالبركة فقال صلى الله عليه وسلم اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل من الغزوة سألوه اتيان المسجد فنزل لا تقم فيه ابدا الاية فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي قاتل حمزة فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل وامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة ومات ابو عامر بالشام بقنسرين وقال الحسن هم رسول الله ان يذهب الى ذلك المسجد فناداه جبرئيل لا تقم فيه ولا ريب ان النهي عن القيام فيه يستلزم النهي عن الصلوة فيه ثم بين علة النهي فقال لمسجد اسس على التقوى من اول يوم اي من ايام وجوده احق ان تقوم فيه والمعنى لو كان القيام في غيره جائزا لكان هذا اولى لاشتماله على الخيرات الكثيرة فكيف اذا كان غيره مشتملا على المفاسد الكثيرة من الضرار وغيره قالت الشيعة في هذا المقام ان المسجد اذا كان مبنيا على التقوى من اول يوم كان اولى بالصلوة فيه فالامام اولى بان يكون متقيا من اول عمره وما ذلك الا علي كرم الله وجهه لانه لم يكفر بالله طرفة عين واختلفوا في هذا المسجد فقيل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة عن ابي سعيد الخدري سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذي اسس على التقوى فاخذ الحصباء وضرب بها الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة وقيل هو مسجد قباء اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقباء وهو يوم الاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة قال في الكشاف وهذا اولى لان الموازنة بين مسجدي قباء اوقع وقال القاضي كل مسجد بني على التقوى فانه يدخل فيه كما لو قال قائل لرجل صالح احق ان تجالسه لم يكن ذلك مقصورا على واحد وايضا كل مسجد بني مباهاة او رياء وسمعة او لغرض سوى وجه الله او بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار ثم ذكر لمسجد التقوى وصفا اخر وذلك قوله فيه رجال يحبون ان يتطهروا فقيل انه التطهر من الذنوب بالتوبة والاستغفار والاخلاص كما ان اهل مسجد الضرار وصفوا باضداد هذه الامور من الضرار والكفر والتفريق ولان طهارة الباطن اشد تاثيرا من طهارة الظاهر في القرب من الله وقيل انه التطهر بالماء وذلك انهم كانوا لا ينامون الليل على الجنابة ويتبعون الماء اثر البول وروي انها لما نزلت مشى رسول الله ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم

بيان

نقال عم أترضون بالقضاء قالوا نعم قال أتصبرون على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون في الرخاء قالوا نعم فقال عم مؤمنون ورب
الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا
رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبي عم رجال يحبون ان يتطهروا وقيل يحبون ان يتطهروا
بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا باجمعهم ومحبة التطهر ايثاره والحرص عليه ومحبة الله الرضاء عنهم والاحسان اليهم كما يفعل المحب
لمحبوبه ثم بين انه لا نسبة بين الفريقين وان بينهما بونا بعيدا فقال مستفهما على سبيل التقرير افمن اسس بنيانه وهو مصدر
كالغفران واريد به المبنى والمعنى ان من اسس بناء دينه على قاعدة توبة محكمة وهي تقوى الله ورضوانه خير ام من اسس دينه على ضد ذلك
والشفا هو الشفير اى الشفة والجرف هو ما اذا سال السيل وانحفر الوادي ويبقى على طرف المسيل طين واه مشرف على السقوط ساعة
فساعة فذلك الموضع الذي هو بصدد السقوط جرف والهار الهائر وهو ايضا المتصدع الذي اشفى على التهدم والسقوط
قال الليث الهار مصدر هار الجرف يهور اذا انصدع عن خلفه وهو ثابت بعد في مكانه فاذا سقط فقد انهار وقال في الكشاف انه
مقلوب عن فاعل كخلف عن خالف والفه ليست بالف فاعل انما هي عينه واصله هور على فعل ولا ترى ابلغ من هذا الكلام ولا
ادل على حقيقة الباطل لكونه على شفا جرف هار كان مشرفا على السقوط ولكونه على طرف جهنم كان اذا انهار فانما يسقط في قعر
جهنم يروى انه حفرت بقعة من مسجد الضرار فرأى الدخان يخرج منه ثم ذكر ان بنيانهم ذلك سبب لازدياد ريبهم فقال لا يزال
بنيانهم الذي بنوا ريبة في كونه سببا للريبة في قلوبهم وجوه منها ان هدمه صار سببا لازدياد شكهم في نبوته ومنها انه زين لهم
ظنوا انه لاجل الحسد فارتفع امانهم عنه وصاروا مرتابين في انه هل يتركهم على ما هم فيه او يأمر بقتلهم ونهب اموالهم فلا يزول
تلك الريبة الا ان تقطع قلوبهم اجزاء متفرقة اما بالموت واما بالسيف واما بالبلاء فيضمحل اثرها عنها والمقصود ان
هذا الشك يبقى في قلوبهم ابدا ويموتون على النفاق قال في الكشاف يجوز ان يكون ذكر التقطيع تصوير الحال زوال الريبة
عنها ويجوز ان يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم او في القبور او في النار وقيل معناه الا ان يتوبوا توبة يتقطع
بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم التأويل والسابقون الاولون الذين سبقت لهم العناية الازلية والسابقون الاولون
عند الخروج من العدم وهم اهل الصف الاول من الجنود المجندة او السابقون في جواب الست بربكم الاولون في استماع هذا
الخطاب والسابقون في استحقاق المحبة عند اختصاصهم بتشريف يحبهم في الازل الاولون باداء حق المحبة في سر يحبونه
او السابقون عند تخمير طينة آدم في مماسة ذراتهم بيد القدرة الاولون باستكمال تصرف القدرة في كمال الاربعين صباحا
والسابقون عند رجوعهم بقدم السلوك الى مقام الوصال الاولون بالوصول الى سرادقات الجلال وهذا السبق
مخصوص بالنبي عم وبامته كما قال نحن الآخرون السابقون من المهاجرين عن الاوطان البشرية والانصار لهم في طلب الحق والذين
اتبعوهم باحسان بذلوا جهدهم في متابعتهم بقدر الامكان رضي الله باعطاء الاستعداد ذاتا لكاملة ورضوا عنه بايفاء حقوقها
وممن حولكم من الاعراب صفات النفس منافقون ومن اهل مدينة القلب في صفات النفس بعضها منافق كالقوة الشهوية
للوقاع فانها تتبدل بالعفة عند استيلاء القلب على النفس بسياسة الشريعة وتربية الطريقة ظاهرا لا حقيقة لانها لا تتبدل بالكلية
بل تميل الى الشهوة اذا خليت وطباعها ولهذا قال عم وان اخوف ما اخاف على امتي النساء ومنها كافرة كالقوة الشهوية في
طلب الغذاء فانها باقية على طلبها ما دام البدن باقيا لاحتياجه الى بدل ما يتحلل ومنها مسلمة كالقوة الغضبية والشيطانية من
الكبر والحسد والكذب والخيانة فانها يحتمل ان تتبدل باضدادها من التواضع والحلم والصدق والامانة عند استنارة النفس بنور
الايمان والذكر فهذه الصفات وغيرها من صفات النفس ما لم تتبدل بالكلية ولم تكن مغلوبة بانوار صفات وفيها القلب
عند استنارة النفس بنور الايمان والذكر فهذه الصفات وغيرها من صفات النفس ما لم يتبدل بالكلية ولم تكن مغلوبة
بانوار بعض النفاق كما قال عم اربع من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا ائتمن خان واذا وعد
خلف واذا عاهد غدر ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها لا تعلمهم نحن نعلمهم يعني ان هذه
الافعال لا يعرفها ارباب العلوم الظاهرة وانما يعرفها اصحاب الكشوف الباطنة سنعذبهم مرتين مرة باحكام الشريعة
ومرة بآداب الطريقة ثم يردون بجذبات اللطف الى عذاب عظيم هو الفطام عن الكونين والفناء في الله او بجذبات القهر الى
اسفل حجب البعد والبقاء في عالم الطبيعة وآخرون يعني القلب وصفاته اعترفوا بذنوبهم بثبوت صفات النفس والتلوث بها
خلطوا عملا صالحا هو صدق التوجه وآخر سيئا هو مطاوعة النفس والهوى في بعض الاوقات عسى الله ان يوفقهم للرجوع الى
طريق الحق بالكلية والاعراض عما سواه خذ من اموالهم صدقة تطهرهم بها عن دنس حب الدنيا وتزكيهم بالاخلاق الفاضلة
فان حب الدنيا رأس كل خطيئة ويأخذ الصدقات فيه ان المعطي يجب ان لا ينظر الا الى الله ولا يمن على الفقير اصلا وستردون

التأويل

باعلام اعمالكم الى الله الذي يعلم ما غاب منكم من نتائج اعمالكم وما غبتم عنه من التقدير الازلي وما تشاهدون بالعيون والقلوب
في عالمي الملك والملكوت وآخرون مرجون اخرت توبتهم ليترددوا بين الخوف والرجاء فيطيروا بجناحي القبض والبسط الى ان يصلوا
الى سرادقات الهيبة والانس والله عليم بتربية عباده حكيم فيما يفعل من القبول والرد والذين اتخذوا في عالم الطبيعة من
النفس مسجدا ضرارا لارباب الحقيقة وكفرا باحوالهم لمن حارب الله هم اهل الاباحة من مدعي الفقر لا تقم يا رسول الروح اسس على
التقوى هو مسجد القلب جبل على العبودية والطاعة من اول يوم من الميثاق رجال يحبون ان يتطهروا هم الاوصاف الحميدة والملكات
المزكات عن دنس الطبيعة ولوث الحدوث ثم ميز بين اهل السعادة والشقاوة فقال افمن اسس بنيانه اي جبل على الخير وما فيه
رضى الله لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة لانهم جبلوا على الشقاء الا ان تقطع قلوبهم عن رواعن طباعهم وذلك محال ولا يزال
يبرح من مزبلة النفس وسخ وظلمة الى قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم عن رواعن طباعهم وذلك محال ولا يزال يبرح من مزبلة النفس
ع ٣ وسخ وظلمة الى قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون
بسكينة او بإصرة فيزول عنها تلك الملكات بدرستيكه خدا خريد از گروندگان تنهاى ايشانرا و مالهاى ايشانرا بآنكه مر ايشانراست بهشت كارزار ميكنند
في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التورية والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله
در راه خدا پس ميكشند و كشته ميشوند وعده لازم بر آن حق است در توريه و انجيل و قرآن و كيست وفا كننده تر بعهد خويش از خدا
فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم التائبون العابدون الحامدون السائحون
پس شاد شويد به بيع كردن شما آنكه بيع كرديد بآن و اين آن رستگاری بزرگ توبه كنندگان عبادت كنندگان حمد كنندگان روزه داران
الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين ما كان
ركوع كنندگان سجود كنندگان امر كنندگان بنيكوئى و نهى كنندگان از بدى و حفظ كنندگان مر حدود خدا را و مژده ده گروندگان را نبود
للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم وما كان
پيغمبر را و آنانكه گرويدند آنكه آمرزش خواهند مر مشركان را و اگر چه باشند خداوند خويشى از پس آنچه روشن گرديد مر ايشان را بدرستيكه ايشان ياران دوزخند و نبود
استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لاواه حليم
آمرزش خواستن ابراهيم مر پدر خود را از پس وعده كه وعده داده بود او را پس چون روشن شد او را بدرستيكه دشمن خداست بيزار شد از او بدرستيكه ابراهيم آه كننده بردبار
وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هديهم حتى يبين لهم ما يتقون ان الله بكل شيء عليم ان الله له ملك السموات
و نبود خدا كه گمراه كند قومى را پس آنكه راه نمود ايشان را تا روشن كند ايشان را آنچه بپرهيزند بدرستيكه خدا بهر چيزى داناست بدرستيكه خدا او راست پادشاهى آسمانها
والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار
و زمين زنده ميكند و ميميراند و نيست مر شما را از جز خدا هيچ دوستى و نه يارى بتحقيق كه خدا قبول كرد بر پيغمبر و هجرت كنندگان و ياران
الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم و
آنانكه پيروى كردند او را در هنگام دشوارى از پس آنكه نزديك بود كه ميل كند دلهاى گروهى از ايشان پس قبول كرد توبه ايشان بدرستيكه او بايشان مهربانست و
على الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت
بر سه كس آنانكه واپس گذاشته شدند تا چون تنگ شد بر ايشان زمين با همه فراخى بود و تنگ شد
ع عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم يا ايها الذين
بر ايشان نفسهاى ايشان و گمان كردند كه نيست پناهى از خدا مگر بسوى او پس قبول كرد بر ايشان تا باز آيند بدرستيكه خدا اوست توبه پذير مهربان اى آنانكه
آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين القراءة فيقتلون مبنيا للمفعول ويقتلون مبنيا للفاعل حمزة وعلي وخلف
گرويديد بپرهيزيد از خدا و باشيد با راستگويان الآخرون على العكس يقتلون بالتشديد ابو عون عن قنبل ابراهام وكذلك ما
تعدلا هشام يزيغ بياء الغيبة حمزة وحفص والمفضل الباقون بتاء التأنيث خلفوا بالتخفيف وفتح اللام روى ابو زيد ومحمد عن
عباس الباقون بالتشديد مجهولا الوقوف الجنة ط ويقتلون قف والقرآن ط بايعتم به ط العظيم ه لحدود الله ط المؤمنين ه الجحيم ه اياه ط
منه ط حليم ه ما يتقون ط عليم ه والارض ط ويميت ط نصير ه تاب عليهم ط رحيم ه للعطف على النبي خلفوا ط الا
اليه ط ليتوبوا ط الرحيم ه الصادقين ه التفسير لما شرح فضائح المنافقين وقبائحهم بسبب تخلفهم عن غزوة تبوك وذكر
اقسامهم وفرع على كل قسم ما كان لائقا به عاد الى بيان فضيلة الجهاد والترغيب فيه قال محمد بن كعب القرظي لما بايعت الانصار
رسول الله عم ليلة العقبة وهم سبعون نفسا قال عبد الله بن رواحة اشترط لنفسك ولربك ما شئت فقال اشترط
لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي ان تمنعوني ما تمنعون منه انفسكم واموالكم قالوا فاذا فعلنا ذلك

التفسير

فيا ليتنا قال الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى الاية قال مجاهد والحسن ومقاتل ثامنهم فاغلى ثمنهم
وقال جعفر الصادق عم والله ما لابدانكم ثمن الا الجنة فلا تبيعوها الا بها واعلم ان هذا الاشتراء وقع مجازا عن الجزاء لان
المشترى انما يشترى ما لا يملك والعبد وما يملكه لمولاه ولهذا قال الحسن انفسا هو خلقها واموالا هو رزقها والمراد بانفسهم المفوز
المجاهدة وباموالهم التى ينفقونها فى اسباب الجهاد وعلى انفسهم واهليهم وعيالهم على الوجه المشروع وههنا نكتة هى ان قيم الطفل
لا ان يبيع مال الطفل من نفسه بشرط رعاية الغبطة ففى هذه الاية البايع والمشترى هو الله وفيه تنبيه على ان العبد كالطفل الذى
لا يهتدى الى مصالح نفسه وانه تع هو المراعى لمصالحه حتى يوصله الى انواع الخيرات واصناف السعادات وبوجه اخر الانسان
بالحقيقة عبارة عن الجوهر المجرد الذى هو من عالم الارواح وهذا البدن وما يحتاج اليه من ضروريات المعاش كالالات والوسايط
لتحصيل الكمالات الموصلة الى الدرجات العاليات فالبايع هو جوهر الروح القدسى والمشترى هو الله واحد العوضين الجسد
البالى والمال الفانى والعوض الاخر الجنة الباقية والسعادات الدايمة فالربح حاصل والخسران زايل ولهذا قال فاستبشروا
بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وفى قوله يقاتلون معنى الامر كقوله وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وهو كالتفسير لتلك
المبايعة فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ اى انهم يقتلون الكفار فلا يرجعون عنهم حتى يصيروا مقتولين ومن قرا بتقديم المجهول فمعناه ان
طائفة منهم اذا صاروا مقتولين لم يصد ذلك رادعا للباقين عن المقاتلة بقدر الامكان ومن العلماء من خص هذا الوعد
بجهاد السيف لظاهر قوله يُقَاتِلُونَ والمحققون ان كل انواع الجهاد يدخل فيه لان الجهاد بالحجة والدعوة الى دلائل التوحيد اكمل
اثرا من القتال ولهذا قال لعلى عم لان يهدى الله على يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس ولان الجهاد بالسيف لا
يحسن الا بعد تقديم الجهاد بالحجة ولان الانسان جوهر شريف فمتى امكن ازالة صفاته الرذيلة مع ابقاء ذاته الشريفة كان اولى
من افناء ذاته الا ترى ان جلد الميتة لما كان منتفعا به من بعض الوجوه حث الشرع على ابقائه فقال هلا اخذتم اهابها فدبغتموه فانتفعتم
به قوله وعدا عليه قال الزجاج انه منصوب بمعنى قوله بان لهم الجنة كانه قيل وعدهم وعدا فهو مصدر مؤكد وكذا قوله حقا وهو نعت للمصدر
مؤكد وما الذى حصل فى التوراة والانجيل والقرآن قيل وعد المجاهدين على الاطلاق وقيل ذكر هذا البيع لامة محمد وقيل
الامر بالقتال وَمَنْ أَوْفَى استفهام بمعنى الانكار اى لا احد اوفى بما وعد من الله لانه الغنى عن كل الحاجات القادر على كل
المقدورات وفى الاية انواع من التوكيدات فاولها قوله إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى واذا كان المشترى هو الاله الواجب لذاته المتصف
بجميع الكمالات المفيض لكل الخيرات فما ظنك به ومنها انه عبر عن ايصال الثواب بالبيع والشرى حتى يكون حقا مؤكدا
ومنها انه قال بان لهم الجنة بحرف التحقيق وبلام التمليك دون ان يقول بالجنة ومنها قوله وعدا وانه لا يخلف الميعاد ومنها
قوله عليه وكلمة على للوجوب ظاهرا ومنها قوله حقا وهو تاكيد التحقيق ومنها قوله فى التوراة والانجيل والقرآن وانه يجرى
مجرى الاشهاد لجميع الكتب الالهية وجميع الانبياء والرسل على هذه المبايعة ومنها قوله وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ وفيه تنبيه
على انه لا يكذب ولا يخلف البتة ومنها قوله فاستبشروا والبشارة الخبر الصدق الاول ومنها قوله وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ ثم وصف
الفوز بالعظيم واعلم ان هذه الخاتمة يقع على ثلثة اوجه احدها ذلك الفوز بغير هو وانه فى ستة مواضع فى براءة موضعين وفى
النساء والمائدة والصف والتغابن وما فى النساء بزيادة واو والاخر وذلك هو الفوز بزيادة هو وذلك فى ستة مواضع اخرى
براءة موضعين ويونس والمؤمن والدخان والحديد وما فى براءة احدهما بزيادة الواو وهو خاتمة هذه الاية وكل ما فى
المؤمن وسبب هذا الاختلاف ان الجملة اذا جاءت بعد جملة من غير تراخ بنزول جاءت مربوطة اما بواو العطف واما
بكناية تعود من الثانية الى الاولى واما باشارة فيها اليها وربما جمع بين شيئين منها والثلثة للدلالة على المبالغة وقد
جمع فى هذه الخاتمة بين الثلثة لغاية التوكيد والمبالغة لانه ذكر الكتب الثلثة فكل رابطة فى مقابلة كتاب واحد
ولك فى المؤمن وقع الثلثة فى مقابلة ثلثة ادعية فاغفر لهم وادخلهم قال ابو القاسم البلخى لا بد من حصول الاعواض
على الالام للاطفال والبهايم وقياسا على ما اثبته الله تع للمكلفين من العوض على الم القتل وهو الجنة ثم ذكر ان حكم سائر
المؤمنين كذلك فقال التَّائِبُونَ قال الزجاج انه مبتدأ محذوف الخبر اى التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا
كقوله وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وقيل التائبون رفع على البدل من الضمير فى يقاتلون وقيل مبتدأ خبره العابدون وما بعده
اى التائبون من الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال اما تفسير هذه الاوصاف فقد قال ابن عباس والحسن التائبون
هم الذين تابوا من الشرك وتبروا عن النفاق وما الاخرون الى التعميم ليشمل المعاصى ايضا اذ لا دليل على التخصيص والعابدون
قال ابن عباس الذين يرون عبادة الله واجبة عليهم وقال الحسن هم الذين عبدوا الله فى السراء والضراء والعبادة لا
شك انها عبادة عن نهاية التعظيم وغاية الخضوع وقال قتادة هم قوم اخذوا من ابدانهم فى ليلهم ونهارهم والحامدون

هم الذين يقومون بحق شكر نعم الله ويجعلون اظهار ذلك عادة لهم وقد مر ان الحمد ذكر من كان قبل ادم لقول الملائكة وَنَحْنُ
نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وذكر اهل الدنيا يقولون فى كل يوم سبع عشرة مرة الحمد لله رب العالمين وذكر من يكون بعد خراب الدنيا القوم
وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالسَّائِحُونَ قال عامة المفسرين هم الصائمون لقوله سياحة امتى الصيام ثم قيل هذا
صوم الفرض وقيل الذين يديمون الصيام قال الازهرى انما قيل للصائم سائح لان الذى يسيح فى الارض متعبدا لا زاد معه
يكون ممسكا عن الاكل والشرب كالصائم وقيل اصل السياحة الاستمرار على الذهاب كالماء الذى يسيح والصائم مستمر على
فعل الطاعة وترك المنهى من الاكل والشرب والوقاع وقال اهل المعنى الانسان اذا امتنع من الاكل والشرب انفتحت عليه ابواب
المعانى والحكم وتجلت له انوار المعارف والحقايق فيحصل له سياحة فى عالم العقول وقيل السائحون طلاب العلم ينتقلون
من بلد الى بلد فى طلب العلم فى مظانه وكانت السياحة فى بنى اسرائيل قال عكرمة عن وهب بن منبه لا ريب ان للسياحة اثرا
عظيما فى تكميل النفس لانه يلقى انواعا من الضر والبؤس فيصبر عليها وقد ينقطع زاده فيتوكل على الله فيصير ذلك ملكة له وقد
ينتفع بالمشاهد والزيارات للاحياء والاموات ويستفيد ممن هو فوقه ويفيد من هو دونه ويكتسب التجارب فى معرفة الاحوال
والاخلاق والسير والاثار الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ يعنى المصلين قال بعض العلماء انما جعل الركوع والسجود كناية عن الصلوة
لان سائر هيئات المصلى موافقة للعادة كالقيام والقعود وانما الفصل بين المصلى وغيره بالركوع والسجود وقيل ولى مراتب
التواضع القيام واوسطها الركوع وغايتها السجود فخصا بالذكر تنبيها على ان المقصود من الصلوة نهاية الخضوع ثم قال الْآمِرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ ومعناهما مذكور فيما مر الا ان ههنا بحثا اخر وهو انه لم ادخل الواو فى قوله وَالنَّاهُونَ
وَالْحَافِظُونَ دون سائر الاوصاف واجيب بان النسق يجئ بالواو وبغيرها كقوله غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ
الْعِقَابِ او المراد ان الموصوفين بالصفات الستة هم الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر ويكون فيه ترغيب فى الجهاد
لان راس المعروف الايمان بالله وراس المنكر الكفر والجهاد يوجب حصول الايمان وازالة الكفر او النهى عن المنكر اصعب اقسام
التكاليف لافضائه فى الاغلب الى الخصومة وثوران الغضب فادخل عليه الواو تنبيها على هذه المخالفة والمباينة ولبعض النحويين
جواب عام يشمل هذه الاية وما فى الكهف فى قوله وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ وما فى الزمر فى قوله فى ذكر الجنة وفتحت
ابوابها وما فى التحريم فى قوله ثيبات وابكارا وذلك انهم سموا هذه الواو واو الثمانية قائلين ان السبعة نهاية العدد
ولهذا اكثر ذكرها فى القرآن والاخبار فالثمانية تجرى مجرى استيناف كلام فلهذا فصل بالواو واما قوله وَالْحَافِظُونَ
لِحُدُودِ اللَّهِ فكالاجمال بعد التفصيل وذلك ان التكاليف اما ان يتعلق بمصالح الدين وهى باب العبادات من الصلوة والزكوة
والصوم والحج والجهاد والاعتاق والنذور ونحوها او بمصالح الدنيا وهى المعاملات وانها اما لجلب المنافع او لدفع المضار
والمنافع اما ان يكون مقصودة بالاصالة او بالتبعية فالمقصودة بالاصالة هى المنافع الحاصلة من طرق الحواس الخمس
وهى المذوقات ويدخل فيها كتاب الاطعمة والاشربة والصيد والذبائح والضحايا والملموسات ويدخل فيها باب احكام
الوقاع فمنها ما يفيد حله كابواب النكاح والرضاع وما يتبعها من المهر والنفقة والسكنى واحوال القسم والنشوز ومنها ما
يوجب ازالته كالطلاق والخلع والايلاء والظهار واللعان ومن احكام الملبوسات البحث عما يحل لبسه واستعماله وعما
لا يحل كالاوانى الذهبية وغيرها والمبصرات وهو باب ما يحل النظر اليه وما لا يحل والمسموعات وهو باب ما يحل سماعه
وما لا يحل والمشمومات وقد قيل انه ليس للفقهاء فيه مجال ويحتمل ان يقال ان منها جواز استعمال الطيب فى بعض الاوقات
ومنعه فى بعضها كحالة الاحرام ومنها ما يكره كاكل البصل والثوم للمصلى بالجماعة فى المسجد والمنافع المقصودة بالتبعية هى
الاموال والبحث عنها اما من جهة الاسباب المفيدة للملك كالارث والهبة والوصية واحياء الاموات والالتقاط واخذ
الفئ والغنائم والزكوات وكالبيع بيع العين بالعين وهو السلم او بالعكس كما اذا اشترى شيئا فى الذمة او بيع الدين بالدين
وهو بيع الكالى بالكالى المنهى عنه الا عند تقاص الدينين او من جهة الاسباب المفيدة للمنفعة كالاجارة والجعالة وعقد
المضاربة او من جهة الاسباب التى توجب لغير المالك التصرف فيه كالوكالة والوديعة او من جهة الاسباب التى تمنع المالك
التصرف فى ملكه كالرهن والاجارة والتفليس واما دفع المضار والمضرة اما فى النفس وهو كتاب الجراح او فى الدين وهو كتاب
الجهاد وباب الارتداد واحكام البغاة واما فى النسب وهو باب احكام الزنى والقذف واللعان واما فى العقل كباب تحريم
الخمر واما فى المال والضرر فيه اما على سبيل الاعلان والجهار وهو الغصب وقطع الطريق او على سبيل الخفية وهو السرقة
وههنا باب اخر وهو ان كل احد لا يمكنه استيفاء حقوقه من المنافع ودفع المضار بنفسه عن نفسه لضعفه فلهذا السبب
نصب الله الامام لتنفيذ الاحكام وقد يكون للامام نواب هم الامراء والقضاة وليس قول الغير مقبولا الا بحجة وهى

الجزء العاشر

الشهادة والايمان فحصل من ذلك كتاب ادب القضاء وباب الدعاوى والبينات فهذا ما امكن من ضبط معاقد تكا
الله تعالى واحكامه وحدوده وكلها منوطة باعمال الجوارح دون اعمال القلوب التي لا يطلع عليها الا الله تعالى ولكن قوله و
الحافظون لحدود الله يشمل ذلك ايضا بل رعايتها اهم من رعاية احوال الظواهر ثم ختم الاية بتكرير البشارة وفيه من كمال
العناية ما فيه ولما بين من اول السورة الى ههنا وجوب اظهار البرائة من المنافقين والكفرة الاحياء اراد ان يبين وجوب
البرائة من امواتهم ايضا وان كانوا اقارب فقال ما كان للنبي ومعناه النهي اي ما صح له وما استقام وما ينبغي له ذلك ثم علل
المنع بقوله من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم لانهم ماتوا على الشرك وقد قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به فطلب غفرانهم جار
مجرى اخلاف وعد الله ووعيده وفيه حط لرتبة نبيه حيث يدعو بما لا يستجاب له وهذه العلة لا يختلف بان يكونوا من
الاباعد او من الاقارب فلهذا بالغ فيه بقوله ولو كانوا اولي قربى روى الواحدي باسناده عن سعيد بن المسيب عن ابيه قال
لما حضر ابا طالب الوفاة دخل عليه رسول الله صلعم وعنده ابو جهل وعبد الله بن ابي امية فقال اي عم قل لا اله الا الله كلمة
احاج لك بها عند الله فقال ابو جهل وابن ابي امية يا ابا طالب اترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزالا يكلمانه حتى قال اخر شيء
كلمهم به انا على ملة عبد المطلب فقال النبي صلعم لاستغفرن لك ما لم انه عنه فاستغفر له بعدما مات فقال المسلمون ما
يمنعنا ان نستغفر لاباءنا ولذوي قرابتنا قد استغفر ابرهيم لابيه وهذا محمد يستغفر لعمه فاستغفروا للمشركين فنزلت
ما كان للنبي الاية وقيل عن ابن عباس لما افتتح مكة سئل اي ابويه احدث به عهدا اي اخرهما موتا فقيل امنة فزار صلعم
قبرها ثم قام باكيا فقال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي فيه ونزل
ما كان النبي الاية وقال بعضهم كصاحب الكشاف والحسين بن الفضل هذا اصح لان هذه السورة من اخر القران نزولا
وكانت وفاة ابي طالب بمكة في اول الاسلام ويمكن ان يوجه الاول بانه صلعم لعله بقي مستغفرا الى حين نزول الاية ثم اعتذر
عن استغفار ابرهيم لابيه بانه صدر عن موعدة وعدها اياه وذلك ان اباه كان وعد ابرهيم ان يؤمن فكان يستغفر له
بناء على ذلك الوعد فلما تبين لابرهيم انه عدو لله اما باصراره على الكفر او بموته على ذلك او بطريق الوحي تبرأ منه وترك
الاستغفار ويجوز ان يكون الواعد ابرهيم ع ويوافقه قراءة الحسن وعدها اباه بالباء الموحدة وذلك في قوله
لاستغفرن لك وعده ان يستغفر له رجاء اسلامه وقيل المراد من استغفار ابرهيم لابيه دعاءه له الى الاسلام الموجب
للغفران وكان يتضرع الى الله تعالى ان يرزقه الايمان وقيل المقصود النهي عن صلوة الجنازة فكان قوله ولا تصل على
احد منهم في حق المنافقين خاصة وهذه في حق الكافرين عامة ثم ختم الاية بقوله ان ابرهيم لاواه حليم قال اهل
اللغة اواه فعال من اوه كلمة يقولها المتوجع وذلك ان الروح القلبي يختنق عند الحزن في داخل القلب
ويشتد حرارته فاذا تكلم صاحبه بها خرج ذلك النفس المختنق فخفف بعض ما به عن النبي صلعم انه قال الاواه الخاشع المتضرع
والحليم ضد السفيه وصفه بهما لبيان شدة الرأفة والشفقة والخوف والوجل فبين ان ابرهيم مع هذه العادة تبرأ من ابيه
حين انقطع رجاؤه منه فانتم بهذا المعنى اولى ثم ان المسلمين خافوا ان يؤاخذوا بما سلف منهم من الاستغفار للمشركين
فانزل الله وما كان الله ليضل قوما اي عن طريق الجنة ويحكم عليهم بالضلال ويخذلهم او يوقع الضلالة في قلوبهم حتى
يكون منهم الامر الذي يستحق به العقاب بعد اذ هديهم حتى يبين لهم ما يتقون ما يجب عليهم ان يحترزوا عنه والحاصل
ان الله لا يسمي قوما ضلالا بعد اذ سماهم مهتدين ما لم يقدموا على شيء مبين حظره واما قبل العلم والبيان فلا يؤاخذهم كما
لم يؤاخذ بشرب الخمر والربوا قبل تحريمهما وفي الاية تشديد عظيم حيث جعل المهدي للاسلام اذا اقدم على بعض المحظورات داخلا
في حكم الضلال ثم قال ان الله بكل شيء عليم ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت والمراد ان من كان عالما قادرا
هكذا لم يحتج الى ان يفعل العقاب قبل البيان وازاحة العذر قالت المعتزلة وفيه دليل على انه يقبح من الله الابتداء بالعقاب
واجيب بان له ذلك بحكم المالكية غاية ما في الباب انه لا يعاقب الا بعد ازاحة العذر عادة وفي قوله ان الله له ملك السموات
والارض فائدة اخرى هي انه لما امر بالبرائة من الكفار بين غاية قدرته ونهاية نصرته لمن اراد استظهار المسلمين كيلا
يضعف قلوبهم بالانقطاع عن الاقارب والانصار كانه قال وجب عليكم ان تنقطعوا الى حكمي وتتكلوا علي لاني الحكم وانتم عبيدي
ثم عاد الى بقية احكام الكفار فقال لقد تاب الله على النبي الاية وفيها تفسير الاية على اسولة مع جواباتها فالسوال الاول
ان قبول التوبة دليل سبق الذنب والنبي معصوم والمهاجرون والانصار الذين اتبعوه تحملوا اعباء ذلك السفر الطويل فكان
اللايق بحالهم ان يثني عليهم والجواب انه ما من مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار لانه لا ينفك عن هفوة اما من
باب الكبائر واما من باب الصغائر واما من باب ترك الاولى والافضل كما اشير الى ذلك في حق النبي صلعم بقوله عفا الله عنك

لم اذنت

التوبة

لم اذنت لهم ولعله قد وقع في قلوب المؤمنين نوع نفرة من تلك السفرة لما عاينوا المتاعب لا اقل من الوساوس و
الهواجس فاخبر الله سبحانه ان تلك الشدائد صارت مكفرة لجميع الزلات التي صدرت عنهم في ذلك السفر بل في مدة عمرهم و
صارت قائمة مقام التوبة المقرونة بالاخلاص ويجوز ان يكون ذكر الرسول لاجل تعظيم شان المهاجرين والانصار لا لانه
صدر عنه ذنب السوال الثاني ما المراد بساعة العسرة فالجواب قد يستعمل الساعة في معنى الزمان المطلق والعسرة تعذر
الامر وصعوبته والمراد الزمان الذي صعب عليهم الامر جدا في ذلك السفر كانوا في عسرة من الظهر يتعقب العشرة على بعير
واحد وفي عسرة من الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة المنتنة وقد بلغت منهم الشدة الى ان اقتسم
التمرة اثنان ثم الى ان مصها جماعة ليشربوا عليها الماء وفي عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها وفي شدة زمان من
حرارة القيظ كما قال المنافقون لا تنفروا في الحر وقال ابو مسلم يجوز ان يراد بساعة العسرة جميع الاحوال والاوقات العسرة
التي مرت عليهم في غزواتهم كما ذكر الله تعالى في غزوة الخندق واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر الثالث ما معنى
كاد تزيغ وكيف اعرابه والجواب انهما استعمالان كاد زيد يخرج زيد ومعنى الاول كاد زيد خارجا اي قارب الخروج ومعنى الثاني (هكاد يخرج)
كان الشان يكون كذا يعني قارب الشان هذا الخبر وشبهه سيبويه بقولهم خلق الله مثله اي ليس الشان ذاك ولكن ضده
والزيغ الميل عن الجادة قيل قارب بعضهم ان يميل عن الايمان وقيل هم بعضهم عند تلك الشدة بالمفارقة ثم حبسوا انفسهم وصبروا
وثبتوا وندموا وقيل ما كان الا حديث نفس بلا عزيمة ومع ذلك خافوا ان يكون معصية الرابع ذكر التوبة في اول الاية
فلم كررها في قوله ثم تاب عليهم الجواب لعل الضمير في عليهم الى الفريق فلا تكرار وان عاد الى النبي ع والمهاجرين والانصار جميعا
فالتكرير للتوكيد مع رعاية دقيقة هي ان التوبة اكتنفت الذنب من جانبيه وذلك انه بدأ بذكر التوبة قبل ذكر الذنب تطييبا
لقلوبهم ثم ذكر الذنب ثم اردفه بذكر التوبة ليدل على ان العفو عفو متاكد كما يقول السلطان عند كمال الرضى عفوت عنك (ثم عفوت عنك)
واليه الاشارة بقوله صلعم ان الله يغفر ذنب الرجل المسلم عشرين مرة وقال ابن عباس في تفسير قوله ثم تاب عليهم يريد ازداد
عنهم رضى ثم اكد هذه المعاني بقوله انه بهم رؤف رحيم فيشبه ان يراد بالرأفة ازالة الضرر وبالرحمة ايصال المنفعة
او الاول رحمة سابقة والثاني لاحقة الخامس الثلثة الذين خلفوا من هم الجواب هم المرجون لامر الله كما مر سموا مخلفين
كما سموا مرجئين اي مؤخرين عن ابي لبابة واصحابه حيث يتب عليهم بعد اولئك وقيل لانهم خلفوا عن الغزو ومثله قراءة
من قرأ بالتخفيف اي خلفوا الغازين وقيل الخلف من خلوف الفم اي فسدوا وقرأ جعفر الصادق ع خالفوا حتى اذا ضاقت
عليهم الارض مع سعتها وهو مثل للحيرة في الامر وضاقت عليهم انفسهم اي قلوبهم لا يسعها انس ولا سرور وظنوا اي علموا
وتيقنوا ان لا ملجأ من سخط الله الا الى استغفاره كقوله ع اعوذ بك منك وقيل الظن بمعناه الاصلي وهو الرجحان وذلك
انهم ما كانوا قاطعين بان ينزل الله في شانهم قرانا وان سلم انهم قطعوا بذلك الا انهم جوزوا ان يكون المدة قصيرة وجواب
اذا محذوف والتقدير حتى اذا كان كذا وكذا تاب عليهم وحسن حذفه لتقدم ذكره عن كعب بن مالك قال لما قفل رسول الله
سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعد ما كان ذكرني في الطريق وقال ليت شعري ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن برديه
والنظر في عطفيه فقال معاذ الله ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا ايها الثلثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا احد
من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة سلع
وهو جبل بالمدينة ابشر يا كعب بن مالك فخررت ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الارض بما رحبت وتتابعت البشارة
فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول الله صلعم فاذا هو جالس في المجلس وحوله المسلمون فقام الي طلحة بن عبيد الله هرول الي حتى صافحني
وقال لتهنئك توبة الله عليك فلن انساها لطلحة وقال رسول الله صلعم وهو يستنير استنارة القمر ابشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ
ولدتك امك ثم تلا علينا الاية سئل ابو بكر الوراق عن التوبة النصوح فقال ان تضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق
عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه السادس قد عرفنا فائدة قوله تاب عليهم ثم تاب عليهم فما فائدة قوله ثم تاب عليهم ليتوبوا
الجواب معناه رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم او تاب عليهم في الماضي ليتوبوا في المستقبل
اذا فرطت منهم خطيئة علما منهم بان الله تواب ولو عاد في اليوم مائة مرة او تاب عليهم ليرجعوا الى حالهم وعادتهم في الاختلاط
بالمؤمنين او تاب عليهم لينتفعوا بالتوبة وثوابها لان الانتفاع بها لا يحصل الا بعد توبة الله عليهم وقالت الاشاعرة (على من تاب)
المقصود بيان ان فعل العبد مخلوق لله تعالى حتى انه لو لم يتب عليهم لم يتوبوا وايضا قالوا الاية دالة على ان قبول التوبة
غير واجب عقلا لان توبة هؤلاء قد حصلت في اول الامر ثم انه ع لم يلتفت اليهم وتركهم خمسين يوما ويمكن ان يجاب بان
شرائط التوبة من الاخلاص والنصح وغير ذلك لعلها لم تكن حاصلة من اول الامر فلهذا تأخر القبول دليله قوله تعالى حتى اذا

ضاقت

ضاقت الاية ثم حث سبحانه المؤمنين على ملازمة سيرة التقوى والانضمام فى زمرة اهل الصدق لا النفاق فقال يا ايها الذين امنوا الاية قال بعض العلماء ظاهر الامر للوجوب فهو يجب على المؤمنين ان يكونوا مع الصادقين لا بمعنى ان يكونوا على طريقهم وسيرتهم لان ذلك عدول عن الظاهر بل بمعنى المصاحبة والكون مع الشئ مشروط بوجود ذلك الشئ فلا بد من وجود الصادقين ثم انه ثبت بالتواتر من دين محمد ان التكاليف المذكورة فى القران متوجهة على المكلفين الى يوم القيمة فلا يكون هذا الامر مختصا بالكون مع الرسول واصحابه فى الغزوات بل اعم من ذلك ثم ان الصادق لا يجوز ان يكون متعينا فى الامام المعصوم الذى يمتنع خلو زمان التكليف عنه كما يقوله الشيعة لان كون كل واحد من المؤمنين مع ذلك الصادق بعد تسليم وجوده تكليف بما لا يطاق فالمراد بالصادقين اهل الحل والعقد فى كل حين والمراد انهم اذا اجمعوا على شئ كانوا صادقين فيه محقين ويجب على الباقين ان يكونوا معهم ظاهرا وباطنا قال اكثر المفسرين الصادقون هم الذين صدقوا فى دين الله وفيما عاهدوا عليه من الطاعة نية وقولا وعملا وقيل اى كونوا مع الثلثة المذكورين فى الصحة والثبات وعن ابن عباس الخطاب لمن امن من اهل الكتاب اى وافقوا المهاجرين والانصار فى الصدق وقيل الخطاب للذين تخلفوا وربطوا انفسهم على السوارى وفى الاية دلالة على فضيلة الصدق وكمال درجته ومن خصائص الصدق ما روى ان اعرابيا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انى اريد ان او من بك الا انى احب الخمر والزنى والسرقة والكذب والناس يقولون انك تحرم هذه الاشياء كلها ولا طاقة لى بتركها فان قنعت منى بترك واحد امنت بك فقبل ذلك وشرط له الصدق ثم اسلم فلما خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضوا عليه الخمر فقال ان شربت فان سئلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شربها وكذبت فقد نقضت العهد وان صدقت اقام الحد على فتركها ثم عرض عليه الزنى فجاءه ذلك الخاطر فتركه وكذا فى السرقة فعاد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما احسن ما فعلت لما منعتنى عن الكذب انسد ابواب المعاصى على وتاب عن الكل ومن فضائل الصدق ان الايمان منه لا من ساير الطاعات ومن معايب الكذب ان الكفر منه لا من ساير الذنوب ومن مثالب الكذب ان ابليس مع تمرده وكفره استنكف منه حتى استثنى فى قوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين ثم المقتضى لقبح الكذب هو كونه كذبا عند الاشاعرة وكونه مفضيا الى المفاسد عند المعتزلة والله اعلم التاويل ان الله اشترى فى التقدير الازلى ولهذا تيسر لهم الابذال للنفس والمال فى الجهاد الاصغر وفى الجهاد الاكبر وانه كما اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة اشترى من اوليائه الصديقين قلوبهم وارواحهم بان لهم التائبون عما سوى الله العابدون المتوجهون اليه على قدم العبودية الحامدون له على ما وفقهم لنعمة طلبه السائحون السائرون اليه بقدمى الصبر والشكر او التزهد والتولى الراكعون اى الراجعون عن مقام القيام بوجودهم الى القيام بوجده الساجدون الساقطون على عتبة الوحدة بلاهم الامرون بالمعروف الحقيقى الناهون عما سواه والحافظون لحدود الله لئلا يتجاوز عن طلبه الى طلب غيره ما كان للنبى فيه ان الاجتهاد ليس سببا لنيل المراد وان الهداية من مواهب الربوبية لا من مراتب العبودية ان ابرهيم لاواه الاواه هو المتبرئ من المخلوقات لكثرة نيل المواجيد والكرامات فيكون لضيق البشرية تولاه بمولاه تمهما ورده وان الحق ضاق عليه نطاق الخلق فيتاوه عند تنفس القلب المضطر من الخلق الى الحق حليم عما اصابه من الخلق والحق فلا رجوع له من الحق الى الخلق بحال من الاحوال ولهذا قال لجبرئيل حين سئله الك حاجة اما اليك فلا وما كان الله ليضل قوما ليردهم بالمكر الى الانسية والبعد بعد اذ هديهم الى الوحدانية والفردانية بالتوحيد والتفريد حتى يبين لهم ما يتقون من افات البشرية ودعاهما الدنيا فهى راس كل خطيئة فان لم يحترزوا عنها ومتوا بالاستدراج الى حيث خرجوا عنها نعوذ بالله من الحور بعد الكور او نقول ان الله نعم بعد اذ هديهم بالافناء عن الوجود الى البقاء بالجود لا يردهم الى البقاء البقاء وهو الاثبات بعد المحو والصحو بعد السكر وقد سماه المشايخ الاثبات الثانى حتى يبين لهم ما يتقون من الاعمال والاقوال رعاية لتلك الاحوال ان الله له ملك السموات القلوب وارض النفوس يحيى بنور ربوبيته من يشاء ويميت عن صفات بشريته من يشاء وما لكم من دون الله من ولى فلا يشغلنكم طلب الملك عن المالك فان طالب الملك لا يجد الملك ولا المالك وطالب المالك يجد الملك ولا المالك وطالب المالك يجد الملك والمالك جميعا لقد تاب الله على النبى التوبة فضل من الله ورحمة وقدم ذكر النبى صلى الله عليه وسلم على المهاجرين ليكون وصول فضله اليهم بعد العبور على النبى تحقيقا لقوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين الذين اتبعوه فى ساعة عسرة الدنيا وترك شهواتها او نقول لقد تاب الله اى فاض انوار عرفانه على نبى الروح ومهاجرى صفاته الذين هاجروا معه من مكة عالم الروح الى مدينة الجسد والانصار من القلب والنفس وصفاتهما الذين اتبعوه فى ساعة رجوعه الى مدينة الجسد والانصار من القلب والنفس وصفاتهما الذين اتبعوه فى ساعة رجوعهم الى عالم العلو بالعسرة لانهم من عالم السفل وعلى الثلثة الذين خلفوا من النفس والهوى والطبع وما تبعوا الروح عند رجوعه الى عالمه ابتداء حتى اذا ضاقت عليهم

التأويل

ارض البشرية شوقا الى تلك الحضرة وضاقت عليهم انفسهم تحننا الى تلك السعادات وتحققهم بنور اليقين ان لو بقوا فى السفل لا ملجأ لهم من عذاب البعد عن الله الا الفرار اليه ثم تاب عليهم بجذبة العناية ولو وكلهم الى طبيعتهم ما سلكوا طريق الحق ابدا مع الصادقين الذين صدقوا يوم الميثاق والله اعلم

ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين وإذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون اولا يرون انهم يفتنون فى كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون وإذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يريكم من احد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بانهم قوم لا يفقهون لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم فان تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم

القراءات موطيا ونحوه بالياء يزيد والشمونى وفى الوقف غلظة بفتح العين المفضل الباقون بكسرها ولا ترون بتاء الخطاب للمؤمنين حمزة ويعقوب الباقون على الغيبة الوقوف عن نفسه ط صالح ط المحسنين لا للعطف يعملون كافة ط يحذرون ه غلظة ط المتقين ه ايمانا ج يستبشرون ه كافرون ه يذكرون ه الى بعض ط لحق المحذوف اى يقولون هل يريكم ثم انصرفوا لا يفقهون ه عزيز على تاويل عليه شفاعة ما عنتم والصحيح الوصل لان المعنى شديد عليه ما اثمتم ولا وقف فى الاية الى قوله رحيم حسبى الله والاصح الوصل على جعل الجملة حالا اى يكفى الله عزيزا منفردا فى الالوهية الا هو العظيم التفسير لما امر بموافقة النبى واصحابه فى جميع الغزوات والمشاهد بقوله وكونوا مع الصادقين اكد ذلك المعنى بالنهى عن التخلف عنه فقال ما كان لاهل المدينة اى لا يستقيم ولا يجوز لهم والاعراب الذين كانوا حول المدينة قد ذكرنا عن ابن عباس انهم مزينة وجهينة واشجع واسلم وغفار وكان المراد المعروفين منهم والا فاللفظ عام ومعنى ولا يرغبوا ولا ان يرغبوا يقال رغبت بنفسى عن هذا الامر اى بخلت بها عليه ولا اتركها له والمراد انه لا يصح لهم ان يرغبوا عن صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب صلاح انفسهم وبقائها بل عليهم ان يصحبوه على البأساء والضراء وان يرضوا لانفسهم ما يرضاه الرسول لنفسه لان نفسه اعز نفس عند الله فاذا تعرضت مع كرامتها للخوض فى شدة وجب على سائر الانفس ان لا يضنوا بها على ما سمح بنفسه عليه وفى هذا النهى مع التهييج توبيخ عظيم ولا يخفى ان الجهاد لا يجب على كل فرد بعينه للاجماع وان اصحاب الاعذار من الضعفاء والمرضى ونحوهم مخصوصون بالعقل وبالنقل فيبقى ما وراء هاتين الصورتين داخلا تحت عموم الاية ثم ذكر ترغيبا يجرى مجرى علة المنع من التخلف فقال ذلك بانهم اى الوجوب الدال عليه بقوله ما كان لهم بسبب انهم مثابون على انواع المتاعب واصناف الشدائد بل على جميع

خ

ع ٥

التفسير

الحركات والسكنات مدة الذهاب والاياب الظماء شدة العطش والنصب الاعياء والتعب والمخمصة المجاعة الشديدة التي تظهر ضمور البطن والموطئ مصدر كالمورد او مكان وعلى التقديرين الضمير في يغيظ عائد الى الوطئ الصريح او المقدر ثم الوطئ يجوز ان يكون حقيقة فيراد به الدوس بالاقدام وبحوافر الخيول وباخفاف الابل ويجوز ان يكون مجازا فيراد به الايقاع والاهلاك قال ابن الاعرابي غاظه وغيظه واغاظه بمعنى ويقال نال منه اذا رزأه ونقصه وهو عام في كل ما يسوءهم ويلحق بهم ضررا من قتل او اسر او غنيمة او هزيمة والمراد انهم لا يتصرفون في ارض الكفار تصرفا يغيظهم ويرزاهم شيئا الا كتب لهم به عمل صالح وفيه دليل على ان من قصد طاعة الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته وسكونه كلها حسنات مكتوبة عند الله وكذا القول في طرف المعصية ولكن بالضد فما اعظم بركة الطاعة وما اشد شؤم المعصية وبهذه الاية استشهد اصحاب ابي حنيفة ان المدد القادم بعد انقضاء الحرب يشارك الجيش في الغنيمة لان وطئ ديارهم مما يغيظهم وينكي فيهم وقال الشافعي لا يشاركون الغانمين في الغنيمة وان شاركوهم في الثواب لان الغنيمة من خواص المحاربين ومن قد تعاطى حظرا قال قتادة هذا الحكم من خواص رسول الله صلعم اذا غزا بنفسه فليس لاحد ان يتخلف عنه الا بعذر وقال ابن زيد هذا حين كان المسلمون في قلة فلما كثروا نسخها الله بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال عطية ما كان لهم التخلف اذا دعاهم الرسول وامرهم قال العلماء وكذلك غيره من الائمة والولاة واذا عين طائفة لانا لو سوغنا للمندوب ان يتقاعد لم يختص بذلك بعض دون بعض فيؤدي الى تعطيل الجهاد قوله ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة قال المفسرون يريد تمرة فما فوقها وعلاقة سوط وما ارفع عليها مثل ما انفق عثمان في جيش العسرة ولا يقطعون واديا اي ارضا في ذهابهم ومجيئهم وهذا شايع في استعمال العرب يقولون لا تصل في وادي غيرك وهو في الاصل فاعل من ودى اذا سال والوادي كل منعطف بين جبال واكام يكون منفذا للسيل الا كتب لهم ذلك الانفاق والقطع او ذلك العمل الصالح المعهود في الاية المتقدمة ثم ذكر غاية الكتب فقال ليجزيهم اي اثبت في صحائفهم لاجل الجزاء جزاء احسن من اعمالهم واجل وقيل الاحسن من صفة الفعل اي يجزيهم على الاحسن وهو الواجب والمندوب دون المباح واعلم انه سبحانه عد اشياء بعضها ليس من اعمال المجاهدين وهو الظماء والنصب والمخمصة وباقيها من اعمالهم وهي الوطئ والنيل والانفاق وقطع الارض وقسم هذا الباقي قسمين ضم شطرا منه الى ما ليس من اعمالهم تنبيها على انه في الثواب جار مجرى عملهم ولهذا صرح بذلك فقال الا كتب لهم به عمل صالح اي جزاء عمل صالح واكد ذلك بقوله ان الله لا يضيع اجر المحسنين ثم اورد الشطر الباقي لغرض اخر وهو الوعد باحسن الجزاء واقتصر ههنا على قوله الا كتب لهم لان هذا القسم من عملهم فلم يحتج الى تصريح بذلك او اكتفاء بما تقدم او لان الضمير عائد الى المصدر الدال عليه الفعل والله تعالى اعلم بمراده ثم قال وما كان المؤمنون وفيه قولان احدهما انه من بقية احكام الجهاد لانه سبحانه لما بالغ في عيوب المنافقين كان المسلمون اذا بعث رسول الله صلعم سرية الى الكفار ينفرون جميعا ويتركونه بالمدينة وحده فنزلت الاية قال ابن عباس والمعنى انه لا يجوز للمؤمنين ان ينفروا باسرهم الى الجهاد بل يجب ان يصيروا طائفتين احداهما الملازمة لخدمة الرسول والاخرى النفير الى الغزو ثم ههنا احتمالان لانه قال محرضا فلولا نفر اي هلا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين فذهب الاكثر الى ان الضمير في ليتفقهوا عائد الى الفرقة الباقية في حضرة الرسول صلعم لانهم اذا بقوا في خدمته شاهدوا الوحي والتنزيل وضبطوا ما حدث من الشرائع وعلى هذا فلا بد من اضمار والتقدير فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة واقام طائفة ليتفقه المقيمون في الدين ولينذروا قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون معاصي الله عند ذلك وبهذا الطريق يتم امر الدين بهاتين الطائفتين والا ضاع احد الشقين والاحتمال الاخر ما روي عن الحسن ان الضمير يعود الى الطائفة النافرة وتفقههم هو انهم يشاهدون ظهور المسلمين على المشركين وان العدد القليل منهم من غير زاد ولا سلاح كيف يغلبون الجم الغفير من الكفار فيتنبهون لدقائق صنع الله في اعلاء كلمته فاذا رجعوا الى قومهم انذروهم بما شاهدوا من دلائل الحق فيحذروا اي يتركوا الكفر والشرك والنفاق القول الثاني انه ليس من بقية احكام الجهاد وانما هو حكم مستقل بنفسه ووجه النظم ان الجهاد امر يتعلق بالسفر وكذا التفقه اما في زمن الرسول صلعم فوجوبه ظاهر لمن ليس بحضرته حتى يصل اليه ويستفيد من خدمته لان الشريعة ما كانت مستقرة بل كانت تتجدد كل يوم شيئا فشيئا واما في زماننا فلا ريب انه متى عجز عن التفقه الا بالسفر وجب عليه وان كان في الحضر فلا شك ان للسفر بركة اخرى يعرفها كل من زاول الاسفار وحاول الاخطار ومعنى ليتفقهوا ليتكلفوا الفقاهة في الدين ويتجشموا المتاعب في اخذها وتحصيلها والفقه في الاصطلاح هو العلم بالاحكام الشرعية الفرعية المستنبطة من دلائلها التفصيلية والظاهر ان المراد في الاية اعم من ذلك بحيث يشمل علوم الشرع كلها من التفسير والحديث واصول الدين واصول الفقه ومقدمات كل من ذلك وغاياتها بحسب الامكان النوعي او الشخصي وفي قوله ولينذروا قومهم اشارة الى ان الغرض الاصلي من التعلم هو الانذار

والارشاد

والارشاد لا ما يتوخاه علماء السوء من الاغراض الفاسدة كالمطاعم والملابس والمفاخر اعاذنا الله تعالى بفضله من قبح النية وفساد الطوية وجعلنا ممن لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا القائلون بان خبر الواحد حجة قالوا اوجب الله تعالى ان يخرج من كل فرقة طائفة والخارج من الثلاثة يكون اثنين او واحدا ثم انه اوجب العمل باخبارهم بقوله ولينذروا و اجيب بان ايجاب الانذار لا يدل على وجوب العمل لان الشاهد الواحد يلزمه اداء الشهادة وان لم يلزم القبول ورد بان قوله لعلهم يحذرون ايجاب للعمل باخبارهم ثم ارشد سبحانه الى ترتيب القتال فقال يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم اي يقربون منكم مبتدأ من الاقرب منتقلا الى الابعد والقتال واجب مع كافة الكفرة باية القتال ولكن هذه الاية اخص لان الغرض منها الترتيب فاما ان يبدع الى قتال الابعد قبل دفع الاقرب بضرورة فلا يكون هذه منسوخة باية القتال على ما نقل عن الحسن وانما وجب الابتداء بالغزو من المواضع القريبة لان قتال الكل دفعة متعذر وللاقرب ترجيح ظاهر كما في الدعوة وكما في سائر المهمات مثلا في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يبتدأ بالجمع الحاضرين ثم ينتقل الى الغائبين وايضا المؤنة في قتال الاقربين من النفقة والدواب تكون اقل والقتال معهم يكون اسهل للوقوف على احوالهم وعدد عسكرهم والفرقة المجاهدة اذا تجاوزوا من الاقرب الى الابعد فقد عرضوا الذراري للفتنة وقد حارب رسول الله صلعم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم غزا الشام ويروى ان اعرابيا جلس على المائدة وكان يمد يده الى الجوانب البعيدة من تلك المائدة فقال صلعم كل مما يليك فثبت بهذه الوجوه ان الابتداء بالاقرب فالاقرب واجب ما لم يضطر الى الابعد لضرورة وقوله وليجدوا فيكم غلظة اي شدة نظيره قوله واغلظ عليهم ومن قرأ بفتح الغين فهو المصدر ايضا كالسخطة وهي لفظة جامعة للجراءة والصبر على القتال ولشدة العداوة والعنف في القتل والاسر كل ذلك فيما يتصل بالدعوة الى الدين اما باقامة الحجة واما بالسيف اما فيما يتصل بالبيع والشري والمجالسة فلا ولكن بتقوى الله سبحانه على ذكر منه في موارده ومصادره ولهذا ختم الاية بقوله واعلموا ان الله مع المتقين فان قتله قتله لله وان تركه على الجزية تركه لله وان كسر عدوه والامر الاخذ الغنيمة داعي فيه جد وداب الله ثم حكى بقية فضايح اعمال المنافقين فقال واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول اي يقول بعض المنافقين فقال واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول اي يقول بعض المنافقين لبعض انكارا واستهزاء بالمؤمنين المعتقدين زيادة الايمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به او يقولونه لقوم من المسلمين وغرضهم صرفهم عن الايمان والمقول ايكم مرفوع بالابتداء وخبره زادته هذه ايمانا ثم انه تعالى حكى انه حصل للمؤمنين بسبب نزول هذه السورة امران احدهما ازدياد الايمان وقد مر معناه في اول سورة الانفال والثاني الاستبشار وهو استدعاء البشارة اما بثواب الاخرة واما بالعزة والنصرة في الدنيا والمراد انهم يفرحون بسبب تلك التكاليف الزائدة من حيث انه يتوسل بها الى مزيد الثواب وحصل للمنافقين الذين لهم عقائد فاسدة واخلاق ذميمة امران اولهما زيادة الرجس على الرجس لان تكذيب سورة بعد تكذيب مثلها انضمام كفر الى كفر او لان حصول حسد وغل ونفاق عقيب امثالها ازدياد ملكة ذميمة عقيب اخرى وثانيهما بقاؤهم على تلك العقائد والاعمال الى ان ماتوا لان الملكة الراسخة لا تزول الى ان مات صاحبها واسناد زيادة الرجس الى السورة اسناد حقيقي عند الاشاعرة لانهم يقولون انه سبحانه يخلق الكفر والايمان في العبد فلا يبعد احداث السورة فيهم الرجس واسناد مجازي عند المعتزلة لانهم يقولون انهم احدثوا الرجس من عند انفسهم حين نزول السورة بدليل ان الاخرين سمعوا السورة وازدادوا ايمانا والتحقيق فيه ان النفس الطاهرة النقية عن درن الدنيا باستيلاء حب الله والاخرة اذا سمعتها صار سماعها موجبا لازدياد رغبتها في الاخرة ونفرتها عن الدنيا واما النفس الحريصة المتهالكة على لذات الدنيا وطيباتها الغافلة عن حب الاخرة وعشق المولى اذا سمعتها مشتملة على تعريض النفس للقتل والمال للنهب بسبب الجهاد ازدادت نفرتها عنها وانكاره عليها وكل يقدر ثم عجب من حال المنافقين فقال اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين قال ابن عباس اي يمتحنون بالمرض ثم لا يتوبون من النفاق ولا يتعظون بذلك المرض كما يتعظ المؤمن وانه عند ذلك يتذكر ذنوبه وموقفه بين يدي ربه فيزيده ذلك ايمانا وخوفا وقال مجاهد بالقحط والجوع وقال قتادة بالغزو والجهاد فان تخلفوا وقعوا في السنة الناس بالطعن والخزي وان ذهبوا وهم على حالة النفاق عرضوا انفسهم للقتل واموالهم للنهب من غير فائدة وقال مقاتل كانوا يجتمعون على ذكر الرسول بالطعن فيخبره جبرئيل فيوبخهم بذلك فيعظهم فما كانوا يتعظون ثم ذكر نوعا اخر من مخازيهم فقال واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض اي سورة مشتملة على ذكرهم او اعم من ذلك والنظر نظر الطعن والاستهزاء والازدراء بالوحي قائلين هل يراكم من احد من المسلمين لننصرف فانا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم لان نظر التغامز دال على ما في الباطن من الانكار الشديد او ارادوا ان كان من ورائكم احد فلا تخرجوا والا فاخرجوا للتخلص من

منه الايذاء وسماع الباطل ثُمَّ انْصَرَفُوا اى من مكان الوحى الى مكانهم او عن استماع القران الى الطعن فيه ومعنى صَرَفَ
اللهُ قُلُوبَهُمْ قال ابن عباس منعهم عن كل رشد وخير وقال الحسن طَبَعَ اللهُ قُلُوبَهُمْ وقال الزجاج اضلّهم الله قالت الاشاعرة
هو اخبار عما فعل الله بهم من الصد عن الايمان والمنع منه وقالت المعتزلة هو دعاء عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عن الانشراح
او اخبار بانه صرفهم عن الالطاف التى يختص بها من امن بها والمراد صرف قلوبهم بما اورثهم من الغم والكمد قالوا ومعنى
قوله لَا يَفْقَهُونَ لا يتدبرون حتى يفقهوا وعند الاشاعرة هم قوم جبلوا على ذلك يحكى عن محمد بن اسحق انه قال لا تقولوا انصرفنا
من الصلوة فان قوما انصرفوا صرف الله قلوبهم لكن قولوا قضينا الصلوة كان مقصوده التفال باللفظ الوارد فى الخير دون
الشر فانه تعالى قال فَاِذَا قُضِيَتِ الصَّلوةُ فَانْتَشِرُوا فِى الْاَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ ثم لما امر رسوله فى هذه السورة بتبليغ تكاليف
شاقة يعسر تحملها ختم السورة بما يهون الخطب فى تحملها فقال لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ اَنْفُسِكُمْ اى من جنس البشر لا الملك لان
الجنس الى الجنس اميل ومن الف وانس والخطاب للعرب المقصود ترغيبهم فى نصرته والقيام بخدمته لان كل ما يحصل له من
الدولة والرفعة فان ذلك سبب لعزهم وفخرهم لانه من ابناء جلدتهم او الخطاب لاهل الحرم خاصة لانهم كانوا يسمون اهل الحرم اهل
الله وخاصته وكانوا يخدمونهم ويقومون باصلاح مهامهم فكانه قيل لهم كنتم قبل مقدمه مجدين فى خدمة اسلافه فلم
تتكاسلون فى خدمته مع انه لا نسبة له فى الشرف الى اباءه والمقصود من ذكر هذه الصفة التنبيه على طهارة نسبه كانه قيل هو من
عشيرتكم تعرفونه بالصدق والامانة والعفاف وتعرفون كونه حريصا على دفع الافات عنكم وايصال الخيرات اليكم فارسال
من هذه حاله وصفته يكون من اعظم نعم الله عليكم وقرئ من انفسكم بفتح الفاء اى من اشرفكم وافضلكم وتنسب هذه القراءة
الى النبى والوصى واهل البيت ع ثم وصفه بما يستتبع المجانسة والمناسبة من النتائج وذلك قوله عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ العزة
الغلبة والشدة والعنت المشقة والوقوع فى المكروه والاثم وما مصدرية اى شديد شاق عليه لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم
المكروه واولى المكاره بالدفع عقاب الله وهو انما ارسل لدفع هذا المكروه حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ الحرص يمتنع ان يتعلق بذواتهم
فالمراد حريص على ايصال الخيرات اليكم فى الدارين فالصفة الاولى لدفع الافات وايصال الخيرات والسعادات فلا تكرار و
قال الفراء الحريص الشحيح والمعنى انه شحيح عليكم ان تدخلوا النار وفيه نوع تكرار ثم بين انه رحمة للعالمين فقال بِالْمُؤْمِنِينَ اى منكم ومن
غيركم رَؤُفٌ رَحِيمٌ قال ابن عباس لم يجمع الله لنبى اسمين من اسمائه الا له وحاصل هذه الخاتمة ان هذا الرسول منكم فكل ما يحصل له من
العز والشرف فذلك عائد اليكم وانه كالطبيب الحاذق وكالاب الشفيق واذا عرفت ان الطبيب حاذق والاب مشفق فالعلاج والتاديب
منهما احسان واجمال وان كان صعبا مولما فاقبلوا اما امركم به من التكاليف وان كانت شاقة لتفوزوا بسعادة الدارين ثم قال لرسوله
فان لم يقبلوها بل اعرضوا وتولوا فاتركهم ولا تلتفت اليهم وارجع فى جميع امورك الى الله الذى بالحق ارسلك فهو كافيك و
هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ فلا يخرج عن قبضة قدرته وتصرفه شئ لانه محيط بالعرش وبما يحويه العرش والله اعلم التاويل مَا كَانَ
لِاَهْلِ الْمَدِينَةِ القالب وهو النفس والهوى والقلب ومن حولهم من الاعراب الصفات النفسانية والقلبية ان يتخلفوا عن رسول
الروح السائر اليه ولا يبذلوا وجودهم عند بذل وجوده بالفناء فى الله ذلك بانهم لا يصيبهم ظماء من ماء الشهوات ولا نصب
من انواع المجاهدات ولا مخمصة بترك اللذات وحطام الدنيا فى طلب الله وَلَا يَطَئُوْنَ مَوْطِئًا من مقامات الفناء يغيظ كفار
النفس والهوى وَلَا يَنَالُونَ من عدو الشيطان والنفس والدنيا بلاء ومحنة وفقرا وحزنا وغير ذلك من اسباب الفناء اِلَّا
كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ من البقاء بالله بقدر الفناء فى الله وَلَا يُنْفِقُوْنَ نَفَقَةً صَغِيرَةً هى بذل الصفات وَلَا كَبِيرَةً هى بذل الذات
فى صفات الله وفى ذاته وَلَا يَقْطَعُوْنَ وَادِيًا من اودية الدنيا والاخرة والنفس والهوى والقلب والروح احسن ما كانوا يعملون
لان عملهم بقدر معرفتهم وجزاؤه يضيق عنه نطاق فهمهم فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا اُخْفِىَ لَهُمْ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُوْنَ لِيَنْفِرُوْا فى السير
الى الله وبالله وفى الله فلولا نفر من كل قوم وقبيلة فِرْقَةٍ طَائِفَةٌ هم خواصهم واهل الاستعداد الكاملون ليتحملوا السلوك
ويخبروا بذلك قومهم لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُوْنَ من غير الله قَاتِلُوا الَّذِيْنَ يَلُوْنَكُمْ من كفار النفس الهوى وصفاتها وَلْيَجِدُوْا فِيْكُمْ غِلْظَةً عزة
صادقة فى ترك شهواتها وما نواهم كَافِرُوْنَ اى لموت قلبهم لتراكم ظلمة النفاق كل حين ثم اخبر عن موت القلب بقوله
اَوَلَا يَرَوْنَ اَنَّهُمْ يُفْتَنُوْنَ والفتنة موجبة لانتباه القلب الحى اِنَّ فِىْ ذٰلِكَ لَذِكْرٰى لِمَنْ كَانَ لَهٗ قَلْبٌ اى قلب حى هَلْ يَرٰىكُمْ
مِنْ اَحَدٍ فى مقام الانكار والنفاق اى هل يرى محمد انكارنا على رسالته والقران فانه رسول الله نا نبوة رسالته ثُمَّ انْصَرَفُوْا عن
هذا الحسبان لان قلوبهم مصروفة وليس لهم فقه القلب لان ذلك من امارات حيوة القلب مِنْ اَنْفُسِكُمْ تسكين للعوام لئلا ينفروا وعنه
اشارة للخواص الى ان البشر لهم استعداد الوصول والوصال فان لم يكن بالاستقلال فبالمتابعة فَاتَّبِعُوْنِىْ يُحْبِبْكُمُ اللهُ ومن
قرا من انفسكم اى اشرفكم فلانه اول جوهر خلقه الله تعالى اول ما خلق الله تعالى روحى ولا اختصاصه بالخلاص عن تعلق الكونين

وبلوغه

وبلوغه الى قاب قوسين او ادنى وتحليه بحلية فَاَوْحٰى اِلٰى عَبْدِهٖ مَا اَوْحٰى وتعلوهمته مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغٰى ولرؤيته سر
لَقَدْ رَاٰى مِنْ اٰيٰتِ رَبِّهِ الْكُبْرٰى بِالْمُؤْمِنِيْنَ رَءُوْفٌ رَحِيْمٌ من رافته امره بالرفق كما قال ان هذا الدين متين فادخلوا
فيه بالرفق ومن رحمته قيل له فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وههنا نكتة وهى ان رافته ورحمته لما كانت مخلوقة اختصت
بالمؤمنين فقط وكانت رحمته تعالى ورافته للناس عامة ان الله بالناس لَرَءُوْفٌ رَحِيْمٌ ونكتة اخرى
هى ان رحمته ص عامة للعالمين لقوله وَمَا اَرْسَلْنٰكَ اِلَّا رَحْمَةً لِلْعٰلَمِيْنَ واما رحمته
المضمومة الى الرافة فخاصة بالمؤمنين وكان الرافة اشارة الى ظهور اثر
الدعوة فى حقهم فالمؤمنون امة الدعوة والاجابة جميعا وغيرهم
امة الدعوة فقط حسبى الله لان المقصود من التبليغ قد
حصل لك وهو وصولك الى الله اعرضوا عن
دعوتك او اقبلوا والله المستعان
تم الربع الثانى من التفسير المسمى غرائب القران
ورغائب الفرقان والحمد لله
على نواله والصلوة
على نبيه المصطفى
محمد و
اله

سورة يونس مكية الا ثلث آيات قوله تعالى فان كنت في شك الى آخرهن حروفها سبعة آلاف وخمسمائة وسبعة وستون وكلماتها الف واثنتان وثلثون وآياتها مائة وتسع

بسم الله الرحمن الرحيم

بنام خداوند بخشایندهٔ مهربان

ع الٓر تلك آيات الكتاب الحكيم اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس وبشر الذين آمنوا ان لهم
این آیتهای کتاب با حکمت است آیا باشد مردمان را عجبی که وحی فرستادیم بمردی از ایشان که بترسان مردمان را و مژده ده آنانرا که ایمان آوردند که ایشانراست
قدم صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا لساحر مبين ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة
سابقهٔ خوبی نزد پروردگار ایشان گفتند کافران بدرستیکه این جادوگریست بزرگ بدرستیکه پروردگار شما خدایست که آفرید آسمانها و زمین را در شش
ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه افلا تذكرون اليه
روز پس مستولی شد بر عرش تدبیر میکند کار را نیست هیچ شفیعی مگر پس از دستوری او آنست خدا پروردگار شما پس بپرستید او را آیا پس پند نمیگیرید بسوی اوست
مرجعكم جميعا وعد الله حقا انه يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا
بازگشت شما همه وعده دادنی از خدا حق بدرستیکه او آغاز میکند خلق را پس باز میگرداند او را تا جزا دهد آنانرا که گرویدند و کردند کارهای شایسته بعدالت و آنانکه کافر شدند
لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا
مر ایشانراست شربتی از آب جوشان و عذابی دردناک بسبب آنکه کافر شدند اوست آنکه گردانید آفتاب را روشنائی و ماه را روشنی و مقدر داشت منزلها تا بدانید
عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ان في اختلاف الليل والنهار وما
شمار سالها و حساب را نیافرید خدا آنرا مگر بحق تفصیل میدهد آیتها را برای جمعی که بدانند بدرستیکه در اختلاف شب و روز و آنچه
خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا
آفرید خدا در آسمانها و زمین هر آینه آیتهاست برای جمعی که بپرهیزند بدرستیکه آنانکه امید ندارند ملاقات ما را و راضی شدند بزندگانی دنیا و آرمیدند
بها والذين هم عن آياتنا غافلون اولئك مأويهم النار بما كانوا يكسبون ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
بآن و آنانکه ایشان از آیتهای ما بیخبرانند آنها جایگاه ایشان آتش است بسبب آنکه کسب میکردند بدرستیکه آنانکه گرویدند و کردند کارهای شایسته
يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم دعويهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها
راه نماید ایشانرا پروردگار ایشان بایمان ایشان نهرها در بهشتهای با نعمت خواندن ایشان در آن سبحانک اللهم است و درود ایشان در آن
سلام وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين القراءة الٓر بالامالة كذلك ما بعده وابو عمرو وخلف وحمزة وعلي والخزاز
سلام است و آخر خواندن ایشان آنکه سپاس خدا راست پروردگار عالمیان عن هبيرة والبخاري عن ورش ويحيى وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان لساحر
بالالف ابن كثير وعاصم وحمزة وعلي وخلف الآخرون لسحر حقا انه بالفتح يزيد ضياء بالهمز حيث كان ابن مجاهد وابو عون عن قنبل يفصل
بالياء ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب وحفص والمفضل والعجلي الباقون بالنون واطمأنوا بغير همز الاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف
الوقوف الٓر كوفي الحكيم ط عند ربهم ط مبين ه يدبر الامر ط اذنه ط فاعبدوه ط تذكرون ه جميعا ط حقا ط الا لمن قرأ انه بالفتح
بالقسط ط يكفرون ه والحساب ط الا بالحق ط لمن قرأ نفصل بالنون ومن قرأ بالياء امكنه ان يجعل نفصل حالا يعلمون ه يتقون ه غافلون ه

كان

لان اولئك خبران بايمانهم ط للحذف تقديره يهديهم ربهم بايمانهم الى دار البقاء مع اتحاد المقصود وتمام الموعود النعيم ه سلام ج ط لان الجملتين وان اتفقتا فقد اعترضت جملة معطوفة اخرى لان قوله وآخر دعويهم معطوف على دعويهم الاول العالمين ه التفسير اتفقوا على ان قوله الٓر ليس بآية وعلى ان طه آية ولعل الفرق ان الٓر لا يشاكل مقاطع الآي التي بعده عن ابن عباس الٓر معناه انا الله ارى وقيل انا الله رب وقيل الر وحم ون اسم الرحمن تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والتبعيد للتعظيم والكتاب السورة والحكيم ذو الحكمة لاشتمالها عليها او وصف بصفة من تكلم به ومنه قولهم للقصيدة حكيمة وقيل فعيل بمعنى فاعل لانه يحكم بين الحق والباطل ويحكم بان محمدا صادق لان القرآن اظهر معجزاته وابقاها وقيل بمعنى مفعول اي حكم فيه بجميع المأمورات والمنهيات وقيل بمعنى المحكم والاحكام المنع من الفساد وذلك انه لا يمحوه الماء ولا يحرقه النار ولا يغيره الدهور ويحتمل ان يقال الكتاب الحكيم هو القرآن او اللوح المحفوظ او التورية والانجيل لان جميع الكتب الالهية متوافقة في الاصول ويجوز ان يكون تلك اشارة الى ما تقدم هذه السورة من آيات القرآن واعلم انه سبحانه لما ختم السورة المتقدمة بقوله لقد جاءكم رسول من انفسكم صدر هذه السورة بتعديد بعض الحروف على طريق التحدي وذلك ان حروف القرآن من جنس الحروف التي يتلفظون بها فلولا انه معجز لعارضوه وناقضوه ولما بين بهذا الطريق ان محمدا رسول حق من عند الله حكى انكار كفار قريش بعثه من كونه رسولا فقال اكان للناس عجبا نصب على انه خبر كان واسمه ان اوحينا وفائدة اللام في قوله للناس مع تقديمه هي انهم جعلوا لهم اعجوبة يتحدثون بها ثم ان تعجبهم اما ان يكون من جعل البشر رسولا او من تخصيص محمد بالوحي والنبوة فقد روي انهم كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وكلا الامرين ليس بعجب اما الاول فلان الجنس الى الجنس اميل ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا واما الثاني فلان الفقر واليتم لا يوجب في النبوة قدحا لان الله غني عن العالمين وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى وانما المعتبر في الاستنباء كونه متصفا بالصدق والامانة والتقوى وكان لمحمد في ذلك قبل بعثه اليد الطولى وكان يدعى محمد الامين وان في قوله ان انذر الناس هي المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول او مخففة من الثقيلة وقد عملت في ضمير شان مقدر معناه انه اي ان الشأن قولنا انذر الناس وقوله بشر الذين آمنوا ان لهم اي بان لهم والانذار اخبار مع تخويف وانه عام للناس كلهم ولكن البشارة خاصة بالمؤمنين ويحتمل انه يراد بالناس الكفار فقط ويمكن ان يكون تعجبهم عائدا الى الانذار والتبشير وليس ذلك بعجب بل المنكر في العقول تعطيل الاعمال وان يترك الانسان سدى وارسال الرسل امر ما اخلى الله تعالى المكلفين عنه شيئا من الازمنة وبه يتم المالكية والامر والنهي والاذن والمنع والثواب والجزاء وانما قدم الانذار على التبشير لان الانذار تحذير عن فعل ما لا ينبغي والتبشير ترغيب في فعل ما ينبغي والتخلية مقدمة على التحلية ومعنى قدم صدق سابقة وفضل ومنزلة رفيعة اي سبق لهم عند الله خير قال احمد بن يحيى القدم كل ما قدمت من خير وقال ابن الانباري كناية عن العمل الذي لا يقع فيه تاخير ولا ابطاء والسبب في اطلاق القدم على السابقة ان السعي والسبق لا يحصل الا بالقدم فسمي المسبب باسم السبب كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافة القدم الى صدق لاجل المبالغة وللتنبيه على انها من السوابق العظيمة اي القدم التي بصدقه يحق ان يسمى قدما واما عبارات المفسرين فمنهم من قال قدم صدق هي الاعمال الصالحة ومنهم من قال الثواب ومنهم من قال شفاعة محمد اما قوله قال الكافرون فقال القفال فيه اضمار والتقدير فلما انذرهم قالوا ذلك ثم من قرأ الساحر بالالف فقوله هذا اشارة الى النبي ومن قرأ السحر فهو اشارة الى القرآن وفيه دليل على عجزهم واعترافهم بانهم قاصرون عن معارضته كالسحر ومن هنا جوز بعضهم ان يكونوا ارادوا به المدح اي انه لكمال فصاحته وتعذر الاتيان بمثله جار مجرى السحر ثم لما انكر عليهم تعجبهم من الامور المذكورة وهي الواسطة اراد ان يقيم البرهان عليها اي باثبات المعاد وذلك في اثنين متواليين وقد مر في الاعراف تفسير قوله ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش فلا حاجة الى الاعادة ثم ذكر ما يدل على مزيد عظمته وجلاله وانه لا يخرج امر من الامور من قضائه وتقديره فقال يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه وانما فقد العاطف لانها كالتفسير والتفصيل لما دل عليه قوله ان ربكم الله الآية والامر الشأن اراد به احوال الخلق واحوال ملكوت السموات والارض والعرش والمعنى انه يقضي ويقدره بمقتضى الحكمة ويفعل ما يفعله المصيب في افعاله الناظر في ادبار الامور وعواقبها لئلا يدخل في الوجود ما لا ينبغي قال الزجاج ان الذين خوطبوا بهذه الآية الكفار كانوا يقولون ان الاصنام شفعاؤنا عند الله فرد الله عليهم بانه ليس لاحد ان يشفع اليه في شيء الا بعد اذنه لانه اعلم بموضع الحكمة والصواب فلا يجوز لهم ان يسئلوه ما لا يعلمون انه صواب وصلاح ففي قوله يدبر الامر اشارة الى استقلاله في التصرف في جانب المبدأ وفي قوله ما من شفيع اشارة الى استقلاله في طرف المعاد ويمكن ان يقال المراد انه خلق العالم على احسن الوجوه واقربها من الاصلح مع انه ما كان هناك شفيع يشفع في تحصيل المصالح فدل ذلك على انه محسن الى عباده مريد للخير والراحة بهم كامل العناية باحوالهم قال ابو مسلم الشفيع معناه الثاني من الشفع الذي يخالف الوتر اي خلق السموات والارض وحده ولا حي معه ولا شريك يعينه ثم خلق الملائكة والثقلين والمراد انه لم يدخل في الوجود احد الا من بعد ان قال له كن حتى كان وحصل ثم اشار الى الحي المعلوم بالاوصاف المذكورة فقال ذلكم الله ربكم الذي يستاهل منكم العبادة بازاء النعم الجسام

باثبات المبدأ بين غايتها

من خلق السموات والارض ما فيهما وعليهما فاعبدوه وحده افلا تذكرون فيه تنبيه على وجوب الاعتبار والنظر في الدلائل الدالة على عظمته
وجلاله ثم شرع في اثبات المعاد فقال اليه مرجعكم اي رجوعكم جميعا مجموعين وتقديم الجار والمجرور للاختصاص والمعنى لا ترجعون في
العاقبة الا الى جزائه وحكمه فاستعدوا للقائه ثم اكد ذلك بقوله وعد الله حقا وفيه تاكيد ان كما مر ثم قال انه يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو
استيناف فيه معنى التعليل كانه قيل ان الذي قدر على الابداء يقدر على الاعادة بالطريق الاولى كقوله وننشئكم فيما لا تعلمون يعني انه سبحانه
لما كان قادرا على انشاء ذواتكم اولا ثم على انشاء اجزائكم على حيوتكم ثانيا شيئا فشيئا من غير ان تكونوا عالمين بوقت حدوثه وبوقت نموه
وجب القطع بانه لا يمتنع عليه اعادة تلك الاجزاء بعد البلى والتفرق ومن قرا انه بالفتح فعلى حذف لام التعليل اي لانه او على انه منصوب
بالفعل الذي نصب وعد الله اي وعد الله وعد بدء الخلق ثم اعادته ويجوز ان يكون مرفوعا بما نصب حقا اي حق حقا بدء الخلق ثم ذكر
غاية الاعادة وحكمتها فقال ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات قال المفسرون في الاية اضمار والتقدير انه يبدء الخلق ليامرهم بالعبادة
ثم يميتهم ثم يعيدهم ليجزي وانما حسن هذا الحذف لتقدم قوله فاعبدوه ولان الاعادة لا يكون الا بعد الاماتة والاعدام وقوله
بالقسط اي بالعدل متعلق بيجزي اي يجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم او يجزيهم بقسطهم بما لم يظلموا انفسهم حين امنوا وعملوا صالحا و
هذا وجه حسن لطباق قوله بما كانوا يكفرون وفي قوله والذين كفروا من غير ان يدخل لام العاقبة في الجملة كما ادخلها في الاولى دليل على انه
خلق الخلق للرحمة لا للعذاب وانما جاء التعذيب لغرض وقوعهم في طريق القهر والحميم الماء الذي اسخن بالنار حتى انتهى حره قالت الاشاعرة في
الاية دلالة على عدم منزلة بين المنزلتين على ما يقول بها المعتزلة واجيب بان عدم الذكر لا يدل على العدم ورد بان الفساق اكثر من اهل الطاعة
فكيف يجوز طي ذكرهم واعلم ان للعلماء في اثبات المعاد طريقين الاول طريقة القائلين بالحسن والقبح العقليين والثاني طريقة من يقول
لا يجب على الله شيء اصلا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد اما الفريق الاول فلهم على وجوب المعاد حجج عقلية منها انه تعالى خلق الخلق واعطاهم
عقولا وقدرا فيجب في حكمته ان يرغبهم في الخيرات ويزجرهم عن السيئات وهذا الترغيب والزجر لا يمكن الا بربط الثواب على الفعل والعقاب
على الترك هذا في المامورات وبالعكس في المنهيات وذلك الثواب المرغب والعقاب المرهب غير حاصل في الدنيا فلا بد من دار اخرى هي دار
الاخرة ليحصل فيها ذلك والا لزم ان يكون الله تعالى كاذبا في قوله ليجزي آه فان قيل لم لا يكفي في الترغيب والردع ما اودع الله في العقول
من تحسين الخيرات وتقبيح المنكرات فلا يحتاج الى الوعد والوعيد ولئن سلم فلم لا يجوز ان يكون الغرض من الترغيب والترهيب نظام العالم لانه
يفعل ذلك ولا يلزم منه الكذب على الله تعالى لانهم يخصصون اكثر عمومات القران ثم نزعم انه لا كذب سلمنا انه يفعل لكن لم لا يجوز ان يكون
الثواب والعقاب هو ما يصل الى الانسان في دار الدنيا من الراحات والالام فالجواب ان العقل وان كان يدعو الى فعل الخير وترك الشر الا
ان الهوى والنفس يدعوان الى الانهماك في الشهوات الجسمانية واذا حصل هذا التعارض فلا بد من مرجح وما ذاك الا ترتيب الوعد والوعيد
على الاعمال وتجويز الخلف في ذلك مناف للغرض واخذ الاجرة انما يكون بعد الفراغ من العمل والعبد ما دام في الدنيا فهو في العمل وقد
ترى ازهد الناس واعلمهم مبتلى بالافات والبليات وافسقهم واجهلهم في اتم اللذات والمسرات ومنها ان صريح العقل يوجب في حكمة
الحكيم ان يفرق بين المحسن والمسيء والمظلوم والظالم وان لا يجعل من كفر به وعصاه كمن امن به واطاعه وليس هذه التفرقة في الدنيا كما
قيل كم عالم عالم اعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا فلا بد من دار اخرى يظهر فيها التفاوت ومنها انه كلف عبيده بان يعبدوه
والحكيم اذا امر عبده بشيء فلا بد ان يجعله فارغ البال منتظم الاحوال حتى يمكنه الاشتغال باداء تكليفه والناس جبلوا على طلب اللذات
والتبادر الى تحصيل اسباب الراحات فلو لم يكن لهم زاجر من خوف المعاد لوقع الهرج والمرج والفتن وح لا يتفرغ المكلف لاداء ما امر به فان قيل
لم لا يكفي في نظام العالم مهابة الملوك وسياستهم قلنا ان لم يكن السلطان قاهرا قادرا على الرعية فلا فائدة فيه وان كان قاهرا غالبا
ولا خوف له من المعاد فيقدم على انواع الظلم والايذاء لان الداعية النفسانية قائمة ولا وازع له في الدنيا ولا في الاخرة ومنها انه تعالى
خلق هذا العالم وخلق فيه الناس والعبث لا يليق بالحكيم الرحيم فوجب ان يقال انه خلقهم لمقصود ومصلحة وخير وليس ذلك في الدنيا لان
لذات هذا العالم جسمانية لا حقيقة لها الا ازالة الالم امر عدمي وكان هذا حاصلا قبل الوجود فلا يبقى للتخليق فائدة وايضا ان لذات الدنيا
مشوبة بالالام بل اللذة في الدنيا كالقطرة من البحر فعلمنا ان للراحة دارا اخرى فان قيل اليس انه يعذب اهل النار لا لمصلحة وفائدة لهم
قلنا الفرق ان ذلك الالم استحقوه على اعمالهم ثم هذا الالم الحاصل في الدنيا غير مستحق فوجب ان يعقبه خيرات عظيمة والا فينافي كونه ارحم
الراحمين واكرم الاكرمين ومنها انه لو لم يحصل للانسان معاد لكان اخس من جميع الحيوانات لانها تشاركه في اللذات الحسية لان الروث
في مذاق الجعل كاللوزينج في فم الانسان والانسان يزيد عليها بعقله وهو سبب تالمه وتاذيه في اغلب الاحوال لانه يتفكر في الاحوال الماضية
فيتاسف ويتامل في الاحوال الاتية فيخاف فلو لم يكن للانسان معاد به يكمل حاله ويظهر سعادته كان عقله سبب الشقائه وخسته بدل
شرفه ومرتبته ومنها ان ايصال النعم اما ان يكون مشوبا بالافات او خالصا عنها فلما انعم الله تعالى علينا في الدنيا بالمرتبة الاولى
وجب ان ينعم علينا بالمرتبة الثانية في دار اخرى اظهارا لكمال القدرة والرافة والحكمة فهناك ينعم على المطيعين ويعفو عن المذنبين ويزيل

وازالة الالم

الغموم والهموم والافات والمخافات ومما يقوي هذا الكلام ان الانسان دائما في الترقي من حين كونه جنينا في بطن امه الا ان يخلص من ذلك
السجن ويخرج الى فضاء الدنيا والى ان ينتقل من تناول اللبن والشد الوثيق في المهد الى تناول الاطعمة اللذيذة والمشي والعدو والى
ان يصير اميرا نافذ الحكم على الخلق او عالما مشرفا على حقايق الاشياء فوجب بحكم هذا الاستقراء ان يكون حاله بعد الموت اشرف
اعلى من اللذات العاجلة المشوبة بالالام ومنها طريقة الاحتياط فانا اذا امنا بالمعاد وتاهبنا له فان كان هذا المذهب حقا فقد
نجونا وهلك المنكر وان كان باطلا لم يضرنا هذا الاعتقاد غايته ذلك فوات بعض اللذات الزايلة المشوبة بالمنغصات ومنها ان
احوال الانسان من صباه الى هرمه بعينها هي حال الارض من الربيع الى الشتاء ثم انا نرى الارض في الربيع الثاني يعود الى تلك الحيوة
فلم لا يعقل مثل ذلك في الانسان ومنها ان الانسان انما يتولد عن نطفة تولدت من الاغذية الكائنة من الاجزاء العنصرية المتفرقة
في مشارق الارض ومغاربها فاذا مات وتفرقت تلك الاجزاء فكيف يمتنع ان يجتمع مرة اخرى على مثال الاجتماع الاول ومنها ان النظر
في تغيرات العالم ادى الى اثبات صانع حكيم قادر قاهر والعقل يحكم بان هذا الحكيم لا يليق به ان يترك عبيده مهملا يكذبون عليه ويجوز
فلا بد من ان يكون له امر ونهي ووعد ووعيد من غير تجويز خلف فيهما كما مر ولا يتحقق جميع ذلك الا في دار الجزاء واما الفريق الاخر
الذين لا يعللون افعال الله تعالى برعاية المصالح فانهم يقولون المعاد امر جائز الوجود لان تعلق النفس بالبدن لما كان في المرة
الاولى جائزا فالمرة الثانية ايضا جائزة ثم ان اله العالم قادر مختار عالم بجميع المعلومات الكليات والجزئيات فلا يعجزه تميز اجزاء بدن
زيد وان اختلطت باجزاء التراب والبحار عن اجزاء بدن عمرو واذا ثبت هذا الامكان وقد دل الدليل على صدق الانبياء وعلى ان القران
كلام الله الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم انهم قطعوا بوقوع هذا الممكن والقران مشحون بايات البعث والجزاء
فوجب علينا القطع بالمعاد الجسماني اما شبهة المنكرين فمن ذلك انهم قالوا الدار الاخرة ان كانت شرا من هذه فالتبديل سفه وان كانت مثلها
عبث وان كانت خيرا منها فاما ان يقال انه قادر على خلق ذلك الاجود اولا ثم تركه وفعل الارذل فذلك سفه وان يقال انه ما كان
قادرا ثم حدثت له القدرة فذلك انتقال من العجز الى القدرة ومن الجهل الى الحكمة فهو محال على القديم والجواب ان كلا من الدارين خير
في وقتها فالاولى لتحصيل الكمالات النفسانية الممكنة للنوع الانساني من قبيل العلم والعمل والاخرى للرحمة والجزاء ومن ذلك انهم
قالوا حركات الافلاك مستديرة والمستدير لا ضد له وما لا ضد له لا يقبل الفساد والجواب ما ذكرنا في كتبنا الحكمية من ان كل جسم
مركب وكل مركب ينحل لا محالة ولئن سلمنا انها ازلية فنحن لا نسلم انها غير ازلية لان الحركة عبارة عن الانتقال من حال الى حال وهذه الهيئة
تقتضي المسبوقية بالغير فكان الجمع بين الازل والحركة محالا ولئن سلم ان الحركة ازلية فلم لا يجوز ان يكون بعض اوضاع الافلاك مقتضيا
لاعادة المعدومات من الاشخاص الانسانية ومن ذلك انهم قالوا الانسان عبارة عن هذا البدن ذي الاجزاء لا كيف كانت بل بشرط
وقوعها على تاليف مخصوص لان اجزاء البدن كانت موجودة قبل هذا الانسان والموجود مغاير للمعدوم فاذا مات الانسان وتفرقت
اجزاؤه فقد عدمت تلك الصورة والاعراض وعود المعدوم محال واجيب بان الانسان ليس عبارة عن هذا الجسد وانما هو النفس
سواء كانت جوهرا مجردا مفارقا او جسما مخصوصا لطيفا باقيا في جميع احوال البدن من الصبى الى الهرم مصونا عن التحلل والتبدل وهو الذي
يسميه المتكلمون بالاجزاء الاصلية ومن ذلك انهم قالوا اذا قتل الانسان واغتذى به انسان اخر لزم ان يعاد تلك الاجزاء في بدن
كل واحد من الشخصين وذلك محال واجيب بعين ما مر وهي ان الاجزاء الاصلية لا تصير جزءا من انسان اخر فهذه خلاصة ما وصل اليه العقول
من امر المعاد والله تعالى اعلم بحقائق الامور ثم عدد بعض نعمه على المكلفين فقال هو الذي جعل الشمس ضياء وهو اجوف واوي مهموز
اللام قلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها ومن قرا بهمزتين بينهما الف فمحمول على القلب لانه اذا قدم اللام على العين وقع حرف العلة على الطرف
فانقلبت همزة كما في كساء وهو اما ان يكون جمع ضوء كحوض وحياض او مصدر ضاء يضوء مثل قام قياما وصام صياما ولا بد من تقدير
مضاف اي جعل الشمس ذات ضياء والقمر ذا نور الا ان يحمل على المبالغة فجعل نفس الضياء والنور كما يقال للرجل الكريم انه كرم وجود والضياء
اقوى من النور ولا خلاف بين العقلاء ان ضوء الشمس كيفية قائمة بها لذاتها واما نور القمر فقد ذهب جمهور الحكماء الى انه مستفاد
من الشمس وبذلك يقع اختلاف احواله من الهلالية الى البدرية كما بينا في تفسير قوله تعالى يسئلونك عن الاهلة وقدره منازل قال
في الكشاف اي قدر مسيره منازل وقدره ذا منازل والمنازل القمر المسافة التي يقطعها في يوم وليلة بحركته الخاصة به وجملتها ثمانية
وعشرون واساميها مشهورة الشرطين البطين الثريا آه وهي كواكب ثابتة معروفة عندهم جعلوها علامات المنازل فترى القمر
كل ليلة نازلا بقرب احدها وذلك انهم قسموا دور الفلك وهو اثنا عشر برجا على ثمانية وعشرين عدد ايام دور القمر فاصاب كل برج منزلان
وثلث فسموا كل منزل بالعلامة التي وقعت فيه التسمية بجذائه ثم ذكر بعض منافعها العائدة على المكلفين فقال لتعلموا عدد السنين
والحساب حساب الاوقات من الاشهر والايام والليالي وقد ذكرنا السنة الشمسية والسنة القمرية وكيفية دوران احديهما على
الاخرى في تفسير قوله تعالى ان عدة الشهور الاية فلا حاجة الى التكرار ثم اشار الى ساير منافعها وخواصها بقوله ما خلق الله ذلك الا

المهيئة بالحالة المنتقل عنها والازلية تنافي المسبوقية

الا متلبسا بالحق والصواب دون الباطل والعبث فالشمس سلطان النهار والقمر خليفتها بالليل بحركة الشمس ينفصل السنة الى
الاربعة وبالفصول ينتظم مصالح هذا العالم ويتحصل معايش الخلايق وبحركة القمر يحصل الشهور وباختلاف حالة في زيادة النور و
نقصانه يختلف احوال الرطوبات الى غير ذلك من الخواص التى يرشد اليها التامل والتدبر ولهذا قال نفصل الآيات لقوم يعلمون
لانهم هم الذين ينتفعون بهذه الدلائل وقيل المراد بالعلم ههنا العقل الذى يعم الكل ثم ذكر المنافع الحاصلة من اختلاف الليل والنهار
وقد مر تفسيره في سورة البقرة في قوله ان في خلق السموات والارض لآية ومعنى قوله وما خلق الله في السموات والارض كقوله وما خلق
من شيء وقد مر في آخر الاعراف وانما خص كونها آيات بالمتقين لانهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر الى التدبر والنظر قال القفال من
تدبر في هذه الاحوال علم ان الدنيا مخلوقة لبقاء الناس وان خالقها وخالقهم ما اهملهم بل جعلها لهم دار عمل واذا كان كذلك فلا بد من امر
ونهي ثم من ثواب وعقاب ليتميز المحسن عن المسيء فهذه الاحوال في الحقيقة دالة على صحة القول بالمبدأ والمعاد ثم شرع في شرح احوال من
لا يؤمن بالمعاد ومن يؤمن به فقال ان الذين لا يرجون لقاءنا عن ابن عباس ومقاتل والكلبي معناه لا يخافون البعث كقوله تعالى وهم
من الساعة مشفقون واستبعد الاكثرون تفسير الرجاء بالخوف وقالوا انه بمعنى الطمع اى لا يطمعون في حسن لقائه كما يامله السعداء او لا يتوقعونه
اصلا لانهم لا يؤمنون بالمعاد فهم ذاهلون عن طلب اللذات الحقيقية فارغون عن التوجه نحو السعادات الباقية ورضوا مع ذلك بالحيوة
الدنيا الحسية الخسيسة واطمانوا بها سكنوا اليها سكون العاشق الى معشوقه وهذه غاية الانهماك في الاستغراق في اللذات الجسمانية والذين هم
عن آياتنا غافلون فلا يعتبرون بالآيات ولا ينظرون في الدلائل الموصلة الى حقيقة المبدأ والمعاد فلم يقبلوها بالتقليد ولم ينظروا اليها بعين
الاجتهاد اولئك ماويهم النار فيه معنى الجزاء ولذلك تعلق به قوله بما كانوا يكسبون وفيه ان الاعمال السابقة هي المؤثرة في حصول العذاب
الجسماني وهو النار المحسوسة والعذاب الروحاني وهو نار البعد من المالوفات والقطيعة من السعادة الباقيات فيكون مثاله مثال من
اخرج من مجالسة معشوقه فالقي في بئر ظلمانية لا الف بها ولا مونس بل يكون فيها انواع الموذيات واصناف الموحشات نعوذ بالله من تلك
الحالات هذا حال من لا يؤمن بالمعاد فلا يعمل له واما حال الذى يؤمن به فذلك قوله ان الذين آمنوا استكملوا من جهة القوة النظرية
وعملوا الصالحات استكملوا من قبل القوة العملية او صدقوا بقوله ثم حققوا التصديق بالعمل الصالح الذى جاءت به الانبياء والكتب
من عند الله واشتغلوا قلوبهم وارواحهم بتحصيل المعرفة ثم جوارحهم بالخدمة حتى تكون عيونهم مشغولة بالاعتبار واذانهم باستماع
كلام الله والسنتهم بذكر الله وسائر اعضائهم بطاعة الله تعالى يهديهم ربهم بايمانهم قال اكثر المفسرين معناه يهديهم الى الجنة ثوابا لهم
على ايمانهم واعمالهم الصالحة ومعنى قوله بايمانهم اى بايمانهم هذا المضموم اليه العمل الصالح وهذا التفسير يوافق قوله تعالى يوم ترى المؤمنين
والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ولقوله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله الصالح في صورة حسنة فيقول له انا عملك
فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول انا عملك فينطلق به الى النار وقيل معنى الآية
ان ايمانهم يهديهم الى مزايا من الالطاف ولوامع من الانوار بحيث يزول بواسطتها عنهم الشكوك والشبهات فتؤدى الى حصول المثوبات
ولذلك جعل تجري من تحتهم الانهار بيانا له وتفسيرا لان التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها فهذه الهداية عبارة عن الفوائد الزوائد
الحاصلة في الدنيا بعد الايمان قال القفال فعلى هذا الوجه كان المعنى يهديهم ربهم بايمانهم وتجري من تحتهم الانهار الا انه حذف الواو
مقطعا
وجعل قوله تجري خبرا مستانفا منقطعا عما قبله والتحقيق في تقرير هذا الوجه ان العلم نور والجهل ظلمة والروح كاللوح والعلوم والمعارف كالنقوش
ولكن حالها بالضد من النقوش الجسمانية تكدر اللوح وتوارد النقوش المعنوية وتكاثرها يزيد لوح الروح لمعانا واشراقا حتى انه يقوى بها
على تحصيل المعارف الباقية بسهولة فليس فهم الرجل المنتهي للعلوم والحقايق كفهم المبتدى فالانسان اذا آمن بالله فقد اشرق روحه
بنور المعرفة واذا واظب على الاعمال الصالحة حصلت له ملكة التوجه الى الآخرة والاعراض عن الدنيا ولا يزال تتزايد اشراقات هذه المعارف
والملكات فيرتقي في معارجها لحظة فلحظة ولما كان لا نهاية لمراتب المعارف والانوار العقلية فلا نهاية لمراتب هذه الهداية وفي
قوله يهديهم ربهم بايمانهم دليل لمن قال ان العلم بالمقدمتين لا يوجب العلم بالنتيجة ولكنهما تعدان الذهن لحصول الفيض من الجواد المطلق
ومعنى تجري من تحتهم الانهار انهم يكونون في البساتين على مواضع مرتفعة كالسرر والارائك والانهار تجري من بين ايديهم دعويهم
فيها قال بعض المفسرين اى دعاؤهم ونداؤهم كاين عوالقانت بقوله اللهم اياك نعبد وقيل الدعاء العبادة كقوله ادعوني استجب لكم وما تدعون
من دون الله وانما يكون هذا عبادتهم لا على سبيل التكليف بل على سبيل الالهام والعادة ابتهاجا بذكر الله وقيل الادعاء بين المتخاصمين
والمعنى ان اهل الجنة يدعون في الدنيا والآخرة تنزيه الله من المعايب والاقرار له بالالهية قال القفال اصله من الدعاء لان الخصم يدعو
خصمه الى من يحكم بينهما وقيل اى طريقتهم وسيرتهم وذلك لان المدعي للشيء مواظب عليه فيمكن ان يجعل الدعوى كناية عن الملازمة
ان لم يكن في قولهم سبحانك اللهم دعاء ولا دعوى وقيل ان تمنيهم كقوله لهم ما يدعون اى ما يتمنونه ويقول العرب ادع على ما شئت
اى تمن فكان تمنيهم في الجنة ليس الا تسبيح الله وتقديسه لقد كانوا في الدنيا يدعون في الحروب من يكون اليه ويستنصرونه فيقول

فان ازدحام النقوش الجسمانية

يا آل فلان فاخبر الله تعالى عنهم انه انسهم في الجنة بذكر الله سكونهم بتحميده وتحيتهم فيها سلام اى بعضهم يحيي بعضا بالسلام وقيل هي تحية الله والملائكة
اياهم اضافة للمصدر الى المفعول وآخر دعويهم ان الحمد لله ان هي المخففة من الثقيلة واصله انه الحمد لله على ان الضمير للشان قال اهل النظر من
المفسرين في سبب تخصيص هذه الاذكار باهل الجنة ان قوله وقوله سبحانك اللهم علم بين اهل الجنة وخدامهم اذا سمعوا ذلك منهم ثم الحمد لله
رب العالمين قال القاضي انه وعد المتقين بالثواب العظيم فاذا دخل اهل الجنة الجنة ووجدوا تلك المواعيد قالوا سبحانك اللهم اى نسبحك
عن الخلف في الوعد وقيل الهمهم الله بني آدم في الجنة بعد انقراض الدنيا ما افتخر به الملائكة قبلهم في قولهم ونحن نسبح بحمدك ويمكن ان يقال ان
لكل انسان معراجا بحسب قوته فاذا وصل العارف الصادق الى صفات جلال الله تعالى قال سبحانك واذا ارتقى منها الى اللذات قال
اللهم فاذا عجز عن ذلك المضمار واحترق في اوايل تلك الانوار رجع من عالم الجلال الى عالم الاكرام فافاض الخير على جميع المحتاجين ويدفع المخافات
والمكاره عنهم بكل ما امكنه وذلك قوله وتحيتهم فيها سلام ثم اذا شاهدوا اثر نعمة الله عليهم بالاستفاضة والافاضة اختتموا الكلام
بقولهم الحمد لله رب العالمين على هدايته وارشادهم في العروج والنزول مادامو في الدنيا فيكون تلك حالهم في العقبى لقوله كما تعيشون
تموتون وكما تموتون تبعثون التاويل قيل بشارتان احدهما من الحق للخلق الى حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم كانه قال بالائي عليك في الازل وانت في
العدم وبلطفي عليك في الوجود وبرحمتي ورافتي لك من الازل الى الابد الثانية من الحق لنبيه عليه السلام يقول بانسان معى حين خلقتك وحدك
ولم يكن ثالث وبلبيك الذى اجبتني به حين دعوتك للخروج من العدم فقلت ياسيدى ياسيد فقلت لبيك وسعديك والخير كله بيديك
وبرجوعك مني الى حين قلت لنفسك بجذبة ارجعي الى ربك تلك اى هذه الآيات المنزلة عليك آيات الكتاب الحكيم الذى وعدتك في
الازل وانشئت لك ولامتك والحاكم على الكتب كلها فلا ينسخه كتاب وهو ينسخ الشرايع والاحكام والكتب كلها الى رجل منهم لما راى فيه من وجوه
قبول الوحي دون غيره ويحتمل ان يكون معنى للناس عهد الله قدم صدق محمد صلى الله عليه وسلم لانه اول من خرج من العدم الى الوجود وهو العناية الازلية
سبقت رحمتي غضبي لساحر مبين صدقوا في انهم مسحورون الا انه سحرهم سحرة صفات فرعون النفس ان الذى ربيكم هو الذى خلق
السموات سموات ارواحكم وارض نفوسكم من ستة انواع هي الروح والقلب والعقل والنفس الحيواني والنفس النباتي والصورة المعدنية ثم
استوى على عرش القلب يدبر امر السعادة والشقاوة يقلبه كيف يشاء اليه مرجعكم جميعا فرجعوا مقبولين بجذبات العناية التى
صورتها خطاب ارجعي الى ربك وحقيقتها جذب ارباب القلب ونتيجتها عزوف النفس عن الدنيا واستواء الذهب والمدر عندها ورجوع
المردودين بغير الاختيار بالسلاسل والاغلال من مناهج تعلقات الدنيا واستيلاء صفات النفس بالقسط اى لكل بحسب كماله
ونقصانه جعل شمس الروح ضياء ينير بها قمر القلب اذا وقع في مواجهها واذا وقع في مقابلة ارض النفس انكسف ولهذا سمي قلبا التقلب
احواله بين الروح والنفس وتلك الاحوال هي منازله ومقاماته لتعلموا عدد سنين المقامات وحساب الكشوف والمشاهدات ان في
اختلاف ليل صفات البشرية ونهار صفات الروحانية وما خلق الله في سموات الروحانية وارض البشرية من الاوصاف والاخلاق
وتبدل الاحوال لآيات دالة على التوحيد لقوم يتقون الاخلاق الذميمة والذين هم عن آياتنا غافلون وان لم يركنوا الى الدنيا وتمتعاتها
كالرهابين والبراهمة ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في
بعض الفلاسفة والله تعالى اعلم واگر تعجيل کردی خدا از برای مردمان شر را تعجيل ايشان بخير هر اينه رانده شدی بسوی ايشان اجل ايشان پس وا ميگذاريم آنان را که اميد ندارند لقای ما را
طغيانهم يعمهون وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر
در زياده روی ايشان که حيران ميشوند وچون مس کند آدمی را زيان ميخواند ما را خوابيده بر پهلو يا نشسته يا ايستاده پس چون دفع کرديم ازو ضرر او را بگذرد گويا که نخواند ما را بسوی
مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما
زيانی که رسيده او را همچنين آراسته شد از برای مسرفان آنچه بودند ميکردند وبتحقيق هلاک کرديم اهل زمانها را از پيش شما چون ستم کردند وآمدند ايشان را رسولان ايشان با معجزات ونه
كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون وإذا تتلى عليهم
بوده که ايمان آورند همچنين جزا دهيم گروه گناهکاران را پس گردانيديم شما را جانشينان در زمين از بعد ايشان تا ببينيم چگونه ميکنيد وچون خوانده شود بر ايشان
آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا او بدله قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان
آيتهای روشن ما ميگويند آنانکه اميد نميدارند ملاقات ما را بيار قرآنی جز اين يا بدل کن آن را بگو نسزد مرا که بدل کنم آن را از پيش خود پيروی نميکنم
اتبع الا ما يوحى الي اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادريكم به فقد
مگر آنچه وحی کرده ميشود بسوی من بدرستيکه من ميترسم اگر نافرمانی کنم پروردگار خود را از عذاب روز بزرگ بگو اگر خواستی خدا نخواندمی آن را بر شما ونه اعلام کردی شما را بآن پس
لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته انه لا يفلح المجرمون ويعبدون
درنگ کردم در ميان شما عمری پيش از آن آيا پس در نمی يابيد پس کيست ستمکارتر از آنکه بر بافت بر خدا دروغ را يا تکذيب کرد آيتهای او را بدرستيکه رستگار نشوند گناهکاران ومی پرستند
من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات
از غير خدا آنچه ضرر نرساند ايشان را ونه نفع کند ايشان را وميگويند اينها شفيعان مايند نزد خدا بگو آيا خبر ميدهيد خدا را بآنچه نميداند در آسمانها

ع

سورة يونس

زعم مبرک قال الله رحيم
يتبعون تقوال انظار
...سبحانك اللهم
قالوا سبحانك اللهم بذلك
فاذا تيقنوا ذلك

وَلَا فِي الْاَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ وَمَا كَانَ النَّاسُ اِلَّا اُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ
ونه در زمين منزه است وبرتر است از آنچه شريک مى‌آرند ونبودند مردمان مگر امت واحد پس اختلاف کردند واگر نبودى کلمه که پيش رفته است از پروردگار تو
بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ وَيَقُولُونَ لَوْلَا اُنْزِلَ عَلَيْهِ اٰيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ اِنَّمَا الْغَيْبُ لِلّٰهِ فَانْتَظِرُوا اِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ
ميان ايشان در آنچه در آن اختلاف مى‌کردند ومى‌گويند چرا فرو فرستاده نشد بر او آيتى از پروردگار او پس بگو جز اين نيست که غيب مر خداى راست پس منتظر باشيد بدرستيکه من با شما از منتظرانم

القراءة لقضي اليهم مبنيا للفاعل اجلهم بالنصب ابن عامر ويعقوب الاخرون مبنيا للمفعول ورفع اجلهم او بدله بضم اللام وسكون الياء روى خلف عن الكسائي في الاخبار عنه وعن غيره الاشمام الى ان يفتح الياء وكذلك لي اخاف ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو نفسي ان بفتح الياء وابو عمرو وابو جعفر ونافع لا ادريكم بلام الابتداء فعلا ماضيا مثبتا روى ابو ربيعة عن البزي وحمزه وعلي وابو عمرو وخلف وورش من طريق النجاري والخزاز عن هبيرة وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان وحماد ويحيى طريق ابي حمدون بالامالة فعلا ماضيا منفيا بلا الباقون مثله ولكن بالتفخيم تشركون بتاء الخطاب وكذلك في النحل والروم حمزه وعلي وخلف الباقون بالياء الوقوف اجلهم ط لان ما بعده مستقبل الى فنحن نذر يعمهون او قائما ط يعملون ظلموا الا ط لان الواو للحال ليؤمنوا ط المجرمين يعملون بينات ط لان ما بعده جواب اذا او بدله ط نفسي ج ط لان ان النافية لها صدر الكلام ولكن القائل متحد الى ط ج كمثل ما قلنا عظيم ط بر الوصل اولى للفاء او لشدة اتصال المعنى من قبله ط تعقلون باياته ط المجرمون عند الله ط في الارض ط يشركون فاختلفوا ط يختلفون من ربه ج للابتداء بالامر مع الفاء فانتظروا ج لاحتمال الابتداء او التعليل المنتظرين التفسير انه سبحانه ابتدأ في هذه السورة بذكر الشبهات القوم فالاولى انهم تعجبوا من تخصيص الله محمدا صلعم بالنبوة فازال ذلك التعجب بالانكار وبالدلائل الدالة على صحة المبدأ او المعاد فكانه قيل انه ما جاء الا ببدل التوحيد والاقرار بالمعاد فلم يبق للتعجب معنى ثم شرع في شبهة اخرى وهي انهم كانوا يقولون ابدا اللهم ان كان محمد حقا فامطر علينا حجارة من السماء فاجابهم بقوله ولو يعجل الله الاية وقال القاضي لما ذكر الوعيد على عدم الايمان بالمبدأ والمعاد ذكر ان ذلك العذاب من حقه ان يتاخر عن هذه الحيوة الدنيا والا نافى التكليف وقال القفال لما وصفهم فيما مر بالغفلة اكد ذلك بان من غاية غفلتهم ان الرسول متى انذرهم استعجلوا العذاب فبين الله تعالى انه لا مصلحة في تعجيل ايصال الشر اليهم فلعلهم يؤمنون او يخرج من اصلابهم من يؤمن كانوا عند نزول الشدائد يدعون الله بكشفها كما يجيء في الاية التالية وفي الرخاء كانوا يستعجلون النبي بالعذاب فقال ما معناه ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما يعجل لهم الخير ويجيبهم اليه لاميتوا واهلكوا قال في الكشاف اصل الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم بالخير فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم حتى كان استعجالهم بالخير تعجيل منه لهم وقيل التعجيل معناه طلب العجلة الا ان الاستعجال اشهر واظهر فمعنى الاية لو اراد الله عجلة الشر للناس كما ارادوا عجلة الخير لهم وقيل هما متلازمان فكل معجل يلزمه الاستعجال الا انه تعالى وصف نفسه بتكوين العجلة ووصفهم بطلبها لان اللايق به التكوين واللايق بهم الطلب وسمي العذاب في الاية شرا لانه اذى والم في حق المعاقب به ثم ان قوله ولو يعجل كان متضمنا المعنى نفي التعجيل فيمكن ان يكون قوله فنذرهم معطوفا على منوي كانه قيل ولكن لا يعجل فنذرهم الزاما للحجة او لمصالح اخرى ثم بين انهم كاذبون في استعجال الشر ولو اصابهم ما طلبوه اظهروا العجز والطيش فقال واذا مس الانسان الضر اي هذا الجنس دعانا لجنبه اللام في معنى الوقت كقولك جئته لشهر كذا وان شئت قلت في موضع الحال لان الظرف والحال متاخيان فصح عطف احدهما على الاخر وتاويل احدهما بالاخر اي دعانا مضطجعا او قاعدا او قائما او وقت اضطجاعه وقعوده وقيامه والمراد انه يدعو الله في جميع احواله لا يفتر عن الدعاء ثم ان خص الضر بالمرض احتمل ان يراد انه يدعو الله حين كان مضطجعا غير قادر على القعود او قاعدا غير قادر على القيام او قائما لا يطيق المشي والمضطر الى ان يخف كل الخف ويرزق الصحة بكمالها ويراد ان من المضرورين من هو اسوء حالا وهو صاحب الفراش ومنهم من هو اخف وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يصبرون على الضراء قال بعض المفسرين الانسان ههنا هو الكافر ومنهم من بالغ فقال كل موضع في القران ورد فيه ذكر الانسان فالمراد به الكافر وهذا شبه تحكم لورود مثل قوله تعالى هل اتى على الانسان الا ان يساعده نقل صحيح والاصح عند العلماء العموم لان الانسان خلق ضعيفا لا يصبر على اللاواء ولا يشكر عند النعماء الا من عصمه الله وقليل ما هم وهم الذين نظرهم في جميع الاحوال على المقدر المؤجل للامور حسب ارادته ومشيته فلا جرم ان اصابهم السراء شكروا وان اصابهم الضراء صبروا فافنوا ارادتهم في ارادته ورضوا بقضائه قال الزجاج في الاية تقديم وتاخير والتقدير واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما وضعف بان تعديد احوال الدعاء ابلغ من تعديد احوال الضر لانه اذا كان داعيا على الدوام ثم نسي ذلك في وقت الرخاء كان اعجب ومعنى مر مضى على طريقته التي كان عليها قبل مس الضر ومر عن موقف الدعاء والتضرع لا يرجع اليه ومعنى كان لم يدعنا كانه لم يدعنا مخففة حذف ضمير الشان كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون من تتبع الشهوات والمزين هو الله تعالى والنفس والشيطان تفرع على مسئلة الجبر والقدر وقد مر مرارا قال العلماء سمي الكافر مسرفا لانه انفق ماله من الاستعداد الشريف من القوى البدنية والاموال النفيسة في الامور الخسيسة الزائلة من الاصنام التي هي احقر من لا شيء

ومن الشهوات الفانية التي لا اصل لها ولا دوام والمسرف في اللغة هو الذي ينفق المال الكثير لاجل الغرض الخسيس فصح ما قلنا ثم ذكر ما يجري مجرى الردع والزجر لهم عن القاء الشبه والاغاليط فقال ولقد اهلكنا القرون وقد مضى تفسير القرن في اول الانعام ولما ظرف لاهلكنا والواو في وجاءتهم للحال اي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالدلائل والحجج على صدقهم وهي المعجزات وقوله وما كانوا ليؤمنوا اما ان يكون عطفا على ظلموا او يكون اعتراضا واللام لتاكيد النفي وان الله قد علم منهم انهم يصرون على الكفر والسبب في اهلاكهم تكذيب الرسل وعلم الله باصرارهم كذلك اي مثل ذلك الجزاء وهو الاستيصال الكلي نجزي كل مجرم وفيه وعيد لاهل مكة على تكذيبهم رسول الله صلعم ثم خاطب الذين بعث اليهم رسول الله صلعم بقوله ثم جعلناكم خلائف اي استخلفناكم في الارض من بعد تلك القرون لننظر كيف تعملون خيرا او شرا استعير النظر للعلم الحقيقي الذي لا يتطرق اليه شك يعني به العلم الذي يتعلق به الجزاء كما مر في الاعراف قال قتادة صدق الله ربنا ما جعلنا خلفاء الا لينظر الى اعمالنا فاروا الله من اعمالكم خيرا بالليل والنهار ثم حكى نوعا ثالثا من شبهاتهم فقال واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا اي لا يؤمنون بالمعاد لان كل من كان مؤمنا بالنشور فانه يرجو ثواب الله ويخاف عقابه وانتفاء اللازم دليل انتفاء الملزوم طلبوا من الرسول احد امرين اما الاتيان بقران غير هذا القران مع بقاء هذا القران على حاله واما تبديل هذا القران بنسخ بعض الايات ووضع اخرى مكانها فامره الله تعالى ان يقول في جوابهم ما يكون لي اي ما ينبغي وما يحل ان ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي فنفى عن نفسه احد القسمين الذي هو اسهل واقل ليلزم منه نفي الاصعب الاكثر بالطريق الاولى ثم اكد الجواب بقوله ان اتبع اي ما اتبع الا ما يوحى الي ان نسخت اية تبعت النسخ وان بدلت اية مكان اية تبعت التبديل وقد تمسك بهذا نفاة القياس ونفاة جواز الاجتهاد واجيب بان رجوعهما ايضا الى الوحي ونقل عن ابن عباس ان قوله اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم منسوخ بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وضعف بان النسخ انما يكون في الاحكام والتعبدات لا في ترتيب العقاب على المعصية قال المفسرون هذا الالتماس منهم يحتمل ان يكون على سبيل السخرية فقد روى مقاتل والكلبي انهم خمسة نفر من مشركي مكة وهم المستهزءون في قوله انا كفيناك المستهزئين ويحتمل ان يكون على سبيل التجربة والامتحان حتى انه ان فعل ذلك علموا انه كاذب فيما اراد وان هذا القران مشتمل على ذم الهتهم فطلبوا قرانا اخر لا يكون كذلك ثم اكد كون هذا القران من عند الله سبحانه وانه غير مستبد في ايراده فقال لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادريكم ولا اعلمكم الله به على لساني ومن قرأ بلام الابتداء فمعناه ما تلوته انا عليكم ولا اخبركم الله به على لسان غيري ولكنه يمن على من يشاء من عباده فرأني اهلا بذلك دون غيري وقرئ ولا ادراتكم به بالهمزة ووجهه ان يكون الهمزة مقلوبة من الالف او يكون من الدرء الدفع ومعنى لو شاء الله ما جعلته دارئا اي لما جعلكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال وتكذبونني فقد لبثت فيكم عمرا اي بعضا معتبرا من العمر وهو اربعون من قبله افلا تعقلون فيه قدح في صحة عقولهم لان ظهور مثل هذا الكتاب العظيم المشتمل على علوم الاولين والاخرين المعجز للثقلين عن معارضته على من عرفوا حاله من عدم التعلم والمدارسة ومخالطة العلماء لا شك فيه انه من قبيل الوحي والمدد السماوي كان ذلك انكارا للضروريات وافتراء على الله فلهذا قال فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا الاية وفيه ان هذا القران لو لم يكن من عند الله ثم نسبه الرسول الى الله لم يكن احد اظلم منه ثم قبح الله اصنامهم معارضة لهم بنقيض مقصودهم من الالتماس فقال ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ان لم يعبدوه ولا ينفعهم ان عبدوه ومن حق المعبود ان يكون مثيبا معاقبا وفيه اشعار بانها جماد والمعبود لا بد ان يكون اكمل من العابد اذا كانت المنافع والمضار كلها من الله فلا يليق العبادة الا به ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قد ذكرنا وجه ذلك في اوائل سورة البقرة في قوله ولا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون ثم انكر عليهم معتقدهم بقوله قل اتنبئون الله بما لا يعلم والمراد انه لا وجود لكونهم شفعاء اذ لو كان موجودا لكان معلوما للعالم بالذات المحيط بجميع المعلومات وهذا مجاز مشهور يقول ما علم الله ذلك مني والمقصود انه ما وجد منك ذلك قط وفي قوله في السموات ولا في الارض تاكيد اخر لنفيه لان ما لم يوجد فيهما فهو منتف معدوم قوله سبحانه وتعالى عما يشركون اما ان يكون من تمام ما امر النبي صلعم ان يقول لهم او ابتداء كلام من الله تعالى نزه بها نفسه عن اشراكهم وعن الشركاء الذين يشركونهم به ثم بين ان عبادة الاصنام بدعة وان الناس يعني العرب او البشر كلهم كانوا على الدين الحق فاختلفوا وقد مر تفسير مثله في سورة البقرة في قوله كان الناس امة واحدة والمقصود ههنا تقبيح صورة الشرك وعبادة الاصنام من دون الله في اعينهم وتنفير طباعهم عن مثل هذا الامر المستحدث الفظيع ولولا كلمة سبقت من ربك من بناء امر الثواب والعقاب على التكليف لا على الالجاء والقسر او من تاخير الحكم بينهم الى يوم القيمة او من قوله سبقت رحمتي غضبي لقضي بينهم عاجلا ولميز المحق من المبطل ثم ذكر نوعا رابعا من اغاليطهم فقال ويقولون لولا انزل عليه اية من ربه وقد مر تفسيره في الانعام في قوله لولا نزل عليه اية من ربه كانهم لم يعتدوا بالقران اية فاقترحوا غيره تعنتا فقل انما الغيب لله هو المختص بعلمه فانتظروا نزول ما اقترحتموه هذا امر فيه تهديد ووعيد والله ورسوله اعلم

ع

وَاِذَا اَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ اِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي اٰيَاتِنَا قُلِ اللّٰهُ اَسْرَعُ مَكْرًا اِنَّ رُسُلَنَا
وچون بچشانيم مردمان را رحمتى از پس سختى که رسيده باشد ايشان را ناگاه مر ايشان را مکر است در آيات ما بگو خدا زودتر است از روى مکر بدرستيکه فرستادگان ما
يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتّٰى اِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا
مى‌نويسند آنچه مکر مى‌کنند

رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ

بادی تند و بیاید ایشانرا موج از هر جا و دانستند که ایشان احاطه کرده شد بایشان خوانند خدا را خالص کردانندگان برای او دین را که اگر نجات دهی ما را از این هر اینه باشیم از شکر گزاران

فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ

چون نجات داد ایشانرا ناگاه ایشان ستم میکنند در زمین بغیر حق ای مردمان جز این نیست ستم شما بر خود شما در زندگانی دنیا پس بسوی ماست بازگشت شما پس آگاه کنیم

بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ

بآنچه بودید که میکردید جز این نیست مثل زندگانی دنیا بچون آبی که فرو فرستادیم آنرا از آسمان پس آمیخت بآن رستنی زمین از آنچه میخورند مردمان و چهارپایان

حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا

تا چون گرفت زمین پیرایش را و زینت یافت و گمان بردند اهل آن که ایشان قدرت دارند کاشتند بر آنها آمد آنرا امر ما شبی یا روزی پس گردانیدیم آنرا درو کرده

كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ

گویا که نبود در زمان پیش همچنین تفصیل میدهیم آیتها را برای قومی که اندیشه میکنند و خدا میخواند بسوی سرای سلامت و راه مینماید کسی را که بخواهد بسوی راه راست

مُسْتَقِيمٍ ۝ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ وَ

راست مر آنانرا که نیکی کردند نیکی است و زیادتی و نپوشد رویهای ایشانرا گرد و نه خواری آنها اهل بهشتند در آن جاویدانند و

الَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ

آنانکه کسب کردند بدیها را جزای بدی بمانند آنست و فرو گیرد ایشانرا خواری نیست ایشانرا از خدا هیچ نگهدارنده گویا پوشانیده شد رویهای ایشان پارها از شب

مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا

تیره آنگروه اهل آتشند ایشان در آن جاویدانند و روزیکه حشر کنیم ایشانرا همه پس گوییم مر آنانرا که شرک آوردند بایستید بجای خود شما و انبازان شما پس جدائی

بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ۝ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ۝ هُنَالِكَ

میان ایشان و گفتند انبازان ایشان نبودید که ما را میپرستیدید پس کافیست خدا گواه میان ما و شما که بودیم از پرستیدن شما هر اینه بیخبران آنجا

تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۝ القراءة يمكرون بياء الغيبة سهل

بیازماید هر نفسی آنچه پیش فرستاده و باز گردانیده شوند بسوی خدا که مولای ایشانست بحق و گم شد از ایشان آنچه افترا میکردند روح الباقون بالتاء الفوقانية

ينشركم بالنون ابن عامر ويزيد الباقون يسيركم من التسيير متاع بالنصب حفص والمفضل الباقون بالرفع قطعا بسكون الطاء ابن كثير

وعلي وسهل ويعقوب الآخرون بفتحها تتلوا بتائين من التلاوة حمزة وعلي وخلف وروح وروي عن عاصم نبلو بالنون ثم

الباء الموحدة كل نفس بالنصب الباقون بباء التأنيث كل بالرفع الوقوف بآياتنا ط مكرا ط تمكرون ٥ والبحر ط في الفلك ج ط للعدل

مع أن جواب إذا منتظر أحيط بهم ط لأن قوله دعوا بدل من ظنوا لأن دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو متلبس به وإن جعل جوابا

دعوا عن سؤال سائل فما صنعوا كان للوقف وجه الدين ج لاحتمال إضمار القول وجعل الدعاء في معنى القول الشاكرين بغير

الحق ط على أنفسكم ط إلا لمن جعله متعلقا بأنفسكم تعملون ٥ والأنعام ط عليها ج لأن ما بعده جواب إذا بالأمس ط يتفكرون ٥ السلام قف

مستقيم ٥ وزيادة ط ولا ذلة ط الجنة ج ط خالدون ٥ بمثلها ط لا لأن قوله وترهقهم معطوف على محذوف أي يلزمهم جزاء سيئة وترهقهم

ذلة عاصم ج ط لأن الكاف لا يتعلق بعاصم مع تعلقها بذلة قبله معنى لأن رهق الذلة سواد الوجه المعبر عنه بقوله كأنما مظلما ط

أصحاب النار ج ط خالدون ٥ شركاؤهم ج ط للعدل مع فاء التعقيب تعبدون ٥ لغافلين ٥ يفترون ٥ نصف الجزء التفسير لما بين في

الآية المتقدمة أنهم يطلبون الآيات الزائدة عنادا ومكرا ولجاجا أكد ذلك بقوله وإذا أذقنا روي أنه سبحانه سلط القحط على أهل

مكة سبع سنين ثم رحمهم وأنزل الأمطار النافعة ثم إنهم أضافوا تلك المنافع إلى الأصنام وقيل نسبوها إلى الأنواء فقابلوا نعم الله

بالكفران فذلك مكرهم وهو احتيالهم في دفع آيات الله بكل ما يقدرون عليه من إلقاء شبهة أو تخليط في المناظرة وفي تخصيص الإذاقة

بجانب الرحمة دليل على كثير من الرحمة قليل بالنسبة إلى رحمته الواسعة وفيه أن الإنسان لغاية ضعف الفطرة لا يطيق أدنى الراحة كأنه

لا يطيق أدنى الألم الذي يمسه قال في الكشاف معنى مستهم خالطتهم حتى أحسوا بسوء أثرها فيهم وهذا أيضا من جملة الضعف أنه نسي ما عهد

من الضر الشديد إذا الثانية للمفاجأة وقعت مقام الفاء في جواب الشرط كما مر في قوله إذا هم يسخطون وفائدته أن يعلم أنهم فاجؤوا وقوع

المكر منهم في وقت الإذاقة وسارعوا إليه ولم يلبثوا قدر ما ينفضوا من رؤوسهم غبار الضر ولهذا قال سبحانه قل الله أسرع مكرا

يقدر على إيصال جزاء مكرهم إليهم قبل أن يرتد إليهم طرفهم ولكنه يمهلهم لأجل معلوم ليتضاعف جنايتهم مع كونه محفوظا بأنه قوله إن

رسلنا يكتبون ما تمكرون وقد مر تحقيق هذا في تفسير قوله ويرسل عليكم حفظة واعلم أن مضمون هذه الآية قريب من مضمون

قوله وإذا مس الإنسان الضر إلا أن هذه زائدة عليها بدقيقة هي أنهم بعد الإعراض عن الدعاء يطلبون الغوائل ويقابلون الرحمة بالمكر

والحذيفة

والحذيفة ولا يرضون راسا براس ثم ضرب لجل ما وصفهم به مثلا حتى ينكشف المقصود تمام الانكشاف فقال هو الذي يسيركم ومن قرأ

ينشركم فكقوله فانتشروا في الأرض قال بعض العلماء المسير في البحر هو الله سبحانه وتعالى وأما في البر فالمراد من التسيير التمكين والإقدار والحق

أن جميع الأفعال والحركات مستندة إلى إحداث الله تعالى غاية ذلك أن آثار إقداره وإحداثه في البحر أظهر كما مر في تفسير قوله والفلك التي

تجري في البحر قال القفال هو الله الهادي لكم إلى السير في البحر طلبا للمعاش وهو المسير لكم لأجل أنه هيأ لكم أسباب ذلك السير حتى لا تنتهاء الغاية

والغاية مضمون الجملة الشرطية بكمالها فالقيود المعتبرة في الشرط ثلاثة أولها الكون في الفلك وثانيها جري الفلك بهم بالريح الطيبة

والضمير في جرين للفلك على أنها جمع كما مر وثالثها فرحهم بها والقيود المعتبرة في الجزاء ثلاثة أيضا أولها جاءتها أي الفلك والريح الطيبة تلقتها

ريح عاصف ذات عصوف كلابن لذات اللبن أو لأن لفظ الريح مذكر والعصوف شدة هبوب الريح وثانيها وجاءهم الموج من كل مكان

أي من جميع جوانب الفلك والموج ما ارتفع من الماء فوق البحر وثالثها وظنوا أنهم أحيط بهم أي غلب على ظنونهم الهلاك وأصله أن العدو

إذا أحاط بقوم أو بلد فقد دنوا من البوار فجعل إحاطة العدو بالشخص مثلا في الهلاك وقرئ في الفلكي الآية قال في الكشاف وإنما التفت في

قوله وجرين بهم إلى آخره من الخطاب إلى الغيبة للمبالغة كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح وقال الإمام فخر

الدين الرازي الانتقال من مقام الخطاب إلى مقام الغيبة في هذه الآية دليل المقت والتبعيد كما أن عكس ذلك في قوله إياك نعبد دليل الرضا

والتقريب قلت هذا حسن أما قوله دعوا الله مخلصين فقد قال ابن عباس تركوا الشرك ولم يشركوا به من آلهتهم شيئا وأقروا لله بالربوبية

والوحدانية وقال الحسن ليس هذا إخلاص الإيمان لكن لأجل العلم بأنه لا ينجيهم من ذلك إلا الله فيكون ذلك جاريا مجرى الإيمان الاضطراري

وقال ابن زيد هؤلاء المشركون يدعون مع الله ما يدعون فإذا جاء الضر والإلم لم يدعوا إلا الله وعن أبي عبيدة أن المراد من ذلك الدعاء

قولهم أهيا شراهيا تفسيره يا حي يا قيوم يحكى أن رجلا قال لجعفر الصادق رضي الله عنه ما الدليل على إثبات الصانع فقال أخبرني عن حرفتك فقال

التجارة في البحر قال صف لي كيف حالك فقال ركبت البحر فانكسرت السفينة وبقيت على لوح من ألواحها وجاءت الرياح العاصفة فقال

جعفر الصادق رضي الله عنه هل وجدت في قلبك تضرعا فقال نعم قال جعفر فإلهك هو الذي تضرعت إليه في ذلك الوقت لئن أنجيتنا من هذه الشدة

كما مر في الأنعام يبغون في الأرض بغير الحق البغي قصد الاستعلاء بالظلم من قولك بغى الجرح إذا ترامى إلى الفساد وأصله الطلب فلهذا

أكد المعنى بقوله بغير الحق قال في الكشاف إنما زاد هذا القيد احترازا من استيلاء المسلمين على أرض الكفرة بهدم دورهم وإحراق زروعهم كما

فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني قريظة قلت ويحتمل أن يراد بغير شبهة حق عندهم كقوله ويقتلون النبيين بغير الحق من قرأ متاع بالنصب فما

قبله جملة تامة أي إنما بغيكم وبال على أنفسكم وهو مصدر مؤكد كأنه قيل تتمتعون متاع الحياة الدنيا ومن قرأ بالرفع فإما على أن التقدير

هو متاع الدنيا بعد تمام الكلام أو على أنه خبر وقوله على أنفسكم صلة أي إنما بغيكم على أمثالكم والذين جنسهم جنسكم بغي بعضكم على

بعض منفعة الحياة الدنيا لا بقاء لها والبغي من منكرات المعاصي قال صلى الله عليه وسلم أسرع الخير ثوابا صلة الرحم وأعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة

وروي اثنتان يعجلهما الله في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال تعالى إنما بغيكم

على أنفسكم أي لا يتهيأ لكم بغي بعضكم على بعض إلا أياما قلائل وهي مدة حياتكم مع قصرها وسرعة انقضائها ثم إلينا أي إلى وعدنا من المجازاة

مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون وهو في هذا الموضع وعيد بالعقاب كقول الرجل في معرض التهديد سأخبرك بما فعلت ثم ذكر مثلا

لمن يبغي في الأرض ويغتر بالدنيا ويشتد تمسكه بها فقال إنما مثل الحياة الدنيا أي صفتها العجيبة الشأن كماء أنزلناه من السماء فاختلط

به أي اشتبك بسبب هذا الماء نبات الأرض فيحتمل أن يراد أن نباته ثم وصوله إلى حد الكمال كليهما بسبب المطر ويحتمل أن يراد أن نباته إلى

حد الكمال كليهما بسبب المطر ويحتمل أن يراد أن النبات كان في أول بروزه ومبدأ حدوثه غير مهتز ولا مترعرع فإذا نزل المطر عليه اهتز وربا

حتى اختلط بعض الأنواع ببعض وتكاثف حتى إذا أخذت الأرض زخرفها قال الجوهري الزخرف الذهب ثم يشبه به كل مموه مزور وازينت

أصله تزينت فأدغم واجتلبت لذلك همزة الوصل وهذا كلام في نهاية الفصاحة وفيه تشبيه الأرض بالعروس التي تأخذ الثياب الفاخرة

من كل لون فتلبسها ثم تتزين بجميع الأقسام المعهودة لها من حمرة وبياض ونحوهما وظن أهلها أي غلب على ظنونهم أو تيقنوا أنهم

قادرون عليها متمكنون من تحصيل ريعها أتاها أمرنا بإهلاكها واستيصالها وضربها ببعض العاهات ليلا أو نهارا أي حين غفلتهم

بالنوم أو حين اشتغالهم وتقلبهم في طلب معايشهم فجعلناها أي زرعها حصيدا شبيها بما يحصد من الزرع في قطعه واستيصاله كأن لم تغن

أي كأن الشأن لم يلبث زرعها بالأمس أي في زمان قريب يقال غني بالمكان بالكسر يغنى بالفتح إذا أقام به والأمس مثل في الوقت القريب هذا

والصحيح عند علماء البيان أن هذا التشبيه من التشبيه المركب قال في الكشاف شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بحال

نبات الأرض في جفافه وذهابه حطاما بعدما التف وتكاثف وزين الأرض بخضرته ورفيفه وقيل المراد أن عاقبة هذه الحياة التي

ينفقها المرء في باب الدنيا كعاقبة هذا النبات الذي حين عظم الرجاء به وقع اليأس منه لأن الغالب أن المتمسك بالدنيا إذا أنعم بها

عظمت رغبته فيها وانتظم أمره بعض الانتظام أتاه الموت وتلخيصه أنه كما لم يحصل لذلك الزرع عاقبة محمودة فكذلك المغتر بالدنيا المحب لها لا يحصل

عاقبة محمد ويحتمل ان يكون هذا مثلا لمن لا يؤمن بالمعاد فان الارض المزينة اذا زال حسنها فانه يعود رونقها مرة اخرى فكذا النشور كذلك نفصل
الآيات نذكر واحدة منها بعد الاخرى لتكون كثرتها وتواليها سببا لقوة اليقين موجبا لزوال الشك لقوم يتفكرون في احوال الآفاق و
الانفس ثم لما نفر المكلفين عن الميل الى الدنيا بالمثل السابق رغبهم في الآخرة بقوله والله يدعوا الى دار السلام ومثله ما روي عن النبي
انه قال سيد بنى دارا ووضع مائدة وارسل داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل ورضي عنه السيد ومن لم يجب لم يدخل ولم ياكل ولم يرض عنه
السيد فالله السيد والدار دار السلام والمائدة الجنة والداعي محمد وعنه ما من يوم طلع فيه الشمس الا وبجنبيها ملكان يناديان بحيث يسمع
كل الخلائق الا الثقلين ايها الناس هلموا الى ربكم والله يدعوا الى دار السلام واتفقوا على ان دار السلام هو الجنة واختلفوا في سبب التسمية
فقيل لان السلام هو الله والجنة داره فالاضافة للتشريف كما اطلق اسم السلام عليه تعالى لانه سلم من الفناء والتغير ومن جميع سمات النقص
والحدوث من الظلم والعجز والجهل وهو القادر على تخليص المضطرين عن المكاره والآفات فكفى بدار اضافها الله الى نفسه فضلا وشرفا
وبهجة وسرورا وقيل سميت دار السلام لان من دخلها سلم من الآفات والمخافات وقيل لفشوا السلام بينهم تحيتهم فيها سلام والملائكة يدخلون
عليهم من كل باب سلام عليكم سلام قولا من رب رحيم واعلم ان الدعوة عامة ولكن الهداية خاصة فلذلك قال ويهدي من يشاء الى صراط
مستقيم ومن هنا ذهب اهل السنة الى ان الهداية والضلالة والخير والشر كلها بمشية الله تعالى وارادته وقالت المعتزلة المراد ويهدي من يشاء
اجابة تلك الدعوة ويعنون ان من اجاب الدعاء واطاع واتقى فان الله يهديه اليها والمراد من الهداية الالطاف ثم قسم اهل الدعوة الى قسمين
وبين حال كل طائفة فقال للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولا بد من تفسير هذه الالفاظ الثلاثة فعن ابن عباس احسنوا اي ذكروا كلمة لا اله
الا الله وذهب غيره الى ان المراد اتيان الطاعات واجتناب المنهيات لان الدرجات العالية لا تليق الا بهم واما الحسنى فقال في الكشاف المراد
المثوبة الحسنى وقال ابن الانباري العرب توقع هذه اللفظة على الخلة المحبوبة والخصلة المرغوب فيها ولذلك ترك موصوفها واما الزيادة
فحملها اهل السنة على رؤية الله لان اللام في الحسنى للمعهود بين المسلمين من المنافع التي اعدها الله تعالى لعباده فالزيادة عليها تكون مغايرة لها
وما هي الا الرؤية وقالت المعتزلة الزيادة يجب ان يكون من جنس المزيد عليه ورؤية الله تعالى بعد التسليم جوازها ليست من جنس نعيم الجنة فالمراد
بها ما يزيد على المثوبة من التفضل كقوله ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله وزيف بان الزيادة اذا كان المزيد عليه مقدرا بمقدار معين
وجب ان يكون من جنسه كما لو قال الرجل لغيره اعطيتك عشرة امنان من الحنطة وزيادة اما اذا كان غير مقدر كما لو قال اعطيتك الحنطة
وزيادة لم يجب ان يكون الزيادة من جنس المزيد عليه والمذكورة في الآية لفظة الحسنى وهي الجنة وانها مطلقة فالزيادة عليها شيء مغاير لكل
ما في الجنة وعن علي الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس الحسنى الجنة والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف وعن مجاهد مغفرة
من الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة هي ان تمر السحابة باهل الجنة فتقول ما تريدون ان امطركم فلا يريدون شيئا الا امطرتهم هذا شأن
المنافع الحاصلة لهم واما انها منافع خالصة عن الكدورات فافاد ذلك بقوله ولا يرهق اي لا يغشى وجوههم قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة ولا
اثر هوان وكسوف بال ثم اشار الى كون تلك المنافع الخالصة امنة من الانقطاع بقوله اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون وهذا معنى قول
علماء الاصول الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم ثم بين حال الفريق الآخر بقوله والذين اي جزاء والذين كسبوا السيئات جزاء
سيئة بمثلها اي جزاؤهم ان يجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها ومن جوز العطف على عاملين مختلفين جوز ان يكون التقدير
وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها قالت المعتزلة وفيه دليل على ان المراد بالزيادة في الآية المتقدمة التفضل لانه دل بترك الزيادة
على السيئة على عدله فناسب ان يكون قد دل هناك باثبات الزيادة على المثوبة على فضله وترهقهم ذلة حين ما توا ناقصين خالين
عن الملكات الحميدة كان شعورهم بذلك سببا لذلهم وهوانهم على انفسهم وهذا على قاعدة حكماء الاسلام ان الجهل سواد وظلمة كما ان
العلم والمعرفة بياض ونور ومنه قول الشبلي رحمه كل بيت انت ساكنه غير محتاج الى السرج ما لهم من الله من عاصم اي لا يعصمهم احد من عذابه وسخطه
او ما لهم من جهة الله من عنده من يعصمهم كما للمؤمنين والتحقيق انه لا عاصم من الله لاحد في الدنيا ولا في الآخرة الا باذن الله الا ان هذا المعنى
في الآخرة اظهر كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ثم بالغ في الكشف عن سواد وجوههم فقال كانما اغشيت اي البست وجوههم قطعا
من الليل من قرأ بسكون الطاء فمعناه البعض والطائفة ومظلما صفته ومن قرأ بفتحها على انه جمع قطعة فمظلما حال من الليل والعامل
فيه ما معنى الفعل في من الليل او اغشيت لان قوله من الليل صفة لقوله قطعا فكان افضاء العامل الى الموصوف كافضائه الى الصفة قاله
في الكشاف واعلم ان جمعا من العلماء ذهبوا الى ان المراد بقوله والذين كسبوا السيئات هو الكفار لان سواد الوجه من علامات الكفر
بدليل قوله فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم وقوله ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة
ولقوله بعدها ويوم نحشرهم والضمير عائد الى هؤلاء ثم انه وصفهم بالشرك وقال الآخرون اللفظ عام يتناول الكافر والفاسق الا ان الآيات
المذكورة مخصصة ثم شرح بعض احوال المشركين في القيمة فقال ويوم نحشرهم منصوب باضمار اذكر او ظرف متعلق بتبلوا اي في يوم كذا
تبلو كل نفس وحاصل الكلام انه يحشر العابد والمعبود ليسئلوا فيتبرأ المعبود من العابد بخلاف ما كانوا يزعمون من قولهم هؤلاء شفعاؤنا

فيها

عندالله وفيه اشارة الى ان الممكن لا نسبة له الى الواجب الحق فاذا اتخذ الممكن معبودا برئ من ذلك في مقام لا ينفع الا الصدق قال في الكشاف مكانكم اي
الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم وعند ابي علي هو اسم من اسماء الافعال وحركته حركة بناء وهو كلمة وعيد عند العرب وانتم تاكيد
الضمير في مكانكم لسده مسد قوله الزموا وشركاؤكم عطف عليه فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم في الدنيا قيل
عين الكلمة واو لانه من زال يزول وانما قلبت ياء لان وزن الكلمة فيعل اي زيولنا مثل بيطرة على اهلال سيد قيل هي من زلت الشيء
ازيله فعينه على هذا ياء والوزن فعل ونظيره زيلنا قولهم نادى اصحاب الاعراف لان حكم الله بانه سيكون كالكائن وقال شركاؤهم
في صحة هذه الاضافة وجوه منها انهم جعلوا نصيبا من اموالهم لتلك الاصنام فهم شركاؤهم ومنها انهم متشاركون في الخطاب في قوله
مكانكم ومنها انهم اثبتوا هذه الشركة والشركاء قيل هم الملائكة لقوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا
يعبدون وقيل كل من عبد من دون الله وقيل الاصنام لان هذا الخطاب مشتمل على التهديد وانه لا يليق بالملائكة المقربين كيف
ينطق هذه الاصنام قيل لان الله يخلق فيهم الحيوة والعقل والنطق ثم هل يبقيهم ويفنيهم الكل محتمل ولا اعتراض لاحد عليه قيل يخلق فيهم
الكلام تهديد في حق العابدين فهل يكون تهديدا في حق المعبودين قالت المعتزلة لا لانه لا ذنب للمعبودين ومن لا ذنب له يقبح من الله تهديده
وتخويفه وقالت الاشاعرة لا يسئل عما يفعل ما قول الشركاء ما كنتم ايانا تعبدون وهم كانوا قد عبدوهم فالمراد انكم ما عبدتمونا بامرنا
وارادتنا فوالهم فكفى بالله شهيدا الآية ومن اعظم اسباب الغفلة كونها جمادات لا عقول لها ولا شعور وقيل ان ذلك الموقف لدهشة و
الحيرة فذلك الكذب يجري مجرى كذب الصبيان والمجانين والمدهوشين وقيل انهم ما اقاموا لاعمال الكفار وزنا فجعلوها كالعدم وقيل
المراد انهم عبدوا الشياطين حيث امروهم باتخاذ الانداد ومن جوز الكذب في القيمة فلا اشكال وهنالك في ذلك المقام وفي ذلك الموقف وفي ذلك
الوقت على استعارة اسم المكان للزمان تبلوا كل نفس تختبر وتذوق ما اسلفت من العمل ومن قرأ بالنون فالمعنى نفعل بها فعل الخابر
او نصيب بالبلاء وهو العذاب كل نفس عاصية لاجل ما اسلفت من الشر ومن قرأ تتلوا اي تتبع فمعناه تتبع ما اسلفت لان
عمله هو الذي يهديه الى طريق الجنة او الى طريق النار او تقرأ في صحيفتها ما قدمت من خير او شر وردوا الى الله موليهم الحق الصادق ربوبيته
وضل عنهم ما كانوا يدعون انهم شركاء الله او ما كانوا يختلقون من شفاعة الآلهة والحاصل انهم يرجعون عن الباطل ويعرفون الحق
حين لا ينفعهم ذلك التاويل واذا اذقنا الناس ذوق توبة وانابة وذوق كشف شهود من بعد ضراء وهي الفسوق والاخلاق الذميمة وحجب
الاوصاف اذا لهم مكر في آياتنا باظهارها الى غير اهلها بشرب النفس في طلب الجاه والقبول قل الله اسرع مكرا فيستدرجهم عن تلك المقامات
الى دركات البعد من حيث لا يشعرون وهو الذي يسيركم في البر البشرية والبحر الروحانية او في بر العبودية وبحر الربوبية حتى اذا كنتم في فلك
جذبات العناية وجرين بهم بهبوب نسيم شهود الجمال وفرحوا بالوصول والوصال جاءتها نكباء تجلي صفات الجلال وجاءهم موج البلايا والمحن
من اماكن النعم البلاء موكل بالانبياء ثم بالاولياء ثم الامثل فالامثل فلما انجاهم فيه اشارة الى ان ارباب الطلب لما وصلوا بجذبات الحق الى
شهود الجمال واستغراق لجج بحر الجلال استقبلهم عواصف العزة والكبرياء فيستدرجهم الى البغي وهو الطلب في ارض اسوى الحق غير الحق كما
انزلناه من سماء القلب الى ارض البشرية فاختلط به الصفات المولدة من ارض البشرية مما ياكل الناس والانعام من الصفات الحميدة
الانسانية والذميمة البهيمية اتيها حكمنا الازلي ليلا او عند استيلاء ظلمات صفات النفس او نهارا عند بقاء ضوء الفيض الروحاني لكنه
بامتزاج القوة الخيالية والوهمية وقع في ورطة العقائد الباطلة كما لبعض الفلاسفة والمبتدعة والله يدعوا الى دار السلام وهي مقام
الفناء لان صاحبه يسلم عن آفات الحجب في مقام العلم والمعرفة لان صاحبه يسلم عن آفة الاثنينية والجهالة ويهدي من يشاء بجذبات
العناية الى صراط مستقيم يؤدي الى السير بالله في الله للذين احسنوا الحسنى فالاحسان ان تعبد الله كانك تراه والحسنى هي شواهد الحق
والنظر اليه والزيادة الجنة وما فيها من النعيم وهي ما زاد على النظر من افناء قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع
الناسوتية في اللاهوتية والله ولي التوفيق
بگو كيست كه روزى ميدهد شما را از آسمان و زمين يا كيست كه مالك است گوشها
والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل افلا تتقون فذلكم الله
و ديدها را و كه بيرون مي آورد زنده را از مرده و بيرون مي آورد مرده را از زنده و كه تدبير ميكند كارها را پس زود باشد كه گويند خدا است پس بگو آيا پس نمي پرهيزيد پس اين خدا
ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فانى تصرفون كذلك حقت كلمت ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون
پروردگار شماست حق پس چيست بعد از حق مگر گمراهي پس كجا برگردانيده ميشويد همچنين لازم شد كلمه پروردگار تو بر آنانكه فسق ورزيدند بدرستيكه ايشان نمي گروند
قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده قل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده فانى تؤفكون قل هل من شركائكم من
بگو آيا از شريكان شما كيست كه مي آفريند خلق را پس باز مي آرد او را بگو خدا مي آفريند خلق را پس باز مي آرد او را پس كجا بر گردانيده ميشويد بگو آيا از انباز ان شما از
يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون وما يتبع
كه هدايت ميكند بسوى حق بگو خدا راه مي نمايد بسوى حق آيا پس كسيكه راه مي نمايد بسوى حق سزاوار تر است كه پيروى كرده شود يا كسيكه هدايت نمي يابد مگر آنكه هدايت كرده شود پس چيست شما را چگونه حكم ميكنيد و پيروى نمي كنند

نفقط ومذا الخطاب

وضاع عنهم

ع

أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ
بیشتر ایشان مگر گمانرا بدرستیکه گمان کفایت نمیکند از حق چیزیرا بدرستیکه خدا داناست بانچه میکنند و نباشد این قرآن که بدروغ بسته شود از غیر خدا
وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ
ولیکن تصدیق آنچیزیست که پیش از اوست و تفصیل احکام کتاب نیست شکی در آن از پروردگار جهانیان یا میگویند بربست بدروغ آنرا بگو پس بیاورید سوره
مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ
مانندش و بخوانید هر کرا توانید از غیر خدا اگر هستید راستگویان بلکه تکذیب کردند آنچه احاطه نکردند بدانشش و هنوز نیامده ایشانرا تاویلش همچنین
كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ
تکذیب کردند آنانکه پیش از ایشان بودند پس بنگر چگونه بود انجام ستمکاران و از ایشان کیست که میگرود بآن و از ایشان کیست که نمیگرود بآن و پروردگار تو داناتر
بِالْمُفْسِدِينَ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ القراءة كلمات ربك
بتبهکاران پس اگر تکذیب کردند ترا پس بگو مرا کردار من و شمار است کردار شما شما بیزارید از آنچه میکنم و من بیزارم از آنچه شما میکنید وكذلك في اخر السورة

على الجمع ابو جعفر ونافع وابن عامر لا يهدي مثل يهدي حمزة وعلي وخلف يهدي بسكون الهاء وتشديد الدال ابو جعفر ونافع غير ورش وعباس ابو عمرو غير عباس باشمام الفتحة قليلا يهدي بكسر الهاء وتشديد الدال عاصم غير يحيى وحبله وروى ابن يهدي بكسرتين والتشديد يحيى يهدي بفتحتين والتشديد ابن كثير وابن عامر وورش وسهل ويعقوب غير رويس الوقوف يدبر الامر ط الله ج فقل افلا تتقون ج ربكم الحق ج لان الاستفهام مع الفاء الا الضلال ج ط تصرفون لا يؤمنون ثم يعيده ط الاول ط تؤفكون الى الحق ط للحق ط ان يهدى ج ط لما مر فما لكم ص لحق لا الثاني تحكمون ط الا ظنا ط شيئا ط يفعلون العالمين افتراه ط صادقين تاويله ط الظالمين لا يؤمن به ط بالمفسدين عملكم ج لان انتم مبتدأ والعامل واحد تعملون التفسير لما بين فضايح عبدة الاوثان اكدها بالحجج اللامعة والبراهين القاطعة من احوال الرزق والحواس والموت والحيوة والابداء والاعادة والارشاد والهداية وقد بنى الحجج على الاستفهام وتفويض الجواب الى المسئول ليكون ابلغ في الزام الحجة واوقع في النفوس فالحجة الاولى قوله قل من يرزقكم من السماء والارض بانزال الامطار النافعة الموجبة لتولد الاغذية النباتية الحيوانية في الارض بعد رعاية شرائط تربيتها وانمائها وحفظها من العاهات ام من يملك السمع والابصار خص الحاستين بالذكر لما في خلقهما وتسويتهما من الفطرة العجيبة وكان ع يقول سبحان من بصر بشحم واسمع بعظم وانطق بلحم ولما في تحصينهما من الآفات في المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيهما ادنى شيء مزيد قدرة ورأفة ومن يخرج الحي من الميت الحيوان الماشي والطائر من النطفة والبيضة وقد مر سائر الاقوال في سورة الانعام ومن يدبر الامر عمم بعد ما خصص لان اقسام تدبيره تعالى في العالم العلوي والعالم السفلي وعالمي الغيب والشهادة امور لا نهاية لها وذكر كلها كالمتعذر فسيقولون الله وفيه دليل على انهم كانوا يعبدون الاصنام بناء على انها شفعاؤهم وانها تقربهم الى الله زلفى ولكنهم كانوا مخطئين في هذا الاعتقاد فلهذا ختم الاية بقوله فقل افلا تتقون الله الذي اعترفتم بانه سبب فيضان جميع الخيرات فكيف اشركتم بعبادته الجمادات التي لا تقدر على نفع او ضر فذلكم الموصوف بالقدرة الكاملة والرحمة الشاملة ربكم الحق الثابت ربوبيته بالوجدان والبرهان فماذا بعد الحق تامر بيّة وما نافية او استفهامية ومجموع ماذا كلمة واحدة معناها اي شيء بعد الحق الا الضلال والمراد انه لما ثبت وجود الواجب الحق كان ما سواه ممكنا لذاته فبطل دعوى الالهية لان واجب الوجود يجب ان يكون واحدا في ذاته وفي صفاته وفي جميع اعتباراته والا لزم افتقاره الى ما انقسم اليه فلا يكون واجبا هف فمحال ولهذا ختم بقوله فانى تصرفون كيف تستجيزون العدول عن هذا الحق الظاهر فمن يقعون في الضلال اذ لا واسطة بين الامرين فمن يخطى احدهما وقع في الاخر كذلك كما حق وثبت ان الحق بعد الضلال او كما حق انهم مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمت ربك وتفسير الكلمة انهم لا يؤمنون على انه بدل اي حق عليهم انتفاء الايمان وقد علم الله منهم ذلك في الازل او اراد بالكلمة العدة بالعذاب وانهم لا يؤمنون تعليل على حذف اللام احتجت المعتزلة بمثل قوله تعالى فانى تصرفون ان الصارف لو كان هو الله تعالى لم يصح منه هذا التعجيب والانكار وقالت الاشاعرة قد تعلق علمه تعالى بانهم لا يؤمنون كما قال حقت كلمة ربك فتعلق خبره بانهم لا يؤمنون وقدرته لم يتعلق بخلق الايمان فيه بل بخلق الكفر فيه واثبت ذلك في اللوح المحفوظ واشهد عليه ملائكته وانزله على انبيائه واشهدهم عليه فلو حصل الايمان لبطلت هذه الاشياء فينقلب علمه جهلا وخبره الصدق كذبا وقدرته عجزا وارادته عبثا واشهاده باطلا الحجة الثانية قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده وانما قال ثم يعيده مع ان الخصم لا يعترف به لانه تقدم في هذه السورة دلائل الاعادة بحيث لا يتمكن العاقل من دفعها اذا تامل وانصف فبنى الامر على ذلك وانما امر نبيه ان ينوب عنهم في الجواب بقوله قل الله الاية تنبيها على ان هذا المعنى بلغ في الوضوح الى حيث لا حاجة فيه الى اقرار الخصم المكابر فكانه قيل كلم عنهم ان لم يدعهم اللجاج ان ينطقوا بكلمة الحق وقوله فانى تؤفكون كقوله فانى تصرفون وقد مر في المائدة الحجة الثالثة الاستدلال على وجود الصانع بالخلق اولا ثم بالهداية عادة مطردة في القرآن فحكى عن الخليل الذي خلقني فهو يهدين وعن موسى ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى و

وامر محمدا بقوله سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والسر فيه ان المقصود من خلق الجسد حصول الهداية للروح وادراكها العلوم والمعارف فنبه بارشاد الخلق سبحانه اذ الطرق المنحرفة كثيرة والظنون والاغاليط غير محصورة فتحصيل الوسط الحقيقي لا يمكن الا بتوفيقه وهدايته ولا مدخل في ذلك بالاستقلال الملك والانسي والجني فضلا عن الاصنام التي هي في ادنى مراتب الوجود لانها جمادات لا شعور لها هذا تقرير الحجة الثالثة وقال الزجاج يقال هديت للحق والى الحق بمعنى فجمع بين العبارتين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قوله امن لا يهدي وسائر القراآت اصلها يهتدي فادغم وفتح الهاء بحركة التاء او كسر لالتقاء الساكنين وقد كسرت الهاء لاتباع ما بعدها قيل هذه الشركاء جمادات فكيف قال في حقها الا ان يهدى واجيب بوجوه منها ان المراد بها في الاية رؤساؤهم واشرافهم كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا والمراد ان الله سبحانه هو الذي يهدي الخلق الى الدين الحق بالدلائل النقلية وبما يمكنهم منه من الدلائل العقلية واما هؤلاء الدعاة والرؤساء فانهم لا يقدرون على ان يهدوا غيرهم الا اذا هداهم الله ومنها انهم لما اتخذوها الهة وصفهم الله تعالى بصفة من يعقل كقوله ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ومنها ان ذلك بالفرض والتقدير يعني انها لو كانت بحيث يمكنها ان تهتدي فانها لا تهدي غيرها الا ان يهدى ومنها ان البنية عندنا ليست بشرط في صحة الحيوة والعقل فيصح من الله تعالى ان يجعلها حية عاقلة ثم انها تشتغل بهداية الغير ومنها ان المراد من الهدى النقل والحركة يقال هديت المرأة الى زوجها اي نقلت اليه فالمعنى لا ينتقل الى مكان الا اذا نقل اليه ثم عجب من مذهبهم الفاسد باستفهامين متواليين فقال فما لكم كيف تحكمون ثم بين ما بنوا عليه امر دينهم فقال وما يتبع اكثرهم الا ظنا اي في اقرارهم بالله لانه قول غير مستند الى برهان عندهم بل سمعوه من اسلافهم او في قولهم للاصنام انها الهة او شفعاء وعلى هذا فالمراد بالاكثر الجميع ان الظن في معرفة الله وفيما يجب تحقيقه لا يغني من الحق وهو العلم والتحقيق شيئا من الغناء والمعنى ان الظن لا يقوم مقام العلم في شيء من الاحوال ثم اوعدهم على اتباعهم الظن وتقليد الاباء بقوله ان الله عليم بما يفعلون وتمسك نفاة القياس بالاية ظاهر من قبل ان القياس لا يفيد الا الظن واجيب بان التمسك بالعمومات لا يفيد الا الظن وهذه الاية من العمومات فلم يجب اتباعها بزعمكم وما افضى ثبوته الى نفيه كان متروكا ولما فرغ من دلائل التوحيد شرع في اثبات النبوة فقال وما كان هذا القرآن ان يفترى اي افتراء من دون الله وكلمة ان بمعنى اللام اي ما ينبغي له وما استقام ان يكون مفترى والحاصل ان وصفه ليس وصف شيء يمكن ان يفترى به على الله لانه معجز لا يقدر البشر على اتيان مثله وانما القادر عليه هو الله تعالى ولكن كان تصديق الذي بين يديه من الكتب المنزلة لاعجازه دونها فهو عيار عليها شاهد بصحتها ونفس هذا التصديق اية معجزة لان اقاصيصه موافقة لما في كتب الاولين مع انه لم يتعلم قط ولم يتلمذ ولان بشارته جاءت في تلك الكتب على وفق دعواه ولانه يخبر عن الغيوب المستقبلة فيقع مطابقا فظهر ان القرآن معجز من قبل اشتماله على الغيوب الماضية والمستقبلة اما انه معجز من جهة اشتماله على العلوم الجمة فذلك قوله وتفصيل الكتاب اي يبين ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع كقوله كتاب الله عليكم قال في الكشاف قوله لا ريب فيه من رب العالمين داخل في حيز الاستدراك كانه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين وجوز ان يكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ولا ريب فيه اعتراض كقولك زيد لا شك فيه كريم والمعنى ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لا ريب فيه ثم اعاد بيان اعجازه مرة اخرى فقال منبها على سبيل الانكار ام يقولون افتراه قل ان كان الامر كما تزعمون فاتوا انتم على وجه الافتراء بسورة مثله في البلاغة وحسن النظم فانتم مثلي في العربية والفصاحة وادعوا من استطعتم من دون الله اي لا تستعينوا بالله وحده ثم استعينوا بكل من سواه ان كنتم صادقين انه افتراه قال بعض العلماء هذه الاية في سورة يونس وهي مكية فلعل المراد بالسورة المتحدى بها هذه السورة والاصح ان التحدي واقع على اقصر سورة قالت المعتزلة لو لم يمكن الاتيان بمثل القرآن صحيح الوجود في الجملة لم يتحد العرب به لكنهم تحدوا به فدل على ان القرآن محدث اذ لو كان قديما والاتيان بالقديم محال لم يصح هذا التحدي واجيب بان القرآن يقال بالاشتراك على الصفة القديمة القائمة بذات الله وعلى هذه الحروف والاصوات المحدثة والتحدي انما وقع بهذه لا بتلك بل كذبوا سارعوا الى التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه وهو القرآن ولما يأتهم تأويله ومعنى التوقع فيه انهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليدا للآباء وكذبوا به بعد التدبر وتكرر التحدي عليهم واستيقان عجزهم عن معارضته بغيا وعنادا وانما حملهم على التكذيب اولا وجوه منها انهم وجدوا في القرآن اقاصيص الاولين ولم يعرفوا المقصود منها فقالوا اساطير الاولين وخفي عليهم ان الغرض منها بيان قدرة الله تعالى على التصرف في هذا العالم ونقل الامم من العز الى الذل وبالعكس ليعرف المكلفون ان الدنيا ليست مما يبقى فنهاية كل حركة سكون وغاية كل سكون ان لا يكون كقوله عز من قائل لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ومنها انهم كلما سمعوا حروف التهجي في اوائل السور ولم يفهموا منها شيئا ساء ظنهم بالقرآن فاجاب الله تعالى عنه بقوله هو الذي انزل عليك الكتاب الى قوله واخر متشابهات الاية ومنها انهم رأوا القرآن يظهر شيئا فشيئا فاتهموا النبي وقالوا لولا انزل عليه القرآن

جملة

جملة واحدة ومنها انهم وجدوا القران مملوا من حديث الحشر والنشر وكانوا قد الفوا المحسوسات فاستبعدوا ذلك ثم وجدوا فيه تكاليف كثيرة
من الصلوة والصيام والزكوة والحج والجهاد وكانوا يقولون ان اله العالم غنى عنا وعن طاعاتنا كذلك كذب الذين من قبلهم يعنى قبل
النظر فى معجزات انبيائهم قال اهل التحقيق فى الاية دلالة على ان من كان غير عارف بوجوه التاويل قد يقع فى الكفر والبدعة لان ظواهر
النصوص قد يتعارض فيفتقر هنالك الى تطبيق التنزيل على التاويل وقيل معنى بالغيوب حسبنا الايتان القران كتاب معجز من جهتين
من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب من جملتها احوال الاخرة فقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اشارة الى التكذيب
به قبل ان ينظروا فى نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقوله ولما ياتهم تاويله اشارة الى تكذيبهم قبل ان يتمحنوا غيوبه هل يطابق الواقع ام لا ثم ختم
الاية بقوله فانظر كيف كان عاقبة الظالمين والمراد انهم طلبوا الدنيا واعرضوا عن الاخرة فلم يبق عليهم الدنيا وفاتتهم الاخرة
فبقوا فى خسران الدارين وقيل المقصود عذاب الاستيصال الذى نزل بالمكذبين قبلهم ثم قسم طوايف الامم فقال ومنهم من يؤمن
به اى بالقران او بالرسول اى يصدق به فى نفسه ويعلم انه حق لكنه يعاند ومنهم من يشك فيه لا يصدق به لا ظاهرا ولا باطنا ويمكن ان يقال المراد
به قسمتهم فى الاستيصال اى ومنهم من سيؤمن به ومنهم من يبقى على الكفر فيكون الاية كالعذر فى تبقيتهم وعدم استيصالهم وربك
اعلم بالمفسدين فيجازيهم على حسب مراتبهم فى التكذيب ويعلم طوياتهم هل يتوبون او يصرون ثم بين اختصاص كل مكلف بافعاله
وبنتايج اعماله من الثواب والعقاب فقال وان كذبوك فقل لى عملى اى جزاء عملى على الطاعة والايمان وتبليغ الرسالة ولكم عملكم
قال مقاتل والكلبى هى منسوخة باية القتال والتحقيق ان اية القتال لا يدفع شيئا من مدلولات هذه فلا نسخ والله اعلم التاويل
قل من يرزقكم اى من ينزل من سماء النفس مطر الهوى ويخرج من ارض النفس نبات الافعال والاعمال او ينزل من سماء القلب مطر
انوار فيض الروح ويخرج من ارض النفس نبات الصفات البشرية والحيوانية او ينزل من سماء الروح مطر فيض الروح ويخرج من ارض
القلب نبات الاوصاف الحميدة او ينزل من سماء القدرة مطر تجلى الصفات والفيض الربانى ويخرج من ارض الروح المجردة الاخلاق
الالهية او ينزل من سماء الذات مطر تجلى الصفات ويخرج من ارض الوجود نبات الفناء فى الله وثمرات البقاء بالله امن يملك السمع و
الابصار فيكون سمعه الذى به يسمع وبصره الذى به يبصر يخرج الحى من الميت النفس من القالب والقلب من النفس والروح من القلب ويخرج الميت
ومن يدبر الامر امر الانسان بالتربية من التراب الى ان يصل الى رب الارباب فسيقولون هذه الاحوال كلها من الله فقل لمن بلغ نظره الى هذه
المراتب العلية وانها عتبة باب التوحيد والمعرفة افلا تتقون بالله عن غيره لتدخلوا بيت الوحدة كذلك حقت كلمة ربك هكذا اجرى
القلم فى الازل على الذين خرجوا عن قبول فيض النور حين رش على الخلق من نوره وتفصيل الكتاب تفصيل الجملة التى هى مكتوبة عنده فى
ام الكتاب هو علمه القايم بذاته وربك اعلم بالمفسدين الذين فسدوا استعدادهم الفطرى والله اعلم ومنهم من يستمعون اليك
افانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك افانت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون ان الله لا يظلم

الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر

الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين واما نرينك بعض الذى نعدهم او نتوفينك فالينا مرجعهم ثم الله شهيد

على ما يفعلون ولكل امة رسول فاذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ويقولون متى هذا الوعد

ان كنتم صادقين قل لا املك لنفسى ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله لكل امة اجل اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة

ولا يستقدمون قل ارايتم ان اتيكم عذابه بياتا او نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون اثم اذا ما وقع امنتم به الان

وقد كنتم به تستعجلون ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون ويستنبئونك احق هو قل اى

وربى انه لحق وما انتم بمعجزين ولو ان لكل نفس ظلمت ما فى الارض لافتدت به واسروا الندامة لما راوا العذاب وقضى

بينهم بالقسط وهم لا يظلمون الا ان لله ما فى السموات والارض الا ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون هو يحيى و

ع

ع

واليه ترجعون يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قل

بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله

اذن لكم ام على الله تفترون وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيمة ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم

لا يشكرون القراءات افانت بتليين الهمزة ونحوه الاصبهانى عن ورش وحمزة فى الوقف ولكن الناس بالتخفيف والرفع حمزة وعلى وخلف
يحشرهم بالياء حفص الباقون بالنون نرينك وتتوفينك بالنون الخفيفة رويس الان بحذف الهمزة التى
بعد اللام والقاء حركتها على اللام حيث كان ابو جعفر ونافع وزمعة وحمزة فى الوقف بل انه بفتح الياء ابو عمرو وابو جعفر ونافع فليفرحوا
بتاء الغيبة يجمعون بتاء الخطاب ابن عامر ويزيد وقرا زيد على ضده وقرا رويس كليهما على الخطاب الباقون على الغيبة فيهما الوقوف
اليك ط لا يعقلون اليك ط لا يبصرون يظلمون بينهم ط مهتدين يفعلون رسولهم ط لا يظلمون صادقين ما شاء الله ط اجل ط
ولا يستقدمون المجرمون امنتم به ط تستعجلون الخلد ج ط للاستفهام مع ان القائل واحد يكسبون احق هو ط بمعجزين لافتدت به ط
العذاب ج ط للعطف على اسروا دون راوا يظلمون والارض ط لا يعلمون يرجعون للمؤمنين فليفرحوا ط يجمعون وحلالا ط يفترون
القيمة ط لا يشكرون نصف السبع التفسير ان الانسان اذا قوى بغضه لانسان اخر وعظمت نفرته عنه صارت نفسه متوجهة الى
طلب مقابح كلامه معرضة عن جهات محاسنه فبين تعالى ان الصمم فى الاذن معنى ينافى حصول ادراك الصوت والعمى فى العين امر
ينافى حصول ادراك الصورة فكذلك حصول هذا البغض الشديد يضاد وقوف الانسان على محاسن من يعاديه فبين الله سبحانه ان فى اولئك
الكفار بلغت حالة فى النفرة والعداوة الى هذا الحد يستمعون اليك اذا قرات القران وعلمت الشرايع ولكنهم لا يسمعون ولا يقبلون
وينظرون اليك يعاينون ادلة الصدق واعلام النبوة ولكنهم لا يبصرون ولا يصدقون قال اهل المعانى المستمع الى القران كالمستمع
الى النبى بخلاف النظر فكان فى المستمعين كثرة فجمع ليطابق اللفظ المعنى ووحد ينظر حملا على اللفظ اذ لم يكثر واكثرهم ثم قال اتطمع ان
تقدر على اسماع الصم لو انضم الى صممهم عدم عقولهم او تقدر على هداية العمى لا سيما اذا قرن بفقد البصر فقد البصيرة انما يقدر على
ردهم الى حالة الكمال خالق القدر والقوى وحده وهذا الحصر انما يفهم من قوله افانت والمقصود من هذا الكلام تسلية الرسول فان
الطبيب اذا راى مريضا لا يقبل العلاج اصلا اعرض عنه ولم يستوحش من ذلك لان التقصير من المزاج لا من الطبيب والحذق ثم اكد عدم قابليتهم
فى الفطرة مع اشارة الى ما يلحقهم من الوعيد يوم القيمة بقوله ان الله لا يظلم الاية فسرها المعتزلة بان المراد من نفى الظلم انه ما جاء
احدا الى هذه القبايح والمنكرات ولكنهم باختيار انفسهم اقدموا عليها واجاب اهل السنة بانه انما نفى الظلم عن نفسه لانه يتصرف فى ملك
نفسه فلا اعتراض عليه فيما فعل ولكن الناس انفسهم يظلمون لان الفعل منسوب اليهم بسبب الكسب والتحقيق ان نفى الظلم عنه لان وقوع فريق
القهر ضرورى ونسب الظلم اليهم لخصوص وقوعهم فى الطريق خيرة ثم ذكر وعيد الكفار فقال ويوم يحشرهم اى واذكر يوم نحشرهم كان لم
يلبثوا فى محل النصب على الحال اى مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة وقوله يتعارفون اما حال اخرى وبيان لقوله كان لم يلبثوا لان التعارف
لا يبقى مع طول العهد ويجوز ان يكون قوله ويوم نحشرهم متعلقا بيتعارفون والمراد باللبث قيل لبثهم فى الدنيا وقيل فى القبور استقلوا
المدة الطويلة اما لانهم ضيعوا اعمارهم فى الدنيا فجعلوا وجودها كالعدم واستقصروها للدهش والحيرة او لطول وقوفهم فى الحشر ولشدة
ما هم فيه من العذاب نسوا لذات الدنيا واستحقروها واما التعارف فقد قيل يعرف بعضهم بعضا ما كانوا عليه من الخطاء والكفر وقيل
يعرف كل واحد اهل معرفته والجمع بين ذلك وبين قوله ولا يسئل حميم حميما ان هذا تعارف توبيخ وتضليل يقول كل فريق لصاحبه انت
اضللتنى يوم كذا وانهم يتعارفون اذا بعثوا ثم ينقطع المعرفة وانما حذف جميعا فى هذه الاية اكتفاء بما فى الاية السابقة ويوم نحشرهم
جميعا ثم نقول للذين اشركوا ولان الاية سيقت هناك لبيان حشر العابدين والمعبودين فاكد بقوله جميعا ليشمل الفريقين صريحا والله
اعلم قد خسر استيناف فيه معنى التعجب كانه قيل ما اخسرهم وفيه شهادة من الله على خسرانهم وجوز فى الكشاف ان يكون على ارادة القول
اى يتعارفون بينهم قائلين ذلك ثم اكد خسرانهم بقوله وما كانوا مهتدين اى فى رعاية مصالح هذه التجارة لانهم اعطوا الكنز الشريف
الباقى وقنعوا بالقليل الخسيس الفانى كمن راى جلجلة خسيسة فيبطنها جوهرة نفيسة فاشتراها بكل ماله فاذا عرضها على الناقد من خاب
سعيه وفات امله ثم سلى رسوله فقال واما نرينك وجوابه محذوف وقوله فالينا مرجعهم جواب او نتوفينك والمعنى واما نرينك فى
اعدائك بعض الذى نعدهم فى الدنيا فذاك او نتوفينك قبل ان تريكه فنحن نريكهم فى الاخرة لان مرجع الكل الينا ولقد صدق الله وعده
فقد اراه فى هذه الدار خزيهم وقهرهم بالقتل والاسر والاستيلاء عليهم والاستعلاء على ديارهم واموالهم والذى سيريه فى الاخرة اكثر وادوم

يدل عليه لفظ ثم لتبعيد الرتبة في قوله ثم الله شهيد على ما يفعلون ولا يخفى نتيجة هذه الشهادة من السخط والعقاب ويحتمل ان يراد بانطاق
جوارحهم يوم القيمة جعل ذلك بمنزلة شهادة الله ثم بين انه ما اهمل امة من الامم من رسول في وقت من الاوقات فقال ولكل امة رسول
وزمان الفترة محمول على ضعف دعوة النبوة المتقدم ووقوع موجبات التخليط في شرعه فاذا جاء رسولهم فبلغ فكذبه قوم وصدقه اخرون
وقضي بينهم بالقسط اي حكم وفصل بالعدل فانجي الرسول والمصدقون وعذب المكذبون فهذه الاية نظير قوله وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا ويحتمل ان يقال المراد ولكل امة من الامم يوم القيمة رسول ينسبون اليه ويدعون به فكانه تعالى يقول انا شهيد
على اعمالهم ومع ذلك فاني احضر في موقف القيمة مع كل قوم رسولهم حتى يشهد عليهم بالكفر والايمان فاذا جاء رسولهم وشهد لهم او
عليهم قضي بينهم والمراد منه المبالغة في اظهار العدل والنصفة فيكون الاية كقوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد ثم ذكر شبهة
اخرى من شبهات الكفرة وذلك انه تعالى كلما هددهم بنزول العذاب ومر زمان ولم يظهر ذلك العذاب كانوا يقولون متى هذا الوعد
استبعادا لنزوله وقدحا في نبوته وهذا مما يؤكد القول الاول في الاية المتقدمة لانه لا يجوز ان يقولوا متى هذا الوعد عند حضورهم في دار
الاخرة لحصول اليقين المعرفة وايضا قوله ان كنتم صادقين لفظ الجمع موافق لقوله ولكل امة رسول ثم امره ان يجيب بما يحسم مادة الشبهة
وهو قوله قل لا املك لنفسي ضرا من مرض وفقر ولا نفعا من صحة وغنى الا ما شاء الله قال العلماء انه استثناء منقطع اي ولكن ما شاء
الله من ذلك كائن فكيف املك لكم الضر وجلب العذاب ثم بين ان احدا لا يموت الا بالقضاء وان لعذاب كل طائفة امدا محدودا لا يتجاوز
فلا وجه للاستعجال فقال لكل امة اجل الاية وقد مر تفسير الاية في اوائل الاعراف الا انه ادخل الفاء ههنا في الجزاء لانه بنى الشرط على
الاستثناء او البيان بخلاف ما هنالك فانه جعل الشرط مرتبا على قوله ولكل امة اجل فلم يحسن الجمع بين الفائين ثم زيف رايهم في استعجال
العذاب مرة اخرى فقال قل ارايتم اي اخبروني ان اتيكم عذابه بياتا اي في حين الغفلة والاستراحة او نهارا حين الاشتغال بطلب المعاش في اوائل الاعراف
ماذا يستعجل اي شيء يستعجل منه اي من العذاب المجرمون وانما لم يقل ماذا يستعجلون منه للدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام
لان حق المجرم ان يخاف التعذيب على اجرامه وان ابطا مجيئه فضلا عن ان يستعجله ومن للبيان او للابتداء والمعنى ان العذاب كله مر المذاق موجب
للنفار فاي شيء يستعجلون منه يوجب الاستعجال والمراد التعجب كانه قيل اي شيء هائل شديد يستعجلون وقيل الضمير في منه لله تعالى وجواب وليس شيء منه
الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا الخطاء فيه وماذا الجملة مفعول ارايتم ويجوز ان يكون جوابا للشرط كقولك ان اتيتك
ماذا تطعمني ثم تتعلق الجملة بارايتم ويجوز ان يكون اعتراضا وجواب الشرط ثم اذا ما وقع امنتم به والمعنى ان اتيكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين
لا ينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء الان على ارادة القول اي قيل لهم اذا امنوا بعد وقوع العذاب
الان امنتم به وقد كنتم به تستعجلون على جهة التكذيب والانكار وقوله ثم قيل عطف على قيل المضمر قبل الان والحاصل ان الذي تطلبونه ضرر
محض عار عن المنفعة والعاقل لا يطلب مثل ذلك وانما قلنا انه ضرر محض لانه اذا وقع العذاب فاما ان تؤمنوا وايمان الباس غير مقبول واما
اما ان لا تؤمنوا فيحصل عقيب ذلك عذاب اخر اشد وادوم ويقال على سبيل الاهانة ذوقوا عذاب الخلد فان قلتم الهنا انت الغني عن الكل
فكيف يليق برحمتك هذا الوعيد والتهديد اجيبتم هل تجزون الا بما كنتم تكسبون فالجزاء مرتب على العمل ترتب المعلول على العلة كما يقوله
الحكيم او ترتب الاجر الواجب عند المعتزلة او بحكم الوعد المحض عند اهل السنة وتفسير الكسب مذكور في البقرة في قوله لها ما كسبت ولكم ما كسبتم
ثم حكى عنهم انهم بعد هذه البيانات استفهموا تارة اخرى عن تحقيق العذاب فقال ويستنبؤنك احق هو وهو استخبار على جهة الاستهزاء
والانكار اي احق ما تعدنا به من نزول العذاب في العاجل وهذا السؤال جهل محض لانه تقدم ذكره مع الجواب مرة واحدة فلا وجه للاعادة
ولانه قد تبين بالبراهين القاطعة صحة نبوة محمد فيلزم القطع بصحة كل ما يخبر عن وقوعه وقيل المراد احق ما جئتنا به من القران والشرع
وقيل اي ما تعدنا من البعث والقيمة فامره الله تعالى ان يجيبهم بقوله قل اي وربي ومعناه نعم ولكنه مستعمل مع القسم البتة وفائدة
هذا القسم في جوابهم ان يكون قد يجري الكلام معهم على الوجه المعتاد بينهم استمالة لقلوبهم ومن الظاهر ان من اخبر عن شيء واكده بالقسم فقد
اخرجه عن حد الهزل وادخله في باب الجد فقد يكون هذا القدر مقنعا اذا لم يكن الخصم لدا ثم اكد مضمون المقسم عليه بقوله وما انتم بمعجزين
فائتين العذاب والغرض التنبيه على ان احدا لا يدفع نفسه عما اراد الله وقضى ثم زاد في التاكيد بقوله ولو ان لكل نفس الاية وقد مر مثله
في ال عمران والمائدة وقوله ظلمت صفة لنفس وما في قوله واسروا الندامة فقد قيل الاسرار بمعنى الاظهار والهمزة للسلب اي اظهروا الندامة
لضعفهم وليس هناك تجلد والمشهور انه الاخفاء وسببه انهم بهتوا حين عاينوا وقيل الاسرار بمعنى الاظهار والهمزة للسلب ما سلبهم قواهم
فلم يطيقوا اصراخا ولا بكاء او اخفوا الندامة من سفلتهم واتباعهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم وهذا النزوع في اول ما يرون العذاب
اما عند ما خالطتهم النار فلا يبقى هذا التماسك او اراد بالاخفاء الاخلاص لان من اخلص في الدعاء اسره وفيه تهكم بهم وباخلاصهم لانهم
اتوا بذلك في غير وقته وقضي بينهم بالقسط وقيل اي بين المؤمنين والكافرين وقيل بين الرؤساء والاتباع وقيل بين الكفار بانزال
العقوبة عليهم وقيل بين الظالمين من الكفار والمظلومين منهم فيكون في ذلك القضاء تخفيف من عذاب بعضهم وتثقيل لعذاب بعضهم

وان اشترك كلهم في العذاب ثم ذكر في تبيين انه جميع ما قرر بحكم المالكية والقدرة على الاحياء والاماتة والابداء والاعادة وقيل في وجه النظم
انه لما ذكر حديث الافتداء بين انه ليس للظالم شيء يفتدي به فان كل الاشياء ملكه وملكه وقيل انه لما اقسم على حقية ما جاء به النبي وكان
دليلا اقناعيا اراد ان يصححها بالبرهان النير فذكر ان كل ما في هذا العالم من نبات وحيوان وجسد وروح وظلمة ونور وعلوي وسفلي
بسيط ومركب فهو ملكه فلكونه قادرا على جميع الممكنات يقدر على ايصال الرحمة الى اوليائه والعذاب الى اعدائه ولكونه منزها عن النقايص و
الافات يكون بريا عن الخلف في الوعد والايعاد وفي تصدير الكلام بكلمة الا تنبيه للغافلين وايقاظ للنائمين وتقريع للناظرين في الاسباب
الظاهرة القائلين البستان للامير والدار للوزير والغلام لزيد والجارية لعمرو ولا يعلمون ان كلها عواري وودايع ولا بد يوما ان ترد الودايع
واعلم ان الطريق الى اثبات نبوة الانبياء بامور احدها اظهار المعجزة على يده مطابقا للدعواه وقد قرره الله سبحانه في هذه السورة
على احسن الوجوه حيث قال وما كان هذا القران ان يفترى الى تمام الايتين والثاني ان نعلم بعقولنا ان الاعتقاد الحق والعمل الصالح ما
هو فكل من جاء ودعا الخلق الى ذلك وادعى الرسالة وكان لنفسه قوة تكميل الناقصين غلب على ظننا انه النبي الحق فاشار سبحانه الى
هذا الطريق بقوله قل يا ايها الناس الاية فوصف القران بصفات اربع الاولى كونه موعظة والمراد بها الزجر عما لا ينبغي كالطبيب ينهى
المريض عما يضره الثانية كونه شفاء لما في الصدور لحصول العقايد الحقة والاخلاق الحميدة فيها بدل اضدادها كالطبيب يعيد
الصحة بدل المرض والاخلاط المحمودة بدل الاخلاط الفاسدة بالمعالجات الصائبة والادوية النافعة الثالثة حصول الهدى بسبب ذلك انه
اذا زالت الملكات الردية التي طبيعتها الظلمة وصارت مراة النفس مصقولة محاذية لعالم القدس انطبع فيها نقش الملكوت تجلى لها قدس اللاهوت
الرابعة كونه رحمة للمؤمنين وذلك بان تصير النفس لبالغتها الى هذه الدرجات الروحانية والمعارج الربانية بحيث تفيض انوارها على
ارواح الناقصين فيض النور من جوهر الشمس على اجرام هذا العالم وانما خص المؤمنين بهذه الرحمة لان كل روح لم يتوجه الى خدمة ارواح
الانبياء المطهرين لم ينتفع بانوارهم كما ان كل جرم لم يقع في مواجهة قرص الشمس لا يستضيء بنورها والحاصل ان الموعظة اشارة الى تطهير
ظواهر الخلق عما لا ينبغي وهو الشريعة والشفاء اشارة الى تطهير الارواح عن العقايد الفاسدة والاخلاق الردية بتحصيل اضدادها وهي
الطريقة والهدى عبارة عن ظهور نور الحق في قلوب الصديقين وهي الحقيقة والرحمة اشارة الى كونها بالغة في الكمال والاشراق الى حيث يصير مكملة للناقصين
وهي النبوة ولما ارشد سبحانه الى الطريق الموصل الى السعادات الباقية الروحانية ذكر انها هي التي يجب ان يكمل الفرح بحصولها دون السعادات
الفانية الجسمانية فقال قل بفضل الله وبرحمته قال في الكشاف اصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتقرير و
التاكيد وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوايد الدنيا فحذف احد الفعلين لدلالة الاخر عليه والفاء داخلة
لمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح وجوز ان يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا وان يراد قد جاءتكم
موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك اي بمجيئها فليفرحوا وعلى هذا يكون قل اعتراضا ومن قرا بتاء الخطاب فمعناه على ما نقل عن زيد بن
ثابت فبذلك فلتفرحوا يا اصحاب محمد هو خير مما يجمع الكفار ونسبت هذه القراءة الى النبي وهو الاصل والقياس لانه دل على الامر بالفرح واشد
تحريضا به انما قلنا انه الاصل لان حكم الامر في المخاطب والغايب واحد الا انه خفف امر المخاطب بحذف اللام وبحذف حرف المضارعة لكثرة الاستعمال
فاضطر الى همزة الوصل ومن قرا يجمعون بياء الخطاب فانه عنى المخاطبين والغايبين جميعا الا انه غلب الخطاب كما يغلب التذكير وكانه اراد
المؤمنين وفيه حث لهم على ترجيح الجواذب العقلية الروحانية على النوازع النفسانية الجسدانية لانه لا معنى لهذه اللذات الجسمانية الا دفع الالام
والمعنى المعدمي لا يستحق الفرح به وبتقدير ان تكون صفات ثبوتية الا ان التضرر بالامها اقوى من الانتفاع بلذاتها فلا نسبة للذة الوقاع
وهي اقوى اللذات الى الم القولنج وساير الالام القوية وايضا ان مداخل اللذات الجسمانية معظمها البطن والفرج ومداخل الالام كل جزء من
اجزاء البدن وايضا اللذات الجسمانية لا بقاء لها مثلا لا اذا زال الم الجوع زال الالتذاذ بالاكل وكل ما لا بقاء له لا يشتد فرح العاقل بحصوله
ولو لم يحصل في لذة الاكل والوقاع الا اتعاب الحواس والجوارح في مقدماتها ولواحقها لكفى ومن المعلوم ان الفرح الحاصل بحدوث الولد
لا يعادل الحزن الواقع عند موته وفيه قال المعري ان حزنا في ساعة الموت لاضعاف سرور في ساعة الميلاد فتبين بهذه الوجوه ان الفرح ان ما
الفرح انما يجب ان يكون بالروحانيات الباقيات لا بالجسمانية الزائلات مما المفسرون فقد قالوا فضل الله الاسلام ورحمته ما وعد عليه عن
ابي بن كعب ان رسول الله تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام ومثله ما روي عن ابي سعيد الخدري فضل الله القران
ورحمته ان جعلكم من اهله ثم اشار الى طريق ثالث في اثبات النبوة فقال قل ارايتم الاية وتقريره انكم تحكمون بحل بعض الاشياء وبحرمة بعضها
فان كان هذا الحكم على سبيل التشهي فذلك طريق باطل مهجور بالاتفاق لادائه الى التنازع والتشاجر واختلاف الاراء وافتراق الاهواء وان كان
لانه حكم الله فيكم فبم عرفتم ذلك فان كان بقول رسول ارسله اليكم فقد اعترفتم بصحة النبوة والا كان افتراء على الله وفي الاية ايضا اشارة الى فساد
طريقتهم في شرايعهم واحكامهم من تحريم السوائب والبحائر وقولهم هذه انعام وحرث حجر وغير ذلك وما انزل الجملة في محل الرفع بالابتداء وقوله
الله اذن لكم وقل مكرر للتاكيد والرابط محذوف ومجموع المبتدا والخبر متعلق بارايتم والمعنى اخبروني الذي انزل الله لكم من رزق فجعلتم

بحصوله

منه حراما وحلالا قل الله اذن لكم في تحريمه وتحليله ام على الله تفترون وعن الزجاج ان ما في انزل بمعنى الاستفهام منصوبا بانزل وانه مع معموله مفعول ارأيتم معناه اخبرونيه وعلى هذا يكون قل الله كلاما مستانفا ومعنى انزل خلق وانشاء كقوله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وذلك ان كل ما في الارض من زرع او ضرع فانه بسبب الماء النازل من السماء وقال في الكشاف ويجوز ان يكون الهمزة في الله للانكار وام منقطعة بمعنى بل اتفترون على الله تقرير للافتراء ثم قال وما ظن الذين يعني اي شيء ظنهم في ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه وهو في صورة الاستعلام ولكن المراد تعظيم وعيد من يفتري على الله حيث ابهم امره وكفى به زاجرا للمفتي في الاحكام بغير علم تلييق الله وليهمت ان الله لذو فضل على الناس اذ انعم عليهم بالعقل ورحمهم بارسال النبي وتعليم الشرايع ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة بجحد نبيه ومخالفته التاويل افانت تسمع الصم صم اذان القلوب فانت تهدى العمي عمي ابصار البصائر ويوم نحشرهم حشر العوام خروج اجسادهم من القبور الى الحشر وحشر الخواص خروج ارواحهم الاخروية من قبور اجسامهم الدنيوية بالسير السلوك وحشر الاخص خروجهم من قبور الانانية الروحانية الى الهوية الربانية كما قال يوم نحشر المتقين الى الرحمن كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار لانه لا نسبة لمدة الدنيا الى ما بين الازل والابد يتعارفون بينهم يعرفون تفاوت مقامات كل صنف من هؤلاء واما نرينك بعض الذي نعدهم بشرط الايمان من نعيم الجنان ولقاء الرحمن او نتوفينك فيبلغك اقصى المراتب في مقامك المحمود فالينا مرجعهم رجوعا اضطراريا او بالاختيار ثم الله شهيد على ما يفعلون من خسارة الدارين ولكل امة رسول في الظاهر من الانبياء وفي الباطن من الهام الحق لكل امة اجل في استكمال السعادة والشقاوة بيانا اي في الازل فيهما اي يظهر الان ما قدر لكم في الازل قل اي وربي انه لحق اي اقسم بربك الذي يربيك ان وقوع الامور الاخروية حق لانك عبرت على الجنة والنار ليلة المعراج طلبت بابات الاستعدادات الا ان لله ما في سموات الارواح وارض القلوب والنفوس الا ان وعد الله لاهل السعادة ولاهل الشقاء في الازل حق هو يحيي قلوب بعضهم بالمعرفة ويميت قلوب اخرين بالجهل ويحيي بالنور ويميت بالظلمة او يحيي بصفة الجمال يا ايها الناس يا اهل النسيان قد جاءتكم موعظة هي خطاب الست بربكم وهو دواء العشق وشفاء من ذلك الداء وهو توفيق اجابة بلى لما في الصدور وهو القلب فانه دار صدف الصدق وهدى عناية خاصة اذ الدعوة عامة والهداية خاصة ورحمة اتصال امداد الفيض لتبلغ غاية الكمال تفوز بالوصول والوصال قل بفضل الله وهو اسماع الخطاب ورحمته وهو الابقاء على مدلول الخطاب فليفرحوا هو خير مما يجمع اهل الدنيا في دنياهم ما انزل الله لكم من رزق القلوب والارواح فضلا عن النفوس والاشباح من الواردات والشواهد فجعلتم منه حراما على انفسكم وحلالا على غيركم اي حدثت نفسكم بان تحصيل هذه السعادات ونيل تلك الكرامات ليس من شاننا وانما هو من شان الانبياء وخواص الاولياء قل الله اذن لكم ان تعرضوا عن هذه المقامات وتحيلوها الى غيركم وتركنوا الى الدنيا وزخارفها ام على الله تفترون بان الدعوة اختصت بهم دوننا ان الله لذو فضل على الناس بتسوية الاستعداد الفطري وما تكون في

شان وما تتلوا منه من قران ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال

امری ونخوانی از ان هیچ خواندنی ونکنید هیچکاری مگر انکه باشیم بر شما گواهان هنگامیکه شروع میکنید دران وپنهان نمیماند از پروردگار تو بوزن

ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم

ذره در زمین ونه در آسمان ونه کوچکتر از ان ونه بزرگتر مگر در کتابیست روشن آگاه باشید که دوستان خدا نیست ترسی برایشان ونه ایشان

يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم

اندوهناک میشوند آنانکه گرویدند وبودند که پرهیزگاری میکردند مر ایشان راست بشارت در زندگانی دنیا ودر آخرت نیست بدل کردن سخنان خدا را این کامیابی بزرگ

ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا هو السميع العليم الا ان لله من في السموات ومن في الارض وما يتبع الذين يدعون

وباید اندوهگین کند ترا گفتار ایشان بدرستیکه عزت مر خدا راست همگی او شنوای داناست آگاه باشید بدرستیکه مر خدا راست آنکه در آسمانها ودر زمین وپیروی نمیکنند آنانکه میخوانند

من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا

از غیر خدا شریکانرا پیروی نمیکنند مگر گمانرا ونیستند ایشان مگر انکه دروغ میگویند اوست آنکه گردانید برای شما شبرا تا آرام گیرید در آن وروز را بینش

ان في ذلك لايات لقوم يسمعون قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الارض ان عندكم

بدرستیکه در این آیتهاست از برای جمعی که میشنوند گفتند گرفت خدا فرزندی پاکیست او را اوست بی نیاز مر او راست انچه در آسمانها وانچه در زمین نیست نزد شما

من سلطان بهذا اتقولون على الله ما لا تعلمون قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم

هیچ حجتی باین آیا میگوئید بر خدا آنچه نمیدانید بگو بدرستیکه آنانکه میبندند بر خدا دروغ رستگار نمیشوند بهره اندکیست در دنیا پس

الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون القراءة شان بغير همز حيث كان ابو عمرو وغير شجاع والاعشى

بسوی ماست بازگشت ایشان پس بچشانیم ایشانرا عذاب سخت بانچه کافر میشدند يزيد والاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف يعزب بالكسر حيث كان

علي الباقون بالضم ولا اصغر ولا اكبر بالرفع فيهما حمزة وخلف وسهل ويعقوب والمفضل الاخرون بالنصب الوقوف تفيضون فيه ط مبين ط

يحزنون ج لان الذين يحتمل صفة لاولياء ويصلح نصبا او رفعا على المدح فيوقف على يتقون ط ومبتدأ خبره لهم البشرى فلا توقف على يتقون وفي الاخرة ط لكلمات الله ط العظيم ط لانه لو وصل لاوهم ان الضمير عائد الى اولياء وقول الاولياء لا يحزن الرسول قولهم لئلا توهم ان قوله ان العزة مقول للكفار جميعا ط العليم الارض ط شركاء ط يخرصون مبصرا ط يسمعون سبحانه ط الغني ط وما في الارض بهذا ط لا يعلمون لا يفلحون ط يكفرون التفسير لما بين فساد طريقة الكفار في عقايدهم واحكامهم بين كونه سبحانه عالما بعمل كل احد بما في قلبه من الدواعي والصوارف والرياء والاخلاص وغير ذلك فقال وما تكون يا محمد في شان اي امر من الامور واصله الهمز بمعنى القصد من شانت شانه اذا قصدت قصده قال ابن عباس اي في شان من اعمال البر وقال الحسن في شان الدنيا وحوايجها وما في وما تكون وما تتلوا نافية والضمير في منه لله عز وجل اي نازل من عنده واما للشان لان تلاوة القرآن شان من شؤون رسول الله ص بل هو معظم شانه ولهذا افرد بالذكر كقوله وملائكته وجبريل وميكال او ما للقرآن والاضمار قبل الذكر تفخيم له لانه قيل وما تتلو من التنزيل من قرآن لان كل جزء منه قرآن ثم عمم الخطاب فقال ولا تعملون ايها المكلفون من عمل اي عمل كان الا كنا عليكم شهودا شاهدين رقباء والجمع للتعظيم ولان المراد الملائكة الموكلون اذ تفيضون فيه الافاضة الشروع في العمل على جهة الانصباب والاندفاع ومنه قوله فاذا افضتم من عرفات قيل شهادة الله علمه فيلزم انه لا يعلم الاشياء الا عند وجودها والجواب ان الشهادة علم خاص لا يلزم منه امتناع تقدم العلم المطلق على الشيء كما لو اخبرنا الصادق ان زيدا يفعل كذا غدا فنكون عالمين بذلك لا شاهدين ثم ازداد في التعميم فقال وما يعزب عن ربك اي لا يبعد ولا يغيب ومنه كلأ عازب بعيد والرجل العزب لبعده عن الاهل ومعنى مثقال ذرة قد مر في قوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وذلك في سورة النساء والمقصود انه لا يغيب عن علمه شيء اصلا وان كان في غاية الحقارة وانما قال ههنا في الارض ولا في السماء خلاف ما في سورة سبا وهو المعهود في القرآن لان الكلام سيق لشهادته على شؤون اهل الارض فناسب ان يقدم ذكر ما في الارض هذا بعد تسليم ان الواو يفيد الترتيب ثم بالغ في تعميم علمه فقال ولا اصغر من ذلك ولا اكبر من قرا بالنصب على نفي الجنس او بالرفع على الابتداء ليكون كلاما براسه فلا اشكال واما من جعل منصوبه معطوفا على لفظ مثقال لانه في موضع الجر بالفتح لامتناع الصرف وجعل مرفوعه معطوفا على محل مثقال لانه فاعل يعزب فقد ورد عليه الاشكال وهو انه يصير تقدير الاية لا يعزب عنه شيء في الارض ولا في السماء الا في كتاب فيلزم منه ان يكون ذلك الشيء الذي في الكتاب خارجا عن علم الله وانه محال ويمكن ان يجاب عنه بان الاشياء المخلوقة قسمان قسم اوجده الله تعالى ابتداء من غير واسطة كخلق الملائكة والسموات والارض وقسم اوجده بواسطة القسم الاول من حوادث عالم الكون والفساد ولا شك ان هذا القسم الثاني متباعد في سلسلة العلية والمعلولية عن مرتبة واجب الوجود فالمراد من الاية انه لا يبعد عن مرتبته وجوده شيء في الارض ولا في السماء الا وهو في كتاب مبين وهو كتاب اثبت فيه صور تلك المعلومات والغرض الرد على زعم من يزعم انه تعالى غير عالم بالجزئيات ويقول ان الاستثناء منقطع بمعنى لكن هو في كتاب مبين وذكر ابو علي الجرجاني صاحب النظم ان الا بمعنى الواو على ان الكلام قد تم عند قوله ولا اكبر ثم وقع الابتداء بكلام آخر فقال الا في كتاب اي وهو ايضا في كتاب مبين والعرب تضع الا موضع واو النسق كثيرا ومنه قوله اني لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم يعني ومن ظلم وقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا يعني والذين ظلموا ثم انه لما بين احاطته بجميع الاشياء وكان في ذلك تقوية قلوب المطيعين وكسر قلوب المذنبين اتبعها تفصيل حال كل فريق فقال الا ان اولياء الله الاية والتركيب يدل على القرب فكانهم قربوا منه تعالى لاستغراقهم في نور معرفته وجلاله وجماله وقال ابو بكر الاصم هم الذين تولى الله هدايتهم بالبرهان وتولوا القيام بحق عبوديته والدعوة اليه وقال المتكلمون ولي الله من يكون اتيا بالاعتقاد الصحيح والمبني على الدليل ويكون اتيا بالاعمال الصالحة الواردة في الشريعة وعنوا بذلك قوله تعالى في صفتهم الذين امنوا وهو اشارة الى كمال حال القوة النظرية وكانوا يتقون وهو اشارة الى كمال حال القوة العملية وههنا مقام آخر وهو ان يحمل الايمان على مجموع الاعتقاد والعمل ويكون الولي متقيا في كل الاحوال اما في موقف العلم فلان تقدس ذاته عن ان يكون مقصورا على ما عرفه او يكون كما وصفه واما في مقام العمل فان عبوديته وعبادته قاصرة عما يليق بكبريائه وجلاله فيكون ابدا في الخوف والدهشة واما نفي الخوف والحزن عنهم فتقدم تفسيره في اوايل سورة البقرة وعن سعيد بن جبير ان رسول الله ص سئل من اولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم يعني ان مشاهدتهم يذكر امر الاخرة لما فيهم من آثار الخشوع والاخبات والسكينة وعن عمر رضي الله عنه سمعت النبي ص يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيمة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله اخبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ الاية يحكى ان ابراهيم الخواص كان في البادية ومعه واحد يصحبه فاتفق في بعض الليالي ظهور حالة قوية وكشف تام له فجلس في موضع وجاءه السباع ووقفوا بالقرب منه والمريد تسلق على راس شجرة خوفا منها والشيخ كان فارغا من تلك السباع فلما اصبح وزالت تلك الحالة ففي الليلة الثانية وقعت بعوضة على يده وظهر الجزع من تلك البعوضة فقال المريد كيف تليق هذه الحالة بما قبلها فقال الشيخ تحملنا البارحة ما تحملناه بسبب قوة الواردة الغيبية

فلما غابت تلك الورد فانا اضعف خلق الله ثم اخبر الله سبحانه عنهم بان لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة فقيل البشرى لهم في الدنيا ما بشر الله به المؤمنين المتقين في غير مكان في كتابه وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات وقيل انها عبارة عن محبة الناس لهم وعن ذكرهم اياه بالثناء الحسن عن ابي ذر رض قلت يا رسول الله صلعم ان الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس قال تلك عاجل بشرى المؤمن والدليل العقلي عليه ان الكمال محبوب لذاته فكل من اتصف بصفة الكمال كان محبوبا لكل احد اذا انصف ولم يحسده ولا كمال للعبد اعلى واشرف من كونه مستغرق القلب في معرفة الله معرضا عما سواه ونور الله مخدوم بالذات فتجلى قلب حصل كان مخدوما بالطبع لما سوى الله وقيل هي الرؤيا الصالحة وعنه الرؤيا الصادقة جزء من ستة واربعين جزء من النبوة وسبب تخصيص هذا العدد ان النبي صلعم استنبي بعد اربعين سنة الى كمال عمره وهو ثلث وستون سنة وكان ياتيه الوحي اولا بطريق المنام ستة اشهر ونسبة هذه المدة الى ثلث وعشرين سنة التي هي جميع مدة الوحي نسبة الواحد الى ستة واربعين واما ان الرؤيا الصادقة توجب البشارة فلانها دليل صفاء القلب واتصال النفس الى عالم القدس والاطلاع على بعض ما هنالك وعن عطاء البشرى في الدنيا هي البشارة عند الموت تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واما البشرى في الاخرة فتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحائف بايمانهم وما يقرؤن منها الى اخر احوالهم في الجنة لا تبديل لكلمات الله لا تغير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده وقد مر مثله في الانعام ذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين وكلتا الجملتين اعتراض ولا يجب ان يقع بعد الاعتراض كلام كقول فلان ينطق بالحق والحق ابلج قال القاضي لا تبديل لكلمات الله يدل على انها قابلة للتبديل وكل ما يقبل العدم امتنع ان يكون قديما ومحل المنع ظاهر فان نفي شيء عن شيء لا يلزم منه امكانه كقول الموحد لا شريك لله ثم سلى رسوله عن صنيع الفريق المكذبين فقال ولا يحزنك وبقول انه كما ازال الحزن عنه في الاخرة بقوله الا ان اولياء الله ازال الحزن عنه في الدنيا بقوله ولا يحزنك قولهم اي تكذيبهم لك وتهديدهم بالحذم والاموال وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال امرك وبالجملة كل ما يتكلمون به في شانك من المطاعن والقوادح ثم استانف قوله ان العزة لله كانه قيل ما لي لا احزن فقيل لان العزة لله جميعا ان الغلبة والقهر لله يحزبه كتب الله لاغلبن انا ورسلي وقرئ ان بالفتح لا على انه بدل فان ذلك يؤدي الى ان القوم كانوا يقولون ان العزة لله جميعا والرسول كان يحزنه ذلك وهذا كفر بل لان التقدير لان العزة على صريح التعليل وكان رسول الله صلعم واثقا بوعد الله تعالى في جميع الاحوال وان كان قد يقع في بعض الحروب والوقايع انكسار وهزيمة فان الامور بخواتيمها ثم اكد الوعد بقوله هو السميع العليم يسمع ما يقولون ويعلم ما يدبرون فيكفيك شرهم ثم زاد في التاكيد مع اشارة الى فساد عقيدة المشركين فقال الا ان لله من في السموات ومن في الارض فخصص ذوي العقول اما للتغليب واما لان الاية سيقت لبيان فساد عقايد اهل الشرك فذكر ان العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان كلهم عبيد له ولا يصلح احد منهم لان يكون شريكا له فما دونهم ممن لا يسمع ولا يعقل كالاصنام اولى بان لا يكون ندا له ثم اكد هذا المعنى بقوله وما يتبع ما نافية ومفعول يدعون محذوف اي ليس يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء في الحقيقة انما هي اسماء لا مسميات لها لان شركة الله في الربوبية محال وانما حذف احد المكررين للدلالة فالاول مفعول يدعون والثاني مفعول يتبع ويجوز ان يكون ما استفهامية بمعنى اي شيء يتبعون وشركاء على هذا نصب بيدعون ولا حاجة الى الاضمار ويجوز ان يكون ما موصولة معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء اي له وشركاؤهم ثم زاد في التاكيد فقال ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون وقد مر مثله في سورة الانعام ثم ذكر طرفا من اثار قدرته مع اشارة الى بعض نعمه فقال هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه طلبا للراحة والنهار مبصرا اي ذا ابصار باعتبار صاحبه اي جعله مضيئا لتهتدوا به في حوائجكم وهذان طرف من منافع الليل والنهار ان في ذلك لايات لقوم يسمعون سماع تامل وتدبر وقبول ثم حكى نوعا اخر من اباطيلهم فقال قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه وقد مر في البقرة ولما نزه نفسه عن اتخاذ الولد برهن على ذلك بقوله هو الغني وتقريره ان الغنى التام يوجب امتناع كونه ذا اجزاء وحصول الولد لا يتصور الا بعد انفصال جزء منه يكون كالبذر بالنسبة الى النبات وايضا انما يحتاج الى الولد والى توليد المثال الذي يقوم مقامه من يكون بصدد الانقضاء والانقراض فالازلي القديم لا يفتقر الى الولد ولا يصح له مثل وايضا الغني لا يفتقر الى الشهوة ولا الى اعانة الولد ولو صح ان يتولد منه مثله لصح ان يكون هو ايضا متولدا من مثله ولا يشكل هذا بالولد الاول من الاشخاص الحيوانية فان المدعى هو الصحة لا الوقوع ثم بالغ في البرهان فقال له ما في السموات وما في الارض واذا كان الكل ملكه وعبيده فلا يكون شيء منها ولدا له لان الاب يساوي الابن في الطبيعة بخلاف المالك ثم زيف عقايدهم الفاسدة فقال ان عندكم من سلطان بهذا اي ما عندكم من حجة بهذا القول قال في الكشاف والباء حقها ان يتعلق بقوله ان عندكم على ان يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم بارضكم موز كانه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان اقول كانه نظر الى ان استعمال الباء بمعنى في اكثر منه بمعنى على ثم وبخهم على القول بلا دليل ومعرفة فقال اتقولون على الله ما لا تعلمون ثم اوعدهم على افترائهم فقال قل ان الذين يفترون الاية ثم بين ان ذلك المفتري ان فاز بشيء من المطالب العاجلة والمآرب الخسيسة

ربع ثلث الجزء

التأويل

من رياسة ظاهرة وغرض زايل فذلك متاع قليل في الدنيا ثم لا بد من الموت والرجوع الى حكم الله ثم حصول الشقاء المؤبد والعذاب الاليم اعاذنا الله منه التاويل وما تكون في شان من النبوة وما تتلو من شان النبوة من قران وما تعملون يا امة محمد صلعم من عمل من الاعمال الا منه النبوة من قبول القران ورده من مثقال ذرة مما ظهر من حركة في ارض البشرية بعمل من اعمال الخير والشر ولا في السماء اي في سماء القلوب بالنيات الصالحة والفاسدة ولا اصغر من الحركة وهو القصد دون الفعل ولا اكبر من النية وهو العمل الا ان اولياء الله الذين هم اعداء النفوس لا خوف عليهم من تمني النظر بنفوسهم ولا هم يحزنون على ما فاتهم من شهوات النفوس للعداوة القائمة بينهم لهم البشرى في الحيوة الدنيا بالوقايع والمبشرات وفي الاخرة بكشف القناع عن جمال العزة لا تبديل لكلمات الله لاحكامه الازلية حيث قال للولي كن وليا وللعدو كن عدوا ولا يحزنك يا رسول القلب قول مشركي النفوس في تزيين شهوات الدنيا ولذاتها في نظرك ان العزة لله جميعا يعز من يشاء في الدنيا وفي الاخرة جميعا فلا يمنعه بنعيم الدنيا عن نعيم الاخرة بل بما يعينه على الاخرة كما جاء في الحديث الرباني وان من عبادي من لا يصلحه الا الغنى فان افقرته يفسده ذلك الا ان لله من في السموات والارض اي القلوب السماوية والنفوس الارضية ان يتبعون الا الظن اي يظنون انهم يتبعون شركاء الدنيا والهوى باختيارهم لا باختيار نا هو الذي جعل لكم ليل البشرية لتسكنوا فيه بتعب المجاهدات وتزول عنكم الملالة والكلالة ونهار الروحانية ذا ضياء وبصيرة يبصر بها مصالح السلوك والترقي في المقامات لقوم يسمعون حقايق القران بسمع القلوب الواعية ثم اخبر عن الشبهات التي تقع في اثناء السلوك قالوا اي مشركوا النفوس عند تجلي الروح بالخلافة في صفة الربوبية معترفا بتجلي صفة ابداع الحق ومبدعية الروح مع كمال قربه واختصاصه بالحق عند بقاء تصرفات الخيال حتى يثبت الابوة والنبوة بين الله وبين العبد لان النبوة اخص التعلقات بالوالد وهذا الكشف في الابتداء هو منشا ضلالة اليهود والنصارى له ما في السموات الروحانية من الكشوف والاحوال وما في الارض البشرية من الوهم والخيال وما ينشأ من الشبهات والافات ان الذين يفترون هم النفوس الامارة بالسوء لا يفلحون لا يظفرون بكشف الحقائق ثم تنبههم لان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فاحسوا بالالم والله اعلم واتل عليهم نبا نوح اذ قال

ع ١٣

لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بايات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن

قوم خود را اي قوم من اگر هست كه عظيم آمد بشما ... پس بر خدا توكل كردم پس گرد آوريد كار خود را و شريكان خود را پس نباشد

امركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون فان توليتم فما سألتكم من اجر ان اجري الا على الله وامرت ان اكون من

كار شما بر شما پوشيده ... پس اگر اعراض كرديد پس نخواستم از شما هيچ مزدي نيست مزد من مگر بر خدا و فرموده شدم كه باشم از

المسلمين فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف واغرقنا الذين كذبوا باياتنا فانظر كيف كان عاقبة

مسلمانان پس تكذيب كردندش پس نجات داديم او را و آنكه با او بود در كشتي و گردانيديم ايشان را جانشينان و غرق كرديم آنان را كه تكذيب كردند آيات ما را پس بنگر چگونه بود انجام كار

المنذرين ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على

بيم داده شدگان پس برانگيختيم از بعد او رسولان بسوي قوم ايشان پس آمدند بايشان با نشانها پس نبودند كه ايمان آرند بآنچه تكذيب كرده بودند از پيش همچنين مهر مينهيم بر

قلوب المعتدين ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملائه باياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين

دلهاي تعدي كنندگان پس برانگيختيم از بعد ايشان موسى و هرون را بسوي فرعون و جماعت او با نشانهاي ما پس سركشي كردند و بودند گروهي گناهكاران

فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا ولا يفلح الساحرون

پس چون آمد ايشان را حق از نزد ما گفتند بدرستيكه اين هر آينه سحريست آشكار گفت موسى آيا ميگوييد مر حق را چون آمد بشما آيا سحر است اين و رستگار نشوند جادوگران

قالوا اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه اباءنا وتكون لكما الكبرياء في الارض وما نحن لكما بمؤمنين وقال فرعون ائتوني

گفتند آيا آمدي بما تا برگرداني ما را از آنچه يافتيم بر آن پدران خود را و باشد شما را بزرگي در زمين و نيستيم ما شما را گروندگان و گفت فرعون بياوريد نزد من

بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله

هر ساحر دانا را پس چون آمدند ساحران گفت ايشان را موسى بيندازيد آنچه شما اندازندگانيد پس چون انداختند گفت موسى آنچه آورديد بدان سحر است بدرستيكه خدا باطل سازد آن را

ان الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون فما امن لموسى الا ذرية من قومه على خوف

ع ١٤

بدرستيكه خدا اصلاح نمي كند كار فساد كنندگان را و ثابت ميكند خدا حق را بكلمات خود و اگر چه ناخوش دارند گناهكاران پس ايمان نياورده بموسى مگر فرزنداني از قوم او بر ترسي

من فرعون وملائهم ان يفتنهم وان فرعون لعال في الارض وانه لمن المسرفين وقال موسى يا قوم ان كنتم امنتم بالله

از فرعون و گروه ايشان كه بفتنه اندازد ايشان را و بدرستيكه فرعون غالب بود در زمين و بدرستيكه او از اسراف كنندگان و گفت موسى اي قوم من اگر هستيد ايمان آورده بخدا

فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من

پس بر او توكل كنيد اگر هستيد منقادان پس گفتند بر خدا توكل كرديم اي پروردگار ما مگردان ما را فتنه مر گروه ستمكاران را و نجات ده ما را برحمت خود از

القوم الكافرين واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلوة وبشر

گروه كافران و وحي كرديم بسوي موسى و برادرش كه جاي دهيد مر قوم خود را بمصر خانها و بگردانيد خانهاي خود را قبله و برپا داريد نماز را و مژده ده

المؤمنين وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة واموالا في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا
گرويدگان را و گفت موسى اى پروردگار ما بدرستيكه تو دادى فرعون و جماعتش را مايه آرايش و مالها در زندگانى دنيا اى پروردگار ما تا گمراه كنند از راه تو اى پروردگار ما
اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم قال قد اجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان
ناچيز كن مالهاى ايشانرا و سخت گردان دلهاى ايشانرا پس ايمان نيارند تا ببينند آن عذاب دردناك را گفت بتحقيق اجابت كرده شد دعاى شما پس ثابت باشيد و از پى مرويد
سبيل الذين لا يعلمون وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا ادركه الغرق قال
راه آنانرا كه نميدانند و گذرانيديم بنى اسرائيل را از دريا پس از پى ايشان رسيد فرعون و لشكرش از روى ستم و تعدى تا چون دريافت او را غرق گفت
آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين
ايمان آوردم كه نيست الهى مگر آنكه ايمان آورده اند باو فرزندان يعقوب و من از منقادانم اكنون و تحقيق گنه كردى پيش ازين و بودى از فساد كنندگان
فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون القراءة وشركاؤكم بالرفع يعقوب ان
پس امروز برهانيم ترا بموضع بلند با بدنت تا باشى براى آنكه بعد از تو آيد نشانه و بدرستيكه بسيارى از مردمان از آيتهاى ما غافلانند اجرى بفتح الياء حيث كان ابو جعفر و
نافع وابو عمرو وابن عامر وحفص ويكون لكما بالياء العنبسة حماد ويزيد وزيد الباقون بتاء التانيث ليضلوا بالمدينة ابو عمرو وان تبوء ابالياء
تخزن وحمزة في الوقف وان شاء لين الهمزة الاخرون بالهمز ليضلوا بضم الياء حمزة وعلي وخلف وعاصم غير المفضل ولا تتبعان بتخفيف النون
ابن عامر غير الحلواني عن هشام تتبعان خفيفة التاء والنون ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان وفي كلتا القراءتين خففت النون ثم
كسرت لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية الباقون والحلواني عن هشام تتبعان بتشديدهما في الحالين آمنت انه بكسر الهمزة على الاستئناف
بدلا من آمنت حمزة وعلي وخلف الاخرون بالفتح ننجيك من الانجاء سهل ويعقوب وقتيبة الاخرون بالتشديد الوقوف نبأ نوح م لئلا
يوهم ان اذ ظرف لقوله اتل بل التقدير واذكر اذ قال ولا تنظرون من اجر على الله لا لان التقدير وقد امرت من المسلمين بآياتنا ج للفاء
ولان امر النظر للعبرة يقتضي التثبت للنذر المنذرين من قبل ط المعتدين مجرمين مبين لما جاءكم لا لان التقدير اتقولون
للحق لما جاءكم هو سحر والاستفهام في قوله اسحر يستحق الابتداء وسيجيء له مزيد بيان هذا ط للفصل بين الاخبار والاستخبار الساحرون
في الارض ط بمؤمنين عليم ملقون ما جئتم به ط لمن قرأ السحر مستفهما السحر ط المفسدين ط المجرمون ان يفتنهم ط في الارض ج لاتصال الكلام
المسرفين مسلمين توكلنا ج ط للعدول مع اتحاد القائل الظالمين لا للعطف الكافرين ج واقيموا الصلوة ط لان قوله وبشر خطاب
لمحمد وان اريد به موسى فلا بد من العدول المؤمنين الدنيا لا لتعلق قوله ليضلوا بقوله آتيت ربنا تكرار بلا وا لاجل
التضرع عن سبيلك ج لابتداء النداء مع اتحاد القائل الاليم لا يعلمون وعدوا ط الغرق ط لان قال جواب اذا المسلمين المفسدين
آية ط لغافلون التفسير لما بالغ في تقرير الدلائل والبينات وفي الجواب عن الشبهات شرع في قصص الانبياء المتقدمين لان نقل الكلام
من اسلوب الى اسلوب اقرب الى انشراح الصدور ودفع الملال مع ان في ذكرها تسلية للرسول وعبرة للمعتبر الى غير ذلك من الفوائد
التي سبق ذكرها في الاعراف ومعنى كبر ثقل وشق كقوله وانها لكبيرة وفي مقامي وجوه منها انه زيادة كقولك فعلت كذا لمكان فلان
اي لاجله وكقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه اي ربه مثله قولهم فلان ثقيل الظل ومنها انه اراد به المكث اي شق عليكم مكثي بين اظهركم
مدة طويلة الف سنة الا خمسين عاما ولا شك انه من لطف طريقة ويدعي الخلق الى الله ولا سيما اذا تكرر الدعاء كان ذلك موجبا للتنفر والثقل وخاصة
اذا كان تلك الطريقة مقتضاة للنفس والطبيعة الداعيين الى اللذات العاجلة ومنها ان يكون المقام بمعنى القيام لانهم كانوا يقومون على ارجلهم
في الوعظ والتذكير ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى عليه السلام انه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود وجواب الشرط اما قوله
فعلى الله توكلت اي ان شق بعضكم لي تحملكم على الاقدام على ايذائي واني لا اقابل ذلك الشر الا بالتوكل على الله فان ذلك مجرى قديما
وحديثا واما قوله فاجمعوا وقوله فعلى الله توكلت اعتراض كقولك ان كنت انكرت علي شيئا فالله حسبي فاعمل ما تريد ولا
يحسن ان يقال ان الفاء الثانية عاطفة للاختلاف طلبا وخبرا ومعنى فاجمعوا امركم اعزموا عليه من اجمع الامر اذا نواه وعزم عليه
قاله الفراء وقال ابو الهيثم جمع امره اي جعله جمعا بعد ما كان متفرقا وتفرقه انه يقول مرة افعل كذا ومرة افعل كذا فلما عزم على امر
واحد فقد جمعه اي جعله جميعا فهذا هو الاصل في الاجماع ثم صار بمعنى العزم حتى وصل بعلى فقيل اجمعت على الامر اي عزمت عليه
والفصيح جمعت الامر والمراد بالامر وجوه مكرهم وكيدهم وانتصب شركاءكم على المفعول معه اي مع شركائكم ومن قرأها بالرفع عطفا
على الضمير المتصل وانما يحسن ذلك من غير تأكيد بالمنفصل للفصل والمراد بالشركاء اما منهم على مثل قولهم وديتهم واما الاصنام و
حسن اسناد الاجماع اليهم على وجه التهكم كقوله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون واعلم انه قال في اول الامر فعلى الله توكلت ليدل على
انه واثق بوعد الله جازم بان تهديدهم اياه بالقتل لا يضره ثم اورد عليهم ما يدل على صحة دعواه فقال فاجمعوا كيدكم كانه قال حصلوا
كل ما تقصدون عليه من الاسباب المؤدية الى مطلوبكم غير مقتصرين على ذلك بل ضامين الى انفسكم شركائكم الذين تزعمون ان حالهم

يقوى

يقوى بمكانهم ثم ضم الى ذلك قيدا اخر فقال ثم لا يكن امركم عليكم غمة قال ابو الهيثم اي مبهما من قولهم غم علينا الهلال فهو مغموم اي التبس
وقال الليث لقي غمة من امره اذا لم يهتد له وقال الزجاج اي ليكن امركم الذي اجتمعتم عليه ظاهرا منكشفا اي تجاهروني بالاهلاك ويحتمل ان يراد
بهذا الامر العيش والحال اي اهلكوني لئلا يكون عيشكم بسبب غمة حالكم عليكم غما اي غما وهما والغم والغمة كالكرب والكربة ثم زاد
قيدا اخر فقال ثم اقضوا الي ذلك الامر الذي تريدون بي اي ادوا الي قطعه واحكموا بصحته وامضائه وعن القفال ان فيه تتميما والمعنى
القوا الي ما استقر عليه رأيكم محكما مفروغا منه ثم ختم الكلام بقوله ولا تنظرون اي عجلوا ذلك باشد ما تقدرون عليه من غير امهال
ومعلوم ان مثل هذا الكلام لا يصدر الا عمن بلغ في التوكل الغاية القصوى ثم بين ان كل ما اتى به فان ذلك فارغ من الطمع الدنيوي والغرض الخسيس
فقال فان توليتم اعرضتم عن نصحي وتذكيري فما سألتكم من اجر فما كان عندي ما ينفركم عني وتتهموني لاجله من طمع او غرض عاجل ان اجري الا ليس
اجري الا على الله اي ما نصحتكم الا لوجهه ولا يثيبني الا هو وفي الآية نكتة كانه اراد انه لا يخاف منهم بوجه من الوجوه لا بايصال الشر وذلك قوله
فعلى الله توكلت الى اخره ولا بانقطاع الخير منهم وذلك قوله فان توليتم الآية وامرت ان اكون من المسلمين اي سواء قبلتم دين الاسلام
او لم تقبلوه فانا مامور بان اكون على دين الاسلام او مامور بالاستسلام لكل ما القى من قبل هذه الدعوة فكذبوه بقوا على تكذيبهم
الى اخر المدة المتطاولة فنجيناه ومن معه في الفلك قد ذكرنا في الاعراف الفرق بين هذه العبارة وبين ما هنالك وجعلناهم خلائف يخلفون
الهالكين بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لشان اهلاكهم وتحذير لغيرهم وتسلية للنبي ص ثم بعثنا من بعده من بعد نوح
رسلا كهود وصالح وابرهيم ولوط وشعيب فجاؤهم بالبينات بالحجج الواضحات والمعجزات الباهرات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل الآية
قد مر تفسيرها في اواسط الاعراف الا انه زيد ههنا لفظة به فقيل لتناسب ما قبله فكذبوا بآياتنا وكذلك في الاعراف راعى المناسبة لان
ما قبله ولكن كذبوا بغير الباء ثم بعثنا من بعدهم بعد الرسل والامم بآياتنا يعني الآيات التسع فاستكبروا عن قبولها وكانوا قوما مجرمين
كفارا ذوي آثام ولذلك اجترؤا على رد الآيات اما قوله اسحر هذا فليس بمقول القول اتقولون لانهم قطعوا في قولهم ان هذا لسحر مبين بانه
سحر وما استفهموا ولكن الوجه فيه ان يقال ان القول ههنا بمعنى الطعن والعيب كالذكر في قوله سمعنا فتى يذكرهم ومنه قولهم فلان يخاف
القالة اي مطاعن الناس فكانه قال اتعيبون الحق وتطعنون فيه ثم انكر عليهم قولهم فقال اسحر هذا ويقال مفعول يقولون محذوف وهو
قولهم ان هذا لسحر مبين ويقال جملة قوله اسحر هذا ولا يفلح الساحرون حكاية لكلامهم كانهم قالوا امنكرين لما جاءه اجئتما بالسحر
تطلبان به الفلاح ولا يفلح لان حاصل صنيعهم تخييل وتمويه قالوا اجئتنا لتلفتنا التركيب يدل على الالتواء ومنه الفتل والالتفات
افتعال من اللفت وهو الصرف وتكون لكما الكبرياء في الارض اي الملك والعز في ارض مصر قال الزجاج سمي الملك كبرياء لانه اكبر ما يطلب
من امر الدنيا وايضا فالنبي اذا اعترف القوم بصدقه صارت مقاليد امر امته اليه فصار اكبر القوم وقيل لان الملوك موصوفون بالكبر
والحاصل انهم عللوا عدم قبولهم دعوة موسى بامرين التمسك بالتقليد وهو عبادة آبائهم الاصنام والحرص على طلب الدنيا والجد في بقاء
الرياسة ويجوز ان يقصدوا ذمهما بانهما ان ملكا ارض مصر تجبرا وتكبرا ثم صرحوا بالتكذيب قائلين وما نحن لكما بمؤمنين ثم حاولوا المعارضة
وقد مرت تلك القصة في الاعراف اما قوله ما جئتم به فمعناه الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحرا من آيات الله
قال الفراء وانما قال السحر بالالف واللام لانه جواب لكلام الذي سبق كانهم قالوا لموسى ما جئت به سحر فقال موسى بل ما جئتم به
السحر فوجب دخول الالف واللام لان النكرة اذا عادت عادت معرفة يقول الرجل لغيره لقيت رجلا فيقول له من الرجل ولو قال من رجل لم يقع في
وهمه انه يسئل عن الرجل الذي ذكره ومن قرأ آلسحر بالاستفهام فما استفهامية مبتداء وجئتم به خبره كانه قيل اي شيء جئتم به ثم قال على وجه
التوبيخ آلسحر اي اهو سحر او السحر جئتم به ان الله سيبطله باظهار المعجزة عليه ان الله لا يصلح عمل المفسدين لا يؤيده ويحق الله
الحق يثبته بكلماته بمواعيده او بما سبق من قضائه او باوامره فما آمن لموسى اي في اول امره الا ذرية من قومه قال ابن عباس لفظة الذرية
يعبر به عن القوم على وجه التحقير ولا ريب ان المراد ههنا ليس هو الاطفال انه فالمراد التصغير بمعنى قلة العدد وقيل المراد اولاد من اولاد قومه كانه
دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من ابنائهم مع الخوف من فرعون ان يصرفهم عن دينهم بتسليط انواع البلاء عليهم
وقيل ان الذرية اقوام كان آباؤهم من قوم فرعون وامهاتهم من بني اسرائيل وقيل الذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه و
امرأة خازنه وماشطته فالضمير في قومه على هذا لفرعون وعوده الى موسى اظهر لانه اقرب المذكورين والنقل ان الذين آمنوا به كانوا
من بني اسرائيل والضمير في ملائهم اما لفرعون على جهة التعظيم لانه ذو اصحاب يأتمرون له او المراد آل فرعون بحذف المضاف او للذرية
يعني اشراف بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم يدل على ذلك قوله ان يفتنهم اي يعذبهم فرعون
ثم اكد اسباب الخوف بقوله وان فرعون لعال لغالب في الارض ارض مصر وانه لمن المسرفين في القتل والتعذيب لمن المجاوزين الحد لانه من جنس
العبيد فادعى الربوبية العليا وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله صدقتم به وبآياته فعليه توكلوا اخصوه بتفويض اموركم اليه
ان كنتم مسلمين قال العلماء المؤخر في مثل هذه الصورة مقدم في المعنى نظيره ان ضربك زيد فاضربه ان كانت بك قوة والمراد ان كانت بك

توة فان ضربك بدفاضربه فكانه قيل لهم فى حال اسلامهم ان كنتم منقادين لتكاليفه بكم بالاخلاص مصدقين له بالتحقيق عارفين بانه
واجب الوجود لذاته وما سواه محدث مخلوق مقهور تحت حكمه وتدبيره ففوضوا جميع اموركم اليه وحده فقالوا امتثالا لامر موسى على الله توكلنا
ثم اشتغلوا بالدعاء قائلين ربنا لا تجعلنا فتنة اى موضع فتنة لهم والمراد بالفتنة تعذيبهم اوصرفهم عن دينهم والمراد لا تفتن بنا فرعون
وقومه لانك لو سلطتهم علينا صار ذلك شبهة لهم فى ان السنا على الحق ويجوز ان يكون الفتنة بمعنى المفتون اى لا تجعلنا مفتونين بان
تمكنهم من صرفنا عن الدين الحق ولما قدموا التضرع الى الله فى ان يصون دينهم عن الفساد اتبعوه سؤال عصمة انفسهم فقالوا ونجنا الاية
وفى ذلك دليل على ان عنايتهم بمصالح الدين فوق اهتمامهم بمصالح النفس وهكذا يجب ان يكون عقيدة كل مسلم والله الموفق واوحينا الى موسى
واخيه ان تبوا لقومكما بمصر بيوتا تبوء بالمكان اتخذه مباءة ومرجعا مثل توطنه اذا اتخذه وطنا واختلف المفسرون فى البيوت فمنهم من ذهب
الى انها المساجد كقوله فى بيوت اذن الله ان ترفع فالمراد من قوله واجعلوا بيوتكم قبلة ان يجعل تلك البيوت مساجد متوجهة نحو القبلة
وهى جهة بيت المقدس او الكعبة على ما نقل عن ابن عباس وقال الحسن الكعبة قبلة كل الانبياء وانما وقع التحول عنه بامر الله تعالى فى ايام
نبينا بعد الهجرة ومنهم من قال انها مطلق البيوت ثم قيل المراد واجعلوا دوركم قبلة اى صلوا فى بيوتكم وقيل المراد اجعلوا بيوتكم متقابلة
اما السبب فى اتخاذ هذه البيوت فان يصلوا فى بيوتهم خفية خيفة عن الكفرة كما كان المؤمنون على ذلك فى اول الاسلام بمكة او المقصود الجمعية
واعتضاد البعض بالبعض وقيل على التفسير الاول لما اظهر فرعون العداوة الشديدة امر الله موسى وهرون وقومهما باتخاذ المساجد على رغم
الاعداء وتكفل ان يصونهم عن شرهم وانما ثنى الخطاب اولا ثم جمع لان اختيار المكان للعبادة مما يفوض الى الانبياء فخوطب موسى وهرون
بذلك ثم جعل الخطاب عاما لهما ولقومهما لان استقبال القبلة واقامة الصلوة واجب على الجمهور ثم خص موسى عم بالتبشير فى قوله وبشر المؤمنين
لان الغرض الاصلى من جميع العبادات هو هذه البشارة فلم تكن لائقة الا بحال موسى الذى هو الاصل فى الرسالة وفيه تعظيم لشان البشارة
والمبشر قال الضعيف مؤلف الكتاب قد سنح فى خاطرى وقت هذه الكتابة ان الخطاب فى قوله وبشر المؤمنين لنبينا عم على طريقة الالتفات
والاعتراض ومضمون البشارة انه جعلت الارض كلها لهذه الامة مسجدا وطهورا دون سائر الامم فانهم امروا باتخاذ موضع يرجعون
اليه البتة للعبادة والله اعلم بمراده ثم ان موسى عم لما بالغ فى اظهار المعجزات القاهرة ورأى القوم مصرين على الجحود والانكار اخذ يدعو
عليهم ومن حق من يدعو على الغير ان يذكر اولا سبب الدعاء عليه فلهذا قال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة واموالا
فالزينة عبارة عن الصحة والجمال واللباس والدواب واثاث البيت والاموال ما يزيد على ذلك من الصامت والناطق عن ابن عباس كانت لهم
من فسطاط مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة قالت الاشاعرة اللام فى قوله ليضلوا لام التعليل كان موسى عم قال يا
رب انك اعطيتهم هذه الزينة والاموال لاجل ان يضلوا ففيه دلالة على انه تعالى سبب لضلالهم واراد منهم ذلك والام هى اسبابه ثم شرع فى
الدعاء عليهم بالطمس على اموالهم والطمس المحو والتسخ كما مر فى سورة النساء فى قوله سبحانه من قبل ان نطمس وجوها وبالشد على قلوبهم وهو
الاستيثاق والختم وقالت المعتزلة قوله ليضلوا دعاء بلفظ الامر الغائب دعا عليهم بثلثة امور بالضلال والطمس والشد كانه لما علم
بالتجربة وطول الصحبة ان ايمانهم كالمحال او علم ذلك بالوحى اشتد غضبه عليهم فدعا الله عليهم بما علم انه لا يكون غيره فالمراد ليثبتوا على
ما هم عليه من الضلال وليطبع الله على قلوبهم كما يقول الاب المشفق لولده اذا لم يقبل نصحه استمر على غيك سلمنا ان قوله ليضلوا ليس
دعاء عليهم لكن اللام فيه للعاقبة كقوله لدوا للموت سلمنا ان اللام للتعليل لكنهم جعلوا نعمة الله سببا فى الضلال فكانهم اوتوها
ليضلوا ولم لا يجوز ان يكون لا مقدرة اى لئلا يضلوا كقوله يبين الله لكم ان تضلوا اى لا تضلوا او يكون حرف الاستفهام مقدرا
فى ليضلوا على سبيل التعجب اما قوله تعالى فلا يؤمنوا فاما ان يكون معطوفا على قوله ليضلوا على التفاسير كلها وما بينهما اعتراض واما ان يكون
جوابا للفولة واشدد ويجوز ان يكون دعاء بلفظ النهى معطوفا على اشدد قال قد اجيبت دعوتكما اضاف الدعوة اليهما لان موسى كان
يدعو وهرون يؤمن ويجوز ان يكونا جميعا يدعوان الا انه خص موسى بالذكر فى الاية الاولى لاصالته فى الرسالة والمعنى ان دعاءكما مستجاب
وما طلبتما كائن ولكن فى وقته فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من التبليغ والانذار زيادة فى الزام الحجة ولا تستعجلا فقد لبث نوح فى قومه
الف سنة الا قليلا قال ابن جريج مكث موسى بعد الدعاء اربعين سنة يدعوهم الى الله ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ان الاستعجال
لا يفيد فى اجابة الدعاء فقد يستجاب الدعاء ولكن يظهر الاثر بعد حين وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر قد مرت تلك القصة فى اوائل سورة البقرة
فى قوله واذ فرقنا بكم البحر الاية ومعنى قوله فاتبعهم لحقهم يقال تبعه حتى اتبعه البغى الافراط فى الظلم والعدو مجاوزة الحد وفى الاية
سؤال هو ان فرعون تاب ثلث مرات احدها قوله امنت وثانيها انه لا اله الا الذى امنت به بنو اسرائيل وثالثها وانا من المسلمين فلم
يقبل توبته والجواب من وجوه الاول انه ايمان اليائس وانه لا يقبل لان الالجاء ينافى التكليف الثانى انها لم تكن مقرونة بوجوب الصانع ومثل
هذا الاعتقاد الفاحش لا يزول ظلمته الا بنور الحجة القطعية الرابع ما روى ان بعض بنى اسرائيل لما جاوزوا البحر اشتغلوا بعبادة العجل
اراد الايمان بذلك العجل الذى امنوا بعبادته فى ذلك الوقت وكانت هذه الكلمة سببا لزيادة الكفر الخامس ان اكثر اليهود يميلون الى

التجسيم والتشبيه ولذلك عبدوا العجل فكانه ما امن الا بالاله الموصوف بالجسمية والحلول والنزول السادس لعل الايمان انما يتم بالاقرار
بوحدانية الله تعالى وبنبوة موسى كانه لو قيل الف مرة لا اله الا الله لم يصح ايماننا الا اذا اقرن به محمد رسول الله السابع
يروى ان جبرئيل عم اتى فرعون بفتيا ما قول الامير فى عبد نشأ فى مال مولاه ونعمه فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون
فيه يقول ابو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعمته ان يغرق فى البحر ثم ان فرعون لما غرق دفع جبرئيل اليه
خطه فعرفه اما قوله الان فالمشهور من الاخبار انه قول جبرئيل وقيل انه قول الله سبحانه والتقدير اتؤمن الساعة فى وقت الاضطرار حين
الجمك الغرق وادركك قوله وكنت من المفسدين فى مقابلة قوله وانا من المسلمين يروى ان جبرئيل اخذ يملاء فاه بالطين حين قال
امنت لئلا يتوب غضبا عليه والاقرب عند العلماء ان هذا الخبر غير صحيح لانه فى ذلك الحين بقاء التكليف لم يجز على جبرئيل ان يمنعه من التوبة
بل يجب ان يحثه عليها وعلى كل طاعة لقوله تعالى وتعاونوا ولو منعه لكانت التوبة ممكنة لان الاخرس قد يتوب بان يعزم بقلبه على ترك
المعاودة الى القبيح ولو منعه من التوبة لكان قد رضى ببقائه على الكفر والرضاء بالكفر كفر وكيف يليق به سبحانه ان يقول لموسى وهرون
فقولا له قولا لينا ثم يامر جبرئيل بمنعه عن الايمان ولو قيل ان جبرئيل فعل ذلك من تلقاء نفسه كان منافيا لقوله وما نتنزل الا
بامر ربك لا يسبقونه بالقول ان كان قال ذلك بعد زوال التكليف فلم يكن لما فعل جبرئيل فائدة اللهم الا ان يقال انه دس حال البحر
فى فيه وقتا لا ينفعه ايمانه غضبا لله على الكافر قوله فاليوم ننجيك ببدنك فيه اقوال منها ان معناه نخرجك من البحر ونخلصك مما
وقع فيه قومك من قعر البحر ولكن بعد ان تغرق وقوله ببدنك فى موضع الحال اى فى الحال التى لا روح فيك انما انت بدن قال كعب رماه
الماء الى الساحل كانه ثور او المراد ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شئ ولم يتغير او عريانا لست الا بدنا وفيه نوع تهكم كانه قيل ننجيك
لكن هذه النجاة انما يحصل لبدنك لا لروحك كما يقال نعتقك فتخلص من السجن لكن بعد ان تموت وقيل ننجيك ببدنك اى نلقيك
بنجوة من الارض وهى المكان المرتفع وقيل ببدنك اى بدرعك قال الليث البدن الدرع القصير الكمين عن ابن عباس قال كان عليه درع
من الذهب يعرف بها فاخرجه الله من الماء مع ذلك الدرع ليعرف فان صحت هذه الرواية كانت معجزة لموسى عم قوله لتكون لمن خلفك اية فقيل ان قوما
اعتقدوا فى الهيته وزعموا ان مثله لا يموت فاظهر الله تعالى امره بان اخرجه من الماء بصورته حتى يشاهدوه وتزول الشبهة عن قلوبهم
وكانت مطرحة على ممر من بنى اسرائيل فلهذا قيل لمن خلفك وقيل انه تعالى اراد ان يشاهده الخلق على ذلك الذل والاهانة بعد ما سمعوا
منه قوله انا ربكم الاعلى ليكون ذلك زجرا للعابرين عن مثل طريقته ويعرفوا انه كان بالامس فى نهاية الجلالة ثم ال امره الى ما ترى فلا
يجترؤا على نحو ما اجترأ عليه وقيل المراد ليكون طرحك الساحل وحدك دون المغرقين اية من ايات الله للامم الاتية ثم زجر هذه الامة عن
ترك النظر فى الدلائل وحثهم على التامل والاعتبار فقال وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون التاويل واتل عليهم نبا نوح الروح
اذ قال لقومه وهم القلب والسر والنفس وصفاتها يا قوم ان كان عظم عليكم مقامى فى الاخلاق الحميدة الروحانية ودعائى الى الله ببراهينه
الواضحة فما سالتكم من اجر من حظ من حظوظ مشاربكم الدنيوية ما اجرى الا من مواهب الله وشهود جماله وجعلناهم خلائف خلفاء
الله فى ارضه باقى التاويل كما مر فى الاعراف وهكذا فى قصة موسى ولا يفلح الساحرون لان الفلاح هو الخلاص عن قيد الوجود المجازى
ويحق الله الحق اى الذكر بكلماته وهى لا اله الا الله ولو كره اهل الهوى والنفوس الامارة فما امن لموسى القلب الا صفاته او بعض صفات
فرعون النفس بتبديل اخلاقها الذميمة بالاخلاق الحميدة القلبية على خوف من فرعون النفس والهوى والدنيا وشهواتها ان يصرفهم
الى حالها الطبيعة التى جبلت عليها واوحينا الى موسى القلب وهرون السر ان هيئا الصفات كما بمصر عالم الروح مقامات ومنازل لا فى
عالم النفس السفلى واجعلوا تلك المقامات متوجهة الى طلب الحق واقيموا الصلوة اديموا العروج من المقامات الروحانية الى المواصلات
الربانية ليضلوا عن سبيلك ليكون عاقبة امرهم ان ينقطعوا ويقطعوا ابناء الملاذ عن السير فى طلبك ربنا اطمس على اموالهم بمحقها و
تحقيرها فى نظرهم واشدد طريق النظر الى الدنيا وما فيها على قلوبهم واجعل همتهم عليه فى طلبك والنظر اليك فقط حتى يروا العذاب الاليم
فان النفس وصفاتها لا يؤمنون بالاخرة وطلب الحق حتى يذيقهم الم الفطام عن الدنيا وشهواتها سبيل الذين لا يعلمون طريق الوصول
الى الله ولا يعرفون قدره وجاوزنا ببنى اسرائيل هم القلب والسر وصفاتهما البحر بحر الروحانية الملكوتية فاتبعهم فرعون النفس وصفاتها
بعد الفطام عن شوائب عالم الملك بغيا وقسرا حتى اذا هبت رياح اللطف وتموجت بحار الفضل واستغرق موسى القلب وصفاته فى لجج بحر
الوصال وبلغت امواج امواجه الى ساحل البشرية ادرك فرعون النفس الغرق فتمسك بعروة تلك العرية وقال امنت ومن امارات جنبة فرعون
النفس من عالم الروح انه لم يتمسك بحبل التوحيد المعرفة بيد الصدق والاستقلال لم يقل امنت بالله الذى لا اله الا هو وانما تمسك بيد
الاضطراب والتقليد فقال لا اله الا الذى امنت به بنو اسرائيل ننجيك ببدنك اى نخلصك مع قالبك من بحر الضلالة لتكون دليلا
على كمال قدرتنا وعلى عنايتنا وان من اتبع خواص عبادنا نجعله من اهل النجاة والدرجات بعد ان كان من اهل الهلاك والدركات
والله حسبنا ولقد بوانا بنى اسرائيل مبوا صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان

ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فان كنت في شك مما انزلنا اليك فسئل الذين يقرءون الكتاب
پروردگار تو حکم کند میان ایشان روز قیامت در آنچه بودند در آن اختلاف میکردند پس اگر باشی در شک از آنچه فرو فرستادیم بتو پس بپرس از آنها که میخوانند کتاب را
من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بايت الله فتكون من الخاسرين
پیش از تو هر آینه آمده است ترا حق از پروردگار تو پس مباش از شک کنندگان و مباش البته از آنها که تکذیب کردند آیات خدا را پس خواهی بود از زیانکاران
ان الذين حقت عليهم كلمت ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل اية حتى يروا العذاب الاليم فلولا كانت قرية امنت
بدرستیکه آنانکه لازم شد بر ایشان کلمهٔ پروردگار تو ایمان نخواهند آورد و اگر آید بدیشان هر آیتی تا آنکه ببینند عذاب دردناک را پس چرا نبود قریه که ایمان آورد
فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين ولو شاء ربك
پس نفع کردی او را ایمان او مگر گروه یونس چون ایمان آوردند دفع کردیم از ایشان عذاب رسوائی را در زندگانی دنیا و برخوردار کردیم ایشان را تا وقتی و اگر خواستی پروردگار تو
لامن من في الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله
ایمان آوردی هر که در زمین است همه ایشان تمام آیا پس تو اکراه میکنی مردمان را تا باشند گرویدگان و نیست هیچ نفسی را که ایمان آرد مگر بمشیت خدا
ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون قل انظروا ماذا في السموت والارض وما تغني الايت والنذر عن قوم لا
و میگرداند ناپاکی را بر آنها که نمی فهمند بگو بنگرید که چیست در آسمانها و زمین و کفایت نمیکند آیتها و بیم کنندگان از گروهی که
يؤمنون فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين ثم ننجي رسلنا ع
ایمان نمی آرند پس آیا انتظار میبرند مگر مانند روزهای آنانکه گذشتند پیش از ایشان بگو پس منتظر باشید بدرستیکه من با شما از منتظرانم پس نجات میدهیم رسولان خود را
والذين امنوا كذلك حقا علينا ننج المؤمنين قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا اعبد الذين تعبدون
و آنها را که ایمان آوردند همچنین لازم است بر ما نجات دهیم مؤمنان را بگو ای مردمان اگر باشید در شک از دین من پس نمی پرستم آنها را که میپرستید
من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفيكم وامرت ان اكون من المؤمنين وان اقم وجهك للدين حنيفا ولا
از غیر خدا و لیکن میپرستم خدای را که میمیراند شما را و فرموده شدم که باشم از گروندگان و اینکه راست کن روی خود را برای دین حق گراینده و
تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين وان يمسسك
مباش البته از شرک آرندگان و مخوان از غیر خدا آنچه نفع نمیکند ترا و ضرر نمیرساند ترا پس اگر کردی پس بدرستیکه تو آنگاه از ستمکاران و اگر برساند ترا
الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم
خدا بضرری پس نیست دفع کننده آنرا مگر او و اگر خواهد بتو خیری پس نیست باز دارنده فضل او را میرساند آنرا بهر که خواهد از بندگان خود و اوست آمرزنده مهربان
قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انا عليكم
بگو ای مردمان بتحقیق آمد شما را حق از پروردگار شما پس هر که راه یافت پس جز این نیست که راه می یابد برای نفس خود و هر که گمراه شد پس جز این نیست که گمراه میشود بر ضرر خود و نیستم من بر شما
بوكيل واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين القراءة توانا مثل انشانا ونجعل بالنون يحيى وحماد الاخرون
کارگزار و پیروی کن آنچه وحی کرده میشود بتو و صبر کن تا حکم کند خدا و اوست بهترین حکم کنندگان بالياء التحتانية ثم ننجي من الانجاء نصر وروح ويزيد

ننجي المؤمنين من الانجاء ايضا علي وسهل ويعقوب وحفص والمفضل الاخرون بالتشديد فيهما الوقوف الكتاب ج للابتداء بالنفي مع الفاء العلم ط يختلفون من قبلك ج لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى الممترين لا للعطف الخاسرين لا يؤمنون لا للتعلق لو بما قبلها الاليم يونس ط حين جميعا ط مؤمنين باذن الله ط اي وهو يجعل لا يعقلون والارض ط للفصل بين الاستخبار والاخبار لا يؤمنون من قبلهم ط من المنتظرين كذلك ج لاحتمال ان يراد ننجيهم كانجاء الرسل او يكون الوقف على امنوا والتقدير ننجي المؤمنين لا انجاء كذلك حقا علينا اعتراض المؤمنين لا يتوفيكم لا لاحتمال ان يراد وقد امرت المؤمنين لا للعطف حنيفا ج للعطف مع زيادة نون التاكيد المؤذن بالاستيناف المشركين ولا يضرك ج للابتداء بالشرط مع الفاء الظالمين لا هو ج للعطف مع حق الفصل بين المتضادين لفضله ط من عباده ط الرحيم من ربكم ج لنفسه ج عليها ج للعطف مع النفي بوكيل ط يحكم الله ج لاحتمال العطف والاستيناف الحاكمين التفسير لما ذكر ما وقع عليه الختم في واقعة فرعون وجنوده اراد ان يذكر ما وقع عليه الختم في واقعة بني اسرائيل فقال ولقد بوانا اي اسكناهم مسكن صدق واسكان صدق فيكون المبوأ اسم مكان او مصدرا والعرب اذا مدحت شيئا اضافته الى الصدق ليعلم ان كل ما يظن به من الخير ويطلب منه فانه يصدق ذلك الظن ويوجد فيه فيكون المعنى منزلا صالحا مرضيا والمراد ببني اسرائيل اما اليهود الذين كانوا في زمن موسى ع فهو الشام ومصر وما يليهما فانها بلاد كثيرة الخصب غزيرة الارزاق ومع ذلك فقد اورثهم الله جميع ما كانت تحت تصرف فرعون وقومه من الناطق والصامت فما اختلفوا في دينهم وما تشعبوا فيه شعبا و كانوا على طريقة واحدة حتى قرءوا التورية فتناولوها بضد المقصود منها وبدلوا الاتفاق بالاختلاف واحدثوا المذاهب المتعددة

واما اليهود المعاصرون لرسول الله صلعم والى هذا ذهب جم غفير من المفسرين عن ابن عباس هم قريظة والنضير وبنو قينقاع انزلناهم منزل الصدق ما بين المدينة والشام ورزقناهم من طيبات تلك البلاد رطبا وتمرا الذي في غيرها فبقوا على دينهم ولم يظهر فيهم الاختلاف حتى جاءهم سبب العلم وهو القران النازل على محمد ص فاختلفوا في نعته وصفته وامن به قوم وبقي على الكفر اخرون وبالجملة فالله تعالى يقضي بين المحقين منهم والمبطلين في يوم الجزاء لان دار التكليف ليست بدار القضاء ولما بين كيفية اختلاف اليهود في شان كتابهم او في شان رسول حقوق حقيقته وحقيقة ما انزل عليه بقوله فان كنت في شك والشك في اللغة ضم الشيء بعضه الى بعض شك الجوهر في العقد شككته بالرمح اي خرقته وانتظمته والشكيكة الفرقة من الناس والشكاك البيوت المصطفة والشاك يضم الى ما يتوهمه شيئا اخر خلافه والخطاب فيه للرسول في الظاهر والمراد امته كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم والدليل عليه قوله بعيد ذلك قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني ولانه لو كان شاكا في شانه لكان غيره بالشك اولى ويمكن ان يقال الخطاب للرسول ص حقيقة ولكن ورد على سبيل الفرض والتمثيل كانه قيل فان وقع لك شك مثلا والقضية الشرطية لا اشعار فيها البتة بوقوع الشرط ولا وقوعه بل المراد استلزام الاول للثاني على تقدير وقوع الاول وقد يكونان محالين كقول القائل ان كانت الخمسة زوجا كانت منقسمة بمتساويين وفيه من الفوائد الارشاد الى طلب الدلائل لاجل مزيد اليقين وحصول الطمانينة وفيه استمالة الامة والحث لهم على السؤال عما كانوا منه في شك وفيه ان اهل الكتاب من الاحاطة بصحة ما انزل اليك بحيث يصلحون لمراجعة مثلك فضلا عن غيرك فيكون الغرض وصف الاحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل الى الرسول لا بالشك ولذلك قال ص عنده لا اشك لا وصف الرسول بهم ولا اسال بل اشهد انه الحق وعن ابن عباس لا والله ما شك طرفة عين ولا سال احدا منهم وقيل ان فيه اي فان كنت في شك يعني لا نامرك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا وقيل الخطاب لكل سامع يتاتى منه الشك من المسؤل عنهم قال المحققون هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وعبد الله بن صوريا وتميم الداري وكعب الاحبار لانهم هم الذين يوثق بخبرهم ومنهم من قال الكل سواء لانهم اذا بلغوا حد التواتر وقرءوا اية من التورية والانجيل يدل على البشارة بمقدم محمد ص فقد حصل الغرض لان تلك الاية لما بقيت مع توفر دواعيهم على تحريف نعته كانت من اقوى الدلائل والظاهر ان المقصود من السؤال معرفة حقيقة القران وصحة نبوة محمد ص لقوله مما انزلنا اليك وقيل السؤال راجع الى قوله فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ثم انه سبحانه لما بين الطريق المزيل للشك شهد بحقيته فقال لقد جاءك الحق من ربك ثم ان فرق المكلفين بعد المصدقين اما متوقفون في صدقه واما مكذبون فنهى الفريقين مخاطبا في الظاهر لنبيه فقال فلا تكونن من الممترين ولا تكونن الاية والمراد اثبت ودم على ما انت عليه من انتفاء المرية وانتفاء التكذيب وفيه من التهييج والبعث على اليقين والتصديق ما فيه ثم لما زجر كل فريق عما زجر بين ان لله عبادا قضى عليهم بالشقاء وعبادا ختم لهم بالحسنى فلا يتغيرون عن حالهم البتة اما الاولون فاشار اليهم بقوله ان الذين حقت الاية وقد مر مثله في هذه السورة وقالت المعتزلة ان عدم ايمان هذا الفريق الى حين وقوع الباس وسوء هم على الكفر مكتوب عند الله وثبت عليهم قوله في الازل بما يجري عليهم لكنها كانت مقدرة ومرادة وقالت الاشاعرة كلمته حكمه وارادته وخلقه فيهم الكفر وقد مر تمام معلوم لا هذه الابحاث مرارا كثيرة واما الاخرون فذلك قوله فلولا كانت اي فهلا حصلت قرية واحدة امنت تابت عن الكفر واخلصت الايمان قبل معاينة العذاب فنفعها ايمانها لو وقع في وقت الاختيار والتكليف دون اوان الياس والاضطرار الا قوم يونس هو استثناء منقطع اي ولكن قوم يونس لان اول الكلام جرى على القرية وان كان المراد اهلها وقيل ان لولا في هذا المقام بمعنى النفي كانه قيل ما امنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس يروى ان يونس ع بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا كما سيجيء في سورة الانبياء فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة وقيل قال لهم يونس ان اجلكم اربعون ليلة فقالوا ان راينا اسباب الهلاك امنا بك فلما مضت خمس وثلثون اغامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى تغشى مدينتهم وتسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب واولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيرده وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم ومتعوا بالايمان والاعمال الصالحة وبالخيرات الدنيوية الى حين انقضاء اجالهم وعن الفضيل بن عياض قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله ثم بين ان الايمان وضده كلاهما بمشية الله وتقديره فقال ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا قالت الاشاعرة هذه القضية بقيد الشمول والاحاطة لكنه ما حصل ايمان اهل الارض بالكلية فدل هذا على انه تعالى ما اراد ايمان الكل واول المعتزلة المشية بمشية الالجاء والقسر واجيب بان الكلام في الايمان الذي كان يطلبه النبي منهم وهو الايمان المنوط به التكليف لا الايمان القسري الذي لا ينتفع به المكلف فلو حمل الايمان المذكور في الاية وكذا المشية على الايمان الالجاء ومشية القسر لم ينتظم الكلام ثم ذكر ان القدرة القاهرة والمشية النافذة ليست الا للحق سبحانه وتعالى فقال افانت تكره

فاولى الاسم حرف الاستفهام للاعلام بان الاكراه ممكن مقدور عليه وانما الكلام فى المكره من هو وما هو الا الله الواحد وحده فحمل المعتزلة هذا الاكراه على الالجاء ومعناه ان يفعل فى قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان وحمل الاشاعرة الاكراه على الايمان ومعناه انه قادر على خلق الايمان والكفر فيهم لا انت بدليل قوله وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس اى الكفر والفسق على الذين لا يعقلون وفسر المعتزلة الاذن بمنح الالطاف والرجس بالخذلان لان الرجس هو العذاب والخذلان سببه خصصوا النفس بالنفس المعلوم ايمانها والذين لا يعقلون يعنى المصرين على الكفر واستدلت الاشاعرة بقوله وما كان لنفس على انه لا حكم للاشياء قبل ورود الشرع لان الاذن عبارة عن الاطلاق فى الفعل ورفع الحجر واذا كان اصل الشرع وهو الايمان باذن الله فما ترتب عليه اولى واجابت المعتزلة بان المراد بالاذن التوفيق والتسهيل والالطاف ولما بين ان الايمان لا يحصل الا بمشية الله امر بالنظر والاستدلال بالسماوية والارضية حتى لا يتوهم ان الحق هو الجبر المحض فقال قل انظروا ماذا فى السموات والارض اى شىء فيهما من الايات والعبر ذكر ان التفكر والتدبر فى هذه الدلائل لا ينفع فى حق من حكم الله عليه فى الازل بالشقاء فقال وما تغنى يحتمل ان يكون ما نافية اى لا تفيد هذه الايات والنذر وهى جمع نذير صفة او مصدر فى حق المحكوم عليهم بعدم الايمان وان يكون استفهامية للانكار بمعنى اى شىء يغنى عنهم ثم قال فهل ينتظرون والمراد ان الانبياء المتقدمين كانوا يتوعدون كفار زمانهم بايام مشتملة على انواع العذاب بوقائع الله فيهم وهم يكذبونهم ويسخرون منهم وكذلك كان يفعل الكفار المعاصرون للرسول ثم قال سبحانه قل فانتظروا وفيه تهديد ووعيد بانه سينزل بهؤلاء مثل ما نزل باولئك من الاهلاك بعد انجاء الرسول واتباعه كما حكى تلك الحال الماضية بقوله ثم ننجى رسلنا الاية قالت المعتزلة حقا علينا المراد به الوجوب والاستحقاق اذ لا يحسن تعذيب الرسول والمؤمنين وقالت الاشاعرة انه حق بحسب الوعد والحكم فان العبد لا يستحق على خالقه شيئا ثم امر رسوله باظهار الدين العريج بين طريقه وطريقة المشركين فقال قل يا ايها الناس والمعنى يا اهل مكة ان كنتم لا تعرفون دينى فاعلموا انى برىء من اديانكم الباطلة ولكن اعبد الله الذى يتوفيكم وتخصيص هذا الوصف لانه يدل على الخلق اولا وعلى الاعادة ثانيا كما مر مرارا ولان الموت اشد الاحوال تأثيرا فى القلوب فكان اقوى فى الزجر والردع او لانه قد تقدم ذكر الاهلاك والوقائع النازلة بالامم الخالية فكانه قال اعبد الله الذى وعدنى باهلاككم وانجائى وفى الاية اشارة الى انه لن يوافقهم فى دينهم كيلا يشكوا فى امره ويقطعوا اطماعهم عنه ولما ذكر انه لا يعبد الا الله بين انه مامور بالايمان والمعرفة فقال وامرت ان اكون اى بان اكون من المؤمنين ثم عطف عليه قوله وان اقم وجهك ولا تدع نظرا الى المعنى كانه قيل له كن مؤمنا ثم اقم ولا تدع او المراد وامرت بكذا واوحى الى ان اقم قال فى الكشاف قد سوغ سيبويه ان يوصل ان بالامر والنهى وشبه ذلك بقولهم انت الذى تفعل على الخطاب لان الغرض وصلها بما يكون معه فى معنى المصدر والامر والنهى دالان على المصدر لا كغيرهما من الافعال ومعنى اقم وجهك استقم اليه ولا تلتفت يمينا وشمالا وحنيفا حال من الدين او من الوجه قال المحققون الوجه ههنا وجه العقل والمراد توجيه بكليته الى طلب الدين كمن يريد ان ينظر الى شىء نظرا تاما فانه يقيم وجهه فى مقابلته لا يصرفه عنه ثم اكد الامر بالنهى عن ضده فقال ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت اى فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك وكنى عنه بالفعل حصارا واذن جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كان سائلا سئل عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لان اضافة التصرف بالاستقلال الى ما سوى مدبر الكل وضع للشىء فى غير موضعه ثم صرح بانه مبدأ الكائنات ومنتهى الحاجات لا غيره فقال وان يمسسك الله الاية وقد مر تفسير مثلها فى اول سورة الانعام قال الواحدى وان يردك بخير من القلب واصله وان يرد بك الخير ولكنه لما تعلق كل واحد منهما بالاخر جاز كل واحد منهما واقول فى تخصيص الارادة بجانب الخير والمس بجانب الشر دليل على ان الخير يصدر عنه سبحانه بالذات والشر بالعرض ثم ختم السورة بما يستدل به على قضائه وقدره فى الهداية والضلال فقال يا ايها الناس الاية وفسرها الاشاعرة بان من حكم له فى الازل بالاهتداء فسيقع له ذلك ومن حكم له بالضلال فكذلك ولا حيلة فى دفعه كما مر فى سورة الانعام قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه الاية وقالت المعتزلة المراد انه بين الشريعة وازاح العلة فظهر وقطع المعذرة فمن اختار الهدى فما نفع باختياره الا نفسه ومن اثر الضلال فلا يعود وباله الا على نفسه يروى عن ابن عباس ان الاية منسوخة باية القتال ولا يخفى ضعفه ثم امر باتباع الوحى والتنزيل فان وصل الهداية الا باتباع مكروه فليصبر فيه الى ان يحكم الله وهو خير الحاكمين وبعضهم فى الصبر شعر سأصبر حتى يعجز الصبر عن صبرى واصبر حتى يحكم الله فى امرى سأصبر حتى يعلم الصبر اننى صبرت على شىء امر من الصبر التأويل ولقد بوأنا بنى اسرائيل يعنى متولدات الروح العلوى من القلب والسر دون النفس لانها من النبات لا من البنين مبوأ صدق منزلا عليا فى العالم النورانى ورزقناهم من الطيبات من الفيض الربانى الفائض على الروح لان الروح مستو على عرش القلب وكل ما فاض من صفة الرحمانية على الروح يفيض الروح على القلب والسر فما اختلف القلب والسر حتى جاءهم دعوة النبى من قبلها صار مقبولا ومن ردها كان مردودا وبوجه اخر مبوأ صدق بين الاصبعين من اصابع الرحمن فما اختلفوا حتى ادركهم علم الله الازلى بالسعادة والشقاوة فان كنت فى شك خلق الانسان ضعيفا فاذا انفتح عليه ابواب الكرامات وهبت رياح السعادات فربما طرأ له مما يخادع به الاطفال

المشركين

هود

فلا يدرى هل هو من كرامة الاجتباء او من خاتمة الابتلاء فكان النبى من خصوصية انما انا بشر مثلكم يرتع فى هذه الرياض وباختصاص يوحى الى يسقى بكاسات المناولات من تلك الحياض فشاف عند سكرة الهامن شهود التلوين ومن كشوف التمكين فادركته العناية الازلية فاكرم بخطاب لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن بل كان منه النبى فى التكوين فما كان ممتريا ولهذا قال والله لا اشك ولا اسئل لا مثل ايام الذين خلوا من انه كل ميسر لما خلق له قل فانتظروا واظهروا ما قدر لكم ولكن اعبد الله الذى يتوفيكم بالفناء عن النفس وصفاتها حنيفا طاهرا عن لوث الالتفات الى ما سوى واقم الصلوة طرفى النهار

سورة هود مكية غير اية فاقم الصلوة طرفى النهار حروفها سبعة الاف وخمسمائة وستة وستون كلماتها الف وسبع مائة وخمس عشرة اياتها مائة وثلث وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

بنام خداوند بخشندهٔ مهربان

الر كتاب احكمت اياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير الا تعبدوا الا الله انى لكم منه نذير وبشير وان استغفروا
ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى ويؤت كل ذى فضل فضله وان تولوا فانى اخاف عليكم
عذاب يوم كبير الى الله مرجعكم وهو على كل شىء قدير الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الا حين يستغشون
ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى
كتاب مبين وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا ولئن
قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة
ع
معدودة ليقولن ما يحبسه الا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ولئن اذقنا الانسان
منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيات عنى انه لفرح فخور
الا الذين صبروا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة واجر كبير فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك
ان يقولوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك انما انت نذير والله على كل شىء وكيل ام يقولون افتريه قل فاتوا بعشر
سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فالم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم
الله وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون
اولئك الذين ليس لهم فى الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون افمن كان على بينة من ربه
ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة اولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا
تك فى مرية منه انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اولئك يعرضون على
ربهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها

عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ
كج و ايشان بآخرت ايشان كافران ايشان نباشند عاجز كنندگان در زمين و نباشد مر ايشان را از جز خدا هيچ دوستان مضاعف كرده شود براى ايشان عذاب
مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ
نمى‌توانستند شنيدن و نمى‌توانستند ديد ايشان آنانند كه زيان كردند بنفسهاى خود و گم شد از ايشان آنچه دروغ مى‌بستند ناچار بدرستيكه ايشان
فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ
در آخرت ايشان زيانكاران بدرستيكه آنانكه گرويدند و كردند كارهاى شايسته و آرميدند بسوى پروردگار ايشان آنگروه اهل بهشت ايشان در آن جاويدانند
مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ القراءة وان تولوا باظهار النون وتشديد
مانند نابينا و كر و بينا و شنوا آيا برابرند در مثل آيا پند نمى‌گيريد التاء البزي وابن فليح فاني اخاف بفتح الياء
ابو عمرو وابو جعفر ونافع وابن كثير عني انه بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو الوقوف آلر تكون في خبيره لا ابتداء على انه يتعلق بما قبله
الا الله ط وبشير لا للعطف فضله ج كبير مرجعكم ج لاحتمال الحال والاستيناف قدير منه ط ثيابهم لا ابتداء على ان عامل حين قوله يعلم
يعلنون ج بذات الصدور الجزء الثاني عشر مستودعها ط مبين عملا ط مبين ما يحبسه ط يستهزءون منه لحذف جواب لئن اى ليباسن
وقيل جوابها انه والاول اوجه كفور عنى ط فخور لا للاستثناء الصالحات ط كبير ملك ط نذير وكيل ط لان ام استفهام تقريع افتريه ط صادقين
الا هو ج للاستفهام مع الفاء مسلمون يبخسون الا النار ز بناء على ان ليس بمنزلة حرف النفي والوصل اوجه لان ليس فعل ماض وهو مع ما
عطف عليه المجموع جزاء يعملون ورحمة ط يؤمنون به موعده ط لاختلاف الجملتين مع الفاء لا يؤمنون كذبا ط على ربهم الثاني ج لان
ما بعده يحتمل ان يكون من قول الاشهاد او ابتداء اخبار الظالمين لا عوجا ط من اولياء م لئلا يوهم ان ما بعده صفة اولياء العذاب ط
يبصرون يفترون الاخسرون الى ربهم لا لان ما بعده خبر ان الجنة ج خالدون والسميع ط مثلا ط تذكرون التفسير الر ان كان اسما للسورة
فما بعده خبره وان كان واردا على سبيل التعديد وكان معناه انا الله ارى فقوله كتاب خبر مبتدا محذوف اى هذا الكتاب والاشارة اما
الى هذا البعض واما الى مجموع القرآن ومعنى احكمت نظمت نظما رصينا من غير نقض ونقص وجعلت حكيمة من حكم بالضم اذا صار حكيما او منعت من الفساد
والبطلان من قولهم حكمت الدابة وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح اى لم ينسخ بكتاب سواه كما نسخ ساير الكتب وذلك لاشتماله على
العلوم النظرية والعملية والظاهرية والباطنية وعلى اصول جميع الشرايع فلا محالة لا يتطرق اليه تبديل وتغيير ثم فصلت كما يفصل القلايد
بالفرائد من دلائل التوحيد والنبوة والاحكام والمواعظ والقصص لكل معنى من هذه المعاني فصل انفرد به وجعلت فصولا سورة سورة وآية
آية وفرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة او فصل فيها تكاليف العباد وبين ما يحتاجون اليه في اصلاح المعاش والمعاد ومعنى ثم التراخي
في الحال كقولك فلان كريم الاصل ثم كريم الفعل واحكمت صفة كتاب ومن لدن صفة ثانية او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت وفصلت اى من
عنده احكامها وتفصيلها وفي قوله حكيم خبير لف ونشر لان المعنى احكمها حكيم وفصلها خبير عالم بمواقع الامور احتج الجبائي بقوله احكمت
ثم فصلت على كون القرآن محدثا لان الاحكام والتفصيل يكون بجعل جاعل وكذا بقوله من لدن لان القديم لا يصدر عن القديم واجيب
بانه لا نزاع في حدوث الاصوات والحروف وانما النزاع في الكلام النفسي وفي قوله ان لا تعبدوا الا الله مفعول له اى لاجل ذلك ويكون ان
مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول كانه قيل ثم قيل للنبي قل لهم لا تعبدوا وجوز في الكشاف ان يكون كلاما مبتدا منقطعا عما قبله
محكيا على لسان النبي ص يغريهم على اختصاص الله بالعبادة كانه قال اترك عبادة الله مثل فضرب الرقاب والضمير في منه لله عز وجل حالا من
نذير وبشير اى انني لكم نذير من جهته ان لم تخصوه بالتعبد وبشير ان خصصتموه بذلك ويجوز ان يكون منه صلة النذير اى انذركم منه ومن
عذابه ويكون صلة البشير محذوفا اى ابشركم بثوابه ثم عطف على قوله ان لا تعبدوا قوله وان استغفروا اى اطلبوا من ربكم المغفرة لذنوبكم
ثم بين الشيء الذي به يطلب ذلك وهو التوبة فقال ثم توبوا اليه فالتوبة مطلوبة لكونها من متممات الاستغفار وما كان آخرا في الحصول
كان اولا في الطلب فلهذا قدم الاستغفار على التوبة وقيل استغفروا اى توبوا ثم قال توبوا اى اخلصوا التوبة واستقيموا عليها وقيل
استغفروا من سالف الذنوب ثم توبوا من آنف الذنوب قيل استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة وقيل الاستغفار ان يطلب من الله
الاعانة في ازالة ما لا ينبغي والتوبة سعي الانسان في الطاعة والاستعانة بفضل الله مقدم على الاستعانة بسعي النفس ثم رتب على الامتثال
امرين الاول التمتع بالمنافع الدنيوية الى حين الوفاة كقوله فلنحيينه حيوة طيبة سؤال كيف الجمع بين هذا وبين قوله ولولا ان يكون
الناس امة واحدة وقول النبي الدنيا سجن المؤمن البلاء موكل بالانبياء ثم بالاولياء واجيب بان المراد انه لا يهلكهم بعذاب الاستيصال
او يرزقهم كيف كان والجواب الثاني ان الانسان اذا كان مشغولا بطاعة الله مستغرقا في نور معرفته وعبادته كان مبتهجا في نفسه مسرورا
في ذاته هينا عليه ما فاته من اللذات العاجلة فانه يحب ما يصيبه من الخيرات الثاني قوله ويؤت اى في الآخرة كل ذي فضل فضله اى ثواب
فضل ذلك الشخص ومقتضاه يعني الجزاء المرتب على عمله بحسب تزايد الطاعات في تثمية العمل الحسن فضلا اشرفيته ويجوز ان يعود الضمير في فضله

الى الله تعالى وفيه تنبيه على ان الدرجات في الجنة تتفاضل بحسب تزايد الطاعات ثم اوعد على مخالفة الامر فقال وان تولوا اى تتولوا فحذفت احدى التائين
والمعنى ان تعرضوا عن الاخلاص في العبادة وعن الاستغفار والتوبة فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير يوم القيمة الموصوف بالعظم والثقل
آية ويذرون وراءهم يوما ثقيلا ثم بين كبر عذاب ذلك اليوم بقوله الى الله مرجعكم اى لا حكم في ذلك اليوم الا الله ولا رجوع الا الى جزائه
وهو مع ذلك كامل القدرة نافذ الحكم فما ظنكم بعذاب يكون المعذب به مثله وفيه من التهديد ما فيه ولكن الآية تتضمن البشارة من وجه
آخر وذلك ان الحاكم الموصوف بمثل هذه العظمة والقدرة والاستقلال في الحكم اذا راى عاجزا مشرفا على الهلاك فانه يرحم عليه ولا يقيم لعذابه
وزنا اللهم لا تخيب رجاءنا فانك واسع المغفرة ثم ذكر ان التولي عن الاوامر المذكورة باطنا كالتولي عنها ظاهرا فقال الا انهم يثنون يقال ثنى
صدره عن الشيء اذا ازور عنه وانحرف وطوى عنه كشحا قال المفسرون وههنا اضمار اى يثنون صدورهم ويريدون ليستخفوا منه اى
من الله ثم كرر كلمة الا تنبيها على وقت استخفائهم وهو حين يستغشون ثيابهم اى يريدون الاستخفاء في وقت الاستغشاء الثياب
قال الكلبي ثني صدورهم كناية عن نفاقهم لما روي ان طائفة من المشركين منهم الاخنس بن شريق قالوا اذا اغلقنا ابوابنا وارخينا ستورنا و
استغشينا ثيابنا وثنينا صدورنا على عداوة محمد فكيف يعلم بنا وعلى هذا لا حاجة الى الاضمار وقيل انه حقيقة وذلك ان بعض الكفار
كان اذا مر به رسول الله ص ثنى صدره وولى ظهره واستغشى ثيابه لئلا يسمع كلام رسول الله ص وما يتلو من القرآن وليقول في نفسه
ما يشتهي من الطعن ثم استأنف قوله يعلم ما يسرون وما يعلنون تنبيها على انه لا فائدة لهم في استخفاء لانه تعالى عالم بالسرائر كما انه عالم با
الظواهر ثم اكد كونه عالما بكل المعلومات بكونه كافلا لارزاق جميع الحيوانات ضامنا لمصالحها ومهامها فضلا وامتنانا وكرما واحسانا
فقال وما من دابة الآية والمستقر مكانها من الارض والمستودع ما قبل ذلك من الاماكن من صلب او رحم او بيضة وقال الفراء مستقرها
حيث تاوي اليه ليلا او نهارا ومستودعها موضعها الذي يموت فيه وقد مر تمام الاقوال في سورة الانعام واستدل الاشاعرة بالآية على
ان الحرام رزق لانها تدل على ان ايصال الرزق الى كل حيوان واجب على الله بحسب الوعد عندنا وبحسب الاستحقاق عند المعتزلة ثم انا
نرى انسانا لا ياكل من الحلال طول عمره وقد سماه الله تعالى رزقا ثم ختم الآية بقوله كل في كتاب مبين اى كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها
ومستودعها ثابت في علم الله او في اللوح المحفوظ وقد ذكرنا فائدته في قوله ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين يروى ان موسى ع عند نزول
الوحي عليه تعلق قلبه باهله فامره الله تعالى ان يضرب بعصاه صخرة فانشقت فخرجت ثالثة ثم ضربها فخرجت دودة كالذرة وفي فمها شيء يجري
مجرى الغذاء لها فسمع الدودة يقول سبحان من يراني ويسمع كلامي ويعرف مكاني ويذكرني ولا ينساني ثم اكد دلائل قدرته بقوله وهو
الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء قال الاحبار خلق الله ياقوتة خضراء ثم نظر اليها بالهيبة فصارت ماء
يرتعد ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ووضع العرش على الماء وقال ابو بكر الاصم هذا كقولك السماء على الارض وليس ذلك على سبيل
كون احدهما ملتصقا بالآخر وعلى هذا فيكون الآن ايضا عرشه على الماء وقال في الكشاف المراد انه ما كان تحت العرش سوى الماء وفيه دليل على ان
العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والارض وعلى ان الملائكة خلقت قبل العرش والماء ليعتبروا بها الا لزم ان يكون خلقهما قبل ان يعتبر
بهما عبثا اذ لا يتصور عود نفعهما اليه تعالى وقال ابو مسلم العرش البناء اى بناؤه للسموات كان على الماء وقال حكماء الاسلام المراد بالماء
تحركه شبه سيلان الماء اى وكان عرشه يتحرك وبالجملة مقصود الآية بيان كمال قدرته في امساك الجرم العظيم على الصغير اما قوله ليبلوكم فالمعتزلة
قالوا اللام للتعليل وذلك انه خلق هذا العالم الكبير لاجل مصالح المكلفين وان يعاملهم معاملة المختبر المبتلي لاحوالهم كيف يعملون فيجازي
كل فريق بما يستحقه والاشاعرة قالوا ان احكامه غير معللة بالمصالح ومعناه انه فعل فعلا لو كان يفعله من يجوز عليه رعاية المصالح لما فعله
الا لهذا الغرض وانما علق فعل البلوى لما في الاختبار من معنى العلم لانه طريق الى العلم فهو ملابس له كالنظر والاستماع في قولك انظر
ايهم احسن وجها واسمع ايهم احسن كلاما قال في الكشاف الذين هم احسن عملا هم المتقون وانما خصهم بالذكر وطرح ذكر من وراءهم من الفساق
والكفار تشريفا لهم قلت ويجوز ان يقال ان احسن بمعنى حسن ليشمل الخطاب جميع المكلفين ثم لما كان الابتلاء يتضمن حديث البعث اتبع
ذلك قوله ولئن قلت الآية والاشارة في قوله ان هذا الا سحر الى البعث اى هو باطل كبطلان السحر او الى القرآن لانه الناطق بالبعث
فاذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث قال القفال معناه ان هذا القول خديعة منكم وضعتموها لمنع الناس عن
لذات الدنيا واجتذابهم الى الانقياد لكم والدخول تحت طاعتكم ومن قرأ ساحر فالاشارة الى النبي ص ثم بين انه متى تاخر عنهم العذاب الذي
توعدهم الرسول به اخذوا في الاستهزاء وقالوا ما الذي حبسه عنا فقال ولئن اخرنا عنهم الآية والامة اشتقاقها من الام وهو القصد
واريد بها الوقت المقصود لايقاع الموعود وقيل هي في الاصل الجماعة من الناس وقد يسمى الحين باسم ما يحصل فيه كقولك كنت عند فلان
صلوة العصر اى في ذلك الحين فالمراد الحين ينقضي فيه امة معدودة من الناس وقال في الكشاف اى جماعة من الاوقات والعذاب عذاب
الآخرة وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس قتل جبرئيل المستهزئين ومعنى ما يحبسه اى شيء يمنعه من النزول استعجالا له على جهة الاستهزاء
والتكذيب فاجابهم الله بقوله الا يوم ياتيهم وهو متعلق بخبر ليس اى ليس العذاب مصروفا عنهم يوم ياتيهم واستدل به من جوز تقديم

خبر ليس على الركن اذا جاز تقديم معمول الخبر عليها فتقديم الخبر عليها اولى والا لزم للتابع مزية على المتبوع ثم قال وحاق بهم اي احاط بهم ما كانوا به يستهزؤن اراد يستعجلون ولكنه وحاق بلفظ الماضي لانه جعله كالواقع ثم حكى ضعف حال الانسان في حالتي السراء والضراء فقال ولئن اذقنا الانسان الاية واختلف المفسرون فقيل الانسان مطلق بدليل صحة الاستثناء في قوله الا الذين امنوا ولان هذا النوع مجبول على الضعف والنقص والعجلة وقلة الثبات وقيل المراد الكافر والاستثناء منقطع واللام للعهد لتقدم ذكر الكافر ولان وصف اليأس والكفر والفرح المفرط بالامور الزائلة والفخر بها لا يليق الا بالكافر وذلك انه يعتقد ان السبب في حصول تلك النعم من الامور الاتفاقية فاذا زالت استبعد حدوثها مرة اخرى فيقع في اليأس الشديد وعند حصولها كان ينسبها الى الاتفاق فلا يشكر الله بل يكفره واذا انتقل من مكروه الى محبوب ومن محنة الى منحة اشتد فرحه بذلك وافتخر بها لذهوله عن السعادات الاخروية الروحانية فيظن انه قد فاز بغاية الاماني ونهاية المقاصد واما المؤمن فحاله على العكس لذلك استحق وعد الله بالمغفرة والاجر الكبير اما تفسير الالفاظ فالاذاقة والذواق اقل ما يوجد به الطعم وفيه دليل على ان الانسان لا يصبر عن اقل القليل ولا علية وفيه ان جميع نعم الدنيا في قلة الاعتبار وسرعة الزوال اشبه حلم النائمين وخيالات المبرسمين والرحمة النعمة من صحة وامن وجدة ونزعها سلبها واليئوس الكفور بناآن للمبالغة والنعماء انعام يظهر اثره على صاحبه والضراء مضرة كذلك تاثر الواحد لانها اخرجت مخرج الاحوال الظاهرة نحو حوراء وعوراء والسيئات يريد بها المصائب التي سائته ثم سلى نبيه ص بقوله فلعلك تارك قال ابن عباس ان رؤساء مكة قالوا ان كنت رسولا فاجعل لنا جبال مكة ذهبا او ائتنا بالملائكة يشهدون لك فخاطب الله سبحانه نبيه بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك واختلفوا في ذلك البعض عن ابن عباس ان المشركين قالوا له ائتنا بكتاب ليس فيه شتم الهتنا حتى نتبعك ونؤمن بك قال الحسن طلبوا منه ص ان يترك قوله ان الساعة اتية واجمع المسلمون على انه لا يجوز على الرسول ان يترك بعض ما اوحى الله اليه لانه ينافي المقصود من الرسالة المعتبر فيها الامانة فاولوا الاية بان امثال هذه التهديدات لعلها سبب عدم التقصير في اداء الوحي فلهذا خوطب بها او لعله كان ص بين محذورين احدهما ترك اداء شيء من الوحي وثانيهما انهم كانوا يتلقون ذلك بالطعن والاستهزاء فنبه بالاية على ان تحمل الضرر الثاني اهون واذا وقع الانسان بين مكروهين وجب ان يختار اسهلهما والعرب تقول لغيره اذا اراد ان يزجره لعلك تفعل كذا اي لا تفعل وانما قال وضائق ولم يقل وضيق به صدرك دلالة على انه ضيق حادث لانه ص كان افسح الناس صدرا ومعنى ان يقولوا مخافة ان يقولوا لولا انزل اي هلا انزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة ولم انزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه ثم بين ان حاله مقصور على النذارة لا يتخطاها الى انزال المقترحات والذي سأله هو القادر على ذلك حفيظ عليه وعلى كل شيء ومن كمال قدرته انزال القران المعجز لديها المصاقع واشار الى ذلك بقوله ام يقولون الاية وقد مر مثله في سورة يونس عن ابن عباس السور العشر هي من اول القران الى ههنا واعترض عليه بان هذه السورة المتقدمة عليها مدنية فكيف يمكن ان يشار الى ما لم ينزل بعد فالاولى ان يقال ان التحدي وقع بمطلق السور التي تظهر فيها قوة تركيب الكلام وتاليفه تحداهم اولا بمجموع القران في قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ثم بعشر سور في هذه الاية وذلك ان العشرة اول عقد من العقود ثم بسورة في يونس وفي البقرة وهذا كما يقول الرجل لصاحبه اكتب كما كتبت فاذا عجز قال اكتب عشرة اسطر مثل ما اكتب فاذا عجز عنه قال في اخر الامر قد اقتصرت منك على سطر واحد مثله ثم اذا اراد التحدي بالغ فقال قد جوزت لك ان تستعين بكل من تريد فاذا ظهر عجزه حال الانفراد وحال الاجتماع والتعاون تبين عجزه عن المعارضة على الاطلاق ولهذا قال فان لم يستجيبوا لكم الى معارضة القران او الى الايمان لكم اي لك وللمؤمنين لان رسول الله ص والمؤمنين كانوا يتحدونهم او الجمع لتعظيم رسول الله ص فاعلموا انما انزل بعلم الله اي متلبسا بما لا يعلمه الا الله من النظم المعجز والاشتمال على العلوم الجمة الظاهرة والغائبة ومعنى الامر راجع الى الثبات اي اثبتوا على ما انتم عليه من العلم واليقين بشان القران ودوموا على التوحيد الذي استفدتم من القران او دلكم على ذلك عجز الهتهم عن المعارضة والاعانة ثم ختم الاية بقوله فهل انتم مسلمون وفيه نوع من التهديد كانه قيل للمسلمين اذا تبين لكم صدق قول محمد ص وازددتم بصيرة وطمانينة وجب عليكم الزيادة في الاخلاص والطاعة وتقليلها وهو ان يكون الضمير في لم يستجيبوا لمن في من استطعتم والخطاب في لكم للمشركين وكذا في قوله فاعلموا وفي انتم والمعنى فان لم يستجب لكم من تدعونه الى المظاهرة لعلمهم بالعجز عنه فاعلموا انه منزل من عند الله وان توحيده واجب ثم رغبهم في اصل الاسلام وهددهم على تركه بقوله فهل انتم بعد لزوم الحجة مسلمون ثم اوعد من كانت همته مقصورة على زينة الحيوة الدنيا وكان مائلا عن الدين جهلا وعنادا فقال من كان يريد الاية عن انس انهم اليهود والنصارى وقيل المنافقون كانوا يطلبون بغزوهم مع الرسول الغنائم فكان ص يسهم لهم فيها وقال الاصم هم منكرو البعث وقال اخرون هي عامة في الكافر والمسلم المرائي وقال القاضي المراد من كان يريد بعمل الخير الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم نوصل اليهم اجور اعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا وهو ما ينالون من الصحة والكفاف وسائر اللذات والمنافع عن ابي هريرة ان رسول الله ص قال اذا كان يوم القيمة يدعى برجل جامع للقران فيقال له ما عملت فيه فيقول يا رب قمت فيه اناء الليل والنهار فيقول الله كذبت بل اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ويؤتى بصاحب المال فيقول الله الم اوسع عليك فماذا عملت فيه فيقول وصلت الرحم وتصدقت فيقول الله كذبت بل اردت ان يقال فلان جواد وقد قيل

مكية وبعض السور

ثم يؤتى بمن قتل في سبيل الله فيقول قاتلت في الجهاد حتى قتلت فيقول الله كذبت بل اردت ان يقال فلان جريء قال ابو هريرة ثم ضرب رسول الله ركبتي وقال يا ابا هريرة اولئك الثلثة اول خلق تسعر بهم النار يوم القيمة وروي ان ابا هريرة ذكر هذا الحديث عند معوية فبكى معوية حتى ظننا انه هالك ثم افاق فقال صدق الله ورسوله من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها الايتان ثم بين ان بين طالب الدنيا وحدها وبين طالب السعادات الباقية تفاوتا بينا فقال افمن كان والمعنى امن كان يريد الحيوة الدنيا فمن كان على بينة اي لا يعقبونهم في المنزلة عند الله ولا يقاربونهم نظيره اذا اتاك العلماء والجهال فاذن الجهال للدخول قبل العلماء فيقول الجهال ثم العلماء كلا وحاشا تريد ان العلماء ينبغي ان يدخلوا اولا ثم الجهال ويمكن ان يقال التقدير افمن كان على بينة من ربه كمن يريد الحيوة الدنيا فحذف الخبر لعلم به ومثله افمن زين له سوء عمله فراه حسنا امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما واعلم ان اول هذه الاية يشتمل على الفاظ اربعة مجملة الاول ان هذا الذي وصفه الله بانه على بينة من هو الثاني ما المراد بالبينة الثالث ما معنى يتلوه اهو من التلاوة ام من التلو الرابع الشاهد من هو وللمفسرين فيها اقوال اصحها ان معنى البينة البرهان العقلي الدال على صحة الدين الحق والذي هو على البينة مؤمنو اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه ومعنى يتلوه يعقبه وتذكير الضمير العائد الى البينة بتاويل البيان والبرهان والمراد بالشاهد القران ومنه اي من الله او من القران المتقدم ذكره في قوله ام يقولون افتريه ومن قبله كتاب موسى اي ويتلو ذلك البرهان من قبل القران كتاب موسى وهو التورية حال كونها اماما او اعني اماما كتابا مؤتما به في الدين قدوة فيه ورحمة ونعمة عظيمة على المنزل اليهم والحاصل ان المعارف اليقينية المكتسبة اما ان يكون طريق اكتسابها بالحجة والبرهان واما ان يكون بالوحي والالهام واذا اجتمع على بعض المطالب هذان الامران واعتضد كل واحد منهما بالاخر كان المطلوب اوثق ثم اذا توافقت كلمة الانبياء على صحته بلغ المطلوب غاية القوة والوثوق ثم انه حصل في تقرير صحة هذا الدين هذه الامور الثلثة جميعا البينة وهي الدلائل العقلية اليقينية والشاهد وهو القران المستفاد من الوحي وكتاب موسى المشتمل على الشرائع المتقدمة عليه الصلوة لاقتداء الخلف به وعند اجتماع هذه الامور لم يبق لطالب الحق المنصف في صحة هذا الدين شك وارتياب وقيل افمن كان محمد والبينة القران ويتلوه يقرءه شاهد هو جبرئيل نزل بامر الله وقرء القران على محمد او شاهد من محمد وهو لسانه او شاهد هو بعض محمد يعني علي بن ابي طالب ع او يتلوه اي يعقب ذلك البرهان شاهد من النبي هو صورته ومخايله فان من نظر اليه بعقله تفرس منه انه ليس بمجنون ولا وجهه وجه كذاب ولا كاهن وقيل الكائن على البينة هم المؤمنون والبينة القران ويتلوه يعقب القران شاهد من الله هو محمد ص او الانجيل لانه يعقبه في التصديق والدلالة على المطلوب وان كان موجودا قبله او ذلك الشاهد كون القران واقعا على وجه يعرف المتامل فيه اعجازه لاشتماله على فنون الفصاحة وصنوف البلاغة الى غير ذلك من المزايا التي قلما يخبر عنها الا الذوق السليم ثم مدح الكائن على البينة بقوله اولئك يؤمنون به اي بالقران ثم اوعد غيرهم بقوله ومن يكفر به من الاحزاب يعني اهل مكة ومن تحزب معهم كاليهود والنصارى والمجوس فالنار موعده فلا تك في مرية في شك منه من القران او من الوعد ولما ابطل بعض عادات الكفرة من شدة حرصهم على الدنيا وذلك قوله من كان يريد الحيوة الدنيا ومن انكارهم نبوة محمد ص وذلك قوله افمن كان على بينة اراد ان يبطل ما كانوا يعتقدون في اصنامهم انها شفعاء من تشفعهم فقال ومن اظلم ثم قال اولئك يعرضون لم يحمل عليهم العرض لانهم مخصوصون بالعرض فان العرض عام ولكن فائدة الحمل ترجع الى المعطوف واراد انهم يعرضون فيفتضحون بقول الاشهاد ومعنى عرضهم على ربهم انهم يعرضون على الاماكن المعدة للحساب والسؤال والمراد عرضهم على من يوبخ ويبكت بامر الله من الانبياء والمؤمنين او اراد انهم يحبسون في المواقف ويعرض اعمالهم على الرب قال مجاهد الاشهاد الملائكة الحفظة وقال قتادة هم الناس كما يقال على رؤس الاشهاد اي الناس وقيل هم الانبياء كقوله ولنسئلن المرسلين والاشهاد اما جمع شاهد كصاحب واصحاب او جمع شهيد كشريف واشراف قال ابو علي وهذا ارجح لكثرة ورود شهيد في القران ويكون الرسول عليكم شهيدا فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا والفائدة في اعتبار قول الاشهاد المبالغة في اظهار الفضيحة وباقي الاية قد مر تفسير مثلها في الاعراف اولئك لم يكونوا معجزين في الارض لم يكن يمكنهم ان يهربوا من عذابنا لانه سبحانه قادر على جميع الممكنات ولا تتفاوت قدرته بالنسبة الى القريب والبعيد والضعيف والقوي وما كان لهم من دون الله من اولياء ينصرونهم ويمنعونهم من عقابه جمع بين ما يرجع اليهم وبين ما يرجع الى غيرهم وبين بذلك انقطاع حيلهم في الخلاص من عذاب الدنيا ومن عذاب الاخرة وقيل هذا من كلام الاشهاد والمراد انه تع لو شاء عقابهم في الدنيا لعاقبهم ولكنه اراد انظارهم وتاخيرهم الى هذا اليوم يضاعف لهم العذاب من قبل الكفر والصد اي الضلال والاضلال ما كانوا يستطيعون السمع يريد ما هم عليه في الدنيا من صم القلوب وعمي البصائر ثم ان الاشاعرة قالوا ان ذلك بتخليق الله تع حيث صيرهم عاجزين ممتنعين عن الوقوف على دلائل الحق ويوافقه ما روي عن ابن عباس انه قال انه تع منع الكافرين من الايمان في الدنيا وذلك قوله ما كانوا يستطيعون الاية وفي الاخرة كما قال يدعون الى السجود فلا يستطيعون وقالت المعتزلة المراد استثقالهم لاسماع الحق ونفورهم عنه كقول القائل هذا الكلام مما لا استطيع ان اسمعه وهذا الشخص لا استطيع ان ابصره والمراد بالاولياء الاصنام كانه قال الذين سموه اولياء ليسوا في الحقيقة باولياء ثم نفى كونهم اولياء بانهم لا يسمعون ولا يبصرون فكيف يصلحون للولاية وعلى هذا يكون قوله يضاعف لهم العذاب اعتراضا

بو عبد واعلم انه سبحانه وصف الكفار في هذه الايات بصفات كثيرة الاولى ومن اظلم ممن افترى الثانية اولئك يعرضون اي في موقف الذل والهوان الثالثة بيان الخزي والفضيحة في قوله ويقول الاشهاد الرابعة اللعنة عليهم الخامسة الصد عن سبيل الله السادسة سعيهم في القاء الشبهات في ذلك قوله ويبغونها عوجا السابعة كونهم كافرين بالآخرة الثامنة كونهم عاجزين عن الفرار اولئك لم يكونوا التاسعة وما كان لهم من دون الله من اولياء العاشرة مضاعفة العذاب لهم الحادية عشرة ما كانوا يستطيعون الاية الثالثة عشر اولئك الذين خسروا انفسهم وقد مر في الانعام الرابعة عشرة ضل عنهم ما كانوا يفترون وقد سبق في يونس الخامسة عشر لا جرم قال الفراء انها بمنزلة قولك لا بد ولا محالة ثم كثر استعمالها حتى صارت بمنزلة حقا وقال النحويون لا حرف نفي وجرم اي قطع معناه لا قطع قاطع انهم في الآخرة هم الخاسرون وقال الزجاج لا نفي لما ظنوا انه ينفعهم وجرم معناه كسب المعنى لا ينفعهم ذلك وكسب لهم ذلك الفعل خسار الدارين قال الازهري وهذا من احسن ما قيل في هذه اللغة قوله وعد المؤمنين واخبتوا الى ربهم معناه اطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع من الخبت وهي الارض المطمئنة وفيه اشارة الى ان الاعمال لا بد فيها من الاحوال القلبية الموجبة للالتفات عما سوى الله وقيل المراد اطمأنوا الى صدق كل ما وعد الله به من الثواب في ضده وقيل المراد كونهم خائفين من وقوع الخلل في بعض تلك الاعمال ثم ضرب للفريقين مثلا وهو اما تشبيهان بان شبههما تارة بالاعمى والبصير واخرى بالاصم والسميع واما تشبيه واحد والواو لعطف الصفة على الصفة فيكون قد شبه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين البصر والسمع ولا شك ان الفريق الكافر هو الذي وصف بالصفات الست عشرة واما الفريق المؤمن فقيل المراد به قوله افمن كان على بينة وقيل المذكورون في قوله ان الذين آمنوا ثم انكر تساويهما في الاحكام والمراتب بقوله هل يستويان مثلا اي تشبيها وفي قوله افلا تذكرون تنبيه على ان علاج هذا العمى وهذا الصمم ممكن بتبديل الاخلاق وتغير الاحوال بتيسير الله وتوفيقه التأويل الر الالف اشارة الى الله واللام الى جبرئيل والراء الى الرسول يعني ما انزل الله على لسان جبرئيل الى الرسول كتاب مبين من لدن حكيم خبير كقوله وعلمناه من لدنا علما وراس العلم الذي ان تقول لامتك يا محمد ان لا تعبدوا الا الله وان استغفروا ربكم مما ضاع من عمركم في غير طلب الله ثم توبوا ارجعوا اليه بقدم السلوك لتكون التوبة تحلية لكم بعد التزكية بالاستغفار يمتعكم متاعا حسنا هو الترقي في المقامات العلية الى اجل مسمى هو حين انقضاء المقامات وابتداء درجات الوصول ويؤت كل ذي فضل فضله اي يؤت كل ذي صدق واجتهاد في الطلب درجات الوصول فان المشاهدات بقدر المجاهدات والحاصل ان المتاع الحسن مراتب السير الى الله وايتاء الفضل في درجات السير في الله عذاب يوم كبير هو عذاب الانقطاع عن الله الكبير الا حين يستغشون ثياب الجسمية على وجه الروح كان يعلم ما يسرون من حرمان النور المرشش ومن نقص الحرمان تحت ثياب القالب وما يعلنون من تتبع الصدور انه عليم بذات الصدور اي بما في الصدور من القلوب الظلمانية وما من دابة في الارض الا على الله رزقها لان كل حيوان له صفة مخصوصة ومزاج مخصوص وغذاء يجب ان يكون ملائما لمزاجه فعلى ذمة كرم الله انه كما خلق اجسادها على الامزجة المتعينة يخلق غذاءها موافقا لمزاج كل منها ثم يهديها الى ما هو اوفق لها ويعلم مستقرها في العدم كيف قدرها استعداد للصور المختصة بها ومستودعها الذي يؤل اليه عند ظهور ما فيها بالقوة الى الفعل ليبلوكم فان العالم بما فيه محل الابتلاء ومحك السعداء والاشقياء ولئن قلت للاشقياء موتوا عن الطبيعة باستعمال الشريعة ومزاولة الطريقة لتحيوا بالحقيقة فان الحيوة الحقيقية يكون بعد الموت عن الحيوة الطبيعية ليقولن الذين كفروا ستروا حسن استعدادهم الفطري بتعلق الشهوات الفانية ان هذا الا سحر مبين اي كلام مموه لا اصل له ولئن اخرنا عنهم عذاب البعد الى الحين ظهور ذوق العذاب حين ان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا

ع ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين ان لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي واتاني رحمة من عنده فعميت عليكم انلزمكموها وانتم لها كارهون ويا قوم لا اسألكم عليه مالا ان اجري الا على الله وما انا بطارد الذين آمنوا انهم ملاقوا ربهم ولكني اراكم قوما تجهلون ويا قوم من ينصرني من الله ان طردتهم افلا تذكرون ولا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول اني ملك ولا اقول للذين تزدري اعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن الظالمين قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت

جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما انتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون ام يقولون افتراه قل ان افتريته فعلي اجرامي وانا بريء مما تجرمون

ع واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك باعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول

نصف ومن آمن وما آمن معه الا قليل وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها ان ربي لغفور رحيم وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين قال رب اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين

القراءة اني لكم بكسر الهمزة نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والآخرون بفتحها بادي بالهمزة ابو عمرو ونصير الراي بالياء ابو عمرو غير شجاع ويزيد والاعشى والاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف فعميت بضم العين مشددا حمزة وعلي وخلف وحفص الباقون بفتحها انلزمكموها باختلاس ضمة الميم عباس اجري بالفتح ابو جعفر ونافع وابن عامر وابو عمرو وحفص ولكني اريكم بالفتح حيث كان ابو جعفر ونافع وابو عمرو ونصحي ان ابو جعفر ونافع وابو عمرو باعيننا مدغما حيث كان عباس من كل بالتنوين حيث كان حفص والمفضل مجريها بفتح الميم بالامالة حمزة وعلي وخلف وحفص مجريها بالضم وبالامالة ابو عمرو والباقون بالضم مفخما يا بني بفتح الياء عاصم اركب معنا مظهرا عاصم وحمزة عمل انه فعل غير بالنصب علي وسهل ويعقوب الآخرون عمل غير بالرفع فيهما تسألن بالنون المشددة المكسورة لا ياء النون المخففة في نون الوقاية بعد حذف ياء المتكلم في الحالين ابن عامر وقالون باثبات الياء في الوصل ابو جعفر ونافع غير قالون بفتح النون المشددة ابن كثير تسألني بغير نون التأكيد باثبات الياء في الحالين سهل ويعقوب الباقون بغيرها في الحالين اني اعظك اني اعوذ بفتح الياء فيهما ابو جعفر ونافع وابن عامر وابو عمرو الوقوف مبين لا الا الله ط اليم الرأي ج كاذبين فعميت عليكم ط كارهون مالا ط امنوا ط تجهلون طردتهم ط تذكرون خيرا ط انفسهم ج الظالمين الصادقين بمعجزين ان يغويكم ترجعون ط افتريته ط مجرمون يفعلون للاية والعطف ظلموا ج لاحتمال التعليل مغرقون سخروا منه ط تسخرون ط يعلمون لا لان ما بعده مفعول مقيم التنور لا لان ما بعد

جرى بها اومن امم قيل لك ط ومرسيها ط رحيم لكافرين من الماء ط رحم ج لاتفاق الجملتين مع اختلاف العامل المغرقين الظالمين الحاكمين ٥ من اهل لج علم ط الجاهلين علم ط الخاسرين معك ط اليم اليك ج ط لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف هذا ط وعلى قوله فاصبر ا حسن للابتداء بان للمتقين التفسير لما اورد على الكفار انواع الدلائل اكدها بالقصص على عادته من التفنن في الكلام والنقل من اسلوب الى اسلوب في الموعظة فبدا بقصة نوح ومعنى انى لكم اى متلبسا بهذا الكلام وهو قوله انى لكم فلما اتصل به الجار فتح ومن كسر فعلى ارادة القول ان لا تعبدوا بدل من انى لكم نذير اى ارسلناه بان لا تعبدوا الا الله ويكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير ووصف اليوم باليم مجاز لوقوع الالم فيه فيكون مجازا وكذا لو جعل الوصف للعذاب والجر بالجوار ثم حكى انه طعن اشراف قومه في نبوته من ثلث جهات الاولى انه بشر مثلهم الثانية انه لم يتبعه الا الاراذل يعنون اصحاب الحرف الخسيسة كالحياكة وغيرها قالوا لو كنت صادقا لاتبعك الاكياس من الناس والاشراف منهم والاراذل جمع ارذل وقيل جمع الارذل جمع رذل وهو الدون من كل شيء في منظره وحالاته ومعنا بادى الراى اول الراى وهو نصب على الظرف اى اتبعوك في ابتداء حدوث الراى من غير روية ومعناه ظاهر الراى من قولك بدا الشيء اذا ظهر ومنه البادية للبرية لظهورها وبروزها للناظر وهذا تفسير من قرا بغير همز وعلى هذا فالمراد انهم اتبعوك في الظاهر وباطنهم بخلافه او اتبعوك وقت حدوث ظاهر رايهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويجوز ان يتعلق بادى الراى بقوله اراذلنا اى كونهم كذلك امر ظاهر لكل من يراهم عيانا ويتاكد هذا التاويل بما نقل عن مجاهد انه قرا الا الذين هم اراذلنا بادى الراى انما استرذلوا المؤمنين لاعتقادهم ان المزية عند الله سبحانه بالمال والجاه ولم يعلموا ان ذلك مبعد من الحق لا مقرب منه وان الانبياء ما بعثوا الا لترك الدنيا والاقبال على الاخرة فكيف يجعل قلة المال طعنا في النبوة وفي متابعة النبي الشبهة الثالثة وما نرى لكم علينا من فضل لا في العقل ولا في كيفية رعاية المصالح ولا في قوة الجدل بل نظنكم كاذبين خطاب لنوح ولمن امن به تبعية او خطاب للاراذل كانهم نسبوهم الى الكذب في ادعاء الايمان ثم حكى ما اجاب به نوح قومه وهو ان حصول المساواة في صفة البشرية لا يمنع من حصول المفارقة في صفة النبوة وذلك قوله أرايتم ان كنت على بينة برهان من ربى واتانى بايتاء تلك البينة رحمة وعلى هذا البينة هي الرحمة ويجوز ان يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوة وقيل بالعكس فعميت خفيت واخفيت البينة او كل من البينة والرحمة اى صارت مظلمة مشتبهة في عقولكم والبينة توصف بالابصار والعمى مجازا باعتبار نتيجتها كان دليل القوم ان كان بصيرا اهتدوا وان كان اعمى بقوا خابطين متحيرين ثم قال أنلزمكموها اى انكرهكم على قبول البينة وانتم لها كارهون والمراد انا لا نقدر على ايصال حقيقة البينة اليكم وانما يقدر على ذلك من هو قادر على الايجاد والاعدام وتغيير الاحوال وتبديل الاخلاق ثم انه ذكر لا يطلب على تبليغ الرسالة مالا حتى يتفاوت الحال بسبب كون المجيب غنيا او فقيرا وما انا بطارد الذين امنوا عن ابن جريج انهم قالوا ان احببت يا نوح ان نتبعك فاطردهم فانا لا نرضى بمشاركتهم فلم يبذل ملتمسهم وعلل ذلك بقوله انهم ملاقوا ربهم فيعاقب من طردهم او يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من الايمان الصحيح والنفاق بزعمكم او المراد انهم معتقدون لقاء ربهم ولكني اريكم قوما تجهلون لقاء ربكم او انهم خير منكم قوما تسفهون حيث تسمون المؤمنين اراذل ثم اكد عدم طردهم بقوله ويا قوم من ينصرنى من الله من يمنعنى من عقابه ان طردتهم لان العقل والشرع توافقا على انه لابد من تعظيم المؤمن البر المتقى ومن اهانة الكافر الفاجر فكيف يليق بنبي الله ان يقلب هذه القضية سؤال ان كان طرد المؤمن لطلب رضاء الكافر معصية فكيف فعل ذلك رسول الله صلعم حتى نهى عنه بقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم الجواب انه لم يكن ذلك طردا مطلقا وانما عين لاجلهم اوقاتا مخصوصة لاشراف قريش واوقاتا اخرى فعوتب على ذلك القدر احتجت المعتزلة بالاية على عدم الشفاعة للفاسق اذ لو كانت جائزة لكانت في حق نوح اولى فلم يقل من الذى يخلصني من عذابه واجيب بانه مخصوص باية العفو ثم ذكر انه كما لا يسألهم مالا فانه لا يدعى ان عنده خزائن الله حتى يجحدوا ان له فضلا عليهم من هذه الجهة ولا اعلم الغيب حتى يصل به الى ما اريد لنفسي ولاتباعي واطلع على الضمائر ولا اقول انى ملك تعظم بذلك عليكم بل طريقي الخضوع والتواضع وعدم الاستنكاف عن مخالطة الفقراء وقد مر في الانعام سائر ما يتعلق بالاية ومعنى تزدرى تعيب وتحقر والازدراء افتعال من زرى عليه عابه وفي قوله تع الله اعلم بما في انفسهم دلالة على انهم كانوا ينسبون اتباعه مع الفقر والذلة الى النفاق انى اذا اى ان قلت شيئا من ذلك كنت من الظالمين لنفسي وان قلت ان الله لن يؤتيهم خيرا مع انه لا وقوف لي على باطنهم ثم ان قومه وصفوه بكثرة الجدال قائلين يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا قال اهل المعانى اردت جدالنا وشرعت فيه فاكثرته كقولك جادل فلان فاكثر لم ترد انه اعطى عطية اقل فاكثر بل تريد ان الوصف مقارن للموصوف وفي الاية دلالة على ان الجدال في تقرير دلائل التوحيد من دأب اكابر الانبياء ثم استعجلوا العذاب الذى كان يتوعدهم به فاجاب نبي الله بان ذلك ليس لي وانما هو بمشية الله وارادته ولا يعجزه عن ذلك احد وقوله ولا ينفعكم نصحى كقول القائل لامرأته انت طالق ان دخلت الدار ان اكلت الخبز لم يقع الطلاق الا اذا دخل الدار فاكل الخبز ولهذا قال الفقهاء المؤخر في اللفظ مقدم في المعنى فكانه قيل ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لم ينفعكم نصحي واحتجاج الاشاعرة بالاية ظاهر واجاب المعتزلة بانه لا يلزم من فرض امر وقوعه ولعل نوحا انما قال ذلك ليبين لهم انه تع بنى امر التكليف على الاختيار ولو لم يكن للنصح فائدة ولثبت الخصم بالجبر ولزم افحام النبي

ومن الجائز ان يراد بالاغواء التعذيب من غوى الفصيل اذا بشم فهلك ويراد به جنيكم فسوف يلقون غيا اى خيبة من خير الاخرة ويراد به منع الالطاف وقد تقدم امثال ذلك مرارا ثم اشار الى المبدا والمعاد بقوله هو ربكم واليه ترجعون ثم انكر الله سبحانه عليهم قولهم انما ادعى نوح انه اوحى اليه مفترى فقال ام يقولون افتريه فامره بان يجيب بكلام منصف هو قوله ان افتريته فعلي اجرامي اى عقاب اثمي وهو الافتراء وانا برئ مما تجرمون اى من اجرامكم وهو اسناد الافتراء الى وههنا اضمار كانه قيل لكن ما افتريته فالاجرام وعقابه عليكم وانا برئ منه واكثر المفسرين على ان هذه الاية من تمام قصة نوح وعن مقاتل انها من قصة محمد صلعم وقعت في اثناء قصة نوح قوله سبحانه واوحى الى نوح انه لن يؤمن اقناط له من ايمانهم الذى كان يتوقعه منهم بدليل قوله الا من قد امن فان قد للتوقع وقوله فلا تبتئس تسلية له اى لا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وايذائك فقد حان وقت الانتقام منهم قال اكثر المعتزلة انه لا يجوز ان ينزل الله عذاب الاستيصال على قوم يعلم ان فيهم من يؤمن او في اولادهم من يؤمن بدليل دعاء نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الى قوله الا فاجرا كفارا اعلل الاهلاك بمجموع الامرين فدل ذلك على انهما لو لم يحصلا لم يجز الاهلاك وذهب كثير منهم الى الجواز فليس كل خير معلوم بواجب الوقوع نعم كلما يقع يجب ان يكون على الوجه الاصلح ومذهب الاشاعرة في هذا المعنى ظاهر فله ان يفعل في ملكه ما يشاء ثم عرفه وجه اهلاكهم والهمه وجه خلاص من امن فقال واصنع الفلك وهو امر ايجاب على الاظهر لانه لا سبيل الى صون روحه عن الهلاك في الطوفان الا بذلك وصون النفس واجب وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب وقيل امر اباحة كمن اراد ان يتخذ الانسان لنفسه دارا يسكنها والانصاف ان الامر ظاهر للوجوب وان قطعنا النظر عن فائدته وغايته وقوله باعيننا ووحينا في موضع الحال اى متلبسا بذلك والسبب فيه ان اقدامه على صنعة السفينة مشروط بامرين احدهما انه لا يمنعه اعداؤه عن ذلك العمل واشار اليه بقوله باعيننا وليست العين بمعنى الجارحة لانه منزه عن الجوارح والاعضاء فالمراد بها الحفظ والحياطة والكلاءة لان العين آلة الحفظ والحراسة والثانى ان يكون عالما بكيفية تركيب الاخشاب وتحتها عن ابن عباس لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله تع اليه ان يصنعها مثل جؤجؤ الطائر وقيل المراد عين الملك الذى كان يعرفه كيفية اتخاذ السفينة ثم قال ولا تخاطبنى في الذين ظلموا اى في شانهم وقيل علل عدم الخطاب بقوله انهم مغرقون اى انهم محكوم عليهم بالاغراق وقد جف القلم عليهم بذلك فلا فائدة للشفاعة وقيل لا تخاطبنى في تعجيل عقابهم فانهم يغرقون في الوقت المعين لذلك فلا فائدة في الاستعجال فلكل امة اجل وقيل المراد بالذين ظلموا امرأته واعلة وكنعان ابنه ثم حكى الحال الماضية بقوله ويصنع الفلك والحال انه كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه يحتمل ان يكون هذا جوابا لما وقوله قال ان تسخروا استيناف على تقدير سؤال سائل كانه قيل ماذا قال نوح ح ويحتمل ان يكون سخروا بدلا من مر او صفة لملأ وقال جوابا قيل كانوا يقولون يا نوح كنت نبيا فصرت نجارا ولو كنت صادقا في دعواك لكان الهك يغنيك عن هذا العمل الشاق وقيل انهم ما رأوا السفينة قبل ذلك فكانوا يتعجبون ويسخرون وقيل انها كانت كبيرة وكان يصنعها في مفازة بعيدة عن الماء فكانوا يقولون هذا من باب الجنون وقيل طالت مدته وكان ينظرهم الغرق وليس منه عين ولا اثر فغلب على ظنونهم كونه كاذبا فيسخرون منه فاجابهم بقوله ان تسخروا منا في الحال فانا نسخر منكم في المستقبل اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الاخرة او ان حكمتم علينا بالجهل فيما نصنع فانا نحكم عليكم بالجهل فيما انتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله او ان تستجهلونا فانا نستجهلكم في استجهالكم لانكم لا تستجهلون الا عن الجهل بحقيقة الامر والبناء على ظاهر الحال كما هو عادة الاغمار وسمى جزاء السخرية سخرية كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ثم هددهم بقوله فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه في الدنيا وهو عذاب الغرق ويحل عليه عذاب مقيم في الاخرة لازم لزوم الدين الحال للغريم ومن موصولة او استفهامية وقد مر في الانعام روى ان نوحا ع اتخذ السفينة في سنتين وكان طولها ثلث مائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وارتفاعها ثلثين وكانت من خشب الساج جعل لها ثلثة بطون الاسفل للوحوش والسباع والهوام والاوسط للدواب والانعام والاعلى للناس ولما يحتاجون اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم وقال الحسن كان طولها الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة قوله حتى اذا جاء امرنا هي غاية لقوله ويصنع الفلك اى كان يصنعها الى ان جاء وقت الامر بالاهلاك وفار التنور اى نبع الماء منه بشدة وسرعة تشبيها بغليان القدر والتنور هي التي يختبز فيه قيل هو مما استوى فيه العربي والعجمي وقيل معرب لانه لا يعرف في كلام العرب نون قبل راء عن ابن عباس والحسن ومجاهد هو تنور نوح وقيل كان لآدم وحواء حتى صار لنوح وموضعه بناحية الكوفة قاله مجاهد والشعبي عن علي رضه انه في مسجد الكوفة وقد صلى فيه سبعون نبيا وقيل بالشام بموضع يقال له عين وردة قاله مقاتل وقيل بالهند روى ان امرأته كانت تخبز فاخبرته بخروج الماء من ذلك التنور فاشتغل في تلك الحال بوضع الاشياء في السفينة وكان الله تع جعل هذه الحالة علامة لوقوع الطوفان ويروى عن علي ايضا ان المراد بالتنور وجه الارض كقوله وفجرنا الارض عيونا وعنه ايضا كرم الله وجهه ان معنى فار التنور طلع الصبح وقيل معناه اشتد الامر كما يقال حمي الوطيس والمراد اذا رأيت الامر يشتد والماء يكثر فاركب في السفينة وذلك قوله قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين والزوجان شيئان يكون احدهما ذكرا والاخر انثى من قرا بالاضافة فمعناه احمل من كل صنفين بهذا الوصف اثنين ومن قرا بالتنوين فالمراد احمل من كل شيء زوجين واثنين للتاكيد ولا يبعد ان يكون النبات داخلا فيه لاحتياج الناس اليه واهلك معطوف على مفعول احمل وكذا من امن وقوله الا من سبق عليه القول قال الضحاك اراد ابنه وامرأته

قدر الله لهما الكفر اذ علم منهما ذلك ثم قال وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ اي نفر قليل عن مقاتل انهم ثمانون وبهم سموا قرية ثمانين بناحية الموصل لانهم لما خرجوا من السفينة بنوها وقيل اثنان وسبعون رجلا وامرأة واولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلثة ونساؤهم وقيل في بعض الروايات ان ابليس دخل معهم السفينة وفيه بعد لانه رجيم مارد فلا يؤثر الغرق فيه قوله سبحانه حكاية عن نوح واهله وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا الاية فيه ابحاث الاول ان الركوب متعد بنفسه يقال ركبت الدابة والبحر والسفينة اي علوتها فما الفائدة في زيادة لفظة في قال الواحدي فائدته ان يعلم انهم امرهم بان يكونوا في جوف الفلك لا على ظهره الثاني قوله بسم الله اما ان يتعلق بقوله اركبوا حالا من الواو اي مسمين الله او قائلين باسم الله مجريها ومرسيها مصدران حذف منهما الوقت المضاف كقولهم جئتك خفوق النجم ومقدم الحاج او يراد مكانا الاجراء والارساء او زمانهما وانتصابهما بما في بسم الله من معنى الفعل او بالقول المقدر وعلى التقادير يكون مجموع قوله وقال اركبوا الى قوله ومرسيها كلاما واحدا واما ان يكون باسم الله مجريها ومرسيها كلاما آخر من مبتدأ وخبر اي باسم الله اجراؤها وارساؤها يروى انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يقحم الاسم كقوله ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها وكان نوح امرهم بالركوب ثم اخبرهم بان اجراءها وارساءها بذكر اسم الله او بامره وقدرته وجوز في الكشاف ان يكون هذه الجملة في موضع الحال عن ضمير الفلك فلا يكون جملة مستأنفة ولكن فضلة من تتمة الكلام الاول كانه قال اركبوا فيها مقدرين ان اجراءها وارساءها باسم الله تعالى يقال رسا الشيء يرسو اذا ثبت وارساه غيره روي انها سارت لاول يوم من رجب لعشر مضين منه فسارت ستة اشهر ثم اسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ يوم العاشر من المحرم وروي انها مرت بالبيت طافت به سبعا فاعتقها الله من الغرق البحث الثالث قوله إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ كيف ناسب مقام الاهلاك واظهار العزة والجواب كان القوم اعتقدوا انهم نجوا ببركة ايمانهم وعملهم فنبههم الله تعالى بهذا الذكر على ان الانسان في كل حال من احواله لا ينفك عن ظلمات الخطاء والزلل فنجاته الى مغفرة الله ورحمته وفي الاية اشارة الى ان العاقل اذا ركب سفينة الفكر ينبغي ان يكون تبرئ من حوله وقوته وقطع النظر عن الاسباب وربط قلبه وعلو همته بفضل واهب العقل فيقول بلسان الحال باسم الله مجريها ومرسيها حتى تصل سفينة فكره الى ساحل الايمان وتخلص عن امواج الشبه والظنون والاوهام قال في الكشاف وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ متصل بمحذوف كانه قيل فركبوا فيها يقولون باسم الله وهي تجري وهم فيها فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ في التراكم والارتفاع فلعل الامواج احاطت بالسفينة من الجوانب فصارت كانها في داخل تلك الامواج واختلف المفسرون في قوله وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ فالاكثرون على انه ابن له في الحقيقة لئلا يلزم صرف الكلام عن الحقيقة الى المجاز عن غير ضرورة ولا استبعاد في كون ولد النبي كافرا ككنعان واعترض على هذا القول بانه كيف ناداه مع كفره وقد قال رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا واجيب بانه كان منافقا فظن نوح انه مؤمن او ظن انه كافر الا انه توقع منه الايمان عند مشاهدة العذاب بدليل قوله وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ولعل شفقة الابوة حملته على ذلك النداء وعن محمد بن علي الباقر والحسن البصري انه كان ابن امرأته ويؤيده ما روي ان عليا عليه السلام قرأ ونادى نوح ابنها ويؤكد هذا الظن قوله ان ابني من اهلي دون ان يقول انه مني وقيل انه ولد على فراشه لغير رشدة واليه الاشارة بقوله تعالى فَخَانَتَاهُمَا ورد هذا القول بانه يجب صون منصب الانبياء عن مثل هذه الفضيحة لقوله الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وفسر ابن عباس تلك الخيانة بان امرأة نوح كانت تقول زوجي مجنون وامرأة لوط دلت الناس على ضيفه قوله وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ هو مفعل من عزله عنه اذا نحاه وابعده اي كان في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه وعن السفينة وعن فيها او كان في معزل عن دين ابيه وقيل في معزل عن الكفار ولهذا ظن نوح انه يريد مفارقة الكفرة ولكن قوله وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ لا يساعد هذا القول وقوله يا بني بكسر الياء لاجل الاكتفاء به عن ياء الاضافة وبفتحها الاكتفاء به عن الالف المبدلة من الياء ويجوز ان يكون الياء والالف ساقطتين من اللفظ فقط لالتقاء الساكنين ثم حكى اصرار ابنه على الكفر بان قال سَآوِي إِلَى جَبَلٍ فاجاب نوح بانه لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ واعترض عليه بان معنى من رحم من رحمه الله وهو معصوم فكيف يصح استثناؤه من العاصم واجيب بان من فاعله في المعنى لا مفعول والمراد نوح لانه سبب الرحمة والنجاة كما اضيف الاحياء الى عيسى عليه السلام او الرحيم الذي مر ذكره في قوله إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وهو عاصم لا معصوم وهو استثناء مفرغ والتقدير لا عاصم اليوم لاحد من امر الله الا لمن رحم او العاصم بمعنى ذي العصمة كلابن وتامر والعصمة المعصوم او المضاف محذوف والتقدير لا عاصم قط الا مكان من رحمهم الله ونجاهم يعني السفينة او هو استثناء منقطع كانه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ اي بسبب هذه الحيلولة خرج من ان يخاطبه نوح فصار من جملة الغرقى قوله سبحانه وَقِيلَ يَا أَرْضُ الاية بما اختص به من البلاغة حتى صارت متداولة بين علماء المعاني فتكلموا فيها وفي وجوه محاسنها فلا علينا ان نورد ههنا بعض ما استفدنا منهم فنقول النظر فيها من اربع جهات من جهة علم البيان ومن جهة علم المعاني ومن جهتي الفصاحة المعنوية واللفظية اما من جهة علم البيان وهو النظر فيما فيها من المجاز والاستعارة والكناية وما يتصل بها فالقول فيه انه عز سلطانه اراد ان يبين معنى اردنا ان نرد ما انفجر من الارض الى بطنها فارتد وان نقطع طوفان السماء فانقطع وان نغيض الماء النازل من السماء فغاض وان نقضي امر نوح وهو انجاؤه واغراق قومه كما وعدناه فقضي وان تسوى السفينة على الجودي وهو جبل يقرب الموصل فاستوت

وابقينا

وابقينا الظلمة غرقى فبني الكلام على تشبيه الارض والسماء بالمامور الذي لا يتأتى منه لكمال هيبته العصيان وعلى تشبيه تكوين المراد بالامر الجزم النافذ في تكون المقصود تصويرا للاقتدار وان السماء والارض مع عظم جرمهما تابعتان لارادته ايجادا واعداما وتغييرا وتصريفا كانهما عقلاء مميزون قد احاطا علما بما يوجب الامتثال والاذعان لمخالفتهما فاستعمل قيل بدل اريد مجازا اطلاقا للمسبب على السبب فان صدور القول انما يكون بعد ارادته وجعل قرينة المجاز الخطاب للجماد بقوله يَا أَرْضُ ابْلَعِي وَيَا سَمَاءُ والخطاب ايضا على سبيل الاستعارة للشبه المذكور وهو كون السماء والارض كالمامورين المنقادين وايضا استعار لغؤور الماء في الارض البلع الذي هو اعمال القوة الجاذبة في المطعوم للشبه بين الغؤور والبلع وهو الذهاب الى مقر خفي وجعل قرينة الاستعارة نسبة الفعل الى المفعول وفي جعل الماء مكان الغذاء ايضا استعارة لانه شبه الماء بالغذاء لتقوي الارض بالماء في الانبات للمزروع والاشجار تقوي الاكل بالطعام وجعل قرينة الاستعارة لفظة ابلعي لكونها موضوعة للاستعمال في الغذاء دون الماء ثم امر الجماد على سبيل الاستعارة للشبه المقدم ذكره وخاطب في الامر دون ان يقول ليبلع ترشيحا لاستعارة النداء لان كونه مخاطبا من صفات الحي كما ان كونه مناديا من صفاته ثم قال ماءك باضافة الماء الى الارض على سبيل المجاز تشبيها لاتصال الماء بالارض باتصال الملك بالمالك واختار ضمير الخطاب دون ان يقول ليبلع ماؤها لاجل الترشيح المذكور ثم اختار لاحتباس المطر الاقلاع الذي هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما في عدم ما كان ثم امر على سبيل الاستعارة وخاطب في الامر لمثل ما تقدم في ابلعي من ترشيح استعارة النداء ثم قال وَغِيضَ الْمَاءُ غاض الماء قل ونضب وغاضه الله يتعدى ولا يتعدى وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا فلم يصرح بالفاعل سلوكا لسبيل الكناية لان هذه الامور لا يتأتى الا من قدير قهار فلا مجال لذهاب الوهم الى غيره في صدد الاية ليستدل من ذكر الفعل وهو اللازم على الفاعل وهو الملزوم وهذا شان الكناية ثم ختم الكلام بالتعريض لانه ينبئ عن الظلم المطلق وعن علة قيام الطوفان واما النظر فيها من جهة علم المعاني وهو النظر في فائدة كل كلمة منها وجهة كل تقديم وتاخير فيما بين جملها فذلك انه اختير يا للنداء لانها اكثر استعمالا ولدلالتها على تبعيد المنادى الذي يستدعيه مقام العزة والهيبة ولهذا لم يقل يا ارضي بالاضافة تهاونا بالمنادى ولم يقل يا ايتها الارض للاختصار مع الاحتراز عن تكلف التنبيه لمن ليس من شانه التنبيه واختير لفظ الارض والسماء لكثرة دورانهما مع قصد المطابقة واختير ابلعي على ابتلعي لكونه اخصر ولمجيء حظ التجانس بينه وبين اقلعي اوفر وقيل ماءك بلفظ المفرد لما في الجمع من الاستكثار المتأبي عنه مقام العزة والاقتدار وكذا في افراد الارض والسماء ولم يحذف مفعول ابلعي لئلا يلزم تعميم الابلاع للكل على الارض ولما علم اختصاص الفعل به اقتصر عليه فحذف من اقلعي حذرا من التطويل وانما لم يقل ابلعي ماءك فبلعت لان عدم تخلف المامور به عن امر الامر المطاع معلوم واختير غيض على غيض المشددة للاختصار ولمثل هذا عرف الماء والامر دون ان يقال ماء الطوفان وامر نوح للاستغناء عن الاضافة بالتعريف العهدي ولم يقل سويت لتناسب اول القصة وهي تجري بهم من بناء الفعل للفاعل ولان استوت اخصر لسقوط همزة الوصل ثم قيل بعدا للقوم دون ان يقال ليبعد القوم من بعد بالكسر بعدا بالفتح اذا هلك للتاكيد مع الاختصار ودلالة لام الملك على ان البعد حق لهم وقول القائل بعدا له من المصادر التي لا يستعمل اظهار فعلها ثم اطلق الظلم ليتناول ظلم انفسهم وظلمهم غيرهم واما ترتيب الجمل فقدم النداء على الامر ليتمكن الامر الوارد عقيب النداء كما في نداء الحي وقدم نداء الارض لابتداء الطوفان منها بدليل قوله وَفَارَ التَّنُّورُ ثم بين نتيجة البلع والاقلاع بقوله وَغِيضَ الْمَاءُ ثم ذكر مقصود القصة وهو قوله وَقُضِيَ الْأَمْرُ اي انجز الموعود من اهلاك الكفرة وانجاء المؤمنين ثم بين حال استقرار السفينة بقوله وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وكان جبلا منخفضا فكان استواء السفينة عليه دليلا على انقطاع مادة الماء ثم ختمت القصة بالتعريض قيل كيف يليق بحكمة الله تغريق الاطفال بسبب اجرام الكفار واجيب على اصول الاشاعرة بانه لا يسئل عما يفعل وعلى اصول المعتزلة بانه يعوض الاطفال والحيوانات كما في ذبحها واستعمالها في الاعمال الشاقة وقد روي جمع من المفسرين انه سبحانه اعقم ارحام نسائهم قبل الغرق باربعين سنة فلم يغرق الا من بلغ اربعين وهذا مع تكلفه لا يتمشى في الجواب عن اهلاك سائر الحيوانات والظاهر ان القائل في قوله وقيل بعدا هو الله تعالى لتناسب صدر الاية ويحتمل ان يكون القائل نوحا واصحابه لان الغالب ممن يسلم من الامر الهائل بسبب اجتماع قوم الظلمة انه يقول مثل هذا الكلام ولانه جار مجرى الدعاء عليهم فجعله من كلام البشر اليق واما النظر في الاية من جهة الفصاحة المعنوية فهي كما ترى نظم للمعاني لطيف وتادية لها بالغ وجه تمه واما من جهة الفصاحة اللفظية فهي الفاظ كالعسل في الحلاوة وكالنسيم في الرقة عذبة على العذبات سلسة على الاسلات ولعل ما تركنا من لطايف هذه الاية بل كل اية اكثر مما ذكرنا والله تعالى اعلم بمراده من كلامه وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ اي اراد ان يدعوه فقال رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي بعض اهلي سواء كان من صلبه او ربيبا له وَإِنَّ وَعْدَكَ اي كل ما تعده الحق الثابت الذي لا شك في انجازه وقد وعدتني ان تنجي اهلي وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ اي اعلمهم واعدلهم لانه لا فضل للحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ويجوز ان يكون الحاكم بمعنى ذي الحكمة كدارع قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ اي من اهل دينك ومن اهلك الذين وعدتهم الانجاء معك ثم صرح بان العبرة بقرابة الدين والعمل الصالح لا بقرابة النسب فقال إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ من قرأ على لفظ الفعل فمعناه انه عمل عملا غير صالح وهو الاشراك والتكذيب ومن قرأ على لفظ الاسم فللمبالغة كما يقال فلان كرم وجود اذا غلب عليه الكرم والجود وفي قوله غير صالح دون ان يقول فاسد تعريض

بل

بل تصريح بانه انما نجا من نجا بالصلاح ويحتمل على هذه القراءة ان يعود الضمير في انه الى سؤال نوح اي ان ذلك هذا المتضمن لسؤال النجاة لابنه
عمل غير صالح وقيل المراد ان هذا الابن ولد زنا وقد عرفت سقوطه ثم نهاه عن مثل هذا السؤال ووبخه عليه بقوله فلا تسئلن ما ليس لك به
علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين قال المحققون انه ان ابنه منافقا فلذلك اشتبه امره على نوح وحمله شفقة الابوة اولا على عرض
الى ركوب السفينة فلما حال بينهما الموج لجأ الى الله في خلاصه من الغرق معولا على ذلك لانه لما وعده الله انجاء اهله واستثنى منهم من سبق
عليه القول كان عليه ان يتوكل على الله حق توكله ويعلم ان كل من كان من اهله مؤمنا فانه يخلص من الغرق لا محالة ولما لم يعلم ولم يصبر لحين تبين الحال
توجه اليه العتاب على ترك الاولى فلذلك تنبه ورجع الى الله قائلا رب اني اعوذ بك ان اسئلك فيما يستقبل من الزمان ما ليس لي به علم
تادبا بادابك واتعاظا بعظتك والا تغفر لي ما فرط مني عن الخطأ في باب الاجتهاد ومن قلة الصبر على ما يجب عليه الصبر وهذا التضرع
مثل تضرع ابيه وابينا ادم في قوله ربنا ظلمنا الاية فلذلك عفي عنه وقيل يا نوح اهبط اي من السفينة بعد استوائها على الجبل وانزل من
الجبل الى الفضاء متلبسا بسلام منا بسلامة من التهديد والوعيد بل من جميع الافات والمخافات لانه لما خرج من السفينة كان خائفا من
عدم الماكول والملبوس وسائر جهات الحاجات لانه لم يبق في الارض شيء يمكن ان ينتفع به من النبات والحيوانات وقيل اي مسلما عليك
مكرما والبركات الخيرات النامية الثابتة وفسرها في هذا المقام بانه وعده بان جميع اهل الارض من الاشخاص الانسانية يكون من نسله
اما لانه لم يكن في السفينة الا من هو من ذريته واما لانه لما خرج من السفينة مات من لم يكن من اهله وبقي النسل والتوالد في ذريته دليله قوله سبحانه
وجعلنا ذريته هم الباقين فنوح ادم الاصغر وقيل لما وعده السلامة من الافات وعده ان موجبات السلامة والراحة تكون في التزايد
والثبات لا عليك وحده بل وعلى امم ممن معك ان كان من للبيان فالمراد الامم الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا جماعات او هم اصل
الامم التي انشعبت منهم وان كان لابتداء الغاية فالمعنى على امم ناشئة ممن معك الى اخر الدهر هذا شان الامة المؤمنة ثم ذكر حال الامة الكافرة
المتوالدة فقال امم وهو رفع على الابتداء والخبر محذوف اي وممن معك امم سنمتعهم في الدنيا ثم يمسهم في الاخرة منا عذاب اليم عن ابن
زيد هبطوا والله عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وخصص بعضهم الامم الممتعة بقوم هود وصالح ولوط و
شعيب وتلك اشارة الى قصة نوح وهو مبتدأ والجمل بعدها اخبار وقوله ولا قومك للمبالغة كقول القائل لا نعرف هذه المسئلة لا
انت ولا قومك ولا اهل بلدك والمراد تفاصيل القصة والا فمجملها اشهر من ان يخفى ومعنى من قبل هذا اي من قبل هذا الايحاء او العلم
الذي كسبته بالوحي او من قبل هذا الوقت وكان هذه القصة اعيدت في هذه السورة تثبيتا للنبي على انذار قومه لذلك ختمت بقوله
فاصبر كما صبر نوح ان العاقبة للمتقين التاويل ما نريك الا بشرا مثلنا اي مخلوقا محتاجا مثلنا وفيه ان النفس بنظرها السفلي ترى الروح
العلوي سفليا فلهذا انظر الى النبي ولا ترى نبوته الحميدة بل تراه بنظر الكذب والسحر والجنون الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي والاراذل
من اتباع الروح البدن وجوارحه الظاهرة فان الغالب على الخلق ان البدن يقبل دعوة الروح ويستعمل الجوارح بالاعمال الشرعية و
لكن النفس الامارة يكون على كفرها ولا تخلي البدن ان يشتغل بالاعمال الشرعية الدينية الا لغرض فاسد ومصلحة دنيوية كما هو المعتاد لاكثر
الخلق وما انا بطارد الذين امنوا من طبع النفس ان يتاذى من استعمال البدن وجوارحه في التكاليف الشرعية فيقول للروح ان تردها
او من بك والتخلق باخلاقك فامنع البدن وجوارحه التكاليف من ينصرني من الله من يمنعني من قهره ان منعت البدن من الطاعة فاقتصر على
مجرد ايمان النفس وتخلقها باخلاق الروح كما هو معتقد اهل الفلسفة والاباحة يقولون ان اصل العبودية معرفة الربوبية وجمعية الباطن
والتحلي بالاخلاق الحميدة افلا تذكرون ان جمعية الباطن ونوره من نتائج استعمال الشرع والظلمة في الطبع وانما بعث الانبياء ليخرجوا الخلق من
ظلمات الطبع الى نور من الشرع في الظاهر فالنور في الشرع والظلمة في الطبع وانما ظلمات الطبع الى نور الشرع لن يؤتيهم الله خيرا اي استعداد
لتحصيل الدرجات العلوية وانهم مخلوقون من السفليات الله اعلم بما في نفس كل جارحة من استعداد تحصيل الكمال واني بريء مما تجرمون
من التكذيب وفيه ان ذنوب النفس لا يتاثر في صفاء الروح ولا يتكدر بها ما كان الروح متبرءا من ذنوب النفس متاسفا على معاملات
النفس وتتبع هواها واوحي الى نوح الروح انه لن يؤمن من قومك وهم القلب وصفاته والسر والنفس وصفاتها والبدن وجوارحه الا من قد
امن من خواص العباد وهم القلب وصفاته والسر وصفات النفس والبدن وجوارحه فاما النفس فيها لا تؤمن ابدا اللهم الا نفوس الانبياء
وخواص الاولياء فانها اسلم احيانا دون الايمان فلا تبتئس بما كانوا يفعلون لان اعمال الشر لنفوس السعداء كالجسد للاكسير يقلب ذهبا
مقبولا عند طرح الروح عليها فكذلك ينقلب اعمال الشر خيرا عند طرح التوبة عليها اولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ولا تبتئس
على نفوس الاشقياء لان اعمالها حجة الله على شقاوتهم وبتلك السلاسل يسحبون في النار على وجوههم واصنع الفلك اتخذ يا نوح الروح
سفينة الشريعة بنظرنا لا بنظرك فان نظرك تتبع الحواس يبصر ظاهرها ويغفل عن اسرارها ولا تخاطبني في الذين ظلموا فان اظلم من شم
النفوس انهم مغرقون في بحر الدنيا وشهواتها وكلما مر عليهم ملائم النفس وهواها ويغفل عن اسرارها ولا تخاطبني في الذين ظلموا فان اظلم
وصنعنا بها يسخرون من استعمال اركان الشريعة انهم بعمهوا احمايتها حتى اذا جاء امرنا وهو حد البلوغ والركون في سفينة الشريعة وفار

التاويل

في الطاف النوح في النفع

ماء الشهوة من تنور القالب قلنا احمل السفينة الشريعة من كل صفة زوجين اثنين كالشهوة وزوجها العفة والحرص وزوجها القناعة والبخل
وزوجها السخاء والغضب وزوجه الحلم وكذا الحقد مع السلامة والعداوة مع المحبة والكبر مع التواضع والتاني مع العجلة واهلك وهم صفات الروح
الا النفس ومن امن وهم القلب والسر في قوله تعم وقال اركبوا فيها باسم الله اشارة الى ان من ركب سفينة الشرع بالطبع وتقليد الاباء والمعلمين
لم يحصل له النجاة الحقيقية كما ركب ابليس بالطبع في سفينة نوح وانما النجاة لمن ركب بامر الله وذكره مجراها من الله ومرسيها الى الله كقوله وان
الى ربك المنتهى في موج من الفتن كالجبال ونادى نوح الروح ابنه كنعان النفس المتولد بينه وبين القالب وكان في معزل من معرفة الله وطلبه
ساوي الى جبل العقل يعصمني من الماء الفتن لا عاصم اليوم اي اذا نبع ماء الشهوات من ارض البشرية ونزل ماء ملاذ الدنيا وزينتها
من سماء القضاء فلا يتخلص منه الا من رحم الله بالاعتصام بسفينة الشريعة ابلعي ماء شهواتك اقلعي عن انزال مطر الافات وغيض ماء الفتن
ببركة الشرع وقضي الامر بما كان مقدرا من طوفان الفتن للابتلاء والتربية واستوت سفينة الشريعة على الجودي وهو مقام التمكين
بعد مقامات التلوين وان وعدك الحق وهو نوح الروح عند هباطه الى العالم السفلي من الرجوع الى العالم العلوي ما بعد انه ليس من اهلك
وكان للروح اربعة بنين ثلثة من المؤمنين وهم القلب والسر والعقل وواحد كافر وهو النفس فنفي عن النفس اهلية الدين والملة لانها خلقت
للامارية اهبط من سفينة الشريعة عند مفارقة الجسد والخلاص من طوفان الفتن وامم سنمتعهم هم النفوس متعت بالحظوظ الدنيوية
ثم يمسهم في الاخرة عذاب البعد عن المالوفات فاصبر على تربية الروح والنفس ان العاقبة لمن اتقى طوفان فتن الدنيا والنفس والهوى

ع وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ
وفرستاديم بقوم عاد برادر ايشان هود را كفت اي قوم من بپرستيد خدا را نيست مر شما را هيچ خداي جز او نيستيد شما مگر افترا كنندگان اي قوم من نمي طلبم از شما بر ان مزدي نيست
أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ
مزد من مگر بر انكه بيافريد مرا آيا پس نمي يابيد بعقل واي قوم من آمرزش خواهيد از خداي خود پس رجوع كنيد بسوي او تا فرستد از آسمان بر شما باران پيوسته و بيفزايد شما را
قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ
قوتي با قوت شما واعراض مكنيد درحاليكه اصرار كنندگان كفتند اي هود نياوردي بما حجتي روشن ونيستيم ما واگذارندگان خدايان خود را از گفتار تو ونيستيم مر ترا گروندگان
إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي
نميگوييم مگر انكه رسيده اند ترا بعضي خدايان ما ببدي كفت بدرستيكه من گواه ميگيرم خدا را وگواه باشيد كه من بيزارم از انچه شرك مي آوريد از جز او پس مكر كنيد بمن
جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
همه پس مهلت مدهيد مرا بدرستيكه من توكل كردم بر خدا كه پروردگار من وشما است نيست هيچ جنبنده مگر او گيرنده است موي پيشاني او را بدرستيكه پروردگار من بر راه راست است
فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ
پس اگر اعراض كنيد پس بتحقيق رسانيدم بشما انچه فرستاده شده ام بان بسوي شما وجانشين گرداند پروردگار من قومي غير شما را وضرر نرسانيد او را چيزي بدرستيكه پروردگار من بر همه چيز نگهبان است
وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ
وچون آمد فرمان ما رهانيديم هود را وانانكه گرويدند با او برحمتي از ما ورهانيديم ايشان را از عذاب درشت واين قوم عاد انكار كردند بآيتهاي پروردگار خود را
وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا
ونافرماني كردند پيغمبران او را وپيروي كردند فرمان هر گردنكش حق ناپذير را وپي آورده شدند درين دنيا لعنت را ودر روز قيامت آگاه باشيد بدرستيكه عاد كافر شدند پروردگار خود را
ع لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ
مر عاد را كه قوم هود بودند وبسوي ثمود برادر ايشان صالح كفت اي قوم بپرستيد خدا را نيست شما را هيچ خداي جز او او آفريد شما را از زمين وعمر داد شما را
فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ
در ان پس آمرزش خواهيد از او پس بازگشت كنيد بسوي او بدرستيكه پروردگار من نزديك است واجابت كننده است كفتند اي صالح بدرستيكه بودي در ما اميد داشته شده پيش ازين آيا نهي ميكني ما را از انكه پرستيم
آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ
پدران ما وبدرستيكه ما در شكيم از انچه ميخواني ما را بان گمان افكننده كفت اي قوم خبر دهيد اگر باشم بر حجتي از پروردگار خود وداده باشد مرا از نزد خويش رحمتي پس كيست
يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ وَيَا قَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ
كه ياري كند مرا از خدا اگر نافرماني كنم او را پس نمي افزاييد مرا غير زيانكاري واي قوم اين ناقه خداست مر شما را معجزه پس بگذاريد او را تا بخورد در زمين خدا
وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ
ودست مرسانيدش ببدي پس خواهد گرفت شما را عذابي نزديك پس پي كردند آنرا پس كفت زندگاني كنيد در خانهاي خود سه روز اين وعده ايست غير دروغ
فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ وَأَخَذَ
پس چون آمد فرمان ما نجات داديم صالح را وانانكه گرويده بودند با او برحمتي از ما واز رسوايي ان روز بدرستيكه پروردگار تو اوست توانا غالب وگرفت

الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ ﴿٦٨﴾ القراءة

آنان که ستمگر بودند فریاد مهلک پس گشتند در خانهای خود بر جای ماندگان گویا اقامت نداشتند در آن آگاه باشید که ثمود کافر شدند بپروردگار خود آگاه باشید دوری باد ثمود را

بفتح الياء ابو جعفر ونافع والبزي عن الخزاعي في اشهد بالفتح ابو جعفر ونافع فان تولوا بتشديد التاء البزي وابن فليح يستخلف بالجزم الخزاز

عن هبيرة الباقون بالرفع يومئذ بفتح الميم وكذلك في المعارج ابو جعفر ونافع غير اسمعيل وعلي والشموني والبرجمي وعباس الاخرون بالجر الا

ان ثمود غير منصرف والوقف بغير الالف حمزة وحفص وسهل ويعقوب الباقون بالتنوين والوقف بالالف لثمود بالتنوين في الوصل على

الوقوف هودا ط غيره ط مفترون ط اجرا ط فطرني ط تعقلون مجرمين بمؤمنين بسوء ط تشركون لا لا تنظرون وربكم ط بناصيتها ط مستقيم

به اليكم ط للاستيناف الا لمن قرأ ويستخلف بالجزم غيركم ج لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال شيئا ط حفيظ منا ج لحق المحذوف اي

وقد نجيناهم غليظ ط عنيد ويوم القيمة ط ربهم ط هود صالحا م لما مر في الاعراف غيره ط اليه ط مجيب مريب بتخسير قريب ايام ط مكذوب

يومئذ ط العزيز جاثمين لا لكاف التشبيه فيها ربهم ط لثمود التفسير قد مر في الاعراف تفسير قوله والى عاد الاية ومعنى قوله ان انتم الا

مفترون انكم كاذبون في قولكم ان هذه الاصنام تحسن عبادتها مع انها لا حس لها ولا شعور ثم قال مثل قول نوح يا قوم لا اسئلكم

عليه اجرا لان النصيحة لا يمحضها الا حسم المطامع افلا تعقلون ان نصح من لا يطلب الاجر الا من الله لا يكون من التهمة في شيء قيل انما قال

في قصة نوح مالا ودونا ههنا اجرا لذكر الخزائن بعده فلفظ المال بها اليق وحذف الواو من يا قوم لانه اراد الاستيناف او البدل دون العطف و

يا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه قد مر مثله في اول السورة وقال الاصم لان القوم المراد سلوه ان يغفر لكم ما تقدم لكم امرا فكم ثم اعزموا

على ان لا تعودوا الى مثله ثم قصد استمالتهم وترغيبهم في الايمان بكثرة المطر وزيادة القوة لان القوم كانوا احراصا على جمع الاموال من وجوه العمارة

والزراعة مفتخرين بها وتوامين البطش والقوة وقدم اليهم ما باب الدعوة الى الدين والترغيب فيه ما كانت همتهم معقودة به ليحصل في ضمنه

الغرض الكلي والمقصود الاصلي وهو الفوز بالسعادات الاخروية وكانه انما خص هذين النوعين من السعادات الدنيوية لان الاول اصل جميع

النعم والثاني اصل في الانتفاع بتلك النعم وقيل المراد بالقوة الزيادة في المال وقيل في النكاح وروي انه حبس عنهم القطر لشوم التكذيب ثلث

سنين واعقم نساؤهم فوعدوا انهم ان امنوا احيا الله بلادهم ورزقهم المال والولد والمدرار الكثير الدر كما مر في اول الانعام عن الحسن علي ع

انه وفد على معوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال اني رجل ذو مال ولا يولد لي فقال عليك بالاستغفار حتى انه ربما استغفر في يوم

واحد سبعمائة مرة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك معوية فقال هلا سئلته مم قال ذلك فوفد وفدة اخرى فسئله الرجل فقال الم تسمع

قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح ويمددكم باموال وبنين ثم قال هود ولا تتولوا اي لا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين

على الاجرام والاثام مجدد اهودا وقالوا ما جئتنا ببينة كما قالت قريش لرسول الله صلعم لولا انزل عليه اية من ربه ولم يشتهر منه معجزة

ولكن العلماء قالوا اظهار الدعوة مع اولئك الاقوام من غير مبالاة وتوانية من الاثار وقوله عن قولك حال من الضمير كانه قيل وما نترك

الهتنا صادرين عن قولك وما نحن لك بمؤمنين لا يصدق مثلنا مثلك بدا ثم زعموا ان بعض الهتهم اعتراه بسوء اي غشاه واورثه

الخبل والجنون لانه كان يسب الهتهم وذلك قولهم ان نقول لولا قولهم ان نقول الا اعتراك والا لغوا اي ما نقول شيئا الا هذا القول فمن يتكلم

بكلام المجانين والمراد ان الاصنام كافاته على سوء فعله بسوء الجزاء فاظهر نبي الله الجلادة والثقة بالله فيما هو بصدده وتبراء منهم ومن شركهم

فاشهد الله وذلك شهادة صحيح واشهدهم ايضا وهذا كالتهاون وقلة المبالاة بهم كقول الرجل لمن نوى قطعه بالكلية اشهد علي اني لا احبك

تهكما به وتدبر قوله فكيدوني الاية في اخر سورة الاعراف وقوله ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها تمثيل لغاية التسخير ونهاية التذليل وكانوا

اذا اسروا الاسير فارادوا الاطلاقه والمن عليه جزوا ناصيته فكان علامة لقهره قالت المعتزلة هذا دليل التوحيد لدلالته على انه لا مالك

الا هو وقوله ان ربي على صراط مستقيم دليل العدل والاشاعرة قالوا معناه معنى ان ربك لبالمرصاد اي لا يخفى عليه شيء ولا يفوته

هارب فان تولوا فقد ابلغتكم كقول القائل ان اكرمتني الان فقد اكرمتك فيما مضى والمراد فان تتولوا فانا غير معاتب ولا مقصر لاني

قد تصديت حق الرسالة وفي قوله ويستخلف اشارة الى عذاب الاستيصال وانه يخلق بعدهم من هو اطوع منهم وانه لا ينقص من ملكه شيئا

ان ربي على كل شيء حفيظ يحفظ اعمال العباد حتى يجازيهم عليها او يحفظني عن شركم وكيدكم او يحفظني من الهلاك والذين امنوا معه قيل كانوا

اربعة الاف برحمة منا اي بفضل وامتنان او بسبب ما هم فيه من الايمان والعمل الصالح ونجيناهم من عذاب غليظ اطلق التنجية ولا ثم قيدها

على معنى وكانت تلك التنجية من عذاب غليظ سموم يدخل في افواههم ويخرج من ادبارهم فيقطعهم عضوا عضوا ويحتمل ان يراد بالثانية

النجاة من عذاب الاخرة ولا عذاب اغلظ منه ولما ذكر قصتهم خاطب محمدا واشار الى قبورهم واثارهم بقوله وتلك عاد فانظروا واعتبروا

ثم استانف في صفة احوالهم مجملة فقال جحدوا بايات ربهم فلم يلتفتوا من المعجزات الى صدق الانبياء ولم يرتقوا من الممكنات الى وجود الواجب

بالذات وعصوا رسله قيل لم يرسل اليهم الا هود وصح الجمع لان عصيان رسول واحد يتضمن عصيان كلهم لا نفرق بين احد من رسله

واتبعوا امر كل جبار عنيد اطاعوا رؤسائهم وكبرائهم المتمردة والمعاندة ولهذا جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين وفي تكرير الا والنداء

على تفظيع شانهم وانهم كانوا مستاهلين الدعاء عليهم بالهلاك ويحتمل ان يراد البعد من رحمة الله في الاخرة وقوله قوم هود عطف بيان لعاد

اما للتاكيد ومزيد التقرير واما لان عادا عادان القديمة التي هي قوم هود والاخرى هي ارم قوله في قصة ثمود هو انشاكم تقديم الضمير للحصر

لم ينشئكم الا هو ومعنى الانشاء من الارض ان الكل مخلوق من صلب ادم وهو مخلوق من الارض ويمكن ان يقال ان الانسان مخلوق من

المني وهو يحصل من الغذاء والغذاء ينتهي الى النبات ثم الى الارض وقيل ان من بمعنى في واستعمركم من العمارة اي جعلكم عمارا للارض

وامركم بالعمارة فمنها واجب وندب ومباح ومكروه وكان ملوك فارس قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار فعمروا الاعمار الطوال

مع ما كان فيهم من الظلم فسئل نبي لهم من انبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحى الله اليه انهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي

وقيل من العمر نحو استبقاكم من البقاء وقيل من العمرى ومعناه اعمركم الله فيها دياركم ثم هو وارثها منكم عند انقضاء اعماركم او جعلكم معمرين

دياركم فيها لان الرجل اذا ورث داره من بعده فكانه اعمره اياها لانه يسكنها عمره ثم يتركها لوارثه ومعنى كونه تعالى قريبا قد مر في قوله واذا

سئلك عبادي عني فاني قريب وذلك في البقرة قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا عن ابن عباس فاضلا خيرا يقدمك الله على جميعنا

وقيل كنا نظن بك الرشد والصلاح و كمال العقل واصابة الراي وقيل كنت تعطف على فقيرنا وتعين ضعيفنا وتعود مرضانا فظننا

انك من الانصار والاحباب والموافقة في الدين فكيف ظهرت العداوة والبغضاء ثم اضافوا الى هذا الكلام التمسك بالتقليد ومتابعة الاباء

ثم صرحوا بالتوقف والريب في امره ومريب من ارابه اذا اوقعه في الريبة او من اراب الرجل اذا كان ذا ريبة وهو من الاسناد المجازي واعلم ان

قوله وانا لفي شك بنون الوقاية ههنا على الاصل واما في سورة ابرهيم فانما قالوا انا بغير نون الوقاية لقوله بعده تدعوننا بنونين على الجمع

فكان اجتماع النونات مستكرها فاجابهم هو بقوله ان كنت على بينة الاية وبنى امره على الفرض والتقدير لان خطاب المخالف على الوجه اقرب

الى القبول كانه قال قدروا اني على بينة من ربي واني نبي على الحقيقة فمن يمنعني من عذاب الله ان عصيته في اوامره فما تزيدونني غير تخسير

اي على هذا التقدير تخسرون اعمالي وتبطلونها او فما تزيدونني بما تحملونني عليه الا ان انسبكم الى الخسران واقول انكم خاسرون والمعنى الاول

اقرب لانه لا دلالة على ان متابعتهم لا تزيده الا خسران الدارين ويا قوم هذه ناقة الله قد مر تفسيره في الاعراف ومعنى عذاب قريب عاجل

لا يستاخر الا ثلثة ايام وغير مكذوب من باب الاتساع اي غير مكذوب فيه فحذف الحرف واجرى الضمير مجرى المفعول به او من باب المجاز كان

الوعد اذا وفي به فقد صدق ولم يكذب او المكذوب مصدر كالمجلود وصف به قوله فلما جاء امرنا بالفاء وفي قصة هود بالواو لمكان التعقيب

ههنا بدليل قوله عذاب قريب ومثله في قصة لوط لقوله اليس الصبح بقريب واما في قصة هود فانه قال ويستخلف بلفظ المستقبل ومثله في

شعيب سوف تعلمون من ياتيه بحرف التسويف فلم يكن الفاء مناسبا واعتبر هذا المعنى في سائر المواضع كما في سورة يوسف قال ولما

جهزهم بالواو ولا لان التعقيب لم يكن مرادا ثم قال فلما جهزهم لمكان التعقيب والله اعلم ومن خزي يومئذ معطوف على محذوف والتقدير نجينا صالحا

ومن معه من العذاب النازل بقومه ومن الخزي الذي لزمهم او يتعلق بمعطوف محذوف اي ونجيناهم من خزي يومئذ كما قال ونجيناهم

من عذاب غليظ والمعنيان كما قلنا هناك والقراءتان في يومئذ لان الظرف المضاف الى اذ يجوز بناؤه على الفتح والتنوين في اذ عوض من

المضاف اليه اعني الجملة والتقدير يوم اذ كان كذا وكسر الذال للساكنين ان ربك هو القوي العزيز القادر الغالب فمن قدرته تميز المؤمن

من الكافر ومن عزته وقهره اهلك الكفار بالصيحة التي سمعوها من جانب السماء اما بواسطة جبرئيل واما لاحداثها في سحاب مع برق شديد

محرق وانما يصير الصيحة سببا للهلاك لان التموج الشديد في الهواء يوجب تاذي صماخ الانسان وتدهم وغشاء الدماغ بذلك والارواح

النفسانية ايضا اذا اوذيت وجب الموت وتمام القصة مذكور في سورة الاعراف وقوله الا ان ثمود الى الاخرة شبيه بما مر في قصة هود والتاويل

كما مر في سورة الاعراف والله اعلم وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ ع

و بتحقیق آمدند فرستادگان ما ابراهیم را بمژده فرزند گفتند سلاما گفت سلام پس درنگ نکرد که آورد گوساله بریان در زیر سنگ

فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَامْرَأَتُهُ

پس چون دید دستهای ایشان را نمیرسد بآن ناخوش گرفت ایشان را و دردل گرفت از ایشان ترسی گفتند مترس بدرستیکه ما فرستاده شده ایم بسوی قوم لوط و زن او

قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا

ایستاده بود پس خندید پس مژده دادیم او را باسحق و در پس اسحق بیعقوب گفت ای وای عجبا آیا فرزند آورم و من پیر زنم و این شوهر من پیر است

إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ

بدرستیکه این چیز عجب است گفتند آیا تعجب میکنی از امر خدا رحمت خدا و برکتهای او بر شما ای اهل خانه بدرستیکه او ستوده بزرگوار است پس چون رفت

عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا

از ابراهیم ترس و آمد او را مژده فرزند سخن میکرد با ما درباره شفاعت قوم لوط بدرستیکه ابراهیم بردبار ناله کننده بازگشت کننده است ای ابراهیم روی بگردان از این شفاعت

إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ

بدرستیکه آمد فرمان پروردگار تو و ایشان آینده است بایشان عذابی که رد کرده نشود و چون آمدند رسولان ما لوط را اندوهناک شد بایشان و تنگ شد بایشان از طاقت و گفت

الجزء الثاني عشر

هٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ۝ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ

ابن روزیست سخت و آمدند او را قوم او شتابان راننده بسوی او و از پیش بودند که میکردند بدیها را گفت ای قوم اینگروه دختران من اند پاکیزه تر

لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ۝ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ

برای شما پس بترسید از خدا و رسوا مکنید مرا در مهمانان من آیا نیست از شما مردی راه یابنده گفتند هرآینه دانسته که نیست ما را در دختران تو هیچ حقی و هرآینه تو میدانی

مَا نُرِيدُ ۝ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ۝ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ

آنچه را میخواهیم گفت کاش مرا بود بشما قوتی یا پناه گیرم بجای سخت گفتند ای لوط بدرستیکه ما رسولان پروردگار توایم هرگز نخواهند رسید بتو پس شب روان ببر اهل خود را

بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ

باهلت در پاره از شب باید که ملتفت نشود از شما احدی جز زنت بدرستیکه رسیدنی است او را آنچه رسید بایشان بدرستیکه وعده گاه ایشان صبح است آیا نیست صبح نزدیک

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ۝ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ

پس چون آمد فرمان ما گردانیدیم بالای آنرا زیر آنرا و باریدیم بر آن سنگها از سنگ گل بر هم نهاده نشان کرده نزد پروردگار تو و نیست آن از

الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ۝ القراءة سلم بكسر السين بلا الف فيهما حمزة وعلي ويعقوب بالنصب ابن عامر وحمزة وحفص والآخرون بالرفع سيئ بهم وبابه

ستمکاران دور كضر يجيء ابوجعفر ونافع وابن عامر وعلي وروبس والآخرون سيئ مثل قيل تخزوني بالياء في الحالين سهل ويعقوب

وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو ويزيد واسمعيل في الوصل ضيفي بفتح الياء ابوجعفر ونافع وابو عمرو فاسر وبابه بهمزة الوصل ابوجعفر

ونافع وابن كثير وعباس من طريق الموصلي وحمزة في الوقف وان شاء لين الهمزة الا امرأتك بالرفع ابن كثير وابو عمرو والباقون بالنصب الوقوف

سلاما حينئذ خيفة ط قوم لوط ط باسحق ط ن قرأ يعقوب بالرفع يعقوب شيخا ط عجيب ه اهل البيت ط مجيد قوم لوط ط منيب عن هذا ج

لاحتمال التعليل امر ربك ج للابتداء بان مع اتصال المعنى مردود ه عصيب ج للعطف ولاختلاف النظم السيئات ط ضيفي ط رشيد من حق ج

لما نريد ه شديد ه الا امرأتك ط اصابهم ط الصبح ط بقريب منضود ه لان ما بعده صفة حجارة عند ربك ط ببعيد ه التفسير الرسل ههنا

الملائكة واجمعوا على ان الاصل فيهم جبرئيل ثم اختلفوا فقيل كان معه اثنا عشر ملكا على احسن ما يكون من صورة الغلمان وقال الضحاك

كانوا تسعة وقال ابن عباس كانوا ثلثة جبرئيل وميكائيل واسرافيل وهم الذين ذكر الله تعالى في سورة الحجر ونبئهم عن ضيف ابرهيم وفي الذاريات

هل اتيك حديث ضيف ابرهيم والظاهر ان البشرى هي البشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط ومعنى سلاما سلمنا عليك ومعنى سلام امر

سلام امركم سلام او سلام عليكم ولان الرفع يدل على الثبات والاستقرار والنصب يدل على الحدوث لمكان تقدير الفعل قال العلماء

ان سلام ابرهيم كان احسن اقتداء بقوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها وانما صح وقوع سلام مبتدأ مع كونه نكرة لتخصصها بالاضافة الى

المتكلم اذ اصله سلمت سلاما فعدل الى الرفع لافادة الثبات ومن قرأ سلم فمعناه السلم ايضا قال الفراء سلم وسلام كحل وحلال وحرم وحرام وقال ابو علي

الفارسي يحتمل ان يراد بالسلم خلاف الحرب قالوا ومكث ابرهيم خمس عشرة ليلة لا يأتيه ضيف فاغتم لذلك فجاءته الملائكة فرأى اضيافا لم ير مثلهم فما لبث ان

في ان جاء بعجل او فما لبث مجيئه بعجل هو ولد البقرة حنيذ مشوي في حفرة من الارض بالحجارة المحماة وهو من فعل اهل البادية معروف ومعناه

محنوذ كطبيخ بمعنى مطبوخ وقيل الحنيذ الذي يقطر دسما كقوله بعجل سمين يقال حنذت الفرس اذا القيت عليها الجل حتى يقطر عرقا فلما رأى

ايديهم لا تصل اليه الى العجل او الطعام نكرهم اي انكرهم واستنكر فعلهم واوجس اضمر منهم خيفة لانه ما كان يعرف انهم ملئكة وكان من عادة

العرب انه اذا نزل بهم الضيف ولم يتناول طعامهم توقعوا منه المكروه والشر وقيل انه كان ينزل في طرف من الارض بعيد عن الناس فلما امتنعوا

من الاكل خاف ان يريدوا به شرا وقيل انه كان يعرف انهم ملئكة الله لقولهم لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط لم يقولوا لا تخف انا ملئكة بل ذكروا

سبب الارسال وهو اهلاك قوم لوط وعلى هذا فانما خاف ان يكون نزولهم لامر انكره الله او لتعذيب قومه والاحتمال الاول وهو انه كان لا يعرف

انهم ملائكة اقرب بدليل احضاره الطعام واستدلاله بترك اكلهم على توقع الشر منهم وانما ذكروا سبب الارسال ايجازا واختصارا لدلالته الارسال

على كونهم رسلا لا اضيافا وانما اتوه على صورة الاضياف لتكونوا على صفة يحبها لانه كان مشعوفا بالضيافة ثم عرف الملئكة خوفه قيل بالتغير في

وجهه او بتعريف الله او علم ان علمه بانهم ملئكة موجب للخوف لانهم كانوا لا ينزلون الا بعذاب وامرأته وهي سارة بنت هاران بن ناحور وابنة عم ابرهيم

قائمة وراء الستر تسمع تحاورهم او كانت قائمة على رؤسهم تخدمهم وهم قعود فضحكت قال العلماء لابد للضحك من سبب فقيل سببه السرور بزوال الخيفة

وقيل بهلاك اهل الخبائث وعن السدي ان ابرهيم قال لهم الا تأكلون قالوا انا لا نأكل طعاما الا بالثمن فقال ثمنه ان تذكروا اسم الله على اوله

وتحمدوه في آخره فقال جبرئيل لميكائيل حق لمثل هذا الرجل ان يتخذه ربه خليلا فضحكت امرأته فرحا بهذا الكلام وقيل كانت تقول لابرهيم اضمم لوطا

ابن اخيك اليك فاني اعلم انه ينزل بهؤلاء القوم عذاب ففرحت بموافقة قولهم لقولها فضحكت وقيل طلب ابرهيم عليه السلام منهم معجزة دالة على انهم من الملئكة

فدعوا ربهم باحياء العجل المشوي فطفر ذلك العجل المشوي الى مرعاه فضحكت سارة من طفرته وقيل ضحكت تعجبا من قوم اتاهم العذاب وهم غافلون و

قيل تعجبت من خوف ابرهيم مع كثرة خدمه وحشمه من ثلثة انفس وقيل في الكلام تقديم وتأخير اي فبشرناها باسحق فضحكت سرورا وعن مجاهد و

هود

وعكرمة ضحكت اي حاضت ومنه ضحكت الطلعة اذا انشقت يعني استعدت للعلوق الولد من قرأ يعقوب بالرفع فعلى الابتداء والخبر محذوف

اي يعقوب مولود او موجود من بعد اسحق ومن قرأ بالنصب فعلى العبارة المتروكة كانه قيل فبشرناها باسحق ومن بعد اسحق يعقوب قول من احتمل ان يكون

يعقوب مجرورا بالعبارة الموجودة اي وبشرناها بيعقوب من بعد اسحق وقيل الولد ولد الولد ووجهان يراد بيعقوب ولده كما يقال هاشم ويراد

اولاده يا ويلتى كلمة تلهف وتحسر قد تستعمل في التعجب اي في يا ويلتى اعجبي وشيخا نصب على الحال والعامل فيه ما في هذا من معنى ابنه واشير تعجبا يعني ان

تولد ولد من هرمين لشيء عجيب عادة فازال الملائكة تعجبها منكرين عليها بقولهم على سبيل الاستيناف رحمة الله وبركاته عليكم يا اهل بيت خليل

الرحمن والمقصود ان رحمته عليكم متكاثرة وبركاته فيكم متواترة وخوارق العادات في اهل بيت النبوة غير عجيب ويحتمل ان يكون انتصاب اهل البيت على الاختصاص

وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابرهيم ثم اكدوا ازالة التعجب بقولهم انه حميد محمود في افعاله

مجيد ذو الكرم الكامل فلا يليق به منع الطالب عن مطلوبه فلما ذهب عن ابرهيم الروع الخوف الذي حصل حين نكر اضيافه وجاءته البشرى البشارة

بحصول الولد يجادلنا في قوم لوط في معناهم وفي شأنهم وهو جواب لما على حكاية الحال او لان لما ترد المضارع الى الماضي عكس ان ويحتمل ان يكون جواب

لما محذوفا عليه يجادلنا اي اجترأ على خطابنا او قال كذا ثم ابتداء فقال يجادلنا وقيل معناه اخذ يجادلنا ولا بد من حذف مضاف اي يجادل

رسلنا الا بمعنى يخالف امر الله فان ذلك لا يكون معصية بل سعيا في تأخير العذاب نتيجة رجاء ايمانهم وتوبتهم يروى انهم قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية

فقال ابرايتم لو كان فيها خمسون من المؤمنين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال فان كان فيها رجل واحد مسلم

اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله قال الاصوليون ان ابرهيم كان يقول ان امر الله

ورد بايصال العذاب ومطلق الامر لا يوجب الفور والملائكة يدعون الفور اما للقرائن او لان مطلق الامر يستدعي ذلك فهذه هي المجادلة او لعل

ابرهيم كان يدعي ان الامر مشروط بشرط لم يحصل بعد وهم لا يسلمون وبالجملة فان العلماء يجادل بعضهم بعضا عند التمسك بالنصوص وليس يوجب القدح

في واحد منهم فكذلك ههنا ولذلك مدحه بقوله ان ابرهيم لحليم غير عجول في الامور اواه كثير التأوه من الذنوب منيب راجع الى الله في كل ما يسنح

له وهذه الصفات تدل على رقة القلب والشفقة على خلق الله حتى حملته على المجادلة فيهم رجاء ان يرفع العذاب عنهم ولما عرفت الملائكة ان العذاب قد

حق عليهم قالوا يا ابرهيم اعرض عن هذا الجدال انه قد جاء امر ربك باهلاكهم وانهم آتيهم لاحق بهم عذاب غير مردود فلا راد لقضائه فلا ينفع فيهم

جدال ولا دعاء ولما جاءت رسلنا المذكورون لوطا سيء بهم اصله سويء لانه من ساءه يسوءه نقيض سره يسره نقلت الكسرة الى الفاء وابدلت

العين ياء ومن قرأ سيء بابدال العين ياء مكسورة فلكراهة اجتماع الواو والهمزة وضاق بهم ذرعا قال الازهري الذرع يوضع موضع الطاقة واصله

ان البعير يذرع بيده في سيره على قدر سعة خطوه فاذا حمل عليه اكثر من طاقته ضاق ذرعه عن ذلك فجعل ضيق الذرع عبارة عن قلة الوسع

والطاقة وربما قالوا ضقت بالامر ذرعا وقال هذا يوم عصيب اي شديد من العصب الشديد كانه ربط او شد لما فيه من الامور من ابن

عباس انطلقوا من عند ابرهيم الى لوط وبين القريتين اربعة فراسخ ودخلوا عليه على صورة شباب مرد من بني آدم في غاية الحسن لم يعرف لوط انهم ملئكة

الله فساءه مجيئهم واغتم لذلك لانه خاف عليهم خبث قومه وان يعجز عن مقاومتهم وقيل سبب المساءة انه لم يكن قادرا على القيام بحق ضيافتهم لانه

ما كان يجد ما ينفق عليهم وقيل السبب ان قومه منعوه عن ادخال الضيف داره وقيل عرف انهم ملائكة جاؤا لاهلاك قومه فرق قلبه على قومه والصحيح

هو الاول يروى انه تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه

القرية قالوا وما امرهم قال اشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا يقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امرأته

فاخبرت بهم قومها فذلك قوله وجاءه قومه يهرعون اليه قال ابو عبيدة يستحثون اليه كانه يحث بعضهم بعضا وقال الجوهري الاهراع الاسراع

اهرع الرجل على ما لم يسم فاعله فهو مهرع اذا كان يرعد من حمى او غضب او فزع وقيل انما لم يسم فاعله للعلم به والمعنى اهرعهم خوفه او حرصه ثم

بين ان اسراعهم انما كان لاجل العمل الخبيث فقال ومن قبل كانوا يعملون السيئات الفواحش ضروا عليها فلذلك جاؤا مجاهرين لا يكفهم حياء

وقيل معناه وكان لوط قد عرف عادتهم في ذلك العمل قبل ذلك فاراد ان يقي اضيافه ببناته فقال هؤلاء بناتي عن قتادة بناته من صلبه وعن مجاهد

وسعيد بن جبير اراد نساء امته لان النبي كالاب لامته واختير هذا القول لان عرض البنات الحقيقيات على الفجار لا يليق بذوي المروات ولان اللواتي

من صلبه لا يكفي للجمع العظيم ولما روي انه لم يكن له الا ابنتان واقل الجمع ثلثة والقائلون بالقول الاول قالوا انما دعاهم الى التزوج بهن بعد الايمان

او مع الكفر فلعل تزويج المسلمات من الكفار كان جائزا كما في اول الاسلام زوج رسول الله صلعم ابنتيه من عتبة بن ابي لهب وابي العاص بن الربيع بن عبد

العزى وهما كافران فنسخ بقوله ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه وقيل ان بناته كن

اكثر من ثنتين ويجوز ان يكون قد عرض البنات عليهم لا بطريق الجد بل طمعا منهم ان يستحيوا منه ويزولوا واظهر بمعنى اطل لانه لا طهارة في نكاح

الرجال فاتقوا الله بايثارهن عليهم ولا تخزون ولا تفضحوني من الخزي او لا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء في ضيفي في حق اضيافي فان خزي الضيف والجار يورث

للمضيف العار والشنار والضيف يستوي فيه الواحد والجمع ويجوز ان يكون مصدرا اليس منكم رجل رشيد صالح او مصلح مرشد يمنع او يمنع عن مثل

هذا العمل القبيح قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق من شهوة ولا حاجة لان من احتاج الى شيء فكانه حصل له فيه نوع حق ولذلك قالوا وانك

الاول قالوا اما

لتعلم ما نريد ويجوز ان يراد انهن ليس لنا بازواج فلا حق لنا فيهن من حيث الشرع ومن حيث الطبع او يراد انك دعوتنا الى نكاحهن بشرط الايمان ونحن لا
نؤمن البتة فلا يتصور لنا حق فيهن قال لوط لو ان لي بكم قوة وجوابه محذوف اى لفعلت بكم وصنعت وبالغت في دفعكم قال اهل المعاني حذف الجواب ابلغ
لان الوهم يذهب الى انواع كثيرة من الدفع والمنع والمراد لو ان لي ما اتقوى به عليكم فسمى موجب القوة بالقوة ويحتمل ان يريد بالقوة القدرة والطاقة او آوي
انضم الى ركن شديد حام منيع شبهه بالركن من الجبل في شدته وقوله او آوي عطف على الفعل المقدر بعد لو والحاصل انه تمنى دفعهم بنفسه او بمعاونة غيره
قال ذلك من شدة القلق والحيرة في الامر النازل به ولهذا قالت الملائكة وقد وقف عليه وجدت له ان ركنك لشديد وقال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان
ياوي الى ركن شديد فما بعث نبي بعد ذلك الا في ثروة من قومه ويحتمل ان يريد بالركن الشديد حصنا يتحصن به فيامن من شرهم ويحتمل انه لما شاهد
سفاهة القوم واقدامهم على سوء الادب تمنى حصول قوة قوية على الدفع ثم استدرك وقال بل الاولى الاوى الى ركن شديد وهو الاعتصام بعناية الله روي
انه اغلق بابه لما جاؤا فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما لقي لوط من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك وهذه جملة موضحة للتي قبلها لانهم اذا
كانوا رسل الله لم يصل الاعداء اليه ولن يقدروا على ضرره فامر الملائكة ان يفتح الباب فدخلوا فاستاذن جبرئيل ربه في عقوبتهم فاذن له فضرب بجناحه
وجوههم فطمس اعينهم واعماهم كما قال سبحانه ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون ان في بيت لوط
سحرة ثم بين نزول العذاب ووجه خلاص لوط واهله فقال فاسر باهلك الباء للتعدية ان كانت الهمزة للوصل من سرى او زائدة ان كانت للقطع من الاسراء
بقطع من الليل عن ابن عباس اي في آخر الليل بسحر وقال قتادة بعد طائفة من الليل وقيل نصف الليل كانه قطع بنصفين ولا يلتفت منكم احد اي لا ينظر
الى ما وراءه الا امراتك اكثر القراء على النصب فاعترض بان الفصيح في مثله هو البدل لان الكلام غير موجب فكيف اجتمع القراء على غير فصيح فاجاب
جار الله بان الرفع بدل من احد على القياس والنصب مستثنى من قوله فاسر لا من قوله لا يلتفت وزيف بان الاستثناء من اسر يقتضي كونها غير مسرى بها و
الاستثناء من لا يلتفت احد يقتضي كونها مسرى بها لان الالتفات بعد الاسراء فيكون مسرى بها غير مسرى بها ويمكن ان يجاب بان اسر وان كان مطلقا في اللفظ
الا انه في المعنى مقيد بعدم الالتفات اذ المراد اسر باهلك اسراء لا التفات فيه الا امراتك فانك تسري بها اسراء مع الالتفات فاستثن على هذا ان شئت
من لا يلتفت ولا تناقض وبعضهم كابن الحاجب جعل الا امراتك في كلتا القراءتين مستثنى من لا يلتفت ولم يستبعد اجماع القراء على قراءة غير الاقوى ويمكن ان يقال
انما اجتمعوا على النصب ليكون استثناء من اسر اذ لو جعل استثناء من لا يلتفت لزم ان تكون مامورة بالالتفات لان القائل اذا قال لا يقم منكم الا
زيد كان ذلك امرا لزيد بالقيام اللهم الا ان يجعل الاستثناء منقطعا على معنى ولا يلتفت منكم احد لكن امراتك تلتفت انه مصيبها ما اصابهم وان
كان هذا الاستثناء منقطعا كان التفاتها موجبة للمعصية قاله في الكشاف وروي انه امر ان يخلفها مع قومها فلم يسر بها واختلاف القراءتين لاختلاف
الروايتين يجب اجتماعهما على الصحة لتواتر القراءات كلها وروي انها لما سمعت هدة العذاب اي صوتها التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها و
قيل المراد بعدم الالتفات قطع تعلق القلب عن الاصدقاء والاموال والامتعة فعلى هذا صح الاستثناء آمن من غير شائبة التناقض كانه امر
لوطا ان يخرج بقومه ويترك هذه المراة فانها هالكة من الهالكين ثم امر ان يقطعوا العلائق واخبر ان امراته تبقى متعلقة القلب بها يروى انه قال لهم
متى موعد هلاكهم فقيل له ان موعدهم الصبح فقال اريد اسرع من ذلك فقالوا اليس الصبح بقريب فلما جاء امرنا باهلاكهم جعلنا اي جعل
رسلنا عاليها سافلها روي ان جبرئيل ادخل جناحه الواحد تحت مدائن قوم لوط وقلعها وصعد بها الى السماء حتى سمع اهل السماء نهيق الحمير ونباح الكلاب وصياح
الديوك لم يتبدد لهم طعام ولم يتكسر لهم اناء ثم قلبها دفعة وضرب بها على الارض ثم امطر عليها حجارة من سجيل وهو معرب سنك كل كانه مركب من حجر وطين
وهو في غاية الصلابة وقيل سجيل اي مثل السجل وهي الدلو لعظمه او مثلها في تضمن الاحكام الكثيرة وقيل اي مرسلة عليهم من اسجلته اذا ارسلته وقيل
اي مما كتب الله ان يعذب به او كتب عليه اسماء المعذبين من السجل وقد سجل لفلان وقيل من سجين اي من جهنم فابدلت النون لاما وقيل انه اسم
سماء الدنيا ومعنى منضود موضوع بعضها فوق بعض في النزول ياتي على سبيل المتابعة والتلاصق او نضد في السماء نضدا معدا لاهلاك الظلمة وفي السماء
معادنها في جبال مخصوصة كقوله من جبال فيها من برد مسومة معلمة للعذاب او ببياض وحمرة عن الحسن والسدي عليها امثال الخواتيم وقال ابن جريج كان عليها
سيما لا تشاكل حجارة الارض وقال الربيع مكتوب على كل حجر اسم من يرمى به وقال ابو صالح رايت منها عند ام هاني حجارة فيها خطوط حمر على هيئة الجزع
ومعنى عند ربك اي في خزائنه لا يتصرف في شيء منها الا هو او مقرر في علمه اهلاك من اهلك بكل واحد منها وما هي اي تلك الحجارة من الظالمين
اي من كل ظالم ببعيد وهو وعيد لاهل مكة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سأل جبرئيل عن هذا فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم الا وهو بصدد سقوط الحجر
عليه ساعة فساعة وقيل اي تلك القرى وليست ببعيدة من ظالمي اهل مكة يمرون بها في مسافرهم الى الشام وقيل المراد انها وان كانت في السماء الا انها اذا هوى
منها فهي اسرع شيء لحوقا بالمشركين فكانها بمكان قريب والله تعالى اعلم بمراده والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله ع
غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان اني اريكم بخير واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا
الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين بقيت الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما انا عليكم بحفيظ قالوا يا شعيب اصلوتك تامرك
ان نترك ما يعبد اباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء انك لانت الحليم الرشيد قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني
منه رزقا حسنا وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب

ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد واستغفروا ربكم ثم
توبوا اليه ان ربي رحيم ودود قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وانا لنريك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما انت
علينا بعزيز قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ان ربي بما تعملون محيط ويا قوم اعملوا على مكانتكم
اني عامل سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا اني معكم رقيب ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا
ع معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود ولقد
ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون وما امر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم
النار وبئس الورد المورود واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيمة بئس الرفد المرفود ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد
وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم فما اغنت عنهم الهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك وما زادوهم غير تتبيب وكذلك
اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد القراءات بالفتح اراكم بالامالة ابو جعفر ونافع وابو عمرو والبزي وكذلك
روى عن اهل مكة اني اخاف شقاقي ان بفتح الياء فيهما ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وصلواتك كما مر في سورة التوبة في قوله ان صلوتك سكن توفيقي
بالفتح ابو عمرو وابن عامر وابو جعفر ونافع ارهطي بالفتح ابو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وابو عمرو وبعدت ثمود بالاظهار ابن كثير وابو جعفر ونافع وخلف و
يعقوب وعاصم غير الاعشى الوقوف شعيبا ط غيره ط محيط ه مفسدين ه مؤمنين ج للابتداء بالنفي مع الواو بحفيظ ه ما نشاء ط الرشيد ه حسنا ط عنه ط ما استطعت ط
الا بالله ط انيب ه نصف الحزب وصالح ط ببعيد ط اليه ط ودود ه ضعيفا ج لان لو طا للابتداء مع الواو لرجمناك ز لحق النفي وكون الواو للحال اوجه بعزيز ه الله ط للفصل
بين الاستخبار والاخبار واتحاد المقصود وجه للوصل ظهريا ط محيط ه عامل ط تعلمون لا كاذب ط للفصل بين الخبر والطلب رقيب ه منا ج فيها ط ثمود ه مبين لتعلق
الجار فرعون ج للنفي مع الواو للعطف او للحال برشيد ه النار ط المورود ه القيمة ط المرفود ه وحصيد ه امر ربك ط تتبيب ه ظالمة ط شديد ه التفسير نقص المكيال يشتمل معنيين
بان ينقص في الايفاء من القدر الواجب ويزيد في الاستيفاء على القدر الواجب فيلزم في كلا الحالين نقصان حق الغير ثم علل النهي بقوله اني اريكم بخير اي بثروة وسعة
تغنيكم عن التطفيف او بنعمة من الله حقها ان تشكر لتزداد لا ان تكفر فتزال واني اخاف عليكم عن ابن عباس انه فسر الخوف بالعلم وقال الاخرون انه الظن الغالب لانه
كان يجوز ان يرجعوا عن جهالتهم وانهماكهم وعذاب يوم محيط المهلك المستاصل كانه احاط بهم بحيث لا ينفلت منهم احد وزيادة اليوم لاجل المبالغة والاسناد المجازي
باعتبار ما هو واقع فيه واشتمل عليه ذلك اليوم قيل هو عذاب الاستيصال في الدنيا وقيل عذاب الاخرة والاظهر العموم قوله اوفوا المكيال الى قوله اشياءهم قد
مر تفسير مثله في الاعراف وقوله ولا تعثوا في الارض مفسدين مضى تفسيره في اوائل البقرة بقي في الاية سؤال وهو انه سبحانه نهى اولا عن النقص ثم
امر بالايفاء فهل فيه فائدة سوى التاكيد والتقرير والجواب بعد تسليم ان النهي عن الشيء امر بضده هو ان النهي عن النقص في المبايعة وان كان يفيد تصريحه
تعييرا وتوبيخا لكنه يوهم النهي عن اصل المبايعة فلدفع هذا الخيال امر بايفاء الكيل فعلم بل اصل المبايعة مع التصريح بالنقص مستحسن في العقول لزيادة
الترغيب فيه ثم فائدة اخرى من قبل تقييد الايفاء بالقسط ليعلم ان ما جاوز العدل ليس بواجب بل هو فضل ومروة لا ينقص عنه حد وانما الواجب
شيء من الايفاء بقدر ما يخرج عن العهدة بيقين كما ان غسل الوجه لا يحصل باليقين الا عند غسل شيء من لوازمه بقيت الله قيل ثواب الله وقيل طاعته
ورضاه كقوله والباقيات الصالحات خير وقيل اي ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم خير لكم بشرط ان تؤمنوا لان شيئا من الاعمال
لا ينفع مع الكفر وان كنتم مصدقين لي فيما انصح لكم ولا ريب ان الامانة تجر الرزق لاعتماد الناس واقبالهم عليه فينفتح له ابواب المكاسب والخيانة تجر
الفقر لتنفر الناس عنه وعن معاملته وصحبته قالت المعتزلة في اضافة البقية الى الله دليل على ان الحرام لا يسمى رزق الله وقرئ تقية الله بالتاء الفوقانية
اي تقواه الصارفة عن المعاصي والقبائح وما انا عليكم بحفيظ احفظ اعمالكم لاجازيكم انما انا مبلغ ناصح وقد اعذر من انذر قوله اصلوتك قيل اي دينك
وايمانك لان الصلوة عماد الدين فعبر عن الشيء باسم معظم اركانه وقيل المراد الاتباع لانه اصل الصلوة ومنه المصلي للذي يتلو السابق والمعنى دينك
اي اتباعه يامرك بذلك والاظهر ان المراد بها الاعمال المخصوصة روي ان شعيبا عليه السلام كان كثير الصلوة فكان قومه اذا راوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا
بقولهم اصلوتك تامرك السخرية والهزؤ فكان الصلوة التي يداوم عليها ليلا ونهارا هي من باب الجنون والوساوس ومعنى تامرك بتكليف ان نترك على حذف
المضاف لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره وقوله ان نفعل معطوف على ما في ما يعبد اي تامرك صلوتك بترك ما يعبد اباؤنا وبترك ان نفعل في اموالنا ما نشاء
روي انه كان ينهاهم عن قطع اطراف الدراهم كما كان يامرهم بترك التطفيف والاقتناع بالحلال القليل من الحرام الكثير انك لانت الحليم الرشيد قيل
انه مجاز والمراد نسبته الى غاية السفاهة والغواية فعكسوا تهكما به وقيل حقيقة وانه كان معروفا فيما بينهم بالحلم والرشد فكانهم قالوا له انك المعروف بهذه
السيرة فكيف تنهانا عن دين الفناه وسيرة تعودناها ثم اشار عليه السلام الى ما اتاه الله من العلم والهداية والنبوة والكرامة والرزق الحلال الحاصل من غير بخس وتطفيف
وجواب الشرط محذوف اكتفي عنه بما ذكر في قصتي نوح وصالح والمعنى ارايتم ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربي وقد اتاني بعد هذه السعادات الروحانية
السعادات الدنيوية من الخيرات والمنافع الجليلة هل يسعني مع هذه الكرامات ان اخون في وحيه ولا امركم بترك الشرك وبفعل الطاعة والانبياء لا يبعثون
الا لذلك وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت مول عنه فالمعنى لا اجعل فعلي مخالفا لقولي فلا اسبقكم
الى شهواتكم التي نهيتكم عنها ان اريد الا الاصلاح الا ان اصلحكم بالموعظة والنصيحة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ما استطعت ما المدة ظرف الاصلاح

اى مدة استطاعتى لاصلاحكم وابدل من الاصلاح اى المقدار الذى استطعته منه او المضاف محذوف اى الا الاصلاح اصلاح ما استطعت او مفعولا للاصلاح فقد يعمل المصدر المعرف كقوله ضعيف النكاية اعداءه اى الا ان اصلح ما استطعت صلاحه من فاسدكم ثم بين ان كل ما ياتى ويذر فوقوعه بتسهيل الله وتاييده فقال وما توفيقى الا بالله والتوفيق ان يوافق ارادة العبد ارادة الله تعالى عليه توكلت اخصه بتفويض الامور اليه لانه مبدأ المبادى واليه انيب لانه المعاد الحقيقى وفى ضمنه تهديد للكفار وحسم لاطماعهم منه ثم اوعدهم بقوله لا يجرمنكم شقاقى لا يكسبنكم خلافى ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح من الغرق او قوم صالح من الصيحة وما قوم لوط منكم ببعيد لم يقل ببعيدة حملا على لفظ القوم لانه مؤنث ولا ببعيدين حملا على معناه ولكنه على تقدير مضاف اى وما اهلاكهم ببعيد لانهم اهلكوا فى عهد قريب من عهدهم او المراد وما هم بشئ بعيد او بزمان او مكان بعيد وجوزوا ان يستوى فى بعيد وقريب وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التى هى الصهيل والنهيق ونحوهما ان ربى رحيم ودود يجوز ان يكون بمعنى فاعل او مفعول كقوله يحبهم ويحبونه وهذا حث لهم على الاستغفار والتوبة وتنبيه على ان سبق الكفر والمعصية لا ينبغى ان يمنعهم عن الايمان والطاعة ولما بالغ خطيب الانبياء فى التقرير والبيان قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول اما لقلة الاعتبار او تهكما واستهانة كما يقول الرجل لصاحبه اذا لم يعبأ بحديثه ما ادرى ما تقول كانهم جعلوا كلامه تخليطا وهذيانا لا ينفعهم كثير منه وقيل لانه كان الثغ وانا لنريك فينا ضعيفا عن الحسن مهينا اى لا عزة لك فينا بيننا ولا قوة فلا تقدر على الامتناع منا ان اردنا بك مكروها وفسر بعضهم الضعيف بالاعمى لان العمى سبب الضعف او لانه لغة حمير وزيف هذا القول اما عند من جوز العمى على الانبياء فلان لفظة فينا يأباه لان الاعمى فيهم وفى غيرهم واما عند من لا يجوزه كبعض المعتزلة فلان الاعمى لا يمكنه الاحتراز من النجاسات وانه يخل بجواز كونه حاكما وشاهدا فلان يمنع من النبوة كان اولى ثم ذكروا انهم انما لم يوقعوا به المكروه ولم يوقعوا به الشر لاجل رهطه والرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة والرجم شر القتل وهو الرمى بالحجارة او المراد الطرد والابعاد ومنه الشيطان الرجيم ثم اكدوا المذكور بقولهم وما انت علينا بعزيز وانما العزيز علينا رهطك لا خوفا من شوكتهم ولكن لانهم منا هل بيننا فى الكلام واقع فى فاعل العز لا فى الفعل وهو العز ولذلك قال فى جوابهم ارهطى اعز عليكم من الله ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب انما لم يقل اعز عليكم منى ايذانا بان التهاون بنبى الله كالتهاون بالله كقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله واتخذتموه امر الله او ما جئت به وراءكم ظهريا منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب اى جعلتموه كالشئ المنبوذ وراء الظهر غير ملتفت اليه ثم وصف نعم بما يتضمن الوعيد فحصهم فقال ان ربى بما تعملون محيط ثم زاد فى الوعيد والتهديد بقوله اعملوا على مكانتكم وقد مر تفسير مثله فى الانعام قال فى الكشاف الاستيناف بقوله سوف تعلمون وصل خفى تقديرى اى افصح من الوصل بالفاء وهو باب من ابواب علم البيان تتكاثر محاسنه ثم بالغ فى التهديد بقوله وارتقبوا انتظروا عاقبة الشقاق انى معكم رقيب راقب كالضريب بمعنى الضارب او مراقب كالعشير والنديم او مرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع وباقى القصة على قياس قصة صالح واخذ الصيحة واخذت الصيحة كلتا العبارتين فصيحة لمكان الفاصل الا انه ملجأ فى قصة شعيب مرة الرجفة ومرة الظلة ومرة الصيحة ازداد التأنيث حسنا بخلاف قصة صالح وانما دعا عليهم بقوله كما بعدت ثمود لما روى الكلبى عن ابن عباس قال لم يعذب الله امتين بعذاب واحد الا قوم شعيب وقوم صالح فاما قوم صالح فاخذتهم الصيحة من تحتهم واما قوم شعيب فاخذتهم من فوقهم قوله سبحانه باياتنا وسلطان مبين قال فى التفسير الكبير الايات اسم للقدر المشترك بين العلامات المفيدة للظن وبين الدلائل التى تفيد اليقين والسلطان اسم لما يفيد القطع ان لم يؤكد بالحق والسلطان المبين مخصوص بالدليل القاطع الذى يعضده الحس وقال فى الكشاف يجوز ان يراد ان الايات فيها سلطان مبين لموسى على صدق نبوته وان يراد بالسلطان المبين العصا لانها ابهرها وقوله الى فرعون متعلق بارسلنا فاتبعوا امر فرعون اى شأنه وطريقته او امره اياهم بالكفر والجحود وتكذيب موسى وما امر فرعون برشيد اى ليس فى امره رشد انما هو غى وضلال وفيه تعريض بان الرشد والحق فى امر موسى ثم ان قومه عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس فى امره رشد قط فلا جرم كما كان فرعون قدوة لهم فى الضلال فكذلك يقدمهم اى يتقدمهم يوم القيامة الى النار وهم على اثره ويجوز ان يراد بالرشد الاحماد وحسن العاقبة فيكون المعنى وما امر فرعون بحميد العاقبة ثم فسره بانه يقدم قومه اى كيف يرشد امر من هذه عاقبته ويقدم قدمه بالتخفيف والتشديد بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش ومثله اقدم ومنه مقدم العين انما قال فاوردهم بلفظ الماضى تحقيقا للوقوع والورد المورد الموجود الذى ورد شبه فرعون بمن يتقدم الواردة الى الماء وشبه اتباعه بالواردة ثم نعى عليهم بقوله وبئس الورد المورود الذى يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار ضده وتذكير بئس لتذكير الورود وان كان هو عبارة عن النار كقولك نعم المنزل دارك ولو قلت نعمت جاز نظرا الى الدار وفى تشبيه النار بالماء نوع تهكم بهم واتبعوا فى هذه حذف صفته فى هذه الاية اكتفاء بما فى قصة عاد وبئس الرفد المرفود اى بئس العطاء المعطى ذلك وقيل الرفد العون والمرفود المعان وذلك ان اللعنة فى الدنيا رفدت اى اعينت وامدت باللعنة فى الاخرة قال قتادة ترادفت عليهم لعنتان لعنة من الله والملائكة والمؤمنين فى الدنيا ولعنة فى الاخرة ذلك الذى ذكرنا او ذلك النبأ بعض انباء القرى المهلكة نقصه عليك خبر بعد خبر ثم استأنف فقال منها قائم وحصيد اى ومنها حصيد والمراد بعضها باق كالزرع القائم على ساقه وبعضها عافى الاثر كالزرع المحصود وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما به اهلكوا عن ابن عباس وما نقصناهم فى الدنيا من النعيم والرزق ولكن نقصوا حظ انفسهم حيث استخفوا بحقوق الله فما اغنت فما قدرت ان تردعنهم الهتهم التى يدعون يعبدون وهى حكاية حال ماضية بأس الله حين جاء وما زادوهم يعنى الهتهم غير تتبيب تخسير تب

خس

هود

خسر وتتبيب غيره وتعرض للخسران كانوا يعتقدون فى الاصنام انها معين فى الدنيا على تحصيل المنافع ودفع المضار وستشفع لهم عند الله فى الاخرة فلم ينفعهم فى الدنيا حين جاءهم عذاب الله سهو وشهرهم ذلك الاعتقاد عذاب النار فى الاخرة فهم فى خسران الدارين ثم بين ان عذابه غير مقصور على اولئك الاقوام ولكنه يعم كل ظالم سيوجد فقال وكذلك اى ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك فالاخذ مبتدأ وكذلك خبره وقوله وهى ظالمة حال من القرى لانها اعتبار اهلها ان اخذه اليم شديد وجيع صعب على المأخوذ وهو تحذير من وخامة عاقبة كل ظلم على الغير او على النفس فعلى العاقل ان يبادر الى التوبة ولا يغتر بالامهال التأويل ولا تنقصوا المكيال المحبة وميزان الطلب فمكيال المحبة عدوه ما سوى الله وميزان الطلب لسير على جادة الشريعة والطريقة انى اراكم بخير هو حسن الاستعداد الفطرى وانى اخاف عذاب نسيان الاستعداد فى طلب غير الحق بالقسط فى تعظيم امر الله والشفقة على خلق الله ولا تبخسوا الناس اشياءهم حقوق النصيحة وحسن العشرة فى الله ولله ولا تعثوا فى الارض وجودكم مفسدين بقية الله يعنى بقاؤكم ببقائه خير لكم مما فاتكم بابقاء المكيال والميزان رزقنا حسنا نورا تاما اطمئن بما صلاح الامور والاستعداد ان ساعدنى التوفيق وما معاملة قوم لوط من معاملتكم ببعيد لان الكفر كله ملة واحدة وما امر فرعون برشيد لان فرعون النفس امارة بالسوء اذا اخذ القرى قرى الاجساد منها قائم قابل للتدارك ما فات ومنها ما هو حصيد بفوات الاستعداد والله اعلم بالصواب ان فى ذلك لاية لمن خاف عذاب الاخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره الا لاجل معدود يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقى وسعيد فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد واما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ فلا تك فى مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم وانهم لفى شك منه مريب وان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم انه بما تعملون خبير فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من اولياء ثم لا تنصرون واقم الصلوة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد فى الارض الا قليلا ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون وانتظروا انا منتظرون ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون القراءات وما نؤخره بالياء يعقوب المفضل الباقون بالنون يوم يأتى باثبات الياء فى الحالين ابن كثير وسهل ويعقوب وافق ابو جعفر ونافع وابو عمرو وعلى فى الوصل الاخرون بحذف الياء لا تكلم بتشديد التاء البزى وابن فليح سعدوا بضم السين حمزة وعلى وخلف وحفص قيل انه على حذف الهمزة من اسعده لان سعد لازم ولكنه قد جاء المسعود الاخرون بفتحها وان كلا بالتخفيف ابن كثير ونافع وابو بكر وحماد الباقون بالتشديد لما مشددا ابن عامر وعاصم ويزيد وحمزة وكذلك فى الطارق الباقون بالتخفيف وزلفا بضمتين يزيد الاخرون بفتح اللام فؤادك وبابه بغير همز الاصبهانى عن ورش وحمزة فى الوقف يرجع مجهولا نافع وحفص والمفضل تعملون خطابا وكذلك فى اخر النمل ابو جعفر ونافع وابن عامر ويعقوب وحفص الباقون على الغيبة الوقوف الاخرة ط مشهود ه معدود ه باذنه ج شاء ربك ط لان التقدير يعطون عطاء مجذوذ ه هؤلاء ط من قبل ط منقوص ه فاختلف فيه ط بينهم ط مريب ه اعمالهم ط خبير ه ولا تطغوا ط بصير ه النار لان ما بعده من تمام جزاء ولا تركنوا ابصرون من الليل ط السيئات ط للذاكرين ج المحسنين ه منهم ج لان التقدير وقد اتبع مجرمين مصلحون مختلفين لا رحم ربك ط خلقهم ط اجمعين ه فؤادك ج اذ التقدير وقد جاءك للمؤمنين ه مكانتكم ط عاملون لا للعطف وانتظروا ج اى فانا منتظرون ه وتوكل عليه ط تعملون ه التفسير ان فى ذلك الذى قصصنا عليك من احوال الامم لاية لعبرة لمن خاف اى لمن هو اهل لان يخاف عذاب الاخرة كقوله هدى للمتقين لان انتفاعه يعود اليهم قال القفال فى تقرير هذا الاعتبار انه اذا علم ان هؤلاء عذبوا على ذنوبهم فى الدنيا وهى دار العمل فلان يعذبوا عليها فى الاخرة التى هى دار الجزاء اولى واعترض عليه فى التفسير الكبير بان ظاهر الاية يقتضى ان العلم بان القيامة حق كالشرط فى حصول الاعتبار بظهور عذاب الاستيصال فى الدنيا والقفال جعل الامر على العكس قال والاصوب عندى ان هذا تعريض لمن زعم ان اله العالم موجب بالذات لا فاعل مختار وان هذه الاحوال التى ظهرت فى ايام الانبياء مثل الغرق والخسف والصيحة انما حدثت بسبب قرانات الكواكب واذا كان كذلك فلا يكون حصولها دليلا على صدق الانبياء اما الذى يؤمن بالقيامة ويخاف عذابها فيقطع بان هذه الوقائع ليست بسبب الكواكب واتصالاتها فيستفيد منه مزيد الخشية والاعتبار اقول وهذا نظر عميق والاظهر ما ذكرت اولا ومثله فى القرآن كثير ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى ان فى ذلك لقوم يذكرون ثم لما كان لعذاب الاخرة دلالة تحقق يوم القيامة اشار اليه بقوله ذلك يوم مجموع اى يجمع لما فيه من الحساب والثواب والعقاب الناس واثر اسم المفعول على فعله لاجل افادة الثبات وان حشر الاولين والاخرين صفة له لازمة نظيره قول المتهدد انك لمنهوب مالك محروب قومك فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس فى الفعل وذلك يوم مشهود اى مشهود فيه الخلائق فاتسع فى الظرف باجرائه مجرى المفعول به والفرق بين هذا الوصف والاول ان هذا يدل على حضور الناس والوصف بهم فيسمع اطلاع البعض منهم على احوال الباقين من المحاسبة والمسائلة لتبين بحيث لا يعرف كل واحد الا واقعة نفسه والجمع المطلق لا يفيد هذا المعنى وانما

فسر اليوم بانه مشهود فيه لا انه مشهود في نفسه لان سائر الايام يشركه في كونها مشهودا فيه دون غيره كما تميز يوم الجمعة عن ايام الاسبوع بكونه مشهودا فيه
دونها وما نؤخره الا لانتهاء اجل معدود اي لانقضاء مدة معلومة عند الله ووقوع الجزاء بعدها وفيه فائدتان احديهما ان وقت القيمة متعين لا يتقدم ولا
يتأخر والثانية ان ذلك الاجل متناه وكل متناه فانه يفنى لا محالة وكل آت قريب ثم ذكر بعض اهوال ذلك اليوم فقال يوم يأت بحذف الياء والاكتفاء عنها
بالكسر كثير في لغة هذيل وفاعل يأتي قيل الله كقوله او يأتي ربك اي امره او حكمه دليله قراءة من قرأ وما يؤخره بالياء وقوله باذنه وقيل المراد الشيء المهيب
الهائل المستعظم فحذف ذكره بعينه ليكون ادخل في التخويف وقيل فاعله ضمير اليوم والمراد اتيان هوله وشدائده كيلا يصير اليوم ظرفا لاتيان اليوم وانتصاب
يوم بلا تكلم او باذكر مضمرا او بالانتهاء المقدر اي ينتهي الاجل يوم يأتي وتاء التانيث محذوفة من لا تكلم والايات الدالة على التكلم في ذلك اليوم مع الايات
الدالة على نفي التكلم كقوله تعالى يوم يأتي كل نفس تجادل عن نفسها وكقوله هذا يوم لا ينطقون محمولة على اختلاف المواطن والازمنة او نفي العذر الصحيح
المقبول واثبات العذر الباطل الكاذب ثم قسم اهل الموقف المجموعين للحساب او الافراد العامة التي دلت عليها نفس فقال فمنهم شقي وسعيد اي
ومنهم سعيد ولا خلاف في ان الشقاء والسعادة مقترنان بالعمل الفاسد والعمل الصالح ويترتب عليهما الجنة والنار في الاخرة وانما النزاع في ان العمل سبب للشقاء
مثلا كما هو مذهب المعتزلة او الشقاء سبب العمل كما هو مذهب اهل السنة فيختلف تفسير الشقاء بحسب المذهبين فهو عند المعتزلة الحكم بوجوب النار له
لاسائته وعند السني جريان القلم عليه في الازل بانه من اهل النار وانه يعمل عمل اهل النار والتحقيق في المسئلة قد مر مرارا قيل قد بقي ههنا قسم اخر
ليسوا من اهل النار ولا من اهل الجنة كالمجانين والاطفال فهم اصحاب الاعراف وتخصيص القسمين بالذكر لا يدل على نفي الثالث اما قوله في صفة
اهل النار لهم فيها زفير وشهيق ففيه وجوه قال الليث وكثير من الادباء الزفير استدخال الهواء الكثير لترويح الحرارة الحاصلة في القلب بسبب انحصار
الروح فيه وحينئذ ترتفع صدره وينتفخ جنباه والشهيق اخراج ذلك الهواء بجهد شديد من الطبيعة وكلتا الحالتين يدل على كرب شديد وغم عظيم
والحاصل انهم جعلوا الزفير بمنزلة ابتداء نهيق الحمار والشهيق بمنزلة اخره وقال الحسن ان لهب جهنم يرفعهم بقوته حتى اذا وصلوا الى اعلى دركات جهنم
وطمعوا في ان يخرجوا منها ضربتهم الملائكة بمقامع من حديد وبردتهم الى الدرك الاسفل من النار فارتفاعهم في النار هو الزفير وانحطاطهم
مرة اخرى هو الشهيق وقال ابو مسلم الزفير ما يجتمع في الصدر من النفس عند البكاء الشديد فينقطع النفس والشهيق هو الصوت الذي يظهر عند
اشتداد الكرب والحزن وربما يتبعها الغشية وربما يحصل عقيبه الموت وقال ابو العالية الزفير في الحلق والشهيق في الصدر وقيل الزفير الصوت الشديد
والشهيق الصوت الضعيف عن ابن عباس لهم فيها بكاء لا ينقطع وحزن لا يندفع وقال اهل التحقيق شبه ميلهم الى الدنيا ولذاتها بزفير وضعفهم عن الاستسعاد
بكمالات الروحانيات بشهيق ثم ان قوما ذهبوا الى ان عذاب الكفار منقطع وله نهاية واستدلوا على ذلك بالقران والحديث والمعقول اما القران فقوله سبحانه
خالدين فيها ما دامت السموات والارض اي مدة بقائهما الا ما شاء ربك وفيه استدلالان الاول ان مدة عقابهم مساوية لمدة بقاء السموات والارض
المتناهية بالاتفاق والثاني استثناء المشية ويؤكد هذا النص قوله لابثين فيها احقابا واما الحديث فما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ليأتين على
جهنم يوم تصفق فيه ابوابها ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا واما المعقول فهو ان العقاب ضرر خال عن النفع لا في حق الله تعالى ولا في حق
المكلف فيكون قبيحا وايضا الكفر جرم متناه ومقابلة الجرم المتناهي بعقاب لا نهاية له ظلم والجمهور من الامة على ان عذاب الكافر دائم واجابوا عن الاية بان المراد
سموات الاخرة وارضها المشار اليها بقوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات ولا بد لاهل الاخرة مما يظلهم ويقلهم فهما السماء والارض واذا علق حصول
العذاب للكافر بوجودهما لزم الدوام وايضا القران قد ورد على استعمالات العرب وانهم يعبرون عن الدوام والتابيد بقولهم ما دامت السموات و
الارض ونظيره قولهم ما اختلف الليل والنهار وما اقام ثبير وما لاح كوكب ويمكن ايضا ان يقال حاصل الاية يرجع الى شرطية هي قولنا ان دامت السموات والارض
دام عقابهم فاذا قلنا لكن السموات والارض دائمة لزم دوام عقابهم وهو المطلوب فان قلنا لكنهما لم تدوما فانه لا ينتج مطلوب الخصم لان استثناء نقيض المقدم لا ينتج
شيئا وبعبارة اخرى دلت الاية على انه كلما وجدت السموات والارض وجد عقابهم فلو قلنا لكنهما لم يوجدا لم يلزم منه ان لا يوجد عقابهم لان الاية لا تدل الا على حصول العقاب لهم
دهرا طويلا ومدة مديدة واما انه هل يكون له اخر ام لا فذلك انما يستفاد من دليل اخر كقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء واما الاستدلال
بالاستثناء فقد ذكر ابن قتيبة وابن الانباري والفراء ان هذا الاستثناء لا ينافي عدم المشية كقولك والله لاضربنك الا ان ارى غير ذلك وقد يكون عزمك
على ضربه البتة وتعلم انك لا ترى غير ذلك ورد بالفرق فان معنى الاية الحكم بخلودهم فيها الا المدة التي شاء الله فالمشية قد حصلت جزما ولقائل ان يقول
الماضي ههنا في معنى الاستقبال مثل ونادى اصحاب الاعراف وسيق الذين اتقوا وقيل الا بمعنى سوى اي سوى ما يتجاوز ذلك من الخلود الدائم
كانه ذكر في خلودهم ما ليس عند العرب اطول منه ثم زاد عليه الدوام الذي لا اخر له وقال الاصم غير الزمان الذي مكثهم في الدنيا او في البرزخ او في الموقف وقيل
الاستثناء يرجع الى قوله لهم زفير وشهيق كانهم يصيرون اخر الامر الى الخمود والجمود وقيل فائدة الاستثناء ان يعلم اخراج اهل التوحيد من النار والمراد الا
من شاء ربك وهذا التاويل مما يليق بقاعدة الاشاعرة واكده بقوله ان ربك فعال لما يريد فكانه تعالى يقول اظهرت القهر والقدرة والرحمة لاني
فعال لما اريد وليس لاحد على حكم البتة واما المعتزلة فكانهم لا يرضون بهذا ويقولون ان الاستثناء الثاني لا يساعد لحصول الاجماع على ان احدا من
اهل الجنة لا يدخل النار فالصواب ان يقال انه استثناء من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنة فان اهل النار ينقلون الى الزمهرير
والى غير ذلك مما لا يعلمه الا الله واهل الجنة ينقلون الى العرش او الى ما هو اعلى حالا من الجنة كقوله ورضوان من الله اكبر ثم قالوا انه ختم اية الوعيد

بقوله ان ربك فعال لما يريد واية الوعد بقوله عطاء غير مجذوذ رعاية للمطابقة كانه قال انه يفعل باهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي اهل
الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له والجذ القطع واما الجواب عن الحديث فقد قال في الكشاف ان صح فمعناه انهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير
فذلك خلو جهنم وصفق ابوابها واقول يحتمل ان يكون ذلك لالف بسبب عدم الاحساس بالعذاب بل يكون سبب الالتذاذ بالمالوف فيكون خلوها اشارة الى
هذا المعنى واما الجواب عن المعقول فهو ان الشر في قضاء الله ومبدأ من عالم التكليف لما كان غير متناه فعذاب البعد عنه ايضا يجب ان يكون غير متناه ونقول
لا نهاية لنوره فلا غاية لظلمة الغافل عنه والمنكر له او نقول اوضح الاشياء الوجود الواجب فاذا كان الشخص ذاهلا عنه كان مسلوب الاستعداد بالكلية فلا
يكون انسانا في الحقيقة فلا يتصور له عروج من عالم الطبيعة والعبارات في هذا المقام كثيرة والمعنى واحد يدركه من وفق له ولما فرغ من
اقاصيص عبدة الاصنام وبيان احوال الاشقياء والسعداء سلى رسول الله صلعم بشرح احوال الكفرة من قومه في ضمن نهيه عن الامتراء في سوء مغبتهم فقال
فلا تك حذف النون لكثرة الاستعمال في مرية في شك مما يعبد ما مصدرية او موصولة اي من عبادة هؤلاء او من الذي يعبده هؤلاء المشركون والمراد النهي عن
الشك في سوء عاقبة عبادتهم ثم علل النهي مستانفا فقال ما يعبدون الا كما يعبد كالذي يعبد اباؤهم او كعبادة ابائهم والحاصل انهم شبهوا بابائهم في
لزوم الجهل والتقليد وانا لموفوهم نصيبهم من الرزق والخيرات الدنيوية او من ازالة العذر وازاحة العلة بارسال الرسول وانزال الكتاب او نصيبهم
من العذاب كما وفينا اباءهم انصباءهم وفي الكشاف غير منقوص حال من النصيب ليعلم انه تام كامل اذ يجوز ان يوفى بعض الشيء كذلك فيسره شاهدهم
قلت هي معنى لطيف لان قول القائل وفيته شطر حقه التوفية تعود الى الشطر فلو قيل غير منقوص كان كالمكرر وعاد السؤال فالصواب ان يقال انه حال مؤكدة
او صفة تقوم مقام المصدر اي توفية غير منقوص ولا تعثوا في الارض مفسدين ثم اورد نظيرا لانكارهم نبوة محمد صلعم فقال ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه
امن به قوم وكفر به قوم اخرون كما اختلف في القران والغرض ان انكار الحق عادة قديمة للخلق ولولا كلمة سبقت من ربك بان رحمتي سبقت غضبي او هي
ان دار الجزاء الاخرة لا الدنيا او هي ان هذه الامة لا يعذبون بعذاب الاستيصال لقضي بينهم بين قوم موسى او بين قومك بتمييز المحق من المبطل بسبب
الانجاء والاهلاك وهذه من جملة التسليات ايضا وانهم يعني قوم موسى او قومك لفي شك منه من كتابهم او من كتابك او من امر المعاد او القضاء والجزاء ثم جمع الاولين والاخرين
في حكم توفية الجزاء ثوابا او عقابا فقال وان كلا التنوين فيه عوض من المضاف اليه اي ان كلهم يعني ان جميع المختلفين فيه ومن قرأ بالتخفيف فعلى اعمال
المخففة اذ لا يلزم من التخفيف ابطال العمل كما في لم يكن ولم يك ومن قرأ لما مخففا فاللام هي الداخلة في خبر ان وما مزيدة للفصل بين لام ان وبين لام جواب
القسم المقدر كما فصلوا بالالف بين النونات في قولهم اضربنان ويمكن ان يكون ما نكرة اي لخلق او جمع والله ليوفينهم ربك اعمالهم من حسن وقبح
وايمان وجحود ومن قرأ لما مشددا فاصله لمن ما فقلبت النون ميما فاجتمع ثلث ميمات فحذفت الاولى وابقيت الساكنة لاتصال اللام ويجوز ان يكون
اصله لما بالتنوين كما في قراءة الزهري وسكنها ابن ارقم فحذف فبقي لما ومعناه ملمومين اي مجموعين وفي قراءة ابي وان كل لما ليوفينهم على ان ان نافية ولما
بمعنى الا كما في الطارق ولا يخفى ما في الاية من مؤكدات توفية الجزاء وان شيئا من الحقوق لا يضيع عنده منها لفظة ان ومنها لام خبر ان ومنها كل ومنها ما المزيدة ومنها القسم
ومنها لام القسم ومنها نون التاكيد ومنها لفظ التوفية ومنها ربك فان من يربيك يقدر على توفية حقك ومنها الجمع المضاف ومنها ختم الاية بقوله انه بما تعملون
خبير فانه اذا كان عالما بكل المعلومات قادرا على كل المقدورات كان عالما بعمل كل احد وبقدر اجره وقادرا على ايصاله اليه ثم ان كان من حق وصدق
وقد اخبر عن التوفية مع المؤكدات المذكورة فيقع وعده ووعيده لا محالة ثم امر نبيه ليقتدي به امته بكلمة جامعة للعقائد والاعمال قائلا فاستقم كما امرت
عن جعفر الصادق عم معناه افتقر الى الله بصحة العزم يعني او ثق به والتوكل عليه ومن تاب معك عطف على المضمر في فاستقم وصح للفصل او هو ابتداء
اي ومن تاب معك فليستقم او مفعول معه ثم كما امر بالاستقامة على جادة الحق نهى عن الانحراف عنها فقال ولا تطغوا والطغيان مجاوزة الحد وقال ابن عباس
يريد تواضعوا للحق ولا تتكبروا على الخلق وخصص بعضهم الطغيان بالتجاوز عن حدود القران بتحليل حرامه وتحريم حلاله وهذه الاية اصل عظيم في الشريعة
فيكون الترتيب في الوضوء واجبا كما ورد في القران وكذا القول في الحدود والكفارات ونصاب الزكوة واعداد الركعات وغيرها من جميع الاوامر والمنهيات
ويجب الاحتياط في المسائل الاجتهادية ونفي القياسات وكذا في الاخلاق والملكات وفي كل ما له طرفا افراط وتفريط فهما مذمومان والمحمود هو الوسط
وهو الصراط المستقيم المامور بالاستقامة والثبات عليه لا ريب ان معرفته صعبة وتحقيقه ومعرفته بالعمل به والبقاء عليه اصعب ولهذا قال ابن عباس ما نزلت
على رسول الله اية في القران اشد ولا اشق من هذه حتى ان اصحابه قالوا له لقد اسرع فيك الشيب فقال صلعم شيبتني هود واعني هذه الاية منها ثم لما كان لقرين
السوء مدخل عظيم في تغيير العقائد وتبديل الاخلاق نهى عن مخالطة من يضع الشيء في غير موضعه فقال ولا تركنوا اي لا تميلوا بالمحبة والهوى الى الذين
ظلموا قال المحققون الركون المنهي عنه هو الرضاء بما عليه الظلمة من الظلم وتحسين الطريقة وتزيينها عند غيرهم ومشاركتهم في شيء من تلك الابواب
فاما مداخلتهم لدفع ضرر او اجتلاب منفعة عاجلة فغير داخل في الركون واقول هذا من طريق المعاش والرخصة ومقتضى التقوى هو الاجتناب عنهم
بالكلية اليس الله بكاف عبده وفي قوله فتمسكم النار اشارة الى ان الظلمة اهل النار بل هم في النار او كالنار اولئك ما ياكلون في بطونهم الا النار
ومصاحبة النار توجب لا محالة مس النار وقوله وما لكم من دون الله من اولياء من تتمة الجزاء وقال في الكشاف الواو للحال من اولياء من انصار اي لا يقدر على
منعكم من عذاب الله الا هو ثم لا تنصرون ثم لا ينصركم هو ايضا وفيه امالة كلي وفائدة ثم تبعيد النصرة من الظلم قال اهل التحقيق الركون ميل يسير
وقوله الى الذين ظلموا اي الذين حدث منهم الظلم فلم يقل ولا تميلوا الى الظالمين ليدل على ان قليلا من الميل الى من حدث منه شيء من الظلم

يوجبه هذا العقاب واذا كان هذا حال من ركن الى من ظلم فكيف يكون حال الظالم في نفسه عن رسول الله صلعم من دعا للظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه
وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك وعن محمد بن مسلمة الذباب على العذرة احسن من قارئ على باب هؤلاء ولقد سئل سفيان عن ظالم اشرف
على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت ثم من انواع الاستقامة اقامة الصلوة تنبيها على شرفها فقال واقم الصلوة قيل تمسك
بعض الخوارج بهذه الاية على ان الواجب الصلوة ليس الا الفجر والعشاء لانهما طرفا النهار وهما الموصوفان بكونهما زلفا من الليل فان ما لا يكون نهارا يكون ليلا
غاية ما في الباب ان هذا يقتضي عطف الصفة على الموصوف وهو كثير في كلامهم ولئن سلم وجوب صلوة اخرى الا ان قوله ان الحسنات يذهبن السيئات يشعر بان اقامة
الصلوة طرفي النهار كفارة لترك سائر الصلوات وجمهور الامة على بطلان هذا القول واستدلوا بالاية على وجوب الصلوات الخمس لان طرفي النهار منصوب على
الظرف لاضافتها الى الوقت فيكتسب المضاف حكم المضاف اليه كقولك اتيته نصف النهار والطرفان هما الغدوة وهي الفجر والعشية وفيها الظهر والعصر لان
ما بعد الزوال عشي وزلفا جمع زلفة كظلم وظلمة اي ساعات من الليل وهي القريب من اخر النهار من ازلفه اذا قربه وازدلف اليه وقرئ زلفا بسكون اللام نحو بسرة وبسر
والزلف فيمن قرأ بضمتين نحو بسر وبسر وقيل زلفا اي قربا فيكون معطوفا على الصلوة اي اقم الصلوة واقم زلفا اي صلوات تتقرب بها الى الله عز وجل في بعض
الليل وبالجملة فصلوة الزلف المغرب والعشاء وقيل ان طرفي النهار لا يشمل الا الفجر والعصر وبه استدل على مذهب ابي حنيفة ان التنوير بالفجر افضل وتاخير
العصر افضل لان الامة اجمعت على ان نفس الطرفين هما وقت الطلوع والغروب لا يصلح لاقامة الصلوة فكل وقت كان اقرب الى الطرفين كان اولى باقامة الصا
الصلوة فيه حملا للمجاز على ما هو اقرب الى الحقيقة ما امكن هذا ما ذكره فخر الدين الرازي في تفسيره ولقائل ان يقول هذا لا يتمشى في صلوة الفجر لان الطرف الاول
للنهار في الشرع هو طلوع الصبح الصادق والتنوير بعد الصلوة منه لا مقرب ولا ادري كيف ذهب عليه هذا المعنى مع افراط عصبيته للشافعي واستدل ايضا لابي
حنيفة على مذهبه في وجوب الوتر ان اقل الجمع ثلثة فيجب اقامة الصلوة على النبي صلعم في ثلث زلف من الليل اي ثلث ساعات تذهب منها ساعتان للمغرب والعشاء
فتعين ان يكون الساعة الثالثة للوتر واذا وجب عليه وجب علينا لقوله فاتبعوه وللمانع ان يمنع ان اقل الجمع ثلثة اشياء ثم ان كل ساعة لاجل صلوة ثم ان كل ما يجب
على النبي صلعم يجب على الامة لان الاتباع هو الاتيان بمثل فعله اعم من ان يكون على تلك الجهة ام لا ان الحسنات يذهبن السيئات قال المفسرون نزلت في ابن
اليسر عمرو بن غزية الانصاري كان يبيع التمر فاتته امرأة فاعجبته فقال لها ان في البيت اجود من هذا فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها واصاب
منها كل ما يصيب الرجل من زوجته سوى الجماع ثم ندم فاتى رسول الله صلعم فاخبره بما فعل فقال انتظر امر ربي فلما صلى صلوة العصر نزلت فقال نعم
اذهب فانها كفارة لما عملت فقيل له هذا له خاصة ام للناس عامة فقال بل للناس عامة وروي انه صلعم قال له توضأ وضوءا حسنا وصل ركعتين ان الحسنات
يذهبن السيئات قال ابن عباس ان الصلوات الخمس كفارات لسائر الذنوب ما لم تكن كبيرة وقيل المراد ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وعن مجاهد
الحسنات قول العبد سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقد يحتج بالاية على ان المعصية لا تضر مع الايمان الذي هو راس الاعمال الحسنة ذلك
المذكور من قوله فاستقم الى هيهنا ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين ارشاد للمسترشدين ثم امر بالصبر على التكاليف المذكورة امرا ونهيا ونص على ان
الاتيان بها احسان وان جزاءه سيحصل لا محالة فقال واصبر الاية ثم عاد الى احوال الامم الخالية وبين ان السبب في حلول عذاب الاستيصال بهم امران الاول
انه ما كان فيهم قوم ينهون عن الفساد وذلك قوله فلولا اي فهلا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ذوو خير ورشد وفضل وذلك ان الرجل يستبقي مما
يخرجه اجوده وافضله فصار البقية مثلا في الجودة يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم ومن امثالهم في الزوايا خبايا وجوز في الكشاف ان يكون
من البقوى كالتقية في التقوى اي فهلا كان منهم ذووا ابقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه الا قليلا استثناء متصل لان في تخصيصهم على النهي
عن الفساد معنى نفيه عنهم فكانه قيل ما كان من القرون ناس ناهون الا قليلا ومن في ممن انجينا للبيان اي هم الذين انجيناهم قال في الكشاف لان النجاة انما
هي للناهين وحدهم ولقائل ان يقول اذا كان النهي عن المنكر فرض كفاية لم يلزم ان ينحصر النجاة في الناهين فيحتمل ان يكون من للتبعيض ويجوز على ما في الكشاف
ان يكون الاستثناء منقطعا معناه ولكن قليلا ممن انجيناه من القرون نهوا عن الفساد قال ولو جعلته متصلا على ما عليه ظاهر الكلام كان المعنى
فاسدا لانه يكون تحضيضا لاولي البقية على النهي عن الفساد الا للقليل من الناجين منهم كما يقول هلا قرأ قومك القران الا الصلحاء منهم يريد
استثناء الصلحاء من المحضضين على قراءة القران اقول لم لا يجوز ان يكون المراد من استثناء الصلحاء منهم انه لا حاجة لهم الى التخصيص كانك قلت اخص
قومك على القراءة الا الصلحاء فانهم لا يحتاجون الى ذلك لانهم مواظبون عليها على ان في جعل الاستثناء منقطعا شبه تناقض لان اول الكلام
يدل على انه لم يكن فيهم ناه واخره يدل على ان القليل منهم قد نهوا فتامل في هذا المقام فانه من مزلة الاقدام السبب الثاني في نزول العذاب قوله
واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه اي تنعموا من النعم والترف من حيث الرياسة والثروة واسباب العيش الهني ورفضوا ما وراء ذلك مما يتعلق بامر الدين
فهذه الجملة معطوفة على مدلول الجملة التحضيضية اي ما كان من القرون ناس كذا واتبع الظالمون كذا ويجوز ان يكون في الكلام اضمار والواو للحال كانه
قيل انجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاء اترافهم والمترف الذي ابطرته النعمة وصبي مترف منعم البدن وقوله وكانوا مجرمين اما معطوف على
اتبع اي كانوا مجرمين بذلك او على اترفوا اي اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالاثام او اريد بالاجرام اغفالهم للشكر ثم بين
انه ما ينبغي له سبحانه ان يهلك القرى بظلم قال اهل السنة اي بظلم ما اي بسبب مجرد الشرك والحال انهم مصلحون في المعاملة والعشرة فيما بينهم و
ذلك ان حقوق الله تعالى مبنية على المساهلة بخلاف حقوق العباد وهذا كما قيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ويؤكد هذا التفسير ان عذاب الاس

وفي الزجال نقايا

الاستيصال انما نزل بقوم لوط وشعيب لما حكى الله عنهم من ايذاء الناس والافساد في الارض وقالت المعتزلة قوله بظلم حال من الفاعل والمعنى استحال في
الحكمة ان يهلك الله القرى ظالما لها واهلها قوم مصلحون في العمل تنزيها لذاته عن الظلم وايذانا بان اهلاك المصلحين ظلم ثم ذكر ان الكل بمشيئته وارادته
فقال ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة مجتمعين والمعتزلة يحملون هذه المشيئة على مشيئة الالجاء والقسر وقد مر مرارا ولا يزالون مختلفين في الاديان
والاخلاق والافعال فمنهم من انكر العلوم كلها حتى الحسيات والضروريات وهم السوفسطائية ومنهم من سلم استنتاج العلوم كلها والمعارف ولم يثبت
لهذا العالم الجسماني مبدءا اصلا وهم الدهرية ومنهم من اثبت له مبدءا موجبا بالذات وهم الفلاسفة على ما اشتهر منهم ولهذا المقام تحقيق ليس هيهنا
موضع بيانه ومنهم من انكر النبوات وهم البراهمة ومنهم من اثبتها وهم الشلمو والمجوس واليهود والنصارى وفي كل واحد من هذه الطوائف اختلافات
لا يكاد يدخل تحت الحصر وانما لم يحمل الاختلاف في الاية على الاختلاف في الالوان والالسنة والارزاق والاعمار بل حملناه على الاختلاف في الاديان
وما يتعلق بها لانه يبعد عن ذلك ما قبل الكلام وهو قوله ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة وما بعده وهو قوله الا من رحم ربك قالت المعتزلة الا
ناسا هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على الدين الحق وقال اهل السنة جميع الالطاف التي فعلها في حق المؤمن فهي مفعولة ايضا في حق الكافر وهذه
الرحمة امر مختص بالمؤمن مرجح لجانب الايمان وصدوره منه فاذن الايمان بخلق الله وتكوينه وكذا ضده ثم قال ولذلك خلقهم فاختلف العلماء في المشار
اليه بذلك فالمعتزلة قالوا ولذلك من التمكين والاختيار الذي كان منه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق لحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل لسوء
اختياره او ولما ذكر من الرحمة خلقهم الاشاعرة قالوا ولاجل ما ذكر من الاختلاف خلقهم لما صح في الحديث انه خلق الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق
لها اهلا والدلائل الدالة على ان الكل بايجاده وتخليقه وان خلاف معلومه محال والى هذا اشار بقوله وتمت كلمة ربك اي علمه وارادته او قوله للملئكة
لاملأن جهنم الاية وفرق المعتزلة بين معلومه ومراده ثم ذكر طرفا من فوائد القصص المذكورة في السورة فقال وكلا اي كل نبأ نقص عليك وقوله من انباء
الرسل بيان لكل وما نثبت بدل من كلا او المراد وكل نوع من الاقتصاص على انه مصدر اي على الاساليب المختلفة نقص وما نثبت مفعول ومعنى تثبيت
فؤاده زيادة اليقين والطمانينة لان تكاثر الادلة اثبت للقلب وارسخ للعلم او المعنى تثبيت قلبه على اداء الرسالة وتحمل الاذى من قومه اسوة بسائر الانبياء
وجاءك في هذه السورة او في هذه الانباء الحق وهو البراهين القاطعة الدالة على صحة المبدأ والوسط والمعاد وموعظة وهي الدلائل المقنعة الموقعة
للتصديق بقدر الامكان والاول للخواص انفع والثاني للعوام انجع وذكرى للمؤمنين وهي الارشاد الى الاعمال الصالحة النافعة في الاخرة المحصلة لما
هنالك من السعادة فان حسن هذا الدين معلوم لمن رجع الى نفسه وعمل بمقتضى تذكره وفكره واعلم ان المعارف الالهية لا بد لها من قابل وفاعل
وقابلها القلب وانه ما لم يكن مستعدا لم يحصل له الانتفاع بسماع الدلائل وورودها عليه فلهذا السبب قدم ذكر اصلاح القلب وعلاجه وهو تثبيت
الفؤاد ثم عقبه بذكر المؤثر الفاعل وهو مجيء هذه السورة بل ايها منها وهي قوله فاستقم كما امرت مشتملة على الحق والموعظة والذكرى وهذا ترتيب
في غاية الحسن ثم امر بالتهديد لمن لم يؤثر فيهم هذه البيانات من اهل مكة وغيرهم فقال وقل للذين لا يؤمنون اعملوا وقد مر تفسير مثله في هذه
السورة وفي الانعام وانتظروا ما يعدكم الشيطان انا منتظرون ما وعدنا الرحمن من الغفران والاحسان وعن ابن عباس انتظروا بنا الدوائر انا منتظرون
بكم العذاب كما حل بنظرائكم ثم ختم السورة باية مشتملة على جميع المطالب من امر المبدأ والوسط والمعاد وقد سبق تقريره في اخر البقرة في تفسير اية امن الرسول
فلا حاجة الى الاعادة التأويل ما دامت السموات والارض اي ما دامت سموات الارواح والقلوب وارض النفوس البشرية الا ما شاء ربك من الاشقياء و
ذلك ان اهل الشقاء صنفان شقي واشقى فالشقي بالمعاصي سعيد بالتوحيد فيخلص من النار اخرا والاشقى هو الكافر يبقى فيها خالدا ومن اهل الجنة سعيد
يبقى خالدا فيها واسعد هم الذين يترقون الى مقعد صدق عند مليك مقتدر وهنالك مقام الوحدة التي لا انقطاع له كما قال عطاء غير مجذوذ ولهم
نصيبهم الذي قدر لهم في الازل من الشقاء ولولا كلمة سبقت من ربك باستكمال الشقاء لقضي بينهم باطلاك عاجلا لفي شك منه اشارة الى الضلال
وقوله مريب اشارة الى الاضلال وان كلا اي كل واحد من الضال والمضل ليبين من المضلين فاستقم امر التكوين ولذلك قال كما امرت اي في الازل وفي قوله
ومن تاب معك اشارة الى ان النفوس جبلت على الاعوجاج فيحتاج الى الرجوع من طريق المنحرف الى الصراط المستقيم الى من اختص بالاستقامة بسبب امر
التكوين كالنبي صلعم ان الحسنات يذهبن السيئات يعني ان الاعمال الصالحة في الاوقات المعدودة تزيل ظلمات الاوقات المصروفة في قضاء الحوائج النفسانية
الضرورية وذلك ان تعلق الروح النوري العلوي بالجسد الظلماني السفلي موجب لخسران الروح كقوله والعصر ان الانسان لفي خسر الا ان يتداركه
انوار العمل الصالح فيرقيه من حضيض البشرية الى ذروة الروحانية بل الى الوحدة الربانية فيندفع عنه ظلمة الجسد السفلي مثاله الحبة في الارض
فانه من خسران الحبة الا ان يتداركه الماء وسائر الاسباب فيربيها الى ان يصير الواحدة الحبة الى سبعمائة وما زاد ذلك الذي ذكرنا من التدارك عظة
للذاكرين الذين يريدون ان يذكروا الله في جميع الاحوال فانهم اذا حافظوا على هذه الاوقات فكانهم حافظوا على جميعها لان الانسان خلق
ضعيفا ليس يقدر على صرف جميع الاوقات في محض العبودية والعبادة فلولا كان من القرون فيه نوع التحضيض وحقيقته السؤال والجواب بانه لم يكن كل ما كان
فاعل مختار فعال لما يريد خلقت خلقا للاقرار وخلقت خلقا للانكار ولا اعتراض لاحد عليك يؤيده قوله ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة
طالبة للحق متوجهة اليه ولا يزالون مختلفين منهم من يطلب الدنيا ومنهم من يطلب العقبى ومنهم من يطلب المولى وهم المشار اليهم بقوله الا من رحم ربك ولذلك اي للطلب
الله خلقهم بحسب الاستعداد او لان رحمته سبقت غضبه ولكن وقع فريق في طريق القهر ضرورة في الوجود وهو قوله وتمت كلمة ربك جرى به القلم للضرورة وبانت به

فوارل التثبيت ضمر والتشكيك منه بيده مفاتح ابواب اللطف والقهر وقل للذين لا يؤمنون لطلب الحق وجد انه اعملوا في طلب المقاصد من باب
القهر انا عاملون في طلب الحق من باب لطفه وانتظروا نتائج اعمالكم انا منتظرون ثمرات اعمالنا ولله غيب السموات والارض اي ما غاب عنكم مما اودع
من لطفه في سموات القلوب ومن قهره في ارض النفوس واليه يرجع امر اهل السعادة والشقاء ومظاهر اللطف والقهر فاعبده ايها الطالب للحق فانك
مظهر اللطف وتوكل عليه في الطلب لا على طلبك فانك ان طلبته بك لم تجده وما ربك بغافل في الازل عما تعملون الى الابد والله حسبي

سورة يوسف مكية وقيل فيما بين مكة الى المدينة نزلت في الهجرة وهي مائة واحدى عشر آية وسبع وسبعون كلمة ستة آلاف وستمائة وستة واربعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب المبين انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن وان كنت ع ١
من قبله لمن الغافلين اذ قال يوسف لابيه يا ابت اني رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك
فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها
على ابويك من قبل ابراهيم واسحق ان ربك عليم حكيم لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا ع ٢
منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين قال قائل منهم لا
تقتلوا يوسف والقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين قالوا يا ابانا ما لك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون
ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون قال اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان يأكله الذئب وانتم عنه غافلون قالوا لئن اكله
الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون
وجاؤا اباهم عشاء يبكون قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين
وجاؤا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون وجاءت سيارة فارسلوا واردهم
فادلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام واسروه بضاعة والله عليم بما يعملون وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين القراءة
يا ابت بفتح التاء والوقف بالهاء يزيد وابن عامر وقرأ ابن كثير ويعقوب بكسر التاء والوقف بالهاء الباقون بالكسر في الحالين احد عشر بسكون العين يزيد
وابن عباس والخزاز لي ساجدين بفتح الياء الاعشى والزجمي يا بني بفتح الياء كان حفص والمفضل الباقون بكسرها رؤياك بالامالة على غير قتيبة وليث وقرأ
ابو عمرو بالامالة اللطيفة وقرأ يزيد وابو عمرو وغير شجاع وورش من طريق الاصبهاني والاعشى وحمزة في الوقف بغير همزة آيات للسائلين على التوحيد ابن
كثير الآخرون آيات على الجمع يخل لكم بالادغام شجاع من طريق ابي غالب ابو شعيب غيابات وما بعده على الجمع ابو جعفر ونافع الباقون غيابة على التوحيد
لا تأمنا بغير اشمام ضمة النون يزيد والحلواني عن قالون الآخرون بالاشمام الذئب وما بعده بغير همز ابو عمرو وغير شجاع واوقية ويزيد والاعشى وورش
وخلف وعلى وحمزة في الوقف يرتع ويلعب بالياء فيهما وبالجزم عاصم وحمزة وعلى وخلف بكسر العين في الاول ابو جعفر ونافع بالنون فيهما وبالجزم ابن عامر وابو
عمرو وبكسر العين ابن كثير سوى الهاشمي وابي ربيعة عن قنبل فانهما نرتعي بالكسر مع الياء بعده نرتع ونلعب بالجزم فيهما مع النون في الاول والياء في الثاني
يعقوب غير رويس ليحزنني ان بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وقرأ نافع ليحزنني ان بفتح الياء ايضا ولكن من باب الافعال بل سولت وبابه مدغما حمزة
وعلى وهشام يا بشرى بالامالة غير مضافة حمزة وعلى وخلف وحماد والخزاز عن هبيرة يا بشرى بغير امالة والاضافة عاصم غير حماد والخزاز الباقون يا
بشراي بالاضافة الى ياء المتكلم الوقوف الوقف المبين كوفي ايضا وغيرهم لا يقفون عليها لانهم يجعلون انا جواب معنى القسم في الر القرآن ق والوصل
اصح لان الواو للحال الغافلين ساجدين كيدا مبين واسحق حكيم للسائلين عصبة مبين والعربية يوجب الوقف قيل ان الابتداء
بعده صالحين فاعلين لناصحون لحافظون غافلون لخاسرون في غيابات الجب لاحتمال ان يكون جواب لما محذوفا والواو في واوحينا للاستئناف
تقديره فعلوا وامضوا عليه وان يكون الواو مقحمة والجواب اوحينا لا يشعرون يبكون فأكله الذئب لابتداء النفي مع واو العطف صادقين كذب امرا
جميل تصفون دلوه غلام بضاعة يعملون معدودة ج لاحتمال الواو والحال الزاهدين التفسير قال في الكشاف تلك اشارة الى آيات السورة والكتاب
المبين السورة اي تلك الآيات التي انزلت اليك في هذه السورة آيات السورة الظاهر امرها في اعجاز العرب وتبكيتهم او التي تبين لمن تدبرها انها من عند
الله لا من عند البشر او الواضحة التي لا يشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم او قد بين فيها ما سألت اليهود عنه من قصة يوسف فقد روي
ان علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف قول مدار هذه التفاسير على ان ابان
الشيء وابان هو بنفسه انا انزلناه اي هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف يعني هذه السورة في حال كونه قرآنا عربيا والقرآن اسم جنس يقع على
كل وعلى بعضه قوله قرآنا عربيا يسمى حالا موطئة لان المراد وصفه بالعربية احتج الجبائي بانزال القرآن وبكونه عربيا وآيات على انه محدث لان
هذه من اوصاف الحدثان واجيب بانه لا نزاع في حدوث الالفاظ وانما النزاع في الكلام النفسي ومعنى لعلكم تعقلون ارادة ان تفهموه وتحيطوا بمعانيه
ولا يلتبس عليكم لانه بلغتكم قال الجبائي فيه دليل على انه اراد من المكلفين كلهم ان يعقلوا توحيده وامر دينه واجيب بان الآية لا تدل الا انه انزل
هذه السورة واراد منهم معرفة كيفية هذه القصة ولا دلالة فيه على انه اراد من الكل الايمان والعمل الصالح قال اهل اللغة القصص اشتقاقه من قص

اثره اذا اتبعه لان الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا ومثله التلاوة لانه يتلو اي يتبع ما حفظ منه آية بعد آية ثم ان كان القصص مصدرا
بمعنى الاقتصاص فيكون احسن مثله لاضافة الى المصدر ويكون المفعول اي المقصوص محذوفا وهو الوحي لدلالة اوحينا اليه عليه او يكون هذا القرآن
بايحائنا اياه اليك على هذا فالحسن يرجع الى المنطوق لا الى القصة وحسن المنطوق كونه على ابدع طريقة واعجب اسلوب لان هذه الحكاية مقتصة في
كتب الاولين وفي كتب التواريخ ولم يبلغ شيء منه الى حد الاعجاز وان اريد بالقصص المقصوص كما يراد بالنبأ والخبر المنبأ والمخبر فالحسن يرجع الى
المنطوق لا الى القصة وحسن المنطوق كونه على ابدع طريقة واعجب اسلوب لان هذه الحكاية في القصة ولا سيما فيما يرجع الى صلاح حال المكلف في الدارين ووجه
حسنها اشتمالها على الغرائب والعجائب والنكت والعبر وان الصبر مفتاح الفرج وان ما قضى الله كائن لا محالة لا يرده كيد كائد ولا حسد حاسد يروى
ان اصحاب رسول الله صلعم ملوا ملة فقالوا يا رسول الله صلعم لو حدثتنا فانزل الله عز وجل الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها ثم انهم ملوا فقالوا يا رسول
الله لو قصصت فانزل الله نحن نقص عليك احسن القصص كل ذلك يؤمرون بالقرآن وان كنت هي المخففة من الثقيلة بدليل اللام الفارقة والمعنى وان
الشان كنت من قبل ايحائنا اليك لمن الغافلين عن هذه القصة او عن الدين والشرع اذ قال بدل الاشتمال من احسن القصص لان الوقت مشتمل
على القصص فاذا قص فقد قص المقصوص او منصوب باضمار اذكر ويوسف ليس عربيا على الاصح اذ لا سبب فيه بعد التعريف الا العجمة فهو اسم عبراني
ومن ظن انه من اسف يوسف مبنيا على انه قرئ بكسر السين وبفتحها انه وجد فيه وزن الفعل المبهم فقد اخطأ لان القراءة المشهورة تاباه ولن يكون
الاسم عربيا تارة واعجميا اخرى وفي هذا الخلاف وفي يونس انهم عن النبي صلعم الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم قال النحويون
التاء في يا ابت عوض من ياء الاضافة وهي للتانيث لانها قد تقلب هاء في الوقف ويجوز الحاق التاء بالمذكر نحو حمامة ذكر والكسر فيه لمناسبة
الياء التي هي بدل منها والفتح اما فتح الياء فيمن يفتحها او الفتحة الباقية بعد حذف الالف من يا ابتا اني رأيت هو من الرؤيا التي تختص بالمنام لا
من الرؤية التي تشمل اليقظة بدليل قول يعقوب له لا تقصص رؤياك ولان ذلك لو كان في اليقظة لكانت آية عظيمة ولم تخف على احد من قرأ
احد عشر بسكون العين فلكراهة توالي المتحركات فيما هو في حكم كلمة وكذا الى تسعة عشر الا اثني عشر لئلا يلتقي ساكنان قال في الكشاف روى جابر
ان يهوديا جاء الى النبي صلعم فقال يا محمد اخبرني عن النجوم التي رآهن يوسف فسكت رسول الله صلعم فنزل جبرئيل فاخبره بذلك فقال النبي صلعم لليهودي ان
اخبرتك هل تسلم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرع ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف
والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها واقول ان اكثر هذه الاسماء ليست مما اشتهر عند اهل الهيئة فان
صح الخبر فهي من العلوم التي تفرد بها الانبياء وافراد الشمس والقمر من الكواكب بعد ذكرها دليل على شرفهما كقوله وملائكته وجبريل وميكائيل
وانما كرر الفعل لطول الكلام او على تقدير سؤال كانه قيل له كيف رأيتها فقال رأيتهم لي ساجدين والظاهر ان هذه السجدة كانت بمعنى وضع الجبهة
اذ لا مانع من حملها على الحقيقة لكنها كانت على وجه التواضع وانما اجريت الكواكب مجرى العقلاء في عود الضمير اليها لان السجود من شان العقلاء كقوله
للاصنام وتريهم ينظرون اليك وعند اهل السفر هم احياء ناطقة فلا حاجة الى العذر عبر ابوه رؤياه بان اخوته يسجدون له وهم احد عشر وكذا
ابواه وهما الشمس والقمر وقيل هما ابوه وخالته لان امه لم تدخل مصر وتوفيت قبل ذلك وعن وهب ان يوسف رأى وهو ابن سبع سنين ان احد عشر عصا طوالا
كانت مركوزة في الارض كهيئة الدارة الى حول القمر وهي الهالة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا
لاخوتك ثم رأى وهو ابن اثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال له لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا
يوسف ومسير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون قال علماء التعبير ان الرؤيا الرديئة تظهر آثارها عن قريب كيلا يبقى المؤمن في الغم والحزن والرؤيا الجيدة يبطئ
اثرها ليكون بهجة المؤمن ادوم قوله فيكيدوا منصوب باضمار ان جوابا للنهي واللام في لك لتاكيد الصلة مثل نصحت لك قال في الكشاف ضمن الكيد
معنى الاحتيال ليفيد معنى الفعلين فيكون ابلغ في التخويف وقيل متعلق بالمصدر الذي بعده ثم انه وصل بهذه النصيحة شيئا من تعبير رؤياه فقال و
كذلك اي ومثل اجتبائك لهذه الرؤيا الشريفة يجتبيك ربك لامور عظام والاجتباء افتعال من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك وجبيت الماء في
الحوض جمعته وخصص الحق الاجتباء بالنبوة قال في الكشاف ويعلمك كلام مبتدأ غير داخل في حكم التشبيه كانه قيل وهو يعلمك ويتم نعمته عليك اقول و
لعل ادخاله في حكم التشبيه ليس بضائر وفي تأويل الاحاديث الناس فيما يرونه في منامهم سمي التعبير تاويلا لانه يأول امره الى ما رآه في المنام او يؤول امر ما
رآه في المنام الى ذلك والاحاديث اسم جمع للحديث وليس بجمع احدوثة لانها التي يتحدث بها الناس ومنها انه تبيين معاني كتب الله وسنن الانبياء الا المفسر
والمحدث يحدثان عن الله ورسوله فيقولان قال الله كذا وقال الرسول كذا ومنها ان الحديث بمعنى الحادث والمراد كيفية الاستدلال بالحادث على القديم
سبحانه واما اتمام النعمة فمن فسر الاجتباء بالنبوة فسر الاتمام بالسعادات الدنيوية والاخروية من المال والجاه والعلوم والاخلاق الفاضلة ومن فسر ذلك
بالدرجات العالية فسر هذا بالنبوة ولان اتمام النعمة عليه مشبه باتمامها على ابراهيم واسحق ومن المعلوم ان الامتياز بينهما وبين قرابتهما لم يكن الا بالنبوة
وقد يفسر اتمام النعمة على ابراهيم بالخلة والانجاء من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم وباخراج يعقوب والاسباط
من صلبه ويكون وجه التشبيه انجاؤه من السجن والمحن كانجائهما من النار والذبح والمراد بآل يعقوب نسله وقيل يعقوب علم ان يوسف واخوته انبياء
استدلالا بضوء الكواكب واعترض بما فرط منهم في حق يوسف واجيب بان ذلك قبل النبوة وقيل اتمام النعمة وصل نعم الدنيا بنعم الآخرة وذلك

انه جعلهم ملوكا وانبياء وابرهيم واسحق عطف بيان لابويك لان اما الحكم فى حكم الاب ان ربك عليم بمن يستحق الاجتباء حكيم لا يضع الشئ الا
فى موضعه فلا يجعل الرسالة الا فى نفس قدسية وجوهر مشرقة قيل حكم يعقوب بوقوع هذه الامور دليل على جزمه بها فكيف خاف بها على يوسف حتى قال
اخاف ان ياكله الذئب والجواب لعل جزمه بذلك كان مشروطا بعدم كيد اخوته ولعل قوله اخاف ان ياكله الذئب كيلا يهمل اولى فى حفظ ومراعاة
للوسايط والاسباب مدخلا عظيما فى وجود الاشياء وحصولها لقد كان فى يوسف اى فى قصته وحديثه ايات للسائلين لمن سئل عن تلك القصة
وعرفها او ايات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سئلوه من اليهود عنها فاخبرهم بها من غير سماع العلم وفيه انه صلى الله عليه وسلم يجب ان يصبر على بغى قومه الى ان يظهره
كما فعل بيوسف يروى ان اسامى اخوته يهودا وروبيل وشمعون ولاوى وزبالون ويشجر وبنيامين وهولاء من ليا بنت خالة يعقوب ودان ونفتالى
وجاد واشر وهم من سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف اذ قالوا ظرف لكان او منصوب باضمار
اذكر ليوسف لام الابتداء تحقيق لمضمون الجملة او اخوه اى لابيه وامه عنوا بنيامين احب اذ كان افعل التفضيل مستعملا بمن لم يتصرف فيه ونحن
عصبة الواو للحال والعصبة العشرة فصاعدا لان الامور تعصب بكفايتهم اى انه يفضلهما فى المحبة علينا وهما ابنان صغيران لا كفاية فيهما ولا
لا منفعة ونحن جماعة تكفى مهماته ونقوم بمصالحه ان ابانا لفى ضلال مبين اراد واضلال لا خطاء وهو البعد عن طريق الصلاح المعاش وحسن
المعاشرة مع الاولاد ولم يعلموا ان المحبة امر يتعلق بالقلب ليس لله فيه تكليف لعل يعقوب تفرس فى يوسف ما اوجب اختصاصه بمزيد البر
من جملة اقوالهم انهم قالوا لما تشاوروا فى امره اقتلوا يوسف قيل الامر بالقتل شمعون او دان ورضى به الباقون فجعلوا اجمعوا امرين والظاهر انه قال
ذلك بعضهم بذلك الخبر بدليل انه لم يقع القتل ولقولهم او اطرحوه فكان بعضهم اشار الى القتل وبعضهم الى الطرح ومهما صدر امر من بعض القوم
صح اسناده اليهم كقوله واذ قتلتم نفسا وانتصب ارضا على الظرف كالطريق لابهامه اى ارضا مجهولة بعيدة من العمارة يخل لكم وجه ابيكم يخلص
محبته لكم سليمة عن التنازع فيها وكان ذكر الوجه لتصوير الاقبال عليهم بالكلية ويجوز ان يراد بالوجه الذات والمراد يفرغ لكم من الشغل بيوسف وتكونوا
مجزوم لانه معطوف على جواب الامر من بعده من بعد قتله او اطراحه او من بعد يوسف اى القتل او عزب قوما صالحين تائبين الى الله او الى ابيه
لعذر تمهدونه بما جنيتم عليه او المراد صلاح دنياهم وانتظام امورهم وتفرغهم لهما لهم بعد يوسف بفراغ البال قال قائل منهم هو يهودا وكان
احسنهم فيه رايا وهو الذى قال فلن ابرح الارض لا تقتلوا يوسف لان القتل عظيم ولا سيما قتل الاخ وخاصة اذا كان القاتل والمقتول من
اولاد الانبياء والقوه فى غيابة الجب سمى البئر جبا لانها قطعت قطعا ولم يحصل فيها شئ سوى القطع للارض والغيابة غور البئر وما غاب
منها عن عين الناظر واظلم من اسفلها ومن قرأ على الجمع فلان للجب اقطارا او نواحى يلتقطه بعض السيارة اى الرفقة السايرة قال ابن عباس اى
المارة والالتقاط تناول الشئ من الطريق ونحوه يستعمل فى الانسان وغيره ومنه اللقيط للمنبوذ ان كنتم فاعلين ان لم يكن بد من فعل الامر
هذا الامر فهذا هو الراى ثم ان يعقوب كان خائفا على يوسف من كيدهم وكان يظهر امارات ذلك على صحايف اعماله واقواله فلذلك قالوا
مالك لا تامنا على يوسف وانا له لناصحون ما وجد منا فى بابه سوى النصح والاشفاق على الاطلاق ارسله معنا غدا يرتع ويلعب من قرأ بالجزم
من الرتعة كالامنة وهى الخصب والسعة ومن قرأ بالكسر فعلى حذف الياء من يرتعى مستعار من ارتعاء الابل والماشية واللعب ترك ما ينفع الى ما لا
ينفع فى قرأ بالياء فلا اشكال لان الصبى لا تكليف عليه ومن قرأ بالنون قال كان لعبهم الاستباق والانتضال بدليل قوله انا ذهبنا نستبق سمى لعبا
لانه فى صورته او اللعب قد يطلق على استعمال المباحات لاجل انشراح الصدر قال صلى الله عليه وسلم لجابر فهلا بكرا تلاعبها وتلاعبك قال انى ليحزننى لام الابتداء
للتاكيد ولتخصيص المضارع بالحال واخاف ان ياكله الذئب اصله الهمز ولهذا قال بعضهم انه مشتق من تذائبت الريح اذا اتت من كل جهة قيل كان
ارضهم مذابة فلذلك قال اخاف وقيل راى فى النوم ان الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره فلقنهم العذر كما جاء فى امثالهم البلاء موكل بالمنطق
قوله انا اذا جواب للقسم ساد مسد جواب الشرط حلفوا لئن كان ما خافه حالهم انهم رجال كفاة وحماة فهم اذن لخاسرون عاجزون او مستحقون
للدعاء عليهم بالخسار والمراد انا لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا وخسرناها كان يعقوب قد اعتذر اليهم بامرين احدهما ان ذهابهم
به مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة والثانى خوفه عليه من حفظ الذئب فلم يجيبوا عن الاول لانه هو الذى كان يغيظهم فلم يعبؤا بذلك الكلام فخصوا
الجواب بالثانى وههنا اضمار والتقدير فاذن لهم وارسله معهم فلما ذهبوا به واجمعوا عزموا على ان يجعلوه فى غيابة الجب قيل هو بئر بيت المقدس
وقيل بارض الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلثة فراسخ من منزل يعقوب ثم ان كان جواب لما محذوفا ففى الاية اضمار اخر كما تقدم فى الوقوف
قال السدى ان يوسف عليه السلام لما برز مع اخوته اظهروا له العداوة واخذوا يهينونه ويضربونه وكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه الا بالاهانة حتى كادوا يقتلونه
فجعل يصيح يا ابتاه لو تعلم ما يصنع بابنك اولاد الاماء فقال يهودا اما اعطيتمونى موثقا ان لا تقتلوه فلما ارادوا القاءه فى الجب تعلق بثيابهم فنزعوها
من يده فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم فقال يا اخوتاه ردوا على قميصى توارى به فقالوا ادع
الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا حتى يلبسوك ويونسوك ودلوه فى البئر فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان فى البئر ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكى
فنادوه فظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهودا وكان يهودا ياتيه بالطعام وروى انه عليه السلام لما القى فى الجب قال يا شاهدا غير غائب ويا قريبا
غير بعيد ويا غالبا غير مغلوب اجعل لى من امرى فرجا ومخرجا وحكى ان ابرهيم عليه السلام حين القى فى النار جرد عن ثيابه فاتاه جبرئيل بقميص من حرير الجنة فالبسه

اياه فدفعه ابرهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب فى تميمة علقها فى عنق يوسف فجاء جبرئيل فاخرجه والبسه اياه واوحينا اليه فى صغر السن
كما اوحى الى يحيى وعيسى وقيل كان اذ ذاك بالغا وعن الحسن كان له سبع عشرة سنة لتنبئنهم لتحدثن اخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف لتنبئنهم
لعلو شانك وبعد حالك عن اوهامهم ولطول العهد المنسى المغير للهيئات والاشكال يروى انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون
دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرنى هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به و
القيتموه فى غيابة الجب وقلتم لابيه اكله الذئب وبعتموه بثمن بخس ويجوز ان يراد وهم لا يشعرون انا انبأناه بالوحى وازلنا الوحشة عن قلبه فتتعلق
الجملة بقوله واوحينا روى ان امرأة حاكمت الى شريح فبكت فقال له الشعبى يا ابا امية اما تراها تبكى قال قد جاء اخوة يوسف يبكون وهم ظلمة وما
ينبغى لاحد ان يقضى الا بما امر ان يقضى به من السنة المرضية عن مقاتل انما جاؤا عشاء لئلا يظهر امارة الخجل والكذب على وجوههم ولما سمع صوتهم يعقوب
فزع وقال ما لكم يا بنى هل اصابكم فى غنمكم شئ قالوا لا قال فما لكم واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اى نتسابق فى العدو وفى الرمى وقيل ننتضل
وما انت بمؤمن لنا اى بمصدق لشدة محبتك ليوسف وفيه دليل لمن زعم ان الايمان هو التصديق ولو كنا صادقين ولو كنا عندك من اهل الصدق
والثقة فكيف وانت سيئ الظن بنا غير واثق بقولنا وجاؤا على قميصه نصب على الظرف اى فوق قميصه لا على الحال المتقدمة لان حال المجرور لا يتقدم عليه
بدم كذب اى كذب او ذى كذب او دم هو الكذب بعينه مبالغة يروى انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وروى ان يعقوب لما سمع بخبر يوسف صاح باعلى صوته وقال اين
القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابنى ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان فى قميص
يوسف ثلث ايات اية ليعقوب على كذبهم واية حين القاه البشير على وجهه فارتد بصيرا واية على براءة يوسف حين قد من دبر ولما تبين يعقوب بالايات
المذكورة او بالوحى انهم كاذبون قال على سبيل الاضراب بل سولت قال ابن عباس بل زينت لكم انفسكم امرا فى شانه وهو تفعيل من السول الامنية قال
الازهرى واصله مهموز غير ان العرب استثقلوا فيه الهمزة وقال فى الكشاف سولت سهلت من السول بفتحتين وهو الاسترخاء والتنكير دليل التعظيم
فصبر جميل لا بد من تقدير مبتدا او خبر اى فامرى صبر جميل او فصبر جميل امثل وفى الحديث انه الذى لا شكوى فيه اى الى الخلق لقوله انما اشكوا بثى و
حزنى الى الله وقيل اى لا اعاشركم على كآبة الوجه بل اكون لكم كما كنت ويحكى انه سقط حاجبا يعقوب على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا
فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله تعالى اليه يا يعقوب اتشكونى قال يا رب خطيئة فاغفرها لى ثم انه بين ان الصبر على ما وصفوه من هلاك
يوسف لا يمكن الا بمعونة الله تعالى فقال والله المستعان على ما تصفون فالفريقان كقوله اياك نعبد واياك نستعين ويعلم من الاية ان الصبر ان كان
لاجل الرضا بقضاء الله تعالى او لاستغراقه فى شهود نور الحق بحيث يمنعه من الاشتغال بالشكاية عن البلاء فذلك صبر جميل والا فلا واعترض بان هذا
الصبر كان فيه اعانة الظالمين واهمال التخليص المظلوم من المحن والشدائد والترتيب فكيف جاز صبر يعقوب حتى لم يبالغ فى التفتيش والتنقير ولو
بالغ لظهر عليه الامر لشهرته وعظم قدره واجيب بان الله سبحانه لعله منعه عن الطلب تشديدا للمحنة عليه ولعله ان بالغ فى البحث قدموا على قتله
او علم ان الله تعالى يصون يوسف وسيعظم امره بالاخرة فلم يرد هتك ستر اولاده والقائهم فى السنة الناس كقول القائل فاذا رميت يصيبنى سهمى فكان
الاصوب الصبر والسكوت وتفويض الامر بالكلية الى الله تعالى ثم شرع فى حكاية خلاص يوسف فقال وجاءت سيارة عن ابن عباس قوم يسيرون من
مدين الى مصر وذلك بعد ثلثة ايام من القاء يوسف فى الجب فاخطأوا الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب فى قفرة بعيدة عن العمران لم يكن الا للرعاة
وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القى فيه يوسف فارسلوا واردهم رجلا يقال له مالك بن ذعر الخزاعى ليطلب لهم الماء ومعنى الوارد الذى يرد الماء ليستقى
القوم فادلى دلوه ارسلها فى البئر قال الواحدى فاذا تعلق بها اخرجها قيل دلاه يدليها وقال يا بشرى النقد فظهر يوسف فقال الوارد يا بشرى كانه ينادى البشرى
ويقول تعالى فهذا اوانك متى قال الوارد بهذا الكلام قال جمع من المفسرين حين راى يوسف متعلقا بالحبل وقال اخرون لما دنا من اصحابه صاح بذلك
يبشرهم به قال السدى كان للوارد صاحب يقال له بشرى فنادى يا بشرى كما تقول يا زيد والاكثرون على انها بمعنى البشارة فقال ابو على يحتمل ان يكون منادى
مضموما مثل يا رجل وان يكون منصوبا مثل يا رجلا كانه جعل ذلك النداء شايعا فى جنس البشرى ومن قرأ بالاضافة فنصبه ظاهر والضمير فى واسروه
اما عائد الى الوارد واصحابه اى اخفوه من الرفقة لئلا يدعوا المشاركة فى الالتقاط او فى الشرى ان قالوا اشتريناه وطريق الاخفاء انهم كتموه من الرفقة
او قالوا ان اهل الماء جعلوه بضاعة عندنا على ان نبيعه لهم بمصر واما عائد الى اخوة يوسف بناء على ما روى عن ابن عباس انهم قالوا للرفقة هذا
غلام لنا قد ابق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه ولعل الوجه الاول اولى بدليل قوله بضاعة وهى نصب على الحال اى اخفوه متاعا للتجارة
واصل البضع القطع والبضاعة قطعة من المال للتجارة والله تعالى اعلم والله عليم بما يعملون فيه وعيد اما للوارد واصحابه حيث استبضعوا ما ليس لهم
او لاخوة يوسف وذلك ظاهر وفيه ان كيد الاعداء لا يدفع شيئا مما علم الله من حال المرء والضمير فى قوله وشروه اما ان يعود الى الوارد واصحابه اى باعوه
بثمن قليل لان الملتقط للشئ متهاون به وكانوا فيه من الزاهدين ممن يرغب عما فى يده قال اهل اللغة زهد فيه معناه رغب عنه وزهد عنه معناه
رغب فيه واما ان يعود الى الاخوة والمعنى باعوه او الى الرفقة والمعنى اشتروه وهكذا الضمير فى وكانوا ان عاد الى الاخوة فعلة رغبتهم فى يوسف ظاهرة
والا لم يفعلوا به ما فعلوا وان عاد الى الرفقة فذلك انهم اعتقدوا انه ابق فخافوا اعطاء الثمن الكثير عن ابن عباس ان اخوته عادوا الى الجب بعد ثلثة ايام
يتعرفون خبره فلما لم يروه فى الجب ورأوا اثار السيارة طلبوهم فلما راوا يوسف قالوا هذا عبد ابق منا فقالوا لهم فبيعوه منا فباعوه منهم فلعلهم عرفوا

انه ولد يعقوب فكرهوا اشتراءه خوفا من الله ومن ظهور تلك الواقعة الا انهم مع ذلك اشتروه بالاخوة بثمن بخس اي منحوس ناقص عن القيمة او ناقص
العيار وقال ابن عباس البخس هنا الحرام لان ثمن الحر حرام دراهم لا دنانير معدودة قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا لا يزنون الا ما بلغ الاوقية و
هي الاربعون عن ابن عباس كانت عشرين درهما وعن السدى اثنين وعشرين اخذ كل واحد من الاخوة درهمين الا يهودا فانه لم ياخذ شيئا وروى
ان اخوته اتبعوهم يقولون استوثقوا منه لا يابق والظاهر ان الضمير فيه عائد الى يوسف ويحتمل ان يعود الى الثمن البخس اي اخذوا ثمنه ما ليس بعوض
فيه قال النحويون قوله فيه ليس من متعلقات الزاهدين لان الالف واللام فيه موصول وزاهدين صلة وكما لا يتقدم نفس الصلة فكذا ما هو
متعلق به فلا يقال مثلا وكانوا زيدا من الضاربين فهو بيان كانه قيل في اي شيء زهدوا فيه والله تعالى اعلم التاويل تلك آيات الكتاب دلالات كتاب
المحب الى المحب لله دليل الى طريق الوصال ولهذا كانت احسن القصص لانها اتم قصص القرآن مناسبة ومشابهة باحوال الانسان اذ قال يوسف القلب
لابيه يعقوب الروح اني رأيت احد عشر كوكبا هن الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة اي المذكورة والحافظة والمتخيلة والمتوهمة والحس المشترك مع المفكرة
ولكل من هذه اضاءة اي ادراك للمعنى المناسب له وهم اخوة يوسف القلب لانهم تولدوا بازدواج يعقوب الروح وزوج النفس والشمس والقمر الروح والنفس
رأيتهم لي ساجدين وهذا مقام كمالية الانسان ان يصير القلب سلطانا يسجد له الروح والنفس والحواس والقوى وكذلك يجتبيك ربك على سائر
المخلوقات وهذا كمال حسن يوسف ويعلمك من تأويل الاحاديث العلم اللدني المختص بالقلب ويتم نعمته عليك بان يتجلى لك ويستوي اذ القلب
عرش حقيقي للرب وعلى آل يعقوب اي متولدات الروح من القوى والحواس كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم السر واسحق الخفي وبهما يستحق القلب القبول
فيض التجلي وهناك لله الطاف خفية لا يسع الانسان فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل آيات للسائلين عن طريق الوصول الى الله ليوسف واخوه بنيامين
الحس المشترك فان له اختصاصا بالقلب احب الى ابينا منا لان القلب محل عرش الروح ومحل استوائه عليه والحس المشترك بمثابة الكرسي للعرش اقتلوا
يوسف القلب بسكين الهوى وبسم الميل الى الدنيا او اطرحوه في ارض البشرية يخل لكم وجه ابيكم يقبل الروح بوجهه الى الحواس والقوى لتحصيل شهواتها
وتكونوا بعد موت القلب قوما صالحين للتنعم الحيوانية والنفسانية قال قائل منهم هو يهودا القوة المفكرة لا تقتلوا يوسف القلب القوه في غيابت الجب
القالب وسفل البشرية يلتقطه بعض السيارة الجواذب النفسانية يرتع في ملاعب الدنيا وانا له لحافظون من فتنة الدنيا وآفاتها لئن اكله الذئب
الشيطان انا اذا لخاسرون لان خسران جميع اجزاء الانسان في هلاك القلب وربحها في سلامة القلب وهم لا يشعرون فيه اشارة الى ان من
خصوصية تعلق الروح بالقالب ان يتولد منهما القلب العلوي والنفس السفلية والحواس والقوى فيحصل التجاذب فان كانت الغلبة للروح سعد وان
كانت للنفس شقي وجاؤا اباهم عشاء اي في النصف الاخر من مدة العمر نستبق نتشاغل باللهو في ايام الشباب وتركنا يوسف مهملا معطلا عن
الاستكمال فاكله ذئب الشيطان وجاؤا على قميصه اي قالب القلب بدم كذب هو آثار الملكات الردية زعموا انها قد سرت الى القلب وزالت نور
الايمان عنه بالكلية قال يعقوب الروح بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل على ما قضى الله وقدره والله المستعان على ما تصفون من رين القلب وموته
وجاءت سيارة هي هبوب نفحات الطاف الحق فارسلوا واردهم وارد من واردات الحق فادلى دلوه جذبة من جذبات الرحمن قال يا بشرى فيه اشارة
الى ان الجذبة بشارة في تعلقها بالقلب كما ان للقلب بشارة في خلاصه من جب الطبيعة كما قال يحبهم ويحبونه والله عليم بحكمة البشارتين
وبما يعملون من شراه بثمن بخس هو الحظوظ الفانية في ايام معدودة وكانوا فيه من الزاهدين لانهم ما عرفوا قدره وانما ميلهم الى استجلاب المنافع
الدنيوية العاجلة والله اعلم وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف في الارض
ولنعلمه من تأويل الاحاديث والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولما بلغ اشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين
وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي انه لا يفلح الظالمون ولقد
همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين واستبقا الباب وقدت قميصه
من دبر والفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد
من اهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى
قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين وقال نسوة في المدينة
امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها في ضلال مبين فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن واعتدت لهن متكأ
وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم
قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين قال رب
السجن احب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه
هو السميع العليم ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين القراءة هيت لك بضم التاء وفتح الهاء ابن كثير هيت بكسر الهاء وفتح التاء
ابو جعفر ونافع وابن ذكوان والزهري عن هشام مثله ولكن بالهمز الحلواني عن هشام مثل هذا ولكن بضم التاء البخاري عن هشام الباقون هيت لك
بفتحتين وسكون الياء المخلصين بفتح اللام حيث كان ابو جعفر ونافع وعاصم وحمزة وعلي وخلف ربي احسن بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو وابن

كثير من قبل ومن دبر بالاختلاس عباس قد شغفها مدغما ابو عمرو وعلي وحمزة وخلف وهشام وقالت اخرج بكسر التاء ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعاصم
الآخرون بالضم للاتباع حاشا لله وصلا بعده في الحالين بالالف ابو عمرو رب السجن بفتح السين على انه مصدر يعقوب الباقون بالكسر الوقوف ولدا ط
في الارض ز بناء على ان الواو مقحمة واللام متعلقة بمكنا او هي عطف على محذوف قبله اي ليتمكن ولنعلمه والاظهر انها تتعلق بمحذوف بعده اي لنعلمه
من تأويل الاحاديث كان ذلك التمكين الاحاديث ط لا يعلمون ه وعلما ط المحسنين ه هيت لك ط الظالمون ه همت به ج قد قيل بناء على ان قوله وهم جواب لولا
وليس بصحيح لان جواب لولا لا يتقدم عليه وانما جوابه محذوف وهو تحقق ما هم به كذا قال السجاوندي اقول لو وقف للفرق بين الهمين لم يبعد وهم
بها ج برهان ربه ط والفحشاء ط المخلصين لدى الباب ط اليم عن نفسي لم يذكر الائمة عليه وقفا ولعل الوقف عليه حسن كيلا يظن عطف وشهد على راودتني او
على جملة هي راودتني من اهلها ج على تقدير وقال ان كان من الكاذبين الصادقين من كيدكن ط عظيم عن هذا سكتة للعدول عن مخاطب الى مخاطب لذنبك ج
لاحتمال التعليل الخاطئين عن نفسه ج لان قد لتحسين الابتداء مع اتحاد القائل حبا ط مبين عليهن بشرا ط كريم فيه ط فاستعصم ط لاحتمال القسم الصاغرين
اليه للشرط مع الواو الجاهلين كيدهن ط العليم حين التفسير قد ثبت في الاخبار ان الذي اشتراه اما من الاخوة او من الوارد بين ذهب الى مصر وباعه واشتراه
العزيز واسمه قطفير او اطفير ولم يكن ملكا ولكنه كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان ابن الوليد رجل من الوارد بين ذهب الى مصر من
العمالقة وقد آمن بيوسف ومات في حياة يوسف فملك بعده قابوس بن مصعب ولم يؤمن بيوسف وروي ان العزيز اشتراه ابن سبع عشرة سنة واقام
في منزله ثلاث عشرة واستوزره بعد ذلك ريان بن الوليد ثم آتاه الله الحكمة والعلم ابن ثلاث وثلاثين وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك في
ايام فرعون موسى عاش اربعمائة سنة دليله قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف والمعنى ولقد جاءكم
آباؤكم وقيل اشتراه العزيز بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين ابيضين وقيل ادخلوه السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا
فابتاعه قطفير بذلك المبلغ معنى اكرمي مثواه اجعلي منزله ومقامه عندنا كريما اي حسنا مرضيا وفي هذه العبارة دلالة على انه عظم شان يوسف كما يقال
سلام على المجلس العالي وقال في الكشاف المراد تعهديه بحسن الملكة حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا ويقال للرجل كيف ابو مثواك وام مثواك لمن ينزل به
الرجل به من انسان رجل وامرأة يراد هل تطيب نفسك بثوائك عنده واللام في لامرأته يتعلق بقال ثم بين الغرض من الاكرام فقال عسى ان ينفعنا يكفينا
بعض مهماتنا او نتخذه ولدا لان قطفير كان لا يولد له ولد وكان حصورا وعن ابن مسعود افرس الناس ثلاثة العزيز حين قال لامرأته اكرمي مثواه
فتفرس في يوسف ما تفرس والمرأة التي اتت موسى وقالت لابيها يا ابت استأجره وابو بكر حين استخلف عمر وروي انه سأله عن نفسه فاخبره بنسبه
فعرفه ثم قال وكذلك اي كما انعمنا عليه بالانجاء من الجب وعطف قلب العزيز عليه مكنا له في ارض مصر حتى يتصرف فيها بالامر والنهي و
لنعلمه قد مر في الوقوف بيان متعلقه وفي اوائل السورة معنى تأويل الاحاديث المراد منه لا انه حكاية اعلاء شان يوسف في الكمالات الحقيقية واصولها القدرة
واشار اليها بقوله مكنا والعلم واشار اليه بقوله ولنعلمه ولا ريب ان ابتداء ذلك كان حين القي في الجب كما قال واوحينا اليه لتنبئنهم وكان يترقى في ذلك
الى ان بلغ حد الكمال وصار مستعدا للدعوة الى الدين الحق وللارسال الى الخلق والله غالب على امره اي على امر نفسه لا منازع له ولا مدافع او على امر يوسف
لم يكله الى غيره ولم ينجح كيد اخوته فيه ولم يكن الا ما اراد الله ودبره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيد الله ثم انه سبحانه بين وقت استكمال امره فقال
ولما بلغ اشده قيل في الاشد ثماني عشرة سنة وعشرون وثلث وثلاثون واربعون الى ثلاثين وستين آتيناه حكما وعلما فالحكم الحكمة العملية والعلم
الحكمة النظرية وانما قدمت العملية لان اصحاب الرياضات والمجاهدات يصلون اولا الى الحكمة العملية ثم الى العلم اللدني بخلاف اصحاب الافكار و
الانظار والاول هو طريقة يوسف لانه صبر على البلاء والمحن ففتح عليه ابواب المكاشفات وقيل الحكم النبوة لان النبي حاكم على الخلق والعلم علم الدين و
قيل الحكم صيرورة نفسه المطمئنة حاكمة على النفس الامارة قاهرة لها فحينئذ تفيض الانوار القدسية والاضواء الالهية من عالم القدس على جوهر النفس و
التحقيق في هذا الباب ان استكمال النفس الناطقة انما يتيسر بواسطة استعمال الآلات الجسدانية وفي اوان الصغر يكون الرطوبات مستولية عليها فهي
تضعف تلك الآلات فاذا كبر الانسان واستولت الحرارة الغريزية على البدن نضجت تلك الرطوبات وقلت واعتدلت فصارت الآلات صالحة لان
يستعملها النفس الانسانية في تحصيل المعارف واكتساب الحقائق فقوله ولما بلغ اشده اشارة الى اعتدال الآلات البدنية وقوله آتيناه حكما
وعلما اشارة الى استكمال النفس الناطقة وقوة لمعان الاضواء القدسية فيها قال في الكشاف وكذلك نجزي المحسنين فيه تنبيه على انه كان محسنا
في عمله متقيا في عنفوان امره وان الله آتاه الحكم والعلم جزاء على احسانه واعترض عليه بان النبوة غير مكتسبة والحق ان الكل بفضل الله ورحمته
ولكن للوسائط والمعدات مدخل عظيم في كل ما يصل الى الانسان من الفيوض والآثار فالانوار السابقة تصير سببا للاضواء اللاحقة وهلم جرا
عن الحسن احسن عبادة ربه في شبيبته آتاه الله الحكمة في اكتهاله ثم ان يوسف كان في غاية الحسن والجمال فلما شب طمعت فيه امرأة العزيز وذلك قوله
وراودته والمراودة مفاعلة من راد يرود اذا جاء وذهب ضمنت معنى المخادعة اي فعلت ما يفعل المخادع بصاحبه حتى يزله عن الشيء الذي يريد ان يخرجه
من يده وقد يخص بمحاولة الوقاع فيقال راود فلان جاريته عن نفسها وراودته هي عن نفسه اذا حاول كل منهما الوطء والجماع وانما قال التي هو في بيتها ولم
يقل امرأة العزيز قصدا الى زيادة التقرير مع استهجان اسم المرأة وغلقت الابواب لا ريب ان التشديد يدل على التكثير لان غلق متعدد كنفسه
هو فيه المفسرون رووا ان الابواب كانت سبعة وقالت هيت لك هذه اللغة في جميع القراءات اسم فعل بمعنى هلم لا عند من قرأ هيت لك بها

مكسورة بعدها همزة ساكنة ثم تاء مضمومة فانها بمعنى تهيأت لك يقال هاء يهيء مثل جاء يجيء بمعنى تهيأ قال النحويون هيت جاء بالحركات الثلث
فالفتح للخفة والكسر لالتقاء الساكنين والضم تشبيها بحيث واذا بين باللام نحو هيت لك فهى صوت قائم مقام المصدر كاف له اى لك اقول هذا
واذا لم يبين باللام فهو صوت قائم مقام مصدر قائم مقام الفعل ويكون اسم فعل ومعناه اما خبر اى تهيأت واما امر اى اقبل وقد روى الواحدى باسناده
عن زيد قالت هيت لك بالعبرانية هيتالج اى تعال عربه القران وقال الفراء انها لغة لاهل حوران سقطت الى مكة فتكلموا بها وقال ابن الانبارى
هذا وفاق بين لغة قريش واهل حوران كما اتفقت لغة العرب والروم فى القسطاس ولغة العرب والفرس فى السجيل ولغة العرب والترك فى الغساق ولغة
العرب والحبشة فى ناشئة الليل ثم ان المرأة لما ذكرت هذا الكلام اجاب يوسف ع بثلثة اجوبة الاول قال معاذ الله وهو من المصادر التى لا يجوز
اظهار فعلها اى اعوذ بالله معاذا وفيه اشارة الى ان حق الله تع الثانى انه والضمير للشان ربى اى سيدى ومالكى يعنى بزعمهم واعتقادهم والا فيوسف
كان عالما بانه حر والحر لا يصير عبدا بالبيع او المراد التربية اى الذى ربانى احسن مثواى حين قال اكرمى مثواه وفى هذا اشارة الى ان حق الخلق
ايضا يمنع عن ذلك العمل وقيل اراد بقوله ربى الله تع لانه مسبب الاسباب الثالث قوله انه لا يفلح الظالمون الذين يجازون الحسن بالسيئ واراد الذين
يزنون لانهم ظلموا انفسهم وفيه اشارة الى الدليل العقلى فان صون النفس عن الضرر واجب وفى هذه اللذة قليلة يتبعها الخزى فى الدنيا وعذاب فى
الاخرة فعلى العاقل ان يحترز عنها فما احسن نسق هذه الاجوبة قوله سبحانه ولقد همت به وهم بها لا اشك ان الهم لغة هو القصد والعزم لكن العلماء
اختلفوا فقال جم غفير من المفسرين الظاهريين ان تلك الهمة بلغت حد المخالطة فقال ابو جعفر الباقر ع باسناده عن على بن ابى طالب ع انها
طمعت فيه وانه طمع فيها حتى هم ان يحل التكة وعن ابن عباس انه حل الهميان اى السروال وجلس منها مجلس الجامع وعنه ايضا انها استلقت له وقعد هو بين
شعبها الاربع وروى ان يوسف حين قال ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب قال له جبرئيل ولا حين هممت يا يوسف فقال يوسف عند ذلك وما ابرئ
نفسى ان النفس لامارة بالسوء وقال الاخرون ان الهمة ما كانت الا ميلة النفس ولم يخرج شئ منهما من القوة الى الفعل ولكن كانت داعية الطبيعة وداعية
العقل والحكمة يتجاذبان اما الاولون فقد فسروا برهان ربه بان المرأة قامت الى صنم لها مكلل بالدر والياقوت فى زاوية من زوايا البيت فسترته بالثوب
فقال يوسف لم فقالت استحيى من الهى هذا ان يرانى على المعصية فقال يوسف تستحيين من صنم لا يسمع ولا يعقل ولا استحيى من الهى القائم على كل نفس بما
كسبت فوالله لا افعل ذلك ابدا وعن ابن عباس انه مثل له يعقوب عاضا على اصابعه يقول اتعمل عمل الفجار وانت مكتوب فى زمرة الانبياء والى هذا ذهب
عكرمة ومجاهد والحسن وقتادة والضحاك ومقاتل وابن سيرين وقال سعيد بن جبير تمثل له يعقوب فضرب فى صدره فخرجت شهوته من انامله وقيل صيح
يا يوسف لا تكن كالطائر كان له ريش فلما زنى قعد لا ريش له وقيل بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم
لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم راى فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم راى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله
فلم ينجع فيه فقال الله تع لجبرئيل ادرك عبدى قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبرئيل وهو يقول يا يوسف تعمل عمل السفهاء وانت مكتوب فى زمرة الانبياء
وقيل راى تمثال العزيز واما الاخرون فما سلموا شيئا من هذه الروايات وعلى تقدير التسليم فتوارد الدلائل على المطلوب الواحد غير بعيد وكذا
ترادف الزواجر فهو ع كان ممتنعا عن ذلك العمل بحسب النظر فى برهان الله الماخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم وبحسب ما اعطاه الله من النفس
القدسية المطهرة النبوية لكنه انضاف الى ذلك البرهان هذه الزواجر تكميلا للالطاف وتتميما للعناية قالوا ولو ان ادخل الزناة واشطرهم فى
لقى ما لقى به نبى الله مما ذكروا لما بقى عنده عرق ينبض وعضو يتحرك فكيف احتاج النبى الى جميع هذه الزواجر والمؤكدات حتى ينتهى عن امضاء العزيمة قالوا
والهم يتعلق بالمعانى فاسم يتضمن انه قد هم بمخالطتها ونحن نقول هم بدفعها لولا ان عرف برهان ربه وهو ان الشاهد سيشهد له انه ان كان قميصه
قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلعله لو اشتغل بان يدفعها امكن ان يتمزق قميصه من قبل فكانت الشهادة عليه لا له فلذلك ولى هاربا عنها
وفى قوله وهم بها فائدة اخرى هى ان ترك المخالطة بها ما كان لعدم رغبته فى النساء وعجز قدرته عليهن بل لاجل ان دلائل دين الله منعه عن ذلك العمل
وكيف يظن بيوسف معصية والمرأة قد ادعت البراءة بقوله هى راودتنى عن نفسى وبقوله رب السجن احب الى مما يدعوننى اليه والمرأة اعترفت بذلك حين
قالت للنسوة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقالت الان حصحص الحق وزوج المرأة صدقه فقال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم وشهد له شاهد من
اهلها كما يجئ وشهد له الله تع فقال كذلك اى مثل ذلك التثبيت ثبتناه الاوامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء خيانة السيد والفحشاء الزنا
والسوء مقدمات الجماع من القبلة والنظر بشهوة ونحو ذلك ثم اكد الشهادة بقوله انه من عبادنا والاضافة للتشريف كقوله وعباد الرحمن ثم زاد فى
التاكيد فوصفه بالمخلصين اى هو من جملة من اخلص طاعاته بصفة الاخلاص او من جملة من اخلصه الله تع بناء على قرائتى فتح اللام وكسرها
ويحتمل ان يكون من للابتداء لا للتبعيض اى هو ناشئ منهم لانه من ذرية ابرهيم ع فكل هذه الدلائل تدل على عصمة يوسف ع وانه برئ من الذنب
ولو كان قد صدرت منه زلة لنعيت عليه وذكرت توبته واستغفاره كما فى ادم وذى النون وغيرهما ولما استحق هذا الثناء والله اعلم
بحقائق الامور قوله واستبقا الباب اى تسابقا اليه على حذف الجار وايصال الفعل مثل واختار موسى قومه او على تضمين استبقا معنى ابتدرا
وانما وحد الباب لانه اراد البرانى لا جميع الابواب لئن علمها روى كعب انه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب
وقدت قميصه من دبر لانها اجتذبته من خلفه فانقد اى انشق طولا والفيا سيدها لدى الباب صادفا بعلها وهو قطفير وانما لم يقل سيدهما لان

لان ملك يوسف لم يكن ملكا فى الحقيقة روى انهما القياه مقبلا يريد ان يدخل وقيل جالسا مع ابن عم للمرأة ثم انه كان للسائل ان يسئل فما قالت المرأة
اذ ذاك فقيل قالت ما جزاء هى استفهامية او نافية معناه اى شئ جزاؤه او ليس جزاؤه الا السجن او العذاب الاليم بالضرب بالسياط
جمعت بين غرضين تنزيه ساحتها عند زوجها من الريبة والغضب على يوسف وتخويفه طمعا فى ان يواطئها خوفا ثم انها لحبها يوسف راعت دقائق الحيلة
فذكرت السجن اولا ثم العذاب لان المحب لا يريد ايلام المحبوب ما امكن وايضا لم يصرح بذكر يوسف وانه اراد بها سوءا بل قصدت العموم ليندرج يوسف فيه وفى قولها
الا ان يسجن اشعار بان ذلك السجن غير دائم بخلاف قول فرعون لموسى لاجعلنك من المسجونين ففيه اشعار بالتابيد قال يوسف هى راودتنى عن نفسى وانما
صرح لانها عرضته للسجن والعذاب فوجب عليه الدفع عن نفسه ولولا ذلك لكتم عليها قال سبحانه وشهد شاهد من اهلها قال جمع من المفسرين الشاهد
ابن عم المرأة وكان رجلا حكيما اتفق فى ذلك الوقت انه كان مع العزيز فقال قد سمعت الجلبة من وراء الباب وشق القميص الا انا لا ندرى ايكما قدام صاحبه
فان كان شق القميص من قدام فانت صادقة والرجل كاذب وان كان من خلف فالرجل صادق وانت كاذبة فلما نظروا الى القميص وراوا الشق من خلفه قال
ابن عمها انه من كيدكن وعن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك ان الشاهد ابن خال لها وكان صبيا فى المهد وقد روى عن النبى ص انه تكلم اربعة وهم صغار
ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم وعن مجاهد الشاهد هو القميص المشقوق من خلفه وضعف بان القميص بالشهادة
لا يوصف بالشهادة ولا بكونه من الاهل واعترض على القول الاول بان العلامة المذكورة لا تدل قطعا على براءة يوسف لاحتمال ان الرجل قصد المرأة
وهى قد غضبت عليه ففر فعدت خلفه كى تدركه وتضربه ضربا وجيعا واجيب بان هناك امارات اخر منها ان يوسف كان عبدا لهم والعبد لا يمكنه ان يتسلط
على مولاه الى هذا الحد ومنها قرينة الحال كزينة المرأة فوق المعتاد وما شوهد من احوال يوسف فى مدة اقامته عندهم واعترض على القول الثانى بان
شهادة الصبى خارق للعادة فيكون حجة قطعية فلم يبق للاستدلال بحال القميص ولكونه من اهلها فائدة وايضا لفظ الشهادة لا يقع فى العرف الا على من تقدم
معرفته بالواقعة والجواب ان تعيين الطريق فى الاخبار والاعلام غير لازم وكون الشاهد من اهلها اوجب مزيد الحجة عليها والزم لها والشاهد ههنا
مجاز وجه حسن انه ادى مؤدى الشاهد حيث ثبت به قول يوسف وبطل قولها قال فى الكشاف التنكير فى قبل ودبر معناه من جهة يقال لها قبل ومن
جهة يقال لها دبر واما الضمير فى قوله فلما راى وفى قوله قال انه من كيدكن فقيل انه للشاهد الذى هو ابن عمها كما ذكرنا اى ان قولك وهو ما جزاء من اراد باهلك سوءا
وان هذا الامر وهو الذى اقتضى الى هذه الرتبة من عملكن ان كيدكن عظيم قال بعض العلماء انا اخاف النساء اكثر مما اخاف الشيطان لان الله تعالى
يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم واقول لا شك ان القران كلام الله الا ان هذا حكاية قول الشاهد فلا يثبت به
ما ادعاه ذلك العالم ولو سلم فالمراد ان كيد الشيطان ضعيف بالنسبة الى ما يريد الله تعالى امضاءه وتنفيذه وكيد النساء عظيم بالنسبة الى كيد الرجال فانهن
يغلبنهم ويسلبن عقولهم اذا اعرضن انفسهن عليهم ولهذا قال ص ان النساء حبائل الشيطان ثم قال الشاهد يوسف اى يا يوسف فحذف حرف النداء اعرض
عن هذا الامر واكتمه ولا تحدث به واستغفرى يا امرأة لذنبك والاستغفار اما من الزوج او من الله تعالى لانهم كانوا يثبتون الاله الاعظم ويجعلون الالهة
شفعاء لهذا قال يوسف لصاحبى السجن ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار انك كنت من الخاطئين من المتعمدين للذنب يقال خطئ اذا
اذنب متعمدا والتذكير للتغليب وقيل الضمير فى راى وفى قال لزوج المرأة وانه كان قليل الغيرة فلذلك اكتفى منها بالاستغفار قاله ابو بكر الاصم
وقال نسوة هى اسم مفرد لجمع المرأة وتانيثه غير حقيقى ولذلك حسن حذف التاء من فعله وقد يضم نونه قال الكلبى هن اربع فى مدينة مصر
امرأة الساقى وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وزاد مقاتل امرأة الحاجب الفتى الغلام الشاب والفتاة الجارية قد شغفها اى خرق حبه
شغاف قلبها والشغاف حجاب القلب وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب حبا نصب على التمييز وحقيقته شغفه اصاب شغافه كما يقال كبده اذا اصاب كبده
وكذا قياس سائر الاعضاء وقرئ بالعين المهملة اى احرقها مع تلذذ من شعف البعير اذا هنأه فاحرقه بالقطران وقال ابن الانبارى هو من الشعف وهو رؤوس
الجبال اى ارتفع محبته الى اعلى المواضع من قلبها انا لنريها فى ضلال مبين الخطاء عن طريق الصواب فلما سمعت بمكرهن اغتيابهن وسوء قالتهن فيها وانما سمى
الاغتياب بالمكر لانهما اشتركا فى الاخفاء وقيل انهن ضمن كتمان سرها فافشينه فسمى مكرا ارسلت اليهن تدعوهن وقيل اراد بذلك ان يتوسلن
الى رؤية يوسف فلهذا سمى مكرا وقيل كن اربعين واعتدت وهيأت لهن متكأ موضع اتكاء واصله متوكأ لانه من توكأت ابدلت الواو تاء ثم ادغمت فى
المراد هيأت لهن نمارق يتكئن عليها كعادة المترفات ثم انها قصدت بذلك تهويل يوسف من مكرها اذا خرج على اربعين نسوة مجتمعات فى ايديهن
السكاكين توهمهن انهن يثبن عليه وقيل المتكأ مجلس الطعام لانهن كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث على هيئة المتنعمات ولذلك نهى ان ياكل الرجل
متكئا واتت كل واحدة منهن سكينا ليعالجن بها ما ياكلن بها وقيل اراد بالمتكأ الطعام على سبيل الكناية لان من دعوته ليطعم عندك اتخذت له متكأ وقال مجاهد
هو طعام يحتاج الى ان يقطع بالسكين لان القاطع متكئ على المقطوع بالة القطع وقرئ متكا مضموم الميم ساكن التاء مقصورا وهو الاترج فلما راينه اكبرنه
اعظمنه وهبن ذلك الجمال وكان احسن خلق الله الا ان نبينا ص كان املح قيل كان يشبه ادم ع يوم خلقه ربه وما كان احد يستطيع وصفه وبرى تلالؤ
وجهه على الجدران وقد ورث الجمال من جدته سارة وعن النبى ص مررت بيوسف الليلة التى عرج بى الى السماء فقلت لجبرئيل من هذا فقال يوسف
فقيل يا رسول الله كيف رايته قال كالقمر ليلة البدر وقال الازهرى اكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت يقال اكبرت المرأة اى دخلت فى الكبر بالحيض وفى
حيضهن ح بان المرأة اذا فزعت سقطت ولدها فحاضت فالمراد حضن دهشة وقيل اكبرنه لما راين عليه من نور النبوة وسيما الرسالة واثار

الخضوع والاخبات والاخلاق الفاضلة الملكية كعدم الالتفات الى المطعوم والمنكوح فلذلك وقعت الهيبة والرعب في قلوبهن وقطعن ايديهن اي
جرحنها بانه لم يعرفن الفاكهة من اليد وبانه لم يفرقوا بين الجانب الحاد من السكين وبين مقابله فوقع الطرف الحاد في ايديهن وكفهن وحصل الاعتماد على
ذلك الطرف فجرح الكف وهذا القول شديد الملاءمة لقولهن حاش لله اي تنزه عما يشينه من خصلة ذميمة ان هذا الا ملك كريم في السترة والعفة و
الطهارة واما قول زليخا فذلكن الذي لمتنني فيه فانما ينطبق على هذا التاويل من حيث ان الصورة الحسنة مع العفة الكاملة يوجب حصول الياس من الوصال
وحصول الغرض المجازي وذلك يستتبع فرط الحيرة وزيادة العشق وعلى القولين الاولين فالمعنى تنزيه الله من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله كما ان
قولهن حاش لله ما علمنا عليه تعجب من قدرته على خلق عفيف مثله قال صاحب الكشاف حاشا كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء واللام في لله
للبيان من بيانه وهي حرف الحلق وضع موضع التنزيه والبراءة وقال ابو البقاء الجمهور على انه ههنا فعل لدخوله على حرف الجر وفاعله مضمر وحذف
الالف من اخره فللتخفيف وكثرة دورها على الالسنة تقديره حاشى يوسف اي بعد عن المعصية لخشية الله وصار في حاشية اي ناحية ما هذا بشرا
اعمال ما عمل ليس له لغة حجازية ان هذا اي ما هذا الشخص الا ملك كريم استدل بعضهم بالاية على افضلية الملك كما مر في اول سورة البقرة فالواو
انما قلن ذلك لما ركز في العقول ان لا احسن من صورة الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من صورة الشيطان واعترض عليه بانه لا مشابهة بين صورة الانسان و
صورة الملك واجيب بعد التسليم بتغيير المدعي وهو انهن اردن المشابهة في الاخلاق الباطنة وبها يحصل المطلوب وزيف بان قول النسا لا يصلح
للحجة وفي الاية دلالة على انهن باللوم احق لانه لحقهن بنظرة واحدة ما لم يلحقها في مدة طويلة انظار كثيرة فلذلك قالت فذلكن الذي لمتنني فيه وسئل
ههنا ان يوسف كان حاضرا فلم اشارت بعبارة البعيد واجاب ابن الانباري بانها اشارت اليه بعد انصرافه من المجلس وهذا شيء يتعلق بالنقل
وما علماء البيان فانهم بنوا الامر على ان يوسف حاضر واجابوا بانها لم تقل هذا دفعا لمنزلته في الحسن واستحقاق ان يحب ويفتتن به واستبعاد المحل او
هو اشارة الى المعنى بقولهن في المدينة عشقت عبدها الكنعاني كانها قالت هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في انفسكن ثم لمتنني فيه
يعني انكن لم تصورنه بحق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به ولما ظهرت عذرها عند النسوة صرحت بحقيقة الحال فقالت و
لقد راودته عن نفسه فاستعصم قال السدي اي بعد حل السراويل والذين يثبتون عصمة الانبياء قالوا ان استعصم بناء مبالغة يدل على
الامتناع البليغ والتحرز الشديد كانه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها وفيه شهادة من المرأة على ان يوسف صادر عنه امر في الشرع
والعقل الصلاح ولئن لم يفعل ما امره قال في الكشاف معناه الذي امر به فحذف الجار كما في امرتك الخير وما مصدرية والضمير ليوسف اي امري
اياه اي موجب امري ومقتضاه وليكونا من الصاغرين هي نون التاكيد المخففة ولهذا يكتب بالالف والصغار الذل والهوان ومعلوم ان
التوعد بالصغار تاثيره عظيم في حق من كان رفيع النفس جليل القدر مثل يوسف ثم انه اجمع على يوسف في هذه الحالة انواع من المحن والفتن منها ان زليخا كانت
في غاية الحسن ومنها انها كانت ذات مال وثروة وقد عزمت ان تبذل الكل ليوسف على تقدير ان يساعدها ومنها ان النسوة اجتمعن عليه مرغبات في
مخوفات ومنها انها كانت ذات قدرة ومكنة وكان خائفا من شرها ومن اقدامها على قتله ولا ريب ان نطاق عصمة البشرية يضيق عن بعض هذه الاسباب فضلا
عن كلها وعن زيد منها ولهذا التجا يوسف الى الله تعالى قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه لان السجن وان كان مشقة فهو زائلة والذي يدعونه
اليه وان كان لذة عاجلة مستعقبة لخزي الدنيا وعذاب الاخرة والا تصرف عني كيدهن بترجيح داعية الخير وعزوف النفس او بمزيد الالطاف والعصمة
اصب اليهن والصبوة الميل الى الهوى ومنها الصبا لان النفوس تصبو الى روحها واكن من الجاهلين الذين لا يعلمون او لا يكون في علمهم فائدة او من
السفهاء لان الحكيم لا يفعل القبيح ولما كان في قوله والا تصرف معنى الدعاء وطلب الصرف قال سبحانه فاستجاب له ربه ثم ان المرأة اخذت في الاحتيال
وقالت لزوجها ان هذا العبد العبراني فضحني في الناس ويقول لهم في المجالس اني راودته عن نفسي وانا لا اقدر على اظهار عذري فاما ان تاذن لي
فاخرج فاعتذر واما ان تحبسه كما حبستني فعند ذلك وقع في قلب العزيز ان الاصلح حبسه حتى ينسى الناس هذا الحديث فذلك قوله
تعالى ثم بدا اي ظهر لهم للعزيز ومن يليه وله وحده والجمع على عادتهم في تعظيم الاشراف من بعد ما راوا الايات الدالة على براءة يوسف من شهادة
الصبي واعتراف المرأة وشهادة النسوة له بالسترة والملكية والعفة وفاعل بدا مضمر اي ظهر لهم راي وهو سجنه وانما حذف لدلالة ما يفسر عليه
وهو ليسجننه والقسم محذوف حتى حين الى زمان ممتد عن ابن عباس الى زمان انقطاع القالة وما شاع في المدينة وعن الحسن خمسين سنين و
غيره سبع سنين وعن مقاتل انه حبس اثنتي عشرة سنة التاويل لما اخرج يوسف القلب من جب الطبيعة ذهبوا به الى مصر الشريعة فاشتراه عزيز
مصرها وهو الدليل المربي على جادة الطريقة ليوصله الى عالم الحقيقة فقال لامرأته وهي الدنيا اكرمي مثواه اخدميه بقدر الحاجة الضرورية
عسى ان ينفعنا حتى يكون صاحب الشريعة فيتصرف في الدنيا باكسير النبوة فيصير النبوة الشريعة حقيقة والدنيا اخرة او نتخذه ولدا من بعده
بلبان لبن ثدي الشريعة والطريقة الى ان يبلغ الفطام ام عن الدنيا الدنية وكذلك مكنا اشارة الى ان تمكين يوسف القلب في ارض البشرية انما هو
لنعلمه العلم اللدني لان الثمرة انما تظهر على الشجرة اذا كان اصل الشجرة راسخا في الارض والله غالب على امر القلب في توجهه الى محبة الله وطلبه او على امر الغالب
بجذبات العناية واقامته على الصراط المستقيم فتكون تصرفاته بالله ولله وفي الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم خلقوا مستعدين لهذا الكمال
وكذلك نجزي المحسنين اي كما افضنا على القلب ما هو مستحقه من الحكم والعلم كذلك نجزي الاعضاء الرئيسة والجوارح اذا احسنوا الاعمال والاخلا

لان الوقف عليها بالالف

التاويل

على قاعدة الشريعة والطريقة خير الجزاء وهو التبليغ الى مقام الحقيقة وراودته فيه اشارة الى ان يوسف القلب ان استغرق في بحر صفات الالوهية
لا ينقطع عنه تصرفات زليخا الدنيا ما دام هو في بيتها اي في الجسد الدنياوي وغلقت ابواب اركان الشريعة وقالت هيت لك اقبل الي واعرض عن
الحق قال اي القلب التفاني عن نفسه الباقي بمقام ربه معاذ الله عما سواه احسن مثواي في عالم الحقيقة انه لا يفلح الظالمون الذين يقبلون على الدنيا
ويعرضون عن المولى وهم بها فوق الحاجة الضرورية لولا ان راى برهان ربه وهو نور خصلة القناعة التي هي من نتائج نظر العناية لنصرف عنه السوء
الحرص على الدنيا والفحشاء بصرف حب الدنيا انه من عبادنا المخلصين الذين خلصوا من سجن الوجود المجازي ووصلوا الى الوجود الحقيقي واستبقا
باب الموت الاختياري وقدت قميص بشريته من دبر بيد شهواتها قبل خروجه من الباب والفيا سيدها وهو صاحب الولاية تربية يوسف القلب زوج
زليخا الدنيا لانه يتصرف في الدنيا كما ينبغي فيثمر الوجد في المرأة وشهد شاهد من اهلها هو حاكم العقل العزيز دون العقل المجرد الذي هو ليس
الدنيا واهلها في شيء فتبين حاكم العقل ان تصرف زليخا الدنيا لا يصل الى يوسف القلب الا بواسطة قميص لباس بشريته ان كيدكن عظيم وهو قطع
طريق الوصول الى الله العظيم على القلب السليم يوسف اعرض عن هذا فان ذكر الدنيا يورث محبتها وحب الدنيا راس كل خطيئة وقال نسوة هي الصفات
البشرية من البهيمية والسبعية والشيطانية في مدينة الجسد تراود فتاها لان الرب اذا تجلى للعبد خضع له كل شيء يا دنيا اخدمي من خدمني و
اعتدت لهن متكأ الطعمة مناسبة لكل منها واتت كل واحدة منهن سكينا الذكر وقالت اخرج عليهن اشارة الى غلبات احوال القلب على الصفات
البشرية وقطعن ايديهن بالذكر عما سوى الله ثم بدا لهم اي ظهر لمربي القلب بلبان الشريعة وهو شيخ الطريقة ومن يراعي صلاح حال القلب
بعد ما راوا اثار عناية الله وعصمة القلب من الالتفات الى ما سواه ليسجننه في سجن الشرع الى حين قطع تعلقه عن الجسد بالموت نظيره واعبد ربك حتى
ياتيك اليقين واذا كان النبي مع نهاية كماله مامورا بان يكون مسجونا في هذا السجن فكيف لمن دونه والله اعلم ودخل معه السجن فتيان قال
احدهما اني اراني اعصر خمرا وقال الاخر اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه نبئنا بتاويله انا نراك من المحسنين قال
لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتاويله قبل ان ياتيكما ذلكما مما علمني ربي اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالاخرة هم
كافرون واتبعت ملة اباءي ابراهيم واسحق ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس و
لكن اكثر الناس لا يشكرون يا صاحبي السجن ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها
انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله امر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون
يا صاحبي السجن اما احدكما فيسقي ربه خمرا واما الاخر فيصلب فتاكل الطير من راسه قضي الامر الذي فيه تستفتيان وقال للذي
ظن انه ناج منهما اذكرني عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان
ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات يا ايها الملا افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون قالوا اضغاث
احلام وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين وقال الذي نجا منهما وادكر بعد امة انا انبئكم بتاويله فارسلون يوسف ايها
الصديق افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون قال
تزرعون سبع سنين دابا فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تاكلون ثم ياتي من بعد ذلك سبع شداد ياكلن ما قدمتم
لهن الا قليلا مما تحصنون ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال
ارجع الى ربك فسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ان ربي بكيدهن عليم قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش
لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب
وان الله لا يهدي كيد الخائنين وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم القراءات اني اراني اعصر في الحرفين
بالفتح ابو جعفر ونافع وابو عمرو وافق ابن كثير في اراني كليهما الباقون بسكون ياء المتكلم في الكل نبئنا بغير همزة او قيمه الاعشى وحمزة في الوقف يرزقانه مختلسة الحلواني
عن قالون نبأتكما مثل انبأتكم ربي اني بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو اباءي بالفتح ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر اني ارى بالفتح ابو جعفر ونافع
وابو عمرو والرؤيا بالامالة علي غير قتيبة ابو عمرو بالامالة اللطيفة والقول في ترك الهمزة مثل ما تقدم للرؤيا بامالة علي وابو عمرو بالامالة اللطيفة لعلي
ارجع بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير غير ابن مجاهد عن ابن ذكوان وابو عمرو دابا بفتح الهمزة حفص الاخرون بالسكون يعصرون بتاء الخطاب
حمزة وعلي وخلف المفضل الباقون على الغيبة ما بال النسوة بضم النون الشموني في الرجمي نفسي رحم ربي بالفتح فيهما ابو جعفر ونافع وابو عمرو الوقوف
فتيان ط خمرا ج فصلا بين القصتين مع اتفاق الجملتين الطير منه ط للعدول عن قول احدهما الى قولهما الضراب بتاويله ج لاحتمال التعليل المحسنين
ان ياتيكما ط ربي كافرون ويعقوب ط من شيء ط لا يشكرون القهار من سلطان ط الا لله ط الا اياه ط لا يعلمون خمرا ج فصلا بين الجوابين مع اتفاق الجملتين
راسه ط لان قوله قضي جواب قولهما كذبنا وما راينا رؤيا تستفتيان ط لاستئناف حكاية اخرى عند ربك سنين ط يابسات ط تعبرون لاحلام للنفي مع
العطف بعالمين فارسلون يابسات لتعلق لعلي يعلمون دابا للشرط مع الفاء تاكلون تحصنون تعصرون ائتوني به ايديهن ط عليم عن نفسه ط من سوء
الحق لانقطاع النظم واتصال المعنى واتحاد القائل الصادقين الخائنين الجزء الثالث عشر نفسي لاحتمال ما بعده ان يكون من تمام الكلام

هو سكين

ع ٥

ع

ع

عشر الثالث

ع

تخبوه ودخل معه اي صاحباه في الدخول السجن فتيان غلامان للملك الاكبر خبازه وشرابيه نقلا عن ائمة التفسير واستدلالا بروءيهما
المناسبة لحرفتهما رفع الى الملك انهما ارادا سمه في الطعام والشراب فامر بادخالهما السجن ساعة ادخل يوسف قال احدهما اني اراني اي في المنام اعصر خمرا
نبئنا بتاويله هو حكاية حال ماضية اعصر خمرا اي عنبا تسمية للشيء باسم ما يؤول اليه وقيل الخمر بلغة عمان اسم العنب والضمير في قوله بتاويله يعود
الى ما قصا عليه وقد يوضع عليه الضمير موضع الاشارة كانه قيل نبئنا بتاويل ذلك انا نريك من المحسنين عبارة الرؤيا وكان اهل السجن يقصون
عليه رؤياهم فيؤولها لهم او نريك من العلماء عرفا ذلك بالقرائن او من المحسنين في طاعة الله وطلب مرضاته ففرج عنا الغمة بتاويل ما رايناه ان كانت
لك يد في تاويل الرؤيا وعن قتادة وكان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا توجروا فقالوا ما احسن وجهك وما احسن
خلقك من انت يا فتى فقال انا يوسف صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكني
احسن جوارك فكن في اي بيوت السجن شئت وعن الشعبي ومجاهد انهما تحالما له ليمتحناه فقال الشرابي اني اراني في بستان واذا باصل كرم عليه ثلثة عناقيد
من عنب فقطعتها وعصرتها في كاس الملك وسقيته وقال الخباز اني اراني فوق راسي ثلث سلال فيها انواع الاطعمة واذا سباع الطير تنهش منها قال لا ياتيكما
طعام الى اخره هذا ليس بجواب لهما ظاهرا وانما قدم هذا الكلام لوجوه منها ان احد التعبير لما كان هو الصلب كان في سماعه كراهة ونفرة اراد
ان يقدم قبل ذلك ما يوثق بقوله ويخرجه عن معرض التهمة والعداوة واراد ان يبين علو مرتبته في العلم وانه ليس المعبرين الذين يعبرون
عن ظن وتخمين ولهذا قال السدي اراد لا ياتيكما طعام ترزقانه في النوم بين مثلا ان علمه بتاويل الرؤيا ليس مقصورا على شيء دون غيره وقيل انه يحول
على اليقظة وانه على ادعى معرفة الغيب كقول عيسى وانبئكم بما تاكلون اي اخبركما قبل ان ياتيكما انه اي طعام هو واي لون هو وعلى لون هو وكيف
يكون عاقبته اهو صار ام نافع وان فيه سماما لا يفقد روي ان الملك كان اذا اراد قتل انسان صنع له طعاما مسموما فارسله اليه ثم قال ذلكما اي هذا التاويل
والاخبار بالمغيبات من قبيل الوحي والالهام لا من التكهن والتنجيم الذي يكثر فيهما وقوع الخطاء ثم شرع في تمهيد ملته مشيرا فيها الى انه رسولي من عند الله ومنبها
على ان الاشتغال بمصالح الدنيا حتى ان الرجل الذي سيصلب لعله يسلم فلا يموت على الكفر فقال اني تركت اي رفضت بل ما كنت فيها قط ويجوز
ان يكون قبل ذلك غير مظهر للتوحيد خوفا منهم لانه كان تحت ايديهم وانما كرر لفظهم تنبيها على انهم مخصوصون في ذلك الزمان بانكار المعاد وتعريضا بان
اهل السجن بعد معاينة الايات الشاهدة على براءته لا يصدق الاعمى بنكر الجزاء اشد انكار والمراد باتباع ملة ابائه الاتباع في الاصول التي لا يتبدل بتبدل
الشرائع ومعنى التنكير في قوله من شيء الرد على كل طائفة خالفت الملة الحنيفية من عبدة الاصنام والكواكب وغيرهم ذلك التوحيد من فضل الله علينا وعلى
الناس لا يشكرون نعمة الله الايمان او نعمة اعطاء القدرة والاختيار الايمان فلا ينظرون في الدلائل وهذا يناسب اصول المعتزلة وعن بعضهم انا لا
نشكر الله على الايمان بل الله يشكرنا عليه كما قال فاولئك كان سعيهم مشكورا يا صاحبي السجن اراد يا صاحبي في السجن كقوله يا سارق الليلة خصهما بهذا النداء
لانهما دخلا السجن معا واراد يا ساكني السجن كقوله اصحاب النار وسبب التعبير انهما استفتياه من بين الساكنين ثم انكر عليهم عبادة الاصنام فقال ءارباب متفرقون
في العدد والجهة وفيما يتبعهما من اختلاف الاعراض والابعاض خير ام ان فرض خيرا ام الله الواحد القهار لان وحدة المعبود تستدعي توحيد المطلب تفريد المقصد
وكونه قهارا غالبا غير مغلوب من وجه يوجب حصول كل ما يرجى منه من ثواب وصلاح اذا تعلقت ارادته بذلك فلا يصلح للمعبودية الا هو ولا يصلح حقيقة الالهية
في غيره فلذلك قال ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها اي سميتم الالهة بتلك الاسماء انتم واباؤكم والخطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر كانهم
لا يعبدون الا اسماء فارغة عن المسميات ما انزل الله بها بتسميتها من سلطان اي حجة ثم لما نفى معبودية الغير بين ان لا حكم في امر الدين والعبادة الا له
في الحكم فقال ان الحكم الا لله ثم ذكر ما حكم به فقال امر ان لا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم الثابت بالبراهين ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه
مبدأ المبادي والمعاد الحقيقي فيتخذون غيره معبودا ويجعلون لغيره من الاصنام والاجرام بالاستقلال فعلا وتاثيرا ثم شرع في اجابة مقترحهما وهو ما
رويا فقال اما احدكما يعني الشرابي فيسقي ربه سيده خمرا روي انه قال له ما رايت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده واما القضبان
الثلثة فانها ثلثة ايام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال للثاني ما رايت من السلال ثلثة ايام ثم تخرج فتصلب فتاكل الطير من راسك
قوله قضي الامر قال في الكشاف انما وحد الامر وهما امران مختلفان استفتيا فيهما لان الامر المراد بالامر ما اتهما به من سم الملك وما سجنا لاجله فكانهما
استفتياه في الامر الذي نزل بهما اعاقبته نجاة ام هلاك استدلالا برؤيهما فقال ان ذلك الذي ذكرته من امر التاويل كائن لا محالة صدقتما او كذبتما
وقيل عكسا رؤياهما فلما علم الخباز ان تاويل رؤياه شر نكر كونه صاحب تلك الرؤيا فقال يوسف ان الذي حكمت به لكل منكما واقع لا بد منه ومن هنا
قالت الحكماء ينبغي ان لا ينصرف في الرؤيا ولا يغير عن وجهها فان الفال على ما جرى وقال يوسف للذي ظن انه ناج منهما ان كرني عند ربك اي اذكر عند الملك
اني مظلوم من جهة اخوتي اخرجوني وباعوني ثم اني مظلوم من جهة النسوة اللاتي حبسني الضمير في ظن ان كان للرجل الناجي فلا اشكال لانهما اما كانا مؤمنين بنبوة
يوسف بل كانا حسني الاعتقاد فيه وكان قوله لم يفد تحقيقا الا بحكم الظن وان عاد الى يوسف فرد عليه انه كان قاطعا بنجاته فما المعنى للظن واجيب بانه
انما ذكر ذلك التعبير بناء على الاصول المقررة في ذلك العلم فكان كالمسائل الاجتهادية والاصح انه قضي بذلك على سبيل البت والقطع لقوله ذلكما مما لا ياتيكما
طعام الى قوله ذلكما مما علمني ربي فالظن على هذا بمعنى اليقين كقوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم اما الضمير في قوله فانساه الشيطان فمن الناس من قال
انه يعود الى الرجل الناجي اي انساه الشيطان ذكر يوسف لسيده او عند سيده فاضافة الذكر الى الرب للملابسة لا لاجل انه فاعل او مفعول والمضاف

محذوف تقديره فانساه ذكر اخبار ربه واسناد الانساء الى الشيطان مجاز لان الانساء عبارة عن ازالة العلم عن القلب والشيطان لا قدرة له على ذلك
والا لازال معرفة الله من قلوب بني ادم وانما فعله القاء الوسوسة واحضار الهواجس التي هي من اسباب النسيان ومنهم من قال الضمير راجع الى يوسف والمراد بالرب
هو الله تعالى اي الشيطان انسى يوسف ان يذكر الله تعالى وعلى القولين عوتب باللبث في السجن بضع سنين والبضع ما بين الثلثة الى العشرة لانه القطعة من
العدد والبضع القطع ومثله العضب والاكثرون على ان المراد به ههنا سبع سنين وعن ابن عباس كان قد لبث خمس سنين وقد اقترب خروجه فلما تضرع
الى ذلك الرجل لبث بعد ذلك سبع سنين عن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك ما لبث في السجن وعن مالك انه لما قال اذكرني عند
ربك قيل له يا يوسف اتخذت من دوني وكيلا لاطيلن حبسك فبكى يوسف تالله طول البلاء انساني ذكر المولى فويل لاخوتي قال المحققون الاستعانة
بغير الله في دفع الظلم جائز وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لو باح به النوم ليلة من الليالي وكان يطلب من يحرسه حتى جاء سعد بن وقاص فنام وقال تعالى حكاية عن
عيسى من انصاري الى الله ولا خلاف في جواز الاستعانة بالكفار في دفع الظلم والغرق والحرق الا ان يوسف عوتب على قوله اذكرني عند ربك لوجوه
منها انه لم يقتد بالخليل جده حين وضع في المنجنيق فاتاه جبريل في الهواء وقال هل من حاجة فقال اما اليك فلا مع انه اتبع ملته بامانة ومنها انه قال ما
كان لنا ان نشرك بالله من شيء وهذا يقتضي نفي الشرك على الاطلاق وتفويض الامر بالكلية الى الله سبحانه فقوله اذكرني عند ربك كالمناقض لهذا
الكلام ومنها انه قال عند ربك ومعاذ الله انه زعم انه الرب بمعنى الاله الا ان اطلاق هذا اللفظ على غير الله لا يليق بمثله وان كان رب الدار ورب
الغلام مستعملا في كلامهم ومنها انه لا يقترن بكلامه ان شاء الله ولما دنا فرج يوسف رأى الله في المنام سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات
عجاف فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا اخر يابسات قد استحصدت وادركت فالتوت اليابسات على
الخضر حتى غلبن عليها فاضطرب الملك بسببه لان فطرته قد شهدت بان استيلاء الضعيف على القوي منذر بنوع من انواع الشر الا انه لم يعرف
تفصيله والشيء اذا علم من بعض الوجوه عظم الشوق الى تكميل تلك المعرفة ولا سيما اذا كان صاحبه ذا قدرة وتمكين فبهذا الطريق امر الملك بجمع الكهنة
والمعبرين وقال يا ايها الملأ افتوني في رؤياي ثم انه تعالى اذا اراد امرا هيأ اسبابه فاعجز الله اولئك الملأ عن جواب المسئلة وعماه عليهم حتى قالوا اضغاث
احلام ونفوا عن انفسهم كونهم عالمين بتاويلها واعلم ان الله سبحانه خلق جوهر النفس الناطقة بحيث يمكنها الصعود الى عالم الافلاك ومطالعة
اللوح المحفوظ الا ان المانع لها عن ذلك في اليقظة هو اشتغالها بتدبير البدن وبما يرد عليها من طريق الحواس وفي وقت النوم يقل تلك الشواغل فتقوى
النفس على تلك المطالعة فاذا وقعت الروح على حالة من تلك الاحوال فان بقيت في الخيال كما شوهدت لم يحتج الى التاويل وان نزلت اثارا مخصوصة مناسبة
لذلك الادراك الروحاني الى عالم الخيال فهناك يفتقر الى المعبر ثم منها ما هي متسقة منتظمة يسهل على المعبر الانتقال من تلك المتخيلات الى الحقائق الروحانية
ومنها ما يكون مختلطة مضطربة لا يضبط تحليلها وتركيبها للتشويش الواقع في ترتيبها وتاليفها فهي المسماة بالاضغاث وبالحقيقة الاضغاث ما يكون
مبدأها تشويش القوة المتخيلة لفساد وقع في القوى البدنية او لورود امر غريب عليه من خارج لكن القسم المذكور قد يعد من الاضغاث من حيث انها
المعبر عن تاويلها ولنشتغل بتفسير الالفاظ اما الملك فريان بن الوليد ملك مصر وقوله اني ارى حكاية حال ماضية وسمان جمع سمينة وسمين وسمينة
يجمع على سمان كما يقال رجال كرام ونسوة كرام قال النحويون اذا وصف المميز فالاولى ان يوقع الوصف صفة للمميز كما في الاية دون العدد لانه ليس بمقصود بالذات فلهذا
قيل سمان بالجر ليكون وصفا للبقرات ويحصل التمييز للسبع بنوع من البقرات وهي السمان منهن ولو نصب جعل تمييز السبع بجنس البقرات ولا تعلم من الوصف
ان المميز بالجنس موصوف بالسمن والعجف هو الهزال الذي ليس بعده هزال والنعت اعجف وعجفاء وهما لا يجمعان على فعال ولكنه حمل على سمان لانه نقيضه وقوله
سبع عجاف تقديره بقرات سبع عجاف فحذف للعلم به كما في قوله واخر يابسات التقدير وسبعا اخر ولا انصباب المعنى الى هذا العدد وانما لم يقل سبع عجاف
على الاضافة لان البيان لا يقع بالوصف وحده وقولهم ثلثة فرسان وخمسة اصحاب لانه وصف جرى مجرى الاسم ولا يجوز ان يكون قوله واخر مجرورا عطفا
على سنبلات لان لفظ الاخر يأباه ويبطل مقابلة السبع بالسبع واراد بالملأ الاعيان من العلماء والحكماء واللام في للرؤيا للبيان كما قلنا في وكانوا فيه من الزاهدين
او لان عمل العامل فيما تقدم عليه يضعف فيعضد باللام كما يعضد اسم الفاعل بها وان تأخر معموله اولان قوله للرؤيا خبر كان كقوله هو لهذا الامر اي
متمكن منه مستقل به وتعبرون خبر اخر او حال او ضمن تعبرون معنى يتعدى باللام والعبارة الرؤيا والفصيح عبرت الرؤيا بالتخفيف وقد يشدد واشتقاقه
من العبر بالكسر فالسكون وهو جانب النهر فيقال عبرت النهر اذا قطعته حتى يبلغ اخر عرضه وعبرت الرؤيا اذا تاملت ناحيتها فانتقلت من احد
الطرفين الى الاخر والاضغاث جمع ضغث وهو الحزمة من انواع النبت والحشيش مما طال ولم يقم على ساق والاضافة بمعنى من اي اضغاث من احلام والصيغة
للجمع لكن الواحد قد يوصف بها كما يقال رمح اقصاد وبرمة اعشار فالمراد هي حلم اضغاث احلام وقد يطلق الجمع ويراد به الواحد كقولهم فلان يركب الخيل
ويلبس العمائم وان لم يركب الا فرسا واحدا ولم يلبس الا عمامة واحدة ويجوز ان يكون قد قص عليهم احلام اخر والالف واللام في الاحلام اما للعهد كانهم
ارادوا المنامات الباطلة او للجنس وارادوا انهم غير متبحرين في علم تاويل الرؤيا ولما اعضل على الملأ تاويل رؤيا الملك تذكر الناجي يوسف وتاويله
رؤياه ورؤيا صاحبه المصلوب تذكر قوله اذكرني عند ربك وذلك قوله سبحانه وادكر واصله اذتكر فليث لتلوا لدال كلاهما دالا لانهما دالا وادغمت
بعد امة اي بعد حين لانها حصلت من اجتماع ايام كثيرة وقرئ بكسر الهمزة وهي النعمة اي بعد ما انعم عليه بالنجاة وقرئ بعد امه بوزن عمه معناه انا انبئكم
بتاويله اخبركم بمن عنده علمه فارسلون اليه لاسئله والخطاب للملك والجمع للتعظيم او له وللملأ حوله والمعنى مرني باستعباره وعن ابن عباس لم يكن

البحر في المدينة وههنا اضمار والمراد فارسلوه الى يوسف فاتاه فقال يوسف ايها الصديق البليغ الكامل في الصدق وصفه بهذه الصفة لانه تعرف
احواله من قبل وفيه انه يجب على المتعلم تقديم ما يفيد المدح لمعلمه وانما اعاد عبارة الملك بعينها لان التعبير يختلف باختلاف العبارات وقوله لعلي ارجع فيه
نوع من حسن الادب لانه لم يقطع بانه يعيش الى ان يعود اليهم وعلى تقدير ان يعيش فربما عرض له ما يمنعه عن الوصول اليهم من الموانع التي لا تحصى كثرة و
كذا في قوله لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيخلصوك او يعلموا امتنانه فيكون فيه نوع شك لانه راى عجز سائر المعبرين وقيل كرر لعل مراعاة
لفواصل الاي والا كان مقتضى النسق لعلي ارجع الى الناس فيعلموا ومثله في هذه السورة لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون
قال يوسف في جواب الفتوى تزرعون سبع سنين قيل هو خبر في معنى الامر يفيد المبالغة في ايجاب ايجاد المامور به قال في الكشاف والدليل على كونه
في معنى الامر قوله فذروه في سنبله واقول يمكن ان يكون قوله تزرعون اخبارا عما سيوجد منهم في زمن الغيث والمطر لان الزرع يلزم نزول الامطار
عادة وقوله فما حصدتم ارشاد لهم الى الاصلح لهم في ذلك الوقت دابا بتسكين الهمزة وتحريكها مصدر داب في العمل اذا استمر عليه وانتصابه على
الحال اي تزرعون دائبين او على المصدر والحال فعلها تدابون دابا ثم امرهم بان يتركوه في السنابل الا القدر الذي ياكلونه في الحال
لئلا يقع فيه السوس ثم ياتي من بعد ذلك فيه دليل على ان تزرعون اخبار لا امر سبع سنين شداد على الناس ياكلن ما قدمتم لهن من
الاسناد المجازي لان الاكلين اهل تلك السنين لا السنون الا قليلا مما تحصنون تحرزون وتخبئون والاحصان جعل الشيء في الحصن كما
ان الاحراز جعل الشيء في الحرز اخبر انه ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس من الغوث او من الغيث تقول غيثت البلاد اذا امطرت وفيه يعصرون العنب
والزيتون والسمسم وقيل يحلبون الضروع تاول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بالسنين ثم بشرهم بالبركة
في العام الثامن قال المفسرون انه قد عرف ذلك بالوحي عن قتادة زاده الله علم سنة وقيل عرف استدلالا لانه اذا انتهى الجدب لا يكون الا الخصب والجواب انه لا
يلزم من انتهاء الجدب الخصب والخير الكثير فقد يكون توسط الحال وايضا في قوله وفيه يعصرون نوع تفصيل لا يعرف الا بالوحي ولما رجع الشرابي الى الملك وعرض
عليه التعبير استحسنه فقال ائتوني به فجعل الله سبحانه علمه سببا للخلاص من المحنة الدنيوية فيعلم منه ان العلم سبب للخلاص من المحن الاخروية ايضا فلما جاءه الرسول
وهو الشرابي فقال اجب الملك قال يوسف ارجع الى ربك فسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ما شانهن وما حالهن ان ربي اي الله العالم
بخفيات الامور او العزيز الذي رباه بكيدهن عليم وعلى الاول اراد انه كيد عظيم لا يعلمه الا الله لبعد غوره او استشهد بعلم الله على انهن كدنه واراد
الوعيد اي هو عليم بكيدهن فيجازيهن عليه وكيدهن ترغيبهن اياه في مواتاة سيدته او تقبيح صورته عند العزيز حتى يرضى بسجنه ومن لطائف الاية
انه اراد وسئل الملك ان يسئل ما بال النسوة لانه راعى الادب فاقتصر على سؤال الملك عن كيفية الواقعة فان ذلك مما يهيجه على البحث والتفتيش ومنها انه
لم يذكر سيدته بسوء بل ذكر النسوة على التعميم ومع ذلك راعى جانبهن ايضا فوصفهن بتقطيع الايدي فقط لا بالترغيب في الخيانة عن النبي صلعم
لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترط ان يخرجوني ولقد
عجبت منه حين اتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب ولما ابتغيت العذر ان
كان لحليما ذا اناة قال العلماء ان الذي عمله يوسف هو اللائق بالحزم والعقل لانه لو خرج في الحال فربما يبقى في قلب الملك من تلك التهمة اثر ولعل
الحساد يتسلقون بذلك الى تقبيح امره عنده وفي هذا التاني والتثبت تلاف لما صدر منه في قوله للشرابي اذكرني عند ربك قال الملك بعد
احضار النسوة ما خطبكن ما شانكن العظيم اذ راودتن يوسف هل وجدتن منه ميلا اليكن او الى زليخا قيل الخطاب لزليخا والجمع للتعظيم وقيل خاطبهن
جميعا لان كل واحدة منهن راودت يوسف لنفسها او لاجل امرأة العزيز قلن حاش لله تعجبا من عفته ونزاهته قالت امرأة العزيز حين عرفت انه لا
بد من الاعتراف الآن حصحص الحق وضح وانكشف وتمكن في القلوب من قولهم حصحص البعير اذا القى ثفناته للاناخة والاستقرار على الارض وقال الزجاج
اشتقاقه من الحصة اي بانت حصة الحق من حصة الباطل اما قوله سبحانه ذلك ليعلم الى تمام الايتين ففيه قولان الاول وعليه الاكثرون انه حكاية
قول يوسف قال الفراء ولا يبعد وصل كلام انسان بكلام انسان اخر اذا دلت القرينة الصارفة لكل منهما الى ما يليق به والاشارة الى الحادثة الحاضرة
بقوله ذلك لاجل التعظيم والمراد ما ذكر من رد الرسول والتثبت في اظهار البراءة وعن ابن عباس انه لما دخل على الملك قال ذلك والاظهر انه قال ذلك
في السجن عند عود الرسول اليه ومحل بالغيب نصب على الحال من الفاعل اي وانا غائب عنه او من المفعول اي وهو غائب عني او على الظرف اي بمكان
الغيب وهو الاستتار وراء الابواب المغلقة قيل هذه الوقعة كانت قد حصلت بحضور العزيز فكيف قال ذلك ليعلم الملك واجيب بانه اذا خان وزيره
فقد خان الملك من بعض الوجوه او اراد ليعلم الله لان المعصية خيانة او المراد ليعلم الملك اني لم اخن العزيز او ليعلم العزيز اني لم اخنه وليعلم
ان الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده وفيه تعريض بامرأته الخائنة وبالعزيز حين ساعدها بعد ظهور الايات على حبسه فكانه خان
حكم الله وفيه تاكيد لامانته وانه لو كان خائنا لم يهد الله كيده ولا يخفى ان هذه الكلمات من يوسف مع الشهادة الجازمة والاعتراف الصريح من المرأة
دليل على نزاهة يوسف عم من كل سوء قال اهل التحقيق انما راعى حرمة سيدته في قوله ما بال النسوة اللاتي دون ان يقول ما بال زليخا ارادت ان
يكافئه على هذا الفعل الحسن فلا جرم ازالت الغطاء واعترفت بان الذنب كله منها فنظيره ما يحكى ان امرأة جاءت بزوجها الى القاضي وادعت عليه
المهر فامر القاضي بان يكشف عن وجهها حتى يتمكن الشهود من اداء الشهادة فقال الزوج لا حاجة الى ذلك فاني مقر بصداقها في دعواها فقالت المرأة لما

اكرمني

اكرمني الى هذا الحد فاشهدوا اني ابرأت ذمته من كل حق لي عليه ولما كان قول يوسف ذلك ليعلم جاريا مجرى تزكية النفس على الاطلاق في هذه
الواقعة وقد قال تعالى فلا تزكوا انفسكم اتبع ذلك قوله وما ابرئ نفسي ان النفس اي هذا الجنس لامارة بالسوء ميالة الى القبائح راغبة في المعاصي
وفيه ان ترك تلك الخيانة ما كان لعدم رغبة النفس وشرهها ولكن كان بتوفيق الله تعالى وتسهيله وصرفه الا ما رحم ربي بالعصمة كالملائكة او المراد انها امارة
بالسوء في كل وقت واوان الا وقت رحمة ربي او الاستثناء منقطع اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة القول الثاني انه حكاية قول المرأة لان
يوسف عم ما كان حاضرا في ذلك المجلس والمعنى وان كنت احلت عليه الذنب عند حضوره ولكني ما احلته عليه في غيبته حين كان في السجن وان الله لا يهدي
فيه تعريض بانها لما اقدمت على المكر فلا جرم ظهر الله سره وما ابرئ نفسي من الخيانة مطلقا فاني قد خنته حين قلت ما جزاء من اراد باهلك سوءا
او حين اودعته السجن ثم انها اعتذرت عما كان منها فقالت ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي كنفس يوسف ان ربي لغفور رحيم استغفرت
ربها واسترحمته مما ارتكبت قال المحققون النفس الانسانية شيء واحد فاذا مالت الى العالم العلوي كانت مطمئنة واذا مالت الى العالم السفلي والى
الشهوة والغضب سميت امارة وفي هذا اني غلب احوالها لانها الى العالم الحسي وقرارها فيه فلا جرم اذا خليت وطباعها انجذبت الى هذه الحالة
فلهذا قيل انها من حيث هي امارة بالسوء واذا كانت تنجذب مرة الى العالم العلوي ومرة الى العالم السفلي سميت لوامة ومنهم من زعم ان النفس المطمئنة هي
الناطقة العلوية والنفس الامارة منطبعة في البدن مجبولة على الشهوة والغضب وسائر الاخلاق الرذيلة وتمسكت الاشاعرة بقوله الا ما رحم ظاهر لانه
دل على ان صرف النفس عن السوء بخلق الله وتكوينه وحملت المعتزلة على منح الالطاف والله اعلم بالحقائق التاويل لما ادخل يوسف القلب سجن
الشريعة دخل غلامان للملك الروح هما النفس والبدن فان الروح العلوي لا يعمل عملا في السفل الدنيوي الا من شرب النفس فهي صاحب شرابه والبدن
هي من الاعمال الصالحة ما يصلح لغذاء الروح فان الروح لا يبقى الا بغذاء روحاني كما ان الجسم لا يبقى الا بغذاء جسماني وانما حبسا في سجن الشريعة لانهما
متهمان بجعل سم الهوى والمعصية في شراب ملك الروح وطعامه وفي رؤياهما دلالة على انهما من الدنيا واهل الدنيا نيام فاذا ماتوا انتبهوا انا نريك من
المحسنين الذين يعبدون الله عيانا وشهودا اني تركت ملة قوم فيه اشارة الى ان القلب مهما ترك ملة النفس والهوى والطبيعة علمه الله علم الحقيقة اما
احدكما فيسقي ربه اي سيده باقداح المعاملات والمجاهدات شراب المكشوفات والمشاهدات وهي باقية في خدمة ملك الروح ابدا واما الاخر وهو
البدن فيصلب بحبل الموت فتاكل طير اعوان ملك الموت من راسه الخيالات الفاسدة قضي في الازل هذا الامر اذكرني عند ربك يعني ان الطلب
المسجون في بدن امر يلهم النفس بان تذكره المعاملات المستحسنة الشرعية عند الروح ليتقوى بها الروح وينتبه عن نوم الغفلة الناشئة من الحواس
الخمس ويسعى في استخلاص القلب عن اثر الصفات البشرية بالمعاملات الروحانية مستمدا من الالطاف الربانية ثم ان الشيطان بوسوسته محا عن
النفس اثر الهام القلب والشيطان انسى القلب ذكر الله حين استغاث بالنفس ليذكره عند الروح ولو استغاث بالله لخلصه في الحال فلبث في
السجن بضع سنين اشارة الى الصفات البشرية السبع التي بها القلب محبوس وهي الحرص والبخل والشهوة والحسد والعداوة والغضب والكبر اني
ارى سبع بقرات سمان هي الصفات المذكورة ياكلهن سبع عجاف هي اضدادها وهي القناعة والسخاوة والعفة والغبطة والشفقة والحلم
والتواضع يا ايها الملأ يعني الاعضاء والجوارح والحواس والقوى افتوني فيما رايت في غيب الملكوت وما نحن بتاويل الاحلام اي ليس التصرف في
الملكوت وشواهدها من شاننا فارسلون فيه ان النفس اذا ارادت ان تعلم شيئا مما يجري في الملكوت ترجع بقوة المتفكرة الى القلب تستخبر عنه
فالقلب ترجمان بين الروحانيات والنفس فيما يفهم من لسان القلب الغيبي ايها الصديق لانه مصدق فيما يرى من شواهد الحق ويصدق فيما
يروي للخلق ما كذب الفؤاد ما راى حدثني قلبي عن ربي فاني الكشاف ارجع الى الناس اي الى الاجزاء الانسانية تزرعون سبع سنين اشارة الى
تربية الصفات البشرية السبع بالعادة والطبيعة في اوان الطفولية فذروه في سنبله اي ما حصلتم من هذه الصفات فذروه في اماكنه
ولا تشغلوه الا قليلا مما تعيشون به الى اوان البلوغ وظهور نور العقل في مصباح السر في زجاجة القلب كانه كوكب دري ثم اذا ايد نور القلب
العقل بانوار تكاليف الشرع وشرف بالهام الحق في اظهار فجور النفس وتقويها فتزكيها عن هذه الصفات وتحليها بالصفات الروحانية السبع فكانت
السبع العجاف لكن السبع السمان وانما سمي ما هو من عالم الارواح عجافا للطافتها وما هو من عالم الاجسام سمانا لكثافتها الا قليلا مما تحصن
به الانسان حيوة قالبه ثم ياتي من بعد ذلك عام اي بعد غلبات الصفات البشرية تظهر مقام فيه يتدارك السالك جذبات العناية
فيه يبرأ العبد من معاملاته وينجو من حبس وجوده ويجيء انانيته ولما اخبر القلب بنور الله ما راه الروح في عالم الملكوت وتاوله استحق قرب الروح
وصحبته فاستدعى حضوره على لسان رسول النفس فرده اليه وقال سله ما بال النسوة لان الاوصاف الانسانية لما راين جمال القلب المنور بنور
الله قطعن ايديهن من ملاذ الدنيا وشهواتها واثرن السعادة الاخروية على الشهوات الفانية ليعلم اني لم اخنه بالغيب اي القلب المنظور نظر
العناية لما غاب عن حضرة الروح لاشتغاله بتربية النفس والقالب ما خانه بالالتفات الى الدنيا ونعيمها وان الله لا يهدي كيد الخائنين
الذين يبيعون الدين بالدنيا ثم قال اظهارا للعجز عن نفسه وللفضل من ربه وما ابرئ نفسي ان النفس جبلت على الامارية ولكن اذا رحمها
ربها بفضله وبعينها فاذا النفس صبح الهداية صارت لوامة نادمة على فعلها والندم توبة واذا طلعت شمس العناية وصارت ملهمة فالهمها فجورها
وتقويها واذا بلغت الشمس العناية وسط سماء الهداية اشرقت الارض بنور ربها وصارت النفس مطمئنة مستعدة لجذبة ارجعي الى ربك راضية

مرضيته ان ربي غفور رحيم لنفس تابت ورجعت اليه رحيم لمن احسن طاعته وعبادته والله حسبنا ونعم الوكيل وقال الملك ائتوني به
استخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وكذلك مكنا
ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون
وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم الا ترون اني اوفي
الكيل وانا خير المنزلين فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون قالوا سنراود عنه اباه وانا لفاعلون وقال لفتيانه
اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل
فارسل معنا اخانا نكتل وانا له لحافظون قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين
ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا ابانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد
كيل بعير ذلك كيل يسير قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به الا ان يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله
على ما نقول وكيل وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وما اغني عنكم من الله من شيء ان الحكم الا لله عليه توكلت
وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء الا حاجة في نفس يعقوب قضاها وانه
لذو علم لما علمناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون القراءات حيث نشاء بالنون ابن كثير الآخرون بياء الغيبة اني اوفي بفتح ياء المتكلم نافع
غير اسمعيل لفتيانه خير حافظا حمزة وعلي وخلف غير ابي بكر وحماد الباقون لفتيته خير حفظا يكتل بياء الغيبة حمزة وعلي وخلف الباقون بالنون
يؤتوني بالياء في الحالين ابن كثير وسهل ويعقوب وافق ابو عمرو ويزيد واسمعيل في الوصل الوقوف لنفسي امين الارض ج لانقطاع النظم مع اتصال
المعنى عليم في الارض ج لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال حيث نشاء ط المحسنين يتقون منكرون من ابيكم ج لحق الاستفهام مع اتحاد القائل
المنزلين ولا تقربون لفاعلون يرجعون لحافظون من قبل ط لان الاستفهام للاخبار حافظا ص الراحمين اليهم ط لتمام جواب لما ما نبغي ط لان ما بعده جملة ملتبسة
موضحة للاستفهام مع ما قبلها الينا ج لاحتمال العطف والاستئناف على ونحن نمير كيل بعير ط يسير بكم ج قال الله قيل يسكت بين الفعل والاسم لان القائل يعقوب
لا الله سبحانه والاحسن ان يفرق بينهما بقوة النغمة فقط لئلا يلزم الفصل بين القائل والمقول وكيل متفرقة ط من شيء ط لله ط توكلت ج المتوكلون ابوهم ط
لان جواب لما محذوف اي سلموا باذن الله قضاها ط لا يعلمون التفسير الاظهر ان هذا الملك هو الريان لا العزيز لان قوله استخلصه لنفسي يدل على انه قبل
ذلك ما كان خالصا له وقد كان يوسف قبل ذلك خالصا للعزيز وفي قول يوسف اجعلني على خزائن الارض دلالة ايضا على ما قلنا والاستخلاص طلب خلوص الشيء من
شوائب الاشتراك ومن عادة الملوك ان ينفردوا بالاشياء النفيسة روي ان جبرئيل دخل على يوسف في السجن وقال قل اللهم اجعل لي من عندك فرجا
ومخرجا وارزقني من حيث لا احتسب فقبل الله دعاءه واظهر هذا السبب في تخليصه فجاءه الرسول وقال اجب الملك فخرج من السجن ودعا لاهله وكتب
على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل
على الملك قال اللهم اني اسئلك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه فلما كلمه احتمل ان يكون ضمير الفاعل ليوسف وللملك
وهذا اولى لان مجالس الملوك لا يحسن ابتداء الكلام فيها لغيرهم يروى ان الملك قال له ايها الصديق اني احب ان اسمع رؤياي منك قال رأيت بقرات
فوصف لونهن واحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التي راها الملك بعينها فتعجب من وفور علمه وحدسه وكان قد علم
من حاله ما علم من نزاهة ساحته وعدم مسارعته في الخروج من السجن وقد وصف له الشرابي من جده في الطاعة والاحسان الى سكان السجن ما وصف فعظم
اعتقاده فيه فعند ذلك قال انك اليوم لدينا مكين امين ويندرج في المكانة كمال القدرة والعلم اما القدرة فظاهرة واما العلم فلان كونه متمكنا
من افعال الخير يتوقف على العلم بافعال الخير وباضدادها وكونه امينا متفرع على كونه حكيما لانه لا يفعل الفعل لداعي الشهوة وانما يفعله لداعي الحكمة قال
المفسرون لما حكى يوسف رؤيا الملك وغيرها بين يديه قال له الملك فما ترى ايها الصديق قال ارى ان تزرع في هذه السنين المخصبة زرعا كثيرا و
تبني الخزائن والاهراء وتجمع الطعام فيها فانها تأتيك الخلق من النواحي ويمتارون منك ويجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لاحد من قبلك فقال الملك ومن لي
بهذا الشغل فقال يوسف اجعلني على خزائن الارض اللام للعهد اي لخزائن ارض مصر والخزائن جمع الخزانة وهي اسم المكان الذي يخزن فيه الشيء اي
يحفظ اني حفيظ للامانات واموال الخزائن عليم بوجوه التصرف فيها على وجه الغبطة والمصلحة وقيل حفيظ لوجوه اياديكم عليم بوجوب مقابلتها بالطاعة و
الشفقة قال الواحدي هذا الطلب خطيئة منه وكانت عقوبته ان اخر عنه المقصد عن ابن عباس ان النبي صلعم قال رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني
على خزائن الارض لاستعمله من ساعته لكنه لما قال ذلك اخره الله تعالى عنه سنة وقال آخرون ان التصرف في امور الخلق كان واجبا عليه لان النبي يجب عليه رعاية
الاصلح لامته بقدر الامكان وقد علم بالوحي انه سيحصل القحط والضنك فاراد السعي في ايصال النفع الى المستحقين ودفع الضرر عنهم واذا علم النبي او العالم انه
لا سبيل الى دفع الظلم والنهي عن المنكر الا بالاستعانة من كافر او فاسق فله ان يستظهر به على ان مجاهدا قد زعم ان الملك كان قد اسلم وقيل كان الملك
يصدر عن رأيه فكان في حكم التابع لا المتبوع ووصف نفسه بالحفظ والعلم على سبيل المبالغة لم يكن لاجل التمدح ولكن للتوصل الى الغرض المذكور
وكذلك اي مثل ذلك التقريب والانجاء من السجن مكنا ليوسف في الارض ارض مصر وهي اربعون فرسخا في اربعين يتبوأ منها حيث يشاء هو او نشاء نحن على القراءتين

والمراد استقلاله بالتقلب والتصرف فيها بحيث لا ينازعه احد نصيب برحمتنا من نشاء فيه ان الكل من الله وبتيسيره وقالت المعتزلة ان تلك المملكة لما
تمت الا بامور فعلها الله صارت كانها من قبل الله تعالى وعلقوا ايضا المشية بالحكمة ورعاية الاصلح والاشاعرة نافوا في هذا القيد ولا نضيع
اجر المحسنين لان اضاعة الاجر يكون للعجز او للجهل او للبخل والكل ممتنع في صفته ثم ولاجر الآخرة خير من اجر الدنيا او خير في نفسه وفي قوله للذين
آمنوا وكانوا يتقون اشارة الى ان يوسف كان في الزمان السابق من المحسنين ومن المتقين ففيه دلالة على نزاهة يوسف من كل سوء قال سفيان بن عيينة
المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق يروى ان الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه
ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال له اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي
فقال قد وضعته لاجلالك لا لك اقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك اليه امره وعزل قطفير ثم مات بعد فزوجه الملك امرأته
فلما دخل عليها قال اليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرائيم وميشا واقام العدل بمصر واسلم على يديه الملك وكثير من الناس
وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام بالدنانير والدراهم في السنة الاولى حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار
ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا والله ما رأينا كاليوم ملكا اجل ولا اعظم منه فقال الملك كيف رأيت صنع الله بي فيما خولني فما ترى قال الرأي رأيك قال
فاني اشهد الله واشهدك اني قد اعتقت اهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم املاكهم وكان لا يبيع من احد من الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس
واصاب ارض كنعان وبلاد الشام نحو ما اصاب مصر فارسل يعقوب بنيه ليمتاروا فذلك قوله سبحانه وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون
لم يعرفوه لان طول العهد ينسي ولاعتقادهم انه قد هلك ولذهابه عن اوهامهم حين فارقوه مبتاعا بدراهم معدودة ثم رأوه ملكا مهيبا جالسا على
السرير في زي الفراعنة ويحتمل ان يكون بينه وبينهم مسافة ما وقفوا الا حيث يقف طلاب الحوائج وانما عرفهم لان اثر تغيير الهيئات عليهم كان اقل لانه
فارقهم وهم رجال ولم يتغيروا تغيرا عما هو عادتهم ولان همته كانت معقودة بهم وبمعرفتهم ويحتمل ان يكون عرفهم بالوحي وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا
له ولما جهزهم بجهازهم هو ما يحتاج اليه في كل باب ومنه جهاز العروس والميت قال الليث جهزت القوم تجهيزا اذا تكلفت لهم جهاز السفر قال وسمعت
اهل البصرة يحكون الجهاز بالكسر وقال الازهري القراء كلهم على فتح الجيم والكسر لغة جيدة قال ائتوني باخ لكم من ابيكم قال العلماء لا بد من كلام يجر
هذا الكلام فروي انه لما رآهم وكلموه بالعبرانية قال لهم من انتم وما شأنكم فاني انكركم قالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد وجئنا نمتار
فقال لعلكم جئتم عيونا قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا
واحد فقال كم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الاخ الحادي عشر قالوا هو عند ابيه يتسلى به عن الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم بعيون قالوا
انا ببلاد لا يعرفنا احد قال فدعوا بعضكم عندي رهينا وائتوني باخيكم من ابيكم يحمل رسالة من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا بينهم فاصابت
القرعة شمعون وكان احسنهم رأيا في يوسف فخلفوه عنده وقيل كانوا عشرة فاعطاهم عشرة احمال فقالوا ان لنا شيخا كبيرا واخا آخر بقي معه ولا بد لهما
من حملين آخرين فاستدل الملك بذلك على انه عند ابيه على زيادة محبته اياه وكونه فائقا في الجمال والادب فاستدعى منهم احضاره وقيل لعلهم لما ذكروا اباهم
قال يوسف فلم تركتموه وحيدا فريدا قالوا لم يبق عنده واحد فقال لهم لم اختصه بهذا المعنى لاجل نقص في جسده قالوا لا بل لزيادة محبته فقال
ان اباكم رجل عالم حكيم ثم انه خصه بمزيد المحبة مع انكم فضلاء ادباء فلا بد ان يكون هو ازيد عليكم في الكمال والجمال فائتوني به لاشاهده والاول قول
المفسرين والاخوان محتملان ولما طلب منهم احضار الاخ جمع لهم بين الترغيب فالاول قوله الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين المضيفين وكان
قد احسن ضيافتهم وزاد لكل من الاب والاخ الغائب حملا والثاني فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون مجزوم على النهي او انه داخل في
حكم الجزاء كانه قيل فان لم تأتوني به تحرموا ولا تقربوا قالوا سنراود عنه اباه سنخادعه عنه ونجتهد حتى ننتزعه من يده وانا لفاعلون ذلك لا نتوانى في وسعنا
في هذا الباب او لقادرون على ذلك وقال لفتيانه لغلمانه الكيالين ولفتيته قراءتان وهما جمع فتى كالاخوان والاخوة في اخ ففعلة للقلة ووجهه ان هذا العمل
من الاسرار فوجب كتمانه عن العدد الكثير وفعلان للكثرة ووجهه انه قال اجعلوا بضاعتهم في رحالهم والرحال عدد كثير فناسب الجمع الكثير من
الغلمان الكيالين والبضاعة ما قطع من المال للتجارة والرحال جمع رحل والمراد به ههنا ما يستصحبه الرجل معه من الاثاث والاكثرون على انه امر بوضع
بضاعتهم في رحالهم على وجه لا يعرفون به قيل قوله لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم وفرغوا ظروفهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم بذلك تدعوهم
الى الرجوع الينا وكانت بضاعتهم النعل والادم وقيل امر بوضعها على وجه عرفوها والمعنى لعلهم يعرفون حق ردها اما السبب الذي لاجله امر يوسف
بذلك فقيل ليعلموا كرم يوسف فيبعثهم ذلك على المعاودة وقيل خاف ان لا يكون عند ابيه من البضاعة ما يدعوهم الى الرجوع او اراد به التوسعة
على ابيه لان الزمان كان زمان قحط او لان اخذ ثمن الطعام من ابيه واخوته لؤم او اراد ان يرجعوا ليعرفوا السبب لولا انهم اولاد الانبياء فاحترزوا
ان لا يكون ذلك على سبيل السهو او اراد ان يحسن اليهم على وجه لا يلحقهم عيب ولا منة فلا يثقل على ابيه ارسال اخيه وقيل يرجعون متعد اي
لعلهم يردونها قالوا يا ابانا منع منا الكيل ارادوا قول يوسف فان لم تأتوني به فلا كيل لكم لان انذار المنع بمنزلة المنع يؤيده قراءة من قرأ نكتل
بالنون اي نرفع المانع ونأخذ من الطعام ما نحتاج اليه ويحتمل ان يراد بالمنع انهم اذا طلبوا الطعام لابيهم والاخ المخلف فلعله منع من ذلك وتقوى
هذا الاحتمال قراءة الغيبة اي يكتل اخونا فينضم اكياله الى اكيالنا قال هل آمنكم عليه يعني انكم ذكرتم انكم حافظين له فقال يعقوب انكم ذكرتم مثل هذا

الكلام في يوسف فهل يكون امني الان الا كامني فيما قبل يعني كما لم يحصل الامان ونشد نكذا الان والظاهر ان ههنا اضمارا والتقدير نتوكل على الله
فيه وندعوه اليهم وقال فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين او حافظا نصب على التميز واحتمل الثاني الحال نحو لله دره فارسا وهو ارحم الراحمين ارجو الا
يجمع على مصيبتين وقيل انه لما ذكر يوسف فقال والله خير حافظا اي ليوسف لانه كان يعلم انه حي ولما فتحوا متاعهم هو عام في كل ما يستمتع به ويجوز ان
يراد به ههنا الطعام او الاوعية اما قوله ما نبغي فالبغي بمعنى الطلب وما نافية او استفهامية والمعنى ما نطلب شيئا وراء ما فعل بنا من الاحسان او ما نريد منك
بضاعة اخرى او اي شيء نطلب وراء هذا نستظهر بالبضاعة المردودة الينا ونمير اهلنا في رجوعنا الى الملك ونحفظ اخانا فلا يصيبه شيء مما نخافه
ونزداد باستصحاب اخينا وسق بعير زائدا على اوساقنا باعتبار فاي شيء نبغي وراء هذه المباغي ويجوز ان يكون البغي بمعنى الكذب والتزيد في القول على
ان ما نافية اي ما نكذب فيما وصفنا لك من احسان الملك واكرامه وكانوا قالوا له انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما
اكرمنا تلك الكرامة قال في الكشاف فعلى هذا التفسير لا يكون قوله ونمير معطوفا على معنى قوله هذه بضاعتنا وانما يكون قوله هذه بضاعتنا بيانا
لصدقهم وقوله ونمير معطوفا على ما نبغي او يكون كلاما مبتدأ اي وينبغي ان نمير كما يقول سعيت في حاجة فلان ويجب وينبغي ان اسعى ويجوز ان يراد ما نبغي
وما ننطق الا بالصواب فيما نشير به اليك من ارسال اخينا معنا ثم بينوا كونهم مصيبين في رأيهم بقولهم هذه بضاعتنا نستظهر بها ونمير اهلنا الى اخره بقي
مارة اي بطعام ذلك كيل يسير اي ذلك الكيل لاجلنا قليل نريد ان نضاف اليه ما يكال لاجل اخينا وقال مقاتل ذلك اشارة الى كيل بعير اي ذلك القدر
سهل على الملك لا يضايقنا فيه ولا يطول مقامنا بسببه واختاره الزجاج وجوز في الكشاف ان يكون هذا من كلام يعقوب يعني ان حمل بعير شيء يسير لا
يخاطر لمثله بالولد قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا تعطوني ما اوثق به من عند الله وهو الحلف لتأتنني به الا ان يحاط بكم استثناء من اعم العام
في المفعول له يقع مثل هذا الاستثناء في الاثبات اذا استقام المعنى نحو قرأت الا يوم كذا وان شئت قلت قوله بالنفي اي لا تمتنعون من الاتيان به لعلة
من العلل الا لعلة واحدة هي ان يحاط بكم اي تهلكوا جميعا قاله مجاهد او تغلبوا فلم تطيقوا الاتيان به قاله قتادة على ما نقول من طلب الموثق واعطائه
وكيل مطلع رقيب فلما جهزهم قال جمهور المفسرين انما نهاهم ان يدخلوا من باب واحد خوفا عليهم من اصابة العين وههنا مقامان الاول ان الاصابة بالعين حق لاجماع
كثير من الامم ولما روي ان رسول الله صلعم كان يعوذ الحسن والحسين فيقول اعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة اي جامعة للشر
لمة اي جامعة والمراد بعلة والتغير للمزاوجة وعن عبادة بن الصامت قال دخلت على رسول الله صلعم في اول النهار فرأيته شديد الوجع ثم عدت اليه اخر النهار
فرأيته معافى فقال ان جبرئيل اتاني فرقاني وقال بسم الله ارقيك من كل شيء يؤذيك من كل عين وحاسد الله يشفيك قال فافاق
وروي عائشة دخل رسول الله صلعم بيت ام سلمة وعندها صبي يشتكي فقالوا يا رسول الله اصابته العين قال افلا تسترقون له من العين حق ولو كان شيء (وعنه صلعم العين حق)
يسبق القدر لسبقت العين القدر وقالت عائشة كان يامر العاين ان يتوضأ ثم يغتسل منه المعين المقام الثاني في الكشف عن حقيقته قال
الجاحظ يمتد من العين اجزاء فيتصل بالشخص المستحسن فيؤثر ويسري فيه كتاثير اللسع والسم واعترض الجبائي وغيره بانه لو كان كذلك لاثر في غير
المستحسن كتاثيره في المستحسن واجيب بان المستحسن ان كان صديقا يحصل للعاين عند ذلك الاستحسان خوف شديد من زواله وعلى التقدير
يسخن الروح وينحصر في داخل القلب يحصل في الروح الباصرة كيفية سخنة مؤثرة ولهذا السبب امر النبي صلعم العائن بالوضوء ومن اصابته العين
بالاغتسال منه وقال ابو هاشم وابو القاسم البلخي لا يمتنع ان صاحب العين اذا شاهد الشيء واعجبه كانت المصلحة له في تكليفه ان يغير الله
ذلك الشخص حتى لا يبقى قلب المكلف معلقا به وقال الحكماء ليس من شرط المؤثر ان يكون تاثيره بحسب هذه الكيفيات المحسوسة بل قد يكون التاثير
نفسانيا محضا او وهميا كما للماشي على الجذع او تصوريا كما في الحركات البدنية وقد يكون للنفوس خواص عجيبة يتصرف في غير ابدانها
بحسبها منها المعجز ومنها السحر ومنها الاصابة بالعين اما الجبائي وغيره ممن انكر العين فقد قالوا ان اولاد يعقوب اشتهروا بمصر وتحدث الناس
بكمالهم وجمالهم وهيئتهم فلم يامن يعقوب ان يخافهم الملك الاعظم على ملكه فيحبسهم وقيل انه كان عالما بان ملك مصر ولده الا ان الله لم يأذن
باظهاره وكان غرضه ان يصل بنيامين اليه في غيبتهم قاله ابراهيم النخعي واعلم ان العبد يجب عليه ان يسعى باقصى الجهد والقدرة ولكنه بعد
السعي البليغ يجب ان يعلم ان كل ما يدخل في الوجود فهو بقضاء الله وقدره وان الحذر لا يغني عن القدر فلهذا قال يعقوب وما اغني عنكم من الله من شيء
فقوله الاول مبني على رعاية الاسباب والوسائط وقوله الثاني الى اخر الاية اشارة الى الحقيقة وتفويض الامر بالكلية الى مسبب الاسباب ولما صدقه الله
تعالى في ذلك بقوله ما كان يغني عنهم من الله من شيء قال ابن عباس ما كان ذلك التفرق يرد قضاء الله تعالى وقال الزجاج وابن الانباري لو سبق في
علم الله ان العين تهلكهم عند الاجتماع لكان تفرقهم كاجتماعهم وقال اخرون ما كان يغني عنهم راي يعقوب شيئا قط حيث اصابهم ما ساءهم مع تفرقهم
من اضافة السرقة واخذ الاخ وتضاعف المصيبة على الاب الا حاجة استثناء منقطع اي ولكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهي اظهار الشفقة
والنصيحة والخوف من اصابة العين او من حسد اهل مصر او من قصد الملك ثم مدحه الله تعالى بقوله وانه لذو علم يعني علم بان الحذر لا يغني لما علمناه و
اثاره واشار الى كونه عاملا بعلمه ولكن اكثر الناس لا يعلمون مثل علم يعقوب او لا يعلمون ان يعقوب بهذه الصفة في العلم وقيل المراد باكثر الناس المشركون لا
يعلمون ان الله تعالى كيف ارشد اولياءه الى العلوم التي ينفعهم في الدنيا والاخرة التاويل لما تبين الملك الروح قدر يوسف القلب وامانته وصدقه وحسن
استعداده سعى في خلاصه من سجن صفات البشرية ليكون خالصا له في كشف حقايق الاشياء وليعلم انه خلق لصلاح جميع رعايا مملكة روحانيته وجسمانيته

يوسف

كما قال النبي صلعم ان في جسد بني آدم مضغة ان صلحت صلح بها سائر الجسد وان فسدت فسد بها سائر الجسد الا وهي القلب وللقلب اختصاص اخر
بالله دون سائر المخلوقات قال سبحانه لا يسعني ارضي ولا سمائي وانما يسعني قلب عبدي المؤمن اجعلني على خزائن ارض الجسد فان لله تعالى في كل عضو من
الاعضاء خزائن من اللطف ان استعمله الانسان فيما خلق ذلك العضو لاجله وخزائن من القهر ان استعمله في ضده اني حفيظ للخزائن عليم باستعمالها
فيما ينفعها دون ما يضرها نصيب برحمتنا فيه ان اصابة اللطف من تلك الخزائن دون القهر موكولة الى مشية الله تعالى وجاء اخوة يوسف
هم الاوصاف البشرية فعرفهم يوسف القلب لانه ينظر بنور الله وهم له منكرون لبقائهم في الظلمة وحرمانهم عن النور ولما جهزهم بجهازهم ان يوسف القلب
لما احتاجت اليه الاوصاف البشرية بدل صفاتها الذميمة النفسانية بالصفات الحميدة الروحانية فاستدعى منهم احضار بنيامين السر لان السر لا
يحضر مع القلب الا بعد التبديل المذكور واذا حضر معه يوفي باوفى الكيل ما لم يوف الى الاوصاف البشرية اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فيه ان بضاعة
كل عمل من الاعمال البدنية التي يجيء بها الاوصاف البشرية الى حضرة يوسف مردودة اليها لان القلب مستغن عنها وانما الاوصاف البشرية محتاجة اليها
لان النفس بها تتأدب وتتزكى بها كما قال تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان تربية القلب بالاعمال القلبية كالنيات الصالحة ولهذا قال صلعم نية المؤمن
خير من عمله وكالعزائم الخالصة والاخلاق الحميدة والتوكل والاخلاص ثم ان كمال تربية القلب بالتحلية وبتجلي صفات الحق وصفاته وذاته لعلهم يرجعون
من صفة الامارية الى المامورية والاطمينان فيستحق بجذبة ارجعي الى ربك ردت الينا فوائد ما ترجع الى يوسف القلب ونمير اهلنا الاعضاء والجوارح
يحصل لهم قوة زائدة على الطاعة بواسطة رسوخ الملكة له ونحفظ اخانا من الحوادث النفسانية والوساوس الشيطانية ونزداد بواسطة حضور
السر عند القلب كيل بعير من الفوائد الربانية ذلك كيل يسير لمن يسره الله لنا نتمتع به مع الفوائد الربانية الا ان يحاط بكم الا ان يغالب عليكم
الاحكام الازلية لا تدخلوا من باب واحد لا تتقربوا الى القلب بنوع واحد من المعاملات فللاسباب مدخل في التقريب لان الكل موكول الى
مسبب الاسباب ولما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه قال اني انا اخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل
اخيه ثم اذن مؤذن ايتها العير انكم لسارقون قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير
وانا به زعيم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد
في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه ثم استخرجها من وعاء اخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان
ليأخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل
فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا والله اعلم بما تصفون قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا
ع فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون فلما
استيأسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن ابرح
الارض حتى يأذن لي ابي او يحكم الله لي وهو خير الحاكمين ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا
وما كنا للغيب حافظين واسئل القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها وانا لصادقون قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل
عسى الله ان يأتيني بهم جميعا انه هو العليم الحكيم القراءات اني انا اخوك بفتح الياء ابو عمرو وابو جعفر ونافع نرفع درجات من نشاء بالاضافة
وبياء الغيبة في الفعلين سهل ويعقوب بالنون وبالتنوين عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بالنون وعلى الاضافة فلما استيأسوا وبابه بالالف
ثم الياء ابو ربيعة عن البزي وحمزة في الوقف ان شاء لين الهمزة الباقون بياء ثم همزة على الاصل لي ابي بفتح الياء فيهما ابو جعفر ونافع وابو عمرو و
قوا ابن كثير في ابي الوقوف يعملون ○ لسارقون ○ تفقدون ○ زعيم ○ سارقين ○ كاذبين ○ فهو جزاؤه ○ الظالمين ○ من وعاء اخيه ○ ليوسف ○ شاء الله ○ لان ما
بعده مستانف نشاء ○ عليم ○ من قبل ○ مكانا ○ ج تصفون ○ مكانه ○ الثلاثة لانقطاع النظم مع اتصال المعنى المحسنين ○ عنده لتعلق اذا بما قبلها الظالمون ○
نجيا ○ يوسف ○ للابتداء بالنفي مع فاء التعقيب يحكم الله لي ○ لاحتمال ما بعده الابتداء او الحال الحاكمين ○ سرق ○ ج لانقطاع النظم مع اتحاد القائل
حافظين ○ اقبلنا فيها ○ لاختلاف الجملتين والابتداء بان لصادقون ○ امرا ○ جميل ○ جميعا ○ الحكيم ○ التفسير روي انهم اتوه باخيهم بنيامين انزلهم واكرمهم
ثم اضافهم واجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بقي اخوكم وحيدا
فاجلسه معه على مائدته ثم امر ان ينزل كل اثنين منهم بيتا وقال هذا لا ثاني له فاتركوه معي فآواه اليه اي انزله في المنزل الذي كان يأوي اليه
فبات يوسف يضمه اليه ويشم رائحته حتى اصبح ولما رأى تأسفه لاخ هلك قال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك
لكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه وقال اني انا اخوك قال وهب لم يرد انه اخوه بل اراد اني اقوم لك مقام اخيك في الايناس وعدم التوحش
وقال ابن عباس وسائر المفسرين اراد تعريف النسب لان ذلك اقوى في ازالة الوحشة ولا وجه لصرف اللفظ عن ظاهره من غير ضرورة فلا
تبتئس افتعال من البؤس الشدة والضرر اراد فلا تحزن عن اجتلاب الحزن بما كانوا يعملون من دواعي الحسد والاعمال المنكرة التي اقدموا عليها يروى
ان بنيامين قال ليوسف انا لا افارقك فقال له يوسف قد علمت اغتمام والدي بي فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك ولا سبيل الا
بان انسبك الى ما لا يحسن قال انا راض بما رضيت قال فاني ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليك انك قد سرقته فذلك قوله سبحانه فلما

التفسير

جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه والسقاية مشربة يسقى بها وهي الصواع كان يسقى بها الملك والدواب ثم جعلت صاعا يكال
به وكان مستطيلا من ذهب وفضة مموهة بالذهب ومرصعا بالجواهر اقوال ثم اذن مؤذن نادى مناد ومشتاه راجع الى الايذان والاعلام الا
ان التشديد يفيد التكثير والتصويت بالنداء ايتها العير اراد اصحاب العير كقوله صلى يا خيل الله اركبي والعير الابل التي عليها الاحمال لانها
تعير اي تذهب وتجيء وقيل هي قافلة الحمير كانها جمع عير واصلها فعل بالضم كسقف فابدلت الضمة كسرة لاجل الياء كما في بيض ثم كثر في الاستعمال حتى قيل
لكل قافلة عير وههنا سؤال وهو انه كيف جاز لنبي الله ان يرضى بنسبة قوم الى السرقة وهم براء واجاب العلماء بانهم فعلوا ذلك من عند انفسهم لانهم
لما لم يجدوا السقاية غلب على ظنونهم انهم اخذوها او المؤذن ذكر ما ذكر على سبيل الاستفهام او المراد انهم سرقوا يوسف عليه السلام من ابيهم او المراد ان فيكم سارقا
وهو الاخ الذي رضي بنيامين بهذا فلا ذنب لان الخصم رضي بان يوقع في حقه ذلك ثم ان اخوة يوسف قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك
قيل صواع اسم للصاع والسقاية وصف ولمن جاء به اي بالصواع حمل بعير من طعام جعلا لمن حصله وانا به زعيم كفيل هو من قول المؤذن وفيه ان الكفالة كانت
صحيحة في شرعهم ايضا اذا كان معلوما لان حمل بعير كان عندهم شيئا معلوما كوسق مثلا الا ان هذه كفالة مال لرد السرقة وهو كفالة ما لم يجب لانه لا يحل
للسارق ان يأخذ شيئا على رد السرقة ولعل مثل هذه الكفالة كانت تصح عندهم قالوا تالله التاء بدل من الواو وضعفت عن التصرف في سائر الاسماء
وجعلت فيما هو احق بالقسم وهو اسم الله عز وجل حلفوا على امرين معجبين احدهما انهم علموا ان اخوة يوسف ما جاؤا لاجل الفساد في الارض بالنهب والغصب و
نحو ذلك حتى روي انهم دخلوا وافواه دوابهم مشدودة تخوفا من ان يتناول زرعا او طعاما لاحد في الطرق والاسواق وكانوا مواظبين على انواع الطاعات
ورد المظالم حتى حكي انهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم وثانيهما انهم ما وصفوا قط بالسرقة قالوا اي اصحاب يوسف فما جزاؤه قال في الكشاف الضمير
للصواع والمضاف محذوف اي فما جزاء سرقته ان كنتم كاذبين في جحودكم وادعائكم البراءة قلت ويحتمل ان يعود الى السارق وكان حكم السارق في
آل يعقوب ان يسترق سنة فلذلك استفتوا في الجزاء حيث قالوا جزاؤه من وجد في رحله اي جزاء السرقة قال الزجاج وقوله فهو جزاؤه زيادة في البيان
اي فاخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير كما تقول حق السارق القطع جزاؤه لتقرر ما ذكر من استحقاقه ويجوز ان يكون مبتدأ وباقي الكلام جملة شرطية
مرفوعة المحل بالخبرية على ان الاصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو فيكون الضمير الثاني عائدا الى المبتدأ والاول الى من ولكنه وضع المظهر مقام
المضمر للتاكيد والمبالغة وجوز في الكشاف ان يكون جزاؤه خبر مبتدأ محذوف اي المسؤول عنه جزاؤه ثم افتوا بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه
اما قوله كذلك اي مثل ذلك الجزاء نجزي الظالمين فيحتمل ان يكون من بقية كلام اصحاب يوسف عليه السلام ثم قال لهم المؤذن ومن معه لا بد من تفتيش
اوعيتكم فانصرف بهم الى يوسف فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه لنفي التهمة والوعاء كل ما اذا وضع فيه شيء احاط به قال قتادة كان لا ينظر في وعاء الا
استغفر الله تائبا مما قذفهم به حتى اذا لم يبق الا اخوه قال ما اظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر في رحله فنظر ثم استخرجها اي السقاية
او الصواع لانه يذكر ويؤنث من وعاء اخيه فاخذوا برقبته وحكموا برقيته ثم قال سبحانه كذلك اي مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف يعني علمناه اياه
واوحينا به اليه والكيد مبدؤه السعي في الحيلة والخديعة ونهايته القاء الانسان من حيث لا يشعر به في امر مكروه لا سبيل له الى دفعه وقد سبق فيما تقدم
ان امثال هذه الالفاظ في حقه تعالى محمولة على النهايات لا على البدايات وما هذا الكيد قيل هو ان اخوة يوسف سعوا في ابطال امره والله تعالى نصره
وقواه وقيل الكيد يستعمل في الخير ايضا والمعنى كفعلنا بيوسف من الاحسان اليه ابتداء فعلنا به ابتداء وقيل تفسير هذا الكيد هو قوله ما كان
ليأخذ اخاه في دين الملك لان حكم الملك في السارق ان يضرب ويغرم مثلي ما سرق فما كان يوسف قادرا على حبس اخيه عنده بناء على دين الملك
وحكمه الا ان يشاء الله وهو ان الله كاد له فاجرى على لسان اخوته ان جزاء السارق هو الاسترقاق حتى توصل بذلك الى اخذ اخيه وحكم هذا
الكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها الى بعض الاغراض الدينية والدنيوية ثم مدحه على الهداية الى هذه الحيلة كما مدح ابرهيم على ما حكى عنه
من دلائل التوحيد والبراءة من الهية الكوكب ثم القمر ثم الشمس فقال نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم فوقه ارفع درجة منه في علمه
ثم ان اطلق على الله تعالى انه ذو علم كان هذا العام مخصوصا لانه لا عليم فوقه وان قيل انه عالم بلا علم كما يقوله بعض المعتزلة كان النص باقيا على عمومه
وان قلنا ان الكل بمعنى المجموع كان المعنى وفوق جميع العلماء عليم هم دونه في العلم وهو الله تعالى والميل الى هذا التفسير لان قوله ذو علم مشعر بكون علمه
زائدا على حقيقته وصفة نعم عين ذاته وفي هذا البحث طول وفي الآية من كفاية روي انهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤسهم حياء
واقبلوا عليه وقالوا له ماذا الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما يزال لنا منكم بلاء متى اخذت هذا الصاع فقال بنيامين بنو راحيل الذين
لا يزال منكم عليهم البلاء ذهبتم باخي فاهلكتموه ووضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم فعند ذلك قالوا ان يسرق فقد سرق اخ
له من قبل عنوا به يوسف واختلف في تلك السرقة فعن سعيد بن جبير ان جده ابا امه كان يعبد الوثن فامرته امه بان يسرق ذلك الوثن ويكسرها فلعله
يترك عبادتها وقيل سرق عناقا من بيته ودجاجة ودفعها الى مسكين وقيل كانت لابرهيم عليه السلام منطقة يتوارثها الاكابر من ولده فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته
عمة يوسف فحضنت يوسف لما ان شب فاراد يعقوب ان ينزعه منها وكانت تحبه حبا شديدا فاشدت المنطقة على يوسف تحت ثيابه ثم زعمت انه قد سرقها
وكان في شرعهم استرقاق السارق فتوسلت بهذه الحيلة الى امساكه عند نفسها وقيل انهم كذبوا عليه وبهتوه حسدا وغيظا فاسرها يوسف قال الزجاج
وغيره الضمير يعود الى الكلمة او الجملة كانه قيل فاسر الجملة في نفسه ولم يبدها لهم ثم فسرها بقوله قال انتم شر مكانا والمعنى انه قال هذه الجملة على سبيل الخفية

وطعن الفارسي في هذا الوجه فقال اي هذا النوع من الاضمار على شريطة التفسير غير مستعمل والحق ان القرآن حجة على غيره وقيل الضمير عائد الى الاجابة
اي اسر يوسف اجابتهم في ذلك الوقت الى وقت اخر وقيل يعود الى المقالة او السرقة اي لم يبين يوسف ان تلك السرقة كيف وقعت وانه ليس فيها ما يوجب
الذم والعار وعن ابن عباس انه قال عوقب يوسف ثلاث مرات عوقب بالحبس لاجل همه بها وبالحبس الطويل لقوله اذكرني عند ربك وبقولهم فقد سرق
اخ له من قبل لقوله انكم لسارقون ومعنى شر مكانا شر منزلة في السرق لانكم سرقتم اخاكم من ابيكم على التحقيق وقلتم اكله الذئب الله اعلم بما تصفون
المراد انه يعلم اني لست بسارق في التحقيق ولا اخي او الله اعلم بان الذي وصفتموه هل يوجب تمام الا قال ابن عباس لما قال يوسف هذا القول
غضب يهودا وكان اذا غضب وصاح لم يسمع صوته حامل الا وضعت وقام شعره على جلده فلا يسكن حتى يضع بعض آل يعقوب يده عليه فقال لبعض
اخوته اكفوني اسواق اهل مصر وانا اكفيكم الملك فقال يوسف لابن صغير له مسه فمسه فذهب غضبه وهم ان يصيح فركض يوسف رجله على الارض
ليريها انه شديد وجذبه فسقط فعند ذلك قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا في السن او في القدر وهو احب اليه منا فخذ احدنا مكانه
استعبادا او رهنا حتى نبعث لفدائه اليه فلعل العفو او الفداء كان جائزا ايضا عندهم انا نريك من المحسنين الينا لو فعلت ذلك او من
المحسنين الينا بانواع الكرامة ورد البضاعة الى رحالنا او ارادوا الاحسان الى اهل مصر حيث اعتقهم بعدما اشترى رقابهم بالطعام قال يوسف
معاذ الله من ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا اي اذا اخذنا غيره لظالمون في مذهبكم لان استعباد غير من وجد الصواع
في رحله ظلم عندكم او اراد ان الله امرني واوحى الي باخذ بنيامين فلو اخذت غيره كنت عاملا بخلاف الوحي فلما استيأسوا منه حيث
لم يقبل الشفاعة اي يئسوا والزيادة للمبالغة خلصوا اعتزلوا عن الناس خالصين لا يخالطهم غيرهم نجيا مصدر والمضاف محذوف اي ذوي
نجوى والمراد انهم التناجي في انفسهم لاستجماعهم لذلك وانفرادهم فيه بجد واهتمام كما يق رجل جور ورجال عدل او صفة لموصوف محذوف اي
فوجا نجيا بمعنى مناجيا بعضهم لبعض كالعشير بمعنى المعاشر وفيهم كان تناجيهم الجواب في تدبير امرهم على اي وجه يذهبون وماذا يقولون لابيهم
في شان اخيهم فعند ذلك قال كبيرهم في السن وهو روبيل او في القدر وهو شمعون لانه كان رئيسهم او في العقل والراي وهو يهودا
قوله ما فرطتم اما ان يكون ما صلة اي ومن قبل هذا قصرتم في شان يوسف ولم تفوا بعهد ابيكم واما ان يكون مصدرية محله الرفع على الابتداء وخبره
الظرف المتقدم ومن قبل تفريطكم اي وقع من قبل تقصيركم في حقه والنصب عطفا على مفعول الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل
واما ان يكون موصولة بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه اي قدمتموه في شان يوسف من الجناية ومحل الموصول الرفع او النصب على الوجهين فلن
ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى يأذن لي ابي في الانصراف او يحكم الله لي بالخروج منها او بالانتصاف ممن اخذ اخي او بخلاصه من يده بسبب
من الاسباب ثم انه بقي ذلك الكبير في مصر وقال لغيره من الاخوة ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وقاله بناء على ما شاهد من استخراج ال
الصواع من وعائه او اراد انه سرق في قول الملك واصحابه كقول قوم شعيب انك لانت الحليم الرشيد اي في زعمك واعتقادك او المراد ان ابنك ظهر
عليه ما يشبه السرقة واطلاق اسم احد الشبيهين على الاخر جائز والقوم ما كانوا انبياء فلا يبعد منهم الكذب وعن ابن عباس انه قرأ سرق مشددا
مبنيا للمفعول اي نسب الى السرقة وعلى هذا فلا اشكال ومما يدل على انهم بنوا الامر على الظاهر قوله وما شهدنا الا بما علمنا اي الا بقدر ما تيقناه
من رؤية الصواع في وعائه وما كنا للغيب للامر الخفي حافظين فان الغيب لا يعلمه الا الله وعن عكرمة ان الغيب الليل معناه لعل الصواع دس في وعائه
بالليل من حيث لا يشعر وما علمنا انه سيسرق حين اعطيناك الموثق قاله مجاهد والحسن وقتادة او ما علمنا انا اذا قلنا ان شرع بني اسرائيل هو استرقاق
السارق واخذ اخونا بتلك الحيلة ثم بالغوا في ازالة التهمة فقالوا واسأل القرية التي كنا فيها الاكثرون على انها مصر وقيل قرية على باب مصر وقع فيها
التفتيش لما ارسل الى اهلها فاسألهم عن كنه القصة واسأل اصحاب العير التي اقبلنا فيها وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب وقيل قوما من اهل صنعا
وقال ابن الانباري ان يعقوب كان من اكابر الانبياء فلا يبعد ان يحمل سؤال القرية على الحقيقة بان ينطق الله الجمادات لاجله معجزة فالمراد سل القرية والعير
والجدران والحيطان فانها تجيبك بصحة ما ذكرنا وقيل ان الشيء اذا ظهر ظهورا تاما فقد يقال سل عنه السماء والارض وجميع الاشياء ويراد انه ليس للشك
فيه مجال ثم زادوا في تاكيد نفي التهمة قائلين وانا لصادقون وليس غرضهم اثبات صدقهم فان ذلك يجري مجرى اثبات الشيء بنفسه ولكن الانسان
اذا ذكر الدليل القاطع على صحة الشيء فقد يقول بعده انا صادق فتامل فيما ذكرته ليزول عنك الشك وههنا اضمار التقدير فرجعوا الى ابيهم فقالوا
له ما قال لهم اخوهم فعند ذلك قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل وقد مر تفسيره في اول السورة ولكن المفسرين زادوا اشياء اخر فقيل
المراد انه خيل اليكم انه سرق وما سرق وقيل اراد سولت لكم انفسكم اخراج بنيامين والمصير الى مصر طلبا للمنفعة فعاد من ذلك شر وضرر والحكم
علي في ارساله معكم ولم تعلموا ان قضاء الله ربما جاء على خلاف تقديركم وقيل اراد فتواهم وتعليمهم والا فما ادري ذلك الرجل ان السارق يؤخذ
بسرقته واعترض على هذا القول بانه كيف يجوز على يعقوب السعي في اخفاء حكم الله تعالى واجيب بان ذلك الحكم لعله كان مخصوصا بما اذا كان
المسروق منه مسلما وكان الملك في ظن يعقوب كافرا ولما طال بلاؤه ومحنته علم بحسن الظن والرجاء انه سبحانه سيجعل له فرجا ومخرجا عن قريب ولعله
علم بالوحي ان يوسف حي وكان بنيامين والكبير الذي قال فلن ابرح الارض قد بقيا في مصر فلذلك قال عسى الله ان يأتيني بهم اي بالثلثة
الغائبين جميعا انه هو العليم بحالي الحكيم في كل ما يفعله من الابتلاء والابلاء التأويل لما دخل الاوصاف البشرية ومعهم السر على يوسف القلب

اوے القلب السر الیہ لا تراخوۃ الحقیقیۃ بالمناسبۃ الروحانیۃ فلا تبتئس اذ وصلت بی بما کانوا یعملون معک فی سفارتی لان السر مهما کان مقاما
من قلب مقارنا للاوصاف کان محروما عن کمالات هو مستعد لها فلما جهزهم بجهاز القلب للاوصاف بما لا بد منه احوالها جعل السقایۃ وهی مشربۃ
کان منها شربی فی رحل اخیہ لانهما اخوان لابوان واحد ایتها العیر انکم لسارقون سرقتم فی الاول یوسف القلب شریتموه ببخس من متاع الدنیا و
شهواتها وسرقتم فی الاخر مشربۃ لیست مشاربکم وفیہ ان من ادعی الشرب من مشارب الرجال وهو طفل بعد اخذ بالسرقۃ واستردت منه
ولمن جاء به حمل بعیر من علف الدواب ومراتع الحیوانات لانه لیس مستحقا للشرب من مشارب الملوک لقد علمتم انا من المقبولین المقبلین علی یوسف القلب
لا انہ للانسان فی ارض الدنیا کما قالت الملائکۃ اتجعل فیها من یفسد فیها وما کنا سارقین اذ اخذنا یوسف القلب والقیناه فی غیابت
الجب البشریۃ بل سعینا فی ان ینال مملکۃ مصر العبودیۃ لیکون عزیزا فیها فما جزاؤه جزاؤه من وجد فی رحله ای لکل شارب به مشرب ولکل
شرب فدیۃ نفد بہ الشارب بشرب الاخرۃ الدنیا وشهواتها وفدیۃ الشارب من شرب المحبۃ بذل الوجود کذلک نجزی الظالمین الذین
وضعوا اصواع الملک فی غیر موضعه طمعا فی ان یکونوا حریف الملک وشریکہ کذلک کدنا لیوسف کما کاد الاوصاف البشریۃ فی الابتداء
بیوسف القلب فی جب البشریۃ کدنا بهم عند قسمۃ الاقوات من خزائن الملک فجعلنا قسمهم من مراتع الحیوانات یاکلون کما تاکل الانعام وقسم
بنیامین السر من شراب الملک وفوق کل ذی علم علیم ای فوق کل ذی علم الصعود علیم یجد بہ من المصعد الذی یصعد الیہ بالعلم المخلوق الی مصعد لا یصعد
الیہ الا بالعلم القدیم وهو السر فی الله بالله الی الله وهذا صواع لا تنعم او عند الاثنینیۃ ان یسرق فقد سرق اخ له من قبل فیہ اشارۃ الی ان
السر والقلب مع انهما مخصوصان بالحظوظ الاخرویۃ والروحانیۃ فانهما قابلان للاسترقاق من الشهوات الدنیاویۃ والنفسانیۃ لمداراۃ الاوصاف
البشریۃ بعزۃ القلب عرفت اختصاص المبشریۃ اردت ان تفدی نفسها وسیلتنا الی یعقوب الروح فخذ احدنا مکانه قال معاذ الله ان
ان نقبل بالصحبۃ والمخالطۃ الا من وجدنا متاعنا من الصدق والمحبۃ والاخلاص عنده ای لا یکون صحبتنا بالکراهیۃ والنفاق وانما یکون بعلۃ
الجنسیۃ فلما استیاسوا من صحبۃ القلب خلصوا عن الاوصاف الذمیمۃ نجیا قال کبیرهم وهو العقل الم تعلموا ان اباکم وهو الروح قد اخذ علیکم موثقا
من الله یوم المیثاق لا تعبدوا الا الله فلن ابرح ارض فناء القلب هی الصدق والحاصل ان صفۃ العقل المتخلصۃ من الاوصاف البشریۃ خرجت عن
اوامر النفس وتصرفاتها وصارت محکومۃ لاوامر الروح مستسلمۃ لاحکام الحق ارجعوا الی ابیکم الروح علی اقدام العبودیۃ وبدل الاخلاق ان ابنک
سرق لانه وجد فی رحلہ مشربۃ المحبۃ التی بها یکال الحب علی وفده وما کنا للغیب حافظین عند رفعنا من الغیب الی الشهادۃ حافظین لانه جعل السقایۃ
فی رحله فی غیبتنا واسئل اهل المصر الملکوت وارواح الانبیاء والاولیاء قال بل سولت فیہ ان للنفس تزیینات وللاوصاف البشریۃ تخییلات یتاذی بها
یعقوب الروح لکن علیه ان یصبر صبرا علی امضاء احکام الله وتنفیذ قضائه عسی الله ان یاتینی بهم فیہ ان متولدات الروح من القلب والاوصاف وغیرها ان
تفرقوا وتباعدوا عن الروح فی الجسد للاستکمال فان الله سیجذبها بالعنایات جمیعهم فی مقعد صدق عند ملیک مقتدر انه هو العلیم باقرارهم
بما فی التفریق والجمع من الفوائد وتولی عنهم وقال یا اسفی علی یوسف وابیضت عیناه من الحزن فهو کظیم قالوا تالله تفتؤ تذکر یوسف
حتی تکون حرضا او تکون من الهالکین قال انما اشکو بثی وحزنی الی الله واعلم من الله ما لا تعلمون یا بنی اذهبوا فتحسسوا من یوسف
واخیه ولا تیاسوا من روح الله انه لا ییاس من روح الله الا القوم الکافرون فلما دخلوا علیه قالوا یا ایها العزیز مسنا واهلنا
الضر وجئنا ببضاعۃ مزجاۃ فاوف لنا الکیل وتصدق علینا ان الله یجزی المتصدقین قال هل علمتم ما فعلتم بیوسف واخیه
اذ انتم جاهلون قالوا ائنک لانت یوسف قال انا یوسف وهذا اخی قد من الله علینا انه من یتق ویصبر فان الله لا یضیع اجر
المحسنین قالوا تالله لقد آثرک الله علینا وان کنا لخاطئین قال لا تثریب علیکم الیوم یغفر الله لکم وهو ارحم الراحمین اذهبوا بقمیصی
هذا فالقوه علی وجه ابی یات بصیرا واتونی باهلکم اجمعین ولما فصلت العیر قال ابوهم انی لاجد ریح یوسف لولا ان تفندون
قالوا تالله انک لفی ضلالک القدیم فلما ان جاء البشیر القاه علی وجهه فارتد بصیرا قال الم اقل لکم انی اعلم من الله ما لا
تعلمون قالوا یا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا کنا خاطئین قال سوف استغفر لکم ربی انه هو الغفور الرحیم فلما دخلوا
علی یوسف آوی الیه ابویه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنین ورفع ابویه علی العرش وخروا له سجدا وقال یا ابت هذا تاویل
رؤیای من قبل قد جعلها ربی حقا وقد احسن بی اذ اخرجنی من السجن وجاء بکم من البدو من بعد ان نزغ الشیطان بینی وبین اخوتی
ان ربی لطیف لما یشاء انه هو العلیم الحکیم رب قد آتیتنی من الملک وعلمتنی من تاویل الاحادیث فاطر السموات والارض انت
ولیی فی الدنیا والآخرۃ توفنی مسلما والحقنی بالصالحین القراءات مزجاۃ بالامالۃ حمزۃ وعلی وخلف حزنی بفتح الیاء ابو جعفر ونافع وابن
عامر وابو عمرو قالوا انک علی الخبر او علی حذف حرف الاستفهام ابن کثیر ویزید ائنک بهمزتین عاصم وحمزۃ وعلی وخلف وهشام یدخل بینهما مدۃ
اینک بهمزۃ ثم یاء نافع غیر قالون وسهل ویعقوب غیر زید اینک بهمزۃ ممدودۃ ثم یاء ابو عمرو ویزید وقالون من یتقی بالیاء فی الحالین ابن مجاهد
وابو عون عن قنبل الباقون بغیر یاء انی اعلم بفتح الیاء ابو جعفر ونافع وابن کثیر وابو عمرو ربی انه بالفتح ایضا ابو جعفر وابو عمرو اذا بالفتح ایضا عندهم
اخوتی ربی بفتح الیاء ایضا یزید والبخاری عن ورش وقالون غیر الحلوانی والله اعلم الوقوف کظیم الهالکین لا تعلمون ولا تیاسوا من روح الله ط الکافرون وتصدق

علینا المتصدقین جاهلون لانت یوسف اخی لئن یحتمل الشکر مع اختلاف الجملتین علینا ط لاحتمال انه ابتداء اخبار من الله وان کان من قول یوسف
جاز الوقف ثم لاتحاد القائل مع الابتداء بان المحسنین خاطئین الیوم ط لاختلاف الجملتین نفیا واثباتا او خبرا ودعاء لکم ط لاحتمال الاستئناف
والحال وضح الراحمین یات بصیرا ج لطول الکلام واعتراض الجواب مع اتفاق الجملتین اجمعین تفندون القدیم بصیرا ج لاحتمال ان یکون ما بعد جواب
لما وقوله القاه حالا باضمار قد ما لا تعلمون خاطئین ربی ط آمنین سجدا ج من قبل لتمام الجملۃ لفظا دون المعنی حقا لتمام بیان الجملۃ الاولی
وابتداء جملۃ عظمی اخوتی ط لما یشاء ط الحکیم ج الاحادیث لحق حذف حرف النداء مع اتصال الکلام والآخرۃ ج لانقطاع النظم مع اتصال الثناء بالدعاء
الصالحین التفسیر لما سمع یعقوب ما سمع من حال ابن یامین ضاق قلبه جدا وتولی عنهم ای اعرض عن بنیه الذین جاؤا بالخبر وفارقهم وقال یا اسفی علی یوسف
الاسف اشد الحزن والالف فیه بدل من یاء الاضافۃ ونداء الاسف کنداء الویل وقد مر فی المائدۃ والتجانس بین لفظی الاسف ویوسف لا یخفی حسنه
وهو من الفصاحۃ اللفظیۃ وکیف تاسف علی یوسف دون اخیه والاخ الذی اقام بمصر والرزء الاحدث اشد الجواب لان الحزن الجدید یذکر
العتیق والاسی یجلب الاسی ولان رزء یوسف کان اصل تلک الرزایا فکان الاسف علیه اسفا علی الکل ولانه کان عالما بحیوۃ الآخرین دون
حیوۃ یوسف وابیضت عیناه من الحزن ای من البکاء الذی کان سببه الحزن قال الحکماء اذا کثر الاستعبار اوجب کدورۃ فی سواد العین مائلۃ کما
سببه الحزن الی البیاض فتکون منها العمی لایلام الطبقات ولا سیما القرنیۃ وانصباب الفضول الردیۃ الیها قال مقاتل لم یبصر ست سنین حتی
کشفه الله تعالی بقمیص یوسف وقال آخرون لم یبلغ حد العمی وکان یدرک ادراکا ضعیفا والمراد بالبیاض غلبۃ البکاء کان العین ابیضت من بیاض
ذلک الماء روی انه لم یجف عین یعقوب من وقت فراق یوسف الی حین لقائه ثمانین عاما وما علی وجه الارض اکرم علی الله من یعقوب وعن رسول
الله صلعم انه سئل جبرئیل ما بلغ من وجد یعقوب علی یوسف قال وجد سبعین ثکلی قال فما کان له من الاجر قال اجر مائۃ شهید وما ساء ظنه بالله
ساعۃ قط ونقل ان جبرئیل عم دخل علی یوسف حین ما کان فی السجن فقال ان بصر ابیک ذهب من الحزن علیک فوضع یوسف یده علی راسه وقال لیت امی لم
تلدنی فلم اکن حزنا علی ابی قال اکثر اهل اللغۃ الحزن والحزن لغتان بمعنی وقال بعضهم الحزن بالضم فالسکون البکاء والحزن بفتحتین ضد الفرح وقد روی
یونس عن ابی عمرو قال اذا کان فی موضع النصب فتحوا کقوله تولوا واعینهم تفیض من الدمع حزنا واذا کان فی موضع الجر والرفع ضموا کقوله من الحزن و
قوله انما اشکو بثی وحزنی الی الله قال هو فی موضع رفع بالابتداء قیل کیف جاز لنبی الله ان یبلغ به الجزع ذلک المبلغ واجیب بان المنهی من الجزع هو
الصیاح والنیاحۃ وضرب الخد وشق الثوب لا البکاء ونفثۃ المصدور فلقد بکی رسول الله صلعم علی ولده ابراهیم وقال القلب یجزع والعین تدمع
ولا نقول ما یسخط الرب وانا علیک یا ابراهیم لمحزونون ومما یدل علی ان یعقوب عم امسک لسانه عن النیاحۃ وعما لا ینبغی قوله وهو کظیم فعیل
بمعنی مفعول ای مملوء من الغیظ علی اولاده من غیر اظهار ما یسوءهم او مملوء من الحزن مع سد طریق نفثۃ المصدور من کظم السقاء اذا شده علی ملئه
او بمعنی الفاعل ای الممسک لحزنه غیر مظهر ایاه والحاصل انه غرق ثلثۃ اعضاء شریفۃ منه فی بحر المحنۃ فاللسان کان مشغولا بذکر یا اسفا و
العین کانت مستغرقۃ فی البکاء والقلب کان مملوا من الحزن ومثل هذا اذا لم یکن بالاختیار لم یدخل تحت التکلیف فلا یوجب العقاب یروی ان
ملک الموت دخل علی یعقوب فقال له جئتنی لتقبضنی قبل ان اری حبیبی قال لا ولکن جئت لاحزن لحزنک واشجو لشجوک عن النبی صلعم لم تعط امۃ من
الامم انا لله وانا الیه راجعون عند المصیبۃ الا امۃ محمد الا تری الی یعقوب حین اصابه ما اصابه لم یسترجع وانما قال یا اسفا وضعف هذه
الروایۃ فخر الدین الرازی فی تفسیره وقال من المحال ان لا یعرف امۃ من الامم ان الکل من الله وان الرجوع لا محالۃ الیه واقول هذا نوع من المکابرۃ
فان منکری المبدأ والمعاد اکثر من ان یحصی والوارد علی ان المراد من الاعطاء الارشاد الی هذا الذکر وخصوصا عند المصیبۃ وقد اخبر صلعم
ان هذا مما خصت هذه الامۃ به والله اعلم قالوا الاظهر انهم لیسوا اولاده الذین تولی عنهم وانما هم جماعۃ کانوا فی الدار من خدمه واولاد
اولاده تالله تفتؤ اراد لا تفتؤ فحذف حرف النفی لعدم الالتباس اذ لو کان اثباتا لم یکن بد من اللام والنون قال ابن عباس
والحسن ومجاهد وقتادۃ ای لا تزال تذکر وعن مجاهد لا تفتر من حبه کانه جعل الفتور والفتوء اخوین قال ابو زید ما فتئت اذکره ای ما زلت
لا یتکلم به الا مع الجحد حتی تکون حرضا وصف بالمصدر للمبالغۃ والحرض فساد فی الجسم او العقل للحزن والحب حتی یکون کلا لا کالاحیاء ولا کالاموات
ارادوا انک تذکر یوسف بالحزن والبکاء علیه حتی تشفی علی الهلاک او تهلک فاجابهم بقوله انما اشکو بثی وحزنی الی الله قالت العلماء
اذا اسر الانسان حزنه کان هما واذا لم یقدر علی اسراره فذکره لغیره کان بثا فالبث اصعب اسر الانسان حزنه کان هما ولو لم یقدر علی اسراره فذکر
لغیره کان بثا فالبث اصعب الهم الذی لا یصبر علیه صاحبه فیبثه الی الناس یعنی لا اذکر الحزن القلیل الا مع الله ملتجئا الیه وداعیا
له فی خلوتی وشکایتی وهذا مقام العارفین الصدیقین کقول نبینا صلعم اعوذ بک منک ویحتمل ان یکون هذا معنی قوله عندهم ای تولی عنهم
الی الله والشکایۃ الیه یحکی انه دخل علی یعقوب جار له وقال له ضعف جسمک ونحف بدنک وما بلغت سنا عال ابیک فقال الذی لکثرۃ غمومی
فاوحی الله الیه یا یعقوب اتشکونی الی خلقی فقال یا رب خطیئۃ اخطاتها فاغفرها لی فغفر له فکان بعد ذلک اذا سئل قال انما اشکو بثی
وحزنی الی الله وروی انه اوحی الی یعقوب انما وجدت ای غضبت علیکم لانکم ذبحتم شاۃ فقام ببابکم مسکین فلم تطعموه وان احب خلقی الی الانبیاء
ثم المساکین فاصنع طعاما وادع علیه المساکین وقیل اشتری جاریۃ مع ولدها فباع ولدها فبکت حتی عمیت واعلم ان حال یعقوب فی تلک الواقعۃ

كانت مختلفة فتارة كانت مستغرقة في بحار معرفة الله وتارة كان يستولي عليه الحزن والاسف فلهذا كانت هذه الحادثة بالنسبة اليه
كالقاء ابرهيم في النار وكابتلاء اسحق بالذبح وكان شغل همه بيوسف بغير اختيار منه وكذا تاسفه عليه ما دوام انه عوتب على ذلك فان حسنات
الابرار سيئات المقربين وبالحقيقة كانت واقعة يعقوب امرا خارق العادة اراد الله تعالى بذلك ابتلاءه وتمادي اسفه وحزنه والا فمع غاية شهرته و
شدة محبته وقرب المسافة بينه وبين ابنه كيف خفي حال يوسف ولم يبعث يوسف رسولا بعد تملكه وقدرته وازداد في حزن ابيه بحبس
اخيه عنده اما قوله واعلم من الله ما لا تعلمون فمعناه اعلم من رحمته واحسانه ما لا تعلمون فارجو ان ياتيني الفرج من حيث لا احتسب وقيل انه راى ملك
الموت في المنام فقال له يا ملك الموت هل قبضت روح ابني يوسف قال لا يا نبي الله ثم اشار الى جانب مصر وقال اطلبه ههنا وقيل انه كان قد رأى
امارات الرشد والكمال في يوسف فعلم ان رؤياه صادقة لا تخطئ وقال السدي اخبره بنوه بسيرة الملك وكمال حاله في اقواله وافعاله فظن انه ابنه و
علم ان بنيامين لا يسرق وسمع ان الملك ما اذاه فغلب على ظنه ان الملك هو يوسف وقيل اوحى الله تعالى اليه انه سيلقاه او سيلقى ابنه ولكنه ما عين
الوقت فلذلك قال ما قال ثم دعا بنيه على سبيل التلطف فقال يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وهو طلب الشيء بالحاسة كالسمع والبصر و
مثله التجسس بالجيم وقد قرئ بها وربما يخص الجيم بطلب الخبر في صد الخير ولا تيأسوا من روح الله من فرجه وتنفيسه وقرئ بالضم اي من رحمته
التي يحيى بها العباد قال الاصمعي الروح ما يجده الانسان من نسيم الهواء فيسكن اليه والتركيب يدل على الحركة والهزة فكل ما يهتز الانسان بوجوده ويلتذ
به فهو روح انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون لان هذا اليأس دليل على انه اعتقد ان الله تعالى غير قادر على كل المقدورات
او غير عالم بجميع المعلومات او ليس بجواد مطلق ولا حكيم لا يفعل العبث في البعث وكل واحدة من هذه العقايد كفر فضلا عن جميعها اللهم اني
لا ايأس من روحك فافعل بي ما انت اهله ثم ههنا اضمار والتقدير فقبلوا وصية ابيهم وعادوا الى مصر فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز
اي الملك القادر المنيع مسنا واهلنا الضر الفقر والحاجة الى الطعام وعنوا باهلهم وجئنا ببضاعة مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة
عنها من ازجيته اذا دفعته قال سبحانه الم تر ان الله يزجي سحابا ومنه قولهم فلان يزجي العيش اي يدفع الزمان بالقليل قال الكلبي هي من لغة
العجم وقيل لغة القبط والاصح انها عربية لوضوح اشتقاقها قيل كانت بضاعتهم الصوف والسمن وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط
وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بنقص لانها لم يكن عليها صورة يوسف وكانت دراهم مصر منقوشا عليها صورته فاوف لنا الكيل الذي هو حقنا وتصدق
علينا واعلم انهم طلبوا المسامحة بما بين الثمنين وان يسعر لهم بالردي كما يسعر بالجيد فاختلف العلماء في انه هل كان ذلك منهم طلب الصدقة
فقال سفيان بن عيينة ان الصدقة كانت حلالا للانبياء سوى محمد صلى الله عليه وسلم وقال الاكثرون ارادوا بالصدقة التفضل بالاغماض عن رداءة البضاعة
وبايفاء الكيل والصدقات محظورة على الانبياء كلهم وقوله ان الله يجزي المتصدقين يمكن تنزيله على القولين لان كل احسان يبتغى به وجه الله فان ذلك
لا يضيع عنده والصدقة العظمى التي ترجى بها المثوبة عند الله ومن ثم لم يجوز العلماء ان يقال الله تعالى متصدق او اللهم تصدق علي بل يجب ان يقال
اللهم اعطني او تفضل علي او ارحمني كان يعقوب امرهم بالتحسس من يوسف واخيه والمتحسس يجب عليه ان يتوسل الى مطلوبه بجميع الطرق كما قيل الغريق
يتعلق بكل شيء فبدؤا بالعجز والاعتراف بضيق اليد واظهار الفاقة فرق الله تعالى قلبه وارفضت عيناه فعند ذلك قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف و
قيل اذا اليه كتاب يعقوب من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدي
فشدت يداه ورجلاه ورمي في النار ليحرق فنجاه الله تعالى وجعلت النار عليه بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله واما انا
فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم
كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته
علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ذلك وروي انه لما قرأ الكتاب
بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا وقوله هل علمتم استفهام يفيد تعظيم الواقعة ومعناه ما اعظم الامر الذي ارتكبتم من يوسف وما اقبح ما اقدمتم
عليه كما يقال للمذنب هل تدري من عصيت وفيه تصديق لقوله سبحانه لتنبئنهم بامرهم هذا واما فعلهم باخيه فتعريضهم اياه للغم بافراده عن اخيه لابيه
وامه وايذاؤهم له بالاحتقار والامتهان وقوله اذ انتم جاهلون جار مجرى الاعتذار عنهم كانه قال انما اقدمتم على ذلك الفعل القبيح المنكر حال ما كنتم
في اوان الصبى وزمان الجهالة والغرة ازالة للخجالة عنهم فان مظنة الجهل الشباب ونصحا لهم في الدين اي هل علمتم قبحه فتبتم لان العلم بالقبح يدعو
الى التوبة غالبا فاثر كما هو عادة الانبياء حق الله على نفسه في المقام الذي يشفي المغيظ وينفث المصدور وهذه رواية المأثور وقيل انما نفى
العلم عنهم لانهم لم يعملوا بعلمهم ولما كلمهم بذلك قالوا ائنك لانت يوسف عرفوا بالخطاب الذي لا يصدر الا عن حنيف مسلم من سنخ ابرهيم
او تبسم فعرفوه بثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم او رفع التاج عن راسه فنظروا الى علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء كان ليعقوب وسارة مثلها قال
انا يوسف صرح بالاسم تعظيما لما جرى عليه من ظلم اخوته كانه قال انا الذي ظلمتموني على اشنع الوجوه والله اوصلني الى اعظم المناصب انا ذلك العاجز
الذي قصدتم قتله ثم صرت كما ترون ولهذا قال وهذا اخي مع انهم كانوا يعرفونه لان مقصوده ان يقول وهذا ايضا كان مظلوما كما كنت ثم صار
منعما عليه من الله وذلك يعرفونه لان مقصوده ان يقول وهذا ايضا كان مظلوما قوله قد من الله علينا اي بكل خير دنيوي واخروي او بالجمع بعد التفريق

انه ان الشان من يتق عذاب الله ويصبر عن معاصيه وعلى طاعته فان الله لا يضيع اجر المحسنين اي اجرهم فاكتفى [illegible] ليرتبط بالعموم ومن قرأ يتقي باثبات الياء
فوجهه ان يجعل من بمعنى الذي ويجوز على هذا الوجه ان يكون قوله ويصبر في موضع الرفع الا انه سكنت الحركة للتخفيف او للمشاكلة وفي الاية دليل
على براءة ساحة يوسف ونزاهة جانبه من كل سوء والا لم يكن من المتقين الصابرين قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اعتراف منهم بتفضيله عليهم بالتقوى
والصبر وسيرة المحسنين وصفة الاحسنين ولا يلزم من ذلك ان لا يكونوا انبياء وان احتج به بعضهم لان الانبياء متفاوتون في الدرجات تلك
الرسل فضلنا بعضهم على بعض وان كنا وان شاننا انا كنا خاطئين قال ابو عبيدة خطئ واخطأ بمعنى واحد وقال الاموي المخطئ من اراد الصواب
فصار الى غيره ومنه قولهم المجتهد يخطئ ويصيب والخاطئ من تعمد ما لا ينبغي قال ابو علي الجبائي انهم لم يعتذروا عن ذلك الذي فعلوا بيوسف لانه
وقع منهم قبل البلوغ ومثل ذلك لا يعد ذنبا وانما اعتذروا من حيث انهم اخطأوا بعد ذلك حين لم يظهروا لابيهم ما فعلوه ليعلم انه حي وان
الذئب لم ياكله واعترض عليه فخر الدين الرازي بانه يبعد من مثل يعقوب ان يبعث جمعا من الصبيان من غير ان يبعث معهم رجلا بالغا عاقلا فالظاهر
انه وقع ذلك منهم بعد البلوغ سلمنا لكن ليس كل ما لا يجب الاعتذار عنه لا يحسن الاعتذار عنه ولما اعترفوا بفضله عليهم وبكونهم متعمدين للاثم
قال يوسف لا تثريب عليكم لا تانيب ولا توبيخ وقيل لا اذكر ذنبكم وقيل لا مجازاة لكم عندي على ما فعلتم وقيل لا تخليط ولا افساد عليكم واشتقاقه
من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش ومعناه ازالة الثرب كالتجليد والتقريد لازالة الجلد والقراد وذلك لانه اذا ذهب منه الثرب كان
في غاية الهزال والعجف فصار مثلا للتقريع المدنف المفضي وقوله اليوم اما ان يتعلق بالتثريب او بالاستقرار المقدر في عليكم اي لا اثربكم
اليوم الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره ثم ابتدأ فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم ليكون عقاب الدارين زائلا عنهم واصل الدعاء ان يقع على
لفظ المستقبل فاذا اوقعوه بلفظ الماضي فذلك للتفاؤل ويحتمل ان يكون اليوم متعلقا بالدعاء فيكون فيه بشارة بعاجل غفران الله لتجدد
توبتهم وحدوثها في ذلك اليوم يروى ان اخوته لما عرفوه ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك
فقال يوسف ان اهل مصر وان ملكت فيهم فانهم ينظرون الي شزرا ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الان
بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي واني من حفدة ابرهيم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اخذ يوم الفتح بعضادتي باب الكعبة فقال لقريش ما ترونني فاعلا
بكم قالوا نظن خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال صلى الله عليه وسلم اقول ما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم قال عطاء الخراساني طلب الحوائج الى الشباب
اسهل منها الا الى الشيوخ الا ترى الى قول يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم وقول يعقوب سوف استغفر لكم ولما عرفهم يوسف نفسه سألهم
عن ابيهم فقالوا ذهبت عيناه فقال اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يات بصيرا كقولك جاء البناء محكما ومثله فارتد بصيرا والمراد
يات الي وهو بصير ويليه قوله واتوني باهلكم اجمعين قيل هو القميص المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف وكان من الجنة اوحى الله اليه ان فيه عافية كل
مبتلى وشفاء كل سقيم وقالت الحكماء لعله علم ان اباه ما كان اعمى وانما صار ضعيف البصر من كثرة البكاء فاذا القي عليه قميصه صار منشرح الصدر
بقوة روحه وزال ضعفه روي ان يهودا حمل القميص وقال انا احزنته بحمل القميص ملطوخا بالدم فافرحه كما احزنته فحمله وهو حاسر من مصر الى
كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا عن الكلبي كان اهله نحوا من سبعين انسانا وقال مسروق دخل قوم يوسف مصر وهم ثلثة وتسعون بين
رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم نحو من ستمائة الف ولما فصلت العير خرجت من عريش مصر فصل من البلد فصولا انفصل منه وجاوز حيطانه
وفصل مني اليه كتاب اذا نفذ واذا كان فصل متعديا كان مصدره الفصل قال ابوهم لمن حوله من قومه اني لاجد بحاسة الشم ريح يوسف قال مجاهد
هبت ريح فصفقت القميص ففاحت رائحة الجنة في الدنيا فعلم يعقوب انه ليس في الدنيا من ريح الجنة الا ما كان من ذلك القميص قال اهل التحقيق ان الله تعالى اوصل
اليه ريح يوسف عند انقضاء مدة المحنة ومجيء اوان الروح والفرج من مسيرة ثمان ومنع من وصول خبره اليه مع قرب البلدين في مدة ثمانين سنة او اربعين
عند الاكثرين وكلاهما معجزة ليعقوب خارقة للعادة وذلك يدل على ان كل سهل فهو في زمان المحنة صعب وكل
صعب فانه في زمان الاقبال سهل وقوله لولا ان تفندون جوابه محذوف اي لولا تفنيدكم اياي لصدقتموني والتفنيد النسبة الى الفند وهو الخرف
وتغير العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة لانها لم تكن ذات رأي فتفند في الكبر قالوا اي بعض الحاضرين عنده تالله انك لفي ضلالك القديم اي فيما كنت فيه
قدما من البعد عن الصواب في افراط محبة يوسف كما قال بنوه ان ابانا لفي ضلال مبين وقيل لفي شقائك القديم بما يكابد على يوسف من الاحزان
قال الحسن انما قالوا هذه الكلمة الغليظة لاعتقادهم ان يوسف قد مات فلما ان جاء ان صلة اي فلما جاء مثل فلما ذهب عن ابرهيم الروع وقيل هي مع
الفعل في محل الرفع بفعل مضمر اي فلما ظهر ان جاء البشير وهو يهودا القاه طرحه البشير او يعقوب على وجهه فارتد بصيرا اي انقلب من العمى الى البصر
او من الضعف الى القوة قال الم اقل لكم جوز في الكشاف ان يكون مفعوله محذوفا وهو قوله اني لاجد ريح يوسف او قوله ولا تيأسوا من روح الله ويكون
قوله اني اعلم كلاما مستانفا والظاهر ان مفعوله قوله اني اعلم من الله ما لا تعلمون وذلك انه كان قال لهم انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله
ما لا تعلمون روي انه سأل البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر قال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن
تمت النعمة ثم ان اولاده اخذوا يعتذرون اليه فوعدهم الاستغفار قال ابن عباس والاكثرون اراد ان يستغفر لهم في وقت السحر لانه ارجى الاوقات
اجابة وعن ابن عباس في رواية اخرى اخر الى ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة وقيل اخر ليتعرف حالهم في الاخلاص وقيل استغفر لهم في الحال ووعدهم

بدوام الاستغفار في الاستقبال فقد روي انه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة وروي انه قام الى الصلوة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما اتوا الى اخيهم فاوحى الله اليه ان الله قد غفر لك ولهم اجمعين وروي انهم قالوا له وقد غلبتهم الكآبة ما يغني عنا عفوكما ان لم يعف عنا ربنا فان لم يوح اليك بالعفو فلا قرت لنا عين ابدا فاستقبل الشيخ القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى جهدوا وظنوا انهم هلكوا نزل جبرئيل فقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة والخلاف للناس في نبوتهم مشهور ويحكى انه وجه يوسف الى ابيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه وخرج يوسف والملك في اربعة آلاف من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشي ويتوكأ على يهودا فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهودا هذا فرعون مصر قال لا هذا ولدك فلما لقيه قال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان فاجابه يوسف وقال يا ابت بكيت حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيمة تجمعنا قال بلى ولكن خشيت ان يسلب دينك فيحال بيني وبينك ومعنى آوى اليه ابويه ضمهما اليه واعتنقهما قال ابن ابي اسحق كانت امه باقية الى ذلك الوقت او ماتت الا ان الله تعالى احياها ونشرها من قبرها تحقيقا لرؤيا يوسف وقيل المراد بابويه ابوه وخالته لان امه ماتت في النفاس باخيه بنيامين حتى قيل بنيامين بالعبرية ابن الوجع ولما توفيت امه تزوج ابوه بخالته فسماها الله تعالى احد الابوين لان الخالة تدعى اما لقيامها مقام الام او لان الخالة ام كما ان العم اب فكيف وقد اجتمع ههنا الامران قال السدي كان دخولهم على يوسف قبل دخولهم مصر كانه حين استقبلهم نزل لاجلهم في خيمة او بيت هناك فدخلوا عليه وضم اليه ابويه وقال ادخلوا مصر فعلى هذا جاز ان يكون الاستثناء عائدا الى الدخول وعن ابن عباس ادخلوا مصر اي اقيموا بها وقوله ان شاء الله آمنين تعلق بالدخول المكيف بالامن وكأنه قيل اسلموا وامنوا في دخولكم وامنتم ان شاء الله وجواب الشرط بالحقيقة محذوف والتقدير ادخلوا مصر آمنين ان شاء الله دخلتم آمنين اراد الامن على انفسهم واموالهم واهليهم بحيث لا يخافون احدا وكانوا فيما سلف يخافون ملك مصر او اراد الامن من القحط والشدة او من تعييره اياهم بالجرم السالف ورفع ابويه على العرش السرير الرفيع الذي كان يجلس عليه وخروا له سجدا لسائل ان يقول السجود لا يجوز لغير الله فكيف سجدوا ليوسف ايضا تعظيم الابوين تالي تعظيم الله سبحانه فمن اين جاز سجدة ابويه له والجواب عن ابن عباس في رواية عطاء ان المراد وخروا لاجله سجدا لله فكانت سجدة الشكر لله سبحانه وكذا التأويل في قوله والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين اي انها سجدت لله تعالى لاجل طلب مصلحتي واعلاء منصبي واحسن من هذا ان يقال انهم جعلوا يوسف كالقبلة وسجدوا لله شكرا على لقائه او يراد بالسجدة التواضع التام على ما كانت عادتهم في ذلك الزمان من التحية ولعلها ما كانت الا انحناء دون تعفير الجبهة واعترض على هذا الوجه بان لفظ الخرور يأباه واجيب بان الخرور قد يعني به المرور قال تعالى لم يخروا عليها صما وعميانا اي لم يمروا وقيل الضمير عائد الى اخوته فقط ورد بان قوله هذا تأويل رؤياي من قبل ينبو عنه واجيب بان التعبير لا يلزم ان يكون مطابقا للرؤيا من كل الوجوه فيحتمل ان يكون السجدة في حق الاخوة التواضع التام وفي حق ابويه مجرد ذهابهما من كنعان الى مصر ففيه تعظيم تام للولد وانما قيل انما سجد الابوان لئلا تحمل الانفة اخوته على عدم السجود فيصير سببا لثوران الفتن واحياء الاحقاد والضغائن او لعله تعالى امر يعقوب بتلك السجدة لحكمة خفية لا يعرفها الا الله تعالى ورضي بذلك يوسف موافقة لامر الله ويؤيده ما روي عن ابن عباس ان يوسف لما رأى سجودهم اقشعر جلده ولكن لم يقل شيئا وكان الامر بتلك السجدة كان من تمام التشديد والبلية والله اعلم وقد احسن بي اي احسن الي يقال احسن به واليه بمعنى اذ اخرجني من السجن لم يذكر اخراجه من البئر لانه نوع تثريب للاخوة وقد قال لا تثريب عليكم ولانه لم يكن نعمة لانه حينئذ صار عبدا وصار مبتلى بالمرأة ولان هذا الاخراج اقرب واشمل وجاء بكم من البدو اي من البادية سمي المكان باسم المصدر لظهور الشخص فيه من بعيد وكان يعقوب وولده بارض كنعان اهل مواش يتنقلون في المياه والصحاري قال ابن الانباري بدو موضع معروف هنالك روي عن ابن عباس ان يعقوب كان قد تحول اليه وسكن فيه ومنه قدم الى يوسف فعلى هذا كان يعقوب وولده اهل الحضر والبدو نقصد هذا الموضع الذي يقال له بدا فالمعنى جاء بكم من قصد بدا ذكره الواحدي في البسيط قال الجبائي والكعبي والقاضي انه تعالى اخبر عن يوسف انه اضاف الاحسان الى الله ونسب النزغ الى الشيطان وهو الافساد والاغراء ففيه دليل على ان الخير من الله دون الشر واجيب بانه انما راعى الادب والا فليس فعل الشيطان الا الوسوسة والقاصرة للداعية الى الشر فلا يقدر عليها الا الله تعالى فان العاقل لا يريد ضرر نفسه ان ربي لطيف لما يشاء فاذا اراد حصول امر هيأ اسبابه وان كان في غاية البعد عن الاوهام انه هو العليم بالوجه الذي يسهل به الصعاب الحكيم في افعاله حتى يجيء على الوجه الاصوب والنحو الاصلح يحكى ان يوسف اخذ بيد يعقوب وطاف به في خزائنه فادخله خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي والثياب والسلاح وغير ذلك فلما ادخله خزائن القراطيس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثمان مراحل قال امرني جبرئيل قال او ما تسأله فقال انت ابسط اليه مني فسأله فقال جبرئيل الله امرني بذلك لقولك واخاف ان يأكله الذئب قال فهلا خفتني ثم ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم مات واوصى ان يدفنه بالشام الى جنب ابيه اسحق فمضى بنفسه ودفنه ثم عاد الى مصر وعاش بعد ذلك ثلاثا وعشرين سنة فلما تم امره وعلم انه لا يدوم له قال رب قد آتيتني من الملك شيئا من ملك الدنيا او من ملك مصر لانه كان دون ملك فوقه وعلمتني من تأويل الاحاديث بعضا من ذلك لانه لا يمكن ان يحصل في العمر المتناهي والاستعداد المعين المحصور سوى المتناهي من السعادات الدنيوية والكمالات الانسانية الاخروية فاطر السموات والارض منادى ثان او صفة النداء الاول اي مبدعهما على النحو الافضل من مادة سابقة كالدخان او من عدم محض انت وليي في الدنيا والآخرة

لا متولي

لا متولي اصلاح مهماتي في الدارين غيرك وفائدة النداء والثناء كما هو شرط الادب الحسن في المسألة فقال توفني مسلما اراد الوفاة على حال الاسلام والختم بالحسنى كقول يعقوب لولده ولا تموتن الا وانتم مسلمون والحقني بالصالحين من آبائي او على العموم قيل الصلاح اول درجات المؤمنين فالواصل الى الغاية وهي النبوة كيف يليق به ان يطلب البداية والجواب ان اراد الالحاق بالآباء فظاهر وان اراد العموم فكذلك لان طلب الصلاح غير الالحاق باهل الصلاح عين فان اجتماع النفوس المشرقة بالانوار الالهية له اثر عظيم وفوائد جمة كالمرايا المستنيرة المتقابلة التي ينعكس اضواؤها ويتكامل انوارها الى حيث لا يطيقها العيون الضعيفة هذا مع ان الختم على الصلاح نهاية مراتب الصديقين وههنا بحث للاشاعرة وهو ان التوفي على الاسلام والالحاق باهل الصلاح لو لم يكن من فعل الله تعالى كان طلبه من الله جاريا مجرى قول القائل افعل يا من لا يفعل وهل هذا الا كتشنيع المعتزلة علينا اذا كان الفعل من الله فكيف يجوز ان يقول للمكلف افعل مع انه ليس بفاعل اجاب الجبائي والكعبي بان المراد الطف بي بالاقامة على الاسلام الى ان اموت فالحق بالصالحين ورد بانه عدول عن الظاهر مع ان كل ما في مقدوره من الالطاف فقد فعله نحو الكل سؤال آخر الانبياء يعلمون انهم يموتون على الاسلام البتة فما الفائدة في الطلب الجواب العلم الاجمالي لا يغني عن العلم التفصيلي ولا سيما في مقام الخشية والرهبة وقال في التفسير الكبير المطلوب ههنا حالة زائدة على الاسلام الذي هو ضد الكفر وهي الاستسلام لحكم الله والرضا بقضائه وعن قتادة وكثير من المفسرين انه تمنى الموت واللحوق بدار البقاء في زمرة الصلحاء ولم يتمن الموت نبي قبله ولا بعده قال اهل التحقيق لا يبعد من الرجل العاقل اذا كمل عقله ان يعظم رغبته في الموت لوجوه منها ان مراتب الموجودات ثلث المؤثر الذي لا يتأثر وهو الاله تعالى وتقدس والمتأثر الذي لا يؤثر وهو عالم الاجسام فانها قابلة للتشكيل والتصوير والصفات المختلفة والاعراض المتضادة ويتوسطهما قسم ثالث هو عالم الارواح لانها تقبل الاثر والتصرف من العالم الالهي ثم اذا اقبلت على عالم الاجسام تصرفت فيه واثرت وللنفوس في التأثير والتأثر مراتب غير متناهية لان تأثيرها بحسب تأثرها مما فوقها والكمال الالهي غير متناه فاذن لا ينفك النفس نقصان ما والناقص اذا حصل له شعور بنقصانه وتشوق الى الكمال بقي في القلق والم الطلب ولا سبيل له الى دفع هذا القلق والالم الى الموت فيتمنى الموت ومنها ان سعادات الدنيا ولذاتها سريعة الزوال مشرفة على الفناء والالم الحاصل عند زوالها اشد من اللذة الحاصلة عند وجدانها مخلوطة بالمنغصات والاراذل من الخلق يشاركون الافاضل فيها بل ربما كانت حصة الاراذل اكثر فلا جرم تمنى العاقل موته ليتخلص من هذه الآفات ومنها ان اللذات الجسمانية لا حقيقة لها لان حاصلها يرجع الى دفع الالام وقد قررنا هذا المعنى فيما سلف ومنها ان مداخل اللذات الدنيوية ثلثة لذة الاكل ولذة الوقاع ولذة الرياسة ولكل منها عيوب فلذة الاكل مع انها غير باقية بعد البلع فان المأكول يختلط بالبصاق المجتمع في الفم ولا شك انه شيء منفر ثم يصل الى المعدة ويستحيل الى ما ذكره منفر فكيف يرضى بمثل هذه اللذة من قال ليت العقلاء من كانت همته ما يدخل في جوفه كانت قيمته ما يخرج من بطنه هذا مع اشتراك الحيوانات الخسيسة فيها وايضا اشتداد الجوع حاجة والحاجة نقص وآفة وكذا الكلام في لذة النكاح وعيوبها مع ان فيها احتياجا الى زيادة المال والنفقة للزوج والولد وما يلزمهما والاحتياج الى المال يلقي المرء في مهالك الاكتساب ومهاوي الانتجاع ولذة الرياسة ادنى عيوبها ان كل واحد يكره بالطبع ان يكون خادما مأمورا ويحب ان يكون مخدوما آمرا فسعي الانسان في الرياسة سعي في مخالفة كل من سواه ولا ريب ان هذا امر صعب الحصول منيع المرام واذا ناله كان على شرف الزوال في كل حين وآن ولان كثرة الاسباب توجب حصول الاثر فيكون دائما في الحزن والخوف فاذا تأمل العاقل في هذه المقاصد علم قطعا انه لا صلاح في اللذات العاجلة ولكن النفس جبلت على طلبها والرغبة فيها فيكون دائما في بحر الآفات وغمرات الحسرات ثم يتمنى زوال هذه الحيوة وقد سبق منا في تمني الموت كلام آخر في سورة البقرة في تفسير قوله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فليتذكر قال اهل السير لما توفي يوسف تخاصم اهل مصر وتشاحوا في دفنه كل يحب ان يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال فرأوا من الرأي ان عملوا له صندوقا من مرمر فجعلوه فيه ودفنوه في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا فيه شرعا وولد له افرائيم وميشا وولد لافرائيم نون وولد لنون يوشع فتى موسى ثم بقي يوسف هنالك الى ان بعث الله موسى فاخرج عظامه من مصر ودفنها عند قبر ابيه والله تعالى اعلم بحقائق الامور التأويل ان يعقوب الروح لا يتأسف على فوات شيء من المخلوقات الا على يوسف القلب لانه مرآة جمال الحق لا يشاهد الحق الا فيها فلذلك ابيضت عيناه في انتظارها فلامه على ذلك الاوصاف البشرية بقولهم تفتؤ تذكر يوسف اي انك من اهل السلوة في شغف من اهل العشق انك خلي من الشجي ولابد للمحب من ملامة الخلق فاول ملامة آدم حين قالت الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها بل اول ملامة هو الله تعالى حين قال انه ظلوم فيها وذلك اول محبة دعى المحبة وهو قوله يحبهم واعلم من الله من حاله وكماله اذهبوا فتحسسوا فيه ان الواجب على كل مسلم ان يطلب يوسف قلبه وبنيامين سره وان ترك لطف الله والياس عن وجدانه كفر فلما رأت الاوصاف البشرية آثار العزة من رب العزة على صفحات احوال يوسف القلب حين وصلوا بتبليغ احكام الشريعة وتدبير آداب الطريقة الى سرادقات حضرة القلب قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا وهم القوى الانسانية الضر والبعد عن الحضرة الربانية وجئنا ببضاعة مزجاة من الاعمال البدنية فاوف لنا الكيل بافاضة سجال العوارف واسباغ ظلال العواطف انتم جاهلون اذ كنتم على صفة الظلومية والجهولية لقد آثرنا الله علينا بالطلب الصادق والشوق والمحبة والوصول والوصال وان كنا لخاطئين في الانابة على اسيفنا الحظوظ الحيوانية التي نصر القلب والسر والروح لا تثريب عليكم اليوم لانه صدر منها ما صدر بحكمة من الله

تعلق وتربية القلب وان كان مضراله ظاهرا كما ان ضيع اخوة يوسف في الجب اول صار سببا لتمكنه في النهاية اذ هو ابنها يصير وهو نور جمال الله ولما فصلت عير واردات لقلب هبت نفحات الطاف الحق انك لفي ضلالك القديم شعر يا عاذل العاشقين دع فئة + اضلها الله كيف يرشدها + فارتد بصيرا لان الروح كان بصيرا في بدو الفطرة ثم عمي لتعلقه بالدنيا وتصرفه فيها ثم صار بصيرا بوارد من القلب شعر + وردا لبشير بما اقر الاعينا + وشفى النفوس من نقيل غايات المنى + والقلب في بدو الامر كان محتاجا الى الروح في الاستكمال فلما كمل وصلح القبول فيضان الحق بين اصبعين ونال مملكة الخلافة بمصر القربة في النهاية صار الروح محتاجا اليه لاستنارته بانوار الحق وذلك ان القلب بمثابة المصباح في البداية الى التربية في قبول النار ولكن الزيت يحتاج الى المصباح وتزكيته في النهاية لتقبل بواسطته النار ادخلوا مصر ان شاء الله لانه لا يصل الى الحضرة الاحدية الا بجذبة المشيئة امنين من الانقطاع والانفصال وخروا له سجدا لما راوه وعرفوه انه عرش الحق تعالى فالسجدة لله كانت في الحقيقة لرب العرش هذا تاويل رؤياي من قبل اذ كنت نائما في يوم العدم اذ اخرجني من السجن الوجود ولم يقل من الجب لانه لم يخرج من جب البشرية ما دام في البدن وجاء بكم من البدو والطبيعة انتى الملك ملك الوصال والوصول فاطر سموات عالم الارواح وارض البشرية توفني مسلما من قيد الوجود المجازي وابقني ببقائك مع الباقين بل بفضلك وكرمك ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وما تسئلهم عليه من اجر ان هو الا ذكر للعالمين وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله او تاتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من اهل القرى افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الاخرة خير للذين اتقوا افلا تعقلون حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون القراءات سبيلي بفتح الياء ابو جعفر ونافع نوحي بالنون وكسر الحاء حفص الاخرون بالياء وفتح الحاء يعقلون على الغيبة ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وهشام وابن كثير والاعشى والبرجمي والباقون بتاء الخطاب كذبوا بالتخفيف عاصم وحمزة وعلي وخلف ويزيد الباقون بالتشديد فنجي بضم النون وكسر الجيم المشددة وفتح الياء ابن عامر وعاصم وسهل ويعقوب فعلى هذا يكون فعلا ماضيا مبنيا للمفعول وعن الكسائي مثل هذا ولكن بسكون الياء وخطاء على عليه بناء على انه فعل مستقبل من الانجاء والنون لا يدغم في الجيم ومن النجية والنون المتحركة لا يدغم في الساكن واقول ان كان فعلا ماضيا من التنجية والنون المتحركة لا يدغم كما في القراءة الاولى ولكن سكن الياء للتخفيف لم يلزم منه خطاء الاخرون قرؤا بنونين وتخفيف الجيم وسكون الياء فعلا مضارعا من الانجاء على حكاية الحال الماضية الوقوف اليك ج لابتداء النفي مع واو العطف يمكرون بمؤمنين اجر للعالمين معرضون مشركون لا يشعرون ومن اتبعني ط المشركين القرى ط من قبلهم ط اتقوا ط تعقلون نصرنا لمن قرا فنجي بالتخفيف ولا وقف على من نشاء ومن قرا فنجي مشددة وصله بما قبله ووقف على من نشاء المجرمين الالباب ط يؤمنون التفسير ذلك الذي ذكر من نبا يوسف هو من اخبار الغيب ولله در تفسير مثل هذا في اخر قصة زكريا في سورة ال عمران ومعنى اجماع الامر العزم عليه كما مر في سورة يونس في قصة نوح واراد عزمهم على القاء يوسف في البئر وهو المكر بعينه وذلك مع سائر الغوائل من الجني على قميصه بدم كذب ومن شراهم اياه بثمن بخس قال اهل النظر ان كفار قريش وجماعة من اليهود طلبوا هذه القصة من رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل التعنت فاعتقد رسول الله انه اذا ذكرها لهم اصروا على كفرهم فنزل وما اكثر الناس اي اكثر خلق الله المكلفين او اكثر اهل مكة قاله ابن عباس ولو حرصت جوابه مثل ما تقدم اي ولو حرصت فما هم بمؤمنين والحرص طلب الشيء باقصى ما يمكن من الاجتهاد ونظير الاية قوله انك لا تهدي من احببت وما تسئلهم عليه على تحديثهم به من اجر كما يسئل القصاص ان هو الا ذكر عظة من الله للعالمين عامة على لسان رسوله وكاين من اية الاكثرون على انه لفظ مركب من كاف التشبيه واي التي هي في غاية الابهام اذا قطعت عن الاضافة لكنه انمحى عن الجزئين معناهما الافرادي وصار المجموع كاسم مفرد بمعنى كم الخبرية والتنوين عن الكاف لا عن اي كما في مثلك جلالا والاكثر ادخال من في تمييزه وقد مر في سورة البقرة في تفسير قوله سبحانه ان في خلق السموات والارض في مواضع لو تفصيل بعض الايات السماوية والارضية الدالة على توحيد الصانع وصفات جلاله ومن جملة الايات قصص الاولين واحوال الانبياء ومعنى يمرون عليها يشاهدونها وهم عنها معرضون لا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على الابتداء وخبره يمرون والمراد ما يرون من اثار الامم الهالكة وغير ذلك من العبر والحاصل ان جملة العالم العلوي والعالم السفلي محتوية على الدلائل والبينات على وجود الصانع ونعوت كماله ولكن الغافل يتعامى عن ذلك وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون وذلك انهم كانوا مقرين بالاله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لكنهم كانوا يثبتون له شريكا في العبودية وهو الاصنام ويقولون هم الشفعاء وكان اهل مكة يقولون الملائكة بنات الله وعن الحسن هم اهل الكتاب يقولون عزير ابن الله والمسيح ابن الله وعن ابن عباس هم الذين يشبهون الله بخلقه احتجت الكرامية بالاية على ان الايمان عبارة عن مجرد الاقرار لانه لو كان كما لما اجتمع الشرك غاشية عقوبة تغشاهم وتغمرهم قل يا محمد لهم هذه سبيلي التي هي الدعوة الى الايمان سبيلي وسيرتي وقوله ادعوا الى الله

تفسير لسبيلي وعلى بصيرة حال من ادعوا عاملة انا تاكيد للمستتر في ادعوا ومن اتبعني عطف عليه ويجوز ان يكون على بصيرة حالا من ادعوا عاملة في انا ومن اتبعني ويجوز ان يكون انا مبتدأ معطوفا عليه ومن اتبعني وعلى بصيرة خبر امقدما فيكون ابتداء اخبار بانه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى وتشهي وقل سبحان الله تنزيها عما اشركوا وما انا من المشركين لا شركا جليا ولا شركا خفيا قال وما ارسلنا من قبلك وفي الانبياء قبلك بغير من لان قبل اسم للزمان السابق على ما اضيف اليه ومن يفيد استيعاب الطرفين وفي هذه السورة اريد الاستيعاب بقوله الا رجالا رد على من زعم ان الرسول ينبغي ان يكون ملكا او يمكن ان يكون امرأة مثل سجاح المتنبئة وقوله من اهل القرى خصهم بالاستنباء لما في اهل البادية من الغلظة والجفاء فبما رحمة من الله لنت لهم قال من يرد الله به خيرا يجعله في الجفاء ومن اتبع الصيد غفل افلم يسيروا في الارض فينظروا الى مصارع الامم المكذبة انما قال افلم يسيروا بالفاء بخلاف ما في الروم والملائكة لاتصاله بقوله وما ارسلنا من قبلك فكان الفاء انسب الواو ولدار الاخرة موصوف محذوف اي ولدار الساعة والحال الاخرة لان للناس حالين حال الدنيا وحال الاخرة وبيان الخيرية قد مر في الانعام وانما خص ههنا بالحذف لتقدم ذكر الساعة قال في الكشاف حتى غاية لمحذوف دل عليه الكلام والتقدير فتراخى نصر اولئك الرجال حتى اذا استياسوا عن النصر او عن ايمان القوم وظنوا انهم قد كذبوا فيه وجوه لقراءتي التخفيف والتشديد ولا يمكن عود الضمير في الفعلين الى الرسل والى المرسل اليهم الدال عليهم ذكر الرسل والسابق ذكرهم في افلم يسيروا واما وجوه التخفيف فمنها ظن الرسل انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون وكذب رجاؤهم لقولهم رجاء صادق وكاذب والمراد ان مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله قد تطاولت وتمادت حتى توهموا ان لا نصر لهم في الدنيا قال ابن عباس ظنوا حين ضعفوا وغلبوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر قال وكانوا بشرا الا ترى الى قوله وزلزلوا والعلماء حملوا قول ابن عباس على ما يخطر بالبال شبه الوسواس وحديث النفس على ما هو البشرية واما الظن الذي هو ترجيح احد الجانبين على الاخر فلا لان الرسل اعرف الناس بالله وبانه متعال عن خلف الميعاد متبرأ عن وصمة الاخلاف ومنها وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا فيما وعدوا من النصر والظفر ومنها وظن المرسل اليهم انهم قد كذبوا من جهة الرسل اي كذبتهم الرسل في انهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم واما قراءة التشديد فان كان الظن بمعنى اليقين فمعناه ايقن الرسل ان الامم كذبوهم تكذيبا لا يصدر عنهم الايمان بعد ذلك فحينئذ دعوا عليهم فهنالك نزل عذاب الاستئصال او كذبوهم فيما وعدوهم من العذاب والنصرة عليهم وان كان بمعنى الحسبان فالمعنى توهم الرسل ان الذين امنوا بهم يكذبونهم تكذيبا لا يصدر عنهم الايمان وهذا تاويل عائشة قالت ما وعد الله محمدا شيئا الا وعلم انه سيوفيه ولكن البلاء لم يزل بالانبياء حتى خافوا من ان يكذبهم الذين كانوا قد امنوا بهم لقد كان في قصصهم قصص الرسل اضافة للمصدر الى الفاعل ويحسن ان يعود الضمير لاخوة يوسف وله لاختصاص هذه السورة بهم والعبرة نوع من الاعتبار وهي العبور من الطرف المعلوم الى الطرف المجهول ووجه الاعتبار على العموم ان يعلم انه لا خير الا في العمل الصالح والتزود بزاد التقوى كما ان الملوك الذين عمروا البلاد وتجبروا على العباد ثم لم يراعوا حق الله في شيء من ذلك ماتوا وانقرضوا وبقي الوزر والوبال عليهم وعلى الخصوص ان الذي قدر على اعزاز يوسف بعد القائه في الجب واعلاء شانه بعد حبسه في السجن واجتماعه باهله بعد طول البعاد قادر على اظهار محمد واعلاء كلمته والكل مشترك في الدلالة على صدق محمد لان هذا النوع من القصص الذي اعجز حملة الاحاديث ورواة الاخبار ممن لم يطالع الكتب ولم يخالط العلماء دليل ظاهر وبرهان باهر على انه بطريق الوحي والتنزيل وانما يكون دليلا واعتبارا لاولي الالباب واصحاب العقول الذين يتاملون ويتفكرون لا الذين يمرون ويعرضون على ان الدليل دليل في نفسه للعقلاء وان لم ينظر فيه مستدل قط كما ان الرئيس الحقيقي من له اهلية الرياسة وان كان في نهاية الخمول ما كان مدلول القصص وهو المقصوص او القران حديثا يفترى لظهور اعجازه ولكن كان تصديق الذي بين يديه من الكتب السماوية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين لانه القانون الذي يستند اليه السنة والاجماع والقياس وقيل تفصيل كل شيء من واقعة يوسف مع ابيه واخوته قال الواحدي وعلى التفسيرين فهو ليس على عمومه لان المراد به الاصول والقوانين وما يؤول اليها وهدى في الدنيا ورحمة في الاخرة لقوم يؤمنون لانهم هم المنتفعون بذلك التاويل من انباء الغيب لان هذا الترتيب في السلوك لا يعلمه الا اولو النجوم في ملكوت السماء الغواصون في بحر بطن القران وما كنت لديهم بالصورة ولكن كنت حاضرا بالمعنى وما اكثر الناس وهم صفات الناسوتية وما تسئلهم عليه وما تسئلهم عليه من اجر لان اللاهوتية غير محتاجة الى الناسوتية وان دعتها الى الاستكمال لانها كاملة في ذاتها مكملة لغيرها وكاين من اية في سموات القلوب وارض النفوس من الاوصاف الانسانية عليها وهم عنها معرضون لانها طاغية على الدنيا وشهواتها وما يؤمن اكثر الصفات الانسانية بطلب الله وتبدل صفاتها الا وهم مشركون في طلب الدنيا وشهواتها وطلب الاخرة ونعيمها او وما يؤمن اكثر الخلق بالله وطلبه الا وهم مشركون برؤية الايمان والطلب لها منهم لا من الله فكل من يرى السبب فهو مشرك وكل من يرى المسبب فهو موحد كل شيء هالك في نظر الموحد الا وجهه او وما يؤمن اكثر الناس بالله وبقدرته وايجاده الا وهم مشركون في طلب الحاجة من غير الله غاشية جذبة تقهر ارادتهم وتسلب اختيارهم كما قيل العشق عذاب الله او تاتيهم الساعة ساعة الانجذاب الى الله هذه سبيلي لان طريق السير والسلوك مخصوص بي وبامتي الا رجالا من اهل قرى الملكوت دون مدن الملك والاجساد والرجال من القرى والشيران يعبر عن عالم الارواح بالقرى لبساطتها والقرى اقل اجزاء من المدن افلم يسيروا في ارض البشرية على قدمي الشريعة والطريقة ليصلوا الى فضاء عالم الحقيقة وظنوا انهم قد كذبوا في ظن ابطاء النصر ابتلاء للرسل والله حسبي ونعم الوكيل

سورة الرعد مكية وقيل مدنية سوى انه نزلت بمكة ولو ان قرانا سيرت به الجبال حروفها ثلاثة الاف وخمسمائة وستة كلماتها ثمانمائة وخمس وخمسون اياتها ثلاث واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓمٓر تلك ءايات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ۝ الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون ۝ وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ۝ وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون ۝ وان تعجب فعجب قولهم ءاذا كنا ترابا ءانا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم واولئك الاغلال في اعناقهم واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ۝ ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب ۝ ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه انما انت منذر ولكل قوم هاد ۝ الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار ۝ ع عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ۝ سواء منكم من اسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ۝ له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال ۝

القراءة وزرع ونخيل صنوان وغير بالرفع فيهن ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وحفص والمفضل الآخرون بالجر فيهن عطفا على اعناب يسقى بالياء التحتانية مع تخفيف على تقدير يسقى كله او للتغليب ابن عامر وعاصم ويزيد ويعقوب الباقون بتاء التانيث لقوله جنات يفضل على الغيبة حمزة وعلي وخلف الباقون بالنون على التكلم ونفضل ءاذا ءانا بهمزتين واحدة على الخبر بقلب الثانية ياء والباقي كما مر نافع غير قالون وسهل ويعقوب غير زيد ايذا انا بالمد والباقي مثله زيد وقالون ءاذا بهمزة واحدة ءانا بهمزتين ابن عامر هشام يدخل بينهما مدة اذا بهمزة واحدة ءانا بهمزة ممدودة ثم ياء فيهما ابن كثير مثله ولكن بالمد ابو عمرو اذا انا بهمزتين فيهما عاصم وحمزة وخلف هادي وال وباق بالياء في الوقف يعقوب ابن كثير غير ابن فليح وزمعة وروى ابن شنبوذ عن قنبل بالياء في الوقف وعن البزي بغير ياء المتعالي بالياء في الحالين ابن كثير ويعقوب وافق سهل وعباس في الوصل الوقوف المر كوفي ءايات الكتاب ط لا يؤمنون والقمر مسمى ط يوقنون وانهارا ط النهار ط يتفكرون بماء واحد ط لمن قرأ ونفضل بالنون في الاكل ط يعقلون جديد ط بربهم ج في اعناقهم ج النار ج خالدون المثلات ط ظلمهم ج لتنافي الجملتين العقاب من ربه ط هاد وما تزداد ط بمقدار المتعال بالنهار من امر الله ط ما بانفسهم ط فلا مرد له ج لاختلاف الجملتين وال التفسير تلك الآيات التي في هذه السورة آيات السورة العجيبة الكاملة في بابها والذي انزل اليك من ربك اي القرآن كله هو الحق الذي لا مجيد عنه والمراد انه لا يختص الحقية في هذه السورة وحدها ثم اخذ في تفصيل الحق فبدأ بالدلالة على صحة المبدأ والمعاد فقال الله مبتدأ خبره الذي والموصول صفة المبتدأ وقوله يدبر الامر يفصل الآيات خبر بعد خبر والعمد بفتحتين جمع عمود وهو ما يعمد به الشيء شبه الاسطوانة وقوله ترونها كلام مستأنف على سبيل الاستشهاد اي انتم ترونها مرفوعة بلا عماد وقال الحسن في الآية تقديم وتأخير تقديره رفع السموات ترونها مرفوعة بغير عمد وفيه تكلف وقيل ترونها صفة للعمد ثم زعم من تمسك بالمفهوم ان للسموات عمدا لكنا لا نراها وما تلك العمد قال بعض الظاهريين هي جبل من زبرجد محيطة بالدنيا يسمى جبل قاف ولا يخفى سقوط هذا القول لان كل جسم لو كان معتمدا يلزم ان يكون معتمدا على شيء فذلك الجبل ايضا كان معتمدا على شيء ويتسلسل وقال بعض من ترقى من حضيض الصورة الى ذروة عالم المعقول ان تلك العمد هي قدرة الله تعالى وحفظه الذي اوقفها في العالي ويحتمل ان يحي ذلك التدبير ولا نعرف كيفية ذلك الامساك اما قوله كل يجري لاجل مسمى فعن ابن عباس ان للشمس مائة وثمانين منزلا في مائة وثمانين يوما ثم انها تعود مرة اخرى الى واحد واحد منها في امثال تلك الايام ومجموع تلك الايام سنة تامة اقول ان صح هذا عنه فلعله اراد تصاعدها في دائرة نصف النهار وتنازلها عنها في ايام السنة او اراد نزولها في فلكها الخارج المركز من الاوج الى الحضيض ثم صعودها من الحضيض الى الاوج فان لها بحسب كل جزء من تلك الاجزاء في كل يوم من ايام السنة تعديلا خاصا زائدا او ناقصا كما برهن عليه اهل النجوم واما القمر فسيره في منازله شهورا وقال سائر المفسرين المراد كونهما متحركين الى يوم القيمة وبعد ذلك ينقطع الحركات وتبطل المسيرات كقوله واجل مسمى عنده واللام للتاريخ كما يقول كتبت لثلث خلون وانما قال في سورة لقمن الى اجل مسمى موافقة لقبيل ذلك ومن يسلم وجهه الى الله والقياس لله كما في قوله اسلمت وجهي لله يدبر الامر اجمال بعد التفصيل اي امر العالم العلوي والعالم السفلي من اعلى العرش الى ما تحت الثرى بحيث لا يشغله شان عن شان لان تدبيره لعالم الارواح كتدبيره لعالم الاشباح وتدبيره للكبير كتدبيره للصغير لا يختلف بالنسبة الى قدرته لحول شيء من ذلك في الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وتبديل الصور والاعراض وتغيير الاشكال والاوضاع يفصل الآيات الدالة على وحدانيته وقدرته ويحتمل ان يراد بتدبير الامر تدبيره عالم الملكوت ويكون معنى تفصيل الآيات انزال الكتب وبعث الرسل وتكليف العباد الذي هو اثر ذلك العالم في العالم السفلي ويجوز ان يكون تدبير الامر اشارة الى القضاء وتفصيل الآيات اشارة الى القدر وقوله لعلكم بلقاء ربكم توقنون على التفاسير اشارة الى اثبات المعاد لان المقر بتدبيره وتقديره على الانهاج المذكورة لا بد ان يعترف باقتداره على الاعادة والجزاء ولما ذكر الدلائل السماوية اتبعها الدلائل الارضية فقال وهو الذي مد الارض قال الاصم اي بسطها الى ما لا يدرك منتهاها وهذا الامتداد الظاهر لحس البصر لا ينافي كونها كرية لتباعد اطرافها وجعل فيها رواسي اي جبالا ثوابت في احيازها غير منتقلة عن اماكنها وكيفية تكون الجبال على بسيط الارض لا يعلم تفصيلها الا موجدها وزعم الفلاسفة القائلون بتاثير السموات في الاجزاء الارضية القابلة لذلك لا سيما بعد امتزاجها بالاجزاء المائية وغيرها وقد يعين على ذلك نزول

الامطار وهبوب الرياح وهذا ان صح فعلم اجمالي وزعم بعضهم ان البحار كانت في جانب الشمال مدة كون حضيض الشمس هناك وحين انتقل الحضيض الى الجنوب انجذب المياه الى ذلك الجانب لان الشمس بصيرورتها في الحضيض اقرب الى الارض فيوجب شدة السخونة الجاذبة للرطوبات فصار الطين اللزج حجرا واوجدت الجبال والاغوار بحسب المواضع المرتفعة والمنخفضة وباعانة من السموات والآثار العلوية وبالجملة فالاسباب تنتهي لا محالة الى مسبب لا سبب له وهو الله سبحانه ومن الدلائل الدالة على وجود الصانع ووحدانيته جريان الانهار العظيمة على وجه الارض الكائنة فيها من احتباس الابخرة واكثر ذلك انما يكون في الجبال فلذا قرن الجبال بالانهار في القرآن كثيرا كقوله وجعلنا فيها رواسي شامخات واسقيناكم ماء فراتا وقد يحصل فيها معادن الفلزات ومواضع الجواهر ومكامن الاجسام المائعة من النفط والقير والكبريت وغيرها وكل ذلك دليل على وجود فاعل مختار ومدبر قهار ثم يحدث على الارض بتربية المياه وتغذيتها انواع النبات فلذلك قال ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين وللمفسرين فيه قولان الاول انه حين مد الارض خلق فيها من جميع الثمرات انواعها زوجين زوجين ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت فيكون كل زوجين بالنسبة الى ذلك النوع كآدم وحواء بالاضافة الى الانسان القول الثاني انه اراد بالزوجين الاسود والابيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما اشبه ذلك من الاختلاف الصنفي ووصف الزوجين بالاثنين للتاكيد مثل نفخة واحدة اما قوله يغشي الليل النهار فقد مر تفسيره في الاعراف وانما ذكر هذا الانعام في اثناء الدلائل الارضية لان النور والظلمة انما يحدثان في الجو الذي يسميه الحكماء كرة النسيم وكرة البخار وليس فيما وراء ذلك ضياء ولا ظلام فتعاقب الليل والنهار من جملة الاحداث السفلية وان كان سببها طلوع الشمس وغروبها في الافق ويحتمل ان يقال ان هذا دليل سماوي وانه سبحانه عاد مرة اخرى الى الدليل السماوي ثم الى الدليل الارضي وذلك قوله وفي الارض قطع متجاورات اي بقاع مختلفة مع كونها متجاورة ومثلا صغيرة طيبة الى سبخة وصلبة الى رخوة وصالحة للزرع لا للشجر الى اخرى على خلافها وفي هذا دلالة ظاهرة على انها بجعل فاعل مختار موقع لافعاله على حسب ارادته وكذا الكروم والزروع والنخيل الكائنة في هذه القطع مختلفة الطباع متخالفة الثمار في اللون والطعم والشكل وهي تسقى بماء واحد فدل على ان هذه الاختلافات لا تستند الى الطبيعة فقط ولكنها بتقدير العزيز العليم وانما ذكر الزرع بين الاعناب والنخيل لانها كثيرا ما ان يكون كذلك في الوجود كقوله جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا والصنوان جمع صنو وهي النخلة لها رأسان واصلهما واحد وعن ابن الاعرابي الصنو المثل ومنه قوله صلعم عم الرجل صنو ابيه فمعنى الآية على هذا ان اشجار النخيل قد يكون متماثلة وقد لا يكون والاكل الثمر الذي يؤكل قاله الزجاج وعن غيره انه عام في جميع المطعومات وانما ختم الآية السابقة بقوله ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون وهذه بقوله لقوم يعقلون لان المقام الاول يحتاج الى التفكر لان الفلاسفة يسندون الحوادث السفلية الى الآباء الاثيرية والامهات العنصرية لكن العاقل اذا تفكر في اختصاص كل ممتزج بحيز معين وشكل معين وطبيعة وخاصية تخالفين لغيره علم ان كل هذه الاختلافات لا تستند الى اشعة كواكب معدودة ولا الى الطبائع عناصر محصورة كما اشير الى ذلك بقوله وفي الارض قطع الآية ولئن سلم ان الاتصالات الفلكية واختلافات الانواء والقوابل قد يرتقي الى حد يظهر منها هذه الآثار فلا بد لكل مسبب من الانتهاء الى مسبب لا سبب فوقه وليس ذلك الا الله وحده فهذا مقام لا يحتاج الاعادم عقل بل فاقد حس والحاصل ان التفكر في الآيات يوجب عقلية ما جعلت الآيات دليلا عليه فهو الاول المؤدي الى الثاني والله ولي التوفيق ثم عاد سبحانه الى ذكر المعاد فقال وان تعجب قال ابن عباس ان تعجب يا محمد من تكذيبهم اياك بعد ما كانوا حكموا انك من الصادقين فهذا اعجب او ان تعجب من عبادتهم الاصنام بعد الدلائل الدالة على التوحيد او ان تعجب يا محمد فقد عجبت في موضع العجب لانهم اعترفوا بانه تعالى رفع السموات بغير عمد وسخر الشمس والقمر على وفق مصالح العباد واظهر الغرائب والعجائب في عالم الخلق ثم انكروا الاعادة التي هي اهون واسهل قال المتكلمون موضع العجب هو الذي لا يعرف سببه وذلك في حقه تعالى محال فالمراد وان تعجب فعجب عندك قولهم وان سلم ان المراد عجب عند الله كما روي في الصافات بل عجبت بضم التاء فتاويله انه محمول على النهاية لا على البداية اي منكر عند الله ما قالوه فان الانسان اذا تعجب من شيء انكره قال في الكشاف ءاذا كنا الى آخر قولهم يجوز ان يكون في محل الرفع بدلا من قولهم وان يكون منصوبا بالقول واذا نصب بما دل عليه قوله ءانا لفي خلق جديد وهو نبعث ونحشر ثم حكم عليهم بامور ثلثة الاول اولئك الذين كفروا بربهم يعني اولئك الكاملون المتمادون في كفرهم وذلك ان انكار البعث لا يكون الا عن انكار القدرة او عن انكار كمالها بان يقال انه موجب بالذات لا فاعل بالاختيار فلا يمكنه ايجاد الحيوان الا بواسطة الابوين وتاثير الطبائع والافلاك او انكار العلم بان يقال انه غير عالم بالجزئيات فلا يمكنه تمييز المطيع عن العاصي وتمييز اجزاء بدن زيد عن اجزاء بدن عمرو او انكار الصدق كما اذا قيل انه اخبر عنه ولكنه لا يفعل لان الكذب جائز عليه كما يكذب احدنا بناء على مصلحة عامة او خاصة وكل واحدة من هذه العقائد كفر فضلا عن جميعها والثاني واولئك الاغلال في اعناقهم قال الاصم المراد بذلك كفرهم وذلتهم وانقيادهم للاصنام يقال للرجل هذا غل في عنقك للعمل الردي اذا كان لازما له وهو مصر على فعله وقال آخرون هو من جملة الوعيد ولا بد من تجوز على القولين اما على الاول فظاهر واما على الثاني فلان المراد انه سيحصل هذا المعنى والظاهر انه حاصل في الحال ويؤيد القول الثاني قوله اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل والاول قوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا والثالث واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وربما يستدل الاشاعرة بان الصيغة للحصر فيدل على ان اهل الكبائر لا يخلدون في النار ويمكن ان ينازع في فائدة الحصر ثم انه صلعم كان يهددهم تارة بعذاب الآخرة وكانوا ينكرون البعث لذلك كما تقدم ويخوفهم تارة اخرى بعذاب الدنيا فيستعجلونه بزعمهم بانه كلام لا اصل له والى هذا اشير بقوله ويستعجلونك بالسيئة بالعذاب والعقوبة التي تسوءهم قبل تمام الحسنة وهي العافية والاحسان اليهم

بالاهمال والتاخير وقد خلت من قبلهم المثلات اى عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لا يعتبرون بها واصل هذا الحرف من المثل الذى هو التشبيه
لان العقاب مماثل للمعاقب عليه ومنه المثلة بالضم والسكون لتقبيح الصورة بقطع الانف والاذن وسمل العين ونحو ذلك وذلك انه ليس تغييرا كليا الا
بما ثل الصورة الاولى وانما ذلك تغيير يبقى الصورة معه قبيحة وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم قالت الا[شاعرة] فيه دلالة على جواز العفو عن
صاحب الكبيرة قبل التوبة لان قوله على ظلمهم حال منهم ومن المعلوم ان الانسان حال اشتغاله بالظلم لا يكون تائبا منه لا يقال دلت على انه تعالى يغفر
الذنوب قبل الاشتغال بالتوبة ترك العمل بها فى حق الكافر فيبقى معمولا بها فى حق اهل الكبائر لا يقال المراد من هذه المغفرة تاخير العقاب الى الاخرة
ليندفع جوابا عن استعجالهم او المراد غفران الصغائر لمجتنب الكبائر او غفران الكبائر بشرط التوبة فان تابوا والا فهو شديد العقاب لانا نقول تاخير
العقاب الى الاخرة لا يسمى مغفرة والا كان غافرا للكفار وايضا انه تعالى مدح نفسه بهذا والتمدح انما يحصل بالتفضل لا باداء الواجب وعندكم
يجب غفران الصغائر لمن اجتنب الكبائر وجواب لبانى ما نزل عن النبى صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل
احد قال اهل النظم ان الكفار طعنوا فى نبوته بسبب الطعن فى الحشر والنشور ثم طعنوا فى نبوته بسبب استبطاء نزول العذاب ثم طعنوا فى نبوته بسبب عدم
الاعتداد بمعجزاته وذلك قوله ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه وقد تقدم مثل هذا فى الانعام فى تفسير قوله قالوا لولا انزل
عليه آية من ربه ومجىء مثل هذه بعينها فى هذه السورة قيل وليس بتكرار محض لان المراد بالاول انهم ما اقترحوا نحو ما فى قوله لن نؤمن لك حتى تفجر الآيات
وبالثانى انهم ما لانهم لم يهتدوا الى ان القرآن آية فوق كل آية وانكروا سائر آياته صلى الله عليه وسلم ولعلهم ذكروا هذا الكلام قبل مشاهدة سائر المعجزات فاجاب
سبحانه تسلية لرسوله انما انت منذر ما عليك الا الاتيان بما يصح به دعوى انذارك ورسالتك ولكل قوم هاد من الانبياء يدعوهم الى الله بوجه
من الهداية والارشاد يليق بزمانه وبامته ولم يجعل الانبياء شرعا فى المعجزات فعلى هذا التقدير المنذر نبى والهادى نبى الا ان الاول محمد و
الثانى نبى كل زمان وقيل المنذر محمد والهادى هو الله تعالى قاله ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والضحاك والمعنى انهم ان جحدوا كون القرآن
معجزا فلا يضيقن قلبك بسببه فما عليك الا الانذار واما الهداية فمن الله وقيل المنذر النبى والهادى هو على روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وضع يده على صدره فقال انا المنذر واومى الى منكب على فقال وانت الهادى يا على بك يهتدى المهتدون بعدى قاله فى التفسير الكبير ثم ان المعانى
المذكورة فى الآيات السابقة بقوله الله يعلم لانه اذا كان عالما بجميع المعلومات قادرا على تمييز اجزاء بدن كل مكلف من غيره فلا يستنكر منه البعث ويكون نزول
العذاب مفوضا الى علمه فلا يجوز استعجاله به وكذا انزال الآيات يكون موكولا الى تدبيره فان علم ان المكلفين اقترحوها لاجل الاسترشاد و
مزيد البيان اظهرها الله تعالى لهم والا فلا وفيه ان اعطاء كل منذر آيات خلاف آيات غيره امر مدبر بالعلم النافذ مقدر بالحكمة الربانية وعلى القول
الثانى فيه ان من هذه قدرته وهذا علمه هو القادر وحده على هدايتهم باى طريق شاء وعلى هذا احتمل ان يكون الله خبر مبتدأ محذوف
والجملة مفسرة لهاد اى هو الله ثم ابتدأ فقيل يعلم ما تحمل كل انثى قال فى الكشاف لفظ ما فى ما تحمل وما تغيض وما تزداد اما ان تكون مصدرية والمعنى يعلم حمل كل
انثى ويعلم غيض الارحام وازديادها او غيوض ما فيها وزيادته على ان الفعلين غير متعديين فاسند الفعل الى الارحام وهو لما فيها والازدياد افتعال
من زاد فابدلت التاء دالا وانه يتعدى ولا يتعدى كما انه اما موصولة والمراد يعلم ما تحمله من الولد ذكورته وانوثته وتخاطيط اعضائه وسائر احواله من
السعادة وضدها ومن العلم وضده الى غير ذلك ويعلم ما تغيضه الارحام اى تنقصه كقوله وغيض الماء وما تزداده من العدد فقد يكون واحدا واكثر و
الخلقة فقد يكون تاما او مخدجا ومن المدة فقد يكون اقل من تسعة اشهر او ازيد الى سنتين عند ابى حنيفة والى اربع عند الشافعى والى خمس عند مالك
ومن دم الحيض قال ابن عباس كلما سال الحيض يوما زاد فى مدة الحمل يوما ليحصل الجبر ويعتدل الامر ثم بين كمال علمه ونفاذ امره بقوله وكل شىء عنده بمقدار
وحد لا يجاوزه فى طرفى التفريط والافراط والمراد بالعندية العلم كما تقرر هذه المسئلة عند الشافعى كذا وذلك انه سبحانه خصص كل حادث بوقت معين وحالة
معينة حسب مشيئته الازلية وارادته السرمدية وقال حكماء الاسلام وضع اسبابا كلية واودع فيها قوى وخواص وحرك الاجرام بحيث يلزم من حركاتها المقدرة
بالمقادير المخصوصة احوال جزئية معينة ومناسبات معلومة مقدرة ومن جملتها افعال العباد واعمالهم واخلاقهم وخواطرهم ولذلك ختم الآية بقوله
عالم الغيب والشهادة اى هو عالم بما غاب عن الحس وبما حضر له او بما غاب عن الخلق وبما شهدوه او بالمعدومات وبالموجودات الكبير فى ذاته لا بحسب الجثة
بل بالرتبة والشرف لانه اجل الموجودات المتعالى المنزه عن كل ما لا يجوز عليه فى ذاته وفى صفاته وفى افعاله ثم زاد فى التاكيد فقال سواء منكم من اسر
القول ومن جهر به اى مستو فى علمه هذان لانه يعلم السر كما يعلم الجهر لا يتفاوت فى علمه احد الحالين سواء عنده من هو مستخف ليتناول معنى الاستواء شخصين
احدهما مستخف والآخر سارب والا لم يتناول الا واحدا هو مستخف وسارب الا ان يكون من فى معنى الاثنين حتى كانه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل و
سارب بالنهار وفى المستخفى والسارب قولان احدهما ان المستخفى هو المستتر الطالب للخفاء فى ظلمة الليل والسارب من يضطرب فى الطرقات ظاهرا بالنهار
يبصره كل احد تقول سرب فى الارض سروبا اى ذهب فى سربه بالفتح والسكون اى هو الطريق ويؤيده قول مجاهد معناه سواء من تقدم على القبائح فى ظلمات الليالى
ومن ياتى بها فى النهار الظاهر على سبيل التوالى وثانيهما نقل الواحدى عن الاخفش وقطرب المستخفى الظاهر من قولهم اختفيت الشىء اى استخرجته والسارب
المتوارى الداخل سربا بفتحتين ومنه انسرب الوحشى اذا دخل فى كناسه وهذا وان صح من حيث اللغة لكن قرينتى الليل والنهار دالتان على ان القول الاول و
لهذا اطبق اكثر المفسرين عليه ثم ذكر ما يجرى فى الظاهر مجرى السبب لاستواء علمه بحال السر والعلن فقال له اى لمن اسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب معقبات

جماعات من الملائكة يعقب فى حفظه وكلاءته والاصل معتقبات فادغمت التاء وهو على اصله من عقبه بالتشديد اذا جاء على عقبه لان بعضهم يعقب بعضا
ولانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه والتاء للمبالغة نحو نسابة وعلامة او لانه جمع معقبة اى ملائكة معقبة او جماعة معقبة وقوله من امر الله ليس صلة الحفظ
لانه لا قدرة للملك ولا لاحد من الخلق على ان يحفظوا احدا من قضاء الله وانما هو صفة اخرى كانه قيل له معقبات من امر الله يحفظونه او له معقبات يحفظونه
ثم بين سبب الحفظ فقال من امر الله اى من اجل ان الله امرهم بحفظه فمن بمعنى الباء. وقرأ ابو على وابن عباس وغيرهما ويجوز ان يكون صلة على معنى يحفظونه
من بأس الله اذا اذنب بدعائهم له ومسئلتهم ربهم ان يمهله رجاء ان يتوب قال ابن جريج هو مثل قوله تعالى عن اليمين وعن الشمال قعيد صاحب اليمين
يكتب الحسنات والذى عن يساره يكتب السيئات وقال مجاهد ما من عبد الا وله ملك يحفظه من الجن والانس والهوام فى نومه ويقظته وقيل المراد يحفظونه
من جميع المهالك من بين يديه ومن خلفه لان المستخفى والسارب اذا سعى فى مهماته فانما يحذر من الجهتين وسماها الفائدة فى تسلطهم على ابن
آدم قال علماء الشريعة ان الشياطين يدعون الى المعاصى والشرور وهؤلاء الملائكة يدعون الى الخيرات والطاعات بالالهامات الحسنة والاخطارات
الشريفة واذا علم ابن آدم ان معه ملائكة يحصون عليه افعاله واقواله استحيى منهم وكان ذلك له رادعا وقد مر فى هذا الباب كلام فى الانعام فى قوله
ويرسل عليكم حفظة فليتذكر وللآية تفسير آخر منقول عن ابن عباس واختاره ابو مسلم الاصفهانى قال المعقبات الحرس واعوان الملوك والجملة وهى قوله
له معقبات صفة للمستخفى والسارب وحال منه لكونه نكرة موصوفة اى يستوى فى علم الله السر والجهر والمستخفى بظلمة الليل والسارب بالنهار مستظهرا بالمعاون
والانصار والمقصود بعث الامراء والسلاطين على ان يطلبوا الخلاص عن المكاره بعصمة الله لا بالحرس والاعوان ولذلك ختم الآية بقوله واذا اراد الله
بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال ممن يلى امرهم ويدفع عنهم قالت الاشاعرة فى هذا الكلام دلالة على ان العبد غير مستقل فى الفعل لانه
اذا كفر العبد فلا شك انه تعالى حكم بكونه مستحقا للذم فى الدنيا والعقاب فى الآخرة فلو كان العبد مستقلا بتحصيل الايمان وكان رادا لقضاء
الله تعالى وقالت المعتزلة هذا معارض بما تقدم عليه من كلام الله وهو قوله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم لانه لو ابتدأ بالعبد اول ما يبلغ با
لضلال والخذلان كان ذلك من اعظم العقاب مع انه ما كان منه تغيير قالوا وفيه دليل على انه لا يعاقب اطفال المشركين بذنوب آبائهم لانهم لا يغيروا ما
بانفسهم من نعمة فيغير الله ما بهم من النعمة الى العذاب اجابت الاشاعرة بان مرجع الهدى الى قوله ويستعجلونك بين الله سبحانه بذلك انه لا ينزل بهم عذاب الاستيصال
الا والمعلوم منهم الاصرار على الكفر حتى قالوا اذا كان المعلوم ان فيهم من يؤمن او فى اعقابهم من يؤمن فانه لا يستاصلهم ورد بان هذا خلاف الظاهر وقد
صرح بذلك فى سورة الانفال فى قوله ذلك بان الله لم يك مغيرا الآية والحق ان ترتب النقم على تغيير النعم لا ينافى اسناد تغيير النعمة اليه فانه مبدأ المبادى
وانتهاء الوسائط وسبب الاسباب التاويل الم الالف الله لا اله الا هو الحى القيوم اللام له مقاليد السموات والارض الميم مالك يوم الدين او رب
العالمين من الازل الى الابد اقسم بهذه الامور ان الذى انزل على عبده محمد هو الحق وانه حبل الله الذى به يوصل المؤمن من هبوط عالم الطبيعة الى ذروة عالم الحقيقة
الله الذى رفع السموات المحسوسة بغير عمد فكما انه رفع السموات بقدرته فكذلك رفع الدرجات برحمته وكما انه رفع السموات المحسوسة بعمد القدرة
كذلك يرفع سموات القلوب بعمد العناية وسخر شمس الروح وقمر القلب او النفس لتدبير مصالح العالم الصغير وانما يظهر هذه الغرائب والعجائب لحصول
كمال الايقان بالرجوع الى الله والفناء فيه بل البقاء به ومن حسن تدبيره انه مد ارض البشرية وجعل فيها رواسى من الاوصاف الروحانية وانهارا من منابع
الغيب من كل الثمرات وهى الملكات والاخلاق جعل فيها زوجين اثنين ملكية روحانية حميدة واخرى نفسانية ذميمة فالاولى نورانية كالنهار والاخرى
ظلمانية كالليل يغلب هذه تارة وتلك اخرى وهذا معنى قوله يغشى الليل النهار وفى ارض الانسانية قطع متجاورات هى النفس والقلب والروح والسر الخفى
حيوانية وملكوتية وروحانية وجبروتية وعظموتية وجنات هى هذه الاعيان المستعدة لقبول الفيض عند بلوغها من اعناب هى ثمرة النفس من الصفات
التى هى اصل الاسكار كالغفلة والحمق والسهو واللهو وزرع هو ثمرة القلب فان القلب كالارض الطيبة التى منها غذاء الروح ونخيل هو الروح ذو الاخلاق
الحميدة كالكرم والجود والشجاعة والقناعة والحياء والتواضع والشفقة صنوان هو السر الجبروتى الكاشف عن اسرار الجبروت بين الرب والعبد فانه
اذا حكى السر للعبد كان المحكى مثالا لما عليه الوجود وغير صنوان هو الخفى الواقف على اسرار العظموت التى لا مثل لها ولا مثال ولا يحكى لعبد قال كما
فاوحى الى عبده ما اوحى وكما قال بين المحبين سر ليس يفشيه ليسقى بماء واحد هو ماء القدرة والحكمة الله يعلم ما تحمل كل انثى اى ما فى استعداد كل مستعد
من الفضائل او ما فى كل ذرة من ذرات المكونات من الخواص والطبائع او ما فى كل منها من الآيات الدالة على موجدها سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى
انفسهم وما تغيض الارحام وما تزداد اى ما يظهر من تلك الآيات لاستعدادات فى جانبى التفريط والافراط والمراد ما ينقص من ارحام الموجودات
او المعدومات فيما اوجد شىء نقص من رحم العدم واحد وزاد فى رحم الوجود واحد وبالعكس فى جانب الاعدام مستخف بليل العدم وظاهر بنهار الوجود
له اى لله معقبات من العلم والقدرة من بين يدى المعلوم ومن خلفه اى فى حالتى عدمه ووجوده من ازله الى ابده يحفظونه من امر الله اى لاجل امره حتى
لا يخرج من قبضة تدبيره ان الله لا يغير ما بقوم من الوجود والعدم حتى يغيروا ما بانفسهم من استعدادها الوجود والعدم بلسان استحقاق الوجود
او العدم كما يقتضيه حكمته وتدبيره هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة
من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال له دعوة الحق والذين
يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا فى

ضلال ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال قل من رب السموات والارض قل الله قل افاتخذتم من دونه اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به اولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى انما يتذكر اولوا الالباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحيوة الدنيا وما الحيوة الدنيا في الآخرة الا متاع ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب

القراءة كباسط مثل بصطة وقد مر في البقرة ام هل يستوي بياء تحتانية حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص والمفضل الآخرون بتاء التأنيث يوقدون على الغيبة حمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الباقون على الخطاب اما للكفرة في قوله قل افاتخذتم واما للمكلفين على العموم كما في القراءة الاخرى الضمير يعود الى الناس المعلوم من سياق الكلام

الوقوف لتقائه ق لاختلاف الفاعل مع اتفاق اللفظ من خيفته ج لذلك في الله لاحتمال الواو الحال والاستيناف المحال ط للاية وانقطاع النظم دعوة الحق ط بالغه ط ضلال والاصال ه والارض ط قل الله ط ولا ضرا ط والبصير ج للعطف والنور ج لاحتمال ان يكون هذا الاستفهام بدلا عن الاول عليهم ط القهار رابيا ط مثله ط والباطل ط جفاء ج لاتفاق الجملتين مع كون اما للتفصيل في الارض ط الامثال ط الحسنى ط لافتدوا به ط الحساب لا جهنم ط المهاد اعمى ط الالباب لا الميثاق للعطف سوء الحساب ط الدار لا لان قوله جنات عدن بدل من عقبى من كل باب ج لحق المحذوف اي قائلين والاولى عقبى الدار ط في الارض لا سوء الدار ويقدر ط الدنيا ط متاع من ربه ط اناب من بذكر الله ط الا لا القلوب مآب

التفسير لما خوف عباده بانزال ما لا مرد له اتبعه دلائل تشبه اللطف من بعض الوجوه والقهر من بعضها وهي البرق والسحاب والرعد والصاعقة وقد مر في اول سورة البقرة تفسير هذه الالفاظ وقول الحكماء في اسباب حدوثها وانتصاب خوفا وطمعا اما على الحال من البرق كانه في نفسه خوف وطمع والتقدير ذا خوف وطمع او من المخاطبين اي خائفين وطامعين واما على انه مفعول له على تقدير حذف المضاف اي ارادة خوف وطمع او لما وجب تقدير المضاف ليكون فعلا لفاعل الفعل المعلل كما هو شرط نصب المفعول له ومعنى الخوف من وقوع الصواعق والطمع في نزول الغيث وقيل يخاف المطر من له فيه ضرر اما بحسب الزمان واما بحسب المكان كبعض البلاد لا ينتفع اهله بالمطر كاهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع وعن ابن عباس ان اليهود سألت النبي عن الرعد فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب فعلى هذا الصوت المسموع هو صوت ذلك الملك الموكل المسمى بالرعد وعن الحسن خلق من خلق الله ليس بملك وعن النبي ص ان الله ينشئ السحاب فينطق احسن النطق ويضحك احسن الضحك فنطقه الرعد وضحكه البرق وهذا غير مستبعد من قدرة الله خصوصا عند من لا يجعل البنية شرطا في الحيوة وقيل المضاف محذوف اي يسبح سامعوا الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين له ومتلبسين بسبحان الله والحمد لله وعن علي ع سبحان من سبحت له وكان رسول الله ص يقول اذا اشتد الرعد اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وقيل معنى تسبيح الرعد ان هذا الصوت المخصوص بطوله ومهابته يدل على وجود اله قهار كقوله وان من شيء الا يسبح بحمده قال في الكشاف ومن بدع المتصوفة الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات افئدتهم والمطر بكاؤهم اما قوله والملائكة من خيفته اي ويسبح الملائكة من هيبته واجلاله فقد ذكر جمع من المفسرين انه عنى بهؤلاء الملائكة اعوان الرعد فانه سبحانه جعل له اعوانا قال ابن عباس انهم خائفون من الله لا كخوف ابن آدم فان احدهم لا يعرف من على يمينه ومن على يساره ولم يشغلهم عن عبادة الله طعام ولا شراب ولا شيء وقال الحكماء انما تتم الآثار العلوية بقوى روحانية فلكية فللسحاب روح معين من الارواح الفلكية يدبره وكذا القول في الرياح وفي سائر الآثار فهذا هو المراد بالملائكة في الآية قوله ويرسل الصواعق قد عرفت انها نار تتولد في السحاب وتنزل بقوة شديدة فربما غاصت في البحر واحرقت الحيتان ووجه الاستدلال بها على الصانع ان النار حارة يابسة وطبيعة السحاب يغلب عليها الرطوبة والبرودة للاجزاء المائية فيه وحصول الضد من الضد لا يكون بالطبع وانما يكون بتدبير القادر المختار ونحوه ولما بين دلائل كمال العلم في قوله والله يعلم ودلائل كمال القدرة في هذه الآية قال وهم يجادلون في الله لان انكار المدلول بعد وضوح الدليل جدال بالباطل وعناد محض ويحتمل ان يكون الواو للحال اي فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم ويؤكده ما روي عن ابن عباس في رواية ابي صالح وابن جريج وابن زيد ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اخا لبيد بن ربيعة اقبلا يريدان رسول الله ص فقال رجل من اصحابه يا رسول الله هذا عامر بن الطفيل قد اقبل نحوك فقال دعه فان يرد

الله به خيرا يهده فاقبل حتى قام عليه فقال يا محمد ما لي ان اسلمت فقال لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم قال تجعل لي الامر بعدك قال لا ليس ذلك الي انما ذلك الى الله يجعله حيث يشاء قال فتجعلني على الوبر وانت على المدر قال لا قال فماذا تجعل لي قال اجعل لك اعنة الخيل تغزو عليها قال اوليس ذلك الي اليوم وكان اوصى الى اربد بن ربيعة اذا رأيتني اكلمه فدر عليه من خلفه فاضربه بالسيف فجعل يخاصم رسول الله ويراجعه ويجادل في الله تقول اخبرني عن ربك امن نحاس هو ام من حديد فدار اربد خلف النبي ص ليضربه فاخترط من سيفه شبرا ثم حبسه الله فلم يقدر على سله وجعل عامر يومي اليه فالتفت رسول الله ص فرأى اربد وما يصنع بسيفه فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة في يوم صائف صاح فاحرقته وولى عامر هاربا وقال يا محمد دعوت ربك فقتل اربد والله لاملانها عليك خيلا جردا وفتيانا مردا فقال رسول الله يمنعك الله من ذلك وابنا قيلة يريد الاوس والخزرج فنزل عامر بيت امرأة سلولية فلما اصبح ضم عليه سلاحه وخرج وهو يقول واللات لئن اصحر الي محمد وصاحبه يعني ملك الموت لانفذنهما برمحي فارسل الله اليه ملكا فلطمه بجناحيه فاذراه في التراب وخرجت على ركبته غدة في الوقت عظيمة فعاد الى بيت السلولية وهو يقول اغدة كغدة البعير وموت في بيت السلولية ثم مات على ظهر فرسه وانزل الله الآية في هذه القصة قوله وهو شديد المحال معناه شديد المكر والكيد لاعدائه والمماحلة شدة المماكرة ومنه تمحل لكذا اذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان اذا كاده وسعى به الى السلطان ومنه الحديث اللهم اجعل القرآن لنا شافعا مشفعا ولا تجعله علينا ماحلا مصدقا ومنه سنة المحل لشدتها وصعوبة امرها واما عبارات المفسرين فقال مجاهد وقتادة شديد القوة ابو عبيدة شديد العقوبة الحسن شديد النقمة وقيل شديد الحقد ومعناه راجع الى ارادة ايصال الشر الى مستحقه مع اخفاء تلك الارادة عنه ثم اثنى على نفسه بالحقية وشهد على الاصنام بالبطلان فقال له دعوة الحق فاضاف الدعوة الى الحق الذي هو نقيض الباطل كما يضاف الكلمة الى الحق والمراد انه سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة اذا اراد فهو حقيق بان يوجه اليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا افادة في دعائه وعن الحسن الحق هو الله والمعنى له دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب وهذا اجاب النبي ص في الكافرين حين دعا عليهما وعن ابن عباس دعوة الحق قول لا اله الا الله وقيل الدعوة العبادة فان عبادته هي الحق والصدق وقد سلف تحقيق الحق في اول هذا الكتاب في تفسير البسملة والذين يدعون من دونه اي الالهة الذين يدعوهم ويعبدهم الكفار من دون الله لا يستجيبون لهم بشيء الا استجابة كاستجابة الماء من بسط يديه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر به والحاصل ان الكفار وذلك الطالب كليهما مشتركان في الخيبة لاشتراكهما في دعاء الجماد وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن اراد ان يغرف الماء بيديه ليشربه فيبسطهما ناشرا اصابعه فلا جرم لا يبلغ طلبته ثم اكد خيبتهم بقوله وما دعاء الكافرين الا في ضلال في ضياع وذهاب عن المنفعة لانهم ان دعوا الله لم يجبهم لحقارة امرهم عنده وان دعوا الالهة لم تستطع اجابتهم ثم زاد في الثناء فقال ولله يسجد من في السموات والارض فان كان السجود بمعنى وضع الجبهة فذلك ظاهر في المؤمنين لانهم يسجدون له طوعا اي بسهولة ونشاط وكرها اي على تعب واصطبار ومجاهدة واما في حق الكفار فمشكل ووجهه ان يقال المراد حق له ان يسجد لاجله جميع المكلفين من الملائكة والثقلين فعبر عن الوجوب بالوقوع وان كان بمعنى الانقياد والخضوع والاعتراف بالالهية وترك الامتناع عن نفوذ مشيئته فيهم فلا اشكال نظيره قوله وله اسلم من في السموات والارض وقد مر في آل عمران اما قوله وظلالهم فقد قال جمع من المفسرين كمجاهد والزجاج وابن الانباري لا يبعد ان يخلق الله للظلال افهاما تسجد بها لله وتخضع له كما جعل للجبال افهاما حتى اشتغلت بتسبيحه فظل المؤمن يسجد لله طوعا وهو طائع وظل الكافر يسجد لغير الله كرها ويسجد لله طوعا وقال آخرون المراد من سجود الظلال تقلصها وامتدادها بحسب ارتفاع الشمس وانحطاطها فهي منقادة مستسلمة لما اتاح الله لها في الاحوال وتخصيص الغدو والآصال بالذكر لغاية ظهورها وازديادها في الوقتين ومعنى الغدو والآصال قد مر في اواخر الاعراف واعلم انه سبحانه ذكر آية السجدة في النحل بعبارة اخرى فقال ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة لانه تقدم ذكر ما خلق الله على العموم ولم يكن فيه ذكر الملائكة ولا الانس بالصريح فعمم ليشمل الانس وصرح بالملائكة وقال في الحج ألم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض فكرر من لانه تقدم ذكر المؤمنين وسائر الاديان فقدم ذكر من في السموات تعظيما لهم ولها وذكر من في الارض لانهم هم الذين تقدم ذكرهم واما في هذه السورة فقد تقدم ذكر العلويات من الرعد والبرق ثم ذكر الملائكة وتسبيحهم ثم انجر الكلام الى ذكر الاصنام والكفار فبدأ في آية السجدة بذكر من في السموات لذلك وذكر الارض تبعا ولم يذكر من فيها استخفافا بالكفرة واصنامهم فتبين انه ورد كل آية بما لاق بمقامها والله تعالى اعلم بمراده ثم اخبر عن التسخير بسؤال التقرير ردا على عبدة الاصنام فقال قل من رب السموات والارض قل الله وهذه حكاية لاعترافهم لانهم كانوا يعترفون بانه الاله الاعظم وهذا كما يقول المناظر لصاحبه اهذا قولك فاذا قال هذا قولي قال هذا قولك فيحكي اقراره استيثاقا فامنه ثم يقول له فيلزمك على هذا القول كيت وكيت وذلك قوله قل افاتخذتم ويجوز ان يكون تلقينا لما ليسوا منكرين له والهمزة في افاتخذتم للانكار والمعنى ابعد ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه اولياء جمادات عجزة عن تحصيل المنافع والمضار لانفسهم فضلا عن غيرهم وموضع الانكار انهم جعلوا ما كان يجب ان يكون سبب التوحيد من العلم والاقرار سبب الاشراك ثم جعلوا مع ذلك اخس الاشياء مكان اشرف الذوات وهذا جهل لا مزيد عليه فلهذا شبههم بالاعمى وشبه جهالاتهم بالظلمات وانكر ان يكون شيء منها مساويا لنقيضه فقال قل هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور جمع الظلمات ووحد النور لان السبل المنحرفة غير محصورة والصراط المستقيم واحد ثم اكد الانكار المذكور بقوله ام جعلوا والمراد بل جعلوا لله شركاء خالقين مثل خلقه فتشابه الخلق اي خلق الله وخلقهم عليهم اي ليس لهذه الشركاء خلق مثل خلق الله حتى يشتبه الامر عليهم بل ليس لهم خلق اصلا بل كل ما سوى الله عاجز عن الخلق بدليل قوله قل الله خالق كل شيء وهو

التوحيد القهار المتوحد بالربوبية الذي لا يغالب وما عداه مربوب مقهور قالت المعتزلة للعبد فعل وتأثير ولكنا لا نقول انه يخلق كخلق الله
لان العبد يفعل لجلب منفعة او دفع مضرة والله تعالى منزه عن ذلك واجيب بان المخالفة من بعض الوجوه لا يقدح في المماثلة من وجه اخر فلو كان فعل
العبد كالتحريك مثلا وانما يقدرته لكان مثلا للتحريك الواقع بقدرة الله تعالى وهذا الاشكال وارد ايضا على من يثبت للعبد كسبا ثم ضرب
مثلا اخر للحق وذويه والباطل ومنتحليه فقال انزل من السماء ماء فسالت اودية اي مياهها والوادي الفضاء المنخفض عن الجبال والتلال الذي يجري
فيه السيل وقيل الوادي اسم للماء من ودى اذا سال والمعنى سالت مياه قال الفارسي لا نعلم فاعلا جمع على افعلة الا هذا وكانه حمل على فعيل فجمع على افعلة
كجريب واجربة كما ان فعيلا حمل على فاعل فجمع على افعال مثل يتيم وايتام وشريف واشراف كاصحاب وانصار في صاحب وناصر وقال غيره نظيره ناد واندية
ومعنى التنكير في اودية ان المطر لا ياتي الا على طريقة المناوبة بين البقاع فيسيل بعض اودية الارض دون بعض قال في الكشاف معنى بقدرها بمقدارها
الذي عرف الله انه نافع للممطور عليهم بدليل قوله واما ما ينفع الناس وقال الواحدي معناه سالت مياه الاودية بقدر الاودية فان صغر الوادي قل الماء
وان اتسع كثر الماء والزبد هو الابيض المرتفع المنتفخ على وجه السيل ونحوه ومعنى رابيا قال الزجاج طافيا فوق الماء وقال غيره زائدا بسبب انتفاخه
ربا يربو اذا زاد ثم قال سبحانه اظهارا للكبرياء كما هو ديدن الملوك ومما توقدون عليه من لابتداء الغاية اي ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء
او للتبعيض بمعنى وبعضه زبد مثله اراد بها الاجساد المنطرقة الذائبة والايقاد على الشيء قسمان احدهما ان لا يكون ذلك الشيء في النار كالاجر في قوله اوقد
لي يا هامان على الطين والثاني ان يكون في النار كانواع الفلز ولهذا قال ههنا بزيادة لفظة في النار قال في الكشاف فائدة قوله ابتغاء حلية او متاع
مثل فائدة قوله بقدرها لانه جمع بين الماء والفلز في النفع في قوله واما ما ينفع الناس اي واما ما ينفعهم به من الماء والفلز فذكر وجه الانتفاع بالفلز
وهو اتخاذ الحلي من الذهب والفضة واتخاذ سائر اثاث البيت وامتعته من الحديد والنحاس والرصاص والاسرب وما يتركب منها والمتاع كل ما يتمتع به
كذلك يضرب الله الحق والباطل اي يضرب الامثال للحق والباطل ومثله في اخر الاية فاختصر الكلام بان حذف الامثال من الاول والحق والباطل
من الثاني تاكيدا للمقصود مع رعاية الاختصار ثم شرع في تتميم المثل قائلا فاما الزبد فيذهب جفاء نصب على الحال وهو اسم لما ينفيه السيل يقال جفا
الوادي بالهمزة جفاء اذا رمى بالقذر والزبد وكذلك القدر اذا رمت بزبدها عند الغليان واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض حاصل المثل ان
الوادي اذا جرى طفا عليه زبد وذلك الزبد يبطل ويبقى الماء النافع في العيون والابار والانهار وكذا الاجساد المتطرقة اذا اذيبت لاجل اتخاذ الحلي
او سائر الامتعة انفصل عنها خبث وزبد فيبطل ويتلاشى ويبقى ذلك الجوهر المنتفع به زمنا متطاولا وتطبيق المثل على الحق والباطل انه سبحانه انزل
من سماء الوحي ماء بيان القرآن فسالت اودية القلوب بقدرها فان كل قلب انما يحصل فيه من انوار علم القرآن ما يليق بذلك القلب على قدر استعداده ثم انه
يختلط بذلك البيان شكوك وشبهات ولكنها بالاخرة تضمحل ويبقى العلم واليقين فزبد السيل والفلز مثل للباطل في سرعة اضمحلاله وانسلاخه من
المنفعة والماء والفلز الصافي مثل للحق في البقاء والانتفاع به ثم ذكر احوال السعداء وتبعات الاشقياء فقال للذين استجابوا لربهم اي فيما دعاهم
من التوحيد والنبوة والتكاليف الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا له مبتدأ خبره الجملة الشرطية بعده وقيل ان الكلام متصل بما
قبله اي يضرب الله الامثال لهذين الفريقين وقوله الحسنى صفة لمصدر استجابوا اي الاستجابة الحسنى وقوله لو ان لهم كلام مبتدأ في ذكر ما اعد لغير
المستجيبين ومن ذلك قوله اولئك لهم سوء الحساب قال الزجاج لان كفرهم احبط اعمالهم وقال غيره سوء الحساب المناقشة فيه وعن النخعي هو ان يحاسب الرجل
بذنبه كله لا يغفر منه شيء وقال الحكماء هو ظهور ما رسخ من الملكات الردية والهيئات الذميمة على النفس ولم يكن قبل ذلك له شعور بها لاشتغاله بعالم الحس
وماويهم جهنم لانهم اقبلوا على الدنيا واعرضوا عن المولى فلا جرم اذا ماتوا فارقوا معشوقهم فادركهم الحرمان والخذلان والاحتراق بنار الفراق ثم انكر بعد هذه
البيانات ان يستوي بين الناظر البصير والجاهل الضرير فقال افمن يعلم انما اي ان الذي انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى القلب انما يتذكر اي لا
ينتفع بالامثال الا اولوا الالباب الذين يعبرون من القشر الى اللباب ثم وصفهم بقوله الذين يوفون بعهد الله ويجوز ان يكون نصبا على المدح
وان يكون مبتدأ خبره اولئك وعهد الله قال ابن عباس هو الميثاق في قوله واذ اخذ ربك من بني ادم وقيل هو كل ما قام عليه دليل عقلي او سمعي من
الافعال والتروك ولا عهد اوكد من الحجة بدليل ان من حلف على الشيء فانما يلزمه الوفاء به اذا ثبت بالدليل جوازه ولا ينقضون الميثاق تاكيد للوفاء
بالعهد بعبارة اخرى يلزم الاول كقولك الماوجب وجوده لزم ان يمتنع عدمه وقيل الوفاء بعهد الله اشارة الى ما كلف الله العبد به ابتداء وعدم نقض الميثاق
اراد به ما التزمه العبد بالنذر وقيل الوفاء بالعهد عهد الربوبية والعبودية والميثاق اعم لشموله كل ما وثقوه على انفسهم وقبلوه من الايمان بالله و
من سائر المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد والوفاء بالعهد امر مستحسن في العقول والشرائع كلها قال صلعم من عاهد الله فغدر كانت فيه خصلة من النفاق و
الذين يصلون ما امر الله به ان يوصل فراد لما بينهم وبين العباد بالذكر فقيل المراد صلة الرحم وقيل هو موازرة النبي صلعم ومعاونته ونصرته في الجهاد وقيل
رعاية جميع حقوق الناس بالشفقة عليهم والنصيحة لهم في كل حال وكل حين ومن ذلك عيادة المريض وشهود الجنائز ومراعاة الرفقاء والجيران والخدم
ومن يطيف به حتى الهرة والدجاجة ويخشون ربهم اي ثوابا كل ما قدروا عليه في باب التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله خوفا من وعيده كله و
يخافون خصوصا سوء الحساب ويلزم ذلك ان يحاسبوا انفسهم قبل ان يحاسبوا وقيل الخشية نوعان خشية الجلال كالعبد اذا حضر بين يدي السلطان
ومن ذلك خشية الملائكة يخافون ربهم من فوقهم والى هذا اشار بقوله ويخشون ربهم وخشية ان يقع في العبادة خلل او نقص يوجب فسادها

المتطرقة الذائبة نح

او نقصان ثوابها واليه الاشارة بقوله ويخافون سوء الحساب والذين صبروا عن المعاصي وعلى الطاعات وعلى المصائب ابتغاء وجه ربهم لا
لاجل ان يقال ما اورعه وما ازهده وما اصبره وغير ذلك من الاغراض الفاسدة وانما يصبر على التكاليف لانها احكام المعبود الحق ويصبر على الرزايا
لانها قسمة متصرف في ملكه كيف يشاء او لانه مشغول بالمقدر والقاضي لا بالقدر والقضاء وقد يرضى العاشق بالضرب والايلام لالتذاذه بالنظر الى
وجه معشوقه فهكذا العارف يصبر على البلايا والمحن لاستغراقه في بحر العرفان وفيضان انوار المعروف عليه واقاموا الصلوة ولا يمتنع دخول النوافل فيها كقوله
ما زال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احببته وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يتناول النفل لانه في السر افضل والفرض لانه في الجهر افضل كما مر في اواخر
سورة البقرة ويدرؤن بالحسنة السيئة اي يدفعون بالتوبة وهي الخصلة الحسنة المعصية قال صلعم لمعاذ بن جبل اذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها او
قيل لا يقابلون الشر بالشر وانما يقابلونه بالخير كما روي عن الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن عباس يدفعون بالحسن
من الكلام ما يرد عليهم من سيء غيرهم يروى ان شقيق بن ابراهيم البلخي دخل على عبد الله بن المبارك متنكرا فقال من اين انت قال من بلخ فقال وهل تعرف
شقيقا فقال نعم فقال كيف طريقة اصحابه فقال اذا منعوا صبروا واذا اعطوا شكروا فقال عبد الله هكذا طريقة كلابنا وانما الكاملون الذين اذا منعوا
شكروا واذا اعطوا اثروا وقيل المراد الانابة اذا راوا منكرا امروا بتغييره اولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وهي الجنة التي ارادها الله تعالى ان يكون مرجع
اهلها والعقبى مصدر كالعاقبة ومثله البشرى والقربى ويجوز ان يكون مضافا الى الفاعل والمعنى اولئك لهم ان يعقب اعمالهم الدار التي هي الجنة
ومعنى جنات عدن تقدم في سورة براءة ومن صلح معطوف على فاعل يدخلونها ويجوز ان يكون مفعولا معه قال ابن عباس يريد من صدق كما صدقوا
وان لم يعمل مثل اعمالهم قال الزجاج بين ان الانساب لا ينفع اذا لم يحصل معها اعمال صالحة قال الواحدي والاول اصح لان الله تعالى جعل من ثواب المطيع سروره
بحضور اهله معه في الجنة فلو دخلوها باعمالهم الصالحة لم يكن في ذلك كرامة للمطيع ويمكن ان يوجه قول الزجاج بان المقصود بشارة المؤمن بان اهل الصلاح
من اصوله وفصوله وازواجه يجتمعون في دار الثواب فقد يمكن ان يكونوا جميعا في الجنة ولا يجتمعون في موضع ولقائل ان يقول الدخول اعم من الاجتماع
ولا دلالة للعام على الخاص فصح اعتراض الواحدي والاباء جمع ابوي كل واحد منهم فكانه قيل من ابائهم وامهاتهم وليس في الاية ما يدل على التمييز بين زوجة
وزوجة ولعل الاولى من مات عنها او ماتت عنه ويؤيده ما روي عن سودة انه لما هم رسول الله صلعم بطلاقها قالت دعني يا رسول الله احشر في زمرة نسائك
قال ابن عباس لهم خيمة من درة مجوفة طولها فرسخ وعرضها فرسخ لها الف باب مصاريعها من ذهب يدخل عليهم الملائكة من كل باب يقولون لهم سلام عليكم بما
صبرتم على امر الله وقال ابو بكر الاصم من كل باب من ابواب البر كباب الصلوة وباب الزكوة وباب الصبر ويقولون نعم ما اعقبكم الله بعد الدار الاولى
وهذا يناسب قول حكماء الاسلام ان لكل مرتبة من مراتب الكمالات جوهرا قدسيا وروحا علويا يختص بتلك الصفة فبعد المفارقة يفيض على
النفس الكاملة من ملك الصبر كمال مخصوص ومن ملك الشكر كذلك وعلى هذا القياس وقد يستدل بالاية على ان الملك افضل من البشر والا فلم يكن نحوهم
على المؤمنين موجبا لتحيتهم واكرامهم ويمكن ان يجاب بان وجه التكريم هو مجيئهم باذن الله ومن عنده لا مجرد المجيء والباء في قوله بما صبرتم يتعلق
بالسلام والمعنى انما حصلت لكم هذه السلامة بواسطة صبركم او بدل صبركم وروي عن النبي صلعم انه كان ياتي قبور الشهداء على راس كل حول فيقول
السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ثم اتبع احوال السعداء احوال الاشقياء وقد مر تفسيره في اول البقرة على ان الضد قد يعلم من الضد وهو
وقد مر انفا قوله سوء الدار كان العاقبة لا يطلق الا على العاقبة الحميدة كقوله والعاقبة للمتقين لان غير الحميدة لا يستاهل لان يكون عاقبة
وقال في الكشاف المراد سوء عاقبة الدنيا ولا حاجة الى هذا الاضمار بناء على ما قلنا قال ويجوز ان يراد بالدار جهنم وبسوءها عذابها ذكر اهل النظم انه لما
بين سوء حال الناقضين كان لقائل ان يقول لو كانوا اعداء لله لما فتح الله عليهم ابواب الرزق في الدنيا فاجاب بقوله الله يبسط الرزق والمراد ان الدنيا دار
امتحان لا دار جزاء فقد يتفق ان يكون الجاهل الكافر رخي البال والعالم المؤمن ردي الحال ولا تعلق لهذا المعنى بالكفر والايمان وفي الحصر اي هو وحده يوسع
الرزق على من يشاء كاهل مكة ويقدر اي يضيق ومعناه انه يعطيه بقدر الضرورة وسد الرمق لا يفضل منه شيء وفرحوا يعني اهل مكة واضرابهم بما بسط
لهم من الدنيا فرح بطر واشر لا فرح تحدث بنعمة الله واظهار لفضله عليهم وما الحيوة الدنيا ونعيمها في جنب نعيم الاخرة الا متاع شيء نزر يتمتع به اياما
قلائل ثم يعقبه ذلك حسرات لا نهاية لها ومثل هذا لا يوجب الفرح بل لا يجوزه ثم حكى نوعا اخر من قبائح الكفرة فقال ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه
اية من ربه وقد مر مثله في هذه السورة وذكرنا انه ليس بتكرار محض الا ان قوله في جوابهم قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب اقبل على الحق
وحقيقته دخل في نوبة الخير فيه غموض واجيب بانه يجري مجرى التعجب كانه قيل ما اعظم عنادكم بعد ما انزلت من الايات الباهرة ان الاضلال والهداية
من الله والمراد لا تشتغلوا بطلب الايات ولكن تضرعوا الى الله في طلب الهدايات فان الذي اضله الله لا يرى الاية سحرا والذي هداه يراه معجزة وقال الجبائي المعنى
ان الله يضل من يشاء عن طريق الصواب ويهدي اليه اقواما اخرين فلولا انكم تستحقون العقاب لهداكم الى الثواب بانزال ما اقترحتموه وقيل المراد انه تعالى
انزل ايات ظاهرة ولكن الاضلال والهداية من الله فلو شاء لهداكم فلا فائدة في تكثير المعجزات الذين امنوا بدل ممن اناب وتطمئن قلوبهم
عن ابن عباس يريد اذا سمعوا القران خشعت قلوبهم واطمانت والاطمينان بايات الوعد لا ينافي الوجل من ايات الوعيد حيث قال اذا ذكر الله
وجلت قلوبهم او المراد ان علمهم بكون القران معجزا يوجب حصول الطمانينة لهم بانه سبحانه واحد لا شريك له صادق في وعده ووعيده وبان
محمدا نبي حق الا بذكر الله تطمئن القلوب التحقيق فيه ان الانسان متوسط الرتبة بين عالم الارواح وعالم الاجساد فاذا توجه الى عالم الجسد تشتت

في مقابلة عقبى الدار

التركيب

الى التعرف به فظهر له هنالك امور ضرورية في التعيش دونها ابن باهوز من خرط القتاد فتنوزع فكره ويضطرب احواله اما اذا توجه الى عالم الروح فاتره
الاضطراب ويتوحد المطلب بحصول الاستغراق في بحر العرفان والاستنارة بنور الايقان ومن وقع في لجة البحر لا يبالي ما بين ودع انا الغريق فما خوفي
من البلل وقيل ان الاكسير اذا وقعت منه ذرة على النحاس انقلب ذهبا صافيا ابا فانيا على كر الدهور فاكسير جلال الله اذا وقع في القلب السليم كيف لا يقلبه
جوهرا صافيا نورانيا امنا من التغير والزوال الذين امنوا مبتدأ خبره طوبى لهم وجوز في الكشاف ان يكون بدلا على حذف المضاف اي قلوب الذين
امنوا وطوبى مصدر طاب يطيب كبشرى وواوه منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها واللام للبيان مثل سقيا لك والمعنى اصابتهم على الدعاء او الخبر عن ابن عباس
سرور فرح وقرة عين الضحاك غبطة لهم قتادة حسنى لهم الاصم خير وكرامة الزجاج عيش طيب ولكل متقارب والعبارة الجامعة ان اطيب الاشياء في كل الامور حاصل
لهم وقيل طوبى شجرة في الجنة حكى الاصم ان اصلها في دار النبي صلعم وفي دار كل مؤمن منها غصن وروي عن رسول الله صلعم انه قال طوبى شجرة غرسها الله بيده تنبت الحلي
والحلل وان اغصانها لترى من وراء سور الجنة وعن بعضهم ان طوبى هي الجنة بالحبشية والمآب المرجع التأويل هو الذي يريكم برق انوار الجلال فيغلب
عليكم خوف الانقطاع والياس ويريكم برق اضواء الجمال فيغلب عليكم طمع الوصل ورجاء الاستيناس وينشئ السحاب لتوالي الالطاف الثقال بمطر
القبول والاقبال ويسبح الرعد هو الملك المخلوق من نور الهيبة والجلال فيقع الهيبة في قلوب الخلق كلهم حتى الملائكة فيسبحون من خيفته ويرسل صواعق
القهر فيصيب بها من يشاء من اهل الخذلان فيحرق حرص استعدادهم في قبول الايمان ومن نتائج ذلك انهم يجادلون في ذات الله وفي صفاته كالفلاسفة الذين
لا يتابعون الانبياء والشرائع وكبعض المتكلمين من اهل الاهواء والبدع له دعوة الحق اي دعوته حق لمن دعاه فيستجيبه كما قال للسموات والارض ائتيا
طائعين وايصاله دعاءه يدعون الخلق بالحق الى الحق والذين يدعون من دونه اي بغير الحق لا يستجيبون لهم بشيء اذ لا يؤثر في الخلق نصحهم كمن يبسط
يده الى الماء اراءة الى الحق انه يريد شربه وما هو ببالغه فلا يستجابون على الحقيقة وان استجيبوا في الظاهر لانهم استجابوا لهم على المكر كما دعوا الى الحق
بالمؤيد عليه قوله وما دعاء الكافرين الا في ضلال ولله يسجد من في السموات والارض من الملائكة وارواح الانبياء والاولياء والصلحاء طوعا
ومن ارواح الكافرين والمنافقين والشياطين كرها بالتذليل والتسخير تحت الاحكام والتقدير وظلالهم اي نفوسهم فان النفوس ظلال الارواح
وليس السجود من شانها لانها امارة بالسوء الا ما رحم ربي فانها تسجد بتبعية الروح معنى اخر ولله يسجد من في سموات القلوب من الارواح والعقول طوعا (من صفات القلوب)
ومن في ارض النفوس من صفات النفس القوى الحيوانية والسبعية والشيطانية كرها وظلالهم وهي اثارها ونتائجها اخر ولله يسجد الارواح في الحقيقة
وظلالهم وهي اجسادهم بالتبعية وهذا السجود بمعنى وضع الجبهة وخص الوقتان بالذكر لان اثار القدرة فيهما اكثر وان اريد الانقياد والتسخير
احتمل ان يراد بالوقتين وقتا الانتباه والنوم ففي الاول يطلع شمس الروح من افق الجسد وفي الثاني يغرب فيه انزل من سماء القلوب ماء المحبة فسالت
اودية النفوس فاحتمل السيل زبدا رابيا من الاخلاق الذميمة النفسانية والحيوانية او انزل من سماء الارواح ماء مشاهدة انوار الجمال فسالت اودية
القلوب فاحتمل السيل زبدا رابيا من الاوصاف البشرية او انزل من سماء الاسرار ماء كشوف الجمال فسالت اودية الارواح فاحتمل السيل زبدا رابيا
من انانية الروحانية او انزل من سماء الجبروت ماء تجلي صفات الالوهية فسالت اودية الاسرار بقدرها فاحتمل السيل زبد الوجود المجازي ومما
توقدون عليه من البقاء في نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة فلا تبقي ولا تذر وهي التزكية بالفناء ابتغاء حلية وهي التحلية بالبقاء الحقيقي
او متاع وهو التمتع بزبد مثله مثل زبد البشرية وهو زبد المعرفة والتوحيد فاما الزبد في الاحوال كلها فيذهب جفاء بالفناء واما ما ينفع الناس
من البقاء بالله فيمكث في ارض الوحدة المستعدة لقبول الفيض الالهي للذين استجابوا لربهم الحسنى وهي العناية الازلية التي هي الاستجابة من نتائجها
كقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى والذين لم يستجيبوا له حين دعاهم للوصول والوصال لو حصل لهم ما في ارض البشرية من انواع اللذات
والحظوظ واضعافها لجعلوه فداء العذاب القطيعة وانفقوا مما رزقناهم اي انفصلوا عما سواه ليتصلوا به سرا بالانقطاع عما يشغل بواطنهم
وعلانية بالانفصال عما يشغل ظواهرهم ويدرؤن بالاعمال والاحوال الحسنة في صدق الطلب الاحوال السيئة من الوقائع والفترات والملائكة
يدخلون عليهم تبركا وتيمنا بهم تبعا لهم من كل باب دخلوها بالاستقلال على اقدام السير بالله الى الله سلام عليكم بما صبرتم عن غير الله وعلى
صدق الطلب الا بذكر الله تطمئن القلوب القلوب اربعة قلب قاس كقلوب الكفار والمنافقين فاطمئنانه بالدنيا وشهواتها رضوا بالحيوة الدنيا
واطمأنوا بها وقلب ناس وهو قلب المسلم المذنب كقوله فنسي ولم نجد له عزما فاطمئنانه بالتوبة فتاب عليه وهدى وقلب مشتاق وهو قلب المؤمن
فاطمئنانه بذكر الله كما في الاية وقلب متجلي وهو قلب الانبياء وخواص الاولياء فاطمئنانه بالله وصفاته كقول الخليل صلعم ولكن ليطمئن قلبي اي بتجلي
صفات الاحياء واذا اصاب القلب اطمئنانا انعكس نور الاطمئنان من مرآة قلبه على نفسه فتصير مطمئنة ايضا فتستحق بجذبات العناية لخطاب ارجعي
اشار الى ان الاطمئنان ثمرة غرس شجرة الايمان والعمل الصالح في ارض القلب فقال الذين امنوا الاية فالاشارة بطوبى الى حقيقة شجرة لا اله الا الله
ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة ولم يكن الا في قلب النبي صلعم ويتبعه في قلوب المؤمنين ولهذا قال صلعم طوبى شجرة اصلها في داري وفرعها على اهل الجنة
فانهم في اهل الجنة فانهم في اهل الجنة كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك وهم يكفرون
بالرحمن قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى
بل لله الامر جميعا افلم ييأس الذين امنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة

الرعد

تحل قريبا من دارهم حتى ياتي وعد الله ان الله لا يخلف الميعاد ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا
ثم اخذتهم فكيف كان عقاب افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم ام تنبئونه بما لا يعلم في الارض ع ١
ام بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد لهم عذاب في الحيوة
الدنيا ولعذاب الاخرة اشق وما لهم من الله من واق مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار اكلها دائم
وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار والذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك ومن
الاحزاب من ينكر بعضه قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اليه ادعو واليه ماب وكذلك انزلناه حكما عربيا
ولئن اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ع ٢
ازواجا وذرية وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله لكل اجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب
واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب اولم يروا انا ناتي الارض ننقصها من
اطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم
الكافر لمن عقبى الدار ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب
القراءات متابي وعقابي ومابي بالياء في الحالين يعقوب والبرندي يحيى عن قنبل وافق سهل وعباس في الوصل بل زين ونحوه بالادغام علي وهشام وصدوا بضم
الصاد وكذلك في حم المؤمن عاصم وحمزة وعلي وخلف ويعقوب الباقون بفتحها ويثبت مخففا من الاثبات ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم الاخرون با
لتشديد من التثبيت الكافر على التوحيد ابو عمرو وابو جعفر ونافع وابن كثير والباقون الكفار على الجمع الوقوف بالرحمن ج لا هو ط لانقطاع النظم مع اتحاد
القائل متاب الموتى ط لان جواب لو محذوف اي لكان هذا القران جميعا ط في الموضعين وعد الله ط الميعاد اخذتهم ج للاستفهام مع الفاء عقاب بما كسبت
لحق الخبر المحذوف التقدير كمن لا ينفع ولا يضر ولان قوله وجعلوا يصلح استئنافا او حالا باضمار قد شركاء ط سموهم ط لحق الاستفهام من القول ط عن السبيل
هاد اشق لاتفاق الجملتين مع النفي في الثانية واق المتقون ط لان التقدير فيما يتلى عليك مثل الجنة والوصل وجه في التفسير الانهار ط وظلها ط اتقوا
ط قيل والوصل اجوز لان الجمع بين بيان الحالين ادل على الانتباه النار بعضه ط ولا اشرك به ط ماب عربيا ط العلم لا لان ما بعده جواب واق وذرية ط باذن الله
كتاب ويثبت ج والوصل اجوز لتمام مقصود الكلام الكتاب الحساب ط اطرافها ط لحكمه ط الحساب جميعا ط كل نفس ط الدار مرسلا ط وبينكم لا للعطف الكتاب التفسير عن ابن
عباس والحسن ارسلنا الانبياء قبلك في امم قد خلت من قبلها امم وقال اخرون معنى التشبيه كما ارسلنا الى امم واتيناهم كتبا يتلى عليهم كذلك اتيناك
هذا الكتاب انت تتلو عليهم فلم ينكرونه وقال في الكشاف معناه مثل ذلك الارسال ارسلناك يعني ارسلناك ارسالا له شان وفضل على سائر الارسال
ثم فسر كيف ارسله فقال في امة قد خلت من قبلها امم كثيرة فهي اخر الامم وانت خاتم الانبياء ثم ذكر مقصود الارسال فقال لتتلو اي لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذي
اوحينا اليك وهم يكفرون حال هؤلاء انهم يكفرون بالرحمن وللمفسرين خلاف في تخصيص لفظ الرحمن بالمقام فقال جار الله كفرهم بالبليغ الرحمة الذي وسعت رحمته
كل شيء وما بهم من نعمة فمنه فكفروا بنعمته في ارسال مثلك اليهم وانزال هذا القران المعجز المصدق لسائر الكتب عليهم وعن ابن عباس في رواية الضحاك نزلت في
كفار قريش حين قال لهم النبي صلعم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فقيل للنبي صلعم قل لهم ان الرحمن الذي انكرتم معرفته هو ربي لا اله الا هو الواحد المتعالي
عن الشركاء عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب رجوعي فيثيبني على مصابرتكم وقيل نزلت في صلح الحديبية حين ارادوا كتاب الصلح فقال رسول
الله صلعم لعلي عم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل بن عمرو والمشركون ما نعرف الرحمن الا صاحب اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب اكتب باسمك اللهم وهكذا
كان اهل الجاهلية يكتبون فانزل الله الاية فعلى هذين القولين كان الذم متوجها على كفرهم باطلاق هذا الاسم على غير الله تعالى لا على جحودهم او اشراكهم
روي ان اهل مكة قعدوا في فناء الكعبة فاتاهم رسول الله صلعم وعرض عليهم الاسلام فقال له رؤساؤهم كابي جهل وعبد الله بن امية المخزومي سير لنا جبال
مكة حتى ينفسح المكان علينا واجعل لنا فيها انهارا نزرع فيها واحي لنا بعض اموتانا لنسئلهم احق ما تقول ام باطل فقد كان عيسى يحيي الموتى وسخر لنا
الريح حتى نركبها ونسير في البلاد فقد كانت الريح مسخرة لسليمان ولست باهون على ربك منه فنزل قوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال عن مقارها و
ازيلت عن مراكزها او قطعت به الارض اي وقع به السير في البلاد فوق المعتاد شبه طي الارض او شققت عن جوانبها فجعلت انهارا وعيونا او كلم به الموتى
بعد احيائهم به لكان هذا القران قال الراوي لما سري عن رسول الله صلعم بعد نزول هذا الوحي قال والذي نفسي بيده لقد اعطاني ما سالتم ولو
شئت لكان ولكنه خيرني بين ان تدخلوا باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم وبين ان يكلكم الى ما اخترتم لانفسكم ثم ان كفر لم يعذبكم عذابا لا يعذبه احدا من
العالمين فاخترت باب الرحمة وقال الزجاج معناه ولو ان قرانا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الارض وتكليم الموتى اي تنبيههم لما امنوا به كقوله ولو اننا
نزلنا اليهم الملائكة الاية وقال في الكشاف هذه الاية لتعظيم شان القران ومعنى تقطيع الارض تصدعها كقوله لو انزلنا هذا القران على جبل
لرايته خاشعا متصدعا ونقل في الكشاف عن الفراء ان الاية يتعلق بما قبلها والمعنى وهم يكفرون بالرحمن وبدل لو هذا الكلام وهو قوله ولو ان
قرانا سيرت به الجبال وما بينهما اعتراض ثم قال ردا عليهم بل لله الامر جميعا قال اهل السنة يعني ان شاء فعل وان شاء لم يفعل ولا اعتراض لاحد عليه
وقالت المعتزلة لله القدرة على الايات التي اقترحوها الا ان علمه بان اظهارها مفسدة يصرفه وان يلجئهم الى الايمان الا انه ينافي امر التكليف على

الاخبار قالوا ويعضده قوله أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله متعلق بآمنوا لهدى الناس جميعا او لو يشاء لهداهم الى الجنة والمراد نفي العموم لا عموم
النفي وذلك انه ما شاء هداية الاطفال والمجانين اجاب اهل السنة بان كل هذا خلاف الظاهر ومعنى افلم ييأس افلم يعلم وهذه لغة قوم من النخع وقال الزجاج
انه مجاز لان الآيس عن الشيء عالم بانه لا يكون نظيره استعمال الرجاء في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك لتضمنهما اياهما ويؤيده قراءة علي وابن عباس وجماعة
افلم يتبين وهو تفسير افلم ييأس وقيل ان قراءتهم اصل والمشهورة تصحيف وقع من جهة ان الكاتب كتبه مستوي السينات وهذا القول سخيف جدا والظن
باولئك الثقات الحفظة غير ذلك ولهذا قال في الكشاف هذه والله فرية ما فيها مرية ويجوز ان يتعلق ان لو يشاء بآمنوا ومعناه افلم يقنط من ايمان هؤلاء الكفرة
الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ثم اوعد الكافرين بقوله ولا يزال الذين كفروا يعني عامة الكفار تصيبهم بما صنعوا من كفرهم وسوء اعمالهم
قارعة داهية تقرعهم من السبي والقتل او تحل القارعة قريبا من دارهم فيتطاير اليهم شرارها حتى يأتي وعد الله وهو اسلامهم او موتهم او القيامة وقيل خاصة
في اهل مكة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال يبعث السرايا حول مكة فتغير عليهم وتختطف منهم وعلى هذا احتمل ان يكون قوله او تحل خطابا اي تحل انت يا محمد
قريبا من دارهم بجيشك كما في الحديبية حتى يأتي وعد الله وهو فتح مكة وكان قد وعده الله الفتح عموما وخصوصا وكان كما وعد وكان معنى ان الله لا يخلف
الميعاد قد مر البحث عليه في اول سورة آل عمران ثم ازداد في الوعيد فقال ولقد استهزئ الآية والاملاء الامهال وقد مر هنالك والاستفهام في قوله
فكيف كان عقاب للتقريع والتهديد ثم اورد على المشركين ما يجري مجرى الحجاج والتوبيخ والتعجب من عقولهم فقال أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت معنى القائم الحفيظ
والرقيب الله العالم بكل المعلومات القادر على كل الممكنات كمن ليس كذلك وجوز في الكشاف ان يقدر الخبر بحيث يمكن عطف وجعلوا عليه التقدير
أفمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له شركاء فيكون قوله لله من وضع الظاهر مقام الضمير وذكر السيد صاحب حل العقد انه يجوز ان يجعل الواو
الواو في قوله وجعلوا لله للحال ويضمر للمبتدأ خبر يكون المبتدأ معه جملة مفردة لا انكار ما يقاربها من الحال والتقدير أمن هو قائم على كل نفس موجود و
الحال انهم جعلوا له شركاء فاقيم الظاهر مقام المضمر كما قلنا تقريرا للالهية وتصريحا بها وانه هو الذي يستحق العبادة وحده وهذا كما تقول معطي الناس
ومغنيهم موجود ويحرم مثلي ثم زاد في المحاجة فقال قل سموهم اي جعلتم له شركاء فسموهم له من هم ونبئوه باسمائهم وانما يقال ذلك في الشيء المستحقر
الذي لا يستحق ان يلتفت اليه فيقال سمه ان شئت يعني انه اخس من ان يسمى ويذكر ولكنك ان شئت ان تضع له اسما فافعل وقيل المراد سموهم بالالهة
على سبيل التهديد قال في الكشاف ام في قوله أم تنبئونه منقطعة كقولك للرجل قل لي من زيد ام هو اقل من ان تعرف اقول وذلك لانه لا شيء
محض لو كان الشريك هو موجودا وهو ارضي لتعلق علم العالم الذات المحيط بجميع السفليات ونحوه قل أتنبئون الله بما لا يعلم وقد مر في اول يونس
ثم اكد هذا المعنى بقوله ام بظاهر من القول اي بل اتسمونهم شركاء بظاهر من الكلام من غير ان يكون له حقيقة كقوله ما تعبدون من دونه
الا اسماء سميتموها وهذا الاحتجاج من عجائب الاساليب التي اختص بها القرآن الكريم المعجز فلله در شان التنزيل ثم بين طريقهم فقال بل زين للذين
كفروا مكرهم قال الواحدي معنى بل ههنا كما يقال دع ذكر الدليل فانه لا فائدة فيه انه كذا وكذا والكلام في ان المزين هو الله تعالى او غيره قد مر في
اول سورة آل عمران وكذا البحث فيمن قرأ وصدوا بضم الصاد واما من قرأ بالفتح فيحتمل ان يكون لازما اي اعرضوا عنه ويحتمل ان يكون متعديا اي
صرفوا غيرهم والخلاف في قوله ومن يضلل الله تقدم في مواضع منها الاعراف ثم عاد الى الايعاد فقال لهم عذاب في الحياة الدنيا من القتل والقتال
واللعن والذم لا المصائب والامراض لانها قد تصيب المؤمنين ايضا ولانها مأمور بالصبر عليها والعقاب لا يكون كذلك ولعذاب الآخرة اشق لانه
اشد وادوم وما لهم من الله اي من عذابه من واق من حافظ او ما لهم من جهة الله واق اي دافع ومانع من رحمته بل انما يمنع رحمته منهم باختياره وحكمته ثم عقب
الوعيد بالوعد فقال مثل الجنة وتقديره عند سيبويه فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقال غيره الخبر تجري كما تقول صفة زيد اسمر وقال الزجاج انه تمثيل
للغائب بالشاهد ومعناه مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار وقيل ان فائدة الخبر ترجع الى قوله اكلها دائم كانه قال مثل الجنة التي وعد المتقون
تجري من تحتها الانهار كما تعلمون من حال جنانكم الا انه فان اكلها دائم كقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة وظلها دائم ايضا والمراد انه لا حر هنالك ولا برد ولا
شمس ولا قمر ولا ظلمة وقد مر هذا البحث في سورة النساء في قوله وندخلهم ظلا ظليلا قيل في الآية دلالة على ان حركات الجنة لا تنتهي الى سكون دائم كما يقوله
ابو الهذيل واتباعه قال القاضي وفيها دليل على ان الجنة لم تخلق بعد والا انقطع اكلها لقوله تعالى كل من عليها فان كل شيء هالك الا وجهه قال
ولم ننكر ان يحصل الآن في السموات جنات تتمتع بها الملائكة ومن يعد حيا من الانبياء والشهداء وغيرهم الا ان جنة الخلد خاصة انما تخلق بعد الاعادة
واجيب بانا نخصص عموم كل شيء هالك بالدليل الدال على ان الجنة مخلوقة وهو قوله اعدت للمتقين ثم ذكر عقائد الفرق في شان القرآن المتلو فقال
والذين آتيناهم الكتاب قيل اراد بالكتاب القرآن يعني ان المسلمين يفرحون بما انزل اليك من الشرائع والعلوم ومن الاحزاب الجماعات من اليهود و
النصارى وغيرهم من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الاقاصيص وبعض الاحكام المطابقة لشرائعهم وعقائدهم وانما انكروا ما يختص بشرائع الاسلام من
نعت الرسول وغيره قاله الحسن وقتادة واعترض عليه بان اهل الاسلام فرحهم بنزول القرآن معلوم ولا فائدة في ذكره ويمكن ان يقال المراد زيادة الفرح
والاستبشار بما فيه من العلوم والفوائد وانهم يتلقون نزول الوحي بالبشر والطلاقة لا بالتثاقل والجهالة وقيل الكتاب التوراة والانجيل والمراد من
اسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب ومن اسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران واثنان وثلاثون بارض الحبشة فرحوا بالقرآن لانهم
آمنوا به وصدقوه ومن الاحزاب بقية اهل الكتاب والمشركون قاله ابن عباس وقال مجاهد المراد ان اليهود والنصارى كلهم يفرحون بما انزل اليك لانه مصدق

لما معهم ومن سائر الكفرة من ينكر بعضه واعترض بانهم كلهم لا يفرحون بكل ما انزل الى رسولنا وقوله بما انزل يفيد العموم واجيب بالمنع من ان يفيد
العموم لصحة الاستثناء ولصحة ادخال كل عليه لا انكروا ادخال بعض ولا نقض كما بين عقائد الفرق امر نبيه بان يصرح بطريقه فقال قل انما امرت ان
اعبد الله ما امرت الا بعبادته وعدم الاشراك به ويندرج فيه جميع وظائف العبودية ثم ذكر انه مع كماله مكمل فقال اليه ادعو خصه بالدعاء اليه وحده
دون غيره كائنا من كان ثم ختم بذكر المعاد فقال واليه مآب لا مرجع الا اليه ومن تأمل في هذه الالفاظ عرف انها مع قلتها مشتملة على حاصل علوم
المبدأ والوسط والمعاد ثم ذكر بعض فضائل القرآن واوعد على الاعراض عن اتباعه فقال وكذلك انزلناه الضمير يعود الى ما في قوله بما انزل اليك او الى
القرآن في قوله ولو ان قرآنا ووجه التشبيه كما انزلنا الكتب على الانبياء بلسانهم كذلك انزلنا اليك هذا القرآن وقال في الكشاف معناه ومثل
ذلك الانزال انزلناه مأمورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة اليه والى دينه والانذار بدار الجزاء حكما عربيا نصب على الحال اي حكمة مترجمة بلسان
العرب وقيل سمي حكما لانه حكم على جميع المكلفين بقبوله والعمل به او لانه اشتمل على اصول الاحكام والشرائع فجعل نفس الحكم للمبالغة روي ان الكفار
كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم الى امور يوافقهم فيها منها ان يصلي الى قبلتهم بعد ما حوله الله عنها فاوعد على ذلك وعن ابن عباس الخطاب له والمراد
امته وقد مر الوجوه في مثله في اوائل سورة البقرة قال الكلبي عيرت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت ما نرى لهذا الرجل همة الا النساء والنكاح ولو كان
نبيا كما زعم لشغله امر النبوة عن النساء فانزل الله تعالى ولقد ارسلنا الآية ومعناه ان الرسل كانوا من جنس البشر لا من جنس الملك وما كان لهم نقص من
قبل الازواج والاولاد فقد كان لسليمان ثلاثمائة امرأة منكوحة وسبعمائة سرية ولداود مائة وذرية يعقوب اكثر من ان تحصى وكانوا يقترحون الآيات
فاجابهم الله تعالى عنه بقوله وما كان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله ولا بد لكل نبي من معجز واحد والزائد على ذلك بل اصل النبوة وتعيين المعجز
الواحد مفوض الى مشيئته سبحانه ولا حكم لاحد عليه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخوفهم بنزول العذاب وظهور نصرة الاسلام وذويه وكانوا يكذبونه
ويستبطئون موعوده فاجيبوا بقوله لكل اجل كتاب اي لكل وقت حكم مكتوب وحادث معين لا يتأخر ذلك الحكم او الحادث عنه ولا يتقدم عليه
وقيل هذا على القلب اي لكل مكتوب وقت معين والتحقيق انه لا حاجة الى ارتكاب القلب لان المعية تقتضي التلازم وكانوا ينكرون نسخ الشرائع
وفي التكاليف فنزل يمحو الله ما يشاء ويثبت اي يثبته فاستغنى بالصريح عن الكناية والمحو ذهاب اثر الكتابة ونحوها وفي الآية قولان الاول
انها عامة وانه سبحانه يمحو من الرزق ويزيد فيه وكذا القول في الاجل والسعادة والشقاوة والايمان والكفر وهو مذهب عمر وابن مسعود وقد رواه جابر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والذاهبون اليه كانوا يدعون ويتضرعون الى الله ان يجعلهم سعداء ان كانوا اشقياء وهذا الاثبات في قوله جف القلم لان المحو والاثبات
ايضا من جملة ما قضى به الثاني انها خاصة في بعض الاشياء فقيل اراد نسخ حكم واثبات آخر مكانه وقد مر البحث فيه في البقرة في قوله ما ننسخ من آية وقيل
يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة لانهم مأمورون بكتبة كل قول وفعل ويثبت غيره واعترض الاصم عليه بانه ينافي قوله تعالى ما لهذا الكتاب لا يغادر
صغيرة ولا كبيرة الا احصاها واجاب القاضي بان المراد صغائر الذنوب وكبائرها ورد بان هذا اصطلاح المتكلمين والمفهوم اللغوي اعم يتناول المباحات
ايضا وقيل يمحو بالتوبة ما يشاء من الكفر والمعاصي ويثبت بدلها الحسنة كقوله فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقيل يثبت في اول السنة احكام تلك السنة
فاذا مضت السنة محيت وكتب كتاب آخر للمستقبل وقيل يمحو نور القمر ويثبت نور الشمس او يمحو الدنيا ويثبت الآخرة اما قوله وعنده ام الكتاب اي اصله
فقيل هو اللوح المحفوظ عن النبي صلى الله عليه وسلم كان الله ولا شيء ثم خلق اللوح المحفوظ واثبت فيه احوال جميع الخلق الى يوم القيامة فعلى هذا عند الله كتابان احدهما اللوح
المحفوظ وانه لا يتغير وثانيهما الذي يكتبه الملائكة على الخلق وهو محل المحو والاثبات روى ابو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه في ثلث ساعات بقين من
الليل ينظر في الكتاب الذي لا ينظر فيه احد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء وقيل هو علم الله تعالى المتعلق بجميع الموجودات والمعلومات وانه لا يتغير ولا يتبدل
بتغير المتزمنات وتبدلها وقد مر تحقيقه في مواضع ولما بين كيفية انطباق الحوادث على او فقها قال وإما نرينك يعني كيفما دارت الحال اريناك مصارع
من وعدناهم من العذاب او توفيناك قبل ذلك فليس يجب عليك الا التبليغ وما حسابهم وما جزاؤهم الا علينا والبلاغ بمعنى التبليغ كالسلام والكلام ثم
ذكر ان آثار حصول تلك المواعيد وامارتها قد ظهرت وقربت ولكن تباشير الظفر قد طلعت ولاحت فقال اولم يروا انا نأتي الارض يعني ارض الكفر والغلبة
بدليل ننقصها من اطرافها والارض ارض مكة كان المسلمون ينالون من اهاليها ونواحيها بالبعوث والسرايا والجيوش والآن صارت الارض اعم واشمل و
لله الحمد على اعلاء شأن المسلمين زاده الله علوا فلا يزال ينقص شيء من ديار الكفر ويزيد في بلاد الاسلام ونقل عن ابن عباس ان المراد بنقص اطراف الارض
موت اشرافها وكبرائها وعلمائها وصلحائها قال الواحدي اللائق بالمقام هو القول الاول وقد يوجه الثاني بانه اراد انهم اذا شاهدوا هذه التغيرات فما
الذي يؤمنهم ان يقلب الله عليهم الامر فيجعلهم اذلة مغلوبين بعد ان كانوا اعزة غالبين ثم اكد هذا المعنى بقوله والله يحكم ومحل لا معقب لحكمه نصب على الحال
والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله وذلك انه يعقبه بالرد والابطال فكانه قيل والله يحكم نافذ الحكم وهو سريع الحساب عن ابن عباس هو سريع
الانتقام فيعاقبهم في الدنيا ثم سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله وقد مكر الذين من قبلهم برسلهم كنمرود بابراهيم وفرعون بموسى واليهود بعيسى فلله المكر جميعا قال
الواحدي لان مكر جميع الماكرين بتخليقه وارادته ولانه لا يضر الا باذنه ولا يؤثر الا بتقديره وقالت المعتزلة انه جعل مكرهم كلا مكر بالاضافة الى مكره
وقيل اراد فلله جزاء مكر الماكرين قال الواحدي والقول الاول اظهر بدليل قوله يعلم ما تكسب كل نفس يريد ان اكتسابها باسرها معلوم لله تعالى وخلاف
معلومه ممتنع الوقوع فلا يقدر العبد على خلاف معلومه وناقضت المعتزلة بانه اثبت لكل نفس كسبا فدل على انه مقدور العبد واجيب بان المقتضي للفعل

عندنا هو مجموع القدرة والدعى وهذا معنى قولهم الكتاب حاصل للعبد ثم ختم الاية بوعيد الخوارج الى فقال وسيعلم الكفار من قرا على فظاهر ومن قرا على
الوحدن فالمراد الجنس عن ابن عباس ان المراد ابو جهل وعن عطاء اراد المستهزئين وهم خمسة والمقتسمين وهم ثمانية وعشرون ثم ذكر حاصل شبههم مع الجواب
القاطع فقال ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا والمراد من هذه الشهادة انه اظهر المعجزات على وفق دعواه ولا شهادة اعلى من هذه
لان القولية منا لا يفيد الا غلبة الظن وهذه تفيد القطع بصحة نبوته ثم عطف على اسم الله ومن عنده علم الكتاب اى الذى حصل عنده علم القران و
فهم معانيه واشتماله على دلائل الاعجاز من النظم الانيق والاسلوب العجيب الفائق لقوى البشر فان من علم هذا الكتاب على هذا الوجه شهد بانه معجز قاهر وان
الذى ظهر هذا المعجز عليه نبى حق ورسول صدق وعن الحسن وسعيد بن جبير والزجاج ان الكتاب هو اللوح المحفوظ والمعنى كفى بالذى يستحق العبادة وبالذى لا يعلم علم
ما فى اللوح المحفوظ الا هو يعنى الله عز وجل شهيدا وبعضد قراءة من قرا ومن عنده على من الجارة واعترض على هذا القول بان عطف الصفة على الموصوف بعيد
لا تقول شهد بهذا زيد والفقيه وانما تقول زيد الفقيه وقيل المراد شهادة اهل الكتاب من الذين امنوا برسول الله كعبد الله بن سلام وسلمان الفارسى وتميم
الدارى لانهم يشهدون بنعته فى كتبهم والاعتراض ان اثبات النبوة بقول الواحد والاثنين مع جواز الكذب على امثالهما لكونهم غير معصومين لا يجوز
وقال الزجاج الاشبه ان الله تعالى لا يستشهد على صحة حكمه بغيره وعن الحسن لا والله ما يعنى الا الله وعن سعيد بن جبير ان السورة مكية وابن سلام واصحابه امنوا بالمدينة
بعد الهجرة والله اعلم بمراده التاويل وهم يكفرون بالرحمن يعنى ان الصفة الرحمانية اقتضت ايجاد جميع الموجودات وافاضة جميع النعم كما ان صفة القهارية
كانت مقتضية للوحدة بان لا يكون معه شئ ولا نعمة اجل من بعثة الرسل ففيه صلاح حال الدارين فلما جحدوا الرسول فقد جحدوا الرحمن و هذا سبب
تخصيص هذا الاسم بالمقام كقوله ان كل من فى السموات والارض الا اتى الرحمن عبدا ولذلك امر بان يقول فى الجواب هو ربى الذى ربانى لا اله الا هو لا
يستحق العبادة الا هو ولا افوض امرى الا اليه واليه مرجعى كما كان منه مبدئى ثم رتب مراحل النفوس وقطعت به ارض البشرية وكلم به موتى القلوب الميتة بلاوة
عليهم تصيبهم بما صنعوا من كفرهم بالرحمن قارعة من الاحكام الازلية تقرعهم فى انواع المعاملات التى تصدر عنهم موجبة للشقاوة او تحل قريبا من دارهم
قالبهم بان تصدر تلك المعاملة ممن يصحبهم عن امر لا ينقل وسل عن من يصحبه حتى ياتى وعد الله بخذلان الشقاء الازلى ومن امارات الشقاوة الاستهزاء
بالانبياء والاولياء ثم اخذتهم اى امسكتهم لئلا يرجعوا عن مقام الشقاوة لهم عذاب فى الحيوة الدنيا بالبعد والحجاب عبودية النفس بالهوى ولعذاب
الاخرة بانواع الحرمان والتعذيب بالهيات والملكات الموجبة للدركات كلها دائم هى مشاهدات الجمال ومكاشفات الجلال وظلها اى انهم فى ظل معاملاتهم
والحالهم التابعة لشمس جودهم على الدوام والذين اتيناهم الكتاب هم السر والروح والقلب الذين فهموا اسرار القران ومن الاحزاب النفس والهوى
والقوى من ينكر بعضه لثقل التكليف عليهم وللجهل بفوائده ولئن اتبعت اهواء المخالفين بالشركة فى الطلب من بعد ما جاءك من العلم وهو طلب الوحدة
بدل الانانية وجعلنا لهم ازواجا وذرية فيه ان الرسل جذبتهم العناية فى البداية فرقوا من حضيض الحيوانية الى اوج الروحانية ثم الى معارج النبوة
والرسالة فى النهاية فلم يبق فيهم من دواعى البشرية ما يزعجهم الى الازواج بالطبيعة والركون الى الاولاد بخصائص الحيوانية بل رغبهم الله سبحانه فى ذلك
على وفق الشريعة بخصوص الخلافة باظهار صفة الخالقية ومثله وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام يمحو الله ما يشاء لاهل السعادة من افاعيل اهل الشقاوة
ويثبت لهم من خصائل اهل السعادة وبالعكس لاهل الشقاوة وعنده ام الكتاب الذى قدر فيه ان الخاتمة لكل من الفريقين واما نرينك بالكشف
بعض مقاماتهم كما اخبر عن العشرة المبشرة بانهم فى الجنة وعن غيرهم بانهم فى النار انا ناتى ارض البشرية فننقصها بالازدياد فى الاوصاف الروحانية

سورة ابرهيم مكية غير ايتين الم تر الى الذين بدلوا الاية حروفها ثلثة الاف واربع مائة واربعة وثلثون كلمها ثمانمائة وخمس وثلثون اياتها خمسون وآيتان

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد ۝ الله الذى له ما فى
السموات وما فى الارض وويل للكافرين من عذاب شديد ۝ الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة و
يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا اولئك فى ضلال بعيد ۝ وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه
ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وهو العزيز الحكيم ۝ ولقد ارسلنا موسى باياتنا ان اخرج قومك
من الظلمات الى النور وذكرهم بايام الله ان فى ذلك لايات لكل صبار شكور ۝ واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله
عليكم اذ انجيكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء
من ربكم عظيم ۝ واذ تاذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد ۝ وقال موسى ان
تكفروا انتم ومن فى الارض جميعا فان الله لغنى حميد ۝ الم ياتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين
من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم فى افواههم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وانا
لفى شك مما تدعوننا اليه مريب ۝ قالت رسلهم افى الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى
اجل مسمى قالوا ان انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا فاتونا بسلطان مبين ۝ قالت لهم رسلهم
ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ۝

وما لنا الا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما اذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون ۝ وقال الذين كفروا لرسلهم
لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن فى ملتنا فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ۝ ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف
مقامى وخاف وعيد ۝ واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد ۝ من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد ۝ يتجرعه ولا يكاد يسيغه و
ياتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ ۝ القراءة الله الذى بالرفع على الابتداء فى الحالين ابو جعفر ونافع وابن عامر و
المفضل وقرا يعقوب الخزاعى عن ابن فليح بالرفع اذا ابتدا وبالخفض اذا وصل الباقون بالجر مطلقا وعيد بالياء فى الحالين يعقوب وافق ورش وسهل وعباس
فى الوصل الوقوف الر الحميد ط لمن قرا الله بالرفع وما فى الارض ط شديد ط بناء على ان الذين صفة الكافرين عوجا ط بناء على ما قلنا او على ان الذين منصوب
او مرفوع على الذم اى اعنى الذين او هم الذين وان جعل الذين مبتدا خبره اولئك فى ضلال فلا وقف على عوجا والاولى ان نقف على شديد للاية بعيد
ليبين لهم ط لان قوله فيضل حكم مبتدا خارج عن تعليل الارسال ويهدى من يشاء ط الحكيم بايام الله ط شكور كما عظيم لشديد جميعا لان ما بعده جزاء
حميد وثمود ط لمن لم يعطف جعله مستانفا ومن عطف وقف على من بعدهم ط الا الله ط مريب الارض ط فصلا بين الاستخبار والاخبار مسمى ط لتقدم همزة
الاستفهام فى تريدون مبين من عباده ط باذن الله ط المؤمنون سبلنا ط اذيتمونا ط المتوكلون فى ملتنا ط من بعدهم ط وعيد عنيد لا لان ما بعده وصف صديد
لا لذلك بميت ط غليظ ط التفسير كون السورة مكية او مدنية انما يفيد فى الاحكام لتعرف المنسوخ من الناسخ وفى غير ذلك المكية والمدنية سيان قوله الر
كتاب اى السورة المسماة بالر كتاب انزلناه اليك لغرض كذا وان كان الر مذكورا على جهة التعديد فقوله كتاب خبر مبتدا محذوف اى هذا القران او هذه
السورة كتاب الظلمات استعارة لطرق الضلال ومظانه والنور مستعار للحق واللام فى لتخرج للغرض عند المعتزلة وللغاية عند الحكيم وان شئت فعل العاقبة
واللام فى الناس للجنس المستغرق ظاهر انفسه دليل على ان دعوته عامة ومعنى اخراج النبى صلعم اياهم من الظلمات الى النور انه سبحانه جعل انزال الكتاب عليه ودعوته
اياهم به الى الحق واسطة لهدايتهم لا مطلقا ولكن باذن ربهم اى بتسهيله وتيسيره وكل ميسر لما خلق له والحاصل ان المراد من الاذن معنى يقتضى ترجيح جانب
الوجود على جانب العدم ومتى حصل الرجحان فقد حصل الوجوب عند المحققين ولك ان تعبر عن ذلك المعنى بداعية الايمان احتج بالاية من قال ان معرفة الله
تعالى لا يمكن الا بالتعليم الذى عبر عنه بالاخراج من الظلمات الى النور واجيب بان معنى الاخراج التنبيه واما المعرفة فانما يحصل من الدليل وقوله الى صراط مستقيم بدل
من قوله الى النور بتكرير العامل الجار وجوز فى الكشاف ان يكون على جهة الاستيناف كانه قيل الى اى نور فقيل الى صراط العزيز الحميد وفى ذكر الوصفين تاكيد لحقية
الصراط واستنارته لان العزيز هو القادر الغالب والحميد هو الكامل بخصائص الحمد من العلم والغنى وغير ذلك ولا ريب ان من هذه صفته كان سبيله الذى
نهج لعباده مفضيا الى صلاح حالهم دنيا ودينا اذ لا حاجة الى ارتكاب عبث او قبيح قال بعض العلماء انما قدم ذكر العزيز لان الصحيح ان اول العلم بالله العلم بكونه
قادرا عالما وهو معنى العزيز ثم بعد ذلك العلم بكونه غنيا عن الحاجات والنقائص وهذا معنى الحميد ثم اثنى على نفسه بتحقيقه صراطه وبيانا لانه هو الغنى عن العبث
فقال الله الذى مبتدا وخبر او المبتدا محذوف تقديره هو الله ومن قرا بالجر فعلى انه عطف بيان للوصفين بناء على ان لفظ الله جار مجرى اسم العلم وقد سبق
هذا البحث مشبعا فى تفسير البسملة من سورة الفاتحة ثم ختم الاية بوعيد من لا يعرف بربوبيته ولا يقر بوحدانيته وذلك قوله وويل للكافرين دعا
عليهم بالهلاك والثبور وكل سوء قال فى الكشاف وجه اتصال قوله من عذاب شديد بالويل انهم يولولون من العذاب ويقولون يا ويلاه الذين يستحبون اى
يؤثرون ويختارون لان المؤثر للشئ على غيره كانه يطلب من نفسه ان يكون ذلك الشئ عنده احب من الاخر وذلك ان الانسان قد يحب الشئ ولكنه يكره
كونه محبا له اما اذا احب الشئ وطلب كونه محبا له واحب تلك المحبة فذلك نهاية المحبة وهذا شان محبة اهل الدنيا للدنيا ولكنها ادنى مراتب الضلال
وقوله ويصدون عن سبيل الله اشارة الى الضلال وقوله ويبغونها عوجا اراد به الاضلال بالقاء الشكوك والشبهات اجتماع هذه الخصال نهاية
الضلال فلهذا وصف ضلالهم بالبعد عن الحق لانه وقع عنه فى الطرف الاخر بينهما غاية الخلاف ويمكن ان يكون اسنادا مجازيا باعتبار ان صاحبه
بعيد عن طريق الحق ثم نبه على تكاليف المكلفين بانزال الكتاب وارسال الرسول ذكر ان من كمال تلك النعمة ان يكون ذلك الكتاب بلسان المرسل اليهم احتجوا بالاية
بالاية على ان اللغات اصطلاحية وضعها البشر واحد وجماعة وحصل التعريف للباقين بالاشارة والقرائن كالاطفال قالوا وان كانت توقيفية فالتوقيف
انما يكون بالوحى والوحى موقوف على لغة سابقة لقوله وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه اى بلغتهم لزم الدور واجيب بان الاية لا تختص برسول له قوم
ولا قوم لادم فيكون التوقيف اليه فيندفع الدور وتمسك طائفة من اليهود يقال لهم العيسوية بهذه الاية فى ان محمدا رسول الله لكن الى العرب لانهم قومه
وهم الذين عرفوا فصاحة القران واعجازه فيكون القران حجة عليهم لا على غيرهم والجواب سلمنا ان قومه هم العرب ولكن قوم النبى اخص من اهل دعوته فقد
يكون اهل دعوته الناس كافة بل الثقلين كما فى حق نبينا صلعم لان التحدى وقع بالفريقين فى قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن وانما يكون اولى الالسنة لسان قومه
الرسول اولا اليهم ليبين لهم فيفقهوا عنه ما يدعوهم اليه ثم ينوب التراجم فى كل امة من امم دعوته مقام الاصل ويكفى التطويل ويؤمن اللبس والتخليط ويوجب
للمفسر الثواب الجزيل فى التعلم والتعليم والارشاد والاجتهاد وقالت المعتزلة ان مقصوده هذه الايات وهى قوله لتخرج الناس ووسطها وهو قوله
ليبين لهم فان فائدة التبيين انما تظهر اذا كان المكلف قدرة واختيار ونحوها وهو قوله الحكيم فان الحكمة تنافى خلق الكفر والقبائح يدل على صحة مذهب
الاعتزال وقالت الاشاعرة قوله باذن ربهم وقوله فيضل الله من يشاء وقوله العزيز لاجماع ان يكون لغيره قدرة وتصرف يؤيد مذهبنا اقول
نحن حققنا مسئلة الجبر والقدر وكرره فيما يخص هذا الموضع قول الفراء اذا ذكر فعل وبعده فعل اخر فان لم يكن النسق مشاكلا للاول فالرفع على الاستيناف

المجيد كقوله ليبين لكم ونقر بالرفع نظيره في الآية قوله نحصل بالرفع على الاستئناف كانه قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليكون بيانه للحسم
تلك الشرايع بلغة القوم واعتنائهم ومع ذلك فان المضل والهادي هو الله والبيان لا يوجب حصول الهداية الا اذا جعله الله واسطة وسببا المقصود انا ان
من بعثة نبينا هو اخراج الناس من الظلمات الى النور اذ ان يبين ان الغرض من ارسال جميع الانبياء لم يكن الا ذلك وذكر لذلك مثالا وخص موسى بالذكر
لان امته اكثر الامم سوى امة محمد كما جاء في الحديث ولكثرة معجزاته القاهرة ومعنى ان اخرج اي اخرج لان الارسال فيه معنى القول ويجوز ان يكون ان ناصبة والتقدير بان
اخرج ومعنى التذكير بايام الله الانذار بوقايعه التي وقعت على الامم قبلهم ويقال ايام العرب لحروبها وملاحمها وعن ابن عباس ايام الله نعماؤه من تظليل الغمام و
انزال المن والسلوى وبلاؤه اهلاك القرون والايام التي كانوا فيها تحت تسخير فرعون والمراد عظهم بالترغيب والترهيب ان في ذلك التذكير والتنبيه
دلائل لكل صبار على الضراء شكور على السراء وذلك ان فائدة الآيات انما تعود عليهم حيث ينتفعون بها ولما امر الله موسى بالتذكير حكى عنه انه ذكرهم ولم
يقل ههنا يا قوم كما ذكر في المائدة اختصارا على ما ذكره هناك وقوله عليكم ان كان صلة للنعمة بمعنى الانعام فقوله اذ انجاكم ظرف للانعام ايضا وان كان
مستقرا بمعنى اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم جاز ان ينتصب اذ انجاكم بعليكم وفي الوجهين جاز ان يكون اذ بدلا من النعمة اي اذكروا وقت انجائكم وهو بدل
الاشتمال وباقي الآية قد مر في اول البقرة ومن جملة النعم قوله واذ تأذن اي واذكروا حين اذن ربكم ايذانا بليغا ينتفي عنده الشكوك وتزاح معه الشبهات
وقد تقدم في اواخر الاعراف ان فيه معنى القسم ولذلك دخلت اللام الموطئة في الشرط والنون المؤكدة في الجزاء وقد سلف منا في هذا الكتاب ان
الشكر بالحقيقة عبارة عن صرف العبد جميع اقسام ما انعم الله تعالى به عليه فيما اعطاه لاجله ولا شك ان المكلف اذا سلك في هذا الطريق كان دائما في مطالعة
اقسام نعم الله وفي ملاحظة دقايق لطفه وصنعه وفي اعمال الجوارح في الاعمال الصالحة الكاسبة لانوار الملكات الحميدة وشغل النفس بمطالعة النعم يوجب مزيد
محبة المنعم وقد يترقى العبد من هذه الحالة الى ان يصير حب المنعم شاغلا له عن رؤية النعم ويصدر منه الاعمال الصالحة بطريق الاعتياد حتى يصير التطبع
طباعا والتكلف خلقا وهذا معنى اقتضاء الشكر مزيد الانعام وقد يفيض عليه بحكم وعدنا الذي هو الحق والصدق ومجال مواهبه الالهية والاتهويه
لانه مهما صار مطيعا منقادا لواجب الوجود سبحانه تجلى فيه نور الوجوب فلا غرو ان لا عجب ان ينقاد لذلك النور كثير من الممكنات وينفتح عليه باب التصرف
في الخلق بالحق للحق وان كان حال المكلف بضد ما قلنا ظهر عليه ضد تلك الآثار لا محالة وذلك قوله ولئن كفرتم يعني كفران النعم ان عذابي لشديد
ثم ان منافع الشكر ومضار الكفران لا يعود الا الى صاحبه والله تعالى غني عن ذلك كله فقال ان تكفروا انتم الآية وذلك لانه واجب الوجود في جميع صفاته
وان يكون كذلك الا اذا كان غنيا عن الحاجات متصفا بكل الكمالات اهلا للحمد وان لم يكن حامدا قوله الم يأتكم يحتمل ان يكون خطابا من موسى لقومه والغرض
تخويفهم بمثل هلاك من تقدم من القرون فيكون داخلا تحت التذكير بايام الله واحتمل ان يكون مخاطبة من الله على لسان موسى لقومه يذكرهم امر القرون
الاولى قال ابو مسلم والاكثرون على انه ابتداء مخاطبة لقوم الرسول صلعم تحذيرا لهم عن مخالفته وقوله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله ان كانت جملة من
مبتدا وخبر فالمجموع اعتراض وان كان قوله والذين من بعدهم معطوفا على قوم نوح فقوله لا يعلمهم الا الله وحده اعتراض ثم ان عدم العلم اما ان يكون
راجعا الى صفاتهم بان يكون لاحوالهم واخلاقهم ومدد اعمارهم غير معلومة واما ان يكون فيما بين القرون اقوام ما بلغنا اخبارهم كما روي عن ابن عباس
بين عدنان واسمعيل ثلثون ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب فقد نفى الله علمها عن
العباد ونظير الآية قوله وقرونا بين ذلك كثيرا منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك قال القاضي وعلى هذا الوجه لا يمكن القطع بمقدار السنين
من لدن آدم عم الى هذا الوقت لانه لو امكن ذلك لم يبعد تحصيل العلم بالانساب الموصولة ثم انه تعالى حكى عن هؤلاء الاقوام انهم لما جاءتهم رسلهم بالبينات اتوا بامور
احدها فردوا ايديهم في افواههم وفيه قولان احدهما ان المراد باليد والفم الجارحتان وعلى هذا فيه احتمالان الاول ان الكفار ردوا ايديهم في افواههم
فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ قاله ابن عباس وابن مسعود وهو الاظهر او وضعوا الايدي على الافواه ضحكا
واستهزاء كمن غلبه الضحك او وضعوا ايديهم على افواههم مشيرين بذلك الى الانبياء ان كفوا عن هذا الكلام واسكتوا عن ذكر هذا الحديث قاله الكلبي
او اشاروا بايديهم الى السنتهم والى ما تكلموا به من قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به اي هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره اقناطا لهم من التصديق وهذا قول
قوي لعطف قوله وقالوا على قوله فردوا الاحتمال الثاني ان يكون الضماير راجعة الى الرسل والمراد ان الرسل لما ايسوا عنهم سكتوا ووضعوا
ايديهم على افواه انفسهم ارادوا انهم لا يعودون الى ذلك الكلام البتة او يكون الضمير الاخير راجعا الى الرسل والمعنى ان الكفار اخذوا ايدي
الرسل ووضعوها على افواههم ليسكتوا ويقطعوا كلامهم او يكون الضمير الاخير فقط عائدا الى الرسل والمراد ان الكفار لما سمعوا وعظ الانبياء ونصائحهم
اشاروا بايديهم الى افواه الرسل تكذيبا لهم وردا عليهم او وضعوا ايديهم على افواه الانبياء منعا لهم من الكلام فهذه جملة الاحتمالات على القول الاول
القول الثاني ان ذكر اليد والفم توسع ومجاز عن ابي مسلم ان المراد باليد ما نطقت به الرسل من الحجج لان ذلك انما يؤتى من اجل النعم لانهم اذا كذبوا
الآيات ولم يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت منه على طريق المثل ونقل محمد بن جرير عن بعضهم انه يقال للرجل اذا امسك عن الجواب رد يده في فيه
يعني الآية انهم سكتوا عن الجواب وزيف بانهم قد اجابوا بالتكذيب فقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به والمراد بما زعمتم ان الله ارسلكم به وكانهم في اول الامر
حاولوا اسكات الانبياء وفي المرتبة الثانية صرحوا بالكفر ثم توقفوا وامرهم على الشك فلنا ارادوا انا كافرون برسالتكم وان نزلنا عن هذا المقام فلا اقل
من انا نشك في صحة نبوتكم ومع كمال الشك لا يطمع في الاعتراف بنبوتكم ثم انه سبحانه حكى جواب الرسل وذلك قولهم افي الله شك فاطر السموات والارض

ادخل

ادخل همزة الانكار على الظرف لان الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه وان وجود الله لا يحتمل الشك قال الضعيف المذنب المفتقر الى عفو ربه
الكريم مؤلف الكتاب الحسن بن محمد المشتهر بنظام النيسابوري نظم الله احواله في الدارين انه كان من عهدي ان العلم بوجود الواجب في الخارج من جملة ال
البديهيات وكان يستبعد ذلك كثير من اقراني واصحابي الى ان اتفق لي ان الاذكياء منهم ما زالوا يبرهنون على ذلك في الكتب الكلامية والحكمية فكتبت
لاجلهم رسالة في الالهيات مشتملة على دلائل تجري مجرى المنبهات على ذلك المعنى فان الضروريات قد ينبه عليها وان لم يحتج في اثباتها الى البرهان
والان اريد ان اذكر بعض تلك المنبهات في هذا المقام لانها مقررة لقوله سبحانه افي الله شك فاقول وبالله التوفيق المفهوم بالنظر الى ذاته الخارج اما
ان يكون واجب الوجود فقط او واجب العدم فقط او ممكن الوجود والعدم فقط او واجب الوجود والعدم معا او واجب الوجود وممكن الوجود والعدم معا
او واجب العدم وممكن الوجود والعدم معا او واجب الوجود وواجب العدم وممكن الوجود والعدم جميعا فهذه اقسام سبعة لا زائد والعقل الصريح لا يشك في
استحالة خمسة اقسام منها في الخارج الاول واجب العدم لذاته فقط الثاني واجب الوجود لذاته وواجب العدم في ذاته معا الثالث واجب الوجود
لذاته وممكن الوجود والعدم لذاته الرابع واجب العدم لذاته وممكن الوجود والعدم في ذاته ثم نقول ان العقل كما لا يشك في استحالة الوجود الخارجي لهذه
الاقسام الخمسة ينبغي ان لا يشك في وجود الواجب لذاته فقط في الخارج لانه لو لم يكن موجودا في الخارج كان معدوما في الخارج فان كان عدمه لذاته
كان من القسم الثاني من الممتنعات وان كان لغيره كان من القسم الثالث منها وكلاهما محال اذ المفروض خلاف ذلك فثبت كونه موجودا في الخارج
بالضرورة وهو المطلوب فهذه طريقة صدرا تيسرت لنا من غير احتياج الى دور وتسلسل يرد عليهما المنع المشهور وجه ثان الموجود في الخارج
اما واجب او ممكن وهذه قضية اتفقوا على ضروريتها لانه ان كان مستغنيا عن المؤثر في وجوده الخارجي فواجب والا فممكن فنقول ان كانت القضية
حتى يكون المعنى ان الموجود في الخارج هذان النوعان فقد ثبت وجود الواجب في الخارج بالضرورة وهو المطلوب وان كانت القضية منفصلة
ولا محالة تكون مانعة الخلو فقط اما كونها مانعة الخلو فلاستحالة العقل رفعهما معا في الخارج ضرورة ثبوت موجود ما في الخارج بالضرورة واما انها ليست
مانعة الجمع فلان الممكن موجود بالضرورة ولا منافاة بين وجود الواجب ووجود الممكن بالضرورة ولا ان يستدل العقلاء من وجود الممكن على اثبات الواجب
بل يستدلون منه على نقيضه واذا كان الجمع بين الواجب والممكن ممكنا في الوجود والممكن موجود بالضرورة مع انه مفتقر في وجوده الى مؤثر موجد فلان يكون
الواجب موجودا يكون اولى بالضرورة لاستغنائه عن المؤثر وكون ذاته كافية في ايجاب الوجود له وهذه مقدمة جلية مكشوفة لمن تامل في مفهوم واجب
الوجود اذ لا معنى لوجوب الوجود الا انه وجود يوجد بنفسه من تلقاء نفسه ومع قطع النظر عما سواه ولهذا قال المحققون ان الوجود يقع على الواجب وعلى
الممكن بالتشكيك بمعنى انه في الواجب اول واولى منه في الممكن وجه ثالث طبيعة الواجب وطبيعة الممكن من حيث ذاتيهما اشتركا في صحة وجودهما
الخارجي بالضرورة ويفترقان في ان الواجب لذاته كافية في ايجاب الوجود له والممكن لا يكفي فيه ذلك بل يحتاج في ايجاب وجوده الخارجي الى الغير
ولا ريب ان الاول اقرب الى طبيعة الوجوب الثاني لان الموقوف على مقدمات اكثر اعسر وجودا والثاني واقع بالضرورة فالاول اولى بكونه ضروري
الوقوع وجه رابع نسبة كل محمول الى موضوعه لا يخلو في نفس الامر من ان يكون بالوجوب او بالامكان او بالامتناع فنسبة الوجود الخارجي الى الماهيات
الخارجية من حيث ذواتها لا يخلو من احد الامور الثلاثة لكن نسبتها بالامتناع ظاهر الاستحالة فهي اما بالامكان او بالوجوب ولا شك ان
نسبة الوجود الى ذات الموجود اولى من نسبته الى غيره اذ الاصل عدم الغير فكل ما دل البرهان على ان وجوده من غيره للغير فيه او نقص حكم عليه بانه ممكن
الوجود وما لم يدل البرهان فيه على ذلك بل يدل على وجوب وجوده بجميع صفاته الكمالية فهو واجب الوجود ومن شك في وجود ما وجوده من تلقاء
نفسه ويكون متصفا بجميع الكمالات بعد مشاهدة ما وجوده من غيره وهو عرضة للنقايص والرذايل كان اهلا لان يهجر الحكمة وجه خامس نفس الامكان
نقص لا نقص فوقه لاستتباعه العجز والافتقار وصحة العدم عليه الذي لا اضعف مثله والوجود المتصف به متحقق بالضرورة فالوجود الذي يجوزه العقل
الصريح متصفا بصفة الوجوب كيف لا يكون محققا ومن اشتبه عليه مثل هذا الجلي فلا يلومن الا نفسه وجه سادس مقتضى ذات الشيء اقرب ايجابا له عند
العقل من مقتضى كل ما يغايره لكن الوجود الذي مقتضاه الامكان ثابت في الخارج مع ان ثبوته في الخارج مقتضى الغير فالوجود الذي مقتضاه الوجوب
ثابت بالطريق الاولى وجه سابع الوجود الممكن ثابت بالضرورة وليس ثبوت ذلك الموجود من تلقاء نفسه والا كان وجودا واجبا لانا لا نعني بالوجود
الواجب الا هذا فاما ان يكون من وجود واجب وهو المطلوب او من وجود مثله وح ما لم يكن ثابتا في نفسه لم يتصور منه افادة مثله فاذن حصل لنا وجود
ممكن موصوف بالثبوت في نفسه وموصوفا بكونه مفيدا لوجود مثله فاذا صح هذان الوصفان للوجود الممكن المفتقر فكيف لا يصحان للوجود الواجب
الغني بل نسبتهما الى الثاني اولى من نسبتهما الى الاول بحكم الفهم الصحيح وجه ثامن كون الشيء موجودا في نفسه اقرب واقبل عند العقل من كونه موجدا
لغيره اذ ليس كل من له وجود في نفسه يكون موجدا لغيره وكل موجد لغيره موجود في نفسه واذا كان اتصاف الوجود الممكن مع ضعفه بابعد الامرين عن القبول
واقعا فكيف لا يكون اتصاف الوجود الواجب مع قوته باقربهما من القبول واقعا وجه تاسع انجذاب النفوس السليمة وغير السليمة من الانبياء والاولياء
والحكماء وساير العقلاء من اخوان الصفا واخدان الوفا وارباب البدع والاهواء الى وجود واجب حتى رجعوا الى انفسهم وطالعوا ملكوت السموات
والارض وتاملوا في الاحوال الواردة عليهم من كشف كرب او هجوم نعم اجلى دليل على وجود رب جليل منزه عن سمات النقص والافول في حيز الامكان
مفيض للخيرات مدبر للممكنات ولهذا قال رب السموات والارضين على الظلمة المعاندين ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ثم اخبر

انهم يعتذرون عن اصنامهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله انكر بجحدهم وعنادهم عن تحقق وصدق وانما كانوا مكابرين في الظاهر ابتداء من من الله وشفعاء منهم فالحاصل ان المؤمن والمشرك والمقر والجاحد سيان في انه يشهد فطرته بوجود صانع للعالم واجب في ذاته وصفاته ولا ادل من ذلك على انه ضروري الوجود وجه عاشر هو الاستدلال بالآفاق كل موجود سوى الواجب فله ظهور في الخارج لكنه اذا اعتبر في نفسه لم يكن له ذلك من تلقاء نفسه فكان ظهوره في نفسه وذلك افول له في افق الامكان واذا كان ما مقتضى ذاته الافول طالعا فما مقتضى ذاته الطلوع اولى بان يكون طالعا وجه حادي عشر هو الاستدلال بالانفس من تامل في ذاته وفرض شخصه في هواء طلق لا يحس فيه بمتضاد واغفل الحواس عن ادراك ما وجد شيئا هو هو وبذلك يصح انيته وهو نفسه الناطقة التي نسبتها الى بدنه نسبة الملك الى المدينة يتصرف فيها كيف يشاء ومهما انقطع علاقتها عن البدن كمات صاحبه وانخرط في سلك الجمادات فكما ان البدن لضعفه وخسته مفتقر في قوامه وقيامه الى مدبر يدبره ويقيمه فجميع العالم الجسماني بل الممكنات باسرها لخستها وفقرها يستند لا محالة الى ما هو اشرف منها وذلك ما وجوده من تلقاء نفسه هو الواجب الحق تعالى شانه ولولاه لتبدد نظام العالم ولم يكن من الوجود عين ولا اثر وجه ثاني عشر هو انور الوجوه واظهرها وهو الاستدلال بالنور على النور لا شك ان نورا ويعني به ما هو ظاهر في نفسه مظهر لغيره فنقول ان كان ظهوره في نفسه بنفسه فهو المطلوب والا فيحتاج الى ما يظهره لا يمكن ان لا يكون ظاهرا في نفسه لان ما لا يكون له ظهور في نفسه لا يفيد ظهورا لغيره فينقل الكلام الى ذلك الظاهر بان نقول ان كان ظهوره في نفسه بنفسه فهو المطلوب والا فيحتاج الى ما يظهره وما يظهره لا يمكن ان لا يكون ظاهرا في نفسه لان ما لا يكون له ظهور في نفسه لا يفيد ظهورا لغيره فينقل الكلام الى ذلك الظاهر بان نقول ان كان ظهوره في نفسه بنفسه فذاك والا احتاج الى ما يظهره ولا بد ان ينتهي في طرف الصعود الى ما يكون ظهوره في نفسه بنفسه والا لم ينته الامر في طرف النزول الى الظاهر المفروض ولا نهاية ما لا نهاية له محال من اي جانب فرض لا ينتهض العودة اليومية نقضا علينا بناء على انها مسبوقة بعودات لا تتناهى فان لا تناهيها في جانب الازل محال عندنا وكنا قد كتبنا في بعض كتبنا بيان استحالة ذلك فان نقلت الكلام الى فيض الواجب قلت الفيض الواقع في زمان الحال مسبوق بافاضات غير متناهية لاستحالته قلنا لو سلمنا ذلك لكنه لا يستحيل في الواجب لان وجوده واوصافه المعتبرة كلها مقتضيات ذاته ومقتضى ذات الشيء يدوم بدوام الشيء ويستحيل انفكاكه عنه فلا نهاية فيضانه تابعة للمسبوقية بغيره وكون وجوده من ذاته ولا يلزم من كون مطلق الفيض ازليا ان يكون الفيض المخصوص ازليا واذا ثبت وجوب انتهاء الظاهر المفروض الى ما هو ظاهر في نفسه بنفسه ثبت المطلوب وهو وجود نور الانوار تعالى شانه وبهر برهانه وهو نهاية الممكنات في جانب الازل وبدايتها في جانب الابد فهو قديم ازلي ولان وجوده مقتضى ذاته وما بالذات لا يزول فهو الباقي الدائم هذا ما سنح من المنبهات لهذا الضعيف ثبتها في هذا الكتاب الشريف ليبقى ان شاء الله على وجه الدهر وينظر فيها من هو من اهلها في كل عصر والله المستعان قال بعض العقلاء من لطم على وجه صبي فذلك اللطم يدل على وجود الصانع المختار وعلى حصول التكليف وعلى ثبوت دار الجزاء وعلى ضرورة بعثة الانبياء اما الاول فلان الصبي يصيح ويقول من الذي ضربني وما ذاك الا بشهادة فطرته على ان هذا اللطم لما حدث بعد عدمه وجب ان يكون حدوثه لاجل فاعل مختار ادخله في الوجود واذا كان هذا حال الحادث مع حقارته فما ظنك بجميع الحوادث الكائنة في العالم العلوي والعالم السفلي واما دلالته على وجوب التكليف فلان ذلك الصبي ينادي ويصيح ويقول لم ضربني ذلك الضارب وفيه دلالة على ان الافعال الانسانية داخلة تحت التكليف وان الانسان ما خلي حتى يفعل اي شيء اشتهى واما دلالته على الجزاء فلانه يطلب الجزاء على ذلك اللطم ولا يتركه ما امكنه واذا كان الحال في هذا العمل القليل كذلك فكيف يكون الحال في جميع الاعمال واما وجوب النبوة فلانهم يحتاجون الى انسان يبين لهم ان العقوبة الواجبة على ذلك القدر من الجناية كم هي ولا فائدة في بعثة الانبياء الا بيان الشرائع والاحكام ومما يدعو العاقل الى الاعتراف بالمبدأ والمعاد انه لو اقر بهما ثم بان ان الامر على خلافه فلا ضرر فيه البتة اما اذا انكر الصانع والتكليف والجزاء وكانت هذه الامور في الخارج ثابتة حقة ففي انكارها اعظم المضار فيلزم على العاقل ان يعترف بهذه الامور اخذا بالاحوط ثم ان الرسل بعد التنبيه على وجود الصانع ذكروا فائدة الدعوة وغايتها وذلك شيئان الاولى قوله يدعوكم الى الايمان ليغفر لكم من ذنوبكم استدل بالاية من جوز زيادة من في الاثبات وذلك لقوله تعالى في موضع اخر ان الله يغفر الذنوب جميعا واجيب بانه لا يلزم من غفران جميع الذنوب لامة محمد صلعم غفران جميع الذنوب لغيرهم فالوجه ان يكون من للتبعيض تمييزا بين الفريقين ويؤيد ما ذكرنا استقراء الآيات فانها ما جاءت للكافرين الا مقرونة بمن كما في هذه الآية وفي سورة الاحقاف وقال في خطاب المؤمنين في سورة الصف يغفر لكم ذنوبكم بغير من وقيل اراد انه يغفر لهم ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم وقيل من للبدل اي ليكون المغفرة بدلا من الذنوب ضعيف لانه لم يوجد له في اللغة نظير وعن الاصم انه اراد اذا تبتم يغفر لكم بعض الذنوب التي هي الكبائر فاما الصغائر فلا حاجة الى غفرانها لانها في نفسها مغفورة وزيفه القاضي بان الصغيرة انما تكون مغفورة من الموحد من حيث يزيد ثوابه على عقابها فاما من لا ثواب له اصلا فلا يكون شيء من ذنوبه صغيرا ولا كبيرا مغفورا وقيل المراد ان الكافر قد ينسى بعض ذنوبه في حال توبته وايمانه فلا يكون المغفور منها الا ما ذكره وتاب منه وقال الامام فخر الدين الرازي في الاية دلالة على انه تعالى قد يغفر ذنب اهل الايمان من غير توبة لانه وعد بغفران بعض الذنوب مطلقا من غير اشتراط التوبة وذلك البعض ليس هو الكفر لانعقاد الاجماع على انه تعالى لا يغفر الكفر الا بالتوبة عنه والدخول في الايمان فوجب ان يكون ذلك البعض هو ما عدا الكفر من الذنوب ولقائل ان يقول لا نسلم انه لم يشترط التوبة في الاية لان قوله يدعوكم اي الى الايمان معناه امنوا ليغفر لكم فكانه

قيل ان الايمان شرط غفران بعض الذنب فلم لا يجوز ان يكون ذلك البعض هو الكفر الفائدة الثانية قوله ويؤخركم الى اجل مسمى عن ابن عباس اي يمتعكم في الدنيا باللذات والطيبات الى الموت الطبيعي ولا يعاجلكم بعذاب الاستيصال وقد مر تحقيق الاجل في اول الانعام ثم شرع في حكاية شبه الكفار والفاظها ثلاث الاولى قولهم ان انتم الا بشر مثلنا وذلك لاعتقادهم ان الاشخاص الانسانية متساوية في تمام الماهية فيمتنع ان يبلغ التفاوت بينهم الى هذا الحد مع اشتراك الكل في ضروريات البشرية من الحاجة الى الاكل والشرب والوقاع وغير ذلك الثانية التمسك بطريقة التقليد وذلك قولهم تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا الثالثة انكارهم دلالة المعجزة على الصدق وعلى تقدير التسليم زعموا انهم ما اتوا بمعجزة اصلا لاعتقادهم ان معجزاتهم من جنس الامور المعتادة فاقترحوا سلطانا مبينا اي برهانا باهرا ومعجزة قاهرة ثم ان الانبياء سلموا انهم بشر مثلهم ولكنهم وصفوا انفسهم بمزية من عند الله بطريق المنة والعطية وبهذا استدل من جعل النبوة محض العطاء من الله اجاب المخالف بانهم لم يذكروا فضائلهم النفسانية والجسمانية تواضعا منهم ولانه قد علم انه لا يختصهم بتلك الكرامة الا وهم اهل لها لخصائص فيهم واما الشبهة الثانية فانهم لم يذكروا الجواب عنها لان صحة النبوة تهدم قاعدة التقليد واما الشبهة الثالثة فجوابها ما كان لنا اي ما صح منا ان ناتي باية اقترحتموها من تلقاء انفسنا وانما ذلك امر يتعلق بمشية الله والظاهر ان الانبياء لما اجابوا عن شبهاتهم بما اجابوا فالقوم اخذوا في السفاهة والتخويف فعند ذلك قالت الانبياء وعلى الله فليتوكل المؤمنون الى قوله وعلى الله فليتوكل المتوكلون قال علماء المعاني الاول لاستحداث التوكل والثاني للسعي في ابقائه وادامته وقيل معنى الاول ان الذين يطلبون المعجزات يجب عليهم ان يتوكلوا في حصولها على الله لا علينا فان شاء اظهرها وان شاء لم يظهرها ومعنى الثاني ابداء التوكل على الله في دفع شر الكفار وسفاهتهم وفي قولهم وقد هدانا سبلنا اشارة الى ما سهل الله عليهم من طريقة التكميل والارشاد وتحمل اعباء الرسالة والصبر على متاعبها فان تاثير نفوسهم في عالم الارواح كتاثير الشمس في عالم الاجسام بالاضاءة والانارة وقد عرفوا بالنفوس المشرقة بالانوار الالهية وبالوحي الصريح انه تعالى يعصمهم من كيد الاعداء ومكر الحساد وفي قولهم ولنصبرن على ما اذيتمونا دليل على ان الصبر مفتاح الفرج ومطلع الخيرات ومثمر السعادات اما قول الكفار للرسل او لتعودن في ملتنا فقد مر البحث عنه في سورة الاعراف في قصة شعيب قال صاحب الكشاف العود ههنا بمعنى الصيرورة حلفوا ان يخرجوهم البتة الا ان يصيروا كافرين مثلهم فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين اجرى الايحاء مجرى القول لانه ضرب منه واضمر القول عن النبي صلعم من اذى جاره ورثه الله داره ذلك اي الذي قضى الله به من اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم حق لمن خاف مقامي يريد موقف الله الذي يقف فيه عباده يوم القيمة وهو موقف الحساب والمقام مصدر اي خاف قيامي عليه بالحفظ والمراقبة كقوله افمن هو قائم على كل نفس او قيامي بالعدل والصواب مثل قائما بالقسط او المقام مقحم اي خافني مثل سلام الله على المجلس العالي وخاف وعيد قال الواحدي هو اسم من الايعاد التهديد قال المحققون الخوف من الله مغاير للخوف من وعيد الله كما ان حب الله مغاير لحب ثواب الله وهذه فائدة عطف احد الخوفين على الاخر قوله واستفتحوا الضمير اما للرسل والمعنى استنصروا الله على اعدائهم او استحكموا الله وسئلوه القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة واما للكفرة بناء على ظنهم انهم على الحق والرسل على الباطل وعلى الاول يكون في الكلام اضمار التقدير فنصروا وفازوا بالمقصود وخاب كل جبار عنيد معاند واصل العنود الميل من العند الناحية والجانب كان كلا من المتعاندين في جانب اخر قيل الجبار هو المتكبر اشارة الى ان فيه خلق الاستكبار والعنيد اشارة الى الاثر الصادر عن ذلك الخلق وهو كونه مجانبا للحق منحرفا عنه واصل الكلام على الاول واستفتح الرسل وخاب الكفرة بان سبب خيبتهم عن السعادة الحقيقية تجبرهم وعنادهم من ورائه اي من بين يديه يقال الموت وراء كل احد وذلك ان قدام وخلف كلاهما متوار عن الشخص الحلاقي فصلح لفظ وراء على كل واحد منهما وقال ابو عبيدة هو من الاضداد لان احدهما ينقلب الى الاخر وهذا وصف حاله في الدنيا او في الاخرة حين يبعث ويوقف قال جار الله قوله ويسقى معطوف على محذوف تقديره يلقى في جهنم ما يلقى ويسقى من ماء صديد اي من ماء بيانه او صفته هذا والصديد ما يسيل من جلود اهل النار واشتقاقه من الصد لانه يصد الناظر عن رؤيته او تناوله وقيل يخلق الله في جهنم ما يشبه الصديد في النتن والغلظ والقذارة يتجرعه يتكلف جرعه ولا يكاد يسيغه اي لا يقارب الاساغة فضلا عن الاساغة قيل ليس المراد بالاساغة مجرد حصول المشروب في الجوف لان هذا المعنى حاصل لاهل النار بدليل قوله يصهر به ما في بطونهم وانما المراد جريان المشروب في الحلق بالاستطابة وقبول النفس لا بالكراهة والتاذي قلت يحتمل ان يراد بالاساغة مجرد الحصول ولا نزاع في قوله يصهر به لا يدل على الحصول لقوله قبله يصب من فوق رؤسهم الحميم ويأتيه الموت من كل مكان من جسده حتى من ابهام رجله وقيل من اصل كل شعرة وقيل المراد ان موجبات الموت احاطت به من جميع الجهات ومع ذلك فانه لا يموت فيهلك ولا يحيى ثم اخبر والعياذ بالله ان العذاب في كل وقت يستقبله من الاوقات المستقبلة يكون اشد وانكى مما قبله فقال ومن ورائه عذاب غليظ عن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد قال في الكشاف يحتمل ان يكون اهل مكة استفتحوا اي استمطروا والفتح المطر في سني القحط التي سلطت عليهم بدعوة رسول الله صلعم فلم يسقوا فذكر سبحانه ذلك وانه خيب رجاء كل جبار عنيد وانه يسقى في جهنم بدل سقياه ماء اخر وهو صديد اهل النار وعلى هذا التفسير يكون قوله واستفتحوا كلاما مستانفا منقطعا عن حديث الرسل واممهم التاويل بسم الله اي باسم الذات وهو الاسم الاعظم ابتدأت بخلق عالم الدنيا اظهار الصفات الرحمانية التي هي للمبالغة لاشتراك الحيوان والجماد والمؤمن والكافر في الرحمة وبخلق عالم الاخرة اظهار الصفة الرحيمية لاختصاصها بالمؤمنين خاصة فقوله الر اي بالالاء وبلطفي انا نقرأن انزلناه اليك لتخرج

الناس بدلالة نوره من ظلمات عالم الطبيعة والكثرة الى نور عالم الروح والوحدة باذن ربهم الذي ربيهم هو لا انت وفي قوله الى صراط اشارة الى ان الفناء
هو طريق الوصول الى من احتجب بحجب العزة واستتر باستار مظاهر القهر واللطف وفي الاختتام بقوله الله الذي له ما في السموات وما في الارض اشارة
الى ان يفنى في افعاله وهي المكونات ليصل الى صفاته ويصل الى ذاته ومن وصل الى ذاته بالخروج عن انانيته الى هويته اتصف بصفاته وافعاله وويل
للكافرين من شدة الم الانقطاع عن الله ثم اخبر ان الكافر الحقيقي هو الذي قنع بالايمان التقليدي فاقبل على الدنيا واعرض عن المولى فضلوا
الا بلسان قومه اي يتكلم معهم بلسان عقولهم ولقد ارسلنا بواسطة جبرئيل الجذبة موسى القلب باياتنا عصا الذكر واليد البيضاء من الصدق
والاخلاص ان اخرج قومك وهم الروح والسر والخفي من ظلمات الوجود المجازي الى نور الوجود الحقيقي وذكرهم بايام الله التي كان الله ولم يكن معه بشيء وهو
يحييهم بلا هم ان في ذلك التذكير لايات في فناء الوجود لكل صبار بالله مع الله عن غير الله شكور لنعمة الوجود الحقيقي ببذل الوجود المجازي ولئن
شكرتم بالطاعة لازيدنكم في القربة اليكم لازيدنكم في محبتي لكم لازيدنكم في الخلعة لازيدنكم في الوصول لازيدنكم في التجلي ولئن شكرتم
في التجلي لازيدنكم في الفناء عنكم ولئن شكرتم في الفناء لازيدنكم في البقاء ولئن شكرتم في البقاء لازيدنكم في الوحدة ولئن كفرتم نعمتي في
المعاملات كلها ان عذابي في قطعي لشديد وقال موسى القلب ان تكفروا انتم ايها الروح والسر والخفي بالاعراض عن الحق والاقبال على متابعة
النفس ومن في ارض البشرية من النفس والهوى والطبيعة يدعوكم من المكونات الى الملكوت ليغفر لكم بصفة الغفارية من ذنوبكم التي اصابتكم من
حجب عالم الخلق ويؤخركم في التخلق باخلاقه الى اجل مسمى هو وقت الفناء في الذات وعلى الله فليتوكل المتوكلون للتوكل مقامات توكل المبتدي
قطع النظر عن الاسباب في طلب المرام ثقة بالمسبب وتوكل المنتهي قطع تعلق ما سوى الله والاعتصام به ذلك لمن خاف مقامي هو مقام الوصول
الي فان هذا مقام الاخص واما خوف الخواص فعن مقام الجنة وخوف العوام عن مقام النار وخاب كل جبار عنيد القطيعة واستنصر القلب والروح من
امر الله على النفس والهوى من ورائه اي قدام النفس في متابعة الهوى جهنم الصفات الذميمة ويسقى من ماء صديد هو ما يتولد من الصفات
والاخلاق من الافعال الرذيلة يسقى من ماء صديد هو ما يتولد من الصفات يسقى منه صاحب النفس الامارة يتجرعه بالتكلف ولا يكاد يسيغه
لانه ليس من شربه ويأتيه اسباب الموت من كل مكان من كل فعل مذموم ومن ورائه عذاب غليظ هو عذاب القطيعة والبعد والله اعلم بالصواب
مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ
الضَّلَالُ الْبَعِيدُ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ
بِعَزِيزٍ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ
مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ
إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي
وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا
سَلَامٌ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ
بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا
لَهَا مِنْ قَرَارٍ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ
مَا يَشَاءُ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ وَجَعَلُوا لِلَّهِ
أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَا
هُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَ
سَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ
القراءات الرياح على الجمع ابو جعفر ونافع الباقون على التوحيد خالق السموات والارض بلفظ اسم الفاعل حمزة وعلي وخلف الباقون بلفظ الفعل
سبلنا باسكان الباء حيث كان ابو عمرو ولي عليكم بفتح الياء حفص بمصرخي بكسر الياء حمزة الاخرون بالفتح اشركتمون بالياء في الحالين سهل ويعقوب
وافق ابو عمرو ويزيد وقتيبة واسمعيل في الوصل البوار ممالة ابو عمرو وعلي ليضلوا بفتح الياء ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب
الباقون بضمها لعبادي الذين مرسلة الياء ابن عامر وحمزة وعلي ويعقوب الاعشى الباقون بالفتح من كل بالتنوين يزيد وعباس الباقون
بالاضافة الوقوف عاصف ط بناء على ان ما بعده مستانف كأن سائلا قال هل يقدرون من اعمالهم على شيء البعيد ط
بالحق ط جديد لا لان ما بعده تتمة معنى الكلام بعزيز من شيء ط لهديناكم ط محيص ط فاخلفتكم ط فاستجبتم لي ج لاختلاف الجملتين انفسكم ط لابتداء النفي بمصرخي ط
ومن قال ان الابتداء بقوله اني كفرت فبحق ان الكفر بالاشراك واجب كالايمان من قبل ط اليم باذن ربهم ط سلام في السماء لا

ربها ط يتذكرون السبع الرابع من قرار ط وفي الاخرة ج لتكرار اسم الله تعالى في الفعلين مع ان كليهما مستقل بخلاف قوله ويفعل الله لان في المعنى
بيان قوله ويضل الله ما يشاء البوار لا جهنم لا لان ما بعده يصلح استينافا او حالا من فاعل احلوا او من مفعوله او من كليهما يصلونها ط القرار
عن سبيله ط الى النار ولا خلال ز لقولك بالمراجع الانهار ج دائبين ج والنهار ج لحسن هذا الوقوف مع العطف لتفصيل النعم تنبيها على الشكر
سألتموه ط لابتداء الشرط مع تمام الكلام لا تحصوها ط كفار التفسير لما ذكر في الايات المتقدمة انواع عذاب الكفار اراد ان يبين غاية خسرانهم
ونهاية خيبتهم فقال مَثَلُ الَّذِينَ وارتفاعه عند سيبويه على الابتداء والخبر محذوف اي فيما يتلى او يقص عليكم مثلهم وقوله اعمالهم
كرماد جملة مستانفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم وقال الفراء المضاف محذوف اي مثل اعمال الذين كفروا وانما جاز حذفه
استغناء بذكره ثانيا وقيل المثل صفة فيها غرابة فاخبر عنه بالجملة المراد صفة الذين كفروا اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله
غير مخزون ويجوز ان يكون اعمالهم بدلا والخبر كرماد وحده والمراد باعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وفداء
الاسارى وعقر الابل للاضياف واغاثة الملهوفين واعانة المظلومين شبهها في حبوطها لبنائها على غير اساس التوحيد والايمان برماد طيرته
الريح في يوم عاصف قال الزجاج جعل العصف لليوم وهو لما فيه يعني الريح مجازا كقولك يوم ماطر قال الفراء وان شئت قلت في يوم ذي
عصوف او في يوم عاصف الريح فحذف لذكره مرة وقيل المراد من اعمالهم عبادتهم للاصنام ووجه خسرانهم انهم اتعبوا ابدانهم فيها دهرا طويلا
ثم لم ينتفعوا بها بل تضرروا به وقوله مما كسبوا على شيء القياس عكسه كما في البقرة لان على من صلة القدرة ولان مما كسبوا صفة
لشيء ولكنه قدم في هذه السورة لان الكسب يعني العمل الذي ضرب له المثل هو المقصود بالذكر ولهذا اشار اليه بقوله ذلك هو الضلال
البعيد اي عن الحق والثواب ثم كان لسائل ان يسئل كيف يليق بحكمته اضاعة اعمال المكلف فقال ألم تر ان الله خلق السموات والارض
بالحق متسقة للفوائد والحكم دالة على وجود الصانع القدير فحبوط الاعمال انما يلزم من كفر المكلفين وكونها غير مبنية على قاعدة الايمان والاخلاص
لا من انه سبحانه يمكن ان يوجد في افعاله عبث وخلل او سهو ثم بين كمال قدرته واستغنائه عن الظلم والقبائح وعن عمل كل عامل فقال ان يشأ
يذهبكم وتقدم مثله في سورة النساء وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر لانه قادر الذات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور فان قيل الغرض من
الاية اظهار القدرة وزجر المكلفين عن المعصية وذلك تمام بقوله ان يشأ يذهبكم فما فائدة قوله ويأت بخلق جديد وهل فيه دليل على ان الفناء
لا يوجد بدون الفيض قلنا على تقدير تسليمه لا ينحصر الفائدة فيه بل لعل الفائدة هي تاكيد التخويف فان النائم من تصور العدم المجرد ليس كالنائم
من تصور عدمه مع اقامة غيره مقامه على ان الاذهاب لا يلزم منه الاعدام فيكون شبيها بعزل شخص ونصب غيره مقامه وللحكيم ان يستدل بقوله
يذهبكم على ان مادة الجوهر لا تعدم وانما تعدم الصور والاعراض والجواب ان الاذهاب ههنا بمعنى الاعدام ولو سلم فلا يلزم من عدم وقوع الاعدام
ههنا امتناعه في جميع الصور وفيه انه الحقيق بان يخشى عقابه ويرجى ثوابه فلذلك اتبعه احوال الاخرة فقال وبرزوا بلفظ الماضي تحقيقا للوقوع
مثل وسيق ونادى والتركيب يدل على الظهور بعد الخفاء ومنه امرأة برزة اذا كانت تظهر للناس وبرز فلان على اقرانه اذا فاقهم ومعنى بروزهم لله
وهو سبحانه لا يخفى عليه شيء انهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان ذلك خاف على الله فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله
فاذا كان القيمة انكشفوا لله عند انفسهم وعلموا ان الله لا يخفى عليه خافية او المضاف محذوف اي برزوا لحساب الله وحكمه قال ابو بكر الاصم قوله وبرزوا
لله هو المراد من قوله ومن ورائه عذاب غليظ وعلى قواعد الحكماء النفس اذا فارقت الجسد زال الغطاء وكشف الوطاء وظهرت عليها آثار الملكات
والهيئات التي كان يمنعها عن الشعور بها اشتغالها بعالم الحس فذلك هو البروز لله فان كانوا من السعداء برزوا لموقف الجمال بصفاتهم القدسية
وهيئاتهم النورية فما اجل تلك الاحوال وياطوبى لاهل النوال وان كانوا من الاشقياء برزوا لموقف الجلال باوصافهم الذميمة وهيئاتهم المظلمة
فما اعظم تلك الفضيحة وما اشنع تلك الهيئة ثم كتب الضعفؤا بواو قبل الهمزة على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو ومثله علمؤا بني اسرائيل
والضعفاء العوام والاراذل للذين استكبروا سادتهم واشرافهم الذين استكبروا عن عبادته تعالى فضلوا واضلوا قال الفراء اكثر اهل اللغة على
ان التبع جمع تابع كخدم وخادم وحرس وحارس وجوز الزجاج ان يكون التبع مصدرا اي ذوي اتباع اياكم في الكفر وفي الامور الدنيوية فهل انتم
مغنون هل يمكنكم دفع عذاب الله عنا ومن في من عذاب الله للتبيين وفي من شيء للتبعيض والمعنى هل تدفعون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب
الله او كلاهما للتبعيض بمعنى هل انتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله قالوا لو هدانا الله لهديناكم عن ابن عباس لو ارشدنا الله لا
رشدناكم قال الواحدي معناه انهم انما دعوهم الى الضلال لان الله اضلهم ولو هداهم لدعوهم الى الهدى وقال في الكشاف لعلهم قالوا
ذلك مع انهم كذبوا فيه كقولهم يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم واعترض عليه بان هذا خلاف مذهبه لانهم لا يجوزون
صدور الكذب عن اهل القيمة كما مر في اوائل الانعام في قوله والله ربنا ما كنا مشركين وجوز ايضا ان يكون المراد لو كنا من اهل اللطف
فلطف بنا ربنا واهتدينا لهديناكم الى الايمان وزيف بان كل ما في مقدور الله تعالى من الالطاف فقد فعله وقيل لو هدانا الله
طريق النجاة من العذاب لاغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة ويؤكد هذا التفسير قوله سواء علينا اجزعنا ام صبرنا والاعراب كقوله
سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم ارادوا انا طامعون من ... العذاب بالكلية او ارادوا ان عتاب الضعفاء لهم وتوبيخهم اياهم نوع

من الجزع ولا فائدة فيه ولا في الصبر وجوّز في الكشاف ان يكون قوله سواء علينا من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا نظيره وصل كلام انسان بكلام انسان اخر قوله ذلك ليعلم اني لم اخنه والمحيص المنجى والمهرب مصدر كالمغيب والمحيض او مكان كالمبيت والمصيف ولما ذكر مناظرة شياطين الانس اتبعها مناظرة شيطان الجن ومعنى قضى الامر قطع وفرغ منه وذلك حين انقضاء المحاسبة والاكثرون على انه بعد استقرار دخول الاشقياء النار والسعداء الجنة وعند اهل السنة هو بعد خروج الفساق من النار فليس بعد ذلك الا الدوام في الجنة او في النار يروى ان الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا في النار فيقول ان الله وعدكم وعد الحق وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الخلق وقضى بينهم يقول الكافرون قد وجد المسلمون من يشفع لهم من يشفع لنا ما هو الا ابليس هو الذي اضلنا فيأتونه ويسألونه فعند ذلك يقول هذا القول ووعد الحق من اضافة الموصوف الى صفته مثل مسجد الجامع وتأويله وعد اليوم الحق وهو البعث والجزاء على الاعمال وفي الاية اضماران الاول وعدكم وعد الحق فوفى لكم بما وعدكم الثاني ووعدتكم خلاف ذلك فاخلفتكم الوعد ووجه الاضمار الاول دلالة الحال عليه لانهم كانوا يشاهدونه وليس وراء العيان بيان ولان ذكر نقيضه وهو خلاف الوعد من الشيطان يغني عنه ووجه الثاني ايضا مثل ذلك ثم ذكر طريق وسوسته واعتذر انهم فقال وما كان لي عليكم من سلطان من تسلط وقهر فاقسركم على الكفر والمعاصي الا ان دعوتكم قال النحويون هذا الاستثناء منقطع لان الدعاء ليس من جنس السلطان فالمراد لكن دعائي اياكم الى الضلال بوسوسته ويمكن ان يوجه الاستثناء بالاتصال لان قدرة الانسان على حمل الغير على عمل من الاعمال تارة يكون بالقسر وتارة بتقوية الداعية في قلبه بالقاء الوساوس اليه فهذا نوع من انواع التسلط فلا تلوموني ولوموا انفسكم لانكم ما سمعتم مني الا الدعاء والتزيين وكنتم سمعتم دلائل الله وشاهدتم مجي انبيائه فكان من الواجب عليكم ان لا تغتروا بقولي ولا تلتفتوا الى قال المعتزلة في الاية دلالة على ان الانسان هو الذي يختار الشقاوة او السعادة وليس من الله الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين ولو كان الامر كما يزعم المجبرة لقال فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر واجبركم عليه وقول الشيطان وان لم يصلح للحجة الا ان عدم انكار الله تعالى عليه حجة هذا مع ان اول كلام اللعين مبني على الانصاف والصدق فكذا ينبغي ان يكون اخره قال المحققون الشيطان الاصلي هو النفس وذلك ان الانسان اذا احس بشيء وادركه ترتب عليه شعوره بكونه ملائما له او بكونه منافرا له ويتبع هذا الشعور الميل الجازم الى الفعل او الى الترك وكل هذه الاشياء من شأن النفس لان النفس الانسانية ايضا جوهر علوي مجرد فلا يبعد وصول اثر احدهما الى الاخر وذهب بعض الحكماء الى ان كل روح من الارواح البشرية فانه ينتسب الى روح معين من الارواح السماوية وانها تتولى ارشاد الارواح الانسانية الى مصالحها بالالهامات الحسنة حالتي النوم واليقظة هذا اذا كانت خيرة واما ان كانت شريرة فانها توسوسها بالخواطر والاعمال القبيحة والفداء كانوا يسمون كلا من تلك الارواح بالطباع التام وذكر بعض العلماء احتمالا اخر وهو ان النفوس البشرية اذا فارقت ابدانها قويت في تلك الصفات التي اكتسبتها في تلك الابدان وكملت فيها فاذا حدث نفس اخرى مشاكلة لتلك النفس المفارقة في بدن مشاكل لبدن تلك النفس المفارقة حدث بين تلك النفس المفارقة وبين هذا البدن نوع تعلق فيصير تلك النفس المفارقة معاونة لهذه النفس المتعلقة بهذا البدن ويعضدها على احوالها وافعالها فاذا كان هذا المعنى في ابواب الخير والشر كان الهاما وان كان في باب الشر كان وسوسة ثم حكى الله سبحانه عن الشيطان انه قال ما انا بمصرخكم قال ابن عباس بمغيثكم ولا منقذكم قال ابن الاعرابي الصارخ المستغيث والمصرخ المغيث صرخ فلان اذا استغاث وقال واغوثاه واصرخته اي اغثته وعاب النحويون على حمزة انه قرأ وما انتم بمصرخي بكسر الياء لان ياء الاضافة لا يكون الا مفتوحة حيث قبلها الف نحو عصاي فالياء اولى وقبلها ياء وحاصل ما عابوا عليه انهم لم يجد له نظيرا في استعمال العرب لكنك تعلم ان القران حجة على غيره قوله اني كفرت بما اشركتمون ان كانت ما مصدرية فالمعنى اني كفرت اي انا جاحد وما كان لي رضى باشراككم لي في الدنيا مع الله في الطاعة او في التدبير او تصرف في هذا العالم وان كانت موصولة على ما قاله الفراء من انها في معنى من كقوله سبحان ما سخركن لنا فالمراد اني كفرت من قبل حين ابيت السجود لادم بالله الذي اشركتمونيه ووجه نظم الكلام على هذا التفسير ان ابليس كانه يقول لا تأثير لوسوستي في كفركم بدليل اني كفرت بالله قبل ان كفرتم وما كان كفري بسبب وسوسة اخرى والا لزم التسلسل فثبت بهذا ان سبب الوقوع في الكفر شيء اخر سوى الوسوسة وهذا التقرير يناسب اصول الاشاعرة اما قوله ان الظالمين لهم عذاب اليم فالاظهر انه كلام الله ويشمل ابليس ومن تابعه من الثقلين وليس يبعد ان يكون من بقية كلام ابليس قطعا للاطماع او لتلك الكفار عن اعانته ثم شرع في احوال السعداء فقال وادخل على لفظ الماضي تحقيقا للوقوع وقوله باذن ربهم متعلق بادخل اي ادخلهم الملئكة الجنة باذن الله وامره وقرأ الحسن وادخل على لفظ المتكلم قال في الكشاف فعلى هذا يتعلق قوله باذن ربهم بما بعده يعني ان الملئكة يحيونهم باذن ربهم وقد تقدم معنى قوله تحيتهم فيها سلام في اول سورة يونس ثم لما بين احوال السعداء وكان قد ذكر احوال اضدادهم اورد ان يذكر لكل من الفريقين مثلا قال في الكشاف كلمة طيبة نصب بمضمر اي جعل كلمة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا او ضرب بمعنى جعل اي جعل الله كلمة طيبة مثلا ثم قال كشجرة طيبة وقال جل العقد الظن ان الوجه ان يجعل قوله كلمة عطف بيان وقوله كشجرة مفعولا ثانيا عن ابن عباس الكلمة الطيبة هي قول لا اله الا الله محمد رسول الله والشجرة الطيبة شجرة في الجنة وعن ابن عمر هي النخلة وقيل الكلمة الطيبة كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة والشجرة كل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان وغير ذلك وقيل لا حاجة بنا الى تعيين تلك الشجرة والمراد ان الشجرة الموصوفة ينبغي لكل عاقل ان يسعى في تحصيلها

وادخارها

وادخارها لنفسه سواء كان لها وجود في الدنيا او لم يكن اما صفات الشجرة فالاولى كونها طيبة ويشمل طيب المنظر والشكل وطيب الرائحة وطيب الطعم واللذة وطيب المنافع المتولدة منها والثانية اصلها ثابت اي راسخ امن من الانقطاع ولا شك ان الشيء الطيب انما يكمل الفرح بوجدانه اذا امن انقراضه وزواله والثالثة وفرعها في السماء اي في جهة العلو وهكذا انما يكون لرسوخ اصله فان الاصل كلما كان اقوى وارسخ كان الفرع اعلى واشمخ ومن فوائد ارتفاع الاغصان بعدها عن عفونات الارض ونقاؤها عن الاقذار قال في الكشاف فرعها اعلاها ورأسها ويجوز ان يريد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس له الصفة الرابعة تؤتي اكلها كل حين اي تعطي ثمرها كل وقت وقته الله لاثمارها عن ابن عباس الحين ستة اشهر لان من حملها الى صرامها ستة اشهر وقال مجاهد وابن زيد سنة لان الشجرة من العام الى العام تحمل الثمرة ولا سيما النخلة اذا تركوا عليها الثمر يبقى من السنة الى السنة وقال الزجاج الحين الوقت طال ام قصر والمراد انه ينتفع بها في كل وقت يفرض ليلا او نهارا صيفا وشتاء باذن ربها بتيسير خالقها وتكوينه قال المحققون معرفة الله تعالى والاستغراق في محبته وطاعته هي الشجرة الطيبة ولا لذة الا هي لان المدركات المحسوسة انما تشعر مدركها بملاقاة شيء من المحسوس شيئا من الحواس اما نور معرفة الله واشراقها فانما يتقد ويسري في جميع جواهر النفس حتى انه يكاد يجد برد ان سائر اللذات منقطعة متناهية ولذة المعرفة لا يكاد ينتهي الى حد ولان عروق هذه الشجرة ثابتة راسخة في جوهر النفس الناطقة ولها شعب واغصان صاعدة في هواء العالم الروحاني منتهية الى التعظيم لامر الله ومنشؤها القوة النظرية وغايتها الحكمة العملية باقسامها واصولها وفروعها واغصانها ثابتة في فضاء العالم الجسماني ومنشؤها القوة العملية وفائدتها الحكمة الخلقية التي يجمعها الشفقة على خلق الله عموما وخصوصا واثر رسوخ شجرة المعرفة في القلب ان يكون نظره للاعتبار فاعتبروا يا اولي الابصار وسمعه للحكمة الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه ونطقه بالصدق والصواب وقولوا قولا سديدا وكذا الكلام في سائر القوى والاعضاء وهنالك مراتب لا تكاد تحصى ومراتب الاستعداد واذا صار جوهر النفس كاملا بحسب هذه الفضائل فقد يكون مكملا لغيره وذلك قوله تؤتي اكلها كل حين وفي قوله باذن ربها اشارة الى ان التطوع في جميع هذه المراتب يجب ان يكون على المفيض لا على الفيض وعلى المنعم لا على النعمة ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون المبدأ وعرفانه والمعاد واتيانه فيختار الكمال على النقصان واثر العرفان للمعروف لا للعرفان فيكون روح جوهر نفسه كلمة طيبة كما قال في حق عيسى كلمة من الله واذا عرفت الكلمة الطيبة والشجرة الطيبة سهل عليك معرفة ضديهما فالكلمة الخبيثة كلمة الشرك او كل كلمة قبيحة او كل نفس شريرة والشجرة الخبيثة الباطل او كل شجرة لا يطيب ثمرها كشجر الحنظل والثوم ونحو ذلك ومعنى اجتثت استؤصلت وحقيقة الاجتثاث اخذ الجثة كلها ما لها من قرار اي من استقرار مصدر كالثبات والثبات وعن قتادة انه قيل لبعض العلماء ما تقول في كلمة خبيثة فقال ما اعلم لها في الارض مستقرا ولا في السماء مصعدا الا ان يلزم عنق صاحبها حتى يوافي بها القيمة فكذا ذلك ان الباطل لا قائل به ولا يوافقه فيه من هو بصدد الاعتبار فهو مضمحل زائل والحق بنقيض ذلك بل الباطل لا يستقر صاحبه عليه ولا يحصل له منه برد اليقين وكذا النفس الخبيثة لا يكون لها طمأنينة ولا وقار بل ابدا تسعى في الطرق المضلة والسبل المنحرفة كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران ولما شبه حال الفريقين بما شبه بين مآل حالهما فقال يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت الذي ثبت بالحجة والبرهان وتمكن في قلب صاحبه بحيث لم يكن للتشكيك فيه مجال هذا في الحيوة الدنيا فلا جرم اذا فتنوا في دينهم لم يزلوا كاصحاب الاخدود والذين نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم بامشاط الحديد وتثبيتهم في الاخرة انهم اذا سئلوا في القبور لم يتلعثموا واذا وقفوا بين يدي الجبار لم يبهتوا عن ابن عباس من دام على الشهادة في الحيوة الدنيا يثبته الله عليها في قبره ويلقنه اياها وقد ورد في حديث سؤال القبر عن البراء بن عازب مثل ذلك والسبب العقلي يوجب رسوخ الملكة بحيث لا يزول بتبدل الاحوال وتقلب الاطوار وانما فسر الاخرة ههنا بالقبر لان الميت ينقطع بالموت عن احكام الدنيا ويدخل في احكام الاخرة يعني الاية يثبت الله الذين امنوا بالله وبالجملة الايمان به على ما امنوا به في الدارين ويثبتهم الله فيهما بسبب القول الثابت على القول الثابت وقيل معنى الاية يثبتهم الله على الثواب والكرامة بسبب القول والكرامة الثابت الذي كانت يصدر عنهم حال ما كانوا في الحيوة الدنيا وسيصدر عنهم حال ما يكونون في الاخرة ويرد عليه ان الاخرة ليست دار عمل وان كان قوله في الحيوة الدنيا متعلقا بقوله يثبت اي يثبتهم على الثواب في الدارين بسبب القول ورد عليه ان الدنيا ليست دار ثواب ويمكن ان يناقش في هذا الايراد لقوله سبحانه من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة ويضل الله الظالمين الذين وضعوا الباطل موضع الحق والشرك بدل التوحيد في الدارين فلا جرم اذا سئلوا في قبورهم قالوا لا ندري ويفعل الله ما يشاء من التثبيت والاضلال ولا اعتراض لاحد عليه او من منح الالطاف ومنعها كما يقتضيه الحكمة ثم عجب من حال ظالمي مكة بقوله الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله اي شكر نعمة كفرا اي وضعوا مكان الشكر الكفر او بدلوا نفس النعمة كفرا اي سلبوا النعمة فلم يبق معهم الا الكفر وذلك انه تعالى اسكنهم حرمه ووسع عليهم معايشهم واكرمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فلم يقوموا لشكر تلك النعم فضربهم بالقحط سبع سنين وقتلوا يوم بدر وبقي الكفر طوقا في اعناقهم واعناق من تابعهم وذلك قوله واحلوا قومهم دار البوار اي الهلاك وقوله جهنم عطف بيان وبئس القرار اي المقر مقصد رسمي به قوله ليضلوا من قرأ بضم الياء فاللام للغرض او للعاقبة ومن قرأ بفتحها فاللام للعاقبة لان العاقل لا يريد ضلال نفسه ولكنه قد يريد اضلال الغير لمصلحة دنيوية وانما حسن استعمال اللام لاجل العاقبة من حيث انها تشبه الغاية والغرض من قبل حصولها في اخر المراتب والمشابهة احد الامور المصححة للمجاز قل تمتعوا امر وعيد وتهديد قال جار الله ايذان بانهم لانغماسهم في التمتع بالحاضر مأمورون به قد امرهم امر مطاع هو امر الشهوة والمعنى ان دمتم على ما انتم عليه من الامتثال لامر الشهوة فان مصيركم الى النار وانما سمى عيش الكفار

تمتعا الا ان امهالهم في الدنيا على اي وجه يفرض يكون اسهل مما اعد لهم في الآخرة من العقاب من الذين نزل فيهم روي عن عمر انه قال
هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا الى حين وقيل هم متنصرة العرب جبلة بن
الايهم واصحابه ولما امر الكافرين بالتمتع بنعيم الدنيا اتبعه بذكر امر نبيه صلى الله عليه وسلم بحث المؤمنين على خلاف ذلك وهو الاقبال على ما ينفعهم في الآخرة
فقال قل لعبادي الذين آمنوا المقول محذوف لان جواب قل يدل عليه التقدير قل لهم اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا
وجوز بعضهم ان يكون المذكور هو المقول بناء على انه امر غائب محذوف اللام وانما حسن الحذف لان الامر الذي هو قل عوض منه
ولو قيل يقيموا الصلوة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز والخلال المخالة اراد انفقوا اموالكم في الدنيا حتى تجدوا ثواب ذلك الانفاق
في هذا اليوم الذي لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مصادقة وانما ينتفع بالانفاق لوجه الله ونفي المخالة في هذه الآية وفي قوله في البقرة لا بيع
فيه ولا خلة لا ينافي اثباتها في قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين لان المنفية هي التي سببها ميل الطبيعة ورغبة
النفس والمثبتة هي التي يوجبها الاشتراك في الايمان والعمل الصالح ولما ختم احوال المعاد عاد الى المبدأ فاخبر انه الذي خلق السموات والارض
وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وقد مر في اول البقرة والمراد من السماء جهة العلو وقيل نفس السماء وزيف بان الانسان
ربما كان واقفا على قلة جبل عال ويرى الغيم اسفل منه واذا نزل من ذلك الجبل يرى الغيم ماطرا عليه وسخر لكم الفلك كقوله في اواسط
البقرة والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وقد مر ومعنى بامره بتيسيره وتسييره لانه خلق موادها والهم صنعتها وجعل الماء بحيث يسهل
على جريها ولان الملك العظيم قلما يوصف بانه فعل وانما يقال انه امر بكذا ومنهم من حمل الامر على الظاهر اي بقوله كن وسخر لكم الانهار
وجه المنة فيها ان البحر قلما ينتفع به في العمارة والزراعة لعمقه وللملوحة فيفجر الله الانهار والعيون والابار الصالحة للانتفاع بها كما لا يخفى و
سخر لكم الشمس والقمر اي صيرهما تحت تصرفه وتسخيره بحيث يعود انتفاع ذلك عليكم من التسخين والترطيب والاضاءة والانارة لانهما من الالات
للانس وقوله دائبين نصب على الحال والدؤب مرور الشيء في العمل على عادة مطردة اي يدأبان في سيرهما وانارتهما وسائر منافعهما وخواصهما
وهكذا معنى التسخير في قوله وسخر لكم الليل والنهار اي قدر هذين العرضين المتعاقبين لراحة الانسان ولمعاشه ولما فصل طرفا من النعم اجمل
الباقية منها بقوله وآتاكم من كل ما سألتموه اي بعض جميع ما سألتموه ومن قرأ بالتنوين فما اما نافية والجملة نصب على الحال اي آتاكم من جميع ذلك
غير سائليه او موصولة بمعنى وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه وطلبتموه بلسان الحال ثم بين ان نعم الله على عبيده غير متناهية فقال وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها اي لا تقدرون على تعدادها لكثرتها بل لعدم تناهيها قال الواحدي النعمة ههنا اسم اقيم مقام المصدر كالنفقة بمعنى الانفاق
ولهذا لم يجمع ومن تأمل في تشريح الابدان بصيرة في اعضاء الحيوان واجزائها من العروق الدقاق والاوردة والشرايين وفي كل واحد من الاعضاء
البسيطة والمركبة ووقف على منافعها عرف بعض دقائق نعم الله تعالى على عباده واذا تجاوز الانفس الى الآفاق وسير فكره في احوال الاجسام السفلية
والعلوية ووقف من بديع صنعها وعظم منفعتها على ما يقتضيه العجب واذا عبر الملك الى الملكوت وقع في اودية الحيرة والدهشة وتلاشى عقله
عند لمعان سرادقات العزة والهيبة قال الحكيم اذا اخذت اللقمة الواحدة لتضعها في الفم فانظر الى ما قبلها والى ما بعدها اما التي قبلها فكالخبز
الطحن والزرع وغير ذلك من الالات المعينة والاسباب الفاعلية والقابلية حتى ينتهي الى الافلاك والعناصر واما التي بعدها فكالقوى
المعينة على الجذب والامساك والهضم والدفع وكالاعضاء الحاملة لتلك القوى وكسائر الامور النافعة في ذلك الباب خارجة من البدن
او داخلة فيه فانها لا تكاد تنحصر واذا كانت نعم الله تعالى في تناول لقمة واحدة تبلغ هذا المبلغ فكيف فيما جاوز ذلك هذا اذا كنت في عالم
الاجسام فاذا تخطيت الى عالم الارواح وجلت طرف عقلك في مبادي القدس وحظائر الانس وصادفت بعض ما هنالك من الكرامات
واللذات فلعلك تعرف حق النعمة اذ تغرق في لجة المنة او تغرق من بحر المحنة والنعم هنالك على وفق الاستعداد وادراك النعم بمقدار الفهم
والرشاد فان كنت هلالها فذاك والا فلم الانفس ان الانسان اي هذا الجنس لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها كفار شديد
الكفران لها وذلك انه مجبول على النسيان والملالة فلا بد ان يقع في اغفال شكر النعمة ان نسيها او في كفران النعمة اذا ملها وقيل ظلوم في
الشدائد بالشكاية والجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع واعلم انه ختم الآية في هذه السورة بما ختم وختمها في النحل بقوله ان الله لغفور رحيم
وكانه قال ان كنت ظلوما فانا غفور وان كنت كفارا فانا رحيم فلا اقابل تقصيرك الا بالتوفير ولا اجازي جفاك الا بالوفاء تلك صفتك
في الاخذ وهذه صفتي في الاعطاء التأويل وبرزوا من القشور القالبية لله جميعا من القوي والضعيف فقال الضعفاء وهم المقلدة للذين
استكبروا من المبتدعين اني كفرت بما اشركتمون من قبل العين حين لا ينفع نفسا ايمانها وادخل فيه اشارة الى ان الانسان اذا خلي وطباعه
لا يدخل الجنة لانه خلق ظلوما جهولا بسفلي الطبع وانما يدخله الله بفضله وعنايته جنات القلوب تجري من تحتها انهار الحكمة خالدين
فيها باذن ربهم اي بعنايته والا لم يبق فيها ساعة كما لم يبق آدم تحيتهم اهل القلوب لسلامة قلوبهم وتحيتهم على اهل النفوس لمرض قلوبهم ليسلموا
من شر نفوسهم واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما الم تر اي الم تشاهد بنور النبوة كيف ضرب الله مثلا للاستعداد الانساني القابل
للفيض الالهي دون سائر المخلوقات كلمة طيبة هي كلمة التوحيد كشجرة طيبة عن لوث الحدوث مثمرة ثمار شواهد انوار القدم اصلها ثابت في الحضرة

الالهية فالقاصفة فانه بدايتها وفرعها في سماء القلوب تؤتي اكلها من انوار المشاهدات والمكاشفات كل حين يتقرب العبد الى ربه يتقرب الرب
تعالى اليه ويضرب الله الامثال للناس لمن نسي العهد الاول لعلهم يتذكرون الحالة الاولى فيسعون في تداركها ومثل كلمة خبيثة اجتثت
من فوق ارض البشرية ما لها من قرار لانها من الاعمال الفانيات لا من الباقيات الصالحات يثبت الله الذين آمنوا ايمانهم في مقام الايمان بملازمة كلمة
لا اله الا الله والسير في حقائقها في الحيوة الدنيا وفي الآخرة لان سير اصحابها بالاعمال ينقطع بالموت وسير ارباب الاحوال لا ينقطع ابدا الا ان احلوا
قومهم ارواحهم وقلوبهم ونفوسهم وابدانهم انزلوا ابدانهم جهنم البعد ونفوسهم الدركات وقلوبهم العمى والصمم والجهل وارواحهم العلوية اسفل
سافلين الطبيعة فبدلوا نعم الاخلاق الحميدة كفر الاوصاف الذميمة الله الذي خلق سموات القلوب وارض النفوس وانزل من سماء القلوب ماء
الحكمة فاخرج به ثمرات الطاعات رزقا لارواحكم وسخر لكم فلك الشريعة لتجري في بحر الطريقة بامر الحق لا بالهوى والطبع وكم لارباب المطلب من سفن
انكسرت بنكباء الهوى وسخر لكم انهار العلوم الدينية وشمس الكشوف وقمر المشاهدات وليل البشرية ونهار الروحانية ومعنى التسخير في الكل
جعلها اسبابا لاستكمال النفس الانسانية وآتاكم من كل ما سألتموه من سائر الاشياء المعينة على ذلك فجميع العالم بالحقيقة تبع لوجود الانسان
وسبب لكماليته وهو ثمرة شجرة المكونات فلذلك قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لان مخلوقاته غير محصورة وكلها مخلوق لاستكمال الانسان ان الانسان
لظلوم بافساد استعداده كفار لا يعرف قدر نعمة الله في حقه وَإِذْ قَالَ إِبْرٰهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَ
اجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي
فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا
لِيُقِيمُوا الصَّلٰوةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ
رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللّٰهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي
ع وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمٰعِيلَ وَإِسْحٰقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلٰوةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي
رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللّٰهَ غَافِلًا
عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ
وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ
نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ
ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللّٰهِ
مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللّٰهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ
ذُو انْتِقَامٍ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمٰوَاتُ وَبَرَزُوا لِلّٰهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ
مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ لِيَجْزِيَ اللّٰهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللّٰهَ
سَرِيعُ الْحِسَابِ هٰذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ

القراءة ابراهام بالالف هشام والاخفش عن ابن ذكوان اني اسكنت بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ومن عصاني بالامالة على
دعائي بالياء في الحالين ابن كثير ويعقوب وقرأ ابو عمرو ويزيد وورش وحمزة وسهل والبرجمي والخزاز عن هبيرة واحمد بن فرج عن ابي عمرو
عن اسمعيل بالياء في الوصل والباقون والهاشمي عن ابن فليح بغير ياء في الحالين نؤخرهم بالنون عباس والمفضل في رواية ابي زيد الاخرون
بالياء لتزول بفتح اللام الاول ورفع الاخر على الباقون بكسر الاول ونصب الاخر القهار مثل البوار قطر بكسر القاف وسكون الطاء والراء
مكسورة منونة ان على انه اسم فاعل زيد عن يعقوب والوقف على قراءته لن بالياء الوقوف الاصنام ط من الناس ج فانه مني ج لفصل بين النقيضين مع اتحاد
الكلام رحيم المحرم لا لان قوله ليقيموا يتعلق بقوله اسكنت وكلمة ربنا تكرار يشكرون وما نعلن ط وما في السماء الا واسحق ط الدعاء ومن ذريتي ز
ند قيل والوصل اولى للعطف وربنا تكرار دعاء الحساب ع الظالمون ط الابصار لا لان ما بعده حال طرفهم ج لاحتمال ان قوله وافئدتهم يكون
من صفات اهل المحشر وان يكون من صفة الكفار في الدنيا هواء ط قريب لا لان قوله نجب جواب اخرنا الرسل ط زوال لا للعطف على اقسمتم الامثال
وعند الله مكرهم ط الجبال رسله ط انتقام ط فان انتقامه لا يختص بوقت التقدير اذكر يوم القهار ج لاختلاف الاية ولان الجملة بعد من
صفات المجرمين النار لا لتعلق لام كي ما كسبت ط الحساب الالباب التفسير ان قصة ابرهيم يحتمل ان يكون مثالا للكلمة الطيبة وان يكون
دعاء الى التوحيد وانكار العبادة الاصنام وان يكون تعديدا لبعض نعمه على عبيده فان وجود الصالحين لاسيما الانبياء والمرسلين
رحمة فيما بين العالمين كما قال لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا وذلك بدعاء ابرهيم ومن نسله ص وعلى نبينا ص حكى الله سبحانه عنه
طلب امور منها قوله رب اجعل هذا البلد امنا وقد مر في البقرة الفرق بين هذه العبارة وبين ما هنالك ولا ريب ان في مكة مزيد امن
ببركة دعائه حتى ان الناس مع شدة العداوة بينهم كانوا يتلاقون بمكة فلا يخاف بعضهم بعضا وكان الخائف اذا التجأ بمكة امن وللوحوش هناك
استيناس ليس في غيرها وانما قدم طلب الامن على سائر المطالب لانه لولاه لم يفرغ الانسان لشيء اخر من مهمات الدين والدنيا ومن هنا جاز
التلفظ بكلمة الكفر عند الاكراه وسئل بعض الحكماء ان الامن افضل ام الصحة فقال الامن بدليل ان شاة لو انكسر رجلها فانها تصح بعد زمان ثم انها
تقبل على الرعي والاكل ولو انها ربطت في موضع وربط بالقرب منها ذئب فانها تمسك عن العلف ولا تتناول شيئا الى ان تموت فدل ذلك
على ان الضرر الحاصل من الخوف اشد من الالم الحاصل للجسد ومنها قوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام قال جار الله اهل الحجاز يقولون
جنبني بالتشديد واهل نجد جنبني واجنبني وفائدة الطلب الاجتناب حاصل التثبيت والادامة او لا اقل من هضم النفس واظهار الفقر والحاجة
والتماس العصمة من الشرك الخفي اما قوله وبني فقيل اراد بنيه من صلبه وانهم ما عبدوا صنما ببركة دعائه وقيل اولاده واولاد اولاده ممن كانوا
موجودين حال دعوته وقال مجاهد وابن عيينة لم يعبد احد من ولد ابرهيم صنما وهو التمثال المصور وانما عبدت العرب الاوثان يعني
احجارا مخصوصة كانت لكل قوم زعموا ان البيت حجر فحيث ما نصبنا حجرا فهو بمنزلة البيت فكانوا يدورون بذلك الحجر ويسمونه الدوار
لذلك استحب ان يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت وضعف هذا الجواب بانه اذا عبد غير الله فالوثن والصنم سيان على انه سبحانه
وصفهم بما ينبئ عن كونهم مصورين كقوله ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم الايات الى قوله وتريهم ينظرون اليك
وهم لا يبصرون وقيل ان هذا الدعاء مختص بالمؤمنين من اولاده بدليل قوله فمن تبعني فانه مني اي من اهلي وفيهم منه ان من لم يتبعه في دينه فانه
ليس من اهله كقوله لابن نوح انه ليس من اهلك وقيل انه وان عمم الدعاء الا انه اجيب في البعض كقوله ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين قالت الاشاعرة
لو لم يكن الايمان والكفر بخلق الله تعالى لم يكن لالتماس التبعيد عن الكفر معنى وحمله المعتزلة على منح الالطاف اما قوله رب انهن اضللن كثيرا فاتفقوا
على ان نسبة الاضلال اليهن مجاز لانهن جمادات فهو كقولهم فتنتهم الدنيا وغرتهم اي صارت سببا للفتنة والاغترار بها فمن تبعني بقي على الملة
الحنيفية فانه مني اي هو بعضي لفرط اختصاصه بي ومن عصاني فانك غفور رحيم قال السدي معناه ومن عصاني ثم تاب وقيل ان هذا الدعاء كان
قبل ان يعلم ان الله لا يغفر الشرك وقيل المراد انك قادر على ان تغفر له وترحمه بان تنقله من الكفر الى الاسلام وقيل المراد ان يمهلهم حتى يتوبوا و
قيل ومن عصاني فيما دون الشرك فاستدل الاشاعرة بالاية على انه من غير اشتراط التوبة على انه شفاعة في اسقاط العقاب عن اهل الكبائر واذا ثبت
هذا في حق ابرهيم ص ثبت في حق نبينا بالطريق الاولى ثم اراد ان يعطف الله بدعائه قلوب الناس كلهم او جلهم على اسمعيل ومن ولد منه بمكة و
ان يرزقهم من الثمرات ممهدا لذلك مقدمة فقال ربنا اني اسكنت من ذريتي اي بعضهم بواد غير ذي زرع اي لم يكن فيه شيء من زرع قط كقوله
قرانا عربيا غير ذي عوج اي لا يوجد فيه اعوجاج اصلا ولم يوجد ذلك معنى في زمن من الازمان وقد سبق في سورة البقرة قصة مجيء ابرهيم ص باسمعيل
وامه هاجر الى هنالك وفي قوله عند بيتك المحرم دليل على انه دعا هذه الدعوة بعد بناء البيت لا في حين مجيئه بهما ومعنى كون البيت محرما
ان الله حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لاجل حرمته وانه لم يزل ممتنعا عزيزا يهابه كل جبار كالشيء المحرم الذي حقه ان يجتنب
وقيل سمي محرما لانه حرم على الطوفان اي منع منه كما سمي عتيقا لانه اعتق منه فلم يستول عليه او حرم على المكلفين ان يقربوه بالدماء والاقذار
ولانه امر الصابرين ان يحرموا على انفسهم اشياء كانت تحل لهم من قبل ربنا ليقيموا الصلوة اي ما اسكنتهم بهذا الوادي القفر الا لاقامة
الصلوة عند البيت وعمارته بالذكر فاجعل افئدة من الناس من للتبعيض اي افئدة من افئدة الناس قال مجاهد لو قال افئدة

الناس

الناس لزحمتكم عليه فارس والروم والترك والهند وعن سعيد بن جبير لو قال افئدة الناس لحجت اليهود والنصارى والمجوس لكنه اراد افئدة المسلمين
وجوز في الكشاف ان يكون من للابتداء كقولك القلب مني سقيم وعلى هذا فانما يحصل التبعيض من تنكير افئدة فكانه قيل افئدة ناس
ومعنى تهوي تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقا ونزاعا وقيل تنحط وتنحدر الاصمعي هوى يهوي هويا بفتح الهاء اذا سقط من علو الى سفل وفي هذا
الدعاء فائدتان احديهما ميل الناس الى تلك البلدة للنسك والطاعة والاخرى نقل الامتعة اليهم للتجارة وفي ضمن ذلك يتسع معايشهم و
يكثر ارزاقهم ومع ذلك فقد صرح بها فقال وارزقهم من الثمرات فلا جرم اجاب الله دعاءه فجعله حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شيء وقيل اراد
ان يحصل حواليها القرى والمزارع والبساتين ثم ختم الاية بقوله لعلهم يشكرون ليعلم ان المقصود الاصلي من منافع الدنيا وسعة الرزق
هو التفرغ لاداء العبادات واقامة الوظائف الشرعية ثم اثنى على الله سبحانه تمهيدا لدعوة اخرى وتعريضا ببقية حوائجه فقال ربنا انك
تعلم ما نخفي وما نعلن على الاطلاق لان الغيب والشهادة بالاضافة الى العالم بالذات سيان وقيل ما نخفي من الوجد بسبب التفرقة بيننا وبين اسمعيل
وما نعلن من البكاء والدعاء او اراد ما جرى بينه وبين هاجر حين قالت له عند الوداع الى من تكلنا قال الى الله اكلكم قال المفسرون وما يخفى
على الله من شيء في الارض ولا في السماء من كلام الله عز وجل تصديقا لابرهيم ويحتمل ان يكون من كلام ابرهيم ومن للاستغراق اي لا يخفى عليه
الذي يستحق العبادة لذاته شيء ما في اي مكان ثم فرض الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اي مع كبر السن وفي حال الشيخوخة اسمعيل واسحق ولا يخفى ذلك على
تعالى عالما بالضمائر والسرائر ثم حمد على هذه الموهبة لان المنة بهبة الولد في حال وقوع الناس من الولادة اعظم لانها تشبه الخوارق فدل ذلك
الى انه طلب من الله سبحانه ان يهبهما بعد ولهذا ختم الاية بقوله ان ربي لسميع الدعاء وهو من اضافة الصفة الى مفعولها اي مجيب الدعاء او
الى فاعلها بان يجعل دعاء الله سميعا على الاسناد المجازي والمراد سماع الله تعالى ويحتمل ان يكون قوله ان ربي لسميع الدعاء رمزا الى ما كان
قد دعا ربه وسأله الولد بقوله رب هب لي من الصالحين روي ان اسمعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن
مائة واثنتي عشرة سنة وقيل اسمعيل لاربع وستين واسحق لتسعين وعن سعيد بن جبير لم يولد لابرهيم الا بعد مائة وسبع عشرة سنة ثم ختم الادعية
بقوله رب اجعلني مقيم الصلوة اي مديما لها ومن ذريتي اي واجعل بعض ذريتي كذلك لم يدع للكل لانه علم باعلام الله تعالى انه يكون في ذريته
كفار وذلك قوله سبحانه لا ينال عهدي الظالمين ربنا وتقبل دعاء عن ابن عباس اي عبادتي وحمله على تقبله الادعية السابقة والاتية
بعيد ربنا اغفر لي طلب المغفرة لا يوجب سابقة الذنب لان مثل هذا انما يصدر عن الانبياء والاولياء في مقام الخوف والدهشة على
ان ترك الاولى لا يمتنع منهم وحسنات الابرار سيئات المقربين اما قوله ولوالدي فاعترض عليه بانه كيف استغفر لابويه وهما كافران واجيب
بانه قال ذلك بشرط الاسلام وزيف بان قوله تعالى الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك مستثنى من الاشياء التي يؤتسى فيها بابرهيم و
لو كان استغفاره مشروطا باسلام ابيه لكان استغفارا صحيحا فلم يحتج الى الاستثناء وقيل اراد بوالديه ادم وحواء والصحيح في الجواب انه استغفر
في الجواب انه استغفر له بناء على الجواز العقلي والمنع التوقيفي بعد ذلك لابائه يوم يقوم الحساب اي يثبت مستعار من قيام القائم على الرجل
ومثله قولهم قامت الحرب على ساقها او اسند الى الحساب قيام اهله اسنادا مجازيا او المضاف محذوف مثل واسئل القرية ثم عاد الى بيان
الجزاء والمعاد لان دعاء ابرهيم ص تنجر الى ذكر الحساب فقال ولا تحسبن الله غافلا ان كان الخطاب لكل مكلف والنبي والمراد امته فلا اشكال
وان كان للنبي ص فمعناه التثبيت على ما كان عليه من انه لا يحسب الله الا عالما بجميع المعلومات او المراد لا تحسبه يعاملهم معاملة الغافل عما يفعلون
ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير وعن ابن عيينة تسلية للمظلوم وتهديد للظالم قلت لانه لو لم ينتقم للمظلوم من الظالم
لزم ان يكون غافلا عن الظلم او عاجزا عن الانتقام او راضيا بالظلم وكل ذلك مناف لوجوب الوجود المستلزم لجميع الكمالات انما يؤخرهم ليوم تشخص
فيه الابصار اي ابصارهم كقوله واشتعل الرأس شيبا شخص بصر الرجل اذا بقيت عينه مفتوحة لا تطرف وانما ذلك انما يكون عند غاية الحيرة
وسقوط القوة مهطعين مسرعين قاله ابو عبيدة والغالب من حال من بقي بصره شاخصا من شدة الخوف ان يبقى واقفا فبين الله تعالى ان حالهم بخلاف
هذا المعنى لانهم مع شخوص ابصارهم يكونون مسرعين نحو ذلك البلاء وقال احمد بن يحيى المهطع الذي ينظر في ذل وخضوع وقيل هو الساكت مقنعي
رؤسهم رافعيها وهذا ايضا بخلاف المعتاد لان الغالب ممن يشاهد البلاء انه يطرق راسه لكيلا يراه لا يرتد اليهم طرفهم الطرف تحريك الاجفان
على الوجه الذي خلق وجبل عليه وسمي العين بالطرف تسمية بفعلها اي لا يرجع اليهم ان يطرفوا بعيونهم والمراد دوام الشخوص المذكور وقيل
لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم وافئدتهم هواء والهواء الخلاء الذي لم يشغله الاجرام وصف قلوبهم بالجبانة لانه لا قوة فيه ولا جرأة ويقال للاحمق ايضا قلبه
هواء والمعنى ان قلوب الكفار خالية يوم القيمة عن جميع الخواطر والافكار لعظم ما نالهم وعن كل رجاء وامل لما يتحققوه من العذاب والاظهر ان هذه الحالة
لهم عند المحاسبة لتقدم قوله يوم يقوم الحساب وقيل هي عند ما يميز السعداء من الاشقياء وقيل عند اجابة الداعي والقيام من القبور وعن ابن جريج
اراد ان افئدة الكفار في الدنيا صفر من الخير خاوية منه وقال ابو عبيدة جوف لا عقول لهم وانذر الناس يوم ياتيهم العذاب مفعول ثان لانذر و
اليوم يوم القيمة واللام في العذاب للعهد السابق من شخوص الابصار وغيره او للمعلوم وهو عذاب النار ومعنى اخرنا امهلنا الى امد وحد من الزمان
قريب او يوم هلاكهم بالعذاب العاجل او يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى او لم تكونوا على اضمار القول اي فيقال لهم

ذلك واقسامهم اما بلسان الحال حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا واما بلسان المقال اشرا وبطرا وجهلا وسفها ما لكم من زوال جواب القسم ولو قيل
ما لنا من زوال على حكاية لفظ المقسمين لجاز من حيث العربية والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت والفناء ولا تنتقلون الى
دار اخرى هي دار الجزاء كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت ثم زادهم توبيخا بقوله وسكنتم استقررتم في مساكن الذين ظلموا
انفسهم بالكفر والمعاصي وهم قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم وتبين لكم بالاخبار والمشاهدة والبناء والعيان كيف فعلنا بهم من اصناف العقوبات
وضربنا لكم الامثال قال جار الله اي صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم وقال غيره المراد ما ورد في القرآن
من دلائل القدرة على الاعادة والابداء وعلى العذاب المعجل والمؤجل ثم حكى مكر اولئك الظلمة فقال وقد مكروا مكرهم اي مكرهم العظيم
الذي استفرغوا فيه جهدهم وقيل الضمير عائد الى قوم محمد ص كما قال واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك وقيل المراد ما نقل ان نمرود حاول
الصعود الى السماء فاتخذ لنفسه تابوتا وربط قوائمه الاربع بنسور كان قد جوعها ورفع من الجوانب الاربعة على التابوت عصيا اربعا وعلق
على كل واحدة منها قطعة من اللحم ثم انه جلس مع صاحب له في ذلك التابوت فلما ابصرت النسور تلك اللحم تصاعدت في جو الهواء ثلاثة ايام
وغابت الارض عن عين نمرود ورأى السماء بحالها فعكس تلك العصا التي عليها اللحوم فهبطت النسور الى الارض وضعف هذه الرواية
لا يكاد يقدم عاقل على مثل هذا الخطر وعند الله مكرهم ان كان مضافا الى الفاعل فالمعنى ومكتوب عند الله مكرهم فيجازيهم عليه باعظم
من ذلك وان كان مضافا الى المفعول فمعناه وعنده مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يستحقونه يأتيهم به من حيث لا يشعرون اما قوله
وان كان مكرهم لتزول من قرأ بكسر اللام الاولى ونصب الثانية فوجهان احدهما ان يكون ان مخففة من الثقيلة فزوال الجبال مثل
لعظم مكرهم وشدته اي وان الشأن كان مكرهم معدا لذلك وثانيهما ان يكون ان نافية واللام المكسورة لتاكيد النفي كقوله وما كان الله
ليضيع ايمانكم والمعنى ومحال ان تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل لآيات الله وشرائعه الثابتة على حالها ابد الدهر ومن
قرأ بفتح اللام الاولى ورفع الثانية فان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة والمعنى كما مر ثم انه سبحانه اكد كونه مجازيا لاهل المكر على مكرهم بقوله
فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله قال جار الله قدم المفعول الثاني وهو الوعد على المفعول الاول ليعلم انه غير مخلف الوعد على الاطلاق
ثم قال رسله تنبيها على انه اذا لم يكن من شأنه اخلاف الوعد فكيف يخلفه رسله الذين هم صفوته والمراد بالوعد قوله انا لننصر رسلنا كتب الله
لاغلبن انا ورسلي ونحوهما من الآيات قوله والله عزيز ذو انتقام قد مر في اول آل عمران يوم تبدل الارض قال الزجاج انتصاب يوم على البدل
من يوم يأتيهم او على الظرف للانتقام والاظهر انتصابه باذكر كما مر في الوقوف ومعنى قوله والسموات اي وتبدل السموات قال اهل اللغة التبديل التغيير
وقد يكون في الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير وفي الاوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل
الى شكل وتفسير ابن عباس يناسب الوجه الثاني قال هي تلك الارض وانما تغير فتسير عليها جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا يرى فيها عوج ولا
امت وتبديل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا وعن ابي هريرة ان النبي ص قال تبدل
الارض غير الارض فيبسطها ويمدها مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا وهذا القول يناسب مذهب الحكماء في ان الذوات
لا يتطرق اليها العدم وانما يعدم صفاتها واحوالها نعم جوزوا انعدام الصور مع بقاء جواهرها عندهم وتفسير ابن مسعود يناسب الوجه الاول
قال يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن علي ع تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن الضحاك ارضا من فضة بيضاء
كالصحائف وقيل لا يبعد ان يجعل الله الارض جهنم والسموات الجنة وبرزوا لله قد ذكرناه في اول السورة وتخصيص الواحد القهار بالموضع لتعظيم
الهول وانه لا مستغاث ولا مستند الى غيره ولا حكم يومئذ لاحد الا لله ينفرد بحكمه ويقهر ما سواه ومن نتائج قهره قوله وترى المجرمين يومئذ
مقرنين قرن بعضهم مع بعض لان الجنسية علة الضم او مع الشياطين الذين اضلوهم قالت الحكماء هي الملكات الذميمة والعقائد الفاسدة
التي اكتسبوها في تعلق الابدان وقوله في الاصفاد اي القيود اما ان يتعلق بمقرنين واما ان يكون وصفا مستقلا اي مقرنين مصفدين
وقيل الاصفاد الاغلال والمعنى قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال وحظ العقل فيه ان الملكات الحاصلة في جوهر النفس انما تحصل
بتكرر الافعال الصادرة من الجوارح والاعضاء سرابيلهم جمع سربال وهو القميص من قطران هو ما يتحلب من شجر يسمى الابهل فيطبخ فتهنأ
به الابل الجربى فيحرق الجرب بحره وحدته وقد يبلغ حرارته الجوف ومن شأنه ان يسرع فيه اشتعال النار وقد يستسرج به وهو اسود اللون
منتن الريح فيطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل فيجتمع عليهم اللذع والحرقة والاشتعال والسواد والنتن على ان
التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين والوجه العقلي فيه ان البدن بمنزلة القميص للنفس وكلما يحصل للنفس من الآلام
والغموم فانما يحصل بسبب هذا البدن فلهذا البدن لذع وحرقة في جوهر النفس بنفوذ الشهوة والحرص والغضب وسائر الاخلاق والملكات
الرديئة فيه ومن قرأ من قطر آن فالقطر النحاس والصفر المذاب والآني المتناهي حره قال ابن الانباري وتلك النار لا تبطل ذلك السربال
ولا تفنيه كما لا تهلك النار اجسامهم والاغلال التي كانت عليهم وتغشى وجوههم النار خص الوجه بالذكر لانه اعز موضع في ظاهر البدن
واشرفه فعبر به عن الكل قوله ليجزي الله اللام متعلقة بتغشى او بمجموع ما ذكر كانه قيل يفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزي الله كل ما كسبت قال الواحدي اراد

نفوس الكفار لان ما سبق لا يليق الا بهم ويحتمل ان يراد كل نفس مجرمة ومطيعة لانه تعالى اذا عاقب المجرمين لاجرامهم علم انه يثيب المطيعين لطاعتهم
ثم اشار الى القرآن او الى ما في السورة او الى ما مر من قوله ولا تحسبن الله غافلا الى ههنا فقال هذا بلاغ كفاية للناس في التذكير والموعظة
لينصحوا ولينذروا به بهذا البلاغ ثم رمز الى استكمال القوة النظرية بقوله وليعلموا انما هو اله واحد والى استكمال القوة العملية بقوله
وليذكر اولوا الالباب لانهم اذا خافوا ما انذروا به دعاهم المخافة الى استكمال النفس بحسب القوتين والله ولي التوفيق التأويل واذ قال
ابرهيم الروح رب اجعل بلد القلب آمنا من وسوسة الشيطان وهواجس النفس وآفات الهوى واجنبني وبني هم الفؤاد والسر والخفي ان
نعبد الاصنام وهو كل ما سوى الله فصنم النفس الدنيا وصنم القلب العقبى وصنم الروح الدرجات العلى وصنم السر العرفان والقربات وصنم
الخفي الركون الى المكاشفات والمشاهدات وانواع الكرامات ومن عصاني فانك غفور رحيم نكتتان احدهما لم يقل ومن عصاك اشارة الى
ان عصيان الله لا يستحق المغفرة والرحمة والثانية لم يقل فانا اغفره وارحم عليه لان عالم الطبيعة البشرية يقتضي المكافأة وانما المغفرة
والرحمة من شأن الغني المطلق اسكنت من ذريتي هم صفات الروح والعقل والسر والخفي بواد غير ذي زرع وهو وادي النفس عند بيتك المحرم على ما سوى
وهو كعبة القلب حرام ان يكون بيتا لغير الله لا يسعني ارضي ولا سمائي وانما يسعني قلب عبدي المؤمن وفيه انه توسل في اجابة الدعاء بمحمد ص وكانه قال لن
تضيع محمدا وفي قوله ليقيموا الصلاة اشارة الى انه لولا تعلق الروح بالجسد وحلوله بارض القالب لم يكن استكمال لمحل ذلك التعلق فاجعل افئدة
الصفات الناسوتية تهوي الى الصفات الروحانية وارزقهم من ثمرات الصفات اللاهوتية لعلهم يشكرون بهذه النعم الجسيمة التي ليس ينالها
الملائكة المقربون وفي هذا سر عظيم لا يمكن افشاؤه ربنا انك تعلم ما نخفي من حقائق الدعاء وما نعلن من ظاهر القصة وما يخفى على الله من شيء
في ارض المعاملات الصورية ولا في سماء القلوب من الغيوب على الكبر اي بعد تعلق الروح بالقالب اسمعيل السر واسحق الخفي مقيم الصلاة دائم العروج
فان الصلاة معراج المؤمن ربنا اغفر لي استرني وامحني بصفة معرفتك ولوالدي من الآباء العلوية والامهات السفلية لئلا يحجبوا عن رؤيتك
يوم يحاسب بكمالية كل نفس ونقصانها لا كون نحسنا الكاملين لان حسنا الناقصين ولا تحسبن اي لم يكن الله غافلا في الازل بل الكل
بقضائه وقدره انما يؤخرهم ليبلغوا الى ما قدر لهم من الاعمال فانها مودعة في الاعمار وبذلك يصل كل من اهل السعادة والشقاوة الى منازلهم
ما لكم من زوال فيه ابطال مذهب التناسخية زعموا ان نفوسهم لا يزال يتعلق بالابدان وسكنتم في مساكن الذين ظلموا تعلقتم بابدان
مثل ابدانهم منهمكين في ظلمات الاخلاق الذميمة وعند الله مقدر مكرهم وان كان مكرهم بحيث يؤثر في ازالة الجبال عن اماكنها ولكنه لا يحرك شعرة
الا باذن الله بقضائه يوم تبدل الارض البشرية بارض القلوب فيضمحل ظلماتها بانوار القلوب وتبدل سموات الاسرار بسموات الارواح فان شموس
الارواح اذا تجلت لكواكب الاسرار انمحت انوار كواكبها بسطوع اشعة شموسها بل تبدل ارض الوجود المجازي عند اشراق تجلي انوار هويته بحقائق
انوار الوجود الحقيقي كما قال واشرقت الارض بنور ربها فاذا برزوا لله الواحد القهار فان شموس الارواح تصير مقهورة في تجلي نور الالوهية
وترى المجرمين يوم التجلي مقرنين في قيود الصفات الذميمة لا يستطيعون البروز لله سرابيلهم من قطران المعاصي وظلمات النفوس فهم محجوبون بها
عن الله وتغشى وجوههم نار الحسرات والقطيعة هذا بلاغ للناس الذين نسوا عالم الوحدة ولينذروا به قبل المفارقة فان الانتباه بالموت لا ينفع
وليعلموا انما هو اله واحد فيعبدوه ولا يتخذوا الطاغوت من الدنيا والهوى والشيطان وليذكر اولوا الالباب عالم الشهود فيخرجوا من قشر الوجود
سورة الحجر مكية بالاجماع وحروفها الفان وسبعمائة واحدى وستون وكلماتها ستمائة واربع وخمسون وآياتها تسع وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم
اين آيتها از كتاب خدا وقرآنى ست روشن بسا كه آرزو كنند آنهائى كه كافر شدند اسلام را واگذار ايشان تا بخورند و بهره برند و غافل كند ايشان را
الامل فسوف يعلمون وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون وقالوا
آرزو پس عنقريب خواهند دانست و نابود نكرديم هيچ ده را مگر او را نوشته بود دانسته پيشى نگيرد هيچ گروه از وقت خود و پس نمانند و گفتند
يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون لو ما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين ما ننزل الملائكة
اى آنكه فرو فرستاده شده بر وى قرآن هر آينه تو ديوانه چرا نمى آرى فرشتگان را اگر هستى از راستگويان فرو نفرستيم فرشتگان را
الا بالحق وما كانوا اذا منظرين انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين
مگر براستى و نباشند آن زمان مهلت داده شدگان بدرستيكه ما فرو فرستاديم قرآن را و بدرستيكه ما او را نگاه دارندگانيم و بدرستيكه فرستاديم از پيش تو در گروههاى پيشينيان
وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت
و نمى آمد ايشان را هيچ پيغمبرى مگر بودند با او استهزا ميكردند همچنين در مى آريم آن را در دلهاى گناهكاران ايمان نمى آورند بآن و بدرستيكه گذشته
سنة الاولين ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن

التأويل

سورة الحجر

قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ۝ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ۝ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ

إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ۝ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ

مَوْزُونٍ ۝ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ۝ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ

مَعْلُومٍ ۝ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ۝ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ

ع وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ۝ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ۝ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ

حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ۝ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ

السَّمُومِ ۝ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ۝ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ

فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ۝ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ

قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ۝ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ

مَسْنُونٍ ۝ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۝ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ۝ قَالَ فَأَنْظِرْنِي إِلَىٰ

يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ۝ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ۝ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ

فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۝ قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ۝ إِنَّ عِبَادِي

لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ۝ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ

بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ۝ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ۝ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ

سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ۝ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ۝ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ

القراءات ما يفتح الياء مخففة ابو جعفر ونافع وعاصم غير الشموني وربما بضم الياء خفيفة الشموني الباقون بالفتح والتشديد ما ننزل بالنون الملائكة بالنصب حمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد ما تنزل بضم التاء وفتح الزاي المشددة الملائكة بالرفع ابو بكر وحماد الباقون مثله ولكن بفتح التاء ما ننزل بالادغام البرجمي وابن فليح سكرت خفيفة ابن كثير فتحنا بالتشديد يزيد الريح على التوحيد حمزة وخلف صراط علي بكسر اللام ورفع الياء على النعت يعقوب الآخرون على جار ومجرور وعيون بكسر العين حمزة وعلي وابن كثير وابن ذكوان والاعشى ويحيى وحماد الباقون بضمها نبئ عبادي مثل نبئنا عبادي اني بالفتح فيهما ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو والآخرون بالاسكان الوقوف الجزء الرابع عشر الوقف مبين مسلمين يعلمون معلوم وما يستأخرون لمجنون لان التحضيض لصدر الكلام الصادقين منظرين لحافظون الاولين يعرجون مسحورون للناظرين رجيم مبين موزون برازقين خزائنه لاتفاق الجملتين مع الفصل بين معنيين الجمع في التقدير والتفريق في التنزيل فاسقيناكموه لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال بخازنين الوارثون المستأخرين يحشرهم عليم مسنون لاتفاق الجملتين مع تقديم المفعول في الثانية السموم مسنون ساجدين اجمعون الا ابليس الساجدين مسنون رجيم الدين يبعثون من المنظرين المعلوم اجمعين المخلصين مستقيم

الغاوين

الغاوين اجمعين ابواب مقسوم وعيون ط لارادة القول بعده آمنين متقابلين بمخرجين الرحيم الاليم التفسير قال جار الله تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم وقال آخرون الكتاب القرآن المبين هو الكتاب الذي وعد الله محمدا صلى الله عليه تلك الآيات آيات ذلك الكتاب الكامل في كونه كتابا وفي كونه قرآنا مفيدا للبيان اما قوله ربما يود فذكر السكاكي ان فيه سبع لغات اخر بعد المشهور رب بالراء مضمومة والباء مخففة مفتوحة او مسكنة وربّ بالراء مفتوحة والباء كذلك وربّ مفتوحة مخففة او مشددة وانما دخلت على المضارع مع انه مختص بالماضي لان المترقب في اخبار الله بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكأنه قيل ربما ودّ وما هذه كافة لرب بكف رب عن العمل فيهيأ بذلك للدخول على الفعل وقيل انها بمعنى شيء اي رب شيء يوده الذين كفروا ورب للتقليل فاورد عليه ان تمنيهم يكثر ويتواصل فما معنى التقليل واجيب بانه على عادة العرب اذا ارادوا التكثير ذكروا لفظا وضع لاجل التقليل كما اذا ارادوا اليقين ذكروا لفظا وضع للشك والمقصود اظهار الترفع والاستغناء عن التصريح بالتعريض فيقولون ربما ندمت على ما فعلت ولعلك تندم على فعلك وان كان العلم حاصلا بكثرة الندم ووجوده بغير شك او اراد ولو كان الندم قليلا او مشكوكا فيه لحق عليك ان لا تفعل هذا الفعل لان العقلاء يتحرزون من الغم القليل كما يحذرون من الكثير ومن الغم المظنون كما من المتيقن فمعنى الآية لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة كان جديرا بالمسارعة اليه فكيف وهم يودونه في كل ساعة وقوله لو كانوا مسلمين اخبار عن ودادتهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل لو كنا مسلمين جاز من حيث العربية كقولك حلف بالله لافعلن وعلى هذا يكون هذه الودادة قال الزجاج ان الكافر كلما رأى حالا من احوال العذاب ورأى حالا من احوال المسلم ود لو كان مسلما وعلى هذا فقد قيل توجيه التقليل ان العذاب يشغلهم عن كثير التمني فلذلك قلل وقال الضحاك هي عند الموت اذا شاهد امارات العذاب وقيل اذا اسودت وجوههم روى عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة اجتمع اهل النار ومعهم من شاء الله من اهل القبلة فيقول الكفار لهم الستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما اغنى عنكم اسلامكم وقد صرتم معنا في النار فيغضب الله لهم فيأمر لكل من كان من اهل القبلة بالخروج فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية وروى مجاهد عن ابن عباس انه قال ما يزال الله يرحم المؤمنين ويخرجهم من النار ويدخلهم الجنة بشفاعة الملائكة والانبياء حتى انه تعالى في آخر الامر يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فهنالك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم ظاهره امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يخليهم وشأنهم فاحتجت الاشاعرة به على انه سبحانه وتعالى قد يصد عن الايمان ويفعل بالمكلف ما يكون له مفسدة في الدين وقالت المعتزلة ليس هذا اذنا وتجويزا وانما هو لتهديد ووعيد وقطع طمع النبي صلى الله عليه وسلم عن ارعوائهم وفيه انهم من اهل الخذلان ولا يجيء منهم الا ما هم فيه ولا زاجر لهم ولا واعظ الا معاينة ما ينذرون به وفي الآية تنبيه على ان ايثار التلذذ والتمتع وما يؤدي اليه طول الامل ليس من اخلاق المؤمنين ومعنى يلههم الامل يشغلهم الرجاء عن الايمان والطاعة طيب عن النبي بالكراهية طبا اذا سلوت عنه وتركته كره واضربت عنه والهاني غيره عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم خط خطا وقال هذا اجله وخط آخر بعيدا منه فقال هذا الامل فبينما هو كذلك اذ جاءه الاقرب فسوف يعلمون سوء صنيعهم مزيد تاكيد للتهديد ثم ذكر ما هو نهاية في الزجر والتخذير فقال وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب اي مكتوب معلوم وهو اجلها الذي كتب في اللوح قال جار الله قوله ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والواو لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف وذكر السكاكي في المفتاح ان هذا سهو لان الفصل بين الموصوف والصفة لا يجوز ولكن الجملة حال من قرية ومثل هذا جائز ولو كان ذو الحال نكرة محضة كقولك جاءني رجل وعلى كتفه سيف لعدم التباس الحال بالوصف لمكان الفاصلة بالواو وكيف وقد خلت الفاصلة في الآية بكلمة الا وذو الحال قريب من المعرفة اذ التقدير وما اهلكنا قرية من القرى من قبل افادة من الاستغراق قال قوم المراد بهذا الهلاك عذاب الاستئصال الذي كان ينزله الله بالمكذبين المعاندين من الامم السالفة وقال آخرون اراد الموت والاول اقرب لانه في الزجر ابلغ وكأنه قيل ان هذا الامهال لا ينبغي ان يغتر به العاقل فان لكل امة وقتا معينا في نزول العذاب لا يتأخر وقيل اراد مجموع الامرين قال صاحب النظم اذا كان السبق واقعا على شخص فمعناه جاز وخلف كقولك سبق زيد عمرا اي جازه وخلفه وانه قصر عنه وما بلغه واذا كان واقعا على زمان فعلى العكس كقولك سبقت عام كذا معناه مضى قبل ان بلغه فمعنى الآية انه لا يحصل اجل امة قبل وقته ولا بعده كما في كل حادثة وقد مر بحث الاجل في اول سورة الانعام واثبات الاثر وذكرها اخرا في قوله وما يستأخرون حملا على اللفظ والمعنى وحذف متعلق يستأخرون وهو عنه للعلم به ولما بالغ في تهديد الكفار شرع في تعديد بعض شبههم ومطاعنهم في النبي فالاولى انهم كانوا يحكمون عليه بالجنون لانهم كانوا يسمعونه ما لا يوافق اذهانهم ولا يطابق اهواءهم وانما نادوه بيا ايها الذي نزل عليه الذكر مع انهم كانوا لا يقرون بنزول الوحي عليه تعكيسا للكلام استهزاء وتهكما او ارادوا يا ايها الذي نزل عليه الوحي في زعمه واعتقاده وعند اصحابه واتباعه الثانية لوما تأتينا بالملائكة لو ما حرف تحضيض مركب من لو المعنية للتمني ومن ما المزيدة فافاد المجموع الحث على الفعل الداخل عليه هو عليه والمعنى هلا تأتينا بالملائكة ليشهدوا على صدقك ويعضدوك على انذارك والمراد هلا تأتينا بالملائكة تعذبنا ان كنت صادقا ان تكذيبك يقتضي التعذيب العاجل فاجاب الله سبحانه عن شبههم بقوله ما ننزل الملائكة الا بالحق الا تنزيلا ملتبسا بالحكمة والمصلحة ... التنجيز ولا حكمة في ان يأتيكم عيانا فان ذلك امر التكليف يؤول الى الاضطرار الا بمجازاة فانه قد علم بانه لا ... اصرار كم على الكفر نصرا انزلهم عيانا ولا حكمة في انزالهم لانهم لو انزلوا لم يؤمنوا وجب عذاب الاستئصال وذلك ...

كانوا اذا منظرين فان التكليف يزول عند نزول الملائكة وقد علم الله من المصلحة ان لا يهلك هذه الامة ويمهلهم لما علم من ايمان بعضهم
او ايمان اولادهم وقالت الاشاعرة الا بالحق اي الا بالوحي والعذاب قال صاحب النظم لفظ اذن مركبة من اذ وهو بمعنى حين ومن ان الدال على
مجيء فعل بعده فخففت الهمزة بحذفها بعد نقل حركتها وكانه قيل وما كانوا منظرين اذ ان كان ما طلبوا وقال غيره اذن جواب وجزاء تقديره ولو
نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما اخر عذابهم ثم انكر على الكفار استهزاءهم في قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر وقال على سبيل التوكيد
انا نحن نزلنا الذكر ثم دل على كونه منزلا من عنده فقال وانا له لحافظون لانه لو كان من قول البشر او لم يكن آية لم يبق محفوظا من التغيير و
الاختلاف وقيل الضمير في له لرسول الله صلعم كقوله والله يعصمك من الناس والقول الاول اوضح ووجه حفظ القرآن قيل هو جعله معجزا مباينا
لكلام البشر حتى لو زادوا فيه شيئا ظهر ذلك للعقلاء ولم يخف فلذلك بقي مصونا عن التحريف وقيل حفظ بالدرس والبحث ولم يخل طائفة
يحفظونه ويدرسونه ويكتبونه في القراطيس باحتياط بليغ وجد كامل حتى ان الشيخ المهيب لو اتفق له لحن في حرف من كتاب الله لقال له بعض
الصبيان اخطأت ومن جملة اعجاز القرآن وصدقه انه سبحانه اخبر من بقائه محفوظا عن التغيير والتحريف وكان كما اخبر بعد سبعمائة سنة فلم يبق
للموحد شك في اعجازه وههنا نكتة هي انه سبحانه تولى حفظ القرآن ولم يكله الى غيره فبقي محفوظا على مر الدهور بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول
حفظها وانما استحفظها الربانيون والاحبار فاختلفوا فيما بينهم ووقع التحريف ثم ذكر ان عادة هؤلاء الجهال مع جميع الانبياء كذلك والغرض تسلية
النبي صلعم وفي الكلام اضمار التقدير ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الا انه حذف ذكر الرسل لدلالة الارسال عليه ومعنى في شيع الاولين في
فرقهم واتباعهم وقد مر معنى الشيعة في اخر الانعام قال جار الله معناه ارسلنا فيهم جعلناهم رسلا فيما بينهم قال الفراء اضافة الشيع الى الاولين
من اضافة الموصوف الى الصفة كقوله حق اليقين وبجانب الغربي قوله وما يأتيهم حكاية حال ماضية وانما كان الاستهزاء بالرسل عادة الجهلة
في كل قرن لان الفطام عن المألوف شديد وكون الانسان متبع الامر من هو مثله او اقل حالا منه في المال والجاه والقبول اشد على ان السبب
الكلي فيه هو الخذلان وعدم التوفيق من الله سبحانه ووقوعهم مظاهر القهر في الازل قوله كذلك نسلكه السلك ادخال الشيء في الشيء كالخيط
في المخيط وقالت الاشاعرة الضمير في نسلكه يجب عوده الى اقرب المذكورات وهو الاستهزاء الدال عليه يستهزءون واما الضمير في قوله لا يؤمنون
به فيعود الى الذكر لانه لو عاد الى الاستهزاء وعدم الايمان بالاستهزاء حق وصواب لم يتوجه اللوم على الكفار ولا يلزم من تعاقب الضمائر عودها
على شيء واحد وان كان الاحسن ذلك والحاصل ان مقتضى الدليل عود الضمير الى الاقرب الا اذا منع مانع من اعتباره وقال بعض الادباء منهم
قوله لا يؤمنون به تفسير للكناية في قوله نسلكه اي نجعل في قلوبهم ان لا يؤمنوا به فثبت دلالة الآية على ان الكفر والضلال والاستهزاء ونحوها من الافعال
كلها بخلق الله وايجاده وقالت المعتزلة الضميران يعودان الى الذكر لانه شبه هذا السلك بعمل اخر قبله وليس الا تنزيل الذكر والمعنى مثل ذلك الفعل
نسلك الذكر في قلوب المجرمين ومحل لا يؤمنون به نصب على الحال اي غير مؤمن به او هو بيان لقوله كذلك نسلكه والحاصل انا نلقيه في قلوبهم مكذبا
مستهزأ به غير مقبول نظيره ما اذا انزلت بلئيم حاجة فلم يجبك اليها فقلت كذلك انزلها باللئام يعني مثل هذا الانزال انزلها بهم مردودة غير مقضية واعترض
بان النون انما يستعمله الواحد المتكلم اظهارا للعظمة والجلال ومثل هذا التعظيم انما يحسن ذكره اذا فعل فعلا يظهر له اثر قوي كامل اما اذا فعل بحيث يكون
منازعه ومدافعه غالبا عليه فانه يستقبح ذكره على سبيل التعظيم والامر ههنا كذلك لانه تعالى سلك استماع القرآن وتحفظه وتعليمه في قلب الكافر لاجل
ان يؤمن به ثم انه لم يلتفت اليه ولم يؤمن به فصار فعل الله كالهدر الضائع وصار الشيطان كالغالب المدافع فكيف يحسن ذكر النون المشعر بالتعظيم
في هذا المقام اما قوله وقد خلت سنة الاولين فقيل اي طريقتهم التي بينها الله في اهلاكهم حين كذبوا برسلهم وبالذكر المنزل عليهم وهذا
يناسب تفسير المعتزلة وفيه وعيد لاهل مكة على تكذيبهم وقيل قد مضت سنة الله في الاولين بان يسلك الكفر والضلال في قلوبهم وهذا
قول الزجاج ويناسب تفسير الاشاعرة ثم حكى اصرارهم على الجهل والتكذيب بقوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا اي هؤلاء الكفار فيه يعرجون
يتصاعدون لقالوا انما سكرت ابصارنا هو من سكر الشراب او من سكر السبق يقال سكرت النهر اذا سددته وحبسته عن الجري والتركيب يدل على قطع
الشيء من سنة الجاري عليه ومنه السكر في الشراب لانه ينقطع عما كان عليه من المضاء في حال الصحو يعني الا انه حيرت ابصارنا ووقع بها من فساد النظر ما
يقع بالرجل السكران او حبست عن فعلها بحيث لا ينفذ نورها ولا يدرك الاشياء على حقائقها عن ابن عباس المراد لو ظل المشركون يصعدون
في تلك المعارج وينظرون الى ملكوت الله تعالى وقدرته وسلطانه والى عبادة الملائكة الذين هم من خشية ربهم مشفقون لشكوا في تلك الرؤية
وبقوا مصرين على كفرهم وجهلهم كما جحدوا سائر المعجزات من انشقاق القمر وما خص به النبي صلعم من القرآن المعجز الذي لا يستطيع الجن والانس
ان يأتوا بمثله قال في الكشاف ذكر الظلول يعني انه قال فظلوا ولم يقل فباتوا ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال انما سكرت
ليدل على انهم يبتون القول بان ذلك ليس الا تسكيرا للابصار وقيل الضمير في وظلوا للملائكة اي لو رأوا الملائكة يصعدون في السماء عيانا
لقالوا ان السحرة سحرونا وجعلونا بحيث نشاهد هذه الاباطيل التي لا حقيقة لها وههنا سؤال وهو انه كيف جاز من جم غفير ان يصيروا شاكين
فيما يشاهدونه بالعين السليمة في النهار الواضح واجيب بانه قوم مخصوصون لم يبلغوا مبلغ التواتر وكان تواترا وسائر قليلة العدد فجاز تواطؤهم على
المكابرة والعناد لاسيما اذا جمعهم غرض معتبر كدفع حجة او غلبة خصم ولما اجاب عن شبهة منكري النبوة بما اجاب وكان القول بالنبوة متفرعا

على القول بالصانع المبدع دلائل ذلك فقال ولقد جعلنا في السماء بروجا اثني عشر عند اهل النجوم وذلك انه قسم نطاق الفلك الثامن عندهم
باثني عشر قسما متساوية ثم جزء منتهى كل قسم ومبدأه مبتدأ من اول الحمل بصفة ثم قطعه مارة بقطبي الفلك فصار الفلك ايضا منقسما باثني عشر
عشرة قطعة كل منها اشبه ضلعا من اضلاع البطيخ يسمى بروجا ولا شك ان هذه البروج مختلفة الطبائع كل ثلاثة منها على طبيعة عنصر من العناصر الاربعة
فلذلك يسمى الحمل والاسد والقوس مثلثة نارية والثور والسنبلة والجدي مثلثة ارضية والجوزاء والميزان والدلو مثلثة هوائية والسرطان
والعقرب والحوت مثلثة مائية ثم ان كانت اجزاء الفلك مختلفة في الماهية على ما يجوزه المتكلمون او كانت متساوية في تمام الماهية مختلفة في التأثير
كما يقول به الحكيم فلا بد من ان يكون لاختصاص كل جزء بطبيعة معينة او بتأثير معين مع تساوي الكل في حقيقة الجسمية دال على صانع حكيم ومدبر
قدير والدليل الاخر قوله وزيناها اي الشمس والقمر والنجوم للناظرين بنظر الاعتبار والاستبصار قال المنجمون ان الكواكب الثابتة كلها على الفلك
الثامن وهذا ينافي الآية على ما يمكن ان يسبق الى الوهم لا يقال سواء كانت في سماء الدنيا او في سموات اخر فوقها فلا بد ان يكون ظهورها في السماء الدنيا
فيكون السماء الدنيا مزينة بها والآية لا تدل الا على هذا القدر ونظير هذه الآية قوله تعالى في حم السجدة وزينا السماء الدنيا بمصابيح ومثله
في سورة الملك الدليل الثالث قوله وحفظناها اي البروج والسماء من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع نصب على الاستثناء المنقطع اي لكن
من استرق وجاز ان يكون محفوظا اي الا من استرق وعن ابن عباس يريد الحفظة الخبر فاتبعه اي ادركه ولحقه شهاب مبين ظاهر للمبصرين و
الشهاب شعلة نار ساطع وقد يسمى الكوكب شهابا لاجل لمعانه وبريقه قال ابن عباس كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويسمعون
اخبار الغيوب عن الملائكة فيلقونها على الكهنة فلما ولد عيسى عم منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد صلعم منعوا من السموات كلها وهذا هو المراد بحفظ السموات
كما لو حفظ احدنا منزله ممن يتجسس ويخشى منه الفساد والاستراق السعي في استماع الكلام مستخفيا قال الحكماء ان الارض اذا سخنت بالشمس ارتفع منها بخار يابس
فاذا بلغ النار التي دون الفلك احترق بها واشتعل الدهنية فيه فيحدث منها انواع النار من جملتها الشهب فلا ريب انها كانت موجودة قبل مبعث النبي
الا انها لم تكن مسلطة على الشياطين وانما قيض كونها رجوما للشياطين في زمن عيسى عم ثم اسولة كيف يجوز ان يشاهد هؤلاء الجن واحدا كان
او اكثر من جنسهم يسترقون السمع فيحترقون ثم انهم مع ذلك يعودون لمثل صنيعهم والجواب اذا جاء القضاء عمي البصر فاذا قيض الله لطائفة منهم
الحرق لطغيانها فقدر له من الدواعي المطمعة في درك المقصود ما عندها يقدم على العمل المفضي الى الهلاك والبوار اخر قد ورد في الاخبار ان ما بين
كل سماء مسيرة خمسمائة عام فهؤلاء الجن ان قدروا على خرق السماء ناقض قوله سبحانه هل ترى من فطور وان لم يقدروا فكيف يمكنهم استماع اسرار
الملائكة من ذلك البعد ولم لا يسمعون كلام الملائكة حال كونهم في الارض واجيب بانا سلمنا ان بعد ما بين ذلك القدر الا ان ثخن الفلك لعله قدر
قليل وقد روى الزهري عن علي بن الحسين عن علي بن ابي طالب قال بينا النبي صلعم جالس في نفر من اصحابه اذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون
في الجاهلية اذا حدث مثل هذا قالوا كنا نقول يولد عظيم او يموت عظيم فقال النبي صلعم لا يرمى لموت احد ولا لحياته ولكن ربنا تعالى اذا قضى الامر
في السماء سبحت حملة العرش ثم سبح اهل السماء وسبح كل سماء حتى ينتهي الى هذه السماء ويستخبر اهل السماء حملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ولا
يزال ينتهي ذلك الخبر من سماء الى سماء الى ان ينتهي الخبر الى هذه السماء ويتخطف الجن فيرمون فما جاؤا به فهو حق ولكنهم يزيدون اخر الشياطين
مخلوقون من نار فكيف يحترق النار بالنار والجواب ان الاقوى قد يبطل الاضعف وان كان من جنسه اخر ان هذا الرجم لو كان من معجزات النبي
فكيف بقي بعد وفاته الجواب هذا من المعجزات الباقية والغرض منه ابطال الكهانة اخر ان الشهب قد يحدث بالقرب من الارض والا لم يكن الاحساس
بها فكيف تمنع الشياطين من الوصول الى الفلك حين الاستراق واجيب بان البعد عندنا غير مانع من السماع فلعله تعالى اجرى عادته بانهم
اذا وقعوا في تلك المواضع سمعوا كلام الملائكة اخر لو كان يمكنهم نقل اخبار الملائكة الى الكهنة فكيف لم يقدروا على نقل اسرار المؤمنين
الى الكفار واجيب بانه تعالى اقدرهم على شيء واعجزهم عن شيء ولا يسئل عما يفعل واقول لعل السبب فيه ان نسبتهم الى الروحانيات اكثر اخر اذا جوزتم
في الجملة اطلاع الجن على بعض المغيبات فقد ارتفع الوثوق عن اخبار النبي صلعم عن بعض الغيوب فلا يكون دليلا على صدقه لانه تعالى اخبر انهم عجزوا
عن ذلك بعد مولد النبي صلعم لانا نقول صدق هذا الكلام مبني على صحة نبوته فلو اثبتنا صحة نبوته به لزم الدور والجواب انا نعرف صحة نبوته بدلائل اخرى
لا يلزم الدور ولكن لا ريب ان الاخبار عن بعض المغيبات مؤكد للنبوة وان لم يكن مثبتا لها الدليل الرابع قوله والارض مددناها والقينا فيها رواسي وقد
مر تفسير مثله في اول سورة الرعد الدليل الخامس قوله وانبتنا فيها اي في الارض وفي الجبال الرواسي من كل شيء موزون بميزان الحكمة ومقدر
بمقدار الحاجة وذلك ان الوزن سبب معرفة المقدار فاطلق اسم السبب على المسبب وقيل له وزن وقدر في ابواب النعمة والمنفعة وقيل المراد ان مقدار
من العناصر معلوم وكذا مقدار تأثير الشمس والكواكب فيها وقيل اي متناسب محكوم عليه عند العقول السليمة بالحسن واللطافة يقال كلام موزون
اي متناسب وفلان موزون الحركات وقيل المراد ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس وغيرها من الموزونات كاكثر الفواكه والنبات وجعلنا لكم
فيها اي في الارض وفي تلك الموزونات معايش ما يتوصل به الى المعيشة وقد مر في اول الاعراف ومن عطف على معايش اي جعلنا لكم من لستم له
برازقين او عطف على محل لكم لا على المجرور فقط فانه لا يجوز في الاكثر الا باعادة الجار والتقدير وجعلنا لكم معايش ولمن لستم له برازقين واراد بهم
العيال والمماليك والخدم الذين رازقهم في الحقيقة هو الله تعالى وحكم الآباء والسادات والمخاديم وبدخل فيه بحكم التغليب غير ذوي العقول من

الانعام والدواب والوحش والطير كقوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وفيه تذكير من يعقل بصفة من يعقل بوجه ما من الشبه كقوله ايها النمل ادخلوا مساكنكم والدواب تشبه ذوي العقول من جهة التقاط البلاد ارزاقها عند الحاجة حكي انه قلت مياه الاودية في بعض السنين و اشتد عطش الوحوش فرفعت رأسها الى السماء فانزل الله المطر ثم بين غاية قدرته ونهاية حكمته فقال وان من شيء الا عندنا خزائنه قال جمع المفسرين اراد بالشيء ههنا المطر لانه هو سبب الارزاق لبني آدم وغيرهم من الطيور والوحوش وذلك انه لما ذكر معايشهم بين ان خزائن المطر الذي هو سبب المعايش عنده اي في امره وحكمه وتدبيره قوله وما ننزله الا بقدر معلوم عن ابن عباس يريد قدر الكفاية وقال الحلبي ما من عام باكثر مطرا من عام آخر ولكنه يمطر قوم ويحرم آخرون وربما كان في البحر واعلم ان لفظ الآية لا يدل على هذين القولين فلو ساعدهما نقل صحيح امكن ان يقبلهما العقل والا كان شبه تحكم والظاهر عموم الحكم وان ذكر الخزائن تمثيل لاقتداره على كل مقدور والمعنى ان جميع الممكنات مقدورة ومملوكة له يخرجها من العدم الى الوجود كيف شاء وهي وان كانت غير متناهية بالقوة لان كلا منها يمكن ان يقع في اوقات غير محصورة على سبيل البدل وكذا الكلام في الاجناس وسائر الاعراض والاوصاف في اختصاص تلك الخارج الى الوجود بمقدار معين وبحيز ووقت معينين الى غير ذلك من الصفات المعتبرة دون اضدادها لا بد ان يكون بمخصص مختص وتقدير مقتدر وهو المراد من قوله وما ننزله الا بقدر معلوم وقد يتمسك بالآية بعض المعتزلة في ان المعدوم شيء قالوا المراد ان تلك الذوات والماهيات كانت مستقرة عند الله بمعنى انها كانت ثابتة من حيث انها حقائق وماهيات ثم انه تعالى انزل اي اخرج بعضها من العدم الى الوجود الدليل السابع قوله وارسلنا الرياح وقرئ الريح فاللام للجنس لواقح قال ابن عباس معناه ملاقح جمع ملقحة لانها تلقح السحاب بمعنى انها تحمل الماء وتمجه في السحاب لانها تلقح الشجر اي تقويها وتنميها الى ان يخرج ثمرها قاله الحسن وقتادة والضحاك وقد جاء في كلام العرب فاعل بمعنى مفعل قال ومختبط مما تطيح الطوائح يريد المطاوح جمع مطيحة وقال ابن الانباري تقول العرب ابقل النبت فهو باقل اي مبقل قال الزجاج معناه ذوات لقحة لانها تعصر السحاب وتدره كما تدر اللقحة يقال رامح اي ذو رمح ولابن وتامر اي ذو لبن وذو تمر وقيل ان الريح في نفسها لاقح اي حاملة للسحاب وللماء من قوله حتى اذا اقلت سحابا ثقالا او حاملة للخير والرزق كما قيل لضدها الريح العقيم فاسقيناكموه اي جعلناه لكم سقيا قال ابو علي يقال سقيته الماء اذا اعطاه قدر ما يروي واسقيته نهرا اي جعلته شربا له والذي يؤكد هذا اختلاف القراء في قوله وسقاهم ربهم شرابا طهورا ويقال سقيته لشفته واسقيته لماشيته وارضه وما انتم له بخازنين نفى عنهم ما اثبته لنفسه في قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه اي نحن الخازنون للماء لا انتم اراد عظم قدرته وعجز من سواه الدليل التاسع قوله وانا لنحن نحيي ونميت والغرض الاستدلال بانحصار الاحياء والاماتة فيه على انه واحد في ملكه وملكه قال اكثر المفسرين انه وصف النبات فيما قبل فهذا الاحياء مختص بالحيوان ومنهم من يحمله على القدر المشترك بين احياء النبات وبين احياء الحيوان ونحن الوارثون مجاز عن بقائه بعد هلاك ما عداه مما كان في الخلق عمرانه قوله ولله ميراث السموات والارض قوله ولقد علمنا عن ابن عباس في رواية عطا المستقدمين يريد اهل طاعة الله والمستأخرين يريد المتخلفين عن طاعته وروي انه صلعم رغب الناس في الصف الاول في الجماعة فازدحم الناس عليه فانزل الله الآية والمعنى انا نجزيهم على قدر نياتهم وقال الضحاك ومقاتل يعني في صف القتال وعن ابن عباس في رواية ابي الجوزاء كانت امرأة حسناء تصلي خلف رسول الله صلعم وكان قوم يتقدمون الى الصف الاول لئلا يروها وآخرون يتخلفون ويتأخرون ليروها وكان قوم اذا ركعوا جافوا ايديهم لينظروا من تحت آباطهم فنزلت وقيل المستقدمون هم الاموات والمستأخرون هم الاحياء وهذا القول شديد المناسبة لما قبل الآية ولما بعدها وقيل المستقدمون هم الامم السالفة والمستأخرون هم امة محمد صلعم وقال عكرمة المستقدمون من خلق والمستأخرون من لم يخلق بعد والظاهر العموم وان علمه تعالى شامل لجميع الذوات والاحوال الماضية والمستقبلة ولا ينبغي ان يخص الآية بحالة دون اخرى ثم نبه على ان الحشر والنشر امر واجب ولا يقدر على ذلك احد الا هو فقال وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم فبحكمته امر العباد على التكليف والجزاء وبعلمه قدر على توفية مقادير الجزاء الدليل الثامن الاستدلال بخلق الانسان خاصة وذلك انه لابد من انتهاء الناس الى انسان اول ضرورة امتناع القول بوجود حوادث لا اول لها وقد اجمع المفسرون على انه آدم ع ورأيت في كتب الشيعة عن محمد بن علي الباقر ع انه قد انقضى قبل آدم الذي هو ابونا الف الف آدم او اكثر وكيف كان فلابد من انسان هو اول الناس والاقرب انه تعالى خلقه اولا من تراب ثم من طين ثم من حمأ مسنون ثم من صلصال كالفخار وقد كان قادرا على خلقه من اي جنس من الاجسام كان بل كان قادرا على خلقه ابتداء وانما خلقه على هذا الترتيب لمحض المشيئة او لما كان فيه من مزيد للملائكة والجن او لغير ذلك من المصالح ولا شك ان خلق الانسان من هذه الامور اعجب من خلق الشيء من شكله وجنسه والصلصال الطين اليابس الذي يصلصل اي يصوت وهو غير مطبوخ فاذا طبخ فهو فخار وقيل هو تضعيف صل اذا انتن والحمأ الاسود المتغير من الطين وكذلك الحمأة بالتسكين والمسنون المصور من سنة الوجه اي صورته قاله سيبويه وقال ابو عبيدة المسنون المصبوب المفرغ اي افرغ صورة انسان كما يفرغ الصور من الجواهر المذابة وقال ابن السكيت سمعت ابا عمرو يقول معناه متغير منتن وكأنه من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فالذي يسيل منهما سنين ولا يكون الا منتنا قال في الكشاف قوله من حمأ صفة صلصال اي خلقه من صلصال كائن من حمأ قلت ولا يبعد ان يكون بدلا اي خلقه من حمأ قال وحق مسنون بمعنى مصور ان يكون صفة لصلصال كأنه افرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك الى جوهر آخر قوله والجان قال الحسن ومقاتل وقتادة وهو رواية عطاء عن ابن عباس في رواية الضحاك هو ابو الجن كما ان آدم ابو الناس وهو قول الاكثرين والتركيب

يدل

يدل على التستر والتواري بعض الاعيان وقد مر بيانه فيما سلف ولا سيما في تفسير الاستعاذة في اول الكتاب خلقناه من قبل قال ابن عباس اي من قبل خلق آدم والسموم الريح الحارة النافذة في المسام يكون في النهار وقد يكون بالليل ومسام البدن الخروق الخفية التي يبرز منها العرق وبخار البدن الباطن ولا شك ان تلك الريح فيها نار ولها لفح على ما ورد في الخبر انها نفح جهنم قال ابن مسعود هذه السموم جزء من سبعين جزءا من سموم النار التي خلق الله منها الجان ولا استبعاد في خلق الله الحيوان من النار فانا نشاهد السمندر قد يتولد فيها على ان قاعدة الحكيم كل ممتزج من العناصر فانه يمكن ان يغلب عليه احدها ويكون مكانه مكان الجزء الغالب والحرارة مقوية للروح لا مضادة لها ثم انه لما استدل بحدوث الانسان الاول على كونه قادرا مختارا ذكر بعده واقعته والمراد بكونه بشرا انه يكون جسما كثيفا يباشر ويلاقي والملائكة والجن لا يباشرون للطافة اجسامهم والبشرة ظاهر الجلد من كل حيوان فاذا سويته عدلت خلقته واكملتها او سويت اجزاء بدنه بتعديل الاركان والاخلاط والمزاج التابع لذلك اعتدالا نوعيا او شخصيا ونفخت فيه من روحي النفخ اجراء الريح في تجاويف جسم آخر فمن زعم ان الروح جسم لطيف كالهواء سار في البدن فمعناه ظاهر ومن قال انه جوهر مجرد ولا حال في متحيز فمعنى النفخ عنده تهيئة البدن لاجل تعلق النفس الناطقة به قال جار الله ليس ثم نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لتحصيل ما يحيى به فيه وتمام الكلام في الروح سوف يجيء ان شاء الله في قوله ويسئلونك عن الروح ولا خلاف في ان الاضافة في قوله روحي للتشريف والتكريم مثل ناقة الله وبيت الله والفاء في قوله فقعوا له ساجدين تدل على انه وقوعهم في السجود كان واجبا عليهم عقيب التسوية والنفخ من غير تراخ قال المبرد قوله كلهم ازال احتمال ان بعض الملائكة لم يسجد وقوله اجمعون ازال احتمال انهم سجدوا متفرقين وقال سيبويه والخليل اجمعون توكيد بعد توكيد ورجح الزجاج هذا القول لان اجمع معرفة فلا يقع حالا ولو صح ان يكون حالا لكان منصوبا لافادة المعنى الذي ذكره المبرد ثم استثنى ابليس من الملائكة وقد سلف وجه الاستثناء في اول سورة البقرة ثم استأنف على تقدير سؤال سائل هل سجد فقال ابى ان يكون مع الساجدين يعني ابى واستكبار ثم قال سبحانه خطاب تقريع وتعنيف لا تعظيم وتشريف يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين وقال بعض المتكلمين خاطبه على لسان بعض رسله لان تكليم الله بلا واسطة منصب شريف فكيف يناله اللعين قال جار الله حرف الجر مع ان محذوف ومعناه اي غرض لك في الامتناع من السجود قال لم اكن لاسجد اللام لتأكيد النفي اي لا يصح مني وينافي حالي ان اسجد لبشر وحاصل شبهة اللعين انه روحاني لطيف وآدم جسماني كثيف واصله نوراني شريف واصل آدم ظلماني خسيس فعارض النص بالقياس فلا جرم اجيب بقوله فاخرج منها اي من الجنة او من السماء او من جملة الملائكة وضرب يوم الدين اي يوم الجزاء حدا للعن جريا على عادة العرب في التأبيد كما مر في قوله ما دامت السموات والارض واراد اللعن المجرد من غير تعذيب حتى اذا جاء ذلك اليوم عذب بما ينسى اللعن معه قال صاحب الكشاف واقول هذا ان اريد باللعن مجرد الطرد عن الحضرة اما ان اريد به الابعاد عن كل خير فيتعين الوجه الاول الا عند من اثبت لابليس رجاء العفو وانما ذكر اللعنة ههنا بلام الجنس لانه ذكر آدم بلفظ الجنس حيث قال اني خالق بشرا ولما خصص آدم بالاضافة الى نفسه في سورة ص حيث قال لما خلقت بيدي خصص اللعنة ايضا بالاضافة فقال وان عليك لعنتي قال رب فانظرني قد مر مثله في اول الاعراف ومعنى الوقت المعلوم ان ابليس لم يعينه واشار اليه بعينه كالمعلوم والمراد منه الوقت القريب من البعث الذي يموت فيه الخلائق كلهم ليشمل الموت اللعين ايضا وقيل لم يجبه الى ذلك وانظره الى يوم لا يعلمه الا الله قال رب بما اغويتني قد مر مباحثه في الاعراف ومفعول لازينن لهم محذوف اي لازينن لهم المعاصي في الارض اي في الدنيا التي هي دار الغرور واراد انه قدر على الاغواء لآدم وهو في السماء فهو على التزيين لاولاده وهم في الارض اقدر او اراد لاجعلن مكان التزيين عندهم الارض بان ازين الارض في اعينهم واحدثهم ان الزينة هي في الارض وحدها كقوله يجرح في عراقيبها ثم استثنى اللعين عباد الله المخلصين لانه علم ان كيده لا يؤثر فيهم قال بعض الحكماء احترز ابليس بهذا الاستثناء عن الكذب فيعلم منه ان الكذب في غاية الشناعة والاخلاص جعل الشيء خالصا لله من غير شائبة الغير لا اقل من ان يكون حق الله فيه راجحا او مساويا ولما ذكر ابليس من الاستثناء ما ذكر قال الله سبحانه هذا يعني الاخلاص طريق مستقيم علي ان اراعيه او علي مروره اي على رضواني وكرامتي وقيل لما ذكر اللعين انه يغوي بني آدم الا من عصمه الله بتوفيقه تضمن هذا الكلام تفويض الامور الى مشيئته تعالى فاشار اليه تعالى بقوله هذا اي تفويض الامور الى ارادتي ومشيئتي صراط علي تقريره وتأكيده ومن قرأ علي بالتنوين فهو من علو الشرف اي الاخلاص او طريق التفويض الى الله والايمان بقضائه طريق رفيع مستقيم لا عوج له وقال جار الله هذا اشارة الى ما بعده وهو قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان قال الكلبي المذكورون في هذه الآية هم الذين استثناهم ابليس وذلك انه لما ذكر الا عبادك تبين به انه لا يقدر على اغواء المخلصين فصدقه الله تعالى في الاستثناء قائلا ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك اي ولكن من اتبعك من الغواة فلك تسلط عليهم وهذا يناسب اصول الاشاعرة وقال آخرون هذا تكذيب لابليس وذلك انه اوهم بما ذكر ان له سلطانا على عباد الله الذين لا يكونون من المخلصين فبين تعالى انه ليس له على احد منهم سلطان ولا قدرة اصلا الا الغواة لا بسبب الجبر والقسر بل من جهة الوسوسة والتزيين نظيره قوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم وهذا يناسب اصول الاعتزال وان جهنم لموعدهم اجمعين قال ابن عباس يريد ابليس ومن تبعه من الغاوين لها سبعة ابواب اي سبع طبقات بعضها فوق بعض اعلاها للموحدين والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وعن ابن عباس في رواية ابن جريج ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة

النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين وقيل ان لزوم جهنم مقسوم بسبعة اقسام
لكل قسم باب معين لكل باب جزء من اتباع ابليس مقسوم في قسمة الله سبحانه والسبب فيه ان مراتب الكفر مختلفة بالغلظ والخفة فلا جرم صارت
مراتب العقاب ايضا متفاوتة بحسبها ثم عقب الوعيد بالوعد فقال ان المتقين في جنات وعيون زعم جمهور المعتزلة انهم الذين اتقوا جميع المعاصي
والا لم يفد المدح وقال جمهور الصحابة والتابعين هم الذين اتقوا الشرك بالله واحتجوا عليه بانه اذا اتقى مرة واحدة صدق عليه انه اتقى وكذا
الكلام في الضارب الكاتب فليس من شرط صدق الوصف كونه اتيا بجميع اصنافه وزاده الان الامة اجمعوا على ان التقوى عن الشرك شرط في
حصول هذا الحكم والاية ايضا وردت عقيب قوله الا عبادك منهم المخلصين ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فلزم اعتبار الايمان في هذا الحكم والظ
والظاهر انه لا يراد شرط اخر لان التخصيص خلاف الظاهر فكلما كان اقل كان اوفق لمقتضى الاصل فثبت ان المتقين هنا اول جميع القائلين بكلمة
الاسلام وهي لا اله الا الله محمد رسول الله قولا واعتقادا سواء كان من اهل الطاعة او من اهل المعصية ثم ان الجنات اقلها اربع لقوله تعالى ولمن
خاف مقام ربه جنتان ثم قال ومن دونهما جنتان واما العيون فاما ان يراد بها الانهار المذكورة في قوله فيها انهار من ماء غير اسن الاية واما
ان يراد بها منابع غير ذلك ثم ان كل واحد من المتقين يحتمل ان يختص بعين وينتفع بها كل من في جملته من الحور والولدان ويكون ذلك على قدر
حاجتهم وعلى حسب شهوتهم ويحتمل ان يجري من بعضهم الى بعض ويحتمل لانهم مطهرون من كل حقد وحسد فان قيل اذا كانوا في جنات فكيف يعقل
ان يقول لهم الله تعالى وبعض الملائكة ادخلوها فالجواب لعل المراد انهم لما ملكوا الجنات فكلما ارادوا ان ينتقلوا من جنة الى اخرى قيل لهم ذلك
ومعنى بسلام اي مع السلامة من افات البعض والانقطاع قوله ونزعنا ما في صدورهم من غل قد مر تفسيره في الاعراف اخوانا نصب على الحال
وكذلك على سرر متقابلين والمراد بالاخوة اخوة الدين والتعاطف والسرر جمع سرير قيل هو المجلس الرفيع المهيأ للسرور وقال الليث سرير العيش
مستقره الذي يطمان عليه حال سروره وفرحه والتركيب يدل على العزة والنفاسة ومنه قولهم سر الوادي لافضل موضع منه ومنه السر الذي
يكتم عن ابن عباس يريد على سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت وعن مجاهد يدور بهم الاسرة حيثما داروا فيكونون في جميع احوالهم
متقابلين والتقابل التواجه نقيض التدابر وتقابل الاخوان يوجب اللذة والسرور ليكون كل منهم مقبلا على الاخر بالكلية وتقابل الاعداء يكون
بتقابل التضاد والتمانع فيكون موجبا للتباغض والتخالف واعلم ان الثواب منفعة مقرونة بالتعظيم خالصة عن الافات امنة من الزوال فقوله ان
المتقين اشارة الى المنفعة وقوله ادخلوها الى اخره الى انها مقرونة بالتعظيم وقوله ونزعنا الى قوله لا يمسهم فيها نصب اي تعب تلويح الى كونها سالمة
من المنغصات الا ان قوله ونزعنا ما في صدورهم اشارة الى نفي المضار الروحانية وقوله لا يمسهم اشارة الى نفي المضار الجسدانية وقوله وما هم
منها بمخرجين مفيد لمعنى الخلود ثم لما ذكر الوعيد والوعد زاده تقريرا وتمكينا في النفوس فقال نبئ عبادي وفيه من التوكيدات ما لا يخفى منها
اشهاده ورسوله واعلامه ومنها تشريفهم باطلاق لفظ العباد عليهم ثم باضافتهم الى نفسه ومنها التوكيد بان وبالفصل وبصيغتي الغفور والرحيم
مع نوع تكرر وكل ذلك يدل على ان جانب الرحمة اغلب كما قال سبقت رحمتي غضبي التاويل ربما يود الذين كفروا اي النفوس الكافرة لو كانوا مسلمين
لاوامر الله ونواهيه وذلك انما يكون عند استيلاء سلطان الذكر على القلب والروح وتنور صفاتها بنور الذكر فيغلب النور على ظلمة النفس وصفاتها
وتبدلت احوالها من الامارية الى الاطمينان فتمنت حين ذاقت حلاوة الاسلام وطعم الايمان لو كانت من بدو الخلق مسلمة مؤمنة كالقلب والروح
ثم هذه النفس التي ذاقت حلاوة الاسلام ثم عادت المشوم الى طبعها واستحلت المشارب الدنيوية يقول ذرهم ياكلوا وما اهلكنا من قرية من القرى
البدنية استعدادها الا ولها كتاب مكتوم في علم الله من سوء اعماله واحواله ما تسبق من امة اجلها حتى يظهر منها ما هو سبب هلاكها وما يستاخرون
لحظة بعد استيفاء اسباب الهلاك وقالوا يعني النفوس المتمردة مخاطبا للقلب الذاكر لو ما تاتينا بصفات الملائكة المنقادين وفيه اشارة الى ان
النفس الامارة لا تؤمن بما انزل الله الى القلوب من الانوار الالهية حتى يصير مطمئنة مستعدة لهذه الصفات ولو ان لا تقبل ذاتها وكمال استعداد
القلوب ما كانوا اذا من مؤخرين من الهلاك لضيق نطاق طاقتهم انا نحن نزلنا كلمة لا اله الا الله في قلوب المؤمنين كتب في قلوبهم الايمان و
المنافق يقول ذلك ولكن لم ينزل في قلبه ولم يحفظ ولو فتحنا على من اسكنا الكفر في قلوبهم بابا من سماء القلب لا نكروا فتح الباب ولقد جعلنا
في سماء القلب بروج الاطوار فكما ان البروج منازل السيارات فكذلك الاطوار منازل شموس المشاهدات واقمار المكاشفات وسيارات اللوامع
والطوالع وزيناها لاهل النظر السائرين الى الله وحفظناها من وساوس الشيطان وهواجس النفس الامارة ولكن من استرق السمع من النفس والشيطان
فادركه شعلة من انوار تلك الشواهد فيضمحل الباطل ويتبين الحق والارض مددناها فيه ان ارض البشرية مثل كنفس الحيوانات الا ان ارساها
الله بجبال العقل وصفاء القلب وجعلنا لكم فيها معايش هي اسباب الوصول والوصال ومن لستم له برازقين وهو جوهر المجردات فان غذاءه من مواهب
الحق وتجلي جماله فقط ولكل شيء خزائنه فلصورة الاجسام خزائن ولاسمائها خزائن ولمعناها خزائن وكذا للونها ولطعمها ولخواصها من المنافع والمضار
وكذا للظلمة ونورها ولملكها وملكوتها وما من شيء الا وفيه لطف الله وقهره مخزون وقلوب العباد خزائن صفات الله تعالى باجمعها وارسلنا رياح
العناية لواقح لاشجار القلوب باثمار الكشوف وبانوار الشواهد كما قال بعضهم اذا هبت رياح الكرم على اسرار العارفين اعتقتهم من هواجس انفسهم
ورعونات طباعهم وظهر في القلوب نتائج ذلك وهي الاعتصام بالله والاعتماد عليه فانزلنا من سماء الهداية ماء الحكمة وما انتم له بخازنين في اصل

الخلقة فان المخلوق لا يوصف بالحكمة الا مجازا وانا لنحن نحيي قلوب اوليائنا بانوار جمالنا ونميت نفوسهم بسطوة جلالنا ونحن الوارثون بعد فنا
وجودهم ابقوا ببقائنا وان ربك هو يحشر المستقدمين الى الخطاير قدسه والمستاخرين الى اسفل سافلين الطبيعة خاطب ابليس النفس بقوله
وان عليك اللعنة الى يوم الدين الى ان تطلع شمس شواهد نا من مشرق الروح ويصير ارض النفس مشرقة ويتبدل صفاتها الذميمة المظلمة
بالاخلاق الروحانية الحميدة الى يوم يبعثون اي يبعث الارواح في قيامة العشق وهو الوقت المعلوم الذي يتجلى الرب فيه للارواح العشاق فينعكس
نور التجلي من الارواح الى النفوس فيجعلها مطمئنة بما اغويتني اضللتني من طريق الامارية لازينن الارواح في ارض البشرية من الاعمال الصالحة
التي تورث الاخلاق الحميدة وبما تورثه الارواح درجاتها ولاغوينهم اجمعين عما كانوا طلبوه من الاعمال الروحانية الملكية التي لا يأتي الا
لعبادك الذين خلصوا من حبس الوجود بجذبات الالطاف هذا صراط اي هو طريق اهل الاستقامة في السير في الله المنقطعين عن غيره ان
عبادي ليس لك عليهم سلطان حجة يتعلق بتلك الحجة لهدايتهم واغوائهم فانهم بلا هم وان من خصوصية العبودية المضافة الى الحضرة الحرية
عما سواه لها سبعة ابواب من الحرص والشره والحقد والحسد والغضب والشهوة والكبر او الابواب السبعة اشارة الى الحواس الخمس الظاهرة والى
الوهم والخيال فانهما اصل الحواس الباطنة لان الاول يدرك المعاني والثاني يدرك الصور والباقية اعني المفكرة والحافظة والذاكرة من
اعوانها واكثر ما يستعمل الانسان هذه المشاعر انما يستعملها في الاحوال الدنيوية المفضية الى الهلاك فلا جرم صارت ابواب الجحيم فاذا استعملها
في تحصيل السعادات الباقية بحسب بصيرة العقل الغريزي صرن مع العقل ابوابا بل اسبابا لحصول الجنة ادخلوها بسلام والسلام من الله الجبار
امنين من رفع موانع الخروج والدخول بعد الوصول فان السير في الله لا يمكن الا بالله وجذباته ولهذا قال جبرئيل ليلة المعراج لو دنوت انملة
لاحترقت ونزعنا فيه ان نزع الغل من الصدور لا يكون الا بنزع الشهوات الارواح القدسية مطهرات عن علائق القوى الشهوانية والغضبية
مبرات من حوادث الوهم والخيال ومعنى تقابلهم ان النفوس المصفات عن كدورات عالم الاجسام ونوازع الخيال والاوهام اذا وقع عليها
انوار جمال الله وجلاله انعكس منها الى من في مثل درجاتها كما يتعاكس المرايا الصافية المتحاذية فيزداد كل منها في نفسها بخفاء صفاتها وفي قوله
نبئ عبادي اشارة الى ان سلوك السالكين وطير الطائرين يجب ان يكون على اقدمي الرجاء والخوف وجناحي الانس والجن والله الموفق بالصواب

وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ قَالُوا لَا تَوْجَلْ
إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا
تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ قَالُوا
إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ فَلَمَّا
جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ وَأَتَيْنَاكَ
بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ
تُؤْمَرُونَ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ
قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ قَالَ هَٰؤُلَاءِ
بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ فَجَعَلْنَا
عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ

ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين وكانوا ينحتون من الجبال

وبتحقیق تکذیب کردند اصحاب حجر رسولان را ودادیم ایشان را نشانهای خود پس بودند از انها اعراض کنندگان وبودند میتراشیدند از کوهها

بيوتا آمنين فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون وما خلقنا السموات

خانها را ایمنان پس گرفت ایشان را بانگ در حالیکه بامداد کنندگان بودند پس کفایت نکرد از ایشان آنچه بودند کسب میکردند ونیافریدیم آسمانها

والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل ان ربك هو الخلاق

وزمین وآنچه میان آنهاست مگر براستی وبدرستیکه قیامت هرآینه آینده است پس درگذر درگذشتنی خوب بدرستیکه پروردگار تو اوست آفریدگار

العليم ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا

دانا وبتحقیق دادیم ترا هفت آیه از سوره که دوبار نازل شده وقرآن عظیم مکش البته چشمهای خود را بآنچه بهره مند گردانیدیم باو اصنافی را

منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين وقل اني انا النذير المبين كما انزلنا على المقتسمين

از ایشان ونه اندوه خور بر ایشان وفرود آر بازوی خود را برای مؤمنان وبگو بدرستیکه من هم ترساننده آشکارا انچنانکه فرو فرستادیم بر قسمت کنندگان

الذين جعلوا القرآن عضين فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون فاصدع بما تؤمر

آنانکه کردند قرآن را پاره پاره پس بپروردگار تو قسم که هرآینه خواهیم پرسید ایشان را همه از آنچه بودند میکردند پس آشکارا کن آنچه مامور شده

واعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون

وروی بگردان از مشرکان بدرستیکه ما کفایت کردیم ترا از استهزا کنندگان آنانکه میگردانند با خدا خدای دیگر پس زود باشد که بدانند

ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين

وبتحقیق میدانیم که تنگ میشود سینهٔ تو بآنچه میگویند پس تسبیح گوی بستایش پروردگار خود وباش از سجده کنندگان وپرستش کن پروردگار خود را تا بیاید بتو مرگ

القراءة اذ دخلوا وبابه مدغما ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف غير هشام انا نبشرك بسكون الباء وضم الشين حمزة الاخرون بالتشديد يبشرون بالتشديد وكسر النون المخففة نافع مثله ولكن مشددة النون ابن كثير الباقون بفتح النون على انها علامة رفع يقنط بكسر النون ابو عمرو وسهل ويعقوب وعلي وخلف كذلك بابه الاخرون بالفتح ال لوط مدغما حيث كان شجاع لمنجوهم بالتخفيف يعقوب وحمزة وعلي وخلف الباقون بالتشديد قدرنا بالتخفيف حيث كان ابو بكر وحماد بناتي ان بفتح الياء ابو جعفر ونافع اني انا بفتح ياء المتكلم ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو الوقوف ابرهيم لئلا يصير اذ دخلوا ظرفا لنبئهم فانه محال سلاما وجلون عليم تبشرون القانطين الضالون المرسلون مجرمين للاستثناء ال لوط اجمعين لا لان الجملة بعده صفة بالكسر لدخول اللام في الخبر الغابرين المرسلون لان ما بعده جواب لما منكرون يمترون لصادقون تؤمرون مصبحين يستبشرون فلا تفضحون للعطف ولا تخزون العالمين فاعلين لا لابتداء القسم يعمهون مشرقين لاتصال انقلابها بالصيحة من سجيل للمتوسمين مقيم للمؤمنين لتمام القصة لظالمين لاتصال الانتقام بظلمهم منهم لان الواو للابتداء فلو وصل لشبه الحال وهو محال مبين لتمام قصة المرسلين لان الواو بعد للحال اي وقد اتيناهم معرضين للعطف آمنين مصبحين للاتصال معنى يكسبون لتمام القصص الا بالحق الجميل العليم العظيم للمؤمنين المبين لجواز تعلق الكاف بقوله فاخذتهم او بقوله فاتيناهم او لجواز تعلقها بمحذوف اي انزلنا عليهم العذاب كما انزلنا وتمام البحث سيجيء في التفسير المقتسمين عضين اجمعين يعملون المشركين المستهزئين آخر لابتداء التهديد مع الفاء يعلمون يقولون لاتصال الامر بالتسبيح بتسلية الساجدين للعطف اليقين التفسير انه سبحانه عطف قصة ابرهيم على نبينا وعليهما السلام ليكون سماع هذه القصص مرغبا في الطاعة الموجبة للفوز بدرجات الاولياء ومحذرا من المعصية المستتبعة لدركات الاشقياء ولما في قصة لوط من ذكر انجاء المؤمنين واهلاك الظالمين وكل ذلك يقوي ما ذكر من انه غفور رحيم للمؤمنين وان عذابه عذاب اليم للكافرين وعند المعتزلة غفور للتائبين معذب لغيرهم وقد مر تفسير اكثر هذه القصة في سورة هود فلنذكر الا ما هو مختص بالمقام قوله وجلون معناه خائفون وخافهم لامتناعهم من الاكل او لدخولهم بغير اذن في غير وقت انا نبشرك استيناف في معنى تعليل النهي عن الوجل لبشره بالولد الذكر ويكون عليما فقيل ارادوا بعلمه نبوته وقيل العلم مطلقا وقوله على ان مسني في موضع الحال اي مع هذه الحالة استفهم منكرا للولادة في حالة الهرم لانها امر عجيب في العادة لا لانه شك في قدرة الله تعالى ولذلك قال فبم تبشرون ما استفهامية دخلها معنى التعجب كانه قال فبأي اعجوبة تبشروني او انكم لا تبشروني بشيء في الحقيقة لان ذلك امر غير متصور في العادة واحسن ما قيل فيه ان لا يكون قوله بم صلة للتبشير بل يكون سؤالا عن الوجه والطريقة يعني اذا كان الطريق المعتاد ممتنعا فبأي طريق تبشرونني بالولد فلذلك قالوا في جوابه بشرناك بالحق اي باليقين الذي لا لبس فيه او بشرناك بالولد بطريق هو حق وذلك قول الله ووعده وانه قادر على خلق الولد من غير ابوين فضلا من شيخ فان وعجوز عاقر قال ابو حاتم حذف نافع ياء المتكلم مع النون واسقاط الحرفين لا يجوز واجيب بانه حذف الياء اكتفاء بالكسرة ونون الوقاية لم يوردها كما اوردت في قراءة التشديد وانما كسر نون الجمع لاجل الياء وكلتا اللغتين فصيح وقيل عظم فرحه بتلك البشارة فذهل عن الجواب المنتظم فتكلم بالكلام المضطرب وقيل طلب مزيد الطمانينة كقوله ولكن ليطمئن قلبي عن ابن عباس يريد بالحق ما

قضى الله ان يخرج من صلب ابرهيم اسحق ومن صلب اسحق اكثر الانبياء وقوله فلا تكن من القانطين لا يدل على انه كان قانطا فقد ينهى عن الشيء من ابتدائه كقوله ولا تطع الكافرين ولذلك كذا ابرهيم نهيهم بقوله ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون اي المخطئون طريق الصواب او الكافرون وفيه انه لم يستنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له في العادة التي اجراها الله سبحانه قنط يقنط مثل ضرب يضرب وقنط يقنط مثل علم يعلم وزعم الفارسي ان الاولى اعلى اللغتين ثم سأل عما لاجله ارسلهم الله سبحانه فقال فما خطبكم والخطب الشأن العظيم فقيل انه لما بشروه بالولد الذكر العليم فما وجه السؤال عن مجيئهم واجاب الاصم بان المراد ما الامر الذي وجهتم فيه سوى البشرى فقال القاضي انه علم ان المقصود لو كان التبشير فقط لكان الملك الواحد كافيا وقيل علم انه لو كان تمام الغرض البشارة لذكروها اول ما دخلوا قبل ان يوجس ابرهيم منهم خيفة فلعله استصغر امر التبشير اما لاجل التواضع واما لانه واقعة خاصة فسألهم عن الامر الذي هو اعظم من ذلك وان عم نفعها لنا انهم قالوا انا ارسلنا زعم صاحب الكشاف ان الارسال ههنا في معنى التعذيب والاهلاك كارسال الحجارة والسهم الى المرمى واقول كانه لا حاجة الى هذا التجوز لقوله في سورة الذاريات انا ارسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين فالتقدير انا ارسلنا اليهم لنهلكهم الا ال لوط وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا لاختلاف الجنس فان القوم موصوفون بالاجرام دون ال لوط ويكون قوله انا لمنجوهم جاريا مجرى خبر لكن كانه قيل لكن ال لوط منجون ويكون قوله الا امرأته استثناء اي ارسلنا اليهم لنهلكهم الا امرأته كقول المقر لفلان علي عشرة الا ثلاثة الا واحدا وجوز في الكشاف ان يكون قوله الا ال لوط مستثنى من الضمير في مجرمين حتى يكون الاستثناء متصلا اي الى قوم قد اجرموا كلهم الا ال لوط وحدهم ولم يجوز الاستثناء من الاستثناء بناء على ان ال لوط مستثنى من مفعول ارسلنا او مجرمين والا امرأته من مفعول منجوهم وقد عرفت انه على ان اذا جعل الارسال بمعنى الاهلاك كما قرره هو آل الامر الى ما ذكرنا فلا ادري لم استبعده مع وفور فضله قال اهل اللغة قدرت الشيء وقدرته بالتخفيف والتثقيل جعل الشيء على مقدار غيره ومنه قدر الله الاقوات اي جعلها على مقدار الكفاية وقدر الامور اي جعلها على مقدار ما يكفي في ابواب الخير والشر وقيل في معنى قدرنا قال كتبنا الزجاج دبرنا وقيل قضينا والكل متقارب والمشدد في هذا المعنى اكثر استعمالا وانه جواب سؤال كانه قيل ما بالها استثنيت من الناجين فقيل قدرنا انها لمن الغابرين اي الباقين في الهلاك وبقي الماضي ايضا غابر وهو من الاضداد قال في الكشاف علق فعل التقدير مع ان التعليق من خصائص افعال القلوب لانه في معنى العلم وانما اسندوا الفعل الى انفسهم مع ان التقدير لله عز وجل بيانا لاختصاصهم به تعالى كما يقول خاصة الملك دبرنا كذا وامرنا بكذا ولعل المدبر والامر هو الملك وحده ثم ان الملائكة لما بشروا ابرهيم بالولد واخبروا بانهم مرسلون الى قوم مجرمين ذهبوا بعد ذلك الى لوط وذلك قوله فلما جاء ال لوط المرسلون قال اي لوط انكم قوم منكرون تنكركم نفسي وتنفر منكم وذلك انهم هجموا عليه فلم يعرفهم وخاف ان يطرقوه بشر فلذلك قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تخاف بل جئناك بما فيه فرحك وتشفيك من عدوك وهو العذاب الذي كنت تخوفهم به وهم يشكون في وقوعه واتيناك بالحق اليقين الثابت وقال الكلبي بالعذاب الذي لا شك فيه وانا لصادقون فيما اخبرناك به فاسر باهلك بقطع من الليل اي في آخره وقد مر في سورة هود وزاد ههنا قوله واتبع ادبارهم لانه اذا ساقهم وكان من ورائهم علم بنجاتهم ولا يخفى عليه حالهم فنفى لا يزيد بيان لكيفية الاسراء ولم زاد في البيان فقال ولا يلتفت منكم احد ولم يستثن امرأته اكتفاء بما مر في السورة من قوله الا ال لوط انا لمنجوهم اجمعين الا امرأته قال جار الله انما امر باتباع ادبارهم ونهاهم عن الالتفات ليكون فارغ البال من حالهم فيخلص قلبه لشكر الله ولئلا يتخلف منهم احد لغرض له فيصيبه العذاب ولئلا يشاهدوا عذاب قومهم فيرقوا لهم مع انهم ليسوا من اهل الرقة عليهم وليوطنوا نفوسهم على المهاجرة ولا يتحسروا على ما خلفوا وجوز ان يكون النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني لان من يلتفت لا بد ان يقع له ادنى وقفة وامضوا حيث تؤمرون قال الجوهري مضى الشيء مضيا ذهب ومضى في الامر مضيا نفذ وقال في الكشاف عدى وامضوا الى حيث تعديته الى الظرف المبهم لان حيث مبهم في الامكنة وكذلك الضمير في تؤمرون قلت حاصل الكلام يرجع الى قولنا اذهبوا الى المكان الذي تؤمرون بالذهاب اليه وانفذوا والمراد الذهاب الى هناك عن ابن عباس انه الشام وقيل مصر وقال المفضل حيث يقول لكم جبرئيل وكانت قرية معينة ما عمل اهلها عمل قوم لوط ثم اخبر عن حالهم مجملا فقال وقضينا ضمن معنى اوحينا ولذلك عدي بالى كانه قيل واوحينا اليه ذلك الامر مقضيا مبتوتا ثم فسر ذلك الامر بقوله ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين اي حال ما اصبحوا او اصابهم عن لومهم حال ظهور الصبح ودخولهم فيه وفي هذا الاجمال والتفسير تفخيم لشان الامر وتعظيم له ثم حكى ما ابدى قوم لوط من الفعال بعد نزول الملائكة فقال وجاء اهل المدينة اي اهل سدوم التي ضرب بقاضيها المثل فقيل اجور من قاضي سدوم يستبشرون بظهور الشر ومجيء الملائكة لانهم رأوهم مردا حسان الوجوه فقال لوط لما قصدوا اضيافه ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي لان الضيف يجب اكرامه فاذا اسيء اليه في دار المضيف كان ذلك اهانة وفضيحة للمضيف يقال فضحه يفضحه فضحا وفضيحة اذا اظهر من امره ما يلزمه العار واتقوا الله ولا تخزون مر في هود قالوا في جواب لوط اولم ننهك عن العالمين اي الم ننهك عن ان تكلمنا في شان احد من الناس اذا قصدناه بالفاحشة وكانوا يتعرضون لكل احد وكان لوط ينهاهم عنه بقدر وسعه فاوعدوه بقولهم لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين وقيل نهوه عن ضيافة الناس وانزالهم قال هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين اراد نساء امته كما مر في هود قال جار الله ان كنتم فاعلين شك في قبولهم لقوله كانه قال وما اظنكم تفعلون وقيل

وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما احل الله دون ما حرم ثم قالت الملائكة للوط عليه السلام لعمرك مبتداء محذوف الخبر لكثرة الاستعمال اي قسمي
او هو مما اقسم به والعمر والعمر بالفتح والضم واحد الا انهم خصوا القسم بالمفتوح لايثار الاخف فان الحلف كثير الدور على السنتهم انهم لفي سكرتهم
غوايتهم التي اذهبت عقولهم حتى لم يميزوا بين خطائهم وصوابهم يعمهون يتحيرون فكيف يقبلون قولك والذي تأمرهم به من ترك البنين الى البنات
وقيل انه سبحانه خاطب رسول الله صلعم وانه يحيون ذكره بحياته [...] وما اقسم بحياة احد وذلك يدل على انه اكرم الخلق على الله فاخذتهم الصيحة
مشرقين داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس كان ابتداء العذاب من اول الصبح لقوله مصبحين اليس الصبح بقريب وغايته كانت عند طلوع الشمس
قال المفسرون هي صيحة جبرئيل قلت ويحتمل ان يكون صيحة قلب المداين وارسال الحجارة عليهم قال بعض المفسرين انما قال وامطرنا عليهم وفي
سورة هود وامطرنا عليها لان المراد هنا من شذ من القرية منهم وقيل سبب تخصيص هذه السورة بجمع المذكر هو بناء القصة على قوله انا ارسلنا
الى قوم مجرمين ان في ذلك لآيات للمتوسمين للمتفرسين وحقيقة التوسم التثبت في النظر حتى يعرف حقيقة سمة الشيء فعبر به عن التامل والتفكر
وانها يعني تلك القرى وآثارها لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس المارة من الحجاز الى الشام يشاهدون آثار غضب الله وعذابه [...] قال بعضهم
انما جمع الآيات في قوله ان في ذلك الآيات للمتوسمين لانه اشارة الى ما تقدم عن ضيف ابرهيم وقصة لوط وقلب المدينة وامطار الحجارة عليها
وعلى من غاب منهم وقال في الثانية وانها لبسبيل وهذه واحدة من تلك الآيات فلذلك قال ان في ذلك لآية للمؤمنين وقيل ما
جاء من القرآن من الآيات فلجمع الدلائل وما جاء من الآية فلوحدانية المدلول عليه فلما ذكر عقيبه المؤمنين وهم مقرون بوحدانيته وحد الآية
نظيره في العنكبوت خلق الله السموات والارض بالحق ان في ذلك لآية للمؤمنين ثم اجمل قصة قوم شعيب فقال وان كان اصحاب الايكة لظالمين
ان مخففة عن الثقيلة ولذلك دخلت اللام الفارقة في خبرها كانوا اصحاب غياض ومواضع ذات شجر فنسبوا اليها الايكة الشجر الملتف والضمير في
قوله وانهما يعود الى قرى قوم لوط والى الايكة وقيل بل الى الايكة ومدين لان شعيبا كان مبعوثا اليهما فدل بذكر احد الموضعين ههنا وهو
الايكة على الآخر لبامام مبين لبطريق واضح قال الفراء والزجاج سمي الطريق اماما لانه يؤم ويتبع وقال ابن قتيبة لان المسافر يأتم به حتى يصير
الى الموضع الذي يريده ثم ختم القصص بقصة ثمود فقال ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين وهو واد بين الشام والمدينة وجمع المرسلين لان
تكذيب نبي واحد وهو صالح كتكذيب جميع الانبياء او لان القوم كانوا براهمة منكرين لكل الرسل او اراد صالحا ومن معه من المؤمنين وآتيناهم اي
اعطينا رسولهم آياتنا اراد الناقة وكانت فيها آيات خروجها من الصخرة وعظم خلقها وكثرة لبنها الى غير ذلك كما حكينا في الاعراف وكانوا عنها اي
عن النظر فيها والاعتبار بها معرضين وفيه ان التقليد مذموم والاستدلال واجب وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من ان يتهدم ويتداعى
بنيانها او يقع سقفها عليهم او آمنين من عذاب الله او من حوادث الدهر فما اغنى عنهم لم يدفع عنهم شيئا من عذاب الله ما كانوا يكسبون من
من بناء البيوت الوثيقة ومن جمع الاموال والعدد ولما فرغ من القصص قال وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق اي ملتبسة بالفوائد
والغايات الصحيحة والحكم منها اشتغال المكلفين بالعبادة والطاعة حتى تركوها واعرضوا عنها وجب في الحكمة اهلاكهم وتطهير الارض عنهم بهذا النظم
يناسب اصول الاعتزال قال الجبائي بطل بذلك مذهب المجبرة الذين يزعمون ان اكثر ما خلق الله بين السموات والارض من الكفر والمعاصي
باطل واجيب بان افعال العباد من جملة ما بين السموات والارض فوجب ان يكون الله خالقها ويمكن ان يقال في وجه النظم ان هذا ابتداء شروع
في تسلية النبي صلعم وتصبيره على اذيات قومه بعد اقتصاص احوال الامم السالفة ومعاملاتهم مع انبيائهم ويؤيد هذا النظم قوله وان الساعة لآتية
معناه لان الله سينتقم لك فيها من اعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك وسيئاتهم فانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا بالحق
والعدل فكيف يليق بحكمته وفضله اهمال امرك ولما صبره على اذى قومه رغبه في الصفح فقال فاصفح الصفح الجميل فاعرض عنهم
اعراضا جميلا بحلم واغضاء ان كان اللام للجنس فالمراد هذا النوع من الصفح الذي يشتمل على حقد واجهال و[...] وان كان للعهد
فلعل المراد ما امر به في قوله خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقيل هذا منسوخ بآية السيف والاظهر ان حسن المعاشرة والمخالقة
مأمور بها ما امكن فلا حاجة الى ارتكاب النسخ ان ربك هو الخلاق كثير الخلق العليم الكامل العلم يعلم ما يجري بين الخلائق من الاحوال والاخلاق
وان كثروا وكثرت فيجازيهم يوم القيمة على حسب ذلك وقيل اراد انه الذي خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم فاليوم الصفح اصلح فاصفحوا الى ان
يكون السيف اصلح ثم حث على الصفح والتجاوز بذكر النعم الجليلة العظام التي خصه بها فقال ولقد آتيناك سبعا من المثاني اكثر المفسرين
على ان المراد بها فاتحة الكتاب وهو قول عمر وعلي وابن مسعود وابي هريرة والحسن وابي العالية ومجاهد والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة
وذلك انها سبع آيات والمثاني جمع مثناة من التثنية او جمع مثنية وانها تثنى في كل صلوة وقال الزجاج تثنى بما يقرأ بعدها معها او لانها
قسمت بصفين قسم ثناء وقسم دعاء وقد ورد الحديث في هذا المعنى قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين وقد ورد في اول الكتاب او لانها
كلمات مثناة مثل الرحمن الرحيم اياك واياك الصراط صراط عليهم عليهم واشتمالها على ثناء الله تعالى وتحميده مفرد ومما يتفرع على هذا
القول ما نقل القاضي عن ابي بكر الاصم انه قال كان ابن مسعود لا يكتب في مصحفه فاتحة الكتاب فقيل كانه رأى انه تعالى عطف عليه قوله والقرآن
العظيم والعطف يوجب المغايرة فوجب ان يكون السبع المثاني غير القرآن والجواب انه قد يكون بعطف الجزء على الكل كقوله وملائكته وجبرئيل

او بالعكس

الحجر

او بالعكس كان في الآية والمقصود في الوصفين تمييز البعض عن الكل تنبيها على مزية ذلك البعض وشرفه فان قلنا ليس لعطف الكل على البعض
نظير والاستدلال بالآية استدلال لصورة النزاع من غير دليل قلنا يكفي بقوله ولقد آتيناك تدليلا على انه من القرآن وعن ابن عمر وسعيد
جبير في رواية ان السبع المثاني هي السبع الطوال سميت بذلك لما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغيرها ولان
لانها تثني على الله بما فعاله العظمى وصفاته الحسنى وانكر الربيع هذا القول لان هذه السورة مكية واكثر تلك السور مدنية واجيب بان المراد من الايتاء
انزالها الى السماء الدنيا والمكية والمدنية في ذلك سيان وضعف بان المراد الحقيقي لفظ الايتاء على ما لم ينزل بعد انه خلاف الظاهر وقال قوم
السبع المثاني هي التي دون الطول والمئين وفوق المفصل واحتجوا عليه بما روى ثوبان عن رسول الله صلعم قال ان الله اعطاني المئين مكان الانجيل
واعطاني المثاني مكان الزبور وفضلني ربي بالمفصل قال الواحدي والقول في تسمية هذه السورة مثاني كالقول في تسمية الطول مثاني وروي عن
ابن عباس وابنه [...] طاوس انها هي القرآن لقوله سبحانه كتابا متشابها مثاني وانها سبعة اسباع كرر فيها دلائل التوحيد والنبوة والتكاليف ومعنى
العطف على هذا القول الجمعية كقوله الى الملك القرم وابن الهمام وكانه قيل آتيناك ما هو الجامع لكونه سبعا مثاني ولكونه قرآنا عظيما قال الزجاج وقال
صاحب الكشاف ومن في المثاني للبيان او للتبعيض اذا اردت بالسبع الفاتحة او الطول وللبيان اذا اردت الاسباع ولما عرف رسوله نعم الدينية ورغبه
فيها نفره من اللذات العاجلة الزائلة لان كل نعمة وان عظمت فانها بالنسبة الى نعمة القرآن ضئيلة حقيرة ومنه الحديث من لم يتغن بالقرآن اي لم يستغن
فليس منا وعظم صغيرا او قول ابي بكر من اوتي القرآن فراى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا فمن حق قاري القرآن
الواقف على معانيه ان لا يشغل سره بالالتفات الى الدنيا وزهرتها قال الواحدي انما يكون ماد عينيه الى الشيء اذا ادام النظر نحوه وادامة النظر اليه
يدل على استحسانه وتمنيه وقال في الكشاف معنى لا تمدن لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له الى ما متعنا به ازواجا منهم اي اصنافا من الكفار قاله
ابن قتيبة وقال الجوهري الازواج القرناء قال بعضهم لا تمدن عينيك اي لا تحسدن احدا على ما اوتي من الدنيا وضعف بان الحسد منهي عنه مطلقا
فكيف يحسن تخصيص الرسول به ويمكن ان يجاب بان المراد منه نهي التكوين كقوله ولا تكونن من المشركين او المراد الغبطة فهي محظورة عليه صلعم لعلو
منصبه وان كانت جائزة لامته ويروى انه وافت من بلاد الشام سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر فقال المسلمون لو
كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله فقال لهم الله عز وجل لقد اعطيتكم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع
وانما قال في هذه السورة لا تمدن بغير واو العطف لانه لم يسبقه طلب بخلاف ما في سورة طه لما نهاه عن الالتفات اليهم نهاه ان يحصل لهم في
قلبه قدر ووزن فقال ولا تحزن عليهم اي على انهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الاسلام وينتعش بهم المؤمنون وكما امره بالتكبر على الاغنياء و
الترفع عنهم اذا كانوا كفارا امره بالتواضع للفقراء اذا كانوا مؤمنين فقال واخفض جناحك للمؤمنين الخفض نقيض الرفع وجناحا الانسان يداه
وخفضهما كناية عن اللين والرفق وانما قال في سورة الشعراء بزيادة لمن اتبعك لانه قال قبله وانذر عشيرتك الاقربين فلو لم يذكر هذه الزيادة
لكان الظاهر ان اللام للعهد فصار الامر بخفض الجناح مختصا بالاقربين من عشيرته فزيد لمن اتبعك ليعلم ان هذا التشريف شامل لجميع متبعيه
من الامة ولما بعثه على الرفق باهل الايمان امره بالانذار لكل المكلفين فقال وقل اني انا النذير المبين ويدخل تحت كونه مبلغا لجميع التكاليف
لان كل ما كان واجبا رتب على تركه عذاب وكل ما كان حراما رتب على فعله عقاب ويدخل في كونه شارحا لجميع مراتب اهل التكليف من الجنة والنار
فالانذار بالنار والاحذار بالجنة هو الاخبار عن موجب الحرمان عنها وفي متعلق قوله ولقد آتيناك اي انزلنا عليك مثل ما انزلنا على المقتسمين
ومن هم قيل اهل الكتاب الذين جعلوا القرآن عضين اي اجزاء جمع عضة واصلها عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها اجزاء واعضاء او
فعلة من عضهته اذا بهته فالمحذوف منها الهاء لا الواو ومن عكرمة العضه السحر بلسان قريش يقولون للساحرة عاضهة ولعن رسول الله صلعم
العاضهة والمستعضهة فينقصانها الهاء ايضا وجمعت العضة بالمعاني جمع العقلاء لما لحقها من الحذف فجعلوا الجمع بالواو والنون عوضا عما
لحقها من الحذف كسنين يعني الآية ان اليهود اقتسموا القرآن الى حق وباطل وجزوه فقالوا بعضه حق موافق للتورية والانجيل وبعضه باطل
مخالف لهما ويجوز ان يراد بالقرآن ما يقرؤنه من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبالاقرار بالبعض والتكذيب بالبعض كقوله افتؤمنون
ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وفي هذا تسلية لرسول الله صلعم عن تكذيب قومه وعداوتهم وطعنهم وسط بين المتعلق بقوله لا تمدن [...]
لانه ممد للتسلية لما فيه من النهي عن الالتفات الى دنياهم والتاسف على كفرهم ومن الاقبال بالكلية على المؤمنين الوجه الثاني ان
يتعلق بقوله النذير المبين وعلى هذا لا يكون بد من التزام اضمار او زيادة اما الاضمار فان يكون التقدير انا النذير عذابا كما انزلنا
كقولك رأيت القمر في الحسن اي وجها كالقمر واما الزيادة فان يكون الكاف زائدة كقوله ليس كمثله شيء ويمكن ان يبقى الكاف بمعنى مثل ولا حاجة
الى التزام والتقدير انذر قريشا مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم اما اليهود ويراد بالعذاب ما جرى على قريظة والنضير فيكون قد جعل
المتوقع بمنزلة الواقع وهو من الاعجاز لانه اخبار بما سيكون وقد كان واما غيرهم من اهل مكة او من قوم صالح قال ابن عباس الذين اقتسموا
طرق مكة ومداخلها ايام الموسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان بالله ورسوله يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا
فانه ساحر ويقول الآخر كذاب والآخر شاعر فاهلكهم الله يوم بدر وقبله بآفات وكانوا قريبا من اربعين منهم ابو لهب والمغيرة والعاص

وابل والاسود بن عبد المطلب قال عكرمة اقتسموا القرآن استهزاء وكان يقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول الآخر سورة آل عمران لي وقال مقاتل
اقتسموه وقال بعضهم سحر وبعضهم شعر وبعضهم كذب وبعضهم اساطير الاولين وقال ابن زيد المقتسمون هم الذين تقاسموا بالله لنبيتنه واهله
كما جاء في سورة النمل فرهطهم وعلى هذا يكون قوله الذين جعلوا منصوبا بالنذير اي انذر العضين الذين يجزئون القرآن الى سحر وشعر و
اساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين ثم اقسم على سبيل الوعيد فقال فوربك لنسألنهم الآية وقد مر تفسير مثله في اول الاعراف وذلك قوله
فلنسألن الذين ارسل اليهم والاظهر ان الضمير عائد الى جميع المكلفين المنذرين وان السؤال يكون عن جميع الاعمال وقد يخص الضمير
بالمقتسمين والسؤال بالاقتسام ثم شجع نبيه فقال فاصدع اي اجهر بما تؤمر واظهره وفرق بين الحق والباطل واصل الصدع الشق والفصل
ومنه سمي الصبح صديعا كما سمي فلقا وصدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا قال النحويون الجار محذوف والمعنى بالذي تؤمر من الشرائع مثل امرتك
الخير ويجوز ان يكون ما مصدرية اي بامرك وشانك مصدر من المبني للمفعول وقالوا وما زال النبي صلعم مستخفيا حتى نزلت هذه الآية ثم قال واعرض
عن المشركين اي لا تبال بهم ولا تلتفت الى لومهم اياك على اظهار الدعوة وهذا لا ينافي آية القتال حتى يلزم النسخ على ما ظن بل يؤكدها ثم اكد النهي
عن الاكتراث بهم وقوى قلبه فقال انا كفيناك المستهزئين ولا ريب انهم طبقة ذو شوكة قدروا على الاستهزاء بالرسول مع جلالة قدره والا لم يفد
الا هذا القيد لكن المفسرين ذكروا عددهم واسماءهم مع اختلاف بينهم والاشهر على ما رواه عروة بن الزبير انهم خمسة نفر من الاشراف الوليد بن المغيرة
والعاص بن وائل والاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب والحارث بن الطلاطلة وعن ابن عباس ماتوا كلهم قبل يوم بدر وقال جبرئيل عم
لرسول الله صلعم امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى
الى اخمص العاص بن وائل فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى عيني الاسود بن المطلب فعمي واشار الى
انف الحارث فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح راسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات ثم زاد
في تسلية نبيه فقال ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون من المطاعن فيك وفي القرآن لان الجبلة البشرية والمزاج الانساني يقتضي ذلك ثم
امره بكشف ما نابه باربعة اشياء بالتسبيح والتحميد والسجود والعبادة الى اتيان اليقين عن ابن عباس هو الموت سمي به لانه امر متيقن ولا يجب ما دام المكلف
حيا وهذا كما قيل فتخلل بعده طلب العلم انه من المهد الى اللحد وكيف يصير الاقبال على الطاعات سببا لزوال ضيق القلب قال المحققون لانه ينكشف له
اضواء عالم الربوبية فيهون في نظره المصالح الدنيوية فلا يستوحش من فقدانها ولا يستانس بوجدانها قال اهل السنة اذا نزل الى العبد بعض المكاره
فعليه ان يفزع الى الله بالذكر الدائم والسجود وسائر انواع العبادة فكانه يقول وجب على عبادتك سواء اعطيتني الخيرات او القيتني في المكاره وقالت المعتزلة
من اعتقد تنزيه الله من القبائح سهل عليه تحمل المشاق لانه يعلم انه تعالى عدل منزه عما لا فائدة فيه ولا غرض فيطيب قلبه التاويل في بشارة ابراهيم
اشارة الى ان الطالب الصادق وان كان مستضعف القوى كما قيل الصوفي بعد الاربعين بارد فانه ينبغي ان لا يقنط من رحمة الله فيتقرب اليه بالاعمال
القلبية ليتقرب اليه ربه باصناف الالطاف وجذبات الاعطاف فيخرج من صلبه وجود رحم قلبه غلاما عليما بالعلوم اللدنية وهو واعظ الله
في قلب مؤمن ان في ذلك لآيات لاصحاب القلوب المتوسمين بشواهد احكام الغيب وما خلقنا سموات الارواح وارض الاشباح وما بينهما من
النفوس والقلوب والاسرار والخفيات الا بالحق اي الا لمظهر الحق ومظهره هو الانسان المخصوص بذلك من بين سائر المخلوقات وان الساعة
يعني قيامة العشق لآتية لنفوس الطالبين الصادقين من اصحاب الرياضات لان انفسهم تموت بالرياضة ومن مات فقد قامت قيامته فاصفح ايها الطالب
الصادق عن النفس المرتاضة بان تداويها وتواسيها فان في قيامة العشق يحصل من تزكية النفس في لحظة واحدة ما لا يحصل بالمجاهدة في سنين كثيرة
ومن هاهنا قيل جذبة من جذبات الرحمن توازي عمل الثقلين ان ربك هو الخلاق لصور المخلوقات ولمعانيها ولحقائقها الا يعلم العليم لمن خلقه
مستعد المظهرية ذاته وصفاته ومظهريتهما وليس ذلك لمن في السموات والارض وما بينهما الا الانسان الكامل وغيره مختص بمظهرية الصفات
دون الذات وان كان ملكا فلهذا قال ولقد آتيناك سبعا اي سبع صفات ذاتية لله تبارك وتعالى السمع والبصر والكلام والحيوة والعلم
والارادة والقدرة من المثاني اي من خصوصية المظهرية والمظهرية للذات والصفات والقرآن العظيم ولهذا صار خلقه عظيما لانه كان خلقه
القرآن لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا من اهل الدنيا والآخرة واخفض جناحك للمؤمنين بهذا المقام ليصلوا بجناح همتك اليه
المقتسمين الذين قسموا انوار الله على انفسهم فصاروا مظاهر القهر الذين جعلوا القرآن عضين اي اجزاء في الاستعمال فقوم قرؤه ليقال هم
القراء وبه ياكلون وقوم حفظوه ليقال الحفاظ وبه يجرون الرزق وقوم حصلوا تفسيره وتاويله اظهارا للفضل وطلبا للشهرة وقوم استنبطوا
معانيه وفقهه على وفق اهوائهم ومذاهبهم فكفروا اولا فذروا القرآن وراء ظهورهم انا كفيناك المستهزئين الذين يستعملون الشريعة بالطبيعة استهزاء بدين الله الذين
يجعلون مع الله الها آخر من الهوى والدنيا فسبح بحمد ربك لانك لست منهم وكن من الساجدين بسجدة الشكر واعبد ربك حتى ياتيك اليقين الى
الابد لان كل مقام يحصل فيه اليقين بالعيان بعد البرهان فانه يحصل فوقه مقام الوصول الكان يحصل برد اليقين فيه ثم فيه مراتب لا تتناهى فاليقين يكون اشارة الى الابد

سورة النحل مكية غير ثلث آيات واقعة في آخرها حروفها سبعة آلاف وسبعمائة وسبعة كلماتها الف وثمانمائة واحدى واربعون آياتها مائة وثمان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

(النحل)

اتى امر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا
انه لا اله الا انا فاتقون خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون خلق الانسان من نطفة فاذا
هو خصيم مبين والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون ولكم فيها جمال حين تريحون
وحين تسرحون وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم
والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر
ولو شاء لهداكم اجمعين هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت
لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون وسخر
لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون وما ذرا لكم
في الارض مختلفا الوانه ان في ذلك لآية لقوم يذكرون وهو الذي سخر البحر لتاكلوا منه لحما
طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون
والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون افمن يخلق كمن لا يخلق افلا
تذكرون وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم والله يعلم ما تسرون وما تعلنون
والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون اموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثون الهكم
اله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون لا جرم ان الله يعلم ما يسرون وما
يعلنون انه لا يحب المستكبرين

القراءة تشركون وما بعده بتاء الخطاب حمزة وعلي وخلف والآخرون على الغيبة تنزل بالفتحات
الثلث الملائكة بالرفع سهل وروح وزيد وابو زيد مثله لكن بضم التاء القوافية جبلة ينزل من
الانزال الملائكة بالنصب ابن كثير وابو عمرو ورويس والباقون بالتشديد من التنزيل بشق الانفس بفتح الشين يزيد والباقون بكسرها ننبت
بالنون يحيى وحماد والآخرون بياء الغيبة والشمس والقمر والنجوم مسخرات كلها مرفوعات ابن عامر ووافق حفص والمفضل في النجوم مسخرات والباقون
بنصب الجميع على ان مسخرات حال يسرون ويعلنون بالياء التحتانية فيهما الخراز عن هبيرة والآخرون بتاء الخطاب يدعون على الغيبة سهل
ويعقوب وعاصم غير الاعشى والباقون على الخطاب الوقوف فلا تستعجلوه ط يشركون ه فاتقون ه بالحق ط تشركون ه مبين ه خلقها ج لاحتمال
تمام الكلام واحتمال ان يكون لكم متعلقا به والوقف على لكم ه تاكلون ه للعطف تسرحون ه الا بشق الانفس ط رحيم ه لان الخيل مفعول خلق وزينة ط
ما لا تعلمون ه جائر ط اجمعين ه تسيمون ه الثمرات ط يتفكرون ه والنهار لمن قرا والشمس وما بعده بالرفع ومن نصب الشمس والقمر ورفع النجوم وقف على القمر
ومن وقف الكل وقف على بامره لآيات يعقلون ه لان ما بعده مفعول سخر الوانه ط يذكرون ه تلبسونها ج لان قوله وترى فعل مستانف مع اتصال المعنى
تشكرون ه تهتدون ه لان قوله وعلامات عطف على سبلا وعلامات ط يهتدون ه لا يخلق ط تذكرون ه لا تحصوها ط رحيم ه وما تعلنون ه
هم يخلقون ط لان التقدير هم اموات غير احياء ج لاختلاف الجملتين وما يشعرون ه لان ما بعده مفعول يبعثون ه واحد ج لان ما بعده مبتدا مع الفاء مستكبرون

وما يعلنون؟ المستكبرين؟ التفسير هذه السورة تسمى سورة النعم ايضا وحكى الاصم عن بعضهم ان كلها مدنية وما سواها مكي وعن قتادة بالعكس
منه قال اهل النظم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بعذاب الدنيا وهو القتل والاستيلاء عليهم كما حصل في يوم بدر وتارة بعذاب القيامة ثم ان
القوم لما لم يشاهدوا شيئا من ذلك قابلوا على تكذيبه وكانوا يستعجلون ما وعد وابرا استهزاء وروي انه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما
بينهم ان هذا يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس
حسابهم فاشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فوثب رسول الله ورفع الناس
رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه فاطمأنوا والحاصل ان قوله اتى امر الله جواب عن شبهتهم اجراء للمأ يجب وقوعه مجرى الواقع كما يقال لمن طلب الاغاثة
وقرب حصولها جاءك الغوث فلا تجزع او المراد ان امر الله بذلك وحكمه قد وقع واتى فاما المحكوم به فانما لم يقع لانه تعالى حكم بوقوعه في وقت
معين فقبل مجيء ذلك الوقت لا يخرج الى الوجود فلا تستعجلوه ولا تطلبوا حصوله قبل حضور ذلك الوقت ثم ان المشركين كأنهم قالوا هب يا محمد انا
سلمنا لك صحة ما تقول من انه تعالى حكم بانزال العذاب علينا اما في الدنيا واما في الآخرة الا انا نعبد هذه الاصنام لانها شفعاؤنا عند الله
فكيف نستحق العذاب بسبب هذه العبادة فاجاب الله عن هذه الشبهة بقوله سبحانه وتعالى عما يشركون كما مر في اول سورة يونس والمراد تنزيه نفسه عن
الاضداد والانداد وان يكون لاحد من الازواج والاجسام ان يشفع عنده الا باذنه او يستقل في حكم من احكامه او قضية قبل اذنه ثم انهم كأنهم
قالوا سلمنا انه تعالى يقضي على طائفة باللطف وعلى الآخرين بالقهر ولكن كيف عرفت وانت على اسرار الله تعالى في ملكه وملكوته دوننا ومن اين حصل
لك هذا الفضل علينا فازال الله سبحانه شبهتهم بقوله ينزل الملائكة الآية والمراد ان له المالكية ان يخص بعض عبيده بانزال الوحي عليه و
يأمره بان يكلف سائر العباد معرفة الله وتوحيد الله وعبادته فظهر بهذا البيان ان هذه الآيات منتظمة على احسن الوجوه قال الواحدي روى عطاء
عن ابن عباس انه اراد بالملائكة ههنا جبرئيل وحده وتسمية الواحد بالجمع اذا كان رئيسا مطاعا جائزة وعلى هذا التفسير فالمراد بالروح كلام الله تعالى
كقوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا قال المحققون الروح الاصلي هو القرآن الذي فيه بيان المبدأ والوسط والمعاد فيه يحصل اشراق
العقل بالعقل كما يحصل جوهر الروح وبالروح يكمل حال الجسد فهو الاصل والباقي فرع عليه وبهذه المناسبة يسمى جبرئيل روحا وعيسى
روحا وعن ابي عبيدة ان الروح ههنا جبرئيل والباء بمعنى مع اي ينزل الملائكة مع جبرئيل وذلك انه في اكثر الاحوال كان ينزل ومعه افواج من
الملائكة كما في يوم بدر وحنين وكان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ملك الجبال وملك البحار وخزان الجنة وغيرهم قال في الكشاف بالروح من امره بما
يحيي القلوب الميتة بالجهل من وحيه او بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وقال غيره من امره معناه ان ذلك التنزيل والتنزول لا يكون
الا بامر الله كقوله وما نتنزل الا بامر ربك قال الزجاج ان انذروا بدل من الروح اي ينزلهم بان انذروا وان اما مفسرة لان تنزيل الوحي فيه
معنى القول واما مخففة من الثقيلة وضمير الشأن مقدر اي بان الشأن اقول لكم انذروا اي اعلموا الناس قوله لا اله الا انا وهو اشارة
الى استكمال القوة النظرية وقوله فاتقون رمز الى استكمال القوة العملية ومنه يعلم ان النفس متى كملت هاتين الجهتين حصل لها روح حقيقي وحياة
ابدية وسعادة سرمدية قال الامام فخر الدين الرازي انا لا نعلم كون الملهم غير صادق ولا معصوم من الكذب والتلبيس الا بالدلائل السمعية وصحة
الدلائل السمعية موقوفة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم وصدقه يتوقف على ان هذا القرآن معجز من قبل الله لا من قبل شيطان خبيث والعلم بذلك يتوقف
على العلم بان جبرئيل صادق مبرأ من التلبيس واغفال الشياطين فيلزم الدور وهذا مقام صعب اقول قد ذكرنا مرارا ان الفرق بين المعجز و
السحر هو ان صاحب المعجزة يدعو الى الخير وصاحب السحر يدعو الى الشر والفرق بين الملك والشيطان هو ان الملك يلهم بالخير والشيطان يوسوس بضده
واذا كان الامر كذلك فكيف يشتبه المعجزة بالسحر وجبرئيل بابليس ومن اين يلزم الدور ولما بين الله سبحانه ان روح الارواح وروح الاجسام هو
معرفة انه لا اله الا هو اجل ان يعلل ما بعده دلائل التوحيد مبتدأ من الاشرف وهو السموات الى الادون وهو الارضيات فقال خلق السموات
والارض بالحق وقد مر تفسيره مثله مرارا وقوله تعالى عما يشركون تنزيه لذاته عن مشاركة في الازلية والقدم والتدبير والتأثير والصنع و
الابداع والفائدة المطلوبة من هذا الكلام غير الفائدة المطلوبة من مثله في اول السورة كما ذكرنا فلا تكرار ثم ان اشرف الاجسام بعد الفلكيات
بدن الانسان فلهذا اعقب المذكور بقوله خلق الانسان من نطفة قالت الاطباء ان الغذاء اذا وصل الى المعدة حصل له هناك هضم واذا
وصل الى الكبد حصل له فيها هضم ثان وفي العروق له هضم ثالث وفي جواهر الاعضاء هضم رابع وحينئذ يصير جزأ من العضو المغتذي شبيها به ثم عند
استيلاء الحرارة على البدن وقت هيجان الشهوة يحصل ذوبان لجملة الاعضاء ويجتمع منه النطفة في اوعيتها وعلى هذا يكون النطفة جسما مختلف
الاجزاء والطبائع وان كانت تتخيل في الحس انها متشابهة الاجزاء وكيف كان فالمقتضي لتولد البدن منها ليس هو الطبيعة الحاصلة لجوهر النطفة
ودم الطمث لان الطبيعة تأثيرها بالذات والايجاب لا بالتدبير والاختيار والقوة الطبيعية اذا عملت في مادة متشابهة الاجزاء وجب ان يكون
فعلها هو الكرة وعلى هذا الحرف عول الحكماء في قولهم البسائط يجب ان يكون اشكالها الطبيعية هي الكرة واذا عملت في مادة مختلفة الاجزاء وكل مركب
فانه ينحل الى بسائط فانه يلزم ان يكون الحيوان على شكل كرات مضموم بعضها الى بعض وكلا الامرين غير مطابق للواقع فعلمنا ان حدوث هذه
الاعضاء على هذا الترتيب الخاص ليس بالطبيعة وانما هو بتدبير الفاعل المختار وهو الله سبحانه وكيف لا والنطفة رطوبة سريعة الاستحالة

فالاجزاء الموجودة فيها لا يحفظ الوضع والنسبة فالجزء الذي هو مادة الدماغ يمكن حصوله في الاسفل والجزء الذي هو مادة القلب قد يحصل
في الفوق فلا يكون حدوث الاعضاء الحيوان على هذا الترتيب الخاص دائما او اكثريا واذا كان كذلك علمنا ان حدوثها باحداث مدبر
مختار ثم ان نزلنا عن جميع هذه المراتب فالخلاف بين الحكيم وبين المتكلم ان الطبيعة خرقاء وانها ليست واجبة الوجود لذاتها فلا بد من الانتهاء
الى الصانع الحكيم الخبير اما قوله فاذا هو خصيم مبين ففيه ذكروا فيه وجهين الاول فاذا هو منطيق مجادل عن نفسه مبين للحجة بعد ان كان نطفة
لا حس به ولا حراك وتقريره ان النفوس الانسانية في اول الفطرة اقل فهما وذكاء من نفوس الحيوانات الاترى ان ولد الدجاجة كما يخرج من
البيضة يعرف الصديق من العدو ويهرب من الهرة ويلتجي الى الام ويميز بين الغذاء الذي لا يوافقه وحال الطفل بخلاف ذلك فانتقاله من تلك
الحالة الخسيسة الى ان يقوى على معرفة الالهيات والفلكيات والعنصريات وعلى ايراد الشكوك والشبهات على النتائج والمقدمات انما
يكون بتدبير اله مختار قدير ينقل الارواح من النقصان الى الكمال ومن الجهالة الى المعرفة الوجه الثاني ان المراد فاذا هو خصيم لربه منكر على
خالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم فعلى الوجه الاول جوزان يكون الخصيم فعيلا بمعنى مفاعل كالاكيل والشريب وان يكون بمعنى مختصم
وعلى الوجه الثاني تعين كونه بمعنى مفاعل والترجيح من الوجهين للاول بناء على ان هذه الآيات مسوقة لتقرير الدلائل على وجود الصانع
الحكيم وقدرته لا لاجل وصف الانسان بالتمادي في الوقاحة والكفران وقد يرجح الثاني بما روي ان ابي بن خلف الجمحي جاء بعظم رميم الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم فنزلت ثم اردف تكوين الانسان بتكوين الحيوانات التي ينتفع بها الانسان في
ضروراته من الاكل والركوب وجر الاثقال وفي غير ضروراته من الاغراض الصحيحة كالتزين والجمال فقال والانعام خلقها وهي الازواج الثمانية
المذكورة في سورة الانعام وهي الضأن والمعز والابل والبقر وان شئت قلت الابل والبقر والغنم قال في الكشاف واكثر ما يقع هذا اللفظ
على الابل قلت ويمكن ان يستدل على ذلك بقوله بعد ذلك وتحمل اثقالكم لان هذا الوصف لا يليق الا بالابل وانتصابها بمضمر يفسره
الظاهر ويجوز ان يكون معطوفا على الانسان اي خلق الانسان والانعام ثم قال خلقها لكم اي ما خلقها الا لكم ولمصالحكم يا جنس الانسان
قال صاحب النظم واحسن الوجهين ان يكون الوقف عند قوله خلقها ابتداء ثم عطف عليه قوله ولكم فيها جمال والدفء اسم ما يدفأ به كالملاء
اسم ما يملأ به وهو الدفاء من لباس معمول من صوف او وبر او شعر قال الجوهري الدفء نتاج الابل والبانها وما ينتفع به منها والدفء ايضا
السخونة قوله ومنافع قالوا المراد نسلها ودرها والمنافع بالحقيقة اعم من ذلك فقد ينتفع بها بالبيع والشراء بالنقود وبالاثواب وسائر الحاجات
اما قوله ومنها تأكلون فتقديم الظرف المؤذن بالاختصاص فلان الاكل منها هو الذي يعتمده الناس في معايشهم عادة واما الاكل من غيرها
كالدجاج وصيد البر والبحر فكغير المعتد به الجاري مجرى التفكه ويحتمل ان يراد ان غالب طعمتكم انما يحصل منها لانكم تحرثون بالبقر وتكسبون
باكرية الابل وتشترون بنتاجها والبانها وجلودها جميع ما تشتهون من الاطعمة قوله حين تريحون الاراحة رد الابل الى مراحها حيث تاوي اليه
ليلا ويسرح القوم ابلهم سرحا اذا اخرجوها بالغداة الى المرعى وقدم الاراحة لان الجمال فيها اظهر حين تقبل ملأى البطون حافلة الضروع ثم
تأوي الى الحظائر حاضرة لاهلها قوله بشق الانفس من قرأ بفتح الشين فمعناه المشقة فيكون مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى
الشق الذي هو الصدع ومن قرأ بالكسر فمعناه النصف كأنه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد قال جار الله معنى المضي في قوله لم تكونوا راجع
الى الفرض والتقدير اي لو لم يخلق الابل لم يكونوا الا كذلك وانما لم يقل لم تكونوا حامليها الى ذلك البلد ليطابق قوله وتحمل اثقالكم لاجل
المبالغة كأنه قيل قد علمتم انكم لا تبلغونه بانفسكم الا بجهد ومشقة وذهاب نصف القوى فضلا عن ان تحملوا على ظهوركم اثقالكم ويجوز ان يكون
المعنى لا تبلغوا الانتقال بحمد وقال لم تكونوا بالغيه الا بالشق والمراد بالاثقال الاجسام عن ابن عباس انه فسر البلد بمكة الى اليمن والى الشام و
قال الواحدي هذا قوله والمراد كل بلد لو تكلفتم بلوغه على غير ابل شق عليكم وخص ابن عباس هذه البلاد لانها اكثر متاجر اهل مكة ان ربكم
لرؤوف رحيم والا لم يخلق هذه الحوامل لاجل تيسير هذه المصالح احتج منكر والكرامات بالآية على امتناع طي الارض كما ينقل عن بعض الاولياء
والجواب ان الامتناع العادي لا ينافي الامكان الذاتي والخيل والبغال والحمير معطوفات على الانعام اي وخلق هؤلاء للركوب والزينة
فانتصب على انه مفعول له معطوف على محل لتركبوها وانما لم يقل ولتتزينوا بها ليكون المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد لان
الركوب فعل المخاطبين واما الزينة فعل الزائن وهو الخالق وفيه دليل على ان الركوب احد الامور المعتبرة في المقصود بخلاف التزين
بالشيء فانه قلما يلتفت اليه ارباب الهمم العالية لانه يورث العجب والتيه غالبا وكأنه قال خلقتها لتركبوها فتدفعوا عن انفسكم بواسطتها ضرر
الاعياء والمشقة واما التزين بها فهو حاصل في نفس الامر ولكنه غير مقصود بالذات احتجت المعتزلة القائلون بان افعال الله معللة بالمصالح
بان قوله لتركبوها يقتضي ان هذه الحيوانات مخلوقة لهذه المصلحة والجواب ان استتباع الغاية والفائدة مسلم ولكن التعليل ممنوع واحتج
الحنفية بالآية على تحريم لحوم الخيل من وجوه احدها ان افراد هذه الانواع الثلاثة بالذكر فيجب اشتراك الكل في الحكم لكن البغال والحمير
محرمان فكذا الخيل وثانيها ان منفعة الاكل اعظم منه من الركوب والزينة فلو كان اكل لحم الخيل جائزا لكان هذا المعنى اولى بالذكر وثالثها
ان قوله فيما قبل ومنها تأكلون يقتضي الحصر فيجب ان لا يجوز اكل ما عدا الانعام الا بدليل منفصل والاصل عدمه ورابعها ان قوله

لتركبوها يقتضي ان تمام المقصود من خلق هذه الاشياء الثلثة هو الركوب والزينة فلو كان حل اكلها مقصودا لزم ان يكون ما هو تمام المقصود بعض المقصود هذا محال والجواب ان تحريم الخيل محل النزاع وتحريم الحمير من الكتاب ممنوع لما روي عن جماعة من الصحابة انه صلى الله عليه وسلم نهى عام خيبر عن لحوم الحمر الاهلية فلو كان للاية دلالة على تحريم لحم الخيل لفهموه منها قبل ذلك العام لان الاية مكية عند الاكثرين ولو فهموا منها التحريم قبل ذلك لم يبق لتخصيص التحريم بهذه السنة فائدة واذا لم يكن الحمير والخيل محرمين لم يكن لتحريم البغال المتولدة منهما وجه وايضا كون معظم المنافع للاكل بالنسبة الى هذه الانواع ممنوع بل الركوب والزينة هما اعظم المنافع فيها ولهذا جعلا تمام المقصود منها فكان ما اعطى الاكثر والمعظم حكم الكل واقتضاء الحصر في قوله ومنها تاكلون ممنوع بل لعل الظرف قدم لرعاية الفاصلة ثم ان انواع الغرائب والعجائب الخارجة في هذا العالم لا حد لها ولا حصر فلهذا اشار الى ما بقي منها على سبيل الاجمال فقال ويخلق ما لا تعلمون اي كنهه وتفاصيله بل نوعه وجنسه فان مركبات العالم السفلي وغرائب العالم العلوي لا يعلمها الا موجدها وروى عطاء ومقاتل والضحاك عن ابن عباس انه قال ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والارضين السبع والبحار السبعة يدخل فيه جبرئيل عليه السلام كل سحر فيغتسل فيزداد نورا الى نوره وجمالا الى جماله ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل نقطة يقع من راسه كذا وكذا الف ملك يدخل منهم كل يوم سبعون الف ملك البيت المعمور وفي الكعبة ايضا سبعون الفا ثم لا يعودون اليه الى يوم القيمة وقيل المراد ما خلق في الجنة والنار مما لم يبلغه فهم احد ولا وهمه ولما ذكر بعض دلائل التوحيد بين انه ذكرها ازاحة للعذر وازالة للشبهة ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فقال وعلى الله قصد السبيل ذكر صاحب الكشاف ان السبيل الجنس والقصد مصدر بمعنى الفاعل يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه والجور الميل عن الاستقامة احتجت المعتزلة بالاية على مسئلتين من اصولهم احدهما انه يجب على الله تعالى الارشاد والهداية لان كلمة على للوجوب والمضاف محذوف اي وعلى الله بيان قصد السبيل فالمعنى ان هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة عليه والثانية انه لا يضل احدا ولا يغويه والا لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها او وعليه الجبر فلما غير اسلوب الكلام قائلا ومنها جائر دل على انه اراد ان يبين ما يجوز اضافته اليه من السبيلين وما لا يجوز والجواب عن الاول بعد تسليم افادة كلمة على الوجوب انه وجوب بحسب الفضل والكرم لا بمعنى استحقاق الذم على الترك وعن الثاني ان دلالة قوله ومنها جائر على ما ذكرتم ليست دلالة المطابقة ولا التضمن ولا الالتزام لان قول القائل من السبيل سبيل منحرفة لا يفيد الا الاخبار بوجود الانحراف في بعض السبل فاما ان فاعل تلك السبيل من هو فلا دلالة للكلام عليه اصلا على ان قوله ولو شاء لهديكم اجمعين يناقض ما ادعيتم وتفسير المشيئة بمشيئة الالجاء والقسر او بالهداية الى الجنة خلاف الظاهر كما مر مرارا ولما استدل على وجود الصانع الحكيم بعجائب احوال الحيوانات اراد ان يذكر الاستدلال على المطلوب بغرائب احوال النبات فقال هو الذي انزل من السماء ماء وقوله لكم متعلق بانزل او بشراب خبر له والشراب ما يشرب كالطعام لما يطعم والمراد ان الماء النازل من السماء قسمان بعضه يبقى لاجل الشرب كما هو ويحتمل ان يكون الماء المحتبس في الابار والعيون منه كقوله فاسكناه في الارض وبعضه يحصل منه شجر يرعاه المواشي قال الزجاج كل ما ينبت من الارض فهو شجر لان التركيب يدل على الاختلاط ومنه تشاجر القوم اذا اختلط اصوات بعضهم ببعض ومعنى الاختلاط حاصل في العشب والكلاء وفيما له ساق وقال ابن قتيبة المراد بالشجر في الاية الكلاء وفي حديث عكرمة لا تاكلوا ثمن الشجر فانه سحت واراد الكلاء وقيل الشجر كل ما له ساق كقوله والنجم والشجر يسجدان والعطف يقتضي التغاير فلما كان النجم ما لا ساق له وجب ان يكون الشجر ما له ساق ويجاب بان كون الشجر ما له ساق واجب لان عطف الجنس على النوع جائز وبان قوله فيه تسيمون من سامت الماشية اذا رعت واسامها صاحبها وهو من السومة العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض يقتضي ان يكون الشجر هو العشب ليمكن الرعي ورد بان الابل قد يقدر على رعي الاشجار الكبار وحين ذكر مرعى الحيوان اتبعه ذكر غذاء الانسان فقال ينبت لكم به الزرع الذي هو الغذاء الاصلي والزيتون الذي هو فاكهة من وجه وغذاء من وجه لكثرة ما فيه من الدهن والنخيل والاعناب اللتين هما اشرف الفواكه ثم اشار الى سائر الثمرات بقوله ومن كل الثمرات كما اجمل الحيوانات التي لم يذكرها بقوله ويخلق ما لا تعلمون قال في الكشاف انما لم يقل وكل الثمرات بل زاد من التبعيضية لان كلها لا يكون الا في الجنة واعلم انه قدم الغذاء الحيواني على الغذاء النباتي لان التنعم فيه اعظم لانه اسرع تشبها ببدن الانسان وفي ذكر الغذاء الحيواني قدم ما هو الزرع وغيره بناء على مكارم الاخلاق وهو ان يكون اهتمام الانسان بحال من تحت يده اكمل من اهتمامه بحال نفسه وانما عكس الترتيب في قوله كلوا وارعوا انعامكم بناء على ما هو الواقع في نفس الامر كقوله صلى الله عليه وسلم ابدأ بنفسك ثم بمن تعول قوله وسخر لكم الليل والنهار معنى تسخيرهما للناس تصييرهما نافعين لهم بحسب مصالحهم على سنن واحد يتعاقبان دائما كالعبد المطواع وكذا الكلام في تسخير الشمس والقمر والنجوم كما مر في الاعراف وفي سورة ابرهيم وهذا حسم لمادة شبهة من زعم ان حركات الفلكيات الافلاك هي المقتضية لتعاقب الليل والنهار ومسيرات الكواكب هي المستند عنه للحوادث السفليات فانه ان سلم لهم ذلك فلا بد لتلك الحركات والمسيرات من الانتهاء الى صانع قديم منزه عن التغير والامكان مبرء عن الحدوث والنقصان وهو الله سبحانه ان في ذلك لايات لقوم يعقلون قال جار الله جمع الاية وذكر العقل لان الاثار العلوية اظهر دلالة على القدرة الباهرة وابين شهادة للكبرياء والعظمة وقال غيره انما جمع الايات لتطابق قوله مسخرات ومثله في هذه السورة في موضع اخر مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله ان في ذلك لايات واقول انما جمع لان كلا من تسخير الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم اية في نفسها لتباين الليل والنهار وتخالف مسيرات

الكواكب

الكواكب كما هو مقرر في علم الهيئة بخلاف قوله ينبت لكم فان مطلق الانبات اية واحدة وكذا قوله وما ذرأ لكم في الارض اي خلق لكم فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك مختلفا الوانه فان ذرء هذه الاشياء على حالة اختلاف الالوان والاشكال مع تساوي الكل في الطبيعة الجسمية وفي تاثير الفلكيات فيها اية واحدة على وجود الصانع تعالى شانه ولست ادعي الا امكان هذه الاعتبارات والا ففي كل شيء له اية تدل على انه واحد وانما خص المقام الاول بالتفكر لامكان ايراد الشبهة المذكورة وخص المقام الثاني بالعقل لذكره بعد ازالة الشبهة وازاحة العلة فمن لم يعترف بعدها بالوحدانية فلا عقل له وخص المقام الثالث بالتذكر لمزيد الدلالة فمن شك بعد ذلك فلا حس له ومن جملة الايات التي في ضمنها انعامات على الانسان تسخير البحر بالركوب عليه والانتفاع به اكلا ولبسا والمراد باللحم الطري السمك قال ابن الاعرابي لحم طري غير مهموز ومصدره طراوة يقال شيء طري اي غض من الطراوة وقال قطرب طرو اللحم وطري طراوة والمراد في الاية السمك وما في معناه قال في الكشاف وصفه بالطراوة لان الفساد يسرع اليه فيسارع الى اكله خيفة الفساد عليه وقال المتكلمون انه لما خرج من البحر المالح الزعاق الحيوان الذي لحمه في غاية العذوبة علم انه لم يحدث بحسب الطبع بل حدث بقدرة الله تعالى وحكمته بحيث اظهر الضد من الضد قال اكثر الفقهاء ومنهم ابو حنيفة والشافعي من حلف لا ياكل لحما فاكل سمكا لم يحنث لان اللحم لا يتناوله عرفا ومبنى الايمان على العرف والعادة ولهذا لو قال لغلامه اشتر لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالانكار عليه ورد عليهم الامام فخر الدين الرازي بانه اذا قال لغلامه اشتر لحما فجاء بلحم العصفور كان حقيقا بالانكار مع انكم تقولون انه يحنث باكل لحم العصفور فثبت ان العرف مضطرب والرجوع الى نص القرآن متعين فليس فوق بيان الله بيان وللقائل ان يقول لعل الانكار في هذه الصورة بعد تسليمه انما جاء من قبل ندرة شراء العصفور او شراء لحمه فانما يشترى كله ولم يجئ من اطلاق اللحم على لحمه ومن منافع البحر استخراج الحلية منه قالوا المراد بالحلية اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم لانهن من جملتهم ولانهن يتزين لاجلهم وللقائل ان يقول لا مانع من تزيين الرجال باللآلي ونحوها شرعا فلا حاجة الى هذا التكلف استدل الامام فخر الدين بالاية في ابطال قول الشافعي انه لا زكوة في الحلي قال لان اللام فيما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا زكوة في الحلي ينصرف الى المعهود السابق ولا معهود الا ما في الاية من الحلية فصار معنى الحديث لا زكوة في اللآلي وهذا باطل بالاتفاق وللقائل ان يقول لم لا يجوز ان يكون اللام للجنس فيشمل المصوغ من الذهب والفضة ايضا فيكون الحديث مخصصا بالاية ان ثبت صحته ومن عجائب البحر ومنافعه قوله سبحانه وترى الفلك مواخر فيه قال اهل اللغة مخر السفينة شقها الماء بصدرها وعن الفراء انه صوت جري الفلك بالرياح وقال ابن عباس مواخر اي جواري وانما حسن هذا التفسير لانها لا تشق الماء الا اذا كانت جارية وقوله ولتبتغوا من فضله اي لتتجروا فيه فتطلبوا الربح من فضل الله واذا وجدتم فضله واحسانه فلعلكم تقدمون على شكره واعلم ان قوله مواخر فيه جاء على القياس لان موضع الظرف المتعلق بمواخر بعد مضي مفعولي ترى واما في سورة الملائكة فقدم الظرف ليكون موافقا لقوله ومن كل تاكلون ولتقدم الجار في قوله ومن كل تاكلون حذف لفظة منه هناك والواو في ولتبتغوا في هذه السورة للعطف على لام العلة في لتاكلوا وقوله وترى الفلك مواخر فيه اعتراض في السورتين يجري مجرى المثل ولهذا وحد الخطاب في قوله وترى وقبله وبعده جمع اي لو حضرتها ايها المخاطب لرايتها بهذه الصفة ويمكن ان يقال انما قال في الملائكة فيه مواخر بتقديم الظرف لئلا يفصل بين لام العلة وبين متعلقها وهو مواخر وليكتنف المتعلق المتعلقين وانما بينا الكلام على ان قوله فيه متعلق بمواخر لا بترى لقرب هذا وبعد ذلك والله اعلم قوله ان تميد بكم اي كراهة ان تميل الارض بكم والباء للتعدية او للمصاحبة والميد الحركة والاضطراب يمينا وشمالا يروى انه تعالى خلق الارض فجعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت قال جمهور المفسرين ان السفينة اذا القيت على وجه الماء فانها تميل من جانب الى جانب وتضطرب فاذا وضعت الاجرام الثقيلة في تلك السفينة استقرت على وجه الماء فهكذا الارض لتستقر على الماء بسبب ثقل الجبال واعترض عليه بان السفينة انما تضطرب على الماء لتخلخلها وخفتها بسبب الهواء الداخل في تجاويف الخشب ومسامها اما الارض فجسم كثيف ثقيل من شانها الرسوب في الماء على ما هو مشاهد من حال اجزائها المنفصلة عنها فان كان طبيعة الكل كذلك فكيف يعقل طفوها حتى توجب الجبال ارساءها وثباتها وان لم تكن طبيعة الكل كذلك حتى يكون طافية مائدة وقد ارساها الله تعالى بالجبال فالرسو والرسوخ انما يتصور على جسم واقف وليس الا الماء فينتقل الكلام الى وقوف الماء في حيزه المعين فان كان بحسب الطبيعة فهذا خلاف ما تقدر لانا نفينا القول بالطبائع الموجبة لهذه الاحوال وان لم يكن بالطبع بل كان وانما يخلق الفاعل المختار وتسكينه في حيزه المخصوص فلم لا نقول مثله في تسكين الارض هذا ملخص ما قاله الامام فخر الدين الرازي ونسب المقام الى الصعوبة والاشكال واستخرج لحله وجها مبنيا على قوانين الحكمة وهو ان الارض جسم كروي والكرة اذا كانت صحيحة الاستدارة فانها تتحرك بادنى سبب فلما احدث الله سبحانه على وجه الكرة هذه الخشونات الجارية مجرى الاوتاد منعها عن السلاسة والحركة قلت في هذا الحل خلل اما اولا فلكونه مبنيا على غير قواعد اهل التفسير واما ثانيا فلما ثبت في الحكمة ان نسبة اعظم جبل في الارض وهو ما ارتفاعه فرسخان وثلث فرسخ الى جميع الارض كنسبة خمس سبع عرض شعيرة الى كرة قطرها ذراع ولا ريب ان تلك القدر من الشعيرة لا يخرج الكرة المذكورة عن صحة الاستدارة بحيث يمنعها عن سلاسة الحركة فكذا ينبغي ان يكون حال الجبال بالنسبة الى كرة الارض والجواب الصحيح على قاعدة اهل الشرع ان يقال لا نسلم ان الارض بكليتها بالطبيعة موجبة لحالة من الاحوال وعلى تقدير التسليم فلا نسلم ان لها طبيعة الرسوب بل لعل طبيعتها الطفو فلهذا احتاجت الى الرواسي واما قوله لم لا يقف الله الماء في

حيرة ولم يوقف الارض من غير انسان فلا يخفى سقوطه مع القول بالفاعل المختار فللوسائط والاسباب مدخل في الامور العادية وان لم نقل بتأثيرها هذا وان حركة الارض عند الزلازل لا تنافي حكم تقدم اضطرابها الا ان اثبات الحركة لجزء الشيء لا ينافي نفيها عن كليته وشبهوا الزلزلة وهي حركة قطعة من الارض لاحتقان البخارات في داخلها وطلبها المنفذ باختلاج يحصل في جزء معين من بدن الحيوان قوله سبحانه وانهارا معطوف على رواسي اي وجعل فيها رواسي لان الالقاء ههنا بمعنى الجعل والخلق كقوله والقيت عليك محبة مني وكذا قوله وسبلا اي واظهرها وبينها لاجل ان تهتدوا بها في اسفاركم ولما ذكر انه اظهر في الارض سبلا معينة ذكر انه اظهر في تلك السبل علامات مخصوصة وهي كل ما يستدل به السابلة من جبل وسهل وغير ذلك يحكى ان جماعة يشمون التراب فيعرفون به الطرقات قال الاخفش تم الكلام عند قوله وعلامات وقوله وبالنجم هم يهتدون كلام منفصل عن الاول والمراد بالنجم الجنس كما يقال كثر الدرهم في ايدي الناس وعن السدي هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي قال بعض المفسرين اراد بقوله هم يهتدون اهل البحر لتقدم ذكر البحر ومنافعه وقيل اراد اعم من ذلك فاهل البر ايضا قد يحصل لهم الاهتداء بالنجوم في الطرق والمسالك وفي معرفة القبلة وانما جيء بالضمير الغائب لعوده الى السائرين لدلالة عليهم ذكر السبل وقال في الكشاف كأنه اراد قريشا فقد كان لهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر اوجب عليهم والاعتبار الزم لهم فخصصوا بتقديم النجم واقحام لفظهم كأنه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون ثم لما عدد الآيات الدالة على الصانع ووحدانيته واتصافه بجميع صفات الكمال اراد ان يوبخ اهل الشرك والعناد فقال افمن يخلق كمن لا يخلق اي كالاصنام التي لا تخلق شيئا الا انه اجراها مجرى اولي العلم فاطلق عليها لفظ من الذي هو لاولي العقل بناء على زعمهم انها الهة او لاجل المشاكلة بينه وبين من يخلق او اراد ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم عنده او اراد كل ما عبد من دون الله مغلبا فيه اولو العلم منهم واعلم ان اهل البيان يقولون ان المشبه به يجب ان يكون اقوى واتم في وجه الشبه من المشبه ليلحق الاضعف بالاقوى في وجه الشبه كقولك وجهه كالقمر ولا ريب ان الخالق اقوى من غير الخالق فكان حق النظم في الظاهر ان يقال افمن لا يخلق كمن يخلق والقرآن ورد على العكس وجوابه عند العلماء زيادة التوبيخ ليكون كأنهم جعلوا غير الخالق اقوى حالا واعرف من الخالق وقال في الكشاف انهم جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبهوه بها حين جعلوا غيره مثله في التسمية والعبادة فانكر عليهم ذلك ولوضوح كون هذا الامر منكرا عند من له ادنى عقل بل حس قال افلا تذكرون وفيه مزيد توبيخ وتجهيل لانه يجلي انه كالحاصل الذي يحصل عند العقل بادنى تذكر ومع ذلك هم عنه غافلون قال بعض الاشاعرة في الآية دلالة على ان العبد غير خالق لافعال نفسه لان الآية سيقت لبيان امتيازه بصفة الخالقية اجاب المعتزلة بان المراد افمن يخلق ما تقدم ذكره من السموات والارض والانسان والحيوان والنبات والبحار والجبال والنجوم او نقول معنى الآية ان كل من كان خالقا يكون افضل ممن لا يكون خالقا وهذا القدر لا يدل على ان كل من كان خالقا فانه يجب ان يكون الها ونظيره قوله الهم ارجل يمشون بها اراد بها ان الانسان افضل من الصنم والافضل لا يليق به عبادة الاخس فكذا ههنا وقال الكعبي في تفسيره نحن لا نطلق لفظ الخالق على العبد ومن اطلق ذلك فقد اخطأ الا في مواضع ذكرها الله تعالى كقوله واذ تخلق من الطين فعلى هذا لا يتوجه عليهم السؤال الا ان اصحاب ابي هاشم يطلقون لفظ الخالق على العبد حتى ان ابا عبد الله البصري قال اطلاق لفظ الخالق على العبد حقيقة وعلى الله مجاز لان الخلق عبارة عن التقدير وهو الظن والحسبان ثم لما فرغ من تعديد الآيات التي هي بالنسبة الى المكلفين نعم قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقد مر تفسيره في سورة ابراهيم قال العقلاء ان كل جزء من اجزاء البدن الانساني لو ظهر فيه ادنى خلل لتنغص العيش على الانسان وتمنى ان ينفق الدنيا لو كانت في ملكه حتى يزول عنه ذلك الخلل ثم انه سبحانه يدبر احوال بدن الانسان على الوجه الملائم له غالبا مع ان الانسان لا علم له بوجود ذلك الجزء ولا بمصالحه ومفاسده ولكن هذا المثال حاضر في ذهنك فقس عليه سائر نعم الله تعالى حتى تعرف تقصيرك وقصورك عن شكر ادنى نعمه فضلا عن جميعها ولهذا ختم الآية بقوله ان الله لغفور رحيم يغفر التقصير الصادر عنكم في اداء شكر النعم ويرحمكم حيث لا يقطعها عنكم بالتفريط ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها كان من لوازم اشتغالهم بعبادة غير الله اسرار ضروب من الكفر والمكائد في حق الرسول صلعم فاوعدهم بقوله والله يعلم ما تسرون وما تعلنون وفيه ايضا تعريض وتوبيخ بسبب ان الاله يجب ان يكون عالما بالسر والعلانية والاصنام التي عبدوها جمادات لا شعور لها اصلا فكيف يحسن عبادتها ثم زاد في التوبيخ فقال والذين يدعون اي الآلهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله لا يخلقون شيئا وقد ذكر هذا المعنى في قوله كمن لا يخلق وزاد ههنا قوله وهم يخلقون اي يخلقها الله بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون على نحو ذلك فهم اعجز من عبدتهم ثم في هذه الآية زيادة بيان لانه نفى عنهم صفة الكمال واثبت صفة النقصان وكذلك قوله اموات غير احياء يستلزم ذمهم مرتين لان من الاموات ما يعقب موته حياة كالنطفة والجسد الانساني الذي فارقه الروح واما الحجارة فاموات لا تقبل الحياة اصلا وفيه ان الاله الحق يجب ان يكون حيا لا يعقبه موت وحال هذه الاصنام بالعكس وفيه ان هؤلاء الكفار في غاية الغباوة وقد تقرر المعنى الواحد مع الغبي الجاهل بعبارات مختلفة تنبيها على بلادته وما يشعرون الضمير للآلهة اما الضمير في ايان يبعثون فاما للآلهة ايضا ويؤيده ما روي عن ابن عباس ان الله تعالى يبعث الاصنام لها ارواح ومعها شياطينها فيؤمر بالكل الى النار واما للداعين اي لا تشعر الآلهة متى يبعث عبدتهم فيكون فيه تهكم بالمشركين من حيث ان آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم وفيه ان لا بد من البعث وانه من لوازم التكليف واما للاحياء اي لا يعلمون متى تبعث الاحياء تهكما بحالها لان شعور الجماد محال فكيف بشعور ما لا يعلمه حي الا الحي القيوم سبحانه وجوز في الكشاف ان يراد بالذين يدعوهم الكفار

اي لا يعلم هؤلاء الالهة

الملائكة فان ناسا منهم كانوا يعبدونهم ومعنى انهم اموات اي لا بد لهم من الموت غير احياء اي غير باقية حياتهم ولا علم لهم بوقت بعثهم ولما زيف طريقة عبدة الاصنام صرح بما هو الحق في نفس الامر فقال الهكم اله واحد ثم ذكر ما لاجله اصر الكفار على شركهم فقال والذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة للوحدانية او لكل كلام يخالف هواهم وهم مستكبرون عن قبول الحق وذلك ان المؤمن بالبعث والجزاء يؤثر فيه الترغيب والترهيب فينقاد للحق اسرع واما الجاحد للمعاد فلا يقبل الا ما يوافق هواه ويلائم طبعه فيبقى في ظلمة الانكار لا جرم اي حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم على ما اسروا من الاستكبار واعلنوا من العناد انه لا يحب المستكبرين عن التوحيد فيختص بالمشركين او كل مستكبر فيدخل هؤلاء دخولا اوليا لان الكلام فيهم التأويل الناس طبقات ثلث الغافلون والخطاب معهم بالعتاب انكم كنتم مشتاقين الى الدنيا وزخارفها وهم اصحاب النفوس والعاقلون والخطاب معهم بوعد الثواب لرغبتهم في الطاعات والاعمال الصالحات وهم ارباب العقول والعاشقون والخطاب معهم بوصل رب الارباب لاشتياقهم الى جمال ذي الجلال فيخبر بان في الازل اتى امر الله استعجل ارواح كل طبقة منهم للخروج من العدم الى الوجود لنيل المقصود وطلب المفقود فخاطبهم بقوله فلا تستعجلوه فانه سيصيب كل طبقة منكم ما كتب له في القسمة الازلية والله سبحانه منزه عن ان يشاركه في الحكم احد فلا مبدل لكلماته ينزل الملائكة بالروح من امره اي بما يحيي القلوب من المواهب الربانية من امره الوارد على الجوارح بالتكاليف الشرعية وعلى النفوس بآداب الطريقة وعلى القلوب بالاشارات وعلى الارواح بملازمة الحضور للمكاشفات وعلى الاسرار بالمراقبات للمشاهدات وعلى الخفيات بتجلي الصفات لافناء الذوات على من يشاء من عباده من الانبياء والاولياء ان انذروا واعلموا اوصاف وجودكم بتبدلها في تجلي انه لا اله الا انا فاتقون عن انانيتكم بانانيتي خلق سموات الارواح وارض الاشباح وجعلها مظهر الافاعيله فهو الفاعل لما يظهر على الارواح والاشباح تعالى عما يشركون الارواح والاشباح في حالة انا عبدا الى في غيره خلق الانسان من نطفة لا علم لها ولا فعل فاذا هو خصيم مبين يدعي الشركة معه في الوجود والفاعلية والانعام اي الصفات الحيوانية خلقها لكم فيها دفء لانها المودعة في جبلتكم ومنافع ومنها تأكلون باستفادة ما يحل لكم فيها جمال تحلو في اوقات القرآن وازمنة الاستراحات وتحمل اثقالكم اي ارواحكم وهي اعباء الامانة الى بلد عالم الجبروت ان ربكم لرءوف رحيم اذا افنيتم انفسكم في جبروته بقيكم ببقاء عظمته والخيل والبغال والحمير اي صفاتها خلقت فيكم لانها مركب الروح عند السير الى عالم الجبروت وزينته عند رجوعه بالجذبة الى مستقره الذي اهبط منه ويخلق فيكم ما لا تعلمون وهو قبول فيض الله بلا واسطة وعلى الله قصد السبيل يجذبه راجعي ومنها جائر يعني نفوسكم يجذبه عن الفناء ويبدل الوجود هو الذي انزل من السماء سماء الكرم ماء الفيض منه شراب المحبة لقلوبكم ومنه شجر القوى البشرية ودواعيها فيه ترعون مواشي نفوسكم ينبت لكم زرع الطاعات والزيتون الصدق ونخيل الاخلاق الحميدة واعناب الواردات الربانية ومن كل ثمرات المعقولات والمشاهدات والمكاشفات وسخر لكم ليل البشرية ونهار الروحانية وشمس الروح وقمر القلب ونجوم الحواس والقوى وتسخيرها استعمالها على وفق الشريعة وقانون الطريقة وما ذرأ لكم في ارض جبلتكم من الاستعدادات يبلون في كل عالم يلونه من عوالم الملكية والشيطانية والحيوانية وسخر لكم بحر العلوم لتأكلوا منه الفوائد الغيبية السنية الطرية وتستخرجوا منه جواهر المعاني فيلبس بها ارواحكم النور والبهاء وترى فلك الشرائع ومذاهب جواري في بحر العلوم لتبتغوا الاسرار الخفية عن الملائكة والقى في ارض البشرية جبال الوقار والسكينة لئلا تميد بكم صفات البشرية عن جادة الشريعة والطريقة وانهارا من ماء الحكمة وسبلا الى الهداية والعناية وعلامات من الشواهد والكشوف وبنجم الجذبة الالهية هم يهتدون فيخرجون من ظلمات الوجود المجازي الى نور الوجود الحقيقي افمن يخلق الله فيه هذه الكمالات كمن لا يخلقها فيه من الملائكة وغيرهم وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وهي قسمان نعمة الاعطاف وهي ما يتعلق بوجود النعمة ظاهرة وباطنة ونعمة الالطاف وهي ما يتعلق بوجود المنعم من الذوات والصفات والله يعلم ما تسرون من اداء شكر نعمة القلوب وما تعلنون من اداء الشكر بالاجساد والذين يدعون من دون الله من الهوى والدنيا لا يخلقون شيئا من المنافع وهم يخلقون بتعب الدنيا الطلب في تحصيلها ولهذا قال اموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثها دواعي البشرية والذين لا يؤمنون بالآخرة بما في عالم الغيب قلوبهم منكرة لاهل الحق لانهم لا يتجاوزون عالم الحس يعلم ما يسرون من الانكار وما يعلنون من الاستكبار الله حسبه

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ۝ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۝ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ۝ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ فَادْخُلُوا

السخرية كقوله ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وجوز كونه منصوبا ولم يقرأ به واختلف في السائل فقيل هو كلام بعضهم لبعض وقيل هو
قول المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سألهم وفود الحاج عما انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالوا احاديث الاولين واباطيلهم ليس فيه شيء من العلوم والفصاحة والحقائق والدقائق ثم انه تعالى اقتصر في جواب شبههم على محض الوعيد
لانه قد ثبت بالتحدي كما مر ذكره مرارا ان القرآن معجز تحدوا بالقرآن جملة ثم بعشر سور ثم بسورة فعجزوا عن المعارضة فكان طعنهم فيه بعد
ذلك مجرد المكابرة والعناد فلم يستحقوا في الجواب الا التهديد والوعيد واللام في قوله ليحملوا ليس لام الغرض لانهم لم يصفوا القرآن بكونه اساطير
لغرض حمل الاوزار ولكن لما كانت عاقبتهم ذلك حسن التعليل به فكان لام العاقبة وقوله كاملة معناه انه تعالى لا يخفف من عقابهم شيئا
وفيه دليل على انه تعالى قد يسقط بعض العقاب عن المؤمنين لان هذا المعنى لو كان حاصلا في حق الكل لم يكن لتخصيص هؤلاء الكفار بهذا التكميل
فائدة قال الواحدي لفظة من في قوله ومن اوزار الذين ليست للتبعيض فانه لا يخفف عن الاتباع بعض اوزارهم لقوله صلى الله عليه وسلم ايما داع دعى الى الضلال
فاتبع كان عليه وزر من اتبعه لا ينقص من آثامهم شيء ولكنها للابتداء اي ليحملوا ما قد نشأ من اوزار الاتباع او للبيان اي ليحملوا اما هو مثل
اوزارهم ومعنى بغير علم ان هؤلاء الرؤساء انما يقدمون على هذا الاضلال جهلا منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد على ذلك الاضلال
وقال في الكشاف بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وانما وصف بالضلال واحتمال الوزر من اضلوه وان لم يعلم
لانه كان عليه ان يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين الحق والمبطل ثم اوعدهم بما هو النهاية في التهديد فقال الا ساء ما يزرون وزرهم
ثم حكى حال اضرابهم من المتقدمين فقال قد مكر الذين من قبلهم ذهب اكثر المفسرين الى ان المراد به نمرود بن كنعان بنى صرحا عظيما
ببابل طوله خمسة آلاف ذراع وقيل فرسخان ورام الصعود الى السماء ليقاتل اهلها فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا والقت
راس الصرح في البحر فاحدث نمرود وتبلبلت يومئذ السن الناس من الفزع فتكلموا بثلثة وسبعين لسانا ولذلك سميت بابل وكان
لسان الناس قبل ذلك بالسريانية وابتلاه الله ببعوضة دخلت دماغه والحكاية مشهورة والاصح ان الاية عامة في جميع المبطلين الذين يحاولون
الحاق الضرر بالمحقين وعلى القول الاول معنى قوله فاتى الله اي امره وحكمه بنيانهم من القواعد وهي اساطين البناء التي يعمده او الاساس
انه اسقط السقف عليهم بعد هدم القواعد وفائدة زيادة قوله من فوقهم التنصيص على ان الابنية هدمت وهم ماتوا تحتها وعلى التأني
يكون الكلام محض التمثيل والمراد انهم سووا منصوبات وحيلا ليمكروا بها رسل الله فهلكهم في تلك الحيل كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه
بالاساطين فاتى البنيان من الاساطين بان ضعضعت فسقط عليهم السقف فهلكوا ونحوه من حفر بئرا لاخيه فقد وقع فيه
وبعبارة اخرى من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا ثم بين ان عذابهم غير مقصور على عذاب الدنيا بل الله تعالى يخزيهم يوم القيمة بادخالهم النار
انك من تدخل النار فقد اخزيته ويقول مع ذلك لاجل الاهانة والتوبيخ اين شركائي الاضافة لادنى الملابسة او هي حكاية لاضافتهم استهزاء
وتوبيخا الذين كنتم تشاقون تخاصمون المؤمنين مشاقة الله ثم ذكر على سبيل الاستيناف قال الذين اوتوا العلم عن ابن عباس هم الملئكة
وقال الاخرون هم الانبياء والعلماء من اممهم الذين كانوا يعظونهم ولا يلتفتون اليهم فيقولون ذلك يوم القيمة شماتة بهم قالت المرجئة
قولهم ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين يدل على ان ماهية الخزي والسوء مختصة بالكافرين فينتفي عن غيرهم اما قوله فالقوا السلم
فعن ابن عباس المراد انهم اسلموا واقروا بالعبودية عند الموت وقيل انه في يوم القيمة وقولهم ما كنا نعمل من سوء ارادوا الشرك قالوه على وجه الكذب
والجحود ومن لم يجوز الكذب على اهل القيمة قال ارادوا في اعتقادهم وظنونهم فرد عليهم اولوا العلم او الملائكة بقولهم بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون
في الدنيا فلا ينفعكم هذا الكذب وانه يجازيكم على الكفر الذي علمه منكم قال في الكشاف وهذا ايضا من الشماتة وكذلك فادخلوا ابواب
جهنم وفي ذكر الابواب اشارة الى تفاوت منازلهم في دركات جهنم ثم قال فلبئس مثوى المتكبرين عن قبول التوحيد وسائر ما اتت به الانبياء
والفاء للعطف على فاء التعقيب في فادخلوا واللام للتأكيد يجري مجرى القسم موافقة لقوله بعد ذلك ولنعم دار المتقين ولا نظير لها في كل القرآن
ثم اتبع اوصاف الاشقياء احوال السعداء فقال وقيل للذين اتقوا الاية وانما ذكر الجواب ههنا بالنصب ليكون الجواب مطابقا مكشوفا
بينا من غير تلعثم اي انزل خيرا او قالوا خيرا لا اساطير كما قاله الكفار او قالوا قولا خيرا ولو رفعوا لاوهم انه كلام مستانف كما في جواب الكفار وليس
بمنزل روي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وامروه بالانصراف كما مر وكان الوافد
يقول كيف ارجع الى قومي دون ان استطلع امر محمد صلى الله عليه وسلم واراه فيلقى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخبرونه بصدقه وانه نبي مبعوث فهم الذين قالوا خيرا
وجوز في الكشاف ان يكون للذين احسنوا وما بعده بدلا من خيرا كانه فسر الخير بهذا القول وجوز في الكشاف ان يكون كلاما مبتدأ على سبيل
الوعد فيكون قولهم الخير من جملة احسانهم اما قوله في هذه الدنيا فاما ان يتعلق بما قبله فالمعنى الذين جازوا بالاحسان في هذه الدنيا لهم في الاخرة
حسنة هي الثواب العظيم والمضاعف الى سبعمائة او اكثر واما ان يتعلق بما بعده والتقدير الذين احسنوا لهم الحسنة في الدنيا باستحقاق المدح
والثناء او بالظفر على اعداء الدين باللسان والسنان وفتح البلاد له او بفتح ابواب المكاشفات والمشاهدات والحاصل ان لهم في الدنيا
مكافاة باحسانهم ولدار الاخرة خير منها ثم بين الخيرية بقوله ولنعم دار المتقين دار الاخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره ثم قال جنات عدن

ابواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم
قالوا خيرا للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الاخرة خير ولنعم دار المتقين جنات
عدن يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاءون كذلك يجزي الله المتقين الذين
تتوفيهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون هل ينظرون الا ان تاتيهم
الملائكة او ياتي امر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون
فاصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما
عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل
على الرسل الا البلاغ المبين ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت
فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضللة فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين
ان تحرص على هديهم فان الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين واقسموا بالله جهد ايمانهم لا
يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم
الذين كفروا انهم كانوا كاذبين انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون والذين هاجروا
في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولاجر الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون

القراءة شركاي مثل هداي زمعة عن ابن كثير والخزاعي عن البزي وقرأ الخزاز عن هبيرة شركائي الذين بسكون الياء الباقون بفتح الياء وكذلك في
الكهف والقصص تشاقون بكسر النون نافع الآخرون بفتحها تتوفيهم وما بعده بالامالة حمزة وخلف لا يهدي بفتح الياء وكسر الدال عاصم وحمزة و
علي وخلف الباقون بضم الياء وفتح الدال كن فيكون بالنصب ابن عامر وعلي الباقون بالرفع الوقوف ربكم لا لان ما بعده جواب اذا الاولين لا لتعلق
اللام يوم القيمة لا لان قوله ومن اوزار مفعول ليحملوا بغير علم ما يزرون ه لا يشعرون ه فيهم ط الكافرين لا بناء على ان ما بعده صفة انفسهم لطول الكلام
من سوء تعملون ه خالدين فيها ط المتكبرين ه منصف الجزء ماذا انزل ربكم ط خيرا ط حسنة ط خير ط المتقين لا لان ما بعده بدل يشاءون ط المتقين طيبين لا
لان ما بعده حال اخرى سلام عليكم لا لان قوله ادخلوا مفعول يقولون تعملون ه امر ربك ط من قبلهم ط يظلمون ه يستهزءون ه من شيء ط الثاني من قبلهم ج
للاستفهام مع الفاء المبين ه الطاغوت ج لانقطاع النظم مع اتصال المعنى الضلالة ط المكذبين ه ناصرين ه ايمانهم لا لان ما بعده جواب القسم
يموت ط لا يعلمون لا لتعلق لام كي كاذبين ه فيكون ه حسنة ط اكبر م لان جواب لو محذوف اي لو كانوا يعلمون لما اختاروا الدنيا على الاخرة ولو
وصل لصار قوله ولاجر الاخرة متعلقا بشرط ان لو كانوا يعلمون وهو محال يعلمون لا بناء على ان الذين خبر او بدل والذين هاجروا يتوكلون ه
التفسير لما بالغ في تقرير دلائل التوحيد اراد ان يذكر شبهات منكري النبوة مع اجوبتها فالشبهة الاولى انهم طعنوا في القرآن وعدوه من قبيل
الاساطير قال النحويون ماذا منصوب بانزل بمعنى اي شيء انزل ربكم او ما مبتدا وذا موصولة والجملة صلتها والمجموع خبر المبتدا وعلى التقدير
فقوله اساطير الاولين بالرفع ليس بجواب للكفار والا لكان المعنى الذي انزله ربنا اساطير الاولين والكفار لا يقرون بالانزال فهو اذن
كلام مستانف اي ليس ما تدعون انزاله منزلا بل هو اساطير الاولين وقال في الكشاف معناه المنزل اساطير الاولين وذكر في دفع التناقض انه على

اى هى فيكون المبتدأ محذوفا او الجنات مبتدأ وما بعدها خبر او جنات عدن هى المخصوص بالمدح فالجنات يدل على القصور والبساتين والعدن على الدوام والاقامة وقوله تجرى من تحتها الانهار على انه حصل هناك ابنية مرتفعة هم عليها والانهار تجرى من تحتهم وقوله لهم فيها ما يشاؤن ابلغ من قوله فى موضع اخر فيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين وفى تقديم الظرف دلالة على ان الانسان لا يجد كل ما يريده الا فى الجنة وقوله الذين تتوفاهم الملائكة اكثر المفسرين على ان هذا التوفى هو قبض الارواح وقوله طيبين اى طاهرين عن دنس الكفر والمعاصى او دنس الكفر وحده وهذه كلمة جامعة تشمل انواع البراءة عن العلائق الجسمانية فلا يكون لصاحب هذه الحالة تألم بالموت وقوله يقولون سلام عليكم يروى انه اذا اشرف العبد المؤمن جاءه ملك فقال السلام عليك يا ولى الله الله يقرأ عليك السلام وبشره بالجنة فذلك قوله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وعن الحسن ان المراد بهذا التوفى هو وفاة الحشر لانه لا يقال عند قبض الروح فى الدنيا ادخلوا الجنة والاولون قالوا البشارة بالجنة بمنزلة الدخول فيها قوله سبحانه هل ينظرون قيل انه جواب شبهة اخرى لمنكرى النبوة فانهم طلبوا من النبى صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم ملكا من السماء يشهد على صدقه فى ادعاء النبوة فقال تعالى هل ينظرون فى تصديق نبوتك الا ان تأتيهم الملائكة شاهدين بذلك ويحتمل انه يقال انهم لما طعنوا فى القرآن بانه اساطير الاولين اوعدهم الله بما اوعد ثم وصف القرآن بكونه حقا وصدقا وذكر جزاء المتقين ثم ذكر ان اولئك الكفار لا يرجعون عن كفرهم بسبب البيانات التى ذكرناها الا اذا جاءتهم الملائكة بالتهديد او لقبض الارواح او اتاهم امر ربك وهو العذاب المستأصل والقيمة كذلك فعل الذين من قبلهم فاصابهم الهلاك المعجل وما ظلمهم الله بتدميرهم فانه انزل بهم ما استحقوه بكفرهم فاصابهم سيئات ما عملوا اى جزاء سيئات اعمالهم او هو من باب الطباق والمشاكلة كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وحاق بهم اى نزل بهم على وجه الاحاطة عقاب استهزائهم الشبهة الثالثة لمنكرى النبوة انهم تشبثوا بمسئلة الجبر فقالوا لو شاء الله ما عبدنا الاية وقد مر تفسير مثلها فى اخر سورة الانعام وذكرنا اسرار التشابه هناك وكذا استدلال المعتزلة بها وجواب الاشاعرة عنها وزاد بعض الاشاعرة فقالوا ان المشركين ذكروا هذا الكلام على جهة الاستهزاء كما قال قوم شعيب انك لانت الحليم الرشيد ولو قالوا ذلك معتقدين كانوا مؤمنين وقال اخرون انه سبحانه اجاب عن شبهتهم وهى انه لما كان الكل من الله كان بعثة الانبياء عبثا بقوله كذلك فعل الذين من قبلهم يعنى انهم اعترضوا على احكام الله وطلبوا لها العلة فعل من تقدمهم من الكفرة فهل على الرسل الا البلاغ المبين اى ما عليهم الا التبليغ فاما تحصيل الايمان فليس اليهم ثم انه اكد هذا المعنى بقوله ولقد بعثنا فى كل امة رسولا الى قوله ومنهم من حقت عليه الضلالة وفيه دلالة على ان امر الله قد لا يوافق ارادته فانه امر الكل بالايمان ولا يريد الهداية الا للبعض اذ لو ارادها للكل لم يكفر احد ولم ينزل العذاب على قوم لكنه كفر ونزل لقوله فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ثم خصص الخطاب فقال لرسوله ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدى من يضل لا يرشد احدا اضله قاله ابن عباس وقال الفراء لا يهدى معناه لا يهتدى ومن قرأ على البناء للمفعول فمعناه لا تقدر انت ولا احد على هداية من اضله الله فلن يكون مهديا منصورا ولا يخفى ان اول الاية ظاهره يوافق مذهب المعتزلة اما قوله كذلك فعل الذين من قبلهم اى الاباء فانهم قد صاروا فيها الى التأويل فقالوا معناه ان متقدميهم اشركوا وحرموا حلال الله فلما نبهوا على قبح فعلهم اسندوه الى الله فهل على الرسل الا ان يبلغوا الحق وان الله برئ من الظلم وخلق القبائح والمنكرات وما من امة الا وقد بعث الله فيهم رسولا يأمرهم بالخير الذى هو عبادة الله وينهاهم عن الشر الذى هو طاعة الطاغوت فمنهم من هدى الله لانه من اهل اللطف ومنهم من ثبتت عليه الضلالة لانه عرف مصمما على الكفر والمراد منهم من حكم الله عليه بالاهتداء ومنهم من صار محكوما عليه بالضلال لظهور ضلاله ومنهم من هداه الله الى الجنة ومنهم من اضله عنها فسيروا فى الارض فانظروا ما فعلت بالمكذبين حتى لا يبقى لكم شبهة فى انى لا اقدر الشر ولا اشاؤه ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ايمانهم وعرفه انهم من قسم من حقت عليه الضلالة وانه لا يلطف بمن يخذل لانه عبث والله تعالى متعال عن العبث فهذا التفسير للفريقين لاشتمال الايات مسئلة الجبر والقدر على الجهتين وعليك الاختيار بعقلك دون هواك الشبهة الرابعة قدحهم فى الحشر والنشر ليلزم ابطال النبوة وذلك انهم اقسموا بالله جهد ايمانهم اى اغلظ الايمان كما مر فى المائدة كانهم ادعوا علما ضروريا بان الشئ اذا فنى وصار عدما محضا فانه لا يعود بعينه بل العائد يكون شيئا اخر فاكدوا ادعائهم بالقسم الغليظ فاجاب الله عن شبهتهم بقوله بلى وهو اثبات لما بعد النفى اى بلى يبعثهم وقوله وعدا مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لان يبعث موعد من الله تعالى اى وعد البعث وعدا عليه حقا لا خلاف فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون او ان وعد الله حق ثم ذكر لمية حقية البعث فقال ليبين لهم اى يبعث كل من يموت من المؤمنين والكافرين ليبين لهم الحق الذى اختلفوا فيه بيانا عيانيا لا يشتبه فيه المطيع بالعاصى والمحق بالمبطل والمظلوم بالظالم والصادق بالكاذب وجوز بعضهم ان يكون قوله ليبين متعلقا بقوله ولقد بعثنا اى بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه وانهم كانوا على الضلالة قبله مفترين على الله الكذب فى ادعاء الشريك له وفى قولهم بمجرد هواهم هذا حلال الله وهذا حرام ثم برهن على امكان البعث بقوله انما قولنا وهو مبتدأ خبره ان نقول وقد فسرنا مثل هذه الاية فى سورة البقرة وذكرنا فيه مباحث عميقة لفظية ومعنوية فلا حاجة الى الاعادة والغرض انه سبحانه لا مانع له من الايجاد والاعدام ولا يتوقف تأثير قدرته الا على تعلق الارادة والمشية فكيف يمتنع عليه البعث الذى هو اهون من الابتداء قال فى الكشاف قرئ فيكون بالنصب عطفا على نقول قلت لا مانع من كونه منصوبا باضمار ان لوقوعه فى جواب الامر بعد الفاء وقد مر

فى البقرة احتج بعض الاشاعرة بالاية على قدم القرآن قال انه لو كان حادثا لافتقر الى ان يقول له كن ثم الكلام فى هذا اللفظ كالكلام فى الاول فيتسلسل والجواب بعد تسليم ان هذا النص مثلا وان تم دلالة ان اذا لا يفيد التكرار فلا يلزم فى كل ما يحدثه الله تعالى ان يقول له كن وكيف يعقل ان يكون لفظة كن قديمة والكاف مقدم على النون بزمان محصور ولو سلم فلا يجوز من قدم لفظة كن قدم القرآن على ان قوله انما قولنا لشئ اذا اردناه يقتضى كون القول واقعا بالارادة وما كان كذلك فهو محدث وانه علق القول بكلمة اذا ولا شك انها للاستقبال وكذا قوله ان نقول ثم ان كلمة كن مقدمة على المكون بزمان واحد والمتقدم على المحدث بزمان يكون محدثا فالمخلص من هذه الدلالة ان الكلام المسموع لا بد ان يكون محدثا هذا التخليص ما قاله الامام فخر الدين الرازى ولعل لنا فيه نظرا ولما حكى الله سبحانه عن الكفار ما حكى من انكار البعث والجزاء لم يبعد منهم والحالة هذه ايذاء المسلمين وانزال الضرر والهوان بهم وحينئذ يلزمهم ان يهاجروا تلك الديار فذكر ثواب المهاجرين فقال والذين هاجروا فى الله اى فى حقه وسبيله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم فى الدنيا تبوئة حسنة او مباءة حسنة هى المدينة اواهم اهلها ونصروهم قاله الحسن والشعبى وقتادة وقيل لننزلنهم منزلة حسنة هى الغلبة على اهل مكة الذين ظلموهم بل على العرب قاطبة بل على اهل المشرق والمغرب قال ابن عباس نزلت الاية فى جماعة منهم صهيب وبلال وعمار وخباب جعل المشركون يعذبونهم ليردوهم عن الاسلام فقال صهيب انا رجل كبير ان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه ابو بكر قال له ربح البيع يا صهيب قال له عمر نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه اما الضمير فى قوله لو كانوا يعلمون فاما ان يرجع الى الكفار اى لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المستضعفين خير الدارين لرغبوا فى دينهم واما ان يعود الى المهاجرين اى لو علموا ان اجر الاخرة اكبر لزادوا فى اجتهادهم وصبرهم ثم مدحهم بقوله الذين صبروا على هم الذين او اعنى الذين والمراد صبرهم على العذاب وعلى مفارقة الوطن الذى هو حرم الله وعلى المجاهدة فى سبيل الله بالنفوس والاموال قال المحققون الصبر حبس النفس على خلاف ما تشتهيه من اللذات العاجلة وهو مبدأ السلوك والتوكل هو الانقطاع بالكلية عما سوى الحق وهو اخر الطريق والله ولى التوفيق فان العارفين بالصبر ساروا وبالتوكل طاروا وتم فى الله حسبى الله ونعم الوكيل

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ع يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

القراءة نوحى بالنون حفص غير الخراز والباقون بالياء مجهولا تتفيؤ بتاء الخطاب حمزة وعلى وخلف تتفيؤ بتاء التانيث ابو عمرو وسهل ويعقوب الاخرون على الغيبة الوقوف لا يعلمون لا لتعلق الباء والزبر ط يتفكرون لا لا يشعرون لا للعطف بمعجزين لا كذلك على تخوف ط للفصل بين الاستخبار والاخبار رحيم داخرون

نصف الحزب

لا يستكبرون ٭ ما يؤمرون ٭ سجدة اثنين للابتداء بإنما مع اتحاد القائل واحد للعدول مع الفاء فارهبون ٭ واصبا ٭ تتقون ٭ تجأرون ٭ لأن ثم لترتيب الأخبار مع شدة اتصال المعنى يشركون ٭ لتعلق لام كي آتيناهم ط للعدول والفاء للاستئناف تعلمون ٭ رزقناهم ط تفترون ٭ سبحانه لا لأن ما بعده من جملة مفعول يجعلون وسبحانه معترض للتنزيه يشتهون ٭ كظيم ٭ لاحتمال أن ما بعده وصف لكظيم أو استئناف ط به ط لأن التقدير متفكرا في نفسه المسألة في التراب ط ما يحكمون ٭ السوء لتضاد الجملتين معنى مع العطف لفظا الأعلى ط الحكيم ٭ التفسير الشبهة الخامسة أن قريشا كانوا يقولون الله أعلى وأجل من أن يكون رسوله بشرا فأجاب سبحانه بقوله وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا والمراد أن هذه عادة مستمرة من أول زمان الخلق والتكليف وزعم أبو علي الجبائي أنه لم يبعث إلى الأنبياء إلا من هو بصورة الرجال من الملائكة قال القاضي ولعله أراد الملك الذي يرسل إلى الأنبياء بحضرة أممهم كما روي أن جبرئيل عليه السلام كان يأتي في صورة دحية وفي صورة سراقة وإنما قيد بحضرة الأمم لأن الملائكة قد يبقون على صورهم الأصلية عند إبلاغ الوحي من الله إلى نبيه كما روي أنه رأى جبرئيل على صورته التي هو عليها مرتين وعليه تأولوا قوله ولقد رآه نزلة أخرى ثم إنهم كانوا مقرين بأن اليهود والنصارى أصحاب العلوم والكتب فأمرهم الله أن يرجعوا في هذه المسألة ليتبين لهم ضعف هذه الشبهة وسقوطها وذلك قوله فاسألوا أهل الذكر قال بعض الأصوليين فيه دليل على أنه يجوز للمجتهد تقليد مجتهد آخر فيما يشتبه عليه واحتج نفاة القياس بالآية قالوا لو كان حجة لما وجب على المكلف السؤال بل كان عليه أن يستنبط ذلك الحكم بواسطة القياس وأجيب بأنه قد ثبت العمل بالقياس بإجماع الصحابة والإجماع أقوى من ظاهر النص أما قوله بالبينات فهو متعلق بوجوه منها أن يتعلق بأرسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا وأنكر الفراء ذلك لأن صلة ما قبل إلا لا تتأخر إلى ما بعد إلا لأن المستثنى عنه هو مجموع ما قبل إلا مع صلته كما لو قيل ما أرسلنا بالبينات إلا رجالا ولما لم يصر هذا المجموع مذكورا بتمامه امتنع إدخال الاستثناء عليه ومنها أن يتعلق برجالا صفة له أي رجالا متلبسين بالبينات ومنها أن يتعلق بأرسلنا مضمرا نظيره ما مر إلا أخوك ثم تقول مر بزيد قاله الفراء ومنها أن يتعلق بيوحي أي يوحي إليهم بالبينات ومنها أن يتعلق بالذكر بناء على أنه بمعنى العلم ومنها أن يتعلق بلا تعلمون أي إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر فاسألوا قال في الكشاف الشرط ههنا في معنى التبكيت والإلزام كقول الأجير إن كنت عملت لك فأعطني حقي قلت لأن عدم علمهم مقرر كما أن عمل الأجير ثابت وسلم جار الله أن مثل قوله فاسألوا جواب الشرط على هذا الوجه وأما على الوجوه المتقدمة فجزم بأنه اعتراض بناء على أن جواب الشرط هو ما دل عليه قوله وما أرسلنا وعندي أن هذا الجزم ليس بحتم ويجوز على كل الوجوه أن يكون مثل فاسألوا جوابا والله أعلم وأهل الذكر أهل التوراة كقوله ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر يعني التوراة وقال الزجاج سلوا كل من يذكر بعلم وتحقيق وقوله بالبينات والزبر لفظ جامعة لكل ما يتكامل به الرسالة لأن مدارها على المعجزات الدالة على صدق من يدعي الرسالة وهي البينات وعلى التكاليف التي يعتبر في باب العبادة وهي الزبر ثم قال وأنزلنا إليك الذكر أي القرآن الذي هو موعظة وتنبيه وتذكير لأهل الغفلة والنسيان وبين الغاية المرتبة على الإنزال وهي تبيين الأحكام والشرائع بالنسبة إلى الرسول وإرادة التأمل والتفكر في المبدأ والمعاد بالإضافة إلى المكلفين وفي ظاهر هذا التفسير دلالة على أن القرآن كله مجمل ومن هنا ذهب بعضهم إلى أنه متى وقع التعارض بين القرآن والخبر وجب تقديم الخبر لأن القرآن مجمل والخبر مبين له والجواب منع الكلية فمن القرآن ما هو محكم وقوله لتبين محمول على المتشابهات المجملات قال بعض من نفى القياس لو كان القياس حجة لما وجب على الرسول أن يبين للمكلفين ما نزل الله عليه من الأحكام بل كان له أن يفوض بعضها إلى رأي القائس وأجيب بأن المأثور أن القياس من جملة الحجج فالقياس أيضا راجع إلى بيان الرسول ثم لما ذكر شبهات المنكرين مع أجوبتها شرع في التهديد والوعيد والإنذار والتهييب فقال أفأمن الذين مكروا السيئات أي المكرات السيئات أراد أهل مكة ومن حول المدينة قال الكلبي عنى بهذا المكر اشتغالهم بعبادة غير الله والأقرب أن المراد سعيهم في إيذاء الرسول وإيذاء أصحابه على سبيل الخفية أن يخسف الله بهم الأرض كما خسف بقارون أو يأتيهم العذاب أو ملائكة العذاب من السماء من حيث لا يشعرون كما فعل بقوم لوط أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين فاتفق ذكر المفسرين في هذا التقلب وجوه منها أنه تعالى يأخذهم في أسفارهم ومتاجرهم فإنه قادر على أن يهلكهم في السفر كما أنه قادر على أن يهلكهم في الحضر وهم لا يفوتون الله بسبب ضربهم في البلاد البعيدة ومنها أنه يأخذهم بالليل والنهار في أحوال إقبالهم وإدبارهم وذهابهم ومجيئهم وحقيقته في حال تصرفهم في الأمور التي يتصرف فيها أمثالهم ومنها أنه أراد في حال ما ينقلبون في قضاء أوطارهم بوجوه الحيل فيحول الله بينهم وبين مقاصدهم وحيلهم والتقلب بالمعنى الأول مأخوذ من قوله لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد وبالمعنى الثالث من قوله وقلبوا لك الأمور أو يأخذهم على تخوف على حالة تخوفهم وتوقعهم للبلاء بأن يكون قد أهلك قوما قبلهم فكان أثر الخوف بادياً فيهم ظاهرا عليهم فهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون وقيل التخوف التنقص والمعنى أنه يأخذهم بطريق التنقص شيئا بعد شيء في ديارهم وأموالهم وأنفسهم حتى يأتي الفناء على الكل عن عمر أنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال فهل تعرف العرب ذلك في أشعارها قال نعم شاعرنا زهير يخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن قوله تامكا قردا أي سناما مرتفعا متراكما والسفن ما ينحت به الشيء ومنه السفينة لأنها تسفن وجه الماء كما مر في البحر فقال عمر أيها الناس عليكم بديوانكم قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم ثم ختم الآية بقوله فإن ربكم لرؤوف رحيم فذهب المفسرون إلى أن معناه أنه يمهل في أكثر الأمر لأنه رؤوف رحيم فلا يعجل بالعذاب أقول يحتمل أن يكون قوله فإن تعليلا لقوله أفأمن

كقوله ما غرك بربك الكريم وتخويف الماكرين بما خوف بعد ذكر ما يدل على كمال قدرته في تدبير أحوال العالم العلوي والسفلي وسكانها فقال أولم يروا إلى ما خلق الله قال جار الله ما مبهمة بيانه من شيء وقال أهل المعاني قوله يتفيؤ ظلاله إخبار عن شيء وليس بوصف له والتفيؤ تفعل من الفيء وأصله الرجوع ومنه فيئة المولى وقال الأزهري تفيؤ الظلال رجوعها بعد انتصاف النهار فالتفيؤ لا يكون إلا بالعشي وما انصرفت عنه الشمس والقمر والذي يكون بالغداة ظل وقال ثعلب أخبرت عن أبي عبيدة أن رؤبة قال كل ما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو فيء وظل وما لم يكن عليه الشمس فهو ظل وقوله ظلاله أضاف الظلال إلى مفرد ومعناه الإضافة إلى ذوي الظلال ووجه حسنه كون المرجوع إليه واحدا في اللفظ وإن كان كثيرا في المعنى وهو قوله إلى ما خلق نظيره لتستووا على ظهوره أضاف الظهور وهو جمع إلى ضمير مفرد لأنه يعود إلى واحد أريد به الكثرة وهو ما تركبون قال الجوهري تفيأت الظلال أي تقلبت وقوله عن اليمين والشمائل قال أهل التفسير ومنهم الفراء إنه وحد اليمين لأنه أراد واحدا من ذوات الأظلال وجمع الشمائل لأنه أراد كلها لأن قوله ما خلق الله لفظه مفرد ومعناه جمع وقيل إن العرب إذا ذكرت صيغتي جمع عبرت عن أحدهما بلفظ الواحد كقوله وجعل الظلمات والنور ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وقيل المراد باليمين النقطة التي هي مشرق الشمس وأنها واحدة والشمائل عبارة عن الانحراف الواقع في تلك الأظلال بعد وقوعها على الأرض وهي كثيرة وإنما عبر عن المشرق باليمين لأن أقوى جانبي الإنسان يمينه ومنه تظهر الحركة القوية وكذا جانب المشرق أقوى جوانب الفلك ومنه تظهر الحركة اليومية التي هي أسرع الحركات وأقواها ويمكن أن يقال إن الإنسان إذا توجه إلى المشرق لم يتقدم هو في الجانب بالاعتبار الشرقي كان الجنوب يمينه والشمال شماله ولا ريب أن وصول الشمس إلى فلك نصف النهار يختلف بحسب البلاد وقد يتفق أيضا من الجنوب إلى الشمال وبالعكس في بلد واحد إذا كان عرضه ناقصا عن الميل الكلي ومن المعلوم أن الشمس حين وصولها إلى نصف النهار إن كانت في جنوب سمت الرأس وقع ظلها إلى جانب الشمال وإن كانت في شماله وقع ظلها إلى الجنوب فيحتمل أن يراد بتفيؤ الأظلال تقلبها فيما بين الجهتين والله أعلم أما قوله سجدا لله فإنه حال من الظلال ومعنى سجودها انقيادها لأمر الله منتقلة من جانب إلى جانب حسب تحرك النير على نسب مخصوصة ومقادير معلومة ذكرنا بعضها في كتبنا النجومية وقد بنى المتأخرون على الأظلال مسائل كثيرة منها الشكل الموسوم بالظلي مع فروعه وذكر بعضهم في تفسير هذا السجود أن هذه الأظلال واقعة على الأرض ملتصقة بها على هيئة الساجد وقوله وهم داخرون حال أخرى من الظلال وإنما جمع بالواو والنون لأنهم شبهوا العقلاء من حيث طاعتها لله سبحانه وقال جار الله اليمين والشمائل استعارة عن يمين الإنسان وشماله وجانبي الشيء أي ترجع الظلال من جانب إلى جانب منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والأجرام في أنفسها داخرة أيضا صاغرة منقادة لأفعال الله فيها لا تمتنع ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة قال الأخفش أي من الدواب وأخبر بالواحد كما يقول ما أتاني من رجل مثله وما أتاني من الرجال وقال ابن عباس يريد كل ما دب على الأرض والوجه في تخصيص الدابة والملائكة بالذكر أنه علم من آية الظلال أن الجمادات بأسرها منقادة له فبين في هذه الآية أن الحيوانات بأسرها أيضا كذلك ثم عطف عليها الملائكة إما لشرفها وإما لأنها ليست مما يدب ولكنها تطير بالجناحين وبين النوعين مغايرة لقوله وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه وعلى قاعدة الحكماء وجه المغايرة أنها أرواح مجردة ليست من شأنها الحركة والدبيب قال جار الله من دابة يجوز أن يكون بيانا لما في السموات وما في الأرض جميعا على أن في السموات خلقا لله يدبون فيها كما يدب الأناسي في الأرض وأن يكون بيانا لما في الأرض وحده ويراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح وأن يكون بيانا لما في الأرض وحده ويراد بما في السموات الملائكة خصوصا من بين الساجدين لأنهم أطوع الخلق وأعبدهم ويجوز أن يراد بما في السموات الملائكة وبقوله والملائكة ملائكة الأرض من الحفظة وغيرهم انتهى كلامه ثم شرع سبحانه في صفة الملائكة وذكر عصمتهم فقال وهم لا يستكبرون يخافون على أنه حال منهم أو بيان لنفي استكبارهم لأن الخوف أثره عدم الاستكبار وقوله من فوقهم إما أن يتعلق بيخافون والمعنى يخافون ربهم أن يرسل عليهم عذابا من فوقهم وإما أن يكون حالا من الرب أي يخافونه غالبا قاهرا وبحث الفوقية قد تقدم في الأنعام في قوله وهو القاهر فوق عباده وزعم بعض الطاعنين في عصمة الملائكة أنه تعالى وصفهم بالخوف وحصول الخوف نتيجة تجويز الإقدام على الذنوب وهب أنهم فعلوا كل ما أمروا به فمن أين علم أنهم تركوا كل ما نهوا عنه والجواب عن الأول أنهم إنما يخافون من العذاب لقوله تعالى إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم فهذا الخوف يكون للذنب وعن ابن عباس أن هذا الخوف خوف الإجلال كقوله إنما يخشى الله من عباده العلماء ولا ريب أنه كلما كانت معرفة جلال الله أتم كانت الهيبة والحيرة أعظم وعن الثاني أن النهي عن الشيء أمر بتركه في الآية دلالة على أن إبليس لم يكن من الملائكة لأنه أبى واستكبر وأنهم لا يستكبرون وقد يستدل بها على أن الملك أفضل من البشر بل من كل المخلوقات وإلا لما خصهم بالذكر من بينها ولخلو بواطنهم وظواهرهم عن الأخلاق الذميمة وانغماس البشر في الدواعي الشهوية والغضبية ولهذا ورد في حقه قتل الإنسان ما أكفره وقال ما منا إلا من قد عصى أو هم بمعصية غير يحيى بن زكريا وقال أيضا الشيخ في قومه كالنبي في أمته فضل الشيخ على الشاب لتقادم عهده وطول مدته ولا شك أن الملائكة خلقوا قبل البشر بسنين متطاولة وقرون متمادية وأنهم سنوا الطاعة والعبودية ومن سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها وتمام البحث في هذه المسألة مذكور في أول سورة البقرة وفي قوله ما يؤمرون دلالة على أن الملائكة مكلفون بالأمر والنهي والوعد والوعيد راجين خائفين ولما بين أن كل ما سواه في عالمي الأرواح والأجسام فإنه منقاد خاضع لجلاله وكبريائه أتبعه النهي عن الشرك قائلا وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فسئل أن التثنية والواحد حيث كانا بدلا على العدد الخاص فما

النحل

الله تعالى فقال وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ اي صار مُسْوَدًّا ويحتمل ان يكون استعمل ظل لان وضع الحمل يتفق بالليل غالبا فيظل نهاره مسود الوجه وَهُوَ كَظِيمٌ مملو غما وحزنا وغيظا على المرأة قال اهل المعاني جعل سواد الوجه وهو كظيم كناية عن الغم والكآبة لان الانسان اذا قوي فرحه انبسط الروح من قلبه ووصل الى الاطراف ولا سيما الى الوجه لما بين القلب والدماغ من التعلق الشديد فاستنار الوجه واشرق واذا قوي غمه انحصر الروح في داخل القلب لم يبق منه اثر قوي على الوجه فلذلك يصفر او يسود يَتَوَارَىٰ يختفي مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ من اجل سوء المبشر به ولم يظهر اياما يحدث نفسه ويدبر فيها ماذا يصنع بها وذلك قوله أَيُمْسِكُهُ اي يحبسه عَلَىٰ هُونٍ ذل وهوان والظاهر ان هذا صفة المولود اي يمسكها على هوان منه لها وقال عطاء عن ابن عباس هو صفة الاب اي يمسكها مع الرضا بهوان نفسه أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ اي يئده والدس اخفاء الشيء في الشيء وانما ذكر الضمير في يمسكه ويدسه باعتبار ما بشر به كانوا مختلفين في قتل البنات فمنهم من يحفر الحفيرة ويدفنها الى ان يموت ومنهم من يرميها من شاهق جبل ومنهم من يغرقها ومنهم من يذبحها وكانوا يفعلون ذلك تارة للغيرة والحمية وتارة خوفا من الفقر والفاقة ولزوم النفقة روي ان رجلا قال يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما اجد حلاوة الاسلام وقد كانت لي في الجاهلية ابنة وامرت امرأتي ان تزينها واخرجتها فلما انتهيت الى واد بعيد القعر القيتها فقالت يا ابت قتلتني فكلما ذكرت قولها لم ينفعني شيء فقال صلى الله عليه وسلم ما في الجاهلية فقد هدمه الاسلام وما في الاسلام يهدمه الاستغفار ولا ان لا نبي الى هذا الحد كانها عندهم كانت في غاية الكراهة والنفرة ومع ذلك اثبتوها لله المتعالي عن الصاحبة والولد فلذلك قال الاسلام حكم لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ولهذا يقدمون على القتل والايذاء مَثَلُ السَّوْءِ وصفة السوء وهي الحاجة الى الاولاد الذكور وكراهة الاناث ووأدهم خشية الاملاق والتزام الشح البالغ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وهو اضداد صفات المخلوقين الغنى الكامل والجود الشامل فهو العزيز الذي لا يغالب فلا ينتصر بان ينسب اليه ما لا يليق به الحكيم في خلق الذكور والاناث وفي الوعيد على قتل البنات قال القاضي ان هؤلاء المشركين استحقوا الذم باضافة البنات الى الله واي اسهل من اضافة الفواحش والقبائح كلها اليه وهذا شان المجبرة واجابت الاشاعرة بانه ليس كل ما قبح منا في العرف فانه يقبح من الله الا ترى ان رجلا لو زين اماءه وعبيده وبالغ في تحسين صورهن وتقوية الشهوة فيهم وفيهن ثم جمع بين الكل ورفع الحائل والمانع فان هذا بالاتفاق حسن من الله تعالى وقبيح من كل الخلق فعلمنا ان التعويل على هذه الوجوه المبنية على العرف انما يحسن اذا كانت مسبوقة بالدلائل القطعية اليقينية وقد ثبت بالبراهين القطعية امتناع الولد على الله تعالى فلا جرم حسن تقويتها بهذه الوجوه الاقناعية اما افعال العباد فقد ثبت بالدلائل اليقينية ان خالقها هو الله تعالى فكيف يمكن الحاق احدى الصورتين بالاخرى والله اعلم التاويل أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ ارض البشرية ودركات السفلى أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ بالمكر والاستدراج مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ انه من اين اتاهم من قبل الاعمال الدنيوية او من قبل الاعمال الاخروية او يأخذهم في تقلبهم من اعمال الدنيا الى اعمال الاخرة بالرياء ومن اعمال الاخرة الى اعمال الدنيا بالهوى أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ تنقص من مقاماتهم ودرجاتهم بلا شعورهم فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ بالعباد اذ اعطاهم حسن الاستعداد ورحيم حين لا يأخذهم بعد فساد الاستعداد في الحال لعلهم يتوبون في المآل فيقبل توبتهم بالفضل والنوال ما خلق الله من شيء وهو عالم الاجسام فان عالم الارواح خلق من لا شيء يتفيؤ ظلاله فان الاجسام ظلال الارواح فتارة يميل بعمل اهل السعادة الى اصحاب اليمين واخرى يميل بعمل اهل الشقاء الى اصحاب الشمال سُجَّدًا لِلَّهِ منقادين لامره وَهُمْ دَاخِرُونَ للمخلوق لاجله وانما وحد اليمين وجمع الشمال لكثرة اصحاب الشمال وسجود كل موجود بما يناسب حاله كما ان تسبيح كل منهم يلائم لسانه وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ اراد بالاله الاخر الهوى لقوله صلى الله عليه وسلم ما عبد اله ابغض على الله من الهوى وَيَجْعَلُونَ بعض اصحاب النفوس والاهواء لِمَا لَا يَعْلَمُونَ لمن لا علم لهم باحوالهم نَصِيبًا بالرياء مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ من الطاعات تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ والسؤال عن المعاملات انما هو بتبديل الصفات وتغير الاحوال من سمة السعادة الى سمة الشقاوة وبالعكس وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ اظن ان البنات اشارة الى صفات فيها نوع نقص كالتجسيم والتشبيه والحلول والاتحاد ونسبته الى الظلم والجور والتعطيل وعدم الاستقلال بالتأثير وغير ذلك مما لا يليق بغاية جلاله ونهاية كماله فلهذا قال سبحانه ولهم ما يشتهون يعني ان كل احد يحب ان يوصف بغاية الكمال ويتغير وجهه اذا نبه على عيب فيه ولا يعلم ان مطلق الكمال لا يليق الا بالواجب لذاته ونقص الامكان نقصان يستلزم جميع النقصانات

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ
سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ
أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ
وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً
لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ

الجزء الرابع عشر

الفائدة في وصف الهين باثنين ووصف اله بواحد واجيب بوجوه منها قول صاحب النظم ان فيه تقديما وتاخيرا اي لا تتخذوا اثنين الهين ومنها ان ذكر العبادة لاجل المبالغة في التنفير عن اتخاذ الشريك ومنها قول اهل المعاني ان فائدة الوصف البيان هي ان يعلم ان النهي راجع الى التعدد لا الى الجنسية ولهذا لو قلت انما هو اله ولم تؤكد بواحد سبق الى الوهم انك تثبت الالهية لا الوحدانية وكيف لا يحتاج المقام الى التوكيد والاثنينية منافية للالهية لاستلزام تعدد الواجب كون كل منهما مركبا من جزئين ما به الاشتراك في الوجوب الذاتي وما به الامتياز ولكن التركيب يوجب الافتقار الى البسائط والافتقار ينافي الوجوب ودليل التمانع ايضا يعين على المطلوب كما لو اراد احدهما حركة جسم معين واراد الاخر تسكينه او قوي احدهما على مخالفة الاخر ولا يقوى او قدر احدهما على ان يستر ملكه عن الاخر او لا يقدر ثم نقل الكلام عن الغيبة الى التكلم على طريقة الالتفات قائلا فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ وقد مر مثله في اول البقرة ثم لما قرر وحدانيته وانه يجب ان يخص بالرهبة منه والرغبة اليه ذكر ان الكل ملكه وملكه فقال وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فقالت الاشاعرة ليس المراد من كونها لله انها مفعولة لاجله والغرض طاعته لان فيها المباحات والمحظورات التي يؤتى بها لغرض الشهوة واللذة لا لغرض الطاعة فالمراد ان كلها بتخليقه وتكوينه ومن جملة ذلك افعال العباد ثم قال وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا فالدين الطاعة والواصب الدائم ومفازة واصبة بعيدة لا غاية لها وتقي للمريض وصب لكون ذلك المرض لازما له وانتصابه على الحال والعامل فيه ما في الظرف من معنى الفعل قال ابن قتيبة ليس من احد يدان له ويطاع الا انقطع ذلك بسبب في حال الحياة او الموت الا الحق سبحانه فان طاعته واجبة ابدا ويحتمل ان يكون الدين بمعنى الملك اي وله الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك سمي تكليفا او وله الجزاء سرمدا لا يزول يعني الثواب والعقاب قال بعض المتكلمين المحققين قوله وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ اشارة الى احتياج الكل اليه في حال حدوثه وقوله وَلَهُ الدِّينُ اي الانقياد واصبا اشارة الى ان جميع الممكنات مفتقرة الى قبضة وجوده في حال وجوده لان الصحيح ان الممكن حال بقائه لا يستغني عن المرجح ثم انكر ان يكون الممكن مع شدة افتقاره اليه يخشى غيره فقال أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ثم من عليهم بقوله وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ما يعني الذي بكم صلته ومن نعمة حال من الضمير في الجار او بيان لما وقوله فَمِنَ اللَّهِ الخبر وقيل ما شرطية وفعل الشرط محذوف اي ما يكن وقال جار الله معناه اي شيء حل بكم او اتصل بكم من نعمة فهو من الله قال الاشاعرة افضل النعم نعمة الايمان والاية تفيد العموم فهو من نعم الله والنعمة اما دينية وهي معرفة الحق لذاته ومعرفة الخير لاجل العمل به واما دنيوية نفسانية او بدنية او خارجية كالسعادات المالية وغيرها وكل واحد من هذه جنس تحتها انواع لا حصر لها والكل من الله فعلى العاقل ان لا يشكر الا اياه ثم بين تلون حال الانسان بعد استغراقه في بحار نعم الله قائلا ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ قال جار الله يجوز ان يكون الخطاب للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض كانه قال فاذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد قلت والظاهر الوجهين الاول والمعنى ان فريقا منكم يبقى على مثل ما كان عليه عند الضر في ان لا يفزع الا الى الله وفريقا ينتقل عن حاله فيشرك بالله ولعل هذه صفة لازمة لجوهر الانساني ولهذا قال لِيَكْفُرُوا كانهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة ويجوز ان يكون لام العاقبة تلك التضرعات ما كانت الا لهذا الكفران والمراد بقوله بِمَا آتَيْنَاهُمْ كشف الضر وازالة المكروه او القرآن والشرائع او جميع النعم الظاهرة والباطنة التي انعم الله على الانسان ثم قال على سبيل التهديد بطريقة الالتفات نظرا الى اول الكلام فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ عاقبة كفركم ومثله في الروم كما سيجيء واما في العنكبوت فانه قال لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا بالعطف على القياس ثم حكى نوعا اخر من قبائح اعمال بني آدم فقال وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ الضمير الاول للمشركين والثاني قيل لهم وقيل للاصنام التي لا توصف بالعلم والشعور ورجح الاول بان نفي العلم عن الحي حقيقة وعن الجماد مجاز وبان جمع السلامة بالعقلاء اليق وقد يرجح الثاني بان الاول يفتقر الى الاضمار كما لو قيل ويجعلون لما لا يعلمون في طاعته نفعا ولا في الاعراض عنه ضرا وقال مجاهد يعلمون ان الله خلقهم ويضرهم وينفعهم ثم يجعلون لما لا يعلمون انه يضرهم نصيبا او ويجعلون لما لا يعلمون الهيتها او السبب في صيرورتها معبودة والمراد بجعل النصيب ما مر في الانعام في قوله وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا وقيل البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي عن الحسن وقيل هم المنجمون الذين يوزعون موجودات هذا العالم على الكواكب السبعة فيقولون لزحل كذا وكذا من المعادن والنبات والحيوان وللمشتري كذا الى اخر الكواكب ثم اوعدهم الله بقوله تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ على الله من ان لله شركاء وان الاصنام اهل للتقرب اليها مع انه لا شعور لها بشيء اصلا او المراد بالافتراء قولهم هذا حلال وهذا حرام من غير اذن شرعي وقولهم ان لغير الله تاثيرا في هذا العالم وقد يكون هذا السؤال قبل عند القرب من الموت ومعاينة ملائكة العذاب وقيل في القبر والاقرب انه في الاخرة وهذا في هؤلاء الاقوام خاصة كقوله فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ في الامم عامة قوله وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ نوع اخر من القبائح وكانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله قال الامام فخر الدين الرازي اظن ان ذلك لان الملائكة يستترون عن العيون كالنساء ومنه اطلاق التانيث على الشمس لاستتارها عن ان تدرك بالابصار لضوئها الباهر ونورها القاهر سبحانه تنزيه لذاته عن نسبة الولد اليه او تعجب من قولهم ومحل ما في قوله وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ اما الرفع على الابتداء او النصب اي وجعلوا لهم ما يشتهون يعني البنين ابى الزجاج جواز النصب قال لان العرب لا تقول جعل له كذا وهو يعني نفسه انما تقول جعل لنفسه كذا فلو كان منصوبا لقيل ولانفسهم ما يشتهون ثم ذكر غاية كراهتهم للاناث التي جعلوها

وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ
وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ
فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ

القراءة لا جرم في الكل مثل لا ريب فيه مفرطون بكسر الراء المشددة يزيد مفرطون بكسر الراء المخففة نافع وقتيبة الباقون بفتحها مخففة نسقيكم بفتح النون نافع وابن عامر وسهل ويعقوب وابو بكر وحماد الاخرون بضمها الوقوف مستحيح للظرف مع الفاء ولا يستقدمون ه الحسنى وقيل على لا تم يبتدأ بجرم وهو تكلف مفرطون ه اليوم فيه للعطف على موضع لتبين يفيد به الانبياء وهدى يؤمنون ه موتها يسمعون ه لعبرة ط لانه لو وصل اشتبه ما بعده بالوصف للشاربين ه حسنا ط يعقلون ه يعرشون ه للعطف ذللا ط للعدول للناس ط يتفكرون ه شيئا قدير ه التفسير لما حكى عن القوم عظيم كفرهم وقطيع قولهم بين غاية كرمه وسعة رحمته حيث انه لا يعاجلهم بالعقوبة فقال ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم الآية زعم بعض الطاعنين في عصمة الانبياء انه اضاف الظلم الى ضمير الناس والانبياء من جملة الناس فوجب ان يكونوا ظالمين عاصين ويؤكده هذا قوله ما ترك عليها من دابة فانه لو لم يصدر من الانبياء ذنب لم يكن لافنائهم وجه ولم يصدق انه لم يبق على الارض واحد والجواب لا نم عموم الناس في الآية لقوله سبحانه في موضع آخر فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ولا ريب ان المقتصدين والسابقين ليسوا ظالمين فاذن المراد بالناس اما كل العصاة الذين استحقوا العقاب والذين تقدم ذكرهم من المشركين واما قوله من دابة فعن ابن عباس انه اراد من مشرك يدب عليها نظيره قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا ولو سلم ان المراد بها كل من يدب عليها فلعل الهلاك في حق الظلمة يكون عذابا وفي غيرهم امتحانا فقد وقعت هذه الواقعة في زمان نوح ع وايضا من المعلوم انه لا احد الا وفي آبائه من يستحق العذاب فلو اهلكوا لبطل نسلهم ولادى الى افناء الناس بل الدواب كلها لان الدواب مخلوقة لمنافع العباد ومصالحهم عن ابي هريرة انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم وقيل لو يؤاخذهم لانقطع القطر وفي انقطاعه انقطاع النبت وفي انقطاع النبت فناء الدواب قالت المعتزلة في الآية دلالة على ان الظلم والمعاصي ليست من افعال الله تعالى والا لم يؤاخذهم بها فرضا ولم يضف الظلم اليهم ولم يذمهم على ذلك وفي قوله بظلمهم دليل على ان الظلم هو المؤثر في العقاب فان الباء للعلية وجواب الاشاعرة معلوم وهو انه لا يسئل عما يفعل وايضا المعارضة بالعلم والدواعي ووجوب انتهاء الكل اليه قال بعض الاصوليين الاصل في المضار الحرمة لان الضرر لا يجوز ان يكون مشروعا ابتداء بالاجماع ولقوله تعالى ما جعل عليكم في الدين من حرج يريد الله بكم اليسر ولقوله ص لا ضرر ولا ضرار في الاسلام ملعون من ضر مسلما ولا ان يكون مشروعا على وجه يكون جزاء عن جرم سابق بهذه الآية لان كلمة لو وضعت لانتفاء الشيء لانتفاء غيره فالآية تقتضي انه تعالى ما اخذ الناس بظلمهم وانه ترك على ظهرها دابة كما هو المشاهد اذا ثبت هذا الاصل فنقول اذا وقعت حادثة مشتملة على المضار فان وجدنا نصا على كونها مشروعة قضينا به تقديما للخاص على العام والا قضينا عليها بالحرمة بناء على هذا الاصل وللقائل ان يقول لم لا يجوز ان يكون الضرر مشروعا على وجه يقع جزاء عن جرم سابق والآية لا تنافي ذلك لانها لا تدل الا على انه سبحانه لا يؤاخذ بكل ظلم اما على انه لا يؤاخذ ببعض انواع الظلم فلا دليل ولقوله وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير ومنهم من قال بناء على القاعدة المذكورة ان كل ما يريده الانسان وجب ان يكون مشروعا في حقه لان المنع منه ضرر والضرر غير مشروع وكل ما يكرهه الانسان لزم ان يكون محرما لان وجوده ضرر وانه غير مشروع فالذي يتمسك به في اثبات الاحكام من القياس اما ان يكون على وفق هذه القاعدة او على خلافها والاول باطل لان هذا الاصل يغني عنه وكذا الثاني لان النص راجح على القياس وللقائل ان يقول توارد الادلة على المدلول الواحد غير ممتنع اما قوله ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فعن ابن عباس في رواية عطاء انه يريد اجل القيامة لان معظم العذاب يوافيهم يومئذ وقيل اراد منتهى العمر لان المشركين يؤاخذون بالذنوب اذا خرجوا من الدنيا وباقي الآية قد مر تفسيره في اوائل سورة الاعراف واعلم انه سبحانه قال في هذه السورة ما ترك عليها من دابة وفي سورة الملائكة ما ترك على ظهرها فالهاء كناية عن الارض ولم يتقدم ذكرها هاهنا والعرب يجوز ذلك في كلمات لخصوصيتها بدي كل متكلم وسامع منها الارض والسماء فلانا افضل من عليها واكرم من تحتها ومنها الغداة فانها اليوم البارحة ومنها الاصابع يقول والذي شقهن خمسا

من واحدة يعني الاصابع من اليد وانما لم يذكر الظهر في هذه السورة لئلا يلتبس بظهر الدابة فكثيرا ما يستعمل الظهر بمعنى الدابة بخلاف سورة الملائكة فانه قد تقدم ذكر الارض في قوله اولم يسيروا في الارض وفي قوله وفي الارض فلم يكن ملتبسا ويمكن ان يقال لما قال هاهنا بظلمهم اي بقبيح افعالهم وحين قال هنالك بما كسبوا فاتى بظهرها احترازا عن الجمع بين الظائين لانها تثقل في الكلام وليست لامة من الامم سوى العرب فلم يجمع بينهما في سطر واحد ثم عاد الى حكاية كلماتهم الحمقاء فقال ويجعلون لله ما يكرهون لانفسهم من البنات ولا يبعد ان يندرج فيه سائر ما يكرهون من الشركاء في الرياسة ومن الاستخفاف والتهاون برسلهم ورسالتهم وانهم يجعلون ارذل اموالهم لله واكرمها للاصنام عن بعضهم انه قال لرجل من ذوي اليسار كيف تكون يوم القيامة اذا قال الله تعالى لو ما دفع الى السلاطين واعوانهم يبتلون بالدواب والثياب وانواع الاموال الفاخرة واذا قال لهاتوا ما دفع الي في قيل بالكسر والخزف وما لا يؤبه له اما تستحيي من ذلك الموقف ثم قال وتصف السنتهم الكذب قال الفراء والزجاج ابدل منه قوله ان لهم الحسنى عن مجاهد ان الحسنى البنون كانت قريش يقولون لله البنات ولنا البنون وقال غيره هي الجنة اي انهم مع جعلهم لله ما يكرهون حكموا لانفسهم بالجنة والثواب من الله وانهم يفوزون برضوان الله بسبب هذا القول زعما منهم انهم على الدين الحق والمذهب الحسن وكيف يحكمون بذلك وكانوا منكرين للقيامة الجواب انه كان فيهم من يقر بالبعث ولذلك كانوا يربطون البعير على قبر الميت ويتركونه الى ان يموت ظنا منهم ان الميت اذا حشر فانه يحشر معه مركوبه وبتقدير انهم كانوا منكرين فلعلهم قالوا ان كان محمد ص صادقا في دعوى الحشر والقيامة فانه يحصل لنا الجنة والثواب بسبب هذا الدين الحق الذي نحن عليه نظيره ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى ومن الناس من رجح هذا القول لانه تعالى رد عليهم بعد ذلك بقوله لا جرم ان لهم النار قال الزجاج لا رد لقولهم اي ليس الامر كما وصفوا جرم اي كسب ذلك القول ان لهم النار فان مع ما بعده في محل النصب لوقوع الكسب عليه وقال قطرب ان في موضع رفع والمعنى حق بان لهم النار وانهم مفرطون من قرا بكسر الراء المخففة فهو من الافراط في المعاصي وفي الافتراء على الله وجوز ابو علي الفارسي ان يكون من افرط اي صار ذا فرط مثل اجرب اي صار ذا جرب ومن قرا بفتحها مخففة فهو من افرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته فالمعنى انهم متركون في النار منسيون ومن قرا بكسر الراء المشددة فهو من التفريط في الطاعات ومن قرا بفتح المشددة فمن فرطته في طلب الماء اذا قدمته وجاء افرطته بمعناه ايضا فالمراد انهم يقدمون الى النار ويعجلون اليها ثم بين سبحانه ان مثل صنيع قريش قد صدر عن سائر الامم فقال تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك اي رسلا فزين لهم الشيطان اعمالهم قالت المعتزلة لو كان خالق الاعمال هو الله تعالى فما معنى تزيين الشيطان ومن اين وجه توجه عليه الذم وان خالق ذلك العمل اجدر بان يكون وليا لهم من الداعي اليه واجيب بان الوسائط معتبرة وانتهاء الكل اليه ضروري قال جار الله فهو وليهم اليوم حكاية الحال الماضية التي كان يزين لهم الشيطان اعمالهم فيها والمراد فهو وليهم اي قرينهم في الدنيا فجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا او اليوم عبارة عن يوم الآخرة الذي يعذبون فيه في النار فهو حكاية الحال الآتية والولي الناصر اي فهو ناصرهم يوم القيامة فقط والمراد نفي الناصر عنهم على ابلغ الوجوه لان الشيطان لا يتصور منه النصرة اصلا واذا كان الناصر منحصرا فيه لزم ان لا ينصروا بالضرورة قال ويجوز ان يرجع الضمير في وليهم الى مشركي قريش وانه زين للكفار قبلهم اعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم منهم ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي فهو ولي امثالهم اليوم ثم ذكر سبحانه انه ما اهلك من هلك الا بعد اقامة الحجة وازاحة العلة فقال وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه كالشرك والتوحيد والجبر والقدر والاقرار بالبعث والانكار له وكتحريم الاشياء المحللة كالبحيرة والسائبة وتحليل الاشياء المحرمة كالميتة والدم وهدى ورحمة انتصبا على انهما مفعول لهما ولا حاجة الى اللام لانهما فعل فاعل الفعل المعلل بخلاف لتبين فانه فعل المخاطب لا فعل المنزل ولهذا دخل عليه اللام قال الكعبي وصف القرآن بكونه هدى ورحمة لقوم يؤمنون لا ينافي كونه كذلك في حق الكل وخص المؤمنون بالذكر من حيث انهم قبلوه وانتفعوا به ولما امتد الكلام في وعيد الكفار عاد الى تقرير الالهيات فقال والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها وفي العنكبوت من بعد موتها لان هنالك سؤال تقرير والتقرير يحتاج الى التحقيق فقيد الظرف بمن للاستيعاب وايضا حذف من في هذه السورة موافقة لقوله عما قريب لكيلا يعلم بعد علم شيئا وانما حذف من هنا بخلاف ما في الحج لانه اجمل الكلام في هذه السورة فقال والله خلقكم ثم يتوفاكم وفصل في الحج فقال خلقكم من تراب ثم من نطفة فاقتضى الايجاز الحذف وذاك الاطناب الاثبات ان في ذلك لآية لقوم يسمعون سماع تأمل وتدبر لان من لم يسمع بقلبه فكأنه اصم ثم استدل بعجائب احوال الحيوانات فقال وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه وفي سورة المؤمنين مما في بطونها ذكر النحويون ان الانعام من جملة الكلمات التي لفظها مفرد ومعناها جمع كالرهط والقوم والنعم فيجاز تذكيره حملا على اللفظ وتأنيثه حملا على المعنى قال المبرد هذا شايع في القرآن قال تعالى فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي بمعنى هذا الشيء الطالع وقال ان هذه تذكرة فمن شاء ذكره اي ذكر هذا الشيء وعد سيبويه الانعام في الاسماء المفردة الواردة على افعال وجوز في الكشاف ان يكون تأنيثه على انه تكسير نعم وقيل ان الانعام هاهنا بمعنى النعم لان الالف واللام يلحق الآحاد بالجمع والجمع بالآحاد فلذلك ذكره وقيل انه حسن لانه لا يقع جوابا عن التخصيص ولعل السر فيه ان الضمير في هذه السورة يعود الى البعض وهو الاناث لان اللبن لا يكون للكل فالتقدير وان لكم في بعض الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه واما في المؤمنين فانه لما عطف عليه ما يعود على الكل ولا يقتصر على البعض وهو قوله ولكم فيها منافع ومنها تأكلون وعليها الم يحتمل ان يكون المراد به البعض فانث ليكون نصا على ان المراد بها الكل روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن

عباس انه قال اذا استقر العلف في الكرش صار اسفله فرثا واعلاه دما واوسطه لبنا خالصا فيجري الدم في العروق واللبن في الضرع ويبقى الفرث كما
هو فذلك هو قوله تعالى من بين فرث ودم لبنا خالصا لا يشوبه الدم ولا الفرث ذكر الاطباء هذا القول لانه على خلاف الحس والتجربة اما الحس فلان
الانعام تذبح ذبحا متواليا ولا يرى في كرشها دم ولا لبن واما التجربة فلان الدم لو كان في اعلى المعدة والكرش كان يجب اذا قاء ان يقيء الدم وليس
كذلك بل الحق ان الحيوان اذا تناول العلف حصل له في معدته او كرشه هضم اول فما كان منه صافيا انجذب الى الكبد وما كان كثيفا نزل الى الامعاء ثم
الذي يحصل في الكبد ينطبخ فيها ويصير دما وذلك هو الهضم الثاني ويكون ذلك مخلوطا بالصفراء والسوداء وزيادة المائية اما الصفراء فتذهب الى
المرارة والسوداء الى الطحال والماء الى الكلية ومنها الى المثانة واما ذلك الدم فانه يدخل في الاوردة وهي العروق النابتة من الكبد وهناك يحصل
الهضم الثالث وبين الكبد والضرع عروق كثيرة فينصب الدم في تلك العروق الى الضرع والضرع لحم غددي رخو ابيض فيقلب الله الدم هناك الى صورة
اللبن وانما اختص هذا المعنى بالحيوان الانثى لان الحكمة الالهية اقتضت تدبير كل شيء على الوجه اللائق به والذكر من كل حيوان اسخن واخف
والانثى ابرد وارطب لان بدن الانثى يحتاج الى مزيد رطوبة لتصير مادة لتولد الولد ويتسع بدنها له ثم ان تلك الرطوبات التي كانت تصير
مادة لازدياد بدن الجنين حين كان في الرحم ينصب بعد انفصال الجنين الى الثدي ليصير مادة لغذاء الطفل واعلم انه تعالى خلق في اسفل المعدة
منفذا يخرج منه ثقل الغذاء فاذا تناول الانسان غذاء او شربة رقيقة انطبق ذلك المنفذ انطباقا كليا الى ان يكمل انهضامه في المعدة
وينجذب ما صفا منه الى الكبد ويبقى الثقل هناك ثم ينفتح ذلك المنفذ وينزل منه ذلك الثقل فهذا الانطباق والانفتاح بحسب الحاجة
وبقدر المنفعة مما لا يتاتى الا بتقدير الفاعل الحكيم وايضا انه اودع في الكبد قوة جاذبة للاجزاء اللطيفة التي في ذلك الماكول والمشروب
طابخة لها حتى ينقلب دما دون الاجزاء الكثيفة وفي المعدة بالعكس واودع في المرارة قوة جاذبة لزيادة المائية وتخصيص كل واحد من هذه
الاعضاء بفعله الخاص لا يمكن الا بتدبير العليم الخبير وكذا الكلام في انصباب مادة اللبن الى الثدي في وقت يحتاج الطفل الى الغذاء وتوزيعها
على جميع البدن في غير ذلك الوقت ثم انه تعالى احدث في حلمة الثدي ثقوبا صغيرة يخرج اللبن الخالص منها وقت المص والحلب فهي بمنزلة المصفاة للبن
يخرج اللطيف منها ويبقى الكثيف فبهذا الطريق يصير خالصا سائغا للشاربين اي سهل المرور في الحلق حتى قيل انه لم يغص احد باللبن قط
من عجائب حال اللبن اجتماعه من اجسام مختلفة مع انها واحدة في الحس فمنها الدهن وهو حار رطب ومنها الاجزاء المائية وهي باردة رطبة ومنها الجبن
وهو بارد يابس وكلها حاصلة من عشب واحد ثم انه تعالى الهم الطفل الصغير مص الثدي عند انفصاله من الام وكل ذلك دليل على عناية كاملة ورحمة
شاملة تامة وقدرة باهرة قال المحققون في تقليب العشب في هذه الاطوار الى ان يصير لبنا خالصا سائغا دليل على انه تعالى قادر على تقليب الانسان
في اطواره الى ان يصير مستعدا للبقاء الابدي واللقاء السرمدي قال جار الله من في مما في بطونه للتبعيض ومن في قوله من بين فرث لابتداء الغاية فهو
صلة لنسقيكم كقولك سقيته من الحوض وجوز ان يكون حالا من قوله لبنا مقدما عليه فيتعلق بمحذوف اي كائنا من بين كذا وكذا وانما قدم
لانه موضع العبرة فهو جدير بالتقديم قالت الشافعية ليس بمستنكر ان يسلك المني مسلك البول وهو طاهر كما يخرج اللبن من بين الفرث والدم
طاهرا اما قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب اي ومن الاعناب فاما ان يتعلق بمحذوف اي ونسقيكم من ثمرات النخيل ومن الاعناب اي من عصيرها
وحذف لدلالة ما تقدم عليه فيكون قوله تتخذون منه بيانا وكشفا عن كنه حقيقة الاسقاء واما ان يتعلق بتتخذون فيكون قوله منه
تكريرا للظرف لاجل التاكيد نظيره قولك زيد في الدار فيها وانما ذكر الضمير في منه لانه يعود الى المذكور او الى المضاف المحذوف الذي هو العصير
كانه قيل ومن عصير ثمرات النخيل ومن عصير الاعناب تتخذون منه واحتمل ان يكون تتخذون صفة موصوف محذوف كقوله وما منا الا
له مقام معلوم اي وما منا الا ملك فالتقدير ومن ثمرات النخيل ومن الاعناب ثمر تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا لانهم ياكلون بعضها و
يتخذون من بعضها السكر وهو الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا وعلى هذا التفسير ففي الاية قولان احدهما
ويروى عن الشعبي والنخعي انها منسوخة فان السورة مكية وتحريم الخمر نزل في المائدة وهي مدنية وثانيهما انها جامعة بين العتاب والمنة وذكر المنفعة
لا ينافي الحرمة على ان في الاية تنبيها على الحرمة ايضا لانه ميز بينها وبين الرزق الحسن في الذكر فوجب ان السكر لا يكون رزقا حسنا الا بحسب الشهوة بل
بحسب الشريعة هذا ما عليه الاكثرون وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو
حلال عند ابي حنيفة الى حد السكر واحتج بان الاية دلت على ان السكر حلال لانه تعالى ذكره في معرض الانعام والمنة ودل الحديث على ان الخمر
حرام لعينها وهذا يقتضي ان يكون السكر شيئا غير الخمر وكل من اثبت هذه المغايرة قال انه النبيذ المطبوخ ويحكى عن ابي علي الجبائي انه صنف كتابا
في تحليل النبيذ فلما اخذت منه السن العالية قيل له لو شربت منه ما يتقوى به فابى فقيل له فقد صنفت في تحليله فقال تناولته ايدي
الشيطان ففتح عندي المروات والاثار وقيل السكر الطعم قاله ابو عبيدة وقيل السكر والرزق الحسن واحد كانه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق
حسن ومن عجيب احوال الحيوان حال النحل المناسب عسلها واللبن المناسب للبن في موافقة اللذة في الخروج من البطن فلذلك قرنها بالذكر عقيب ذلك فقال
واوحى ربك يا محمد او يا انسان الى النحل اي الهمها وعلمها على وجه هو اعلم به ولقد حق لغريب امرها وعجيب صنعها ان يطلق عليه لفظ الايحاء وذلك
انها تبني البيوت المسدسة من الاضلاع المتساوية التي لا يمكن للعقلاء تركيب مثلها الا بالمساطر والفرجارات وقد علم من الهندسة ان

تلك البيوت لو كانت مشكلة بما سوى المسدسات فانه يبقى بالضرورة فيما بينها فرج خالية ضائعة فاهتداء ذلك الحيوان الضعيف الى هذه الحكمة
الدقيقة من الاعاجيب ومن غرايب امرها ان لها رئيسا هو اعظم جثة من الباقين وهم يخدمونه ويتبعون نهيه وامره ومنها انها اذا نفرت عن
وكرها ذهبت مع الجمعية الى موضع اخر فاذا ارادوا اعادتها الى وكرها ضربوا الطبول والملاهي وآلات الموسيقى وبواسطة تلك الالحان يقدرون
على ردها الى وكارها وبالجملة فان غرايب هذا الحيوان اكثر من ان تحصى واشهر من ان تخفى والغرض ان امتياز هذا الحيوان بهذه الخواص
العجيبة الدالة على الذكاء والكياسة حالة تشبيهه بالوحي بمعنى الالهام قال الزجاج يجوز ان يقال سميت نحلا لان الله تعالى نحل الناس العسل بواسطتها
وهي مؤنثة في لغة اهل الحجاز ولذلك قال تعالى ان اتخذي وهي ان المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول ومعنى من في قوله من الجبال بيوتا ومن
الشجر ومما يعرشون اي يبنون ويرفعون البعضية لانها لا تبني بيوتا في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولكنها تبني في مساكن توافقها وتليق
بها واكثر ما تبنيها الناس ويصلح احوالها ثم كلي من كل الثمرات اي بعضا من كل ثمرة تشتهيها فاذا اكلتها فاسلكي سبل ربك اي الطرق
التي الهمك في عمل العسل او للاجمع ذللا وهي حال من السبل لان الله ذللها لها وسهلها عليها او من الضمير في فاسلكي اي وانت ذلل منقادة
لما امرت به غير ممتنعة او المراد فاسلكي ما اكلت في سبل ربك اي في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا وهي اجوافك ومنافذ
ماكلك او المراد انك اذا اكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها فقد يحكى
انها ربما اجدب عليها ما حولها فتسافر الى البلد البعيد في طلب النجعة ويجوز ان يريد بقوله ثم كلي اقصدي اكل الثمرات فاسلكي في طلبها في مظانها
سبل ربك واعلم ان ظاهر قوله ان اتخذي ثم كلي فاسلكي امر فمن الناس من قال لا يبعد ان يكون لهذه الحيوانات عقول يتوجه بها عليها
من الله امر ونهي ومنهم من انكر ذلك وقال المراد انه سبحانه خلق فيها غرائز وطبائع توجب هذه الاحوال وتمام الكلام فيه سيجيء في سورة النمل اما حدوث
العسل من النحل فالاصح عند الاطباء ان الله تعالى دبر هذا العالم على وجه يحدث في الهواء طل لطيف في الليالي ويقع على اوراق الاشجار فقد
يكون كثيرا يجتمع منها اجزاء محسوسة وهي الترنجبين ونحوه وقد يكون قليلا متفرقا على الاوراق والازهار وهو الذي الهم الله تعالى هذا النحل فيلتقط
تلك الذرات بافواهها وتاكلها وتغتذي بها فاذا شبعت التقطت مرة اخرى وذهبت بها ووضعتها في بيوتها ادخارا لانفسها فاذا اجتمع
في بيوتها شيء محسوس من تلك الاجزاء الطلية فذاك هو العسل ولا يبعد ان يحصل لتلك الاجزاء في افواهها نوع هضم وتغير ونضج صلحت فيها
فلذلك قال يخرج من بطونها اي من افواهها ومن الناس من زعم ان النحل تاكل من الازهار الطيبة والاوراق العطرة اشياء ثم انه تعالى تقلب
تلك الاجسام في داخل بدنها عسلا ثم انها تقيء مرة اخرى فذلك هو العسل قال العقلاء والقول الاول اقرب الى التجربة والقياس فان طبيعة الترنجبين
قريبة من العسل في الطعم والشكل ولا شك انه طل يحدث في الهواء ويقع على اطراف الاشجار والازهار فكذا العسل وايضا النحل انما تغتذي
بالعسل ولهذا يترك منه بقية في بيوتها بعد الاشتيار ولكن قوله تعالى يخرج من بطونها شراب اي ما يشرب يعضد القول الثاني وقوله مختلفا
الوانه اي منه ابيض واصفر واحمر واسود بحسب اختلاف الاماكن واسنان النحل واختلاف الازهار والاعشاب التي ترعى فيها ثم وصفه بقوله فيه
شفاء للناس لانه من جملة الاشفية والادوية المشهورة النافعة ولهذا يقع في اكثر المعاجين وتنكير شفاء لتعظيم الشفاء الذي فيه او لان بعض فيه
الشفاء فان كل دواء كذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا جاء اليه فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما
نفع فقال اذهب فاسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرئ كانما انشط من عقال قال اهل المعاني انه صلى الله عليه وسلم كان عالما
بانه سيظهر نفعه فلهذا قال كذب بطن اخيك حين لم يظهر النفع في الحال وعن عبد الله بن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور
فعليكم بالشفائين القرآن والعسل واعلم انه سبحانه ختم الاية الاولى بقوله لقوم يسمعون لان انزال الماء من السماء واحياء الارض بسببه امر مشاهد
محسوس فمنكر ذلك فاقد الحس فلما اختص بالذكر حاسة السمع لان لفظ القرآن المنبه على هذه الاية مسموع وختم الاية الثانية بالعقل لانه يحتاج الى نوع تدبر
فالمعرض عنه فاقد العقل دون الحس وختم الثالثة بالتفكر لان امر النحل وقصتها العجيبة من انقيادها لاميرها واتخاذها البيوت على اشكال يعجز
عنها الحاذق منا ثم تتبعها الزهر والطل ثم خروج ذلك من بطونها لعابا او قيئا يقتضي فكرة بليغة ولما ذكر بعض عجائب احوال الحيوان اتبعه عجيب خلق
الانسان فقال والله خلقكم ولم تكونوا شيئا ثم يتوفاكم عند انقضاء اجالكم ومنكم من يرد الى ارذل العمر الى اخسه واحقره عن علي خمس
وسبعون سنة وعن قتادة تسعون سنة وقال السدي هو حالة الخرف لكيلا يعلم بعد علم شيئا اي ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفل
في النسيان وعدم التذكر وقيل لئلا يعقل بعد عقله الاول شيئا او لا يعلم زيادة على علمه وقيل ان الرد الى ارذل العمر ليس في المسلمين والمسلم
لا يزداد بسبب العمر الا كرامة على الله تعالى ونظير الاية قوله ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا وعملوا الصالحات واعلم ان العقلاء ضبطوا مراتب
عمر الانسان في اربع اولها سن النشوء والنماء وثانيها سن الوقوف وهو سن الشباب وثالثها سن الانحطاط الخفي اليسير وهو سن الكهولة ورابعها سن الانحطاط
الظاهر وهو سن الشيخوخة وذكر الاطباء واصحاب الطبيعي ان بدن الانسان مخلوق من المني ومن دم الطمث وهما جوهران حاران رطبان والحرارة اذا
عملت في الجسم الرطب قللت رطوبته فلا يزال ما في هذين الجوهرين من قوة الحرارة يقلل ما في العضو من الرطوبة حتى يتصلب ويظهر العظم والغضروف
والعصب والوتر والرباط وسائر الاعضاء فاذا تم تكوين البدن وكمل تقعد ذلك ينفصل الجنين من رحم الام وتكون رطوبة البدن بعد

زائدة على حاجته فيكون الاعضاء قابلة للتمدد والازدياد والنماء وهو سن النشوء وغايته الى ثلثين سنة ثم تصير رطوبات البدن اقل ويكون وافية
بحفظ الحرارة الغريزية الاصلية الا انها لا يكون زائدة على هذا القدر وهو سن الوقوف والشباب وغايته خمس سنين وبها يتم الاربعون ثم تقل
الرطوبات بحيث لا يكون وافية بحفظ الحرارة الغريزية ويظهر النقصان قليلا الى ستين وهي سن الكهولة ثم يظهر جدا الى تمام مائة وعشرين سنة
قال المتكلمون هذا التعليل ضعيف لان رطوبات البدن في حال كونه منيا كانت كثيرة ولذلك كانت الحرارة الغريزية مغمورة ثم انها مع ذلك
كانت قوية على تحليل اكثر الرطوبات حتى نقلتها من حد الدموية والمنوية الى ان صارت عظما وعصبا وغضروفا ورباطا فعند ما تولدت الاعضاء
وكمل البدن وقلت الرطوبات وجب ان تقوى الحرارة الغريزية قوة ازيد مما كانت قبل ذلك فوجب ان يكون تحليل الرطوبات بعد تولد البدن
وكماله اكثر من تحليلها قبل تولد البدن وليس الامر كذلك لانه قبل تولد البدن انتقل جسم الدم والمني الى ان صار عظاما وعصبا اما بعد تولد البدن
فلم يحصل مثل هذا الانتقال ولا عشر عشيره فعلمنا ان البدن انما يتولد بتدبير قادر حكيم لا لاجل ما ذكروه وبوجه آخر الحرارة الحاصلة في بدن
الانسان الكامل الغريزية اما ان يكون هي عين ما كان حاصلا في جوهر النطفة او صارت ازيد مما كانت والاول باطل لان الحار الغريزي الحاصل
في جوهر النطفة كان بمقدار جرم النطفة فاذا كبر البدن وجب ان لا يظهر منه في هذا البدن تاثير اصلا واما الثاني ففيه تسليم ان الحرارة تتزايد
بحسب تزايد الجثة ولا ريب ان تزايدها يوجب تزايد القوة والصحة ساعة فساعة فيلزم ان لا ينهدم البدن الحيواني ابدا وليس كذلك وبوجه
ثالث هب ان الرطوبة الغريزية صارت معادلة للحرارة الغريزية فلم قلتم ان الحرارة الغريزية يجب ان تصير اقل مما كانت حتى ينتقل الانسان من سن الشباب
الى سن النقصان فان قالوا السبب فيه انه اذا حصل هذا الاستواء فالحرارة الغريزية بعد ذلك تؤثر في تخفيف الرطوبة الغريزية فتقل الرطوبات الغريزية
حتى صارت بحيث لا تفي بحفظ الحرارة الغريزية واذا حصلت هذه الحال ضعفت الحرارة الغريزية ايضا لان الرطوبات الغريزية كالغذاء للحرارة
الغريزية فاذا قل الغذاء ضعف المغتذي فينتهي الامر الى ان لا يبقى من الرطوبة شيء لان الحرارة الغريزية توجب قلة الرطوبة الغريزية وقلتها
توجب ضعف الحرارة الغريزية فيلزم من ضعف احدهما ضعف الاخرى فتنطفي الحرارة ايضا ويحصل الموت واورد عليهم ان الحرارة اذا اثرت في تخفيف
الرطوبة وقلتها فلم لا يجوز ان يورد القوة الغاذية بدلها فاجابوا بان القوة الغاذية لا تفي بايراد البدل قال الامام فخر الدين الرازي واذا عليهم ان
القوة الغاذية انما تعجز عن هذا الايراد اذا كانت الحرارة الغريزية ضعيفة وذلك مم وانما يكون الحرارة الغريزية ضعيفة ان لو قلت الرطوبة الغريزية
وانما يحصل هذه القلة اذا عجزت الغاذية عن ايراد البدل وهذا دور محال فثبت ان اسناد هذه الاحوال الى الطبائع والقوى غير ممكن فيتعين
اسنادها الى القادر المختار الحكيم ولهذا ختم الآية بقوله ان الله عليم قدير يعلم مقادير المصالح والمفاسد ويقدر على تحصيلها كما يريد واما
الطبيعة فجاهلة عاجزة قلت لا شك ان نسبة هذه الامور الى مجرد الطبيعة كفر وجهل لانها ليست واجبة الوجود بالاتفاق ولكن انكار القوى و
الطبائع ايضا بعيد عن الانصاف والحق انها وسائط وآلات لما فوقها من المبادي والعلل الى ان ينتهي الامر الى مسبب الاسباب ومبدأ الكل وقد
ثبت عند الحكيم ان كل قوة جسمانية فانها متناهية الاثر فلا محالة تعجز القوة الغاذية آخر الامر عن ايراد بدل ما يتحلل فيحل الاجل بتقدير العليم القدير
التأويل ولو يؤاخذ الله النفوس الناسية بما ظلمت على القلوب والارواح ما ترك على ارض البشرية من صفة من صفات الحيوانية ولكن
يؤخر اهل السعادة الى اجلهم وافناء صفات النفس بصفاء القلب والروح في جنة الوصال ويؤخر اهل الشقاء الى اوان العكس من ذلك ويجعلون لله
ما يكرهون اي يعاملون الله باعمال كما يكرهون ان يعاملهم بها غيرهم وتسول لهم انفسهم ان تلك المعاملة حسنة والله انزل من سماء العزة
ماء بيان القرآن فاحيا به ارض قلوب الامم بعد موتها باختلافهم على انبيائهم ان في ذلك لآية لقوم يسمعون كلام الله من الله وان لكم
في الانعام النفوس لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث الخاطر الشيطاني ودم الخاطر النفساني لبنا خالصا من الالهام الرباني سائغا
للشاربين جائزا لاهل هذا الشرب ومن ثمرات نخيل الطاعات واعناب المجاهدات تتخذون منه سكرا هو ما يحصل منها شرب النفس
فتسكر النفس فتارة تميل عن الحق والصراط المستقيم ميلان السكران وتارة تظهر رعوناتها بالافعال والاحوال رياء وسمعة وشهوة
والرزق الحسن ما يكون منه شرب القلب والروح فيزداد منه الشوق والمحبة والصدق والطلب شعر شربت الحب كاسا بعد كاس : فما نفد
الشراب وما رويت * واوحى ربك الى النحل اشارة الى حال السالك السائر ان اتخذي من الجبال بيوتا اراد الاعتزال عن الخلق والتبتل
الى الله كان رسول الله صلعم يتحنث في غار حراء اسبوعا واسبوعين وشهرا ولا بد ان يتنظف كما ان النحل يحترز عن التلوث وفيه ان نحل الارواح
اتخذت من جبال النفوس بيوتا ومن شجر القلوب ومما يعرشون من الاسرار ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك نظيره قوله كلوا من الطيبات
واعملوا صالحا فثمرات البدن الاعمال الصالحات وثمرات النفوس الرياضات ومخالفات الهوى وثمرات القلوب ترك الدنيا والتوجه الى
المولى وثمرات الاسرار شواهد الحق والتطلع على الغيوب والتقرب الى الله وهذه كلها اغذية نحل الارواح فانها بقوة هذه الاغذية تسلك
السبل الى ان تصل الى المقعد الصدق عند مليكها فيكون غذاؤها مكاشفات الحق ومشاهداته فيبيت عند ربها يطعمها ويسقيها فيخرج من بطونها شراب
الحكم والمواعظ مختلف الالوان من المعاني والاسرار والدقائق والحقائق فيه شفاء للقلوب الناسية القاسية عن ذكر الله والله خلقكم اخرجكم من العدم الى الوجود
ثم يتوفيكم عن الوجود المجازي ومنكم من يرد الى ارذل العمر وهو مقام الفناء في الله لكيلا يعلم بعد فناء علم شيئا بعلمه بل يعلم بالله الاشياء كما هي والله اعلم بالصواب

وَاللّٰهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلٰى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلٰى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ
أَفَبِنِعْمَةِ اللّٰهِ يَجْحَدُونَ وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ
مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللّٰهِ هُمْ يَكْفُرُونَ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا
مِنَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ فَلَا تَضْرِبُوا لِلّٰهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ضَرَبَ اللّٰهُ
مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلٰى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ
الْحَمْدُ لِلّٰهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلٰى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلٰى
مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلٰى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَلِلّٰهِ
غَيْبُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَاللّٰهُ
أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللّٰهُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ وَاللّٰهُ جَعَلَ
لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ
أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلٰى حِينٍ وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَ
جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ
عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللّٰهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ

القراءة تجحدون بتاء الخطاب ابو بكر وحماد الآخرون على الغيبة من بطون امهاتكم ونحوها بكسر الهمزة وفتح الميم على امهاتكم بكسرهما حمزة الباقون
بضم الهمزة وفتح الميم الم تروا على الخطاب ابن عامر وحمزة وخلف وسهل ويعقوب ظعنكم بسكون العين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر الباقون بفتحها
الوقوف في الرزق ج لاختلاف الجملتين مع الفاء سواء ط يجحدون ه من الطيبات ط يكفرون ه للعطف لا يستطيعون ج لابتداء النهي مع فاء التعقيب
الامثال ط لا يعلمون وجهرا ط هل يستوون ط الحمد لله ط لان بل للاعراض عن الاول لا يعلمون ه مولاه لا لان الجملة بعده صفة احدهما بخير ط لانتهاء الوقف
الى مستقيم لاتحاد الكلام والارض ط اقرب ط قدير ه شيئا لا للعطف والافئدة لا للتعلق لعلكم تشكرون ه السماء ط للفصل بين الاستخبار والاخبار الا الله ط
يؤمنون ه اقامتكم لا للوقوع جعل على اثاثا الى حين ه باسكم ط تسلمون ه المبين ه الكافرون ه التفسير لما بين خلق الانسان وتقلبه في اطوار مراتب العمر
اراد ان يذكره طرفا من سائر احواله لعله يتذكر فقال والله فضل بعضكم على بعض في الرزق ولا ريب ان ذلك امر مقسوم من قبل القسام والا لم
يكن العاقل رخي البال والغافل ردي الحال وليس هذا التفاوت مختصا بالمال وانما هو حاصل في الحسن والقبح والصحة والسقم وغير ذلك فلرب
ملك يقاد الجنائب بين يديه ولا يمكنه ركوب واحدة منها وربما احضرت الاطعمة الشهية والفواكه العطرة عنده ولا يقدر على تناول شيء
منها وبحذائه انسانا كامل القوة صحيح المزاج شديد البطش ولا يجد ملء بطنه طعاما وللمفسرين في الآية قولان احدهما ان المراد تقرير كون
السعادة والنحوسة والغنى والفقر بقسمة الله تعالى وانه جعل بعض الناس موالي وبعضهم مماليك وليس المالك رازقا للعبد وانما الرازق للعبد والمولى

هو الله فلا يحسبن الموالي المفضلون انهم يرزقون مماليكهم من عندهم شيئا من الرزق وانما ذلك رزقي اجريه لهم على ايديهم وثانيهما ان المراد
الرد على من اثبت لله شريكا كالصنم وكعيسى فضرب له مثلا فقال انتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما انعمت به عليكم ولا تردون رزقكم عليهم حتى
تتساووا في المطعم والملبس فالفاء في قوله فهم فيه سواء للتعليل ويمكن ان تقول بمعنى حتى اي حتى يكون عبيدهم معهم سواء في الرزق فكيف ترضون
ان تجعلوا عبيدي لي شركاء عن ابي ذر رضه انه سمع رسول الله صم يقول في العبيد انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون فما رئي عبده
بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت أفبنعمة الله يجحدون وهي انه جعلهم موالي مفضلين لا عبيدا مفضولين تجحدون او جعل عدم التسوية
بينهم وبين عبيدهم من جملة جحود النعمة او جعل اعتقاد اهلية العبادة لغير الله كفرا بنعمة الله والجحود في معنى الكفران فلذلك عداه بالباء قال ابو عبيدة
وابو حاتم قراءة الغيبة وهي الكبرى اولى لقرب المخبر عنه ولانه لو كان خطابا لظاهره للمسلمين وانهم لا يخاطبون بجحد نعمة الله والحالة الاخرى من احوال
الانسان قوله عز من قائل والله جعل لكم من انفسكم اي من جنسكم ازواجا ليكون الانس بهن اتم ولا ريب ان تخليق الذكور والاناث مستند الى قدرة الله
وتكوينه والطبيعيون قد يذكرون له وجها فقالوا ان المني اذا انصب الى الخصية اليمنى من الذكر ثم انصب منه الى الجانب الايمن من الرحم كان الولد
ذكرا تاما في الذكورة بناء على ان الذكر اسخن مزاجا وكذا الجانب الايمن وان انصب من الخصية اليسرى الى الجانب الايسر من الرحم كان الولد
تاما في الانوثية واذا انصب المني الى الايسر كان ذكرا في طبيعة الاناث وان كان بالعكس كان بالعكس قال الامام فخر الدين الرازي هذه
العلة ضعيفة فقد رأينا من النساء من كان مزاجه في غاية السخونة وفي الرجال من كان مزاجه في غاية البرودة وللقائل ان يقول الكلام في
المزاج الصنفي لا في المزاج الشخصي وهذا الامام لم يفرق بينهما فاعترض باحدهما على الآخر وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة اصل الحفد
الاسراع في الخدمة والفاعل حافد والجمع حفدة فقيل اريد بها في الآية الاختان على البنات وقيل اولاد الاولاد وقيل اولاد المرأة من الزوج
الاول وقيل الخدم والاعوان وقيل البنون انفسهم لانهم الجامعون بين الامرين البنوة والخدمة وقيل الاولى دخول الكل فيه ثم ذكر انعامه عليهم
بالمطعوم الطيبة لان لذة المنكوح لا تتم الا بعد الفراغ من لذة المطعوم او بعد الفراغ من تحصيل اسبابها ومن للتبعيض لان لذة كل
الطيبات لا تكون الا في الجنة ثم ختم الآية بقوله أفبالباطل يؤمنون فقيل الباطل هو ما اعتقدوه من منفعة الاصنام وبركتها وشفاعتها ونعمة
الله ما احل لهم وقيل الباطل ما زين لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما احل لهم وانما قال ههنا وبنعمة الله
هم يكفرون وفي آخر العنكبوت وبنعمة الله يكفرون لان تلك الآيات استمرت على الغيبة فلم يحتج الى زيادة ضمير الغائب واما الآية فقد سبق
مخاطبات كثيرة فلم يكن بد من ضمير الغائب لتوكيد لئلا يلتبس بالخطاب ولما عدد بعض الآيات الدالة على الاقرار بالتوحيد انكر صنيع اهل الشرك
عليهم فقال ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا قال جار الله ان كان بمعنى المصدر نصبت شيئا اي لا يملك ان يرزق شيئا وان اريد
المرزوق كان شيئا بدلا منه بمعنى قليلا او يكون تأكيدا لا يملك شيئا من الملك من السموات والارض صلة للرزق ان كان مصدرا
بمعنى لا يرزق من السموات مطرا ولا من الارض نباتا او صفة ان كان اسما لما يرزق اما الضمير في ولا يستطيعون فعائد الى ما بعد ان قيل لا يملك على
اللفظ وجمع بالواو والنون بناء على زعمهم ان الاصنام آلهة والفائدة في نفي الاستطاعة عنهم ان من لا يملك شيئا قد يكون موصوفا باستطاعة
ان يتملك بطريق من الطرق فبين تعالى انها لا تملك ولا تستطيع تحصيل الملك وجوز في الكشاف ان يكون الضمير للكفار اي لا يستطيع هؤلاء
مع انهم احياء متصرفون فكيف بالجماد الذي لا حس له فلا تضربوا لله الامثال اي لا تجعلوا له مثلا تشبهونه به فان ضارب المثل مشبه حالا بحال وقصة بقصة
وقال الزجاج لا تجعلوا لله مثلا لانه واحد لا مثل له وكانوا يقولون ان اله العالم اجل من ان يعبده الواحد منا فكانوا يتوسلون الى الاصنام
والكواكب كما ان اصاغر الناس يخدمون اكابر حضرة الملك واولئك الاكابر يخدمون الملك فنهوا عن ذلك غير الحقيقة والاخلاص وعلل النهي بقوله
ان الله يعلم ما عليكم من العقاب وانتم لا تعلمون ما في عبادتها من العذاب وفيه ان القياس الذي توهموه ليس بصحيح والنص يجب تقديمه على
ذلك وقيل ان الله يعلم كيف يضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف يضرب فقال ضرب الله مثلا ثم ابدل من المثل قوله عبدا مملوكا
لا حرا فان جميع الناس عبيد الله فلا يلزم من كونه عبدا كونه مملوكا وقوله لا يقدر على شيء ليخرج العبد المأذون والمكاتب فانهما يقدران على
التصرف احتج الفقهاء بالآية على ان العبد لا يملك شيئا وان ملكه السيد لان قوله لا يقدر حكم مذكور عقيب الوصف المناسب فدل على ان
العبدية اينما وجدت فهي علة للذل والمقهورية وعدم القدرة فثبت العموم وهو ان كل عبد فهو لا يقدر على التصرف وايضا قوله ومن
رزقناه منا رزقا حسنا يقتضي ان لا يحصل للقسم الاول هذا الوصف فلو ملك العبد شيئا لما صدق عليه ان الله قد آتاه الرزق الحسن فلم
يثبت الامتياز والاكثرون على ان عدم اقتدار العبد مخصوص بما يتعلق بالمال وعن ابن عباس انه لا يملك الطلاق ايضا قال جار الله الظاهر
من في قوله ومن رزقناه موصوفة كأنه قيل وحرا رزقناه ليطابق عبدا ولا يمتنع ان يكون موصولة وجمع قوله هل يستوون لانه اريد الاحرار والعبيد والمقصود
في ضرب المثل قال الاكثرون على انه اراد انا لو فرضنا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء وحرا كريما غنيا كثير الانفاق سرا وجهرا فصريح العقل
يشهد بانه لا يجوز التسوية بينهما مع استوائهما في الخلقة والصورة فكيف يجوز للعاقل ان يسوي بين الله القادر على الرزق والافضال وبين
الاصنام التي لا تملك ولا تقدر البتة وقيل العبد المملوك هو الكافر المحروم عن طاعة الله وعبوديته والآخر هو المؤمن المشتغل بالتعظيم لامر الله

والشفقة على خلق الله والغرض انهما لا يستويان في الرتبة والشرف والقرب من رضوان الله وقيل العبد هو الصنم لقوله ان كل من في السموات والارض
الا آتي الرحمن عبدا والثاني عابد الصنم والمراد انهما لا يستويان في القدرة والتصرف لان الاول جماد وهذا انسان فكيف يجوز الحكم بان
الاول مساو لرب العالمين الحمد لله قال ابن عباس اراد الحمد لله على ما فعل باوليائه وانعم عليهم بالتوحيد وقيل معناه كل الحمد لله وليس شيء من الحمد
للاصنام لانه لا نعمة لها على احد بل اكثرهم لا يعلمون ان كل الحمد لي وقيل اراد قل الحمد لله والخطاب للرسول صم واما من رزقه الله رزقا حسنا
ومنزه بالقدرة والاختيار والتصرف من العبد الذليل الضعيف قيل المذكور مثلا مطابقا للغرض كاشفا عن المقصود فقال الحمد لله على
قوة هذه الحجة وظهور هذه البينة بل اكثرهم لا يعلمون قوتها وظهورها ثم ضرب مثلا ثانيا لنفسه ولما يفيض على عباده من النعم الدينية والدنيوية
وللاصنام التي هي اموات لا تضر ولا تنفع بل يصل منها الى من يعبدها اعظم المضار اما تفسير الالفاظ فالابكم العي المفحم وقد بكم بكما وبكامة وقيل
هو الاقطع اللسان الذي لا يحسن الكلام وروى ثعلب عن ابن الاعرابي انه الذي لا يسمع ولا يبصر وقوله وهو كل على مولاه اصله من الغلظ الذي
هو نقيض الحدة يقال كل السكين اذا غلظت فلم يقدر على القطع وكل فلان عن الكلام اذا ثقل عليه ولم ينبعث فيه وفلان كل على مولاه اي ثقل وعيال
على من يلي امره وبقوله اينما يوجهه حيثما يرسله لا يأت بخير لم ينجح في مطلبه والتوجيه ان ترسل صاحبك في وجه معين من الطريق هل يستوي
هو اي الموصوف بهذه الصفات المذكورة ومن يأمر الناس بالعدل وهو في نفسه على صراط مستقيم على سيرة صالحة ودين قويم غير
منحرف الى طرفي الافراط والتفريط ولا شك ان الآمر بالعدل يجب ان يكون عالما حتى يمكنه التمييز بين العدل والجور قادرا حتى يتأتى منه الا
الاتيان بالجزاء والامر به وكلا الوصفين يناقض كونه ابكم لا يقدر قال مجاهد هذا مثل الاله الخالق وما يدعى من دونه اما الابكم فمثل
الصنم لانه لا ينطق البتة ولا يقدر على شيء وهو كل على عابده لانه لا ينفق عليهم وهم ينفقون عليه والى اي مهم يوجه الصنم لا يأتي
بخير واما الذي يأمر بالعدل فهو الله سبحانه وروى الواحدي باسناده عن عكرمة عن ابن عباس قال نزلت الآية المتقدمة في هشام بن عمرو
هو الذي ينفق ماله سرا وجهرا ومولاه ابو الجوار الذي كان ينهاه عنه وهذه الآية نزلت في سيد بن ابي العيص وفي عثمان بن عفان مولاه والاصح
ان المقصود من الاولى كل عبد موصوف بالصفات المذمومة وكل حر موصوف بالخصال الحميدة ومن الآية الثانية كل رجل جاهل عاجز و
كل من هو بضد ذلك من كونه شامل العلم كامل القدرة وليس الا الله سبحانه فلذلك مدح نفسه بقوله ولله غيب السموات والارض اي
يختص به علم ما غاب عن العباد فيهما او اراد بغيبهما يوم القيامة لان علمه غائب عن غير الله ويؤيد هذا التفسير قوله وما امر الساعة الا كلمح البصر
اللمح النظر بسرعة ولا بد فيه من زمان ينقلب فيه الحدقة نحو المرئي وكل زمان قابل للتجزئة فلذلك قال او هو اقرب وليس هذه من قبيل المبالغة
وانما هو كلام في غاية الصدق لان مدة ما بين الخطاب وقيام الساعة متناهية ومنها الى الابد غير متناه ولا نسبة للمتناهي الى غير المتناهي
وقيل معنى امر الساعة ان اماتة الاحياء واحياء الاموات كلهم يكون في اقرب وقت واقله ثم اكده بقوله ان الله على كل شيء قدير ثم زاد في
التأكيد بذكر حالة اخرى للانسان دالة على غاية قدرته ونهاية رأفته فقال والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا قال
جار الله هو في موضع الحال اي غير عالمين شيئا من حق المنعم الذي خلقكم في البطون وسواكم وصوركم ثم اخرجكم من الضيق الى السعة
وقوله وجعل لكم معناه وما ركب فيكم هذه الاشياء الا آلات لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام
بحقوقه والترقي الى ما يسعدكم والافئدة من جموع القلة التي تستعمل في مقام الكثرة ايضا لعدم ورود غيرها واعلم ان جمهور
الحكماء زعموا ان الانسان في مبدأ فطرته خال عن المعارف والعلوم الا انه تعالى خلق السمع والبصر والفؤاد وسائر القوى المدركة حتى ارتسم في خياله بسبب
كثرة ورود المحسوسات عليه حقائق تلك الماهيات وحضرت صورها في ذهنه ثم ان مجرد حضور تلك الحقائق ان كان كافيا في جزم الذهن بثبوت بعضها
لبعض او انتفاء بعضها عن بعض فتلك الاحكام علوم بديهية وان لم يكن كذلك بل كانت متوقفة على علوم سابقة عليها ولا محالة ينتهي الى
البديهيات قطعا للدور والتسلسل فهي علوم كسبية وظهر ان السبب الاول لحدوث هذه المعارف في النفوس الانسانية هو ان الله اعطى الحواس
والقوى الدراكة للصور الجزئية وعند بعضهم ان النفس قبل البدن موجودة عالمة بعلوم جمة وهي التي ينبغي ان تسمى بالبديهيات وانما لا يظهر آثارها
عليها عند اتصال الجنين بها الا لضعف البدن واشتغالها بتدبيره فاذا قوي وترقى ظهرت آثارها شيئا وقد برهنا على هذه المعاني في كتبنا الحكمية
فالمراد بقوله لا تعلمون شيئا انه لا يظهر اثر العلم عليكم ثم انه بتوسط الحواس الظاهرة والباطنة يكتسب العلوم المتوقفة على الآلة ومعنى لعلكم تشكرون
ارادة ان تصرفوا كل آلة فيما خلقت لاجله وليس الواو للترتيب حتى يلزم من عطف جعل على اخرج ان يكون جعل السمع والبصر متأخرا عن الاخراج من
البطن وقد مر في اول البقرة في تفسير قوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم انه لم وحد السمع وجمع غيره ثم ذكر دليلا آخر على كمال قدرته فقال ألم يروا
الى الطير مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة وسائر الاسباب المواتية لذلك كرقة قوام الهواء والهامها بسط الجناح وقبضه كما يعمل السابح
في الماء في جو السماء اي في الهواء المتباعد من الارض في سمت العلو وهو مضاف عفو عنه وكلام وما يمسكهن الا الله بقدرته او باعطاء الآلات التي
لاجلها يتسهل عليها الطيران ومن جملة احوال الانسان قوله والله جعل لكم من بيوتكم سكنا هو ما يسكن اليه من بيت او الف وجعل لكم من جلود الانعام
بيوتا هي القباب والابنية من الادم والانطاع تستخفونها اي تجدونها خفيفة المحمل في الضرب والنقض والنقل يوم ظعنكم اي في وقت رحلتكم و

لعین بفتح العین وسکونها سبر اهل البادیة لنجعة ثم استعمل فی کل شخوص لسفر یوم اقامتکم لا یثقل علیکم حفظها ونقلها من مکان الی مکان ان یکون
یوم شئ الحضر ای یوم نزولکم خف علیکم حملها ونقلها ویوم تنزلون وتقیمون فی مکان لا یثقل علیکم ضربها ومن اصوافها وهی للضان و
اوبارها وهی للمعز اثاثا وهو متاع البیت قال الفراء لا واحد له وقال ابو زید لاثاث المال اجمع الابل والغنم والعبید والمتاع الواحدة
اثاثة قال ابن عباس رضی الله عنهما بسط وثیابا وکسوة وقال الخلیل اصله من اثت البنات والشعر حیث اذا کثر فیل انه تعالی عطف قوله
متاعا علی اثاثا فوجب ان یتغایرا فالفرق ان الاثاث ما یکتسی به المرء ویستعمل من الغطاء والوطاء والمتاع ما یفرش فی المنازل ویتزین
به ذلک لا یبعد ان یراد بالاثاث والمتاع ما هو الجامع بین الوصفین کونه اثاثا وکونه مما یتمتع به الی حین ای الی ان تقضوا اوطارکم منه او الی
ان تبلی وتفنی او الی الموت او الی القیامة ثم ان المسافر قد لا یکون له خیام وابنیة یستظل بها لفقر او لعارض آخر فیحتاج الی ان یستظل بشجر او جدار
او غار ونحوها فلذلک قال تعالی والله جعل لکم مما خلق ظلالا وقد یحتاج المسافر الی حصن یأوی الیه فی نزوله والی ما یدفع به عن نفسه آفات الحر و
البرد وسائر المکاره وکذا المقیم فلذلک من بقوله وجعل لکم من الجبال اکنانا هی جمع کن وهو ما یستکن به ویتوقی بسببه الامطار کالبیوت المنحوتة
فی الجبال وکالغیران والکهوف وجعل لکم سرابیل تقیکم الحر وهی القمصان والثیاب من الصوف والقطن والکتان وغیرها وانما لم یذکر
البرد لان الوقایة من الحر اهم عندهم لغلبة الحرارة فی بلادهم علی ان ذکر احد الضدین یغنی فی الاغلب عن ذکر الآخر لتلازمهما فی الخطور بالبال
غالبا بشهادة الوجدان قال الزجاج کل ما لبسته فهو سربال نعلی هذا یشمل الزنبق والکتف والساذج والمحشو من الثیاب وسرابیل تقیکم بأسکم کالدروع
والجواشن کذلک یتم نعمته ای مثل ما خلق هذه الاشیاء لکم وانعم بها وانعم علیکم فانه یتم نعم الدین والدنیا لعلکم تسلمون قال ابن عباس لعلکم
یا اهل مکة تخلصون لله الربوبیة وتعلمون انه لا یقدر علی هذه الانعامات سواه وعند اتم قرأ بفتح التاء واللام من السلامة ای یسلم قلوبکم من الشرک
والشکر ین تسلمون من العذاب وقیل تسلمون من الجرح بلبس الدروع فان تولوا فقد تمهد عذرک فانما علیک البلاغ المبین ولیس الیک
الهدایة ثم ذمهم بانهم یعرفون نعمة الله التی عددناها حیث یعترفون بها وبانها من عند الله ثم ینکرونها بعبادتهم غیر المنعم بها وبقولهم هی
من الله ولکنها بشفاعة الهتنا ومعنی ثم تبعید رتبة الانکار عن العرفان وقیل انکارها قولهم ورثناها من آبائنا او وصل الینا ابوسیلة فلان او انهم
لا یستعملونها فی طلب رضوان الله وقیل نعمة الله نبوة محمد صلعم کانوا یعرفونه ثم ینکرون نبوته عنادا وانما قال واکثرهم الکافرون لانه استعمل
الاکثر مقام الکل او اراد البالغین العقلاء منهم دون الاطفال والمجانین او اراد کفر الجحود ولم یکن کفر کلهم کذلک بل کان فیهم من کفر الجهل بصدق
الرسول لانهم لم یقم الحجة علیه بعد هذا ما قاله المفسرون قلت یحتمل ان یراد بالکافرین المصرین الثابتین علی کفرهم وقد علم الله ان فی مطلق
الکفرة من یؤمن فلهذا استثناهم والله تعالی اعلم التأویل فضل الارواح علی القلوب فی رزق المکاشفات والمشاهدات بعد الفناء و
الزوال الی البقاء وفضل القلوب علی النفوس فی رزق الزهد والورع والتقوی والصدق والیقین والایمان والتوکل والتسلیم والرضا وفضل
النفوس علی الابدان فی رزق التزکیة والتحلیة وفضل ابدان المؤمنین علی ابدان الکافرین بحمل اعباء الشریعة فالارواح برادی رزقهم
علی القلوب ولا القلوب علی النفوس ولا النفوس علی الابدان افبنعمة الله التی انعم بها علی اولیائه یجحدون یا منکری هذا الحدیث والله
جعل لکم من انفسکم ازواجا یعنی ازدواج الارواح والاشباح وجعل لکم من ازواجکم بنین وهم القلوب وحفدة وهی النفوس افبالباطل
وهو الزخارف والوساوس یؤمنون وبنعمة الله التی انعم بها علی ارباب القلوب یکفرون ویعبدون من دون الله کالدنیا والهوی ما لا یملک
لهم رزقا من سموات القلوب وارض النفوس شیئا من الکمالات التی اودع الله فیهن ولا یستخرج منها الا بعبادة الله ولا یستطیعون استخراجها بعبادة
غیر الله فلا تضربوا لله الامثال بان تریدوا ان تصلوا الی المقاصد بغیر طریق الله ضرب الله مثلا عبدا مملوکا للهوی وللدنیا ومن رزقنا
ولایة کاملة ینصرف بها فی بواطن المستعدین وظواهرهم بل اکثرهم لا یعلمون اولیاء الله لانهم تحت قباب الله لا یعرفهم غیره احدهما ابکم هو
النفس الحیوانیة التی لا یقدر علی شئ من العلم والعقل والایمان وهو کل علی مولاه الروح المسمی بالنفس الناطقة لا یأت بخیر لانها امارة بالسوء
ولله غیب سموات الارواح والارض النفوس لا یقف علی خاصیتهما غیره ولو وکل کلا منهما الی الطبع ما لم یرجع الی ربها ورجوعها یکون بالاماتة
والاحیاء ویمیتها عن اوصافها ویحییها بصفاته وهو المراد بامر الساعة لان الاماتة بتجلی صفات الجلال والاحیاء بتجلی صفات الجمال واذا تجلی الله عبد
لم یبق له زمان ولا مکان فلذلک قال او هو اقرب ومن یکون فانیا عن وجوده باقیا ببقائه والله اخرجکم من بطون امهاتکم لا تعلمون
شیئا من امور الدنیا والآخرة ولا ما کانت ارواحکم تعلم فی عالم الارواح ولا ما کانت تعلم ذراتکم من فهم خطاب الست بربکم وجواب بلی
وجعل لاجسادکم السمع والابصار والافئدة کما للحیوانات ولارواحکم کما للملائکة ولاسرارکم سمعا یسمع به من الله وبصرا یبصر به الله وفؤادا یعرف
به الله ویوحده والله اخرجکم من العدم وهو الام الحقیقی لا تعلمون شیئا قبل ان یعلمکم الله سبحانه اسماء کل شئ یتجلی لکم بربوبیته فبنور سمعه
اعطاکم سمعا تسمعون بخطاب الست بربکم وبنور بصره اعطاکم بصرا تبصرون به جماله وبنور علمه اعطاکم فؤادا تعرفون به کماله وبنور کلامه
اعطاکم لسانا تجیبون بقولکم بلی لعلکم تشکرون فلا تسمعوا بهذا السمع الا کلامه ولا تبصرون بهذا البصر الا جماله ولا تخبرون بهذا الفؤاد الا اسراره
ولا تتکلمون بهذا الکلام الا معه المراد الی الارواح مسخرات فی جو سماء القلوب ما یمسکهن فی سفل الاجساد الا الله بحکمته فلذلک قال والله جعل

لکم من جلود الانعام التی هی اجساد الترکیب فیها سائر الحیوانات بیوتا تستخفونها یوم ظعنکم ارواحکم اناها وهی النفوس الحیوانیة وقواها ارفق لسیر الی الله ولو
للاستراحة والتربیة ومن اصوافها ای الصفات الحیوانیة والحواس والقوی اثاثا الا لات للسیر ومتاعا ینتفع بها الی حین الوصول والوصال والله
جعل لکم مما خلق ظلالا ای جعل عالم الخلق ظل عالم الامر یستظل بها الارواح به عند طلوع شمس التجلی والا لاحترقت سبحات وجهه ما انتهی الیه بصره
وجعل لکم من جبال القلوب اکنانا یکن بها الارواح وجعل لارواحکم سرابیل من الصفات البشریة تقیکم حر نار المحبة وسرابیل من الصفات الروحانیة تقیکم
من سهام الوساوس والخواطر کذلک یحفظکم من الآفات ویربیکم بالکرامات حتی یتم نعمة الوصول علیکم لتسلموا من قطع الطریق یعرفون نعمة الله یعرفها واکثرهم
بل بنعمة الله اظهار للقهر والله اعلم ویوم نبعث من کل امة شهیدا ثم لا یؤذن للذین کفروا ولا هم یستعتبون
وإذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا
ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون وألقوا إلى الله
يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب
بما كانوا يفسدون ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء
ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين إن الله يأمر بالعدل
والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون وأوفوا بعهد الله
إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون
ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى
من أمة إنما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة
ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسألن عما كنتم تعملون ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد
ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا
إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا
أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن
ما كانوا يعملون فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا
وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون القراءة ولنجزين بالنون ابن کثیر وعاصم ویزید
وعباس والنقاش عن ابن ذکوان الآخرون بالیاء قرأت القرآن مثل اشانا الوقوف یستعتبون ه ولا هم ینظرون ه من دونک ج لاختلاف
الجملتین مع اتفاق النظم لکاذبون ه للعطف مع اتفاق الجملتین یفترون ه یفسدون ه علی هؤلاء ط الواو للاستئناف للمسلمین ه والبغی ج لاحتمال ما بعده

تحال والاستيناف ندكرون كيفلا تفعلون انكا تا ما بنا على ان التقدير تتخذون من قرابة تختلفون ويهكم من يشاء تعملون عن
سبيل الله لانقطاع النظم مع اتصال المعنى عظيم فقليلا تعملون بان تعملون صيغة للعدول عن الوحدان الى الجمع مع انهما ضمير من يعملون وانتم
تتوكلون تشركون التفسير لما بين من حال القوم انهم عرفوا نعمة الله ثم انكروها وان اكثرهم كافرون اتبعه اصناف وعيد يوم القيامة والتقدير
واذكر يوم نبعث من كل امة شهيدا او يوم وقعوا فيما وقعوا فيه وشهيدها لهم وعليهم بالايمان والتصديق والكفر والتكذيب ثم لا يؤذن للذين
كفروا اى فى الاعتذار اذ لا حجة لهم ولا عذر او فى كثرة الكلام او فى الرجوع الى دار الدنيا او الى التكليف ليظهر لهم كونهم ايسين من رحمة الله تعالى
والمراد ان يسكت اهل الجمع كلهم حتى يشهد الشهود ولا هم يستعتبون لان العتاب انما يطلب لاجل العود الى الرضا فاذا كان على عزم السخط
فلا فائدة فى العتاب ولهذا قيل شعر اذا ذهب العتاب فليس ود ويبقى الود ما بقى العتاب وقال فى الكشاف اى لا يقال لهم ارضوا ربكم
لان الاخرة ليست بدار عمل ومعنى ثم ان المنع من الكلام اصعب من شهادة الانبياء عليهم واذا راى الذين ظلموا وهم المشركون العذاب بعينه فثقل
عليهم فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون ليتوبوا فان التوبة هناك غير موجودة او غير مقبولة وفيه ان عذابهم خالص عن النفع دائم كما يقوله المتكلمون
واذا راى الذين اشركوا شركاءهم وهى الاصنام او الشياطين الذين دعوا الكفار الى الكفر وكانوا قرناءهم فى الغى قاله الحسن قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا
الذين كنا ندعوا اى نعبد هم من دونك قال ابو مسلم الاصفهانى مقصود المشركين احالة هذا الذنب على تلك الاصنام ظنا منهم ان ذلك
ينجيهم من عذاب الله او ينقص منه وزيفه القاضى بان الكفار يعلمون فى الاخرة علما ضروريا ان العذاب ينزل بهم ولا نصرة ولا شفاعة
فما الفائدة فى هذا القول والانصاف ان الغريق يتعلق بكل ما يرى والمبهوت قد يقول ما لا فائدة فيه على ان العلم الضرورى الذى ادعاه القاضى
ممنوع وقيل ان المشركين يقولون هذا الكلام تعجبا من حضور تلك الاصنام مع انه لا ذنب لها واعترافا بانهم كانوا مخطئين فى عبادتها فالقوا
اليهم القول اى قال الاصنام او الشياطين للكفار انكم لكاذبون فان قيل ان المشركين اشاروا الى الاصنام ان هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا
من دونك وقد كانوا صادقين فى ذلك فكيف كذبتهم الاصنام فالجواب ان المراد من قولهم هؤلاء شركاؤنا هؤلاء شركاء الله فى المعبودية
فكذبتهم الاصنام فى اثبات هذه الشركة او فى قولهم انها تستحق العبادة قال جار الله ان اراد بالشركاء الشياطين جاز ان يكونوا كاذبين فى قولهم
انكم لكاذبون كما يقول الشيطان انى كفرت بما اشركتمون من قبل والقوا الى الله يومئذ السلم عن الكلبى استسلم العابد والمعبود واقروا
لله بالربوبية وبالبراءة من الشركاء والانداد وقال اخرون الضمير للذين ظلموا والقاء السلم الاستسلام لامر الله بعد الاباء فى
الدنيا وضل اى غاب عنهم ما كانوا يفترون من ان لله شركاء او ان الهتهم تشفع لهم حين كذبوهم وتبروا منهم الذين كفروا وصدوا عن
سبيل الله قيل معناه الصد عن المسجد الحرام والاولى العموم زدناهم عذابا فوق العذاب لاجل الاضلال فوق العذاب الذى استحقوه للضلال وايضا عذاب الاستنان
من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها او من المفسرين من فصل تلك الزيادة فعن ابن عباس هى خمسة انهار من نار تسيل من تحت العرش
يعذبون بها ثلثة على مقدار الليل واثنان على مقدار النهار وقيل حيات امثال البخت وعقارب اشباه البغال انيابها كالنخل الطوال
تلسع احدهم اللسعة فيجد صاحبها حمتها اربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة برده الى النار ثم علل زيادة عذابهم
بكونهم مفسدين امور الناس بالغدو والاصال فيعلم منه ان من دعا الى الدين القويم باليد واللسان فاثره يرد الله تعالى اجوا على اجوه ثم اعاد حكاية
بعث الشهداء لما نيط بها من زيادة فائدة من احدهما كون الشهداء من انفسهم لان كل نبى فهو من جنس امته والاخرى ان الشهيد يكون فى
الامة لا مفارقا اياهم وفسر الاصم الشهيد فى هذه الاية بانه تعالى ينطق عشرة من اعضاء الانسان حتى يشهد عليه وهى الاذنان والعينان
والرجلان واليدان والجلد واللسان ولهذا ذكر لفظة فى ووصف الشهيد بكونه من انفسهم ثم شرف نبينا صلعم بقوله وجئنا بك شهيدا على
هؤلاء اى على امتك ولا ريب ان فى تخصيصه بعد التعميم دلالة على فضله ونظيره قوله فى سورة النساء فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا
بك على هؤلاء شهيدا قال الامام فخر الدين الرازى الامة عبارة عن القرن والجماعة فيعلم من الاية انه لا بد فى كل عصر من اقوام يقوم الحجة بقولهم
ويكونون شهداء على غيرهم وهم اهل الحل والعقد فيكون اجماعهم حجة ولقائل ان يقول الامة فى الاية هى الجماعة الذين بعث النبى اليهم والى
من سيوجد منهم الى اخر زمان دينه فيكون نبى تلك الامة وحده شهيدا عليهم ولا دلالة للاية الا على هذا القدر فمن اين حصل لك
ان اجماع اهل الحل والعقد فى كل عصر حجة ثم بين انه ازاح عللهم فيما كلفوا فيه فلا حجة لهم ولا معذرة فقال ونزلنا عليك الكتاب تبيانا
لكل شىء اى بيانا له والتاء للمبالغة ونظيره من المصادر التلقاء ولم يات غيرهما وقد مر فى الاعراف قال الفقهاء انما كان القرآن تبيانا لجميع الاحكام
المستنبطة من السنة والاجماع والقياس والاجتهاد كلها يستند الى الكتاب حيث امر فيه باتباع رسول الله صلعم وطاعته وورد فيه ومن يتبع
غير سبيل المؤمنين وفيه فاعتبروا وقال اخرون ان علم اصول الدين كلها فى القرآن واما علم الفروع فالاصل براءة الذمة الا ما ورد به نص
القرآن فاذن القرآن واف ببيان جميع الاحكام والقياس ضائع ولعل التبيان انما هو للعلماء خاصة والهدى لجميع الخلق فى اول احوالهم والرحمة
فى وسطها وهو مدة العمر بعد الاسلام والبشرى فى اوان الاجل كما قال سبحانه ان الذين قالوا ربنا الله الى قوله وابشروا والله اعلم بمراده ولما
ذكر ان فى القرآن تبيان كل شىء ذكر عقيبه انه جامعة لاصول التكاليف كلها تصديقا لذلك فقال ان الله يامر الاية عن ابن عباس ان عثمان

ابن مظعون الجمحى قال ما اسلمت اولا الا حياء من رسول الله صلعم ولم يتقرر الاسلام فى قلبى فحضرته ذات يوم فبينا هو يحدثنى اذ رايت بصره شخص
الى السماء ثم خفضه عن يمينه ثم عاد لمثل ذلك فسالته فقال بينا انا احدثك اذا جبرئيل عم نزل عن يمينى فقال يا محمد ان الله يامر بالعدل الاية قال
عثمان فمن ثمة استقر الايمان فى قلبى واحببت محمدا صلعم وعن ابن مسعود هى اجمع اية فى القرآن وعن قتادة ليس من خلق حسن كان فى الجاهلية يعمل ويستحسن
الا امر الله تعالى به فى هذه الاية وليس من خلق سيئ الا وقد نهى الله تعالى عنه فيها قال المفسرون العدل هو اداء الفرائض وعن ابن عباس هو قول لا اله
الا الله والاحسان هو الاتيان بالمندوبات والمستحسنات وايتاء ذى القربى فاردها صلة الرحم بالمال فلذلك افردها بالذكر بقوله وايتاء ذى القربى والفحشاء
هى الامور المتزايدة فى القبح فلذلك افردها بالذكر وهى الكبائر وقد تخص بالزنا او بالبخل والمنكر ما تنكره العقول ولا يعرف فى شريعة ولا سنة
والبغى هو الاستطالة قال جار الله حين سقطت من الخطب لعنة الملاعين على امير المؤمنين على عم وعلى نبينا الصلوة والسلام اقيمت هذه الاية مقامها
واعلم ان العدل عبارة عن الامر المتوسط بين طرفى الافراط والتفريط وانه واجب الرعاية فى جميع الاشياء ولنذكر له امثلة اما فى الاعتقادات فالقول
بنفى الاله تعطيل محض واثبات اكثر من اله واحد تشريك وتجوير والعدل هو قول لا اله الا الله كما نقل عن ابن عباس هذا ما اتفق عليه ارباب
المذاهب ثم ان الاشعرى يقول القول بنفى الصفات عنه سبحانه تعطيل والقول باثبات المكان والاعضاء تشبيه والعدل اثبات صفات
الكمال من الحيوة والعلم والقدرة والارادة والكراهة والسمع والبصر والكلام ونفى غيرها وبوجه اخر نفى الصفات تعطيل واثبات الصفات
الحادثة تشبيه والعدل اثبات صفات ازلية قديمة غير متغيرة وايضا القول بان العبد لا قدرة له اصلا جبر محض والقول بانه مستقل
فى التصرف قدر محض وتفويض والعدل امر بين الامرين وهو ان العبد يفعل الافعال ولكن بواسطة قدرة وداعية يخلقهما الله تعالى فيه وايضا
القول بان الله لا يؤاخذ عبده بشىء من الذنوب مساهلة عظيمة والقول بانه يخلد فى النار عبده العارف به بالمعصية الواحدة تشديد عظيم والعدل
انه يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من الايمان والمعتزلى يفسر العدل فى هذه الاصول بنوع اخر وقد مر مرارا واما رعاية العدل
فيما يتعلق بافعال الجوارح فان قوما من نفاة التكليف يقولون لا يجب على العبد الاشتغال بشىء من الطاعات ولا الاحتراز عن شىء من المعاصى
وقال قوم من الهند وطائفة من المانوية يجب على الانسان ان يجتنب عن كل الطيبات ويبالغ فى تعذيب نفسه وان يحترز عن كل ما يميل الطبع
اليه حتى التزوج والاولى بالمرء ان يحصى هذان الطريقان مذمومان والوسط هو ما جاء به محمد صلعم لان التشديد غالب فى دين موسى فلبس فى
شرعه على القاتل الا القصاص ويحرم مخالطة الحائض والتساهل فى دين عيسى غالب فلا قصاص على القاتل الا القصاص ولا يحرم وطى الحائض
والعدل ما يحكم به شرعنا من جواز العفو واخذ الدية وحرمة وطى الحائض دون مخالطتها ولذلك قال وكذلك جعلناكم امة وسطا وقال
والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ولما بالغ رسول الله صلعم فى العبادات قيل له طه ما انزلنا عليك القرآن
لتشقى ولما اخذ قوم فى المساهلة نزل افحسبتم انما خلقناكم عبثا والمراد رعاية الوسط فى كل الامور وقد ورد فى شرعنا الختان فقال بعض
العقلاء والحكمة فيه ان راس ذلك العضو جسم شديد الحس فاذا قطعت تلك الجلدة بقى ذلك العضو عاريا فيصلب بكثرة ملاقاة الثياب غيرها فيضعف
حسه ويقل شعوره فيقل لذة الوقاع فيقل الرغبة فيه فالاختصاء وقطع الالات كما ذهب اليه المانوية مذموم وابقاء تلك الجلدة مبالغة
فى تقوية تلك اللذة مذموم والوسط العدل هو الختان بعد التعبد هو التنظيف وسهولة غسل الحشفة والا فلعل اللذة بعد الختان
اكثر لملاقاة الحاس المحسوس بلا حائل ومن الكلمات المشهورة قولهم بالعدل قامت السموات والارضون ومعناه ان مقادير العناصر لو لم يكن
معادلة متكافئة بحسب الكمية والكيفية لاستولى الغالب على المغلوب وينقلب الطبائع كلها الى طبيعة الجرم الغالب ولو كان بعد الشمس من
الارض اقل مما هو الان لاحترق كل ما فى هذا العالم وان كان اكثر لاستولى البرد والجمود وكذا القول فى مقادير حركات الكواكب ومراتب سرعتها
وابطائها فان كلا منها مقدرة على ما يليق بنظام العالم وقوامه وفيما مر فهذه اشارة مختصرة الى تحقيق العدل واما الاحسان فهو المبالغة فى اداء
الطاعات بحسب الكمية وبحسب الكيفية ومن هنا قال الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فكان المبالغ المخلص فى اداء الطاعات يوصل الفعل الحسن الى
نفسه وبالحقيقة يدخل فى الاحسان انواع التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله واشرف انواع الاشفاق صلة الرحم بالمال فلا جرم افرد بالذكر
كما مر ثم انه تعالى اودع فى النفس البشرية قوى اربعا الشهوية البهيمية والغضبية السبعية والوهمية الشيطانية والعقلية الملكية وهذه
الاخيرة لا يحتاج الى التهذيب لانها من نتائج الارواح القدسية واما الثلاث الاول فيحتاج الى التاديب والتهذيب بمقتضى الشريعة وقانون
العقل والطريقة والنهى عن الفحشاء عبارة عن المنع من تحصيل اللذات الشهوية الخارجة عن اذن الشريعة والنهى عن المنكر عبارة عن الافراط
الحاصل فى اثار القوة الغضبية من ايذاء الناس وايصال الشر اليهم من غير ما استحقاق والنهى عن البغى اشارة الى المنع من افراط القوة الوهمية
كالاستعلاء على الناس والترفع وحب الرياسة والتقدم ممن ليس اهلا لذلك واخس هذه المراتب عند العقلاء القوة الشهوانية واوسطها
الغضبية واعلاها الوهمية فلهذا بدا سبحانه بالفحشاء ثم بالمنكر ثم بالبغى ولان اصول الاخلاق والتكاليف كلها مذكورة فى الاية لا جرم ختمها
بقوله يعظكم لعلكم تذكرون لانها كافية فى باب العظة والتذكر والارتقاء من حضيض عالم البشرية الى ذروة عالم الارواح المقدسة
قال الكعبى فى الاية دلالة على انه تعالى لا يخلق الجور والفحشاء والا فكيف ينهاهم عما يخلقها فيهم وعورض بالعلم والداعى كما مر مرارا واعلم انه لا يلزم

من ارادة التشدد كر العبد والتذكر من فعل الله بالاتفاق لا من فعل العبد الا ان يطلب التذكر كان طلب التذكر طالبين في وسعه فحال نفسه لعلكم تذكرون
ارادة ان تكونوا على حالة التذكر لا ارادة ان يحصلوا التذكر ثم خص من جملة المامورات الوفاء بالعهد فقال واوفوا بعهد الله خصصه جار الله
بالبيعة لرسول الله صلعم لقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقال الاصم المراد منه الجهاد وما فرض الله في الاموال من حق الشرائع وقيل
هو اليمين والاصح العموم وهو كل عهد يلتزمه الانسان باختياره بدليل قوله اذا عاهدتم وقول من قال العهد هو اليمين يلزم منه ان يكون
قوله سبحانه ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها اي بعد توثيقها باسم الله تكرارا اذ اكد ووكد لغتان فصيحتان قال الزجاج الاصل
الواو والهمزة بدل وفي الاية دلالة على الفرق بين الايمان المؤكدة وبين لغو اليمين كقولهم لا والله وبلى والله وايضا الاية من العمومات التي دخلها
التخصيص لما روي انه صلعم قال من حلف على يمين وراى غيرها خيرا منها فليات بالذي هو خير ثم ليكفر وقد مر بحث الايمان في البقرة وفي
المائدة في قوله لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم الاية وقد جعلتم الله عليكم كفيلا اي شاهدا او رقيبا لان الكفيل مراع لحال المكفول به ان
الله يعلم ما تفعلون فيجازيكم بحسب ذلك خيرا او شرا وفيه ترغيب وترهيب ثم اكد وجوب الوفاء وتحريم النقض بقوله ولا تكونوا كالتي نقضت
غزلها من بعد قوة اي من بعد قوة الغزل بامرارها وفتلها قال الزجاج انتصب انكاثا على المصدر لان معنى نقضت نكثت وزيف
بان انكاثا ليس مصدرا وانما هو جمع نكث بكسر النون وهو ما ينكث فتله وقال الواحدي هو مفعول ثان كما تقول كسره اقطاعا وفرقه اجزاء
اي جعله اقطاعا واجزاء كذا هيهنا اي جعلت غزلها انكاثا ثالثه ويحتمل ان يكون حالا مؤكدة قال ابن قتيبة هذه الاية متصلة بما قبلها
والتقدير واوفوا بعهد الله ولا تنقضوا الايمان فانكم ان فعلتم ذلك كنتم مثل امراة غزلت غزلا واحكمته ثم جعلته انكاثا فعلى هذا المشبه به
امراة غير معينة ولا حاجة في التشبيه الى ان يكون للمشبه به وجود في الخارج وقيل المراد امراة معينة من قريش ريطة بنت سعد بن تيم كانت
خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وهي الحديدة في راس المغزل وفلكة عظيمة على قدرها وكانت تغزل هي وجواريها
من الغداة الى الظهر ثم تامرهن فينقضن ما غزلن قال جار الله تتخذون حال ودخلا مفعول ثان لا تتخذ اي لا تنقضوا ايمانكم متخذيها دخلا
بينكم اي مفسدة ودغلا وقال الواحدي اي غشا وخيانة وقال الجوهري اي مكرا وخديعة وقال غيره الدخل ما ادخل في الشيء على فساد وقوله
ان يكون اي لاجل ان يكون امة يعني جماعة قريش هي اربى اي ازيد عددا واوفر مالا من امة هي جماعة المؤمنين قال مجاهد كانوا يحالفون الحلفاء
ثم يجدون من كان اعز منهم واشرف فينقضون حلف الاولين ويحالفون الذين هم اعز وامنع انما يبلوكم الله به اي بما امركم ونهاكم وقد
تقدم ذكر الامر والنهي وقال جار الله الضمير لقوله ان تكون امة لانه في معنى المصدر اي يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء مع قلة المؤمنين
وفقرهم ام تغترون بكثرة قريش وثروتهم ثم حذرهم من مخالفة ملة الاسلام وانذرهم بقوله وليبينن لكم يوم القيمة باظهار الدرجات والكرامات
للاولياء وتعيين الدركات والبليات للاشقياء ما كنتم فيه تختلفون حيث تدعون انكم على الحق والمؤمنون على الباطل فتنقضون عهودهم
ثم بين انه سبحانه قادر على ان يجمع المؤمنين والكافرين على الوفاء وسائر ابواب الايمان ولكنه بحكم الالهية يضل من يشاء ويهدي من يشاء و
المعتزلة حملوا المشية على مشية الالجاء بدليل قوله ولتسئلن عما كنتم تعملون ولو كانت اعمال العباد بخلق الله تعالى لكان سؤالهم عبثا اجاب
الاشاعرة بانه لا يسئل عما يفعل روى الواحدي ان عزيرا قال يارب خلقت الخلق فتضل من تشاء وتهدي من تشاء فقال يا عزير اعرض
عن هذا فاعاده ثانيا فقال اعرض عن هذا والا محوت اسمك عن النبوة قال المفسرون لما نهاهم عن نقض مطلق الايمان اراد ان ينهاهم عن
نقض ايمان مخصوصة اقدموا عليها وهو نقض بيعة رسول الله صلعم والدليل على هذا التخصيص قوله فتزل قدم بعد ثبوتها لان هذا الوعيد
لا يليق بنقض عهد قبله وانما يليق بنقض عهد النبي صلعم قال جار الله وحدت القدم ونكرت لاستعظام ان تزل قدم واحد عن طريق الحق
بعد ان ثبتت عليه فكيف باقدام كثيرة وهذا مثل يضرب لمن وقع في بلاء بعد عافية ولا ريب ان من نقض الاسلام وزلت قدمه عن محجة الدين
القويم فقد سقط من الدرجات العالية الى الدركات الهاوية بيانه قوله وتذوقوا السوء في الدنيا بما صددتم بصدودكم او بصدكم غيركم
عن سبيل الله لان المرتد قد يقتدي به غيره ولكم عذاب عظيم في الاخرة ويحتمل ان يراد ان ذلك السوء الذي تذوقونه هو عذاب عظيم قال
جار الله كان قوم اسلموا بمكة ثم زين لهم الشيطان نقض البيعة لكونهم مستضعفين هناك فاوعدهم الله على ذلك ثم نهاهم عن الميل الى ما كان
يعدهم قريش من عرض الدنيا ان رجعوا عن الاسلام فقال ولا تشتروا الاية ثم ذكر دليلا قاطعا على ان ما عند الله خير فقال ما عندكم ينفد
وما عند الله من خزائن رحمته باق وفيه دليل على ان نعيم الجنة باق لاهلها لا ينقطع وقال جهم بن صفوان انه منقطع والاية حجة عليه ولنجزين الذين
صبروا على ما التزموه من شرائع الاسلام اجرهم باحسن ما كانوا يعملون اي بالواجبات والمندوبات لا بالمباحات فانه لا ثواب على فعلها
ولا عقاب لنجزينهم بجزاء اشرف واوفر من عملهم كقوله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ثم عم الوعد على اي عمل صالح كان فقال من عمل صالحا من
ولا كلام في عموم الا انه زاد قوله من ذكر او انثى تاكيدا وازالة لوهم التخصيص والمبالغة في تقرير الوعد من اعظم دلائل الكرم ثم جعل الايمان شرطا
في كون العمل الصالح منتجا للثواب حيث قال وهو مؤمن فاستدل به على ان الايمان مغاير للعمل الصالح فان شرط الشيء غيره واختلف في الحيوة
الطيبة فقيل هي في الجنة عن الحسن وسعيد بن جبير وقتادة لان الانسان في الدنيا لا يخلو من مشقة واذية ومكروه لقوله تعالى يا ايها الانسان انك

كادح الى ربك كدحا فملاقيه بين ان هذا الكدح وهو التعب في العمل باق الى ان يصل الى ربه واما بعد ذلك فحيوة بلا موت وغنى بلا فقر وصحة
بلا مرض وملك بلا زوال وسعادة بلا انتقال وقال السدي ان هذه الحيوة في القبر والاكثرون على انها في الدنيا لقوله بعد ذلك ولنجزينهم اجرهم
باحسن ما كانوا يعملون وعلى هذا فما سبب طيب الحيوة قيل هو الرزق الحلال وقيل عبادة الله مع الاكل الحلال وقيل القناعة او رزق يوم بيوم كان
النبي صلعم يقول اللهم اجعل رزق ال محمد كفافا قال المحققون وهذا هو المختار لان المؤمن الذي صلح عمله ان كان موسرا فذاك وان كان معسرا فمعه
من القنوع والعفة والرضا بالقضا ما يطيب عليه عيشه واما الكافر او الفاجر فان الحرص لا يدعه ان يتهنأ بعيشه ابدا ويعظم اسفه على ما يفوته لانه
عانق الدنيا معانقة العاشق لمعشوقه بخلاف المؤمن المنشرح قلبه بنور المعرفة والجمال فانه قلما يفزع لحب الدنيا ما لها وجاهها ويستوي عنده
وجودها وفقدها وخيرها وشرها ونفعها وضرها ببركة الصلوح والقنوع مما لا ينكرها عاقل اللهم اجعلنا من اهلها ثم ان ظاهر الاية يقتضي
ان العمل الصالح انما يفيد الاثر المخصوص بشرط الايمان وظاهر قوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره يدل على ان العمل الخير مطلقا يفيد اثرا مطلقا
فلا منافاة بينهما ثم ذكر الاستعاذة التي هي من جملة الاعمال الصالحة وبها تخلص الاعمال عن الوساوس فقال فاذا قرات القران اي اردت قراته
اطلاقا لاسم المسبب على السبب وقد مر بحث الاستعاذة مستوفى في اول هذا الكتاب انه ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين امنوا وعلى
ربهم يتوكلون وهذا معنى الاستعاذة فان معناها بالحقيقة راجع الى التبري عما سوى الله والتوجه بالكلية اليه والاعتماد في جميع الامور عليه
انما سلطانه على الذين يتولونه عن ابن عباس اي يطيعونه يقال توليته اي اطعته وتوليت عنه اي اعرضت عنه اما الضمير الواحد في قوله والذين
هم به مشركون فقيل راجع الى الرب وقيل الى الشيطان اي بسببه التاويل ويوم نبعث فيه اشارة الى ان ارواح الانبياء اشرف على اممهم في
حال حيوتهم وبعد وفاتهم وفيه ان الدنيا مزرعة الاخرة فلا يقبل في القيمة اعتذار واذا راى الذين ظلموا اي وضعوا الكفر واعمال
الطبيعة موضع الايمان واعمال الشريعة فلا يخفف عن ارواحهم اثقال الاخلاق الذميمة ولا هم ينظرون لتبديل مذمومها بمحمودها واذا
راى الذين اشركوا وهم عبدة الدنيا والهوى انكم لكاذبون في ان دعوتمونا الى العبادة فانا كنا مشغولين بتسبيح الله سبحانه وطاعته و
صدوا عن سبيل الله منعوا الارواح والقلوب عن طلب الله زدناهم عذابا بالحرمان عن الكمال فوق حرمان النسيان بما افسدوا الاستعداد
الفطري وجئنا بك شهيدا لان روحه شاهد على جميع الارواح والقلوب والنفوس لقوله اول ما خلق الله روحي تبيانا لكل شيء يحتاج اليه
السالك في اثنا سلوكه ان الله يامر بالعدل وهو وضع الالات واسباب تحصيل الكمال في مواضعها بحيث يؤدي الى مقام الوصال والكمال و
الاحسان وهو ان تحسن الى الخلق بما اعطاك الله كقوله واحسن كما احسن الله اليك في قوله وايتاء ذي القربى اشارة الى ان من جملة العدالة
رعاية حال الاقرب فالاقرب فيبدأ بتكميل نفسه ثم بما هو اقرب اليه قربا معنويا او صوريا وينهى عن الفحشاء وهو صرف ما اتاه الله في غير مصرفها و
المنكر وهو ضد المعروف وهو ان لا يحسن الى غيره والبغي وهو ان لا يراعي الترتيب المذكور في باب الارشاد والتكميل واوفوا بعهد الله يوم
الميثاق وقد جعلتم الله عليكم كفيلا بجزاء وفائكم ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها فيه اشارة الى حال المريد ان تكون انت من اهل الدنيا في
الدنيا على حال الامر انهم اهل الاخرة ولا تتخذوا ايمانكم عهودكم مع المشايخ شبكة تصطادون بها الدنيا وقبول الخلق فتزل اقدامكم
عن صراط الطلب من ذكر او انثى هما القلب والنفس والعمل الصالح من النفس استعمال الشريعة والطريقة ومن القلب التوجه الى الله بالكلية والحيوة
الطيبة للنفس ان تصير مطمئنة مستعدة لقبول فيض ارجعي الى ربك وللقلب ان يصير فانيا عن انانيته باقيا بشهود الحق وجماله ويطيب عن
دنس الانانية ولوث الحدوث فاستعذ بالله الخطاب للنبي صلى الله عليه واله ظاهرا وبالحقيقة لامته لان شيطانه اسلم على يده فلم يحتج
الى الاستعاذة من شيطانه بل هو لخواص امته كقوله انه ليس له سلطان على الذين امنوا فيه ان الشيطان ليس له تسلط على اولياء
الله الا بالوسوسة وفيها صلاح المؤمن فان ابريز اخلاص قلبه لا يتخلص عن غش صفات نفسه الا بنار الوسوسة لان المؤمن يطلع على
بقايا صفات نفسه بما يكون الوسوسة من جنسه فيزيد في الرياضة وملازمة الذكر حتى ينفي تلك البقايا والله تعالى اعلم بالصواب

وَاِذَا بَدَّلْنَا اٰيَةً مَّكَانَ اٰيَةٍ وَّاللّٰهُ اَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوْا اِنَّمَا اَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ اَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُوْنَ قُلْ نَزَّلَهٗ رُوْحُ الْقُدُسِ ع
و چون بدل کنیم آیتی را | بجای آیه و خدا داناتر است بآنچه فرو میفرستد گویند جز این نیست که تو افترا کننده | بلکه بیشتر ایشان نمیدانند | بگو فرو آورده اورا روح پاک
مِنْ رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَهُدًى وَّبُشْرٰى لِلْمُسْلِمِيْنَ وَلَقَدْ نَعْلَمُ اَنَّهُمْ يَقُوْلُوْنَ اِنَّمَا يُعَلِّمُهٗ بَشَرٌ لِسَانُ
از پروردگار تو بحق تا ثابت گرداند آنانرا که گرویدند و ازبرای راه و بشارت ازبرای مسلمانان | و بدرستیکه میدانیم بدرستیکه ایشان میگویند جز این نیست که می آموزد اورا آدمی زبان
الَّذِيْ يُلْحِدُوْنَ اِلَيْهِ اَعْجَمِيٌّ وَّهٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِيْنٌ اِنَّ الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ بِاٰيٰتِ اللّٰهِ لَا يَهْدِيْهِمُ اللّٰهُ
آنکه میل میکنند بسوی او عجمی است | و این زبانیست عربی روشن | بدرستیکه آنانکه نمیگروند بآیتهای خدا | راه ننماید ایشانرا خدا
وَلَهُمْ عَذَابٌ اَلِيْمٌ اِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ بِاٰيٰتِ اللّٰهِ وَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْكٰذِبُوْنَ مَنْ كَفَرَ بِاللّٰهِ مِنْ
و ازبرای ایشان عذابیست دردناک | جز این نیست که بر می بندند دروغ | آنانکه نمیگروند بآیتهای خدا | و آنگروه ایشانند دروغگویان | هرکه کافر شد بخدا از

بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ
بعد ایمان آوردن مگر آنکه اکراه کرده شد و دلش آرمیده بود بایمان و لیکن کسیکه باز کند بکفر سینه پس برایشان خشمی از خدا و برای ایشان
عَذَابٌ عَظِيمٌ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ أُولَئِكَ الَّذِينَ
عذابی بزرگ آن بسبب آنست که ایشان اختیار کردند زندگانی دنیا را بر آخرت و بدرستیکه خدا راه نمی نماید گروه کافران را آن گروه آنانند
طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ
که مهر نهاده خدا بر دلهای ایشان و گوشهای ایشان و چشمهای ایشان و آن گروه ایشانند بیخبران ناچار بدرستیکه ایشان در آخرت ایشانند زیانکاران پس بدرستیکه پروردگار تو
لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ
برای آنکه هجرت کردند از پس آنکه عذاب کرده شدند پس جهاد کردند و صبر نمودند بدرستیکه پروردگار تو از بعد آن هر آینه آمرزنده مهربانست روزیکه آید هر نفسی که مجادله کند
٤ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا
از خویش و تمام داده شود هر نفسی آنچه کرده و ایشان ستم کرده نشوند و زد خدا مثلی قریه که بود ایمن آرمیده می آمد آنرا روزیش فراوان
مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ
از همه جا پس کفران ورزیدند بنعمتهای خدا پس چشانید آنرا خدا پوشش گرسنگی و بیم بآنچه که میکردند و بتحقیق آمد ایشانرا رسولی
مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ
از ایشان پس تکذیب کردند او را پس گرفت ایشانرا عذاب و ایشان ستمکاران پس بخورید از آنچه روزی داد شما را خدا حلال پاکیزه و شکر کنید نعمت خدا را اگر
كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ
هستید او را پرستید جز این نیست حرام کرد بر شما مردار و خون و گوشت خوک و آنچه بانگ زده شد برای غیر خدا پس آنکه مضطر شد نه ستمگر
وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ
و نه عادی پس بدرستیکه خدا آمرزنده مهربانست و مگوئید برای وصف کردن زبانهای شما دروغ را که این حلال است و این حرام تا ببندید بر خدا
الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَعَلَى الَّذِينَ
دروغ را بدرستیکه آنانکه می بندند بر خدا دروغ را رستگار نمیشوند بهره اندکی است و برای ایشان عذابی دردناک و بر آنانکه
هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ
یهود شدند حرام کردیم آنچه خواندیم بر تو از پیش و ستم نکردیم برایشان و لیکن بودند که بر خویشتن ستم میکردند پس بدرستیکه پروردگار تو برای آنانکه
عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً
که کردند بدی را بنادانی پس توبه کردند پس از آن و شایسته شدند بدرستیکه پروردگار تو از پس آن هر آینه آمرزنده مهربانست بدرستیکه ابرهیم بود امتی
قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا
مطیع از برای خدا حق گرای و نبود از مشرکان شکر کننده مر نعمتهای او را برگزیدش و هدایت کردش براه راست و دادیمش در دنیا
حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
خوبی و بدرستیکه او در آخرت هر آینه از نیکوکاران است پس وحی فرستادیم بسوی تو که پیروی کن کیش ابرهیم حق گرای را و نبود از شرک آورندگان
٤ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ
جز این نیست گردانیده شد شنبه بر آنکه اختلاف کردند در آن و بدرستیکه پروردگار تو هر آینه حکم میکند روز جزا در آنچه بودند در آن اختلاف میکردند بخوان براه
رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ
پروردگار تو بحکمت و پند خوب و مناظره کن با ایشان بآنچه خوبتر است بدرستیکه پروردگار تو او داناتر است بآنکه گمراه شد از راه او و او داناتر است بهدایت یافتگان
وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ
و اگر عقوبت کنید پس عقوبت کنید مانند آنچه عقوبت کرده شدید بآن و اگر صبر کنید هر آینه آن بهتر است برای صبر کنندگان و صبر کن و نیست صبر تو مگر بتوفیق خدا
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ
و اندوه مخور برایشان و مباش در تنگی از آنچه مکر میکنند بدرستیکه خدا با آنانست که پرهیزکارند و آنانکه ایشان نیکوکارانند

القراآت بما ينزل من الانزال ابن كثير وابو عمرو يلحدون بفتح الياء والحاء حمزة وعلي وخلف فتنوا مبنيا للفاعل ابن عامر والخوف بالنصب عباس من امراها هشام وما بعده والاخفش عن ابن ذكوان في ضيق بالكسر ابن كثير وكذلك في النمل الاخرون بالفتح الوقوف مكان آية لان جواب اذا هو قالوا توبه والله اعلم بما ينزل جملة معترضة مفتر ط لا يعلمون ه للمسلمين ه بشر مبين ه بآيات الله لا لان ما بعده خبر ان اليم ه بآيات الله ج لاختلاف الجملتين

مع العطف الكاذبون غضب من الله لانقطاع النظم مع اتصال المعنى عظيم على الاخرة للعطف وابصارهم ج لاختلاف الجملتين الغافلون ه الخاسرون ه وصبروا لا لان ان الثانية تكرار الاولى لطول الكلام بصلته وخبرهما واحد رحيم لا يظلمون ه يصنعون ه ظالمون ه طيبا لعطف المتفقين تعبدون ه لغير الله به ج رحيم على الله الكذب ط لا يفلحون ه قليل لعطف المتفقين ولاسيما اذا اتحد نظم متاع اليم من قبل لابتداء النفي مع النفي العطف يظلمون ه واصلحوا لا لان رحيم ه حنيفا لا من المشركين ه لان شاكرا وصف اخر وبدل من حنيفا لانعمه ط مستقيم ه الصالحين ط لان ثم لترتيب الاخبار حنيفا ط المشركين ه اختلفوا فيه ط يختلفون ه احسن ط بالمهتدين ه عوقبتم به ط للصابرين ه يمكرون ه محسنون ه التفسير هذا شروع في حكاية شبهات منكري نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس كان اذا نزلت آية فيها شدة ثم نزلت آية الين منها قالت كفار قريش ان محمدا يسخر من اصحابه يأمرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا وانه لا يقول هذه الاشياء الا من عند نفسه فنزل واذا بدلنا وعنى التبديل رفع الشيء مع وضع غيره مكانه وتبديل الآية رفعها بآية اخرى غيرها وهو نسخها بآية سواها والله اعلم بما ينزل شيئا فشيئا على حسب المصالح معناه انه محقق او بالعكس بل اكثرهم لا يعلمون فوائد النسخ والتبديل قال ابو مسلم اراد تبديل آية تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة وسائر العلماء اتفقوا على ان المراد بهذا التبديل النسخ ونقل عن الشافعي ان القرآن لا ينسخ بالسنة لانه تعالى اخبر انه يبدل الآية مكان الآية وضعف بانه لا يلزم من وجود التبديل بالآية نفي التبديل بغيرها كالسنة المتواترة اذ لا دلالة في الآية على الحصر وقد مر مباحث النسخ مفصلة مستوفاة في سورة البقرة قل نزله اي القرآن روح القدس هو جبرئيل والاضافة للمبالغة مثل حاتم الجود والمراد الروح المقدس المطهر عن دنس المآثم من ربك صلة نزله اي ابتداء تنزيله من عنده وقوله بالحق حال اي متلبسا بالحكمة والصواب ليثبت الذين آمنوا كقوله واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا فيقولون كل من الناسخ والمنسوخ من عند ربنا وكل منهما في وقته خير وصالح لان الذي نزل حكيم لا يفعل الا ما هو خير في اوانه وصواب بالنسبة الى المكلف حين ما يكلف به وهدى وبشرى معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا لهم وارشادا وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد هذه الخصال لغيرهم ثم حكى شبهة اخرى عنهم كانوا يقولون ان محمدا يستفيد القصص والاخبار من انسان آخر ويتعلمها منه واختلفوا في ذلك البشر فقيل كان غلاما لحويطب ابن عبد العزى قد اسلم وحسن اسلامه اسمه عايش او يعيش وكان صاحب كتب وقيل هو جبر غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي وقيل عبدان جبر ويسار كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر وقف عليهما يسمع ما يقرآن فقالوا يعلمانه وقيل هو سلمان الفارسي ثم اجاب عن شبهتهم فقال لسان الذي يلحدون اليه اعجمي اللسان الرجل الذي يلحدون قولهم عن الاستقامة اليه لسانه اعجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة وقد مر في آخر الاعراف ان تركيب الالحاد يدل على الامالة ومنه الملحد لانه امال مذهبه عن الاديان كلها قال ابو الفتح الموصلي تركيب ع ج م يدل على الابهام والخفاء ضد البيان والافصاح ومنه عجم الزبيب لاستتاره وخفائه والعجماء البهيمة وصلوة الظهر والعصر عجماوان لان القراءة فيهما سرية واعجمت الكتاب اي ازلت عجمته ثم ان العرب تسمي كل من لا يعرف لسانهم ولا يتكلم بلغتهم اعجميا وقالوا يراد بالاعجم لانه كان في لسانه عجمة مع انه كان عربيا وحاصل الجواب هب ان محمدا يتعلم المعاني من ذلك الرجل الا انه لا يقدح في المقصود لان القرآن بفصاحته اللفظية ايضا معجز ولما ذكر جوابهم وبخهم وهددهم بقوله ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله يعني ان سبب عدم ايمانهم هو ان الله لا يهديهم كقوله ختم الله على قلوبهم وفسره الامام فخر الدين بان الله الى طريق الجنة بل يسوقهم الى النار وهذا التفسير يناسب اصول المعتزلة فلا ادري كيف قال الامام به ثم لما بين انهم ليسوا مظاهر اللطف وانه كان قد بين الا في جوابهم على تسليم ما ادعى الخصم من انه يتعلم من ذلك البشر اراد ان يبين ان الذي قالوا غير صحيح ولا صادق في نفس الامر فقال انما يفتري الكذب وفيه ايضا رد لقولهم انما انت مفتر يعني انما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا على الافتراء واولئك اشارة الى قريش او الى الذين لا يؤمنون اي هم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون اي هم الكاملون في الكذب لان تكذيب آيات الله اعظم الكذب او هم الذين من شأنهم الكذب وذلك هجيراهم لا يحجبهم عنه مروة ولا دين او اولئك هم الكاذبون في قولهم انما انت مفتر ومما يدل على كذبهم عقلا انهم اعداء له وكلام العدو ضرب من الهذيان ولا شهادة لمتهم وايضا ان امر التعليم لا يتم في مجلس واحد ولكنه يحتاج الى مدة متمادية ولو كان كذلك لاشتهر وانتشر وايضا ان العلوم الموجودة في القرآن كثيرة والمعلم يجب ان يكون اعلى حالا من المتعلم فلو كان مثل هذا العالم الذي يتعلم منه مثل النبي صلى الله عليه وسلم موجودا في ذلك العصر لم يخف حاله وحال الناس اليه دون النبي قال بعض علماء المعاني عطف الجملة الاسمية التي هي قوله واولئك هم الكاذبون على ما قبلها وهي فعلية دلالة على ان من اقدم على الكذب فانه دخل في الكفر تنبيها على ان صفة الكفر فيهم ثابتة راسخة كما يقول كذبت وانت كاذب زيادة في الوصف بالكذب على سبيل الاستمرار والاعتياد ولا افتراء اعظم من انكار الالهية والنبوة روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قيل له هل يكذب المؤمن قال لا وقرأ هذه الآية ثم انه سبحانه من كمال عنايته اراد ان يفرق بين الكفر اللساني وحده وبين الذي انضم اليه القلبي فقال من كفر بالله اختلف العلماء في اعرابه فالاكثرون على انه بدل اما من الذين لا يؤمنون بآيات الله وما بينهما اعتراض والمعنى انما يفتري الكذب من كفر واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا اي طاب به نفسا واعتقده فعليهم غضب واما من المبتدأ الذي هو اولئك او من الخبر الذي هو الكاذبون وقيل منصوب على الذم

لا يهديهم
على الحقيقة
والنظم
مكان آية

أي أخص شيء من كفر وجوز بعضهم أن يكون من شرطية والجواب محذوف لأن جواب من شرح دال عليه كأنه قيل من كفر بالله فعليه غضب إلا
من أكره ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب وإنما صح استثناء المكره من الكافر مع أنه ليس بكافر لأنه ظهر منه بعد الإيمان ما مثله
يظهر من الكافر طوعا فلهذه المشاكلة صح الاستثناء. قال ابن عباس نزلت في عمار بن ياسر وذلك أن المشركين بمكة أخذوه وأباه ياسرا و
أمه سمية وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما فعذبوهم فأما سمية فإنها ربطت بين بعيرين ووجئ قبلها بحربة وقيل لها إنك أسلمت من أجل
الرجال وقتلت وقتل زوجها ياسر وهما أول قتيلين في الإسلام قالوا وأما عمار فإنه أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرها فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن عمارا
كفر فقال كلا إن عمارا ملئ إيمانا من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكي فجعل يمسح عينيه وقال إن عادوا لك فعد لهم
بما قلت فمن هنا حكم العلماء بأن الإكراه يجوز التلفظ بكلمة الكفر وحد الإكراه أن يعذب بعذاب لا طاقة له به كالتخويف بالقتل والضرب الشديد
وسائر الإيلامات القوية وأجمعوا على أن قلبه عند ذلك يجب أن يكون متبرئا عن الكفر وأن يقتصر على التعريض ما أمكن مثل أن يقول إن
محمدا كذاب يعني عند الكفار أو يعني به محمدا آخر أو يذكره على نية الاستفهام بمعنى الإنكار وإذا عجله من أكرهه من إحضار هذه النية أو لأنه لما عظم
خوفه زال عن قلبه ذكر هذه النية كان ملوما وعفو الله متوقع ولو ضيق المكره عليه حتى صرح بالكفر من غير تورية وطلب منه أن يقول لا أريد
بقلبي سوى ما أذكره بلساني فههنا يتعين إما الكذب وإما توريط النفس بالعذاب فمن الناس من قال يباح له الكذب ومنهم من قال ليس له
ذلك واختاره القاضي لأن الكذب إنما يقبح لكونه كذبا فوجب أن يقبح على كل حال ولو خرج الكذب عن القبح لغاية بعض المصالح لم يمتنع أن
يفعل الله الكذب لمصلحة ما فلا يبقى وثوق بوعده ووعيده. وللإكراه مراتب منها أن يجب الفعل المكره عليه كما لو أكره على شرب الخمر وأكل
الميتة لما فيه من صون النفس مع عدم إضرار بالغير ولا إهانة لحق الله ومنها أن يصير الفعل مباحا لا واجبا كما لو أكره على التلفظ بكلمة الكفر
لما روي أن بلالا صبر على العذاب وكان يقول أحد أحد حتى ملوه وتركوه ولم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم بئسما فعلت بل عظموه ولأن في ترك التقية
والصبر على القتل والتعذيب إعزازا للإسلام ومنها أنه لا يجب ولا يباح بل يحرم كما إذا أكره على قتل إنسان أو على قطع عضو من أعضائه فههنا
يبقى الفعل على الحرمة الأصلية ولو قتل فللعلماء قولان أحدهما لا يلزم القصاص وبه قال أبو حنيفة والشافعي في أحد قوليه لأنه قتله عن نفسه
فأشبه قتل الصائل ولأنه كالآلة للمكره ولذلك وجب القصاص على المكره وثانيهما وبه قال أحمد والشافعي في أصح قوليه أن عليه القصاص لأنه
قتله عدوانا لاستبقاء نفسه قصاصا كما لو قتل المضطر إنسانا فأكله ومن الأفعال ما لا يمكن الإكراه لأنه يوجب الخوف الشديد وذلك يمنع من انتشار
الآلة فلو دخل الزنا في الوجود علم أنه وقع بالاختيار لا بالإكراه والأصح أن الإكراه فيه متصور وأن الحد يسقط وعن أبي حنيفة أنه إن أكره السلطان
لم يجب الحد وإن أكره بعض الرعية وجب. قال بعض الأصوليين في قوله وقلبه مطمئن بالإيمان دلالة على أن محل الإيمان هو القلب فهو إما الاعتقاد
إن كان الإيمان معرفة وإما كلام النفس إن كان تصديقا وانتصاب صدرا على التمييز وأصله ولكن من شرح بالكفر صدره فعدل إلى النصب
للمبالغة وليبنى الكلام على الإبهام ثم التفسير قوله ذلك بأنهم أي ذلك الارتداد بسبب أنهم رجحوا الدنيا على الآخرة ولأجل أنه تعالى ما
هداهم إلى الإيمان ولم يعصمهم عن الكفر وقال جار الله ذلك الوعيد والغضب والعذاب بسبب استحقاقهم خذلان الله بكفرهم وهذا
البحث وكذا بحث الطبع والختم والخلاف في تفسيرها بين الأشاعرة والمعتزلة قد مر في أول سورة البقرة وفي غيرها فلا حاجة إلى الإعادة أولئك
هم الغافلون أي الكاملون في الغفلة إذ غفلوا عن تدبر العواقب لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون وقال في أوائل سورة هود هم الأخسرون
لأن أولئك صدوا عن سبيل الله وصدوا غيرهم فضلوا وأضلوا ولذلك ضوعف لهم العذاب فهم الأخسرون وهؤلاء صدوا بأنفسهم
فهم الخاسرون ويمكن أن يقال إن ما قبل الفواصل في تلك السورة لم يعتمد على ألف قبلها مثل يبصرون يفترون وفي هذه السورة اعتمدت
على الألف مثل الكافرين الكاذبون فجاء في كل سورة على ما يناسبها ولما ذكر حال من أكره أتبعه حال من هاجر من بعد ما فتن فقال جل
اسمه ثم إن ربك تباعد حال هؤلاء من حال عمار وأصحابه ومعنى إن ربك لهم أنه لهم لا عليهم فينصرهم ولا يخذلهم ويحتمل أن يكون
الجار متعلقا بالخبر على نية التأخير وتكرير إن لطول الكلام من قرأ من بعد ما فتنوا بفتح الفاء مبنيا للفاعل فوجهان فتن وافتتن بمعنى
والمراد أن أولئك الضعفاء لما ذكروا كلمة الكفر على سبيل التقية فكأنهم فتنوا أنفسهم لأن الرخصة في إظهار كلمة الكفر ما نزلت بعد وأراد
أن أكابر المشركين الذين آذوا فقراء المسلمين لو تابوا وهاجروا وصبروا فإن الله يقبل توبتهم ومعنى ثم على هذا التفسير ظاهر ومن قرأ بضم الفاء
مبنيا للمفعول فالمراد أن المستضعفين المعذبين الذين حملهم أقوياء المشركين على الردة والرجوع عن الإيمان إن هاجروا وجاهدوا
وصبروا فإن الله يغفر لهم تكلمهم بكلمة الكفر وقال الحسن هؤلاء الذين هاجروا من المؤمنين كانوا بمكة فعرضت لهم فتنة فارتدوا وشكوا في
الرسول ثم أسلموا وهاجروا فنزلت الآية فيهم ومعنى ثم تباعد حالة الغفران والرحمة عن حالة الارتداد والشك في أمر الرسول إلا أنه سبحانه يكرمهم
بغفرانهم إذا تابوا وقيل نزلت في عبد الله بن أبي سرح ارتد فلما كان يوم الفتح أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله فاستجار له عثمان فأجاره رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم إنه
أسلم وحسن إسلامه وهذه الرواية إنما تصح لو جعلنا الآية مدنية ومثله ما روي عن قتادة أنه لما أنزل الله أن أهل مكة لا يقبل منهم إسلام حتى
يهاجروا كتب بها أهل المدينة إلى أصحابهم من أهل مكة فلما جاءهم ذلك خرجوا فلحقهم المشركون فردوهم فنزلت الم أحسب الناس أن يتركوا

أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون فكتبوا بها إليهم فتبايعوا بينهم على أن يخرجوا فإن لحق بهم المشركون من أهل مكة قاتلوهم حتى ينجوا أو يلحقوا بالله
فأدركهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا فأنزلت هذه الآية والضمير في قوله من بعدها يرجع إلى الأفعال المذكورة من الهجرة
والجهاد والصبر فالحاصل أن الآية إما نازلة فيمن عذب بظلم فارتد ومع ذلك هاجر وجاهد وإما نازلة فيمن أظهر الكفر تقية فبين تعالى أن حاله
إذا هاجر وجاهد وصبر كحال من لم يكن كذلك وإما نازلة فيمن ارتد ثم تاب ثم قام بما يجب القيام به فوعد الله المغفرة والرحمة قال الزجاج يوم تأتي منصوب
بقوله رحيم أو بإضمار اذكر أو ذكرهم وأنذرهم ومعنى الآية ظاهر إلا أن في قوله عن نفسها إشكالا من حيث إضافة النفس إلى ضمير النفس وأجيب بأن المراد
بالنفس الأولى جملة بدن الحي وبالنفس الثانية الذات فكأنه قيل يوم يأتي كل إنسان يجادل عن ذاته لا يهمه شأن غيره ومعنى المجادلة عنها الاعتذار
عنها كقولهم هؤلاء أضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك عن بعضهم تزفر جهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثا لركبتيه يقول يا رب
نفسي حتى إن إبراهيم الخليل عليه السلام يفعل ذلك ثم أوعد الكفار بآفات الدنيا أيضا فقال وضرب الله مثلا قرية يحتمل أن يكون مقدرة أن يكون
مقدرة وأن يكون معينة موجودة إما مكة أو غيرها وذهب كثير من المفسرين إلى أنها مكة وقال الأقرب أنها غيرها لأن المثل لمكة يكون غير مكة
فضربها الله مثلا لمكة إنذارا من مثل عاقبتها قال العقلاء ثلاثة ليس لها نهاية الأمن والصحة والكفاية فوصف الله تعالى تلك القرية بالأمن ثم
بالاطمئنان إشارة إلى أن هواء ذلك البلد لا عدل له ملائم لأمزجة أهله حتى اطمأنوا واستقروا ولم يخرجوا إلى الانتقال طلبا للصحة ثم قال يأتيها
رزقها رغدا من كل مكان دلالة على حصول الكفاية لهم بأسرهم قال في الكشاف الأنعم جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وأدرع أو جمع نعم كبؤس
وأبؤس قلت لعله على ذلك طلب الضبط وإلا فلا حاجة إلى هذا التكلف وكذا الطول لا كثرون أن جمع فعلة يجيء على أفعل قيل إنما ذكر جمع القلة تنبيها
بالأدنى على الأعلى يعني أن كفران النعم القليلة يوجب العذاب فكيف بكفران النعم الكثيرة العظيمة وهذا مثل لأهل مكة كانوا في الأمن والطمأنينة
والخصب ثم أنعم الله عليهم بالنعمة العظيمة وهو محمد صلى الله عليه وسلم فكفروا بها وبالغوا في إيذائه فسلط الله عليهم البلاء عذبهم بالجوع سبع سنين حتى أكلوا
الجيف والعظام والعلهز والقد وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبعث إليهم السرايا فيغيرون عليهم نقل أن ابن الراوندي قال لابن الأعرابي الأديب هل يذاق اللباس
قال ابن الأعرابي لا بأس أيها النسناس هب أن محمدا صلى الله عليه وسلم ما كان نبيا أما كان عربيا كأنه طعن في الآية أن المناسب هو أن لو قيل فكساها الله لباس الجوع أو
فأذاقها الله طعم الجوع فرد عليه ابن الأعرابي والذي أجاب به علماء البيان أن هذا من تجريد الاستعارة وذلك أنه استعار اللباس لما غشي
الإنسان من بعض الحوادث كالجوع والخوف لاشتماله عليه اشتمال اللباس على اللابس ثم ذكر الوصف ملائما للمستعار له وهو الجوع والخوف
جرى عندهم مجرى الحقيقة يقولون ذاق فلان البؤس والضر وأذاقه غيره فكانت الاستعارة مجردة ولو قال فكساها كانت مرشحة وقد
سلف منا تقرير هذا الاصطلاح في المقدمة التاسعة من مقدمات الكتاب وترشيح الاستعارة وإن كان مستحسنا من جهة المبالغة إلا أن
للتجريد ترجيحا من حيث إنه روعي جانب المستعار له فازداد الكلام وضوحا وقيل إن أصل الذوق بالفم ثم قد يستعار فيوضع موضع التعرف
والاختبار تقول ناظر فلانا فذق ما عنده شعر: فذق ومن يذق الدنيا فإني طعمتها ❊ وسيق إلينا عذبها وعذابها ❊ فمعنى ذوقت لباس
الجوع والخوف على فلان تعرف ما ظهر عليه من الضمور وشحوب اللون وتغير الحال وكسوف البال فمعنى الآية عرفها الله أثر لباس الجوع و
قيل حمل اللباس على المماسة والتقدير فأذاقها الله مساس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون قال ابن عباس يريد بفعلهم بالنبي صلى الله عليه وسلم من التكذيب
والهم بقتله والإخراج من مكة قال الفراء كل الصفات أجريت على القرية إلا قوله يصنعون تنبيها على أن المراد في الحقيقة أهلها ولما ذكر المثل
والممثل قال ولقد جاءهم يعني أهل مكة رسول منهم من أنفسهم يعرفونه بأصله ونسبه فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ملتبسون بالظلم قال ابن
عباس يعني بالعذاب الجوع الذي كان بمكة وقيل القتل يوم بدر وقيل إن قول ابن عباس أولى والمراد أن ذلك الجوع بسبب كفرهم فاتركوا الكفر
فكلوا مما رزقكم الله من الغنائم فأكل الغنائم بسبب ترك الكفر فلذلك وصله بالفاء وقال الكلبي إن رؤساء مكة كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جهدوا
وقالوا عاديت الرجال فما بال الصبيان والنساء وكانت الميرة قد قطعت عنهم بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن في الحمل فحمل الطعام
إليهم فذلك قوله فكلوا ورجح قول ابن عباس بأنه تعالى قال بعد ذلك إنما حرم عليكم الميتة فالمراد أنكم لما آمنتم وتركتم الكفر فكلوا الحلال
الطيب وهو الغنيمة واتركوا الخبائث وهو الميتة والدم وأنه سبحانه أعاد تحريم هذه الأشياء في البقرة وفي المائدة وفي الأنعام وفي هذه السورة قطعا
للأعذار وإزالة للشبهة ثم زيف طريقة الكفار في الزيادة على هذه المحرمات كالبحيرة والسائبة وفي النقصان كتحليل الميتة والدم فقال ولا
تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب قال الكسائي والزجاج ما مصدرية وانتصاب الكذب بلا تقولوا أي ولا تقولوا الكذب لأجل وصف ألسنتكم
قوله هذا حلال وهذا حرام بدل من الكذب ويجوز أن ينتصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية أيضا أي لا تقولوا هذا حلال وهذا
حرام بوصف ألسنتكم الكذب ومعناه لا تحرموا ولا تحللوا لأجل قول تنطق به ألسنتكم من غير حجة ودليل ويجوز أن تكون ما موصولة أي ولا تقولوا
للذي تصف ألسنتكم الكذب فيه هذا حلال وهذا حرام فحذف لفظ فيه لكونه معلوما وقوله تصف ألسنتكم الكذب من فصيح الكلام وبليغه كأن
ماهية الكذب مجهولة وكلامهم يكشف عن حقيقته نظيره قولهم وجهه يصف الجمال وعينه تصف السحر واللام في قوله لتفتروا لام العاقبة لا الغرض
المقصود من ذكره بيان أنه كذب على الله فإن قوله لما تصف ألسنتكم الكذب لم يكن فيه هذا البيان ثم أوعد المفترين بقوله إن الذين يفترون لا

وقوله متاع قال الزجاج اي متاعهم وعن ابن عباس اراد ان متاع كل الدنيا قليل والمعنى ان منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية اولان نعيم الدنيا كلها يزول عنهم عما قريب يبقى العقاب الدائم الاليم ثم خص محرمات اليهود بالذكر فقال وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل يعني في سورة الانعام عند قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ثم قال وما ظلمناهم كقوله هناك ذلك جزيناهم ببغيهم ثم بين ان الافتراء على الله ومخالفة امره لا يمنعهم من التوبة وحصول المغفرة والرحمة وقوله بجهالة في موضع الحال اي عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه او غير متاملين في العاقبة لغلبة الشهوة عليهم ان ربك من بعدها من بعد تلك التوبة او التوبة او الجهالة ولما بالغ في ابطال مذاهب المشركين وزيف الجواب عن شبههم ومطاعنهم وكان ابرهيم رئيس الموحدين وقدوة اكابر النبيين ذكره الله تعالى اخر هذه السورة فقال ان ابرهيم كان امة اي هو وحده امة من الامم لكماله في جميع صفات الخير وليس لله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار فلهذا قيل انه امة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في زيد بن عمرو بن نفيل يبعثه الله وحده وعن شهر بن حوشب لم يكن زمن الا وفيه اربعة عشر يدفع بهم الله عن اهل الارض الا زمن ابرهيم فانه وحده وقيل امة بمعنى ماموم اي يؤمه الناس ليأخذوا منه افعال الخير او بمعنى مؤتم به كقوله اني جاعلك للناس اماما وقيل انه من باب اطلاق المسبب على السبب وفيه خصلة لا تمنعه الامتياز عمن سواهم قانتا لله قائما بما امره الله وعن ابن عباس مطيعا لله حنيفا مائلا الى الاسلام ميلا لا يزول عنه وقال ابن عباس المراد انه اول من اختتن واقام مناسك الحج وضحى ولم يك من المشركين قط لا في الصغر ولا في الكبر شاكرا لانعمه وان كانت قليلة فضلا عن النعم الكثيرة يروى انه كان لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا له ان بهم جذاما فقال الان وجبت مواكلتكم شكرا لله على انه عافاني وابتلاكم اجتباه اختصه واصطفاه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم اي ملة الاسلام وآتيناه في الدنيا حسنة عن قتادة هي ان الله تعالى حببه الى اهل الاديان كلها وقيل الاموال والاولاد وقيل قول المصلي منا كما صليت على ابرهيم وانه في الاخرة لمن الصالحين في اعلى مقاماتهم من الجنة تحقيقا لدعائه والحقني بالصالحين قال في الكشاف معنى ثم في قوله ثم اوحينا اليك تبعيد هذا النعت من بين سائر النعوت التي اثنى الله بها على ابرهيم ليعلم ان اجل ما اوتي خليل الله اتباع نبينا ملته في الاصول من التوحيد والمعاد وغيرهما كاختيار يوم الجمعة للفراغ وترك العمل قال اهل النظم كان لسائل ان يسئل لم اختار اليهود السبت مع ان ابرهيم كان اختار الجمعة فاجاب الله سبحانه بقوله انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه فاختاره بعضهم للفراغ واختار بعضهم الجمعة روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس انه قال امرهم موسى بالجمعة وقال تفرغوا في كل سبعة ايام يوما واحدا فابوا ان يقبلوا ذلك وقالوا لا نريد الا اليوم الذي فرغ الله فيه من الخلق وهو يوم السبت فشدد عليهم ثم جاءهم عيسى بالجمعة ايضا فقالت النصارى لا نريد ان يكون عيدهم بعد عيدنا فاتخذوا الاحد وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله كتب يوم الجمعة على من كان قبلنا فاختلفوا فيه وهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد وقال صاحب الكشاف السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها والمعنى انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه واختلافهم فيه انهم احلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم ان يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة وضعف القول الاول بان اليهود متفقون على تعيين يوم السبت للفراغ ويمكن ان يقال لعل فيهم من اختار الجمعة في قديم الدهر ثم وقع الاختلاف سؤال النصارى يقولون ان يوم الاحد مبدأ الخلق والتكوين على ما اتفق عليه اهل الملل انه تعالى خلق العالم في ستة ايام اولها الاحد فجعله عيدا معقول واليهود قالت ان يوم السبت هو اليوم الذي قد فرغ الله فيه من الاعمال فنحن نوافق ربنا فاخر جعل الجمعة عيدا والجواب بعد التعبد هو ان يوم الجمعة يوم التمام والكمال وذلك يوجب الفرح والسرور فجعله عيدا اولى فيه ثم اوعد اليهود بقوله وان ربك ليحكم الاية ولما امر محمدا باتباع ابرهيم صلوات الله عليه بين الشيء الذي امره بمتابعته فيه فقال ادع الى سبيل ربك الاية وفيه ان طريقته صلى الله عليه وسلم في الدعوة كانت هكذا وتقريره ان الدلائل التي يدعو الى مذهب ونحلة لا بد ان يكون قوله مبنيا على حجة وهي اما ان تكون يقينية قطعية مبرأة من شائبة احتمال النقيض واما ان تكون مفيدة للظن القوي والاقناع والا لم يكن ملتفتا اليها في العلوم وقد يكون الجدال والخصام غالبا على المدعو فيحتاج الى الالزام والافحام بدليل مركب من مقدمات مشهورة مسلمة عند الجمهور او من مقدمات مشهورة مسلمة عند الجمهور او من مقدمات مسلمة عند الخصم فقوله بالحكمة اشارة الى استعمال الحجج القطعية المفيدة لليقين والمكالمة بهذا الطريق انما تكون مع الطالبين البالغين في الاستعداد الى درجة الكمال وقوله والموعظة الحسنة اشارة الى استعمال الدلائل الاقناعية الموقعة للتصديق بمقدمات مقبولة واهل هذه المكالمة اقوام انحطت درجتهم عن درجة الطائفة الاولى الا انهم باقون على الفطرة الاصلية طاهرون عن درن الشغب وكدورات الجدال وهم عامة الخلق وليس للدعوة الا هذان الطريقان لكن الداعي قد يضطر مع الخصم الالد الى استعمال الحجج الملزمة المفحمة كما قلنا فلهذا السبب عطف على الدعوة قوله وجادلهم بالتي اي بالطريقة التي هي احسن وكان طريق الجدال لم يكن سلوكه مقصودا بالذات وانما اضطر الداعي اليه لاجل كون الخصم مشاغبا وانما استحسن هذا الطريق لكون الداعي محقا وغرضه صحيحا فان كان مبطلا واراد تغليط السامع لم يكن جدالا حسنا وسمي دليله مغالطة هكذا ينبغي ان يتصور تفسير هذه الاية فان كلام المفسرين القائم بين يديه غير مضبوط وجوز في الكشاف ان يريد القرآن اي ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة وجادلهم باحسن طرق المجادلة

من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف ولما حث على الدعوة بالطرق المذكورة بين ان الرشد والهداية ليس الى النبي وانما ذلك الى الله تعالى فقال ان ربك هو اعلم الاية اي هو العالم بضلال النفوس واهتدائها وكدورتها وصفائها ثم جعل الدعوة سببا لسعادتها او واسطة لشقاوتها ثم ان الدعوة تتضمن تكليف المدعوين بالرجوع عن الدين المالوف والقطام منه شديد وربما يجر المقاولة الى المقاتلة فامر الداعي واتباعه برعاية العدل والانصاف في حال القتال قال وان عاقبتم اي ان رغبتم في استيفاء القصاص ان وقع قتل فاقتصوا بالمثل ولا تزيدوا عليه عامة وقد يخصصها رواة اسباب النزول بقصة حمزة قالوا ان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم احد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا احدا غير ممثول الا حنظلة ابن الراهب فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة وقد مثل به وروي فرآه مبقور البطن فقال اما والذي احلف به ان اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما اراده قال ابن عباس في رواية عطا وابي بن كعب ومن هنا ذهبوا الى ان خواتيم سورة النحل مدنية ولا خلاف في تحريم المثلة وقد وردت الاخبار بالنهي عنها حتى بالكلب العقور وقيل نزلت حين كان المسلمون قد امروا بالقتال مع من يقاتلهم ولا يبدؤا بالقتال فهو كقوله وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم امر الله تعالى ان يعاقبوا بمثل ما يصيبهم من العقوبة ولا يزيدوا وقال مجاهد والنخعي وابن سيرين انه نهي المظلوم عن استيفاء الزيادة من الظالم وفي قوله وان عاقبتم رمز الى ان الاولى له ان لا يفعل كقول الطبيب للمريض ان كنت تاكل الفاكهة فكل التفاح ثم انتقل من التعريض الى بعض التصريح فقال ولئن صبرتم لهو خير اي صبركم خير لكم فوضع المظهر موضع المضمر ثناء من الله عليهم او وصفا لهم بالصفة التي تحصل لهم او خبر الصبر خير للصابرين عليهم ثم صرح كل التصريح فقال واصبر ثم ذكر ما يفيد سهولة الصبر على النفس فقال وما صبرك الا بالله اي بتوفيقه وتثبيته وربطه على قلبه وهذا السبب كلي مفيد للصبر واما السبب الجزئي القريب فذلك قوله ولا تحزن عليهم ولا تك وذلك ان اقدام الانسان على الانتقام لا يكون الا عند هيجان الغضب وانه لا يهيج الا عند فوات نفع والمشار اليه بقوله ولا تحزن عليهم قيل اي على قتلى احد وما على الكافرين كقوله فلا تاس على القوم الكافرين والحين توقع مكروه في المستقبل والمشار الى ذلك بقوله ولا تك في ضيق من قرا بكسر الضاد فظاهر وهو من الكلام المقلوب الذي يشجع عليه امن الالباس لان الضيق وصف فهو يكون في الانسان ولا يكون الانسان فيه وفيه لطيفة اخرى وهي ان الضيق اذا عظم وقوي صار كالشيء المحيط به من جميع الجوانب ومن قرا بفتحها فاما على انه مصدر ايضا او على انه مخفف ضيق فمعناه في امر ضيق وانما لم يقل ولا تكن بالنون كما في اخر النمل موافقة لما قبله ولم يكن من المشركين ولان الحزن ههنا اكثر بناء على انها وردت في قتل حمزة فبولغ بالحذف في النهي عن الحزن ثم ختم السورة باية جامعة لجميع المامورات والمنهيات فقال ان الله مع الذين اتقوا المعاصي كلها والذين هم محسنون في الطاعات بان يعبدوا الله مخلصين غير مرائين وقيل ان الله مع الذين اتقوا استيفاء الزيادة والذين هم محسنون في ترك اصل الانتقام فان اردت ان تكون معي بالنصر والتاييد فكن من المتقين ومن المحسنين وفيه ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب ان يكون بالرفق واللين مرتبة مرتبة وقيل الذين اتقوا اشارة الى التعظيم لامر الله والذين هم محسنون اشارة الى الشفقة على خلق الله ومنه قال بعض المشايخ كمال الطريق صدق مع الحق وخلق مع الخلق واحتضر هرم بن حيان فقيل له اوص فقال انما الوصية من المال ولا مال لي اوصيكم بخواتيم سورة النحل التاويل واذا بدلنا اية انه تعالى يعالج بدواء القرآن امراض القلوب في كل وقت بنوع اخر على ما يعلم من المصالح فلذلك قال والله اعلم بما ينزل ونشر المسلمين الذين استسلموا للطبيب في معالجته حتى صارت قلوبهم سليمة انما يعلمه بشر فيه ان طب القلوب وعلاجها من شان البشر بنظر العقل لانه مبني على معرفة الامراض واسبابها وكيفيتها ومعرفة الادوية وخواصها وكيفية استعمالها ومعرفة الامزجة واختلاف احوالها وان القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء فيضيق عن معالجتها نطاق عقول البشر ولهذا قال ابرهيم صلى الله عليه وسلم واذا مرضت فهو يشفين اللهم الا اذا علم بتعليم الله كقوله وعلمك ما لم تكن تعلم ومع هذا كان يقول نحن نحكم بالظاهر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي هو الذي لا يفهم من كلام الله اسراره وحقايقه وهذا لسان عربي صدقه كما قال فانما يسرناه بلسانك انما يفتري الكذب لان الافتراء من شان النفس الامارة الكافرة التي لا يؤمنون بايات الله واولئك هم الكاذبون اي هم الذين استمروا على الكذب لان المؤمن قد يكذب في بعض الاحوال الا انه لا يصر على ذلك وهكذا في جميع المعاصي ولهذا لا يخرج من الايمان بالكلية ولكن ينقص الكذب ايمانه ويرجع بالتوبة الى صلة قال النبي صلى الله عليه وسلم ما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا من كفر بالله بعد ايمانه اشارة الى المريد المرتد بعد تنسمه روائح نفحات الحق بمشام قلبه عند هبوبها واصطكاك اهوية سالم الباطن وانخراق سحب البشرية فلمع له برق اضاءت به افاق سماء القلب واشرقت ارض النفس فامن بجاذبة الطلب للطالب واشتعال الغيب فاستوقد نار الشوق والمحبة فلما اضاءت ما حوله وبذل في الاجتهاد جهده وحوله هبت نكباء النكبات بصدمة قلبه ذهب الله بنوره وانطفأت نار الطلب بال الشؤم الى طبعه الا من اكره على مباشرة فعل وقول يخالف الطريقة من معاملات اهل الطبيعة فيها في الظاهر ويخالفه بالباطن حتى يخلص عن شؤم صحبتهم استحبوا اختاروا الحياة الدنيا وشهواتها على محبة الله وان الله لا يهدي القوم الكافرين نعمته واولئك هم الغافلون عما علا الله لعباده الصالحين هم الخاسرون لان الاعضاء العبودية يورث خسران القلوب عن مواهب الربوبية ثم ان ربك للذين هاجروا نفوسهم وهواهم من بعد ما فتنوا بمخالفة اوامر الحق ثم جاهدوا النفوس بصوف الرياضات وصبروا على تزكيتها وتحليتها متمسكين بذيل ارادة الشيخ يوم تاتي ارباب النفوس تجادل عن نفسها على قدر بقاء وجودها دفعا لاضدادها

وجد بالمنافع ما حتى ان كل نبي يقول نفسي نفسي الا محمد صلعم فانه فان بالكلية عن نفسه زان بقاء ربه فيقول امتي امتي لانه مغفور ذنب وجوده المنفرد
في الدنيا والمنافع في الآخرة بما فتح الله له ليلة المعراج اذ اوحى بخطاب سلام عليك ايها النبي ففني عن وجوده بالسلام وبقي بوجوده بالرحمة
فكان رحمة مهداة بين كافة الناس كافة ولكن رفع الدالة من تلك الضيافة وجب لما بعده فلهذا قال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
يعني الذين صلحوا لبذل الوجود في طلب المقصود فهي قرية شخص الانسان كانت امنة اهله وهو الروح الانساني مطمئنة
بذكر الله يأتيها رزقها من المواهب من كل مكان روحاني وجسماني فكفرت النفس الامارة فاذاقها الله لباس الجوع وهو انقطاع مواد التوفيق
فاكلوا من جيفة الدنيا ومينة المستلذات والخوف وهو خوف الانقطاع عن الله ولقد جاءهم رسول الوارد الرباني فما تخلفوا باخلاقه
وكلوا مما رزقكم الله من انوار الشريعة واسرار الطريقة هذا حلال وهذا حرام على عادة اهل العبادة الاباحية وعلى الذين هادوا اي تابوا منا
من موانع الوصول ما قصصنا عليك في بدو سلوك حتى كنت محترزا عن صحبة خديجة وتحنث الى حرا اسبوعا واسبوعين وما ظلمناهم بتحريم
ذلك عليهم بل نعمنا به عليهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالاعراض عنا بعد الاقبال علينا ولم يك من المشركين من له شركة مع الله في
الوجود اتبع ملة ابراهيم في الظاهر حتى يتبعك هو في الباطن ولهذا ذهب الى ربه ما شيا اني ذاهب الى ربي واسرى بمحمد راكبا سبحان الذي اسرى
بعبده فهو خليل وانت حبيب يتبع الخليل في الدنيا فيتبع الخليل في الآخرة الناس محتاجون الى شفاعتي يوم القيمة حتى ابراهيم وان
عاقبتم النفس الامارة فعاقبوا بالقوانين الشرعية بالفطام عن مالوفاتها بمثل ما عوقبتم به من الانقطاع عن مواد التوفيق والمواهب
ولئن صبرتم على معاقبتهم لهو خير لان عتاب الحبيب على قدر عقاب العدو ان اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك واصبر على
معاقبة النفس ومخالفة الهوى وما صبرك الا بالله ولا يقدر احد ان يتصف بصفاته الا بان يتجلى بتلك الصفة له ولا تحزن
على النفس وجنودها عند المعاقبة فان فيها صلاح حالهم ومآلهم ولا تك في ضيق مما يمكرون فان مكرهم يندفع بمعونة الله عند الفرار اليه
سورة بني اسرائيل مكية الا قوله وان كادوا ليفتنونك قوله وقل جاء الحق وهي مائة واحدى عشرة آية وست الاف واربع مائة وستون كلمة
الف وخمسمائة واثنتان وستون بسم الله الرحمن الرحيم آياتها مائة واحدى عشرة
سُبْحٰنَ الَّذِيْٓ اَسْرٰى بِعَبْدِهٖ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ اِلَى الْمَسْجِدِ الْاَقْصَا الَّذِيْ بٰرَكْنَا حَوْلَهٗ لِنُرِيَهٗ
مِنْ اٰيٰتِنَا ؕ اِنَّهٗ هُوَ السَّمِيْعُ الْبَصِيْرُ ۝ وَاٰتَيْنَا مُوْسَى الْكِتٰبَ وَجَعَلْنٰهُ هُدًى لِّبَنِيْٓ اِسْرَآءِيْلَ اَلَّا تَتَّخِذُوْا
مِنْ دُوْنِيْ وَكِيْلًا ۝ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوْحٍ ؕ اِنَّهٗ كَانَ عَبْدًا شَكُوْرًا ۝ وَقَضَيْنَآ اِلٰى بَنِيْٓ اِسْرَآءِيْلَ فِي الْكِتٰبِ
لَتُفْسِدُنَّ فِي الْاَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيْرًا ۝ فَاِذَا جَآءَ وَعْدُ اُوْلٰىهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ اُولِيْ
بَاْسٍ شَدِيْدٍ فَجَاسُوْا خِلٰلَ الدِّيَارِ ؕ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُوْلًا ۝ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَاَمْدَدْنٰكُمْ بِاَمْوَالٍ
وَّبَنِيْنَ وَجَعَلْنٰكُمْ اَكْثَرَ نَفِيْرًا ۝ اِنْ اَحْسَنْتُمْ اَحْسَنْتُمْ لِاَنْفُسِكُمْ ۟ وَاِنْ اَسَاْتُمْ فَلَهَا ؕ فَاِذَا جَآءَ وَعْدُ الْاٰخِرَةِ لِيَسُوْٓءُا
وُجُوْهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوْهُ اَوَّلَ مَرَّةٍ وَّلِيُتَبِّرُوْا مَا عَلَوْا تَتْبِيْرًا ۝ عَسٰى رَبُّكُمْ اَنْ يَّرْحَمَكُمْ ۚ وَاِنْ
عُدْتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكٰفِرِيْنَ حَصِيْرًا ۝ اِنَّ هٰذَا الْقُرْاٰنَ يَهْدِيْ لِلَّتِيْ هِيَ اَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِيْنَ
ع الَّذِيْنَ يَعْمَلُوْنَ الصّٰلِحٰتِ اَنَّ لَهُمْ اَجْرًا كَبِيْرًا ۝ وَّاَنَّ الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ بِالْاٰخِرَةِ اَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا اَلِيْمًا ۝
وَيَدْعُ الْاِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَآءَهٗ بِالْخَيْرِ ؕ وَكَانَ الْاِنْسَانُ عَجُوْلًا ۝ وَجَعَلْنَا الَّيْلَ وَالنَّهَارَ اٰيَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ اٰيَةَ الَّيْلِ
وَجَعَلْنَآ اٰيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوْا فَضْلًا مِّنْ رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوْا عَدَدَ السِّنِيْنَ وَالْحِسَابَ ؕ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنٰهُ تَفْصِيْلًا

وَكُلَّ اِنْسَانٍ اَلْزَمْنٰهُ طٰٓىِٕرَهٗ فِيْ عُنُقِهٖ ؕ وَنُخْرِجُ لَهٗ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ كِتٰبًا يَّلْقٰىهُ مَنْشُوْرًا ۝ اِقْرَاْ كِتٰبَكَ ؕ كَفٰى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ
عَلَيْكَ حَسِيْبًا ۝ مَنِ اهْتَدٰى فَاِنَّمَا يَهْتَدِيْ لِنَفْسِهٖ ۚ وَمَنْ ضَلَّ فَاِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ؕ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِّزْرَ اُخْرٰى ؕ وَمَا
كُنَّا مُعَذِّبِيْنَ حَتّٰى نَبْعَثَ رَسُوْلًا ۝ وَاِذَآ اَرَدْنَآ اَنْ نُّهْلِكَ قَرْيَةً اَمَرْنَا مُتْرَفِيْهَا فَفَسَقُوْا فِيْهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ
فَدَمَّرْنٰهَا تَدْمِيْرًا ۝ وَكَمْ اَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُوْنِ مِنْ بَعْدِ نُوْحٍ ؕ وَكَفٰى بِرَبِّكَ بِذُنُوْبِ عِبَادِهٖ خَبِيْرًا بَصِيْرًا ۝ مَنْ كَانَ
يُرِيْدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهٗ فِيْهَا مَا نَشَآءُ لِمَنْ نُّرِيْدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهٗ جَهَنَّمَ ۚ يَصْلٰىهَا مَذْمُوْمًا مَّدْحُوْرًا ۝ وَ
مَنْ اَرَادَ الْاٰخِرَةَ وَسَعٰى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَاُولٰٓىِٕكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَّشْكُوْرًا ۝ كُلًّا نُّمِدُّ هٰٓؤُلَآءِ
وَهٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ؕ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُوْرًا ۝ اُنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلٰى بَعْضٍ ؕ وَلَلْاٰخِرَةُ اَكْبَرُ دَرَجٰتٍ وَّاَكْبَرُ
تَفْضِيْلًا ۝ القراءة يتخذ وابياء الغيبة ابو عمرو وعباس مخيرا الباقون بتاء الخطاب سائر بالمد ابو عمرو ويزيد والاصبهاني عن ورش والاعشى وحمزة
في الوقف ليسوء بياء الغيبة على التوحيد ابن عامر وحمزة وابو بكر وحماد ولنسوء بالنون علي الباقون ليسوءا على الجمع ويبشر مخففا
حمزة وعلي ويخرج بالياء مجهولا يزيد ويخرج لازما يعقوب الآخرون بالنون متعد بالاتفاق مشددا ابن عامر ويزيد وروى النقاش عن
ابن ذكوان بالامالة الباقون مخففة وقرأ حمزة وعلي وخلف بالامالة اقرأ كتابك بغير همز الاعشى ويزيد وحمزة في الوقف امرنا من باب المفاعلة
يعقوب الوقوف الجزء الخامس عشر آياتنا ط البصير لمن قرأ يتخذ وابياء الخطاب لامكان ان يجعل في زيته منادى نوح ط شكورا ه كبيرا ه الديار
مفعولا ه نفيرا ه فلها ط لان ما بعده عائد الى قوله فاذا جاء وعد اولهما مع اعتراض العوارض تتبيرا ه يرحمكم ط للابتداء بالشرط مع العطف عدنا
حصيرا ه من توهم العطف حصيرا ه كبيرا لا للعطف اليما ه بالخير ط عجولا ه والحساب ط تفصيلا ه عنقه ط منشورا ه كتابك ط حسيبا ه لتعذر الشرط لنفسه
للشرط مع العطف عليها ط اخرى ط رسولا ه تدميرا ه نوح ط بصيرا ه جهنم ج لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف مدحورا ه مشكورا ه عطاء ربك ط
محظورا ه بعض ط تفضيلا ه التفسير لما عزم على نبيه في خواتيم النحل جوامع مكارم الاخلاق حكى طرفا مما خصه به من المعجزات فقال سبحان الذي
وهو اسم علم للتسبيح وقد مر اعرابه في قوله سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا والمراد تنزيه الله من كل ما لا يليق بجلاله واسرى وسرى لغتان يروى
انه لما وصل النبي صلعم الى المراتب العلية في معراجه اوحى الله اليه يا محمد بم اشرفك فقال يا رب تنسبني الى نفسك بالعبودية فانزل فيه سبحان
الذي اسرى بعبده وقوله ليلا نصب على الظرف وفيه تاكيد الاسراء وفي تنكيره تقليل مدة الاسراء لان التنكير فيه معنى البعضية اخبر
انه اسرى به في بعض الليل من المسجد الحرام عن النبي صلعم بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبرئيل بالبراق
قيل المراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس الحرم كله مسجد والى هذا القول ذهب الاكثرون قالوا انه اسرى به
من دار ام هاني بنت ابي طالب قبل الهجرة بسنة وعن انس والحسن انه كان قبل البعثة الى المسجد الاقصى هو بيت المقدس بالاتفاق سمي به
بالاقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام ولم يكن حينئذ وراءه مسجد الذي باركنا حوله يريد بركات الدين والدنيا لانه متعبد الانبياء
من وقت موسى ومهبط الوحي وهو محفوف بالانهار الجارية والاشجار المثمرة وقوله اسرى مع قوله باركنا سلوك لطريقة الالتفات لنريه
من آياتنا بيان لحكمة الاسراء سؤال اري ابراهيم ملكوت السموات والارض واري محمد صلعم بعض آياته فيلزم ان يكون معراج ابراهيم افضل
الجواب لعل بعض الآيات المضافة الى الله تعالى اشرف واجل من ملكوت السموات والارض كلها ولهذا ختم الآية بقوله انه هو السميع لاقوال
محمد البصير بافعاله المهذبة الخالصة فيكرمه على حسب ذلك واعلم ان الاكثرين من علماء الاسلام اتفقوا على انه اسرى بجسد رسول الله
والاقلون على انه ما اسرى الا بروحه حكى محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن حذيفة انه قال كان ذلك رؤيا وانه ما فقد جسد رسول الله صلعم
لكنه عرج بروحه وحكى هذا القول عن عائشة ايضا وقد احتج بعض العقلاء على هذا القول بوجوه منها ان الحركة الجسمانية البالغة في السرعة
الى هذا الحد غير معقولة ومنها ان صعوده الى السموات يوجب الخراق الفلك ومنها انه لو صح ذلك لكان من اعظم معجزاته فوجب ان يكون بمحضر
من الجم الغفير حتى يستدلوا بذلك على صدقه وما الفائدة في اسرائه ليلا على حين غفلة من الناس ومنها ان الانسان عبارة عن الروح وحده
لانه باق من اول عمره الى آخره والاجزاء البدنية في التغير والانتقال والباقي مغاير للمتغير ولان الانسان يدرك ذاته حين ما يكون غافلا

عن جميع جوارحه واعضائه ومنها قوله سبحانه وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس وما تلك الرؤيا الا حديث المعراج وانما كانت
فتنة للناس لان كثيرا ممن امن به حين سمعها ارتد وكفر به ومنها ان حديث المعراج اشتمل على اشياء بعيدة عن العقل كشق بطنه وتطهيره
بماء زمزم وركوب البراق وايجاب خمسين صلوة فان ذلك يقتضي نسخ الحكم قبل حضور وقته وانه يوجب البداء اجاب الاكثرون عن الاول
بان حركة الرسول صلعم من مكة الى فوق الفلك الاعظم لم تكن الا نصف القطر الى نصف المدور ونسبة الواحد الى ثلثة امثال وسبع هي نصف
حركة الفلك في يوم بليلته واذا كان الاكثر واقعا فالاقل بالامكان اولى ولو كان القول بمعراج محمد صلعم في ليلة واحدة ممتنعا لكان القول بنزول
جبرئيل من العرش الى مكة في لحظة واحدة ممتنعا لان الملائكة ايضا اجسام عند جمهور المسلمين وكذا القول في حركات الجن والشياطين وقد
سخر الله تعالى لسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وقد قال الذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك وكان
عرش بلقيس في اقصى اليمن وسليمان في الشام وعلى قول من يقول ان الابصار بخروج الشعاع وعلى قول من يقول ان الابصار فانما ينتقل شعاع العين
من البصر الى الكواكب الثابتة في ان واحد فيثبت ان المعراج امر ممكن في نفسه اقصى ما في الباب الاستبعاد وخرق العادة ولكنه ليس مخصوصا
بهذه الصورة وانما ذلك امر حاصل في جميع المعجزات وعن الثاني ان الخرق في الافلاك عند حكماء الاسلام جائز وعن الثالث ان فائدة الاسراء
انه عاين البحث شاهد العالم العلوي والعرش والكرسي وما فيهما وعليها لحصل في قلبه زيادة قوة وطمانينة بها انقطعت تعلقاته عن الكونين
ولم يبق مشغول القلب بشيء من امور الدنيا والاخرة وعن الرابع ان العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد وعن الخامس ان تلك الرؤيا هي
غير حكاية المعراج كما سيجيء في تفسيره ولو سلم انها هي المعراج فالرؤيا بمعنى الرؤية وعن السادس انه لا اعتراض على الله تعالى في شيء من افعاله
وانه على كل شيء قدير واعلم انه ليس في الاية دلالة على العروج من بيت المقدس الى السموات والى ما فوق العرش الا انه ورد الحديث به
ومنهم من استدل على ذلك باول سورة النجم وبقوله لتركبن طبقا عن طبق وتفسيرهما مذكور في موضعيه يروى انه كان صلعم نائما في بيت
ام هانئ بعد صلوة العشاء فاسري به ورجع من ليلته وقص القصة على ام هانئ وقال مثل لي النبيون وصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد
فتشبثت ام هانئ بثوبه فقال ما لك قالت اخشى ان يكذبك قومك ان اخبرتهم قال وان كذبوني فخرج فجلس اليه ابو جهل فاخبره رسول
الله صلعم بحديث الاسرى بي من مكة الى بيت المقدس ومنه عرج الى السماء ورأى ما فيها من العجائب ولقي الانبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة
المنتهى فقال ابو جهل يا معشر بني كعب بن لوي هلم فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان امن به وسعى
رجال الى ابي بكر رضي الله عنه فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق
وكان فيهم من سافر الى الشام فاستنعتوه المسجد فجلي له صلعم بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا
اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو
الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد شرقت وقال اخر وهذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد صلعم ثم لم يؤمنوا
وقالوا ما هذا الا سحر مبين ولما حكى طرفا من اكرام محمد حكى طرفا من اكرام موسى فقال واتينا موسى الكتاب اي التورية وجعلناه هدى لبني اسرائيل اخرجناهم به
من ظلمات الجهل والكفر الى نور العلم والدين الا تتخذوا ومن قرأ على الغيبة فان ناصبة وكلام العاقبة محذوف اي لئلا يتخذوا ومن قرأ
على الخطاب فان مفسرة معناها اي لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل كذا او زائدة والقول مضمر يعني قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا
ربا تكلون اليه اموركم ذرية من حملنا مع نوح قال قتادة الناس كلهم ذرية نوح ع لانه كان معه في السفينة ثلثة بنين سام وحام ويافث والناس
كلهم من ذريتهم اولئك فقوله ذرية قائم مقام قوله يا ايها الناس وعلى القراءة الاولى انتصب ذرية على الاختصاص وعلى القراءتين احتمل
ان ينتصب على انه مفعول اول ليتخذوا اي لا تجعلوهم اربابا كقوله ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ومن ذرية المحمولين
مع نوح عيسى وعزير ثم علل النهي عن الاشراك بقوله انه كان عبدا شكورا اي انتم ذرية من امن به وحمل معه فاجعلوه اسوتكم كما جعلوه اباؤكم
اسوتهم في الشكر لله وعدم اتخاذ الشريك له ويجوز ان يكون تعليلا لاختصاص بني اسرائيل والثناء عليهم بانهم اولاد المحمولين مع نوح
فهم متصلون به فلهذا استاهلوا الاختصاص وجوز في الكشاف ان يكون ثناء على نوح بطريق الاستطراد يروى من شكره انه كان اذا
اكل قال الحمد لله الذي اطعمني ولو شاء اجاعني واذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني ولو شاء اظماني واذا اكتسى قال الحمد لله الذي كساني
ولو شاء اعراني واذا احتذى قال الحمد لله الذي حذاني ولو شاء احفاني واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذي اخرج عني اذاه في عافية ولو
شاء حبسه وكان اذا اراد الافطار عرض طعامه على من امن به فان وجده محتاجا اثره به ثم ذكر ان كثيرا من بني اسرائيل ما اهتدوا بهدى التورية
فقال وقضينا الى بني اسرائيل اوحينا اليهم وحيا مقضيا مقطوعا به في الكتاب الذي هو التورية وقوله لتفسدن جواب قسم محذوف
او اجرى القضاء المبتوت مجرى القسم كانه قيل واقسمنا لتفسدن في الارض ارض مصر مرتين ولتعلن لتعظمن ولتستولن على الناس علوا
كبيرا تسلطا عظيما وبغيا شديدا فاذا جاء وعد عقاب اوليهما اولى المرتين بعثنا ارسلنا وسلطنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد
اصحاب نجدة وشدة في القتال فجاسوا ترددوا للغارة خلال الديار اوساطها وفرجها يعني ديار بيت المقدس وكان وعد العقاب وعدا

مفعولا

مفعولا لا بد من وقوعه ثم رددنا لكم الكرة الدولة والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو وجعلناكم
اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه احتجت الاشاعرة بقوله سبحانه وقضينا بعثنا وكان وعدا مفعولا على صحة القضاء
والقدر وان الفساد والنهب والقتل والاسر كلها بفعله واجابت المعتزلة بان المراد انه خلى بينهم وبين ما فعلوا ولم يمنعهم عن تخريب بيت المقدس
واحراق التورية وقتل حفاظها وضعف بان تفسير البعث بالتخلية وعدم المنع خلاف الظاهر على ان الدليل الكلي العقلي قد دل على وجوب انتهاء
الكل اليه ومما حكي عنهم انهم حين عصوا سلط عليهم اعداءهم ومهما تابوا عادت كلمتهم في الاحسان والاساءة قال ان احسنتم احسنتم لانفسكم
وان اساتم فلها اي فعليها او فاليها للتقابل مع ان حروف الاضافة يقوم بعضها مقام البعض قال اهل الاشارة انه اعاد الاحسان ولم يذكر الاساءة الا
نفسه دليل على ان جانب الرحمة اغلب فاذا جاء وعد عقاب المرة الاخرة بعثناهم حذف جواب اذا لدلالة ذكره اولا عليه ومعنى ليسوءوا وجوهكم
ليجعلها الله او الوعد او البعث او ليجعلوها بادية اثار المساءة والكابة فيها لان اثار الاعراض النفسانية الحاصلة في القلب تما تظهر على
الوجه وليتبروا ما علوا ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه ويجوز ان يكون ما بمعنى المدة اي مادام سلطانهم جاريا على بني اسرائيل وقوله
تتبيرا ذكر المصدر ازالة للشك وتحقيقا للخبر يروى ان بني اسرائيل تعظموا وتكبروا واستحلوا المحارم وقتلوا الانبياء وسفكوا الدماء وذلك
اول الفسادين فسلط الله عليهم بخت نصر وسنحاريب جنوده او جالوت عن ابن عباس فقتلوا علماءهم واحرقوا التورية وسبوا منهم سبعين
الفا وبقوا في الذل الى ان قيض الله ملكا اخر من اهل بابل وتزوج بامرأة من بني اسرائيل وطلبت من ذلك الملك ان يرد بني اسرائيل الى بيت المقدس
ففعل وبعد مدة قامت فيهم الانبياء ورجعوا الى احسن ما كانوا عليه ثم اقدموا على قتل زكريا ويحيى ع وقصدوا قتل عيسى بن مريم ع وهذا ثاني
الافسادين فانتقم من اليهود بسبب هؤلاء ملك من الروم يقال له قسطنطين الملك وقال صاحب الكشاف المرة الاولى قتل زكريا وحبس ارميا
والاخرة قتل يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى واعلم انه لا يتعلق كثير غرض بمعرفة اعيان هؤلاء الاقوام والمقصود الاصلي الذي دل عليه القران
هو انهم كلما عصوا وافسدوا سلط الله عليهم اعداءهم وفيه تحذير للعقلاء من مخالفة اوامر الله ونواهيه ثم قال عسى ربكم يا بني اسرائيل ان يرحمكم
بعد انتقامه منكم في المرة الثانية وان عدتم للثالثة عدنا لها قال اهل السير ثم انهم قد عادوا الى فعل ما لا ينبغي وهو تكذيب محمد و
كتمان ما ورد من نعته في التورية والانجيل فعاد الله عليهم بالتعذيب على ايدي العرب فجرى على بني النضير وقريظة وبني قينقاع ويهود
خيبر ما جرى من القتل والاجلاء ثم الباقون منهم مقهورون بالجزية لا شوكة لهم ولا عزة فيهم فهم في عذاب الى يوم القيمة واما بعد ذلك
فهو قوله وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا اي محبسا حاصرا او محصورا لا يتخلصون منه ابدا وعن الحسن بساطا كما يبسط الحصير المنسوج
ثم لما شرح فعله في حق عباده المخلصين كمحمد صلعم وموسى ع وفي عبيده العاصين كاكثر بني اسرائيل وكان في ذلك تنبيه على ان طاعة الله توجب
كل خير وكرامة ومعصيته تقتضي كل شر وغرامة عظم شان القران المبين للاحكام الهادي للانام فقال ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم للحالة
او الشريعة او الطريقة التي هي اقوم وفي حذف الموصوف فخامة يعرفها اهل البلاغة لعموم الاعتبار وذهاب الوهم كل مذهب قيل هذا
الشيء اقوم من ذلك انما يصح في شيئين يشتركان في معنى الاستقامة ثم يكون للاول فضل على الاخر وكيف يتصور في غير هذا الدين
شيء من الاستقامة حتى يستقيم التفضيل واجيب بان افعل ههنا بمعنى الفاعل كقولنا الله اكبر اي هو الكبير وكقولهم الناقص والاشج اعدلا
بني مروان اي عادلا بني مروان ويمكن ان يقال لا شيء من الاديان الا وفيه نوع من الاستقامة كالاعتراف بالله الواجب بالذات والالتزام
باصول الاخلاق ومكارم العادات وقوانين السياسات الا ان بعض الخلل ابطل الكل فالكل منهدم بانهدام الجزء ثم ان كون القران
هاديا الى الاعتقاد الاصوب والعمل الاصلح نتيجته واثره وذلك هو البشارة بالاجر الكبير لاهل الايمان والعمل الصالح وبالعذاب الاليم لغيرهم وانبأ
خبر بان لفظ البشارة بمعنى الانذار يستعمل للتهكم اذ البشارة مطلق الخبر المغير للبشرة فكانه قيل وان الذين لا يؤمنون بالاخرة ان لهم
عذابا ويجوز ان يبشر المؤمنين ببشارتين احدهما بثوابهم والاخرى بعذاب اعدائهم قال في الكشاف كيف ذكر المؤمنين الابرار والكفار
ولم يذكر الفسقة واجاب على اصول الاعتزال بان الناس كانوا اما من اهل التقوى واما من اهل الشرك وانما حدث اصحاب المنزلة بين المنزلتين
بعد ذلك قلت هذا الجواب عجيب فان هذا الصنف لو سلم انه لم يكن موجودا في ذلك العصر الا ان حكمه يجب ان يذكر في القران الذي
فيه اصول الاحكام على ان ذكر الفساق من الامة في القران المكي والمدني موجود قال فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم واذا كان ذكرهم في القران وارد وانه تعالى بعد ههنا اوصاف
القران على جهة المدح فاي مقام ادعى الى ذكر هذا الوصف من ههنا والجواب الحق ان كانوا يكرون الفسقة جعلوا تابعين اهل الايمان
والله اعلم قيل هذه الاية واردة في شرح احوال اليهود وهم ما كانوا ينكرون الايمان بالاخرة والجواب المنع من الخصوص ولو سلم فانهم بالاخرة
كلا ايمان فبعضهم انكروا المعاد الجسماني وبعضهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما واعلم انه سبحانه قال ههنا اجرا كبيرا وفي اول الكهف
اجرا حسنا رعاية للفاصلة ولان الاجر الكبير والاجر الحسن كلاهما الجنة ولما بين ان القران كافي الهداية ذكر ان الانسان قد يعدل
عن التمسك باحكامه فقال ويدع الانسان اي جنس الكافر وقد ذكر جمع من المفسرين انه النضر بن الحرث دعا اللهم ان كان هذا هو

الحق

الحق فاضرب عنقه فاجاب الله دعاءه وضربت رقبته صبرا وكان بعضهم يقول ائتنا بعذاب الله وآخرون متى هذا الوعد جهلا منهم و
لاعتقاد ان محمدا صلى الله عليه وسلم كاذب وقيل المراد انه يدعو الله عند غضبه وضجره فيلعن نفسه وولده وماله ولو استجيب له في الشر لهلك ويروى انه صلى الله عليه وسلم
دفع الى سودة بنت زمعة اسيرا فاقبل يئن بالليل فقالت له ما لك تئن فشكا الم القد فارخت من كتافه فلما نامت اخرج يده وهرب فلما
اصبح النبي صلى الله عليه وسلم دعا به فاعلم بشأنه فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الاجابة وان يقطع الله يديها فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني سألت
الله ان يجعل لعنتي ودعائي على من لا يستحق من اهلي رحمة لاني بشر اغضب كما يغضب البشر فلترد سودة يديها وكان الانسان عجولا يستعجل
بالعذاب مع انه آتيه او يتسرع الى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله يعتقد ان خيره فيه وان كان ذلك عند التأمل مضرا له وقيل
اراد بهذا الانسان آدم وذلك انه لما انتهى الروح الى سرته نظر الى جسده فاعجبه ما رأى فذهب لينهض فلم يقدر وليس هذا القول بالحقيقة
مغايرا للاول لان اصل الآدمي اذا كان كذلك كان كل فرد منه متصفا به لا محالة قال اهل النظم لما ذكر نعمة الدين وهو القرآن اردفها
بنعمة الدنيا فقال وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ وفيه ان القرآن لا يتم المقصود منه الا بنوعيه المحكم والمتشابه فكذا الزمان لا يكمل الانتفاع
به الا بجزئيه الليل والنهار فالمحكم كالنهار في وضوحه والمتشابه كالليل في خفائه وبوجه آخر لما ذكر دلائل النبوة والتوحيد اكدها بدليل
آخر من عجائب الزمان وبوجه آخر لما وصف الانسان بكونه عجولا اي منتقلا من حالة الى حالة ومن صفة الى صفة بين ان كل احوال هذا العالم
كذلك فينتقل الهواء من الانارة الى الظلام وبالعكس وينتقل القمر من النقصان الى الامتلاء وبالضد فمحونا آية الليل هي من اضافة الشيء الى
نفسه للبيان كقولك نفس الشيء وذاته اي فمحونا الآية التي هي الليل اي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسا مظلما لا يستبان فيه شيء كما لا يستبان
ما في اللوح الممحو وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة ذات ابصار وذلك باعتبار من فيها اي يبصرون فيها الاشياء ويستبان او اريد بالابصار الاضاءة
لانها سببه وقيل المضاف محذوف والتقدير وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل التي هي القمر حيث لم يخلق له شعاع كشعاع
الشمس ترى به الاشياء رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ لتتوصلوا ببياض النهار او
بشعاع الشمس المستلزم للنهار الى التصرف في وجوه معاشكم ولتعلموا باختلاف الجديدين او بزيادة ضوء القمر ونقصانه عدد السنين الشمسية
او القمرية المركبة من الشهور ولتعلموا جنس الحساب المبني على الساعات والايام والشهور والسنين والادوار وقيل اراد بمحو القمر الكلف الذي في
وجهه وسببه في الشرع ما روي ان الشمس والقمر كانا سواء في النور والضوء فارسل الله تعالى جبرئيل فامر جناحه على وجه القمر فاذهب عنه الضوء
وسببه عند الفلاسفة انه ارتكز في وجه القمر اجسام قليلة الضوء كارتكاز الكواكب في اجرام الافلاك ولما كانت تلك الاجرام اقل ضوءا من جرم القمر
لا جرم شوهدت تلك الاجرام في وجه القمر كالكلف في وجه الانسان ونحن قد ذكرنا له وجها آخر في الهيئة قال اهل التجارب ان اختلاف احوال القمر في مقادير
النور له اثر عظيم في احوال هذا العالم ومصالحه لا سيما في احوال البحار والبحارين على ما يذكره الاطباء الا ان الكلف ليس له مدخل في ابتغاء فضل
الله وفي معرفة الحساب بالتفصيل نعم لو قيل ان الكلف نقص من نور القمر حتى لم يقو على ازالة ظلام الليل بالكلية فيبقى وقت السكون والراحة بحاله
ووقت التردد في طلب المعاش بحاله وصار تعاقب الليل والنهار سببا لمعرفة الايام وما يتركب منها كان متجها ثم قال وَكُلَّ شَيْءٍ مما تفتقرون اليه في دينكم
ودنياكم فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا بيناه بيانا غير ملتبس حتى انزاحت العلل وزالت الاعذار فلا يهلك من يهلك الا عن بينة فلذلك قال وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ
طَائِرَهُ اي عمله فِي عُنُقِهِ وبوجه آخر لما شرح احوال الشمس والقمر والنهار والليل لابتغاء المعاش وللدعة والحرز ومعرفة المواقيت كان الغرض الاصلي من
الكل هو الاشتغال بخدمة المعبود وتهذيب الافعال واصلاح الاقوال وكان الانسان مؤاخذا في عرصة القيمة باقواله وافعاله وسائر احواله
ليظهر انه هل اتى بما هو المقصود من خلقه ام لا قال اكثر اهل اللغة ان العرب اذا ارادوا الاقدام على عمل من الاعمال اعتبروا احوال الطائر انه يطير
بنفسه او يحتاج الى ازعاجه واذا طار فهل يطير متيامنا او متياسرا او صاعدا في الجو الى غير ذلك من الاحوال التي كانوا يعتبرونها ويستدلون بكل
واحد منها على ما يسوقهم علمهم اليه من خير او شر فاطلاق الطائر على العمل تسمية للشيء باسم لازمه وقال ابو عبيدة الطائر عند العرب الحظ
يقول له البخت فالطائر ما وقع للشخص في الازل مما هو نصيبه من العقل والعلم والعمر والرزق والسعادة والشقاوة كأنه طائر يطير اليه من وكر الازل
وظلمات عالم الغيب طيرانا لا نهاية له ولا غاية الا ان انتهى الى ذلك الشخص في وقته المقدر من غير خلاص ولا مناص وفي هذا دليل على انه لا يظهر
في الابد الا ما حكم الله به في الازل والكفاية الابدية لا تتم الا بالعناية الازلية وانه سبحانه اكد هذا المعنى باضافة الالزام الى نفسه ثم بقوله في
عنقه يعني جعلت هذا الامر في عنقك المقلد تكره والزمتك الاحتفاظ فان كان خيرا زينه كان كالطوق وان كان شرا شينه كان كالغل ومن امثال
العرب تقلدها طوق الحمامة ونخرج من قرأ بالنون فظاهر وقوله يلقيه منشورا صفتان للكتاب ويلقاه صفة ومنشورا حال من مفعول يلقاه ومن
قرأ بالمجهول او لازما فالضمير للطائر وكتابا حال منه يقول لقيت الشيء ولقانيه غيري عن الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة وطويت فاذا
مت ثم اذا بعثت قلدتها في عنقك اقْرَأْ كِتَابَكَ على اضمار القول قال قتادة يقرأ في ذلك اليوم من لم يكن قارئا وبنفسك فاعل كفى و
حسيبا تمييز بمعنى حاسب انه كثير من فعيل بالضم كضريب بمعنى ضارب وكذا من فعل بالفتح غريب منه ما قال سيبويه ضريب القداح بمعنى ضاربها
وصريم بمعنى صارم وعلى متعلق بحسيب فقولك حسب عليه كذا ويجوز ان يكون الحسيب بمعنى الكافي ثم وضع موضع الشهيد نعدى بعلى لان

الشاهد

الشاهد يكفي المدعي ما اهمه وذكر حسيبا بمعنى رجلا حسيبا لانه بمنزلة الشهيد والقاضي والغالب ان الشهادة يتولاها الرجال كالقضاء والامارة
والنفس مؤولة بالشخص او حملا لفعيل بمعنى فاعل على فعيل بمعنى مفعول ككفيل ويجوز ان يكون الحسيب بمعنى المحاسب قال الحسن عدل والله في حقك
من جعلك حسيب نفسك وقال السدي يقول الكافر يومئذ انك قضيت انك لست بظلام للعبيد فاجعلني احاسب نفسي فيقال له
اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا وروي ان المؤمن يؤتى يوم القيامة صحيفته وحسناته في ظهرها يغبطه الناس عليها وسيئاته في
جوف صحيفته وهو يقرأها حتى اذا ظن انها قد اوبقته قال الله تعالى له قد غفرتها لك فيما بيني وبينك فيعظم سروره ويصير من الذين
قال الله في حقهم وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ قال الحكيم التكرار يوجب تقرير الآثار فكل عمل يصدر من الانسان خيرا او شرا
فانه يحصل منه في جوهر روحه اثر مخصوص الا ان ذلك الاثر يخفى ما دام الروح متعلقا بالبدن مشتغلا بواردات الحواس والقوى فاذا انقطعت علاقته
عن البدن قامت قيامته لان النفس كأنها كانت ساكنة مستقرة في الجسد وعند ذلك قامت وتوجهت نحو الصعود الى العالم العلوي وزال
الغطاء وينكشف الاحوال ويظهر على لوح النفس نقش كل شيء عمله في مدة عمره وهذا معنى الكتابة والقراءة بحسب العقل وانه لا ينافي ما ورد في النقل
ثم بين ان ثواب العمل الصالح وعقاب ضده مختص بفاعله لا يتعدى منه الى غيره فقال مَنِ اهْتَدَى الى قوله وِزْرَ أُخْرَى قال الجبائي هذا دال
على ان الاطفال لا يعذبون بكفر آبائهم وان الوزر والاثم ليس من فعل الله والا لم يؤاخذ العبد به كما لا يؤاخذ بوزر غيره بل كان يجب الا
وزر اصلا لان الصبي لا يوصف بالوزر لانه غير مختار وجواب الاشاعرة ان الوزر مختص بافعال المكلفين من الثقلين وقد تمسكت عائشة
بذلك في صحة ما رواه ابن عمر ان الميت ليعذب ببكاء اهله واستدل به جماعة من الفقهاء في الامتناع من ضرب الدية على العاقلة ويمكن
ان يجاب بانه عام خص الا وقد خص اما قوله وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا فقد استدل به الاشاعرة في ان وجوب شكر المنعم لا
يثبت بالعقل بل بالسمع لان الوجوب لا يتقرر ماهيته الا بترتب العقاب على الترك ولا عقاب قبل الشرع بحكم هذه الآية اجاب الخصم
بانه لو لم يثبت الوجوب العقلي لم يثبت الوجوب الشرعي لان النبي اذا جاء وادعى المعجزة فهل يجب على المستمع قبول قوله والتأمل في معجزته او لا
يجب والثاني باطل بالاتفاق وعلى الاول ان وجب بالعقل فهو المدعى وان وجب بالشرع فذلك الشارع ان كان ذلك النبي لزم
اثبات الشيء بنفسه وان كان غيره دار او تسلسل وبوجه آخر اذا اوجب النبي بعض الافعال وحرم بعضها فلا معنى لذلك الا ترتب العقاب
على الترك والفعل ثم انه يجب على المكلف ان يحترز عن العقاب ولا يجب لا سبيل الى الثاني بالاتفاق وعلى الاول يلزم الوجوب العقلي
والا لزم الدور او التسلسل ثم ان مذهب اهل السنة جواز العفو عن عقاب الكبيرة فماهية الوجوب حاصلة مع عدم العقاب بل لا
ذم مع جواز العفو فلم يبق الا ان ماهية الواجب انما تتقرر بسبب حصول الخوف من العقاب ولا يكون هذا الخوف الا بمحض العقل فثبت ان
الوجوب العقلي لا يمكن دفعه فاما ان تجري الآية على ظاهرها ويبقى العقل هو رسول الله الى الخلق بل هو الرسول الذي لولاه لما تقررت رسالة
احد من الرسل ومجيء الانبياء كالتنبيه على النظر كالايقاظ من رقدة الغفلة والجهالة وان كانت لازمة لهم قبل بعثة الرسل الا انها بعد البعثة
الزم واما ان يخصص عموم الآية فيقال المراد وما كنا معذبين في الاعمال التي لا سبيل الى معرفة وجوبها الا بالشرع الا بعد مجيء الشرع ومما
ارتضاه الامام فخر الدين الرازي ان مجرد العقل سبب في انه يجب علينا فعل ما ينتفع به وترك ما يستضر به اما مجرد العقل لا يدل على انه يجب على
الله شيء وذلك انا مجبولون على طلب النفع والاحتراز عن الضرر والله تعالى منزه عن ذلك ولقائل ان يقول انه سبحانه منزه عن الانتفاع
والاستضرار الا انه حكيم جواد فلا يقبح من الحكيم الجواد ترك ما ينتفع به غيره وفعل ما يستضر به واذا قبح منه ذلك حسن منه ضده والحكيم
لا يترك الاحسن قصدا وزوال الاحسن منه البتة هو الذي نسميه وجوبا كما وصف به نفسه في قوله كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا و
لكم من آية في القرآن دالة على ان الفعل قد يصدر منه جدا وذا لا يحتمل النقيض من ذلك قوله وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ل
لمفسرين في معنى امرنا قولان الاول ان المراد به الامر الذي هو نقيض النهي وعلى هذا اختلفوا في المأمور به فالاكثرون على انه الطاعة والخير
وقال في الكشاف معناه واذا دنا وقت هلاك قوم ولم يبق من زمان امهالهم الا قليل امرناهم بالفسق ففسقوا ولما كان من اصول الاعتزال
انه تعالى لا يأمر بالفحشاء ذكر ان الامر بالفسق ههنا مجاز ووجهه انه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة الى المعاصي واتباع الشهوات
فكان ايتاء النعمة سببا لايثارهم الفسوق على الائتمار فكأنهم مأمورون بذلك انه جعل تقدير امرناهم بالطاعة ففسقوا من قبيل التكاليف
بعلم الغيب ولم يجوز ان تكون من قبيل امرته فعصاني فانه يفهم منه ان المأمور به طاعته ولكنه حكم بانه مثل امرته فقام وامرته فقرأ فانه لا يفهم
منه الا ان المأمور به قيام او قراءة ولقائل ان يقول كما ان قوله امرته فعصاني يدل على ان المأمور به شيء غير المعصية لمنافيته للامر ومناقضته
له فكذلك قوله امرته ففسق يدل على ان المأمور به شيء غير الفسق لان الفسق عبارة عن الاتيان بضد المأمور به فكونه فسقا
ينافي كونه مأمورا به كما ان كونه معصية ينافي كونها مأمورا بها وهذا ظاهر فلا ادري لم اصر جار الله على قوله مع ضعفه ومخالفته لاصله
القول الثاني ان معنى امرنا مترفيها اكثرنا فساقها قال الواحدي تقول العرب امر القوم اذا كثروا وامرهم الله اذا كثرهم وآمرهم ايضا بالمد
واحتج ابو عبيدة على صحة هذه اللغة بقوله صلى الله عليه وسلم خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة فالسكة النخل المصطفة والمهرة المأمورة النتاج و

حمل بعضهم الحديث على الامر ضد النهى اى قال الله لها كونى كثيرة النسل فكانت وروى ان رجلا من المشركين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى
ارى امرك هذا حقيرا فقال صلى الله عليه وسلم انه سيأتى اى سيكثر وسيكبر والمترف فى اللغة المتنعم الذى قد ابطرته النعمة وسعة العيش ففسقوا فيها اى خرجوا عما
امرهم الله فحق عليها القول استوجبت العذاب فدمرناها تدميرا اهلكناها على سبيل الاستيصال قالت الاشاعرة ظاهر الاية يدل على
انه تعالى اهلكهم ابتداء ثم توسل الى اهلاكهم بهذا الطريق ويؤيده قوله فحق عليها القول اى بالكفر ثم التعذيب قال الكعبى ان سائر
الايات دلت على انه تعالى لا يبتدى بالتعذيب كقوله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وقوله ما يفعل الله بعذابكم ان
شكرتم وآمنتم فتلك الايات محكمة وهذه من المتشابهات فيجب حمل هذه على تلك قال فى التفسير الكبير احسن الناس كلاما فى تاويل
هذه الاية القفال فانه ذكر وجهين الاول اخبر الله انه لا يعذب احدا بما علمه حتى علم من علم انه عصى بل يأمره حتى يظهر عصيانه للناس ح
بعاقبته ومعنى الاية واذا اردنا اهلاك قوم بسبب ظهور العصيان منهم لم نعاجلهم بالعذاب فى اول ظهور المعصية منهم بل امرنا مترفيها بالرجوع
عن تلك المعاصى وخص المترفين بذلك لان نعم الله عليهم اكثر فكان الشكر عليهم اوجب فاذا لم يرجعوا واصروا صب عليهم البلاء صبا وزعم
الجبائى ان المراد بالارادة الدنو والمشارفة كقولك اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدة واذا اراد التاجر ان يفتقر اتاه الخسران من كل
جهة ليس المعنى ان المريض يريد ان يموت والتاجر يريد ان يفتقر وانما عنيت انه سيصير الى ذلك فمعنى الاية واذا قرب وقت اهلاك قرية وقد
نقلنا مثله عن صاحب الكشاف ولا يخفى انه عدول عن الظاهر ثم ذكر ان عادته تعالى هكذا جارية مع القرون الخالية فقال وكم اهلكنا فكم مفعول اهلكنا
ومن القرون بيان لكم وتمييز له اراد بهم عادا وثمود ونحوهما ثم خاطب رسوله بما هو ردع للناس كافة فقال وكفى بربك الاية قال الفراء انما
يجوز ادخال الباء فى المرفوع اذا كان يمدح به صاحبه او يذم كقولك كفاك به واكرم به رجلا وطاب بطعامك طعاما ولا يقال قام باخيك و
تريد قام اخوك وفى الاية بشارة عظيمة لاهل الطاعة وانذار شديد لغيرهم لان العلم التام مع القدرة الكاملة والحكمة الشاملة يقتضى ايصال الجزاء
الى كل احد بقدر استحقاقه ثم اكد المعانى المذكورة من قوله وكل انسان الزمناه طائره ومن قوله من اهتدى فانما يهتدى لنفسه بقوله من كان
يريد العاجلة اى المنفعة او الدار العاجلة عجلنا له فيها ثم قيد المعجل بقيدين احدهما قوله ما نشاء ولهذا ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون ما
يتمنون ولا يعطون الا بعضا منه وثانيهما قوله لمن نريد وهو بدل من له بدل البعض من الكل لان الضمير يرجع الى من وهو للعموم ولهذا ترى
كثيرا منهم يتمنون البعض اليسير من الدنيا ولا يؤتون فيجتمع عليهم فقر الدنيا وحرمان الاخرة بل عذابها لقوله ثم جعلنا له جهنم يصليها
مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله ومن اراد الاخرة بان يعقد بها همته ويتجافى عن دار الغرور وسعى لها سعيها اى حق السعى لاجلها و ذلك
ان يكون العمل الذى يتوسل به الى الفوز بثواب الاخرة من جملة القرب والطاعات وعلى قوانين الشرع والعقل لا البدعة والهوى وهو مؤمن
لان شيئا من صور الاعمال الصالحة لا يوجب الثواب الا بعد تقديم الايمان فاولئك كان سعيهم مشكورا قال العلماء الشكر عبارة عن مجموع
امور ثلاثة اعتقاد كونه محسنا فى تلك الاعمال والثناء عليه بالقول والاتيان بافعال تدل على كونه معظما عند ذلك الشاكر والله سبحانه
تعالى يعامل المطيعين بهذه الامور الثلاثة لانه يعلم كونهم محسنين فى تلك الاعمال وانه يثنى عليهم بكلامه ويعاملهم المعاملات الدالة على كونهم
مطيعين عند الله وفى قوله من كان يريد العاجلة دون ان يقول من اراد العاجلة كما قال ومن اراد الاخرة اشارة الى ان مريد نفع الدنيا لا يكون
مذموما الا اذا كان غالبا فى ذلك ثابت القدم فسيح الامل ومريد الاخرة يكون محمودا بادنى التفاته بعد وجود الشروط قالت الاشاعرة ان
مجموع القدرة مع الداعى هو الموجب للفعل ونحن نشكر الله على الايمان لانه اعطى القدرة والداعية ولكنه حين حصل الايمان للعبد واستتبع السعادات
الباقية صار العبد ايضا مشكورا ولا منافاة بين الامرين وقالت المعتزلة نحن لا نشكر الله على الايمان لان المدح على عمل لم يعمله المدوح قبيح قال تعالى و
يحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا ولكنا نشكره على ما اعطانا من القدرة والعقل وانزل الكتب واوضح الدلائل واعلم انه تعالى ذكر صنفين من الناس قاصد
خيرات الدنيا وقاصد خيرات الاخرة وههنا ثلاثة اقسام اخر الاول ان يكون طلب الاخرة فى عمله راجحا فقيل انه غير مقبول ايضا لما روى ان
النبى صلى الله عليه وسلم قال حكاية عن رب العزة انا اغنى الاغنياء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه غيرى تركته وشركه وقيل يعارض المثل بالمثل ويبقى القدر الزائد
داعية خالصة لطلب الاخرة فيقع فى حيز القبول الثانى ان يكون طلب الدنيا وطلب الاخرة متعادلين الثالث ان يكون طلب الدنيا راجحا
واتفقوا على ان هذين القسمين ايضا لا يقبلان الا انهما على كل حال خير من الرياء المحض ثم بين كمال رأفته وشمول رحمته فقال كلا اى كل واحد من
الفريقين نمد اى نزيدهم من عطائنا على تلاحق من غير انقطاع بالمعصية وقوله هؤلاء بدل من كل ومن عطاء ربك متعلق بنمد وما كان عطاء
ربك محظورا ممنوعا من المكلف بسبب عصيانه انظر يا محمد او يا من له اهلية النظر والاعتبار الى عطائنا المباح للفريقين فى الدنيا كيف فضلنا بعضهم
على بعض فاوصلناه الى مومن وقبضناه عن مومن آخر واوصلناه الى كافر وقبضناه عن كافر آخر ليكون بعضهم بعضا سخريا وللاخرة اكبر درجات
واكبر تفضيلا لان نسبة التفاضل فى درجات الاخرة الى التفاضل فى درجات الدنيا كنسبة الاخرة الى الدنيا وقيل المراد ان المؤمنين يدخلون
الجنة والكافرين يدخلون النار فيظهر فضيلة المؤمنين على الكافرين وعن بعضهم ايها المباهى بالرفع منك فى مجالس الدنيا اما ترغب فى المباهاة بالرفع فى مجالس الاخرة وهى
الكبر وافضل التاويل نزه نفسه بقوله سبحان عن الاتخاذ الكلى ولكن اخبر عن مقام وصول حبيبه فقوله اسرى اشارة الى الجذبة الخفية عن الاغيار

وقوله

٤٢٨

ونوله بعبده اشارة الى مقام تتحقق نسبة العبد بها التى هى اخر مقامات السالكين وقوله ليلا رمز الى ذلك الجذب كان يكون خفيا عن الجذب اذا
كان ذاهلا عن انانيته وقوله من المسجد الحرام هو مقام يحرم فيه الالتفات الى ما سوى الله الى المسجد الاقصى هو مقام الفناء فى الله الذى باركنا
حوله بالبقاء بالله لنريه من آياتنا التى لم تسمع اذن ولا ابصرت عين انه هو السميع البصير فلا يصل احد اليه الا اذا اسمع به وابصر به هذا ما خطر بال
الضعيف فى تاويل هذه الاية فان كان صوابا فمن فضل الله وعطائه وان لا فمنى ومن الشيطان فجاسوا خلال الديار الجسدية بالقتل وفك
التركيب وخلال الديار المعنوية حين استولت الصفات الذميمة على الخصال الحميدة لتخريب بيت مقدس القلب ثم رددنا لكم الكرة عليهم
باستيلاء داود القلب وقتل جالوت النفس وامددناكم باموال الطاعات وبنين الايمان والايقان فاذا جاء وعد الاخرة حين ارتدوا عن الطريقة
ليسوءوا وجوه قلوبكم بحجب سوء اعمالكم وان عدتم الى الجهل عدنا الى الفضل وان عدتم الى الندم عدنا الى الكرم وان عدتم الى العبودية عدنا الى
الربوبية وان عدتم الى التقربات عدنا الى الجذبات وجعلنا ليل البشرية ونهار الروحانية فمحونا آية الليل وهى قمر القلب فيه نور العقل
حين تطلع شمس شهود الحق وهى آية النهار فاذا طلع الصباح استغنى عن المصباح لتبتغوا فضلا من ربكم وهو تجلى ذاته وصفاته وقد اختص الانسان
به من بين المخلوقات ولتعلموا ايام الطلب وحساب الترقى من مقام الى مقام وكل شىء يحتاج اليه السالك بيناه بالاشارات من كان يريد العاجلة
انقلب الانسان بين اصبعى قهر الرحمن ولطفه وبحسب ذلك يحول وجهه الى الدنيا حتى يؤول امره الى دركات لعله يتحول الى الاخرة حتى يصل الى درجات الوصال الله
المستعان على ما تصفون
لَا تَجْعَلْ مَعَ اللّٰهِ اِلٰهًا اٰخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوْمًا مَّخْذُوْلًا ۝ وَقَضٰى رَبُّكَ اَلَّا تَعْبُدُوْٓا اِلَّآ اِيَّاهُ ع
وَبِالْوَالِدَيْنِ اِحْسَانًا ۚ اِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ اَحَدُهُمَآ اَوْ كِلٰهُمَا فَلَا تَقُلْ لَّهُمَآ اُفٍّ وَّلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيْمًا
وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيٰنِيْ صَغِيْرًا ۝ رَبُّكُمْ اَعْلَمُ بِمَا فِيْ نُفُوْسِكُمْ ۚ اِنْ تَكُوْنُوْا صٰلِحِيْنَ
فَاِنَّهٗ كَانَ لِلْاَوَّابِيْنَ غَفُوْرًا ۝ وَاٰتِ ذَا الْقُرْبٰى حَقَّهٗ وَالْمِسْكِيْنَ وَابْنَ السَّبِيْلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيْرًا ۝ اِنَّ الْمُبَذِّرِيْنَ
كَانُوْٓا اِخْوَانَ الشَّيٰطِيْنِ ۚ وَكَانَ الشَّيْطٰنُ لِرَبِّهٖ كَفُوْرًا ۝ وَاِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَّبِّكَ تَرْجُوْهَا
فَقُلْ لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُوْرًا ۝ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُوْلَةً اِلٰى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوْمًا مَّحْسُوْرًا
اِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَّشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ اِنَّهٗ كَانَ بِعِبَادِهٖ خَبِيْرًا بَصِيْرًا ۝ وَلَا تَقْتُلُوْٓا اَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ
اِمْلَاقٍ ۚ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَاِيَّاكُمْ ۚ اِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْاً كَبِيْرًا ۝ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنٰٓى اِنَّهٗ كَانَ فَاحِشَةً ۚ وَسَآءَ سَبِيْلًا
وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِيْ حَرَّمَ اللّٰهُ اِلَّا بِالْحَقِّ ۚ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوْمًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهٖ سُلْطٰنًا فَلَا يُسْرِفْ
فِّي الْقَتْلِ ۚ اِنَّهٗ كَانَ مَنْصُوْرًا ۝ وَلَا تَقْرَبُوْا مَالَ الْيَتِيْمِ اِلَّا بِالَّتِيْ هِيَ اَحْسَنُ حَتّٰى يَبْلُغَ اَشُدَّهٗ ۚ وَاَوْفُوْا
بِالْعَهْدِ ۚ اِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔوْلًا ۝ وَاَوْفُوا الْكَيْلَ اِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوْا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيْمِ ۚ ذٰلِكَ خَيْرٌ وَّ
اَحْسَنُ تَاْوِيْلًا ۝ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهٖ عِلْمٌ ۚ اِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ اُولٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ
مَسْـُٔوْلًا ۝ وَلَا تَمْشِ فِي الْاَرْضِ مَرَحًا ۚ اِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْاَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُوْلًا ۝ كُلُّ ذٰلِكَ كَانَ
سَيِّئُهٗ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوْهًا ۝ ذٰلِكَ مِمَّآ اَوْحٰٓى اِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللّٰهِ اِلٰهًا اٰخَرَ فَتُلْقٰى

فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا القراءة

در دوزخ ملامت کرده شده رانده شده آیا برگزیده کرد شما را پروردگار شما بپسران و گرفت از فرشتگان دختران بدرستیکه شما هر اینه میگوئید سخن بزرگ

يبلغان مثنى حمزة وعلي وخلف اف بالجر والتنوين ابو جعفر ونافع وحفص لكم بالفتح ابن كثير وابن عامر وسهل ويعقوب غير مجاهد خطأ والمفضل والباقون بالكسر تبسطها كل البسط مثل بسطه خطأ بفتحتين من غير مد يزيد وابن ذكوان غير ابن مجاهد خطاء بالفتح ثم السكون ابن مجاهد عن ابن ذكوان خطاء بالكسر والمد ابن كثير الباقون بالكسر ثم السكون فلا تسرف على الخطاب حمزة وعلي وخلف ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان بالقسطاس بكسر القاف حيث كان حمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد والمفضل وقرأ ابو نشيط والشموني غير النقار بالصاد سيئة على الاضافة سيئه الى ضمير كل حمزة وعلي وخلف وعاصم وابن عامر وسهل الآخرون سيئة على انها نعت الوقوف مخذولا ه احسانا ط كريما ه صغيرا ه في نفوسكم ط غفورا ه تبذيرا ه الشياطين ط كفورا ه ميسورا ه محسورا ه ويقدر ط بصيرا ه املاق ط واياكم ط كبيرا ه فاحشة ط سبيلا ه الا بالحق ط الا ان الشرط في مرقد يقع نادرا خارجا عن النهي في القتل ط منصورا ه اشده ص بالعهد ج لعلي تقدير فان مسئولا ه المستقيم ط تاويلا ه به علم ط مسئولا ه مرحا ج لاحتمال اضمار الفاء او اللام طولا ه مكروها ه الحكمة ط مدحورا ه اناثا ط عظيما ه التفسير لما اجمل اعمال البر في قوله وسعى لها سعيها وهو مؤمن اخذ في تفصيل ~~اخذ في تفصيل~~ ذلك مبتدأ باشرفها الذي هو التوحيد فقال لا تجعل مع الله الها آخر والخطاب للنبي ص في الظاهر ولكن في الحقيقة عام للمكلفين ويحتمل ان يقال ان الخطاب للانسان كأنه قيل يا ايها الانسان لا تجعل او القول مضمر اي قل لكل مكلف لا تجعل ومما يؤيد ذلك قوله وقضى ربك فان ذلك الخطاب لا يليق بالنبي ص لان ابويه ما بلغا الكبر عنده وانتصب قوله فتقعد على انه جواب للنهي والفاء في التحقيق عاطفة والتقدير لا يكن منك جعل فقعود وفيه وجوه منها ان المراد به المكث يقول ما يصنع فلان فيقول هو قاعد باسوء حال اي ماكث سواء كان قائما او جالسا ومنها ان من شان المذموم المخذول ان يقعد نادما متفكرا على ما فرط منه فالقعود على هذا حقيقة ومنها انه كناية عن عدم القدرة على تحصيل الخيرات فان السعي فيها انما يتأتى بالقيام والعجز عنه يلزمه ان يبقى قاعدا عن الطلب ومنها انه بمعنى الصيرورة من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة بمعنى صارت ولا ريب ان المشرك جامع على نفسه الذم والخذلان لانه لا يشكر بل يضيف بعض النعم الحاصلة له من الله الى غيره فيستوجب الذم بالكفران ويستحق الخذلان من حيث انه لما فوض امره الى الشريك المعدوم او العاجز الناقص بقي بلا ناصر ومعين وايضا الكمال في الوحدة والنقصان في الكثرة فمن اثبت الشريك وقع في جانب النقصان فيورثه الذم والخذلان ولما ذكر ما هو الركن الاعظم في الايمان اتبعه سائر الشعائر والشرائع فقال وقضى ربك اي امر امرا جزما وحكم حكما قطعا ان لا تعبدوا اي بان لا تعبدوا فان ناصبة ويجوز ان يكون مفسرة ولا تعبدوا نهي معناه اي لا تعبدوا وقد روى الضحاك وسعيد بن جبير وميمون بن مهران عن ابن عباس انه كان الاصل في هذه الآية ووصى ربك وبه قرأ علي وعبد الله فالتصقت الواو بالصاد فقرئ وقضى ربك ثم قال ولو كان على القضاء ما عصى الله احد قط لان خلاف قضاء الله ممتنع وضعف هذا القول بانه يوجب تجويز وقوع التحريف والتصحيف في القرآن امر بعبادة نفسه ثم اردفه بالامر ببر الوالدين وتقدير الكلام بان تحسنوا بالوالدين او واحسنوا بالوالدين احسانا ولا يجوز ان يتعلق الباء في بالوالدين بالاحسان على ما ذهب اليه الواحدي لان المصدر لا يتقدم عليه صلته وقد مر في اوائل البقرة تفسير قوله وبالوالدين احسانا وانه لم يجعل الاحسان اليهما تاليا للعبادة الله يحكى ان واحدا من المتسمين بالحكمة كان يضرب اباه ويقول هو الذي ادخلني في عالم الكون والفساد وعرضني للفقر والعمى والزمانة وقيل لابي العلاء المعري ماذا نكتب على قبرك قال اكتبوا عليه هذا جناه ابي علي وما جنيت على احد وقال في ترك التزوج والولد: وتركت فيهم نعمة العدم التي :: سبقت وصدت عن نعيم العاجل :: ولو انهم ولدوا لعانوا شدة :: ترمي بهم في موبقات الاجل :: وقيل للاسكندر استادك اعظم منة عليك ام والدك فقال الاستاد اعظم منة لانه تحمل انواع الشدائد والمحن عند تعليمي اوقعني في نور العلم فاما الوالد فانه طلب تحصيل لذة الوقاع لنفسه فاخرجني الى آفات عالم الكون والفساد ومن هنا قيل خير الآباء من علمك وقال العقلاء هب ان الوالد في اول الامر لذة الوقاع الا ان اهتمامه بايصال الخيرات الى الولد ودفع الآفات عنه من اول دخول الولد في الوجود الى وان كبره بل الى آخر عمره لا ينكر ولا يكفر ولهذا نكر احسانا اي احسنوا اليهما احسانا عظيما كاملا جزاء على فور احسانهما اليك على ان البادي بالبر لا يكافى لانه اسبق منه ثم فصل طرفا من الاحسان المأمور به فقال اما يبلغن هي ان الشرطية زيدت عليها ما الابهامية لتاكيد معنى الشرط ثم ادخلت النون المشددة لزيادة التقرير والتاكيد كانه قيل ان هذا الشرط مما سيقع البتة عادة فليكن هذا الجزاء مرتبا عليه والا فالتقرير والتاكيد ليس يليق بالشرط الذي مبناه على تردد الحكيم وقال النحويون ان الشرط النهي من حيث الجزم وعدم الثبوت فلهذا صح دخول النون المؤكدة فيه من قرأ الفعل على التوحيد فقوله احدهما او كلاهما فاعل له لكن الاول بالاستقلال والثاني بتبعية العطف ومن قرأ على التثنية فاحدهما بدل من الف الضمير الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على البدل لا تاكيد لاستلزام العطف المشاركة دون المباينة وكلا مفرد لفظا مثنى معنى والفرع واو عند الكوفيين اصله كل المفيد للاحاطة فخفف بحذف احدى اللامين وزيد الف التثنية لتعرف ان المراد الاحاطة في المثنى لا في الجمع وضعف بانه لو كان كذلك لوجب ان يبقى في الخفض والنصب مرتب بكلا او علي

بكسر

ذكوان وابن صح

التفسير

بدل منه ولا يحسن ان يكون توكيدا للضمير معطوفا على البدل صح

بكسر الهاء كقوله طرفي النهار يا صاحبي السجن قال في الكشاف معنى عندك هو ان يكبرا ويعجزا وكانا كلا على ولدهما لا كافل لهما غيره فهما عنده في بيته وكنفه وهما اسم الافعال وفي اف لغات ضم الهمزة مع الحركات في الفاء الثلاث بالتنوين وبغير تنوين واف بكسرتين بلا تنوين وافي ممالا وأف تخفيفا وافه منونة وقد تتبع المنونة تفه فيقال اف وتف وهي من اسماء الافعال وفي تفسيرها وجوه قال الفراء تقول العرب فلان يتأفف من ريح وجدها اي يقول اف اف وقال الاصمعي الاف وسخ الاذن والتف وسخ الاظفار يقال ذلك عند استقذار الشيء ثم كثر حتى استعملوه في كل ما يتأذون به وقيل معنى اف القلة من الانيف وهو الشيء القليل وتف اتباع له نحو شيطان ليطان وحيث بيث وروى ثعلب عن ابن الاعرابي ان الاف الضجر وقال القتيبي اصله انه اذا سقط عليه تراب ونحوه نفخ فيه ليزيله فالصوت الحاصل عند تلك النفخة هو قول القائل اف ثم توسعوا فذكروه عند كل مكروه يصل اليهم وقال الزجاج معناه النتن وبه فسر مجاهد الآية اي لا تتقذرهما كما كانا لا يتقذرانك حين كنت تخرى وتبول وفي رواية اخرى عن مجاهد اذا وجدت منهما رائحة تؤذيك فلا تقل لهما اف اي لا تقل تضجرت او انضجرت قال بعض الاصوليين منع التأفيف يدل على المنع من سائر انواع الاذية دلالة لفظية ومعنى الآية لا تتعرض لهما بنوع من انواع الايذاء والايحاش كما ان قولك لا يملك فلان نقيرا ولا قطميرا يدل في العرف على انه لا يملك شيئا اصلا وقال الاكثرون منهم ان الشرع اذا نص على حكم صورة وسكت عن صورة اخرى فاذا اردنا الحاق المسكوت عنها بالمنصوص عليها فاما ان يكون الحكم في محل السكوت اخفى من الحكم في محل المذكور وهو اكثر القياسات واما ان يتساويا كقوله ص من اعتق شقصا من عبد قوم عليه الباقي فان الحكم في الامة والعبد يتساويان واما ان يكون الحكم في محل السكوت اظهر وهو القياس الجلي ومثاله المنع من التأفيف فانه مغاير للمنع من الضرب عقلا لان الملك الكبير اذا اخذ ملكا اخر عدوا له فقد يقول للجلاد اياك وان تستخف به او تشافهه بكلمة موحشة لكن اضرب رقبته فهذا معقول الجملة الا ان قرينة تعظيم الوالدين صيرته من باب الاستدلال بالادنى على الاعلى فدل على المنع من جميع انواع الايذاء ثم اكد هذا المعنى بقوله ولا تنهرهما والنهر والنهي اخوان يقال نهره وانتهره اذا استقبله بكلام يزجره وقل لهما بدل التأفيف والنهر قولا كريما جميلا مشتملا على حسن الادب ورعاية دقائق المروة والحياء والاحتشام وقال عمر بن الخطاب القول الكريم ان يقول له يا ابتاه يا اماه دون ان يسميهما باسمهما وقول ابراهيم لابيه آزر بالضم على النداء تقديره لحق الله على حق الابوين قالوا ولا باس به في الغيبة كما قالت عائشة نحلني ابو بكر كذا وسئل سعيد بن المسيب عن القول الكريم فقال هو قول العبد المذنب للسيد الفظ واخفض لهما جناح الذل ذكر القفال في معنى خفض الجناح وجهين الاول ان الطائر اذا اراد ضم فرخه اليه للتربية خفض له جناحه فلهذا صار خفض الجناح كناية عن حسن التدبير فكانه قال للولد اكفل والديك بان تضمهما الى نفسك كما فعلا ذلك في حال صغرك والثاني ان الطائر اذا اراد الطيران والارتفاع نشر جناحه واذا اراد النزول خفض جناحه فصار خفض الجناح كناية عن فعل التواضع وترك الارتفاع وفي اضافة الجناح الى الذل وجهان الاول انها كاضافة حاتم الى الجود في قولك حاتم الجود فالاصل فيه الجناح الذليل او الذلول والثاني سلوك سبيل الاستعارة كانه تخيل للذل جناحا ثم اثبت لذلك الجناح خفضا كقول لبيد اذ اصبحت بيد الشمال زمامها فاثبت للشمال يدا ثم وضع زمام الريح في يد الشمال وقوله من الرحمة فيه معنى التعليل اي من اجل فرط الشفقة والعطف عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم الى من كان افقر خلق الله اليهما بالامس ولا تكتف برحمتك التي لا دوام لها ولكن وقل رب ارحمهما كما ربياني ليس المراد رحمة مثل رحمتهما علي وانما الكاف لاقتران الشيئين في الوجود كما وقع تلك فلتقع هذه والتربية التنمية ربا الشيء اذا انتفخ وزاد قال بعض المفسرين هذه الآية منسوخة بقوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين وقيل مخصوص لان التخصيص اولى من النسخ وقيل لا نسخ ولا تخصيص لان الوالدين اذا كانا كافرين فله ان يدعو الله لهما بالهداية والارشاد وان يطلب الرحمة لهما بعد حصول الايمان ثم ان ظاهر الامر للوجوب من غير تكرار فيكفي في العمر مرة واحدة رب ارحمهما وسئل سفيان كم يدعو الانسان لوالديه في كل يوم مرة او في كل شهر او في كل سنة فقال نرجو ان يجزيه اذا دعا لهما في اواخر التشهدات كما ان الله تعالى قال يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وكانوا يرون الصلاة عليه في التشهد وكما قال الله تعالى واذكروا الله في ايام معدودات فهم يذكرون في ادبار الصلوات نقل ويشبه ان يدعو لهما ايضا كلما ذكرهما او ذكر شيئا من انعامهما وسئل ايضا عن الصدقة عن الميت فقال كل ذلك واصل اليه ولا شيء انفع له من الاستغفار ولو كان شيء افضل منه لامركم به في الابوين وعن النبي ص رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما وروى سعيد بن المسيب ان البار لا يموت ميتة سوء وقال رجل لرسول الله ص ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وتريد موتهما وشكا رجل الى رسول الله ص اباه وانه ياخذ ماله فدعا به فاذا شيخ يتوكأ على عصا فسأله فقال انه كان ضعيفا وانا قوي وفقيرا وانا غني فكنت لا امنعه شيئا من مالي واليوم ~~وانا ضعيف وهو قوي وانا فقير وهو غني فكنت لا امنعه شيئا~~ انا ضعيف وهو قوي وانا فقير وهو غني ويبخل علي بماله فبكى ص وقال ما من حجر ولا مدر يسمع ذلك الا بكى ثم قال للولد انت ومالك لابيك انت ومالك لابيك وشكا اليه اخر سوء خلق امه فقال لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة اشهر قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين ارضعتك حولين قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين اسهرت لك ليلها واظمأت نهارها قال لقد جازيتها قال ما فعلت قال حججت بها على عاتقي قال ما جازيتها ولو طلقة وقال الفقهاء لا يذهب بابيه الى البيعة واذا بعث اليه منها ليحمله فعل ولا يناوله الخمر ويأخذ الاناء منه اذا شربها ثم قال سبحانه ربكم اعلم بما في نفوسكم اي بما في ضمائركم من الاخلاص وعدمه

وغير منونة صح

لا تتقذرهما كما كانا لا يتقذرانك صح

و توعد عليه بشدة و تعذر فيه عظيم ثم نبه على انه لا يجوز عنه ثم امر باصلاح اللسان والقلب فقال ولا تقف اى لا تتبع من قولهم قفوت
فلانا اى اتبعت اثره ومنه قافية الشعر لانها تقفو كل بيت والقبيلة المشهورة بالقافة لانهم يتبعون آثار اقدام الناس و يستدلون بها على
احوالهم في النسب والنهى عن ان يقول الرجل ما لا يعلم او يعمل بما لا علم له به وهذه قضية كلية ولكن المفسرين حملوها على صور مخصوصة
فقيل نهى المشركين عن تقليد اسلافهم في الالهيات والنبوات والتحليل والتحريم والمعاد كقوله ان تتبعون الا الظن وما تهوى الانفس هل
عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وعن محمد بن الحنفية المراد شهادة الزور ومثله عن ابن عباس لا تشهد الا بما رأته عيناك
وسمعته اذناك ووعاه قلبك وقيل المراد النهى عن القذف ورمى المحصنين والمحصنات بالاكاذيب كانت عادة العرب جارية بذلك يذكرونها
في الهجاء ويبالغون فيه وقال قتادة معناه لا تقل سمعت ولم تسمع ولا رأيت ولم تر ولا علمت ولم تعلم وقيل القفو هو البهت وهو في معنى الغيبة لانه قول
يقال في قفاه ومنه الحديث من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج اى يتوب وردغة الخبال بفتح الدال وسكونها
هى عصارة اهل النار من القيح والصديد احتج نفاة القياس بالآية زعما منهم ان الحكم في دين الله بالقياس حكم بغير المعلوم واجيب بان العلم قد يراد به
الظن قال تعالى فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار ولا ريب انه انما يمكن العلم بايمانهن بناء على اقرارهن وانه لا يفيد الا الظن
سلمنا لكن الظن وقع في طريقه لان الشرع قد اقام الظن مقام العلم وامر بالعمل به وزيف بانه لا دليل قاطعا على وجوب العمل بالظن الا انه
لان ذلك الدليل ليس عقليا بالاتفاق ولا نقليا لانه انما كان قطعيا لو كان منقولا نقلا متواترا وكانت دلالته على ثبوت هذا المطلب لازمة
قطعية غير محتملة للنقيض ولو حصل مثل هذا الدليل لوصل الى الكل ولم يبق خلاف ونوقض بان الدليل الذى عولتم عليه وهو هذه الآية
تمسك بعام مخصوص للاتفاق على ان العمل بالشهادة عمل بالظن وهو جائز وكذا الاجتهاد في القبلة وفي قيم المتلفات واروش الجنايات وكذا
الحكم بكون الشخص المعين كالذابح مؤمنا ليحل ذبيحته او الوارث ليحصل التوارث والميت ليدفن في مقابر المسلمين وبالحقيقة اكثر الاعمال المعتبرة
في الدنيا من الاسفار وطلب الارباح والمعاملات الى الآجال المعينة والاعتماد على صداقة الاصدقاء وعداوة الاعداء كلها مظنونة وقال ص
نحن نحكم بالظاهر والتمسك بالعام المخصوص لا يفيد الا الظن فلو دلت هذه الآية على ان التمسك بالظن غير جائز لزم ان لا يجوز التمسك بهذه
الآية وكل ما يفضي ثبوته الى نفيه يسقط الاستدلال به واجيب بانا نعلم بالتواتر الظاهر من دين محمد ص ان التمسك بآيات القرآن جائز ورد
بان كون العام المخصص حجة غير معلوم بالتواتر ثم علل النهى بقوله ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك اشارة الى الاعضاء الثلاثة وان لم
يكن نعت العقلاء كقوله والعيش بعد اولئك الايام كان عنه مسؤلا قال في الكشاف عنه في موضع الرفع بالفاعلية مثل غير المغضوب
عليهم وفيه نظر لان المسند اليه للفعل او شبهه لا يتقدم عليه والصواب ان يقال انه فاعل مسؤلا المحذوف والثاني مفسر له وكيف يسئل
عن هذه الجوارح قيل يسئل صاحبها عما استعملها فيه لانها آلات والمستعمل لها هو الروح الانساني فان استعملها في الخيرات استحق الثواب والا فالعقاب
وقيل انه تعالى ينطق الاعضاء ثم يسئلها عن افعالها ولا تمش في الارض مرحا نصب على الحال مع انه مصدر اى ذا مرح وهو شدة الفرح وفي وضع المصدر
موضع الصفة نوع من التأكيد مثل زيد ركضا وهو نهى عن مشية اهل الخيلاء والكبر انك لن تخرق الارض لن تثقبها بشدة وطأتك ولن
تبلغ الجبال طولا مصدر في موضع الحال من الفاعل او المفعول او تمييز او مفعول له او مصدر من معنى تبلغ بين ضعف الآدمى بانه في حال انخفاضه
لا يقدر على خرق الارض وحال ارتفاعه لا يقدر على الوصول الى رؤس الجبال فلا يليق به ان يتكبر و يتجبر كانه قيل له انك خلق ضعيف محصور بين حجارة
من فوقك وتراب من تحتك فلا تفعل فعل المقتدر القوى وقيل انه مثال ومعناه كما انك لن تخرق الارض في مشيتك ولن تبلغ الجبال طولا
فكذلك لا تبلغ ما اردت بكبرك وعجبك وفيه يأس للانسان من بلوغ ارادته كل ذلك كان سيئه من قرأ بالاضافة فظاهر لان المذكور من
قوله لا تجعل مع الله الها آخر بعضها حسن وهو المأمورات وبعضها سيئ وهو المنهيات فالمعنى ان ما كان من تلك الاشياء سيئا فانه مكروه عند
الله ويمكن ان يراد بسيئ تلك الخصال طرف الافراط او التفريط ومن قرأ سيئة على التأنيث فقوله ذلك كله اشارة الى المنهيات خاصة وقيل ان
الكلام قد تم عند قوله واحسن تأويلا وقوله كل ذلك اشارة الى ما نهى عنه في قوله ولا تقف ولا تمش وانما قال سيئه على التذكير مع قوله مكروها
صلى الله كبيرا لانه جعل السيئة في معنى الذنب والاثم قالت المعتزلة الكراهة نقيض الارادة ففي الآية دلالة على ان المنهيات لا تكون مرادة لله
تعالى لانها مكروهة عنده واذا لم تكن مرادة له لم تكن مخلوقة له لان الخالق بدون الارادة محال اجاب الاشاعرة بان المراد من كراهتها كونها
منهيا عنها وتمت بما تقدم ولو فيه الظاهر مع لزوم التكرار لان كونها سيئة يدل على كونها منهية واجيب بانه لا بأس بالتكرار لاجل التأكيد ذلك
الذى ذكر من قوله لا تجعل الى هذه الغاية وهى نيف الى خمسة وعشرين تكليفا مما اوحى اليك ربك من الحكمة سمى حكمة لانه كلام محكم لا مدخل فيه
للفساد بوجه وعن ابن عباس انها كانت في الواح موسى ع وباصطلاح الحكماء ان الحكمة عبارة عن معرفة الحق لذاته والخير لاجل العمل به لا ريب
ان الامر بالتوحيد راس الحكمة النظرية وسائر التكاليف مشتملة على اصول مكارم الاخلاق وهى الحكمة العملية ولقد جعل الله سبحانه فاتحة هذه
التكاليف النهى عن الشرك وكذا خاتمتها لان التوحيد راس كل حكمة وملاكها ومن فقده لم ينفعه شئ من العلوم وان عدا افلاطون والاكفاء رجالا
السماء وفي ايراد هذا التكرار دقيقة هى انه رتب على الاول كونه مذموما مخذولا وذلك اشارة الى حال المشرك في الدنيا ورتب على الثانى انه

بالغى في جهنم ملوما مدحورا وانها حالة في الآخرة وفي القعود هناك دلالة على ... هاهنا اشارة الى ان للانسان في الدنيا صورة اختيار بخلاف الآخرة
والله اعلم بمراده وقد يفرق بين الذم واللوم بان الذم هو ان يذكر ان الفعل الذى اقدم عليه قبيح منكر واللوم هو ان يقال له لم فعلت مثل هذا الفعل
وما الذى حملك عليه وما استفدت من هذا العمل الا الحاق الضرر بنفسك ويفرق بين المخذول والمدحور بان المخذول عبارة عن الضعيف
يتخاذل اعضاؤه اى ضعفت والمدحور المطرود والطرد عبارة عن الاستخفاف والاهانة ثم انكر على المشركين القائلين بان الملائكة بنات
الله فقال افاصفيكم اى اخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بالبنين الذين هم افضل الاولاد واتخذ من الملائكة اولادا اناثا انكم لتقولون
قولا عظيما باضافة الاولاد الى من لا يصح له الولد لقدمه وتنزهه عن صفات الاجسام ثم بانكم تفضلون عليه انفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون
وهذا خلاف معقولكم وعادتكم فان العبيد لا يؤثرون بالاجود والاصفى والسادة بالادون والاردى ثم بجعلكم الملائكة الذين هم اعلى
خلق الله على الاطلاق او بالتقييد على المذهبين اخس الصنفين وهو الاناث التأويل خاطب نبيه ص ليقطع تعلقه عن الكونين من بين
الثقلين فقال ولا تجعل مع الله الها آخر من الدنيا والآخرة ثم شرف امته بتبعيته قائلا وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وانما قال
ربك لانه اصل في الربية ولا متبع له فمن حكم في الازل انه لا يعبد غير الله لم يعبد غير الله وبالوالدين والد الروح ووالد البدن
الاحسان بهما ان يواسيهما في العبودية ليعبد الله كانهما يريانه اما يبلغن عندك يخاطب القلب يوصيه بان يواسى والد الروح عند كبره وهو
بلوغه على مراتب القرب بعجزه عند سطوات تجلى صفات الالوهية ويداريه ووالد البدن عند الكبر فلا يستعملهما عند العجز ولا ينهرهما عند الاستراحة
والفتور هما عند استعمالهما في العبودية ولا تنكر عليهما فانك احق التربية منهما لان القلب طفل تولد بازدواج الروح والبدن وقد وجد التربية منهما فهو ومعنى
الى ان صار قابلا للتجلى والخلافة ربكم اعلم بما في نفوسكم من الاستعداد ان تكونوا صالحين مستعدين للخلافة فانه كان للاوابين الراجعين من
انانيته الى هويته دون من كان مقيدا بنفسه غفورا ساترا بانوار جماله اخبر عن آداب الخلافة قائلا وآت ذا القربى وهو النفس حقه فان لنفسك عليك حقا
من غير اسراف وتقتير ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم الا نفورا قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا
و بتحقيق مكرر بيان كرديم در اين قرآن تا پند گيرند و نمى افزايد ايشان را مگر نفرت بگو اگر بودى با او الهان چنانكه ميگويند آنگاه
لابتغوا الى ذى العرش سبيلا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا تسبح له السموات السبع والارض ومن
هر آينه جستندى بسوى صاحب عرش راهى منزه است او و برتر است از آنچه ميگويند برترى بزرگ تسبيح ميكند مر او را آسمانهاى هفتگانه و زمين و هر كه
فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا واذا قرأت القرآن جعلنا
در آنهاست و نيست هيچ چيز مگر آنكه تسبيح ميكند بستايش او و ليكن نمى فهميد تسبيح ايشان را بدرستيكه او هست بردبار آمرزنده و چون بخوانى قرآن را ميكنيم
بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفى آذانهم
ميان تو و ميان آنانكه نميگروند بآخرت پرده پوشيده و گردانيديم بر دلهاى ايشان پوششها از آنكه بفهمند آنرا و در گوشهاى ايشان
وقرا واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون
گرانى و چون ياد كنى پروردگار خود را در قرآن تنها برگردند بر پشتهاى خود رمندگان ما داناتريم بآنچه گوش ميدارند بوى آنگاه كه گوش ميدارند
اليك واذ هم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال
بتو و در راز گوئى آنگاه كه ميگويند ستمكاران پيروى نميكنيد مگر مردى را سحر كرده شده بنگر چگونه زدند براى تو مثلها را
ربع ١٥ فضلوا فلا يستطيعون سبيلا وقالوا ءاذا كنا عظاما ورفاتا ءانا لمبعوثون خلقا جديدا قل كونوا
پس گمراه شدند پس نميتوانند يافتن راهى و گفتند آيا چون باشيم استخوانها و ريزه ريزه آيا ما برانگيخته شدگانيم آفرينش تازه بگو باشيد
حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر فى صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم اول مرة
سنگها يا آهن يا خلقى از آنچه عظيم آيد در سينهاى شما پس زود باشد كه گويند كه باز گرداند ما را بگو آنكسيكه پيدا آورد شما را اول بار
فسينغضون اليك رءوسهم ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده
پس زود باشد كه بجنبانند بسوى تو سرهاى خود را و ميگويند كى باشد آن بگو شايد كه باشد نزديك روزيكه بخواند شما را پس اجابت ميكنيد بستايش او
وتظنون ان لبثتم الا قليلا وقل لعبادى يقولوا التى هى احسن ان الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان
و گمان ميبريد كه درنگ نكرديد مگر اندكى و بگو مر بندگان مرا كه بگويند آنچه آن نيكوتر است بدرستيكه شيطان فساد ميكند ميان ايشان بدرستيكه شيطان
كان للانسان عدوا مبينا ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم وما ارسلناك عليهم وكيلا
هست مر آدمى را دشمن آشكار پروردگار شما داناتر است بشما اگر خواهد رحم كند شما را يا اگر خواهد عذاب كند شما را و نفرستاديم ترا بر ايشان كارگزار
وربك اعلم بمن فى السموات والارض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا قل ادعوا

الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ

رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ

مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ

بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا

وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ

الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا القراءة ليذكروا من الذكر وكذلك في الفرقان حمزة وعلي و

خلف الآخرون بتشديد الذال والكاف من التذكر كما يقولون في العنبة ابن كثير وحفص عما تقولون على الخطاب حمزة وعلي وخلف تسبح بتاء التأنيث ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعلي وخلف و

غيرهم بكر وحماد والمفضل والخراز عن هبيرة الآخرون على التذكير اما القول فيه كما مر في الرعد وكذلك في اخر هذه السورة وفي سورة

تدالج وفي سورة السجدة الوقوف ليذكروا نفورا سبيلا كبيرا فيهن تسبيحهم غفورا مستورا للعطف وقرا نفورا مسحورا سبيلا جديدا احد بدأ اه

ضد وركز للقاء مع ان وللتين للاستئناف بعيدا مرة قلنا هو قريبا قليلا احسن بينهم مبينا اعلم بكم وكيلا والارض زبورا

تحويلا اعذابه محذورا شديدا مسطورا الاولون لان الواو للاستئناف فظلموا بها تخويفا بالناس في القرآن الكل لما مر وتخويفهم

لصح عطف المستقبل على المستقبل كبيرا التفسير لما بين انواع الحكم ومكارم الاخلاق وكر غاية مطلوبية الادنيا وجهولية نقال ولقد

صرفنا اي بينا احسن بيانا لان من حاول بيان شيء فانه يصير كلامه من نوع الى نوع ومن مثال الى مثال حتى ينتهي به الى ما هو مراده من

الايضاح ومفعول التصريف متروك اي وقعنا التصريف في هذا القرآن او محذوف للعلم به والمراد صرفنا فيه ضروبا من كل مثل وقد يقال

القرآن ابطال ضلالهم البنات الى الله لانه مما كرر ذكره والمقصود ولقد صرفنا القول في هذا المعنى وقيل لفظة في زائدة كقوله واصلح

في ذريتي قال الجبائي ثم كرر ليذكروا دلالة على انه اراد منهم فهمها والايمان بها والمراد بالذكر ههنا فيمن قرأ مخففا هو التذكر والتنا

لا الذكر الذي هو نقيض النسيان وقالت الاشاعرة قوله وما يزيدهم الا نفورا دلت على عكس ذلك لان الحكيم اذا اراد تحصيل امر من الامور وعلم

الفعل الفلاني يصير سببا لعسره وتعذره والنفرة والطهرة عنه لم يقدم على ذلك الفعل ولما اخبر ان هذا التصريف يزيدهم نفورا علمنا انه

ما اراد الايمان منهم عن سفيان الثوري انه كان اذا قرأها قال زادني لك خضوعا ما زاد اعداؤك نفورا ثم دل على التوحيد الذي امر به في

قوله ولا تجعل مع الله الها اخر فقال قل لو كان معه آلهة كما يقولون اي كما يقول المشركون من اثبات الهة من دونه او كما تقولون ايها المشركون

وفي قوله لا تجعل اذا دلالة على ان ما بعدها وهو لابتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو قال في الكشاف قلت ولعل اذا ههنا

طرو لما دل عليه لابتغوا اي لطلبوا ازاد ذلك الى ذي العرش سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم ببعض ومثله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا

ويسمى في عرف المتكلمين دليل التمانع وسيجيء بحثه في سورة الانبياء ان شاء الله العزيز وقيل معنى الآية لو كانت هذه الاصنام كما تقولون من انها

تقربكم الى الله زلفى لطلبت لانفسها سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا وضع التعالي وهو العلو موضع المشبه وهو التعالي كقوله انبتكم

من الارض نباتا ثم وصف العلو بالكبر مبالغة في التنزيه ونبهنا على ان بين الواجب لذاته وبين الغني المطلق والفقير المطلق مباينة لا يعقل زيادة

عليها ثم بين غاية ملكه ونهاية عظمته بقوله تسبح له الآية قالت المعتزلة التسبيح الحي المكلف يكون تارة باللسان بان يقول سبحان الله واخرى بدلالة احواله

على وجود الصانع الحكيم وتسبيح غيره لا يكون الا من القبيل الثاني وقد تقرر في اصول الفقه ان اللفظ المشترك لا يحمل على معنييه معا فلا جرم

فتعين حمل التسبيح ههنا على المعنى الثاني ليشمل الكل هذا ما عليه المحققون واورد عليه انه لو كان المراد بالتسبيح ما ذكرتم لم يقل ولكن لا تفقهون

تسبيحهم لان التسبيح بهذا الوجه مفقوه معلوم واجيب بان دلالة كل شيء على وجود الصانع معلومة على الاجمال دون التفصيل لان نا اخذت

تفاحة وتحدثه فلا شك انها مركبة من اجزاء لا تتجزى لكن عدد تلك الاجزاء وصفة كل منها من الطبع والطعم واللون والحيز والجهة وغيرها لا يعلمها

الا الله ولعل الخطاب للمشركين وانهم وان كانوا مقرين بالخالق الا انهم لما اثبتوا له شريكا وانكروا قدرته على البعث والاعادة ولم ينظروا في المعجزات الدالة

على نبوة محمد فكأنهم لم يفقهوا التسبيح اذ لم يتوسلوا به الى نتيجة النظر الصحيح ولهذا ختم الآية بقوله انه كان حليما غفورا حين لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم

وسوء نظركم وزعم بعض ائمة المفسرين ان ما سوى الحي المكلف يسبح الله باللسان ايضا كل بلغته جمادا لا يمتنع من كونه مسبحا فكيف صار ذبح الحيوان تاما له

عن التسبيح

عن التسبيح وكذا كسر الغصن ويمكن ان يجاب بان يسبح كل شيء لعله مختص بتركيبه الذي خلق عليه فاذا ابطل ذلك التركيب فلذلك النظم لا يبقى مسبحا

مكلف ونحو على ذلك التحو واعترض عليه ايضا بانه اذا جاز في الجمادات ان تكون عالمة بذات الله سبحانه بصفاته مسبحة له مع انها لبست احياء اغلقنا

باب العلم بكونه تعالى حيا الا ان نستدل بكونه عالما قادرا على كونه حيا ويمكن ان يجاب بانا نستدل على حياته تعالى بالاذن الشرعي ولو سلم ان العلم يستلزم

الحياة عقلا اتفقوا قيل ان لكل موجود حياة يليق به ولما فرغ من الالهيات شرع في النبوات فقال واذا قرأت القرآن نزلت في قوم كانوا يؤذون رسول

الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ القرآن عليهم يروى انه كان كلما قرأ القرآن قام عن يمينه وعن يساره اخوان من ولد قصي يصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار

وعن اسماء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا ومعه ابو بكر اذ اقبلت امرأة ابي لهب ومعها فهر تريد الرسول وهي تقول مذمما ابينا ودينه قلينا وامره عصينا

فقال ابو بكر يا رسول الله ان معها حجرا اخشى عليك فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآيات فجاءت فما رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت ان قريشا

قد علمت اني ابنة سيدها وان صاحبك هجاني فقال ابو بكر لا ورب هذه الكعبة ما هجاك وعن ابن عباس ان ابا سفيان والنضر بن الحارث وابا

جهل وغيرهم كانوا يجالسون الرسول صلى الله عليه وسلم ويستمعون حديثه فقال النضر يوما ما ادري ما يقول محمد غير اني ارى شفتيه تحرك بشيء وقال ابو سفيان اني ارى

بعض ما يقوله حقا وقال ابو جهل هو مجنون وقال ابو لهب كاهن وقال حويطب بن عبد العزى هو شاعر فنزلت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد تلاوة القرآن

تلا قبلها ثلاث آيات وهي في سورة الكهف وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا وفي النحل اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وفي

حم الجاثية افرأيت من اتخذ الهه هواه الى آخر الآية فكان الله تعالى يحجبه ببركات هذه الآيات عن عيون المشركين وذلك قوله جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون

حجابا مستورا اي ذا ستر وقد يجيء مفعول بمعنى ذا كذا اي فاعل على ذلك كثير نحو لابن وتامر ومن ذلك قولهم رجل مرطوب اي ذو رطوبة ومكان

مهول ذو هول وسيل مفعم ذو افعام وجوز الاخفش مجيء فاعل بمعنى المفعول مثل مشؤوم وميمون وقيل انه حجاب يخلقه الله في عيونهم بحيث يمنعهم

ذلك الحجاب عن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم وذلك الحجاب شيء لا يراه احد فهو مستور وعلى هذا يصح قول الاشاعرة انه يجوز ان يكون الحاسة سليمة والمرئي

حاضرا والرؤية غير حاصلة لاجل انه تعالى يخلق في العيون شيئا يمنعه عن الرؤية ويحتمل ان يراد حجابا من دونه حجاب او حجب فهو مستور بغيره او حجابا يستر ان

يبصر فكيف يبصر المحتجب به والقول الثاني في الآية ان المراد بالحجاب الطبع والختم فاستدلت الاشاعرة به وبقوله وجعلنا على قلوبهم الآية على صحة

مذهبهم في خلق الكفر والايمان كما مر في سورة الانعام في قوله ومنهم من يستمع اليك وجعلنا واجاب الجبائي بان المراد انهم يطلبون موضعه

بالليل ليقتلوه ويستدلون عليه باستماع قراءته فامنه الله من شرهم بان جعل في قلوبهم ما شغلهم عن فهم القرآن وفي آذانهم ما منعهم من سماع صوته

قال الكعبي اراد به التخلية والخذلان كالسيد اذا لم يراقب حال عبده فساءت اخلاق العبد يقول انا القيتك في هذه الحالة بسبب اني خليتك وراءك

وقال جار الله هذه حكاية لما كانوا يقولونه من قولهم قلوبنا غلف في اكنة ووقر في آذاننا ومن بيننا وبينك حجاب ومن قبائح اهل الشرك انهم كانوا يحبون

ان يذكر الهتهم كلما ذكر الله فاذا سمعوا ذكر الله دون ذكر الهتهم نفروا وانصرفوا عن المجلس فلذلك قال تعالى واذا ذكرت ربك في القرآن وحده

وهو مصدر سد مسد الحال والتقدير يحد وحده مثل وارسلها العراك ولوا على ادبارهم نفورا مصدر من غير لفظ التولية او جمع نافر كقاعد

وقعود فاوعدهم الله على ذلك بقوله نحن اعلم بما يستمعون به من الهزء بك وبالقرآن قال جار الله به في موضع الحال كما يقول يستمعون بالهزء اي

هازئين واذ هم نجوى اي متناجين اذ يستمعون نصب بما دل عليه اعلم وقت استماعهم بما به يستمعون واذ هم نجوى اي وبما يتناجون به اذ هم ذوو

نجوى اذ يقول الظالمون اذ بدل من اذ هم اذ يتبعون اي على تقدير الاتباع لانهم لم يتبعوا رسول الله الا رجلا مسحورا سحر فاختلط عقله

زال عن حد الاعتدال وقيل المسحور الذي افسد من قولهم طعام مسحور اذا افسد عمله وارض مسحورة اصابها من المطر اكثر مما ينبغي فافسدها

وقال مجاهد مسحورا مخدوعا لان السحر حيلة وخديعة زعموا ان محمدا يتعلم من بعض الناس وان اولئك الناس كانوا يخدعونه بهذه الحكايات او زعموا

ان الشيطان يخدعه فيتمثل له بصورة الملك وقال ابو عبيدة يريد بشرا ذا سحر وهو الرئة قال ابن قتيبة لا ادري ما حمله على هذا التفسير المستكره

مع ان السلف فسروه بالوجوه الواضحة انظر كيف ضربوا لك الامثال شبهك كل منهم بشيء اخر فقالوا انه كاهن وشاعر وساحر ومعلم ومجنون فضلوا

في جميع ذلك عن طريق الحق فلا يستطيعون سبيلا الى الهدى والبيان اضلال من يتحير في التيه الذي لا منار به وحين فرغ من شبهات القوم في

النبوات حكى شبهتهم في امر المعاد وايضا لما ذكر ان القوم وصفوه بانه مسحور فاسد العقل ذكر ما كان في زعمهم دالا على اختلاط العقل وهو دعوى

الانسان انه يصير حيا بعد ان كان عظاما ورفاتا والرفات الاجزاء المفتتة من كل شيء يكسر وهو اسم كالرضاض والفتات وقد يقال منه رفت عظام

الجزور رفتا اذا كسرها وتقرير الشبهة ان الانسان اذا مات جفت اعضاؤه وتناثرت وتفرقت في جوانب العالم واختلطت تلك الاجزاء بامثالها

من العناصر فكيف يعقل بعد ذلك اجتماعها باعيانها ثم عود الحياة الى ذلك المجموع فاجاب الله تعالى عن شبهتهم بان اعادة بدن الميت الى حالة

الحياة امر ممكن ولو فرضتم ان بدنه قد صار ابعد شيء من الحياة ومن رطوبة الحي وغضاضته ومن جنس ما ركب منه البشر كالحجارة او الحديد فهو كقول

القائل اتطمع في وانا فلان فيقول كن ابن الخليفة او من شئت فسأطلب منك حقي اما قوله خلقا مما يكبر في صدوركم فالمراد فرضوا شيئا آخر ابعد

عن قبول الحياة من الحجر والحديد بحيث يستبعد عقولكم كونه قابلا لوصف الحياة وعلى هذا لا حاجة الى تعيين ذلك الشيء وقال مجاهد اراد

السموات والارض وعن ابن عباس انه الموت اي لو صرتم ابدانكم نفس الموت فان الله يعيد الحياة اليها وهذا انما يحسن على سبيل المبالغة كما

يقف

يقال هو روح مجسم او وجود محض والا فالموت عرض والانقلاب الجسم عرض لحال ولا يفيد بالتسليم فالموت كيف يقبل الحيوة لان الضد يمتنع
ان يقبل الضد وفي قوله قل الذي فطركم اول مرة بيان كاف وبرهان شاف لانه لما سلم ان خالق الحيوان هو الله فثبت ان الاجسام في الجملة قابلة للحيوة
والعقل والاله العالم عالم بجميع الجزئيات والكليات فلا يشتبه عليه اجزاء بدن كل من الاموات واذا قدر على جعلها متصفة بالحيوة في اول الامر فلان
يقدر على اعادتها الى الحيوة في ثاني الحال اولى الزمهم اولا بان البعث امر ممكن وان فرضتم بدل المبادي شيئا ابعد ثم كانهم سلموا امكانه ولكن تجاهلوا
وتغافلوا عن تعيين المعيد فقالوا من يعيدنا فاجاب بان الفاطر الاول ثم زادوا في الاعتراض فسئلوا عن تعيين الوقت بقوله وذلك قوله فسينغضون
اليك رؤسهم اي فيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء قال ابو الهيثم يقال للرجل اذا اخبر بشيء فحرك راسه الى فوق والى اسفل انكارا له انغض راسه قال
المفسرون عسى من الله واجب فعلم منه قرب وقت البعث لكن وقفه على التعيين مما استاثر الله بعلمه لا يقال كيف يكون قريبا وقد انقرض اكثر من
سبعمائة سنة ولم يظهر لانا نقول كل ما هو ات قريب واذا كان ما مضى اكثر مما بقي فان الباقي قليل قوله يوم يدعوكم منصوب باذكروا والمراد يوم يدعوكم
كان ما كان او هو بدل من قريبا والمعنى عسى ان يكون البعث يوم يدعوكم بالنداء الذي يسمعكم وهو النفخة الاخيرة وروي ان اسرافيل ينادي ايتها
الاجسام البالية والعظام النخرة والاجزاء المتفرقة عودي كما كنت والاستجابة موافقة الداعي فيما دعى اليه وهي مثل الاجابة بزيادة تاكيد لما في
السين من طلب الموافقة قال في الكشاف الدعاء والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتنبعثون مطاوعين منقادين وقوله بحمده حال منهم اي
حامدين وهي مبالغة في انقيادهم للبعث كقولك لمن تامره بامر يشق عليه ستاتي به وانت حامد شاكر اي ستنتهي الى حالة تحمد الله وتشكره على ان
اكتفوا منك بذلك العمل وهذا يذكر في معرض التهديد وقال سعيد بن جبير يخرجون من قبورهم وينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك
اللهم وبحمدك وقال قتادة بحمده اي بمعرفته وطاعته لان التسبيح والتحميد معرفة وطاعة ومن هنا قال بعضهم حمدوا حين لا ينفعهم الحمد وقال
اخرون الخطاب مختص بالمؤمنين لانهم الذين يليق بهم الحمد لله على احسانه اليهم وتظنون ان لبثتم الا قليلا عن قتادة تحاقرت الدنيا في انفسهم
حين عاينوا الاخرة ومثله قول الحسن معناه تقريب وقت البعث فكانك بالدنيا لم تكن وبالاخرة لم تزل وقال ابن عباس يريد ما بين النفختين
الاولى والثانية فانه يزول عنهم العذاب في ذلك الوقت وقيل اراد استقصار لبثهم في عرصة القيامة حين عاينوا هول النار ثم امر المؤمنين بالرفق
والتدرج عند ايراد الحجة على المخالفين فقال وقل لعبادي اي المؤمنين لان لفظ العباد مختص بهم في اكثر القران فبشر عبادي الذين يستمعون
القول عينا يشرب بها عباد الله فادخلي في عبادي يقولوا الكلمة او الحجة التي هي احسن والتي هي ان لا تكون مخلوطة بالسب واللعن والغلظة ثم نبه
على وجه المنفعة بهذا الطريق فقال ان الشيطان ينزغ بينهم اي بين الفريقين جميعا فيزداد الغضب وتتكامل النفرة ويمتنع حصول المقصود ثم قال
ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم ايها المؤمنون بالانجاء من كفار مكة ومن ايذائهم او ان يشا يعذبكم بتسليطهم عليكم وما ارسلناك يا محمد عليهم
وكيلا اي حافظا موكولا اليك امرهم انما انت بشير ونذير والهداية الى الله وقال جار الله الكلمة التي هي احسن مفسرة بقوله ربكم اعلم بكم الى
اخره اي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تقولوا لهم انكم من اهل النار وانكم معذبون وما اشبه ذلك مما يزيد غيظهم وقوله ان الشيطان ينزغ
بينهم اعتراض وقيل المراد بالعباد الكفار اي قل لعبادي الذين اقروا بكونهم عبادا لي يقولوا الكلمة التي هي احسن وهي كلمة التوحيد والبراءة من الشرك
والاضداد لان ذلك احسن ما يقال بعد من الاشراك ووصفه بالقدرة على الحشر احسن من وصفه بالعجز عنها والحامل على مثل هذه العقائد هو
الشيطان المغوي ثم قال لهم ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم بتوفيق الهداية او ان يشا يعذبكم بالاماتة على الكفر الا ان تلك المشية غائبة عنكم
فلا تقصروا في الجد والطلب ثم قال لرسوله وما ارسلناك عليهم وكيلا حتى تقسرهم على الاسلام وما عليك الا البلاغ على سبيل الرفق والمداراة
وهذا قبل نزول اية السيف وقيل نزلت في عمر بن الخطاب شتمه رجل فامره الله بالعفو وقيل افرط ايذاء المشركين للمسلمين فشكوا الى رسول الله صلعم
فنزلت وحين قال ربكم اعلم بكم عمم الحكم فقال وربك اعلم بمن في السموات والارض يعني ان علمه غير مقصور عليكم ولا على احوالكم بل علمه متعلق
بجميع الموجودات وبما يليق بكل منها وبذلك حصل التمايز والتفاضل كما قال ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وفيه رد على اهل مكة في انكارهم
ان يكون يتيم ابي طالب مفضلا على الخلائق يتبادرون صناديد قريش واكابرهم وانما ختم الاية بقوله واتينا داود زبورا ليعلم ان التفضيل ليس
بالمال والملك وانما هو بالعلم والدين فان داود كان ملكا عظيما ولم يذكره الله سبحانه الا بما اتاه من الكتاب وفيه ايضا اشارة الى ان محمدا صلعم خاتم الانبياء
وامته خير الامم بدليل قوله ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون اي محمد وامته ومعنى التنكير في زبورا
انه كامل في كونه كتابا والزبور وزبور كالعباس وعباس والحسن وحسن والمراد بعض الزبور او الزبور كما يسمى بعض القران قرانا وقيل ان كفار قريش
ما كانوا اهل نظر وجدال بل كانوا يرجعون الى اليهود في استخراج الشبهات وكانت اليهود يقولون انه لا نبي بعد موسى ولا كتاب بعد التورية فنقض الله
كلامهم بانزال الزبور على داود بعد موسى ثم رد على طائفة من المشركين كانوا يعبدون تماثيل على انها صور الملائكة او على طائفة من اهل الكتاب
كانوا يقولون بالهية عيسى ومريم وعزير فقال قل ادعوا الذين زعمتم من دونه وقيل اراد بالذين زعمتم نفرا من الجن عبدهم ناس من العرب ثم
اسلم الجن ولم يشعروا وانما خصصت الاية باحد هؤلاء الطوائف لان قوله بعد ذلك يبتغون الى ربهم الوسيلة لا يليق بالجمادات قال ابن عباس
كل موضع في كتاب الله ورد فيه لفظ الزعم فهو بمعنى الكذب ثم نفى عن الذات المعبود بالحق هو الذي يقدر على ازالة الضر وتحويله من حال الى حال او من مكان

الى مكان وهذه التي زعمتم انها الهة لا يقدرون على شيء من ذلك فوجب القطع بانها ليست بالهة سواء كان الدليل على ان الملائكة
لا قدرة لها على كشف الضر فانا نعلم لانا نرى ان اولئك الكفار كانوا يتضرعون اليها ولا يحصل الاجابة قلنا ان المسلمين ايضا يتضرعون الى الله
ولا يجابون وقد يتفق الاجابة في بعض الاوقات فالكفار ايضا يحصل مطلوبهم احيانا فيقولون انه من الملائكة جوابه ان المشركين مقرون بان الاله
الاعظم خالق العالم فكمال قدرته معلوم متفق عليه وكمال قدرة الملائكة غير معلوم ولا متفق عليه بل المتفق عليه ان قدرتهم بالنسبة الى قدرة الله قليلة
حقيرة واذا كان كذلك وجب ان يكون الاشتغال بعبادة الاله الاعظم اولى واجدر اخذا بالمعلوم المتيقن دون المظنون الموهوم على ان اهل السنة قاطعون
بانه لا تاثير لشيء في الوجود الا لله تعالى يقول مؤلف هذا التفسير اضعف عباد الله تعالى واحوجهم الحسن بن محمد المشتهر بنظام النيسابوري نظم الله
احواله في اولاه واخراه رايت في بعض الكتب مرويا عن امير المؤمنين علي رضي من وقع في ملمة او طلب كفاية مهم فليسجد في خلوة وليقل في سجدته الهي اسئلك
تلك قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا يا من يملك كشف الضر عنا وتحويله اكشف ما بي فانه اذا قال ذلك
كشف الله عنه ضره وكفي مهمه وقد جرب فوجد كذلك ثم انه تعالى اكد عدم اقتدار معبودهم ببيان غاية افتقارهم الى الله تعالى في جذب المنافع
ودفع المضار فقال اولئك وهو مبتدأ والذين يدعون صفته ويبتغون خبره يعني ان اولئك المعبودين يطلبون الى ربهم الوسيلة اي القربة
في الحوائج وايهم بدل من واو يبتغون وهو موصول وصدر صلته محذوف اي يبتغي من هو اقرب الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب والدليل على
هذا الافتقار اقرار جميع الكفار بامكانهم الذاتي وجوز في الكشاف ان يضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكانه قيل يحرصون ايهم يكون اقرب
الى الله وذلك بازدياد الخير والطاعة والصلاح ويرجون ويخافون كغيرهم من العباد وقيل اولئك الذين يدعون هم الانبياء الذين ذكرهم
الله في قوله ولقد فضلنا بعض النبيين اي الذين عظمت منزلتهم وهم الانبياء الداعون للامم الى الله لا يعبدون الا الله ولا يبتغون الوسيلة
الا اليه فانتم احق بالاتباع واحتج هذا القائل على صحة قوله بان الله تعالى قال يخافون عذابه والملائكة لا يعصون الله فكيف يخافون واجيب بانهم
يخافون عذابه لو اقدموا على الذنب لقوله ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم ان عذاب ربك كان محذورا اي حقيقا بان يحذره كل
احد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم فان لم يحذره بعض الجهلة فانه لا يخرج عن كونه واجب الحذر ثم بين مال حال الدنيا واهلها فقال
وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة بالموت والاستيصال او معذبوها بالقتل وانواع العذاب كالسبي والاغتنام وقيل الهلاك للصالحة
والتعذيب للطالحة كان ذلك في الكتاب وهو اللوح المحفوظ مسطورا فلا يوجد له تبديل قطعا ثم ذكر نوعا اخر من سننه فقال وما منعنا ان نرسل
المنع للترك من اجل لزوم خلاف الحكمة او المشية عن سعيد بن جبير ان كفار قريش اقترحوا منه ايات باهرة كاحياء الموتى ونحوه وعن ابن عباس انهم
سئلوا ان يجعل لهم الصفا ذهبا وان يزيل عنهم الجبال حتى يزرعوا تلك الاراضي فطلب النبي صلعم من الله تعالى ذلك فقال ان شئت فعلت لكنهم ان
كفروا بعد ذلك اهلكتهم فقال الرسول صلعم لا اريد ذلك فانزل الله الاية والمعنى وما صرفنا عن ارسال ما يقترحونه من الايات الا ان كذب
بها الذين هم امثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك واستوجبوا عذاب الاستيصال
على ما اجرى الله تعالى به عادته والحاصل ان المانع من ارسال الايات التي اقترحوها هو ان الاقتراح مع التكذيب موجب للهلاك الكلي وقد
عزمنا ان نؤخر امر من بعثت اليهم الى يوم القيمة ويحتمل ان يراد انهم مقلدون لابائهم فلا يؤمنون فيكون ارسال الايات عبثا ثم استشهد على
ما ذكر بقصة صالح وناقته لان اثار هلاكهم في بلاد العرب قريبة يبصرها صادرهم وواردهم وهذا معنى قوله مبصرة والمراد حال كون الناقة اية بينة
يبصر المتامل بها رشده فظلموا بها انفسهم بقتلها او فكفروا بها يعني انهم جحدوا كونها من الله قاله ابن قتيبة وما نرسل بالايات المقترحة الا تخويفا
من نزول العذاب العاجل يعني ان من انكرها عم عليه او المراد وما نرسل بايات القران وغيرها من المعجزات الا انذارا بعذاب الاخرة على المعنى الذي
وحين امتنع من ارسال الايات المقترحة على رسوله للمصالح المذكورة قوى قلبه بوعد النصر والغلبة فقال واذ قلنا لك ان ربك اي واذكر اذ
اوحينا اليك ان ربك احاط بالناس اي انهم في قبضته وقدرته فلا يقدرون على خلاف ارادته فينصرك ويقويك حتى تبلغ الرسالة ويحول بينهم
وبينه ان يقتلوه كما قال والله يعصمك من الناس وقيل اراد بالناس اهل مكة واحاط في معنى الاستقبال الا ان خبر الله تعالى لما كان
واجب الوقوع عبر عنه بلفظ الماضي وعد نبيه بانه سيهلك قريشا ويقهرهم واما قوله وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس ففيه اقوال الاول
انه تعالى اراه في المنام مصارع كفار قريش حتى قال والله لكاني انظر الى مصارع القوم وهو يومي الى الارض ويقول هذا مصرع فلان هذا
مصرع فلان فلما سمع قريش ذلك جعلوا رؤياه سخرية وكانوا يستعجلون بما وعد الثاني انها رؤياه التي راى ان يدخل مكة وبين ذلك لاصحابه واخبر
فلما منع من البيت الحرام عام الحديبية كان ذلك فتنة لبعض القوم وقال عمر لابي بكر قد اخبرنا رسول الله صلعم انا ندخل البيت ونطوف به فقال ابو
بكر انه لم يخبر انا نفعل ذلك في هذه السنة فسنفعل ذلك في سنة اخرى فلما جاء العام القابل دخلها وانزل الله تعالى لقد صدق الله رسوله
الرؤيا بالحق الثالث قول سعيد بن المسيب ورواية عطاء عن ابن عباس ان رسول الله صلعم راى بني امية ينزون على منبره نزو القردة فساءه ذلك الرابع وهو
قول اكثر المفسرين ان المراد بهذه الرؤيا هي حديث الاسراء ثم اختلفوا فالاكثرون على ان الرؤيا بمعنى الرؤية يقال رايت بعيني رؤية ورؤيا او
سماها رؤيا على قول المكذبين حين قالوا لعلها رؤيا رايتها وخيال خيل اليك لانهم لا يقولون على ان الاسراء كان في المنام وعدم التحدي فيه

السورة قوله والشجرة فيه تقديم وتاخير والتقدير وما جعلنا الرؤيا التي اريناك والشجرة الملعونة في القران الا فتنة للناس قال لا كثرون انها شجرة الزقوم لعنت في القران حيث لعن طاعموها قال عز من قائل ان شجرة الزقوم طعام الاثيم او وصفت باللعن لانه الابعاد وهي في اصل الجحيم في ابعد مكان من الرحمة والعرب تقول لكل طعام مكروه صار ملعونا والفتنة فيها ان اباجهل وغيره قالوا زعم صاحبكم ان نار جهنم تحرق الحجر ثم يقول ينبت فيها الشجرة فانزل الله تعالى هذه الاية ونظيره قوله انا جعلناها فتنة للظالمين ومن شاهد حال السمندل والنعامة كيف يتعجب من قدرة الله على انبات الشجر من جنس لا تعمل فيه النار وعن ابن عباس الشجرة الملعونة بنو امية وعنه هي الكشوث التي تلتوي بالشجر تجعل في الشراب تجعل في الشراب وقيل هي الشيطان وقيل اليهود سؤال اي تعلق لحديث الرؤيا والشجرة الى ما قبل من الكلام جوابه كانه قيل انهم لما طلبوا هذه المعجزات ثم انك لم تظهرها صار عدم ظهورها شبهة في انك لست بصادق في دعوى النبوة الا ان وقوع هذه الشبهة لا ينبغي ان يكون سببا لوقوع الشبهة العظيمة ثم انها ما اوجب ضعف امرك ولا فتورا في اجتماع المحقين عليك ثم ذكر سببا اخر في انه تعالى لا يظهر المقترحات عليهم فقال ونخوفهم بخاوف الدنيا والاخرة فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا متمادياً التاويل لا تبتغوا الى ذي العرش سبيلا تشتمل معنيين لانهم ان كانوا اكبر منه او امثالا له طلبوا طريقا الى ازعاج صاحب العرش ونزع الملك منه قهرا وان كانوا دونه طلبوا اليه الوسيلة بالخدمة والعبودية على ان الناقص لا يصلح للالهية وهذا قريب من التفسير وان من شيء الا يسبح بحمده لكل ذرة من ذرات الموجودات ملكوت لقوله فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء والملكوت باطن الكون وهو الاخرة والاخرة حيوان لا جماد لقوله وان الدار الاخرة لهي الحيوان فلكل ذرة لسان ملكوتي ناطق بالتسبيح والحمد تنزيها لصانعه وحمدا له على ما اولاه من نعمه وبهذا اللسان ينطق الحصى في كف النبي وبه ينطق الارض يوم القيمة يومئذ تحدث اخبارها وبه ينطق الجوارح انطقنا الله الذي انطق كل شيء وبه ينطق السموات والارض قالتا اتينا طائعين انه كان حليما في الازل اذا خرج من العدم من يكفر به ويجحده غفورا لمن تاب عن كفره واذا قرات القران فيه اشارة الى ان من قرا القران بتمامه وصل الى اعلى معارج القدس وفصح مدارج الانس كما جاء في الحديث يقال لصاحب القران اقرا وارق قال ابو سليمان الخطابي جاء في الاثر ان عدد اي القران على قدر درج الجنة فمن استوفى جميع اي القران استولى على اقصى درج الجنة قال المحققون استيفاء جميع اي القران هو ان يتخلق باخلاقه ويتصف بل يتخلق بصفات الله وهذا يكون بعد العبور عن الحجب الظلمانية والنورانية فيكون بينه وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا لم يقل ساترا لان الحجاب يستر الواصل فيكون الواصل مستورا بالحجاب عن المنقطع ولو على ادبارهم لانهم من سوء مزاجهم لا يكادون يقبلون الغذاء الصالح فالحلاوة في مذاقهم مرارة اذ يقول الظالمون من ظلمهم لانهم وضعوا المسحور مكان المبعوث او خلقا مما يكبر في صدوركم اي لو كان قلوبكم التي في صدوركم اشد من الحجارة والحديد فالله قادر على احيائه وتليينه في تيه العشق يقولوا التي هي احسن شرف من عبده بتشريف الاضافة يظهر منه القول الاحسن وهو الدعاء الى الله بلا اله الا الله مخلصا والفعل الاحسن وهو ان يكون متادبا باداب الشريعة والطريقة والخلق الاحسن وهو ان يكون محسنا اليهم بلا طمع الاحسان والشكر منهم ويتجاوز عن سيئاتهم ويعاشرهم بالنصيحة يامرهم بالمعروف بلا عنف وينهاهم عن المنكر بلا فضيحة ان الشيطان ينزغ بينهم اذا لم يعاشروا بالنصيحة واتينا داود زبورا فيه ان فضل النبي صلى الله عليه وسلم على داود كفضل القران على الزبور وان من قرية من قرى قالب الانسان الا نحن مهلكوها بموت قلبه وقيل موت قالبه من مات فقد قامت قيامته او معذبوها بانواع الرياضات والمجاهدات في السير الى الله وبان الصفات وفي السير بالله وبان الذات احاط بالناس علم مقتضى كل نفس من الخير والشر وما جعلنا الرؤيا التي اريناك كان الوحي يصل الى النبي صلى الله عليه وسلم في مبدأ امره بطريق المنام وكان في ذلك اختبار للناس ليتميز بظهور الموافق من المنافق والصديق من الزنديق وهكذا كان شجرة وجود ابليس ابتلاء للناس ولم يكن للمحيط باحوال الناس حاجة الى الابتلاء ولكنه يعامل معاملة المختبر والله اعلم بالصواب

وَاِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰئِكَةِ اسْجُدُوْا لِاٰدَمَ فَسَجَدُوْٓا اِلَّآ اِبْلِيْسَ قَالَ ءَاَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيْنًا ۞ قَالَ اَرَءَيْتَكَ هٰذَا الَّذِيْ كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ اَخَّرْتَنِ اِلٰى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ لَاَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهٗٓ اِلَّا قَلِيْلًا ۞ قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَاِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُوْرًا ۞ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَاَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْاَمْوَالِ وَالْاَوْلَادِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطٰنُ اِلَّا غُرُوْرًا ۞ اِنَّ عِبَادِيْ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطٰنٌ ۚ وَكَفٰى بِرَبِّكَ وَكِيْلًا ۞ رَبُّكُمُ الَّذِيْ يُزْجِيْ لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوْا مِنْ فَضْلِهٖ ۚ اِنَّهٗ كَانَ بِكُمْ رَحِيْمًا ۞ وَاِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُوْنَ اِلَّآ اِيَّاهُ ۚ فَلَمَّا نَجّٰىكُمْ اِلَى الْبَرِّ اَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ الْاِنْسَانُ كَفُوْرًا ۞ اَفَاَمِنْتُمْ

الحجر

اَنْ يَّخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ اَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوْا لَكُمْ وَكِيْلًا ۞ اَمْ اَمِنْتُمْ اَنْ يُّعِيْدَكُمْ فِيْهِ تَارَةً اُخْرٰى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيْحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوْا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهٖ تَبِيْعًا ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيْٓ اٰدَمَ وَحَمَلْنٰهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنٰهُمْ مِّنَ الطَّيِّبٰتِ وَفَضَّلْنٰهُمْ عَلٰى كَثِيْرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيْلًا ۞ يَوْمَ نَدْعُوْا كُلَّ اُنَاسٍۢ بِاِمَامِهِمْ ۚ فَمَنْ اُوْتِيَ كِتٰبَهٗ بِيَمِيْنِهٖ فَاُولٰٓئِكَ يَقْرَءُوْنَ كِتٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُوْنَ فَتِيْلًا ۞ وَمَنْ كَانَ فِيْ هٰذِهٖٓ اَعْمٰى فَهُوَ فِي الْاٰخِرَةِ اَعْمٰى وَاَضَلُّ سَبِيْلًا ۞

القراءات اخوني بالياء في الحالين ابن كثير غير الهاشمي عن ابن فليح وسهل ويعقوب وافق ابو جعفر ونافع وابو عمرو في الوصل الباقون بالحذف في الحالين بكسر الجيم حفص ابو زيد عن المفضل الاخرون بسكونها ان يخسف او يرسل ان يعيدكم فيرسل فيغرقكم كلها بالنون ابن كثير وابو عمرو الباقون على الغيبة الا يعقوب ويزيد فانهما قرءا فتغرقكم بالتاء الفوقانية على ان الضمير للريح من الرياح على الجمع يزيد هذه اعمى بالامالة فيهما اعمى بالتفخيم ابو عمرو ونصير والبرجمي وورش من قرأ حمزة وعلي غير نصير وخلف ويحيى وحماد جميعا بالامالة الباقون جميعا بالتفخيم الوقوف ابليس ط طينا لا لاتحاد فاعل فعل قيل وفعل بعده بلا حرف عطف على تحقيق القسم المحذوف مع اتحاد الكلام قليلا موفورا وعدهم للعدول غرورا سلطان ط وكيلا فضله ط رحيما الا اياه ج اعرضتم ط كفورا وكيلا للعطف تبيعا تفضيلا بامامهم ج فتيلا سبيلا التفسير قال اهل النظم انه لما ذكر ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان من قوم في بلية عظيمة ومحنة شديدة اراد ان يبين ان جميع الانبياء كانوا كذلك حتى ادم عليه السلام وايضا ان القوم كان منشأ نزاعهم واقتراحاتهم الفاسدة الامرين الكبر والحسد فبين الله سبحانه ان هذه عادة قديمة سنها ابليس لعنة الله عليه وايضا لما وصف القوم بزيادة الطغيان عقيب التخويف اراد ان يذكر السبب لحصول هذا الطغيان وهو قول ابليس لاحتنكن ذريته وهذه القصة ذكرها الله تعالى في سبع سور البقرة والاعراف والحجر وهذه السورة والكهف وطه وص ونحن قد استقصينا القول فيه فلا حاجة الى الاعادة فلنقتصر على تفسير الالفاظ قال جار الله طينا حال اما من الموصول والعامل فيه اسجد معناه أأسجد له وهو طين في الاصل واما من الراجع الى الموصول من الصلة تقديره أأسجد لمن كان في وقت خلقه طينا ومعنى الاستفهام انكار ان الاشرف على زعمه يخدم الادون ولذلك قال ارايتك اي اخبرني عن هذا الذي كرمته اي فضلته علي لم كرمته وانا خير منه فاختصر الكلام لكونه معلوما ويمكن ان يقال هذا مبتدأ والاستفهام فيه مقدر ومعناه اخبرني اهذا الذي كرمته علي والاشارة هنا بقصد الاستحقار وقيل ان هذا مفعول ارايت لان الكاف لمجرد الخطاب كانه قال على وجه التعجب والانكار ابصرت او علمت هذا بمعنى لو ابصرته او علمته لكان يجب ان لا تكرمه علي ثم ابتدأ فقال لئن اخرتن واللام موطئة للقسم المحذوف وجوابه لاحتنكن ذريته لاستاصلنهم بالاغواء من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا وهو من الحنك ومنه ما ذكر سيبويه احتنك الشاتين اي اكلهما وقال ابو مسلم هو افتعال من الحنك اي منهم لاقودنهم كما يقود الدابة اذا جعل في حنكها الاسفل حبلا يقودها به كانه يملكهم كما يملك الفارس فرسه بلجامه وانما ظن ابليس ذلك لانه سمع قول الملائكة في حقهم اتجعل فيها من يفسد فيها او نظر اليه فتوسم انه خلق شهواني لا عزة له الى غير ذلك من قواه السبعية والوهمية والبهيمية او قاس ذريته على ادم عليه السلام حين عمل وسوسته فيه وضعفه جار الله بان الظاهر انه قال ذلك قبل اكل ادم من الشجرة قال الله تعالى اذهب ليس المراد منه نقيض المجيء وانما المراد امض لشانك الذي اخترته خذلانا وتخلية وامهالا ثم رتب على الامهال قوله فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم اراد جزاؤهم وجزاؤك فغلب المخاطب على الغائب لانه الاصل في المعاصي وغيره تبع له وجوز في الكشاف ان يكون الخطاب للتابعين على طريقة الالتفات وانتصب جزاء موفورا على المصدر والعامل فيه معنى تجازون المضمر والمدلول عليه بقوله فان جهنم جزاؤكم او على الحال الموطئة والموفور الموفر قولهم فر لصاحبك عرضه فرة وقيل هو بمعنى الوافر ثم اكد الامهال والخذلان بقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك وافزه الخوف استفزه ازعجه واستخفه وصوته دعاؤه الى معصية الله وقيل الغناء واللهو واللعب واجلب عليهم بخيلك ورجلك قال الفراء وابو عبيدة اجلب من الجلبة والصياح اي صح عليهم وقال الزجاج اي اجمع عليهم كل ما تقدر عليه من مكائدك فالاجلاب الجمع والباء في بخيلك زائدة وقال ابن السكيت الاجلاب الاعانة والخيل يقع على الفرسان قال صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي وعلى الافراس جميعا والرجل بسكون الجيم جمع راجل كتاجر وتجر وصاحب وصحب وبكسر الجيم صفة معناه وجمعك الرجل وتضم جيمه ايضا مثل ندس وندس وحذر وحذر عن ابن عباس كل راكب وراجل في معصية الله فهو من خيل ابليس جنوده وقيل يحتمل ان يكون لابليس جند من الشياطين بعضها راكب وبعضها راجل والاقرب ان هذا كلام ورد تمثيلا فقد يقال للرجل المجد في الامر جئتنا بخيلك ورجلك قال في الكشاف مثلت حاله في تسلطه على من يغويه بمغوار اوقع على قوم

نصوت بهم صوتا يستفزهم من اماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم واجلب عليهم بجند من خياله ورجاله حتى استاصلهم اما المشاركة في الاموال فهي كل تصرف في المال لا على وجه الشرع سواء كان اخذا من غير عوض او وضعا في غير حق كالزنا والغصب والسرقة وقيل هي تبتيك آذان الانعام وجعلها بحيرة وسائبة والمشاركة في الاولاد دعوى الولد بغير سبب وتحصيله بالدعاء الى الزنا او تسميتهم بعبد اللات وعبد العزى او تربيتهم لا كما ينبغي حتى ينشأوا غير راشدين ولا مؤدبين ولا متدينين بدين الحق وعدهم بتزيين المعاصي في اعينهم وترغيبهم فيها وتثقيل الطاعات والعبادات عليهم وتنفيرهم عنها وهذه قضية كلية وربما يخصه المفسرون فعن بعضهم ان المراد وعدهم بانه لا جنة ولا نار وقيل بالكرامة على الله بالانساب والاحساب وقيل بشفاعة الاصنام والاماني الباطلة وايثار العاجل على الآجل ثم نبه على ان لا يكون لوعد الشيطان عاقبة حميدة فقال وما يعدهم الشيطان الا غرورا لانه انما يدعو الى اللذات البهيمية او السبعية او الخيالية واكثرها دفع الآلام وكلها لا اصل لها ولا دوام ومن اراد الاستقصاء في هذا الباب فعليه بمطالعة باب ذم الغرور من كتاب احياء علوم الدين للشيخ الامام محمد الغزالي رحمه الله و لما قال للشيطان ما قال على سبيل الوعد والتهديد افعل ما تقدر عليه ربط جاش سائر المكلفين بقوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان قال الجبائي المراد كل عباده لانه استثنى متبعيه في غير هذا الموضع قائلا الا من تبعك وقال اهل السنة المراد عباد الله المخلصين ثم زاد في تقوية جانب المكلف ختم الآية بقوله وكفى بربك وكيلا فهو يدفع كيد الشيطان ويعصمهم من اغوائه ثم عدد على بني آدم بعض ما انعم عليهم ليكون تذكيرا لهم وتحذيرا فقال ربكم الذي يزجي لكم اي يسير لاجلكم الفلك في البحر والازجاء سوق الشيء حالا بعد حال لتبتغوا من فضله الربح بالتجارة انه كان بكم رحيما فلذلك هداكم الى مصالح المعاش المؤدية الى منافع المعاد واذا مسكم الضر اي خوف الغرق في البحر ضل من تدعون ذهب عن اوهامكم وخواطركم كل من تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانكم تعتقدون بحسب جبلتكم او المراد ضل من تدعون من الالهة عن اغاثتكم ولكن الله هو الذي ترجونه وحده فكان الاستثناء منقطعا فلما نجاكم من ذلك الضر واخرجكم الى البر اعرضتم عن الاخلاص وكان الانسان كفورا لنعم الله لانه عند الشدة يتمسك برحمة الله وفي الرخاء يعرض عنه ثم انكر عليهم سوء معاملتهم قائلا أفأمنتم اي انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض ان يخسف اصله دخول الشيء في الشيء منه عين خاسفة للتي غارت حدقتها في الرأس وخسف القمر دخل تحت الحجاب و هو دائرة الظل عند الحكماء بكم جانب البر وانما قال جانب البر لانه ذكر البحر في الآية الاولى وهو جانب والبر جانب خسف جانب البر بهم قلبه وهم عليه فالخسف تغييب تحت التراب كما ان الغرق تغييب تحت الماء فهبوا انكم نجوتم من هول البحر فهل امنتم من هول البر فانه قادر على تسليط آفات البر عليكم اما من جانب التحت بالخسف واما من جانب الفوق بامطار الحجارة وذلك او يرسل عليكم حاصبا وهي الريح التي تحصب اي ترمي بالحصباء وقال الزجاج الحاصب التراب الذي فيه حصباء فالحاصب ذو الحصباء كاللابن والتامر ولا يخفى ان هذين العذابين اشد من غرق البحر ثم لا تجدوا لكم وكيلا يصرف ذلك عنكم أم امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى بان يقوي دواعيكم ويوفر حوائجكم الى ركوب البحر فيرسل عليكم قاصفا ريحا لها قصيف اي صوت شديد والقاصف الكاسر تقوله من الريح بالة فيغرقكم بما كفرتم بسبب كفركم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا مطالبا يتبعنا لانكار ما نزل بكم او لنصرفه عنكم فهو كقوله ولا يخاف عقباها ثم اجمل ذكر النعم بقوله ولقد كرمنا بني آدم وقد ذكر المفسرون في تكريمه وجوها منها الخط فيه يقدر الانسان على ابداع العلوم التي استنبطها هو وغيره في الدفاتر فتبقى على وجه الدهر مصونة عن الاندراس محفوظة عن الانطماس اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم ومنها الصورة الحسنة وصوركم فاحسن صوركم ومنها القامة المعتدلة لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ومنها ان كل شيء يأكل بفيه الا ابن آدم يحكى عن الرشيد انه حضر لديه طعام فاحضرت الملاعق وعنده ابو يوسف فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس ان هذا التكريم هو انه جعل لهم اصابع ياكلون بها فرد الملاعق واكل باصابعه ومنها القامة المعتدلة لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ما قال الضحاك انه النطق والتمييز فان الانسان يمكنه تعريف غيره كل ما عرفه بخلاف سائر الحيوانات و يدخل الاخرس في هذا الوصف لانه يعرف بالاشارة او الكتابة ويخرج الببغاء ونحوه لانه لا يقدر على تعريف جميع الاحوال على الكمال ومنها تسليطهم على ما في الارض وتسخيره لهم فالارض لهم كالام الحاضنة منها خلقناكم ومنها نعيدكم وهي لهم فراش ومهاد والماء ينتفعون به في الشرب والزراعة والعمارة وماء البحر ينتفع به في التجارة واستخراج الحلي منه والهواء مادة الحياة ولولا هبوب الرياح لاستولى النتن على المعمورة والنار ينتفع بها في الطبخ والانضاج ودفع البرد وغير ذلك وانتفاعهم بالمركبات المعدنية والنباتية والحيوانية ظاهر وبالجملة فهذا العالم باسره كقرية معمورة او خوان معد والانسان فيه كالرئيس المخدوم والملك المطاع فاي تكريم يكون ازيد من هذا ولا شك ان الانسان لكونه مستجمعا للقوة العقلية القدسية والقوتين الشهوية البهيمية والغضبية السبعية ولقوة الحس والحركة الارادية وللقوى النباتية وهي الاغتذاء والنمو والتوليد يكون اشرف مما لم يجمع الجميع سوى المجردات المحضة وقال بعضهم ان هذا التكريم هو انه تعالى خلق آدم بيده وابدع غيره بواسطة لما يروى عن زيد بن اسلم ان الملائكة قالت ربنا انك اعطيت بني آدم الدنيا ياكلون منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فاعطناه في الآخرة فقال وعزتي وجلالي لا اجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان ثم خص بعض انواع التكريم بالذكر فقال وحملناهم في البر والبحر قال ابن عباس في البر على الخيل والبغال والحمير والابل وفي البحر على السفن ورزقناهم من الطيبات من كل غذاء نباتي او حيواني الطف والذ واعلم ان التكريم لا يدل على التفضيل لان تكريم زيد لا ينافي

تكريم

تكريم غيره بل من ذلك ولذلك ختم التكريم بقوله وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا فمن زعم ان الكثير ههنا بمعنى الجميع تشنع عليه جار الله بانه يتجشى في الحلق ويتقذى في العين لبشاعة قول القائل وفضلناهم على جميع من خلقنا والانصاف ان كون الكثير بمعنى الجميع لا يوجب هذا التشنيع لانه لا يلزم من افادة اللفظ معنى لفظ آخر بمعنى انه يرجع الحاصل الى ذلك بدلالة الالتزام او بحكم العرف ان يوضع ذلك اللفظ موضعه وينطق به على ان التفسير لا يقوم مقام المفسر البتة لان هذا معزو بذلك فكيف يبقى الذوق بحاله وايضا فالحاصل هو قولنا على جميع من خلقنا فان الدعوى هو ان كثيرا من الشيء اقيم مقام كل ذلك الشيء لا كل من ذلك الشيء حتى يلزم البشاعة من قبل الجمع بين لفظي الكل ومن التبعيضية هذا وان الحق في المسئلة هو اجراء الكلام على الظاهر ولنا لانه يدل على انه حصل في مخلوقات الله شيء لا يكون للانسان تفضيل عليه لانه سبحانه ذكر هذا الكلام في معرض المدح ولو كان الانسان مفضلا على الكل لم يقتصر الله تعالى على ذكر البعض وكل من اثبت هذا القسم قال انه هو الملائكة بل بعض الملك افضل من اكثر الانسان وان كان يوجد في خواص الانسان من هو افضل من عوام الملائكة بل من خواصهم والى هذا ذهب ابن عباس واختاره الزجاج على ما رواه الواحدي في البسيط واما ان الملائكة افضل من كل البشر على ما زعم جار الله واشياعه فانه تحكم محض ولما ذكر انواع كرامات الانسان في الدنيا شرح احوال درجاته في الآخرة فقال يوم ندعو وهو منصوب باضمار اذكر وبقوله فضلناهم على عادة الله في الاخبار ويفضلهم في هذا اليوم بما نعطيهم من الكرامة والثواب وعلى هذا يكون التكريم في الدنيا والتفضيل في الآخرة ولا وقف على تفضيلا والامام في اللغة كل ما يؤتم به من نبي ومقدم في الدين او كتاب او دين والباء في قوله بامامهم للالصاق كما تقول ادعوك باسمك عن ابي هريرة مرفوعا انه ينادى يوم القيامة يا امة ابراهيم يا امة موسى يا امة عيسى يا امة محمد فيقوم اهل الحق الذين اتبعوا الانبياء فياخذون كتبهم بايمانهم ثم ينادى يا اتباع فرعون وفلان وفلان من رؤساء الضلال واكابر الكفر ويجوز ان يتعلق الباء بمحذوف وهو الحال والتقدير ندعو كل اناس متلبسين بامامهم اي يدعون وامامهم فيهم نحو ركب بجنوده وروى الضحاك وابن زيد انه ينادى في القيامة يا اهل القرآن يا اهل التوراة يا اهل الانجيل وقال الحسن يدعون بكتابهم الذي فيه اعمالهم فيقال يا اصحاب كتاب الخير ويا اصحاب كتاب الشر وهو قول الربيع وابي العالية ايضا قال صاحب الكشاف ومن بدع التفاسير ان الامام جمع ام وان الناس يدعون يوم القيامة بامهاتهم والحكمة في ذلك رعاية حق عيسى واظهار شرف الحسن والحسين وان لا يفتضح اولاد الزنى ثم قال وليت شعري ايهما ابدع اصحة لفظه ام بهاء حكمته وقال في التفسير الكبير كل خلق يظهر من الانسان حسن كالعفة والشجاعة والعلم او قبيح كاضدادها فالداعي الى تلك الافعال خلق باطن كالامام له كالمتبع والمتشابه يوم القيامة انما يظهر الثواب والعقاب بناء على الافعال الناشئة من تلك الاخلاق فمن او يعود في معنى الجمع ولذلك قيل في جوابه فاولئك يقرؤن وخص اصحاب اليمين بقراءة كتابهم لان قراءة اصحاب الشمال كلا قراءة لما يعرض لهم فيه من الحياء والخجل والتتعتع ومن كان في هذه الدنيا اعمى لا خلاف ان المراد بهذا العمى عمى القلب واما قوله فهو في الآخرة اعمى فيحتمل ان يراد به عمى البصر كقوله ونحشرهم يوم القيامة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا وفي هذا زيادة العقوبة ويحتمل ان يراد عمى القلب قال ابن عباس المراد ومن كان اعمى في هذه النعم التي عددها من قوله ربكم الذي يزجي الى قوله تفضيلا فهو في الآخرة التي لم يرها اعمى واضل سبيلا لان الضلال عن معرفة احوال الآخرة اقرب وقوعا وعلى هذا يكون الاعمى في الموضعين في الدنيا ومثله ما روى ابو روق عن الضحاك من كان في الدنيا اعمى عما يرى من قدرته في خلق السماء والارض والبحار والجبال والناس والدواب فهو عن امر الآخرة وتحصيل العلم بها اعمى قال المفسرون لا يبعد ان يكون اعمى على هذا التفسير افعل التفضيل ويدل عليه قراءة ابي عمرو بامالة الاول وتفخيم الثاني لان الاول الفه في الطرف فكانت عرضة للامالة ومظنة لها بخلاف الثاني فان تمامه بمن وكانت الفه في حكم وسط الكلمة هذا قول صاحب الكشاف تابعا لابي علي الفارسي واقول في هذا الوجه نظر لان الامالة ليست مخصوصة بلام الكلمة مثل شيبان والكافرين ونحوهما ولهذا قرئ في مريم بامالتهما مع قيام هذا الاحتمال في الثاني ولعل من لم يمل الثاني دعاه المشاكلة بينه وبين اضل والله اعلم وقال الحسن في الآخرة اي في امر الآخرة وذلك انه في الدنيا يقبل توبته وفي الآخرة لا يقبل وقيل المراد بالعمى في الآخرة انه لا يهتدي الى طريق الجنة والى طيباتها والابتهاج بها ولا يمكن ان يراد بها الجهل بالله لان اهل الآخرة يعرفون الله بالضرورة التأويل من استطعت منهم بصوتك اي بكلمة المبتدعة ومقالات اهل الطبيعة ان عبادي ليس لك عليهم سلطان لانهم بخصوصية العبودية تخلصوا عن رق الكونين وتعلق العالمين وكفى بربك وكيلا في تربيتهم وتمشية مصالح احوالهم ربكم الذي يزجي لكم فلك الشريعة في بحر الحقيقة لتبتغوا من فضله جذبة العناية فلما نجاكم الى بر الوصول والوصال اعرضتم بحجب العجب ورؤية الاعمال حاصبا من مطر القهر قاصفا من ريح الابتلاء يسلبكم البدع والاهواء فيغرقكم في بحر الشبهات ولقد كرمنا بني آدم بالكرامات الابدية العامة للمؤمنين والكافر وهي تخمير طينته بيده ونفخ روحه في الرحم بنفسه وبالكرامات الروحانية الخاصة من النبوة والولاية والهداية والجذبة كما قال وحملناهم في البر والبحر اي عبرنا بهم من بر البشرية وبحر الروحانية الى ساحل الربانية ورزقناهم من طيبات المواهب بنوال الكشوف وفضلناهم على كثير ممن خلقنا من الملائكة لانهم للخلق الكثير من مخلوقات الله وبيان تفضيله حسن استعداده في قبول فيض نور الله بلا واسطة وهو المراد بالامانة في قوله انا عرضنا الامانة يوم ندعو كل اناس بامامهم من الدنيا والآخرة وغيرهما فيقال يا اهل الدنيا ويا اهل الآخرة ويا اهل الله فمن اوتي كتابه بيمينه فيه اشارة الى ان اهل الله لا يؤتون كتابهم كما لا يحاسبون

وهذه القصة وقعت بعد الهجرة فلهذا قال المفسرون انها آية مدنية وروى ان قريشا قالوا له اجعل آية رحمة آية عذاب وقال الحسن ان الكفار اخذوا رسول الله صلعم بمكة قبل الهجرة فقالوا يا محمد عن ذم آلهتنا وشتمها ولو كان ذلك حقا كان فلان وفلان بهذا الامر احق منك فوقع في قلب رسول الله ان يكف عن شتم آلهتهم وعن سعيد بن جبير انه صلعم كان يستلم الحجر فمنعه قريش وقالوا لا ندعك حتى تستلم آلهتنا فوقع في نفسه ان يفعل ذلك كراهية فنزلت قال القفال من المعلوم ان المشركين كانوا يسعون في ابطال رسول الله صلعم باقصى ما يقدرون عليه فتارة كانوا يقولون لو عبدت آلهتنا عبدنا الهك فنزلت قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون وقوله ودوا لو تدهن فيدهنون وعرضوا عليه الاموال الكثيرة والنسوان الجميلة ليترك ادعاء النبوة فنزل ولا تمدن عينيك الى ما متعنا ودعوه الى طرد المؤمنين فنزل ولا تطرد الذين يدعون ربهم وكل ذلك دليل على انهم قصدوا ان يفتنوه عن دينه وبزيلوه عن منهجه فلو لم يكن شيء من الروايات المذكورة موجودة لكان للآية محمل صحيح والمعنى وان الشان قاربوا ان يخدعوك فاتنين واصل الفتنة الاختبار ومنه فتن الصائغ الذهب ثم استعمل في كل من ازال الشيء عن حده وجهته وذلك الذي اعطائهم ما سألوه مخالفة لحكم القرآن وافتراء على الله من تبديل الوعد بالوعيد وغير ذلك واذا لاتخذوك اي ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا ولكنت لهم وليا وخرجت من ولايتي ولولا ان ثبتناك لولا تثبيتنا وعصمتنا لك لقد كدت تركن اليهم لقاربت ان تميل الى مرادهم شيئا قليلا قال ابن عباس يريد حيث سكت عن جوابهم قال قتادة لما نزلت هذه الآية قال النبي صلعم اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين ثم توعده في ذلك اشد الوعيد فقال اذا لاذقناك اي لو قاربت ان تركن اليهم ادنى ركون لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة والضعف عبارة عن ضم الشيء الى مثله وقال صاحب الكشاف المراد بعذاب الممات وهو عذاب القبر وعذاب الحيوة وهو عذاب حيوة الآخرة اي عذاب النار والعذاب يوصف بالضعف كقوله تعالى فزده عذابا ضعفا في النار بمعنى مضاعفا فكان اصل الكلام عذابا ضعفا في الحيوة الدنيا وعذابا ضعفا في الممات فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت الصفة كاضافة الموصوف فقيل ضعف الحيوة وضعف الممات كانه قيل لاذقناك اليم الحيوة واليم الممات وقال في التفسير الكبير حاصل الكلام انك لو مكنت خواطر الشيطان من قلبك وعقدت على الركون اليه همك لاستحققت تضعيف العذاب عليك في الدنيا والآخرة ولصار عذابك مثلي عذاب المشرك في الدنيا ومثلي عذابه في الآخرة والسبب في تضعيف هذا العذاب ان اقسام نعم الله تعالى في حق الانبياء اكثر فكان ذنوبهم وكذا عقوبتها اعظم نظيره يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين ثم ان اثبات الضعف لا يدل على نفي الزائد عليه لان دليل الخطاب لا عبرة به فقد يريد بنفي الضعف الى ما لا حد له كما جاء في الحديث من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة ثم لا تجد لك علينا نصيرا يعني لو اذقناك ذلك لم تجد احدا يخلصك من عذابنا واعلم ان القرب من الفتنة لا يدل على الوقوع فيها والتهديد على المعصية لا يدل على الاقدام عليها فلا يلزم من الآية طعن في عصمة النبي صلعم وفيها انه لا عصمة من المعاصي الا بتوفيق الله وتثبيته على الحق وقالت المعتزلة المراد بهذا التثبيت الالطاف الصارفة عن ذلك وهي ما اخطر الله ببالهم من ذكر وعده ووعيده وكونه نبيا من عنده واجيب بانه لو لم يوجد المقتضي للاقدام على ذلك الفعل المحذور لم يكن الى ايجاد المانع حاجة وليس ذلك المقتضي الا القدرة مع الداعي ولا ذلك المانع الا داعية اخرى معارضة للداعي الاول فقد اوجدها الله تعالى عقيب ذلك ثم ذكر طرفا آخر من مكائدهم فقال وان كادوا ليستفزونك ان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة كما في الآية الاولى ومعنى ليستفزونك ليزعجونك كما في قوله واستفزز والارض ارض مكة كما قال قتادة ومجاهد وبرد عليه ان كاد للمقاربة لا للحصول لكن الاخراج قد حصل لقوله وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك ويمكن ان يقال انهم هموا باخراجه لكن الله منعهم من ذلك حتى هاجر بامر ربه فاطلق الاخراج على ارادة الاخراج تجوزا ويؤيده قوله واذا لا يلبثون وهو معطوف على يستفزونك اي لا يبقون بعد اخراجك الا زمانا قليلا لو اخرجوك لاستؤصلوا لكنه لم يقع الاستيصال فدل ذلك على عدم وقوع الاخراج ومن جوز وقوع الاخراج قال المراد بعدم اللبث انهم اهلكوا ببدر بعد اخراجه بقليل واما ارض المقدسة المدينة على ما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلعم لما هاجر الى المدينة حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم فقالوا يا ابا القاسم ان الانبياء بعثوا بالشام وهي بلاد مقدسة وكانت مهاجر ابرهيم فلو خرجت الى الشام لآمنا بك واتبعناك وقد علمنا انه لا يمنعك من الخروج الا خوف الروم فان كنت رسول الله فالله مانعك منهم فعسكر رسول الله صلعم على اميال من المدينة او بذي الحليفة حتى يجتمع اليه اصحابه ويراه الناس عازما على الخروج الى الشام لحرصه على دخول الناس في دين الله فنزلت الآية فرجع وعلى هذا القول يكون هذه الآية ايضا مدنية والخلاف في معنى الخلف كما مر في قوله بمقعدهم خلاف رسول الله وقرئ واذا لا يلبثوا بحذف النون على اعمال اذن فتكون الجملة برأسها معطوفة على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك ثم بين ان عادته تعالى جارية بان كل قوم اخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فانه يهلكهم فقال سنة من قد ارسلنا وهو منصوب على المصدر المؤكد اي سن الله ذلك سنة ولا تجد لسنتنا تحويلا لان الاسباب الكلية في الازل اقتضت توزع كل من اجزاء الزمان على حادث معين بسبب معين فتبديل احد الحوادث وتحويلها الى وقت آخر يقتضي تغير الاسباب عن اوضاعها وهو محال عقلا او عادة قال اهل النظم لما ذكر الالهيات والمعاد والجزاء اردفها بذكر اشرف الطاعات وهي الصلوة وايضا لما قال وان كادوا

حسبهم واهل الشمال يؤتون الكتاب ولكنهم لا يقدرون على القراءة لانهم عمي والقراءة يحتاج الى الابصار بالابصار والبصائر والله اعلم

وَاِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِيْٓ اَوْحَيْنَآ اِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهٗ وَاِذًا لَّاتَّخَذُوْكَ خَلِيْلًا ۝ وَلَوْلَآ اَنْ

ثَبَّتْنٰكَ لَقَدْ كِدْتَّ تَرْكَنُ اِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيْلًا ۝ اِذًا لَّاَذَقْنٰكَ ضِعْفَ الْحَيٰوةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ

عَلَيْنَا نَصِيْرًا ۝ وَاِنْ كَادُوْا لَيَسْتَفِزُّوْنَكَ مِنَ الْاَرْضِ لِيُخْرِجُوْكَ مِنْهَا وَاِذًا لَّا يَلْبَثُوْنَ خِلٰفَكَ اِلَّا قَلِيْلًا ۝ سُنَّةَ

مَنْ قَدْ اَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيْلًا ۝ اَقِمِ الصَّلٰوةَ لِدُلُوْكِ الشَّمْسِ اِلٰى غَسَقِ

الَّيْلِ وَقُرْاٰنَ الْفَجْرِ اِنَّ قُرْاٰنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوْدًا ۝ وَمِنَ الَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهٖ نَافِلَةً لَّكَ عَسٰٓى اَنْ يَّبْعَثَكَ رَبُّكَ

مَقَامًا مَّحْمُوْدًا ۝ وَقُلْ رَّبِّ اَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَّاَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ وَّاجْعَلْ لِّيْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا

نَّصِيْرًا ۝ وَقُلْ جَآءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ اِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوْقًا ۝ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْاٰنِ مَا هُوَ شِفَآءٌ

وَّرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِيْنَ وَلَا يَزِيْدُ الظّٰلِمِيْنَ اِلَّا خَسَارًا ۝ وَاِذَآ اَنْعَمْنَا عَلَى الْاِنْسَانِ اَعْرَضَ وَنَاٰ بِجَانِبِهٖ وَاِذَا

مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوْسًا ۝ قُلْ كُلٌّ يَّعْمَلُ عَلٰى شَاكِلَتِهٖ فَرَبُّكُمْ اَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ اَهْدٰى سَبِيْلًا ۝ وَيَسْئَلُوْنَكَ

عَنِ الرُّوْحِ قُلِ الرُّوْحُ مِنْ اَمْرِ رَبِّيْ وَمَآ اُوْتِيْتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ اِلَّا قَلِيْلًا ۝ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِيْٓ اَوْحَيْنَآ ع

اِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهٖ عَلَيْنَا وَكِيْلًا ۝ اِلَّا رَحْمَةً مِّنْ رَّبِّكَ اِنَّ فَضْلَهٗ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيْرًا ۝ قُلْ لَّئِنِ

اجْتَمَعَتِ الْاِنْسُ وَالْجِنُّ عَلٰٓى اَنْ يَّاْتُوْا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْاٰنِ لَا يَاْتُوْنَ بِمِثْلِهٖ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيْرًا ۝

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِيْ هٰذَا الْقُرْاٰنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَاَبٰٓى اَكْثَرُ النَّاسِ اِلَّا كُفُوْرًا ۝

القراءات خلفك ابن كثير و ابو جعفر و نافع و ابو عمرو و ابو بكر و حماد الآخرون خلافك بكسر الخاء وبالالف ننزل من مخففا ابو عمرو ويعقوب الباقون بالتشديد ونأى بجانبه مثل ناع يزيد وابن ذكوان ونأى بفتح النون وامالة الهمزة مثل رمى حمزة غير خلف والعجلي وحماد ويحيى وعباس وابو شعيب ونصير مثله ولكن بكسر النون على غير نصير وخلف والعجلي وخلف لنفسه الباقون بفتحتين كرعى الوقوف خليلا ه قليلا ه لتعلوا ه نصيرا ه قليلا ه تحويلا ه وقرآن الفجر ط مشهودا ه نافلة لك ق للوصل اولى لان عسى وعد على التهجد محمودا ه نصيرا ه وزهق الباطل ط زهوقا ه للمؤمنين لا لان ما بعده من صلة ما خسارا ه بجانبه لعطف جملتي الظرف يؤسا ه شاكلته ط سبيلا ه عن الروح ط قليلا ه وكيلا لا من ربك ط كبيرا ه ظهيرا ه نصف الجزء مثل ز لعطف المتفقين لفظا المختلفين معنى كفورا ه التفسير لما عدد في الآيات المتقدمة اقسام نعمه على بني آدم وشرح احوال السعداء اردفه بما يجري مجرى تحذير السعداء من الاغترار بوساوس الاشقياء عن ابن عباس في رواية عطاء ان وفد ثقيف قالوا للنبي صلعم لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلوتنا اي لا ننحني وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة ولا نكسرها بايدينا عند رأس الحول وان تمنع من قصد وادينا وج فعضد شجره فاذا سألتك العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني به وجاؤا بكتابهم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لثقيف لا يعشرون ولا يحشرون فقالوا ولا يجبون فسكت رسول الله ثم قالوا للكاتب اكتب ولا يجبون والكاتب ينظر الى رسول الله فقام عمر بن الخطاب فسل سيفه وقال اسعرتم قلب نبينا يا معشر ثقيف اسعر الله قلوبكم نارا فقالوا لسنا نكلمك انما نكلم محمدا فقال عمر اما ترون رسول الله صلعم امسك عن الكلام كراهية لما تذكرونه فانزل الله الآية

يستفزونك امره بالاشتغال بعبادته تفويضا للامور الى الله وتعويلا على فضله في دفع شر اعدائه نظيره قوله في سورة طه فاصبر على ما يقولون
وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ذهب كثير من المفسرين كابي قتيبة وسعيد بن جبير منقولا عن ابن عباس ان دلوك
الشمس هو غروبها وعلى هذا لا تشتمل الاية صلوتي الظهر والعصر واكثر الصحابة والتابعين على ان دلوك الشمس زوالها عن كبد السماء ويؤيد
ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبرئيل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر قالوا واشتقاقه من الدلك لان الانسان يدلك عينيه اذا نظر اليها وهي في كبد
السماء وعلى هذا التفسير تشتمل الاية جميع الصلوات الخمس وحمل كلام الله على ما هو اكثر فائدة اولى واللام بمعنى الوقت او للتعليل اي ادم الصلوة في هذا
الوقت الى غسق الليل اي ظلمته قال الكسائي غسق الليل غسوقا اي اظلم والاسم الغسق بفتح السين واصل التركيب يدل على السيلان ومنه يقال
غسقت العين اذا هملت وكان الظلام ينهمل على الدنيا ويتراكم وهذا عند سيبويه الشفق الابيض واستدل به بعض الشافعية على ان اول
وقت العشاء الاخرة يدخل بغروب الشفق الاحمر لان المحدود الى غاية يكون مشروعا قبل حصول تلك الغاية وهذا الاستدلال مبني على ان
الغاية لا يدخل في ذي الغاية وعلى ان الاية يجب ان يشتمل جميع الصلوة وللخصم المنع في المقامين ثم ان المفسرين اجمعوا على ان المراد بقران الفجر
هو صلوة الصبح التسمية للشيء ببعض اجزائه ومثله تسمية الصلوة ركوعا وسجودا وقنوتا قال جار الله انه حجة على ابن علية والاصم في زعمهما ان القراءة ليست
بركن قلت اجزاء الصلوة اعم من اركانها ولهذا انقسمت للفقهاء الصلوة الى اركان وابعاض وهيئات فلا يتم هذا الاعتراض وفي الاية مسائل
الاولى استدل بعض الشيعة بها على جواز الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء مطلقا واجيب بان الاية مخصوصة بفعل الرسول وبقوله
صلوا كما رايتموني اصلي ويستثنى منه عذر السفر والمطر لعدم الدليل المخصص في تلك الصورة فلزم ابقاؤها على الجواز الاصلي الثانية استدل
بعض الشافعية بها على ان التغليس في صلوة الصبح افضل من التنوير لوجوه منها انه اضاف القران الى الفجر والتقدير اقم قران الفجر وظاهر الامر
للوجوب فلا اقل من الندب حتى لا يكثر المخالفة الدليل والفجر انفجار ظلمة الليل فيلزم ان يكون اقامة الفجر في اول الوقت افضل ومنها انه خص
الفجر باضافة القراءة اليه فدل على ذلك ان طول القراءة في هذه الصلوة مطلوب ولن يتم هذا المطلوب الا اذا شرع في ادائه في اول الوقت و
منها انه وصف قران الفجر بكونه مشهودا فقيل اي يشهده الكثير من المصلين في العادة او من حقه ان يكون مشهودا بالجماعة الكثيرة وقال اكثر
المفسرين معناه ان ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون في صلوة الصبح تنزل هؤلاء فهو في اخر ديوان الليل واول ديوان النهار وقيل انهم
يجتمعون خلف الامام تنزل ملائكة النهار عليهم وهم في صلوة الغداة قبل ان يعرج ملائكة الليل فاذا فرغ الامام من صلوته عرجت ملائكة الليل
ومكثت ملائكة النهار ثم ان ملائكة الليل اذا صعدت قالت يا رب انا تركنا عبادك يصلون لك ويقول ملائكة النهار ربنا اتينا عبادك
وهم يصلون فيقول الله للملائكة اشهدوا اني قد غفرت لهم والغرض ان المكلف اذا شرع في صلوة الصبح في اخر الظلمة الذي هو اول الفجر كانت
ملائكة الليل حاضرين بعد ثم اذا امتدت هذه الصلوة بسبب ترتيل القراءة وتكثيرها زالت الظلمة بالكل او بالاكثر وحضرت ملائكة النهار
وهذا المعنى لا يحصل اذا ابتدئ بها وقت التنوير قال اهل التحقيق اذا شرع في صلوة الصبح في اول وقتها شاهد في اثنائها انقلاب العالم من الظلمة
التي هي نظيرة الموت الى الضياء الذي هو نظير الحيوة فان نقي عقله من هذه الحالة الى عجيب صنع الخالق المدبر للانفس والافاق فيزداد بصيرة
وايقانا ومعرفة وايمانا وينفتح عليه ابواب المكاشفة والمشاهدة واذا كان هذا المعنى في الجماعة الكثيرة صارت نفوسهم كالمرايا المشرقة المتقابلة
المتعاكسة اضوائها الواقعة على كل منها فيزداد كل منهم نورية وبهاء فيحتمل ان يكون قوله مشهودا اشارة الى هذه الاحوال المشاهدة ولا ريب
انه اذا شرع في الصلوة اول انتباهه من النوم قبل ان يرد على لوح عقله وفكره النقوش الفاسدة من الامور الدنيوية الدنية كان اولى
فان الانبياء ما بعثوا الا لازالة مثل هذه الامراض عن النفوس ثم حث على قيام الليل فقال ومن الليل فتهجد به قال ابو عبيدة وابن
الاعرابي هذا من الاضداد لانه يقال هجد الرجل اذا نام وهجد ايضا اذا صلى من الليل وتوسط الازهري فقال الهجود في الاصل هو النوم بالليل و
لكن التفعل فيه لاجل التجنب ومنه تاثم وتحرج اذا القى الاثم والحرج عن نفسه فكان المتهجد يدفع الهجود عن نفسه وبوجه اخر لما كان غرض المصلي
بالليل ان يطيب رقاده وهجوده بعد الموت سمي بذلك لاعتبار متهجدا وربما يقال سمي تهجدا لان الاصل فيه ان يرقد ثم يصلي فهو صلوة بعد
رقاد كما كانت صلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولداود كما جاء في الحديث افضل القيام قيام داود كان ينام ثلثه ويقوم سدسه قال جار الله معنى ومن الليل وعليك
بعض الليل فتهجد به وقال في التفسير الكبير تقديره واقم الصلوة في بعض الليل فتهجد به اي بالقران ومعنى نافلة زائدة كما مر في اول الانفال
ثم من ذهب الى ان صلوة الليل كانت واجبة على النبي صلى الله عليه وسلم زعم ان معناها كونها فريضة له زائدة على الصلوة الخمس او المراد ان فرضيتها نسخت عنه
فصارت تطوعا زائدة على الفرائض ويرد عليه ان الامر ظاهر الوجوب فيكون بين قوله فتهجد وبين قوله نافلة تعارض وكذا الاعتراض
على قول من يقول ان صلوة الليل لم تكن واجبة عليه ويمكن ان يجاب عنه بان قوله نافلة قرينة صارفة للوجوب الى الندب وعن مجاهد
والسدي ان كل طاعة يلتزمها النبي سوى المكتوبة فان تاثيرها لا يكون في كفارة الذنوب لانه غفر له ذنبه ما تقدم منه وما تاخر وانما يكون
مؤثرة في زيادة الدرجات وكثرة الثواب لا كذلك حال الامة فكانه قيل للنبي ان هذه الطاعات زوائد ونوافل في حقك لا في حق غيرك
لان غيرك يحتاج اليها في تكفير السيئات ومن تقييد التهجد بقوله نافلة لك يعلم ان قوله اقم الصلوة عام له ولكل امته وان كان ظاهر الخطاب

معه ثم وعده على اقامة الفرائض والنوافل بقوله عسى ان يبعثك ربك ولا ريب ان عسى من الكريم اطماع واجب قال في الكشاف انتصب مقاما محمودا
على الظرف اي عسى ان يبعثك يوم القيمة فيقيمك مقاما محمودا او ضمن يبعثك معنى يقيمك او هو حال اي يبعثك ذا مقام محمود قيل انه مطلق
في كل ما يجلب الحمد من انواع الكرامات والاولى ان يخص ذلك بالشفاعة لان الحمد انما يكون بازاء انعام ولا انعام للنبي على امته في الاخرة الا انعام
الشفاعة ولا انعام اجل منها لان السعي في تخليص الغير من العقاب اهم من السعي في ايصال الثواب اليه ويؤيده رواية ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم هو المقام
الذي اشفع فيه لامتي واما ما روي عن حذيفة ان المقام المحمود ان يجمع الناس في صعيد واحد ولا يتكلم نفس فاول مدعو محمد فيقول لبيك وسعديك
والشر ليس اليك والمهدي من هديت عبدك بين يديك وبك واليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت
فليس بقوي لان هذا القول من محمد لا يوجب حمدا له من امته الا ان يكون من مقدمات الشفاعة فيرجع الى الاول وقيل المراد مقاما يحمد عاقبته
وروى الواحدي عن ابن مسعود ان ذلك حين يقعد محمدا معه على العرش ويتبعه لزوم التحيز له تعالى قوله ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق في
مصدر ان بمعنى الادخال والاخراج والاضافة الى الصدق لاجل المبالغة نحو حاتم الجود اي ادخالا لا يرى فيه ما يكره
قال الحسن وقتادة نزلت حين امر بالهجرة يريد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ان اليهود قالوا له اذهب الى الشام فانه مسكن الانبياء وعزم رسول
الله صلى الله عليه وسلم على الذهاب اليه فكانه قيل له المعبود واحد في كل البلاد وما النصر الا من عند الله فداوم على الصلوة وارجع الى مقرك وسكنك
وقيل رباط على المدينة مدخل صدق واخرجني منها الى مكة مخرج صدق اي افتحها لي فعلى هذا يكون الكلام عودا الى الواقعة المذكورة
وان كادوا ليستفزونك والاولى ان يقال انه عام في كل ما يدخل فيه ويلابسه من امر ومكان وقيل ادخال مكة ظاهرا عليها بالفتح واخراجه منها
امنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من عظيم الامر وهو النبوة واخراجه منه مؤديا لما كلفه من غير تفريط
وقيل الله رب ادخلني الصلوة واخرجني منها مع الصدق والاخلاص والقيام بلوازم الخضوع وادخلني في مجاري دلائل التوحيد واخرجني من الاشتغال
بالدليل الى ضياء معرفة المدلول وقال صاحب الكشاف ادخلني القبر ادخالا مرضيا واخرجني منه عند البعث ملقى بالكرامة يدل على هذا التفسير
ذكره على اثر ذكر البعث واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا حجة ظاهرة تنصرني بها على جميع من خالفني او ملكا وعزا ناصرا للاسلام وقد نجز ثم
بشر بمسحابة دعائه بقوله وقل جاء الحق اي الاسلام وزهق الباطل اضمحل الشرك من زهقت نفسه اذا خرجت ان الباطل كان زهوقا غير
ثابت في كل وقت وان اتفقت له دولة وصولة كانت كنار العرفج عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وحول البيت ثلثمائة وستون
صنما لقبائل العرب صنم لكل قوم بحيالهم فجعل يطعنها بعود في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل فجعل ينكب لوجهه حتى القاها جميعا وبقي صنم
خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال يا علي ارم به فحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد فرمى به فكسره فجعل اهل مكة يتعجبون ويقولون ما رأينا
رجلا اسحر من محمد فلا جرم كذبهم الله وصدق نبيه بقوله وننزل من القران من للبيان كقوله من الاوثان او للتبعيض اي ننزل ما هو شفاء
هو هذا القران او بعض هذا الجنس وقيل زائدة ولما كانت ازالة المرض مقدمة على السعي في تكميل موجبات الصحة ذكر كون القران شفاء من
الامراض الروحانية كالعقائد الفاسدة والاخلاق الذميمة ومن الامراض الجسمانية ايضا لما فيه من التيمن والبركة وحصول الشفاء للمرض
كما قال صلى الله عليه وسلم من لم يستشف بالقران فلا شفاه الله ثم ثنى انه رحمة للمؤمنين لما فيه من كيفية اقتناص العلوم الجليلة والاخلاق الفاضلة التي بها يصل
الانسان الى جوار الملائكة المقربين بل الى جناب رب العالمين ولما كان قبول القابل شرطا في ظهور الاثر من الفاعل فلا جرم لا يزيد
القران الظالمين الذين وضعوا التكذيب مقام التصديق والشك موضع الايقان والاطمينان الا خسارا لان لكل عضو انفي كلما عند
زدته شرا فلا يزال سماع القران يزيد المشركين غيظا وحنقا ويدعوهم ذلك الى زيادة ارتكاب الاعمال القبيحة وهلم جرا الى ان يدفع الله مكرهم
ثم ذكر نتيجة خصلة الانسان التي جبل عليها فقال واذا انعمنا على الانسان اي على هذا الجنس بالصحة والغنى وعن ابن عباس انه
الوليد بن المغيرة وفي التخصيص نظر الا ان يكون سبب النزول اعرض ونأى بجانبه لنأى البعد والباء للتعدية او للمصاحبة وهو تاكيد
للاعراض لان الاعراض عن الشيء هو ان يوليه عرض وجهه اي ناحيته والنأي بالجانب ان يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره واراد الاستكبار لان
هذا الفعل من شان المستكبرين ومن قرأ ناء فاما من النوء بمعنى النهوض مستثقلا واما مقلوب كقولهم راء في رأى واذا مسه الشر
من مرض او فقر كان يؤسا شديد الياس من روح الله والحاصل انه ان فاز بالمطلوب الدنيوي وظفر بالمقصود الدنيوي نسي المنعم الحقيقي وان فاته
شيء من ذلك استولى عليه الاسف حتى كاد يتلف ويتنفى كلتا الخصلتين من مؤمن ولا مقتضي لهما الا العجز والطيش وكل يفقد ركما قال
كل يعمل على شاكلته اي كل واحد من الخلائق انما يتيسر له ان يعمل على سيرته وطريقته التي تشاكل حاله التي جبل عليها من قولهم طريق ذو شواكل وهي
الطرق التي تتشعب منه فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا لانه خلق كل شيء ويراه عالم بخاصية كل نفس وبمقتضى جوهرها المشرق او المظلم سواء
قلنا ان النفوس مختلفة بالماهيات او هي متساوية الحقائق واختلاف احوالها لاختلاف امزجة ابدانها كما ان الشمس تعقد الملح وتلين الذهب
وتبيض ثوب القصار وتسود وجهه ولما انجر الكلام الى ذكر الانسان وما جبل هو عليه لزم البحث عن ماهية الروح فلذلك قال ويسئلونك
عن الروح ذكر المفسرون في سبب نزوله ان اليهود قالوا لقريش سلوا محمدا صلى الله عليه وسلم عن ثلث عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب

عن الأوليين وأبهم الثالثة تصويبة لأن ذكر الروح مبهم في التوراة وإن أجاب عن الكل أو سكت فليس بنبي فبين لهم القصتين وأبهم أمر الروح
من أمر ربي أي مما استأثر الله بعلمه فندموا على سؤالهم ومن الناس من طعن في هذه الرواية لوجوه منها أن الروح ليس أعلى شأنا من الله تعالى وإذا
كانت معرفة الله تعالى ممكنة بل حاصلة فما المانع من معرفة الروح ومنها أن هذه المسألة يعرفها الفلاسفة والمتكلمون فكيف يليق بالنبي صلى الله عليه وسلم أن يقول
إني لا أعرفها مع وفور علمه وكمال معرفته وكيف يصح ما روي عن ابن عباس أنه قال لقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح ومنها أن جعل الحكاية دليلا على
النبوة غير معقول ونحن نتفصى عن المسألة فنقول السؤال عن الروح إما أن يكون عن حقيقته أو عن حال من أحواله ككونه متحيزا أو قديما أو حادثا
أو باقيا بعد البدن أو فانيا أو على تقدير البقاء ما سعادته وشقاوته وبالجملة فالمباحث المتعلقة بالروح كثيرة وفي قوله تعالى ويسألونك عن الروح
ليس فيه ما يدل على تعيين شيء من هذه المسائل فالأولى أن يحمل السؤال على السؤال عن الحقيقة لأن معرفة حقيقة الشيء أهم وأقدم من معرفة
حال من أحواله فيكون قوله قل الروح من أمر ربي رمزا إلى أن الروح جوهر بسيط مجرد حصل بمجرد الأمر وهو قوله كن فيكون لأن الآية دلت على أن
الروح من أمر الرب وقال في آخر سورة يس إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ينتج أن الروح إذا أراده فإنما يقول له كن فيكون ومنه
يعلم أنه شيء مغاير للأجسام المتوقفة على المادة والمدة وللأعراض الموقوفة على الأجسام وأنه بسيط محض ولا يتوقف على انضمام أجزائه ولا يلزم من
كون الروح كذلك كونه مشاركا للباري تعالى في الحقيقة فإن الاشتراك في اللوازم لا يقتضي الاشتراك في الملزومات وليس في الآية دلالة على حدوث
الروح إلا بحسب الذات بل لقائل أن يستدل بها على قدمه بالزمان إذ لو كان متوقفا على الزمان لم يكن حاصلا بمجرد الأمر والمفروض خلافه
ولما كان أمر الروح مشتبها على الناس كلهم أجملهم ختم الآية بقوله وما أوتيتم من العلم إلا قليلا وذلك أن الإنسان وإن كمل علمه وكثرت معرفته
بحقائق الأشياء ودقائقها فإن ما علم يكون أقل مما لم يعلم فإذا نسب معلومه إلى معلومات الله المشار إليها بقوله ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام
قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي كان كلا شيء فإنه لا نسبة للمتناهي إلى غير المتناهي أصلا وقال بعض المفسرين هو خطاب لليهود خاصة لأنهم قالوا
للنبي صلى الله عليه وسلم قد أوتينا التوراة وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا فقيل لهم إن علم التوراة قليل في جنب علم الله وذكر
الإمام فخر الدين الرازي أن قوله الروح من أمر ربي يدل على أن الروح حادث لأن الأمر قد جاء بمعنى الفعل قال تعالى وما أمر فرعون برشيد
أي فعله وقال فلما جاء أمرنا أي فعلنا وإذا حصل الروح بفعل الله وتكوينه كان من المحدثات قلت هذا عين النزاع فإن الخصم لا يسلم أن
كل ما هو من فعل الله وبإيجاده فإنه حادث ثم ذكر حجة أخرى على حدوث الروح مستنبطة من قوله سبحانه وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ووجه تقريرها
أن الإنسان بل روحه في مبدأ الفطرة خال عن العلوم والمعارف ثم لا يزال يحصل له المعارف فهو دائما في التبدل والتغير من النقصان
إلى الكمال وكل متغير محدث ومنع كلية هذه القضية عند الخصم مشهور على أن حمل وقت خلو العلم على أول الفطرة تخصيص من غير دليل مع
أن ظاهر الآية يدل على أن الإنسان وإن أخذ حظا من العلم وافرا فإنه قليل بالإضافة إلى علم عالم الذات وقيل الروح المذكور في الآية هو القرآن
الذي هو سبب الحيوة كالروح كان القوم استعظموا أمره وسألوا أنه من جنس الشعراء أو من جنس الكهانة فأجابهم الله تعالى بأنه ليس من جنس كلام
البشر وإنما هو كلام ظهر بأمر الله ووحيه وتنزيله وقيل هو ملك في غاية العظم والشرف وهو المراد من قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا
ونقل عن علي رضي الله عنه أن له سبعين ألف وجه لكل وجه سبعون ألف لسان لكل لسان سبعون ألف لغة يسبح الله تعالى بتلك اللغات كلها ويخلق الله من كل تسبيحة ملكا
يطير مع الملائكة يوم القيامة ولم يخلق الله خلقا أعظم من الروح غير العرش ولو شاء الله أن يبلع السموات السبع والأرضين السبع بلقمة واحدة
لفعل وأمثال هذه الروايات مسرحها بقعة الإمكان ولا وجه للاعتراض عقلا عليه وقال الحسن وقتادة هذا الروح جبريل كأنهم سألوا الرسول
كيف جبريل في نفسه وكيف قيامه بتبليغ الوحي فأمر بأن يقول الروح من أمر ربي أي نزوله بأمر الرب كقوله وما نتنزل إلا بأمر ربك وقال
مجاهد الروح خلق ليسوا بالملائكة على صورة بني آدم لهم أيد وأرجل ورؤوس يأكلون كما يأكل الناس وليسوا بالناس وضعف هذه الأقوال
بأن صرف السؤال عن الروح الإنساني الذي تحير وأعيى العقلاء عن معرفته إلى أشياء مجهولة الوجود مستنكر واعلم أن للعقلاء في حقيقة
الإنسان اختلافات كثيرة وإذا كان حال العلم بأقرب الأشياء إلى الإنسان وهو نفسه هكذا فما ظنك بما هو الأبعد ولنذكر بعض تلك المذاهب
ليلوح في تضاعيف ذلك فنقول العلم الضروري حاصل بوجود شيء يشير إليه كل واحد بقوله أنا فذلك المشار إليه إما أن يكون جوهرا
متحيزا أو جسما هو هذه البنية أو جسما داخلا فيها أو خارجا عنها أو عرضا أما المتكلمون فالجمهور منهم ذهبوا إلى أن الإنسان هو هذا الهيكل المحسوس
وزيف بأن البدن دائما في التغير والتبدل والمشار إليه باق واحد من أول العمر إلى آخره وبأن الإنسان قد يكون غافلا عن نفسه حين ما يكون ذاهلا
عن أجزاء بدنه وبأن النصوص الواردة في القرآن والخبر كقوله عز من قائل ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء يا أيتها النفس المطمئنة
ارجعي النار يعرضون عليها غدوا وعشيا وكقوله صلى الله عليه وسلم أولياء الله لا يموتون ولكن ينقلون من دار إلى دار القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من
حفر النيران وقوله في خطبة طويلة حتى إذا حمل الميت على نعشه رفرف روحه فوق النعش ويقول يا أهلي ويا ولدي لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت
بي جمعت المال من حله وغير حله فالهناء لغيري والتبعة علي فاحذروا مثل ما حل بي توجب مغايرة النفس للبدن وبأن جميع فرق الدنيا من أرباب
الملل والنحل يتصدقون عن موتاهم ويزورونهم ويدعون لهم بالخير وبأن الميت قد يرى في المنام فيخبر عن أمور غائبة ويكون كما أخبر وبأن

[هامش: إنه قال الروح م — أو غير متحيز ح — عن المتناهي ح — تعريف الإنسان — تحقيق النفس]

الإنسان قد يقطع عضو من أعضائه ونعلم يقينا أنه هو الذي كان قبل ذلك وبثبوت المسخ في حق طائفة من أهل الكتاب وليس المسخ إلا
تغير البنية مع بقاء الحقيقة وبأن جبريل قد رئي في صورة دحية وإبليس رئي في صورة الشيخ النجدي فعلم أن لا عبرة بالبنية وبأن الزاني يؤتى في
قبره فيضرب على ظهره فعلم أن المتلذذ والمتألم شيء آخر سوى العضو وبأنا نعلم ضرورة أن العالم الفاهم المخاطب إنما هو في ناحية القلب ليس
جملة البدن ولا شيئا من الأعضاء أما أن قيل الإنسان جسم هو في داخل البدن فاعلم أن أحدا من العقلاء لم يقل بأن الإنسان عبارة عن الأعضاء
الكثيفة الصلبة التي غلبت عليها الأرضية كالعظم والغضروف والعصب والوتر والرباط والشحم واللحم والجلد ولكن منهم من قال إنه الجسم الذي
غلب عليه المائية من الأخلاط الأربعة أعني الدم بدليل أنه إذا خرج لزم الموت ومنهم من قال إنه الذي غلب عليه الهوائية والنارية وهو الروح
الذي في القلب وجوفه لا يتجزى في الدماغ ومنهم من يقول المختلطة بهذه الأرواح القلبية والدماغية أجزاء نارية مسماة بالحرارة الغريزية
وهي الإنسان ومنهم من قال إذا تكون بدن الإنسان وتم استعداده نفذت فيه أجرام سماوية نورانية لطيفة الجوهر على طبيعة ضوء الشمس غير
قابلة للتبديل والتحليل ولا للتفرق والتمزق نفوذا يشبه نفوذ النار في الفحم والدهن في السمسم وماء الورد في الورد وهذا النفوذ هو
المراد بقوله ونفخت فيه من روحي ثم إذا تولد في البدن أخلاط غليظة منعت من سريان تلك الأجسام فيها فانفصلت تلك عن البدن
فيعرض الموت للجوهر قال الإمام فخر الدين الرازي هذا ما ذهب إليه ثابت بن قرة وغيره وهو مذهب قوي شريف يجب التأمل فيه فإنه شديد
المطابقة لما في الكتب الإلهية من أحوال الحيوة والموت قلنا أما نفوذ الجوهر النوري في البدن كنفوذ الدهن في السمسم وأما أنه أجرام وأجسام
ففيه نظر واعلم أنه لم يذهب أحد إلى أن الإنسان جسم خارج عن البدن ولا إلى أنه عرض حال في البدن إلا ما نقل عن الأطباء وعن أبي الحسين البصري
من المعتزلة أن الإنسانية عبارة عن امتزاجات أجزاء العناصر بمقدار مخصوص وعلى نسبة معلومة تخص هذا الصنف ومن شيوخ المعتزلة من
قال الإنسان عبارة عن أجزاء مخصوصة بشرط كونها موصوفة بأعراض مخصوصة هي الحيوة والعلم والقدرة ومنهم من قال إنه ممتاز عن سائر الحيوانات
بشكل جسده وهيئة أعضائه والصحيح من المذاهب عند أكثر علماء الإسلام كالشيخ أبي القاسم الراغب الأصفهاني والشيخ أبي حامد الغزالي ومن
قدماء المعتزلة معمر بن عباد السلمي ومن الشيعة الشيخ المفيد ومن الكرامية جماعة ومن الفلاسفة الإلهيين كلهم أن الروح الإنساني جوهر
مجرد ليس داخل العالم الجسماني ولا خارجه ولا متصل به ولا منفصل عنه ولكنه متعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف كما أن إله العالم
لا تعلق له بالعالم إلا على سبيل التصرف والتدبير ومهما انقطعت علاقته عن البدن ولا يبقى البدن معطلا ميتا واستدلوا على هذا
المطلوب بحجج منها ما اختاره الإمام فخر الدين الرازي وهي لو كان الإنسان جوهرا متحيزا عين ذاته المخصوصة إذ لو كان صفة قائمة بها لزم كون الشيء
الواحد متحيزا مرتين ولزم اجتماع المثلين وأيضا لم يكن جعل أحدهما ذاتا والآخر صفة أولى من العكس وأيضا التحيز الثاني إن كان عين الذات فهو
المقصود وإن كان صفة لزم التسلسل وإذا كان التحيز عين ذاته لزم أنه متى عرف ذاته عرف تحيزه لكنا قد نعرف ذاتنا مع الجهل بالتحيز والامتداد
في الجهات الثلاث وذلك ظاهر عند الاختبار والامتحان وإذا كان اللازم باطلا فالملزوم مثله وعورض بأنه لو كان الإنسان جوهرا مجردا
لكان كل من عرف ذاته عرف تجرده وليس كذلك وأجيب بالفرق بين التحيز وهو صفة ثبوتية وبين التجرد وهو صفة سلبية ومنها أن الشيء الذي
يشير إليه كل واحد بقوله أنا واحد بالبديهة ولأن الغضب مثلا حالة نفسانية يحدث عند محاولة دفع المنافي وطلب دفع المنافي
مشروط بالشعور بكون الشيء منافيا فالذي يغضب لا بد أن يكون هو بعينه مدركا ولأن اشتغال الناس بالغضب والانصباب إليه يمنعه من
الاشتغال بالشهوة والانصباب إليها فعلمنا أنهما صفتان مختلفتان لجوهر واحد إذ لو كان لكل منهما مبدأ مستقل لم يكن اشتغال أحدهما
بفعله مانعا للآخر وأيضا إذا أدركنا شيئا فقد يكون الإدراك سببا لحصول الشهوة وقد يكون سببا للغضب فعلمنا أن صاحب الإدراك
بعينه هو صاحب الشهوة والغضب وأيضا النفس لا يمكنها أن تتحرك بالإرادة إلا عند حصول الداعي ولا معنى للداعي إلا الشعور بخير يرغب في فعله
هذا يقتضي أن المتحرك بالإرادة هو بعينه المدرك للخير والشر واللذة والألم والمؤذي والنافع والضار وهو المبصر والسامع والشام والذائق واللامس
والمتخيل والمتفكر والمشتهي والغاضب وإن كانت الآلات مختلفة وقوى متغايرة وإذا ثبت ذلك فلو كانت النفس عبارة عن جملة البدن كان للكل
أثر واحد ولو كانت جزءا من أجزاء البدن كانت قوته سارية في جميع أجزاء البدن والوجود بخلافه لكل تحصل اليقين بأن النفس شيء مغاير لكل
البدن ولكل جزء من أجزائه ومنها أن الاستقراء يدل على أن أحوال النفس بالضد من أحوال الجسد إذ قبل شكل التثليث مثلا امتنع أن يقبل
شكل التربيع ولا كذلك حال النفس فإن إدراك كل صورة يعينها على إدراك ما عداها ولذلك يزداد الإنسان فهما وذكاء بازدياد العلوم
وأيضا كثرة الأفكار توجب قوة للنفس ويستدعي استيلاء النفس على الدماغ وقد يصير أبدان أرباب الرياضة في غاية النحافة والهزال وتقوى
نفوسهم بحيث لا يلتفتون إلى السلاطين وأصحاب الشوكة والقوة ومما يختص بهذه الآية التي نحن في تفسيرها أن الروح لو كان جسما منتقلا
من حالة إلى حالة لكان مساويا للبدن في كونه متولدا من أجسام متغيرة من صفة إلى صفة فحين سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح كان الأنسب
أن يقول إنه جسم كان كذا ثم صار كذا وكذا كما ذكر في كيفية تولد البدن أنه كان نطفة ثم صار علقة ثم مضغة إلى آخره والأحاديث
الواردة في أن الأرواح مخلوقة قبل الأجساد تؤكد ذلك أوائل الذي ادعينا من أن النفس شيء مغاير للبدن ولأجزائه والله أعلم بحقائق

[هامش: لمكان كونه متحيزا م — يرغب في جذبه أو شر ح — الأول الجسم م]

الامور فان اهل النظر ليعلموا انه ما اتاهم من العلم الا القليل اراد ان يبين انه لو شاء ان ياخذ منهم ذلك القليل لقدر عليه فقال ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك فلك فى قبضة علم القران الى القلة خروج من الادب فالاولى فى وجه النظم ان يقال انه لما كشف لهم الغطاء عن مسئلة الروح و

بين ان ذلك من العلوم الا لهية لانها بقيت لهم من العلوم الانسانية القليلة وكان فيه بيان كمال علمه تعالى ونقصان علم الانسان اراد ان يبين غاية قدرته ونهاية ضعف الانسان ايضا فبين انه قادر على ذهاب القران ومحوه عن الصدور والمصاحف وسيكون ذلك فى اخر الزمان كما جاء

فى الروايات لا تجد لك به علينا وكيلا الذى هو اكمل انواع الانسان من يتوكل على الله بلسترداده فضلا عن غيره الا رحمة من ربك استثناء متصل اى الا ان يرحمك

ربك فيرده عليك كان رحمته يتوكل عليه بالرد او منقطع معناه ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به ان فضله بايحاء القران اليك ثم ابقاء

عليك وبهذا وبسائر الخصائص انه كان عليك كبيرا وفيه بيان نعمة القران وبقائه محفوظا فى الصدور ومسطورا فى الدفاتر من اجل النعم واشرفها

فعلى كل ذى علم ان لا يغفل عن شكرها والقيام بموجبها جعلنا الله ممن يراعى حق القران ويعمل بمقتضاه واحتج الكعبى بالاية على ان القران مخلوق

لان ما يمكن ازالته والذهاب به يستحيل ان يكون قديما واجيب بان المراد ازالة العلم به عن القلوب والذهاب بالنقوش الدالة عليه فى المصحف لا يوجب

حدوث الكلام النفسى الذى هو محل النزاع ثم دل على ان الذى اوحى اليه ليس من جنس كلام المخلوقين فقال قل لئن اجتمعت الانس والجن

والاية وقد مر وجه اعجاز القران فى اوائل سورة البقرة فان قيل هب انه ظهر عجز الانسان عن معارضته فكيف عرف عجز الجن عن معارضته ولم لا يجوز

ان يقال ان الجن اعانوه على هذا التاليف سعيا فى ضلال الخلق واخبار محمد بانه ليس من كلام الجن يوجب الدور وليس لاحد ان يقول انا الجن ليسوا فصحاء

فكيف يعقل ان يكون القران كلامهم لانا نقول التحدى مع الجن انما يحسن لو كانوا فصحاء فالجواب ان عجز البشر عن معارضته يكفى فى اثبات كونه

معجزا ثم ان الصادق الذى تثبت صدقه بظهور المعجز على وفق دعواه اخبر ان الجن ايضا عاجزون عن الاتيان بمثل القران فسقط السؤال بالكلية

على انه سبحانه قد اجاب عنه فى اخر سورة الشعراء بقوله هل انبئكم على من تنزل الشياطين وسوف يجئ تفسيره ان شاء الله تعالى قالت المعتزلة التحدى

بالقديم محال واجيب بمثل ما مر ان محل النزاع هو الكلام النفسى لا الالفاظ التى يقع التحدى بها وبفصاحتها ثم بين انهم مع ظهور عجزهم يقولون مصرين

على كفرهم فقال ولقد صرفنا رددنا وكررنا للناس فى هذا القران من كل مثل من كل معنى هو كالمثل فى غرابته وحسنه وذلك كدلائل التوحيد

والنبوة والمعاد كالقصص الاتية وغيرها من المواعظ والنصائح فابى اكثر الناس غير سعة النفى كانه قيل فلم يرضوا الا كفورا وجحودا قال اهل البرهان

انما لم يذكر الناس اول السورة حين قال ولقد صرفنا فى هذا القران ليذكروا لتقدم ذكرهم فى السورة وذكرهم فى الكهف انه لم يجر ذكرهم وذكر

الناس ههنا وان جرى ذكرهم تعالى للتباس لان ذكر الجن ايضا جرى وقدم الناس على قوله فى هذا القران كما تقدم فى قوله قل لئن اجتمعت الانس

والجن واما فى الكهف وغيرها فقد دعاها الله تم البيه فى القران فكانت لعنايته بالقران اكثر فكان تقديمه اجدر التاويل ولن كادوا ليفتنونك

اى من عمى قلوبهم ولولا ان ثبتناك بالقول الثابت وهو قول لا اله الا الله الى ان بلغت حقيقة لا اله الا الله شيئا قليلا اما تمادهم بالملة

لان بشريته مغلوبة روحانيته غالبة ضعف الحيوة وضعف الممات اى يحيى نفسك واذقناك عذاب حيوتها واسهلانها على الروح ويميت قلبك

ولذقناك عذاب مماته وضعف بعد وبعده عن الحضرة سنة من قد ارسلنا اى جرت عادة الله تعم بان يجعل لكل نبى عدوا ابو جهل وبكر ثم من طريق

خاص لا نبياء والاولياء عن رحلة الابتلاء فقال اقم الصلوة اى ادمها بالقلب الخاص نهارا وليلا ان قران الفجر كان مشهودا الشواهد الحق بل الحق مشهود له

ثم ادخلنى مدخل صدق يعنى السير فى الله بالله واخرجنى من حوجى وانانيتى واجعل لى من لدنك لا من لدن غيرك وفيه ان كل ذى مقام فانه لا يصل

الى مقامه الا بسعى يلايم الوصول الى ذلك المقام كقوله وسعى لها سعيها روى ان رجلا جاء الى النبى صم بعرض حاجة فقال صم ما تريد فقال مرافقتك

فى الجنة فقال صم او غير ذلك فقال الرجل بل امر افقتك فى الجنة فقال النبى صم فاعنى على نفسك بكثرة السجود جاء الحق من الواردات والشواهد

وتجلى صفات الجمال والجلال وزهق الباطل وهو كل ما خلا الله من الموجودات ومن الخواطر كقوله الا كل شىء ما خلا الله باطل وننزل من القران

ما هو شفاء لان كلام الحبيب طبيب القلوب ان الاحاديث من سلمى تسليني قل الروح من امر ربى قال العارفون لله تعالى عالمان عالم الامر

الذى خلق لا من شىء وعالم الخلق الذى خلق من شىء ويعبر عنهما بالاخرة والدنيا والملكوت والملك والغيب والشهادة والمعنى والصورة والباطن

والظاهر والارواح والاجسام وما روى انه صم قال اول ما خلق الله جوهرة وفى رواية درة فنظر اليها فذابت وفى رواية اول ما خلق الله اللوح اول ما خلق الله

روحى وفى رواية نورى واول ما خلق الله العقل واول ما خلق الله القلم وما قيل عن بعض السلف ان اول ما خلق الله على الاطلاق ملك كروبى فالاسامى

مختلفة والمسمى واحد وهو روح النبى صم فباعتبار انه كان درة صدف الموجودات سمى درة وجوهرة وباعتبار نورانيته سمى نورا وباعتبار وفور

عقله سمى عقلا اذ قال له اقبل الى الدنيا رحمة للعالمين فاقبل ثم قال له ادبر اى ارجع الى ربك فادبر عن الدنيا ورجع الى المعراج ثم قال له

وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا احب الى منك بك اعرف وبك اخذ يعنى طاعة من اخذ منك الدين والشريعة وبك اعطى اى بشفاعتك اعطى

الدرجات العالية وبك عاقب الكافر وبك اثيب المؤمنين وباعتبار جريان الامور على وفق متابعته وانقياده سمى قلما وباعتبار غلبات

الصفات الملكية عليه سمى ملكا كروبيا ولان كل الارواح خلقت من روحه كان ام الارواح ووجه تلقيبه ابا لهم اى وقد ورد فى الحديث

ادم ومن دونه تحت لوائى يوم القيمة ولما كان الروح خليفة الله تعالى اتصف بالازلية دون الابدية ولما كان الجسد خليفة الروح فبالروح

نوام وثناسهر يكن الجسد ازليا ولا ابديا الا بتبعية الروح ثم اخبر عن عزة القران وغيرة الرحمن بقوله ولئن شئنا لنذهبن الاية وفيه انه لا

يقدر على الاتيان والذهاب به الا الله تعالى لكنه اكد هذا المعنى بقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن كل ما هو مستور عن العيون فيتناول

الملائكة ايضا وفيه انه لا مثل لصفاته حتى الكلام كما انه لا مثل لذاته والله تعالى اعلم بالصواب وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا

من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او تسقط السماء

كما زعمت علينا كسفا او تاتى بالله والملائكة قبيلا او يكون لك بيت من زخرف او ترقى فى السماء ولن

نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا وما منع الناس

ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين

لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم انه كان بعباده خبيرا بصيرا

ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه ونحشرهم يوم القيمة على

وجوههم عميا وبكما وصما ماويهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا

وقالوا ءاذا كنا عظاما ورفاتا ءانا لمبعوثون خلقا جديدا اولم يروا ان الله الذى خلق السموات و

الارض قادر على ان يخلق مثلهم وجعل لهم اجلا لا ريب فيه فابى الظالمون الا كفورا قل لو انتم تملكون

خزائن رحمة ربى اذا لامسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتورا ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات فسئل بنى

ع اسرائيل اذ جاءهم فقال له فرعون انى لاظنك يا موسى مسحورا قال لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب

السموات والارض بصائر وانى لاظنك يا فرعون مثبورا فاراد ان يستفزهم من الارض فاغرقناه ومن

معه جميعا وقلنا من بعده لبنى اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الاخرة جئنا بكم لفيفا وبالحق

انزلناه وبالحق نزل وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا وقرانا فرقناه لتقراه على الناس على مكث ونزلناه

تنزيلا قل امنوا به او لا تؤمنوا ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا و

يقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا قل ادعوا

الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا وقل

الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا

من الفجر يعقوب وعاصم وحمزة وعلي وخلف سوى المفضل وابن الغالب الاخرون من التفجير تكثير للفعل وان كان الفاعل والمفعول مفردا حتى تنزل
بالتخفيف ابو عمرو ويعقوب الاخرون بالتشديد كسفا بفتح السين ابو جعفر ونافع وعاصم وابن ذكوان الباقون بالاسكان قال سبحان بلفظ
الماضي ابن كثير وابن عامر الباقون قل على الامر لذي المهتدي باثبات الياء في الحالين سهل ويعقوب وافق نافع وابو عمرو في الوصل الباقون بحذف الياء ربي
اذا بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو خبت زدناهم بادغام التاء في الزاي ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وهشام وسهل لقد علمت بضم التاء على التكلم
علي الاخرون بفتحها للاتباع او ادعوا بكسر الواو عاصم وحمزة ويعقوب يقفان على ايا ثم يبتدئ بما تدعوا ويسمي هذا الوقف وقف البيان الباقون
على كلمة واحدة الوقوف ينبوعا ه تفجيرا ه قبيلا ه في السماء ط لرقيك ... بعد طول الفصل والاصح الوصل لان قوله ولن نؤمن لرقيك من كلامهم
نقرؤه ط رسولا ه رسولا ه وبينكم ط بصيرا المهتدي ج لعطف جملتي الشرط مع التضاد من دونه ط لان الواو لا يحتمل الاستيناف وصما ط جهنم ط سعيرا جديدا
لا ريب فيه لتناهي الاستفهام الى الاخبار كفورا ه الانفاق ط قتورا ه مسحورا ه بصائر ج للابتداء بان مع اتحاد القائل مثبورا ه جميعا لا للعطف لفيفا ه
لانقطاع النظم والمعنى نزل ط لا ابتداء النفي ومن براء احترازا من ابهام العطف تنزيلا ه او لا تؤمنوا ط سجدا لا لمفعولا ه خشوعا ه سجده الرحمن ط بالضاد
الاسماء الحسنى لانقطاع نظم الشرط الى النهي مع اتحاد المراد سبيلا ه تكبيرا التفسير ليس من شرط كون النبي صادقا تواتر المعجزات وتتالي الآيات لان
فتح هذا الباب يوجب نقض المقصود وهو ان لا يثبت نبوته ابدا ولكن المعجز الواحد يكفي في صدق النبي واقتراح الزيادة من جملة العناد فلا جرم لما
بين الله سبحانه اعجاز القرآن حكى مقترحات المعاندين بيانا لتصميمهم على الكفر قال ابن عباس ان رؤساء مكة ارسلوا الى رسول الله صلعم وهم
جلوس عند الكعبة فاتاهم فقالوا يا محمد ان ارض مكة ضيقة فسير جبالها لتتسع وفجر لنا فيها ينبوعا نزرع فيها فقال لا اقدر عليه فقال قائل
منهم او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا فقال لا اقدر عليه فقيل له او يكون لك بيت من زخرف اي من ذهب
يغنيك عنا فقال لا اقدر عليه فقيل له فاذا كنت لا تستطيع الخير فاستطع الشر فاسقط السماء كما زعمت علينا كسفا فقال عبد الله بن امية المخزومي
وامه عمة رسول الله لا والذي يحلف به لا اومن بك حتى تتخذ سلما فتصعد عليه ونحن ننظر فتاتي باربعة من الملائكة فيشهدون لك بالرسالة ثم
بعد ذلك لا ادري اؤمن بك ام لا فانزل الله هذه الآيات ولنشرع في تفسير اللغات فقوله ينبوعا يعني عينا غزيرة من شانها النبوع من غير انقطاع
والياء زائدة كيعبوب من عب الماء وقوله او تكون لك جنة معناه هب انك لا تفجر الانهار لاجلنا ففجرها من اجلك وقوله كما زعمت اشارة الى قوله
سبحانه ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء او اشارة الى ما مر في السورة من قوله أفأمنتم ان يخسف بكم جانب البر او يرسل
عليكم حاصبا اي اجعل السماء قطعا متفرقة كالحاصب وسقطها علينا وقال عكرمة كما زعمت يا محمد انك نبي فاسقط السماء علينا وقيل كما زعمت
ان ربك ان شاء فعل قال في الكشاف الكسف بسكون السين كسدرة وسدر وسدرة وقال ابو علي الكسف بالسكون الشيء اذا غطيته والشيء
المقطوع كالطحن للمطحون واشتقاقه على ما قال ابو زيد من كسفت الثوب كسفا اذا قطعته وقال الزجاج من كسفت الشيء اذا غطيته كانه قيل
او تسقطها طبقا علينا وهو نصب على الحال في القراءتين ومعنى قبيلا كفيلا بما تدعي من صحة النبوة والمراد او تاتي بالله قبيلا وبالملائكة قبيلا
فاختصر او المراد المقابل كالعشير بمعنى المعاشر وفيه دليل على غاية جهلهم حيث لم يعلموا انه تعالى لا يجوز عليه المقابلة والمعاينة نظيره قولهم لولا انزل
علينا الملائكة او نرى ربنا وقال ابن عباس اراد فوجا بعد فوج وقال الليث كل جند من الجن والانس قبيل وقد مر في تفسير قوله انه يراكم هو وقبيله
قوله بيت من زخرف قال مجاهد كنا لا ندري ما الزخرف حتى رأيناه في قراءة عبد الله او يكون لك بيت من ذهب وقال الزجاج هو الزينة
ولا شيء في تحسين البيت وتزيينه كالذهب او ترقى في السماء اي في معارجها فحذف المضاف يقال رقي في السلم وفي الدرجة والمصدر رقي واصله فعول
كقعود ومعنى لن نؤمن لرقيك لن نؤمن بك لاجل رقيك حتى تنزل علينا كتابا من السماء فيه تصديقك به قال الرسول متعجبا من اقتراحاتهم او
تنزيها لله من تحكماتهم او من قولهم او تاتي بالله سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا فان طلبتم هذه الاشياء ان اتي بها من تلقاء
نفسي فالبشر لا يقدر على امثال ذلك فكيف قدرنا عليها وان اردتم ان اطلب من الله اظهارها على يدي فالرسول اذا اتى بمعجز واحد وجب الاكتفاء
به ولا ضرورة الى طلب الزيادة وانا عبد مامور ليس لي ان اتحكم على الله بما ليس بضروري في الدعوة ثم حكى عنهم شبهة اخرى فقال وما منع الناس
ان يؤمنوا اي الايمان بالقرآن وبنبوة محمد اذ جاءهم الهدى وهو الوحي المعجز الهادي لطريق النجاة الا ان قالوا منكرين أبعث الله بشرا رسولا
ثم اجاب عن شبهتهم بقوله قل لو كان في الارض ملائكة يمشون على الاقدام كما يمشي الانس مطمئنين ساكنين فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا
لان الرسول لا بد ان يكون من جنس المرسل اليهم فكانه اعتبر في تنزيل الرسول من جنس الملائكة امرين احدهما كون سكان الارض ملائكة والثاني
كونهم ماشين على الاقدام غير قادرين على الطيران باجنحتهم الى السماء اذ لو كانوا قادرين على ذلك لطاروا وسمعوا من اهلها ما يجب معرفته
وسماعه فلا يكون في بعثة الملك اليهم فائدة وجوز في الكشاف ان يكون قوله بشرا وملكا منصوبين على الحال من رسولا بل زعم ان المعنى له
اجوب ولعل ذلك لان الانكار توجه الى كون الرسول متصفا بحالة البشرية لا الملكية واذا كان احد الصنفين المتقابلين حالا لزم ان يكون
الآخر كذلك ثم ختم الكلام بما يجري مجرى التهديد فقال قل كفى بالله الآية وذلك ان اظهار المعجزة على وفق دعوى النبي شهادة من الله تعالى له على
الصدق فاذا لم تسمع هذه الشهادة وهو عليم ببواطن الامور وخفيات الضمائر فكيف بظواهرها علم ان هذا مجرد الحسد والعناد من

العناد

العناد فيجزيهم على حسب ذلك ثم بين ان الاقرار والانكار مستندان الى مشيئته وتقديره فقال ومن يهد الله الآية وقد مر خلاف المتكلمين من الاشاعرة والمعتزلة
في مثله في آخر الاعراف وغيره وقوله فهو المهتد حمل على اللفظ وقوله فلن تجد لهم حمل على المعنى والخطاب في لن تجد اما للنبي او لكل من يصح الخطاب والاولياء
الانصار والحشر على الوجوه اما بمعنى السحب عليها لقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم واما بمعنى المشي عليها كما روي انه صلعم سئل عن ذلك فقال ان الذي امشاهم
على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم وقيل لابن عباس قد اخبر الله تعالى عنهم بانهم يرون وينطقون ويسمعون حيث قال ورأى المجرمون النار ودعوا
هنالك ثبورا سمعوا لها تغيظا وزفيرا فكيف الجمع بين ذلك وبين قوله عميا وبكما وصما فاجاب بانهم لا يرون ما يسرهم ولا ينطقون بحجة تقبل منهم ولا يسمعون
ما يلذ مسامعهم وفي رواية عطاء انهم عمي عن النظر الى ما جعله الله لاوليائه بكم عن مخاطبة الله ومخاطبة الملائكة المقربين صم عن ثناء الله على اوليائه وقال مقاتل هذه
الاحوال بعد قوله تعالى لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون وبعد ان يحاسبوا فيذهب بهم الى النار وانما جعلوا كذلك في الحواس جزاء على ما كانوا عليه في الدنيا من التعامي و
التصام عن الحق ومن عدم النطق به كلما خبت اي سكن لهبها خبت النار تخبو خبوا واخباها غيرها اي اخمدها زدناهم سعيرا قال ابن قتيبة اي تسعرا وهو التلهب
ولا ريب ان خبو النار تخفيف لاهلها فكيف يجمع بينه وبين قوله لا يخفف عنهم العذاب واجيب بانه يحصل لهم في الحالة الاولى خوف حصول الحالة الثانية فيتم
العذاب او يقال لما عظم العذاب صار التفاوت الحاصل في الوقتين غير مشعور به ويحتمل ان يقال المراد بعدم التخفيف انه لا يتخلل زمان محسوس ومعتد به بين الخبو
والتسعر وقال في الكشاف لانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جعل الله جزاءهم ان سلط النار على اجزائهم تاكلها وتفنيها ثم يعيدها وفيه زيادة في تحسرهم
وفي الانتقام منهم ولا يدل على هذا التفسير قوله ذلك جزاؤهم الآية ثم ابدى للجاحدين حجة تستنبط المذعن للحق اذا تامل فقال اولم يروا الآية وذلك ان من قدر على
خلق السموات والارض كان على اعادة من هو دونهما اقدر وعلى هذا فالمراد من خلق مثلهم اعادتهم بعد الافناء كما يقول المتكلمون من ان الاعادة مثل الابتداء
ومن قال اراد انه قادر على افنائهم وايجاد غيرهم بصفتهم لم يحتج ومن تركوا الاعتراض عليه كقوله ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد اي بعثهم وحين بين ان
البعث امر ممكن في نفسه ذكر ان لوقوعه وقتا معلوما عنده فقال وجعل لهم اي لبعثهم اجلا لا ريب فيه قال جار الله قوله وجعل معطوف على قوله اولم
يروا والمعنى قد علموا بدليل العقل انه قادر على خلق امثالهم وجعل لهم واقول يحتمل ان يكون الواو للاستيناف ووجه النظم انهم لما طلبوا اجراء
الانهار والعيون في اراضيهم لتتسع معايشهم بين الله تعالى انهم لو ملكوا خزائن رحمة الله وهي رزقه وسائر نعمه على خلقه التي لا نهاية لها لبقوا
على بخلهم وشحهم فضلا ان يملكوا خزائن بصدد الفناء والنفاد قال النحويون كلمة لو حقها ان تدخل على الافعال دون الاسماء لانها حين
يكون على معناها الاصلي يفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره والاسم يدل على الذوات والفعل هو الذي يدل على الآثار والاحوال لا الذوات وايهم
انها ههنا بمعنى ان الشرطية وهي مختصة بالفعل فلا بد من تقدير فعل بعدها فاصل الكلام لو تملكون تملكون فاضمر تملك اضمارا على شريطة التفسير لو تملكون مع
فصار الضمير المتصل منفصلا لسقوط ما كان يتصل هو به فانتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره قال علماء البيان فائدة هذا التصرف الدال على
الاختصاص انهم هم المختصون بالشح المبالغ وذلك لان الفعل الاول لما سقط لاجل المفسر برز الكلام في صورة المبتدأ والخبر من حيث انه لا يقصد
الفعل بل الفاعل كما في قول حاتم لو ذات سوار لطمتني لا يقصد اللطمة بل اللاطمة اي لو حرة لطمتني وقوله خشية الانفاق اي خوف الفقر من انفق ماله
اذا ذهب وما مسكتم متروك المفعول معناه لبخلتم وكان الانسان قتورا اي بخيلا شحيحا والقتر والاقتار والتقتير التضييق في الانفاق وهذا الخبر لا ينافي ما
قد يوجد في الانسان من هو كريم جواد لان اللام للجنس اي هذا الجنس من شانه الشح اذا كان باقيا على طبعه لانه خلق محتاجا الى ضروريات المسكن والملبس
والمطعوم ولا بد له في تحصيل هذه الاشياء من المال فهو يسد فيه حاجاته ويتم الامور المتوقفة على التعاون فلا جرم يحب المال ويمسكه لايام الضرورة والفاقة
ومن الناس من يجيء بالمال لحميته لا لعصبية فان الاصل في الانسان هو البخل والجود منه انما هو امر تكلفي او عرضي طلبا للثناء او الثواب وقيل المراد
بهذا الانسان المعهود السابق ممن قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا بين الله تعالى انهم لو ملكوا خزائن الارض لبخلوا فيها ثم قال ولقد آتينا موسى تسع آيات كانه
اراد انا آتيناه معجزات مساوية لهذه الامور التي اقترحوها بل اقوى منها واعظم فليس عدم الاستجابة الى ما طلبتموه من البخل ولكن لعدم المصلحة او لعدم
استتباع الغاية لعلمنا باصرارهم والختم على قلوبهم عن ابن عباس ان الآيات التسع هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر
والطور الذي نتقه على بني اسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور وعن عمر بن عبد العزيز انه سأل محمد بن كعب عنهن
فذكر من جملتها حل عقدة اللسان والطمس على اموالهم فقال له عمر لا يكون الفقيه الا هكذا اخرج يا غلام الجراب فاخرجه فنفضه فاذا بيض مكسور بنصفين
وجوز مكسور وفوم وحمص وعدس كلها حجارة وعن صفوان بن عسال ان بعض اليهود سأل رسول الله صلعم عن ذلك فقال اوحى الله الى موسى ان قل لبني
اسرائيل لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا الربوا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان
ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وانتم يا يهود خاصة لا تعدوا في السبت فقام اليهودي فقبل يديه ورجليه وقالوا انك نبي ولولا
انا نخاف القتل لاتبعناك قال الامام فخر الدين الرازي هو اجود ما قيل في الآيات التسع واقول على الاحكام من الآيات البينات فيه بعد اللهم الا ان يقال النهي
عن مساوي الاخلاق والعادات من جملة علامات النبوة قال بعض العلماء اجابهم النبي بتسع وزاد واحدة تختص بهم وروى ابو داود هذا الحديث ولم يذكر
ولا تقذفوا محصنة وشك شعبة في انه صلعم قال ولا تقذفوا محصنة او قال ولا تولوا الفرار وقيل انه كان لموسى آيات اخر كانزال المن والسلوى عليه وعلى قومه
وكالآيات التي عدها بعضهم من التسع وتركها بعضهم الا ان تخصيص العدد بالذكر لا يقدح في الزيادة عليه هكذا قال الاصوليون ولكن الذوق يأبى

ان لا يكون للتخصيص فائدة والذي يدور في خلدي ان سبب التخصيص هو ان مرجع جميع معجزاته الى تسع انواع كالسنين ونقص الثمرات مثلا فانهما نوع
واحد وهو القحط وقد يعسر ابداء ماية الاشتراك ولكن لا بد عنده من اعتقاد الانحصار في التسع لاجل خبر الصادق واما قوله فسئل بني اسرائيل فالخطاب
للنبي والسؤال سؤال الاستشهاد لمزيد الطمانينة والايقان لان الادلة اذا تظاهرت كان ذلك اقوى واثبت والمسؤلون مؤمنو بني اسرائيل كعبد الله بن سلام
واصحابه وقوله اذ جاءهم يتعلق بآتينا او ينتصب باضمار اذكر او هو للتعليل والمراد فسئل لم جاءهم كانه جاءهم اي جاء آباءهم ويحتمل ان يكون الخطاب لموسى ويقدر
القول اي فقلنا له حين جاءهم سل بني اسرائيل اي سلهم من فرعون وقل له ارسل معي بني اسرائيل او سلهم عن ايمانهم وعن حال دينهم وسلهم عن ان يعاضدوك
ويساعدوك في الامور والمسحور الذي سحر فخولط عقله وقيل هو بمعنى الساحر كالمشؤم والميمون قاله الفراء وعن محمد بن جرير الطبري ان معناه اعطي علم السحر من قرأ
علمت بضم التاء فظاهر لان موسى كان عالما بصحة الامر وان هذه الآيات منزلها رب السموات والارض فاراد اني لا اشك في امري بسبب تشكيك مكذب مثلك ومن قرأ
بفتحها فالمراد تبيين ان كفر فرعون كفر جحود وعناد كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقوله للآيات هؤلاء كقوله والعيش بعد اولئك الايام
ومعنى بصائر بينات مكشوفات وانتصابها على الحال كانه اشار بقوله ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض فاراد اني لا اشك في امري بسبب تشكيك مكذب
الى انها افعال خارقة للعادة وبقوله بصائر الى ان علة انما فعله لغرض تصديق المدعي ثم خذل المجيء بمجموع الفتك ثم قارع موسى ظن فرعون بظنه فقال اني
لاظنك يا فرعون مثبورا قال الفراء اي ملعونا محبوسا عن الخير من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما منعك وصرفك وقال مجاهد وقتادة اي هالكا من الثبور الهلاك
ولا ريب ان ظن موسى اصح من ظنه لان انكار ما علم صحته يستعقب لا محالة ويلا وثبورا وحسرة وندامة ولهذا قال فاراد اي فرعون ان يستفزهم من الارض
اي يستخف موسى وقومه من بسيط الارض او من ارض مصر بالقتل والاستئصال او بالنفي والاخراج والحاصل انه فرعون عوض بقبض المقصود ونقيض
مقصوده واسكن بنو اسرائيل مكانه تحقيقا لقوله ولا يحيق المكر السيئ الا باهله ثم اخبر عن المعاد قائلا فاذا جاء وعد الآخرة وهو قيام الساعة جئنا بكم يعني
المكلفين كلهم لفيفا جماعات من قبائل شتى وذوي اديان ومذاهب مختلفة وذلك لاجل الحكم والجزاء والفصل والقضاء ولما بين اعجاز القرآن واجاب عن شبهات
القوم اراد ان يعظم شان القرآن ويذكر جلالة قدره فقال وبالحق انزلناه التقديم للتخصيص اي ما اردنا بانزاله الا تقرير الحق في مركزه وتمكين الصواب في نصابه
قال جار الله اي ما انزلنا القرآن الا بالحكمة المقتضية لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحكمة لاشتماله على الهداية الى كل خير او ما انزلناه من السماء الا
بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين وقال الحق هو الثابت كما ان الباطل هو الزاهق ولا
ريب ان هذا الكتاب الكريم يشتمل على دلائل التوحيد وصفات الجلال والاكرام وعلى تعظيم الملائكة واقرار النبوات واثبات المعاد وعلى اصول الاديان
والملل التي لا يتطرق اليها النسخ والتبديل وكل هذه الامور يدل على المعنى المذكور لانها مما يبقى ببقاء الدهور قال ابو علي الفارسي الباء في الموضعين بمعنى
مع كما في قولك خرج بسلاحه اي انزلنا القرآن مع الحق ونزل هو مع الحق ويحتمل ان يكون الباء الثانية كما في قولك نزلت بزيد فيكون الحق عبارة عن محمد لان
القرآن نزل به اي عليه وما ارسلناك الا مبشرا بالجنة ونذيرا من النار ليس اليك وراء هذين شيء من اكراه على الدين والاتيان بشيء مما اقترحوه ثم
ان القوم كانهم من تعنتهم طعنوا في القرآن من جهة انه لم ينزل دفعة واحدة واجاب عن شبهتهم بقوله وقرآنا هو منصوب بفعل يفسره فرقناه اي جعلنا نزوله
مفرقا منجما وعن ابن عباس انه قرأه مشددا وقال انه لم ينزل في يومين او ثلاثة بل كان بين اوله وآخره عشرون سنة يعني ان فرق بالتخفيف يدل على
فصل متقارب قال ابو عبيدة التخفيف اعجب الي لان تفسيره بيناه ولنبي للتشديد معنى الا انه لا يشبه فالفرق يتضمن التبيين ويؤكده ما رواه
ثعلب عن ابن الاعرابي انه قال فرقت افرق بين الكلام وفرقت بين الاجسام واقول ان ابن عباس اعتبر الفصل بين اول نزوله وبين آخره فرأى التشديد اولى
لعل المراد الفصول المتقاربة التي فيما بين المدة بدليل قوله لتقرأه على الناس على مكث بضم الميم اي على مهل وتؤدة ولقوله ونزلناه تنزيلا اي على حسب
المصالح والحوادث ثم خاطب نبيه بان يقول للمقترحين آمنوا به او لا تؤمنوا اي ان لم تؤمنوا به لقد آمن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرأوا الكتب من
قبل نزول القرآن قال مجاهد هم ناس من اهل الكتاب حين سمعوا ما انزل على محمد خروا سجدا منهم زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعبد الله بن سلام
وفي قوله يخرون للاذقان سجدا دون ان يقول يسجدون مبالغة من وجهين احدهما انه قيد الخرور وهو السقوط بالذقن قال الزجاج لان الذقن مجمع
اللحيين وكما يبتدئ الانسان بالخرور للسجود فاول ما يحاذي به الارض من وجهه الذقن قلت هذا يصح للمعنى ولا يظهر منه لتغيير العبارة فائدة وقال
غيره المراد تعفير اللحية في التراب فان ذلك غاية الخضوع وان الانسان اذا استولى عليه خوف الله تعالى فربما سقط على الارض مغشيا عليه وثانيهما انه
لم يقل يخرون على الاذقان كما هو ظاهر وانما قال للاذقان لان اللام للاختصاص فكانهم خصوا اذقانهم بالخرور وخصوا الخرور باذقانهم ثم حكى
انهم في سجودهم يراعون شرائط التنزيه والتعظيم قائلين سبحان ربنا ان كان وعد ربنا بانزال القرآن وبعثة محمد في كتبنا لمفعولا اي انجز
وان المخففة من الثقيلة ولهذا دخلت اللام في خبر كان ثم ذكر انهم كما خروا للاذقان في حال كونهم ساجدين فقد خروا لها حال كونهم باكين ويجوز
ان يكون التكرير لاجل الدلالة على تكرر الفعل منهم بدليل قوله ويزيدهم اي القرآن خشوعا لين قلب ورطوبة عين ثم اراد ان يعلمهم كيفية الخشوع والدعاء
فقال قل ادعوا عن ابن عباس سمعه ابو جهل يقول يا الله يا رحمن فقال انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر وقيل ان اهل الكتاب قالوا انك
لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر الله في التوراة هذا الاسم فنزلت قال جار الله الدعاء بمعنى التسمية لا النداء وهو يتعدى الى مفعولين تقول دعوته زيدا
ثم تترك احدهما استغناء عنه فتقول دعوت زيدا او للتخيير والمعنى على السبب الاول سموه بهذا الاسم او بهذا وعلى السبب الثاني اذكروا اما هذا واما هذا ايا ما تدعوا

يعني اي هذين الاسمين سميتم وذكرتم فالتنوين عوض عن المضاف اليه وما صلة زيدت لتاكيد الابهام والضمير في فله لا يرجع الى احد الاسمين ولكن الى مسماهما
وكان اصل الكلام ان يقال فهو اي فلذلك الاسم حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت اسماؤه كلها حسن الاسماء استقلالها بنعوت
الجلال والاكرام وقد مر في اواخر الاعراف ثم ذكر كيفية اخرى للدعاء فقال ولا تجهر بصلاتك اي بقراءة صلاتك على حذف المضاف للعلم بان الجهر
والمخافتة من نعوت الصوت لا الصلاة افعالها انه من اطلاق الكل وارادة الجزء منه يقال خفت صوته خفوتا اذا انقطع كلامه وضعف وسكن وخفت
الزرع اذا ذبل وخافت الرجل بقراءته اذا لم يبين قراءته برفع الصوت روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان رسول الله كان يرفع صوته بالقراءة فاذا
سمعه المشركون سبوه وسبوا من جاء به فاوحى الله اليه ولا تجهر بصلاتك فيسمعه المشركون فيسبوا الله عدوا بغير علم ولا تخافت بها فلا يسمع
اصحابك وابتغ بين ذلك الذي ذكر من الجهر والمخافتة سبيلا وسطا وروي ان النبي طاف بالليل على دور الصحابة فكان ابو بكر يخفي صوته في صلاته
ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وكان عمر يرفع صوته ويقول ازجر الشيطان واوقظ الوسنان فامر النبي ابا بكر ان يرفع صوته قليلا وامر عمر
ان يخفض قليلا فنزلت الآية على حسب ذلك وقيل معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلاة الليل ولا
تخافت بصلاة النهار وعن عائشة وابي هريرة ومجاهد ان الصلاة هيهنا الدعاء وقد روي هذا مرفوعا قال الحسن لا يرائي بعلانيتها ولا يسيء سريرتها
وايضا في الجهر اسماع غيره الذنوب وهو الموجب للتعيير والتوبيخ وعلى هذا ذهب قوم الى ان الآية منسوخة بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية قال
جار الله ابتغاء السبيل مثل لابتغاء الوجه الوسط في القراءة ولما امر ان لا يذكر ولا ينادى الا باسمائه الحسنى نبه على كيفية التحميد بقوله وقل
الحمد لله الآية قال في الكشاف كيف لاق وصفه بنفي الولد والشريك والذل بكلمة التحميد واجاب بان من هذا وصفه هو الذي يقدر على ايلاء كل نعمة فهو
الذي يستحق جنس الحمد واقول الولد والشريك والذل بكلمة التحميد واجاب بان من هذا وصفه يتولد من جزء من اجزاء الوالد فالولد مركب وكل مركب ممكن
والمحدث محتاج والمحتاج لا يقدر على كمال الانعام فلا يستحق كمال الحمد وايضا الولد مبخلة والبخيل لا يستحق الحمد والشركة في الملك انما يتصور لمن لا يستقل
بالمالكية فيفتقر الى من يعينه بمشاركته في اموره لكثرته ومصالح مملكته وكل من كان كذلك كان عاجزا بالنظر الى ذاته فلا يتم فيضانه فلا يستحق الحمد على الاطلاق
وهكذا حكم من كان له ولي من الذل اي يتخذ حبيبا من اجل ذلة واستنقاذه لا من عزة وقوة وافاضة او الولي بمعنى الناصر اي ناصر من اجل مذلة به لبقائها
بموالاته وايضا قد يمنعه الشريك من اصابة الخير اليه او ليائه والذي يكون له ولي من الذل يكون محتاجا اليه فينعم عليه دون من استغنى عنه اما اذا كان
منزها عن الولد وعن الشريك وعن ان يكون له ولي ينصره ويلي امره كان مستوجبا لاعظم انواع الحمد ومستحقا لاجل اقسام الشكر قال الامام فخر الدين
الرازي التكبير انواع منها تكبير الله في ذاته وهو ان يعتقد انه واجب الوجود لذاته غني عن كل ما سواه ومنها تكبيره في صفاته بان يعتقد ها كلها من
صفات الجلال والاكرام وفي غاية العظمة ونهاية الكمال وانها منزهة عن سمات التغير والزوال والحدوث والانتقال ومنها تكبيره في افعاله وعند هذا
يعود مسئلة الجبر والقدر قال سمعت ان الاستاذ ابا اسحاق الاسفرايني كان جالسا في دار الصاحب بن عباد فدخل القاضي عبد الرحمن احمد الهمداني
فلما رآه قال سبحان من تنزه عن الفحشاء فقال الاستاذ سبحان من لا يجري في ملكه الا ما يشاء ومنها تكبير الله في احكامه وهو ان يعتقد ان احكامه
كلها جارية على سنن الصواب وقانون العدالة ووصية الاستقامة ومنها تكبيره عن هذا التكبير وتعظيمه عن هذا التعظيم وكان النبي اذا افصح
الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية والله اعلم التأويل قالوا لن نؤمن لك كانوا ارباب الحس فلم يبصروا شواهد الحق ودلائل النبوة ولم
يطلبوا منه ما كان هو عليه من تزكية النفوس وتصفية القلوب وتجلية الارواح وتفجير ينابيع الحكمة من ارض القلوب لا نبات نخيل المشاهدات
واعناب المكاشفات في جنات المواصلات ابعث الله بشرا رسولا تعجبوا من كون البشر رسولا حين ظن ان الملك اعلى حالا من البشر وغفلوا عن رتبة الانسان
الكامل حيث جعلوه مسجود الملائكة المقربين واودع فيه سر الخلافة ماويهم جهنم الحرص والشهوات كلما سكنت نار شهوة باستيفاء حظها زدناهم
سعيرا باشتغال طلب شهوة اخرى تسع آيات بينات قال الشيخ المحقق نجم الحق والدين المعروف بداية المراد الآيات التي تدل على نبوته فيما يتعلق
خاصة كالقائه في اليم واخراجه منه وتربيته في حجر العدو عليه ونحو ذلك وبالحق انزلناه لان الارواح المتعلقة بالعالم السفلي
احتاجت بالعلوم الى عالم العلو الى حبل متين هو القرآن كقوله واعتصموا بحبل الله جميعا وبالحق نزل التمييز بين اهل السعادة والشقاوة بالاتباع
وعدمه ان الذين اوتوا العلم من قبله في الازل اذا يتلى عليهم في الازل عند خطاب الست بربكم يخرون للاذقان سجدا للاجابة يقولون بلى ويخرون للاذقان
في عالم الصورة يبكون فالتواضع والسجود من شان الارواح والبكاء والخشوع من شان الاجسام ثم بين ان الارواح انما ارسلت الى الابدان للعبودية وذكر الله
فقال قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى اي كل اسم من اسمائه حسن فادعوه حسنا وهو الدعاء بالاخلاص ولا تجهر بصلاتك رياء
وسمعة ولا تخافت بها بان تخفيها بالكلية فتحرموا المتابعة والاسوة الحسنة وابتغ بين ذلك سبيلا باظهار الفرائض واخفاء النوافل والله تعالى اعلم

سورة الكهف مكية الا قوله واصبر نفسك الآية حروفها ستة آلاف وثلثمائة وستون حرفا كلماتها الف وخمسمائة وسبع
وسبعون آياتها مائة واحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم خداوند بخشنده مهربان

تمت سورة بني اسرائيل

فيه رجوع

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين
يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيه أبدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم
به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا فلعلك باخع نفسك
على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم
أيهم أحسن عملا وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا أم حسبت أن أصحاب الكهف و
الرقيم كانوا من آياتنا عجبا إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة
وهيئ لنا من أمرنا رشدا فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين
أحصى لما لبثوا أمدا نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى و
ربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا
إذا شططا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن
افترى على الله كذبا وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم
من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين و
إذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد
ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين
وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا و
لملئت منهم رعبا وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما
أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر
أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا إنهم إن يظهروا
عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن
وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا

ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا سيقولون ثلاثة رابعهم
كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي
أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا ولا
تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي
لأقرب من هذا رشدا ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا قل الله أعلم بما لبثوا له
غيب السماوات والأرض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا

القراءة من لدنه باشمام الدال شيئا بالضم وكسر النون ووصل الهاء بالياء يحيى الآخرون بضم الدال وسكون النون وضم الهاء ويبشر مخففا حمزة وعلي الباقون بالتشديد يهيئ لنا ويهيئ لكم بتليين الهمز فيهما الاوقية والاعشى وفي الوقف فقط ابدال الهمزة الفا ابو عمرو ويزيد والاعشى والاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء ابو جعفر ونافع وابن عامر والاعشى والبرجمي الآخرون على العكس تزاور خفيفا بحذف تاء التفاعل عاصم وحمزة وعلي وخلف تزور بتشديد الراء ابن عامر مثل تحمر ويعقوب الباقون تزاور بتشديد الزاي لادغام التاء فهو المهتدي كما مر في سبحان ولملئت مشددة للمبالغة ابو جعفر ونافع وابن كثير وقرأ ابو عمرو ويزيد والاعشى والاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف غير مهموز بورقكم بسكون الراء ابو عمرو وحمزة وحماد وابو بكر والخزاز عن هبيرة وعباس بكسر الراء وادغام القاف في الكاف الآخرون بكسر الراء مظهرا ربي اعلم بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ان يهدين ربي وان ترن وان يؤتين وان تعلمن مما باثبات الياء في الحالين سهل ويعقوب وابن كثير غير ابن فليح وزمعة وروى ابن شنبوذ عن قنبل كلها بالياء في الحالين وعن البري وابن فليح كلها بغير ياء في الحالين وزيد ابو جعفر ونافع وابو عمرو بالياء في الوصل ثلاث مائة سنين بالاضافة حمزة وعلي وخلف الباقون بالتنوين ولا تشرك بالتاء على النهي ابن عامر وروح وزيد الآخرون ولا يشرك بياء الغيبة ورفع الكاف الوقوف عوجا ط لان قيما ليس بصفة له ولكن انتصب بمحذوف دل عليه المتلو وهو انزل اي انزله قيما او للوصل وجه وهو ان يكون حالا عن الكتاب والعبد وما بينهما اعتراض حسنا لا ابدا لا ولدا لا لان ما بعده يحتمل الصفة او ابتداء واخبار والوقف اوضح ليكون ادعاء الولد مطلقا كما هو الظاهر لآبائهم ط من افواههم ط كذبا اسفا عملا جرزا ط لتمام القصة وما بعده استفهام تقرير وتعجب عجبا رشدا عددا للعطف امدا بالحق ط هدى ج لاحتمال الوصل اولى للعطف شططا الهة ط لابتداء التحضيض بين ط كذبا مرفقا فجوة منه ط آيات الله ط فهو المهتد ج مرشدا رقود فقد والاولى الوصل على ان ما بعده حال اي رقود ونحن نقلبهم الشمال قد الوصل احسن على ان المعنى نقلبهم باسطا بالوصيد ط رعبا بينهم ط كم لبثتم ط بعض يوم ط احدا ابدا لا ريب فيها ج لان اذ يصلح ان يكون ظرفا للاعثار عليهم وان يكون منصوبا باضمار اذكر بنيانا ط بهم ط مسجدا رابعهم كلبهم فصلا بين المقالتين مع اتفاق الجملتين بالغيب لوقوع العارض كلبهم ط قليل ظاهرا احدا غدا لا ان يشاء الله لاتفاق الجملتين مع عارض الظرف والاستثناء رشدا تسعا لثبوت الاحتمال ان ما بعده مفعول قل او اخبار مستأنف الارض ط لابتداء التعجب اسمع من ولي ط لمن قرأ ولا تشرك على النهي ومن قرأ على الغيبة اخبار اجوز وقفه لاختلاف الجملتين احدا التفسير لكن الصق الحمد والتكبير المذكورين في آخر السورة المتقدمة بالحمد على اجل نعمائه على العباد وهي نعمة انزال الكتاب على محمد ص قال بعض العلماء نزه نفسه في اول سورة سبحان عما لا ينبغي وهو اشارة الى كونه كاملا في ذاته وحمد نفسه في اول هذه السورة وهو اشارة الى كونه مكملا لغيره وفيه تنبيه على ان مقام التسبيح مبدأ ومقام التحميد غاية موافقا لما ورد في الذكر سبحان الله والحمد لله وفيه ان الاسراء اول درجات كماله لان فيه تكميل الارواح البشرية ونقلها من حضيض البهيمية الى اوج الملكية ولا شك ان المنافع المتعلقة بها افضل من المنافع العاجلة كما ورد في الخبر من تعلم وعلم وعمل فذاك يدعى عظيما في السموات وانزال الكتاب على النبي ص نعمة عليه وعلينا اما انه نعمة عليه فلانه اطلع بواسطته على اسرار التوحيد ونعوت الجلال والاكرام واحوال الملائكة والانبياء وسائر النفوس المقدسة وعلى كيفية القضاء والقدر وتعلق احوال العالم السفلي بالعالم العلوي والشهادة بالغيب وارتباط احدهما بالآخر واما انه نعمة علينا فلانا نستفيد منه بقدر مثل ذلك ونعرف منه الاحكام الشرعية المفضية الى صلاح المعاش والمعاد وفي انتصاب قيما وجوه فاختار صاحب الكشاف ان يكون منصوبا بمضمر اي جعله قيما ولم يرتضه ان يكون حالا لان العطف يدل على تمام الكلام وجعله حالا يدل على نقصانه وقال جار الله لا يصلح ان يكون حالا لانه مؤكد لان الاولى جملة والثانية مفرد وقيل حال من الضمير في قوله ولم يجعل له و فائدة الجمع بين نفي العوج واثبات الاستقامة هي التأكيد فرب مستقيم في الظاهر لا يخلو عن ادنى عوج في الحقيقة هذا تفسير ابن عباس ويحتمل ان يراد انه قيم

سائر الكتب مصدق لها شاهد بصحتها وانه قيم بمصالح العباد وما لا بد لهم من الشرع والاحكام وعلى هذا يكون قوله ولم يجعل له عوجا اشارة الى انه
كامل في ذاته مبرأ عن الاختلاف والتناقض مشتمل على كل ما هو في نفس الامر حق وصدق وقوله قيما اشارة الى انه مكمل لغيره مصلح بجنس بيانه وارشاده
لاحوال معاشهم ومعادهم فيكون الاية نظير قوله في اول البقرة لا ريب فيه هدى للمتقين ثم اراد ان يفصل ما اجمله في قوله قيما فقال لينذر باسا شديدا من
لدنه وحذف المنذر للعلم به لعمومه ولتطهير اللسان عن ذكره اي لينذر الذين كفروا عذابا اليما صادرا من عنده وان لهم اجرا حسنا الجنة بدليل قوله ماكثين
فيه وهو حال من الضمير في لهم ثم كرر الانذار وذكر المنذر لخصوصه وحذف المنذر به وهو الباس الشديد لتقدم ذكره وقد يذكر قضية كلية ثم تعطف
عليها بعض جزئياتها تنبيها على كونه اعظم جزئيات ذلك الكلي ففي عطف الانذار المخصوص على الانذار المطلق دليل على ان اقبح انواع الكفر والمعصية اثبات
الولد لله تعالى على ما زعم بعض كفار قريش من ان الملائكة بنات الله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ثم قال ما لهم به اي بالولد او باتخاذ
الله اياه من علم ولا لآبائهم وانتفاء العلم بالشيء اما بالجهل بالطريق الموصل اليه واما لانه في نفسه محال فلا يتعلق به العلم لذلك وهو المراد في الاية اي
قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد لآبائهم الذين هم مثلهم في الجهالة قال جار الله الضمير في قوله كبرت يعود الى قولهم اتخذ الله ولدا
وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها قلت ويجوز ان يعود الى مضمر ذهني يفسره الظاهر كقولهم ربه رجلا ونعمت امراة عندك قال الواحدي انتصب كلمة على
التمييز وذلك انك لو قلت كبرت المقالة او الكلمة جاز ان يتوهم انها كبرت كذبا او جهلا او افتراء فلما قلت كلمة فقد ميزتها من محتملاتها وقرئ بالرفع على
الفاعلية كما يقال عظم قولك قال اهل البيان النصب اقوى وابلغ لافادته التعجب من جهتين من جهة الصيغة ومن جهة التمييز كانه قيل ما اكبرها كلمة وفي وصف
الكلمة بقوله تخرج من افواههم مبالغة اخرى من جهتين الاول ان كثيرا من وساوس الشيطان وهواجس القلوب لا يتمالك العقلاء ان يتفوهوا بها ويخجلوا
فبين الله تعالى ان هذا المنكر لم يستحيوا من اظهاره والنطق به فما اشنع فعلهم وما اعظم فحشهم الثاني ان هذا الذي يقولونه لا يحكم به عقلهم وفكرهم البتة لكونه
في غاية البطلان وكانه شيء يجري على لسانهم بطريق التقليد احتج النظام على مذهبه ان الكلام جسم بان الخروج عبارة عن الحركة والحركة من خواص الاجسام
والجواب ان الخارج من الفم هو الهواء لان الحروف والاصوات كيفيات قائمة بالهواء فاسند الى الحال ما هو من شان المحل مجازا ثم زاد في تقبيح صورتهم
بقوله ان يقولون الا كذبا وفيه ابطال قول من زعم ان الكذب هو الخبر الذي لا يطابق المخبر عنه مع علم قائله بانه غير مطابق وذلك لان القيد الاخير غير
موجود ههنا مع انه تعالى سماه كذبا ثم سلى رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله فلعلك باخع قال الليث بخع الرجل نفسه اذا قتلها غيظا وقال الاخفش والفراء اصل
البخع الجهد يروى ان عائشة ذكرت عمر فقالت بخع الارض اي جهدها حتى اخذ ما فيها من اموال الملوك وقال الكسائي بخعت الارض بالزراعة اذا
جعلتها ضعيفة بسبب متابعة الحراثة وبخع الرجل نفسه اذا نهكها واسفا منصوب على المصدر اي تاسف اسفا وفي حذف الفعل دلالة على الكلام عليه
وقال الزجاج هو مصدر في موضع الحال ومفعول له اي لفرط الحزن شبهه اياهم حين لم يؤمنوا بالقرآن واعرضوا عنه برجل فارقته احبته فهو
يتساقط حسرات عليهم والحاصل انه قيل له لا تعظم حزنك عليهم بسبب كفرهم فانه ليس عليك الا البلاغ فاما تحصيل الايمان فيهم فليس اليك قال القاضي
اطلق الحديث على القرآن فدل ذلك على انه غير قديم واجيب بانه لا نزاع في حدوث الحروف والاصوات وانما النزاع في الكلام النفسي قوله سبحانه انا جعلنا
ما على الارض زينة لها قال اهل النظم كانه تعالى يقول اني خلقت الارض وزينتها ابتلاء للخلق بالتكاليف ثم انهم يتمردون ويكفرون ومع ذلك فلا اقطع
عنهم مواد هذه النعم فانت ايضا يا محمد لا تترك الاشتغال بدعوتهم بعد ان لا تاسف عليهم وما على الارض المواليد الثلاثة المعادن والنبات والحيوان
واشرفها الانسان وقال القاضي الاولى ان لا يدخل المكلف فيه لان ما على الارض ليست زينة لها بالحقيقة وانما هو زينة لاهلها لغرض الابتلاء
فالذي لم يكن زينة يكون خارجا عن الزينة ومعنى انه مجاز بالصورة والمراد انه تعالى يعاملهم معاملة لو صدرت تلك المعاملة عن غيره لكان من قبيل
الابتلاء والامتحان وقد مر هذا البحث بتمامه في سورة البقرة في تفسير قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه واللام في لنبلوهم للغرض عند المعتزلة او العاقبة
او استتباع الغاية عند غيرهم حذرا من لزوم الاستكمال قال الزجاج ايهم رفع بالابتداء لان لفظه لفظ الاستفهام والمعنى لنمتحن هذا احسن عملا ام ذلك
ثم زهد في الميل الى زينة الارض بقوله وانا لجاعلون ما عليها من هذه الزينة صعيدا جرزا اي مثل ارض بيضاء لا نبات لها بعد ان كانت خضراء معشبة
في ازالة بهجته واماطة حسنه قال ابو عبيدة الصعيد المستوي من الارض التي لا نبات فيها من قولهم امراة جرزاء اذا كانت اكولا وسيف جراز اذا كان مستاصلا
وجرز الجراد والشاة والابل الارض اذا اكلت ما عليها ثم ان القوم تعجبوا من قصة اصحاب الكهف وسالوا عنها الرسول صلى الله عليه وسلم على سبيل الامتحان فقال سبحانه
ام حسبت يعني بل اظننت يا انسان انهم كانوا عجبا من آياتنا فقط فلا تحسبن ذلك فان آياتنا كلها عجب فان من كان قادرا على تخليق السموات والارض
ثم تزيين الارض بانواع المعادن والنبات والحيوان ثم جعلها بعد ذلك صعيدا خاليا عن الكل كيف يستبعدون من قدرته وحفظه ورحمته بالنسبة
الى طائفة مخصوصة وقال جار الله يعني ان ذلك تزيين وغيره اعظم من قصة اصحاب الكهف يعني انه ذكر اولا عظيم قدرته ثم اضرب عن ذلك موبخا للانسان
والحاصل انك تعجب من هذا الادنى فكيف غافل عن الاعلى والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم كلبهم وعن سعيد بن جبير ومجاهد انه لوح من حجارة او رصاص
رقمت فيه اسماؤهم جعل على باب الكهف فعلى هذا يكون اللفظ عربيا فعيلا بمعنى مفعول ومثله ما روي ان الناس رقموا حديثهم نقرا في الجبل وعن السدي
انه القرية التي خرجوا منها وقيل هو الوادي او الجبل الذي فيه الكهف فالعجب مصدر وصف به او المراد ذات عجب قوله اذ اوى الفتية الى الكهف ظرف والثانية
ما او اسم منصوب باضمار اذكر لا بحسبت لفساد المعنى ولا بعجبا لان [illegible] يتعلق بعجبا والتنوين في رحمة اما للتعظيم او للتنويع وتقديم من لدنك للاختصاص اي رحمة

مخصوصة بانها من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والامن من الاعداء وهيئ لنا اي اصلح لنا من قولك هيأت الامر فتهيأ من امرنا الذي نحن عليه من
مفارقة الكفار رشدا اي امرا ذا رشد حتى نكون بسببه راشدين غير ضالين فيكون من للابتداء ويجوز ان يكون للتجريد كما في قولك رايت منك اسدا
اي اجعل امرنا رشدا كله فضربنا على آذانهم قال المفسرون اي انمناهم والاصل فيه ان المفعول محذوف وهو الحجاب كما يقال بنى على امراته اي بنى عليها القبة
سنين ظرف زمان وعددا اي ذات عدد وهو مصدر وصف به والمراد بهذا الوصف اما القلة لان الكثير قليل عند الله وان يوما عند ربك كالف سنة
مما تعدون واما الكثرة قال الزجاج اذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج الى العد واذا كثر احتاج الى ان يعد ثم بعثناهم ايقظناهم لنعلم ليظهر معلومنا او تعلق
العلم معلقا لما في اي من معنى الاستفهام فارتفع اي الحزبين على الابتداء وخبره احصى وهو فعل ماض وما في لما لبثوا مصدرية اي احصى امدا للبثهم فيكون
الجار والمجرور صفة للامد فلما قدم صار حالا منه وقيل اللام زائدة وما بمعنى الذي وامدا تمييز والتقدير احصى لما لبثوا امدا والامد الغاية زعم
بعضهم ان احصى افعل التفضيل كما في قولهم اعدى من الجرب وافلس من ابن المذلق ولم يستصوبه في الكشاف لان الشاذ لا يقاس عليه واختلفوا
في تعيين الحزبين فعن عطاء عن ابن عباس ان اصحاب الكهف حزب والملوك الذين تداولوا المدينة ملكا بعد ملك حزب وقال مجاهد الحزبان من اصحاب الكهف
وذلك انهم لما انتبهوا اختلفوا فقال بعضهم لبثنا يوما او بعض يوم وقال آخرون ربكم اعلم بما لبثتم وذلك حين حدسوا ان لبثهم قد تطاول وقال الفراء
ان طائفتين من المسلمين في زمان اصحاب الكهف اختلفوا في مدة لبثهم نحن نقص عليك نباهم بالحق اي على وجه الصدق انهم فتية آمنوا بربهم اي وضع
الظاهر موضع المضمر وزدناهم هدى اي بالتوفيق والتثبيت وربطنا على قلوبهم قويناها بالهام الصبر على فراق الخلائق والاوطان والفرار بالدين
الى بعض الغيران اذ قاموا فقالوا في هذا القيام اقوال عن مجاهد انهم اجتمعوا وراء المدينة من غير ميعاد فقال رجل منهم هو اكبر القوم اني لاجد في نفسي
شيئا ما اظن احدا يجده ان ربي رب السموات والارض فقالوا نحن كذلك نجد في انفسنا فقاموا جميعا فقالوا ربنا رب السموات والارض وقال اكثر
المفسرين انه كان لهم ملك جبار يقال له دقيانوس وكان يدعو الناس الى عبادة الطواغيت فثبت الله هؤلاء الفتية وعصمهم حتى قاموا بين يديه
فقالوا ربنا رب السموات والارض وعن عطاء ومقاتل انهم قالوا ذلك عند قيامهم من النوم والشطط الافراط في الظلم والابعاد فيه من شط
اذا بعد والمراد قولا ذا شطط اي بعيد عن الحق هؤلاء مبتدأ وقومنا عطف بيان او بدل واتخذوا خبره وهو اخبار في معنى انكار وفي اسم الاشارة
تحقير لهم لولا يأتون عليهم هلا يأتون على حقيقة الهيتهم او على صحة عبادتهم بسلطان بين بحجة ظاهرة استدل بعدم الدليل على عدم الشركاء
الاضداد فاستدل بعض العلماء به على ان هذه طريقة صحيحة ويمكن ان يجاب بانه انما ذكر ذلك على سبيل التبكيت فمن المعلوم ان الاتيان
بسلطان على عبادة الاوثان محال وفيه دليل على فساد التقليد ويؤكده قوله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه وخاطب بعضهم
بعضا حين صمم عزمهم على الفرار بالدين وقوله وما يعبدون عطف على الضمير المنصوب يعني واذ اعتزلتموهم ومعبوديهم وقوله الا الله استثناء منقطع
على الظاهر ويجوز ان يكون متصلا بناء على ان المشركين يقرون بالخالق الاكبر وقيل هو كلام معترض اخبار من الله تعالى عن الفتية انهم لم يعبدوا
غير الله فأووا الى الكهف قال الفراء فأووا الى الكهف جواب اذ ومعناه اذهبوا اليه واجعلوه ماواكم ينشر لكم ربكم من رحمته يبسطها الكرم وقرئ على القراءتين مشتق من الارتفاق
الانتفاع وقيل فتح الميم اقيس وكسرها اكثر وقيل المرفق بالكسر ما ارتفقت به والمرفق بالفتح الامر الرافق وكان الكسائي ينكر في مرفق اليد الا كسر الميم
قالوا ذلك ثقة بفضل الله وتوكلا عليه واما لانه اخبرهم نبي في عصرهم منهم او من غيرهم وترى الشمس ايها الانسان اذا طلعت تزاور واصله من الزور
بفتح الميم قالوا ذلك ثقة بفضل الله وتوكلا عليه واما لانه اخبرهم نبي في عصرهم الواو وهو الميل ومنه زاره اذا مال اليه والمراد ان الشمس تعدل عن
سمتهم الى الجهتين فلا يقع عليهم والفجوة المتسع من المكان ومنه الحديث فاذا وجد فجوة نص وللمفسرين في الاية قولان احدهما انهم في ظل نهارهم كله
لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها مع انهم في مكان واسع منفتح والى هذا الحجب اشار بقوله ذلك من آيات الله وثانيهما ان باب ذلك الكهف كان
مفتوحا الى جانب الشمال فاذا طلعت الشمس كانت على يمين الكهف واذا غربت كانت على يساره فلذلك كانت الشمس لا تصل اليهم ثم انهم كانوا مع ذلك
في متسع من الغار ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم واعترض بان عدم وصول الشمس اليهم لا يكون آية من آيات الله على هذا التقدير واجيب بان المشار اليه
حفظهم في ذلك الغار مدة طويلة والمقصود من بيان وضع الغار تعيين مكانهم ثم بين الله سبحانه لطفه بهم بصونه ابدانهم عن الفساد في تلك المدة المديدة
كما لطف بهم في اول الامر بالهداية فكان فيه ثناء عليهم وتذكير لغيرهم ان الهداية وضدها كليهما بمشيئة الله وعنايته الازلية وباطنه وثمرة الذي
سبق القلم وقال جار الله فيه تنبيه على ان من سلك طريقة الراشدين المهتدين فهو الذي اصاب الفلاح ومن تعرض للخذلان فلن تجد من يليه ويرشده
ثم حكى طرفا آخر من غرائب احوالهم فقال وتحسبهم ايقاظا جمع يقظ بكسر القاف كانكاد في جمع نكد وهم رقود جمع راقد كقعود في قاعد واستبعد
في التفسير الكبير وقيل عيونهم مفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك ايقاظا وقال الزجاج لكثرة تقلبهم وقيل لهم تقلبتان في السنة وقيل تقلبة
واحدة في يوم عاشوراء وعن مجاهد يمكثون رقودا على ايمانهم سبع سنين ثم يقلبون على شمائلهم فيمكثون رقودا سبع سنين وفائدة تقلبهم
ظاهرة وهي ان لا تاكل لحومهم الارض قال ابن عباس وتعجب منه الامام فخر الدين قال وان الله تعالى قادر على حفظهم من غير تقليب قلت لا ريب في قدرة
الله تعالى ولكن الوسائط معتبرة في اغلب الاحوال وكلبهم باسط حكاية الحال الماضية ولهذا عمل في المفعول به والوصيد الفناء وقيل العتبة او الباب
قال السدي الكهف لا يكون له عتبة ولا باب وانما اراد ان الكلب منه موضع العتبة من البيت عن ابن عباس هربوا ليلا من ملكهم فمروا براع معه كلب فتبعهم

على دينهم ومعهم كلبه وقال كعب مروا بكلب فنبح عليهم فطردوه فعاد ففعلوا ذلك ثلث مرات فقال لهم الكلب ما تريدون مني لا تخشوا جانبي انا احب احباء الله فناموا
حتى احرسكم وقال عبيد بن عمير وكان ذلك طلب صيدهم والاطلاع على الشيء الاشراف عليه قال الزجاج قوله فرارا منصوب على المصدر لانه بمعنى التولية
وسبب الرعب هيبة البسهم الله اياها وقيل طول اظفارهم وشعورهم وعظم اجرامهم ووحشة مكانهم منه يحكى ان معوية غزا الروم فقال لو
كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس ليس لك ذلك قد منع الله منه من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال معوية
لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث ناسا فقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله ريحا فاخرجتهم وكذلك اشارة الى المذكور قبله اي وكما
انمناهم تلك النومة وفعلنا بهم ما فعلنا من الكرامات كذلك بعثناهم وفيه تذكير لقدرته على الانامة والبعث جميعا ثم ذكر غاية بعثهم فقال ليتساءلوا
اي ليقع التساؤل بينهم والاختلاف والتنازع في مدة اللبث غرض صحيح لما فيه من انكشاف الحال وظهور اثار القدرة قال قائل منهم كم لبثتم قال ابن
عباس هو رئيسهم يمليخا ردوا علم ذلك الى الله تعالى حين راى التغير في شعورهم واظفارهم وبشرتهم والفاء في فابعثوا للتسبيب كانه قيل واذ قد حصل
الياس من تعيين مدة اللبث فخذوا في شيء اخر مما يهمكم والورق الفضة مضروبة او غير مضروبة وفي تزودهم الورق عند فرارهم دليل على ان امساك بعض
ما يحتاج اليه الانسان في سفره وحضره لا ينافي التوكل على الله والمدينة طرسوس قال في الكشاف ايها معناه اي اهلها ازكى طعاما واقول يحتمل ان يعود
الضمير الى الاطعمة ذهنا كقولك زيد طيب ابا على ان الاب هو زيد ويجوز ان يراد اي اطعمة المدينة ازكى طعاما على الوجه المذكور عن ابن عباس يريد
ما حل من الذبائح لان عامة اهل بلدهم كانوا مجوسا وفيهم قوم يخفون دينهم وقال مجاهد احل وامن المغصوب لان ملكهم كان ظالما وقيل اطهر واطيب
والذ وقيل ارخص وليتلطف وليتكلف اللطف فيما يباشره من امر المبايعة حتى لا يغبن والاظهر انهم طلبوا اللطف في امر التخفي حتى لا يعرف ويؤيده
قوله ولا يشعرن بكم احدا اي لا يفعلن ما يؤدي الى الشعور ويتسبب له انهم ان يظهروا ايطلعوا على مكانكم او عليكم يرجموكم يقتلوكم اخبث القتلة وهي
الرجم وكانت عادتهم او يعيدوكم في ملتهم بالاكراه العنيف قال في الكشاف العود في معنى الصيرورة اكثر شيء في كلامهم يقولون ما عدت افعل كذا
يريدون ابتداء الفعل قلت يحتمل ان يكون العود ههنا على معناه الاصلي لاحتمال ان يكون اصحاب الكهف على ملة اهل المدينة قبل ان هداهم الله
وفي اذن معنى الشرط كانه قال ان رجعتم الى دينهم فلن تفلحوا ابدا قال المحققون لا خوف على المؤمن الفار بدينه اعظم من هذين ففي الاول هلاك الدنيا وفي الثاني
هلاك الاخرة وانما نفى الفلاح على التابيد مع ان كفر المكره لا يضره لانهم خافوا ان يجرهم ظاهر الموافقة الى الكفر القلبي وكما انمناهم وبعثناهم اعثرنا
عليهم سمي الاعلام اعثارا والعلم عثورا لان من كان غافلا عن شيء فعثر به نظر اليه وعرفه وكان الاعثار سببا لحصول العلم واليقين وفي سبب الاعثار
قولان احدهما انه طالت شعورهم واظفارهم طولا مخالفا للعادة وتغيرت بشرتهم فعرفوا بذلك والاكثرون قالوا ان ذلك الرجل لما ذهب بالورق
الى السوق وكانت دراهم دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقال له من اين وجدت هذه الدراهم قال بعت بها امس شيئا
من التمر فعرف الملك انه ما وجد كنزا وان الله بعثه بعد موته فقص عليه القصة ثم ذكر سبحانه غاية الاعثار فقال ليعلموا ان وعد الله حق وذلك ان ملك
ذلك العصر ممن كان ينكر البعث الا انه كان مع كفره منصفا فجعل الله امر الفتية دليلا للملك وقيل بل اختلفت الامة في ذلك الزمان فقال بعضهم
الجسد والروح يبعثان جميعا وقال اخرون الروح يبعث واما الجسد فتاكله الارض ثم ان ذلك الملك كان يتضرع ان يظهر له اية يستدل بها على
ما هو الحق في المسئلة فاطلعه الله تعالى على امر اصحاب الكهف حتى تقرر عنده صحة بعث الاجساد لان انتباههم بعد ذلك النوم الطويل يشبه من يموت
ثم يبعث فالمراد بالتنازع هو اختلافهم في حقيقة البعث والضمائر في قوله اذ يتنازعون بينهم امرهم تعود الى تلك الامة وقيل اراد يتنازع الناس
بينهم امر اصحاب الكهف ويتكلمون في قصتهم او يتنازعون بينهم تدبير امرهم حين توفوا كيف يخفون مكانهم وكيف يسدون الطريق اليهم فقالوا ابنوا على
باب كهفهم بنيانا يروى انه انطلق الملك واهل المدينة معه وابصروهم وحمدوا الله على الاية الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك
به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله انفسهم فالقى الملك عليهم ثيابه وامر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فراهم في المنام كارهين للذهب
فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا فيكون فيه دليل على ان اولئك الاقوام كانوا عارفين بالله تعالى ومعترفين بالعبادة والصلوة وقيل ان الكفار قالوا انهم
كانوا على ديننا فنتخذ عليهم بنيانا والمسلمون قالوا بل كانوا على ديننا فنتخذ عليهم مسجدا وقيل انهم تنازعوا في عددهم واسمائهم ثم قال جار الله ربهم اعلم
بهم من كلام المتنازعين كانهم تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم فلما لم يهتدوا الى حقيقة قالوا ذلك وهو من كلام الله عز وجل رد
لقول الخائضين في حديثهم من اولئك المتنازعين او من الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب قال الذين غلبوا
على امرهم المسلمون وملكهم المسلم لانهم بنوا عليهم مسجدا يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وكانوا اولى بهم وبالبناء عليهم حفظا لتربتهم رجما و
ظنا بها سيقولون يعني الخائضين في قصتهم من المؤمنين ومن اهل الكتاب المعاصرين وكان كما اخبر فكان معجزا يروى ان السيد والعاقب واصحابهما
من اهل نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر اصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا هم ثلاثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا هم
خمسة سادسهم كلبهم فنقض سيقولها مان قال رجما بالغيب يرمون رميا بالخبر الخفي يقولون رجم بالكلام رميا اي تكلم من غير تدبر وكثيرا
ما يوضع الرجم موضع الظن مكان قولهم ظن وقال المسلمون هم سبعة وثامنهم كلبهم قال العلماء وهذا قول حقق عرفه المسلمون باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لسان
جبرئيل والذي يدل عليه امور منها ما روي عن علي رضي انهم سبعة نفر اسمائهم يمليخا ومكسلمينا هؤلاء اصحاب يمين الملك وكان عن يساره

مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في امره والسابع الراعي الذي وافقهم واسمه كفشططيوش واسم مدينتهم افسوس واسم
كلبهم قطمير وقيل يروى عن ابن عباس ان اسماء اصحاب الكهف تصلح للطلب والهرب واطفاء الحريق تكتب في خرقة ويرمى بها في وسط النار ولبكاء
الطفل تكتب وتوضع تحت راسه في المهد وللحرث تكتب على القرطاس ويرفع على خشب منصوب في وسط الزرع وللضربان وللحمى الثلثة والصداع
والغنى والجاه والدخول على السلاطين تشد على الفخذ اليمنى وللعسر الولادة تشد على فخذها الايسر ولحفظ المال والركوب في البحر والنجاة من
القتل ومنها قول صاحب الكشاف ان الواو في قوله وثامنهم هي التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة في قولك جاءني رجل ومعه اخر كما يدخل
على الجملة الواقعة حالا من المعرفة في قولك مررت بزيد ومعه سيف وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها
امر ثابت مستقر لان الواو ومقتضاها الجمعية وكانهم وصفوا بكونهم سبعة قرينين بخلاف القولين الاولين فانهم وصفوا بما وصفوا مرة
واحدة ولقائل ان يقول ان العاطفة لا يتوسط بين الوصف والموصوف البتة لشدة الاتصال بينهما ومقتضى الواو هو الحالة المتوسطة بين كمال
الاتصال وكمال الانقطاع بل الواو اما للعطف عطف الجملة على الجملة واما للحال وجاز لانهم لم يسوغوا ذي الحال نكرة لامكان التباس الحال بالصفة
في نحو قولك رايت رجلا راكبا وههنا الالتباس مرتفع لمكان الواو ومنها قول بعضهم ان الضمير في قوله ويقولون سبعة الله تعالى والجمع للتعظيم ومنها قول
ابن عباس حين وقعت الواو انقطعت العدة اي لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت اليها وثبت انهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات ومنها انه خص
القولين الاولين بزيادة قوله رجما بالغيب وتخصيص الشيء بالوصف يدل على ان الحال في الباقي بخلافه فمن البعيد ان يذكر الله تعالى جملة الاقوال الباطلة
ولا يذكر الحق على انه سبحانه منع عن المناظرة معهم وعن الاستفتاء منهم في هذا الباب وهذا المنع انما يصح اذا علم حكم هذه الواقعة وايضا الله تعالى
قال ما يعلمهم الا قليل وبعيد ان لا يحصل العلم بذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ويحصل لغير النبي كعلي وكابن عباس حين قال انا من اولئك القليل وقد عرفت قوله
في هذا الباب واذا حصل فالظاهر انه حصل لهذا الوجه لانه لا اصل فيما سواه لعدو وقيل الضمير في سيقولون لاهل الكتاب خاصة اي سيقول اهل الكتاب
فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا في قليل منهم وقوله سبحانه في الموضعين الاخيرين ويقولون بغير السين لا ريب انهما للاستقبال ايضا الا ان ذلك يحتمل
ان يكون لاجل ان الصيغة التي تصلح له وان يكون لتقدير السين بحكم العطف كما تقول قد اكرم وانعم اي قد انعم اما فائدة تخصيص الواو في قوله وثامنهم فقد عرفت
انفا وقد يقال ان لعدد السبعة عند العرب شانا ولا عن الالسنة في مظان المبالغة من ذلك قوله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة لان هذا العدد سبعة معقود
فاذا وصلوا الى الثامنة ذكروا لفظا يدل على الاستيناف كقوله في ابواب الجنة وفتحت ابوابها وكقوله ثيبات وابكارا وزيف القفال هذا الوجه
بقوله تعالى هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر وذلك انه لم يذكر الواو في النعت الثامن والانصاف ان
هذا التزييف ليس في موضعه لان وجود الواو هو الذي يفتقر الى التوجيه اما عدمه فعلى الاصل وبين التوجيه والايجاب بون بعيد والقائل بصدد الاول
دون الاخير ثم نهى نبيه صلى الله عليه وسلم عن الجدال مع اهل الكتاب في شان اصحاب الكهف ثم قال الا مراء ظاهرا قال جار الله اي جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم
ما اوحى الله اليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل ولا تعنيف وقال في التفسير الكبير المراد ان لا يكذبهم في تعيين ذلك العدد بل يقول هذا التعيين
لا دليل عليه فوجب التوقف ثم نهاه عن الاستفتاء منهم في شانهم لان المفتي يجب ان يكون اعلم من المستفتي وههنا الامر بالعكس ولا سيما في باب
واقعة اصحاب الكهف كما بينا ولنذكر ههنا مسئلة جواز الكرامات وما يتوقف هي عليه فنقول الولي مشتق من الولي وهو القرب فقيل فعيل
بمعنى فاعل وقد يره وذلك انه توالت طاعاته من غير تخلل معصية وقيل بمعنى مفعول كقتيل وذلك ان الحق سبحانه تولى حفظه وحراسته وقرب
منه بالفضل والاحسان فاذا ظهر فعل خارق للعادة على انسان فان كان مقرونا بدعوى الالهية كما نقل ان فرعون يظهر على يده الخوارق وكما ينقل
ان الدجال سيكون منه ذلك فهذا القسم جوزه الاشاعرة لان شكله وخلقته يدل على كذبه فلا يفضي الى التلبيس وان كان مقرونا بدعوى النبوة
فان كان صادقا فواجب ان لا يحصل له المعارض وان كان كاذبا وجب ان يمكن ان يوتى الكاذب يستحيل ان يظهر منه الفعل الخارق والى هذا ذهب جمهور المعتزلة و
خالفهم ابو الحسين البصري وصاحبه محمود الخوارزمي فجوزا ظهور خوارق العادات على من كان مردودا عند الله وسموه بالاستدراج وقد يفرق بين النبي الصادق
والساحر الخبيث بالدعاء الى الخير والى الشر وان كان مقرونا بدعوى الولاية فصاحبه هو الولي ومن المحققين من لم يجوز للولي دعوى الولاية لانه مامور (بالاختفاء بخلاف النبي فانه مامور)
بالاظهار ثم ان المعتزلة انكروا كرامات الاولياء واثبتها اهل السنة مستدلين بالقران والاخبار والاثار والمعقول اما القران فكقصة مريم و
نبأ اصحاب الكهف قال القاضي لا بد ان يكون في ذلك الزمان نبي ينسب اليه تلك الكرامات واجيب في التفسير الكبير بان قيامهم على النوم ام غير خارق
للعادة حتى يجعل ذلك معجزة لاحد اما قيامهم من النوم بعد ثلثمائة سنة فهذا ايضا لا يمكن جعله معجزة لان الناس لا يصدقونهم في هذه الواقعة لانهم لا يعرفون
كونهم صادقين في هذه الشرائط لم توجد فامتنع جعل هذه الواقعة الدعوى الا اذا عرفوا طول هذه المدة وعرفوا ان هؤلاء الذين جاؤا في هذا الوقت
هم الذين ناموا قبل ذلك بثلثمائة وتسع سنين وكل هذه الشرائط لم توجد فامتنع جعل هذه الواقعة معجزة لاحد من الانبياء فلم يبق الا ان يجعل كرامة
لهم ولقائل ان يقول لم لا يجوز ان يكون نفس بعثهم معجزة للنبي في ذلك الزمان واما ان ذلك البعث بعد نوم طويل فيعرف بامارات اخر كما مر من حديث الدراهم
وغيره واما الاخبار فمنها ما اخرج في الصحاح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لم يتكلم في المهد الا ثلثة عيسى بن مريم وصبي في زمان جريج وصبي اخر اما عيسى
فقد عرفتموه واما جريج فكان رجلا عابدا في بني اسرائيل وكانت له ام وكان يوما يصلي اذ اشتاقت اليه امه فقالت يا جريج فقال يا رب الصلوة خير ام رؤيتها ثم

صلى فدعته ثانيا مثل ذلك ثالثا وكان يصلي ويدعها فاشتد ذلك على امه فقالت اللهم لا تمته حتى تريه المومسات وكانت في بني اسرائيل زانية فقالت لهم انا افتن جريجا حتى يزني فاتته فلم تقدر عليه شيئا وكان هناك راع ياوي بالليل الى اصل صومعته فارادت الراعي على نفسها فاتاها فولدت غلاما فقالت ولدي هذا من جريج فاتاه بنو اسرائيل وكسروا صومعته قال ثنا ابو هريرة كاني انظر الى النبي صلعم حين قال يا غلام من ابوك فقال فلان الراعي فندم القوم على ما كان منهم واعتذروا اليه وقالوا نبني صومعتك من ذهب او فضة فابى عليهم وبناها كما كانت واما الصبي الآخر فان امرأة كانت معها صبي ترضعه اذ مر بها شاب جميل ذو شارة فقالت اللهم اجعل ابني مثل هذا فقال الصبي اللهم لا تجعلني مثله ثم مر بها امرأة ذكروا انها سرقت وزنت وعوقبت فقالت اللهم لا تجعل ابني مثل هذه فقال اللهم اجعلني مثلها فقالت له امه في ذلك فقال ان الراكب جبار من الجبابرة وان هذه قيل لها سرقت ولم تسرق وزنت ولم تزن وهي تقول حسبي الله ومنها ما روى عن ابن عمر ان رسول الله صلعم قال انطلق ثلثة رهط ممن كان قبلكم فاواهم المبيت الى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا ان تدعوا الله بصالح اعمالكم فقال رجل منهم كان لي ابوان شيخان كبيران فكنت لا اغبق قبلهما فنأى بي في طلب شجرة يوما فلم ارح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فجئتهما به فوجدتهما نائمين فكرهت ان اوقظهما وكرهت ان اغبق قبلهما فقمت والقدح في يدي انتظر استيقاظهما حتى ظهر الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت هذا ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت انفراجا لا يستطيعون الخروج منه ثم قال الآخر اللهم انه كانت لي ابنة عم وكانت احب الناس الي فاردتها عن نفسها فامتنعت حتى المت بها سنة من السنين فجاءتني فاعطيتها مالا على ان تخلي بيني وبين نفسها فلما قدرت عليها قالت لا اذن لك ان تفك الخاتم الا بحقه فتحرجت من ذلك العمل وتركتها وتركت المال معها اللهم فان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير انهم لا يستطيعون الخروج منها قال رسول الله صلعم ثم قال الثالث اللهم اني استاجرت اجراء فاعطيتهم اجورهم غير رجل واحد منهم ترك الذي له وذهب فثمرت اجرته حتى كثرت منه الاموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله ادّ الي اجرتي فقلت له كل ما ترى من الابل والغنم والرقيق من اجرتك فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت اني لا استهزئ بك فاخذه كله اللهم ان كنت فعلته ابتغاء وجهك فافرج فانفرجت الصخرة من الغار فخرجوا يمشون وهذا حديث صحيح متفق عليه ومنها قوله صلعم كم من اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره ولم يفرق بين شئ وشئ ومنها ما روى ابن سعيد المسيب عن ابي هريرة عن النبي صلعم قال بينا رجل يسوق بقرة قد حمل عليها اذ التفتت البقرة وقالت اني لم اخلق لهذا وانما خلقت للحرث فقال الناس سبحان الله فقال النبي صلعم امنت بهذا وابو بكر وعمر ومنها ما روى ابن ابي هريرة عن النبي صلعم بينا رجل سمع رعدا او صوتا في السحاب ان اسق حديقة فلان قال فغدوت الى تلك الحديقة فاذا رجل قائم فيها فقلت له ما اسمك قال فلان بن فلان فقلت فما تصنع بحديقتك هذه اذا صرمتها قال ولم تسئل عن ذلك قلت لاني سمعت صوتا في السحاب ان اسق حديقة فلان قال اما اذ قلت فاني اجعلها اثلاثا فاجعل لنفسي ولاهلي ثلثا واجعل للمساكين وابناء السبيل ثلثا واما الآثار فمن كرامات ابي بكر الصديق انه لما حملت جنازته الى باب قبر النبي صلعم ونودي السلام عليك يا رسول الله هذا ابو بكر بالباب فاذا الباب قد فتح فاذا هاتف يهتف من القبر ادخلوا الحبيب الى الحبيب ومن كرامات عمر ما روي انه بعث جيشا وامر عليهم رجلا يدعى سارية بن حصين فبينا عمر يوم الجمعة يخطب جعل يصيح في خطبته يا سارية الجبل الجبل قال علي بن ابي طالب عليه السلام فكتبت تاريخ هذه الكلمة فقدم رسول ذلك الجيش فقال يا امير المؤمنين غزونا يوم الجمعة في وقت الخطبة فهزمونا فاذا بانسان يصيح يا سارية الجبل فاسندنا ظهورنا الى الجبل فهزم الله الكفار وظفرنا بالغنائم العظيمة قال بعض العلماء كان ذلك بالحقيقة معجزة للنبي صلعم لانه قال لابي بكر وعمر انتما مني بمنزلة السمع والبصر لا جرم قدر عمر على رؤية الجيش من بعد ومنها ما روي ان نيل مصر كان في الجاهلية يقف في كل سنة مرة واحدة وكان لا يجري حتى يلقى فيه جارية حسناء فلما جاء الاسلام كتب عمرو بن العاص بهذه الحالة الى عمر فكتب عمر على الخزف من عمر امير المؤمنين الى نيل مصر اما بعد فان كنت تجري بامرك فلا حاجة لنا فيك وان كنت تجري بامر الله فاجر على بركة الله وامر ان يلقى الخزف في النيل فجرى ولم يقف بعد ذلك ووقعت الزلزلة بالمدينة فضرب عمر الدرة على الارض فقال اسكني باذن الله تعالى فسكنت ووقعت النار في بعض دور المدينة فكتب عمر على خزفة يا نار اسكني باذن الله تعالى فالقوها في النار فانطفت في الحال ويروى ان رسول ملك الروم جاء الى عمر وطلب داره وظن ان داره مثل قصور الملوك فقالوا ليس له ذلك انما هو في الصحراء يضرب اللبن فلما ذهب الى الصحراء راى عمر واضعا درته تحت راسه وهو نائم على التراب فتعجب الرسول من ذلك وقال في نفسه اهل الشرق والغرب يخافون منه وهو على هذه الصفة فسل سيفه ليقتله فاخرج الله اسدين من الارض فقصداه فخاف فالقى السيف فانتبه عمر واسلم الرجل قال اهل البصر لم يتفق لاحد من اول عهد آدم الى الان ما تيسر له فانه مع غاية بعده عن التكلفات كيف قدر على تلك السياسات ولا شك ان هذا من اعظم الكرامات واما عثمان فعن انس قال مررت في طريق فوقعت عيني على امرأة ثم دخلت على عثمان فقال ما لي اراكم تدخلون علي واثار الزنا ظاهرة عليكم فقلت اوحي نزل بعد رسول الله صلعم فقال لا ولكن فراسة صادقة وقيل لما طعن بالسيف فاول قطرة سقطت من دمه سقطت على المصحف على قوله فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ويروى ان جهجاه الغفاري انتزع العصا من يده وكسرها على ركبته فوقعت الاكلة في ركبته واما علي صلوات الله عليه فيروى ان واحدا من اصحابه سرق وكان عبدا اسود فاتي به الى علي عليه السلام فقال اسرقت قال بلى فقطع يده فانصرف من عند علي ع فلقيه سلمان الفارسي وابن الكوا فقال ابن الكوا من قطع يدك قال امير المؤمنين ويعسوب المسلمين وختن الرسول وزوج البتول فقال قطع يدك وتمدحه قال ولم لا امدحه وقد قطع بحق وخلصني من النار فسمع سلمان ذلك فاخبر به عليا ع فدعا الاسود ووضع يده على ساعده وغطاه بمنديل ودعا بدعوات فسمعنا صوتا من السماء ارفع الرداء عن اليد فرفعنا الرداء فاذا اليد كما كانت باذن الله تعالى واما سائر الصحابة فعن محمد بن

المنذر انه قال ركبت البحر فانكسرت السفينة التي كنت فيها فركبت لوحا من الواحها فطرحني اللوح في اجمة فيها اسد فخرج الي الاسد فقلت يا ابا الحارث انا مولى رسول الله صلعم فتقدم ودلني على الطريق ثم همهم فظننت انه يودعني ورجع ومنها ما روى ثابت عن انس ان اسيد بن حضير ورجلا آخر من الانصار تحدثا عند رسول الله صلعم حتى ذهب من الليل قطع وكان ليلا مظلمة وفي يد كل واحد منهما عصا فاضاءت عصا احدهما حتى مشيا في ضوئها فلما افترقا اضاء لكل واحد منهما عصاه حتى مشى في ضوئها وبلغ منزله وقيل لخالد بن الوليد ان في عسكرك من يشرب الخمر فركب فرسه ليلا فطاف في العسكر فرأى رجلا على فرس ومعه زق من خمر فقال ما هذا فقال خل فقال خالد اللهم اجعله خلا فذهب الرجل الى اصحابه وقال اتيتكم بخمر ما شربت العرب مثلها فلما فتحوا اذا هو خل فقالوا والله ما جئتنا الا بخل فقال هذه والله دعوة خالد ومن الوقائع المشهورة ان خالد بن الوليد اكل كفا من السم على اسم الله وما ضره وعن ابن عمر انه كان في بعض اسفاره فلقي جماعة على طريق خائفين من السبع فطرد السبع عن طريقهم ثم قال انما يسلط على ابن آدم ما يخافه ولو انه لم يخف غير الله لما سلط عليه شئ ويروى ان النبي صلعم بعث العلاء بن الحضرمي في غزاة فحال بينهم وبين المطلوب قطعة من البحر فدعا باسم الله الاعظم فمشوا على الماء وفي كتب الصوفية من هذا الباب روايات كثيرة ولا سيما في كتاب تذكرة الاولياء ومن ارادها فليطالعها واما المعقول فهو ان الرب حبيب العبد والعبد حبيب الرب لقوله يحبهم ويحبونه فاذا بلغ العبد في طاعته مع عجزه الى حيث يفعل كلما امر الله فاي بعد في ان يفعل الرب مع غاية قدرته وسعة جوده مرة واحدة ما يريد العبد وايضا لو امتنع اظهار الكرامة فذلك اما لاجل ان الله تعالى ليس اهلا له فذلك قدح في قدرته واما لان المؤمن ليس اهلا له وهو بعيد لان معرفة الله والتوفيق على طاعته اشرف العطايا واجلها واذا لم يبخل الفياض بالاشرف فلان لا يبخل بالادون اولى ومن هنا قالت الحكماء ان النفس اذا قويت بحسب قوتيها العلمية والعملية تصرفت في اجسام العالم السفلي كما يتصرف في جسده قلت وذلك ان النفس نور ولا تزال تزداد نورية واشراقا بالمواظبة على العلم والعمل وفيضان الانوار الالهية عليه حتى ينبسط ويقوى على اثارة غيره والتصرف فيه والوصول الى هذا المقام هو المعنى بقول علي بن ابي طالب صلوات الله عليه والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولكن بقوة ربانية حجة المنكرين للكرامات ان ظهور الخوارق دليل على النبوة فلو حصل لغير النبي لبطلت هذه الدلالة واجيب بالفرق بين المعجزة والكرامة بان المعجز مقرون بدعوى النبوة والكرامة مقرونة بدعوى الولاية وايضا النبي يدعي المعجزة ويقطع بها والولي اذا ادعى الكرامة لا يقطع بها لاحتمال انه يجب نفي المعارضة عن المعجزة ولا يجب نفيها عن الكرامة جميع هذا عند من يجوز للولي دعوى الولاية واما من لا يجوز ذلك من حيث ان النبي مامور بالاظهار لضرورة الدعوة والولي ليس كذلك ولكن اظهاره يوجب طلب الاشتهار والفخر المنهي عنه فانه يفرق بينهما بان المعجز مسبوق بدعوى النبوة والكرامة غير مسبوقة بشئ من الدعاوي قالوا قال صلعم حكاية عن الله سبحانه لن يتقرب الي المتقربون بمثل اداء ما افترضت عليهم لكن المتقرب الى الله باداء الفرائض لا يحصل له شئ من الكرامات فالمتقرب اليه باداء النوافل اولى بان لا يحصل له ذلك واجيب بان الكلام في المتقرب اليه باداء الفرائض والنوافل جميعا قالوا قال تعالى وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس فالقول بطي الارض للاولياء طعن في الآية وطعن في محمد صلعم حين لم يصل من المدينة الى مكة الا في ايام واجيب بان الآية وردت على ما هو المعهود المتعارف وكرامات الاولياء احوال نادرة فيصير كالمستثناة من ذلك العموم وان محمدا لم يكن قاصرا عن رتبة بعض الاولياء ولكنه لم يتفق له ذلك او لعله اتفق له في غير ذلك السفر قالوا اذا ادعى الولي على انسان درهما فان لم يطالبه بالبينة كان تاركا للامر بالبينة على المدعي وان طالبه كان عبثا لان ظهور الكرامة عليه دليل قاطع على انه لا يكذب ومع الدليل القاطع لا يجوز العمل بالظن والجواب مثل ما مر من ان النادر لا يحكم به قالوا لو جاز ظهور الكرامة على بعض الاولياء لجاز على كلهم واذا كثرت الكرامات انقلب خرق العادة وفقا لها واجيب بان المطيعين فيهم قلة لقوله تعالى وقليل من عبادي الشكور والولي فيهم اعز من الكبريت الاحمر واتفاق الكرامة للولي ايضا على سبيل الندرة فكيف يصير ما يظهر عليه معتادا والفرق بين الكرامات والاستدراج هو ان يعطيه الله كل ما يريده في الدنيا ليزداد غيه وضلاله وقد يسمى مكرا او كيدا او وصلا او املاء والفرق ان صاحب الكرامة لا يستانس بها ولكنه يخاف سوء الخاتمة وصاحب الاستدراج يسكن اليها ويشتغل بها وانما كان الاستيناس بالكرامات قاطعا للطريق لانه اعتقد انه مستحق لذلك وان له حقا على الخالق فيعظم شانه في عينه ويفتخر بها لا بالمكرم ولا ريب ان الاعجاب مهلك ولهذا وقع ابليس فيما وقع والعبد الصالح هو الذي يزداد تذللا وتواضعا بين يدي مولاه بازدياد آثار الكرامة لا يستانس بها ولكنه يخاف سوء الخاتمة والولاية عليه قرئ المقرئ في مجلس الاستاذ ابي علي الدقاق اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فقال علامة رفع العمل ان لا يبقى منه في نظرك شئ فان بقي فهو غير مرفوع واختلف في ان الولي هل يعرف كونه وليا قال الاستاذ ابو بكر بن فورك لا يجوز لان ذلك يوجب الامن الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والامن ينافي اعتقاد قهارية الله تعالى ويقتضي زوال العبودية الموجب لسخط الله وكيف يامن الولي وقد وصف الله عباده المخلصين بقوله يدعوننا رغبا ورهبا وايضا ان طاعة العباد ومعاصيهم لا تؤثر في محبة الحق وعداوته لانها محدثة متناهية وصفاته قديمة غير متناهية والمحدث المتناهي لا يغلب القديم غير المتناهي فقد يكون العبد في عين المعصية ونصيبه في الازل هو المحبة وقد يكون في عين الطاعة ونصيبه المبغضة وهذا لا يحصل الجزم بكيفية الخاتمة قيل من هنا قال سبحانه من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ولم يقل من عمل حسنة ومن كانت محبته لا لعلة امتنع ان يصير عدوا لعلة المعصية وبالعكس لمحبة الحق وعداوته من الاسرار التي لا يطلع عليها الا الله ومن اطلعه عليها الله وقال الاستاذ ابو علي الدقاق وتلميذه ابو القسم القشيري ان للولاية ركنين احدهما انقياد الشريعة في الظاهر والثاني كونه في الباطن مستغرقا في نور

الحقيقة فاذا حصل هذان الامران وعرف الانسان ذلك عرف ان لا محالة تكوينه ولبا وعلامة ان يكون كرحرا بطاعة الله واستهانا بعد كر الله فلتسا
لاريب ان مداخل الاغلاط فى هذا الباب كثيرة ودون الوصول الى عالم الربوبية حجب واستار من نيران وانوار فالجزم بالولاية خطر والقضاء بالمحبة
عسر والله تعالى اعلم قال المفسرون ان اليهود حين قالت لقريش سلوا محمدا عن مسائل ثلث عن الروح وعن اصحاب الكهف وعن ذى القرنين فسالوه فقال
اجيبكم عنها غدا ولم يستثن فاحتبس الوحى عنه خمس عشرة ليلة وقيل اربعين يوما ثم نزل قوله ولا تقولن لشئ اى لاجل شئ تعزم عليه
انى فاعل ذلك غدا اى فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد بعينه وقوله الا ان يشاء الله ان تقوله بان يأذن لك فى ذلك الاخبار كان معنى صحيحا و
لكنه لا يكون موافقا لسبب النزول فالمعنى الموافق هو ان يكون قوله هذا فى موضع الحال اى لا تقولنه الا متلبسا بان يشاء الله يعنى قائلا ان شاء
الله وهذا نهى تاديب لنبيه صلى الله عليه وسلم لان الانسان اذا قال سافعل الفعل الفلانى غدا لم يبعد ان يموت قبل مجئ الغد او يعوقه عن ذلك عائق فلو لم يقل
ان شاء الله صار كاذبا فى هذا الوعد والكذب منهى وجوز فى الكشاف ان يكون ان شاء الله فى معنى كلمة تابيد كانه قيل ولا تقولنه ابدا قال اهل السنة
فى صحة الاستثناء بل فى وجوبه دلالة على ان ارادة الله تعالى غالبة وارادة العبد مغلوبة ويؤكده انه اذا قال المديون القادر على اداء الدين عدا ثم
قال ان شاء الله فاذا جاء الغد ولم يقض لم يحنث بالاتفاق وما ذاك الا لان الله ما شاء ذلك الفعل مع انه امره باداء الدين وانما لم يقع الطلاق فى
قول الرجل لامرأته انت طالق ان شاء الله لان مشية الله غير معلومة فيلزم الدور لتوقف العلم بالمشية على العلم بوقوع الطلاق وبالعكس واستدل
القائلون بان المعدوم شئ بقوله ولا تقولن لشئ وذلك ان الشئ الذى سيفعله غدا معلوم معانه سماه شيئا فى الحال واجيب بانه مجاز
كقوله اعصر خمرا واذكر ربك اى مشية ربك اذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت لها وللعلماء فى هذا النسيان الى الذكر خلاف فعن ابن عباس انه
وعن طاوس هو على ثنياه ما دام فى مجلسه وعن عطاء يستثنى على مقدار حلب ناقة غزيرة وعند عامة الفقهاء لا اثر له فى الاحكام ما لم يكن
موصولا قالوا ان الايات الكثيرة دلت على وجوب الوفاء بالعهد والعقد فاذا اتى بالعهد وجب عليه الوفاء بمقتضاه خالفنا هذا الدليل
فيما اذا كان منفصلا لم يمكن هذا التوجيه فوجب الرجوع الى اصل الدليل وقيل اراد واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء
تشديدا فى البعث على الاهتمام بها وقيل اذكره اذا اعتراك النسيان فى بعض الامور ليذكرك المنسى او اذكره اذا تركت بعض ما امرك به والمقصود الحث على
ارتباط ما قبله وكذا قول من حمله على اداء الصلوة المنسية عند ذكرها واختلفوا فى المشار اليه بقوله لاقرب من هذا فالظاهر عند صاحب الكشاف
ان المراد اذا نسيت شيئا فاذكر ربك وذكر ربك عند نسيانه ان تقول عسى ربى ان يهدين لشئ اخر بدل هذا المنسى اقرب منه رشدا وادنى خيرا ومنفعة
وقيل انه لما قال ان شاء الله ليس بحسن وذكره احسن فقوله هذا اشارة الى الترك واقرب منه ذكر هذه الكلمة وقيل انه اشارة الى نبا اصحاب الكهف
ومعناه لعل الله يؤتينى من البينات والحجج على انى نبى صادق ما هو اعظم فى الدلالة واقرب رشدا من نبائهم وقد فعل ذلك حيث اتاه من قصص الانبياء
والاخبار بالمغيبات ما هو اعظم وادل عن قتادة انه قوله سبحانه ولبثوا فى كهفهم حكاية لاهل الكتاب وقل الله اعلم بما لبثوا رد عليهم ويؤيده
قراءة عبد الله وقالوا لبثوا والجمهور على انه بيان لما اجمل فى قوله فضربنا على اذانهم فى الكهف سنين عددا والمراد من قوله قل الله اعلم ان الامر
الحق الذى اخبر الله به ولا يلتفتوا الى ما سواه من اختلاف اهل الاديان نظيره قوله قل ربى اعلم بعدتهم بعد قوله سيقولون ثلثة رابعهم كلبهم قال النحويون سنين
عطف بيان لثلثمائة لان مميز مائة ولحوانها مجرور ومفرد وقيل فيه تقديم وتاخير اى لبثوا سنين ثلثمائة ومن قرأ بالاضافة فقد وضع الجمع موضع الواحد
فى التمييز كما فى قوله وقطعناهم اثنتى عشرة اسباطا اما قوله وازدادوا تسعا اى تسع سنين لدلالة ما قبله عليه دون ان يقول ولبثوا ثلثمائة سنة
وتسع بالسنين القمرية وهذا شئ تقريبى وقيل انهم لما استكملوا ثلثمائة سنة قرب امرهم من الانتباه ثم اتفق ما اوجب بقاءهم فى النوم بعد ذلك
تسع سنين ثم اكد قوله الله اعلم بما لبثوا بقوله له غيب السموات والارض اى ليس لغيره ما خفى فيهما من احوال اهلهما واحوال سكانهما وهو مختص بذلك
ثم زاد فى المبالغة فجاء بما دل على التعجب من ادراكه للمبصرات والمسموعات والضمير فى قوله ما لهم لاهل السموات والارض وفيه بيان لكمال قدرته وان
الكل تحت قهره وتسخيره وانه لا يتولى امورهم غيره ولا يشرك فى حكمه وقضائه وقيل اصحاب الكهف احدا منهم ومن قرأ لا تشرك على النهى فهو معطوف على
قل يقول والمراد انه لا يسال احدا عما اخبره الله به من نبأ اصحاب الكهف واقتصر على بيانه وقيل الضمير فى ما لهم لاصحاب الكهف اى انه هو الذى حفظهم
فى ذلك النوم الطويل وتولى امرهم وقيل ليس للمختلفين فى مدة لبثهم من دون الله من يتولى امورهم فكيف يعلمون هذه الواقعة من دون اعلامه وقيل
فيه نوع تهديد لانهم لما ذكروا فى هذا الباب اقوالا على خلاف قول الله فقد استوجبوا العقاب فبين الله تعالى انه ليس لهم من دونه ولى يمنع العقاب عنهم
واعلم ان الناس اختلفوا فى زمان لبث اصحاب الكهف فى مكانهم فقيل كانوا قبل موسى وانه ذكرهم فى التورية فلهذا سالت اليهود ما سالوا وقيل دخلوا
الكهف قبل المسيح واخبر هو بخبرهم ثم لبثوا فى الفترة الذى بين عيسى ومحمد عليهما السلام وحكى القفال عن محمد بن اسحق انه دخلوا الكهف بعد عيسى وقيل
انهم لم يموتوا ولا يموتون الى يوم القيمة وذكر ابو على بن سينا فى باب الزمان من كتاب الشفاء ان ارسطاطاليس الحكيم زعم انه عرض لقوم من المتالهين
حالة شبيهة بحالة اصحاب الكهف ثم قال ابو على ويدل التاريخ على انهم كانوا قبل اصحاب الكهف واما المكان فحكى القفال عن محمد بن موسى الخوارزمى
المنجم ان الواثق انفذه الى ملك الروم ليعرف احوال اصحاب الكهف فوجهه مع طائفة الى ذلك الموضع قال وان الرجل الموكل بذلك المقام فزعنى من الدخول
عليهم فدخلت فرايت الشعور على صدورهم فعرفت انه تمويه واحتيال وان الناس كانوا قد عالجوا تلك الجثث بالادوية المجففة الحافظة لابدان الموتى

عن البلى كالصبر وغيره قلت حين لم يطلع الخوارزمى وعيانا من الاطلاع عليهم حصل القطع بانهم ليسوا اصحاب الكهف والرقيم ولو صح ما حكينا عن
حين غزا الروم حصل ظن غالب بانهم منهم والله تعالى اعلم **التاويل** الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب والعبد الحقيقى من يكون حرا
عن الكونين وهو محمد صلى الله عليه وسلم اذ يقول امتى امتى يوم يقول كل نبى نفسى نفسى ولانه هو الذى صح نسبة العبودية كما ينبغى المطلق عليه اسم العبد مطلقا
وقيد لسائر الانبياء كما قال عبده زكريا واذكر عبدنا داود ولانه كان نخلقه القران قيل ولم يجعل له اى لقلبه عوجا الا يستقيم فيه القران ومن
استقامة قلبه نال ليلة المعراج رؤية ربه فاوحى الى عبده ما اوحى بلا واسطة جبريل ونال قلبه الاستقامة بامر التكوين بقوله فاستقم كما امرت اجرا
حسنا هو التمتع من حسن الله وجماله فلعلك باخع نفسك كان من عادته عليه الصلوة والسلام ان يبالغ فى المامور به حتى ينهى عنه بالغ فى الدعوة
والشفقة على امته حتى قيل له لا تبخع نفسك وبالغ فى الانفاق الى ان اعطى قميصه فقعد عريانا فنهى عنه بقوله ولا تبسطها كل البسط انا جعلنا
ما على الارض زينة اى زينا الدنيا وشهواتها للخلق ملائما لطبائعهم وجعلناها محل ابتلاء للمحب وللسائل لنبلوهم ايهم احسن عملا فى تركها ومحا
موى نفسه طلبا لله ومرضاته ثم اخبر عن سعادة السادة الذين عرضوا عن الدنيا وابتلوا على المولى بقوله ام حسبت ومعناه لا تعجب من حالهم فان
فى امتك من هو اعجب حالا منهم فيهم اصحاب الخلوات الذين كهفهم بيت الخلوة ورقيمهم قلوبهم المرقومة برقم المحبة فانهم اووا الى الكهف خوفا من لقاء قيامة
وفرارا منه فهؤلاء اووا الى الخلوة شوقا الى لقائه وفرارا اليه وانهم طلبوا النجاة من شره والخروج من الغار بالسلامة بقولهم ربنا اتنا الاية وهؤلاء
طلبوا الخلاص من شر نفوسهم والخروج من ظلمات الغار المجازى للوصول الى نور الوجود الحقيقى فضربنا على اذان باطنهم وحواسهم الاخر فى مدة
الخلوة لمحو النقوش الفاسدة عن الواح نفوسهم وانتقاشها بالعلوم الدينية والانوار الالهية ليفنيهم الله عنهم ويبقيهم به وهو سر قوله ثم بعثناهم
اى احييناهم بنا لنعلم اى الحزبين اصحاب الخلوة ام اصحاب السلوة احصى اكثر فائدة وانتم عائدة لا مدلبثهم فى الدنيا التى هى مزرعة الاخرة وزدناهم
هدى فانهم كانوا يريدون الايمان الغيبى فلما تم تمناهم ثم بعثناهم حتى صار الايمان ايقانا والغيب عيانا اتخذ وامدونه الهة من الدنيا والهوى وترى الشمس
اذا طلعت قال الشيخ المحقق نجم الدين المعروف بدايه هذا اخبار عن اصناف الطائفة باصنافه وفيه اشارة الى ان نور ولايتهم يغلب نور الشمس ويرده
عن الكهف كما يغلب نور المؤمن نار جهنم لقوله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا ورد النار يستغيث النار وتقول جز يا مؤمن فقد اطفأ نورك لهبى وهم فى فجوة منه فى
متسع وفراغ من ذلك النور يدفع عنهم كل ضرر واعيهم عن بلى اجسادهم وثيابهم تلك يحتمل انه اذا شمس الروح او المعرفة والولاية اذا طلعت من
افق الهداية واشرقت فى سماء الواردات وهو حالة السكر وغلبات الوجد لا يقرضهم فى حال خلوتهم الى امر يتعلق بالعقبى وهو جانب اليمين واذا
غربت اى سكنت تلك الغلبات وظهرت حالة الصحو لا يلتفت همم ارواحهم الى امر يتعلق بالدنيا وهو جانب الشمال بل تنحرف عن الجهتين الى المولى
وهم فى حال رفاع وفراغ مما يشغلهم عن الله وتحسبهم ايقاظا منصرفين فى امور الدنيا وهم رقود عنها لانهم ينصرفون فيها لاجل الحق لا لحظ النفس
او تحسبهم ايقاظا مشغولين بامور الاخرة لان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وهم رقود مصروفون فى امور الدنيا لان الناس هم يرزقون ويطرفون
وفى قوله ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال اشارة الى انهم فى التسليم لمقلب القلوب فى الاحوال كلها كالميت بين يدى الغسال وقيل فى الاية
دلالة على ان المريد الذى يربيه الله بلا واسطة المشايخ تكامل مرة فى ثلثمائة وتسع سنين والذى يربيه بواسطتهم تم امره فى اربعينات معدودة
ولهذا يكون ثمرة البساتين الدهر ثمرة الجبال فى قوله وكلبهم باسط اشارة ان كلب نفوسهم نائمة معطلة عن الاعمال بهارية القلوب والارواح
معنى ان هذا النوع من التربية من قبيل القدرة الالهية التى اخصهم بها ويمكن انه اراد ان نفوسهم صارت بحيث تطيعهم فى جميع الاحوال ترسم
غاب ضرهم ولملئت منهم رعبا بما شاهدت عليهم من اثار الانوار التى زيناهم ولجلالة الهيبة والعظمة التى البسناهم لبثنا يوما او بعض يوم لان ايام
الوصال قصيرة فلما راوا انهم فى دهشة الوصال وجوه الاحوال قالوا ربكم اعلم بما لبثتم لانه كان حاضرا معكم وانتم غيب عنكم فابعثوا احدكم من بعد
انهم ما احتاجوا مدة ثلثمائة وتسع سنين بما نالوا من غذاء الروح كقوله صلى الله عليه وسلم ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى فلما رجعوا من عند الله الحق الى عبديته
انفسهم احتاجوا الى الغذاء الجسمانى ازكى طعاما لما رجعوا الى العالم الجسمانى تعللوا من جمال الله بمشاهدة كل جميل وتوسلوا الى تلك الملاطفات
بلطائف الاغذية الجسمانية وزكاتها ولا يشعرن بكم احدا فيه ان ارباب المعرفة والمحبة يجب ان يحترزوا عن شعور اهل الغفلة والسلوة ليعلموا ان وعد الله حق باحياء
القلوب الميتة حتى قدره الامر فيها الطهر وابدى واسر واخفى سيقولون ان القوى والاركان الاصلية للانسان ثلثة الحيوانية والطبيعية والنفسانية
التى منشاهن القلب والكبد والدماغ رابعهم كلبهم هو النفس الناطقة ويقولون خمسة هو الحواس الظاهرة سادسهم النفس ويقولون سبعة
هو الحواس الظاهرة مع الوهم المدرك للمعانى والخيال المدرك للصور وثامنهم كلبهم هو النفس المدركة للكليات قل ربى اعلم بعدتهم لان القوى
الباطنة والظاهرة وافاعيلها وغاياتها لا يعلمهن الا الله سبحانه ومن اطلعه الله عليه وذلك قوله ما يعلمهم الا قليل والله اعلم بالصواب

وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۝ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

وخوان انچه وحى كرده شد بسوى تو از قران خداى تو نيست تغيير دهنده مر سخنان او را ونيابى از غير او پناه گاهى وشكيبا كن تن خود را با انكه
ميخوانند پروردگار خود را بامداد وشبانگاه ميخواهند خوشنودى او را ودر مگذار چشمهاى تو از ايشان ميخواهى ارايش زندگانى دنيا

وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ
فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا
يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ
يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا
عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا
جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا
وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ
مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا
وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهُمَا مُنقَلَبًا قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ
يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ
بِرَبِّي أَحَدًا وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ
مَالًا وَوَلَدًا فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ
صَعِيدًا زَلَقًا أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ
كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا وَلَمْ
تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَ
خَيْرٌ عُقْبًا وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ
فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا القراءة وفجرنا بالتخفيف سهل ويعقوب
وسهل ويعقوب وابو عمرو بضم الثاء واسكان الميم الباقون بضم الثاء والميم جميعا منها على الوحدة ابو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم وحمزة وعلي

وخلف الاخرون على التثنية لكن بالتشديد من غير الف في الحالين قتيبة وابن عامر وابن فليح ويعقوب بالالف في الوصل لعبيد الالف واتفقوا على الالف في الوقف بريء احد مفتوحة الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وان ترن بفتح الياء السراندبي عن قنبل غورا بضم الغين وكذلك في الملك الرجعي الباقون بفتحها ولم يكن له بالياء الغيبة الولاية بكسر الواو حمزة وعلي وخلف الاخرون بتاء التانيث وفتح الواو لله الحق بالرفع ابو عمرو وعلي الا بالجر عقبا بسكون القاف عاصم وحمزة وخلف الباقون بضمها الريح على التوحيد حمزة وعلي وخلف الوقوف من كتاب ربك لا لان ما بعده يصلح حالا او استيفا ما محذوف لا للعجلة لا لتمام العتاب فرطا ه فليكفر لا لان الام للتهديد بدليل انا اعتدنا فلو فصل صار مطلقا نارا لا لان ما بعده صفة سرادقها الوجوه ط الشراب ط مرتفقا ه عملا ه لاحتمال كون اولئك مع ما بعده خبر ان الذين وقوله انا لا نضيع جملة معترضة الارائك ط الثواب ط مرتفقا ه زرعا ط شيئا لا للعطف نهرا ط ثمر للعدول مع الفاء نفرا ه لنفسه لاتحاد العامل بل عطف ابدا ط قائمة لا لان ما بعده شك من قول الكافر في البعث منقلبا ه رجلا ط لتمام الاستفهام احدا ه ما شاء الله لا لتمام المقول لا بالله لابتداء الشرط المحذوف وجوابه مع اتحاد القائل ولعقول له وولدا لا لاحتمال كون ما بعده جوابا للشرط زلقا لا طلبا ه احدا ه منتصرا ط وقيل يوقف على هنالك والاوجه ان يبتدأ بهنالك اي عند ذلك يظهر لكل سلطان الله ونفاذ امره الحق ط على القراءتين عقبا ه الرياح ط مقتدرا ه زينة الحيوة الدنيا ه فصلا بين المعجل الفاني والموجل الباقي مع اتفاق الجملتين املا ه التفسير لما اجاب عن سؤالهم بما اجاب امر نبيه ان يواظب على تلاوة الكتاب الموحى اليه وعلى الصبر مع الفقراء الذين امنوا بما انزل عليه واحتمل ان يكون قوله واتل امرا من التلاوة او من التلو اي اتبع ما اوحي اليك والزم العمل بمقتضاه وقوله من كتاب ربك بيان للذي اوحي اليه ثم بين اللزوم فقال لا مبدل لكلماته اي لا يقدر احد على تغييرها وانما يقدر على ذلك هو وحده فليس لك ولا لغيرك الا المواظبة على العلم والعمل به يؤكده قوله ولن تجد من دونه ملتحدا اي ملتجأ تعدل اليه ان هممت بذلك فرضا واصل اللحد الميل كما مر في قوله يلحدون في اسمائه ثم امر رسوله كما في سورة الانعام بعدم طرد فقراء المؤمنين بقوله ولا تطرد الذين الاية وامره في هذه السورة بحبس النفس معهم وبما ورا اقترحوا لهم بقوله ولا تعد عيناك قال جار الله انما لم يقل ولا تعدهم عيناك من عداه اذا جاوزه لانه ضمن عدا معنى نبا وفيه مبالغة من جهة تحصيل المعنيين جميعا كانه قيل ولا تقتحم عيناك مجاوزتين الى غيرهم نهاه عن الالتفات الى الاغنياء الكفرة الذين التمسوا منه طرد الفقراء حتى يؤمنوا به فقال ولا تطع من اغفلنا قلبه قال اهل السنة معنى الاغفال ايجاد الغفلة وخلقها فيهم او من اغفلها اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه بالذكر ولم نجعلهم من الذين كتبنا في قلوبهم الايمان ويؤيد هذا المعنى ان الغفلة عن الذكر لو كانت بايجاد العبد والقصد الى ايجاد الغفلة عن الشيء لا يتصور الا مع الشعور بذلك لزم اجتماع الضدين وقالت المعتزلة معنى اغفلناه وجدناه غافلا بالخذلان والتخلية بينه وبين الاسباب المؤدية الى الغفلة يؤيده قوله واتبع هواه بالواو دون الفاء اذ لو كان اتباع الهوى من نتيجة خلق الغفلة في القلب لقيل فاتبع بالفاء ويمكن ان يجاب بانه لا يلزم من كون الشيء في نفس الامر نتيجة الشيء ان يعتبر كونه نتيجة له والفاء من لوازم الثاني دون الاول على ان الملازمة بين الغفلة عن ذكر الله وبين متابعة الهوى غير كلية فقد يكون الانسان غافلا عن ذكر الله ومع ذلك لا يتبع هواه بل يبقى متوقفا متحيرا وكان امره فرطا اي متجاوزا عن حد الاعتدال من قولهم فرس فرط اذا كان متقدما للخيل ويلزم منه ان يكون نابذا للحق وراء ظهره وانت تعلم ان هذا حال الاغنياء المتجبرين بخلاف الفقراء المؤمنين لان هؤلاء الفقراء يدعون ربهم بالغدوة والعشي ابتغاء وجه الله وطلبا لمرضاته فاقبلوا على الحق وشغلوا عن الخلق والاغنياء فدا عن ضواء المولى واقبلوا على الدنيا فوقعوا في ظلمة الهوى وبقوا في تيه الجهل والعمى وانما لم يجز طرد الفقراء لاجل ايمان الاغنياء لان من ترك الايمان حذرا من مجالسة الفقراء كان ايمانه فوجب ان لا يلتفت اليه ثم بين ان الحق ما هو ومن اين هو فقال وقل الحق من ربكم اي الدين الحق وجد من عند الله ويحتمل ان يراد بالحق الصبر مع الفقراء وقال في الكشاف الحق خبر مبتدأ محذوف والمعنى جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق الا اختيار الايمان او الكفر وفيه دليل على ان الايمان والكفر والطاعة والمعصية كلها مفوضة الى مشيئة العبد واختياره وحمل الاشاعرة على ان الامر للتهديد وقالوا الفعل الاختياري يمتنع حصوله دون القصد اليه ثم ذلك القصد لا بد ان يقع بالاختيار والقصد فنقل الكلام اليه ولا يتسلسل فلا بد ان ينتهي الى قصد واختيار يخلقه الله فيه فالانسان مضطر في صورة مختار في صورة هذا التخيير لانه على انه سبحانه لا ينتفع بايمان المؤمنين ولا يتضرر بكفر الكافرين ثم بين وعيد الظالمين الذين وضعوا الكفر موضع الايمان وتحقير المؤمنين لاجل فقرهم مكان تعظيمهم لاجل ايمانهم فقال انا اعتدنا اي اعددنا وهيأنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط فاثبت للنار شيئا شبيها بذلك يحيط بهم من جميع الجهات والمراد انه لا مخلص لهم منها ولا فرج وقيل هو حائط من نار محيط يطيف بهم وقيل هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار وهو المراد بقوله انطلقوا الى ظل ذي ثلث شعب وقوله تعالى وان يستغيثوا بماء وارد على سبيل التهكم كقولهم عتابك السيف والمهل كل ما اذيب من المعدنيات كالذهب والفضة والنحاس قاله ابو عبيدة والاخفش وقيل في حديث مرفوع انه دردي الزيت وقيل الصديد والقيح وضرب من القطران وهذه الاستغاثة اما لطلب الشراب كقوله تسقى من عين انية واما لدفع الحر لاجل التبريد كقوله حكاية عنهم افيضوا علينا من الماء ويروى انهم اذا استغاثوا من حر جهنم صب عليهم القطران الذي يعم كل ابدانهم كالقميص وقد يفسر بهذا قوله سرابيلهم من قطران عن النبي صلى الله عليه وسلم هو يعني المهل كعكر الزيت اذا قرب اليه سقطت فروة وجهه وهذا معنى قوله يشوي الوجوه بئس الشراب ذلك لان المقصود من الشراب ازالة الاحتراق وهذا يحرقها ويشويها وساءت اي النار مرتفقا متكأ لاهلها ومنه المرفق لانه يتكأ عليه قال جار الله هذه المشاكلة لقوله في اهل الجنة وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار الا ان يؤول بمعنى ينفعه انه يضع مرفقه ورغم برضه كعادة المغتمين

وقيل قائلون ان الشياطين رفقاء اهل النار من الانس والمعنى ساءت النار مجمعا لاولئك الرفقاء ثم شرع في وعد المؤمنين فقال ان الذين آمنوا الآية
فان جعلت انا لا نضيع اعتراضا فظاهر وان جعلته خبرا فاولئك خبر آخر وكلاهما مسندا الى الاجر المبهم لمعنى العموم وفيمن احسن يقوم مقام الرابط المحذوف
والتقدير من احسن عملا منهم وتفسير جنات عدن قد مر في سورتي التوبة والرعد ولاهل الجنة لباسان لباس التحلي ولباس التستر ولم يسم فاعل يحلون
للتعظيم وهو الله جل وعلا او الملائكة باذنه ومن في من اساور للابتداء وفي من ذهب للتبيين وتنكير اساور لابهام امرها في الحسن واساور
اهل الجنة بعضها ذهب لهذه الآية وبعضها فضة لقوله وحلوا اساور من فضة وبعضها لؤلؤ كقوله في الحج ولؤلؤا وجمع في لباس التستر بين السندس
وهو ما رق من الديباج وبين الاستبرق وهو الغليظ منه جمعا بين النوعين والاستبرق عند بعضهم معرب استبرك وقيل انما لم يسم فاعل يحلون اشارة
الى ان التحلي بفضل الله تعالى انعاما عليهم كرما وجودا ونسب اللبس اليهم تنبيها على انهم استوجبوه بعملهم ثم وصفهم بهيئة المتنعمين والملوك من الاتكاء على الاسرة
والارائك جمع اريكة ثم ان الكفار كانوا يفتخرون بجدهم وحشمهم واموالهم واصناف تمتعاتهم على الفقراء المؤمنين فضرب الله مثلا للطائفتين
تنبيها على ان متاع الدنيا لا يوجب الافتخار لاحتمال ان يصير الغني فقيرا والفقير غنيا انما الفخر بالاعمال الصالحات والمراد مثل حال الكافر
والمؤمنين بحال رجلين وكانا اخوين من بني اسرائيل احدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران في سورة والصافات
في قوله قال قائل منهم اني كان لي قرين ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطراها فاشترى الكافر ارضا بالف فقال المؤمن اللهم ان اخي اشترى ارضا
بالف دينار وانا اشتري منك ارضا في الجنة بالف فتصدق به ثم بنى اخوه دارا بالف فقال اللهم اني اشتري منك دارا في الجنة بالف فتصدق به ثم تزوج
اخوه امرأة بالف فقال اللهم اني جعلت الفا صداقا للحور ثم اشترى اخوه خدما ومتاعا بالف فقال اللهم اني اشتريت منك الولدان المخلدين بالف فتصدق
به ثم اصابته حاجة فجلس لاخيه على طريقه فمر في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله وقيل هما مثل لاخوين من بني مخزوم مؤمن وهو ابو سلمة
قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكافر وهو الاسود بن عبد الاسد اما قوله وحففناهما بنخل فقال صاحب الكشاف انه يتعدى الى المفعول الثاني بالباء ومعنى جعلنا
النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرومهم ان يجعلوها مؤزرة بالاشجار ولا سيما المثمرة منها وخاصة النخيل اذا امكن وجعلنا بينهما زرعا
فهما جامعتان للاقوات والفواكه ووفيرانهما تأتي كل وقت بمنفعة اخرى متواصلة متشابكة وكل منهما منعوتة بوفاء الثمار اتمام الاكل وانث محمول على
لفظ كلتا لان لفظه مفرد ولو قيل آتتا على المعنى لجاز والظلم اصله النقصان وهو المراد ههنا وفجرنا من قرأ بالتخفيف فظاهر لانه نهر واحد ومن قرأ
بالتشديد فللمبالغة لان النهر يمتد في وسطهما فهو كالانهار وكان له ثمر قال الكسائي الثمرة اسم الواحد والثمر جمع وجمعه ثمار ثم ثمر ككتاب وكتب بالحركة
او بالسكون وذكر اهل اللغة ان الثمر بالضم انواع الاموال من الذهب والفضة وغيرهما والثمر بالفتح حمل الشجرة وقال قطرب كان ابو عمرو بن العلاء
يقول الثمر المال والولد كان يملك مع الجنتين اشياء من النقود وغيرها وكان متمكنا من عمارة الارض وسائر التمتعات كيف شاء والمحاورة مراجعة
الكلام من حار اذا رجع والنفر الانصار والحشم الذين يقومون بالذب عنه وقيل الاولاد الذكور لانهم ينفرون معه دون الاناث ثم ان الكافر كأنه اخذ
بيد المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويفاخره بما ملك من المال دونه وذلك قوله سبحانه ودخل جنته قال جار الله معنى افراد الجنة بعد
التثنية انه لا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون فما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما قلت لا يبعد ان يكون قد
دخل مع اخيه جنة واحدة منهما او جعل مجموع الجنتين في حكم جنة واحدة منهما او جعل مجموع يؤيده توحيد الضمير على اكثر القراآت في قوله لاجدن خيرا
منها واما وصفه بقوله وهو ظالم لنفسه لانه لما اغتر بتلك النعم ولم يجعلها وسيلة الى الايمان بالله والاعتراف بالبعث وسائر معتقدات اهل الله
كان واضعا للنعم في غير موضعها على ان نعم الجنة بخصوصها مما يجب ان يستدل بها على احوال النشور كقوله عز من قائل وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها
الماء اهتزت وربت ان الذي احياها لمحيي الموتى عكس الكافر القضية وحكم بدوام جنته التي هي بصدد الزوال فقال ما اظن ان تبيد اي تهلك هذه الجنة
ابدا وذلك لطول امله واستيلاء الحرص عليه واغتراره بالمهلة حتى انكر المحسوس وادعى غلبة الظن بامتناع النشور مع قيام الدلائل العقلية والحسية
على امكانه ووجود الدلائل الشرعية على وجوبه قائلا وما اظن الساعة قائمة ثم اقسم على انه ان رد الى ربه فرضا وتقديرا وكما يزعم صاحبه ان له ربا وانه سيرد
اليه وجد خيرا من جنته في الدنيا كأنه قاس الغائب على الشاهد وادعى ان النعم الدنيوية لن يكون استدراجا اصلا وانما يكون استحقاقا وكرامة
ومنقلبا نصب على التمييز اي مرجع تلك وعاقبتها لكونها باقية بزعمه كم خير من هذه لكونها فانية حسا او في اعتقاده قال بعض العلماء الرد
يتضمن كراهة المردود اليه فلهذا قال ولئن رددت اي عن جنتي هذه التي اظن ان لا تبيد هذه ابدا الى ربي ولما لم يكن مثل هذا المعنى في حم
قال هناك ولئن رجعت الى ربي قوله اكفرت ذلك زعم الجمهور ان اخاه انما حكم بكفره لانه انكر البعث وقيل يحتمل ان يكون كافرا بالله ايضا بل مشركا
لقوله بعد ذلك يا ليتني لم اشرك بربي احدا ولقول اخيه معرضا به لكنا هو الله ربي وليس في قوله ولئن رددت الى ربي دلالة على انه كان عارفا بربه لاحتمال
ان يكون قد قال ذلك بزعم صاحبه كما اشرنا اليه وقوله خلقك من تراب اي خلق اصلك وهو اشارة الى المادة البعيدة وقوله من نطفة اشارة
الى المادة القريبة ومعنى سواك رجلا عدلك وكملك حال كونك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال المكلفين ويجوز ان يكون رجلا تمييزا و
لعل السر في تخصيص الله سبحانه فيها المقام بهذا الوصف هو ان يكون دليلا على وجود الصانع اولا ثم الاستدلال على هذا المطلوب
بخلق الانسان اقرب الاستدلالات وفيه ايضا اشارة الى امكان البعث لان الذي قدر على الابداء قدر على الاعادة وفيه انه خلقه فقيرا لا غنيا فعلم منه انه خلقه

للعبودية والاقرار لا للكفر والانكار ثم استدرك بقوله لكنا كأنه قال لاخيه انت كافر بالله لكني مؤمن موحد واصل لكنا لكن انا حذفت
الهمزة بعد نقل حركتها على ما قبلها ثم استثقل اجتماع النونين فسكنت الاولى وادغمت في الثانية وضمير الغائب للشان والجملة بعده خبر
للشان والمجموع خبر انا والراجع الضمير وتقدير الكلام لكن انا الشان الله ربي قال اهل العربية اثبات الف انا في الوصل ضعيف لكن قراءة
ابن عامر قوية بناء على ان الالف كالعوض عن حذف الهمزة ولولا للتخصيص وتعلق قلت واذ دخلت ظرف وقع في البين توسعا وقوله ما شاء الله
خبر مبتدأ محذوف او جملة شرطية محذوفة الجزاء تقدير الكلام الامر ما شاء الله واي شيء شاء الله كان استدل اهل السنة بالآية في انه لا يدخل
في الوجود شيء الا بامر الله ومشيئته واجاب الكعبي بان المراد ما شاء الله مما تولى فعله لا ما هو من فعل العباد والجواب ان هذا مما يخرج الكلام
عن الفائدة فانه كقول القائل السماء فوقنا واجاب القفال بانه اراد ما شاء الله من عمارة هذا البستان ويؤيده قوله لا قوة الا بالله اي ما قويت به
على عمارته وتدبير امره فهو بمعونة الله وزيف بانه تخصيص للظاهر من غير دليل على ان عمارة ذلك البستان لعلها حصلت بالظلم والعدوان فالحق
انه لا قوة لاحد على امر من الامور الا باعانة الله واقداره عن عروة بن الزبير انه كان يثلم حائطه ايام الرطب فيدخل من يشاء وكان اذا دخله ردد هذه الآية
حتى يخرج ثم لما علمه الايمان وتفويض الامر الى مشيئة الله اجابه عن افتخاره بالمال والنفر فقال ان ترن انا اقل فانا فصل واقل مفعول ثان وما لا وولدا
نصب على التمييز فعسى ربي ان يؤتين في الدنيا او في الآخرة خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا هو مصدر كالغفران بمعنى الحساب اي مقدارا قدره
في حسابه الله وهو الحكم بتخريبها وعن الزجاج عذاب حسبان وهو حساب ما كسبت يداك وقيل هو جمع حسبانة وهو السهم القصير يعني الصواعق فتصبح
صعيدا زلقا ارضا بيضاء يزلق عليها لقلة ملاستها وزلقا وغورا كلاهما وصف بالمصدر كقولهم فلان زور وصوم ثم اخبر سبحانه عن تحقيق ما قدر
للمؤمن فقال واحيط بثمره وهو عبارة عن اهلاكه وافنائه بالكلية من احاطة العدو بالشخص كقوله الا ان يحاط بكم فاصبح يقلب كفيه اي يندم على
ما انفق فيها لان النادم يفعل ذلك غالبا كما قد يعض انامله وهي خاوية على عروشها اي سقطت عروشها على الارض وسقطت فوقها الكروم
وقد مر في البقرة في قصة عزير وقوله يا ليتني لم اشرك تذكر لموعظة اخيه وفيه دلالة ظاهرة على ما قلنا من انه كان غير عارف بالله بل كان عابد صنم
ومن ذهب الى انه جعل كافرا لانكاره البعث فسره بان الكافر لما اغتر بكثرة الاموال والاولاد فكأنه اثبت لله شريكا في اعطاء العز والغنى او انه لما
عجز الله عن البعث فقد جعله مساويا للخلق في هذا الباب وهو نوع من الاشراك وليس هذا الكلام منه ندما على الشرك ورغبة في التوحيد المحض و
لكنه رغب في الايمان رغبة في جنته وطمعا في دوام ذلك عليه فلهذا لم يصر ندمه مقبولا ووصفه بعد ذلك بقوله ولم يكن له فئة ينصرونه من
دون الله لانه وحده قادر على نصرة العباد وما كان منتصرا ممتنعا بقوته عن انتقام الله ولما علم من قصة الرجلين ان النصرة والعاقبة المحمودة
كانت للمؤمن على الكافر علم ان الامر هكذا يكون في حق كل مؤمن وكافر فقيل هنالك اي في مثل ذلك الوقت والمقام الولاية لله الحق او الولاية لله
الحق والولاية بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك والمراد في مثل تلك الحالة الشديدة يتولى الله ويلتجئ اليه كل مضطر يعني ان
قول الكافر يا ليتني انما صدر عنه الجاء واضطرارا وجزعا ومما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها وقيل هنالك اشارة الى الآخرة كقوله لمن
الملك اليوم لله وعقبا بضم القاف وسكونها بمعنى العاقبة لان من عمل لوجه الله لم يخب قط ثم ضرب مثلا آخر للجبابرة فقال واضرب لهم الآية
وقد مر مثله في اوائل يونس انما مثل الحياة الدنيا كماء ومعنى فاختلط به نبات الارض بسببه وقيل معناه روي النبات ورق لاختلاط المتابر وذلك لان
الاختلاط يكون من الجانبين والهشيم ما هشم وحطم والذر التطيير والاذهاب يوم تذروه الريح التراب وغيره تذروه وتذريه ذروا وذريا وكان
الله على كل شيء مقتدرا من تكوينه اولا وتنميته وسطا واذهابه آخرا وكذلك احوال الدنيا ايضا كلها تظهر اولا في غاية الحسن والنضارة ثم
تتزايد الى ان تتكامل ثم تنتهي الى الزوال والفناء ومثل هذا ليس للعاقل ان يبتهج به وحين مهد القاعدة الكلية خصصها بصورة جزئية
فقال المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات هي اعمال الخير التي يبقى ثمرتها خير عند ربك ثوابا اي تعلق ثواب وخير املا
لان الجواد المطلق افضل مسؤول واكرم مأمول وقيل هي الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ففي التسبيح تنزيه له
عن كل ما لا ينبغي وفي الحمد اقرار له بكونه مبدأ لافادة كل ما ينبغي وفي التهليل اعتراف بانه لا شيء في الامكان متصفا بالوصفين الا هو وفي
التكبير اذعان لغاية عظمته وانه اجل من ان يعظم وقيل الطيب من القول والاصح كل عمل اريد به وجه الله وحده قاله قتادة **التأويل**
واتل على نفسك ما اوحي اليك من كتاب كتبه ربك في الازل لا مبدل لكلماته الى الابد مع الذين يدعون ربهم وهم القلب والسر والروح والخفي غدوة
الازل الى عشي الابد فانهم مجبولون على طاعة الله كما ان النفس جبلت على طاعة الهوى وطلب الدنيا ولا تعد عيناك عنهم فانك ان لم تراقب
احوالهم تصرف فيهم النفس الامارة ولا تطع من اغفلنا يعني النفس نارا هي نار القهر والغضب احاط بهم سرادقها يعني صفات العزة بماء كالمهل
كل ما هو لاهل اللطف سبب لسهولة العيش وفراغ البال فانه سبحانه جعله لاهل القهر سببا لصعوبة الامر وشدة التعلق حتى تشوى الوجوه اي
حرقت مواد النفاق عنهم الى عالم الارواح وفسدت استعداداتهم فبقوا في اسفل سافلين الطبيعة يحلون فيها من اساور والتحلية بالاساور اشارة الى
ظهور آثار الملكات عليهم وقوله من ذهب رمز الى انها ملكات مستحسنة معتدلة راسخة ويلبسون ثيابا فيه ان انوار العبادات تلوح عليهم وتشتمل
بهم وقوله خضرا اشارة الى انها انوار غير قاهرة ومن سندس اشارة الى ما لطف من الرياضات واستبرق الى ما شق منها متكئين فيها على

بذلك لانهم فرغوا لها وكلفوا وقضوا ما عليهم من المجاهدات وبقى ما لهم من المشاهدات مثلا رجلين هما النفس الكافرة والقلب المؤمن جعلنا لاحدهما وهو النفس جنتين هما الهوى والدنيا من اعناب الشهوات وحففناهما بنخل حب الرياسة وجعلنا بينهما زرعا من التمتعات البهيمية وفجرنا خلالهما نهرا من القوى البشرية والحواس وكان له ثمر من انواع الشهوات وهو يحاوره يجاذب النفس القلب انا اكثر منك مالا اى ميلا واعز نفرا من اوصاف المذمومات وهو ظالم لنفسه فى الاستمتاع بجنة الدنيا على وفق الهوى لاجدن خيرا منها لانه غر بالله وكرمه فلا جرم بؤله ما عزك بربك الكريم هلا قلت ما شاء الله اى تصرف فى جنة الدنيا كما شاء الله على ما انفق فيها من العمر وحسن الاستعداد كما انزلناه هو الروح العلوى الذى نزل الى الجسد فاختلط الروح بالاخلاق الذميمة فاصبح هشيما تلاشت منه نداوة الاخلاق الروحانية تذروه رياح الاهوية المختلفة فيكون حاله خلاف روح ادركته العناية الازلية فبعث اليه دهقان من اهل الكمال فرباه بماء العلم والعمل حتى يصير شجرة طيبة والباقيات الصالحات اى ما فنى منك وبقى بالله والله اعلم بالصواب

وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۝ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ۝ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ۚ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ۝ مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ۝ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ۝ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ۝ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ۝ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ۝ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ۖ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ۝ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ۝ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا ۝ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا

القراءة تسير الجبال على بناء الفعل للمفعول ورفع الجبال ابن كثير وابن عامر وابو عمرو والآخرون على بناء الفعل للفاعل ونصب الجبال ما اشهدناهم يزيد الآخرون ما اشهدتهم

وما كنت على الخطاب روى ابن وردان عن يزيد الباقون على التكلم ويوم نقول بالنون حمزة الباقون على الغيبة لمهلكهم بفتح الميم وكسر اللام حفص لمهلكهم بفتحهما يحيى وحماد والمفضل الباقون بضم الميم وفتح اللام الوقوف بارزة لا لان التقدير وقد حشرناهم قبل ذلك احدا لا للعطف صفا للعدول الى الخطاب اى يقال لقد جئتمونا اول مرة لان بل قد يبتدأ بها مع ان الكلام متحد موعدا احصيها لا استيناف الواو بعد تمام الاستفهام مع احتمال الحال باضمار قد حاضرا احدا الا ابليس امر ربه عدو بدلا انفسهم عضدا موبقا مصرفا جدلا قبلا ومنذرين لاحتمال ما بعد الحال والاستيناف هزوا يداه وقرا ابدا الرحمة العذاب موئلا موعدا التفسير لما بين خساسة الدنيا وشرف الآخرة اردفه باحوال يوم القيمة واهوالها وفيه رد على اغنياء المشركين الذين افتخروا بكثرة الاموال والاولاد على فقراء المسلمين والتقدير واذكر يوم كذا عطفا على واضرب ويجوز ان ينتصب بالقول المضمر قبل لقد جئتمونا وفى الكشاف على اذكر وتسيير الجبال اما الى العدم لقوله ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا واما الى موضع لا يعلمه الا الله وترى الارض بارزة لانه لا يبقى على وجهها شيء يسترها من العمارات ولا من الجبال والاشجار واما لانها برزت ما فى بطنها من الاموات لقوله والقت ما فيها وتخلت فيكون الاسناد مجازيا اى بارزا ما فى جوفها وحشرناهم الضمير للخلائق المعلوم حكما فلم نغادر منهم احدا من الاولين والآخرين يقال غادره واغدره اذا تركه والغدر ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل لان اللائق بحال رب العزة ان لا يترك احدا من خلقه غير محشور والا كان قدحا فى علمه وحكمته وقد تمسك المشبهة فى قوله وعرضوا على ربك بدليل على انه سبحانه فى مكان يمكن ان يعرض عليه اهل القيمة وكذا فى قوله لقد جئتمونا واجيب بانه تشبيه وقوفهم فى الموضع الذى يسئلهم فيه عن اعمالهم بالعرض عليه والمجيء الى حكمه كما يعرض الجند على السلطان وانتصب صفا على الحال اى مصطفين ظاهرين يرى جماعتهم كما يرى كل واحد لا يحجب احد احدا والصف اما واحد واما جمع كقوله يخرجكم طفلا اى اطفالا وقيل صفا اى قياما وبه فسر قوله فاذكروا اسم الله عليها صواف وقال القفال يشبه ان يكون الصف راجعا الى الظهور والبروز ومنه الصفصف للصحراء وهذا قريب من الاول وقد مر فى الانعام ان وجه التشبيه فى قوله خلقناكم انهم يبعثون عراة لا شيء معهم والمراد بعثناكم كما انشاناكم وزعمهم ان لن يجعل الله لهم موعدا اى وقتا لانجاز ما وعدوا على السنة الانبياء اما ان يكون صفة لاعمالهم لهم ولما لان اعمالهم بشيرة يعلل من يزعم ذلك ووضع الكتاب اى جنسه وهو صحائف الاعمال والوضع اما حسى وهو ان يوضع كتاب كل انسان فى يده اما فى اليمين او فى الشمال واما عقلى ومعناه النشر والاعتبار فترى المجرمين مشفقين خائفين مما فى الكتاب لان الخائن خائف خوف العقاب وخوف الافتضاح ومعنى النداء فى يا ويلتنا قد مر فى المائدة فى قوله يا ويلتى اعجزت وقوله صغيرة او كبيرة صفتان للهنيئة او المعصية او الفعلة وهى عبارة عن الاحاطة وضبط كل ما صدر عنهم لان الاشياء اما صغار واما كبار فاذا احصى الصنفين فقد حصر الكل وعن الفضيل ضجوا والله من الصغائر قبل الكبائر قلت وذلك لان الصغائر هى التى جرأتهم على الكبائر وعن ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وعن سعيد بن جبير الصغيرة المسيس والكبيرة الزنا وجوز فى الكشاف ان يريد ما كان عندهم صغائر وكبائر وتمام البحث فى المسئلة اسلفناه فى اوائل سورة النساء فى تفسير قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه فليتذكر ووجدوا ما عملوا حاضرا فى الصحف مثبتا فيها او وجدوا جزاء ما عملوا ظاهرا على صفحات احوالهم ولا يظلم ربك احدا استدل الجبائى به على بطلان مذهب الاشاعرة فى ان الاطفال يجوز ان يعذب بذنوب آبائهم فان ذلك ظلم والجواب ان الظلم انما يتصور فى حق من يتصرف فى غير ملكه فلو ثبت ان له ان يحكم المالكية ان يفعل ما يشاء من غير اعتراض عليه لم يكن لهذا الاخبار فائدة واجيب بان تلك القضية بعد الدلائل العقلية علمت من مثل هذه الآية عن ابى سعيد يحاسب الناس فى القيمة على ثلثة يوسف وايوب وسليمان يدعو بالمملوك فيقول له ما شغلك عنى فيقول جعلتنى عبد الآدمى فلم يفرغنى فيدعوا الله يوسف فيقول كان هذا عبدا مثلك فلم يمنعه ذلك ان عبدنى فيؤمر به الى النار ثم يدعى بالمبتلى فاذا قال شغلتنى بالبلاء دعا بايوب فيقول قد ابتلينا هذا باشد من بلائك فلم يمنعه ذلك من عبادتى فيؤمر به الى النار ثم يؤتى بالملك فى الدنيا مع ما آتاه الله من الغنى والسعة فيقول ماذا عملت فيما آتيتك فيقول شغلنى الملك عنك فيدعى سليمان فيقول هذا عبدى سليمان آتيته اكثر مما آتيتك فلم يشغله ذلك عن عبادتى اذهب فلا عذر لك فيؤمر به الى النار ثم انه سبحانه عاد الى الرد على ارباب الخيلاء من قريش فذكر قصة آدم واستكبار ابليس عليه قال جار الله قوله كان من الجن كلام مستانف جار مجرى التعليل بعد استثناء ابليس من الساجدين كان قائلا قال ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق والفاء للتسبيب لكونه من الجن فى فسقه ولو كان ملكا لم يفسق لثبوت عصمة الملئكة وقال آخرون ما تشتقاق الجن من الاستتار عن العيون فيشمل الملئكة والنوع المسمى بالجن ثم من لم يوجب عصمة الملك فظاهر ومن اوجب قال كان بمعنى صار اى مسخ عن حقيقة الملئكة الى حقيقة الجن وقد سلف هذا البحث بتمامه فى اول سورة البقرة ومعنى فسق عن امر ربه خرج عن طاعته وحكى الزجاج عن الخليل وسيبويه انه لما امر فعصى كان سبب فسقه هو ذلك الامر المنافى لما حصل ذلك الفسق فلهذا حسن ان يقال فسق عن امر ربه وقال قطرب هو على حذف المضاف اى فسق عن ترك امره ثم عجب من حال من اطاع ابليس فى الكفر والمعاصى وخالف امر الله فقال افتتخذونه كانه قيل اعقيب ما وجد منه من الاباء والفسق تتخذونه وذريته اولياء من دونى وتستبدلونهم بى وقصة آدم وابليس سمعها قريش من اهل الكتاب وعرفوا صحتها فلذلك صح الاحتجاج بها عليهم وان لم يعتقدوا كون محمد نبيا بئس للظالمين بدلا اى بئس البدل من الله ابليس لمن استبدل به فاطاعه بدل طاعته قال الجبائى فى الآية دلالة على انه لا يريد الكفر ولا يخلقه فى العبد والا لم يصح هذا الذم والتوبيخ وعرض

بالعلم والداعي كما مر مرارا قال اهل التحقيق ان الداعي لكفار قريش الى ترك دين محمد هو النخوة والعجب والترفع والتكبر وهذا شأن ابليس ومن تابعه فكل من كان غرضه من العلم والعمل الفخر على الاقران والترفع على ابناء الزمان فانه مقتدى بابليس وذريته وهذا مقام صعب نسأل الله الخلاص منه ثم دل على فساد عقيدة اهل الشرك وبطلان طريقتهم بقوله ما اشهدتهم فالاكثرون على ان الضمير للشركاء والمراد انهم لو كانوا شركاء لي في خلق السموات والارض وفي خلق انفسهم يعني لو كان بعضهم شاهدين خلق بعض مشاركين لي فيه كقوله ولا تقتلوا انفسكم لامكن ان يكونوا شركاء لي في العبادة لكن الملزوم المساوي منتف فاللازم مثله يؤيد هذا التفسير قوله وما كنت متخذ المضلين اي متخذهم عضدا اعوانا فوضع المضلين موضع الضمير نعيا عليهم بالاضلال وقيل الضمير للمشركين الذين التمسوا طرد فقراء المؤمنين والمراد انهم ما كانوا شركاء لي في تدبير العالم بدليل اني ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وما اعتضدت بهم في تدبير الدنيا والآخرة بل هم قوم كسائر الخلق فلم ان من اقترح عليك اقتراحات عظيمة فانك تقول له لست سلطان البلد ولا مدبر المملكة حتى تقبل منك كل اقتراحاتك وقيل اراد ان هؤلاء الظالمين جاهلون بما جرى به القلم في الازل من احوال السعادة وضدها لانهم لم يكونوا شاهدين خلق العالم فكيف يمكنهم ان يحكموا بحسن حالهم عند الله وبشرفهم ورفعتهم عند الخلق وباضداد هذه الاحوال للفقراء ومن قرأ وما كنت بفتح التاء فالخطاب للرسول والمعنى وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك ان تعتز بهم ثم عاد الى تهويلهم باحوال يوم القيامة واضاف الشركاء الى نفسه على معتقدهم توبيخا لهم وتجري الكلام باحد احوالهم واحوال الهتهم يوم القيامة اذ يقول الله لهم نادوا اي ادعوا من زعمتم انهم شركائي فاهلتموهم للعبادة قال المفسرون اراد الجن فدعوهم لم يذكر في هذه الاية انهم كيف دعوا تلك الشركاء ولعل المراد بما في الاية الشدة هلاك كقولهم لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا قال الفراء البين الوصل والمراد جعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيامة وفي الكشاف الموبق المهلك وهو مصدر كالمورد اي جعلنا بينهم واديا من اودية جهنم مشتركا هو مكان الهلاك والعذاب الشديد يهلكون فيه جميعا وجوز ان يريد بالشركاء الملائكة وعزيرا وعيسى عليهم السلام وبالموبق البرزخ اي جعلنا بينهم امدا بعيدا يهلك فيه الاشد لفرط بعده لانهم في قعر جهنم وهم في اعلى الجنان قوله فظنوا قيل علموا وايقنوا والاقرب ان الكفار يرون النار من مكان بعيد فيغلب على ظنونهم انهم مخالطوها واقعون فيها في تلك الساعة من غير تأخير ولا مهلة لشدة ما يسمعون من تغيظها كقوله اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا ولم يجدوا عنها مصرفا اي معدلا الى غيرها لان الملائكة يسوقونهم اليها آخر الامر ولما ذكر ان الكفرة افتخروا على فقراء المسلمين بكثرة اموالهم وانصارهم فانهم واجاب عن شبههم واقوالهم الفاسدة وضرب الامثال النافعة وحكى اهوال الآخرة قال ولقد صرفنا وقد مر تفسيره في السورة المتقدمة وحين انزل الكفار جدالهم وكانوا ابدا يتعللون بالاعذار الواهية ختم الاية بقوله وكان الانسان اكثر شيء جدلا يعني ان الاشياء التي يتأتى منها الجدال فصلها واحدا بعد واحد فان الانسان اكثرها خصومة وقوله اكثر شيء كقوله اول مرة وقد مر في الانعام وكثرة جدال الانسان لسعة مضطربه فيما بين اوج الملكية الى حضيض البهيمية فليس له في جانبي التصاعد والتسافل مقام معلوم قال اهل البرهان قوله تعالى في سورة بني اسرائيل وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى وقال في هذه السورة بزيادة ويستغفروا ربهم لان المعنى هناك ما منعهم عن الايمان بمحمد صلعم الا قولهم ابعث الله بشرا رسولا هلا بعث ملكا وجهلوا ان التجانس يورث التوانس ومعناه في هذا الموضع ما منعهم الايمان والاستغفار والاتيان بسنة المرسلين وانتظار ذلك وعن الزجاج الا طلب سنتهم وهو قولهم ان كان هذا هو الحق وزاد في هذه السورة ويستغفروا ربهم لان قوم نوح امروا بالاستغفار استغفروا ربكم انه كان غفارا وكذا قوم هود ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه وقوم صالح واستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب وقوم شعيب واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود فلما خوفهم سنة الاولين اجرى المخاطبين مجراهم والحاصل انهم لا يقدمون على الايمان والاستغفار الا عند نزول عذاب الاستئصال او عند تواصل اصناف البلاء عيانا ومن قرأ قبلا اراد انواعا جمع قبيل قالت المعتزلة في الاية دلالة على انه لا مانع من الايمان اصلا وقالت الاشاعرة العلم بانه لا يؤمن والداعي الذي يخلقه الله في الكافر مانعان فالمراد فقدان الموانع المحسوسة ثم بين انه انما ارسل الرسل مبشرين بالثواب على الطاعة ومنذرين بالعقاب على المعصية لكي يؤمنوا طوعا وبين ان مع هذه الاحوال يجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به اي ليبطلوا به الحق من ادحاض القدم وهو ازلاقها واتخذوا آياتي وما انذروا اي الذي انذروه من العقاب او انذارهم هزوا موضع استهزاء قال جار الله جدالهم قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة وما اشبه ذلك قال اهل العرفان قوله ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه اي بالقرآن بدليل قوله ان يفقهوه بتذكير الضمير فاعرض عنها ونسي ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي فلم يتفكر في عاقبتها ولم يتدبر في خرابها متمسك القدرية وانما قال في السجدة ثم اعرض عنها لان ما في هذه السورة في الكفار الاحياء الذين بما نهم متوقع بعدا اي ذكروا فاعرضوا عقيب ذلك وما في السجدة في الكفار الاموات بدليل قوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم اي ذكروا مرة بعد اخرى وزمانا بعد زمان ثم اعرضوا عنها بالموت فلم يؤمنوا وانقطع رجاء ايمانهم وقوله انا جعلنا قد مر تفسيره في الانعام الى قوله فلن يهتدوا اذا ابدا متمسك الجبرية وقلما يجد في القرآن دليلا لاحد الفريقين الا ومعه دليل للفريق الآخر فهذا ابتلاء من الله ولعله اريد بذلك اظهار مغفرته ورحمته على عباده كما قال وربك الغفور ذو الرحمة قال المفسرون الضمير في قوله لو يؤاخذهم لاهل مكة الذين افرطوا في عداوة رسول الله صلعم والموعد يوم بدر واقول لا يبعد ان يكون الضمير للناس في قوله ولقد صرفنا للناس والموعد القيامة والموئل الملجأ يقال وأل اذا نجا ووأل اليه اذا لجأ اليه قال الامام فخر الدين الرازي انما ذكر لفظ المبالغة في المغفرة دون الرحمة لان المغفرة ترك الاضرار والرحمة ايصال

النفع وقدرة الله تعالى يتعلق بالاول لان الاضرار لا نهاية لها ممكن ولا يتعلق بالثاني لان فعل ما لا نهاية له محال اقول هذا فرق دقيق لو ساعد النقل على ان قوله ذو الرحمة ايضا لا يخلو عن مبالغة وكثيرا ما ورد في القرآن انه غفور رحيم بلفظ المبالغة في الجانبين وفي تعلق القدرة بترك غير المتناهي ايضا نظر لان مقدورات الله متناهية لا فرق في ذلك بين المبقى والمتروك ثم اشار الى قرى الاولين اعتبارا لغيرهم فقال وتلك القرى باسم الاشارة مبتدأ وفيه تعظيم لشأنهم او تبعيد لزمانهم ومكانهم والقرى صفة وما بعده خبر ولا يخفى حذف المضاف اي وتلك اصحاب القرى اهلكناهم ويجوز ان يكون تلك القرى منصوبا باضمار اهلكنا على شريطة التفسير وجعلنا لزمان هلاكهم او لاهلاكهم او وقت هلاكهم موعدا وعدا او وقتا وعدا لا يتأخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر والمراد انا عجلنا هلاكهم ومع ذلك لم ندع ان نضرب لهم وقتا يمكنهم التوبة قبل ذلك

التأويل ويوم نسير الجبال وهي الابدان الجامدة عن السلوك وترى ارض النفوس بارزة خالية عن موانع الطريق وحشرنا جميع القوى البشرية وعرضوا على ربك صفا لكل قوة ولكل جوهر صف يليق بها فالروح في صف الارواح والقلب في صف القلوب وكذا النفس وقواها ولقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة على هيئة الفطرة وقيل الانبياء في صف والاولياء في صف والمؤمنون في صف والكافرون والمنافقون في الصف الاخير لا يغادر صغيرة هي كل تصرف في شيء بالشهوة النفسانية وان كان من المباحات ولا كبيرة هي التصرف في الدنيا على جهة حب الدنيا رأس كل خطيئة ما اشهدتهم لاني لا اشهد الا اوليائي كما قلت سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم ورأى المجرمون النار رأوا في الدنيا اسباب النار من الشهوات والآثام فتوقعوا فيها ولم يجدوا لما بصرتهم عنها من الديانة والايمان الحقيقي فاذا رأوا النار في الآخرة ايقنوا انهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا كما تعيشون تموتون وكما تموتون تبعثون وكان الانسان اكثر شيء جدلا فتارة يجادل في التوحيد واخرى في النبوة ومرة في الاصول ومرة في الفروع ولهذا كثرت المذاهب والاديان والملل والنحل وتسأل الصواب من ملهمه وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم اسباب الهداية ويستغفروا ربهم ان كانوا اهل الا ان تأتيهم سنة الاولين من الانبياء والاولياء والمؤمنين وهي جذبات العناية لاهل الهداية كقوله في حضرة النبي صلعم والله لولا الله ما اهتدينا او يأتيهم العذاب قبلا كقوله انا نبي السيف امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ۝ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ۝ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ۝ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ۝ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ۝ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ۝ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ۝ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ۝ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۝ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۝ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ۝ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ۝ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ۝ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي

عذرا فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا

بهانه پس برفتند تا چون آمدند نزدیک اهل شهری چون خوردنی خواستند از اهل آن پس سر باز زدند که مهمان کنند ازان پس یافتند دران دیواری

يريد ان ينقض فاقامه قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا قال هذا فراق بيني وبينك

میخواست اگر بیفتد پس بپا داشت او را گفت اگر خواهی بگیری بران مزد گفت اینست جدائی میانه من و میان تو

سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر

زود خبر دهم ترا بر آنچه نتوانستی بر او شکیبا اما کشتی پس بود از بیچارگان کار میکردند در دریا

فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا واما الغلام فكان ابواه مؤمنين

پس خواستم که معیوب کنم آنرا و بود از پیش ایشان پادشاهی که میگرفت هر کشتی را بستم و اما کودک پس بودند پدر و مادر گرویدگان

فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة واقرب رحما و

پس ترسیدیم که برساند ایشانرا بر سرکشی و کفر پس خواستیم که بدل کند ایشانرا خدای ایشان بهتر ازان پاکی و نزدیکتر بخشودن و

اما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا فاراد

اما دیوار پس بود مر دو کودک یتیم در شهر و بود در زیر آن گنج ایشان و بود پدر ایشان صالح پس خواست

ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن امري ذلك تاويل

پروردگار تو که برسند بقوت خود بیرون کنند گنج را بخشش از پروردگار تو و نکردم آنرا از فرمان خود اینست تعبیر

ما لم تسطع عليه صبرا القراءات انا بضم الهاء حفص والمفضل وقرا على بالامالة مع كسر الهمزة يبقي بالياء في الحالين

آنچه نتوانستی بران شکیبا

ابناء الخط المصحف رشدا بفتحتين ابو عمرو ويعقوب بضمتين ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان الباقون رشدا بضم الراء وسكون الشين معي بفتح الياء حفص ستجدني ان بفتح الياء ابو جعفر ونافع فلا تسالني بنون التاكيد الثقيلة واثبات الياء ابو جعفر ونافع وابن عامر بحذف الياء ابن مجاهد عن ابن ذكوان والاحسن اثباتها لانه شاذ عن اهل الشام الاخرون بنون الوقاية وحذف الياء ليغرق اهلها بياء الغيبة وفتحها مع فتح الراء ورفع اهلها حمزة وعلي وخلف الباقون بتاء الخطاب مضمومة وكسر الراء من الاغراق ونصب اهلها زاكية على فاعلة ابو جعفر ونافع وابن عامر ويعقوب الاخرون زكية على فعيلة نكرا بضمتين حيث كان ابو جعفر ونافع غير اسماعيل وابن ذكوان وسهل ويعقوب وابو بكر وحماد فلا تصحبني من الصحبة روح وزيد الاخرون من المصاحبة من لدني خفيفا ابو جعفر ونافع وابو بكر وحماد والمفضل يضيفوهما من الاضافة المفضل لتخذت من التخذ ابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بسكون الخاء وقرا ابن كثير بالاظهار لاتخذت من الاتخاذ وقرا حفص والمفضل والاعشى والبرجمي مظهرا يبدلهما من التبديل وكذلك في سورة التحريم ونون والقلم ابو جعفر ونافع وابو عمرو والاخرون من الابدال رحما بضمتين ابن عامر ويزيد وعباس وسهل ويعقوب الباقون بسكونها الوقوف حقبا سربا عجبا لانقطاع النظم مع صدق اتصال المعنى نصبا الحوت لتمام الاستفهام التعجب مع اتحاد الكلام وكون الواو حالا ان اذكره ان اعيده لاهتبنا والحال في البحر وقيل عليه تم كلام يوشع ثم ابتدا موسى عجبا اي اعجب لك عجبا والوصل اجوز اي سبيلا عجبا او اتخاذا عجبا نبغ به فقد قيل لتمام قول احدهما وابتداء بقول الاخر والوجه الوصل لعطف اللفظ وسرعة الرجوع على الفور قصصا لا لاتصال النظم اتحاد الحال علما رشدا صبرا خبرا امرا ذكرا فانطلقا لان حتى اذا للابتداء خرقها ط اهلها لانقطاع النظم واتحاد القائل امرا صبرا عسرا فانطلقا لما مر فقتله لا لان قال جواب اذا نكرا للفصل بين الاستخبار والاخبار نكرا ه نصف السبع ونصف القران والجزء السادس عشر والربع الثالث صبرا ه فلا تصاحبني لاختلاف الجملتين عذرا ه فانطلقا فاقامه ط اجرا ه وبينك ج صبرا ه غصبا ه وكفرا ه للعطف مع الاية رحما ه صالحا ج لما قلنا من ربك عن امري ط صبرا ه لانقطاع القصة

التفسير هذه قصة اوردها الله تعالى ليعين على المقاصد السابقة مع كونها مستقلة في الافادة اما نفعها في قصة اصحاب الكهف فهو ان اليهود قالوا ان اخبركم محمد عنها فهو نبي والا فلا فذكر الله تعالى قصة موسى والخضر تنبيها على ان النبي لا يلزم ان يكون عالما بجميع القصص والاخبار واما نفعها في الرد على كفار قريش حين افتخروا على فقراء المسلمين بكثرة الاموال والانصار فهو ان موسى مع كثرة علمه وعلو منصبه واستجماع موجبات الشرف التام في حقه ذهب الى الخضر وتواضع له لاجل طلب العلم فدل ذلك على ان التواضع خير من التكبر واكثر العلماء على ان موسى المذكور في الاية هو موسى بن عمران صاحب التوراة والمعجزات وعن سعيد بن جبير انه قال لابن عباس ان نوفا ابن امرأة كعب يزعم ان الخضر ليس بصاحب موسى بن عمران وانما هو صاحب موسى بن ميشا بن يعقوب وهو قد كان نبيا قبل موسى بن عمران فقال ابن عباس كذب عدو الله واحتج الاكثرون على صحة قولهم بان موسى حيث اطلق في القرآن اريد به موسى بن عمران فلو كان المراد ههنا شخصا آخر لوجب تعريفه بحيث يتميز عن المشهور وحجة الاقلين واليه ذهب جمهور اليهود ان موسى بن عمران بعد ان خصه الله تعالى بالمعجزات القاهرة والتي لم تتفق لمن قبله مثلها يبعد ان يؤمر بالتعلم والاستفادة واجيب بان العالم الكامل في اكثر العلوم قد يجهل بعض المسائل فيحتاج في تعلمها الى من يخص بعلمها اما فتى موسى فالاكثر على انه يوشع بن نون ويروى هذا القول عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل هو اخو يوشع وكان مصاحبا لموسى في السفر وعن الحسن انه اراد عبده ويؤيده ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لا يقل احدكم فتاي وفتاتي ولا

يقل عبدي وامتي قال اهل السير ان موسى لما ظهر على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط امره الله ان يذكر قومه النعم فقام فيهم خطيبا فذكر نعمة الله فقال ان الله اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا له قد علمنا هذا فاي الناس اعلم قال انا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم الى الله فاوحى الله اليه بل اعلم منك عبد لي بمجمع البحرين وهو الخضر وكان الخضر في ايام افريدون قبل موسى وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى ويروى ان موسى سأل ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدل على الهدى او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك من هو اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال فاين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يا رب كيف لي به قال تاخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع في البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فاخبره فتاه بوقوعه في البحر فاتيا الصخرة فاذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال واني بارضنا السلام فعرفه نفسه فقال يا موسى انا على علم علمنيه الله لا تعلمه انت وانت على علم علمكه الله لا اعلمه انا فلما ركبا السفينة جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر في الماء فقال الخضر ما ينقص علمي وعلمك من علم الله مقدار ما اخذ هذا العصفور من البحر قلت وهذا صحيح لان علم الانسان متناه وعلم الله غير متناه ولا نسبة للمتناهي الى غير المتناهي اصلا ولنرجع الى التفسير قال الزجاج وتبعه جار الله لا ابرح بمعنى لا ازال وقد حذف الخبر لدلالة حال السفر عليه ولان قوله حتى ابلغ غاية مضروبة فلا بد لها من ذي غاية فالمعنى لا ازال اسير حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر حذف المضاف وهو المسير واقيم المضاف اليه وهو المتكلم مقامه فانقلب الفعل من لفظ الغائب الى لفظ المتكلم وجوز ايضا ان يكون لا ابرح بمعنى لا ازول من برح المكان والمعنى لا ابرح مما انا عليه اي لا اترك المسير والطلب حتى ابلغ مجمع البحرين يعني ملتقى بحري فارس والروم وقد شرحنا وضع البحار في سورة البقرة في تفسير قوله والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وقيل اراد طنجة وقيل افريقية ومن غرائب التفسير ان البحرين موسى والخضر لانهما بحرا العلم وهذا مع غرابته مستبشع جدا لان احد البحرين اذا كان هو موسى فكيف يصح ان يقول حتى ابلغ مجمع البحرين بل حاصل المعنى الى قولنا حتى ابلغ مكانا يجتمع فيه بحران من العلم احدهما انا او امضي حقبا اسير زمانا طويلا قال جار الله الحقب بالضم ثمانون سنة ويروى اكثر من ذلك وقيل انه تعالى اعلم موسى حال هذا العالم وما اعلمه موضعه بعينه فقال موسى لا ازال امضي حتى يجتمع البحران فيصيرا بحرا واحدا او امضي دهرا طويلا حتى اجد هذا العالم وهذا اخبار من موسى بانه وطن نفسه على تحمل التعب الشديد الى ان يلقاه وفيه تنبيه على شرف العلم وان طالب العلم يحق له ان يسافر ويتحمل المتاعب في الطلب من غير ملال وكلال فلما بلغا مجمع بينهما قال جمهور المفسرين الضمير للبحرين اي تحقق ما قال موسى وبلغ المكان الذي وعد فيه لقاء الخضر ولا بد للبين من فائدة ولعل المراد حيث يكاد يلتقي وسط ما امتد من البحرين طولا والاضافة بمعنى في اي مجمعا في وسط البحرين فيكون كالتفصيل لمجمع البحرين والبيان والايضاح بكلام علام الغيوب تعالى اولى منه بكلام موسى او البين بمعنى الافتراق اي البحران المفترقان يجتمعان هناك ويحتمل على هذا ان يعود الضمير الى موسى والخضر اي وصلا الى الموضع الذي وعد اجتماع شملهما هناك او البين بمعنى الوصل لانه من الاضداد فيتصل به التاكيد كقولهم جد جده وهذه الوجوه مما لم اجدها في التفاسير فان كن صوابا فمن الله والا فمني ومن الشيطان نسيا حوتهما لانه تعالى جعل انقلاب الحوت حيا علامة على مسكن الخضر قيل ان الفتى كان يغسل السمكة لانها كانت مملوحة فطفرت وسارت وقيل ان يوشع توضأ في ذلك المكان فانتضح الماء على الحوت المالح فعاش ووثب الى الماء وقيل انفجرت هناك عين من الجنة ووصلت قطرات من تلك العين الى السمكة فحييت وطفرت الى البحر ونسيا الحوت الذهول عن الاستدلال لهذه الحالة المخصوصة على الوصول الى المطلوب والسبب في هذا الذهول مع ان هذه الحالة كانت امارة لهما على الطلبة التي تناهضا من اجلها هو ان يوشع كان قد تعود مشاهدة المعجزات القاهرة فلم يبق لحياة السمكة ولقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب منه وقع عنده وقيل ان موسى لما استعظم علم نفسه ازال الله عن قلب صاحبه هذا العلم الذي يشبه الضروري تنبيها لموسى على ان العلم لا يحصل الا بتعليم الله وحفظه على قلوب عباده وانتصاب قوله سربا على انه مفعول ثان لاتخذ اي اتخذ سبيله سبيلا سربا وهو بيت في الارض وذلك ان الله تعالى امسك اجزاء الماء عن الجري وجعلها كالكوة حتى سرى الحوت فيه معجزة لموسى وللخضر وقيل السرب هو الذهاب والتقدير سرب في البحر سربا الا انه اقيم قوله واتخذ سبيله مقام سرب فلما جاوزا اي موسى وفتاه الموعد المعين وهو الصخرة قال موسى لفتيه آتنا غداءنا وهو ما يؤكل بالغداة لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا تعبا وجوعا قال المفسرون قوله من سفرنا هذا اشارة الى مسيرهما وراء الصخرة ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك قال الفتى متعجبا ارايت ومفعوله محذوف لدلالة قوله فاني نسيت الحوت عليه كانه قال ارايت ما دهاني ووقع لي اذ اوينا الى الصخرة يعني الصخرة التي دون نهر الزيت فاني نسيت الحوت عليه ثم ذكر ما يجري مجرى السبب في وقوع ذلك النسيان فقال وما انسانيه الا الشيطان وان اذكره بدل الاشتمال من الهاء في انسانيه اي وما انساني ذكره قال الكعبي لو كان النسيان بخلق الله وارادته لكان اسناد ذلك الى الله تعالى اولى من اسناده الى الشيطان اذ ليس في وسعه ولا اثره وقال القاضي المراد بانساء الشيطان ان يشتغل قلب الانسان بوسواسه التي هي من فعله دون النسيان الذي يضاد الذكر لان ذلك لا يصلح ان يكون الا من قبل الله تعالى قال اهل البرهان لما كان اتخاذ الحوت سبيله في البحر مما يبتغي اي انه الذي كان يطلبه لانه امارة الظفر بالمطلوب عقبه النسيان ذكرا ولا فصل بالفاء ولما حيل بينهما ثانيا بجملة معترضة هي قوله وما انسانيه الا الشيطان زال معنى التعقيب وبقي العطف المجرد فقال واتخذ سبيله

بالواو وانتصاب عجبا كما في سربا قال له كان للحوت سربا ولموسى وفتاه عجبا قال موسى ذلك ما كنا نبغ اي ذلك يعني اتخاذ الحوت السبيل في البحر ما كنا نبغي اي انه الذي
كنا نطلبه لانه امارة الظفر بالمطلوب فارتدا على آثارهما رجعا على طريقهما المسلوك قصصا مصدر لانه بمعنى الارتداد على الاثر اي يتبعان
آثارهما اتباعا او هو مصدر في موضع الحال اي رجعا على الطريق الذي جاءا منه مقتصين فوجدا عبدا من عبادنا الاكثرون على ان ذلك العبد
كان نبيا لانه تعالى وصفه بقوله آتيناه رحمة من عندنا والرحمة هي الوحي والنبوة بدليل قوله اهم يقسمون رحمة ربك وقوله وما كنت ترجوان
يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك ومنع ان كل رحمة نبوة قالوا وصفه بقوله وعلمناه من لدنا علما والعلم المختص به تعالى هو الوحي والاخبار بالغيوب
وايضا قال في آخر القصة وما فعلته عن امري اي عرفته وفعلته بامر الله وذلك يستلزم للوحي ويروى ان موسى لما وصل اليه قال السلام عليك فقال
وعليك السلام يا نبي بني اسرائيل فقال من عرفك هذا قال الذي بعثك الي والصوفية سموا العلوم الحاصلة بطريق المكاشفات العلوم اللدنية والمحققون
منه اذا ضعفت القوى الحسية والخيالية بواسطة الرياضة قويت القوة العقلية واشرقت الانوار الالهية على جواهر العقل ويفيض عليه من عالم
الارواح انوار يستعد بسببها لملاحظة اسرار الملكوت ومطالعة عالم اللاهوت والاكثرون ايضا على ان ذلك العبد هو الخضر سمي بذلك لانه كان
لا يقف موقفا الا اخضر ذلك الموقف قال الجبائي روي ان الخضر انما بعث بعد موسى من بني اسرائيل فان صحت الرواية لم يكن ذلك العبد هو الخضر
لانه بعث بعده وبتقدير كونه معاصرا له فانه اظهر الترفع على موسى حين قال وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا وان موسى اظهر التواضع له حين قال ولا
اعصي لك امرا مع انه كان مبعوثا الى كافة بني اسرائيل لم يجز ان يكون الخضر فوقه والامة لا يكون اعلى حالا من النبي وان لم تكن الرواية صحيحة لان
لا يكون الخضر من بني اسرائيل لم يجز ان يكون الخضر افضل من موسى لانه تعالى قال لبني اسرائيل واني فضلتكم على العالمين واجيب بانه يجوز ان يكون غير
النبي فوق النبي في علوم لا يتوقف نبوته عليها قال العلماء ان موسى راعى مع الخضر في قوله هل اتبعك انواعا من الادب منها انه جعل نفسه تبعا له مطلقا
وفيه ان المتعلم يجب عليه الخدمة وتسليم النفس والاتيان بمثل افعال الاستاذ واقواله على جهة التبعية لا الاستقلال فان المتابعة هي الاتيان
بمثل فعل الغير لاجل كونه فعلا لذلك الغير ولهذا لسنا متبعين لليهود في قولنا لا اله الا الله لانا لا نقول كلمة التوحيد لاجل انهم قالوها بل لقيام
الدليل على قولها ولكنا متابعون في الصلوات الخمس للنبي لانا نأتي بها لاجل انه اتى بها ومنها انه استاذن في اثبات هذه التبعية ومنها انه قال ان تعلمني
مما علمت وفيه اقرار على استاذه بالعلم وفيه انه لم يطلب منه الا بعض علمه ولم يطلب منه ان يجعله مساويا له في العلم كما يطلب الفقير من الغني ان يدفع اليه
جزءا من اجزاء ماله لا كله وفيه اعتراف بان ذلك العلم علمه الله تعالى والاسمى فاعله وفيه اشعار بان انعامه عليه في هذا التعليم شبيه بانعام الله عليه
ومن هنا قيل انا عبد من علمني حرفا ومنها ان الخضر عرف انه نبي صاحب المعجزات المشهورة ثم انه مع هذه المناصب العلية والمراتب السنية لم يطلب منه المال
والجاه وانما طلب التعليم فقال على ان تعلمني فدل ذلك على انه لا كمال فوق كمال العلم وانه لا يحسن صرف الهمة الا الى تحصيله وفيه ان كل من كان علمه
بالعلوم اكثر كان علمه بما فيها من البهجة والسعادة اكثر فكان حرصه على زيادتها اوفر ومنها انه قال رشدا وهو يصلح ان يكون مفعولا لتعلمني و
لعلمت اي علما ذا رشد ارشد به في ديني وفيه تعظيم لما يتعلمه فان الارشاد هو الامر الذي لو لم يحصل حصل الضلال ثم انه تعالى حكى عن الخضر انه قال
انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا لان علمه بظواهر الامور شرعا فلما يتمالك ان يصبر عليها وخبرا تمييز اي لم يحط به خبرك او هو مصدر لكونه في معنى الاحاطة استدلت الاشاعرة بالآية على ان
الاستطاعة لا تحصل قبل الفعل والا لكانت الاستطاعة على الصبر حاصلة قبل الصبر فيكون قول الخضر بنفي الاستطاعة كذبا وكذا قوله وكيف
تصبر لانه استفهام في معنى الانكار اي لا تصبر البتة اجاب الجبائي بانه اراد بنفي الاستطاعة انه يثقل عليه الصبر لا انه لا يستطيعه يقال في العرف ان فلانا
لا يستطيع ان يرى فلانا وان يجالسه اذا كان يثقل عليه ذلك ولهذا قال له موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي اي ستجدني غير عاص لك امرا و
يجوز ان يكون قوله ولا اعصي جملة مستأنفة معطوفة على مثلها اي ستجدني ولا اعصي قال اهل السنة في قوله ان شاء الله بطريق الشكر والصبر مأمور
به دليل على انه تعالى لا يريد من العبد الا ما اوجبه عليه قالت المعتزلة انما ذكره بطريق الادب واجيب بان هذا الادب ان صح معناه فقد ثبت
المطلوب وان فسد فاي ادب في ذكر الكلام الباطل قالت الاصوليون في قوله ولا اعصي لك امرا دليل على ان ظاهر الامر للوجوب لان تارك الامر عاص
لهذه الآية والعاصي يستحق العقاب لقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم قال المحققون في قول الخضر تغليظ وتجهيل وفي قول موسى
تحمل وتواضع فدل ذلك على ان المعلم ان راى التغليظ على المتعلم فيما يعيده نفعا وارشادا الى الخير فالواجب عليه ذكره وعلى المتعلم ان يتلقاه
بالبشر والطلاقة ثم قال فان اتبعتني فلا تسألني شرط على موسى في اتباعه ان لا يسأل عما خفي عليه وجه صحته حتى يكون الخضر هو المبتدي
بتعليمه اياه واخباره عن وجه الحكمة فيه فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما رأوا وجوه الانبياء وقيل عرفوا الخضر فحملوها بلا اجرة فلما
حصلوا في اللجة اخذ الخضر الفأس فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها مما يلي الماء فجعل موسى يسد الخرق بثيابه ويقول اخرقتها لتغرق
لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا اي شيئا عظيما يقال امر الامر اذا عظم ويقال الشيء العجيب الذي لا يعرف له شبيه امر ثم انه احتج الطاعنون في عصمة
الانبياء بان موسى اعترض على الخضر بعد توكيد العهود والمواثيق وذلك ذنب واجيب بانه لم يقل ذلك اعتراضا وتوبيخا ولكنه احب ان يقف
على حكمة ذلك الامر الخارج عن العادة او انه خالف الشرط بناء على النسيان ولهذا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا مؤاخذة على الناسي وما
موصولة او موصوفة او مصدرية اي بالذي نسيته وجوز في الكشاف ان لا يكون ناسيا في الحقيقة ولكنه اوهم بقوله لا تؤاخذني بما نسيت انه

قد نسي ليبسط عذره في الاعتراض على المعلم وهو من معاريض الكلام التي يتقي بها الكذب مع التوصل الى الغرض وجوز ايضا ان يكون النسيان
بمعنى الترك اي بما تركت من وصيتك اول مرة ولا ترهقني ولا تغشني من امري عسرا واراد بامره المتابعة اي يسر علي متابعتك بالاغضاء وترك
المناقشة وانما قال في هذه القصة خرقها بغير فاء لانه جعله جزاء للشرط وفي قصة الغلام قتله لان الغلام يتناول الشاب البالغ كما يتناول الصغير ومنه
قولهم راي الشيخ خير من مشهد الغلام واصله من الاغتلام وهو شدة الشبق وليس في القرآن انهما كيف لقياه وهل كان يلعب مع جمع من الغلمان
او كان منفردا وهل كان مسلما او كان كافرا وهل كان بالغا او كان صغيرا واسم الغلام بالصغير اليق الا انه يعبر به عن البالغ ايضا ولان
الصبي لا يقتل قصاصا وعن ابن عباس ان نجدة الحروري الخارجي كتب اليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله عن قتل الولدان فكتب اليه
ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل قال الكسائي الزاكية والزكية لغتان ومعناهما الطاهرة لطاهرة جنسه قيل النكر
اقل من الامر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة وقيل النكر اشد لان ذلك كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل
الى تداركه وايضا الامر العجيب والعجب يستعمل في الخير والشر والنكر ما ينكره العقول فهو شر وظاهر الآية يدل على ان موسى استبعد ان يقتل النفس
الا بالنفس وليس كذلك لانه قد يحل القتل بسائر الاسباب ولعله اعتبر السبب الاغلب الاقوى واختلفوا في كيفية قتله فقيل فتل عنقه وقيل ضرب
برأسه الحائط وعن سعيد بن جبير اضجعه ثم ذبحه بالسكين ثم انه سبحانه حكى عن الخضر انه زاد على ان اذكره ما عاهد عليه فقال الم اقل لك وانما زاد
ههنا لك لان الانكار اكثر وموجب العتاب اقوى وقيل اكد التقرير الثاني بقوله لك كما تقول لمن توبخه لك اقول واياك اعني وقيل بين في الثاني
المقول له لما لم يبين في الاول فعند هذا قال موسى ان سألتك عن شيء بعدها بعد هذه الكرة او المسألة فلا تصاحبني نهاه عن المصاحبة مع حرصه
على التعلم لظهور عذره كما قال قد بلغت من لدني عذرا وهذا كلام نادم شديد الندامة جره المقال واضطره الحال الى الاعتراف وسلوك
سبيل الانصاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية هي انطاكية وقيل الايلة وهي ابعد ارض
الله من السماء استطعما اهلها وكان حق الايجاز ان يقال استطعماهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتأكيد كقوله ليت الغراب غداة ينعب بيننا
كان الغراب مقطع الاوداج وايضا لعله كره اجتماع الضميرين المتصلين في مثل هذا اللفظ لما فيه من الكلفة والبشاعة والاستثقال فابوا ان يضيفوهما
يقال اضافه وضيفه اذا انزله وجعله ضيفه والتركيب يدل على الميل من ضاف السهم عن الغرض والضيف يميل الى المضيف عن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا اهل قرية
لئاما قيل الاستطعام ليس من عادة الكرام فكيف اقدم عليه وايضا الضيافة من المندوبات وترك المندوب غير منكر فكيف جاز لموسى ان يغضب عليهم
حتى ترك عهد صاحبه وقال لو شئت لاتخذت عليه اجرا واجيب بان الرجل اذا جاع بحيث ضعف عن الطاعة او اشرف على الهلاك لزمه الاستطعام ووجب
اجابته ولقائل ان يقول لو كان قد بلغ الجوع الى حد الهلاك لم يقو على اصلاح الجدار وللمجيب ان يقول ان اقامة الجدار معجزة فقد روي انه مسحه بيده فقام
واستوى وقيل اقام بعمود عمده به وقيل نقضه وبناه وروي انه كان ارتفاع الجدار مائة ذراع قال اهل الاعتبار شر القرى التي لا يضاف الضيف
فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه ويحكى ان اهل تلك القرية لما سمعوا نزول هذه الآية استحيوا وجاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمل من الذهب فقالوا يا رسول الله
نشتري بهذا الذهب ان تجعل الباء تاء اي فاتوا ان يضيفوهما فامتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك قوله يريد ان ينقض معناه يسرع سقوطه من انقض
الطائر اذا هوى فخطر انه فعل من تضضته فانقض ويحتمل ان يكون افعل من النقض كاحمر من الحمرة فالنون يكون اصلية واحدى الضادين مكررة زائدة
عكس الاول واستعيرت الارادة للمداناة والمشارفة تشبيها للجماد بالاحياء نظيره ولما سكت عن موسى الغضب قال لنا اتينا طائعين ولما اقام
الخضر الجدار ورأى موسى من الحرمان ومسيس الحاجة قال لصاحبه لو شئت لاتخذت عليه اجرا اي طلبت على عملك جعلا حتى تستدفع به الضرورة واتخذ
افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ على الاصح قال الخضر مشيرا الى الفراق المتصور في قوله فلا تصاحبني او مشيرا الى السؤال والاعتراض هذا
فراق بيني اضافة بمعنى في اي فراق في بيني وبينك وحكى القفال ان البين ههنا بمعنى الوصل ثم شرع في تفسير الحكم التي تضمنتها
افعاله وتلك الحكم تشترك في اصل واحد هو انه اذا تعارض الضرران وجب تحمل الادنى لدفع الاعلى فقال اما السفينة فكانت لمساكين قيل كانت
لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر وقد تقدم استدلال الشافعي بهذه الآية على ان الفقير اسوأ حالا من المسكين وكان وراءهم
ملك وهو مسمى بجلندي والوراء ههنا بمعنى الامام وقد مر في قوله ومن ورائه عذاب غليظ وقيل اراد خلفهم وكان طريقهم في الرجوع عليه وما
كان عندهم خبره يأخذ كل سفينة اي غير معيبة غصبا ولا يخفى ان الضرر الحاصل من التخريق اهون من فوات السفينة بالكلية والتخريق وان كان تجربا
تصرفا في ملك الغير الا انه اذا تضمن نفعا زائدا لم يكن به بأس ولعل مثل هذا التصرف كان جائزا في تلك الشريعة او لعله كان من مخصوصات النبي قال
جار الله قوله فاردت ان اعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها وكان حقه ان يتأخر عن السبب ولكنه قدم للعناية اي لتعجب من هذا وهو امر اي انا
مأمور به وايضا خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كون السفينة للمساكين فتوسط ارادة العيب بين المسكنة والغصب كتوسط الظرف بين
المبتدأ والخبر في قولك زيد ظني مقيم في انه يتعلق بالطرفين واما الغلام فقد قيل انه كان بالغا قاطع الطريق يقدم على الافعال المنكرة وكان
ابواه مضطرين الى التعصب له والذب عنه فكانا يقعان في الفسق لذلك واحتمل ان يؤدي ذلك الى الكفر والارتداد كما قال فخشينا ان يرهقهما طغيانا
وكفرا اي يرهقهما اي يغشيهما ويرهقهما اياه وقيل انه كان صبيا الا انه تعالى علم من حاله انه لو صار بالغا لصدرت عنه هذه المفاسد فامر الخضر بالرواج

نفسله بلا بزيد به وان تسببه ومثل هذا لا يجوز الا اذا تأكد الظن بالوحي وقيل ان رحمنا ان يغشي الوالدين طغيانا عليهما وكفرا لعقوقه
اوخشينا ان يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر وجوزوا ان يكون قوله فخشينا من كلام الله تعالى اى كرهنا
كراهة من خاف سوء عاقبة امر فغيره والزكوة الطهارة والنقاء من الذنوب كانه بازاء قول موسى نفسا زاكية والرحم الرحمة والعطف يعني
الاشفاق على الابوين يروى انهما ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله على يديه امة من الامم ويروى انها ولدت سبعين نبيا وقيل
ابدلهما ابنا مؤمنا وقيل اسم الغلام المقتول الحيسور وفي نسخة الحسين واما الجدار فكان لغلامين قيل اسمهما اصرم وصريم وقوله في المدينة بعد
قوله انها اهل قرية فيه دلالة على ان القرية لا ينافي المدينة ومعنى الاجتماع والاقامة مراعى فيهما اما الكنز فقيل هو المال لقوله ويستخرجا كنزهما ولان
المفهوم منه عند الاطلاق هو المال وقيل صحف فيها علم لقوله وكان ابوهما صالحا ودفن المال لا يليق باهل الصلاح وعورض بقول قتادة احل الكنز
لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم واحلت لنا وجمع بعضهم بين الامرين فقال كان لوحا من ذهب مكتوبا فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن و
عجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن راى الدنيا وتقلبها كيف يطمئن
اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وفي قوله وكان ابوهما صالحا دلالة على ان صلاح الآباء يفيد العناية باحوال الابناء عن جعفر بن محمد ع كان بين
الغلامين وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة آباء وذكر من صلاح ابيهما ان الناس كانوا يضعون الودائع عنده فيردها اليهم سالمة قالت العلماء الاشبه ان
اليتيمين كانا جاهلين بحال الكنز ووصيهما كان عالما به الا انه غائب وقد اشرف الجدار على السقوط رحمة من ربك مصدر منصوب باراد لانه في معنى
رحمهما او مفعول له وما فعلته عن امري اجتهادي ورأيي وانما فعلته بامر الله سؤال لم قال في الاول فاردت ان اعيبها وفي الثاني فاردنا وفي الثالث
فاراد ربك الجواب لان الاول افساد في الظاهر فاسنده الى نفسه وفي الثالث انعام محض فاسنده الى الله سبحانه وفي الثاني افساد من حيث القتل
وانعام من حيث التبديل فجمع بين الامرين ويمكن ان يقال ان القتل كان منه ولكن ازهاق الروح كان من الله ويحتمل ان يقال الوحدة في الاول على
الاصل والجمع في الثاني تنبيه على انه من العلماء المؤيدين بالعلوم الدينية والاسناد الى الله بالآخرة اشارة الى انه لا ارادة الا ارادة الله وما
تشاؤن الا ان يشاء الله ذلك الذي ذكر من اسرار تلك الوقايع تاويل ما لم تسطع عليه صبرا اى يرجع المقصود من تلك الافعال الى ما ذكرنا واصل
تسطع تستطع كما في قوله سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا الا ان التاء حذفت لاجل التخفيف وهذا شاذ من جهة القياس ولكنه كثير في
الاستعمال عن رسول الله ص رحم الله اخي موسى لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب التاويل واذ قال موسى لفتيه فيه ان المسافر لا بد له في الطريق من الرفيق
وفيه ان من شرطهما ان يكون احدهما اميرا والآخر مأمورا وان يعلم الرفيق عزيمته ومقصده حتى يكون على بصيرة من صحبته وان الايتام من متاعب السفر
حتى يظفر بمقصوده وان يكون نيته طلب شيخ يقتدي به فان طالب الشيخ في الحقيقة هو طالب الحق ومجمع البحرين هو مجمع ولاية الشيخ وولاية المريد وعنده
عين الحيوة الحقيقية فاذا وقعت قطرة منها على حوت قلب المريد يحيى واتخذ سبيله في بحر الولاية سربا فلما جاوزا اشارة الى ان المريد في اثناء
السلوك لو تطرقت اليه الملالة اصاب قلبه الكلال او سولت له نفسه التجاوز عن صحبة الشيخ ظانا ان مقصوده يحصل من غير واسطة الشيخ هيهات فانه
ظن فاسد ومتاع كاسد الا ان ادركته العناية الازلية ورد اليه صدق الارادة فيقول لرفيق التوفيق آتنا غداءنا وهو همة الشيخ وبركة صحبته
لقد لقينا من سفرنا هذا الذي جاوزنا صحبة الشيخ نصبا فقال الصحيح ارأيت اذ اوينا الى الصخرة صخرة النفس وتسويلها فاني نسيت حوت القلب ذلك ما كنا
نبغي من حوت القلب الميت المملح بملح حب الدنيا وزينتها ان يتخذ سبيله في بحر ولاية شيخ كامل فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وفي قوله و
علمناه من لدنا علما اشارة الى انه تعالى اطلعه على بواطن الاشياء وحقائقها وهذا النوع من العلم لا يمكن تعلمه وانما يحصل بتصفية النفس و
تجريد القلب عن العلائق الجسمانية وقد ذهب موسى الى تعلم العلم فكان الواجب على الخضر ان يظهر له علما يمكن تعلمه فبين علم الخضر وبين مقصد
موسى كان تباين وتناف فلهذا قال الخضر انك لن تستطيع معي صبرا وفي اظهار المسائل الثلثة اشارة الى ما قلنا من ان العلم الظاهر ينافي
علم اللدني وليس من التعليم والتعلم في شيء واذا تامل العاقل السالك في قول موسى هل اتبعك الخ وفي قول الخضر فان اتبعتني فلا تسئلني الخ
وجد اصول الشرائط التي شرطها الصوفية للمريد وللشيخ موجودة فيها وفي تفصيلها طول وقد اشرنا في التفسير الى طرف منها ومن اراد الكل
فعليه بمطالعة كتاب آداب المريدين للشيخ المحقق اى النجيب السهروردي قدس الله سره فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة السفينة الشريعة خرقها بهدم الناموس
في الظاهر مع صلاح الحال في الباطن وفيما بينه وبين علام الغيوب ومثل هذا قد يفعله كثير من المحققين طردا للعوام وحذرا من التباهي والعجب
اخرقتها لتغرق اهلها في اودية الضلال لقد فعلت حتى اذا لقيا غلاما هو النفس الامارة فقتله بسكين الرياضة وسيف المجاهدة حتى اذا اتيا
اهل قرية هي الجسد وهم القوى الانسانية من الحواس وغيرها استطعما اهلها بطلب افاعيلها التي تخص بها فابوا ان يضيفوهما باعطاء خواصها
كما ينبغي لكلالها وضعفها فوجدا فيها جدارا هو التعلق الحائل بين النفس الناطقة وبين عالم المجردات يريد ان ينقض بقطع العلاقة فاقامه بتقوية
البدن والرفق بالقوى والحواس كما قيل نفسك مطيتك فارفق بها لو شئت لاتخذت عليه اجرا اى لو شئت لحرضت على شدة الرياضة الى ان
الانوار ونيل الكشوف اما السفينة فكانت لمساكين هم العوام الذين يعملون في بحر الدنيا وليس لهم في بر عالم الربوبية سير وسلوك حتى يصلوا
الى ملوك بحث الطامات فاردت ان اعيبها في الظاهر لتسلطهم بالاخلاص في البواطن وكان وراءهم ملك هو الشيطان ياخذ كل سفينة عبادة غصبا الا ان كل

سفينة صح

عبادة

عبادة تخلو عن الانكار والذل والخشوع فانها للشيطان لا للرحمن واما الغلام فكان ابواه وهما القلب والروح مؤمنين فاردنا ان يبدلهما
ربهما خيرا منه زكوة هو النفس المطمئنة والملهمة وكان تحته كنز لهما هو حصول الكمالات النظرية والعملية وكان ابوهما هو العقل المفارق
صالحا كاملا بالفعل فلهذا ادخر فاراد ربك ان يبلغا اشدهما بتربية الشيخ وارشاده على سبيل الرفق والمداراة ويستخرجا ما كان كامنا فيها

وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ۝ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ
شَيْءٍ سَبَبًا ۝ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ۝ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا
قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ۝ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ
ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ۝ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ
مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ۝ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ
دُونِهَا سِتْرًا ۝ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ۝ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ
مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۝ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي
الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۝ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي
بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۝ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى
إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۝ فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ۝ قَالَ
هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ۝ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ
يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ۝ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ۝ الَّذِينَ
كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ۝ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا
عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ۝ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝ الَّذِينَ
ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ
وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ۝ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي
وَرُسُلِي هُزُوًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝ خَالِدِينَ فِيهَا
لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ۝ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ

رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ
پروردگار من واگر آوردیم مانند آن افزونی بگو جز این نیست که من آدمیم مثل شما وحی کرده میشود بسوی من جز این نیست که خدای شما خدائیست یکتا پس هرکه باشد
يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا القراءة فاتبع ثم اتبع مقطوعة
امیدوار بدیدار خدا پس بکند کردار شایسته و انباز نگیرد بپرستیدن پروردگارش کسی را ابن عامر وعاصم وحمزة وعلي وخلف

الباقون بالتشديد موصولة حامية بالالف من غير همز ابن عامر ويزيد وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص الباقون حمئة بالهمزة من غير الف جزاء
الحسنى بالنصب منونا يعقوب وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الاخرون بضمها يفقهون بضم الياء وكسر القاف حمزة وعلي وخلف الباقون
بفتحها ياجوج وماجوج حيث كان مهموزا عاصم غير الشموني فهل نجعل وبابه بادغام اللام في النون علي وهشام خراجا بالالف حمزة وعلي وخلف وعاصم
غير ابي بكر وحماد وجبلة الباقون بضمها مكني ابن كثير الباقون بادغام النون في النون ردما آتوني يحيى وحماد والابتداء بكسر الالف الصدفين بضم
الصاد والدال ابن كثير وابن عامر وابو عمرو وسهل ويعقوب والمفضل غير ابو بكر وحماد بضم الصاد واسكان الدال الاخرون بفتح الصاد والدال قال
آتوني والابتداء بكسر الالف يحيى وحماد وحمزة فما اسطاعوا بالادغام حمزة غير حماد وقرا ابو نشيط والشموني فما اصطاعوا بالصاد وهو الفصيح من نقل
ابن مهران دكاء بالمد حمزة وعلي وخلف وعاصم غير المفضل والخزاز عن هبيرة الخشب الذين بسكون الياء ودفع الياء يزيد ويعقوب والاعشى في اختياره
دوني اولياء بفتح ياء المتكلم ابو جعفر ونافع وابو عمرو ينفد بالياء الغيبة حمزة وعلي وخلف وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان الوقوف القرنين ط ذكرا ط
سببا لا سبباه فقوما ط حسنا ه نكراه الحسنى لاختلاف الجملتين يسرا ط لان ثم لترتيب الاخبار سبباه ستراه كذلك ط اي كذلك القبيل الذين كانوا عند مغرب
الشمس وقيل مبتدأ بعد اي ذلك كذلك او الامر كذلك وقيل اي احطنا بما لديه من العدد والعدد كذلك اي كعلمنا بقوم سبق ذكرهم خبرا ه ثم اتبع سبباه قولا ه
سدا ه ردما ه الحديد ط الصدفين انفخوا ط نارا ط لا لان قال جواب اذا قطرا ط لان ما بعده ابتداء اخبار نقبا ه من ربي ج لعطف الجملتين المختلفتين دكاء ج لذلك حقا ط
لانقطاع القصة جمعا ط لا للعطف عرضا ه سمعا ه اولياء ط نزلا ه اعمالا ط للفصل بين الاستخبار والاخبار لان التقدير هم الذين ويجوز ان يكون
نصبا على الذم او جرا على البدل صنعا ه وزنا ه هزوا ه نزلا ه اعمالا حولا ه مددا ه واحد ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب احدا ه التفسير لما اجاب عن
سؤالين من اسئلة اليهود شرع في السؤال الثالث والجواب عنه واصح الاقوال ان ذا القرنين هو الاسكندر بن فيلقوس الرومي الذي ملك الدنيا
باسرها اذ لو كان غيره لانتشر خبره ولم يخف مكانه عادة يحكى انه لما مات ابوه جمع ملك الروم بعد ان كان طوائف ثم قصد ملوك المغرب وقهرهم وامعن حتى
انتهى الى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر فبنى الاسكندرية وسماها باسم نفسه ثم دخل الشام وقصد بني اسرائيل وورد بيت المقدس وذبح في مذبحه ثم
عطف الى ارمينية وباب الابواب ودانت له العراقيون والقبط والبربر ثم توجه نحو دارا بن دارا وهزمه مرات الى ان قتله متولي على ممالك الفرس
ثم قصد الهند والصين وغزا الامم البعيدة ورجع الى خراسان وبنى المدن الكثيرة ورجع الى العراق ومرض بشهرزور ومات بها قال الامام فخر الدين
الرازي لما ثبت بالقرآن ان ذا القرنين كان رجلا ملك الارض بالكلية او ما يقرب منها وثبت من علم التاريخ ان من هذا شانه ما كان الا الاسكندر وجب
القطع بان ذا القرنين هو الاسكندر قال وفيه اشكال لانه كان تلميذ الارسطاطاليس الحكيم وكان على مذهبه فتعظيم الله اياه يوجب الحكم بان مذهب
ارسطو حق وصدق وذلك مما لا سبيل اليه قلت ليس كل ما ذهب اليه الفلاسفة باطلا فلعله اخذ منهم ما صفا وترك ما كدر والسبب في تسميته بذي
القرنين انه بلغ قرني الشمس اي مطلعها ومغربها وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها وقيل كان له قرنان صغيران وقيل
انقرض في وقته قرنان من الناس وعن وهب انه سمي بذلك لانه ملك الروم وفارس وقيل الروم والترك وعنه كانت صفحتا راسه من نحاس وقيل كان
على راسه ما يشبه القرنين وقيل لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا كانه ينطح اقرانه وقيل راى في المنام كانه صعد الفلك وتعلق بطرفي الشمس
اي بقرنيها وزعم الفرس ان دارا الاكبر تزوج بابنة فيلقوس فلما قرب منها وجد رائحة منكرة فردها الى ابيها وكانت قد حملت منه بالاسكندر وولدت
الاسكندر وبقي عند فيلقوس واظهر انه ابنه وهو في الحقيقة ابن دارا الاكبر وقال ابو الريحان انه من ملوك حمير والدليل عليه ان الاذواء كانوا
من اليمن كذي يزن وغيره ويروى انه ملك الدنيا باسرها اربعة ذو القرنين وسليمان وهما مؤمنان ونمرود وبخت نصر وهما كافران واختلفوا فيه
فقيل كان عبدا صالحا مكنه الارض واعطاه العلم والحكمة والبسه الهيبة وسخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة من ورائه
وعن علي عليه السلام سخر له السحاب ومدت له الاسباب وبسط له النور وقال احب الله واحبه وسال ابن الكوا وكان من اصحابه ما ذو القرنين املك ام نبي فقال
ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الايمن في طاعة الله اي في جهاده فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه الله فسمي
ذو القرنين وفيكم مثله يعني نفسه قالوا وكان ذو القرنين يدعو الناس الى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله وقيل كان نبيا لقوله انا مكنا له في الارض
والتمكين المعتد به هو النبوة ولقوله وآتيناه من كل شيء سببا وظاهره العموم فيكون قد نال اسباب النبوة ولقوله قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب
وتكليم الله بلا واسطة لا يصلح الا للنبي وقيل كان ملكا من الملائكة عن عمر انه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا اما رضيتم ان تسموا
باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء الملائكة قوله ساتلو عليكم اي سافعل هذا ان وفقني الله تعالى وانزل فيه وحيا والخطاب في عليكم للسائلين وهم
اليهود او قريش كابي جهل واضرابه وآتيناه من كل شيء سببا طريقا موصلا اليه والسبب في اللغة هو الحبل والمراد هاهنا كل ما يتوصل الى المقصود من علم او قدرة

اوآلة وذلك انه اراد بلوغ المغرب فاتبع سببا واصله اليه وكذا اراد المشرق فاتبع سببا موصلا واراد بلوغ السد فاتبع سببا ادى اليه ثم
انه سبحانه شرع في نعت مسيره الى المغرب قائلا فاتبع سببا اي سلك طريقا افضى به الى سمت المغرب ومن قرا بقطع الهمزة فمعناه اتبع نفسه سببا
حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حامية اي حارة ومن قرا حمئة فلا الف مهموزا فمعناه ذات حماة اي طين اسود ولا تنافي بين
القراءتين من الجائز ان يكون العين جامعة للوصفين عن ابي ذر قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمل فراى الشمس حين غابت فقال اتدري
يا ابا ذر اين تغرب هذه قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تغرب في عين حامية قال حكماء الاسلام قد ثبت بالدليل اليقيني ان الارض كرة وانها
في وسط العالم وان السماء محيطة بها من جميع الجوانب وان الشمس في فلكها تدور بدوران الفلك وايضا قد وضح ان جرم الشمس اكبر من جرم الارض
بمائة وستين مرة تقريبا فكيف يعقل دخولها في عين من عيون الارض فتاويل الاية ان الشمس تشاهد هناك كانها في طرف العمارة كانها تغيب
وراء البحر الغربي كما ان راكب البحر يرى الشمس تغيب في الماء لانه لا يرى الساحل ولهذا قال وجدها تغرب ولم يجزم بانها تغرب في عين ولا شك
ان البحار الغربية توجد السخونة فهي حامية وايضا حمئة لكثرة ما في البحار من الطين الاسود اما قوله ووجد عندها قوما فالضمير للشمس اما لانه
وذلك ان الانسان لما تخيل ان الشمس تغرب هناك كان سكان ذلك الموضع كانهم سكنوا بالقرب من الشمس قال ابن جريج هناك مدينة لها اثنا عشر
الف باب لولا اصوات اهلها سمع الناس وجوب الشمس حين تجب كانوا كفرة فخيره الله بين ان يعذبهم بالقتل وان يتخذ فيهم حسنا وهو تركهم
احياء فاختار الدعوة والاجتهاد فقال اما من ظلم بالاصرار على الشرك فسوف نعذبه بالقتل في الدنيا ثم يرد الى ربه في الآخرة فيعذبه عذابا نكرا منكرا فظيعا
روى صاحب الكشاف عن قتادة انه كان يطبخ من كفر في القدور وهو العذاب النكر ومن آمن اعطاه وكساه وفيه نظر لان العذاب النكر بعيدا ان يرد الى
ربه لا يمكن ان يكون من فعل ذي القرنين ومن قرا جزاء بالنصب اراد فله الفعلة الحسنى جزاء ومن قرا بالرفع اراد فله الفعلة الحسنى التي هي كلمة الشهادة
او فله المجازي المثوبة الحسنى وسنقول له من امرنا اي مما نامر به الناس من الزكوة والخراج وغير ذلك يسرا اي قولا ذا يسر ليس بالصعب الشاق ثم حكى
الى اقصى المشرق قائلا ثم اتبع سببا اي هيأ اسبابا يلحق بها الى المشرق حتى اذا بلغ مطلع الشمس مكان طلوعها وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها
سترا عن كعب ان الستر هو الابنية وذلك ان ارضهم لا تمسك الابنية فليس هناك شجر ولا جبل ولا ابنية تمنع شعاع الشمس وتدفع حر عنهم فاذا طلعت الشمس
دخلوا في اسراب لهم واذا غربت اشتغلوا بتحصيل المعاش فحالهم بالضد من احوال سائر الخلق وعن مجاهد ان الستر الثياب وانهم عراة كالزنج وهذا
كل من سكن في البلاد القريبة من خط الاستواء كما حكى صاحب الكشاف عن بعضهم انه قال خرجت حتى جاوزت الصين فسالت عن هؤلاء فقيل بينك
وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى وحين قرب طلوع الشمس سمعت كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم افقت فلما طلعت الشمس
اذا هي فوق الماء كهيئة الذنب فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم والمقصود
في متعلق قوله كذلك وجوه احدها كذلك امر ذي القرنين اتبع هذه الاسباب حتى بلغ ما بلغ وقد علمنا حين ملكناه ما عنده من الصلاحية لذلك الملك
والاستقلال به الثاني لم نجعل لهم سترا مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الابنية او الثياب الثالث بلغ مطلع الشمس مثل الذي بلغ من مغربها الرابع
تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم فقضى في هؤلاء كما قضى في اولئك من تعذيب الظالمين والاحسان الى المؤمنين وقد سبق بعض
هذه الوجوه في الوقوف ثم حكى سفره الى ناحية القطب الشمالي بعد تهيئة اسبابه قائلا ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين قيل السد اذا كان بخلق الله
فهو بضم السين حتى يكون بمعنى مفعول اي هو مما فعله الله وخلقه واذا كان من عمل العباد فهو بالفتح حتى يكون حدثا قاله ابو عبيدة وابن الانباري
وانتصب بين على انه مفعول به كما ارتفع بالفاعلية في قوله لقد تقطع بينكم قال الامام فخر الدين الرازي الاظهر ان موضع السدين في ناحية الشمال
فقيل جبلان بين ارمينية واذربيجان وقيل في منقطع ارض الترك وحكى محمد بن جرير الطبري في تاريخه ان صاحب اذربيجان ايام فتحها وجه انسانا من ناحية
الخزر فشاهده ووصف انه بنيان رفيع وراء خندق وثيق منيع وقيل ان الواثق راى في المنام كانه فتح هذا الردم فبعث بعض الخدم اليه ليعاينوه فخرجوا
من باب الابواب حتى وصلوا اليه وشاهدوه ووصفوا انه بناء من لبن من حديد مشدود من النحاس المذاب وعليه باب مقفل ثم ان ذلك الانسان لما حاول
الرجوع اخرجهم الدليل الى البقاع المحاذية لسمرقند قال ابو الريحان البيروني ومقتضى هذا الخبر ان هذا الموضع في الربع الغربي الشمالي من المعمورة والله
اعلم بحقيقة الحال ولما بلغ الاسكندر ما بين الجبلين وجد من دونهما اي من ورائهما مجاوزا عنهما قوما لا يكادون يفقهون بانفسهم او يفقهون
غيرهم قولا لانهم لا يعرفون غير لغة انفسهم سؤال كيف فهم منهم ذو القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض الخ واجيب بان كاد نفيه اثبات اد
لعله فهم ما في ضميرهم بالقرائن والاشارات او بوحي والهام وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل مشتقان من اجيج الظليم في مشيه اذا هرول
وتاجج النار اذا التهبت ومن ماج الرمل او موج البحر سموا بذلك لشدتهم وسرعة حركتهم وهما من ولد يافث وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل والديلم
ومن الناس من وصفهم بصغر الجثة وقصر القامة حتى الشبر ومنهم من وصفهم بطول القامة وكبر الجثة واثبت لهم مخالب واضراسا كاضراس السباع اما
افسادهم في الارض فقيل كانوا يقتلون الناس وقيل ياكلون لحومهم وقيل يخرجون ايام الربيع فلا يتركون شيئا اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه
فهل نجعل لك خرجا وخراجا اي جعلا نخرجه من اموالنا ونظيرهما النول والنوال وقيل الخرج ما يخرجه كل احد من ماله والخراج ما يجبيه السلطان من البلد كل
سنة وقال قطرب الخرج الجزية والخراج في الارض قال ذو القرنين ما مكني فيه ربي اي جعلني فيه مكينا ذا مكانة من المال واليسار خير مما تبذلون لي من الخراج

قول سليمان فما اتانى الله خير مما اتيكم فاعينونى بقوة بالالات ورجال وضياع وقيل بمال اصرفه فى هذا المهم ولا اخذه لنفسى اجعل بينكم وبينهم ردما اكبر من السد من قولهم
ثوب مردم رقاع فوق رقاع وزبر الحديد قطعه قال الخليل الزبرة من الحديد القطعة الضخمة من قرا اتونى بالمد فظاهر ومن قرا ائتونى من الاتيان
فعلى حذف باء التعدية والنصب بنزع الخافض ثم ههنا اضمار اى فاتوه بها فوضع بعضها فوق بعض حتى اذا ساوى بين الصدفين وهما على القراات
جانبا الجبلين لانهما يتصادفان اى يتقابلان افرغ عليه قطرا الحذف لا ول اصب عليه النحاس المذاب وقطرا منصوب بافرغ والتقدير اتونى قطرا
افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثانى عليه وهذا مجمل ما يستدل به البصريون فى ان المختار عند تنازع الفعلين هو اعمال الثانى اذ لو عمل الاول
لقال افرغه عليه يحكى انه حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى سد
ما بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافخ حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا
صلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ وعن رسول الله صلعم ان رجلا اخبره به فقال كيف رايته قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد
والله رايته قال العلماء هذا معجز من ذى القرنين لان تلك الزبر الكثيرة اذا صارت كالنار لم يقدر الادمى على القرب منها وكانه تعالى صرف تاثير تلك
الحرارة العظيمة عن ابدانهم ولذلك النافخين فما اسطاعوا ان يظهروه اى يعلوه لارتفاعه وملاسته وما استطاعوا له نقبا لصلابته وثخانته ولما
تكرر لفظ الاستطاعة مرارا حذف عنها التاء تخفيفا فى الموضعين ثم اعاد ذكرها بالاخرة تنبيها على الاصل ورجوعا الى البداية ثم قال ذو القرنين
هذا السد او هذا الاقدار والتمكين نعمة من الله عز وجل ورحمة على عباده فاذا جاء اى قارب مجىء القيمة جعله دكا مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض وكلما
انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومن قرا دكاء بالمد فعلى الوصف اى جعله ارضا مستوية وكان وعد ربى حقا وهذا اخر حكاية ذى القرنين ثم شرع
سبحانه فى بقية الجبارين فقال وتركنا بعضهم يومئذ اى يوم جيء يخرجون مما وراء السد مزدحمين فى البلاد يروى انهم ياتون البحر فيشربون ماءه
وياكلون دوابه ولا يقدرون ان ياتوا مكة ولا المدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله نغفا وهو دود يكون فى انوف الابل والغنم فيدخل اذانهم فيموتون
وقيل اراد ان قوم السد لما منعوا من الخروج ماج بعضهم فى بعض خلفه وقيل الضمير للخلق واليوم يوم القيمة اى جعلنا الخلق يضطربون ويختلط
انسهم وجنهم حيارى ونفخ فى الصور من ايات القيمة وسيجىء وصفه ومعنى عرض جهنم ابرازها وكشفها للذين عموا عنها فى الدنيا وفى ذلك نوع من العقاب
للكفار لما يتداخلهم من الغم والفزع عن ذكرى اى عن اياتى التى ينظر اليها فاذكر بالتعظيم فاطلق المسبب على السبب او عن القران وتامل معانيه ووصفهم
بالعمى عن الدلايل والاثار فاراد ان يصفهم بالصمم عن استماع الحق فقال وكانوا لا يستطيعون سمعا وهو ابلغ من ان لو قال وكانوا صما لان الاصم قد يستطيع
السمع اذا صيح به وهؤلاء زالت عنهم الاستطاعة بالكلية احتج الاشاعرة بالاية على ان الاستطاعة مع الفعل لانهم لما لم يسمعوا لم يستطيعوا واجيب بان
المراد من نفى الاستطاعة النفرة والاستثقال ثم انه عاد الى التوبيخ والوعيد فقال افحسب الذين كفروا والمراد افظنوا انهم ينتفعون بما عبدوه مع
اعراضهم عن تدبر ايات الله وتمردهم عن قبول امره وامر رسوله وفيه اضمار تقديره افحسبوا اتخاذ عبادى اولياء نافعا والعباد اما عيسى والملئكة واما
الشياطين الذين يطيعونهم واما الاصنام اقوال ومن قرا افحسب الذين فمعناه افكافيهم ومحسبهم ان يتخذوهم اولياء على الابتداء والخبر او على انه مثل قائم
الزيدان يريد ان ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا قال الزجاج النزل المأوى والمنزل وقيل انه الذى يعد للضيف فيكون تهكما بهم نحو فبشرهم
بعذاب اما الذين ضل سعيهم اى ضاع وبطل فعن على انهم الرهبان كقوله عاملة ناصبة وروى عنه ان منهم اهل حروراء وعن مجاهد اهل الكتاب
والتحقيق انه يندرج فيه كل ما ياتى بعمل خير لا يبتنى على ايمان واخلاص وعن ابى سعيد الخدرى يأتى ناس باعمال يوم القيمة هى عندهم فى العظم كجبال تهامة
فاذا وزنوها لم تزن شيئا وذلك قوله فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا قال القاضى ان من غلبت معاصيه طاعاته صار ما فى طاعته كان لم يكن فلا
يدخل فى الوزن شىء من طاعاته وهذا مبنى على الاحباط والتكفير وفى قوله فحبطت اعمالهم اشارة الى ذلك او المراد فنزدرى بهم ولا يكون لهم عندنا
وزن ومقدار وقيل لا يقام لهم ميزان لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين ذلك الذى ذكرناه من انواع الوعيد جزاؤهم وقوله
جهنم عطف بيان للجزاء والسبب فيه انهم ضموا الى الكفر بالله اتخاذ ايات الله واتخاذ رسله هزؤا وتكذيبا ويجوز ان يكون كل من الامرين سببا مستقلا فى
التعذيب ثم اردف الوعيد بالوعد على عادته عن قتادة الفردوس اوسط الجنة وافضلها وعن كعب ليس فى الجنان اعلى من جنة الفردوس وفيها الامرون
بالمعروف والناهون عن المنكر وعن مجاهد الفردوس هو البستان بالرومية وعن النبى صلعم الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة عام والفردوس اعلاها
درجة ومنها الانهار الاربعة فاذا سالتم الله فاسئلوه الفردوس فان فوقها عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة قال اهل السنة جعل جنات الفردوس
نزلا فالاكرام التام يكون وراء ذلك وليس الا الرؤية ونظيره انه جعل جهنم باسرها نزلا فما وراءها هو العذاب الحقيقى وهو عذاب الحجاب كلا انهم
عن ربهم يومئذ لمحجوبون والحول التحول وفيه انه لا مزيد على نعيم الفردوس حتى تنازعهم انفسهم الى تلك الزيادة ويجوز ان يراد به تاكيد الخلود اى لا يحولون
فيطلب كقوله ولا هم يستعتبون لما ذكر انواع الدلايل والبينات وشرح اقاصيص سئل عنها نبه على كمال حال القران والمداد اسم لما يمد به الشىء
كالحبر للدواة والسراج والمعنى لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وفرض ان جنس البحر مداد لها لنفد البحر قبل نفاد الكلمات ولو جئنا بمثله
البحر مددا لنفد ايضا وهو تمييز من مثله كقولك على التمرة مثلها زبدا والمدد والمداد واحد وفى قراءة ابى مدادا قال ابن عباس ومن يؤت الحكمة فقد اوتى
خيرا كثيرا ثم تقرءون وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت هذه الاية يعنى ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله قالت الاشاعرة ان كلمات الله تعالى

واحد واعترض عليه بهذه الاية فانها صريحة فى اثبات كلمات كثيرة لله تعالى واجيب بان المراد من الكلمات متعلقات علم الله تعالى وزعم الجبائى ان قوله
قبل ان تنفد كلمات ربى يدل على ان كلمات الله قد تنفد بالجملة وما ثبت عدمه امتنع قدمه واجيب بان المراد الالفاظ الدالة على تعلقات تلك
الصفة الازلية قلنا لا نسلم ان نفاد شىء قبل نفاد شىء اخر لا يدل على نفاد الشىء الاخر ولا على عدم نفاده فلا يستفاد من الاية الا كثرة كلمات
الله بحيث لا يضبطها عقول البشر اما انها متناهية او غير متناهية فلا دليل فى الاية على احد النقيضين ولكن الحق فى نفس الامر ان كلمات الله لا نهاية
لانها تابعة لمعلوماته وهى غير متناهية بالبرهان ثم امر نبيه صلعم ان يسلك سبيل التواضع وهو ان حاله مقصور على البشرية لا يتخطاها الى الملكية الا
انه امتاز بنعت الايحاء اليه وكفى به نورا ومباينة ثم بين ان الموحى هو ان الحكم اله واحد وفى تخصيص هذا الوحى بالذكر فائدة هى ان ينبه على
صدقه فان من علامات صدق مدعى النبوة ان يدعو الى التوحيد ثم ان يدعو الى العمل الصالح المقترن بالاخلاص وذلك قوله فمن كان يرجوا اى يامل حسن
لقائه او يخاف سوء لقائه واللقاء بمعنى الرؤية عند الاشاعرة وبمعنى لقاء الثواب والعقاب عند المعتزلة فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا
قال المفسرون النهى عن الاشراك بالعبادة هو ان لا يرى بعمله ولا يبتغى الا وجه ربه يروى ان جندب بن زهير قال لرسول الله صلعم انى اعمل العمل لله فاذا
اطلع عليه سرنى فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه وروى انه قال لك اجران اجر السر واجر العلانية قال العلماء الرواية الاولى محمولة على ما اذا قصد
بعمله الرياء والسمعة والرواية الثانية محمولة على ما اذا قصد ان يقتدى به قال فى الكشاف عن رسول الله صلعم من قرا عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم
كان له فى مضجعه نورا يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملئكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى بيت المعمور
حشو ذلك النور ملئكة يصلون عليه حتى يستيقظ التاويل لما بين ان للانسان كما لا مكنونا وكنزا مدفونا يمكن له تحصيله بالتربية والرياضة
اراد ان يبين ان الانسان الكامل انما هو يستحق الخلافة فى الارض واوتى اسباب كل شىء فى عالم الوسايط والاسباب فبذلك يصير كاملا فى نفسه
مكملا لغيره فاتبع سببا من اسباب الوصول الى عالم السفلى وهو مغرب شمس الروح الانسانى فوجدها تغرب فى عين حمئة هى عالم القوى والطبايع
الاجساد ووجد عندها قوما هم القوى البدنية والنفوس الارضية قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذبهم بالقتل بسكين الرياضة وسيف المجاهدة
واما ان تتخذ فيهم حسنا هو الرفق والمداراة قال اما من ظلم بوضع خاصيته واستعمالها فى غير موضعها فسوف نعذبه بقهرهم على خلافها هو مراده وهواه
ثم يرد الى ربه وهو الشيخ الكامل الذى يربيه فيعذبه عذابا نكرا هو المنع عن مشتهياته او يرد الى الله تعالى فيعذبه بعذاب البعد والقطيعة واما من امن وعمل
صالحا فله جزاء الحسنى هو مقام الوصول والوصال وسنقول له من امرنا يسرا هو التخفيف والاستراحة بعد العنا والمجاهدة ثم اتبع اسباب الوصول الى عالم
الارواح وهو مطلع شمس النفس الناطقة الانسانية فوجدها تطلع على قوم من المجردين عن العلايق الجسمانية والعوايق السائرة حتى اذا بلغ بين السدين
وهو عالم التعيش بالبدن والجولان فى حواسه بقوام البدن وقيامه على وجه الجسمانية الى صلاح المعاد ونظامه وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون
قولا وهم العوام الذين قصارى امرهم الجهل البسيط ان ياجوج وماجوج القوى والطبايع مفسدون فى الارض البشرية باستعمال خواصها فى غير ما خلقت
هى لاجلها فهل نجعل لك خرجا هو بذل الوجود وبذل الموجود فاعينونى بقوة همة صادقة وعزيمة صادقة اتونى زبر الحديد ملكات راسخة وهيئات
ثابتة اوقلوبا من كالحديد فى المضاء وكالجبال الراسيات فى البقاء حتى اذا ساوى عرض ما بين طرفى العمر كما قيل من المهد الى اللحد قال انفخوا
بالمداومة على الاذكار والاوراد حتى اذا جعله نارا ابنار حرارة الطاعة والذكر فى حديد القلب قال اتونى افرغ عليه قطرا هو جوهر المحبة ذكيما
الاخلاص النافذ فى سويداء القلوب بحيث لا ينفذ فيه كيد الشيطان ولا يعلوه ما سوى الرحمن الله حسبى

سورة مريم مكية حروفها ثلثة الاف وثمانمائة وحرفان كلماتها تسعمائة واثنان وستون اياتها ثمان وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم
بنام خداوند بخشاينده مهربان

كهيعص ذكر رحمت ربك عبده زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب انى وهن
العظم منى واشتعل الراس شيبا ولم اكن بدعائك رب شقيا وانى خفت الموالى من ورائى
وكانت امراتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من ال يعقوب واجعله رب رضيا
يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا قال رب انى يكون لى غلام
وكانت امراتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا قال كذلك قال ربك هو على هين وقد

خلقتك من قبل ولم تك شيئا قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلث ليال
که آفریدم ترا از پیش و نبودی چیزی گفت پروردگارا بگردان برای من نشانه گفت نشانه تو آنست که سخن نگوئی مردم را سه شبان
سويا فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا يا يحيى خذ الكتاب
تندرست پس بیرون آمد بر گروه خود از عبادتگاه پس اشارت کرد بسوی ایشان که تسبیح کنید بامداد و شبانگاه ای یحیی بگیر کتاب را
بقوة وآتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكوة وكان تقيا وبرا بوالديه ولم
بتوانائی و دادیم او را سخن درست کودک و بخشایش از نزد ما و پاکی و باشد پرهیزگار و نیکی به پدر و مادر و نه
يكن جبارا عصيا وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا القراءة كهيعص باماله الهاء فقط ابو عمرو
بنا شد گردن کش نافرمان و درود بر او روزی که زاده شد و روزی که بمیرد و روزی که برانگیخته شود زنده

كهيعص باماله الياء فقط حمزة وخلف وقتيبة وابن ذكوان وقرأ علي غير قتيبة ويحيى وحماد باما لتهما وقرأ ابو جعفر ونافع والخزاعي عن البزي و ابن فليح بين الفتح والكسر والى الفتح اقرب بتفخيمهما صاد ذكر مدغما ابو عمرو وحمزة وخلف وابن عامر وسهل من وراءي بفتح الياء مهموزا ابن كثير غير زمعة والخزاعي عن البزي وقرأ زمعة عن ابن كثير والخزاعي عن البزي من وراى مثل عصاى يرثني ويرث بالجزم فيهما ابو عمرو وعلي الباقون برفعهما نبشرك لنا وكلها في آخر السورة حمزة عتيا وجثيا وصليا وبكيا بكسر الاوائل حمزة وعلي وافق حفص الا في بكيا الخراز عن هبيرة عتيا الاولى بالكسر والثانية بالضم وقد خلقناك حمزة وعلي الآخرون خلقتك على التوحيد لاهب بفتح ابو جعفر ونافع وابو عمرو وعلي الباقون بهمزة نسيا بفتح النون حمزة وحفص وابن شنبوذ عن اهل مكة الوقوف كهيعص كوفي زكريا ه لجواز تعلق اذ بذكر رحمة ربك لاحتمال انتصابه باذكر مقدرا خفيا ه شقيا ه وليا ه لا يعقوب ه والوجه الوصل لعطف الجملتين المتفقتين يحيى لا لان ما بعده صفة غلام والاستيناف ليس بقوى سميا ه عتيا ه كذلك ط قال ربك ه على تقدير الامر كذلك شيئا آية ط سويا ه وعشيا ه بقوة ط صبيا ه لا للعطف اي آتيناه الحكم وحنانا منا عليه وزكوة ط تقيا ه لا عصيا ه حيا ه التفسير حروف التهجي في الوقف ثنائية وثلاثية وقد جرت عادة العرب باماله الثنائيات وبتفخيم الثلاثيات وفي الراي عند الامر ان لانه قد يلحق باخره ياء وقد لا يلحق فيصير ثنائيا ولا ريب ان التفخيم اصل والامالة فرع عليه فمن قرأ باماله الهاء والياء معا فعلى العادة ومن قرأ بتفخيمهما جميعا فعلى الاصل ومن قرأ باماله احدهما فلرعاية الجانبين وقد روى صاحب الكشاف عن الحسن انه قرأ بضمهما فقيل لانه تصور ان عين الكلمة فيهما واو فنبه بالضم على اصلها والبحث عن هذه الفواتح قد سلف في اول البقرة ومما يختص بهذا الموضع ما روي عن ابن عباس ان قوله كهيعص ثناء من الله تعالى على نفسه فالكاف كاف لامور عباده والهاء هاد والعين عالم او عزيز والصاد صادق وعنه ايضا انه حمل الكاف على الكريم او الكبير والياء على الكريم مرة وعلى الحكيم اخرى وعن الربيع بن انس ان الياء من مجير وهذا التفسير لا يخلو عن تحكم الا ان يستند الى الوحي او الالهام وارتفع ذكر رحمة على الخبر اي هذا المتلو من القرآن ذكر رحمة ربك وانتصب عبده على انه مفعول الذكر وزكريا عطف بيان وقرئ برفعهما على اضافة المصدر الى المفعول وعن الكلبي انه قرأ ذكر بلفظ الماضي مشددا تارة ورحمة وعبده منصوبان على المفعولية ومخففا اخرى وعبده مرفوع على الفاعلية وقرئ ذكره على الامر وهي قراءة ابن معمر وقيل يحمل على هذا ان يكون الرحمة عبارة عن زكريا لان كل نبي رحمة لامته ويجوز ان يكون رحمة لنبينا ولامته لان طريقه في الاخلاص والابتهال يصلح لان يقتدى به وكان ذكره رحمة لنا ولنبينا وفي خفاء ندائه وجوه منها ان الاخفاء ابعد عن الرياء وادخل في الخشية وهذا فسره الحسن بانه نداء لا رياء فيه ومنها انه اخفاه لئلا يلام على طلب الولد في غير وقته ومنها انه اسره من مواليه الذين خافهم ومنها انه خفت صوته لضعفه وهرمه كما جاء في صفة الشيخ صوته خفات وسمعه تارات و لعله انى باقصى ما يقدر عليه من الصوت ومع ذلك كان خفيا لنهاية كبره ثم شرع في حكاية ندائه قائلا قال رب اني وهن العظم مني الى قوله واجعله رب رضيا قال علماء المعاني في الآية لطائف وذلك ان اصل الكلام يا رب قد شخت فان الشيخوخة مشتملة على ضعف البدن وشيب الرأس ثم ترك الاجمال الى التفصيل لتوخي زيادة التقرير فصار ضعف بدني وشاب راسي ثم في القرينة الاولى عدل من التصريح الى الكناية التي هي ابلغ منه فصار وهنت عظامي فان وهن عظام البدن لازم لضعفه ثم بنيت الكناية على المبتدأ النحوي ليحصل تقوي الحكم فحصل انا وهنت عظام بدني ثم سلك طريق الاجمال و التفصيل لمزيد البيان فصار اني وهنت العظام من بدني فقد فصلت ثم ترك توسيط البدن لطلب مزيد اختصاص لانك اذا قلت اني وهنت العظام افاد ان عظاما واهنة عندك فاذا قلت من بدني فقد فصلت ثم ترك توسيط البدن لطلب مزيد اختصاص العظام افاد ان عظاما بحصل له وهنت العظام مني واذا حصل الوهن في هذا الجنس الذي هو اصلب الاعضاء وبه قوام البدن وقد يكون جنة لسائر الاعضاء الرئيسة كالقحف للدماغ والقص للقلب فغير الاعضاء الاخر اولى واما القرينة الاخرى فتركت الحقيقة فيها الى الاستعارة التي هي ابلغ فحصل اشتعل شيب راسي وبيان الاستعارة فيه انه شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وانارته وشبه انتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل ماخذ باشتعال النار ثم اخرجه مخرج الاستعارة بالكناية بان حذف المشبه به واداة التشبيه فصار اشتعل شيب راسي ويمكن تقرير الاستعارة بوجه آخر ويمكن ان يكون اشتعل بدل انتشر فيكون الاستعارة تبعية تصريحية وقرينتها ذكر الشيب ثم تركت هذه المرتبة الى ابلغ منها وهي اشتعل راسي شيبا وكونها ابلغ من جهات منها اسناد الاشتعال الى الراس لافادة شمول الاشتعال الراس كما لو قلت اشتعل بيتي نارا مكان اشتعل النار في بيتي ومنها الاجمال والتفصيل

الواقعان في طريق التمييز ومنها تنكير شيبا للتعظيم كما هو حق التمييز ثم عدل الى مرتبة اخرى هي اشتعل الراس مني شيبا لتوخي مزيد التقرير الا ثم البيان على نحو وهن العظم مني ثم ترك لفظ مني لسبق ذكره في القرينة الاولى ففي ذلك احالة تادية المعنى على العقل دون اللفظ ولم يبق الحوالتين مع ان بناء الكلام على الاختصار حيث قال رب بحذف حرف النداء وياء المتكلم بناء للاختصار في آخره وانما الطنب في هذا المقام لان هذه الآية كالعلم فيما بين علماء المعاني ثم انه توسل الى الله عز وجل بما سلف له معه من الاستجابة قائلا ولم اكن بدعائك رب شقيا كما حكي ان محتاجا قال لكريم انا الذي احسنت الي وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل الينا وقضى حاجته تقول العرب سعد فلان بحاجته اذا ظفر بها وشقي بها اذا خاب ولم ينلها ومعنى بدعائك اي بدعائي اياك واعلم ان زكريا قدم على السؤال امورا ثلاثة الاول كونه ضعيفا والثاني انه تعالى لم يرد دعاءه و الثالث كون المطلوب بالدعاء سببا للمنفعة في الدين وذلك قوله واني خفت الموالي قال ابن عباس والحسن اي الورثة وعن مجاهد العصبة وعن ابي صالح الكلالة وعن الاصم بنو العم وهم الذين يلونه في النسب وعن ابي مسلم المولى يراد به الناصر وابن العم والمالك والصاحب وههنا من يقوم مقامه كالولد والمختار ان المراد من الموالي الذين يخلفون بعده اما في السياسة او في المال الذي كان له او في القيام بامر الدين وكان من عادتهم ان كل من كان الى صاحب الشرع اقرب كان متعينا للحبورة وقوله من ورائي اي بعد موتي لا يتعلق بخفت لان الخوف بعد الموت محال ولكن بمحذوف اي الموالي الذين يخلفون من بعدي او بمعنى الولاية في الموالي اي خفت ولايتهم وسوء خلافتهم بعدي فان زكريا انضم له مع النبوة الملك فخاف بعده على احدهما او عليهما وسبب الخوف القرائن والامارات التي ظهرت له من صفات احوالهم واخلاقهم وانما قال خفت بلفظ الماضي لانه قصد به الاخبار عن تقادم الخوف ثم استغنى بدلالة الحال كمسئلة الوارث واظهار الحاجة عن الاخبار بوجود الخوف في الحال وقرئ خفت الموالي بتشديد الفاء وعلى هذا المعنى وقرئ خلفي وبعدي اي قلوا وعجزوا عن اقامة الدين والاقامة توطابقه والظرف متعلق بالموالي ومعناه قدامي والظرف متعلق بخفت اي درجوا ولم يبق من تعتضد به ثم صرح بالمسئلة قائلا فهب لي واكده بقوله من لدنك اي وليا صادرا من عندك مضافا الى اختراعك لاني وامرأتي لا تصلح للولادة من قرأ يرثني ويرث بالجزم فيهما فهما جواب الدعاء ومن قرأ برفعهما فالاكثرون ومنهم جار الله قالوا انه صفة وقال صاحب المفتاح الاولى حمله على الاستيناف كانه قيل لم تطلب الولد فقال مجيبا يرثني اي انه يرثني لئلا يلزم منه انه لم يوهب من وصف بهذا لان يحيى قتل قبل زكريا واعترض بان حمله على الاستيناف يوجب اخبار غير النبي وكذب امتنع من كونه غير مستجاب الدعوة واجيب بان عدم ترتب الغرض من طلب الولد لا يوجب الكذب وقول الاعتراض باق لان المعنى يؤول الى قولنا هب لي وليا موصوفا بالوراثة او بان الغرض منه الوراثة او هب لي وليا اخبر عنه بانه يرثني وعلى التقادير يلزم عدم الاستجابة او الكذب والحق في الجواب هو ما سلف لنا في قصة زكريا من سورة آل عمران ان النبي لا يطلب في الدعاء الا الاصلح حتى لو كان الاصلح غير ما طلبه يصرف الله تعالى عنه كان المصروف هو بالحقيقة مطلوبه ويمكن ان يقال على الوراثة قد تحققت من يحيى في ذلك الكتاب والشرع معو لا بعد زكريا ايضا وقد روى صاحب الكشاف ههنا قراءة شاذة لا فائدة كثيرة في تعدادها الى قوله عن علي وجماعة وارث من آل يعقوب اي يرثني وبه وارث ويسمى التجريد في علم البيان فقيل هو ان يجرد الكلام عن تكرار الاول حتى يقول جاءني فلان فجاءني رجل لا تريد به الا الاول ولذلك لا تذكر اسمه في الجملة الثانية وتجرد الكلام عنه واقول يشبه ان يكون معنى التجريد هو انك تجرده عن جميع الاوصاف المنافية للرجولية وكذا في الآية كانه جرده عن منافيات الوراثة بالمرة واختلف المفسرون في انه طلب الذرية او طلب من يقوم مقامه ولدا كان او غيره والاول اظهر لقوله في آل عمران رب هب لي من لدنك ذرية طيبة ولقوله في سورة الانبياء رب لا تذرني فردا وجه المخالفة انه لما بشر بالولد استعظم وقال انى يكون لي غلام ولو كان دعاؤه لاجل الولد لما استعظم ذلك والجواب تام في آل عمران واختلفوا ايضا في الوراثة فعن ابن عباس والحسن والضحاك هي وراثة المال وعنهم ايضا ان المراد يرثني المال ويرث من آل يعقوب النبوة او بالعكس وفي رواية ابي صالح ان المراد في الموضعين النبوة فلفظ الارث مستعمل في المال واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وفي العلم واورثنا بني اسرائيل الكتاب العلماء ورثة الانبياء وحجة الاولين ما روي انه ص قال رحم الله زكريا وما عليه من يرثه فان ظاهره يدل على انه بالوراثة المال و كذا قوله ص انا معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة وايضا العلم والنبوة كيف يحصل بالميراث ولو كان المراد وراثة النبوة لم يحتج الى قوله واجعله رضيا لان النبي لا يكون الا رضيا واجيب بانه اذا كان المعلوم من حال الابن انه يصير نبيا بعده فيقوم بامر الدين جاز ان يقال ورثه والمراد بكونه رضيا ان لا يوجد منه معصية ولا هم بها كما جاء في حق يحيى في قدم الحديث هناك ولا يلزم من هذا ان يكون يحيى مفضلا على غيره من الانبياء كلهم فلعل لبعضهم فضلا بل اخر يختص به احتج الاشاعرة بالمسئلة لانه في مسئلة خلق الاعمال واجابت المعتزلة بانه يفعل به ضروب الالطاف فيختار ما يصير مرضيا عنده وزيف بانه ارتكاب المجاز على خلاف الاصل وبان فعل الالطاف واجب على الله فطلبه بالدعاء والتضرع عبث واعلم ان اكثر المفسرين على ان يعقوب المذكور في الآية هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم لان زوجة زكريا كانت من ولد سليمان بن داود من ولد يهوذا بن يعقوب واما زكريا فقد كان من ولد هرون اخي موسى وهرون وموسى من ولد لاوي بن يعقوب بن اسحق وكانت النبوة في سبط يعقوب وهو اسرائيل وزعم بعض المفسرين ان المراد هو يعقوب بن ماثان وهذا قول الكلبي ومقاتل وعن مقاتل ان بني ماثان كانوا رؤس بني اسرائيل وملوكهم قوله يا زكريا الاكثرون على انه نداء من الله تعالى لقرينة المخاطب من قوله رب انى يكون لي غلام ومنهم من قال هو نداء الملك لقوله في آل عمران فنادته الملائكة وجوز بعضهم الامرين واختلفوا في عدم التسمي فقيل انه لم يسم احد بيحيى قبله وقيل اراد انه لا نظير له كقوله هل تعلم له سميا وذلك انه حصل

وحصوراو لم يعص ولم يهم بمعصية فكانه جواب لقوله واجعله رب رضيا وايضا سمى يحيى قبل دخوله فى الوجود وولد بين شيخ فان وعجوز عاقر فلا نظير له فهذه الخواص قال بعض العلماء القول الاول اظهر لما فى الثانى من العدول عن الظاهر ولا يصار اليه الا لضرورة كما فى قوله فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا الا انا نعلم ان مجرد كونه تعالى لا سمى له لا يقتضى عبادته فنقول المسمى هناك يراد به المثل والنظير ويمكن ان يؤول التفرد بالاسم فيه ضرب من التعظيم فلا ضرورة فى الاية ايضا قال جار الله انما قيل للمثل سمى لان كل متشاكلين يسمى كل منهما باسم المثل والشبيه والشكل والنظير فكل واحد منهما سمى لصاحبه قلت فيه يقرب هذا من اطلاق اللازم وارادة الملزوم ولم سمى يحيى تكلفوا لوجوها فعن ابن عباس لانه تعالى احى عقر امه وعن قتادة لانه تعالى احى قلبه بالايمان والطاعة ومن كان ميتا فاحييناه اذا دعاكم لما يحييكم ولهذا كان اول من امن بعيسى وقيل لانه استشهد والشهداء احياء وقيل لان الدين احيى به لان زكريا سأله لاجل الدين قوله وقد بلغت من الكبر قال جار الله اى من اجل الكبر والطعن فى السن العالية فمن للتعليل ويجوز ان يكون للابتداء اى بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا وهو اليبس والجساوة فى المفاصل والعظام بمعنى العود وعتيا اذا عتى طول الزمان الى حالة اليبس سؤال انه قال فى ال عمران وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر فلم عكس الترتيب فى هذه السورة واجيب بان الواو لا يفيد الترتيب قلت ان ذا ورد على الاصل وهو تقديم نقص نفسه وههنا راعى الفاصلة قال الامر كذلك تصديقا له ثم ابتدا قائلا قال ربك فمحل كذلك رفع ويحتمل ان يكون نصبا بقال وذلك اشارة الى مبهم يفسره قوله هو اى خلق الغلام على هين ويحتمل ان يكون اشارة الى قول زكريا انى يكون لى غلام اى كيف تعطينى الغلام ابان تجعلنى وزوجتى شابين او بان تتركنا على الشيخوخة فاجيب بقوله كذلك اى نهب الولد لك مع بقائك وبقاء زوجتك على حالتكما ولفظ الهين مجاز عن كمال القدرة وهو فعيل من كان هان الشىء يهون اذا لم يصعب ولم يمتنع عن المراد ولم تك شيئا لان المعدوم ليس بشىء او شيئا يعتد به كالنطفة او كالجواهر التى لم تنل الحياة بعد وفيه نفى استبعاد زكريا لان خلق الذات ثم تغيرها فى اطوار الصفات اهون من تبديل الصفات وهو احداث القوة المولدة فى زكريا وصاحبته بعدان لم يكن قال رب اجعل لى اية وقد مر تفسيره فى اول ال عمران الا انه قوله سويا فقيل انه صفة لليالى اى تامة كاملة والاكثرون على انه صفة زكريا اى انت سليم الجوارح مستوى الخلق ما بك خرس ولا عى فخرج على قومه من المحراب قيل كان له موضع ينفرد فيه للصلوة والعبادة ثم ينتقل الى قومه وقيل كان موضعا يصلى فيه هو وغيره الا انهم كانوا لا يدخلونه للصلوة الا باذنه فاوحى اليهم عن مجاهد اشار بدليل قوله فى ال عمران الا رمزا وعن ابن عباس كتب لهم على الارض وان مفسرة وسبحوا اى صلوا او على الظاهر وهو قول سبحان الله عن ابى العالية ان البكرة صلوة الفجر والعشى صلوة العصر فلعلهم كانوا يصلون معه هاتين الصلوتين فى محرابه وكان يخرج اليهم ويأذن لهم بلسانه فلما اعتقل لسانه خرج اليهم كعادته ففهمهم المقصود بالاشارة او الكتابة وههنا اضمار والمراد فبلغ يحيى المبلغ الذى يجوز ان يخاطب فقلنا له يا يحيى خذ الكتاب اى التورية لانها المعهود ويحتمل ان يكون كتابا مختصا به وان كنا لا نعرفه الان كقول عيسى انى عبد الله اتانى الكتاب والمراد بالاخذ اما الاخذ من حيث الحس واما الاخذ من حيث المعنى وهو القيام بمواجبه كما ينبغى وذلك بتحصيل ملكة تقتضى سهولة الاقدام على المامور به والاحجام عن المنهى عنه ثم اكده بقوله بقوة اى بجد وعزيمة واتيناه الحكم اى الحكمة عن ابن عباس هو فهم التورية والفقه فى الدين ولذلك لما دعاه الصبيان الى اللعب وهو صبى قال ما للعب خلقت وعن معمر العقل وقيل النبوة وكل هذه الاوصاف على الاقوال من الخوارق كما فى حق عيسى فلا استبعاد الا من حيث العادة والحنان اصله توقان النفس ثم استعمل فى الرحمة وهو المراد ههنا وما قيل انه يحتمل انه اراد حنانا منا على زكريا او على امه يحيى لا يساعده وجود الواو وقيل اراد اتيناه الحكم والحنان على عبادنا كقوله فى نبينا فبما رحمة من الله لنت لهم واراد بقوله وزكوة انه مع الاشفاق عليهم كان لا يخل باقامة ما يجب عليهم لان الرأفة فى الدين ربما يورث ترك الواجب ولهذا قال ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ولا يخفى انه لا يساعده هذا القول وجود لفظة منا وعن عطاء ان معنى حنانا تعظيما منا لدنا وعن ابن عباس وقتادة والضحاك وابن جريج ان معنى زكوة عملا صالحا زكيا وقيل زكيناه بحسن الثناء عليه كما يزكى الشهود وقيل بركة كقول عيسى جعلنى مباركا وقيل صدقة اى يتعطف على الناس ويتصدق عليهم ثم اخبر مجاهد عن جملة احواله بقوله وكان تقيا بحيث لم يعص الله ولا هم بمعصية قط وبرا بوالديه لان تعظيم الوالدين تلو تعظيم الله ولم يكن جبارا عصيا وذلك ان الزاهد فى الدنيا فلما يخلو عن طلب ترفع والعجب فى احرام فذكر انه مع غاية زهده كان موصوفا بالتواضع للخلق وبخفوا العبودية للحق قال سفيان الجبار الذى يقتل عند الغضب لبيله قوله اتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون جبارا فى الارض ثم انه سبحانه سلم عليه فى ثلثة مواطن هى اوحش المواطن واحوجها الى طلب السلامة فيها ويحتمل ان يكون هذا السلام من الملئكة عليه الا انه لما كان باذن الله كان كسلام الله قيل انما قال حيا مع ان المبعوث هو الحى الى حال الحيوة تنبيها على كونه من الشهداء وهم احياء الا انه لما يجىء فى قصة عيسى ويوم ابعث حيا وذلك انه ورد فى الاخبار ان عيسى سيموت بعد النزول والظاهر انه اراد ويوم يجعل حيا فوضع الاخص موضع الاعم تأكيدا قيل سلم عليه يوم ولد لا بد ان يكون تفضلا من الله تعالى لانه لم يتقدم منه عمل يجزى عليه واما الاخران فيجوز ان يكونا لاجل الثواب قلت اكثر اموره خارق للعادة فيحتمل ان يوجد منه فى بطن امه عمل يستحق الثواب كما يحكى ان امه قالت لمريم وهما حاملان انى ارى ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك التأويل ان زكريا الروح نادى ربه نداء خفيا من سر السر قال رب انى وهن منى عظم الروحانية واشتعل شيب صفات البشرية اى خفت صفات النفس ان تغلب كانه انى يعنى الجنة التى هى روح الروح عاقر لا تلد الا بموهبة من الله فهب لى من لدنك سالا فاعطاه الله نبيا وهو فى الحقيقة القلب الذى هو معدن

اعتقل

ليتكلم

العلم اللدنى فانه ولد الروح والنفس اعداء عدو يرثنى ويرث من ال يعقوب اى يتصف بصفة الروح وجميع الصفات الروحانيات واجعله رب رضيا بان نوطنه من تجلى صفات ربوبيتك ما ترضى به بطنه ولسوف يعطيك ربك فترضى اسمه يحيى ان الله احياه بنوره لم نجعل له من قبل سميا الا من الحيوانات ولا من الملئكة لانه هو الذى يقبل فيض الالوهية بلا واسطة وهو سر حمل الامانة كما قال ولكن يسعنى قلب عبدى المؤمن وقد بلغت من الكبر اى بسبب طول زمان تعلق القلب بالقالب عتيا يبسا وجفافا من غلبات صفات النفس اية ان لا تكلم الناس لا تخاطب الا الله ولا تلتفت الى ما سواه ثلث ليال هى ثلث مراتب الجمادات والحيوانات والروحانيات سويا متمكنا فى هذا الحال من غير تلون فخرج زكريا الروح من محراب هواه وطبعه على قوم صفات نفسه وقلبه وانانيته فاشار اليهم ان كونوا متوجهين الى الله معرضين عما سواه اناء الليل واطراف النهار بل بكرة الازل وعشى الابد يا يحيى القلب خذ كتاب الفيض الالهى المكتوب لك فى الازل بقوة ربانية لا بقوة جسدانية لانه خلق ضعيفا واتيناه الحكم فى صباه اذ خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره وزكوة وتطهيرا من الالتفات الى غيرنا وبرا بوالديه الروح والقالب اما بالروح فلان القلب محل قبول الفيض الالهى لان الفيض يصيب الروح اولا لكن لا يمسكه لغاية لطافته كما ان الهواء الصافى لا يقبل الضوء وينفذ فيه واما القلب ففيه صفاء وكثافة فبالصفاء يقبل الفيض وبالكثافة يمسكه وهذا احد اسرار حمل الامانة واما بر والده القالب فهو استعماله على وفق الشريعة والطريقة ولم يكن جبارا عصيا كالنفس الامارة بالسوء وسلام عليه يوم ولد فى اصل خلقه ويوم يموت من استعمال المعاصى بالتوبة ويوم يبعث بالتربية والترقى الى مقام السلام الله حسبى واذكر فى الكتاب

مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا

سويا قالت انى اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما

زكيا قالت انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم اك بغيا قال كذلك قال ربك هو على

هين ولنجعله اية للناس ورحمة منا وكان امرا مقضيا فحملته فانتبذت به مكانا قصيا

فاجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فناديها من تحتها

الا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلى

واشربى وقرى عينا فاما ترين من البشر احدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم

انسيا فاتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا يا اخت هرون ما كان ابوك امرا

سوء وما كانت امك بغيا فاشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا قال انى

عبد الله اتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا اينما كنت واوصانى بالصلوة والزكوة

ما دمت حيا وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا والسلام على يوم ولدت ويوم اموت

ويوم ابعث حيا ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون ما كان لله ان يتخذ

من ولد سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وان الله ربى وربكم فاعبدوه

هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم

أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين ۝ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون ۝ إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون ۝ القراءة

اني اعوذ بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ليهب لك على الغيبة ابو عمرو ويعقوب وورش والحلواني عن قالون وحمزة في الوقف الآخرون لاهب على التكلم نسيا بفتح النون حمزة وحفص الباقون بكسرها من تحتها بكسر الميم على انه حرف جر وبجر التاء الثانية ابو جعفر ونافع وسهل وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الباقون بفتحهما على ان من موصولة والظرف صلتها تساقط بحذف تاء التفاعل حمزة والخزاز عن هبيرة تساقط من المفاعلة حفص غير الخزاز تساقط بتاء الغيبة على ان الضمير للجذع وبادغام التاء في السين سهل ويعقوب ونصير وحماد الباقون مثله ولكن بتاء التانيث على ان الضمير للنخلة ممالة مفتوحة الياء علي وقرأ حمزة مرسلة الياء مفخمة في الوصل ممالة في الوقف او صاحبا ممالة على قول الحق بالنصب ابن عامر وعاصم ويعقوب وان الله بكسر الهمزة عاصم وحمزة وعلي وخلف ابن عامر وروح والمعدل عن زيد الوقوف لئلا يبصر اذ لا ذكر شرقيا لا للعطف زكريا لتعياه كذلك الماء هين لجواز كون الواو مقحمة او معلقة بمحذوف كما يجيء منا لا للاختلاف الجملتين مقضيا قصيا لا النخلة لئلا الماضي من غير عاطف والأولى ان يكون ما بعده منسيا فامسيا سريا جنيا عينا للشرط مع الفاء احدا لا لان ما بعده جواب الشرط انسيا للعطف مع الآية تحمله فريا لتعياه البر صبيا لا عبد الله ط لان الجملة لا تقع صفة للمعرفة ويمكن ان يجعل معنى التحقيق في ان عاملا فيكون حالا اي وقف اينما كنت ص لطول الكلام حيا ص لذلك والوصل اولى لان قوله وبرا معطوف على قوله مباركا بوالدتي لتبدل الكلام من الاثبات الى النفي شقيا حيا عيسى ابن مريم على القراءتين لاحتمال انه اي قول الحق وان يجعل حالا واما في قراءة الرفع فاما ان يكون بدلا من عيسى او يكون التقدير هو قول الحق يمترون ه من ولد لا لا للشرط سبحانه ط فيكون لمن قرأ وان بالكسر فاعبدوه ط مستقيم من بينهم لان ما بعده مبتدأ مع الفاء عظيم وابصر لا لان ما بعده ظرف للتعجب مبين ه وسمعت عن مشايخي رحمهم الله ان الوقف على قوله قضي الامر لازم لان ما بعده جملة مستانفة ولو وصل لاوهم ان يكون حالا من القضاء وليس كذلك لا يؤمنون ه يرجعون ه التفسير هذا شروع في ابتداء خلق عيسى لا ريب ان خلق الولد من شيخين فانيين اقرب الى مناهج العادات من تخليق الولد من غير اب فلهذا اخر قصة عيسى عن قصة يحيى فبنا من باب الترقي من الادنى الى الاعلى وقوله اذ بدل الاشتمال من مريم لان الازمان مشتملة على ما فيها وفي هذا الابدال تفخيم لشان الوقت لوقوع قصتها العجيبة فيه والانتباذ افتعال من النبذ الطرح كانها القت نفسها الى جانب معتزلة عن الناس في مكان يلي شرقي بيت المقدس او شرقي دارها قال ابن عباس من ههنا اتخذت النصارى المشرق قبلة فاتخذت من دونهم حجابا لابد لهذا الاحتجاب من غرض صحيح فمن المفسرين من قال انها لما رات الحيض تباعدت عن مكانها المعتاد لكن تنتظر الطهر فتغتسل وتعود فلما طهرت جاءها جبريل ع وقيل طلبت الخلوة لاجل العبادة وقيل في مشرفة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط او بشيء يسترها وقيل كانت في منزل زوج اختها زكريا ولها محراب على حدة تسكنه وكان زكريا اذا خرج اغلق عليها بابها فتمنت ان تجد خلوة في الجبل لتفلي راسها فانفجر السقف لها فخرجت فجلست في المشرفة وراء الجبل فاتاها الملك وذلك قوله فارسلنا اليها روحنا يعني جبريل لان الدين يحيى به وبوحيه والاضافة للتشريف والتسمية مجاز كانه لم يجز انه روحي فتمثل لها حال كونه بشرا سويا تام الخلق او حسن الصورة وانما مثل لها في صورة الانسان لتستانس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا في الروحانية لجبريل مثلا تارة بالهيكل العظيم واخرى بالصغير عند مستبعد والذي اعتقده ان جبريل جسما جوزوا ان يكون له اجزاء اصلية قليلة واجزاء فاضلة فتلك الاجزاء الاصلية يكون متمكنا من التشبيه بصورة الانسان ولندرة امثال هذه الامور لا يلزم منها قدح في العلوم العادية المستندة الى الحس فلا يلزم الشك في ان زيدا الذي نشاهده الان هو الذي شاهدناه بالامس قوله ان كنت تقيا اي ان كان يرجى منك ان تتقي الله ويحصل بالاستعاذة به فاني عائذة به منك وقيل انه كان في ذلك العصر انسان فاجر اسمه تقي كان يتبع النساء فظنت ان ذلك التمثيل هو ذلك الشخص فاستعاذت بالله وقيل ان نافية اي ما كنت تقيا حين استحللت النظر الي والخلوة بي وحين علم جبريل خوفها قال انما انا رسول ربك ارسلني لاهب لك او ليهب لك غلاما زكيا طاهرا من الذنوب ينمو على النزاهة والعفة وكيف زال خوفها بمجرد التمثل احتمل ان يكون قد ظهر لها معجز من جهة زكريا او ارهاصا لعيسى او الهاما من الله سبحانه وهل يقدر الملك على تركيب الاجزاء وخلق الحيوة والنطق حتى صح قول جبريل لاهب لك قال اجمعت الامة على ان لا قدرة للاجسام على ايجاد الجواهر واعدامها والا فلا استبعاد في تأثير بعض الاجسام في بعض لخاصية خصها الله بها ووجه صحة هذه القراءة ان جبريل صار سببا في النفخ في الدرع قالت استغرابا من جهة العادة لا تشكيكا في قدرة الله اني يكون لي غلام لم تقل فيهما ربي لانها تخاطب جبريل وانما اكتفاء بما سلف في آل عمران ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا هي الفاجرة التي تبغي الرجال عن المبرد ان اصله بغوي على فعول فقلبت الواو ياء ثم ادغمت في الياء وكسرت الغين للمناسبة عن ابن جني انه فعيل والا لقيل بغو كنهو عن المنكر خصصت بعد ما عممت لزيادة الاعتناء بهذا الخزي بزيادة استهجان الفحشاء ولما جرى في اول القصة من تمثل جبريل لها بصورة البشر حتى ظنت انه يريدها بسوء فاستعاذت بالرحمن منه بخلاف هذه القصة في آل عمران فانها بنيت على الامن والبشارة بقوله واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك فلم يحتج الى هذه الزيادة وقال جار الله المس عبارة عن النكاح الحلال لانه كناية عنه لقوله من قبل ان تمسوهن او لمستم

النساء وانما يقال في الزنا فجر بها وخبث بها ونحو ذلك ولا يليق به الكنايات والآداب قلت لو سلم هذا من حيث اللغة الا انه لا بد لزيادة قوله ولم اك بغيا في هذا المقام من فائدة وقد عرفت ما سنح لنا والله اعلم قال كذلك قال ربك هو علي هين تفسيره كما مر في قصة زكريا ولنجعله اي ولنجعل الغلام او خلقه آية للناس يستدل بها على كمال اقتدارنا على ابداع الغرائب فعلنا ذلك ويجوز ان يكون معطوفا على تعليل مضمر يتعلق بما يدل عليه هين اي نخلقه لنبين به قدرتنا ولنجعله آية وقد مر مثل هذا في قوله ولقد مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه ورحمة منا على عبادنا لان كل نبي رحمة لامته فيه يهتدون الى صلاح الدارين وكان امرا مقضيا مقدرا في اللوح او امرا حقيقا بان يقضي به لكونه آية ورحمة وهذا مبني على ان رعاية الاصلح واجبة على الله وههنا اضمار قال ابن عباس فاطمأنت الى قوله فدنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة الى بطنها فحملت وقيل في ذيلها فوصلت الى الفرج وقيل في فيها وقيل ان النافخ هو الله كقوله فنفخت فيه من روحي وعلى هذا يقع تقديم ذكر جبريل كالضايع ولا سيما في قراءة من قرأ لاهب لك قيل حملته وهي بنت ثلاث عشرة سنة وقيل بنت عشر وقد حاضت حيضتين قبل ان تحمل وكم مدة حملها عن ابن عباس في رواية تسعة اشهر كما في سائر النساء لانها لو كانت مخالفة لهن في هذه العادة لناسب ان يذكرها الله تعالى في اثناء مدائحها وقيل ثمانية اشهر ولم يعش مولود لثمانية الا عيسى قال اهل التنجيم انما لا يعيش لانه لا يعود الى تربية القمر وهو معين ببرء غير حركة وغلبة البرد والرطوبة عليه وعن عطاء وابي العالية والضحاك سبعة اشهر وقيل ستة اشهر وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها وعن ابن عباس في رواية اخرى كان حمله ساعة واحدة لقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله الى قوله كن فيكون ولفاء التعقيب في قوله فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فاجاءها المخاض وعلى هذا فالمكان القصي هو اقصى الدار او وراء الجبل بعيدا من اهلها ومعنى انتبذت به اعتزلت متلبسة به وهو في بطنها وقصيا بالغ فاصيا وروى الثعلبي عن وهب قال ان مريم لما حملت فاول من عرف هو يوسف النجار ابن عمها وكانت سميته وكانا يخدمان المسجد ولا يعلم اهل زمانهما اكثر عبادة وصلاحا منهما فقال لها انه وقع في نفسي من امرك شيء ولا احب ان اكتمه عنك فقالت قل قولا جميلا فقال اخبريني يا مريم هل ينبت زرع بغير بذر قالت نعم الم تعلم ان الله تعالى انبت الزرع يوم خلقه من غير بذر او تقول ان الله لا يقدر على الانبات حتى يستعين بالماء الم تعلم ان الله تعالى خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا انثى فقال يوسف لا اقول هذا ولكني اقول ان الله قادر على ما يشاء وزال التهمة عن قلبه وكان ينوب عنها في خدمة المسجد لضيق قلبها واستيلاء الضعف عليها من الحمل فحين دنا نفاسها اوحى الله اليها ان اخرجي من ارض قومك كيلا يقتلوا ولدك فاحتملها يوسف الى ارض مصر على حمار له فلما بلغت تلك البلاد ادركها النفاس فالجاها الى اصل نخلة قال جار الله اجاء منقول من جاء الا ان استعماله قد تغير بعد النقل الى معنى الالجاء الا ترى انك لا تقول جئت المكان واجاءنيه زيد كما تقول بلغته وابلغنيه ونظيره آتى حيث لم يستعمل الا في الاعطاء ولم يقل اتيت المكان وآتانيه فلان قلت حاصله تخصيص ما التعدية بعد التغيير والمخاض بفتح الميم وجع الولادة قال الجوهري مخضت الناقة بالكسر مخاضا مثل سمع سماعا قيل طلبت الجذع لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة يروى انه كان جذع نخلة يابسة في الصحراء ليس لها راس ولا ثمرة ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف اما كتعريف النجم والصعق لكون ذلك الجذع مشهورا هناك واما للجنس اي جذع هذه الشجرة خاصة ارشدت اليها ليطعمها منها الرطب الذي هو خرسة النفساء اي طعامها الموافق لها ولان النخلة اقل الاشياء صبرا على البرد ولا تثمر الا باللقاح فكان ذلك الرطب من ذلك الجذع في الشتاء من دون لقاح وابار دليلا على حصول الولد من غير ذكر قال في الكشاف النسي ما من حقه ان يطرح وينسى كخرقة الطامث ونحوها ونظيره الذبح لما من شانه ان يذبح وعن يونس العرب اذا ارتحلوا عن منزل قالوا انسوا انساءكم يعنون العصا والقدح والشظاظ ونحوها تمنت لو كانت شيئا لا يعبأ به حقه ان ينسى في العادة ومعنى منسيا انه قد نسي واطرح فوجد فيه النسيان الذي هو حقه وانما تمنت ذلك لما لحقها من فرط الحياء والخجل او لانهم لو هوها وهي عارفة ببراءة ساحتها فشق ذلك عليها او لخوفها على الناس ان يعصوا الله بسببها ومن قرأ نسيا بالفتح فقد قال الفراء هما لغتان كالوتر والوتر ويجوز ان يكون تسمية بالمصدر كالحمل وقرئ نساء بالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء ينساه اهله لقلته ونزارته فناداها من تحتها الذي هو تحتها او انسان تحتها يعني جبريل بناء على انه كان يقبل الولد كالقابلة او اراد اسفل من مكانها لان مريم كانت اقرب الى الشجرة منه او كان جبريل تحت الاكمة وهي فوقها فصاح بها لا تحزني وعن الحسن وسعيد بن جبير ان المراد به عيسى لان ذكر عيسى اقرب ولان موضع اللوث لا يليق بالملك ولان الصلة يجب ان تكون معلومة للسامع والذي علم كونه حاصلا تحتها هو الولد ويجري القولان فيمن قرأ بكسر الميم وعن عكرمة وقتادة ان الضمير في تحتها للنخلة قوله سريا جمهور المفسرين على ان السري هو الجدول وروي ذلك عن النبي ص سمي به لان الماء يسري فيه وقيل هو من السرو ومعناه سخاء في مروءة ويقال فلان من سروات قومه اي من اشرافهم وجمع السري سراة وجمع سراة سروات عن الحسن كان والله عبدا سريا حجة هذا القائل ان النهر لا يكون تحتها بل الى جنبها ولا يمكن ان يقال المراد ان النهر تحت امرها يجري بامرها ويقف بامرها كما في قوله وهذه الانهار تجري من تحتي لانه خلاف الظاهر واجيب بان المكان المستوي اذا كان فيه مبدأ معين فكل من كان اقرب منه كان فوق وكل من كان ابعد منه كان تحت واراد ان النهر تحت الاكمة وهي فوقها وايضا حمل السري على النهر موافق لقوله وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين وقوله فكلي واشربي يروى ان جبريل ضرب برجله فظهر ماء عذب وقيل كان هناك ماء جار والاول اقرب لان قوله قد جعل ربك مشعر بالاحداث في ذلك الوقت قال القفال الجذع من النخلة هو الاسفل ما دون الراس الذي عليه الثمرة وقال قطرب كل خشبة في اصل شجرة فهي جذع والباء في قوله بجذع النخلة كالزائدة لان العرب تقول هزه وهز به والمعنى حركي جذع النخلة او افعلي الهز رطبا تمييز او مفعول تساقط على حسب القراءات اللازمة والمتعدية وعن الاخفش المراد جواز انتصابه بهزي اي هزي اليك رطبا جنيا بجذع النخلة اي على جذعها

والجنى الماخوذ طريا والظاهر انه ما اثمر الا الرطب فلقد صار نخلا وقيل انه كان على حاله وانه اثمر مع الرطب غيره قالوا اذا عسر ولادة المراة لم يكن لها خير من الرطب
والتمر للنفساء عادة من ذلك الوقت وكذا التحنيك والمراد انه جمع لها في السري والرطب احديهما الاكل والشرب وقدم الاكل مع ان ذكر السري مقدم
لان احتياج النفساء الى اكل الرطب اشد من احتياجها الى شرب الماء لكثرة ما سال من الدماء والتاني تسلية الصدر لكونهما معجزتين لزكريا او
ارهاصا لعيسى او كرامتين لمريم واشار الى هذه بقوله وقري عينا لان قرة العين تلزم قوة القلب والتسلي من الهموم والاحزان وقيل ان الم
النفس اشد من الم البدن فلم قدم دفع الم البدن على دفع الم القلب واجيب بان الخوف لنفسي كان قليلا لتقدم بشارة جبرئيل فكان لا تذكر كا فيا
فاما ترين اصله ترايين مثل تسمعين خففت الهمزة وسقطت نون الاعراب للجزم ثم الياء الضمير للساكنين وذلك بعد لحوق نون التاكيد قد مر في قوله
اما يبلغن عندك الكبر ان التاكيد في هذه الصورة يقصد به ان الشرط مما سيقع غالبا فان نسبه لا بد ان ترى احدا من البشر عادة عن انس نذرت لك
الصوم هنا الصمت وعن ابن عباس مثله وقال ابو عبيدة كل ممسك من طعام او كلام او سير فهو صائم وقيل اراد الصيام الا انهم كانوا لا يتكلمون
في صيامهم قال القفال لعل مثل هذا النذر يجوز في شرعنا لان الاحتراز عن كلام البشر بتجريد الفكر لذكر الله تعالى وهو قربة لعله لا يجوز لما فيه
من التضييق والتشديد ولا حرج في الاسلام وفي الكشاف نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت روي انه دخل ابو بكر الصديق على امراة وقد نذرت
انها لا تتكلم فقال ابو بكر ان الاسلام هدم هذا فتكلمي وفي امرها بهذا النذر معينان احدهما ان كلام عيسى اقوى في ازالة التهمة وفيه ان تفويض الامر الى
الافضل اولى والثاني ان السكوت عن جدال السفهاء اصون للعرض ومن اذل الناس سفيه لم يجد مسافها وكيف اخبرتهم بالنذر وقيل بالاشارة ولا
لزم النقض وقيل خص هذا الكلام بالقرينة العقلية وقوله انسيا اراد المبالغة في نفي الكلام او اراد نفي كلام الملئكة دون الانس وهذا اشبه بقوله
فاما ترين من البشر فاتت به اي بعيسى قومها تحمله الخ حال عن وهب قال انساها كربة الميلاد وما سمعت من الناس من بشارة الملئكة فلما كلمها جاءها
مصداق ذلك فاحتملته فاقبلت به الى قومها وعن ابن عباس ان يوسف النجار انتهى بها الى غار فلبثوا فيه اربعين يوما حتى طهرت من نفاسها ثم جاءت
تحمله فكلمها عيسى في الطريق فقال يا اماه ابشري فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت به على قومها بكوا وقالوا لقد جئت شيئا فريا بديعا من فرى
الجلد وليس في هذا ما يوجب تعيرا وذما لان امرها كان خارجا عن العادة ويحتمل انه اراد انه امر منكر خارج عن طريق العفة والصلاح فيكون توبيخا
ويؤكده قولهم يا اخت هرون الاية واختلفوا في هرون فقيل كان اخاها من ابيها من امثل بني اسرائيل وهذا الظهر لان حمل اللفظ على الحقيقة اولى من
غيره وقيل يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انهم عنوا هرون النبي اخا موسى عليهما السلام وكانت من اعقابه في طبقة الاخوة وبينهما الف سنة واكثر وعن السدي
كانت من اولاده والمراد انها واحدة منهم كما يقال يا اخا همدان اي يا واحدا منهم وقيل اراد رجلا صالحا في زمانها اي كنت عندنا مثله في الصلاح
يحكى انه تبع جنازته اربعون الفا كلهم يسمى هرون تبركا به وباسمه وقيل كان رجلا طالحا معلنا بالفسق فشبهوها به على سبيل التهكم ويروى انهم هموا
برجمها فاشارت اليه اي ان عيسى هو الذي يجيبكم وبم عرفت ذلك اما بان كلمها في الطريق او بالالهام او بالوحي الى زكريا او بقول جبرئيل على
ان امرها بالسكوت بعد ما سبق من البشارة اشارة الى ذلك وقيل كان المستنطق لعيسى زكريا وعن السدي لما اشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها
بنا اشد علينا من زناها ثم قالوا كيف نكلم من كان في المهد قال جار الله كان لايقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم يصلح القريب والبعيد وههنا
للزمان القريب خاصة والحال بدلالة الحال او هو حكاية حال ماضية اي كيف عهد قبل عيسى ان يكلم الناس صبيا في المهد حتى نكلم هذا ويحتمل ان يكون كان زائدة
نظرا الى اصل المعنى وان كان يفيد زيادة ارتباط مع رعاية الفاصلة او تامة وصبيا حال مؤكدة يروى انه كان يرضع فلما سمع مقالتهم ترك الرضاع واقبل
عليهم بوجهه واتكأ على يساره واشار بسبابته قائلا اني عبد الله فكان فيه اول رد لقول النصارى اتاني الكتاب هو الانجيل او التورية اي فهمها
وقيل اكمل الله عقله واستنباه طفلا بل في بطن امه وقيل اراد انه سبق في قضائه او جعل الاتي لا محالة كانه قد وجد والاول اظهر وصغر الجسم لا يفيد
في كمال العقل وخرق العادة فيه اكثر قالوا ان كمال عقله في ذلك الوقت خارق للعادة فيكون المعجز متقدما على التحدي وهو غير جائز ولو كان نبيا
في ذلك الوقت وجب ان يشتغل ببيان الشرايع والاحكام ولو وقع ذلك لاشتهر ونقل والجواب ان بعض معجزات النبي لا بد ان يكون مقرونا بالتحدي
اما الكل فممنوع وبعبارة اخرى لا بد ان يكون مقرونا بفعل خارق للعادة فانه لا يلزم اقترانه بالتحدي وكذا الكلام في بيان الشرايع فان بعض اوقات
النبي لا بد ان يقترن بدون كل اوقاته وحالاته على انه اشار الى بعض التكاليف بقوله واوصاني بالصلوة والزكوة كما يجيء وعن بعضهم انه كان نبيا
لقوله وجعلني نبيا ولكنه ما كان رسولا لانه ما جاء بالشريعة في ذلك الوقت ومعنى كونه نبيا انه رفيع القدر على الدرجة وضعف بان النبي في عرف
الشرع اخص من ذلك ومعنى كونه مباركا اينما كنت نفاعا حيثما كنت روي ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل معلما للخير وصل الكثير من اهل الكتاب
باختلافهم فيه لا يقدح في منصبه كما قيل على تحت القوافي من معادنها وما علي اذا لم يفهم البقر وهذه سنة الله في انبيائه ورسله كلهم وكذلك
جعلنا لكل نبي عدوا ويروى ان مريم سلمت عيسى الى المكتب فقالت للمعلم ادفعه اليك على ان لا تضربه فقال له اكتب فقال له اي شيء اكتب فقال
اكتب ابجد فقال لا اكتب شيئا الا ادري ثم قال ان لم تعلم ما هو فانا اعلمك الالف الاء الله والباء بهاء الله والجيم جمال الله والدال اداء الحق الى الله
وقيل البركة اصلها من بروك البعير والمعنى جعلني ثابتا في دين الله مستقرا فيه وانه امراة وهو يحيى الموتى ويبرئ الاكمه والابرص فقالت طوبى لبطن
حملتك وثدي ارضعتك فقال عيسى مجيبا لها طوبى لمن تلا كتاب الله واتبع ما فيه ولم يك جبارا شقيا واوصاني بالصلوة والزكوة اي بادائهما انما

فائدتان ع

عن العادة و لكن كل فعل خارق ع

في وقتهما المعينة وهو وقت البلوغ واما في الحال بناء على انه كان مع صغره كامل العقل تام التركيب بحيث يقوى على اداء التكاليف وبرا بوالدتي قوله
ما دمت حيا وقيل الزكوة ههنا صدقة الفطر وقيل تطهير البدن من درن الاثام وقيل اوصاني بان امركم بهما وفي قوله وبرا بوالدتي دلالة واشارة الى
برائتها من الزنا والا لم يكن الرسول المعصوم مامورا ببرها قال بعض العلماء لا تجد العاق الا جبارا شقيا وتلا قوله وبرا بوالدتي ولم يجعلني
جبارا شقيا ولا تجد سيئ الملكة الا مختالا فخورا وقرا وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا وانما نفى عن عيسى الشقاوة ونفى
عنه المعصية كما نفى عن يحيى لما جاء في الخبر ما احد من بني ادم الا اذنب او هم بذنب الا يحيى بن زكريا ومرّ قد عقيدة اهل السنة ان الانبياء معصومون
عن الكبائر دون الصغائر قوله والسلام علي قال العلماء انما عرف السلام ههنا بعد تنكيره في قصة يحيى لان النكرة اذا تكررت تعرفت على ان تعريف
الجنس وتنكيره قريب وقيل ان الادلة لله والقليل عنه كثير قليل منك يكفيني ولكن قليلك لا يقال له قليل واني لا ارضى منك بما هند بالذي
لو ابصره الواشي لقرت بلابله بلا وبان لا استطيع وبالمنى وبالوعد حتى يسام الوعد امله والثاني من عيسى والكثير منه لا يبلغ معشار سلام الله
عن بعضهم ان عيسى قال ليحيى انت خير مني سلام الله عليك وسلمت على نفسي واجاب الحسن بان تسليمه على نفسه هو تسليم الله عليه وقال جار الله
فيهذا التعريف تعريض باللعنة على متهمي مريم واعدائها من اليهود لانه اذا زعم ان جنس السلام خاصة فقد عرض بان ضده عليهم نظيره في قصة موسى
والسلام على من اتبع الهدى يعني ان العذاب على من كذب وتولى يروى انه كلمهم بهذه الكلمات ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان وعن اليهود والنصارى
انهم انكروا تكلم عيسى في المهد قالوا ان هذه الواقعة مما يتوفر الدواعي على نقلها فلو وجدت لاشتهرت وتواترت مع شدة غلو النصارى فيه وفي
مناقبه وايضا ان اليهود مع شدة عداوتهم له لو سمعوا كلامه في المهد بالغوا في قتله ودفعه في طفوليته واجاب المسلمون من حيث العقل بانه لولا كلامه
الذي دلهم على براءة امه من الذي قذفوه به لاقاموا عليها الحد ولم يتركوها ولعل حاضري كلامه قليلون فلذلك لم يبلغ مبلغ التواتر ولعل اليهود لم يحضروا
هناك فلذلك لم يشتغلوا وقصدوا بدفعه والله اعلم ذلك الموصوف بالصفات المذكورة من قوله اني عبد الله الى اخره هو عيسى بن مريم وفي كونه ابنا لهذه
المراة نفي كونه ابنا لله على ما زعمت النصارى واكد هذا المعنى بقوله قول الحق فان كان الحق هو اسم الله فهو كقوله كلمة الله وانتصابه على المدح وان كان بمعنى قول
الثابت والصدق فانتصابه على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة المتقدمة كقولك هو عبد الله الحق وقول الحق من اضافة الموصوف الى الصفة مثل حق اليقين
وقد ارتفاع على انه خبر بعد خبر او بدل او خبر مبتدأ محذوف ومعنى يمترون تشكون من المرية الشك او المراد يتمارون من المراء اللجاج وذلك ان
اليهود قالوا ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلاثة ثم صرح ببطلان معتقدهم فقال ما كان لله ما صح له وما استقام ان يتخذ من ولد كما لا
يستقيم ان لا يكون له شريك وقد مر مثل هذه الاية في سورة البقرة والذي نزيده ههنا ان بعضهم قال معنى الاية ما كان لله ان يقول لاحد انه ولدي لان
هذا الخبر كذب والكذب لا يليق بحكمته تعالى وزعم الجبائي بناء على هذا التفسير انه ليس لله ان يفعل كل شيء لان قوله ما كان لله ان يتخذ من ولد كقولنا ما كان
لله ان يظلم فلا يليق شيء منهما بحكمته وكمال الهيبة واجيب بان الكذب على الله محال والظلم تصرف في ملك الغير فلا يتصور في حقه فان اريد بهذا المعنى
فلا نزاع وان اريد شيئا اخر فلا بد من بيانه ثم احتج بعض الاشاعرة بالاية على قدم كلام الله لان قوله كن ان كان قديما فهو المطلوب وان كان محدثا
احتاج في حدوثه الى قول اخر وتسلسل واستدلت المعتزلة بها على حدوث كلامه قالوا ان قوله اذا قضى للاستقبال وذلك القول متاخر عن القضاء
المحدث والمتاخر عن المحدث محدث وايضا الفاء للتعقيب والقول متقدم عليه بلا فصل والمتقدم على المحدث بزمان قليل محدث وكلا
الاستدلالين ضعيف لانه لا نزاع في حدوث الحروف وانما النزاع في كلام النفس وايضا قوله كن عبارة عن نفاذ قدرته ومشيته والا فليس ثم قول لان
الخطاب مع المعدوم عبث ومع الموجود تحصيل للحاصل ومن الناس من زعم ان المراد من قوله فيكون صفة التكوين فانها زائدة على صفة القدرة
لانه قادر على عوالم اخر سوى هذا وغير مكون لها ولعل هذا الزاعم سمى تعلق القدرة بالمقدور تكوينا ومن قرا وان الله بالفتح فمعناه ولان الله ربي
وربكم فاعبدوه وفيه ان الربوبية هي سبب العبادة فمن لم يصح عبادته ربوبيته لا يستحق ان يعبد ولا رب بالحقيقة الا الله لانه خالق جميع الوسايط
الاسباب اليه فلا يستحق العبادة الا هو وههنا نكتة هي ان الله تعالى لا يصح ان يقول ان الله ربي وربكم فاعبدوه فالتقدير قل يا محمد بعد اظهار البراهين
الباهرة على ان عيسى عبد الله ان الله ربي وربكم وقال ابو مسلم الاصفهاني انه من تتمة كلام عيسى وما بينهما اعتراض وعن وهب بن منبه عهد اليهم حين
اخبرهم عن حاله وصفته ان كلنا عبد الله تعالى فاختلف الاحزاب من بينهم اي من بين اهل الكتاب قال الكلبي هم اليهود والنصارى وقيل النصارى
اختلفوا ثم اتفقوا على ان رجعوا الى علماء زمانهم وهم يعقوب ونسطور وملكا فقيل للاول ما تقول في عيسى فقال هو الله هبط الى الارض فاحيى
ثم صعد الى السماء فتبعه على ذلك خلق كثير وهم اليعقوبية وسئل الثاني فقال هو ابن الله فتابعه غيره وهم النسطورية وسئل الثالث فقال
كذبوا انما كان عبدا مخلوقا نبيا يطعم وينام فصار اخصمه وهو المؤمن المسلم وقيل كانوا اربعة والرابع اسرائيل فقال هو اله وامه اله والثالث
والروح واحد واعلم ان بحث الحلول والاتحاد فيه طول وقد يجر الكلام فيه الى مقامات يصعب الرقي اليها فلذلك للاصل فيه من ضل وزل عنه من زل والله سبحانه
اعلم من جميع ذلك واجل فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم اي من شهودهم هذا الجزاء والحساب في ذلك اليوم او من زمان شهودهم او من مكان شهودهم
فيه وهو الموقف ويحتمل ان يكون المشهد الشهادة اي من يشهد عليهم الملئكة والانبياء او جوارحهم فيه بالكفر والقبائح او من مكان الشهادة او وقتها
وقيل هو ما قالوه وشهدوا به في عيسى وامه يوم ولادته ومعنى التعليل اي الويل لهم من اجل المشهد وبسببه اسمع بهم وابصر صيغتا للتعجب والمراد انهما يتـ

الحاسنين منهم حين ان يتعجب منهما في ذلك اليوم بعد ما كانوا صما وعميا في الدنيا وذلك لكشف الغطاء ولحاق العيان بالخبر والتعجب استعظام الشيء بسبب عظم ثم جوز استعمال لفظ التعجب عند مجرد الاستعظام من غير خفاء السبب او من غير سبب قال سفيان قرأت عند شريح بل عجبت ويسخرون فقال ان الله لا يعجب من شيء انما يعجب من لا يعلم فذكرت ذلك لابرهيم النخعي فقال ان شريحا شاعر يعجبه علمه وعبد الله اعلم بذلك منه والمعنى انه صدر من الله فعل لو صدر مثله عن الخلق لدل على حصول التعجب في قلوبهم وقيل معنى الامر التهديد بما سيسمعون وسيبصرون مما يسوءهم وقيل امر اسمع هؤلاء وابصرهم ليعتبروا ويسوء عاقبتهم والوجه هو الاول يؤيده قوله لكن الظالمون اي لكنهم توضع المظهر موضع المضمر اليوم وهو يوم التكليف في ضلال مبين حيث اغفلوا النظر والاستماع وتركوا الجد والاجتهاد في تحصيل الزاد للمعاد وهو يوم الحسرة يتحسر اهل النار فيه وقيل اهل الجنة ايضا اذا راى الادنى مقام الاعلى والاول اصح لان هذه الخواطر لا توجد في الجنة لانها دار السرور واذ بدل من يوم الحسرة او منصوب بالحسرة ومعنى قضي الامر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عنه فقال يؤتى بالموت فيذبح كما يذبح الكبش والفريقان ينظران فيزداد اهل الجنة فرحا الى فرح واهل النار غما الى غم قال ارباب المعقول ان الموت عرض فلا يمكن ان يصير حيوانا فالمراد انه لا موت بعد ذلك وعن الحسن وهم في غفلة متعلق بقوله في ضلال مبين وقوله وانذرهم اعتراض ويحتمل ان يتعلق بانذرهم اي وانذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين ويحتمل ان يكونا ظرفا للانذار اي انذرهم حين قضي الامر ببيان الدلائل وشرح امر الثواب والعقاب ثم اخبر عنهم انهم في غفلة وهم لا يؤمنون ثم قرر بقوله انا نحن نرث ان امور الدنيا كلها زائل وان الخلق كلهم يرجعون الى حيث لا يملك الحكم الا الله وفيه من التخويف والانذار ما فيه التأويل واذكر في الكتاب مريم القلب اذ انتبذت من اهلها تفردت من اهل الدنيا متوجها الى جانب شرق النور الالهي فاتخذت من دونهم حجاب الخلوة والعزلة وارسلنا اليها روحنا وهو نور الالهام الرباني والخاطر الرحماني كقوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا فتمثل لها بشرا سويا كما تمثل روح التوحيد بحروف لا اله الا الله لانتفاع الخلق به قالت اني اعوذ بالرحمن منك ظنا منها انه يشغلها عن الله قال انما انا رسول الوارد الرباني لاهب لك غلاما زكيا طاهرا عن لوث الظلمة الانسانية وهو النفس المطمئنة القدسية ولم يمسسني بشر خاطر من عالم البشرية ولم اك بغيا الطلب غير ما خلقت لاجله وهو التوجه الى عالم الروح المجرد فحملته بالقوة القريبة من الفعل فانتبذت به مكانا قصيا الافتقار الى العبور على منازل الشريعة والطريقة فجاءها المخاض الطلب الى جذع النخلة وهي كلمة لا اله الا الله التي كان اصلها ثابتا في ارض نفسها قالت يا ليتني مت قبل هذا قال بعض اهل التحقيق هذه كلمة يذكرها الصالحون عند اشتداد الامر عليهم قال علي عليه السلام يوم الجمل يا ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة وعن بلال ليت بلالا لم تلده امه وقيل انها قالت ذلك لعلمها بان الله تعالى يدخل النار خلقا كثيرا بسبب تهمتها وبسبب الغلو والتقصير في جانبها قلت نعم القلب قالت يا ليتني مت عن اللذات الجسمانية قبل هذا الوقت الذي فزت باللذات الحقيقية وكنت نسيا منسيا فان الخمول راحة والشهرة آفة فناداها البلد الحال من تحتها من الانات القوى الاخرى قد جعل ربك تحتك اي تحت تصرفك سريا هو الغلام الموعود او جدولا للكشوف والعلوم الدينية وهزي اليك بجذع النخلة بالمداومة على الذكر يساقط عليك رطبا جنيا من المشاهدات والمكاشفات حالا فحالا فكلي واشربي من خوان الافضال وبحر النوال من لدنه ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني وقري عينا بانوار الجمال في حجرة الوصال فاما ترين من السوانح البشرية احدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما كما قبل الدنيا يوم ولنا فيه صوم عن الالتفات لغير الله فاتت به قومها من عادة الجهال انكار احوال اهل الكمال يا اخت هرون النفس المطمئنة او الامارة بناء على ان هرون كان صالحا او طالحا ما كان ابوك وهو الروح المفارق امرأ سوء وما كانت امك وهي القالب بغيا تستانس الى غير عالم الطبيعة التي خلقت لاجلها فاشارت اليه فيه ان هذا القوم هم اهل الاشارات في المهد مهد السر وذلك المتولد من نفخ الروح في مريم القالب يدعى ابنا لله ولا محالة له ولا نفس فاختلف الاحزاب فقوم عبدوا الله لاجله وقوم عبدوه طمعا في جنته وقوم عبدوا الهوى وذلك قوله فويل للذين كفروا اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا لانهم بالله يسمعون ويبصرون

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا
ویاد کن در کتاب ابرهیم را بدرستیکه او هست راستگو پیغمبر چون گفت مر پدر خویش را ای پدر چرا میپرستی چیزی را که نمیشنود و نمی‌بیند و
يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا يَا أَبَتِ
دفع نمیکند از تو چیزی را ای پدر بتحقیق که آمد مرا از علم آنچه نیامد ترا پس پیروی کن مرا راه نمایم ترا راه راست ای پدر
لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ
بندگی مکن شیطان را بدرستیکه شیطان باشد مر خدا را نافرمان ای پدر بدرستیکه من میترسم اینکه برسد ترا عذاب از خدا پس باشی
لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا قَالَ سَلَامٌ
مر شیطان را دوست گفت آیا روگرداننده تو از خدایان من ای ابرهیم اگر باز نایستی هر اینه سنگسار کنم ترا و دور کن مرا زمانی گفت درود
عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ
بر تو زود آمرزش خواهم برای تو از خدای من بدرستیکه او باشد بمن مهربان و کناره گیرم از شما و آنچه میخوانید از غیر خدا و میخوانم پروردگار خود را شاید
أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
که نباشم بدعای پروردگار خود نا امید پس چون کناره گرفت از ایشان و آنچه میپرستیدند از غیر خدا وبخشیدیم مر او را اسحق و یعقوب

وكلا

سورة مريم

وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ
و هر یک گردانیدیم پیغمبر و بخشیدیم مرایشان را از رحمت خود و گردانیدیم مرایشان را زبان راست بلند و یاد کن در کتاب موسی را بدرستیکه او
كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا
باشد پاک و باشد فرستاده پیغمبر و ندا کردیم او را از جانب کوه طور دست راست و نزدیک کردیم او را راز گوینده و بخشیدیم او را از رحمت خود
أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا وَكَانَ
برادرش هرون را پیغمبر و یاد کن در کتاب اسمعیل را بدرستیکه او باشد راستگوی وعده و باشد فرستاده پیغمبر و بود
يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا
که امر میکرد اهل خود را بنماز و زکوة و بود نزد پروردگار خود پسندیده و یاد کن در کتاب ادریس را بدرستیکه او بود راستگو
نَبِيًّا وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا
پیغمبر و بلند کردیم او را مکان بلند آن گروه آنانکه انعام کرد خدا بر ایشان از پیغمبران از نسل آدم و از آنکه برداشتیم
مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا
با نوح و از فرزند ابرهیم و اسرائیل و از آنکه راه نمودیم و برگزیدیم چون خوانده شد برایشان آیتهای خدا بروافتادند
سُجَّدًا وَبُكِيًّا فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا
سجده کنندگان و گریان پس ترسید از بعد ایشان فرزندی که ضایع کردند نماز را و متابعت کردند آرزوها را پس زود باشد که رسند بجزای بد
إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي
مگر آنکه توبه کرد و گروید و کرد کار شایسته پس آن گروه در می آیند بهشت را و ستم کرده نمیشوند چیزی را بهشتهای اقامت
وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ
که وعده کرده خدا بندگان را بغایب بدرستیکه او باشد وعده او پاینده نمیشنوند در آن بیهوده مگر سلام و مرایشان را
رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ
روزی ایشان در آن بامداد و شبانگاه این بهشت است میراث دهیم از بندگان ما هر که باشد پرهیزکار و فرود نمی آییم مگر بامر
رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
پروردگار تو مر او راست آنچه پیش ماست و آنچه در پس ماست و آنچه میان اینست و نباشد پروردگار تو فراموش کار پروردگار آسمان و زمین
وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا القراءات ربي انه بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو
و آنچه میان آنهاست پس پرستید او را و صبر کن مر پرستش او را آیا میدانی مر او را همنام — مخلصا بفتح اللام حمزة وعلي وخلف وعاصم غير المفضل ياتوه

بكسرها ابرهام وما بعده هشام والاخفش عن ابن ذكوان اذا يتلى بالياء التحتانية وكذلك في سورة الحج قتيبة نورث بالتشديد رويس الوقوف ابرهيم ط نبيا ه شيئا ه سويا ه لا تعبد الشيطان ط عصيا ه وليا ه يا ابرهيم ج لقد يوصل ويوقف على الجني مليا ه سلام عليك ج للابتداء بسين الاستقبال مع ان القائل واحد ربي ط حفيا ه وادعو ربي ز لانقطاع النظم والوصل اولى لان عسى لطمع الاجابة فيوصل بالدعاء شقيا ه من دون الله لا لان ما بعده جواب لما ويعقوب ط نبيا ه عليا ه موسى ز للابتداء بان مع ان المراد بالذكر اخلاص موسى نبيا ه نجيا ه نبيا ه اسمعيل لتمام نبياه للاية مع العطف والزكوة ص مرضيا ه ادريس ز نبيا ه عليا ه مع نوح على تقدير ومن ذرية ابرهيم وما بعده قوم اذا تتلى عليهم وكذا وجه من وقف على ذرية ادم او على اسرائيل والاصح ان الكل عطف على ذرية ادم والوقف على قوله واجتبينا ط لئلا يحتاج الى الحذف وليرجع ثناء السجود والبكا الى الكل وبكيا ه غيا ه شيئا لا بناء على ان جنات بدل من الجنة بالغيب ط مأتيا ه سلاما ه وعشيا ه تقيا ه بامر ربك ج لاختلاف الجملتين ذلك ج لان قوله وما كان معطوف على نتنزل مع وقوع العارض نسيا ه لان ما بعده بدل او خبر مبتدأ محذوف لعبادته ط سميا ه التفسير انه لما ذكر ان الذين اثبتوا معبودا سوى الله منهم من اثبت معبودا حيا عاقلا كالنصارى ومنهم من عبد معبودا جمادا كعبدة الاوثان وكلا الفريقين ضال الا ان الفريق الثاني اضل وحين بين ضلال الفريق الاول شرع في بيان ضلال الفريق الثاني تدرجا من الاسهل الى الاصعب وانما بدأ بقصة ابرهيم ع لانه كان ابا العرب وكانوا مقرين بعلو شانه وكمال دينه فكانه قال لهم ان كنتم مقلدين فقلدوه في ترك عبدة الاوثان وعبادتها وان كنتم مستدلين فانظروا في الدلائل التي ذكرها على ابيه والمراد بذكر الرسول اياه في الكتاب ان يتلو ذلك على الناس كقوله واتل عليهم نبأ ابرهيم والا فهو سبحانه هو الذي يذكره في تنزيله وقوله اذ قال بدل اشتمال من ابرهيم وما بينهما اعتراض ولمكان هذا الاعتراض صار الوقف على ابرهيم مطلقا وجوز في الكشاف ان يتعلق اذ بكان او بصديقا نبيا اي كان جامعا لخصائص الصديقين والانبياء حين خاطب اباه تلك المخاطبات والصديق من ابنية المبالغة فهي اما مبالغة صادق لان ملاك امر النبوة الصدق واما مبالغة مصدق وذلك لكثرة تصديقه الحق وهذا ايضا بالحقيقة يعود الى الاول لان مصدق الحق لا يعتبر تصديقه الا اذا كان صادقا فيه والحاصل انه كان صادقا جدا في اقواله مصدقا لجميع من تقدم من الانبياء والكتب وكان نبيا في نفسه رفيع القدر عند الله و

الناس محبته جعلوا واسطة بينه وبين عباده وقيل انه كان بمعنى صار والاصح انه بمعنى الثبوت والاستمرار اي انه لم يزل موصوفا بالصدق والنبوة في الاوقات الممكن له ذلك فيها والتاء في يا ابت عوض من ياء الاضافة وقد مر في اول سورة يوسف وورد على ابيه الدلائل والنصائح وصدر كلا منها بالنداء المتضمن للرفق واللين سعيا في الغلب بيه وامتثالا لامر ربه على ما رواه ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اوحى الله الى ابرهيم انك خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار فان كلمتي سبقت لمن حسن خلقه ان اظله تحت عرشي وان اسكنه حظيرة القدس وادنيه من جواري فقوله لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر معنى المفعول لا منوبه فان الغرض نفي الفعلين على الاطلاق دون التقييد وما موصولة او موصوفة اي الذي لا يسمع او معبودا لا يسمع وشيئا مفعول به من قولك اغن عني وجهك اي ادفعه ويجوز ان يكون بمعنى المصدر اي شيئا من الاغناء وعلى هذا يجوز ان يقدر نحوه مع الفعلين السابقين اي لا يسمع شيئا من السماع الى اخره وحاصل الدليل ان العبادة غاية الخضوع فلا يستحقها الا اشرف الموجودات لا اخسها وهو الجماد غاية عدم غنى ذلك بين انها تماثيل اشياء يتصور نفعها او ضرها كالكواكب وغيرها فيتوهم البعض ... بل الكواكب وسائر الممكنات ينتهي في الاحتياج الى الواجب لوجوده فاذا جعل شيئا من هذه الاشيا معبودا فقد شورك الممكن والواجب في نهاية التعظيم وهذا مما ينبو عنه الطبع السليم ورفع الوسائط من البين ادخل في الاخلاص واقرب الى الخلاص وقوله يا ابت اني قد جاءني تنبيه ونصيحة وقيل ان هذا العلم تجدد له حصوله فيكون اقرب الى التصديق وفي من العلم ما لم يأتك فائدة هي انه لم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال ان معي طائفة من العلم ليست معك فلا تستنكف وهب انا في مفازة وعندي معرفة بالدلالة دونك فاتبعني اهدك صراطا سويا مستقيما مؤديا الى المقصود وهو سلامة المعاش والمعاد استدل ارباب التعليم بالاية فانه لا بد من الاتباع واجيب بانه لا يلزم من اتباع النبي اتباع غيره والانصاف ان هذا الطريق اسهل ثم اكد المعنى المذكور بنصيحة اخرى زاجرة عما هو عليه فقال يا ابت لا تعبد الشيطان اي لا تطعه فان عبادة الاصنام من طاعة الشيطان ثم اسقط حسن نفسه اذ لم يقل ان الشيطان عدو لبني ادم بل قدم حق ربه فقال ان الشيطان كان للرحمن عصيا حين ترك امره بالسجود عنادا واستكبارا لا نسيانا وخطأ ونبه بهذه النصيحة على وجود الرحمن ثم على وجود الشيطان وان الرحمن مصدر كل خير والشيطان مظهر كل شر بدلالة الموضوع اللغوي وهذا القدر كاف من التنبيه لمن تامل وانصف ثم بين الباعث على هذه النصيحة فقال يا ابت اني اخاف وفيه مع التخويف من سوء العاقبة انواع من الادب ذكر الخوف والمس ونكر العذاب قال الفراء معنى اخاف اعلم والاكثرون على انه محمول على ظاهره لان ابرهيم عليه السلام لم يكن جازما بموت ابيه على الكفر والا لم يشتغل بنصحه والخوف على الغير ظن وصول الضرر الى ذلك الغير مع تألم القلب من ذلك كما يقال انا خائف على ولدي وذكروا في الولي وجوها منها انه اذا استوجب عذاب الله كان مع الشيطان في النار واللعنة سبب الولاية او مسببها غالبا واطلاق احدهما على الاخر مجاز وليس هناك ولاية حقيقية لقوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو اني كفرت بما اشركتمون من قبل ومنها ان حمل العذاب على الخذلان ومنها ان الولي بمعنى التالي التابع قال جار الله جعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة اتباعه واوليائه اكبر من نفس العذاب لان ولاية الشيطان في مقابلة رضى الرحمن وقد قال عز من قائل ورضوان الله اكبر ولذا كان رضوان الله اكبر من نعيم الجنة فولاية الشيطان اعظم من عذاب النار ثم ان الشيخ قابل ملاطفات ابرهيم بالفظاظة والغلظة قائلا اراغب انت عن الهتي يا ابرهيم فقدم الخبر على المبتدأ اشعارا بانه عنده اعنى وفي هذا الاستفهام ضرب من التعجب والانكار لرغبته عن الهته في قوله يا ابرهيم دون ان يقول يا بني في مقابلة يا ابت تهاونا به وكيف لا وقد صرح بالاهانة قائلا لئن لم تنته لارجمنك باللسان اي لاشتمنك او باليد اي لاقتلنك واصله الرمي بالرجام ثم هيهنا اضمار اي فاحذرني واهجرني مليا اي زمانا طويلا من الملاوة او ادهرا مليا بالذهاب والهجران مطيقا له قويا عليه قبل ان اثخنك بالضرب فلما رأى ابرهيم اصراره على الرد والجهالة قال سلام عليك يعني سلام توديع ومتاركة كقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وفيه ان هذا دأب المنصوح اذا ظهر منه اثار اللجاج من سنن المرسلين ويحتمل ان يكون قد دعا له بالسلامة استمالة له ورفقا به بدليل قوله ساستغفر لك ربي انه كان بي حفيا بليغا في البر والالطاف وقد مر في اخر الاعراف احتج بالاية بعض من طعن في عصمة الانبياء قال انه استغفر لابيه الكافر وهو منهي عنه لقوله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الاية ولقوله في الممتحنة قد كانت لكم اسوة حسنة في ابرهيم الى قوله الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك فلو لم يكن هذا الاستغفار معصية لم يمنع من التاسي والجواب لعل ابرهيم عليه السلام في شرعه لم يجد ما يدل على القطع بتعذيب الكافر او لعل هذا الفعل منه من باب ترك الاولى ولعل الاستغفار بمعنى الاستيطاء كقوله قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله والمعنى ساسئل ربي ان لا يجزيك بكفرك ما دمت حيا والجواب الحقيقي قد مر في اخر سورة التوبة في قوله عز من قائل وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه والمنع من التاسي لا يدل على المعصية فلعل الاستغفار مع ذلك الشرط كان من خصائصه كما ان كثيرا من الامور كانت مباحة للرسول صلى الله عليه وسلم وهي محرمة علينا ثم صرح بما تضمنه السلام من التوديع والهجران فقال واعتزلكم اي اهاجر الى الشام واعتزل ما تدعون اي ما تعبدون من دون الله وقد يعبر بالدعاء عن العبادة والدعاء كما يجيء في سورة الشعراء وفي قوله عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا تعريض بشقاوتهم بدعاء الهتهم وعبادتها مع التواضع وهضم النفس المستفاد من لفظة عسى قال العلماء ما خسر الله على احد فانه ابرهيم لما ترك اباه الكافر وقومه وزاد يد بنيه عوضه الله اولادا مؤمنين انبياء وذلك قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم شيئا من رحمتنا عن الحسن هي النبوة وعن الكلبي المال والولد والاظهر انها عامة في ذلك كل خير ديني ودنيوي وجعلنا لهم لسان صدق الثناء الحسن عبر باللسان عما يوجد به كما عبر باليد عما يطلق باليد وهو العطية وقد مر تحقيق الاضافة في اول يونس في قوله قدم صدق ان ابرهيم من ابيه ابتغاء مرضاة الله فسماه الله ابا المؤمنين ملة ابيكم ابرهيم وتل ولده للجبين ففداه الله بذبح عظيم واسلم نفسه لرب العالمين فجعل النار عليه بردا

وسلاما واشفق على هذه الامة فقال وابعث فيهم رسولا فاشركه الله في الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلوات الخمس وفي حق ساره كما قال ثم وابرهيم الذي وفى فجعل موطئ قدمه مباركا واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وعادى كل الخلق في الله حين قال فانهم عدو لي الا رب العالمين فلا جرم اتخذه الله خليلا ثم وفى قصة ابرهيم بقصة موسى عليه السلام لانه تلوه في الشرف والمخلص بكسر اللام الذي اخلص العبادة عن الشرك والرياء واخلص وجهه لله وبالفتح الذي اخلصه الله وكان رسولا نبيا الرسول الذي معه كتاب من الانبياء والنبي الذي ينبئ عن الله عز وجل وان لم يكن معه كتاب وكان المناسب ذكر الاعم قبل الاخص الا ان رعاية الفاصلة اقتضت عكس ذلك كقوله في طه برب هرون وموسى الايمن من اليمين اي من ناحيته اليمنى من موسى او هو من اليمن صفة للطور او للجانب وقربناه حال كونه نجيا اي مناجيا شبه تكليمه اياه من غير واسطة ملك بتقريب بعض الملوك واحدا من ندمائه للمناجاة والمسارة وعن ابي العالية انه تقرب حتى قربه حتى سمع صريف القلم الذي كتب به التوراة والاول اظهر ومنه قولهم للعبادة تقرب وللملائكة انهم مقربون ووهبنا له من رحمتنا فيكون اخاه بدلا وهرون عطف بيان كقولك رأيت رجلا اخاك زيدا ونبيا حال من هرون قال ابن عباس كان هرون اكبر من موسى فينصرف الهبة الى معاضدته وموازرته وذلك بدعاء موسى في قوله واجعل لي وزيرا من اهلي وخص اسمعيل ابرهيم بصدق الوعد وان كان الانبياء كلهم صادقين فيما بينهم وبين الله او الناس لانه المشهور المتواصف من خصاله ومن ذلك انه وعد نفسه الصبر على الذبح فوفى به وعن ابن عباس انه وعد صاحبا له ان ينتظره في مكان فانتظره سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه واعد رجلا ونسي ذلك الرجل فانتظره من الضحى الى قريب من غروب الشمس وسئل الشعبي عن الرجل يعد ميعادا الى اي وقت ينتظره فقال ان واعده في وقت الصلوة فانتظره الى وقت صلوة اخرى وكان يبدأ باهله في الامر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لغيرهم ولان الابتداء بالاحسان الديني والدنيوي بمن هو اقرب اولى قوا انفسكم واهليكم نارا ابدا بمن تعول ويحسن ان يؤمر اهله امته كلهم اقربا واباعد من حيث انه يلزمه في جميعهم ما يلزم المرء في اهله خاصة من قضاء حقوق النصيحة والشفقة ورعاية مصالحهم الدينية والدنيوية وعلى القولين يندرج في الصلوة الصلوة المفروضة والمندوبة كصلوة التهجد وغيرها واما الزكوة فالاقرب انها الصدقة المفروضة وعن ابن عباس انها طاعة الله والاخلاص لان فاعلها زكي بها عند الله واما ادريس فالاصح انه اسم عجمي بدليل منع الصرف كما مر في ادم ويعقوب وغيرهما وقيل افعيل من الدرس لكثرة دراسته كتاب الله ولعل معناها بالعجمية قريب من الدراسة فظنه القائل مشتقا منها وفي رفعه اقوال منها ان المكان العلي شرف النبوة والزلفى عند الله وقد انزل عليه ثلثون صحيفة وهو اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب واول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود واسمه اخنوخ من اجداد نوح لان نوح بن ملك بن متوشلخ بن اخنوخ واهل التنجيم بعضهم يسمونه هرمس ولهم نوادر في استخراج طوالع المواليد ينسبونها اليه وقيل ان الله تعالى رفعه الى السماء والى الجنة وهو حي لم يمت وقال اخرون رفع الى السماء وقبض روحه عن ابن عباس انه سأل كعبا عن قوله ورفعناه مكانا عليا فقال جاءه خليل له من الملائكة فسأله ان يكلم ملك الموت حتى يؤخر في قبض روحه فحمله ذلك الملك بين جناحيه فصعد به فلما كان في السماء الرابعة اذا بملك الموت يقول بعثت لاقبض روح ادريس في السماء الرابعة وانا اقول كيف ذلك وهو في الارض فالتفت ادريس فرأى ملك الموت فقبض روحه هناك وعن ابن عباس انه رفع الى السماء السادسة وعن الحسن المراد انه رفع الى الجنة ولا شيء اعلى منها اولئك المذكورون من لدن زكريا الى ادريس هم الذين انعم الله عليهم من النبيين من للبيان لان جميع الانبياء منعم عليهم من ذرية ادم من للتبعيض وكذا في قوله وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابرهيم واسرائيل والمراد بمن هو من ذرية ادم ادريس لقربه منه بدليل ومن ذريته من حملنا مع نوح ابرهيم عليه السلام لانه من ولد سام بن نوح ومن ذرية ابرهيم اسمعيل ومن ذرية اسرائيل موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى بن مريم لان مريم من ذريته وممن هدينا يحتمل العطف على من الاولى والثانية وفي هذا الترتيب تنبيه على ان هؤلاء الانبياء اجمع لهم مع كمال الاحساب شرف الانساب وان جميع ذلك بسبب هداية الله وبمزية اجتبائه واصطفائه ثم ان جعلت الذين خبرا لاولئك كان اذا تتلى كلاما مستانفا وان جعلته صفة له كان خبرا وقد عرفت في الوقوف سائر الوجوه من قرأ يتلى بالتذكير لان تانيث الايات غير حقيقي والفاصل حاصل والبكي جمع باك كقعود في ساجد ابدلت الواو ياء وادغمت وكسر ما قبلها للمناسبة ومن زعم انه مصدر فقد سها لانه قرن بسجدا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتلوا القران وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا قال ابو مسلم المراد بالايات التي فيها ذكر العذاب وقال غيره اطلاق الايات والحديث المذكور يدل على العموم لان كل اية اذا فكر فيها المفكر صح ان يسجد عنده ويبكي قلت لعل المراد بايات الله ما خصهم نعم به من الكتب المنزلة لان القران لم يكن منزلا واختلفوا في السجود فقيل هو الخشوع والخضوع وقيل الصلوة وقيل سجدة التلاوة على حسب ما تعبدنا به ويحتمل انهم عند الخوف كانوا يتعبدون بالسجود قال الزجاج الانسان في حال خروره لا يكون ساجدا فالمراد خروا مستعدين للسجود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأوا القران بحزن فانه نزل بحزن وعن ابن عباس اذا قرأتم سجدة قال سبحان الله لا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه وقال العلماء يدعو في سجدة التلاوة بما يليق بها فان قرأ اية تنزيل السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك وان قرأ سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وان قرأ ما في هذه السورة قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة اياتك ولما مدح هؤلاء الانبياء ترغيبا لغيرهم في نهجهم وصف اضدادهم تنفيرا للناس عن طريقتهم فقال فخلف من بعدهم خلف وهو عقب السوء كما مر في اخر الاعراف فاضاعوا الصلوة في مقابلة الخرور سجدا واتبعوا الشهوات بازاء البكاء عن ابن عباس هم اليهود تركوا الصلوة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الاخت من الاب وعن ابرهيم النخعي ومجاهد اضاعوها بالتأخير وعن علي عليه السلام في قوله واتبعوا الشهوات من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور وعن قتادة هو في هذه الامة فسوف يلقون غيا قال جار الله كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد وقال الزجاج هو على حذف المضاف اي جزاء غي

كقوله يلق اثاما اى مجازاة اثام وقيل غيا عن طريق الجنة وقيل هو واد فى جهنم تستعيذ منه اوديتها احتج بعضهم بقوله الا من تاب وامن على ان تارك
الصلوة كافر والا لم يحتج الى تجديد الايمان والجواب انه اذا كان المذكورون هم الكفرة او اليهود كما يروى عن ابن عباس سقط الاستدلال واحتج على الاشاعرة
فى ان العمل ليس من الايمان لان العطف دليل التغاير واجاب الكعبى بانه عطف الايمان على التوبة مع انها من الايمان ومنع من ان التوبة من الايمان ولكنها
شرطه لانها العزم على الترك والايمان اقرار باللسان وانما حذف الموصوف ههنا وفى الفرقان وعمل عملا صالحا لانه اوجز فى ذكر المعاصى فاوجز فى التوبة
واطال هناك فاطال هنا وهذا الاستثناء بحسب الغالب فقد يتوب عن كفره وامن ولم يدخل بعد وقت الصلوة او كانت المراة حائضا ثم مات فهو من اهل النجاة
مع انه لم يعمل صالحا ومعنى لا يظلمون شيئا لا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم بل يضاعف نبه بها على ان تقدم الكفر لا يضرهم بعد ان يتوبوا ويحتمل ان ينتصب شيئا
على المصدر اى شيئا من الظلم ومعنى جنات عدن قد مر فى سورة التوبة فى قوله ومساكن طيبة فى جنات عدن وصفها الله تعالى بالاقامة والدوام خلافا لجنات
الدنيا ولما كانت الجنة مشتملة على جنات عدن ابدلت منها ويحتمل انتصابها على الاختصاص وكذا انتصاب التى قال جار الله عدن علم لمعنى العدن وهو الاقامة
وهو علم لارض الجنة لكونها مكان اقامة ولولا ذلك لما ساغ الابدال لان النكرة لا تبدل من المعرفة الا موصوفة ولما ساغ وصفها بالتى ومعنى بالغيب
مع الغيبة اى وعدها وهى غائبة عنهم غير حاضرة او هم غائبون عنها لا يشاهدونها او الباء للسببية اى وعدها عبادها بسبب تصديقهم بالغيب والايمان به خلاف
حال المنافقين وقوله انه كان وعده ماتيا بالاول انسب وهو مفعول بمعنى فاعل او على اصله لان ما اتاك فقد اتيته وجوز فى الكشاف ان يكون من قولك اتى
اليك احسانا اى كان وعده مفعولا منجزا قوله الا سلاما استثناء منقطع على التاويل لان اللغو فضول الكلام وما لا طائل تحته كما تقدم فى يمين اللغو فى
البقرة وفى المائدة اى ان كان تسليم بعضهم على بعض او تسليم الملئكة عليهم لغوا فلا يسمعون لغوا الا ذلك كقولهم عتابك السيف او استثناء منقطع
اى لا يسمعون فيها الا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة ويجوز ان يكون متصلا بتاويل اخر وهو ان معنى السلام الدعاء بالسلامة واهل دار السلام عن
الدعاء بالسلامة اغنياء فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الاكرام وفى الاية تنبيه ظاهر على وجوب انتفاء اللغو حتى نزه الله
عنه الدار التى لا تكليف فيها ثم انه سبحانه من عادته ترغيب كل قوم بما احبوه فى الدنيا فلذلك ذكر اساور من الذهب ولبس الحرير التى كانت للعجم والارائك التى
هى الحجال المضروبة على الاسرة وكانت من عادة اشراف اليمن ولا شئ كان احب الى العرب من الغداء والعشاء لانها العادة الوسطى المحمودة للمتنعمين منهم فوعدهم بذلك
فقال ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا هذا قول الحسن ولا يكون ثم ليل ولا نهار ولكن على التقدير اى ياكلون على مقدار الغداة الى العشى وقيل اراد دوام الرزق
كما تقول انا عند فلان صباحا ومساء تريد الدوام ولا تقصد الوقتين المعلومين وقوله تلك الجنة التى نورث كقوله فى الاعراف ونودوا ان تلكم الجنة
اورثتموها وهى استعارة اى يبقى عليه الجنة كما يبقى على الوارث مال المورث منه قال القاضى فى الاية دلالة على ان الجنة يختص بدخولها من كان متقيا غير
مرتكب للكبائر واجيب بمنع الاختصاص وبانه يصدق على صاحب الكبيرة انه اتقى الكفر سئل ههنا ان قوله تعالى تلك الجنة التى نورث كلام الله وقوله بعده وما
نتنزل الا بامر ربك خطاب جماعة لواحد وانه لا يليق الا بالملئكة الذين ينزلون على الرسول كما روى ان قريشا بعثت خمسة رهط الى يهود المدينة يسئلونهم
عن صفة محمد وهل يجدونه فى كتابهم فسالوا النصارى فزعموا انهم لا يعرفونه وقالت اليهود نجده فى كتابنا وهذا زمانه وقد سالنا رحمن اليمامة عن خصال
ثلث فلم يعرف فسالوه عنهن فان اخبركم بخصلتين منها فاتبعوه فسالوه عن فتية اصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فلم يدر كيف يجيب ووعدهم
الجواب ولم يقل ان شاء الله فاحتبس الوحى عليه اربعين يوما وقيل خمسة عشر يوما فشق عليه ذلك مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فنزل
جبرئيل ع فقال له النبى ص ابطات علىّ حتى ساء ظنى واشتقت اليك قال كنت اشوق ولكنى عبد مامور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست فانزل الله
الاية وانزل قوله ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا ومعنى التنزل على ما يليق بهذا الموضع هو النزول على مهل اى نزولنا فى الاحايين وقتا غب وقت
ليس بامر الله عز وجل ثم اكد جبرئيل ما ذكره بقوله له ما بين ايدينا وما خلفنا من الجهات والاماكن او من الازمنة الماضية والمستقبلة وما بينهما من
المكان والزمان الذى نحن فيه فلا نتمالك ان ننتقل من جهة الى جهة او من زمان الى زمان الا بامر ربك ومشيته وقيل له ما سلف من امر الدنيا وما
يستقبل من امر الاخرة وما بين ذلك وهو ما بين النفختين اربعون سنة وقيل ما مضى من اعمارنا وما غبر منها والحال التى نحن فيها او ما قبل وجودنا
او بعد فنائنا وقيل الارض التى بين ايدينا اذا نزلنا والسماء التى وراءنا وما بين السماء والارض وعلى الاقوال فالمراد انه المحيط بكل شئ لا يخفى عليه
خافية ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة فكيف نقدم على فعل الا بامره وقال ابو مسلم فى وجه النظم انه قوله وما نتنزل من قول اهل الجنة لمن يحضرهم اى ما نتنزل
الجنة الا بامر ربك ما قوله وما كان ربك نسيا فعلى القول الاول معناه انه ما كان امتناع النزول الا لعدم الاذن ولم يكن لترك الله اياك كقوله ما ودعك
ربك وما قلى وعلى قول غير ابى مسلم هو تاكيد لما تقدم بجميع الانبياء وانه لا يجوز عليه ان يسهو عن شئ ما البتة وعلى قول ابى مسلم المراد انه ليس ناسيا
لاعمال العاملين فيثيب كلا منهم بحسب عمله فيكون من تتمة حكاية قول اهل الجنة او ابتداء كلام من الله تعالى خطابا لرسوله ويتصل به قوله رب السموات و
الارض اى بل هو ربهما وما بينهما فاعبده الفاء للسببية لان كونه رب العالمين سبب موجب لان يعبد واصطبر لعبادته لم يقل على عبادته لانه جعل العبادة
بمنزلة القرن فى قولك للمحارب اصطبر لقرنك اى اوجد الاصطبار لاجل مقاومته ثم اكد وجوب عبادته بقوله هل تعلم له سميا اى ليس له مثل ونظير حتى لا
يخلص العبادة له وان عدم النظير لا بد ان يصبر على مواجب العبادة خصوصا اذا كانت فائدتها راجعة الى المكلف وقيل اراد انه لا شريك له فى
اسمه بيانه من وجهين احدهما انهم وان كانوا يطلقون لفظ الاله على الوثن الا انهم لم يطلقوا لفظ الله على شئ سواه وعن ابن عباس اراد لا يسمى بالرحمن غيره

ذلك وهذا صحيح ولعله هو السر فى انه لم يكرر لفظ الرحمن فى سورة تكريره فى هذه السورة وثانيهما هل تعلم سمى باسمه على الحق دون الباطل لان التسمية
على الباطل كلا تسمية التأويل ولما ذكر فى الكتاب الازلى ابرهيم القلب انه كان صديقا للصدق نبيا يتلقى الصدق انه صادق صدق فى اقواله وصادق
صدق فى اخلاقه واحواله وصديق صدق فى قيامه مع الله فى الله بالله وهو الفانى عن نفسه الباقى بربه اذ قال لابيه الروح الذى يعبد صنم الدنيا
بتبعية النفس قد جاءنى من العلم اللدنى ما لم ياتك ان القلب محل للفيض الالهى اقبل من الروح كالمراة فانها تقبل النور لصفائها وتعكس النور عنها
لكثافتها وصقالتها وهبنا له اسحق السر ويعقوب الخفى وناديناه من جانب الطور الايمن سمعنا موسى القلب من جانب طور الروح لان جانب وادى
النفس الذى هو على ايسره وكان يامر اهله اى الجسم والنفس والقلب والروح بالصلوة لتوجه كل منهم توجها يليق بحاله والزكوة اى تزكية كل واحد منهم
من الاخلاق الذميمة ورفعناه مكانا عليا فى مقعد صدق عند مليك مقتدر خروا بقلوبهم على عتبة العبودية سجدا بالتسليم للاحكام الازلية
وبكيا بكاء الشمع بذوبان الوجود على نار الشوق والمحبة عباده بالغيب اى بغيبتهم عن الوجود قبل التكوين كقوله ان الله اشترى من المؤمنين اموالهم و
انفسهم بان لهم الجنة ولهم رزقهم رؤية الله على ما جاء فى الحديث اكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوا وعشيا وما نتنزل الا بامر ربك الى المقدور فى علم
الله ينادى اهل العزة من سرادقات العزة ان يا اهل الطبيعة ارتقوا من المتمنيات فانا ما نتنزل من عالم الغيب الا بامر ربنا وما كان ربك نسيا يحتاج
الى تذكير متمن بل هو رب سموات الارواح وارض الاجساد وما بينهما من النفوس والقلوب والاسرار له فاعبده باركان الشريعة بجسدك وبآداب
الطريقة بنفسك وبالاعراض عن الدنيا والاقبال على المولى بقلبك وبالفناء فى الله لبقائه بروحك وسرك هل تعلم له نظيرا فى المحبوبية لك والله اعلم بالصواب

وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۝ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا
فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۝ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى
الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ۝ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ۝ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا
ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ۝ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا
قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ
فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ۝ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ
خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ۝ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۝ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ
أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۝ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ۝ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا
وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ۝ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ۝ أَلَمْ
تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ۝ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ۝ يَوْمَ نَحْشُرُ
الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ۝ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ۝ لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ
عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۝ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۝ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۝ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ
مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۝ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۝ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا

إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمٰنِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصٰيهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فَرْدًا إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمٰنُ وُدًّا فَإِنَّمَا يَسَّرْنٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا

القراءات أإذا مثل أئنكم في الانعام يذكر من الذكر ابن عامر ونافع وعاصم وسهل وروح والمعدل عن زيد الآخرون بالتشديد نخرج مبنيا للفاعل ابن كثير الباقون بضم النون بفتحها رئيا بالتشديد ابو جعفر ونافع عن ورش وابن ذكوان والاعشى وحمزة في الوقف وعن حمزة ايضا بالهمزة في الوقف ليدل على اصل اللغة الآخرون بهمزة بعدها ياء وولدا وما بعده بضم الواو وسكون اللام حمزة وعلي الآخرون بفتحهما يكاد على التذكير نافع وعلي ينفطرن من الانفطار ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وخلف وابن عامر والمفضل وابو بكر وحماد والخزاز عن هبيرة الباقون يتفطرن من التفطر الوقوف جثيا ه شيئا ه جثيا ه لا للعطف عتيا ه لا للعطف صليا ه واردها ه لانقطاع النظم مع اتصال المعنى مقضيا ه نفرها للنجاة من الورود مع ان ثم لترتيب الاخبار جثيا ه آمنوا لان ما بعدها مفعول قال نديا ه ورئيا ه مدا ه لان حتى لانتهاء مد الضلالة او لابتداء الرؤية وجواب اذا محذوف وهو آمنوا الساعة ط لابتداء التهديد جندا ه هدى ط مردا ه وولدا ط لابتداء الاستفهام للتفريع عهدا ط للردع كلا ط مدا ه للعطف فردا ه نصف الجزء عزا ه كلا ط ضدا ه ازا ه للتعجيل عليهم ط عدا ه وفدا ه وردا ه لئلا يشتبه الجملة بالوصف عهدا ه حذرا من ايهام العطف ولدا ط ادا ه لا لان ما بعده صفة هدا ه لا لان هذا التقدير لان دعوا ولدا ه عبدا ط فردا ه ودا ه لدا ه من قرن ط ركزا ه **التفسير** لما امر نبيه وامته بالتعبد ان يعبدوا الله ويصطبروا للعبادة كان لمنكر ان يعترض بان هذه العبادات لا منفعة فيها في الدنيا لانها مشقة ولا في الآخرة لاستبعاد حشر الاجساد الى حالها فلا جرم حكى قول المنكر ليجيب عن ذلك فقال ويقول الانسان وهو للجنس لان هذا الاستغراب مركوز في الطباع قبل النظر في الدليل ولان هذا القول اذا صدر عن بعض الافراد صح اسناده الى نوعه لانه منهم كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم وقيل المراد بالانسان ههنا شخص معين هو ابو جهل او ابي بن خلف وقيل بعض الجنس وهم الكفرة وانتصاب اذا بفعل مضمر يدل عليه اخرج المذكور لا به نفسه لان ما بعد لام الابتداء لا يعمل فيما قبله لا تقول اليوم لزيد قائم وانما جاز الجمع بين حرف الاستقبال وبين لام الابتداء المفيدة للحال لان اللام ههنا خلصت لاجل التاكيد كما خلصت الهمزة في يا الله للتعويض واضمحل عنها معنى التعريف وما في اذا ما للتوكيد ايضا وكأنهم قالوا مستنكرين احقا انا سنخرج احياء حين تمكن فينا الفناء بالموت والمراد بالخروج اما الخروج من الارض او الخروج من حال الفناء او الندور من قولهم خرج فلان عالما اذا كان نادرا في العلم فكأنه قال على سبيل الهزء سأخرج حيا نادرا وانما قدم الظرف واولي حرف الانكار من قبل ان ما بعد الموت وهو وقت كون الحيوة منكرة ومنه جاء الانكار كقولك للمسيء الى المحسن احين تمت عليك نعمة فلان اساءت اليه لان الانسان لا يصدر عنه هذا الانكار الا اذا لم يتذكر او لم يذكر النشأة الاولى قال سبحانه منبها على ذلك اولا يذكر وههنا اضمار تقديره ايقول ذلك ولا يذكر وزعم جار الله ان الواو عطفت لا يذكر على يقول في قوله ويقول الانسان ووسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف قال العقلاء لو اجتمعت الخلائق على ايراد حجة في البعث اوجز من هذه لم يقدروا عليها لان خلق الذات مع الصفات اصعب من تغير الذات في اطوار الصفات وهذا معلوم لكل صانع يتكرر عنه عمل لان الاول لم يستقر بعد في خزانة خيال والثاني قد ارتسم واستقر له مثال واحتذاء واذا كان حال من يتفاوت في قدرته الصعب والسهل كذلك فما الظن بمن لا يتوقف مقدوره الا على محض تعلق الارادة الازلية به وفي قوله ولم يك شيئا بحث قدم في اول السورة مثله وحين نبه على النكتة الشريفة اكدها بالاقسام قائلا فوربك لنحشرنهم الفاء للالتفات وهو يفيد الاعراض عن قصة والشروع في اخرى عقيبها والواو للقسم وشرف المقسم به دليل كمال العناية بالمقسم عليه واضافة القسم الى المخاطب وهو رسول الله بالاجماع المفسرين تفخيم لشانه ورفع من مقداره والواو في الشياطين اما للعطف واما بمعنى مع بناء على ان كل كافر مقرون مع شيطانه في سلسلة واذا حشر جميع الناس حشرا واحدا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا مع الشياطين بل الكفرة وان كان الضمير عائدا الى منكري البعث فقط فلا اشكال وكذا في قوله لنحضرنهم حول جهنم جثيا اي جثاة على الركب غير مشاة على اقدامهم لما يدهشهم من شدة الامر التي لا يطيقون معها القيام على الارجل او على العادة المعهودة في مواقف مطالبات الملوك ومقاولاتهم ثم لننزعن لنميزن من كل شيعة طائفة شاعت اي تبعت غاويا من الغواة وقد سبق تفسيره في الانعام ايهم اشد قرئ بالنصب وهو ظاهر واما المعربون على الضم فذهب سيبويه الى انها مبنية كيلا يلزم خلاف القياس من وجهين احدهما اعراب اي مع ان من حق الموصول ان يبنى والآخر حذف المبتدأ مع ان الاصل فيه ان يكون مذكورا والتقدير ايهم هو اشد وذهب الخليل الى انها معربة ولكنها لم تنصب على ان يكون مفعول لننزعن بل رفعه بتقدير الحكاية اي من كل شيعة مقول فيهم ايهم اشد فيكون من كل شيعة مفعول لننزعن كقولك اكلت من كل طعام اي بعضا من كل ويجوز ان يتعلق لننزعن الذين يقال فيهم ايهم اشد قال سيبويه لو جاز ضرب ايهم افضل على الحكاية لجاز اضرب الفاسق الخبيث اي الذي يقال

له الفاسق الخبيث وهذا باب قلما يصار اليه في سعة الكلام ومذهب يونس في مثله ان الفعل الذي قبل اي معلق عن العمل ويجيز التعليق في غير افعال القلوب ثم ان علقت قوله على الرحمن باشد كقولهم هو اشد على خصمه فظاهر وان علقته بالمصدر فذلك لا سبيل اليه عند النحويين لان المصدر لا يعمل فيما قبله قال جار الله بل هو بيان للمحذوف فكأنه سئل ان عتوه على من فقيل على الرحمن وكذا الكلام في اولى بها صليا تعلق والمجرور بافعل من غير تأويل او بصليا على التأويل صلى فلان النار يصلى صليا اذا احترق والمراد انه يميز من كل فرقة ضالة الاشد فالاشد حتى مواصل ثم بين بقوله ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا انه يطرحهم اي اهل الضلال البعيد في النار على الترتيب يقدم اولاهم بالعذاب فاولاهم ولا ريب ان الضال المضل يكون اولى بالتقدم من الضال وكذا الكافر المعاند بالنسبة الى المقلد وان كانوا مشتركين جميعا في شدة العتو ويجوز ان يراد بالذين هم اولى المنتزعين كأنه قال ثم لنحن اعلم بتصلية هؤلاء وانهم اولى بالصلي لكون دركاتهم اسفل وان منكم الخطاب للناس من غير التفات وللانسان المذكور فيكون التفاتا وعلى التقديرين فان اريد الجنس كله لم يكن في قوله ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا اشكال ولكنه يشكل بان المؤمنين كيف يردون النار واجيب بما روي عن جابر بن عبد الله انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة وعنه ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى ان للنار ضجيجا من بردها واما قوله اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وعن ابن عباس يردونها كأنها اهالة ومنهم من لم يفسر الورود ههنا بالدخول لان ابن عباس قال قد يرد الشيء الشيء ولم يدخله كقوله تعالى ولما ورد ماء مدين ومعلوم ان موسى لم يدخل الماء ولكنه اقترب منه ويقال وردت القافلة البلد اذا قربت منه فالمراد بالورود جثوهم حولها وعن ابن مسعود والحسن وقتادة هو الجواز على الصراط لان الصراط ممدود عليها وعن مجاهد هو مس الحمى جسده في الدنيا قال عليه السلام الحمى من فيح جهنم وفي رواية الحمى حظ كل مؤمن من النار وان اريد بالناس او بالانسان الكفرة فلا اشكال في ورودهم النار ولكنه لا يطابقه قوله ثم ننجي الذين اتقوا ووجه بانه اراد ان المتقين يساقون الى الجنة عقيب ورود الكفار لانهم يردونها ثم يتخلصون اسؤلة كيف يندفع عنهم ضرر النار عند من يفسر الورود بالدخول زعم بعضهم ان البقعة المسماة بجهنم لا يمتنع ان يكون في خلالها مواضع خالية عن النار اشباه الطرق الى دركات جهنم والمؤمنون يردون تلك المواضع والاصح انه سبحانه يزيل عنها طبيعة الاحراق بالنسبة الى المؤمنين وهو على كل شيء قدير ولهذا لا يضر النار الملائكة الموكلين بالعذاب ما الفائدة في ايراد المؤمنين النار اذا لم يتعذبوا فيه وجوه منها ان يزدادوا سرورا اذا رأوا الخلاص منها ومنها افتضاح الكافرين اذا اطلع المؤمنون عليهم ومنها انه يزيد التذاذهم بالجنة فبضدها تتبين الاشياء هل ثبت في الاخبار كيفية دخول النار ثم خروج المتقين منها نعم ثبت ان المحاسبة يكون في الارض او في موضعها لقوله يوم تبدل الارض غير الارض وجهنم قريبة من الارض والجنة في السماء فالاجتماع يكون في موضع الحساب ثم يدخلون من ذلك الموضع الى جهنم ثم يرفع الله اهل الجنة ويبقى اهل النار فيها قلت هذا على رأي الفلاسفة الاسلاميين ظاهر فالمحاسبة يكون في الارض ومرور الكل على كرة النار ثم يرفع اهل الكمال الى السماء ويبقى الكفرة في النار ويؤيده قوله كان اي الورود على ربك حتما اي محتوما مصدر بمعنى المفعول مقضيا اي قضى به وعزم ان لا يكون غيره وذلك ان العبور من جميع الجوانب على كرة النار واجمعت المعتزلة بذلك على ان العقاب واجب على الله عقلا وقال الاشاعرة شبه بالواجب من قبل استحالة تطرق الخلف اليه وقد سبق ان المتقي عند المعتزلة من يجتنب المعاصي كلها وعند غيرهم هو الذي اجتنب الشرك فقط وقد يهدم بالآية قاعدة القائلين بالمنزلة بين المنزلتين واجيب بان تجنب المتقين اعم من ان يكون الى الجنة او الى غيرها وهب ان تجنبهم الى الجنة الا ان الذي طاعته ومعصيته سيان غير داخل في المتقين ولا في الظالمين فبقي حكمه مسكوتا عنه ومن المعتزلة من تمسك بالوعيد بقوله ونذر الظالمين ومنع من ان الصيغة للعموم ولو سلم فمخصص بآيات الوعد لما رد على منكري البعث وقرر كيفية الحشر قال واذا تتلى عليهم آياتنا الآية والمراد انهم عارضوا حجج الله بكلام اعوج فقالوا لو كنتم على الحق وكنا على الباطل لكان حالكم في الدنيا اطيب من حالنا ولم يكن بالعكس لان الحكيم لا يليق به ان يهين اولياءه ويعز اعداءه يروى انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون ويتطيبون ويتزينون ثم يدعون مفتخرين على فقراء المسلمين انهم اكرم على الله عز وجل منهم قال جار الله معنى بينات مرتلات الالفاظ ملخصات المعاني مبينات المقاصد اما محكمات او متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات وبتبيين الرسول قولا او فعلا او ظاهرات الاعجاز تحدي بها فلم يقدر على معارضتها او حججا وبراهين وعلى التقادير يكون حالا مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا لان آيات الله لا تكون الا بهذه الاوصاف ومعنى للذين آمنوا انهم يخاطبونهم بذلك او يفوهون به لاجلهم وفي شانهم والمقام بالضم موضع الاقامة اي المنزل وبالفتح موضع القيام والندي المجلس ومجمع القوم حيث ينتدون وقوله اي الفريقين يعني المؤمنين بالآيات والجاحدين لها من الكلام المنصف على زعمهم والمقصود نحن اوفر حظا على ما يظهر منا في احوال قيامنا وقعودنا وحسن الحال في الدنيا دليل ظاهر على الفضل والرفعة وضده امارة على النقص والضعة فاجابهم الله تعالى بقوله وكم اهلكنا اي كثيرا من القرون اهلكنا قبلهم اهل عصر من بيان المهلك ويجوز ان يكون زائدة للتاكيد وكم استفهامية للتقرير التكثير او خبرية عند من يجوز زيادتها في الموجب وهم احسن في محل النصب صفة لكم او الجر صفة قرن والاثاث متاع البيت وقد مر في النحل في قوله اثاثا ومتاعا الى حين قال الجوهري من همز ريئا جعله من رأيت وهو ما رأته العين من حال حسنة وكسوة ظاهرة ومن لم يهمزه فاما ان يكون على تخفيف الهمزة اي قلب الهمزة ياء وادغم او يكون من رويت لالوانهم وجلودهم

ريا اى منظرا وحسنا قال جار الله الرى هو المنظر والهيئة فعل بمعنى مفعول وقرئ بهمزة قبلها يا على القلب كقولهم راء فى راى وقرئ بالزاى المنقوطة واشتقاقه
من الزى بالفتح وهو الجمع لان الزى محاسن مجموعة وفى الاية حذف والتقدير احسن من هؤلاء والحاصل انه تعالى اهلك من كان اكثر وجمالا منهم و
ذلك دليل على فساد احدى مقدمتيهم وهى ان كل من وجد الدنيا كان حبيب الله او على فساد المقدمة الاخرى وهى ان كل من كان حبيبا لله فانه لا يوصل
اليه غما ثم بين ان مآل الضال الى الخزى والنكال وان طالت مدته وكثرت عدته وقوله فليمدد له الرحمن خبر خرج على لفظ الامر ايذانا بوجوب الامهال و
انه مفعول لا محالة لينقطع معاذير الضال ويقال يوم القيمة اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر او ليزدادوا اثما كقوله انما نملى لهم ليزدادوا اثما وهو فى معنى الدعاء
بان يمهله الله عز وجل وينفس فى مدة حيوته والغاية احد الامرين المذكورين اما انقطاع العذر او ازدياد الاثم اما قوله حتى اذا راوا الى اخره فقد
قال فى الكشاف انه يحتمل ان يكون متصلا بقوله اى الفريقين الى اخره وما بينهما اعتراض قالوا اى الفريقين خير مقاما واحسن نديا حتى اذا راوا ما
يوعدون والمعنى لا يزالون يتفوهون بهذا القول مولعين به الى ان يشاهدوا الموعود راى عين اما العذاب فى الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم
بالقتل والاسر وتغير احوالهم من العز الى الذل ومن الغنى الى الفقر واما يوم القيمة ويحتمل ان يتصل بما يليها والمراد انهم لا ينفكون عن ضلالتهم وسوء
مقالتهم الى ان يعاينوا عذاب الدنيا او الساعة ومقدماتها وقوله فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا فى مقابلة قولهم خير مقاما واحسن
نديا لان مقامهم هو مكانهم والندى المجلس الجامع لوجوه قومهم واعوانهم والجند الاعوان ولا ريب ان مكان القتل والاسر شر مكان فى الدنيا ومكان عذاب
النار شر مكان فى الاخرة ولا شك ايضا انه لو كان لهم فى الوقتين ناصر قوى لم يلحقهم من الخزى والنكال ما لحقهم وحين بين حال اهل الضلال اراد ان يبين حال
اهل الكمال فقال ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وذلك ان بعض الاهتداء يجرى الى البعض الاخر كالايمان يجرى الى الاخلاص فيه كما ان بعض الغوايات
يجر الى بعضها ومنهم من فسر الزيادة بالعبادات المرتبة على الايمان والواو فى ويزيد للاستيناف وقد تكلف جار الله فقال انه للعطف على معنى
فليمدد اى يزيد فى ضلال الضال بخذلانه ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه وقد مر فى سورة الكهف ان الباقيات الصالحات فسرها الاكثرون
بجميع الاعمال الصالحات المؤدية الى السعادات الباقيات وفسرها بعضهم بما هى اعظم ثوابا منها كالصلوات الخمس وغيرها وقوله خير يقتضى غيره يكون
مشاركا له فى اصل الخيرية ويكون هذا ارجح منه فان قدرنا ذلك شيئا فيه خيرية كبعض الاعمال الدنيوية المباحة او كسائر الاعمال الصالحة عند من يفسر
الباقيات بمعنى الاخص فظاهر انها خير ثوابا وخير مردا اى مرجعا وعاقبة او منفعة من قولهم هل لهذا الامر مرد وان قدرنا ذلك شيئا لا ثواب فيه ولا
خيرية كما زعم جار الله ان المراد هى خير ثوابا من مفاخرات الكفار فيكون اطلاق الثواب على عقاب الكفار من قبيل التهكم ومن باب قولهم تحية بينهم
ضرب وجيع ويكون وجه التفضيل فى الخير ما قيل فى قولهم الصيف احر من الشتاء اى ابلغ فى حره من الشتاء فى برده ثم اردف مقالتهم الحمقاء باخرى مثلها
قائلا على سبيل التعجب افرايت كانه قال اخبر ايضا بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث اولئك وانما استعملوا ارايت بمعنى اخبر لان رؤية
الشئ من اسباب صحة الخبر عنه عن الحسن نزلت فى الوليد بن المغيرة والمشهور انها فى العاص بن وائل قال خباب بن الارت كان لى عليه دين فاقتضيته
وقيل صاغ له حليا فاقتضاه الاجر فقال انكم تزعمون انكم تبعثون وان فى الجنة ذهبا وفضة وحريرا فانا اقضيك ثم فانى اوتى مالا وولدا ومن قرا
ولدا بفتحتين فظاهر ومن قرا بالضم فالسكون فاما جمع ولد كاسد فى اسد او بمعنى الولد كالعرب والعرب فانكر الله سبحانه عليه بقوله اطلع الغيب من
قولهم اطلع الجبل اى ارتقى الى اعلاه وله اختيار هذه الكلمة شان كانه قال او قد بلغ من عظمة شانه ان ارتقى الى عالم الغيب الذى تفرد به علام الغيوب
ام اتخذ عند الرحمن عهدا عن الكلبى هل عهد الله اليه ان يؤتيه ذلك وعن قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك ما يقول وقيل العهد كلمة الشهادة
كلا ردع وتنبيه على الخطا فيما تصوره لنفسه وتمناه وفى قوله سنكتب بسين التسويف مع ان الحفظة يكتبون ما قاله فى الحال دليل على ان السين جرد ههنا
لمعنى الوعيد والمراد سيظهر له اثار الكتابة بالتعذيب والانتقام ويؤيده قوله ونمد له من العذاب مدا اى نطول له من العذاب ما يستاهله امثاله من المستهزئين او نزيده
من العذاب ونضاعفه من المدد مدة واحدة بمعنى ثم اكد المد بالمصدر وهو مؤذن بفرط الغضب اعاذنا الله منه ثم عكس استهزاءه بقوله ونرثه
ما يقول اى نمنع عنه منتهى ما زعم انه ينال فى الاخرة من المال والولد لانه تالى على الله فى قوله لاوتين ومن يتال على الله يكذبه لان ذلك غاية
الجراة ونهاية الاشعبية ما اشتهاه اما نرثه منه فى العاقبة ويأتينا فردا بلا مال ولا ولد ولا كلام صاحب الكشاف فى الوجهين محبط فليتامل
فيه وكذا فى قوله فردا على الاول حال مقدرة نحو فادخلوها خالدين لانه وغيره سواء فى اتيانه فردا حين ياتى ثم يتفاوتون بعد ذلك وذلك ان
الخلود لا يتحقق الا بعد الدخول فاما انفراده فمحقق فى حالة الاتيان وتفاوت الحال بعد ذلك واشتراك الكل فى الاتيان منفردا لا مدخل له فى
المقصود فلا ادرى ما حمله على هذا التكلف قال ويحتمل ان هذا القول انما يقوله ما دام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين ان يقوله ويأتينا منفردا
عنه غير قائل له او اراد ان هذا القول لا ننساه ولا نلغيه بل نثبته فى صحيفته لنضرب به وجهه فى الموقف ونعيره به ويأتينا على فقره ومسكنته فردا
من المال والولد لم نعطه سؤله ومتمناه فيجمع عليه خطيئات يتبعه قوله وفقد سؤله وحين فرغ من الرد على منكرى البعث شرع فى الرد على عبدة
الاصنام فبين اولا غرضهم وذلك ان يتعززوا بالهتهم ويتشفعوا بشفاعتهم ثم انكر عليهم وردعهم بقوله كلا ثم اخبر عن مآل حالهم بقوله
سيكفرون فان كان الضمير للمعبودين فهم اما الملئكة كقوله قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن واما الاصنام فلانه ينطق
الله الجماد بذلك كقوله فالقوا اليهم القول انهم لكاذبون وان كان الضمير للعابدين فهو كقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين

اما الضمير يكون للمعبودين وقوله عليهم ضدا الضد العون كانه قيل ويكونون عليهم ذلا لا لهم عزا ويحتمل ان يراد بالضد العون لانه يضاد العدو ووحد لاتفاق
كلمتهم وفرط تفانيهم وتوافقهم كقوله وهم يد على من سواهم ومعنى كون الالهة اضدادا اى اعوانا عليهم انهم وقود النار وان المشركين عذبوا بسبب عبادتهم ويحتمل
ان يكون الضمير فى يكونون للمشركين اى يكون المشركون كفرة بالهتهم واعداء لهم بعد ان كانوا يعبدونها وحين بين مذاهب الفرق الضالة اراد ان يبين منشاها
فقال الم تر انا ارسلنا الاية والازمة والتهييج قالت الاشاعرة فى الاية دلالة على انه تعالى مريد لجميع الكائنات لان قول القائل ارسلت فلانا على فلان لا يعنى الا انه سلطه عليه
ثم وارسل كلبك عليه ويؤيده قوله تؤزهم اى تغريهم على المعاصى تحثهم عليها بالوساوس والتسويلات وقالت المعتزلة المراد بهذا الارسال التخلية بينهم وبينهم كما اذا لم يمنع الرجل كلبه
من دخول بيت جاره وصاحه كلا لانه ارسل الانبياء ورسل الشياطين ثم خلى بين المكلفين وبين الانبياء والشياطين لانه خص اولياءه بمزيد الالطاف حتى قبلوا قول الانبياء ومنع عنهم
تلك الالطاف وهو المعنى بالخذلان حتى قبلوا قول الشياطين ولما كان هذا الارسال سببا للهلاك الكفار عقبه بعلى الهلاك لا يخفى ان استئصال الكل الى الله ثم نزاع الفريقين غلظه
قريب فلا تعجل عليهم بما عجلت عليه بكذا اذا استعجل منه اى لا تعجل عليهم بان يهلكوا فتستريح انت والمسلمون من شرورهم فليس بينك وبين ما تطلب هلاكهم الا ايام
وانفاس معدودة قال ابن عباس فى رواية المستهزئين وهم خمسة رهط وعنه ايضا انه كان اذا قراها بكى وقال اخر العدد خروج نفسك اخر العدد فراق اهلك اخر العدد دخول قبرك
وعن ابن السماك انه كان عند المامون فقراها فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما اسرع ما تنفد وقال شاعر ان الحبيب من الاحباب مختلس لا يمنع الموت بواب ولا حرس
وكيف يفرح بالدنيا ولذتها يا من يعد عليه اللفظ والنفس ثم لما قرر امر الحشر واجاب شبه منكريه اراد ان يشرح حال المكلفين وقت الحشر فقال يوم نحشر منصوب بنعم
او بمضمر اى اذكر يوم كذا وكذا نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف ويجوز ان ينتصب بلا يملكون حشر المتقين بالجمع الى محل كرامة الرحمن والوفد من يفد اذا
على الامير وافدة اى واردا رسولا فهو وافد والجمع وفد كصاحب وصحب عن على ان النبى قال ما يحشرون والله على ارجلهم ولكنهم على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها
ياقوت وخص المجرمين بالسوق الى جهنم وردا اى ورادا وهم الذين يردون الماء وفيه من الاهانة ما فيه كانهم نعم عطاش تساق الى الماء وقال جار الله حقيقة
الورد المسير الى الماء فسمى به الواردون قال بعض العلماء فى الاية دلالة على ان اهوال يوم القيمة تختص بالمجرمين لان المتقين من الابتداء يحشرون على هذا
النوع من الكرامة فكيف ينالهم بعد ذلك شدة قلت يحتمل ان يكون الحشر الى الرحمن غير الحشر الى الموقف فيراد بالحشر الى الرحمن الحشر الى دار كرامته وسوقهم الى الجنة
زمرا وهذا بعد ما تميز الفريقين فالامن الكلى فيما بعد هذه الحالة لا ينافى الخوف والدهشة فيما قبلها كما ورد فى حديث الشفاعة وغيره وقوله الى الرحمن دون ان يقول الينا
من وضع الظاهر موضع المضمر وفيه من البشارة ما فيه ولا يلزم منه التجسيم للتاويل الذى ذكرناه والضمير فى لا يملكون للمكلفين المذكورين بقسميهم وفاعله
من اتخذ على البدلية لانه فى معنى الجمع ويجوز ان يكون الواو علامة للجمع كالتى فى اكلونى البراغيث فيكون من اتخذ فاعلا والاستثناء مفرغا ويجوز ان ينتصب من
اتخذ على الاستثناء او على تقدير حذف المضاف اى الا شفاعة من اتخذ واختلف المفسرون فى الشفاعة فقيل لا يملكون ان يشفعوا لغيرهم وقيل لا يملك
غيرهم ان يشفع لهم واتخاذ العهد الاستظهار بالايمان والعمل او بكلمة الشهادة وهذا الاول يناسب اصول المعتزلة والثانى يناسب اصول الاشاعرة وعن ابن مسعود
ان النبى قال لاصحابه ذات يوم ايعجز احدكم ان يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب
والشهادة انى اعهد اليك فى هذه الحيوة بانى اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك فلا تكلنى الى نفسى تقربنى من الشر وتباعدنى من الخير
وانى لا اثق الا برحمتك فاجعل لى عندك عهدا توفينيه يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيمة نادى
مناد اين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة ويجوز ان يكون من عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به اى لا يشفع الا المامور بالشفاعة الماذون له فيها
كقوله وكم من ملك فى السموات والارض لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله وحين رد على عبدة الاوثان عاد الى الرد على من اثبت له ولدا من اليهود و
النصارى والعرب ومنهم من خص الاية بالرد على العرب القائلين بان الملائكة بنات الله لان الرد على النصارى قد تقدم فى اول السورة وفى قوله لقد جئتم التفات من
الغيبة الى المخاطبة تسجيلا عليهم بالجراة والتعرض لسخطه والاد والامر العجيب او المنكر والتركيب يدل على الشدة والثقل ومنه ادت الناقة ونوء اذا رجعت الحنين فى
جوفها ويتفطرن بالتخفيف اى تنشق ومطاوعه انفطر وبالتشديد للتكثير ومطاوعه تفطر وهذا البناء كثيرة وانتصب هدا على المصدر لان الخرور فى معناه وانما
لان تفكيد هدا على الحال اى مهدودة او على العلة اى لانها تهد ومحل ان دعوا اما جر بدلا من الهاء فى منه واما نصب بنزع الخافض اى هذا لان دعوا
الخرور وبالهد الهد بالدعاء واما مرفوع بانه فاعل هدا اى هدها الدعاء وخير الوجوه اوسطها كما مر فى الوقوف والدعاء اما بمعنى التسمية فيكون المفعول
الاول متروكا طلبا للعموم والاحاطة بكل ما ادعى ولد الله واما بمعنى التسمية فيكون المفعول الاول متروكا طلبا للعموم والاحاطة بكل ما ادعى له ولدا واما بمعنى النسبة
اى نسبوا الى الرحمن ولدا وما ينبغى لا يصح ولا يستقيم وهو فى الاصل مطاوع بغى اذا طلب وانما لا يصح مطلوبا لانه محال اما الولادة المعروفة فلا مقال فى استحالتها
واما التبنى فلان القديم لا جنس له حتى يميل طبعه اليه ميل الوالد الى الولد فمن اضاف اليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه واخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن المختص باصول
النعم وفروعها الهنية كما قيل لينكشف عن بصرك غطاؤه فانت وجميع ما عندك عطاؤه وهذا من فوائد تكرير هذا الاسم فى هذا المقام قال كيف تؤثر هذه الكلمة فى الجمادات
حتى تتفطر وتنشق وتخر اجيب بانه سبحانه كانه يقول كدت افعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا منى على من تفوه بها لولا حلمى وهو انه
لا ارفع هذه الكلمة فى الذنب والمراد ان هذا الاعتقاد يوجب ان لا يكون هذه الاجرام على ما نرى من النظام كقوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقال ابو مسلم المراد ان
هذه الاجرام لو كانت ممن يعقل لكادت تفعل ذلك ثم بين ان العابد والمعبود فى السموات وفى الارضين كلهم تحت قهره وتسخيره فى الدنيا وفى الاخرة وانه
محيط بجمل احوالهم وتفاصيلها فقال ان كل من فى السموات والارض الا اتى الرحمن الاية وهو ملحق الحد بربوبيته معترف بعبوديته ثم اجمل حال المؤمنين

[illegible]

بما لا مزيد عليه في باب الكرامة فقال ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا اي سيحدث لهم في القلوب مودة من غير ما سبب الاسباب المعهودة كقرابة و
اصطناع وذلك كما يقذف في قلوب اعدائهم الرعب والسين ما لان السورة مكية وكان المؤمنون ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله المودة بين الناس عند ظهور
الاسلام وقال ان يكون ذلك يوم القيمة يحببهم الى الخلق بما يعرض من حسناتهم وعن النبي صلعم قال لعلي يا علي قل اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي في صدور المؤمنين
مودة فانزل الله تع هذه الآية وعن ابن عباس يعني يحبهم الله ويحببهم الى خلقه وعن رسول الله صلعم يقول الله عز وجل يا جبرئيل قد احببت فلانا فاحبه فيحبه
جبرئيل ثم ينادي في اهل السماء ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض وعن قتادة ما اقبل العبد الى الله عز وجل الا اقبل
الله بقلوب العباد اليه وعن كعب قال مكتوب في التورية لا محبة لاحد في الارض حتى يكون ابتداؤها من الله تع ينزلها على اهل السماء ثم على اهل الارض وتصديق
ذلك في القرآن سيجعل لهم الرحمن ودا هذا قول جمهور المفسرين وعن ابي مسلم ان المراد سيهب لهم في الجنة ما يحبون واستعمال المصدر بمعنى المفعول كثير وانما صار الى هذا القول
لان المسلم التقي يبغضه الكفار وقد يبغضه المسلمون اكثرهم وقد يحصل هذه المحبة للكفار والفساق فيكونون مرزوقين بميل الناس الى اختلاطهم وصحبتهم

[illegible]

سورة طه مكية حروفها خمسة آلاف ومائتان واثنان واربعون كلماتها الف وثلثمائة واحدى واربعون آياتها مائة وخمس وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى وهل اتيك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى فلما اتيها نودي يا موسى اني انا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى وانا اخترتك فاستمع لما يوحى انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلوة لذكري ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي اتوكؤا عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مآرب اخرى قال القها يا موسى فالقيها فاذا هي حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية اخرى لنريك من آياتنا الكبرى اذهب الى فرعون انه طغى قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي اشدد به ازري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا قال قد اوتيت سؤلك يا موسى

واشركه في امري

القراءات طه بامالة الطاء والهاء حمزة وعلي وخلف ويحيى وحماد وعباس وقرأ ابو عمرو ونافع بين الفتح والكسر والى الفتح اقرب [illegible]

[illegible]

منسوب الى بلد او قبيلة فانه يبالغ في مدحها حتى يلزم مدحه بالعرض فيجب على المكلف ان يذكره بالاسماء الحسنى حتى يثبت بذلك مسرته ويحسن ذكره الهنا احسن ثم دليل حسن المسمى يدل على انه لا يفعل القبيح ولا يزال مواظبا على الاحسان كما قيل باحسن الوجه توجه الحنا لا تخلطن الزين بالشين فباحسن الاسماء والصفات الا رددنا عن خوان احسانك محرومين ذكر ان صيادا اصطاد سمكة وكانت له بنت فاخذتها والقتها في البحر وقالت انها ما وقعت في الشبكة الا لغفلتها الهنا تلك المرأة رحمت سمكة بسبب غفلتها ونحن قد اصطادنا ابليس اخرجنا من بحر رحمتك لغفلتنا فردنا الى بحر رحمتك وانت ارحم الراحمين عن محمد بن كعب القرظي ان موسى ع قال اي خلقك اكرم عليك قال الذي لا يزال لسانه رطبا من ذكري قال اي خلقك اعلم قال الذي يلتمس علما الى علمه قال فاي خلقك اعدل قال الذي يقضي على نفسه كما يقضي على الناس قال فاي خلقك اعظم جرما قال الذي يتهمني وهو الذي يسألني ثم لا يرضى بما قضيته له الهنا انا لا نتهمك فانا نعلم ان كلما احسنت فهو فضل وكلما لا تفعله بنا من الاحسان فهو عدل فلا تؤاخذنا بسوء اعمالنا وعن الحسن انه اذا كان يوم القيامة نادى مناد سيعلم الجمع من اهل الكرم اين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون فيتخطون رقاب الناس ثم يقال اين الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ثم ينادي اين الحمادون لله على كل حال ثم يكون التبعة والحساب على من بقي الهنا نحن حمدناك واثنينا عليك بمقدار قدرتنا وطاقتنا فاعف عنا بفضلك وحسن اسمائك ولما عظم شأن القرآن وبين حال الرسول ص فيما كلف من اعباء الرسالة اتبعه بقصة موسى تثبيتا له وتقوية وتسلية قال الكلبي معنى وهل اتاك لم يأتك الى الان وقد اتاك الان فتنبه له ويقول المرء لصاحبه هل بلغك خبر كذا ليتطلع السامع لما يخبر به وعن مقاتل والضحاك عن ابن عباس ان المراد قد اتاك في قبل هذا قد اتاك ذلك في الزمان المتقدم واذ ظرف للحديث لانه حدث او للمراد اذكر وقت كذا او مفعول لمحذوف اي حين راى نارا كان كيت وكيت قال اهل السير استأذن موسى شعيبا ع في الخروج الى امه وخرج باهله وولد له في الطريق ابن في ليلة شاتية مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فرأى نارا من يسار الطريق من بعيد قال السدي ظن انها من نيران الرعاة وقال الاخرون انه راها في شجرة واختلفوا في ان الذي راه كان نارا ام لا فقالوا والصحيح انه كان نارا ليكون صادقا في خبره اذ الكذب لا يجوز على الانبياء ويمكن ان يقال اطلاق اللفظ على ما يشبهه مما ليس بكذب قيل النار اربعة اقسام نار تاكل ولا تشرب وهي نار الدنيا ونار تشرب ولا تاكل وهي نار الشجر جعل لكم من الشجر الاخضر نارا ونار تاكل وتشرب وهي نار المعدة ونار لا تاكل ولا تشرب وهي نار موسى ع وبعبارة اخرى نور بلا حرقة وهي نار موسى وحرقة بلا نور وهي نار جهنم وحرقة ونور وهي نار الدنيا ولا حرقة ولا نور وهي نار الاشجار فقال لاهله امكثوا انما جمع لان الاهل جمع هم المرأة والخادم والولد ويجوز ان يخاطب المرأة وحدها ولكن اخرج الخطاب على ظاهر لفظ الاهل فانه اسم جمع وايضا فقد يخاطب الواحد بلفظ الجماعة تفخيما اي اقيموا في مكانكم فقد انست نارا اي ابصرتها ابصارا لا شبهة فيه وابصارا يؤنس به والتركيب يدل على الظهور ومن ذلك الانسان العين لانه يظهر الاشياء ومنه الانس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم ومنه الانس ضد الوحشة لو يستتر لظهور المطلوب وهو المانوس به قال جار الله لما وجد الايناس وكان مقطوعا متيقنا حققه لهم بكلمة ان ليوطن انفسهم ولما كان الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين بنى الامر فيهما على الرجاء دون الجزم قال لعلي اتيكم قال المحققون فيه دلالة ان ابراهيم ع لم يكذب البتة لان موسى قبل نبوته احترز عن الكذب المظنون فقال لعلي اتيكم لئلا يعد ما لا يستيقن الوفاء به فابراهيم وهو ابو الانبياء اولى بالاحتراز من الكذب الصريح والقبس النار المقتبسة في رأس عود او فتيلة ونحوهما وهدى على حذف المضاف اي ذوي هدى او اذا وجد الهداة فقد وجد الهدى والظاهر انه اراد قوما يهدونه في الطريق وعن مجاهد وقتادة قوما ينفعونه بهداهم في ابواب الدين وذلك ان همم الابرار معقودة في جميع احوالهم بالامور الدينية لا يشغلهم عنها شاغل ومعنى الاستعلاء في على النار وهو مفعول ثان لاجد او حال من هدى ان اهل النار يستعلون المكان القريب منها او المصطلين بها تكنفوها قياما وقعودا فهم مشرفون عليها فلما اتاها مستوين فلما اتيها اي اتى النار قال ابن عباس راى شجرة خضراء من اسفلها الى اعلاها كانها نار بيضاء تتقد وسمع تسبيح الملائكة ورأى نورا عظيما فخاف وبهت فالقيت عليه السكينة ثم نودي وكانت الشجرة عوسجة وقال وهب ظن موسى انها نار اوقدت فاخذ من دقاق الحطب ليقتبس من لهبها فمالت اليه كانها تريده فتأخر عنها وهابها ثم لم تزل تطمعه ويطمع فيها ثم لم يكن اسرع من خمودها فكانها لم تكن ثم رمى موسى بنظره الى فرعها فاذا خضرة ساطعة في السماء واذا نور بين السماء والارض له شعاع تكل عنه الابصار فلما راى موسى ذلك وضع يده على عينيه فنودي يا موسى من قرأ اني بالفتح فتقديره نودي باني ومن قرأ بالكسر فلان النداء في معنى القول او لانه تقدير فقيل يا موسى وتكرير الضمير في اني انا ربك لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روي انه لما نودي يا موسى قال من المتكلم فقال الله عز وجل اني انا ربك فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله باني اسمعه من جميع الجهات الست واسمعه بجميع اعضائي كان كل جارحة مني صارت اذنا وقيل العلم بالنداء من جهة كالحصى والشجرة فيكون معجزا وايضا انه راى النار في الشجرة الخضراء بحيث ان الخضرة ما كانت تطفئ تلك النار ولا النار تضر بالخضرة وهذا لا يقدر عليه احد الا الله وجوز الاشاعرة ان يكون قد خلق الله تعالى فيه علما ضروريا بذلك والمعتزلة منعوه قالوا ان حصول العلم الضروري بان ذلك المتكلم هو الله يستلزم العلم الضروري بوجود الصانع لاستحالة ان يكون الصفة معلوما بالضرورة والذات معلوما بالاستدلال وحصول العلم الضروري بوجود الصانع ينافي التكليف وبالاتفاق لم يخرج موسى عن التكليف قال القاضي كان النبوة قد تقدمت لموسى فلا كلام في حصول هذه الخوارق والا وجب ان تكون المعجزات لغيره من الانبياء في زمانه كشعيب مثلا قال وهذا اولى لان قوله وانا اخترتك فاستمع لما يوحى يدل على انه اول وحي يوحى اليه وعند اهل السنة الارهاص جائز فلم يحتج الى تلك الخوارق الى الغير وعندهم ان الله تعالى اسمعه الكلام الذي ليس بحرف ولا صوت والمعتزلة انكروا وجود ذلك الكلام وقالوا انه تعالى خلق ذلك النداء في جسم من الاجسام كالشجرة وهو قادر على ذلك واهل السنة ما وراء النهر اثبتوا الكلام القديم الا انهم زعموا ان الذي سمعه موسى صوت خلقه الله في الشجرة لانه تعالى رتب النداء على انه اتى النار والمرتب على المحدث محدث ومثله استدلال المعتزلة بقوله فاخلع نعليك على ان كلامه تعالى ليس بقديم لان الامر والمامور معدوم سفه فلا بد ان يكون هذا الامر عند وجود موسى فيكون محدثا اجابت الاشاعرة بان كلامه الازلي ليس بامر ولا نهي ولو سلم فامره بالازل يستمر الى ان صار الشخص مامورا من غير تغير في امره كالقدرة الازلية تتعلق بالمقدور الحادث واما الحكمة في الامر بخلع النعلين فقال المفسرون لانهما

وحسن المسمى

الاولى لا يكره الا اذا كان عليهما نجس وقد صلى النبي ص في نعليه ثم خلعهما في الصلوة فخلع الناس نعالهم فلما سلم قال ما لكم خلعتم نعالكم قالوا خلعت فخلعنا قال ان جبرئيل اخبرني ان فيهما قذرا روي ان موسى خلع نعليه والقاهما من وراء الوادي قال الجوهري طوى بكسر الطاء وضمها اسم موضع بالشام فمن صرفه جعله اسم واد ومكان ومن لم يصرفه جعله اسم بقعة وقال بعضهم طوى بالضم مثل طوى وهو الشيء المثنى اي طوى مرتين اي قدس وقال الحسن ثنيت فيه البركة والتقديس مرتين ويحتمل انه نودي مرتين وقيل طوى مصدر كهدى ومعناه الطي وعن ابن عباس انه مر بذلك الوادي ليلا فطواه فكان المعنى بالوادي المقدس الذي طويته ليلا اي قطعته حتى ارتفعت الى اعلاه وانا اخترتك اصطفيتك قيل فيه دلالة على ان النبوة لا تحصل بالاستحقاق وانما هي ابتداء عطية من الله تعالى وفي هذه الاخبار غاية اللطف والرحمة ولكن في قوله فاستمع نهاية الجلال ففي الاول رجاء وفي الثاني خوف كانه قال لقد جاءك امر عظيم فتأهب واجعل جميع همتك مصروفا اليه لما يوحى اي للذي يوحى او للوحي متعلق باستمع او باخترتك ثم قال انني انا الله لا اله الا انا ورتب عليه فاعبدني ليعلم ان عبادته انما لزمت لالهيته وبهذا قال العلماء ان الله معناه المستحق للعبادة قال الاصوليون تاخير البيان عن وقت الحاجة غير جائز ولكن عن وقت الخطاب جائز لانه امره بالعبادة ولم يذكر كيفيتها وابهما قال واقم الصلوة ولم يبين هيأتها اجاب القاضي عن هذا الاخير بانه لا يمتنع ان موسى ع قد عرف الصلوة التي تعبد الله بها شعيبا وغيره من الانبياء فكان الخطاب متوجها الى ذلك وزيف بان حمل الخطاب متوجها الى ذلك وكيف بان حمل الخطاب على ما ليس اولى قال لعله تقديمه له ولكن لم يحك الله تعالى سوى هذا القدر وبان البيان اكثر فائدة من المجمل فلو كان مذكورا لكان اولى بالحكاية ولقائل ان يقول سلمنا ان المبين اكثر فائدة للمخاطب ولكن لا نسلم ان حكاية المبين اولى فلعل حكاية المجمل تكفي لغرض صورة بعض هيأت ذلك التكليف وجها وان كان اصله باقيا وفي قوله لذكري وجوه لان اللام اما بمعنى الوقت او هي للتعليل والذكر اما بالبيان او هو ضد النسيان والمتكلم اما على الاصل او مفعول او يحمل الكلام تقدير مضاف فلم لا ومثل هذه الاعتبارات تعدد الوجوه فمنها ان اللام للتعليل والباء منصوب اي لتذكرني فان ذكري ان اعبد ويصلي لي واراد لتذكرني في الصلوة لاشتمالها على الاذكار عن مجاهد الفرق ان اطلاق الذكر على العبادة والصلوة في الاول حقيقة شرعية وفي الثاني مجاز ويقول في الاول نفس الصلوة مطلوبة بالذات وفي الثاني تكون مطلوبة لغرض الذكر او لاجل الذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري ومنها ان المضاف مع ذلك محذوف اي لاخلاص ذكري وطلب وجهي ومنها ان الباء فاعل اي لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها او لان اذكرك بالمدح والثناء واجعل لك لسان صدق ومنها ان اللام للوقت كقولك جئتك لوقت كذا اي لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلوة ومنها ان يحمل الذكر على ضد النسيان اي لتكون لي ذاكرا غير ناس فعل المخلصين في كونهم رطب اللسان في جميع الاحيان بذكر مولى الانعام ومولى الاحسان رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واراد ذكر الصلوة بعد نسيانها وكان نحو العبارة ان يقال الذكرها كقوله ص من نام عن صلوة او نسيها فليصلها اذا ذكرها فحذف المضاف وقد اي لذكر صلوتي او ذكر الصلوة هو ذكر الله فالباء في الاصل مضاف او الذكر والنسيان من الله عز وجل في الحقيقة فالباء فاعل قال الشافعي من فاتته صلوة يستحب ان يقضيها على ترتيب الاداء ولو ترك الترتيب جاز ولو دخل عليه وقت فريضة وتذكر فائتة فان كان في الوقت سعة يستحب ان يبدأ بالفائتة وان بدأ بصلوة الوقت جاز واذا ضاق الوقت يجب البداءة بصلوة الوقت وان تذكر الفائتة بعد ما شرع في صلوة الوقت اتمها ثم قضى الفائتة ويستحب ان يعيد صلوة الوقت بعدها وقال ابو حنيفة يجب الترتيب في قضاء الفوائت ما لم يزد على صلوة يوم وليلة حتى لو تذكر في خلال صلوة الوقت فائتة بطلت الا ان يكون الوقت ضيقا فلا يبطل حجة الشافعي ما روي في حديث قتادة انهم ناموا عن صلوة الفجر ثم انتبهوا بعد طلوع الشمس فامرهم النبي ص ان يقودوا رواحلهم ثم صلاها ولو كان وقت الانتباه متعينا للصلوة لما فعل ذلك فعلم انه وقت لتقرر الوجوب عليه ثم الوقت موسع بعد ذلك حجة ابي حنيفة قوله تعالى اقم الصلوة لذكري وقوله ص فليصلها اذا ذكرها وفي حديث جابر ان عمر جاء الى النبي ص يوم الخندق يسب كفار قريش ويقول يا رسول الله ما صليت صلوة العصر حتى كادت الشمس تغيب فقال النبي ص وانا والله ما صليتها بعد قال فنزل الى البطحاء وصلى العصر بعد ما غابت الشمس ثم صلى المغرب بعدها واما القياس فهما صلوتان فرضيتان جمعهما وقت واحد في اليوم والليلة فاشبهتا صلوتي عرفة ومزدلفة فلما لم يجز اسقاط الترتيب فيهما وجب ان يكون كل حكم الفوائت فيما دون اليوم والليلة اما اذا دخل في حد الكثرة فيسقط هذا الترتيب لما امر موسى بالعبادة فامره بالصلوة التي هي افضلها خاصة علل ذلك بقوله ان الساعة اتية فان كاد نفيه اثبات واثباته نفي فقوله اكاد اخفيها يكون معناه لا اخفيها وهو باطل لقوله ان الله عنده علم الساعة ولان قوله لتجزى كل نفس انما يليق بالاخفاء لا بالاظهار اذ لو كان المكلف عارفا وقت القيامة وكذا وقت الموت اشتغل بالمعاصي الى قريب من ذلك الوقت ثم تاب فيكون اغراء على المعصية والجواب لا نسلم ان كاد اثباته نفي وانما هو للمقاربة فقط والباقي موكول الى القرينة ولئن سلم فالمراد بعدم الاخفاء الاخبار بانها اتية وان كان وقتها غير معين كانه قال كاد لا اخفيها ثم ارادة الاخفاء ولولا ما في الاخبار باتيانها مع تعمية وقتها من اللطف لما اخبرت به وبالغ بعض المفسرين في هذا المعنى فقال اراد اكاد اخفيها من نفسي اي لو صح اخفاؤها من نفسي لاخفيتها مني واكدوا ذلك بانهم وجدوه في مصحف ابي كذلك فقال قطرب هذا على عادة العرب في المخاطبة اذا بالغوا في كتمان الشيء قالوا كتمته من نفسي وقيل كاد من الله واجب واراد انا اخفيها من الخلق كقوله عسى ان يكون قريبا اي هو قريب قاله الحسن وعن ابي مسلم ان كاد بمعنى اريد كقوله كذلك كدنا ليوسف ومنه قولهم لا افعل ذلك ولا اكاد اي لا اريد ان افعله وقيل كاد صلة والمعنى ان الساعة اتية اخفيها وقال ابو الفتح الموصلي الهمزة للازالة اي اكاد اظهرها معناه قرب اظهارها كقوله اقتربت الساعة ومثله ما روي عن ابي الدرداء وسعيد بن جبير اخفيها بفتح الهمزة من خفاه اذا اظهره وقوله لتجزى متعلق باخفيها كما قلنا ارتابوا فلولا التهمة لم يتميز المطيع من العاصي والمحسن من المسيء وذلك خلاف قضية العدالة والحكمة واحتجت المعتزلة به

للنبوة م

والهيبة م

مقوله

ظاهر لانه قال بما تسعى اى بسعيها فلو لم يكن اعمال العباد بسعيهم لم يصح هذا الاسناد ولو لم يكن الثواب مستحقا على العمل لم يكن للباء السببية معنى والجواب ان
لعباد الوسط لا ينافى انها بخلق الله واسناد الجزاء الى عناية الازلية التى لا علة لها ومعنى الفاء فى فلا يصدنك انه اذا صح عندك انى اخبرتك باتيان
الساعة فلا تلتفت الى قول المخالف الذى يصدك عن التصديق بالساعة لان قوله ناشئ عن الهوى واتباع وجوز ابو مسلم ان يكون الضمير فى عنها للصلوة ولمن
تذكر شيئين ثم ترمى بضميرهما الى السامع اعتمادا على انه يرد كلا منهما الى ما هو له وزيف بان هذا انما يصار اليه عند الضرورة ولا ضرورة هنا واما الخطاب
فالظاهر انه لموسى لان الكلام معه وجوز بعضهم ان يكون لنبينا صلى الله عليه وسلم والمقصود الامر والنهى عن الصد فى الظاهر لمن لا يؤمن بالساعة وهو بالحقيقة نهى لموسى
عن التكذيب او الوجه فيه ان صد الكافر عن التصديق سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب او صد الكافر مسبب عن رخاوة الرجل فى الدين ولين شكيمته
فذكر المسبب ليدل على السبب كانه قيل كن فى الدين صلبا حتى لا يطمع فى اغوائك الكافر والذى دعا الى هذا النهى البالغ فى معناه هو ان فى المخلوقين
الجاهلين كثرة منزلة قدم فعلى المرء ان يكون مع المحققين وان قلوا مع عزهم وان كثروا وفيه حث بليغ على العمل بالدليل وزجر قوى عن التقليد وانذار
بان الردى والهلاك مع اتباع الهوى ومن ههنا استدل الاصوليون على شرف علمهم ووجوب تعلمه كيلا يتمكن الخصم من تشكيكه وزعم القاضى ان فى نسبة الصد
الى الكافر والبعث دليل على ان العباد عاجزون عن العبادة عورض بالعلم والداعى كما مر مرارا قال اهل التحقيق قوله يا موسى اخلع نعليك اشارة الى
التخلية وتطهير لوح الضمير عن الاغيار وما بعده اشارات الى التحلية وتحصيل ما ينبغى تحصيله واصول ذلك ترجع الى علم المبدا وهو قوله انى انا الله والى
علم الوسط وهو قوله فاعبدنى وانه مشتمل على الاعمال الجسمانية وقوله لذكرى وهو مشتمل على الاعمال الروحانية والى علم المعاد وذلك قوله ان الساعة
آتية وايضا انه افتتح الخطاب بقوله انا اخترتك وختم الكلام بقوله فلا يصدنك الى اخره وهو تنبيه على ان رحمته سبقت غضبه وان يكون العبد لا بد
ان يكون سلوكه على قدمى الرجاء والخوف قوله وما تلك مبتدا وخبر وبيمينك حال منصوب بمعنى الاشارة او الاستفهام وجوز الكوفيون ان يكون تلك
اسما موصولا صلته بيمينك اى ما التى بيمينك قيل لم يقل بيدك لانه يحتمل ان يكون فى يساره خاتم او شىء اخر وكان يلتبس عليه الجواب سؤاله ما الفائدة فى
هذا السؤال اجيب بان الصانع الماهر اذا اراد ان يظهر من الشىء الحقير كقطعة من حديد شيئا شريفا كاللبوس المسرد عرضه على الحاضرين وقال لهم ما هذا
حتى انه بعد اظهار صنعته يلزمهم بقولهم ويقول خذوا هذا من ذاك الذى قلتم فكانه سبحانه قال لموسى هل تعرف حقيقة ما فى يمينك وانه خشبة يابسة
حتى اذا قلبه ثعبانا عظيما كان قد نبهه على كمال قدرته الباهرة وقال اهل الخطاب انه سبحانه لما اطلعه على تلك الانوار المتصاعدة من الشجرة الى السماء واسمعه
تسبيح الملائكة ثم اسمعه كلام نفسه ثم مزج اللطف بالقهر انكار بقى متحيرا موسى ودهش وكاد لا يعرف اليمين من الشمال فقيل له وما تلك بيمينك يا موسى ليعرف
موسى ان يمينه هى التى فيها العصا وايضا انه لما تكلم معه بكلام الالهية وتحير موسى من الدهش تكلم معه بكلام البشر ازالة لتلك الدهشة والحيرة لان الموجود
عند ما يقع من الغلط كما ان السائل لا يخفى عليه الغلط نظر حال المؤمن فى القبر يغلبه الوجل والخجل والحياء فيسأل عن امر لا يشك فيه فى الدنيا وهو التوحيد
دفعا للايحاش وجلبا للاستيناس ومنها لما عرف موسى كمال الالهية اراد ان يعرفه نقصان البشرية فسأله عن العصا فذكر ما ذكر فعرفه الله تعالى ان فيها منافع
ما ذكر تنبيها على ان عقول البشر قاصرة عن خفيات الامور لولا التوفيق والارشاد اخر خاطب موسى بلا واسطة وخاطب محمدا بواسطة جبريل فلزم ان يكون
موسى افضل جوابه المنع بدليل فاوحى الى عبده ما اوحى وبان الافضلية ان كلامه مع موسى لم يكن سرا وكلامه مع محمد سرا لم يستأهل له سواه وايضا حصل
فى الدنيا شرف التكليم المصلى مناجى ربه وفى الاخرة شرف التكليم للتسليم سلام قولا من رب رحيم وايضا ان موسى كان عند استغراقه فى بحر المحبة متعلقا
ومنا صنها ومجدبة الى ملعبة الى الكونين حين عرضا عليه ما زاغ البصر وما طغى بل كان فانيا عن الاغيار باقيا بالواحد القهار ولهذا لم يرد الثناء على قوله انت كما
اثنيت على نفسك ومنها ذكر منها انه سبحانه لما سأل العصا واليد بقوله وما تلك بيمينك يا موسى حصل فى كل منهما برهان باهر ومعجز قاهر فصار احدهما وهو
الجماد حيوانا والاخر وهو الكثيف نورانيا لطيفا ثم انه تعالى ينظر فى كل يوم ثلثمائة وستين نظرة الى قلب العبد فاى عجب ان يقلب قلبه الجامد المظلم حيا مستنيرا
ومنها ان العصا صارت بيمين موسى حيا فكيف لا يصير قلب المؤمن الذى هو بين اصبعين من اصابع الرحمن حيا ومنها ان العصا باشارة واحدة صارت بحيث ابتلعت
سحر السحرة كلهم فقلب المؤمن اولى ان يصير بمدد نظر الرب فى كل يوم مرات بحيث يبتلع سحر النفس الامارة بالسوء ثم ان جواب موسى عم يتم بقوله هى عصاى الا انه زاد على ذلك
لانه كان محبا لكلام الرب فكان المقام مقام انبساط وقرب فاغتنم الفرصة وجعل ذلك كالوسيلة الى درك الغرض وقيل هو جواب سؤال اخر كانه سئل ما تصنع بها
فاخذ فى ذكر منافعها وقيل خاف ان يكرم عليه بقلبها استعمال العصا كالنعلين ومعنى اتوكأ عليها اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على راس القطيع عند الطفرة والنزول
بيد وكالوسيلة الى درك واهش بها اى اخبط الورق بها على رؤس غنمى لتاكله والتركيب يدل على الرخاوة واللين ومنه رجل هش المكسر سهل الشان فيما يطلب
من الحوائج وهو مدح وهش الخبز يهش بالكسر اذا كان يتكسر لرخاوته قال المحققون ان موسى كان يتوكأ على العصا ومحمد كان يتكل على فضل الله ورحمته قائلا
مع امته حسبنا الله ونعم الوكيل فورد فى حقه حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين اى حسبك وحسب من اتبعك وايضا انه بدأ بمصالح نفسه فى قوله اتوكأ عليها ثم
بمصالح رعيته بقوله واهش بها على غنمى ومحمد لم يشتغل فى الدنيا الا باصلاح امته وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون فلا جرم يقول
موسى يوم القيمة نفسى نفسى ومحمد يقول امتى امتى قوله ولى فيها مآرب هى جمع مأربة بضم الراء الحاجة وقد يفتح الراء وحكى ابن الاعرابى وقطرب بكسرها ايضا ومثله
الارب بفتحتين والاربة بكسر الهمزة وسكون الراء وانما قال اخرى لان المآرب فى معنى جماعة ونظيره الاسماء الحسنى ومن اياتنا الكبرى قالوا اجمل موسى ليسأله الرب عن تلك
المآرب فيطول له الكلام وقالوا انقطع بالهيبة كلامه فاجمل وقيل فى المآرب كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن جناه بالمحجن واذا طلب كسره لواه بالشعبتين واذا سار

القاها

القاها على عاتقه فعلق بها اداوته من العويص والكنانة والحلاب عبر بها واذا كان فى البرية ركزها وعرض الزند على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل واذا
قصر رشاؤه وصله بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه وقيل ان موسى عم كان احسن بانه تعالى يسأله عن امر العصا لمنافع عظيمة فقال ما هذه العصا الا كغيرها ولكنه
لما سألتنى عنها وكلفتنى لسببها عرفت ان لى فيها مآرب اخرى ومنها كان فيها من المعجزات انه كان يستقى بها فيطول بطول البئر وتصير شعبتاه دلوا وتكونان شمعتين
بالليل واذا ظهر عدو حاربت عنه واذا اشتهى ثمرة ركزها فاورقت واثمرت وكان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه ويركزها فينبع الماء فاذا رفعها نضب
وكان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه ويركزها فينبع الماء فاذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام قلت هذه الخوارق ان كانت بعد نبوة موسى فلا كلام
وان كانت قبلها ففى صحة الرواية بعد الا ان كان لا يبعد تقديمها عند تعدد المنافع وعلى تقدير صحتها فلعلها ارهاص او من معجزات شعيب ونبى كان
قد اعطاها اياه قال اهل النكت ان موسى لما قال ولى فيها مآرب اخرى لا ينطق بها قال القها يا موسى بوجه اخر كان فى رجله شىء وهو النعل وفى يده شىء وهو العصا
والرجل للهرب واليد للطلب امر بتركهما تنبيها على ان السالك ما دام فى مقام الطلب والهرب كان مشتغلا بنفسه طالبا لحظه فلا يحصل له كمال الاستغراق
فى بحر العرفان وفيه ان موسى مع جلالة منصبه وعلو شانه لم يمكنه الوصول الى حضرة الجلال حتى خلع النعل والقى العصا فانت مع الف قنطار من المعاصى كيف
يمكنك الوصول الى جنابه قال الكلبى الاستطاعة قبل الفعل لان القدرة على القاء العصا اما ان توجد والعصا بيده فذاك قولنا او توجد وهى خارجة عن يده وذلك
بانه يلقى من يده ما ليس فى يده ويمكن ان يجاب بان القدرة مع القاء العصا قوله فاذا هى حية تسعى وفى موضع فاذا هى ثعبان وفى اخر كانها جان والتعبير عنه بالحية
لان الحية اسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والعظيم واما الثعبان وهو العظيم من الحيات والجان وهو الدقيق منها فبينهما تناف فى الظاهر لا فى التحقيق لانها
كانت تكون حية صفراء دقيقة كالجان ثم تتورم وتتزايد جسمها حتى يصير ثعبانا فاريد الحالتان او انها كانت فى شخص الثعبان وسرعة حركة الجان ولهذا وصفها بالسعى
وهو المشى بسرعة وخفة حركة والعجب ان موسى قال اتوكأ عليها فاصلح الله تعالى فى ذلك فجعلها متكأ له بان كانت اعظم معجزاته وانما قلبها حية فى ذلك الوقت ليكون
معجزا لموسى يعرف بها نبوة نفسه فان النداء والنور والكلام لم يكن فيها الا الزهد ولان توالى المعجزات كتتابع الخلع والكرامات ومنها لانه عرضها
ليشاهدها ويوطن نفسه عليها لا يخافها عند فرعون فلولى مستشعرا العدو مدبرا المنافع فى صور المثالب فكيف اذا وجد مجال الطعن وقدح وقد روى فى الاعراف ان الحية
كان لها عرف كعرف الفرس وكان بين لحييها اربعون ذراعا فلما راى ذلك الامر العجيب الهائل ملكه من الفزع والنفار ما يملك البشر عند الاهوال حتى يذهل عن الدلائل
واخذ نفسه ولو انه بلغ ثم مقام فقر والى الله لم يفر عن شىء ولعله لما حصل له مقام التكلم بقى فى قلبه عجب فاذاقه الله تعالى انه بعد فى مقام نفس لامكانى ولم يفارق
عالم البشرية وما النصر والتثبيت الا من الله وحده فقد روى انه قيل له ادبر لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمانينة نفسه ان ادخل يده فى فمها واخذ بلحييها قال الشيخ
ابو القاسم الانصارى ذلك الخوف من اقوى الدلائل على صدقه فى النبوة لان الساحر يعلم ان الذى اتى به تمويه فلا يخافه البتة وعن بعضهم انه خافها لانه
ما لقى آدم منها قلت يحتمل ان يكون خوف موسى وهربه اياها من فوات المنافع المعدودة ولهذا علل عدم خوفه بقوله سنعيدها سيرتها الاولى قال جار الله السيرة
من السير كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت الى معنى المذهب والطريقة ومنه سير الاولين فيجوز ان ينتصب على الظرف اى فى
طريقتها الاولى اى فى حال ما كانت عصا او يكون اعاد منقولا بالهمزة من عاده بمعنى عاد اليه فيتعدى الى مفعولين او يكون المراد بالاعادة الانشاء
ثانيا وينصب سيرتها بفعل مضمر فى موضع الحال اى سنعيدها تسير سيرتها الاولى حيث كنت تتوكأ عليها ولك فيها المآرب التى عرفتها قوله
فقال واضمم الى جناح يقال لكل ناحيتين جناحان ومنه جناحا العسكر وجناحا الانسان لجنبيه والاصل المستعار منه جناحا الطائر سميا جناحين
لجنوحهما عند الطيران اى تميلهما فقيل المراد بالاية تحت العضد بدليل قوله تخرج وعن ابن عباس معناه الى صدرك وضعف بانه لا يطابقه قوله تخرج قلت لانك
اذا الصدر مستور بالقميص فظهر عندك لك معنى الخروج ويفسره قوله فى موضع اخر وادخل يدك فى جيبك والسوء الرداءة والقبح فى كل شىء فكنى به عن البرص كما كنى
عن العورة بالسوأة والبرص ابغض شىء عند العرب بحيث تمجه اسماعهم فكان جديرا بان يكنى عنه ومعنى بيضاء انها تبرق كشعاع الشمس قال فى الكشاف من غير سوء
من صلة البيضاء كما تقول ابيضت من غير سوء قلت لعل المراد من التعليل انه ليس بسبب البياض هو السوء وانما السبب غيره وحقيقته يرجع الى الابداء وبيضاء
واية حالان معا او متداخلتان واحتمل ان ينتصب اية بمضمر يدل عليه الكلام نحو خذ ودونك وقوله لنريك متعلق بهذا المضمر اى فعلنا ما فعلنا ولا يبعد عندى ان يتعلق
بالامر المذكور وبناى القها واضمم لنريك قال الحسن اليد اعظم فى الاعجاز من العصا لانه تعالى وصفها بالكبرى وضعف بانه ليس فى اليد الا تغير اللون واما فى
العصا ففيها تغير اللون والزيادة فى الجسم وخلق الحياة والقدرة على الامور الخارقة فالمراد لنريك بهاتين الايتين بعض اياتنا الكبرى وجوز فى الكشاف ان يكون المراد
لنريك بهما الكبرى من اياتنا ويرد عليه لزوم ان يكون الايات الكبرى منحصرة فيهما وليس كذلك فان معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اكبر من الكل وكفاك القرآن شاهدا عليه
ذلك ثم صرح بالمقصود من المعجزات فقال اذهب الى فرعون وخصه بالذكر لان قومه تبع له ثم بين العلة فى ذلك فقال انه طغى وهب انه تعالى قال لموسى اسمع
كلامى واحفظ وصيتى وانطلق برسالتى فانك بعينى وسمعى وان معك يدى وبصرى وانى البستك جنة من سلطانى لتستكمل بها القوة فى امرى بعثتك الى خلق ضعيف
من خلقى بطر نعمتى وامن مكرى وغرته الدنيا حتى جحد حقى وانكر ربوبيتى وزعم انه لا يعرفنى لولا الحجز والعذر الذى وضعت بينى وبين خلقى لبطشت به بطشة
شديدة جبارة ولكن هان على وسقط من عينى فبلغه رسالتى وادعه الى عبادتى وحذره نقمتى وقل له قولا لينا لا يغتر بلباس الدنيا وان ناصيته بيدى لا تطرف
ولا تنفس الا بعلمى فى كلام طويل قال فسكت موسى سبعة ايام ثم جاءه ملك فقال له اجب ربك فيما امرك فعند ذلك قال رب اشرح لى صدرى قال علماء
المعانى لم يقل رب اشرح صدرى ويسر امرى ليعلم ان ثمة مشروحا وميسرا ثم بين فرفع الابهام بذكر الصدر والامر فكان اوكد من جهة الاجمال ثم التفصيل

صدر موسى ضيق كما جاء في موضع اخر ويضيق صدري فسأل الله ان يبدل الضيق بالسعة حتى يفهم ما انزل عليه من الوحي وقيل اراد يشجعني على مخاطبة فرعون
وعلى تحمل اعباء الرسالة واعلم ان الكلام في الدعاء وشرائطه وفوائده وسائر ما يتعلق به قد سبق منا في البقرة في تفسير قوله سبحانه واذا سالك عبادي عني فاني
قريب فلنذكر هاهنا نكتا شريفة الاولى انه تعالى كامل في الازل فلا يتكمل وبذلك كما يقال انه سبحانه لا يعلم عدد مفصل الحركات اهل الجنة لان كل ما له مفصل عدد متناه
متناه وحركات اهل الجنة غير متناهية فامتنع ذلك لا للقصور في العلم بل لكونه في نفسه ممتنع الحصول ولما كان الغرض من التكوين تكميل الناقصين وكان
الوجود اول صفة من صفات الكمال اجلس الله سبحانه على هذه المائدة بعض المعدومات لانه لو اجلس الكل عليها لدخل في الوجود ما لا نهاية له ولا تنتهي القدرة
الذاتية لامتناع تحقق الموجود وكمال رحمته اقتضت وضع مائدة الوجود لبعض المعدومات دون بعض حتى صار ذلك البعض جامدا مدركا للمنافي والملائم واللذة
والالم والخير والشر فقال الاحياء عند ذلك يا رب الارباب شرفتنا بخلعة الوجود وخلعة الحيوة ولكن ازدادت حاجتنا لانا حال العدم وحال الجمادية ما كنا نحتاج
الى الملائم والموافق وما كنا نخاف المنافي والموذي والآن احتجنا الى طلب الملائم ودفع المنافي فان لم يكن لنا قدرة على الهرب في الطلب كنا كالزمن المقعد في
الطريق عرضة للآفات وهدفا لسهام البليات فاقتضت الرحمة الكاملة تخصيص بعض الاحياء بالقدرة كما اقتضت تخصيص بعض المعدومات بالوجود وتخصيص
بعض الموجودات بالحيوة فقال القادرون عند ذلك الهنا الجواد الكريم ان الحيوة والقدرة بلا عقل لا تكون الا للبهائم المسخرة في حمل الاثقال فافض علينا
من العقل الذي هو اشرف مخلوقاتك فاعطى بعضهم العقل فحصل فاز واحدهم نور البصيرة وجوهر الهداية ختامه مسك كما ان خاتم النبيين ص كان افضل
المخلوقات فنظر العقل في نفسه فرأى نفسه كالحقة المملوة من الجواهر بل كسماء منيرة بالزواهر وهي العلوم الضرورية البديهية المركوزة في بداية العقول ومراتع
الاذهان يهتدي بها السائرون في ظلمات بر الشكوك وبحر الشبهات فاستدل العقل بتلك الارقام على راقم وبتلك النقوش على نقاش فغلبته دهشة الانوار
الازلية وكاد يغرق في بحر الفكر ويضيق عليه نطاق التامل والتدبر ويقع في تجاذب ايدي الاعداء الداخلة والخارجة وشياطين الجن والانس فعند ذلك قال
رب اشرح لي صدري ويسر لي امري فان انتهاء جميع الحوادث اليك وتيسير الامور الكلية والجزئية من عندك فهو الذي يعطي القابل قابليته والفاعل فاعليته الثانية انه تعالى
خاطبه اولا بالتوحيد انني انا الله لا اله الا انا وثانيا بالعبادة فاعبدني وثالثا بمعرفة المعاد ان الساعة آتية ورابعا بتعليم فن الحكمة في جملة افعاله وما تلك
بيمينك وخامسا بعرض المعجزات الباهرة عليه لنريك من آياتنا الكبرى وسادسا بارساله الى اعظم الناس كفرا وكانت هذه التكاليف الشاقة سببا
لضيق العطن وانحلال عقدة الصبر فلا جرم تضرع الى الله سبحانه قائلا رب اشرح لي صدري ويسر لي امري وهاهنا دقيقة هي ان شرح الصدر مقدمة
لطلوع الانوار الالهية في القلب والاستماع مقدمة الفهم ولما اعطى موسى المقدمة فاستمع نسج موسى على ذلك المنوال فقال رب اشرح لي صدري ولما
آل الامر الى محمد وكان خاتم النبيين ومقصودا من الكائنات وخاطبا بقوله الم نشرح لك صدرك اوتي النتيجة فقيل له وقل رب زدني علما ووصف
بقوله سراجا منيرا فشرح الصدر هو ان يصير الصدر قابلا للنور والسراج المنير هو المعطي للنور فالتفاوت بين موسى ومحمد عليهما السلام هو التفاوت بين
الآخذ والمعطي ولهذا قال موسى اللهم اجعلني من امة محمد الثالثة انه تعالى ذكر عشرة اشياء ووصفها بالنور احدها وصف ذاته بالنور الله نور السموات والارض
وثانيها الرسول قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وثالثها الكتاب واتبعوا النور الذي انزل معه ورابعها الايمان يريدون ان يطفئوا نور الله وخامسها
عدل الله واشرقت الارض بنور ربها وسادسها ضياء القمر وجعل القمر فيهن نورا وسابعها النهار وجعل الظلمات والنور وثامنها البينات انا انزلنا التورية فيها هدى
ونور وتاسعها الانبياء نور على نور وعاشرها المعرفة مثل نوره كمشكوة فيها مصباح فكان موسى قال اولا رب اشرح لي صدري بمعرفة انوار جلال
كبريائك وثانيا رب اشرح صدري بالتخلق باخلاق رسلك وانبيائك وثالثا رب اشرح لي صدري باتباع وحيك وامتثال امرك ونهيك ورابعا
رب اشرح لي صدري بنور الايمان والايقان بالهيتك وخامسا رب اشرح لي صدري بالاطلاع على اسرار عدلك في قضائك وحكمك وسادسا رب
اشرح لي صدري بالانتقال من نور شمسك وقمرك الى انوار جلالك وعزتك كما فعله ابرهيم صلوات الرحمن عليه وسابعا رب اشرح لي صدري
عن مطالعة نهارك وليلك الى مطالعة نهار فضلك وليل عدلك وثامنا رب اشرح لي صدري بالاطلاع على مجامع اياتك ومعاقد بيناتك
في ارضك وسمائك وتاسعا رب اشرح لي صدري ان اكون خلف صدق انبيائك وعاشرا رب اشرح لي صدري بان يجعل سراج الايمان كالمشكوة التي
فيها المصباح الرابعة شرح الصدر عبارة عن ايقاد النور في القلب حتى يصير القلب كالسراج ومستوقد السراج محتاج الى سبعة اشياء زند وحجر
وحراق وكبريت ومسرجة وفتيلة ودهن فالزند زند المجاهدة والذين جاهدوا فينا والحجر حجر التضرع ادعوا ربكم تضرعا وخفية والحراق منع الهوى
ونهى النفس عن الهوى والكبريت الانابة وانيبوا الى ربكم والمسرجة الصبر واستعينوا بالصبر والصلوة والفتيلة الشكر لئن شكرتم لازيدنكم والدهن
الرضا واصبر لحكم ربك ثم اذا اصلحت هذه الادوات فلا تعول عليها بل ينبغي ان تطلب المقصود من حضرة ربك بالتضرع والدعاء قائلا رب اشرح لي
صدري فهنالك تسمع قد اوتيت سؤلك يا موسى الخامسة هذا النور الروحاني المسمى بشرح الصدر افضل من الشمس الجسمانية لوجوه احدها الشمس يحجبها
الغيم وشمس المعرفة لا يحجبها السموات السبع اليه يصعد الكلم الطيب وثانيها الشمس تغيب ليلا وشمس المعرفة لا تغيب ليلا ان ناشئة الليل هي اشد وطأ
واقوم قيلا والمستغفرين بالاسحار سبحان الذي اسرى بعبده ليلا الليل للعاشقين ستر يا ليت اوقاته تدوم وعند الصباح يحمد القوم السرى
وثالثها الشمس تفنى اذا الشمس كورت والمعرفة لا تفنى اصلها ثابت وفرعها في السماء سلام قولا من رب رحيم ورابعها الشمس اذا قارنها القمر
انكسفت وشمس التوحيد وهي اشهد ان لا اله الا الله اذا لم يقترن بقمر النبوة وهي اشهد ان محمدا رسول الله ص لم يصل نوره الى عالم الجوارح وخامسها

الشمس

الشمس تسود الوجه والمعرفة تبيض الوجوه يوم تبيض وجوه وسادسها الشمس تحرق والمعرفة تنجي من الاحراق جز يا مؤمن فقد اطفأ نورك
لهبي وسابعها الشمس تصدع والمعرفة تصعد اليه يصعد الكلم الطيب وثامنها الشمس منفعتها في الدنيا والمعرفة منفعتها في الدارين فلنحيينه
حيوة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وبوجه اخر الشمس زينة لاهل الارض والمعرفة زينة لاهل السماء وتاسعها الشمس فوقانية في الصورة تحتانية
في المعنى والمعارف الالهية تحتانية الصورة فوقانية المعنى وفيه ان الخير مع التواضع والشرف مع التواضع وعاشرها الشمس تعرف احوال الخلق والمعرفة
تصل القلب الى الخالق والشمس تقع على الولي والعدو والمعرفة لا تحصل الا للولي فلما كان شرح الصدر الذي هو اول مراتب الروحانيات اشرف
من اعلى مراتب الجسمانيات بدأ موسى بطلبه قائلا رب اشرح لي صدري السادسة الشمس سراج اوقدها الله تعالى للفناء كل من عليها فان والمعرفة سراج اوقدها
للبقاء يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت والذي خلقه للفناء اذا قرب منه الشيطان احترق فيجد له شهابا رصدا والذي خلقه للبقاء كيف يقرب منه
الشيطان رب اشرح لي صدري وايضا الشمس في السماء ثم انها مع بعدها تزيل الظلمة عن بيتك فشمس المعرفة مع قربها لانها في قلبك اولى ان تزيل
ظلمة المعصية والكفر عن قلبك وايضا الانسان اذا استوقد سراجا فانه لا يزال يتعهده ويمده والله تعالى هو الموقد لسراج المعرفة ولكن حبب اليكم الايمان
املا يمده وهو معنى قوله رب اشرح لي صدري وايضا اذا كان في البيت سراج فان اللص لا يقرب منه وانه سبحانه قد اوقد سراج المعرفة في قلبك فكيف يقرب
الشيطان منه رب اشرح لي صدري وايضا المجوس اذا اوقدوا نارا لا يجوزون اطفاءها فالملك القدوس اذا اوقد سراج المعرفة في قلبك كيف يرضى باطفائها
رب اشرح لي صدري السابعة انه سبحانه اعطى قلب المؤمن تسع كرامات احدها الحيوة او من كان ميتا فاحييناه وقال ع من احيا ارضا ميتة فهي له فمن احيا
ارض القلب فحياها بنور الايمان لا يكون لغيره فيها نصيب وثانيها الشفاء ويشف صدور قوم مؤمنين وفيه انه اذا وضع الشفاء في العسل بقيت تلك الخاصية فيه
ابدا فاذا وضع الشفاء في الصدر فكيف لا يبقى ابدا وثالثها الطهارة اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وفيه ان الصائغ اذا امتحن الذهب مرة فبعد ذلك
لا يدخله في النار فالله تعالى لما امتحن قلب المؤمن كيف يدخله النار بعد ورابعها الهداية ومن يؤمن بالله يهد قلبه وفيه ان الرسول ص يهدي نفسك والقرآن
يهدي روحك والمولى يهدي قلبك الا ان الاول قد يحصل وقد لا يحصل انك لا تهدي من احببت وكذا الثاني يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا واما هداية القلب
فلا تزول البتة لان الهادي لا يزول ولكن الله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وخامسها الكتابة اولئك كتب في قلوبهم الايمان وفيه ان القرطاس اذا كتب
فيه القرآن لم يجز احراقه فقلب المؤمن الذي فيه القرآن وجميع احكام ذات الله وصفاته كيف يليق بالكريم احراقه وايضا ان البشر الحافي اكرم قرطاسا فيه اسم
الله تعالى فنال سعادة الدارين فاكرام قلب فيه معرفة الله اولى بذلك وايضا ان القرطاس اذا كتب فيه اسم الله الاعظم عظم قدره حتى لا يجوز للجنب والحائض
مسه فالقلب الذي فيه اكرم الموجودات كيف يجوز للشيطان الخبيث ان يمسه وسادسها هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين وفيه ان ابا بكر لما انزلت
عليه السكينة في الغار قيل له لا تحزن ان الله معنا فالمؤمن اذا انزلت السكينة في قلبه فلا بد ان يقال له عند قبض الروح لا تخف ولا تحزن كما قال تتنزل عليهم
الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وسابعها المحبة والزينة كما قال ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وفيه ان الدهقان اذا القى في الارض حبة فهو
لا يفسدها ولا يحرقها فهو سبحانه حين القى حبة المحبة في ارض القلب كيف وثامنها والف بين قلوبكم وفيه ان محمدا حين الف بين قلوب اصحابه ما تركهم غيبة ولا
حضورا سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فاكرم الاكرمين وارحم الراحمين كيف يتركهم سلام قولا من رب رحيم وتاسعها الطمأنينة الا بذكر الله تطمئن
القلوب وفيه ان الحاجات غير متناهية وما سوى الله فهو متناه والمتناهي لا يقابل غير المتناهي فالكافي للمهمات لا يكون الا من له كمالات غير متناهيات فلا
يزول قلق الحوائج واضطراب الاماني الا بالله سبحانه وبازاء هذه الكرامات ورد في حق الكفار اضدادها فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم في قلوبهم مرض فويل للقاسية قلوبهم
قاسية انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه ختم الله على قلوبهم ام على قلوب اقفالها كلا بل ران على قلوبهم طبع الله على قلوبهم فلاجل تلك الكرامات والمراتب اصله
قال موسى رب اشرح لي صدري ويسر لي امري التاسعة في حقيقة شرح الصدر وذلك ان لا يبقى للقلب التفات الى الدنيا لا رغبة بان يكون متعلق القلب
بالاهل والولد وتحصيل مصالحهم ودفع المضار عنهم ولا رهبة بان يكون خائفا من الاعداء والمنازعين فان القوة البشرية لضعفها كينبوع صغير فاذا
وزعت على جداول كثيرة ضعف الكل وضاعت واذا انصب الكل في موضع واحد ظهر اثرها وقويت فائدتها فسأل موسى ربه ان يوقفه على معايب الدنيا
ويفتح صفاتها ليكون متوجها بالكلية الى عالم القدس ومنازل الروحانيات وهذا معنى قوله رب اشرح لي صدري او نقول انه لما كلف بضبط الوحي في
قوله فاستمع لما يوحى وبالمواظبة على خدمة الخالق في قوله فاعبدني وكان ايضا مكلفا بتدبير العالمين والالتفات الى احدهما يمنع من الاشتغال بالآخر
فسأل موسى ربه قوة وافية بالطرفين فقال رب اشرح لي صدري او نقول معدن النور هو القلب والاشتغال بما سوى الله من الزوجة والولد والصديق
والعدو بل الجنة والنار هو الحجاب المانع من وصول نور شمس القلب الى فضاء الصدر فاذا قوى الله بصيرة العبد حتى طالع عجز الخلق وقلة فائدتهم في الدارين
صغروا في عينه كالذباب والبق والبعوضة فلا يدعوه رغبة الى شيء مما يتعلق بالدنيا ولا رهبة من شيء من ذلك فيصير الكل عنده كالعدم فعند
ذلك يزول الحجاب وينفسح القلب بل الصدر للنور رب اشرح لي صدري العاشرة لنضرب مثلا لذلك فنقول البدن بالكلية كالمملكة والصدر كالقلعة
والفؤاد كالصفة والقلب كالسرير والروح كالملك والعقل كالوزير والشهوة كالعامل الكبير الذي يجلب النعم الى البلدة والغضب كالاسفهبد الذي
يشتغل بالضرب والتاديب والحواس كالجواسيس وسائر القوى كالمحترفين والعملة والصناع ثم ان الشيطان كملك مطاع وانه يخاصم هذه البلدة والقلعة
والهوى والحرص وسائر الاخلاق الذميمة جنوده فاذا اخرج الروح وزيره وهو العقل اخرج الشيطان في مقابلته الهوى فجعل العقل يدعو الى الله

تعالى دعوى الى الشيطان ثم ان الروح اخرج الفطنة اعانة للعمل فاخرج الحرص في مقابلة الشهوة فالفطنة توقفك على معايب الدنيا والشهوة تحجز
لذات الدنيا ثم ان الروح امد الفطنة بالفكرة لتوقف على الحاضر والغائب من المعايب على ما قال تفكر ساعة خير من عبادة ستين فاخرج الشيطان
في مقابلة الفكرة والغفلة ثم اخرج الروح الحلم والثبات فان العجلة ترى الحسن قبيحا والقبيح حسنا فاخرج الشيطان بازائه العجلة والسرعة
فلهذا قال عم ما دخل الرفق في شيء الا زانه وما دخل الخرق في شيء الا شانه وخلق السموات والارض في ستة ايام ليتعلم منه الرفق والثبات
فهذه هي الحصون التي تقع بين الصفين وقلبك صدى الصدى هو المعركة ثم ان لهذا الصدر الذي هو القلعة خندقا وهو الزهد في الدنيا والسور وهو
الرغبة في الاخرة وفي كل ما هو لله فان كان الخندق عظيما والسور قويا عجز عسكر الشيطان وجنوده من الكبر والهوى والعجب والبخل وسوء
الظن بالله من النميمة والغيبة وساير الخصال الذميمة وتحصن الملك في القصر ويضيق الامر عليه ثم اذا جاء مدد التوفيق واخرج هذا العسكر
من القلعة انفسح وانشرح رب اشرح لي صدري لتكثر العساكر في الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب الصدر مقر الاسلام والقلب مقر الايمان حبب
اليكم الايمان وزينه في قلوبكم اولئك كتب في قلوبهم الايمان والفؤاد مقر المشاهدة ما كذب الفؤاد ما راى واللب مقام التوحيد انما يتذكر اولوا
الالباب الذين خرجوا عن قشر الوجود المجازي وبقوا بلب الوجود الحقيقي ثم ان القلب كاللوح المحفوظ في العالم الصغير فاذا ركب العقل سفينة
التوفيق والقاها في بحار امواج المعقولات من عالم الروحانيات هبت من مهاب العظمة والكبرياء رياح السعادة تارة ودبور الادبار للخزي في
منظر الركاب الى التماس انوار الهدايات وطلب انفتاح ابواب السعادات فيقول رب اشرح لي صدري وانما سال موسى شرح الصدر دون القلب لان
انشراح الصدر يستلزم انشراح القلب دون العكس ايضا شرح الصدر كالمقدمة لشرح القلب والحر تكفيه الاشارة فاذا علم انه طالب للسعة فلا يليق
ان يمنعه التيسير وايضا انه راعى الادب في الطلب فاقتصر على طلب الادنى فلا جرم اعطي المقصود فقال قد اوتيت سؤلك يا موسى وحين اجترا وطلب
الرؤية بقوله رب ارني انظر اليك اجيب بقوله لن تراني واعلم ان جميع الممكنات كالبلور الصافي الموضوع في مقابلة شمس القدس ونور العظمة و
مشرق الجلال فاذا وقع للقلب التفات اليها حصل له نسبة اليها باسرها فينعكس شعاع كبرياء الالهية من كل واحد منها الى القلب فيحترق
القلب ويصير محترقا كلما كان اكثر كان الاحتراق اتم فلهذا قال موسى رب اشرح لي صدري حتى اقوى على ادراك درجات الممكنات واصل الى مقام الاحتراق
بانوار الجلال كما قال نبينا ارنا الاشياء كما هي ومن هاهنا يفتقر وهي ان موسى لما زاد لفظة لي في قوله رب اشرح لي دون ان يقول رب اشرح صدري علم انه
انما يعود منفعة الشرح اليه فلا جرم يقول يوم القيمة نفسي نفسي وان نبينا لم يلم بل امته في مقام القرب اذ قيل له السلام عليك ايها النبي فقال السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين فلا جرم يقول يوم القيمة امتي امتي وشتان ما بين من يتضرع الى الله ويقول رب اشرح لي صدري وبين من
خاطبه الله بقوله الم نشرح لك صدرك ولا يخفى ان المراد بالشرح التيسير عند اهل السنة هو خلقهما وعند المعتزلة تحريك الدواعي والبواعث بفعل الالطاف
المهلة فانه يحتمل ان يكون هنا من الالطاف ما لا يمكن فعلها الا بعد هذا السؤال اما قوله سبحانه واحلل عقدة من لساني فاعلم ان النطق فضيلة عظيمة
وموهبة جسيمة ولهذا قال خلق الانسان علمه البيان ولم يوسط العاطف كانه انما يكون خلقا للانسان اذا علمه البيان وفي لسان الشاعر وهو زهير
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق الا صورة اللحم والدم وعن علي كرم الله وجهه ما الانسان لولا اللسان الا صورة مصورة او بهيمة مهملة وقالت العقلاء المرء
باصغريه المرء مخبوء تحت لسانه وفي مناظرة ادم والملائكة ما ظهر الفضيلة الا بالنطق ومن التعريفات المشهورة ان الانسان هو الحيوان الناطق و
هذا النطق وان كان في التحقيق هو ادراك المعاني الكلية لكن النطق اللساني لا ريب اظهر خواص الادمي وقد يطلق اسم المعنى على المعبر عنه في
ضمنه فقول موسى رب اشرح لي صدري اشارة الى طلب النور الواقع في القلب وقوله ويسر لي امري رمز الى تسهيل ذلك التحصيل وقوله واحلل طلب لسهولة
التكميل لان اللسان الة الافاضة والافادة وبه يتيسر ذلك الخطب الجسيم المنصب العظيم وحسبك بالنطق شرفا وفخرا سكوت الحاضرين وانه
قائل ومن الناس من مدح الصمت بوجوه منها قولهم الصمت حكم وقليل فاعله وقولهم مقتل الرجل بين فكيه في توابع الكلم يا بني فانك
لا تفرغ فقال ومنها ان الكلام خمسة اقسام فالذي ضرره خالص او غالب او مساو للنفع واجب الترك احترازا من السفه والعبث والذي نفعه خالص
او غالب عسر المراعاة فالاولى تركه ومنها انه ما من موجود او معدوم معلوم او موهوم الا واللسان يتناوله باثبات او نفي بحق او بباطل بخلاف
ساير الاعضاء فالعين لا تصل الا الى الالوان والسطوح والاذن لا تصل الا الى الاصوات وكذا باقي الجوارح اما اللسان فانه رحب الميدان
واسع المضطرب خفيف المؤنة سهل التناول لا يحتاج الى الات وادوات فالمعصية به فكان الاولى ترك الكلام وامساك اللسان والانصات
ان الصمت في نفسه ليس بفضيلة لانه امر عدمي والنطق في نفسه فضيلة وانما يصير رذيلة لاسباب عرضية مما عدها ذلك القائل فيرجع الحق الى ما
قاله النبي ص رحم الله امرا قال خيرا فغنم او سكت فسلم فلو ترك الكلام له اربعة اسماء الصمت وهو اعمها حتى انه يستعمل فيما ليس يقوى على النطق
كقولهم مال ناطق وصامت والسكوت وهو ترك الكلام ممن يقدر على الكلام والانصات هو السكوت مع استماع قال تعالى فاستمعوا له وانصتوا
والاصاخة وهو ما يصعب ادراكه كالسر والصوت من المكان البعيد اما العقدة فقيل انها كانت في اصل خلقته وعن ابن عباس انه في حال صباه اخذ
بلحية فرعون ونتفها فهم فرعون بقتله وقال هذا هو الذي يزول ملكي على يده فقالت اسية انه صبي لا يعقل وان شئت فامتحنه بالتمر والجمر وقيل بالياقوت
والجمر فاحضر بين يديه فاراد مد اليد الى الياقوت فحول جبرئيل يده الى الجمر فاخذها ووضعها في فيه فظهرت به عقدة وتحبس عند بعض الحروف

تبعث منه الرواية فان النار انما احرقته واثرت فيه لطفاء لثائرة غضب فرعون والا فالله سبحانه قادر على دفع الاحراق عن طبع النار كما في حق
ابراهيم صلوات الرحمن عليه وكما في حق موسى حين القي في التنور وروي ان يده احترقت ايضا وان فرعون اجتهد في علاجها فلم يبرؤ ولما دعاه قال
الى اي رب تدعوني قال الى الذي ابرا يدك وقد عجزت عنها وعن بعض العلماء انه لم يبرا لئلا يدخل يده مع فرعون في قصعة واحدة
وقيل لم يحترق يده لان الصوت ظهرت باليد انما احترق اللسان لانه خاطبه بقوله يا ابت وما الحكمة في حل العقدة كلها لا ظاهر كيلا يقع في ذات الرسالة
خلل ظاهر قال يفقهوا قولي وقيل لان العقدة في اللسان قد يقتضي الاستحقار بالقائل وعدم الالتفات اليه وقيل اظهار المعجزة كما ان
حبل لسان زكريا عن الكلام كان معجزا له فكذا اطلاق لسان موسى كان معجزا في حقه وهل زالت تلك العقدة بالكلية نقل عن الحسن نعم لقوله قد
اوتيت سؤلك والاصح انه بقي بعضها لقوله حكاية عن فرعون ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين اي يقارب ان لا يبين وكان في
لسان الحسين على ع رثة لانه طلب حل بعضها بحيث يفهم عنه ونا حيدا ولم يطلب الفصاحة الكاملة قال اهل التحقيق وذلك لان حل العقدة
بالكلية نصيب محمد ص كان افصح العرب والعجم ونظيره قال تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن فلما كان ذلك حقا لليتيم ابعد الكل عنه ما دار حوله
ومن مطالب موسى قوله واجعل لي وزيرا من اهلي هرون قال اهل الاشتقاق الوزير من الوزر بالكسر فالسكون لانه يحمل عن الملك اوزاره ومؤنه
او من الوزر بفتحتين وهو الملجا لان الملك يعتصم برايه ويلجى اليه اموره او من الموازرة المعاونة ويكون من الازر القوة ومنه قوله تعالى اشدد
به ازري اي ظهري لانه محل القوة قال الجوهري ازرت فلانا اي عاونته والعامة تقول وازرته وعلى هذا يكون القياس ازيرا بالهمز على ما حكي
عن الاصمعي ووجه القلب حمل فعيل على مفاعل لاتحاد معنييهما في نحو عشير وجليس وصديق وغيرها او حمله على اخواته من نحو الموازرة ويؤازره ولا
بالوزير يحسن وانه من اداب الملوك العقلاء وقد استحسنه نبينا ص فقال اذا اراد الله بملك خيرا قيض له وزيرا صالحا ان نسي ذكره وان نوى خيرا اعانه
وان اراد شرا كفه وكان انوشروان يقول لا يستغني اجود السيوف عن الصيقل ولا اكرم الدواب عن السوط ولا اعلم الملوك عن الوزير وكفى بمرتبة الوزارة
منقبة وفخرا وشرفا وذكر ان النبي ص المؤيد بالمعجزات الباهرة ابتهل الى الله سبحانه في مقام القرب والمكالمة يطلبه منه فيجب على من اوتي هذه الرتبة
ان يؤدي الى الله حقها ولا يغتر بالدنيا وما فيها ويترك فارض الوزارة ما لم يبد عليه وقت حضا قيل ان موسى خاف على نفسه العجز عن القيام بذلك
الامر العظيم والخطب الجسيم فطلب المعين ولا ظاهر انه راى ان التعاون على الدين والتظاهر عليه مع خلوص النية وصفاء الطوية ابعد عن التهمة واعون
على الغرض ولهذا حكي عن عيسى انه قال من انصاري الى الله وخوطب نبينا ص يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وروي انه ص
قال ان لي في السماء وزيرين وفي الارض وزيرين فاللذان في السماء جبرئيل وميكائيل واللذان في الارض ابو بكر وعمر ثم ان موسى طلب ان يكون
ذلك الوزير من اهله اي من اقاربه ليكون التقرب اكثر وليكون الشرف في بيته او في قرابته كان واثقا باخيه هرون فاراد ان يخصه بهذا المنصب
الشريف قضاء لحقوق الاخوة من منع المستوجبين فقد قيل انه كان افصح منه لسانا واكبر سنا والين جانبا قال جار الله وزيرا وهرون مفعولا اجعل قدم
ثانيهما عناية بامر الوزارة او لي ووزيرا مفعولان وهرون عطف بيان للوزير او اخي في الوجهين بدل من هرون او عطف بيان اخر وقيل يجوز فيمن
قرا اشدد على الامر ان يجعل اخي مرفوعا على الابتداء واشدد خبره فيوقف على هرون ومعنى الازر عبارة عن تقوية به وان يجعله ناصرا له فيما
يرد عليه من الشدايد والخطوب بل يجعله سببا له في امر النبوة وطريق الرسالة لانه صرح بذلك في قوله واشركه في امري ثم ذكر غاية الادعية
فان المقصد الاسنى هو الاستغراق في بحر التوحيد وغاية الاشتراك فان التعاون مهيج الرغبات ومسهل سلوك سبيل الخيرات فقال كي نسبحك كثيرا
ونذكرك كثيرا وقدم التسبيح وهو التنزيه لان النفي مقدم على الاثبات فبالاول يندك العقايد الفاسدة وبالثاني ترتسم النقوش الحسنة
ثم ختم الادعية بقوله انك كنت بنا بصيرا ومن فوايده منها انه فوض استجابة الدعوات الى علمه باحوالهما وانهما بصدد اهلية الاجابة ام لا ومنها حسن
الادب فلا يخفى ومنها انه عرض فقره واحتياجه على علمه وانه مفتقر الى التعاون والتعاضد ولهذا سال ما سال ومنها انه اعلم باحوال الحبيبة
هل يصلح للوزارة ام لا وان وزارته هل يصير سببا لكثرة التسبيح والذكر وحين راعى من دقايق الادب في انواع حسن الطلب ما يجب غايته فلا
جرم اجاب الله تعالى مطالبه ونجح ما ربه قائلا قد اوتيت سؤلك والسؤال بمعنى المسؤول كالخبز بمعنى المخبوز والاكل بمعنى الماكول وزيادة قوله يا موسى
بعد رعاية الفاصلة للاجلال كان التميز والتعيين والله اعلم بمصالح عباده الثاني يا من طاب بطهارته بساط النبوة ما انزلنا عليك القران لا
لتسعد بتخلقك بخلقه ويسعد بسببك الاولون والاخرون من اهل السموات واهل الارضين تنزيلا ممن خلق الارض لتربيتك والسموات العلى لتعليك
التي هي اعلى الموجودات الممكنات كما قال اول ما خلق الله روحي استوى بصفة الرحمانية على عرش قلبك ليكون معه وقت لا يسعه فيه ملك
مقرب ولا نبي مرسل له ما في السموات الروحانية من الصفات الحميدة وما في الارض البشرية من الصفات الذميمة وما بينهما اي بين سماء الروح
وارض النفس وهو القلب عما فيه من الايمان والايقان والاخلاص والمعرفة والمحبة للترى اي ما هو مركوز في جبلة الانسانية وان تجهر بالقول
شيء من صفاتك بالقول فانه يعلم السر وهو ما يظهر من سره لك واخفى مما هو اخفى الله من خفيك والسر في اصطلاح الصوفية لطيفة بين القلب
والروح وهو معدن الاسرار الروحانية والخفي لطيفة بين الروح والحضرة الالهية وهو مهبط انوار الربوبية واسرارها وجملتها المعقولات وقد يحصل
الكل للانسان عند نشاته الاولى وان كان كافرا والاخفى لطيفة بين الروح والحضرة الالهية ويكون عند نشاته الاخرى ولا يحصل الا

لو من موجد شا مهبط الانوار الربانية ومحلها المشاهدات والمكاشفات وحقايق العلوم اللدنية ولهذا قال عليه السلام لا اله الا هو لان مظهر الالوهية
وصفاته العليا واسمائه الحسنى هو الحق الذي لا شئ اقرب الى الحضرة منه الا وهو سر وعلم ادم الاسماء كلها وهو حقيقة قوله ان الله خلق ادم فتجلى
فيه وهل اتاك حديث موسى القلب اذ رأى نارا هو نور الحقيقة ما نودي به من جانب طور الروح فقال لاهله وهم النفس وصفاتها امكثوا
في ظلمة الطبيعة الحيوانية الى انوار الشريعة او اجد على النار هدى باداب الطريقة الى الحقيقة فلما نودي من شجرة القدس بخطاب الانس
فاخلع نعليك اي اترك الالتفات الى الزوجة والولد فان النعل في الرؤيا بهما او اترك الالتفات الى الكونين انك واصل الى جناب القدس
او هما المقدمتان في نحو قولنا العالم محدث وكل محدث فله محدث وموجد وذلك انه اذا غرق في لجة العرفان بقيتا المقدمتان على ساحل الوسائل
وانا اخترتك يا موسى القلب من سائر خلق وجودك من البدن والنفس والسر والروح فاستمع لما يوحى بسمع الطاعة والقبول انني انا تجليت بانانيتي الوهيتي
لانانية وجودك المجازي لا يبقى الا انا فاعبدني بافناء وجودك وادم المناجاة معي لنيل ذكري اياك بالتجلي ان قيامة العشق آتية اكاد اخفيها
لعظم شانها الا ان متقاضي الكرم اقتضى اظهارها لاحضر عبيدي لتجزى كل نفس بما تسعى فالعبودية من السر والقلب للنفس والقالب فلما
كان سعي الروح بجذب وصل الرجوع الى مكمن ضامره ونفخت فيه من روحي فجزاؤه من تجلي صفات الجلال بافناء الناسوتية وكان سعي السر بالخلو
عن الاكوان لقبول فيض المكون فجزاؤه بافاضة الفيض الالهي عليه وسعي القلب بقطع تعلقات الكونين لتصفيته وقابليته لتجلي صفات الجمال
والجلال فجزاؤه بدوام التجلي وان يبيت عند ربه يطعمه ويسقيه من الشراب الطهور الذي يزيل لوث الحدوث عن لوح القلوب لكشف
حقايق القلوب وسعي النفس بتبديل الاخلاق وانتفاء الاوصاف الحيوانية فجزاؤه باشراق نور ربها الا ان ظلمة صفاتها واطمئنانها
الى ذكر ربها لتصير قابلة لجذبة ارجعي الى ربك وسعي القالب باستعمال اركان الشريعة واداب الطريقة فجزاؤه رفعة الدرجات ونيل
الكرامات في الدارين فلا يصدنك عن هذه السعادات النفس الامارة بالسوء التي لا تؤمن بها ويحتمل ان يقال اكاد اخفي [illegible]
الجنة والنار لئلا يكون عبادتي مشوبة بطمع الجنة وخوف النار قالوا اخطا موسى في قوله هي عصاي وكان عليه ان يقول انت اعلم بحالها
وفي قوله اتوكأ عليها وكان عليه ان يتكل على لطف الله وكرمه فلهذا قيل له القها يا موسى وفي قوله واهش بها على غنمي اذ نسي العصا
لا تكون واسطة لرزق اغنامه وانما الرزاق هو الله خذها ولا تخف فان الضار والنافع هو الله وحده فلا يكن خوفك الا منه ولا
الابد واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء فيه عز دون السؤال وعار الطمع وما في الحقائق مذكور في التفسير وفي قوله
مرة اخرى بلفظ الماضي اشارة الى انه ذلك بالتقدير الازلي لا بالتدبير العملي والله اعلم بالصواب وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً

اُخْرٰى اِذْ اَوْحَيْنَا اِلٰى اُمِّكَ مَا يُوحٰى اَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَاْخُذْهُ عَدُوٌّ
لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَاَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلٰى عَيْنِي اِذْ تَمْشِي اُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ اَدُلُّكُمْ عَلٰى مَنْ يَكْفُلُهُ
فَرَجَعْنَاكَ اِلٰى اُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي اَهْلِ
مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلٰى قَدَرٍ يَا مُوسٰى وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي اِذْهَبْ اَنْتَ وَاَخُوكَ بِاٰيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي اِذْهَبَا اِلٰى
فِرْعَوْنَ اِنَّهُ طَغٰى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ اَوْ يَخْشٰى قَالَا رَبَّنَا اِنَّنَا نَخَافُ اَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا اَوْ اَنْ يَطْغٰى
قَالَ لَا تَخَافَا اِنَّنِي مَعَكُمَا اَسْمَعُ وَاَرٰى فَاْتِيَاهُ فَقُولَا اِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَاَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي اِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ
جِئْنَاكَ بِاٰيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلٰى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدٰى اِنَّا قَدْ اُوحِيَ اِلَيْنَا اَنَّ الْعَذَابَ عَلٰى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلّٰى قَالَ
فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسٰى قَالَ رَبُّنَا الَّذِي اَعْطٰى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدٰى قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْاُولٰى قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ
رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْاَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَاَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً فَاَخْرَجْنَا بِهِ اَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتّٰى كُلُوا وَارْعَوْا اَنْعَامَكُمْ اِنَّ فِي ذٰلِكَ لَاٰيَاتٍ لِاُولِي النُّهٰى مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا

لايات

نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً اُخْرٰى وَلَقَدْ اَرَيْنَاهُ اٰيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَاَبٰى قَالَ اَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ اَرْضِنَا بِسِحْرِكَ
يَا مُوسٰى فَلَنَاْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا اَنْتَ مَكَانًا سُوًى قَالَ مَوْعِدُكُمْ
يَوْمُ الزِّينَةِ وَاَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى فَتَوَلّٰى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ اَتٰى قَالَ لَهُمْ مُوسٰى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا
فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرٰى فَتَنَازَعُوا اَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَاَسَرُّوا النَّجْوٰى قَالُوا اِنْ هٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ
اَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ اَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلٰى فَاَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ اَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ
اسْتَعْلٰى قَالُوا يَا مُوسٰى اِمَّا اَنْ تُلْقِيَ وَاِمَّا اَنْ نَكُونَ اَوَّلَ مَنْ اَلْقٰى قَالَ بَلْ اَلْقُوا فَاِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ اِلَيْهِ مِنْ
سِحْرِهِمْ اَنَّهَا تَسْعٰى فَاَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسٰى قُلْنَا لَا تَخَفْ اِنَّكَ اَنْتَ الْاَعْلٰى وَاَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا
صَنَعُوا اِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ اَتٰى فَاُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا اٰمَنَّا بِرَبِّ هٰرُونَ وَمُوسٰى قَالَ
اٰمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ اَنْ اٰذَنَ لَكُمْ اِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَاُقَطِّعَنَّ اَيْدِيَكُمْ وَاَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَاُصَلِّبَنَّكُمْ فِي
جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ اَيُّنَا اَشَدُّ عَذَابًا وَاَبْقٰى قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلٰى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ
مَا اَنْتَ قَاضٍ اِنَّمَا تَقْضِي هٰذِهِ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا اِنَّا اٰمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا اَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ
وَاللّٰهُ خَيْرٌ وَاَبْقٰى اِنَّهُ مَنْ يَاْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَاِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيٰى وَمَنْ يَاْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ
الصَّالِحَاتِ فَاُولٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلٰى جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ
تَزَكّٰى القراءة ولتصنع بسكون اللام والعين على الامر يزيد الاخرون بكسر اللام ونصب العين لنفسي اذهب في ذكري اذهبا بفتح
ياء المتكلم ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وخلقه بفتح اللام على انه فعل ماض الباقون بالسكون مهدا وكذلك في الزخرف
عاصم وحمزة وعلي وخلف وروح الاخرون مهادا سوى بكسر السين ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وعلي الاخرون بالضم لا
نخلفه بالجزم جوابا للامر يزيد يوم الزينة على الظرف هبيرة وقد خاب حيث كان بالامالة حمزة فيسحتكم من الاسحات حمزة وعلي وخلف و
رويس وحفص الباقون بفتح الياء والحاء ان مخففة ابن كثير وحفص والمفضل الباقون مشددة هذين ابو عمرو وهذان بالتشديد ابن كثير
الباقون بالتخفيف فاجمعوا بهمزة الوصل وفتح الميم من الجمع ابو عمرو والاخرون على لفظ الامر من الاجماع وقد افلح بنقل الحركة الى الدال حيث
كان ورش وعباس وحمزة في الوقف تخيل بالتاء الفوقانية ابن ذكوان وروح والمعدل عن زيد الباقون وابن مجاهد عن ابن ذكوان بالتحتانية
تلقف بالتشديد والرفع على الاستيناف ابن ذكوان تلقف بالتخفيف والجزم حفص والمفضل وقرا البزي وابن فليح مشددة التاء كيد سحر
على المصدر حمزة وعلي وخلف الباقون كيد ساحر على الوصف قال امنتم بالمد ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن عامر وابو جعفر ونافع وابن كثير
عن ابن مجاهد وابي عون عن قنبل قال امنتم على الخبر بغير مد حفص وابن مجاهد وابو عون عن قنبل الباقون ءامنتم بزيادة همزة الاستفهام ومن
يأته مختلس الهاء يزيد وقالون ويعقوب غير زيد وابو عمرو وعن طريق الهاشمي عن اليزيدي ومن يأته بسكون الهاء خلاد ورجاء والعجلي و
اليزيدي عن ابي شعيب ويحيى وحماد الباقون بالاشباع الوقوف اخرى لا لان اذ تفسير المرة يوحى لا لان ما بعده تفسير ما يوحى وعدو له على
مني ج لان الواو قد تكون مقحمة وتعلق اللام بالتيب وقد تكون عاطفة على محذوف اي لتحب ولتصنع ومن جزم اللام وقف على مني لا محالة

عيني ثم لئلا يوهم ان اذ ظرف لتصنع من بكلمة ط لانقطاع النظم وانتهاء الاستفهام على ان فاء التعقيب مع اتحاد القصة يجيز الوصل ولا تحزن
لا ابتداء منه اخيه نخوتا يا موسى لنفسي لان تناول الكلام مع حق الفاء مضمرة ذكرى لمثل ما قلنا بالمضمر ووصي لا بتر مع الفاء حتى يصح ورى ولا تقدم
لان قد للتوكيد الابتداء وقد انقطع النظم على ان اتحاد المقول يجيز الوصل من ربك لذلك فان لو ولا يبتدر في كتاب لا يحتمل ما بعده الصفة و
الاستيناف ولا يبني بناء على ان الذي صفة الرب والاحسن تقديره هو الذي اعطي كل شئ ما للالتفات شتى اعلمكم لنهي خرى وانى يا موسى نوى
ضمي في ابتداء لاختلاف الجملتين امرني التيوى لئلا صفا استعلي العي لقوا لان التقدير فالقوا ما القوا فاذا حبالهم مع فاء التعقيب وذا الفا
المتلبان للوقف لنفي موسى الا على ما صنعوا كيد ساحرا في وموسى لكم السحر للقسم المحذوف ولانقطاع النظم مع فاء التعقيب وتمام مقصود الكلام
انحل لا ابتدا ومعنى القسم ولفظ استفهام بعقبه مع اتفاق الجملة واتحاد الكلام وابتغي قاض الحيوة الدنيا من السحر وابقى جهنم ولا يحيى العلى
لان ما بعده بدل منها تزكى **التفسير** من عليه منا انعم ومن عليه منه اي امتن عليه كان الله سبحانه قال لموسى اني راعيت صلاحك قبل سؤالك
فكيف لا اعطيك مرادك بعد السؤال وكنت ربيتك من عيرها بقه حتى فلو منعتك الحال مطلوبا لكان ذلك ردا بعد القبول وحرمانا بعد
الاحسان وذلك ينافي الكرم الذي قالوا المنة هذه الصيغة فهي نوع من الاذى فقوله ولقد منا عليك يكون من الادنى لمن لا من المنزلت
يحتمل ان لا يكون المنة من المنعم المطلق اذية وانما يكون منبها على النعم وايقاظا من سنة الغفلة حتى يتلقى المكلف النعمة بالشكر والطاعة وانما قال
مرة اخرى لان الجملة تقصد وحده وان كانت مشتملة على منن كثيرة والوحي الى ام موسى اما ان يكون على لسان نبي في عصرها كشعيب او على لسان
ملك لا على طريق النبوة كالوحي الى مريم في قوله واذ قالت الملائكة يا مريم او اراها في المنام انه وضع ولدها في التابوت تقذفه في البحر ثم نردّه
اليها او الهمها بذلك ولعل الانبياء المتقدمين كابرهيم واسحق ويعقوب اخبروا بذلك وانتهى خبره اليها ومعنى ما يوحى ما يجب ان يوحى لما فيه من
المصلحة الدينية ولانه امر عظيم ولانه مما لا يعلم الا بطريق الوحي وان هي المفسرة لان الايحاء في معنى القول والقذف يستعمل بمعنى الوضع اي ضعيه
في التابوت وقد مر معناه في البقرة في قصة طالوت قال جار الله الضمائر الباقيان في قوله فاقذفيه في اليم فليلقه عائدان الى موسى
ايضا لئلا يؤدي الى تنافر النظم فان المقذوف والملقى اذا كان موسى وهو في جوف التابوت لزم ان يكون التابوت ايضا مقذوفا وملقى ويؤيده
ان الضمير في قوله عدو له لموسى بالضرورة لان عداوة التابوت غير معقولة واذا كان الضمير الاول والضمير الاخير لموسى فالانسب باعجاز القرآن ان
يكون الضمير المتوسط ايضا كذلك لان المعنى صحيح واللفظ مناسب فلا حاجة الى العدول عنها دالا على القرينة واليم هو البحر والمراد ههنا نيل مصر والساحل
شاطئ البحر واصل الساحل القشر ولهذا قال البعض والبيضاوي مغلوب لان الماء سحله فهو مسحول قال اهل الاشارة من خصوصيته انشراح الصدر بنور
الوحي ان يقذف في طلبه فلذا الولد الذي هو اعز الاشياء في تابوت التوكل وبحر التسليم حتى يلقيه اليم بساحل ارادة الله ومشيئته روي
انها جعلت في التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه وجصصته وقيرته ثم القته في اليم وكان تشرع منه الى بستان فرعون نهر كبير فبينا هو
جالس على راس بركة مع اسية اذا بالتابوت فامر به فاخرج ففتح فاذا صبي اصبح الناس وجها فاحبه عدو الله حبا شديدا بدلالة ان بعض من قرء
اللفظ يدل على ان التابوت التقط من الساحل فلعل اليم القاه بموضع من الساحل فيه فوهة نهر فرعون فاداه النهر الى البركة اما كونه عدو
عدو الله من جهة كفره وعتوه فظاهر واما كونه عدوا لموسى وهو صغير فباعتبار المال ولانه لو ظهر له حاله لقتله فسبحان من ربى حبيبه في حجر
عدوه قالوا كان بحضرة فرعون اربع مائة غلام وجارية فحين اشار باخذ التابوت وعد من يسبق الى ذلك الاعتاق فتسابقوا جميعا ولم يظفر
باخذه الا واحد منهم فاعتق الكل ولتكتة فيه ان عدو الله لم يجوز من كرمه حرمان البعض اذ عزم الكل على الاخذ فاكرم الاكرمين كيف لا يعم عزائم
المؤمنين على الطاعة والخير فالمرجو منه اعتاق الكل من النار وان وقع لبعضهم تقصير في العمل قوله مني اما ان يتعلق بالقيت ويكون صفة المحبة
اي محبة حاصلة مني وعلى الوجهين فالمحبة اما محبة الله ومن احبه الله احبته القلوب واما محبة الناس التي زرعها الله في قلوبهم فقد روي
انه كانت على وجهه مسحة جمال وفي عينيه ملاحة لا يكاد يصبر عنه من راه قال القاضي هذا الوجه اقرب لانه في الصغر لا يوصف بمحبة الله التي
يرجع معناها الى ايصال الثواب ولان محبة الله عبادة عبارة عن ارادة الخير والنفع وهو اعم من ان يكون جزاء على العمل او لا يكون ولهذا بين المحبة نفوذ
ولتصنع على عيني اي لتربى ويحسن اليك وانا مراعيك ومراقبك كما يراعي الشيء بالعينين اذا عني بحفظه ولما كان العالم بالشيء حارسا له الا فان
كان الناظر اليه يحرسه اطلق لفظ العين على العلم لاشتباههما من هذا الوجه وايضا العين سبب الحراسة فاطلق السبب وارد المسبب يقال عين الله
عليك اذا دعى له بالحفظ والحياطة والجار والمجرور في موضع الحال من الضمير المبني للمفعول في لتصنع وجوز في الكشاف ان يكون اذ تمشي ظرفا
لتصنع وليس بذلك لان اذ هو ظرف لالقيت وبدل منه اذا وحينا على ان الوقتين من زمان واحد واسع يقول الرجل لقيت فلانا سنة كذا
ثم تقول وانا لقيته اذ ذاك وربما لقيته هو في اولها وانت في اخرها يروى انه لما فشا الخبر ان آل فرعون اخذوا غلاما في اليم وانه لا يرتضع من ثدي
امرأة كما قال سبحانه وحرمنا عليه المراضع جاءت اخت موسى واسمها مريم متفكرة فقالت هل ادلكم على من يكفله فجاءت بالام فقبل ثديها
وذلك قوله فرجعناك الى امك وقال في القصص فرددناه الى امه كي تقر عينها بلقائك ولا تحزن بسبب
وصول لبن غيرها الى معدتك وقتلت نفسا هو القبطي الذي يجيء ذكره في القصص فنجيناك من الغم وهو اقتصاص

فرعون منك وقيل الغم هو القتل بلغة قريش واراد بالغم خوف عقاب الله وذلك قوله فاغفر لي فغفر له وفتناك فتونا مصدر على فعول في المتعدي
كالشكور والكفور او جمع كالظنون او جمع فتنة على ترك الاعتداد بتاء التانيث كبدور في بدرة وحجوز في حجزة والفتنة المحنة والابتلاء
بخير او شر قال ونبلوكم بالشر والخير فتنة وبها معنى التخليص من قولهم فتنت الفضة اذا اردت تخليصها عن سعيد بن جبير انه سأل ابن عباس عن الفتون
فقال اي خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان والقته امه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا واجر نفسه عشر سنين
وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير قال العلماء لا يجوز اطلاق اسم الفتان على الله
تعالى وان جاء وفتناك لانه صفة ذم في العرف ومجيء قصة لبثه في اهل مدين وانه على ثمان مراحل عن مصر في سورة القصص ثم جئت ثم قوله
على قدر اي في وقت سبق في قضائي وقدري ان كلمك واستنبئك فيه او على مقدار من الزمان يوحي فيه الى الانبياء وهو راس اربعين سنة او على
موعد قد عرفته باخبار شعيب وغيره والصنيع بالضم مصدر صنع البر معروفا او نيحا فعل والاصطناع افتعال منه واستعماله في البر اكثر واصطنع
فلان فلانا اذا اتخذه صنيعة واصطنعت فلانا لنفسي اي اصطفيته وخرجته ومعناه احسنت اليه حتى انه يضاف الى قوله لنفسي اي لامري
جوامع ممثلك في اوامري حتى لا تشتغل بغير ما امرتك به من تبليغ الرسالة واقامة الحجة وقال جار الله مثل حاله بحال من يراه بعض الملوك اهلا
للتقريب والتكريم لخصائص فيه فيصطفيه بالكرامة ويستخلصه لنفسه فلا يبصر الا بعينه ولا يسمع الا باذنه ولا يأتمن على مكنون سره سواه وقال
غيره من المعتزلة انه سبحانه اذا كلف عباده وجب عليه ان يلطف بهم ومن جملة الالطاف ما لا يعلم الا سمعا فلو لم يصطفه الرسالة اي في عهده الوا
فهذا امر يتعلق الله لاجل نفسه حق يخرج عن عهدة ما يجب عليه ولما عدد عليه المنن السابقة بازاء الادعية المذكورة رتب على ذكر ذلك امره ونهيا
اما الامر فقوله اذهب انت واخوك وفيه بيان ما لاجله اصطنعه وهو الابلاغ واداء الرسالة بآياتي اي مع آياتي لانهما لو ذهبا دونها لم يلزمهما الايمان
وهذا من اقوى الدلائل على فساد التقليد وما هذه الآيات قيل العصا واليد لانهما المذكورتان فاطلق الجمع على الاثنين او لان كلا منهما مشتمل
على آيات اخرى او لانه يستدل لكل منهما على وجود الرفاد وعلى الكل عالما بالكل وعلى نبوة موسى وعلى جواز الحشر لقلب الجماد حيوانا والقلم شجرا
ومثله قوله فيه آيات بينات مقام ابرهيم وقيل هما مع حل العقدة وقيل لا يدر ما اتى امده كانا بآياتي واظهرها على ايديكما متى وقع الاحتياج اليها
واما النهي فقوله ولا تنيا فيها بكسر النون مثل تعد وقرئ تنيا بكسر حرف المضارعة للاتباع والونى بفتحتين الضعف والفتور والكلال
الاعياء والمعنى لا تفترا بل اتخذا ذكري وسيلة في تحصيل المقاصد واعتقدا ان امرا من الامور لا يتمشى لاحد الا بذكري فان الذاكر على ذكره
توجب الحوف من غيره وان يستصغر في نظره ما سواه لقوة نفسه واستئناسا بالله وقيل اراد بالذكر تبليغ الرسالة فان الذكر يقع على كل العبادات
فضلا عن اعظمها فائدة وانفعها غاية وقيل ذكري في عدم رضاي عن فرعون وقومه بالكفر واقامتهم عليه وترتيب على الايمان وانه ينبئه بالجملة
كل ما يتعلق بالترهيب والترغيب الفائدة في تكرير قوله اذهبا الى فرعون والجواب بعد التعبير ان تاكيد ان يبتلي باداء الرسالة معالا
فيهم وبموسى وحده وللان الامر الاول بالذهاب الى كل بني اسرائيل والقبط والثاني مخصوص بفرعون لطاغيته انه خوطب كلاهما وموسى حاضر فغلط لا
اصل له وهو كقوله واما في قتلتم نفسا والقائل واحد منهم ويحتمل انه وعد من قبل وتستدل بعد تعلق الله عز وجل وحي الى هرون وهو بمصر ان يتلقى موسى
وقيل الهم بذلك فقيل سمع بمجيئه فلقاه سؤال الامام لم امر بتلبين القول للعدو والمعاند جوابه لان عادة الجبابرة ان اغلظ لهم في الكلام ان يزدادوا عتوا
وعلوا وقيل لما له من حق تربية موسى شبه حق الابوة وكيف ذلك القول اللين لا صحابه عنه قوله تعالى هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك
فتخشى لان ظاهره الاستفهام والمشورة وعرض ما فيه صلاح الدارين وقيل وعده شبابا لا هرم فيه وملكا لا ينزع منه الا بالموت وان يبقى له لذة
الطعم والمشرب والمنكح الى حين موته حكي عن يحيى بن معاذ انه قال الهي ان فرعون عمر اربعمائة وتسعا وستين سنة فقال لموسى ان اطعني فلك مثل
ما عمرت فان امت فلك الجنة وقيل اراد كنياه وهو من ذوي الكنى الثلاث ابو العباس وابو الوليد وابو مرة ويحتمل ان يكون امره بالقول اللين
لانه كان في موسى حدة وخشونة بحيث اذا غضب اشتعلت قلنسوته نارا فعالج حدته باللين ليكون حليما في اداء الرسالة او يجيء فيقل انكاره
واصراره قالت المعتزلة حدد ارسالهما اليه مع العلم بانه لن يؤمن قطع المعذرة والزام الحجة وقالت الاشاعرة العقول قاصرة عن معرفة سر القدر
ولا سبيل الا التسليم وترك الاعتراض والسكوت بالطلب اللسان قالوا انه ركن يدفع سكينا الى من علم قطعا انه يمزق بطن نفسه ثم يقول اني ما ادفع
السكين اليه الا الاحسان وعن كعب انه قال والذي يحلف به كعب انه مكتوب في التورية فقولا له قولا لينا وسأقسي قلبه فلا يؤمن فلا يتبا
منه دليل على انه من تليقن كان يعاهرا او قيد كانا بعيبنا وسئل انه انشرح صدره وتيسر امره فكيف قالا انا نخاف فان حصول الخوف ينافي شرح
الصدر وضبط الاوامر والنواهي في حفظ الشرائع والاحكام بحيث لا يتطرق اليها خلل ومخرجه وهذا شئ احر معا بزوال الخوف قلت لعلهما ما
انا لا تمكنا من اداء الرسالة بدليل قوله ان يفرط علينا اي يسبق منا لشاة وبادرنا بالعقوبة او ان يطغي اي يجاوز الحد بان يقول فيك ما
ينبغي لجلاله لاعتداده الذي معاقبتنا ان لم يعاجلنا فلا تمكن من اقامة وظائف الاداء وايضا الدليل اللفظي السمعي اذا انضاف الى الدليل العقلي
زاده ايمانا وطمأنينة ولهذا قال لا تخافا انني معكما اي بالنصرة والتأييد اسمع وارى ما يجري بينكما من قول وفعل فافعل بكما ما يوجب عناني وحراستي
فلا يذهب همكما الى تمواد كرامتي لتنقطع عنكما اذا فارقتما مقام الكالمين فصارهذا لو لم بسبب خوفكما ويجوز ان يكون الفعلان منزلين منزلة الفعول

المفعول كانه قيل اسامع مبصر اذا كان الحافظ والناصر كذلك تم الحفظ وكملت النصرة قال بعض الاصوليين هذه الاية تدل على ان الامر لا يقتضي
الفور لانه لو كان كذلك لكان تعللهما بالخوف معصية وانها غير جائزة على الرسل في الاصح قال بعض المتكلمين فيها دليل على ان السمع والبصر صفتان زائدتان
على العلم والا لزم التكرار فان معناهما هو العلم واعلم ان تقول الخاص مقدم على العام ولكن لا لايهام ثم كرر الامر بالمأتى فقال فاتياه فقولا انا رسولا ربك
بان يقول لهما قولا لينا فكيف غلظه اولا بقوله انا رسولا ربك فيه ايجاب انقياده لهما واكراهه على طاعتهما وهذا مما يعظم على الجبابرة ثم اكد
بقوله فارسل معنا بني اسرائيل وفيه ادخال النقص في ملكه لانه كان محتاجا اليهم في الاعمال الشاقة ثم قال بقوله ولا تعذبهم وفيه منعه عما
يريده بهم والجواب ان هذا القدر من التغليظ ضروري في اداء الرسالة فقيل البسالة الاولى ان يقولا انا رسولا ربك قد جئناك باية من ربك فارسل
معنا بني اسرائيل ليكون ذكر المعجز مقرونا بادعاء الرسالة والجواب ان قوله فارسل من تتمة الدعوى وانما وحد قوله باية ومعه ايتان بل ايات
لقوله اذهب انت واخوك باياتي لان المراد الجنس كانه قيل قد جئناك ببيان من عند الله وبرهان قال في الكشاف ثمت وفيه ايضا نوع من الادب
كما لو قلت انا رجل قد حصلت شيئا من العلم ولعل عندك علوم جمة على ان تخصيص عدد بالذكر لا يدل على نفي الزائد عليه وايضا الاصل في معجزة
موسى كان هي العصا واليد وغيرهما في معرض المعارضة كما ان الاصل في معجزات نبينا كان هو القران ووقع لذلك تحريم التحدي والسلام اي جنس
السلامة او سلام خزنة الجنة على من اتبع الهدى يحتمل ان يكون هذا ايضا تمام ما امرا بقولاه لفرعون ويحتمل ان يكون الرسالة قد تمت عند قوله
باية من ربك ويكون هذا وعدا بالسلامة من عقوبات الدارين لمن امن وصدق قالت الاشاعرة في قوله ان العذاب اي جنسه او كله مقصور على
من كذب وتولى دليل على انه لا يعاقب احد من المؤمنين ترك العمل به في بعض الاوقات فوجب ان يبقى على اصله في نفي الدوام على ان العقاب
المتناهي لا نسبة له الى النعيم المقيم الذي لا نهاية له فكانه لم يعاقب اصلا وايضا العارف بالله قد اتبع الهدى فوجب ان يكون من اهل السلامة قال فمن
ربكما يا موسى خاطب الاثنين ووجه النداء الى موسى لانه الاصل في ادعاء الرسالة وهرون وزيره ويجوز ان يعرض موسى عليه السلام بالنداء لما عرف
من فصاحة هرون والرتة التي كانت في لسان موسى فاراد ان يعجزه عن الجواب قال اهل الادب ان فرعون كان شديد البطش جبارا ومع ذلك لم يشتد
بالشتم والشغب بل شرع في المناظرة وطلب الحجة فدل على ان الشغب من غير حجة شيء ما كان يرتضيه فرعون مع كمال جهله وكفره فكيف يليق ذلك
بمن يدعي الاسلام والعلم وفي اشتغال موسى باقامة الدلالة على المطلوب دليل على فساد التقليد وفساد قول القائل بان معرفة الله تستفاد من قول
الرسول وفيه جواز حكاية كلام المبطل مقرونا بالجواب لئلا يبقى الشك وفيه ان المحق يجب عليه استماع شبهة المبطل حتى يمكنه الاشتغال بحلها
واعلم ان العلماء اختلفوا في كفر فرعون فقيل كان عارفا بالله الا انه كان معاندا بدليل قوله لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات و
الارض وقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقوله في سورة القصص وظنوا انهم الينا لا يرجعون وليس الا انكار المعاد دون انكار
المبدأ وقوله في الشعراء وما رب العالمين الى قوله ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون يعني انا اطلب منه الماهية وهو يشرح الوجود فدل على انه
عرف اصل الوجود وايضا ان ملك فرعون لم يتجاوز القبط ولم يبلغ الشام الا ان موسى لما هرب الى مدين قال له شعيب لا تخف نجوت من القوم الظالمين
فكيف يعتقد عاقل في مثله انه اله العالم بل كل عاقل مكلف يعلم بالضرورة انه وجد بعد العدم فلا يكون واجب الوجود وايضا انه سال ههنا
بمن طالبا للكيفية وفي الشعراء بما طالبا للماهية فكان موسى لما اقام الدلالة على الوجود ترك المناظرة والمنازعة معه في هذا المقام لظهوره وشرع
في مقام اصعب لان العلم بماهية الله تعالى غير حاصل للبشر وايضا انه قال في الجواب ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه وصلة الذي لا بد ان يكون جملة معلومة
الانتساب ومن الناس من قال انه كان جاهلا بالله بعد اتفاقهم على ان العاقل لا يجوز ان يعتقد في نفسه انه خالق السموات والارض وما بينهما فمنهم
من قال انه كان دهريا نافيا للمؤثر اصلا ومنهم من قال انه فلسفي قائل بالعلة الموجبة او مؤمن بعبادة الكواكب او من الحلولية والمجسمة واما ادعاء الالهية
والربوبية فمعناه انه يجب عليهم طاعته والانقياد لحكمه قال بعض العلماء انما قال فمن ربكما ولم يقل فمن الهكما لانه نصب نفسه بانه رب موسى كما قال الم نربك فينا
وليدا فلعله يحتمل ان يكون تخصيص موسى بالنداء تنبيها على هذا المعنى ولم يعلم الكافر ان التربية التي ادعاها هي التي في قوله انا رسولا ربك
غير هذه في الحقيقة ولا مشاركة بينهما الا في اللفظ وهذا كما عارض نمرود ابرهيم صلوات الرحمن عليه في قوله انا احيي واميت ولم يعلم ان احياءه واماتته
ليس من الاحياء والاماتة في شيء ثم شرع موسى في الدلالة على اثبات الصانع باحوال المخلوقات وفيه دلالة على ان موسى كان اصلا في النبوة
وان هرون راعى الادب فلم يشتغل بالجواب قبله لان الاصل في النبوة هو موسى ولان فرعون خصص موسى بالنداء من قرأ خلقه بسكون اللام
فانما معنى الخليقة والتبيين الخبر له وقدم المفعول الثاني ليتصل قوله ثم هدى والخليقة اي اعطى الخلائق ما به قوامهم من المطعوم والمشروب
والملبوس والمنكوح ثم هداهم الى كيفية الانتفاع بها فيستخرجون الحديد من الجبال واللآلي من البحار ويركبون الاغذية والادوية والاسلحة والالات
ونظير هذا الكلام قوله الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى وقوله حكاية عن ابرهيم الذي خلقني فهو يهدين واما ان يكون الخلق بمعنى الصورة
والشكل اي اعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به فاعطى العين الهيئة التي تطابق الابصار والاذن ما يوافق الاسماع والانف
للشم واليد للبطش والرجل للمشي بل اعطى رجل الادمي شكلا يوافق سعيه ورجل الحيوانات الاخر شكلا يطابق مشيها بل اعطى فرد الفرس
رجلا تزايد عن حاجتين وكذا ذوات الخف والحافر وذوات المخالب وقيل اي اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة فجعل الحصان والحجر زوجين وكذا

البعير والناقة والرجل المرأة ومن قرأ خلقه بفتح اللام صفة للمضاف اليه او للمضاف والمفعول الثاني محذوف اي كل شيء خلقه الله لم يخله من عطائه
وانعامه واعلم ان عجائب حكمة الله تعالى في المخلوقات مما لا يحيط به الوصف دون العلماء طرفا منها في كتب التشريح وخواص الاحجار والنبات والحيوان والمعدن
ههنا واحد منها هو ان الطبيعة تحول الثقيل هابط والخفيف صاعد فالماء لذلك فوق الارض والهواء فوق الماء والنار فوق الكل ثم انه تعالى
جعل العظم والشعر اصلب الاعضاء على طبيعة الارض وجعل مكانهما فوق البدن وجعل مخزن الدماغ الذي هو منبع الماء وجعل مخزن النفس الذي هو
الهواء وجعل مخزن الحرارة الغريزية القلب كالنار ليكون دليلا على وجود الفاعل المختار خلاف ما يقوله الدهري والطبيعي وسائر الكفار و
ايضا اختصاص كل جسم بقوة وتركيب هذا بعينه اما ان يكون واجبا او جائزا والاول محال والا لم يقع فيها تغير وتناوب فيستدعي مرجحا فان كان ذلك
المرجح واجب الوجود لذاته فهو المطلوب وان كان جائز الوجود افتقر في اتصافه بالوجود الى موجد ولا بد من الانتهاء الى موجد يجب وجوده لذاته ثم انه
يستغني عن بيان التفصيل شواهد فقل ولنبين لا اله الا الله الواحد القهار قال اهل النظم ان موسى لما قرر عليه امر المبدأ قال فرعون ان كان وجود
الواجب في هذا الحد من الظهور فما بال القرون الاولى لم يؤمنوا وجحدوا معارض الحجة بالتقليد والبال الحال ولذلك لما هدده بالعذاب في قوله
ان العذاب على من كذب وتولى قال فما بالهم كذبوا فما عذبوا فاجاب بان هذا مما استأثر الله بعلمه وما انا الا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرني علام
الغيوب وانه سأله عن احوال القرون الخالية وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد ليصرف موسى عن المقصود ويشغله بالحكايات خوفا من ان يميل
قلوب الملأ الى حجته الباهرة ودلائله الظاهرة فلم يلتفت موسى الى حديثه بل قال علمها عند ربي ولا يتعلق غرضي باحوالهم ويجوز ان يكون الكلام
قد نجز ههنا الى علم الله سبحانه بكل شيء فقال زعم الكافر فما بال سوالف القرون في تمادي كثرتهم وتباعد اطرافهم كيف احاط الله
باجزائهم وجواهرهم فاجاب بان كل كائن محيط به علمه ولا يجوز عليه الخطأ والنسيان كما يجوز عليك ايها العبد الذليل والبشر الضئيل وقوله
علمها عند ربي مع قوله في كتاب لا يتنافيان بل المراد انه تعالى عالم بجميع الغيب مطلع على الكليات والجزئيات من احوال الموجودات والمعدومات ومع
ذلك فان جميع الاحوال ثابتة في اللوح المحفوظ ثم كان لقائل ان يقول لعلها اثبتت في اللوح لاحتمال الخطأ والنسيان فدفع ذلك بقوله لا
يضل ربي ولا ينسى قال مجاهد هما واحد والمراد انه لا يذهب عنه شيء ولا يخفى عليه والاكثرون على الفرق فقال القفال الاول اشارة الى كونه عالما
بالكل والثاني اشارة الى بقاء ذلك العلم اي لا يضل عن معرفة الاشياء وما علم من ذلك لا ينساه ولا يتغير علمه يقال ضللت الشيء اذا اخطأته في مكانه
فلم تهتد له وقال مقاتل لا يخطئ ذلك الكتاب ربي ولا ينسى ما فيه وقال الحسن لا يخطئ وقت البعث ولا ينساه وقال ابو عمرو لا يغيب عن شيء ولا يعزب عنه شيء
وقال جرير لا يخطئ في التدبير فيعتقد غير الصواب صوابا واذا عرفه لا ينساه والوجوه متقاربة والتحقيق ما قاله القفال وعن ابن عباس لا يترك
من كفر به حتى ينتقم منه ولا يترك من وحده حتى يجازيه ولما ذكر الدليل العام المتناول لجميع المخلوقات السماويات والارضيات من الانسان وسائر
الحيوانات وانواع النباتات والجمادات ذكر الدلائل الخاصة فقال الذي جعل لكم الارض مهدا اي كالمهد وهو ما يمهد للصبي قال ابو عبيدة الذي
اختاره مهادا لانه اسم لما يمهد والمهد مصدر وقال غيره المهد الاسم والمهاد الجمع وقال المفضل هما مصدران وسلك اي حصل لكم فيها سبلا ادخلها
بين الجبال والاودية والبراري يقال سلكت الشيء في الشيء سلكا بالفتح اي ادخلته فيه فاخرجنا به اي بواسطة انزال الماء ومن المتكلمين من
من انكر تاثير الوسائط راسا ازواجا اي اصنافا سميت بذلك لانها مزدوجة مقترن بعضها ببعض وشتى صفة للازواج جمع شتيت
كمريض ومرضى او صفة للنبات لانه مصدر سمي به النبات كما سمي بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع يعني انها مختلفة النفع والطبع والطعم واللون
والرائحة والشكل ثم ههنا اضمار والتقدير وقلنا او قائلين كلوا وارعوا انعامكم وذلك ان بعضها يصلح للناس وبعضها يصلح للبهائم والماخوذ
الاكل يتضمن الاذن في سائر وجوه الانتفاع كقوله ولا تأكلوا اموالكم ومن نعم الله تعالى ان ارزاق العباد تحصل بعمل الانعام وقد جعل الله علفها مما يفضل اثمار
عن حاجتهم ولا يقدرون على اكله قال الجوهري النهية بالضم واحدة النهى وهي العقول لانها تنهى عن القبيح وجوز ابو علي الفارسي ان يكون مصدرا
كالهدى وخص ارباب العقول بذلك لانهم هم المنتفعون بالنظر فيها والاستدلال بها على وجود صانعها منها خلقناكم لان ادم مخلوق من الارض
اولان بني ادم خلقوا من النطفة ودم الطمث المتولدين من الاغذية المنتهية الى العناصر الغالبة عليها الارضية او لما روي ان الملك الموكل بالرحم ياخذ
من تربة المكان الذي يدفن فيه الادمي فيبددها على النطفة وفيها نعيدكم لان الجسد يصير ترابا فيختلط بالارض الا من رفعه الله تعالى الى السماء وهو
ايضا يحتمل ان يعاد اليها بعد الموت ومنها نخرجكم تارة اخرى بالحشر والبعث بان نخرجكم ترابا وطينا ثم نحييكم بعد الاخراج او المراد الاحياء
في القبر وههنا بحث وهو ان يكون قوله الذي جعل لكم الارض الى ههنا من تتمة كلام موسى وهو ابتداء كلام من الله تعالى وعلى الاول يمكن
ان يوجه قوله فاخرجنا بان المراد فاخرجنا نحن معاشر عباده بذلك الماء بالحراثة والزرع ازواجا من نبات شتى الا ان قوله كلوا وارعوا الى
قوله ومنها نخرجكم لا يليق به وان قيل ان كلام موسى تم عند قوله وانزل من السماء ماء لم يصلح قوله فاخرجنا ابتداء كلام من الله لمكان فاء التعقيب
فالصواب ان يتم كلام موسى عند قوله ولا ينسى ثم انه تعالى ابتدأ فقال الذي هو اي هو الذي جعل الى اخره وعلى هذا يكون قوله فاخرجنا من قبيل
الالتفات افتنانا في الكلام وايذانا بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لامره تخصيصا بان مثل هذا لا يدخل تحت قدرة احد سواه والحاصل انه
عدد عليهم ما علق بالارض من المنافع حيث جعلها لهم فراشا يتقلبون عليها عند الاقامة وسوى لهم فيها مسالك يتقلبون بها في اسفارهم وابتغاء اصنا

اصناف النبات منافعها ولانعامهم ثم ان الارض لهم كالام التي منها انشاؤا وهي التي تجمعهم وتضمهم اذا ماتوا ثم يخرجون من الاجداث كخروج الاجنة من الارحام ومن ثم قال رسول الله تمسحوا بالارض اي تيمموا واسجدوا عليها من غير حائل وتيمموا بها فانها بكم برة اي انها لكم كالام ومنها خلقناكم وفيها معايشكم وهي بعد الموت كفاتكم قوله عز وعلا ولقد اريناه آياتنا اي عرفناه صحتها ثم ان كان التعريف فيلزم حصول المعرفة فيكون كفره كفر جحود وعناد كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم الآية وان كان كفره جهلا لزم ان سؤال الجمع المضاف يفيد العموم ولا سيما اذا اكد بالكل لكنه تعالى ما اراه جميع الآيات لان من جملتها ما اظهرها على يد الانبياء الاقدمين ولم يتفق لموسى مثلها الجواب هذا التعريف للعهد حذو التعريف للعهد او قيل الآيات كلها وهي التي ذكرت في قوله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ولو سلم العموم فالمراد انه اراه الآيات الدالة على التوحيد في قوله ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه وعلى النبوة باظهار المعجزات القاهرة وعلى المعاد لان تسليم القدرة على الانشاء يستلزم تسليم القدرة على الاعادة بالطريق الاولى واراد انه اراه آياته المختصة به وعدد عليه سائر آيات الانبياء واخبار النبي الصادق جار مجرى العيان او اراءة بعض الآيات كاراءة الكل كما ان تكذيب بعض الآيات يستلزم تكذيب الكل كما قال فكذب اي بالآيات كلها وابى قبول الحق قال القاضي الاباء الامتناع ونحوه لا يوصف به الا من تمكن من الفعل والترك والا لم يتوجه الذم وجواب الاشاعرة انه لا يسئل عما يفعل ثم ان فرعون خاف ان يميل قلوب ملائه الى قول موسى فذكر ما يوجب نفار القوم عنه مع القدح في نبوته لادعاء امكان معارضته فقال اجئتنا لتخرجنا فان الاخراج من الديار قرين القتل بدليل قوله ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ثم طالب المعارضة موعدا فان جعلته زمان الوعد بدليل قوله موعدكم يوم الزينة بالرفع كان الضمير في لا نخلفه عائدا الى الوعد المعلوم من الموعد او الى زمان الوعد مجازا وانتصب مكانا على انه ظرف للوعد المقدر وان جعلته مكان الوعد ليكون قوله مكانا بدلا منه يوجد عود الضمير في لا نخلفه مثل ما قلنا ويكون قوله موعدكم يوم الزينة مطابقا له معنى لانه لابد لهم من ان يجتمعوا يوم الزينة في مكان مشتهر عندهم وكانه قيل موعدكم مكان الاجتماع في يوم الزينة وان جعلته مصدرا ليصح وصفه بعدم الاخلاف من غير ارتكاب اضمار او نحوه انتصب مكانا على انه ظرف ثم من قرأ يوم الزينة بالنصب فظاهر اي انجاز وعدكم في يوم الزينة او وقت وعدكم في يوم الزينة وفي يوم يحشر الناس هو ضحى اي ضحى ذلك اليوم ومن قرأ بالرفع فبتقدير مضاف محذوف اي وعدكم وعد يوم الزينة ومعنى سوى بالكسر والضم عدلا ووسطا بين الفريقين وهو معنى قول مجاهد توصف المكان بالاستواء باعتبار المسافة وقال ابن زيد اي مستويا لا يحجب شيئا بارتفاعه وانخفاضه ليسهل على كل الحاضرين ما يجري بين الفريقين وقال الكلبي مكانا سوى هذا المكان الذي نحن فيه الان قال القاضي الاظهر ان قوله موعدكم يوم الزينة من قول فرعون لانه الطالب للاجتماع وقال الامام فخر الدين الرازي الاقرب انه من كلام موسى ليكون الكلام مبنيا على السؤال والجواب لان تعيين يوم الزينة يقتضي اطلاع الكل على ما سيقع وهذا انما يليق بالمحق الواثق بالغلبة لا بالمبطل المزور على ان موعدكم خطاب الجمع وليس هناك الا موسى وهرون فاما ان يرتكب ان اقل الجمع اثنان وهو مذهب مرجوح واما ان يقال الجمع للتعظيم ولم يكن فرعون ليعظمهما ويوم الزينة يوم عيد لهم يتزينون فيه وعن مقاتل يوم النيروز وعن سعيد بن جبير يوم سوقهم وعن ابن عباس هو يوم عاشوراء وانما قال ان يحشر من غير تعيين الفاعل لان القصد انهم يجتمعون ذلك اليوم بانفسهم من غير حاشر لهم ومحل ان يحشر رفع او جر عطفا على اليوم او الزينة عين اليوم ثم الساعة وهي ضحى ذلك اليوم وانما واعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وزهوق الباطل على رؤس الاشهاد ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وليشيع امر العجيب في الاقطار والاعصار والاطراف والاكناف وفي ذلك تقوية دين الحق وتكثير راغبيه وقلة شوكة المخالف وتوهين عزائمهم فتولى فرعون انصرف الى مقام تهيئة الاسباب المعارضة فان صاحب السحر يحتاج في تدبير السحر الى طول الزمان ولهذا طلب الموعد وقال مقاتل اعرض وثبت على اعراضه عن الحق فجمع كيده اي اسباب الكيد وادوات الحيلة والتمويه من السحرة وغير ذلك ثم اتى الموعد عن ابن عباس كانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل واحد منهم حبل وعصى وقيل اربعمائة وقيل اكثر من ذلك فضرب لفرعون قبة طولها سبعون ذراعا فجلس فيها ينظر اليهم فبين الله تعالى ان موسى قدم قبل كل شيء الوعيد والتحذير على عادة الصالحين من اهل النصح والاشفاق ولا سيما الانبياء المبعوثين رحمة للامم فقال ويلكم نصب على المصدر اي الزمكم الله ويلا او على النداء لا تفتروا على الله كذبا بان تدعوا آياته ومعجزاته سحرا فيسحتكم السحت لغة اهل الحجاز والاسحات لغة اهل نجد وبني تميم ومعناه الاستيصال حذرهم امرين احدهما عذاب الدارين والتنوين للتعظيم والآخر الخيبة والحرمان عن المقصود فان التمويه لا بقاء له فتنازعوا امرهم بينهم كقوله في الكهف اذ يتنازعون بينهم امرهم اي وقع التنازع بينهم والضمير لفرعون وقومه وقيل للسحرة ويؤيده ما روي عن ابن عباس ان نجويهم ان غلبنا موسى اتبعناه وعن قتادة ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله امر وعن وهب لما قال ويلكم الآية قالوا ما هذا بقول ساحر والاكثرون على الاول فذلك انهم تفاوضوا وتشاوروا حتى استقروا على شيء واحد وهو انهم قالوا ان هذان لساحران الى آخر الآية لا اشكال في قراءة ابي عمرو وكذا في قراءة ابن كثير وحفص لانه كقولك ان زيد لمنطلق واللام فارقة بين المخففة والنافية واما من قرأ ان بالتشديد وهذان بالالف فقد ورد عليه ان لم يعمل في المثنى واجيب بانه على لغة بلحرث بن كعب وخثعم وبعض بني عذرة ونسبها الزجاج الى كنانة وابن جني الى بعض بني ربيعة جعلوا التثنية كعصى وسعدى مما آخره الف فلم يقلبوها ياء في الجر والنصب او ان بمعنى نعم واعترض بان ما بعدها بعيد كقوله ام الحليس لعجوز شهربه ولا يجوز مثله الا في ضرورة الشعر وانما يقع لام الابتداء في الخبر مع المبتداء

والجواب ان القرآن حجة على غيرهم وذكر الزجاج في جوابه ان التقدير نعم هما ساحران فاللام داخلة على جملة الجملة الصغرى قال وقد عرضت هذا القول على محمد بن يزيد وعلى اسمعيل بن اسحق فارتضاه كل منهم وذكروا انه اجود ما سمعناه في هذا الباب وضعفه ابن جني بان المبتدأ انما يجوز حذفه لو كان امرا معلوما جليا والا كان تكليفا بعلم الغيب للمخاطب واذا كان معروفا فقد استغنى بمعرفته عن تاكيده باللام ويمكن ان حذفه من باب الاختصار والتاكيد من باب الاطناب والجمع بينهما محال مع ان ذكر المؤكد وحذف التاكيد احسن في المعقول من العكس ايضا فمنع الجمهور في قولك زيد ضرب نفسه تاكيد المستكن فدل على ان تاكيد المحذوف غير جائز ولو كان ما ذهب اليه الزجاج جائزا لم يجز لانه يبعد المبتدأ وحده ولو سلم فذكر اللام يدل على المبتدأ وذكر المبتدأ لا يدل على التاكيد فكان حذف المبتدأ احق وعن الثاني بان الكلام قد يكون مؤكدا من وجه مختصرا من وجه فلا منافاة وانما المنافاة اذا كانت الجهتان واحدة وعن الثالث بانهم منعوا من حمل النفس على التاكيد في المثال المذكور لانهم لو اسندوا الفعل الى المظهر وهي من اسناده الى المضمر لان تاكيد المنوي ممتنع على ما بينا ان المؤكد ليس بمحذوف في الآية فان احد جزئي الكلام مذكور وعن الرابع بان عدول المتقدمين عن هذا الوجه لا يقتضي كونه باطلا لامكان ان الاول للعجز ولنرجع الى التفسير قال الفراء الطريقة اسم لوجوه الناس واشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم يقال هم طريقة قومهم وهو طريقة قومه فخوف فرعون امر موسى في عين الحاضرين ونفرهم عنه بانه ساحر والطباع نفورة من السحر وبانه يقصد اخراجكم من دياركم ومن هذا حاله يتم بغضه لقاصده ثم بانه يريد ان يذهب باشراف قومكم واكابركم قالوا وهم بنوا اسرائيل لقول موسى ارسل معنا بني اسرائيل وجعلها الزجاج من باب حذف المضاف اي باهل طريقتكم المثلى وسموا انفسهم الطريقة المثلى والمثلى تانيث الافضل لان كل حزب بما لديهم فرحون والمثلى تانيث الامثل اي الاشبه بالحق ومنهم من فسر الطريقة ههنا بالجاه والمنصب لو تيسر لهما الامر على ما يقال فمن قرأ فاجمعوا من الجمع فظاهر ومن قرأ من الاجماع فمعناه اجعلوا كيدكم مجمعا عليه حتى لا تختلفوا ونظيره ما مر في سورة يونس فاجمعوا امركم وشركاءكم لا سيما ولابد لانه ان السحر لا اصل له وقال الزجاج معناه ليكن عزمكم كلكم كالكيد مجمعا عليه ثم امرهم بان يأتوا صفا اي مصطفين مجتمعين ليكون انهب في الصدور واوقع في النفوس وعن ابي عبيدة انه فسر الصف بالمصلى اي مصلى من المصليات وهو علم المصلى بعينه لان الناس يصطفون فيه لعيدهم وصلوتهم وقد افلح اليوم من استعلى اي فاز من غلب هو اعتراض واعلم ان قصة السحرة اكثرها اشبه ما مر في الاعراف وقد فسرناها هناك فنحن الان على عزم ان نقتصر ونذكر ما هو المختص بهذه السورة اما ان تلقى اي اختر احد الامرين الالقاء اولا او الالقاء ثانيا فاذا حبالهم هي اذا المفاجاة وعاملها الوقت اي فاجأ موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم قال وهب سحروا اعين موسى حتى تخيل ذلك وقيل انه شاهد شيئا لولا علمه بانه لا حقيقة لذلك الشيء لظن فيها انها تسعى فيكون تمثيلا فاوجس اضمر في نفسه خيفة هو مفعول وموسى فاعل واخر للفاصلة وذلك الخوف اما من جبلة البشرية حين ذهل عن الدليل وهو قول الحسن واما لانه خاف ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه قاله مقاتل او خاف ان تأخر نزول الوحي عليه في ذلك الوقت او خاف ان يتفرق بعض القوم قبل ان يشاهدوا غلبته او خاف تمادي الامر عليه وتكرره فازال الله تعالى خوفه مجملا بقوله انك انت الاعلى وفيه من انواع التاكيد ما لا يخفى نحو الاستيناف والتصدير بان والتوسيط بالفصل وكون الخبر معرفا ولفظ العلو ومعناه الغلبة وصورة التفضيل لا فضل لهم ومفصلا بقوله والق ما في يمينك لم يقل عصاك لما علم من الاعراف ولما في هذه السورة وما تلك بيمينك وقال جار الله هو تصغير لشان العصا وتهوين لامر السحرة اي الق العويد الفرد الصغير الجرم الذي في يمينك فانه بقدرة الله يتلقف ما صنعوا اي زوروا وافتعلوا على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها او هو تعظيم لشانها اي لا تحتفل بهذه الاجرام الكبيرة الكثيرة فان في يمينك شيئا اعظم شانا من كلها انما صنعوا ان الذي صنعوه كيد ساحر فيمن قرأ على الوصف تبين ان المقصود هو الجنس كما قال ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس ولو جمع لاوهم ان المراد هو العدد وانما نكروا لان المراد تنكير الكيد كانه قال هذا الذي اتوا به قسم واحد من اقسام السحر او من افعال السحرة وجميع اقسام السحر وافراد السحرة لا فلاح فيها ومن نظائره الى الكره ان يرى احدكم سهلا لانه في امر دنيا ولانه امر آخرة ومعنى سهيل التخيي في جزئي ومعنى حيث اتى اينما كان واين سلك فالقي السحرة سجدا قال جار الله سبحان الله ما اعجب امرهم قد القوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما اعظم الفرق بين الالقائين وقد انهم لم يرفعوا رؤسهم حتى رأوا الجنة والنار ورأوا ثواب اهلها وعن عكرمة لما خروا سجدا اراهم الله في سجودهم منازلهم التي يصيرون اليها في الجنة واستبعده القاضي لانه كالالجاء الى الايمان وانه ينافي التكليف قلت لو كان الايمان متقدما على هذا الكشف فلا منافاة ولا الجاء ثم ان فرعون لعب به الخجل وانكر عليهم ايمانهم والقى شبهة في البين انه لكبيركم اي معلمكم اعلمهم واحذقهم في الصناعة او سيدهم واستاذهم من قول اهل مكة للمعلم امرني كبيري اي استاذي في العلم او عزيزهم واوعدهم بقطع الايدي والارجل من خلاف قال في الكشاف من لابتداء الغاية لان القطع مبتدأ وناشئ من مخالفة العضو لا من وفاقه اياه قلت الاولى ان يقال الخلاف ههنا بمعنى الجهة المخالفة حتى يصح معنى الابتداء اي لا قطعن ايديكم وارجلكم مبتدأ من الجهتين المتخالفتين يمينا وشمالا فيكون الجار والمجرور في موضع الحال اي لا قطعنها مختلفات الجهات قيل في جذوع النخل اي عليها والاصوات بقاء على اصلها شبه تمكن المصلوب في الجذع تمكن المظروف في الظرف اينا اشد عذابا اراد نفسه وموسى وفيه صلف باقتداره وقهره وما الفه من تعذيب الناس او استخفاف بموسى مع الهزء لان موسى لم يكن قط من التعذيب في شيء قال في الكشاف قلت يحتمل ان يريد بقوله اينا الله تعالى ونفسه فقد ذكر ربهم ورب موسى وقد سبق عذاب الله في قوله انا قد

على من كذب وتولى وفي قوله فيسحتكم بعذاب وبقيه قول السحرة في جوابه والله خير وأبقى لن نؤثرك لن نختارك على ما جاءنا من البينات المعجزات
الظاهرات على يد موسى والذي فطرنا والواو للقسم وعلى هذا يجوز أن يكون على ما جاءنا بمعنى في ما جاءنا أي لن نميل إليك بالحالة هذه وعلى الوجه الأول
لخوف الكلام لن نترك طاعة خالقنا والقصد من معجزات نبيه لأجل هواك فاقض ما أنت قاض بنا شئت من العذاب إنما تقضي هذه الحيوة الدنيا
أي في مدة الحيوة العاجلة وقرئ تقضى مبنيا للمفعول هذه الحيوة بالرفع إجراء للظرف مجرى المفعول به اتساعا مثل صمتم يوم الجمعة والحاصل
أن قضاءك وحكمك منحصر في مدة حيوتنا الفانية والإيمان ترياق لا يزول والعقل يقتضي تحمل الضرر الفاني للفوز بالنعيم الباقية
والخلاص من العقاب الأبدي وذلك قولهم إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا قال الحسن سبحان الله قوم كفار ثبت في قلوبهم الإيمان طرفة عين
فلم يتعاظم عندهم أن قالوا في ذات الله فاقض ما أنت قاض والله إن أحدهم ليصحب القرآن ستين عاما ثم إنه يبيع دينه بثمن حقير وما كان من
خطايانا مهما ما أظهروه من السحر قالوا وما أكرهتنا عليه من السحر وفي هذا الإكراه وجوه عن ابن عباس أن الفراعنة كانوا يكرهون
فتيانهم على تعلم السحر ليوم الحاجة فكانوا من ذلك القبيل وروي أنهم قالوا لفرعون أرنا موسى نائما ففعل فوجدوه يحرسه عصاه فقالوا ما هذا
بسحر الساحر لأن الساحر إذا نام بطل فأبوا أن يعارضوه وعن الحسن أنهم حشروا من المدائن مكرهين وزعم عمرو بن عبيد أن دعوة السلطان إكراه
وليس بقوي فلا إكراه إلا مع الخوف ... ولا فلا ... الآيات ابتداء إخبار من الله وهي من تتمة كلامهم فيه قولان
لعل الأول أولى ... حيث لا حكم إلا هو ... كون الآتي مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها
... المعتزلة صاحب الكبيرة مجرم وكل مجرم فإن له جهنم بالآية لعموم الشرطية بدليل صحة الاستثناء فيحصل القطع
بوعيد أصحاب الكبائر أجابت الأشاعرة بأن المجرم كثيرا ما يجيء في القرآن بمعنى الكافر كقوله يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر إلى قوله وكنا
نكذب بيوم الدين ولا ريب أن التكذيب بالبعث والجزاء كفر وكقوله إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون إلى آخر السورة فلم قلتم
أن المجرم ههنا ليس بمعنى الكافر فيبطل المقدمة الأولى سلمنا لكن المقدمة الثانية كلها ممنوعة على الإطلاق وإنما هي كلية بشرط عدم العفو
... لا يحصل القطع بالوعيد على الإطلاق سلمنا المقدمتين والنتيجة لكنه معارض بعموم الوعد في قوله ومن يأته مؤمنا فإن قيل صاحب الكبيرة لم
يأته مؤمنا عندنا قلنا يصدق عليه المؤمن لأن الإيمان صدق عليه في الزمان الماضي كما تصدق على من قد ضرب أمس وليس بين الحال والزمان الماضي
منافاة كلية ولهذا صح ... بل صح قوله قد عمل الصالحات وإن حال ... ومن يأته قد عمل ... ولئن قيل إن
المعصية يحبط ثواب الطاعة قلنا ممنوع بل العكس ولأن الدفع أسهل من الرفع ... ليس بعض الصور لأجل الحكمة لا لأجل
التشكيل وقوله ... ومن يأته مؤمنا لا يتم صاحب الكبيرة ... فأولئك لهم
الدرجات العلى من الجنة لمن أتى بالإيمان والأعمال الصالحات أي الواجبات لأن الزائد عليها غير محصور فإن الدرجات لا بد أن يكون
لغيرهم وما هم إلا العصاة من أهل الإيمان ثم عظم شان المذكور بقوله وذلك جزاء من تزكى أي قال لا إله إلا الله قال ابن عباس وفيه دليل على أن
قوله ومن يأته مؤمنا يشمل صاحب الكبيرة ... فالآخرون ... من دنس الذنوب ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر
يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم وأضل فرعون
قومه وما هدى يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزلنا
عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه
غضبي فقد هوى وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وما أعجلك عن قومك يا موسى
قال هم أولاء على أثري وعجلت إليك رب لترضى قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري
فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم
أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة

القوم

القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى
فنسي أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم إنما
فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى
قال يا هرون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت أمري قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا
برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي قال فما خطبك يا سامري
قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي قال
فاذهب فإن لك في الحيوة أن تقول لا مساس وإن لك موعدا لن تخلفه وانظر إلى إلهك الذي
ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل
شيء علما كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا من أعرض عنه
فإنه يحمل يوم القيمة حملا يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم إن لبثتم
إلا عشرا نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما ويسئلونك عن الجبال
فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا يومئذ يتبعون الداعي
لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن
ورضي له قولا يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب
من حمل ظلما ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما وكذلك أنزلناه قرآنا
عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن
من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علما القراءات لا تخف دركا بالجزم حمزة الباقون لا تخاف بالرفع
أنجيتكم وواعدتكم ورزقتكم على التوحيد حمزة وعلي وخلف
وواعدناكم من الوعد أبو عمرو وسهل ويعقوب فيحل ومن يحلل بالضم فيهما علي الآخرون بالكسر بملكنا بفتح الميم أبو جعفر ونافع وعاصم
غير المفضل بضمها حمزة وعلي وخلف بكسرها الباقون والمفضل حملنا بفتح الحاء والميم مخففة أبو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعلي و
خلف وحفص الآخرون بضم الحاء وكسر الميم مشددة يبنؤم بالياء ابن كثير وسهل ويعقوب وافق أبو عمرو ونافع غير
إسمعيل في الوصل وقرأ يزيد وإسمعيل بفتح الياء الباقون بفتحها يا ابن أم بكسر الميم ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص لم تبصروا
بتاء الخطاب علي وخلف الباقون على الغيبة فنبذتها مدغما أبو عمرو وحمزة وعلي وخلف ويزيد وهشام وسهل لن تخلفه بكسر اللام ابن كثير

الوقوف

وابو عمرو ويعقوب لا تخونوا بفتحها البحر فتح النون وضم الراء يبتلا الاخوون من البحر بين فلا تخف بالجزم على النهي ابن كثير ابن نغضى يا النون مبنيا للفاعل وحيزما بالنصب يعقوب لنا فون يا لتاء معنوم وتفتح الفا وحبه بالرفع **الوقوف** يبسا لان قوله لا تخاف يصلح للطريق مع حذف الضمير العائد اي لا تخاف فيه ويصلح مستانفا وهن فرا لا تخف فوقفه اجوز لعدم العاطف ووقوع الحايل مع تعقب النهي الامر الا ان يكون جوابا للامر فلا يوقف ولا تخشى ما غشيهم ط لان التقدير وقد اضل من قبل على الحال الماضية دون العطف لانه عند ما غشيهم يفرغ للاضلال وما هدى والسلوى عضبى هوى اهتدى يا موسى لترضى السامري اسفا الاسفا لبني الماضي على الماضي بلا نامتو حسنا موعدي السامري لا مذ نوع قولا للعطف ولا نفعا فتنتم للابتداء بان مع اتصال العطف امري موسى الا تتبعن ط امري ابنا اني للابتداء بان مع اتصال المعنى واتحاد القائل قولي يا سامري مساس لن تخلفه لاختلاف الجملتين عاكفا للقسم المحذوف الا هو علما سبق للاستيناف والحال ذكرا لان التقدير يصلح صفة للذكر وتصلح مستانفا وزرا لان قوله خالدين حال من الضمير في عمل وهو عائد الى من ومن للجمع معنى فيه حملا لان يوم ينفخ بدل من يوم القيمة زرقا لان ما بعده يصلح للصفة وللاستيناف عشرا يوما ثنفا صفصفا امتا لا عوج له لاختلاف الجملتين همسا قولا علما القيوم ظلما هضما ذكرا الحق وحيه لعطف الجملتين المتفقتين مع اعتراض الظرف وما اضيف اليه علما **التفسير** هذا شروع في قصة انجاء بني اسرائيل واهلاك عدوهم وقد تقدم في البقرة وفي الاعراف وفي يونس ومعنى فاضرب لهم طريقا اجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما وضرب اللبن عمله او اراد بين لهم طريقا في البحر بالضرب بالعصا حتى يتعلق ضرب الضرب الى الطريق ثم بين ان جميع الامن حاصل في ذلك الطريق واليبس مصدر وصف به ومثله اليبس نحوهما العدم والعدم ويوصف به المؤنث لذلك فيقال ناقتنا يبس اذا جفت لبنها والدرك اسم من الادراك اي لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك في لا تخشى اذا قرئ لا تخف الوجه هو الاستيناف اي وانت لا تخشى وجوز في الكشاف ان يكون الالف للاطلاق من اجل الفاصلة كقوله وتظنون بالله الظنونا وان يكون كقول الشاعر كان لم ترى قبلي اسيرا يمانيا اراد لم تر لان ما قبله وتضحك مني شيخة عبشمية قلت لعل هذا انما يجوز في الضرورة ولا ضرورة في الاية فاتبعهم فرعون الحق بهم جنوده او تبعهم ومعه جنوده كما مر في يونس فغشيهم اي علاهم وهمهم من اليم ما غشيهم وهذا من جملة ما هو علم في باب الايجاز لدلالة على ان غشيهم ما لا يعلم كنهه الا الله وقد سلف منشأ السور المذكورة ما حكي في الاخبار وروي في الاثار ونسبة الاضلال الى فرعون لا تنافي انتهاء الكل الى ارادة الله ومشيته وقوله وما هدى تاكيد للاضلال وفيه تهكم به في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد ثم عدد ما انعم به على بني اسرائيل ويجوز ان يكون خطابا للذين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم المعاصرين لان النعمة على الاباء نعمة في حق الابناء ومثله قوله وواعدناكم جانب الطور الايمن او الواقع على يمين من انطلق من مصر الى الشام لان منفعة المواعدة عائدة اليهم وان كانت المواعدة لنبيهم فكتب التورية في الواح فاقام شرائع واستقام امر معاشهم ومعادهم كلوا من طيبات القول وطغيانهم في الرزق ويشغلهم اللهو والتنعم عن القيام بشكرها ويتعدى واحد حدود الله فيها بالاسراف والتقتير والغضب ومن قرا فيحل بالكسر فبمعنى الوجوب من قولهم حل الدين يحل اذا وجب اداؤه ومن قرا بالضم فبمعنى النزول والغضب نزول ما يجب من العقوبات والمثلات ومعنى هوى هلك واصله السقوط من مكان عال كالجبل وقيل هوى اي وقع في الهاوية سوال كيف اثبت المغفرة في حق من استجمع التوبة والايمان والعمل الصالح والمغفرة انما يتصور في حق من له ذنب ايضا ما معنى قوله ثم اهتدى بعد الامور المذكورة والاهتداء انما يكون قبلها لا اقل ان يكون معها الجواب دلالة لمن تاب من الكفر وامن وعمل صالحا وفيه دليل لمن ذهب الى وجوب تقديم التوبة من الكفر على الايمان والحاصل ان الغفران يعود الى الذنوب السابقة على هذه الامور ويجوز ان يراد انه اذا تاب من الكفر واقبل على الايمان والعمل الصالح فان الله يغفر الصغائر التي تصدر عنه في خلال ذلك كقوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم واما الاهتداء فالمراد به الاستقامة والثبات على الامور المذكورة كقوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ومعنى ثم الدلالة على تباين المرتبتين فان المداومة على الخدمة اصعب من الشروع فيها كما قيل لكل الى شاو العلى حركات ولكن عزيز في الرجال ثبات ونظير هذا العطف قوله واهلكناها فجاءها باسنا وقد مر العجب منه وروي ان موسى قد مضى مع النقباء السبعين الى الطور على الموعد ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه وتنجز ما وعد به بناء على اجتهاده وظن ان ذلك اقرب الى رضا الله فانكر الله تعالى تقدمه فقال وما اعجلك عن قومك اي شيء عجل بك عنهم فالمراد بالقوم بالنقباء لا جميع قومه على ما توهم بعضهم ويؤكده قولهم اولاء على اثري ولم يكن جميع قومه على اثره قال جار الله قد تضمن ما خوطب به رب العزة شيئين احدهما انكار العجلة في نفسها والثاني السؤال عن سبب التقدم فكان اهم الامرين الى موسى بسط العذر من انكار العجلة نفسها فاعتل بانه لم يوجد مني الا تقدم يسير لا يعتبر مثله في العادة فيما بينهم الامسافة يتقدم بمثلها الوفد رأسهم ومقدمهم ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب فقال وعجلت اليك رب لترضى اي طلبت دوام رضاك عني او مزيد رضاك بناء على اجتهادي في التعجيل الى مقام المكالمة والحرص على ذلك يوجب مزيد الثواب والكرامة وقيل لما انكر عليه الاستعجال دهش خوفا من العقاب فتحير في الجواب قال فانا قد فتنا قومك يعني جميع قومه الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة الف ما نجا من عبادة العجل الا اثنا عشر الفا بروايتهم اقاموا بعد

مفارقة عشرين ليلة وحسبوها اربعين مع اياما وقالوا قد كملنا العدة ثم كان امر العجل بعد ذلك فسئل انه تعالى كيف قال لموسى عند مقدمه انا قد فتنا قومك واجيب بانه على عادة الله تعالى في اخباره عن الامور المترقبة بلفظ الماضي تحقيقا للوقوع او اراد بداء الفتنة لان السامري قد عزم عند ذهاب موسى على اضلال قوم غب انطلاقه وللقائل ان يمنع كون هذا الاخبار عند مقدم موسى بل لعله عند رجوعه بدليل الفاء التعقيب في قوله فرجع موسى قال جار الله انه رجع بعد ما استوفى الاربعين ذا القعدة وعشر ذي الحجة واوتي التورية والسامري منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل السامرة قوم من اليهود يخالفونهم في بعض دينهم وقيل كان علجا من كرمان واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا وكان من قوم يعبدون البقر قالت المعتزلة الفتنة بمعنى الاضلال لا يجوز ان ينسب الى الله تعالى لانه تعالى نفى قوله واضلهم السامري وانما الفتنة بمعنى الامتحان بتشديد التكليف ومنه فتنت الذهب بالنار فبيان ذلك ان السامري لما اخرج لهم العجل صاروا مكلفين بان يستدلوا بحدوث جملة الاجسام على ان العجل لا يصلح للالهية وقالت الاشاعرة الشبهة في كون الشمس والقمر الهما اعظم من العجل الذي له خوار وهو جسد من الذهب فلا يكون حدوث ذلك العجل تشديدا في التكليف فلا يكون فتنة من هذا الوجه فيجب حمله على خلق الضلال فيهم واجابوا عن اضافة الضلال الى السامري بان جميع المسببات العادية يضاف الى اسبابها في الظاهر وان كان الموجد لها في الحقيقة هو الله تعالى قال بعضهم الاسف الغيظ وفرق بين الاغتياظ والغضب لان الغيظ تغير يلحق المغتاظ فلا يصح الا على الاجسام والغضب قد يراد به الاضرار بالمغضوب عليه فلهذا اصح اطلاقه على الله سبحانه ثم عاتب موسى قومه باموره منها قوله الم يعدكم ربكم وعدا حسنا كانهم كانوا معترفين بالرب الاكبر لكنهم عبدوا العجل على انه دليل له نذكر عبدة الاصنام على تاويل الحلول والوعد الحسن هو انزال التورية التي فيها هدى ونور وقيل هو الثواب على الطاعات وشبله ما روي عن مجاهد انه العهد المذكور من قوله ولا تطغوا فيه الى قوله ثم اهتدى وقيل وعدهم اهل السعر عونه ووعدهم ارضهم وديارهم وغير ذلك ومنها قوله افطال عليكم العهد ويريد مدة مفارقته لهم وعدوه ان يقيموا على امره ما تركهم عليه من الايمان فاختلفوا في موعده بعبادة العجل وقيل وعدهم ثم نعم الله تعالى من الانجاء وغيره والاكثرون على الاول لما ثبت انه وعدهم ثلثين كما امر الله تعالى وواعدنا موسى ثلثين ليلة فجاء بعد الاربعين لقوله تعالى واتممناها بعشر لها دواتهم حسبوا العشرين اربعين ومنها قوله ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فالواهد لا يمكن اجراؤه على الظاهر لان احدا لا يريد هلاك نفسه ولكن المعصية وهو خلاف الوعد لما كانت توجب ذلك صح هذا الكلام لانه مريد للسبب فالغرض انه يوجد العقاب بالاية ونحوه من قوله فيحل عليكم غضبي ان الغضب من صفات الافعال لا من صفات الذات لان صفة ذات الله تعالى لا يتزل في شيء من الاجسام وموعد موسى هو ما ذكرنا من انهم وعدوه الاقامة على دينه الى ان يرجع اليهم من الطور وقيل وعدوه اللحاق به والمجيء على اثره قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا بالحركات الثلاث اي بان ملكنا امرنا اي لو ملكنا امرنا وخلينا وراينا لما اخلفنا ولكن غلبنا من جهة السامري وكيده والظاهر ان القائلين هم عبدة العجل وقيل انهم الذين لم يعبدوا العجل وقد يضيف الرجل فعل قرينه الى نفسه كانهم قالوا الشبهة قويت على عبدة العجل فلم نقدر على منعهم ولم نقدر ايضا على مفارقتهم خوفا من التفرقة وزيادة الفتنة ثم ان القوم بينوا ذلك العذر المجمل فقالوا ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم اي اثقالا من حلي القبط كما مر في الاعراف وقيل الاوزار الاثام وانها في الحقيقة اثقال مخصوصة معنوية سموا بذلك لان الغنائم لم تحل ولانهم كانوا مستامنين في دار الحرب وليس للمستامن ان ياخذ مال الحربي وقيل ان ذلك الحلي كان القبط يتزينون بها في مجامع الكفر ومجالس المعاصي فلذلك وصفت بانها اوزار كما يقال في الات الملاهي فقذفناها اي في المحرقة كان هرون امرهم بجمع الحلي انتظار العود موسى او في موضع امرهم السامري بذلك بعد ان اوقد النار وكذلك القى السامري مثل فعلنا اراهم انه يلقي حليا في يده مثل ما القوا وانما القى التربة التي اخذها من موطى حافر فرس جبريل كما يجيء في قوله فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار وقد مر في الاعراف فقالوا اي السامري ومن تبعه هذا الهكم واله موسى فنسي موسى ان يطلبه ههنا فذهب ان يطلبه عند الطور وفنسي السامري وترك ما كان عليه من الايمان الظاهر ونسي الاستدلال على ان العجل لا يجوز ان يكون الها بقوله افلا يرون الا يرجع ان مخففة من الثقيلة ولهذا لم يعمل وقرئ بالنصب على انها الناصبة قال العلماء ظهور الخوارق على يد مدعي الالهية جائز لانه لا الالتباس وههنا كذلك فوجب ان لا يمتنع خلق الحيوة في صورة العجل وروى عكرمة عن ابن عباس ان هرون مر بالسامري وهو يصنع العجل فقال ما تصنع فقال اصنع ما ينفع ولا يضر فادع لي فقال اللهم اعطه ما سألك فلما مضى هرون قال السامري اللهم اني اسألك ان يخور فخار وعلى هذا التقدير يكون معجزة للنبي لا للسامري ثم انه سبحانه اخبر ان هرون لم يال نصحا واشفاقا في شان نفسه وفي شان القوم وقيل ان يقول لهم السامري ما قال اما شفقته على نفسه فهي انه ادخلها في زمرة الامرين بالمعروف الناهين عن المنكر وانه امتثل بقوله في شان القوم قبل ان يقول لهم السامري ما قال اما شفقته على نفسه فهي انه ادخلها في زمرة الامرين بالمعروف الناهين عن المنكر اما حين قال لهم يا قوم انما فتنتم به قال جار الله كانهم اول ما وقعت عليه ابصارهم حين طلع من الحفرة فتنوا به واستحسنوه فقبل ان ينطق السامري بادرهم هرون فزجرهم عن الباطل اولا بان هذا من جملة الفتن ثم دعاهم الى الحق بقوله وان ربكم الرحمن ومن فوائد تخصيص هذا الاسم بالمقام انهم ان تابوا عما عزموا عليه فان الله يرحمهم ويقبل توبتهم ثم بين ان الوسيلة الى معرفة كيفية عبادة الله هو اتباع النبي وطاعته فقال فاتبعوني واطيعوا امري وهذا ترتيب في غاية الحسن واعلم ان المنقصة

الشفقة على خلق الله اصل عظيم في الدين وقاعدة متينة روى النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم مثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا هو جالس اذ نظر الى شاب على باب المسجد فقال من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر اليه فسمع الشاب ذلك فولى وقال الهي وسيدي هذا رسولك يشهد على باني من اهل النار وانا اعلم انه صادق فاذا كان الامر كذلك فاسالك ان تجعلني فداء امته وتشعل النار بي حتى تبر يمينه ولا تشعل النار في احد آخر فهبط جبرئيل وقال يا محمد بشر الشاب باني قد انقذته من النار بتصديقه لك وفدائه امتك بنفسه وشفقته على الخلق قال اهل السنة فيها دليل ان الشيعة يتمسكون بقوله انت مني بمنزلة هرون من موسى ثم ان هرون ما منعه التقية في مثل ذلك الجمع بل صعد المنبر وصرح بالحق ودعا الناس الى متابعته فلو كانت امة محمد على الخطا لكان يجب على علي كرم الله وجهه ان يفعل ما فعل هرون من غير تقية وخوف وللشيعة ان يقولوا ان هرون صرح بالحق وخاف فسكت ولهذا عاتبه موسى بما عاتب فاعتذر بان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فهكذا على امتنع اولا من البيعة فلما آل الامر الى ما آل اعطاهم ما سالوا وانما قلت هذا على سبيل البحث لا لاجل التعصب ثم ان القوم قابلوا احسن الوعظ من هرون بالتقليد والجحود قائلين لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى ولا يخفى ما في هذا الكلام من انواع التوكيد من تصدير النفي بلن ومن لفظ البراح والعكوف ومن صيغة اسم الفاعل ومن تقديم الخبر ثم حكى ما جرى بين موسى وهرون بعد الرجوع وقوله ما منعك اذ رايتهم ضلوا الا تتبعن كقوله ما منعك الا تسجد في ان لا مزيدة ام لا وقد مر في الاعراف وفي هذا الاتباع قولان عن ابن عباس ما منعك من اتباعي واللحوق بي وترك المقام بين اظهرهم وقال مقاتل اراد الاتباع في وصيته كانه قال هلا قاتلت من كفر بمن آمن وما لك لا تباشر الامر كما كنت اباشره لو كنت فيهم قوله افعصيت امري دلالة على ان تارك المامور به عاص والعاصي يستحق العقاب لقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم فيعلم منه ان الامر للوجوب واحتج الطاعنون في عصمة الانبياء بان موسى اما ان امر هرون باتباعه او لا فعلى الاول فهرون عاص وعلى الثاني ان لم يامره لكن اشتد فيه لهرون من غير جرم يكون ذنبا وان امره ولم يتبعه كان هرون عاصيا ايضا وقوله افعصيت استفهام بمعنى الانكار فاذا كان موسى كاذبا في نسبة العصيان الى هرون واما ان يكون هرون عاصيا او يلزم اخذه بلحية هرون وبراسه ان كان بعد البحث والتفتيش ان هرون عاص او لا فموسى عاص اجيب بان كل ذلك مورد اجتهاد يجوز فيه الخطا او هي من باب ترك الاولى وقد مر في اوائل البقرة في قصة آدم ما يتعلق بهذه المسئلة قوله ولم ترقب قولي اي وصيتي لك بحفظ الدهماء واجتماع جمع الشمل يؤيده قوله خشيت ان تقول فرقت قال الامام ابو القسم الانصاري الهداية انفع من الدلالة فان السحرة لما راوا الاية آمنوا ودخلوا في الدين ما دخلوا واما قوم موسى فقد راوا ذلك مع زيادة تمام الآيات التسع ومع ذلك عبدوا ونصبوا العجل وعكفوا على عبادته فعرفنا ان الغرض لا يحصل الا بهداية الله تعالى ولما فرغ موسى عن عتاب هرون اقبل على السامري ويمكن ان يكون بعيدا ثم حضر او ذهب اليه موسى ليخاطبه قال الخطب مصدر خطب الامر اذا طلبه فاذا قيل لمن يفعل شيئا ما خطبك فمعناه ما طلبك له والغرض منه الانكار عليه وتعظيم صنيعه قال اي السامري بصرت بما لم يبصروا به قال ابن عباس ورواه ابو عبيدة علمت بما لم يعلموا به من البصارة بمعنى العلم وقال الآخرون رايت ما لم يروه فالباء للتعدية ثم رجح العلماء قراءة الغيبة على الخطاب احترازا من نسبة عدم البصارة الى النبي ص والقبضة بالفتح مصدر بمعنى المفعول وهو المقبوض بجميع الكف عامة المفسرين على ان المراد بالرسول جبرئيل عم واثر الرسول التراب الذي اخذه من موضع حافر دابته واسمها حيزوم فرس الحيوة ومتى رآه الاكثرون على انه رآه يوم فلق البحر كان جبرئيل على الرمكة وفرعون على حصان وكان لا يدخل البحر فتقدم جبرئيل فتبعه فرس فرعون وعن علي ان جبرئيل لما نزل ليذهب بموسى الى الطور ابصره السامري من بين الناس وكان قد رباه جبرئيل في صغره فقال ان لهذا شانا فقبض من تربة موطئه ومعنى الاية فقبضت من اثر الرسول المرسل اليك يوم حلول الميعاد من المفسرين من جوز ان السامري لم يعرف انه جبرئيل ومنهم من قال انه عرفه عن ابن عباس انما عرفه لانه رباه في صغره وحفظه من القتل حين امر فرعون بذبح اولاد بني اسرائيل فكانت المراة تلد وتطرح ولدها حيث لا يشعر به آل فرعون فياخذ الملائكة الولدان ويربونهم حتى ترعرعوا واختلطوا بالناس فكان السامري ممن اخذه جبرئيل وجعل كف نفسه في فيه وارتضع منه العسل واللبن فلم يزل يختلف اليه حتى عرفه وقال ابو مسلم اطلاق الرسول على جبرئيل في هذا المقام من غير قرينة تكليف بعلم الغيب ايضا تخصيص السامري من بين الناس برؤية جبرئيل ومعرفة خاصية تراب حافر دابته لا يخلو عن تعسف ولو جاز اطلاع بعض الكفرة على تراب هذا شانه فلقائل ان يقول لعل موسى اطلع على شيء آخر لاجله قدر على الخوارق فالاولى ان يراد بالرسول موسى فقد يواجه الحاضر بلفظ الغائب كما يقال ما قول الامير في كذا ويكون اطلاق الرسول منه على موسى نوعا من التهكم لانه كان ينكر رسالته ويريد باثره سنته ورسمه من قولهم فلان يقفو اثر فلان اي عرفت ان الذي عليه ليس بحق وقد كنت قبضت شيئا من سنتك فطرحتها فعلى قول المفسرين يكون قوله وكذلك سولت لي نفسي اشارة الى ما اوحى اليه ابليس ان تلك التربة اذا نبذ على الجماد صار حيوانا وعلى قول ابي مسلم يشير الى ان اتباع اثرك كان من تسويلات النفس الامارة فلذلك تركته ثم بين موسى ان له عقوبة في الدنيا وعقوبة في الآخرة يروى انه اراد ان يقتله فمنعه الله من ذلك وقال لا تقتله فانه سخي فقوله ان لا مساس وجوه الاول انه حرم عليه مماسة الناس ثم اذا اتفق انه ماس احدا حم الماس والممسوس فلذلك اذا راى احدا صاح لا مساس فتحامى

ان قومه باق فيهم ذلك الى الآن الثاني ان المراد منع الناس من مخالطته قال مقاتل ان موسى اخرجه من محلة بني اسرائيل وقال الحسن جعل الله عقوبة السامري الا يماس الناس ولا يماسوه ان الرجل اذا صار مهجورا فلا يقول لا مساس وانما يقال له ذلك وجيء بهذا على الحكاية اي اجعلك يا سامري بحيث اذا اخبرت عن حالك لم تقل الا لا مساس الثالث قول ابي مسلم ان المراد انقطاع نسله وان يخبر بانه لا يمكن ان يمسه المراة اي يجامعها واما حاله في الآخرة فذلك قوله وان لك موعدا لن تخلفه قال جار الله من قرا بكسر اللام فهو من اخلف الموعد اذا وجده خلفا ثم بين ما لحال الهه فقال وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا اي ظللت فحذف احدى اللامين تخفيفا لنحرقنه من الاحراق وفيه دليل على انه صار لحما ودما لان الذهب لا يمكن احراقه بالنار وقرئ لنحرقنه قال السدي امر موسى بذبحه فسال منه الدم ثم احرق ثم نسف رماده وقيل النسف النقض ومن جعله من الحرق اي لنبردنه بالمبرد يقال حرقه يحرقه لم يدل على انه انقلب حيوانا الا اذا اريد برد عظامه ومن جعله من الحرق فانه يحتمل والمراد تعداد السامري وابطال كيده وموضع صنعه والتشهير بحكمة الله ثم بين الاله بالحق فقال انما الهكم اي المستحق للعبادة والتعظيم الله لا اله الا هو وسع كل شيء علما قد مر مثله في الانعام قال مقاتل اي يعلم من يعبده وحين فرغ من قصة موسى شرع في تثبيت رسالته فقال كذلك اي نحو ما قصصنا عليك قصة موسى وفرعون والسامري نقص عليك من سائر اخبار الرسل مع اممهم تكثيرا لمعجزاتك ثم عظم شان القرآن بقوله وقد آتيناك من لدنا ذكرا اي نبا ذكر فيه كل ما يحتاج اليه المكلف في دينه ودنياه والوزر العقوبة الثقيلة التي تنقض ظهر صاحبها والمراد جزاء الوزر وهو الاثم خالدين فيه الضمير في ذلك الوزر وفي حمله وساء فيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص محذوف للقرينة اي ساء حملا وزرهم واللام في لهم للبيان كما في هيت لك ويجوز ان يكون ساء بمعنى قبح ويكون فيه ضمير الوزر وانتصب حملا على التمييز ومن جعل حملا حالا انكره صاحب الكشاف الا ان يمنع وقوع الحال من التمييز وفيه نظر قال ابن السكيت الحمل بالفتح ما كان في بطن او على راس شجرة والكسر ما كان على ظهر او راس وفي الصور قولان اشهرهما انه القرن ينفخ فيه لقوله فاذا نقر في الناقور والمراد تعريف امور الآخرة بامثال ما شوهد في الدنيا كالنفخ فان الناس يتعارفون النفخ في البوقات عند الاسفار وفي العساكر فجعل الله النفخ في تلك الآلة علامة لخراب الدنيا ولاعادة الاموات وثانيهما عن قتادة انه الصور جمع صورة ويؤكده قراءة من قرا ينفخ بالياء ويؤيده قراءة في الصور بفتح الواو والمراد نفخ الروح فيها ولكنه يرد عليه ان النفخ يتكرر لقوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى والاحياء لا يتكرر بعد الموت الا ما ثبت من سؤال القبر وليس هو بمراد من النفخة الاولى بالاتفاق ونحشر المجرمين عن ابن عباس هم الذين اتخذوا مع الله الها آخر وقالت المعتزلة هم الكفار والعصاة زرقا وجوه قال الضحاك ومقاتل ان الزرقة ابغض شيء من الوان العيون الى العرب لان الروم اعداؤهم وانهم زرق العيون ومن كلامهم في صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين وقال الكلبي زرقا اي عميا قال الزجاج يخرجون بصراء اول مرة ثم يعمون في المحشر لقوله ونحشره يوم القيمة اعمى ثم يؤول حالهم الى العمى وان حدقة من يذهب نور بصره تزراق وقيل زرقا اي عطاشا كقوله ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فكانهم من شدة العطش يتغير سواد عيونهم حكاه ثعلب عن ابن الاعرابي يتخافتون يتسارون بينهم لغاية خوفهم او لانه امتلات صدورهم رعبا وهولا يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا لانها ايام سرورهم ومن قضى وطرا واما لانها قد انقضت والذاهب قليل وان طال ولا سيما بالنسبة الى الابد او لانهم كان ظنهم بقولهم ان لبثتم في الدنيا بالقياس الى لبثنا في الآخرة كعشرة ايام وقال امثلهم بل كاليوم الواحد وانما قال عشرا لان المراد عشر ليال وقال مقاتل المراد عشر ساعات اي بعض يوم وعلى هذا فاقصاهم يدل على استقصارهم وتفاقم وقيل المراد لبثهم في القبور قال اهل النظر كان سائلا سال كيف يصح التخافت بين المجرمين والجبال حائلة ما تعمر فلذلك قال ويسالونك عن الجبال وقال الضحاك ان مشركي مكة قالوا على سبيل الاستهزاء يا محمد كيف يكون حال الجبال يوم القيمة فنزلت ويحتمل ان يكون هذا جواب شبهة يتمسك بها منكرو البعث منهم جالينوس زعم ان الافلاك لا تفنى لانها لو فنيت لابتدات بالنقصان حتى ينتهي الى البطلان وكذا الجبال وغيرها من الاجرام الكلية فامر الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ان يبين لهم هذه المسئلة الاصولية من غير تاخير ولهذا ادخل فاء التعقيب في الجواب فقال ينسفها ربي نسفا قال الخليل النسف التذرية والاذهاب كانه يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها وحاصل الجواب ان كل بطلان لا يلزم ان يكون ذبوليا بل قد يكون دفعيا والضمير في فيذرها للجبال اي يذر مقارها ومراكزها او هو للارض للعلم بها كقوله ما ترك على ظهرها والقاع المستوي من الارض وقيل المكان الخالي وهو مستنقع الماء والصفصف الارض الملساء المستوية كان اجزاءها على صف واحد قيل التي لا نبات فيها والامت النتوء اليسير وقيل لثلاثة اصابع قالوا العوج بالكسر في المعاني كالعوج في الدين وهو ما يدرك بالاحساس ولا يدرك الا بالقياس الهندسي واذا كان هذا النوع من العوج الاعتباري منتفيا فكيف بالعوج الحسي وفيه دليل بالاية على ان الارض يومئذ تكون كرة حقيقية اذ لو كانت مضلعة وقعت بين الاضلاع فصول مشتركة فيتوهم الامت او العوج عليها هنالك ثم انه تعالى وصف ذلك اليوم بان الخلائق فيه يتبعون الداعي قيل هو النفخ في الصور وقوله لا عوج له اي لا يعدل عن احد بدعائه بل يحشر الكل وقيل انه اسرافيل او ملك آخر هو على صخرة بيت المقدس ينادي ايتها العظام النخرة والاوصال المتفرقة واللحوم المتمزقة قومي الى ربك للحساب والجزاء فلا يعوج له مدعو بل يتبعون صوته من غير انحراف وخشعت الاصوات للرحمن خفضت من شدة الفزع فلا تسمع ايها السامع الا همسا وهو الصوت الخفي ومنه همس الاقدام والا من علموا ان لا مالك لهم سواه وحق لمن كان الله محاسبه ان يخشع طرفه ويضعف صوته ويختلط قوله ويطول غمه وعن ابن عباس والحسن وعكرمة

وان يريد الهمس وطي الاقدام الى المحشر قوله الا من اذن له الرحمن يصلح ان يكون منتصبا على المفعولية وان يكون مرفوعا على البدلية بتقدير حذف المضاف اى لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن ورضى لهاى لاجله قولا قال الامام فخر الدين الرازي الاحتمال الاول اولى لعدم التزام الاضمار ولان درجة الشافع درجة عظيمة فلا تصلح ولا تحصل الا لمن اذن فيها وكان عند الله مرضيا فلو حملنا الاية على ذلك كان من ابعاد الواضحات بخلاف ما لو حملت على المشفوع فاذن الاحتمال لان من شفاربان منذ زمان لان المشفوع لا يقبل الشفاعة في حقه الا اذا اذن الرحمن لاجله سيود الى لثنا قالت المعتزلة الفاسق غير مرضي عند الله تعالى فوجب ان لا يشفع لشفاعة الرسول واجيب بانه قد رضي لاجله قولا واحدا وهو كلمة الشهادة قالوا هب ان الفاسق قد رضى الله قوله لاجله فلم قلتم ان الاذن حاصل للشافع في حقه والجواب انا نمنع ان الاذن غيرها صل في حقه على انه قال في موضع اخر ولا يشفعون الا لمن ارتضى فلم يعتبر الا احد القيدين ثم اخبر عن نهاية علمه بقوله يعلم ما بين ايديهم الضمير للذين يتبعون الداعي اي يعلم ما يقدمهم من الاحوال وما يستقبلونه ولا يحيطون بمعلومه علما وقال الكلبي ومقاتل الضمير للشافعين من الملائكة والانبياء كما مر في اية الكرسي وفيه تقريع لمن يعبد الملائكة ليشفعوا اى يعلم ما كان قبل خلقهم وما كان منهم بعد خلقهم من امر الاخرة والثواب والعقاب وانهم لا يعلمون شيئا من ذلك فكيف يصلحون للمعبودية ثم ذكر غاية قدرته وعنت الوجوه اى ذلت رقاب المكلفات منقادين لامره كالاسارى عنا يعنو عنوا اذا صار اسيرا وقيل اراد وجوه العصاة في القيمة كقوله سيئت وجوه الذين كفروا ولعله خص الوجوه بالذكر لان اثر الذكر والانكسار فيها ابين واظهر قال جار الله وقد خاب ما بعده اعتراض اى كل من ظلم فهو خائب خاسر ولاهل السنة ان يحملوا الظلم هيهنا بالشرك او يعارضوا هذا العموم بعمومات الوعد ومن قرأ فلا يخاف بالرفع فعلى الاستيناف اى فهو لا يخاف كقوله فينتقم الله منه ومن قرأ فلا يخف فمعناه فليامن لان النهي عن الخوف امر بالامن ومن فسر الظلم بانه الاخذ فوق حقه والهضم النقص من حقه كصفة المطففين فيقدر مضافا محذوفا اى فلا يخاف جزاء ظلم ولا هضم لانه لم يظلم ولم يهضم ومن فسر الظلم بانه العقاب لا على جريمة والهضم بانه النقص من الثواب فلا يحتاج الى تقدير المضاف قال ابو مسلم الظلم ان ينقص من الثواب والهضم ان لا يوفى حقه من التعظيم لان الثواب مع كونه من اللذات لا يكون ثوابا الا اذا قارنه التعظيم قال جار الله وكذلك عطف على قوله كذلك نقص اى ومثل ذلك الانزال وعلى نهجه كما انزلنا عليك هؤلاء الايات المتضمنة للوعيد انزلنا القران كله عربيا لان العرب اصل وغيرهم تبع لان النبي عربي وصرفنا فيه من الوعيد كررناه وفصلناه ويدخل في ضمنه الفرائض والمحارم لان الوعيد يتعلق بترك احدهما وبفعل الاخر لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا حمل جار الله الاول على ارادة ترك المعاصي والثاني على فعل الخير والطاعة لان الذكر قد يطلق على الطاعة والعبادة قلت لا يبعد ان القران ينفرهم عن السيئات ويبعث على الطاعات من حيث انهم معا يتنبهون يؤدي الى ذلك وانما قدم الاول على الثاني لان التخلية مقدمة على التحلية ويحتمل ان يكون التقوى عبارة عن فعل الخيرات وترك المنكرات جميعا والذكر يكون محمولا على ضد النسيان اى ان دنوا شيئا من الترك والافعال احدث لهم ذكرا اذا تاملوا معانيه وكلمة او على الاول للتخيير لا للجمع لانه لا فصل الا للتمنا وعلى الثاني يجوز ان يكون للتمنى وقيل اراد انزلنا القران ليتقوا فان لم يحصل ذلك فلا اقل من ان يوجب القران لهم ذكرا اى شرفا ومنصبا كقوله وانه لذكر لك ولقومك وعلى التقديرين يكون في انزال القران نفع ثم عظم شان القران من وجه اخر وهو عظمة شان منزله قائلا فتعالى الله الملك الحق ارتفع صفاته عن صفات المخلوقين انزل القران لحكمه رداعما لا ينبغي وانه منزه عن الانتفاع والتضرر بطاعاتهم ومعاصيهم ومعنى الحق قد مر في البسملة قال جار الله فيه استعظام لما يصرف عليه عباده من اوامره ونواهيه ووعده ووعيده والادارة بين ثوابه وعقابه وغير ذلك كما يجري عليه امر ملكوته قال ابو مسلم ان من قوله ويسئلونك عن الجبال الى ههنا كلام تام وقوله ولا تعجل خطاب مستانف وقال الاخرون انه صلى الله عليه وسلم كان يخاف ان يفوته شيء فيفزع مع الملك فانه تعالى حين شرح كيفية نفع القران للمكلفين وبين انه سبحانه متعال عن الانتفاع والتضرر بالطاعات والمعاصي وانه موصوف بالملك الدائم والعز الباقي وكل من كان كذلك وجب ان يصون رسوله عن السهو والنسيان في امر الوحي ومايتعلق بصلاح العباد في المعاش والمعاد قال ولا تعجل بالقران لانه حصل لك الامان من السهو والنسيان من قبل ان يقضي اليك وحيه اى من قبل ان يتم قراءة جبرئيل ونحوه قوله ولا تحرك به لسانك لتعجل به قاله مقاتل والسدي وابن عباس في رواية عطا وقال مجاهد وقتادة اراد ولا تعجل بالقران فتقراه على اصحابك من قبل ان يوحى اليك بيان معانيه اى لا تبلغ ما كان مجملا حتى ياتيك البيان وقال الضحاك ان اهل مكة واسقف نجران قالوا يا محمد اخبرنا عن كذا وكذا وقد ضربنا لك اجلا ثلاثة ايام فابطا الوحي عليه وفشت المقالة ان اليهود قد غلبوا فنزلت هذه الاية اى لا تعجل بنزول القران من قبل ان يقضى اليك وحيه من اللوح المحفوظ الى اسرافيل ومنه الى جبرئيل ومنه اليك وعن الحسن ان امرأة اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت زوجي لطم وجهي فقال بينكما القصاص فنزلت الاية فامسك رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القصاص واعلم انا اذا حملنا هذه الاقوال الا ان قوله ولا تعجل بالقران يحتمل التعجيل بقراءته في نفسه او في اداءه الى غيره او في اعتقاد ظاهره او في تعريف الغير ما يقتضيه لفظه وقوله من قبل ان يقضى اليك وحيه احتمل ان يراد من قبل ان يقضى اليك تمامه او من قبل ان يقضى اليك بيانه فقد يجوز ان يحصل عقيبه استثناء او شرط او غيرهما

من قوله

من المخصصات والبيانات ويؤكد هذه المعاني قوله وقل رب زدني علما لان معرفة البيانات علم زائد على معرفة الاجمال والظاهر ان هذا الاستعجال كان من اجتهاده وكان الاولى تركه فلذلك نهى عنه قال جار الله هذا الامر متضمن للتواضع لله والشكر له عندما علم من ترتيب التعلم اى علمتني يا رب لطيفة في باب التعلم وادبا جميلا ما كان عندي فزدني علما الى علم ومن فضائل العلم ان النبي صلى الله عليه وسلم ما امر بطلب الزيادة في شيء الا في العلم وفيه اشارة الى ان اسرار القران غير متناهية اللهم ان هذا العبد الضعيف معترف بقصوره ونقصانه فما اسالك بما سالك به نبيك ان ترزقني ببعثته علما ينفعني في الدارين

التاويل ولقد اوحينا الى موسى القلب ان اسر بعبادي وهم صفات القلب من الاخلاق الحميدة سرهم من مصر البشرية الى بحر الروحانية فاضرب لهم بعصا الذكر طريقا يبسا من ماء الهوى وطبع الصفات الحيوانية وباقي التاويل كما مر في يونس ونزلنا عليكم من صفاتنا وسلوى اخلاقنا فاتصفوا بطيبات اخلاقنا ولا تطغوا بافشاء اسرار الربوبية الى غيرنا كمن قال انا الحق وسبحاني فان الحالات لا تصلح للمقالات واني لغفار لمن رجع عن الطغيان وامن بالربوبية وعمل صالحا في مقام العبودية ثم اهتدى فتحقق ان حضرة الربوبية منزهة عن دنس الوهم والخيال ومقام الوصال مباين للقيل والقال وما اعجلك لبيك فيه ان الشوق اذا غلب انقطع العلائق وان مطلوب السائل لا ينبغي ان يكون الا رضاء الله قد فتنا قومك من بعدك فيه فتنة الامة والمريد مقرونة بالنبي والشيخ بملكنا اى بارادتنا ومشيئتنا ولكن بارادة الله ومشيئته كذلك القى السامري من غير اختيار منه ولكن باضطرار من القدر بان ام حيل خاطره بذلك ليذكره قول الملائكة ما للتراب ورب الارباب فقبضت قبضة من اثر الرسول فيه ان الاثر ان الكرامة لاهل الكرامة كرامة ولاهل الغرامة استدراج وفتنة فيصرفونها في الباطل والطبيعة لا في الحق والحقيقة قوله لا مساس فيه ان معاده ضد مقصود من اراد الجمعية والغلبة واتباع الناس اياه فعذب بالتفرد والتوحش والتفارق ونحشر المجرمين زرقا ان الوجه اشرف اعضاء الانسان والعين اشرف اعضاء الوجه وزرقة العين دلالة على خروجها عن الاعتدال واذا كان اشرف الاعضاء خارجا عن الاعتدال فما ظنك بغيرها وكذا الاخلاق انها تتغير لازم خروجه وعنت الوجوه اى كل جهة بها يتيسر الممكن الى الواجب يتبعون الداعي كل اناس يدعى بامامهم فيتبعونه اهل السنة واهل الله لا يتبعون الا الى الله في قوله والله يدعوا الى دار السلام وعلى الله المستعان

وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا

و بدرستيكه عهد كرديم با ادم از پيش پس واگذاشت و نيافتيم براو او را عزمى و چون گفتيم مر ملائكه را كه سجده كنيد مر ادم را پس سجده كردند مگر

إِبْلِيسَ أَبَىٰ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ إِنَّ لَكَ أَلَّا

ابليس كه ابا نمود پس گفتيم اى ادم بدرستيكه اين دشمن است مر ترا و مر جفت ترا پس نبايد كه بيرون كند شما را از بهشت پس در تعب شوى بدرستيكه مر تراست كه

تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ

گرسنه نشوى در او و نه برهنه شوى و بدرستيكه تو تشنه نشوى در ان و نباشى در افتاب پس وسوسه كرد در او شيطان گفت اى ادم ايا دلالت كنم ترا

عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ

بر درخت جاودانى و پادشاهى كه كهنه نشود پس خوردند از ان پس ظاهر شد مر ايشان را عورتهاشان و شروع كردند كه بر ان نهند از ورق

الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ

بهشت و نافرمانى كرد ادم خداى خود را پس بى بهره شد و برگزيد او را پروردگار او پس رجوع كرد بر او و هدايت كرد گفت فرود ائيد از ان همه بعضى

لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي

مر بعضى را دشمن پس اگر ايد شما را از من هدايتى پس هر كه پيروى كند هدايت مرا پس گمراه نشود و نه در تعب افتد و هر كه روگردانيد از ذكر من

فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَٰلِكَ

پس مر او راست زيستنى تنگ و حشر كنيم او را روز قيامت نابينا گفت پروردگارا چرا حشر كردى مرا نابينا و بدرستيكه بودم بينا گفت همچنين

أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ

امد ترا ايات ما پس واگذاشتى ان را و همچنين امروز واگذاشته شوى و همچنين جزا دهيم انرا كه اسراف كرد و نگرويد بايات پروردگار خود و هر اينه عذاب

الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ

اخرت سخت تر و پاينده تر است ايا پس هدايت نكرد ايشانرا كه بسيار هلاك كرديم پيش از ايشان از قرنها كه ميروند در مسكنهاى ايشان بدرستيكه در اين

لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ

هر اينه نشانهاست مر صاحبان خرد را و اگر نبودى كلمه كه پيشتر رفته از پروردگار تو هر اينه بودى لازم و مدتى نام برده شده پس صبر كن بر انچه ميگويند و تسبيح كن

بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ وَلَا

فالكم

[illegible]

تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى

وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى وقالوا لولا

يأتينا باية من ربه اولم تأتهم بينة ما فى الصحف الاولى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا

لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى قل كل متربص فتربصوا فستعلمون

من اصحاب الصراط السوى ومن اهتدى

القراآت وانك لا تظمأ بالكسر ابو بكر وحماد والخراز ونافع الباقون بالفتح عطفا على ان لا تجوع ولا يلزم منه دخول ان المكسورة على المفتوحة للفصل بالخبر ولانه يجوز فى المعطوف ما لا يجوز فى المعطوف عليه اعمى بالامالة حمزة وعلى وخلف حشرتنى بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير ... زهرة بفتح الهاء ... لعلك ترضى ... الا ابليس ...

[illegible]

الوقوف

التفسير

[illegible]

ذلك لعينيا لم يكن للمكلف بسبب ذلك منزلة كافي الدنيا قال والتحقيق في الجواب عن الاعتراض هو ان النفوس الجاهلة في الدنيا اذا فارقت
ابدانها بقي على جهالتها في الآخرة فيصير تلك الجهالة سببا لاعظم الآلام الروحانية واورد على القاضي يحتمل ان يكون مجازا باعتبار الغاية فقد
بلغ النبي باعتبار عدة غايته ثمرته فلا ينافي كونها عمى في الآخرة لهذه الاشياء اعلام الله تعالى اياه للحجة ولا كونه بصيرا في الدنيا كونه عمى في الآخرة
بالاهتداء المذكور لان الغرض عن الدليل تشبيه ان يكون كافرا معاندا ويكون الغرض من الاعلام التوبيخ ويؤيده قوله تعالى في جوابه كذلك اى
مثل ذلك فعلت انت ثم فسر ذلك بقوله اتتك آياتنا اى دلائلنا واضحة مستنيرة فنسيتها اى تركتها وتركت العمل بها وانتم بوجوهها وكذلك
اليوم تنسى تترك بلا فائدة النظر والاعتبار وعلى الامام الرازي انه لا يلزم من كون المكلف غير مقصر في نسيان الدلائل في الدنيا كونه غير مقصر بها
في الآخرة واما قوله في الجواب المحقق بناء على قاعدة الحكيم ان جهل النفس يصير سببا لتعذيبها فان كان منعا لقول المعتزلة انه تعالى يعلم المكلف
بطلان ما هو عليه في الدنيا فذلك لا يفتقر الى العذر وان كان تسليما لقولهم فقد ورد الاعتراض هذا وقد ورد في بعض الآثار اشد
الناس عمى يوم القيمة هم الذين حفظوا القرآن ثم نسوه ودليله قوله كذلك اتتك آياتنا فنسيتها اللهم اجعلني ممن يواظب على تلاوة كتابك حتى لا انساه
يوم القيمة وكذلك نجزي من اسرف قيل عصى ربه ولا ظهر اثره اما شرك وكفر تعليل قوله ومن لم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة وهو الحشر
على العمى اشد وابقى من ضيق المعيشة في العاجل وان تركه اياه في العمى اشد وابقى من تركه لآياتنا ثم وبخ المعرضين عن الدلائل بعدم
الاعتبار باحوال القرون الخالية فقال افلم يهد لهم بالفاء وفي السجدة بالواو لان الكلام ههنا كالمتصل بقوله ومن اعرض عن ذكري وهناك
كالمنفصل عن الاعراض لانه قال ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها وبعد ذلك قصة موسى فناسب الفاء ههنا والواو واما حذف من
ههنا واثباته هناك فلما مر من ان من تفيد الاستيعاب وهنالك قد زاد في القرون بذكر قصة بني اسرائيل وما فيهم من الملوك والانبياء
قال في الكشاف فاعل لم يهد الجملة بعده وانكره البصريون مثل هذا لان الجملة لا تقع فاعلا فلهذا قال يريد الم يهد لهم هذا المعنى او مضمون هذا الكلام
قال القفال جعل كثرة ما اهلك من القرون مبينا لهم وقال الزجاج اراد الم نبين لهم ما يهتدون به لو تدبروا وتأملوا وقيل فيه ضمير الله والرسول
والجملة بعده تفسيره يريد ان قريشا يتقلبون في بلاد عاد وثمود ويمشون في مساكنهم ويعاينون آثار هلاكهم والنهى العقول وقد مر في السورة
قال بعض اهل اللغة النهية مزيد على العقل فلا يقال الا لمن عقل ينتهي به عن القبائح فقوله اولي النهى كقوله اولي العزم والحزم ومن هذا
فسره بعضهم باهل الورع والتقوى ثم بين الوجه الذي لاجله لا ينزل العذاب معجلا على من كذب من هذه الامة فقال ولولا كلمة هي العدة
بتأخير جزائهم الى الآخرة كتبها في اللوح المحفوظ واخبر بها ملائكته ورسله لان فيهم او في نسلهم من يؤمن او لمصلحة اخرى خفية قال اهل السنة
انه بحكم المالكية له ان يفعل ما يشاء من غير علة واللزام مصدر لازم وصف به وقيل فعال لما يفعل به فهو بمعنى ملزم كأنه آلة اللزوم اى لكان
الاخذ العاجل لزاما واجل مسمى وهو عذاب الآخرة وقيل يوم بدر معطوف على كلمة وجوز في الكشاف ان يكون معطوفا على الضمير في كان وتعلمه
انما جوز ذلك للفصل اى لكان الاخذ العاجل والاجل المسمى لازمين له كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل
حين بين انه لا يهلكهم بعذاب الاستيصال امره بالصبر على ما يقولون من التكذيب وسائر الاذيات زعم الكلبي ومقاتل انها منسوخة بآية القتال
وليس بذلك فان كلا منهما معمول بها في موضعها وسبح بحمد ربك اى متلبسا بحمده على ان وفقك للتسبيح واعانك عليه والاكثرون انها بمعنى
الصلوة لتكون كقوله واستعينوا بالصبر والصلوة ولانه من اوقاتها قبل طلوع الشمس هو صلوة الفجر وقبل غروبها صلوة الظهر والعصر لانهما واقعتان
في النصف الاخير من النهار ومن آناء الليل فسبح المغرب والعشاء وقوله واطراف النهار اى في طرفيه فيجمع للمبالغة وامن الالباس او لان اقل الجمع اثنان
او اراد طرفي كل نهار تكرارا لصلوتي الفجر والعصر لا المغرب على ما ظن اعتناء بشأنهما كقوله والصلوة الوسطى وآناء جمع انى وهو الساعة وقدم
في العبارة ما تقدم آناء الليل وادخل الفاء فسبح لموضع الجزاء ما قبلها وما بعدها فانبها على زيادة الاهتمام بشأن صلوة الليل لان
الليل وقت السكون والراحة والهدو والاصوات فالصلوة فيه اشق على النفس وادخل في الاخلاص واقرب من المحافظة على الخشوع والاخبات
بعضهم اخرج من الآية صلوة الظهر لانه خصص قبل الغروب بصلوة العصر ومنهم من زاد فيها النوافل لان الصلوة في الاوقات المذكورة تشملها
والامر قد يكون للندب لا اقل من التغليب قال ابو مسلم الاقرب حمل التسبيح على التنزيه والاجلال كانه لما امره بالصبر على اذية القوم بعثه على الاشتغال
بالتسبيح والمواظبة عليه في كل الاوقات وقوله لعلك ترضى كقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ولسوف يعطيك ربك فترضى لان الاطماع من الكريم
واجب الوقوع اللهم ارزقنا شفاعته ولما حث رسوله على الامور الدينية نهاه عن الميل الى الزخارف الدنيوية فقال ولا تمدن عينيك اى نظر عينيك
ومد النظر تطويله استحسانا للمنظور اليه وفيه ان النظر الغير الممدود معفو عنه كما نظر بعضهم قال ابو مسلم المنهي عنه في الآية ليس هو النظر الطويل وانما هو الاسف اى
لا تأسف على ما فاتك مما نالوا من حظوظ الدنيا قالوا نزل ضيف بالنبي صلى الله عليه وسلم فبعثني الى يهودي يستقرض منه فقال لا اقرضه الا برهن فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اني لامين في السماء وامين في الارض احمل اليه درعي الحديد فنزلت والازواج الاصناف وقيل اى اشكالا واشباها من الكفار لانهم
اشكال في الذهاب عن ثواب الله في امر الحج لقد شدد العلماء المتقون في وجوب غض البصر عن ابنية الظلمة وملابسهم ومراكبهم لانهم انما اتخذوها
لعيون النظارة فالناظر اليها محصل لغرضهم فيكون اغراء لهم على اتخاذها قال جار الله منصب زهرة على الذم او على تضمين متعنا معنى خولنا واعطينا

او على ابداله من ازواجا او النقد برزذي زهرة وهي الزينة والبهجة ومن قرأ بفتح الهاء فمعناها ايضا او هي جمع زاهر كانهم لصفاء الوانهم وظهور
آثار النعمة عليهم زاهر واهل الدنيا بخلاف ما عليه المؤمنون الصلحاء من شحوب الالوان والتقشف في الثياب وقوله لنفتنهم اى لنبلوهم كقوله
انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم وقيل لنعذبهم كقوله فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم وقال الكلبي ومقاتل لنشدد
عليهم في التكليف لان الاجتناب عن المعاصي مع القدرة يكون اشق على النفس ورزق ربك هو ثواب الآخرة او ما رزقت من الاسلام والنبوة خير
وابقى وقيل وادوم الحلال الطيب الذي يجيء ان ينسب الى ربك خير من اموالهم التي غلب عليها الغصب والسرقة وسائر وجوه الخيانة وابقى بركة ونماء ودوام
عاقبة وامر اهلك في سورة مريم وكان يامر اهله بالصلوة اى اقبل انت مع اهلك على عبادة الله من السلف من كان اذا اصاب اهله خصاصة قال
قوموا فصلوا بهذا امركم الله ورسوله ثم يتلو هذه الآية وعن عروة بن الزبير انه كان اذا رأى ما عند السلاطين قرأ ولا تمدن عينيك الآية ثم ينادي الصلوة
الصلوة رحمكم الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية يذهب الى فاطمة وعلي كل صباح فيقول الصلوة وكان يفعل ذلك شهرا وقوله واصطبر عليها
اى وائتمر انت بها كما تأمرهم بها وحافظ عليها فانه لو وعظ بلسان الفعل اتم منه بلسان القول لا نسألك رزقا كما يريد الملوك خراجا من رعيتهم والسادة خرجا
من عبيدهم بل نحن نرزقك كقوله وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين والحاصل انا انما امرناك بالصلوة فذلك لاجل انتفاعك
بثوابها لا لانا ننتفع بها وقيل لا نسألك رزقا لنفسك ولا لاهلك بل نحن نرزقك واياهم فلا تهتم بامر الرزق والمعيشة وفرغ بالك لامر الآخرة
وفي معناه قولهم من كان في عمل الله كان الله في عمله قال اهل الاشارة ورزق ربك رمز الى قوله ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني قال عبد الله بن
سلام كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل باهله ضيق او شدة امرهم بالصلوة والعاقبة اى الحميدة للتقوى ثم عاد الى قوله فاصبر على ما يقولون فحكى نحو
شبهاتهم وهي قولهم لولا يأتينا بآية من ربه كانهم لم يعتدوا بالقرآن الذي هو رأس معجزاته فرد الله عليهم بقوله اولم تأتهم بينة ما في الصحف
الاولى لان القرآن برهان سائر الكتب المنزلة لانه معجز دونها فهو شاهد لها بالصحة وانها من عند الله وقيل اراد بالبينة ما فيها من
بشارة محمد صلى الله عليه وسلم وعن ابي جعفر انه قرأ اولم يأتهم ما فيها من قصص الامم المكذبة وبيان اهلاكهم بعد اقتراح الآيات وانما اتاهم هذا البيان في القرآن فلهذا
وصف القرآن بكونه بينة ما في الصحف الاولى ثم بين الحكمة في نزول الآية قبل نزول القرآن ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله اى من قبل البرهان المذكور
الدال عليه البينة لقالوا اى في القيمة لان الهالك لا قول له في الدنيا وعن ابي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يحتج على الله يوم القيمة
ثلثة الهالك في الفترة يقول لم يأتني رسول ولا كتاب وتلا قوله لولا ارسلت الينا رسولا والمغلوب على عقله يقول لم تجعل لي
عقلا انتفع به ويقول الصبي كنت صغيرا لا اعقل فترفع لهم نار ويقال ادخلوها فيدخلها من كان في علم الله انه سعيد ويبقى من كان في علمه
انه شقي فيقول الله تعالى عصيتم اليوم فكيف برسلي لو اتاكم طعن المعتزلة في هذه المسألة قالوا الآية تدل على انه يجب ان يفعل
وقال الجبائي في الآية دلالة على وجوب فعل اللطف والمراد انه يجب ان يفعل بالمكلفين ما يؤمنون عنده والا كان
لهم ان يقولوا هلا فعلت ذلك بنا لنؤمن وقال الكعبي فيها اوضح دليل على انه تعالى يقبل الاحتجاج من
عباده وليس معنى قوله لا يسأل عما يفعل ان الجور منه يكون عدلا بل تأويله انه لا يقع منه
الا العدل واذا ثبت انه تعالى يقبل الحجة فلو لم يكونوا قادرين على ما امروا به لكان
لهم فيه اعظم حجة واستدل اهل السنة بها على ان الوجوب لا يتحقق
الا بالشرع والا لكان العقاب حاصلا قبل مجيئه ثم ختم السورة
بوعيد اجمالي فقال قل كل اى كل واحد منا ومنكم
متربص عاقبة امره وهذا الانتظار اما قبل
الموت بسبب الامر بالجهاد وظهور
الدولة والغلبة
او بالموت
فان كل واحد من الخصمين ينتظر موت صاحبه واما بعد الموت وهو ظهور آثار الثواب والعقاب وتميز المحق عن المبطل ويؤيده قوله فستعلمون الى آخره وهذا من
كلام
المصنف والله المستعان

قد تمّ المجلد الثاني المشتمل على جزء من الثامن الى السادس عشر المسمى بغرائب القرآن ورغائب الفرقان والحمد لله على نواله والصلوة على
محمد وآله كتب المصنف في نسخة على قدر مؤلفه الحسن بن محمد بن الحسين المشتهر بنظام النيسابوري ببلدة الهند دار ملكها
المدعو بدولتاباد في اوائل صفر سنة ثلاثين وسبعمائة

